تاريخ

كلدو واثور

تأليف

ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوري

الجزء الاول

HISTOIRE

DE LA CHALDÉE ET DE L'ASSYRIE

par

Sa Grandeur Mgr ADDAI SCHER

ARCHEVÊQUE CHALDÉEN DE SÉERT

premier volume

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢

Beyrouth Imprimerie catholique 1912

تاريخ

كلدو واثور

تاليف

ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوري

HISTOIRE

DE LA CHALDÉE ET DE L'ASSYRIE

par

Sa Grandeur Mgr ADDAI SCHER

ARCHEVÊQUE CHALDÉEN DE SÉERT

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢

Beyrouth Imprimerie catholique 1912

قال المعلّم الاثحرير حنا افندي زهيا الاثوري مقرّظاً هذا الكتاب هذه الابيات



أمؤدّيَ الفرضِ الجليل الشانِ ... في خدمةِ الأوطانِ والإيمانِ
للهِ دَرُّكَ (أدّهِ) واكشف لنا ... سرا طواهُ سالفُ الأزمانِ
واحلُل طلاسِم سحر بابلَ واسحرَن ... البابنا في سحرك الكلداني
واجلو رموزاً قد تقدّم عهدها ... حتى غدت تنبي عن الطوفان
أهديتَنا تاريخَ قومٍ ناطحوا ... كبد السما في شامخ البنيان
تاريخ آثورٍ وبابل آتيا ... بدلائل تغني عن البُرهانِ
وعرضتَ للعلماء اوفى معرضٍ ... آثارُهُ تربو على الأثمانِ
وجعلتَنا نجني ثمارَ حديقة ... من كلِّ فاكهةٍ بها زوجانِ
وفتحت ما بين الفرات ودجلةٍ ... مضمار مصرع افرس الفرسان
واريتَنا اهوال حربٍ شيَّبت ... رعباً مفارق احدث الولدانِ
ووضعت ما كانوا عليهِ سابقاً ... من ميلهم لعبادة الاوثانِ
حتى اصطفى ابرهيمَ خالقهُ الذي ... سمّاهُ والدَ شعبهِ العبراني
وتوالت الاجيالُ حتى اشرقت ... شمس المسيح بقطر كردستانِ
فتسيطرت ملكوتهُ وتبدّلت ... كهّانهم بالقسِّ والمطرانِ
فكتابكم سفرٌ فريدٌ قدحوى ... كل الفنون وما لهُ من ثانِ

المقدمة

سبحان من خلق الانسان وغرز فيه حبًا لابويه وذويه مع ما يخصُّهم من اراض وبيوت واملاك وامتعة . فيتباهى بمجدهم ويفتخر بفضائلهم ويحلو له ان يتكلّم بلغتهم وهذا ما يسمّونهُ المحبّة الجنسيّة وحبّ الوطن . وقد اجاد اجدادنا اذ سمّوا الوطن بلغتهم الكلدانية ماثا ܡܬܐ يعني الأميّة واليونان والرومانيّون پاترا او پاتريا Patria اعني الابويّة

ان سكان الجزيرة واثور والعراق على اختلاف مذاهبهم هم كلدان اثوريون جنساً ووطناً . وقد دعوتهم كلداناً اثوريين لان هذين الشعبين هما في الاصل شعب واحد نظرًا الى الديانة والعوائد والشرائع والآداب والصنائع . فضلا عن ان اسم الكلدان والاثوريين أُطلق دون تمييز على شعب واحد في التواريخ القديمة اذ كانت الدولتان تتضامّان غالباً فتصبحان دولةً واحدة . ولا عبرة للحروب المتواصلة بينهما فان بين سبارطة واثينة ايضاً كانت الحروب متواترة وهذا لا يمنعهما من ان تكونا ملةً واحدة فان لسانهما كان واحدا وكذلك قل عن عوائدهما

ومما يستحقّ الاستغراب والتأسف هو اننا نرى بني وطننا المتسلسلين من ذلك الشعب الكلداني الاثوري خالين من المحبة الجنسيّة ولا يفقهون انهم نازلون من ظهر شعب شريف قد فاق شعوب العالم كله في باسه وادابه وصنائعه . نرى الاسلام الوطنيين قد نسوا لغتهم واصلهم تماما ولا يدرون انهم كلدانا اثوريين . نرى اليعاقبة والسريان الكاثوليك الموجودين في بلادنا هذه يلقبون انفسهم بالسريان الغربيين كانهُ انما من سوريا قد انوا واستوطنوا هذه البلاد . ونرى الكلدان انفسهم ولا سيّما الذين يسكنون المدن كالبصرة وبغداد وكركوك والموصل وديار بكر وغيرها عوضا عن ان يجتهدوا بدرس لغة اجدادهم الشريفة واحكام آدابها فهم يحتقرونها ويستهزئون بالقرويين والجبليين الذين لا يزالون الى اليوم يتكلمون بها

ولمّا رأيت انَ من اعظم الدواعي الى محبّـة الوطن هو ان يقف الانسان على مجد بلاده القديم وانَّ هذا لا يقوم الّا بمطالعة الاخبار السالفة دفعتني الغيرة الجنسية ان اتحف بني الوطن بهذا الكتاب الذي ضمنتهُ تاريخ الكلدان والاثوريين حتى اذا ما وقفوا على اخبار اجدادهم الاوَّلين اقتدوا بهم واقتفوا آثارهم فيبلغون ما بلغوا اليه من الفلاح والنجاح

من جملة المؤلّفين القدماء الذين كتبوا تواريخ كلدو واثور اربعة يونانيون واثنان من الكلدان . امّا اليونانيون فهم هيرودوت واكتازياس الكنيدي وديودوروس الصقلي وأبيدين والكلدانيان هما بيروس وابو الحسن ثابت . اما هيرودوت فكانت ولادته سنة ٤٨٤ ق م . وقدم بابل وكانت قد نزلت من مجدها الاول فوصف ما شاهدهُ فيها من الابنية الجبارية وغير ذلك . وكتب ايضاً تواريخ اثور لكن كتابه هذا لم يصل الينا

وكان اكتازياس الكنيدي طبيب ارتحشستا الثاني ملك الفرس (٤٠٥—٣٥٩ ق م) وقد جمع اخبار كلدو واثور عن الكتب الفارسيّة التي في القصر الملكيّ . غير انهُ في كتابه حكايات كثيرة خرافيَّة لا يوثق بها . وعاش ديودوروس الصقلي نحو سنة ٤٤ ق م وجميع كتاباته منقولة عن تاليف اكتازياس الكنيدي . وكان أبيدين كاهناً في هيكل أوسيريس في مدينة ابيدوس في مصر

وامّا بيروس واصل اسمه برحوشا فهو كلداني بابليّ وطناً وكان كاهن بيل وتعلّم اللغة اليونانية ودرَّس العلوم الكلدانية في اثينة سنة ٣٤١ ق م واحبَّهُ الاثينيون حتى انهم نصبوا لهُ تمثالًا لسانهُ من ذهب . وكتب تاريخ ملوك بابل . وجميع ما كتبهُ عنهم اخذهُ عن الالواح التي كانت محفوظة في هياكل بابل . ولكن لسوء الحظ انَّ هذا الكتاب فُقِد ولم نحصل منهُ الّا على بعض قطع مفرّقة في كتب يوسيفوس اليهوديّ واوسابيوس واقليمس الاسكندري وغيرهم . وكان ابو الحسن ثابت حارانيًّا ولادةً وكلدانيًّا جنساً ووثنيًّا مذهباً . واشتهر في اواخر الجيل التاسع بعد المسيح . وكان متضلّعاً بالكلدانية واليونانية والعربية . ومن جملة ما كتبهُ تاريخاً لملوك الكلدان . ولكنّ هذا الكتاب ايضاً لم يصل الينا

ان كلّ ما وصل الينا من تاليفات هؤلاء المؤرّخين المذكورين لم يفِ بالمرام .

حتى قام علماء اوروبا فاتوا بلادنا هذه ليقفوا على ما فيها من الاثار . وتجشّموا مشقات جسيمة وصرفوا نفقات كثيرة لحفر جبال من الانقاض وكشف ما في باطنهـا من الآثار . وكانت اول هذه الاكتشافات على يد المسيو بوتا قنصل دولة فرنسا في الموصل . وبدأ اولاً بالحفريات في تل قوينجق ماذاء الموصل في كانون الاول سنة ١٨٤٢ ثمّ في خورصاباد في ٢٠ اذار سنة ١٨٤٣ . ثم واصل هذه الحفريات فلاندا سنة ١٨٤٤ وبلاس ولايرد سنة ١٨٤٥ . ومَن ساعد السير لايرد في حفرياته هرمزد رسام الكلداني . واماً الحفريات في كلدو فباشرها لايرد سنة ١٨٥٠ ولوفتوس سنة (١٨٤٩—١٨٥٢) ورولينسون سنة ١٨٥٤ . ولا تزال البعثات الاوروباوية الى يومنا هذا تواصل هذه الحفريات وتستخرج كل يوم من بطن ارض اجدادنا آثارا حديدة جليلة

انّ الكتب التي الّفها علماء اوروبا في ما يخصّ الكلدان والاثوريين منذ بداية الجيل التاسع عشر لا تُعدّ ولا تحصى في كل لغات اوروبا ولاسيما الجرمانية والفرنسيّة والانكليزيّة . ولا يزالون يدرسون برغبـة لا مزيد عليها تواريخ هذا الشعب العظيم الجليل . واماً نحن ففي غفلة عظيمة . حتى اننا لا نرى احدًا في بلادنا يبـذل الغيرة في معرفة تواريخ اجداده . أفما الاجدر بنا ان نتشبه بالاوروباويين ان لم اقل ان نباريهم في هذه المساعي الجليلة . اوَليس من العيب والعار ان نجهل بالكليـة اخبار اجدادنا ودولهم وحروبهم وعوائدهم وصنائعهم وعلومهم

ومن اشهر الكتب التي اعتمدت عليها في تأليفي هذا هي

١ : تاريخ الشعوب القـديمة في الشرق في ثلاثة مجلدات طبعت في باريس سنة ١٨٩٥ تأليف ماسپيرو

٢ : تاريخ الشعوب القديمة في الشرق في مجلد واحد تأليف ماسپيرو ايضاً طبعة ثامنة في باريس سنة ١٩٠٩

٣ : مقالة الاب دورم الدومنيكي التي عنوانها : البلاد الكتابية واثور وهي مطبوعة في مجلة الكتاب المقدس (١٩١٠—١٩١١)

٤ : تاريخ سِني ملوك اثور تأليف مينان

٥ : تاريخ دول الكلدان والاثوريين تأليف اوپير

واعلم اني قد كتبت اغلب اسماء العلم على صورتها الاصليـة من ذلك مثلًا نبوكد ناصر عوض بختنصر ونبوپلاس عوض نبو فلاسر وشوشـان عوض السوس وگلگاموس عوض جلجـاموس وهلمَّ جرًّا . واعلم ايضاً ان پ تُقرأ مثل ܦ الكلدانية او الپاء الفارسيَّة وگ مثل ܓ الكلدانيَّة او الجيم المصرية

ثمَّ اني تميـيزًا لفصول ومجلدات التأليفات المذكورة قد استعملت في الحواشي فيما يخصّ عدد الفصول والمجلدات الارقام الابجدية الكلدانية . مثلًا : ماسپيرو :ܐ ٥٢ اعني ماسپيرو الجلد الاول صحيفة ٥٢ وكذلك اشعيا :ܒ : ٣٢ اعني اشعيا الفصل الثاني العدد ٣٢ . وعلى الله اتكالي اوَّلًا وآخرًا

الكتاب الاول

في ارض الكلدان والاثوريين وديانتهم وسياستهم وفنونهم

الفصل الاول

جغرافية اثور وكلدو

قال بيلي فراسير العالم الانكليزي في افتتاح كتابه تاريخ ما بين النهرين واثور ما ملخصهُ(١): نقدر ان نقول بكل صدق انهُ ليس في العالم بلدة تستحق الذكر وتجلب الانظار اليها اكثر من بلاد ما بين النهرين واثور. ففيها سكن اولاد نوح من بعد الطوفان وفيها بنوا البرج المشهور ومنها تبدَّدوا في كل جهات الارض وفيها نشأت اوَّل مملكة في الدنيا على يد نمرود الجبار . وفيها كانت افخر المدن واعظمها واقدمها اي نينوى وبابل وفيهـا صارت اوضح النبوّات على يد دانيال النبي عن مجيء المسيح وعن تقلّبات ممالك الارض . اه

ان ارض ما بين النهرين هي البقعة الكبيرة التي يكتنفها الدجلة والفرات وتسمى في سفر الخليقة بارض سنعار ويدعوها الكلدان بيت نهراوانا (ܒܝܬ ܢܗܪܘܬܐ) او بيت نهرين (ܒܝܬ ܢܗܪܝܢ) والعرب الجزيرة . واليونان والروم ميزوپوتاميا . ومنشأ الدجلة والفرات في ارمينية في جبل نيفات المعروف الآن بجبـل قلشين . ويبتدئ النهران اوّلًا بالمسير في جهتـين متوازيتين فيجري الفرات من الشرق الى الغرب حتى مالاطية والدجلة من الغرب الى الشرق متوجها نحو آثور . ثم ان الفرات عند مالاطية يبدّل فجأةً مجراهُ نحو الجنوب الغربي ثم نحو الجنوب الشرقي . وكذلك الدجلة يميل نحو الجنوب ولا يزالان كذلك تارةً يقتربان وتارة يبتعدان حتى يختلطا في مجرى واحد يُسمَّى شطّ العرب ثم يصبّان في خليج العجم

ومن الجداول التي تصبّ في الفرات بلخ وخابور امّا بلخ ويسمّيـه اليونان

---

(١) ميزوپوتاميا واثور ص ١٨

بيليوخوس والاثوريّون باليحي فينبوعهُ في سلسلة جبل قراجه طاغ المدعو عند اليونان جبل ماسيوس ويصبّ في الفرات عند مدينة الرقّة . واماً خابور ويسمّيه اليونان ابو راس او خابوراس فينابيعهُ في جبال قراجه طاغ ايضاً وطور عابدين وسنجار

ومن الانهر التي تصبّ في دجلة مياه بطمان وغرزان وباشور وكزر وبهتان وروسور ودوش وخزلة وخابور الشرقيّ والزاب الاكبر والزاب الاصغر والادهم وديالة . اماً مياه بطمان فمجراها من جبال صاسون وتختلط بدجلة عند قرية عثمان . ومياه غرزان تأتي من جبال حظو وتصبّ في دجلة تحت رضوان وبهتان ويسميه اليونان كانتريتيس والكلدان النصارى والعرب دجلة واليوم يطلق عليهِ اسم بهتان او بهتان صو . ومنشأهُ في فاراشين ويعبر بالقرب من سعرد ويختلط بدجلة عند قرية تلّ ناورو . ومن المياه التي تختلط في بهتان باشور وكزر . اما باشور فيأتي من بتليس وكزر من قضاء شروان ويجتمعان في مجرى واحد تحت قرية سوران مهديان ويصبان في بهتان عند قرية تلّ ناورو

وروسور ينابيعه في جبال چراو وشرناخ ويصب في دجلة عند المنصورية . ودوش اصلهُ من جبل جودي . وخزلة اصلهُ من جبل هوز ويُدعى كِلّا مامي ويصبّ في الخابور الشرقي والخابور نفسه ينابيعهُ في جبال الحكارية ويمرّ في زاخو ويصبّ في دجلة عند قرية پيشخابور . والزاب الاكبر قسم منهُ يأتي من رواندوز والقسم الآخر من جبال العمادية ويختلط بدجلة عند اخوبة كالح . والزاب الاصغر ينزل من جبال يانا وكويسنجاق ورانية ويصبّ بدجلة عند المحلّ المسمّى مخلط . وكان الاثوريون يسمّون الزابين بزابا علايا (ܙܒܐ ܥܠܝܐ) وزابا شپلا (ܙܒܐ ܫܦܠܐ) . واماً اليونان فكانوا يسمونهما لوكوس وكاپروس

والادهم ويدعى اليوم داقوق او طاوخ چايي منبعهُ في جبال سليمانية ومياههُ قليلة صيفاً واماً شتاء فيصير نهراً ويصبّ بدجلة تحت مدينة سامرا . وكان الاثوريون يسمّونهُ رادان وكذا اتى ايضاً اسمهُ في تواريخ الكلدان او الاثوريين النصارى (١) والبلد الذي في الجهة اليسرى منهُ كان يدعى ايضاً رادان (٢)

---

(١) قصّة حزقيال الراهب (٢) سيرة الشهداء والقديسين طبعة بيجان : ٤ : ٠٦٩ . وماري طبعة جيسموندي : ٨ و٩٩ و١١٨

ونهر ديالة منحدرهُ من جبال العجم ويختلط بدجلة تحت بغداد ويُدعى تورنات في الاثار الاثورية وتورمارا في تواريخ الكلدان النساطرة(١) وجيندس او ثوراناذوتس في تواريخ اليونان

فالبقعة التي يكتنفها الدجلة والفرات تُقسم الى قسمين شمالي وجنوبي . فالقسم الشمالي يُسمّى خاصةً الجزيرة او ما بين النهرَين . والقسم الجنوبي يشتمل على ارض الكلدان المسماة الان العراق العربي . واماً اثور فكانت واقعة في وادي دجلة الاوسط فكان يحدّها شرقاً الادهم وبلاد مادي . وشمالًا جبال قراجه طاغ اوماسيوس وغرباً وجنوباً الفرات والخابور

وكانت بلاد آثور والكلدان مخصبة جيدة التربة عامرة بمدن كثيرة عظيمة زاهرة . وكانوا قد جلبوا اليها مياه الدجلة والفرات والزابين وغيرها بالقنوات والسواقي حتى صارت اراضيهم تأتي بانواع الحبوب الكثيرة وصار الواحد يأتي بمائة ضعف وربما مائتين او ثلاثمائة . جاءَ في رحلة هيرودوت (٢) الذي عاش في الجيل الثالث قبل المسيح ما نصه : «وتنمو (عند الكلدان) الزروع جدًّا فليس في كل جهات العالم ارض تضاهي اراضيهم خصوبةً فان الحبوب تعطي مائتي ضعف وعند الاقبال تعطي اكثر من ثلاثمائة ضعف . وورق الشعير والحنطة عندهم بعرض اربع اصابع . اما الذرة والسمسم هناك فهي اشجار تامة . واني لا اذكر علوها لاني اعلم يقينا ان كل من لا يعرف ارض بابل لا يصدّقني ولذلك ضربت صفحاً عن ذكرها .» وان السير ولكوكس بسياحته الاخيرة سنة ١٩٠٥ في بلاد الكلدان قد تبيَن له الامر بما لقيهُ من آثار احواضهم وخزائنهم المائية حتى قال انَّ تلك البلاد كانت سابقاً كجنَّة غنَّاء تزيّنهــا الخضرة والمزروعات وانهُ لم يبلغ احد مبلغ الكلدان في حسن ابنيتهم لجمع المياه وتوزيعها على انحاء بلادهم (٣)

ومن مدن كلدو أُورو ويعرف اليوم موقعها بالمقيَّر او المكيَّر كما يلفظها عرب البادية . وهي التي سماها الكتاب المقدَّس أُور الكلدانيين ومنها خرج ابرهيم الخليل (٤)

---

(١) سيرة الشهداء : ٤ : ٥٠٨ و٦٣٦ (٢) هيرودوت : ١ : ١٩٣ . وراجع ايضاً تواريخ تنوفراست: ٨ : ٧ . ومقالة يوسف رزق الله غنيمة البغداديّ في الزراعة بالعراق المشرق : سنة ١٩٠٨ . ص : ٦٠٤–٦١٧ (٣) راجع المشرق ١٩٠٩ : ص : ٣٥٦ (٤) تكوين ١١ : ٣١

وكانت أُور مركز التجارة البحريّة وتخوض سفنهـا في خليج العجم وبحر الهند. وكانت مكرّسة للاله سين اي القمر وفي وسطها كان يعلو نحو السماء هيكلهُ العظيم بثلاث طوابق وفي جنوب أُور كانت مدينـة اخرى يقال لها أريدو. وهي المدعوة اليوم ابو شهرين ويسمّيها بطلماوس رَاتاً ومدينة باب سالميتي وكانت مينـا على البحر. ومدينة أُوروك وتدعوها التوراة آرك (١) واليونان أرخوني وهي المسماة اليوم وركة. ومدينة لرسام وكانت مكرّسة للاله شِمشا اي الشمس وكانت على ساحل الفرات. وكيشحو وكانت تدعى في الازمنة الاولى بَبَار أُونُو. ومدينـة نكّاش او زيرپورلا وهي المساة اليوم تلُّو. وجميع هذه المدن كانت في بلاد الكلدان الجنوبية التي كان يقال لها شومير

ومن مدن كلدو الشماليّة نيپور وبارسيپ وكوتا وسپارا واكاد ودوركوريگلزو وبغدادا وزَبّا وايريكا وأكارسال وكيش وأوپي وشورپاك وهيت. امّا نيپور فهي المساة اليوم نُفَّر وصارت بعـد المسيح كرسيًّا اسقفيًّا تابعاً لكرسي بطريرك المدائن (٢) وذكر عن جريغور مطران نصيبين انهُ بنى بالقرب من نفّر ديرًا ومدرسـةً (٣) وكُوتا هي المدعوَّة اليوم تلّ ابرهيم وهي على بعد ١٥ ميـلًا من شرق اكاد ودوركوريگلزو يُظَنّ ان موقعها كان في عقرقوف وهي في شمال غربي بغداد على اربعة اميال منها وستّة اميال من نهر الفرات على ميمنة الترعة الصقلاويَّة. واكاد يُعرَف اليوم موقعها بابي حبّة وبغدادا كانت إمّا في موقع بغداد الحاليَّة او بالقرب منهـا. وقد اتى ايضاً ذكرها في تواريخ الكلدان النصارى ومكتوب اسمها بغداد (٤). وزبّاً كانت على ظنّي واقعة بين بغداد وواسط. وكان هناك للكلدان النصارى اسقفية معروفة باسقفية زابي او زوابي (٥) وسمّيت زابي لانها كانت واقعة بين الزابين. وقال ياقوت: وبين بغداد وواسط زابان آخران ايضاً

---

(١) تكوين : ه : ١٠ (٢) ماري ص : ١٢٢

(٣) اديشير : التواريخ السعرديّ (تحت الطبع) (٤) طالع كتاب السنهادوسات طبعة شابو : ص : ٤٤ وهو يكتب ܒܓܕܕ لكن ذلك غلط فان نسخة دير الربّان هرمزد التي عليها طبع شابو هذا الكتاب تكتب ܒܓܕܕ وكذلك في النسخة السعردية

(٥) عمرو طبعة جيسموندي : ص : ٣٨ و٤٠ الخ

ويسمّيان الزاب الاعلى والزاب الاسفل وإريكا لعلّها باروقا (ܦܪܘܩܐ) المذكورة في كتاب العفّة تأليف ايشوعدناح مطران البصرة (١) وكانت في ارض بابل قريبة من الترعة المعروفة بنهر جمرا ٠ واكارسال لعلّها اشكاپيل ܐܫܟܦܝܠ المذكورة في الكتاب نفسه (٢) وكانت قريبة من ساليق ٠ وأوپي كانت على ساحل دجلة عند مصبّ الادهم ٠ وهيت على ساحل الفرات وهي بعيدة عن انبار ١٢ فرسخاً

والاكثر شهرة كانت مدينة بابل ٠ وكان الفرات يقسمها قسمين : خديرا اي باب الله ودينتِرا اي محلّ شجرة الحيوة ٠ وبابل معناها باب إيل وهو اسم الله عند الكلدان والاثوريين

ومن مدن اثور التي ذكرتها التواريخ والتي يمكن تعيين مواقعها هي هذه : اشور او اثور وهي المدعوة اليوم قلعة شرگات وقد اتى اسمها في تواريخ الكلدان النصارى شهركرد او شهرقرد او شهرقرت وكان لهم فيها كرسي اسقفي (٣) ومدينة كالاح وكان موقعها عند مصبّ الزاب الاكبر في دجلة وتدعى اليوم نمرود ٠ ومدينة نينوى الشهيرة وكان موقعها على الجانب الايسر من دجلة بازاء الموصل ٠ واتى ايضا اسمها في تواريخ الكلدان النساطرة وكان لهم فيها كرسي اسقفي ٠ (٤) ومدينة دور شركينا وهي المسماة اليوم خورصباد وهي على مسافة اربع ساعات من نينوى نحو الشمال الغربي ٠ ومدينة اربيل وهي بين الزابين ومعنى اسمها (ܐܪܒܐܝܠ) اي ارض بيل او (ܐܪܒܥ ܐܠܗ̈ܐ) اي اربعة آلهة ٠ وبعد المسيح اصبحت كرسي مطارنة حدياب (٥) ومدينة كرخ سلوخ وهي المسماة اليوم كركوك ٠ ويسمّيها بطلماوس كوركورا واسترابون يدعوها ديمتريأس ٠ واشتهرت كرخ سلوخ بعد المسيح بعدّة شهداءها وكانت كرسي مطارنة بيت گرماي (٦) ومدينة نصيبين وتسمّى ايضا صوبا وربّما سماها اليونان انطاكية ميكدونيا ٠ وكان فيها للكلدان النساطرة مدرسة شهيرة طار صيتها في الآفاق (٧) ٠ ومدينة سنجار ويدعوها الكلدان النصارى (ܣܢܓܪ) على مسافة

---

(١) طبعة بيجان : ص : ٧٨ (٢) ص : ٨٦

(٣) عمرو : ٤٠ وكتاب السنهادوسات ٣٣ و٣٤ و٦٢ الخ

(٤) كذا ١٠٩ و١١٠ الخ (٥) كذا : ٣٣ (٦) كذا : ٣٣ وسيرة الشهداء : ص : ٥١٢–٥٣٥ (٧) ادي شير : مدرسة نصيبين الشهيرة بيروت ١٩٠٥

٢٤ ساعة من الموصل نحو الغرب . ومدينة أُورهاي ويسمّيهـا العرب الرها واليونان إديسا . ومدينة آمد وتُدعى اليوم ديار بكر . ومدينة هيكلا وقد ورد اسمها في تواريخ الكلدان النساطرة ܗܝܟܠܐ في ترجمة سبريشوع بيت قوقا وكانت في جنوبي اربيل قريبة من دجلة . (١)

وفي وسط كلٍّ من المدن الاثورية والكلدانيّـة كان برج عالٍ عظيم ذو سبع طبقات يُسمُّونهُ زَقَّرتا وهو هيكل يشيّدونهُ لاكرام آلهتهم ودعوهُ زَقَّرتا لعظمتـه وعلوّه ولفظة ܙܩܘܪܬܐ معناها العظمة والزهو وهي مشتقّـة من ܙܩܪ اي علا وارتفع وقد انتقل هذا الاسم الى اللغات الاوروباويّة وهو فيها زِكّورة (Ziggourat) والى الجيـل السادس بعد المسيح كان بالقرب من قطيسفون محلّ يقال لهُ زَقَّرتا بيت بالان (٢)

الفصل الثاني

ديانة كلدو واثور (٣)

انَّ ديانة الكلدان القدماء كانت تشابه ديانة المصريين . فكانوا يعتقـدون ان السماء مستقرَّة على الارض والارض مستقرَّة على الهـاوية . وكان في كلٍّ من السماء والارض والهاوية إله عظيم يأمر ويحكم على آلهة اخرى كثيرة احطّ منهُ مرتبة شانها الحرب المتواصل بعضها مع بعض . فكان الإله زِي أنّا يحكم في السماء والإله زِي كيا في الرقيع والارض . والإله انليل يحكم على الشياطين في الهاوية . وجهنم كانت في الهاوية

ثمَّ بعد ما غلب العنصر الارامي على سكان كلدو القـدماء انتصرت ايضاً ديانتهُ على ديانتهم . فكان الكلدان الاراميُّون يعتقدون بثلاثة آلهة عظيمة اي أنو

---

(١) عن مدن اثور وكلدو القديمة راجع كتاب بيلي فراسير الذي عنوانهُ : ميزوبوتاميا واثور الفصل ٥ و٦ و٧ و ٨

(٢) قصة يهبا لاها الجاثليق طبعة بيجان : ص ٣٦٩

(٣) ماسبيرو : ٦٠١-١٧٤ و 2 : ٦٢٣-٦٨٢ ولنورمان : السحر عنـد الكلدان واصل الاكاديين . وسايس : ديانات مصر و بابل القديمة

وبيل وحيًّا(١) . اما انو فكان أبا الآلهة وربّ العالم الاسفل وربّ الظلمات والكنوز الخفيّة وكانوا يصوّرونهُ على شكل انسان ذي لحية طويلة له ذنب مثل ذنب النسر ورأسهُ مغطّى برأس سمكة وهي ساقطة على كتفه وظهره . وبيل كان ربّ العالم وكان متسلّطاً على جميع الاقاليم وجميع الارواح . وكانوا يصورونهُ على صورة ملك جليل جالس على عرش عظيم . والإله حيًّا كان الدليل العاقل وسيّد العالم المنظور وربّ العلوم والشرف والحيوة . وكان له اربعة اجنحة مبسوطة . ومن كل من هذه الآلهة الثلاثة كانت تصدر إلهة تشبهُ فشريكة أنو يقال لها أناث ܐܢܐܬ (؟) ورفيقة بيل تُدعى بيلتي ܒܠܬܝ ܐܢܐܬ (؟) وشريكة حيًا كان اسمها دوْكينا

ويأتي بعد هذا الثالوث الاول الثالوث الثاني وكان مركبًا من الإله سين اي القمر والاله شمشا اي الشمس والاله اداد (٢) اي الجو او الرقيع . ولكون الكلدان فلكيين فضّلوا سين على شمشا ولقّبوهُ بالنيّر والسيد والقدير واللامع وربّ ايام الشهر . وكان شمشا محرّك السماء والارض ومدبّرها . واما اداد فكان متوليًا على السماء والارض وموزّع الخصوبة وربّ القنوات ورئيس الزوابع والعواصف والفيضان والبرق

ويأتي بعد هذه الآلهة آلهة اخرى احطّ منها مرتبة . وكانت محامية للسيّارات . واسماؤها : نينيب ومرودخ او مردوخ ونركال وإستارا ونبو . وكانوا يصوّرون نينيب على صورة جبار يخنق اسدًا . وكانوا يلقّبونهُ بالمخيف وسيّد الابطال وصاحب القوّة ومبدّد الاعداء والعصاة ورب الحديد . واما مرودخ فرفعهُ البابليّون الى درجة الاله بيل . ونركال سمّوه البطل الكبير وملك المعارك ورب القتال وحامل سلاح الآلهة . وكان تمثالهُ مركّبًا من رأس الانسان وجسم الاسد . ونبو كان قائد العالم ومرتب امور الطبيعة والقائم على الشمس في غروبها وطلوعها ومثال كلّ ما حسُن على وجه الارض وعلى الملوك ان يقتدوا بهِ . واما إستارا فعنوا بها الطبيعة الهيوليّة . وكانت إلهة الحرب ايضاً وسلطانة الظفر وإلهة اللذات والتناسل . وفي وظيفتها

(١) ان المؤلفين الغربيين يكتبونها ea

(٢) ان بعض الكلدان النصارى قد تسمّوا باسم شمشا واداد منهم أبا شمشا الذي نصب ديرًا بقرب مدينة انبار (كتاب العفّة ١٢٩) . واداد القسيس واداد سباس القسيس وكانا من جملة الكلدان المُرسَلين الى بلاد الصين (سمعاني : ܓ ٦٥٣)

الاولى كانوا يصوّرونها راكبةً اسداً او ثوراً ورأسها مكلّل بتــاج مرصّع بنجوم وبيديها قوس وجعبة . واماً في وظيفتها الثانيــة فسمِّيت زربانيت اي المثمرة (١) وكانوا يصوّرونها على صورة امرأة عريضة الوجه واضعة يديها على صدرها . وقال بركوني (٢) عن هذه الالهة ما نصه: « ان إِستَرْتَا هي نجمة الصبح ولها أسماء كثيرة بموجب الالسنة المختلفــة . فالطيّ دعوها عوزي . واليونان أبروديطا . والقدشيّون طشمقيت . والكلدان بَلتي . والاراميّون استيرا . والراداتيّون مَلكث شْمَيًّا (ملكة السماء) والعرب تاني»

وما عدا هذه الالهة كان ايضاً لكلّ مدينــة من مدن كلدو واثور إله خاصّ بها . من ذلك الاله اشور او اثور وكان من اعظم آلهــة الاثوريين . ونسكو ورد اسمهُ في الآثار البابلية وقد شاع عند علماء كثيرين (٣) انهُ نفس الاله نسروك الذي ورد اسمهُ في سفر اشعيا النبي (٤) وفي السفر الرابع من كتاب الملوك (٥) . وبرقا وكان معدوداً كإله الانواء والصواعق وكان من شاراته البرق وعلى رواية تيادوروس بركوني(٦) كان يُسجد لهُ في بلد جوزان في وادي خابور . وشربيل كانت إلهة اربيل . والإلهة تاني او نانا (٧) كانت مكرّمة في عيــلام ايضاً . ومن آلهتهم ايضاً تموز وقرينته عشترت . وكان تموز احياناً في بابل إله الانهار ومجاري الميــاه التي تنصبّ من ينابيعها وتخصب الحقول . وكان تموز يُعبد في بلاد فونيقي ايضاً

هــذه كانت ديانة الكلدان والاثوريين . وقد وُجد فيا بينهم من سجد لاله واحد حقيقي . فان بعض المدارس ومنها مدرسة مدينة أريدو كانت تعلِّم بوحدانية الله تعالى فتقدّم الصلوة لاله واحد لا بدءَ لهُ ولا نهاية (٨)

---

(١) الظاهر ان اصــل زربانيت ܙܪ ܒܢܝܬܐ او ܙܪ ܡܪܒܝܢܝܬܐ وقل الاب دورم (مجلة الكتاب المقدس ١٩١ ص: ٣٧٣) ان اصلها ܡܪܒܟܢܝܬܐ

(٢) تيادوروس بركوني طبعة شير: ܒ ٢٠٥

(٣) المشرق : ص ٣٧٥–٣٧٧ (٤) ٣٧: ٣٨ (٥) ٢ملوك: ܝܛ ٣٧

(٦) المجلد الثاني تحت الطبع (٧) ان بعض الكلدان النصارى سُمّوا باسم شربيل وناني . منهم شربيل اسقف دسكرة الملك (اسكي بغداد) سنة ٤٢٤ . وناني مطران فرات (البصرة) سنة ٦٠٥ (كتاب السنهادوسات ص: ٤٤ و ٢١١) (٨) ماسپيرو: ١٦٨

الفصل الثالث

السياسة (١)

انَّ الأمَّة الاثورية او الكلدانية كانت من اشدّ الامم بأسا واكثرهن قوةً عصبيَّة وكانت مائلة الى الحرب والقتال ولذلك حصل لملوكهم ان يفتتحوا بلادا كثيرة ويخضعوا امما شتَّى ٠ وكان لا بدَّ لهم من ان يباشروا غزوة في كل عام في زمن الربيع

وكان الملوك يتظاهرون بالكبرياء ٠ وكانوا دائما محفوفين بزمرة وزرائهم ورجال دولتهم ومحتاطين بالحراس والعبيد ٠ واذا خرجوا من قصرهم تحملهم عربات تجرها اجود الخيل وكل ذلك يشاهد في التصاوير المستخرجة من آثار نينوى وبابل ٠ وكان من وظيفة الملك ان يرافق جيشه الى ميدان الحرب ويتولَّى بنفسه اوامره لا بل اذا اقتضى الحال ان يسبق ويحارب في اوَّل صفٍّ من صفوف الجيش ٠ واذا مرض او اشغلهُ شاغل مهمّ تسلَّم مركزهُ القائد الاعظم وهو المسمَّى ترتان

وممَّا اشتهر بهِ ملوكهم قساوة القلب والمعاملة الوحشيَّة نحو العدو المغلوب اذ كان اكثرهم يأمرون بسلخ اجسام الاسرى او بصلبهم او بقلع عيونهم ويفتخرون بذلك مدّعين انهم انما يعملون هذا بامر آلهتهم ٠ وقد وجد الموسيو دي مرغان في بعثتهِ الاولى الى العجم تمثالًا يمثّل بعض ملوك اثور قائمًا بازاء إلههِ وهو يجرّ وراءهُ اسيرًا بحبل معلّق بعنقه او كلَّابة ناشبة في ارنبة انفه وتحت قدميه جثث غيره من الاسرى يدوسها برجليهِ ٠ وكذلك ذكر الملك اسوربانيبال في احدى كتاباته قال عن أُوَيته احد ملوك العرب: « اني ثقبت فمه بعديتي التي بها اقطِّع اللحم ٠ ثمَّ جعلت في شفته العليا حلقة من الصفر وعلّقت الحلقة بسلسلة كما افعل بكلاب صيدي » ٠ ولكن اغلب الامم شاركت الامة الاثورية في هذه القساوة نحو الاسرى ٠ ومَن لا يعلم بقساوة السبارطيين نحو اهل هيلس كيف انهم اتخذوهم احطّ من منزلة البهائم نفسها ٠ وكذلك قُل عن عبودية بني اسرائيل في مصر ٠ ونرى ان

---

(١) المشرق ١٩٠١: ١٠٧٧-١٠٨١ . وماسبيرو: ٤ ٧٠٠-٧١٠ و ٦١٩-٦٤٠

امنوتيس الثاني ملك مصر ينبح مثل الغنم بعضاً من الملوك ويُعلّق رؤوسهم وايديهم على حائط هيكل آلهته ٠ هذا وان ملوك اثور لم يعاقبوا بقصاص شديد الّا الذين تجرَّأوا مرارًا على رفع لواء العصيان عليهم وانما قصدهم بذلك كان ان يجعلوهم عبرةً للغير

واماً اسلحتهم فكانت الرمح والسيف والترس والدرع والقوس والنشاب والعربات ايضا ٠ وكانوا قد اخترعوا آلات جديدة لافتتاح المدن والقلاع كما نرى ذلك منقوشاً في التصاوير المستخرجة من آثار نينوى وغيرها ٠ وكان جيشهم منظوماً عليهِ قوّاد خبيرون بامور الحرب ٠ وكان ينقسم الى ثلاث فرق ٠ فرقة المشاة وهم القوّاسة وفرقة الخيالة وهم الرمّاحة وفرقة راكبي العربات الحربية وهم حاملو السيف والترس ٠ وجميع الحركات والاوامر الحربيّة كانت تصدر من الملك نفسه وتلك الاوامر كانت تجري بنظام عجيب ٠ قال لنورمان عن الجيش الاثوري انهُ لم يُغلَب قط في زمانه ولا مرّة واحدة

وكان ملوك الكلدان والاثوريين في اول الامر يتركون ملوك البلاد التي يفتحونها على شانهم ويفرضون عليهم جزية يؤدونها لهم في كل عام ولكن تغلاتپلاسر الثالث الذي ملك سنة ٧٤٥ ق م ابتدأ ان يولّي على البلاد المغلوبة قائدًا من قوّاده

الفصل الرابع

صنائع الاثوريين والكلدان وفنونهم ومعارفهم(١)

انّ الصنائع والمعارف بلغت عند الكلدان الى اسمى درجة ٠ قال الموسيو لنورمان عن الطنافس والانسجة التي كان يشتغلها الكلدان ما تعريبه ٠ ان انسجة الصوف والكتان التي كانت تشتغلها معامل بابل حازت اعتبارًا بلغ الدرجة الاولى من الاهميّة كما انهُ في استحضار الاقبية والطنافس لم يسبقها اليهِ احد ٠ وكانت

(١) راجع لنورمان : تواريخ الشعوب الشرقية القديمة : ص ١٠٣ الخ ٠ واوبير : رحلة علميّة في ما بين النهرين ٠ والمشرق : ص ٦٨٣–٦٨٦

المعامل حينئذٍ في بابل وفي سائر مدن المملكة ونواحيها . ومن ذا الذي يقف على دقَّة تلك الانسجة وزخرفتها ولا يعترف بلياقة نسَّاجها وبذوقهم السليم . واغرب من ذلك ان النساء وحدهنَّ كنَّ يشتغلنَها في اوقات الفراغ . واماَّ الفرس خلفاء الكلدان فقد حافظوا بكل دقَّة على تلك العوائد والصنائع نفسها . » وقال ايضا : « ان النساء الكلدانيَّات وحدهنَّ كنَّ ينسجنَ الثياب الملكيَّة والنمارق ذات التصاوير المفتنة الالباب التي يُنسَج عليها في ايامنا . » وكانت الانسجة البابليَة قد اشتهرت في كل جهات العالم ويرغبها الملوك والوزراء . وقد ذكرها الكتاب المقدَّس في سفر ايشوعبرنون (١) وكان عشَّاقها برومة يشترونها بثقلها ذهبا فان متلُوس شيپيون دفع ما يساوي اليوم ١٦٨٠٠٠ فرنك لمشترى متكإ ثلاثيّ بابليّ . ودفع الملك نيرون لمشترى هذه الانسجة نفسها مبلغاً يساوي اليوم ٨٤٠٠٠٠ فرنك . ولهذا قال الموسيو اوجين منتز : » بالحقيقة انَّ الانسجة البابلية وبالاخص اللحف البابليَّة التي يذكرها دائما الشعراء اللاتينيــون بلفظ (Babylonica peristromata) كانت تفوق كل وصف »

وقال ايضاً لنورمان : ظلَّ الشرق الى يومنا هذا المكان الوحيد الحائز على فنّ الصناعة والتطريز والنقش وذلك ممَّا استرثهُ عن اثور وبابل بعد انقراضهما . كل ذلك مما يثبت ويؤيد تقاليد اولئك الشعوب المتمدنة . فان انسجة ذلك الزمان المطرزة بالقصب المشتملة على التصاوير المبهجة والالوان الطبيعيَّة جعلت شهرة اصحابها تغني عن وصفهم في كل جهات العالم . . . انَّ القدماء كانوا يحسنون تنزيل الذهب والفضة على الفولاذ حتى ان هذه الصناعة في الازمنة المتوسطة احرزت شهرة عظيمة لمدينتَي الشام وبغداد . وان سكانهما كانوا يُحكمون الترصيع والشغل بالمينا والحفر على الحجر وتجهيز الزجاج . فكل هذه الفنون كان الكلدان يتعاطونها وكان الفعلة ايضاً يعجنون ويشوون التراب الاحمر لصنع الطاباق والاوعية الفخَّاريَّة

وقال الموسيو أوپير (٢) انهُ يوجد في شمالي بغداد موقع يُسمَّى موسى الكاظم يسكنهُ اناس هم من بقايا الكلدان لهم صنائع فائقة كالنقش والتطريز والصياغة

(١) ٩ : ٢١

(٢) رحلته العلميَّة في ما بين النهرين : ص ١٣٠

وخصوصاً الحفر على الحجر. والبعض منهم قد احرزوا درجة سامية من المهارة. من ذلك اني وقفت على بعض الانتيكات المزوّرة فرأيتها تشابه كل المشابهة الانتيكات الحقيقيّة حتى ان كثيرًا من السيّاح البسطاء ينخدعون بها. وقال لنورمان (١): انّ جميع منقوشات قصور نينوى مدهونة بالوان باهرة. ولا يزال موجودًا منهـا قطع تزيّن متاحف اوروبا. وتلك الصناعة كانت منتشرة في بابل اكثر ممّا كانت في نينوى غير ان صور نينوى المحفورة لم تكن ملوّنة بدهن خصوصي كما كانت صور بابل. بل كلّها من الطاباق المدهون بالميناء

وترى في المتحف البريطاني اوعيـة من الفخار والجرار والخوابي والاقداح والزرنيات وغيرها وُجدت في قبور الكلدان. ويُشاهَد اليوم ايضاً في جهـات بابل قطع عديدة من الطاباق المطلي بالازرق منتشرًا على التلال ممّا يدلّ على ان الكلدان كانوا يكثرون من استعماله. وقال ديودوروس (٢): كان يشاهد على جدران بابل التي بناها نبوكد نصر الملك اصباغ مختلفة الالوان تمثل انواعا من الحيوانات

انّ اجدادنا كان لهم ايضاً اليد الطولى في التجارة (٣). من ذلك اقواس بديعة الصنـع ورسوم وتماثيل تصـان حتى اليوم في متحف لوفر في باريس او في دار الانتيكات في لندن. نخصّ منها بالذكر تمثال اسد وبقـايا عرش ملكيّ في باريس ويدلّ على تقدّم التجارة في بابل آثار عديدة بديعة الصنع من العـاج او العظم. لعمري ان كان العملة اتقنوا الشغل بمثل هذه الموادّ الصلبة فما قولك بالخشب الذي يقبل الحفر والنقش على وجه اقرب. وكان قسم من هذه الاخشاب يُرصَّع بالعاج او الحجارة الكريمة. ويظهر ذلك من قطع منقوشة ابتاعها العلّامة دي فوكيه. امّا الخشب الذي كان يفضّلهُ الاثوريون دون سواهُ فهو السنديان لكثرته في اعالي جبال كردستان وارمنية. وقد استجلبوا ايضاً من لبنان خشب الارز فاستعملوهُ لابنيتهم. وقد وُجدت لهم ايضاً آثار منقوشة على الابنوس والساج وغيرها

وممّا اشتهر فيه الكلدان صناعة النقش في الحجر والتصاوير عليه وكانوا يبالغون في رسم العروق وارتفاع الاعضاء ونتوّها وتصوير ذيل اثواب الملوك المطرّزة المخرّمة بدقة بليغـة كما يُرى ذلك في الآثار المستخرجة من نينوى وغيرها. وقال فلكس

---

(١) : ص ٣٥٨   (٢) ك ٢ : ع ٦ و ٨   (٣) المشرق ج ٩٢٣ : ٣ و ٨٨

يوليان في رحلته الى بابل (١) ما ملخصه: « انَّ تمدّن الاثوريين معاصر لتمدُّن مصر والهند. وكل تمدُّن العالم كان يومئذٍ محصورًا في هذه الامكنة الثلاثة . غير انهُ فيما يخصّ التصوير لفرق عظيم بين صناعة الاثوريين وصناعة المصريين. فاننا نرى في ثيبس ومنف السكون سائدًا وهدوْ المقابر ضارباً فيهما اطنابهُ والتماثيل مقرفصة بلا حركة». وقال بولي: « ان الصناعة في مصر نظريَّة تصوريَّة (C'est l'idéal) واماَّ في اثور فهي عملية واقعية (C'est le réalisme) ويخال لي ان التماثيل حية مستعدة للحركة والمشي وكانَّ القصور الملوكيَّة معمورة باهلها . ومن الاثوريين انتقلت صناعة التصوير الى الفرس . ومنهم ايضاً اخذها اليونان ولكن اليونان والروميون اتوا في تصاويرهم من التهتك والفضيحة ما يكرههُ كل عاقل اديب الامر الذي لا نراهُ ابدًا في تصاوير الاثوريين »

واماَّ الطبّ فلم يشتهر بهِ الكلدان كثيرا . وكانوا يتخذون النبات كادوية فعَّالة . وقد جاءَ في الكتابات الاثورية اشارات جمَّة تنبّئنا على اقتدارهم في هذا الفن ومعرفتهم بخواصّ الادوية . واكثر الذين كانوا يتعاطون الطب هم الكهنة . وكانوا يضيفون اليهِ اعمالًا سحرية ليزيدوا جاههم وسلطتهم في اعين الجمهور . وقد اخبر هيرودوت ان البابليين كانوا يعرضون في بعض المدن مرضاهم في الشوارع فيمر بهم السابلة فيسألونهم عن دائهم واذا عرفوا لهُ دواءً اختبروهُ في مرضهم او وجدوهُ ناجعاً في بعض معارفهم يفيدون عنهُ المريض ليتعالج بهِ (٢)

اماَّ العلم الذي فاق بهِ الكلدان على سائر الامم فهو علم الفلك . فانهم كانوا يرصدون الفلك وسيران النجوم حتى استنتجوا بعض الحقائق الفلكية وكانت سنتهم ثلاثمائة وستين يوماً . والسنة كانت مقسومة الى اثني عشر شهرا . والنهار الى اربع وعشرين ساعة . وهم الذين استنبطوا لقياس الزمان الساعة المائيَة والساعة الشمسيَّة . ومن الاكتشافات الحديثة العهد التي لا ريب في صحتها نستدلّ على ان الكلدان بلغوا الى درجة ثابتة من علم الفلك . والعلِم الشهير كارل بتسولد في كتابه النجامة والتنجيم عند البابليين الذي طبعهُ سنة ١٩١١ يعدّد هذه المعارف ويثني عليها ويتعجّب من كونهم قدروا ان يحسبوا الحسابات الفلكية المضبوطة وليس

---

(١) ص: ١٩٥—١٩٧ (٢) راجع المشرق: ٨٢:٣

لديهم الآلات التي اختُرعت في هـــذه القرون الاخيرة . فمما وقفوا عليهِ انهم عيَّنوا زمن وقوع انكسافات الشمس وهم مع ذلك لم يعرفوا اختلافات الحركة الارضيَّة في مبادرة الاعتدال التي حظي الفلكيّ ايپارك باكتشافهـا . فاخذ وقتئذٍ اليونان العلوم الفلكيَّة عن الكلدان وهوُلاء خلَّفوها للعرب (١) . ثم انقلب عند الكلدان علم الفلك الى صناعة التنجيم وانتشرت هذه الصناعة في العالم كله

وكانت صناعة الكتابة شائعة عند الكلدان منذ اقدم الازمان . ويشاهد في آثار نينوى وبابل وغيرهما قلم قديم مجهول سمَّاهُ علماء الافرنج القلم المسماري لشبهه بالمسامير . وسمّاهُ ابن العبري (٢) القلم الحـبريّ ܟܬܒܬܐ ܟܘܡܪܝܬܐ اي القلم الخاص بالاحبار او الكهنة وهو قلم غريب صعب القراءَة . وقد توَّصـل العلماء الى قراءَته على طريقة الحدس والتخمين وذلك بالمقابلة مع اللغات الكلدانية الحاليَّة والعبرانيَة والعربيَّة وذكر بعض الاعلام في الفارسيَّة والكلدانية معاً . واماَّ التلفظ الحقيقي فالظاهر انهم لم يتوصلوا اليهِ بالتمام . فانَّهم قبل بضع سنـين كانوا يقرأون مثلا ايلغي عوض دونغي ورمان عوض اداد وهلمَّ جرًّا . ولذلك نرى انَّ هوُلاء العلماء قد قرأُوا وكتبوا اولًا زمان نيراري وشمشيرمان كل اسماء ملوك اثور المركَّبـة من اداد ونيراري ومن شمشي واداد ثم عدلوا عن رأيهم هـذا الاوَّل فكتبوها اداد نيراري وشمشيداد . ونرى ايضاً انَّ بعض الاسماء يختلفون في قراءَتها من ذلك اسم أُورباو ملك بابل فقرأهُ البعض اوروخ والبعض اورياك وغيرهم اورخام وغـيرهم اورباكاس او اورباكوس او ليكباكاس او رباكاس او اوربابي او اوركور (٣)

ومن خواصّ هذه اللغة على ما قال العلماء ان الاسماء فيها إماَّ مجزومة او مختومة بالرباص . وهذا الرباص يقـابل تنوين الرفع في العربيَّة نحو ܫܪ ܫܪܘ اي الملك و ܠܫܢ ܠܫܢܘ اي اللسان و ܟܫܕ ܟܫܕܘ اي الفـاتح الغازي . واماَّ الاسماء المجموعة فهي مختومة اماَّ بالرباص او بالجبـاص او بالف الاطلاق فتقول في

---

(١) راجع ايضاً المشرق : مج ٩٧٢—٩٧٣

(٢) تاريخ الدول طبعة بيجان . ص ١٦٤

(٣) ماسپيرو : ٢ ص ٦١٢ حاشية : ١

ܠܫܢܬܐ اي الالسنة ܠܫܢܬܘ او ܠܫܢܬܝ او ܠܫܢܬܡ وقد اتت ايضاً بعض الاسماء في حال الرفع والجرّ والنصب كما في العربيَّة لكنها مختومة بحرف الميم لا بحرف النون. من ذلك ܒܠܬܘܡ ܘܒܠܬܝܡ ܘܒܠܬܐܡ اي سيّدةٌ وسيّدةٍ وسيّدةً. وهاك جملة قصيرة من الخطّ المساري بموجب ما قرأها هؤلاء العلماء كُتِبَت في زمان حَموراني ملك بابل اي الفَي سنة قبل السيح. ونكتبها بالحروف الكلدانية الحاليَّة

ܚܡܘܪܒܝ ܫܪ ܕܢܢܘ ܫܪ ܒܒܝܠܘ ܫܪ ܟܒܪܬܡܘ

ܐܪܒܥ ܒܢܘ ܒܝܬ ܘܡ ܒܝܬ ܫܡܫ (١)

ومعناها حموراني الملك القدير ملك بابل ملك الاقطـــار الاربعة بنى بيت اليوم بيت الشمس

وقد سمّى علماء الافرنج هذه اللغة اثورية وذهب بعضهم انهُ قبـــل انتشارها كانت شائعة في كلدو بين قبائل لا تنتمي الى سام لغـــة اخرى سمّوها سومريَة. ومنها اخذ الكلدان خطّهم المساري وعدّة الفاظ وتعابير وغيرهم لا يسلمون بوجود هذه اللغة السومريَّة (٢) والله اعلم

وكان في كل مدينة من مدن الكلدانيين والاثوريين مكتبة تحوي كتباً شتى في الآداب والعلوم والصنائع والتواريخ. واشهر مكتبة وصلتنا بقايا كتبها هي مكتبة نينوى وكان منشئها اسوربانيـــال الملك. فانهُ استجلب من مكاتب بابل وغيرها كل الكتب القديمة واستنسخها ووضعها في نينوى. وقد كان اكتشاف هذا الكنز الثمين في قوينجق بازاء الموصل بين اخربة نينوى (٣)

وقد انتقلت آداب الكلدان الى اغلب الشعوب المعروفة حينئذ. والدليل على ذلك الآثار المكتشف عليها في تلّ العمارنة في الصعيد سنة ١٨٨٨ وهي صنـــاديق خشب مملوءَة من قطع الاجر مكتوب عليها الكتابات المساريّة البابليَّة. وتشتمـــل على سجلّات الدولة المصرية على ايام امينوفيس الرابع وابيـــه امينوفيس الثالث.

---

(١) اللغة الاثورية تأليف ميان ١٨٨٠ ص ٣١٣

(٢) راجع كتاب مينان في لغات ايران واثور المفقودة: باريس سنة ١٨٨٦ ص ٣٢٥—٣٤٠

(٣) المشرق: صفحة ١٨٦—١٨٧

الذي عاش قبل موسى النبي وهي مجموع مراسلات وُجهت الى فراعنة مصر وتُقسم الى قسمين: رسائل امراء اسيا وملوكها الغير الخاضعين لمصر كالحيثيين وملوك بابل واثور. ورسالات ارسلها اليهم ولاة وامراء عديدون من سوريا وفلسطين. ولقد تعجّب العلماء كيف دخلت اللغة الكلدانية في سجلّات ملوك مصر. فذهب قوم ان اللغة الكلدانية كانت في ذلك الزمان اللغة الرسمية بين الدول الشرقيّة كما نرى اللغة الفرنسيّة في ايامنا. وذهب غيرهم ان اهل الولايات الشاميّة في ذلك الزمان كانوا يتكلّمون باللغة الكلدانية (١)

الفصل الخامس

الهيئة الاجتماعيّة

قال لنورمان (٢) من العجب العجاب تلك الالفة المكينة بين اعضاء عائلة او عشيرة اثورية كانت او بابلية فان اولئك الاعضاء كانوا يتّحدون اسماً وجسماً ويصيرون يدًا واحدة ليلزموا الغير على احترام عهودهم واشخاصهم من العبد حتى الرئيس

وكانوا يبنون البيوت ثلاثة اقسام. قسم يختصّ بسكنى النساء وقسم موقوف للرجال، والقسم الثالث للعبيد والجواري والمطبخ (٣)

وكانوا اذا عمدوا الى الاكل وضعوا الصينيّة على كرسي وقعدوا حواليها متربّعين مثل العرب وقد طووا ارجلهم تحتهم. ومنهم من كان يأكل على مائدة عالية ويجلس على كرسي مثل الافرنج وهو يتناول الاكل بالملقط والملعقة (٤)

وفي غير ساعات الاكل اذا جالسوا صديقاً جلسوا على سرير او على كرسيّ. يوجد في دار الانتيكات في لندن صورة ملكة اثوريّة وهي قطعة من حيطان قصر الملك اسوربانيبال. فترى هذا الملك جالساً متكئاً على وسادة ناعمة ماسكاً بيده الواحدة زهرةً ورافعاً بيده الاخرى كاساً ليشرب والملكة جالسة بازائه على

---

(١) راجع المشرق: سنة ١ ص ٧٨٦

(٢) لنورمان: ج ٦ ص ٨٦–٨٧ (٣) ص: ٢٨ (٤) ص: ١٢٠

كرسي ذي مسند للظهر ورجلاها على اسكملة وماسكة بيدها اليمنى مروحة وبيدها اليسرى كأساً لتشرب وفي اذنيها اقراط كبيرة وفي رقبتها طوق من الحجارة الكريمة وحواليها جوارٍ مهتمَّات بخدمتها (١) . واماً زيّ الاثوريين والكلدانيين فهو فاخر جليل فكانوا يلبسون كتونةً من كتان تنزل على ارجلهم وفوقها كتونة اخرى من صوف تغطّيها عباءة بيضاء . ويعتنون كل الاعتناء باللحية وبشعر الرأس . فكانوا يتركون الشعر ينبت ثم يجدلونهُ جدلات عديدة دقيقة غريبة الشكل واحيانا ينظمونهُ لؤلؤءا او حلقات من ذهب او يعلقون باطرافه سلاسل رفيعة من ذهب او فضَّة (٢) ويعقدون على رأسهم تاجاً ظريفاً يشبه التاج الذي يلبسهُ الاساقفة الكاثوليكيون . وكانوا يحملون القرط في آذانهم والاساور في ذراعهم . وكان لكلٍ منهم في اصبعه خاتم من ذهب او من فضة او من حجارة كريمة او من نحاس . واماً الطوق فهو من افخر ملابسهم وكان يتقلّدهُ الملك والوجهاء واكابر الدولة (٣)

وكانت النساء يتركن رؤوسهنَّ بلا غطاء ويسدلن الشعر على الاكتاف او يسترنهُ بغطاء طويل ينزل الى الظهر . وكانت نساء العامة يقضين زمانهنَّ في الدكاكين والمخازن . ويَجلن في الازقة بحرّية مكشوفات الوجه لقضاء امور بيتهنَّ او لاجراء وظيفتهنَّ . اماً نساء الخاصة فلا يخرجن من البيت الَّا نادرًا . وذلك الذهاب الى الهيكل للصلوة او لزيارة رفيقاتهنَّ . ولا يخرجن وحدهنَّ بل يحتاط بهنَّ عبيد وجوار ويلبسن برقعاً يغطِّي وجههنَّ وجسمهنَّ (٤)

وكان تعدّد النساء مباحاً عند الاثوريين والكلدان وكان عندهم الطلاق ايضاً . والمرأة العاقر كانت مبغوضة عندهم ويتَّخذونها ملعونة بها شيطان . فكانوا اغلب الاوقات يخرجونها من البيت كانها نجسة

وكان العبيد لا يحصون في اثور وكلدو . وهم الأسرى الذين كان الملوك يجلبونهم في كل سنة اثر انتصاراتهم . او الكلدان انفسهم الذين من اجل ذنوبهم سقطوا من الحقوق المدنيَّة . وكان في كلٍ من المدن محلّ خصوصيّ لبيع العبيد . وكانت

---

(١) راجع المشرق: ٥ ٦٤٧ (٢) لنورمان: ٥ ١٢٨ المشرق: ج ١٠٢٥

(٣) ليار: الآثار ٢ : ١٠ (٤) ماسبيرو: ص ١٥٩ - ١٦٠

شريعتهم تسمح لهم ان يتزوَّجوا البنات الاسيرات . وكانوا يعاملون العبيد معاملة سيئة من ذلك انهم يعلّقون في رقابهم قطعة اسطوانية الشكل مكتوب فيها اسم العبد واسم سيّده حتى اذا هرب العبد استردّه الحال صاحبه . ومع ذلك فكان بعض العبيد على احسن حال في بعض العائلات . وكانوا يحرّرون انفسهم بدفعهم مبلغاً من الدراهم

وكان للكلدانيين والاثوريين منذ قديم الزمان قوانين متقنة لسياسة الرعيَّة . وكفاك شاهدًا شرائع الملك حَمورابي الذي يغني ذكرهُ عن وصفهِ . انَّ هذا الملك عاش في الجيل الثالث والعشرين قبل المسيح وهو من اشهر ملوك الكلدان كما سترى في محله . فجمع كل الشرائع التي كان قد وضعها الملوك سلفاؤهُ في كتاب يُعرَف باسمه ولا بُدَّ من انهُ اضاف عليها ايضاً . والكتاب يشتمل على مائتين واثنين وثمانين فصلًا في الحقّ المدنيّ وفي وظائف القضاة وسائر المأمورين وفي مجازاتهم . فالقاضي اذا خالف الشريعة عوقب اماً بالجزاء النقدي واماً بالعزل واماً بالقتل بموجب خفَّة او جسامة جرمه . وجميع المسائل المختصة باستئجار الاراضي وسقيها ومرعى المواشي وغيرها وتجاوز الحقوق الشخصيَّة حتى التعدّي على الحيوانات فهذه مذكورة كلها مع بيان ما يترتَّب عليها من الاحكام . وباقي الوا منها متعلّقة بالتجارة البحرية واجرة القوارب واستئجار الاشخاص والدواب لفلاحة الاراضي او للتجارة او للصنائع وغيرها . ومنها مختصَّة بالامور البيتيَة كالزواج وحقوق المرأة والرجل والاولاد بعضهم مع بعض وتقسيم الوراثة وحالة العبيد والجواري وغير ذلك . ومنها تبحث عن وظيفة الاطباء والبنّائين وعن اجرتهم . ومسئوليّتهم وقد استُخرجت هذه الشريعة من بطن الارض في مدينة شوشان عاصمة بلاد العيلاميين . وقد قضى منها العجب جميع علماء اوروبا وترجموها الى لغات شتّى(١)

---

(١) راجع ترجمة الاب شيل الفرنسيَّة : شريعة حمورابي الطبعة الثالثة باريس: ١٩٠٥ (ص ٨٠)

الكتاب الثاني

في اخبار الكلدان (٤٠٠٠—٦٤٨)

الباب الاول

في اوائل الكلدان

الفصل الاول

اخبار الكلدان المعروفة بالوهمية — الملوك قبل الطوفان — الطوفان — اوّل دولة قامت في العالم — نمرود الجبّار — قصة كلكاموس

من اخبار الكلدان الشبيهة باخبار التوراة أنَّهُ صار لهم قبل الطوفان عشرة ملوك (١) أوّلهم ألور وانتخبته الآلهة نفسها ليرعى الشعب (٢) وملك عشرة دارات اي ستة وثلاثين الف سنة لانّ الدار (٣) عندهم ثلاثة الآف وستمائة سنة. والثاني الآفار وحكم ثلاثة دارات. والثالث أميلار او أمياون وملك ثلاثة عشر دارًا. والرابع أمّون وتسلّط اثني عشر دارًا. والخامس أميلاكار وملك ثمانية عشر دارًا. والسادس داب وجلس على سرير الملك عشرة دارات. والسابع أدُورناخ وقام بالملك ثمانية عشر دارًا. والثامن أمِيمسين ومدّته عشرة دارات. والتاسع أوبارت واستقرّ لهُ الامر عشرة دارات. والعاشر شيشيت (٤) ودام ملكه ثمانية عشر دارًا. وقُرِئَ اسمه في الآثار شَمِشْنَپِشتِم(٥) او سِتْنَپِشتِم (٦) وفي ايامه حدث الطوفان لمّا كثرت الشرور بين الناس قصد بيل الإله ان يمحو الانسان من على وجه الارض بطوفان المياه. فظهر لشيشيت وقال لهُ ان يبني سفينةً ويترك الاموال والاملاك فيخلّص حياته وان يضع في السفينة زرع حياة جميع الكائنات ويدفن الكتب المقدّسة في

---

(١) راجع بيروس طبعة لنورمان (٢) لعلّهُ هابيل المذكور في التوراة وهو ايضاً كان راعياً (٣) انّ هذه اللفظة مكتوبة سار في بيروس ولعلّها تحريف ܕܪܐ ومعناها الدهر والجيل (٤) هذا الاسم مكتوب في اليونانية كيسطروس. وامّا شيشيت فيقرب لفظاً من شيث بن آدم (٥) ان هذا الاسم مشتقّ من ܫܡܫ ܕܢܦܫܬܐ اي شمس الحيوة او شمس الخلاص (٦) الظاهر ان هذا الاسم مركّب من ܐܣܐ ܕܢܦܫܬܐ إسّ الخلاص

مدينة سيبار . فاطاع شيشيت امر بيل وبنى سفينةً وادخل فيها كلّ نوع من الطيور والحيوانات الوحشيَّة والاهليَّة . وامره شمشا الآله ان يدخل السفينـة ويغلق عليهِ الباب حالما يرى مسآء إله المطر يُنزِل السيول العرمرم فذات مسآء هطلت الامطار شديدًا وللحال دخل شيشيت السفينة هو وكلّ افراد عائلتـه ودخل ايضاً معهُ بوزربيل الربّان ليقود السفينة

ولمّا اصبحت ظهر غيم اسود في السماء وبدأ اداد الإله يرعد في وسط السحابة ونابو ومرودخ تقدّما كحاملَي العرش على الجبـال والسهول ونركيل اثار الزوبعة فصارت الارض مثل بحيرة وهطلت الامطار والزوابع ستة ايام . وفي صباح اليوم السابع انقطعت وفتح شيشيت الشباك فرأى الارض كلّها غامرة في المياه فبدأ يبـكي بـكاء مرًّا

واستقرّت السفينة على جبل قردو في بلاد نيزير (١) وبعد ستة ايام اطلق شيشيت حمامةً فلم تجد موضعاً تستقرّ عليه فرجعت ثم بعث السنونو فطارت وعادت هي ايضاً ثمّ اطلق غرابا فلما رأى الغراب ان المياه غاضت رجع الى السفينة ناعقاً ومصفقًا بجناحيه ثمَّ غاب ولم يرجع وحينئذ اخرج شيشيت الحيوانات وقرّب قربانا وبنى مذبحاً فصعدت رائحة الذبيحة الى السماء فاتى الآلهة كلّهم وفرحوا بسلامة الانسان ما عدا بيل فانَّهُ اراد ان يمحو الذين كانوا في السفينة ايضاً . لكنَّ شيشيت بتوسلاته سكّن غضبه . فدخل بيل السفينة ومسك بيد شيشيت واخرجه خارجاً ثمَّ اخرج ايضاً امرأتهُ واجلسها جانبه ورفعها وذهب بهما الى مكان بعيد اي الى مصبّ الانهر . وهناك تألّها ففتَّش عليهما الباقون في السفينة واذا بصوت من السماء يامرهم ان يتّقوا الآلهة فانَّ شيشيت مكافاة لتقواه ذهب ليسكن مع الآلهة هو وامرأته وابنته والربّان بوزربيل . ثمّ انَّ الصوت المذكور امرهم ان يرجعوا الى بابل ويخرجوا الكتب المدفونة لكي تتداول بين ايدي الناس . فلمَّا سمعوا هـذا الصوت قرَّبوا قرابين للآلهـة ثمَّ انطلقوا الى بابل واخرجوا الكتب المطمورة في مدينـة سيبار وكتبوا كتباً كثيرة وبنوا هياكل وأسّسوا بابل الجديدة . وتكاثر نسلهم وكانوا يتكلمون قاطبةً بلسان واحد وحملتهم الكبرياء على ان

(١) جبل جودي الحاليّ

يرذلوا الآلهة بل ان يحسبوا انفسهم اعظم منها فاقاموا لهم في بابل برجاً عالياً وكاد يناطح السماء فارسلت الآلهة ريحاً شديدة هدمت البرج وبلبلت السنتهم (١)

واول دولة قامت في العالم من بعد الطوفان وتبلبل الالسنة كانت كلدانية. وقال المؤرخ بيروس الكلداني انها قامت بستة وثمانين ملكاً ومدتها ٣٤٠٨٠ سنة وعن رواية اخرى لم يقم فيها الا سبعة ملوك ومدتهم ٢٢٥ سنة وأولهم أوخ وهو اوّل من نصب صنماً وعبده وسنّ عبادتهُ في رعيته وقام بعده خوماسبيل فتاله في قومه وعبدوه. ثمَّ ملك پور ونخوب ونابي وحبيبل وزنزير (٢)

وعلى رواية تيادور بركوني (٣) انَّ هذه الدولة قامت بعشرة ملوك وهم: نمرود وفالساطور وشمكار وأول وأشليمون واحليمون وشمشرون ولستير وأحليمون الثاني وكمنكوس وأوكر وكلكاموس

وعلى ما تذكر التوراة (٤) انَّ اول من ملك في هذه الدولة كان نمرود بن كوش بن حام. وكان اول ملكه يشتمل على اربع مدن وهي بابل وآرك واكاد وكلنه وكان جبّارًا قانصاً قدام الربّ ومن اجل ذلك يقال مثلًا: «كنمرود جبار صيد قدام الربّ.» ويوجد احاديث كثيرة عن نمرود. فاتى عنهُ عند اليهود انَّهُ كان ملكا ظالماً عاتياً على الله وانَّهُ هو الذي بنى برج بابل والعرب تقول عنهُ انَّهُ القى ابراهيم الخليل في اتون النار وهو عندهم مثال الظلم فيقولون اظلم من نمرود. وقيل ايضاً عنهُ انَّهُ اراد ان يصعد الى السماء وهو راكب على ظهر نسر وقد اتى عنهُ في تقليد الكلدان النصارى (٥) انَّهُ ملك تسعاً وستين سنة وان سيسان الحائك عمل لهُ تاجاً على شبه التاج الذي رأى صورتهُ في السماء ومن اجل ذلك كان يقال: « من السماء نزل التاج » وانَّهُ رأى نارًا تخرج من الارض فسجد لها. وانَّهُ وصل الى بحيرة أطوس فصادف هناك يوناطون بن نوح. وعلّمه يوناطون الحكمة وسفر الرؤيا اي علم الفلك ونُسِب الى نمرود اشياء كثيرة أضيفت الى اسمه منها مدينة نمرود وبرج نمرود وجبل نمرود وتماثيل نمرود الى غير ذلك

---

(١) بيروس: البقية ١٧ و ١٨ (٢) بيروس في مولّر

(٣) كتاب اسكوليون تيادور بركوني طبعة ادي شير ٢ ١١٧ (٤) التكوين: ١٠ ٨ و ٩

(٥) راجع كتاب مغارة الكنوز

انَّ اكثر الاعمال المنسوبة الى نمرود نسبها الكلدان الى كلكاموس فيستنتج العلماء من ذلك انَّ كلكاموس هو نمرود نفسه فانَّهُ قيل عنهُ انَّهُ كان جبَّارًا وقتل سباعاً كثيرة واعلم انَّ كاتباً مجهول الاسم في الجيل الثالث والعشرين قبل المسيح كتب قصتهُ في ميمر مقسوم الى اثني عشر فصلًا وقد وُجد عدَّة نسخ من هذه القصائد الطويلة ولكن فيها نواقص كثيرة وهاك خلاصتها (١) كان كلكاموس ملكاً على اوروك وكان جبَّارًا ذا حسن فريد من حفدَة شيشيت او سِتنَپشتِم الذي في ايامهِ صار الطوفان وكان الإله شمشا قد اخذه تحت حمايته وجعل وحشاً اسمهُ حَباني ان يلازمه وكان لحباني قرنان مثل العنزة وقوائم وذنب كقوائم وذنب الثور وفي تلك الأثناء اغار خومبابا ملك عيلام على كلدو واراد ان يخربها فحمل عليه كلكاموس وحباني وقطعا رأسهُ ولمَّا رأت الإلهة إستارا ما هو عليه كلكاموس من الجمال والباس والقوَّة كلفت به. فانكر عليها البطل ذلك فغضبت عليه وخلقت سبعاً مخيفاً فاتى والقى الرعبة في قلوب سكَّان اوروك فحمل عليهِ كلكاموس وحباني وقتلاه فاشتدَّ غضب إستارا وضربت كلكاموس بالبرص فقصد جدَّهُ شيشيت لكي يشفيه من مرضه وكان الطريق خطرًا جدًّا وكل من سلكه هلك فرافقه حباني وقتلا على الطريق نمرًا ولكنَّ النمر جرح حباني فمات وواصل كلكاموس طريقه وبعد اخطار ومشقَّات كثيرة وصل الى ساحل الاوقيانوس فحمل سفينة وركبها مع ربَّان وبعد اربعين يوماً وصل الجزيرة السعيدة. وكان شيشيت واقفاً على الساحل. فرحَّب به وشفاه من مرضه وقصَّ عليهِ قصة الطوفان

الفصل الثاني

اخبار الكلدان الصحيحة منذ سنة ٤٠٠٠ ق م — ملوك كيشحو ولاكاش — شركينا الاوَّل وتسلّطهُ على كلدو واثور وسوريا — ابنيته — ابنه نارمسين وفتوحاته — ملوك لاكاش — أورشمشا ملك أور وابنيته الجسيمة — ابنهُ ايلغي وفتوحاته — كنكنوم امير نيپور — بورسين الثاني وخلفاؤهُ

---

(١) راجع ١ ارميا: إيسدوبار نمرود سنة ١٨٩١

من بعد الجيل الاربعين قبل المسيح وصلت الينا بعض اخبار الكلدان مدوّنة في الآثار المستخرجة من بطن الارض

وقد سبق القول ان كلدو كانت منذ القديم منقسمة الى قسمين وهما شومير في الجهة الجنوبيَّة واكاد في الجهة الشماليَّة (١) وكان في كلّ مدينـة من مدن شومير واكاد ملك يسوسها وكان القويّ يستظهر على الضعيف ومن جملة هذه الممالك الصغيرة مملكة اكاد ومملكة بابل ومملكة كوتا ومملكة كيش في كلدو الشماليَّة. ولاكاش واوروك وأور ونيشين ولارسام في كلدو الجنوبية

ملوك كيشحو ولاكاش (٢)

كانت مسافة لاكاش نحو سبعة كيلومترات وكانت مركبة من خمس قرى عظيمة اي أوروزكا وغيشكلا وغيرسوُ ونينا ولاكاش وغلب هذا الاسم الاخير على الكلّ وكان اسمها القديم زيربورلا. وموقعها كان في المحلّ المسمّى اليوم تلّو وقد نُقلت جميع اثارها الى لوفر في باريس واماَّ كيشحو فالبائن انها كانت قريبـة من لاكاش نحو سنة ٤٠٠٠ ق م كان مانيشتوشو ملكاً في مدينة كيش. وكان ذا ثروة واملاك واسعة وتخلّف بعده ابنه مصليم. وفي أيّامه كانت زيربورلا وكيشحو في نزاع شديد من اجل مسألة الحدود فأصلح بينهما مصليم وحفر قناة بين حدود هاتين المدينتين ولكنَّ الصلح لم يدم بينهما كثيراً فانَّ أوش أمير كيشحو اغار على اراضي زيربورلا وضبط قسماً منها. غير انهُ غُلب بعدئذٍ واضطرّ خلفه أناقلي ان يرّجع الاراضي المحتلّة الى أنادو ملك زيربورلا الذي تسلّط ايضاً على كلّ بلاد كلدو الجنوبيَّة وعلى قسم من بلاد عيلام وبعد وفاة أنادو جلس مكانه اخوه انتأدو الاوّل وحمل عليه أورلوما الذي تخلّف بعد اناقلي في كيشحو وطالت الحرب بين كيشحو وزيربورلا. وكانت النصرة لزيربورلا وبقيت كيشحو في حوزتها في أيام انتأدو الثاني وأنليطارزي ولوكالباندا حتى قام لوكالزكيزي ملك كيشحو واستقلّ وجعل أوروك قاعدةً لمملكته واشتهر كثيراً بفتوحاته واستولى على كلّ البلاد التي بين خليج العجم وبحيرة وان فصارت الرئاسة في كلدو لشومير. لكنها لم تدم كثيراً حتى انتقلت الى اكاد

---

(١) راجع ص ٢٠ من هذا الكتاب (٢) ماسبيرو: ١٨٨–١٨٩

ملوك اكاد (١)

نحو سنة ٣٧٨٠ ظهر في مدينة اكاد شركينا الاول (٢) واسم ابيهِ ايثبيل. والباثر انهُ لم يكن ملكاً ولم يكن شركينا يملك في اول الامر الّا على اكاد. ثم استولى على بابل وسِپّارا وكيش ونيپور. وتسلَّط ايضاً على كل مدن كلدو الجنوبية. ثم افتتح بلاد اثور والحيثيين وسوريا وفونيقي. واغار ايضاً على ماكّان في بلاد العرب

ان شركينا لم يشتهر فقط في فتوحاته بل اشتهر ايضاً في بناء الهياكل والقصور. فبنى هيكلَين فاخرَين في اكاد وفي نيپور اكراماً لبيل الإله وشيَّد ايضاً قصراً في بابل صار فيما بعد مقبرةً للملوك. وعمَّر مدينة سمَّاها دور شركينا (٣)

ويُروى عن شركينا روايات مشوَّهة بالاوهام. وهاك ما وُجد مكتوباً على تمثاله: «انا هو شركينا الملك القويّ ملك اكاد. كانت امّي دنيئة الاصل وابي مجهول الاسم. وكان اخو ابي يعيش في الجبال. انَّ اصلي من مدينة ازوپيرانو على ساحل الفرات. وهناك حبلت بي امي وولدتني خفية ووضعتني في قفَّة من البرديّ مطليَّةٍ بالزفت والقتني في النهر. ولم تصل اليَّ المياه وذهب بي النهر الى أقي السقَّاء فترحم عليَّ. أقي السقاء ربَّاني مثل ابنه. أقي السقَّاء جعلني بستانياً وفي صنعتي هذه نظرت اليَّ إستارا بعين المحبة. وملكتُ مدَّة اربع واربعين سنة»

وخلفهُ ابنهُ نارَمسين نحو سنة ٣٧٥٠ وكان يشبه أباهُ في مناقبه وحزمه وبأسه واخضع العيلاميين الذين عصوا عليهِ. وفتح مدينة بيراق على ساحل الفرات وقتل ملكها ريشهداد واستأسر سكَّانها. وخرج ايضاً على ماكّان وانتصر على الملك مانيوم لا بل قيل عنهُ انهُ اغار ايضاً على بلاد مصر وافتتحها ورجع بالغنائم الوافرة. ومن آثارهِ حجر منقوشة عليهِ محاربته مع سكَّان جبل زَكْرا (٤) وهو منقضّ على

(١) ماسپيرو ص ١٨٩–١٩١ (٢) لُقِّب بالاول لتمييزه من شركينا الثاني ملك اثور ومعنى شركينا: الملك العادل ([illegible])

(٣) انَّ شركينا الثاني ايضاً بنى مدينة سمَّاها باسمه. غير ان مدينة شركينا الاول كانت في بلاد الكلدان ومدينة شركينا الثاني كانت في اثور كاسياتيك

(٤) انَّ سلسلة الجبال الفاصلة بين اثور ومادي كانت تُسمَّى زَكْروس او زَكْرا وتدعى

ملكهم وجيوشه تتسلّق الجبل كاسحةً كلّ ما يأتي امامها . وكان نارَمسين مولعاً بالبناء مثل ابيه شركينا وبنى هياكل في نيپور واكاد وسِپارا وما بقي من آثاره يدلّ على طول باع الكلدان في ذلك الزمان بصناعة النقش في الحجر

في من بقي من ملوك لاكاش وامرائها (١)

ومن ملوك لاكاش الواصلة الينا اسماؤهم في الآثار اوروكاعينا . وكان ملكه نحو سنة ٣٢٠٠ وبنى ورمّم هياكل كثيرة وحفر قناة في نينا . وملك بعده كورشار ونينيكلدو واُورينا . وبنى اورينا هياكل كثيرة اكراما للآلهة ووهب لها آنية فاخرة وجلب للبناء خشبا كثيرا من بلاد ماكان (٢) وقد وصلت الينا صورته وصورة اولاده منقوشة على حجر . وحدا حذوه ابنه اقوركل في بناء الهياكل . لكن حفيده إيدنغيراعين اشتهر في الحروب ودخل بلاد عيلام وانتصر على جيوش بلد يزدان . وصُور انتصاراته المنقوشة على الاحجار نُقِلت الى باريس وهي ليست متقنة . ومن هذا يظهر انّ صنّاع لاكاش لم يكونوا بارعين بصناعة النقش والحفر كسائر اخوتهم الكلدان

ومن بعد إيدنغيراعين انحطّ شأن ملوك لاكاش وصاروا خاضعين لملوك أُور ولهذا لُقّبوا بالامراء . ومن الذين وصلت الينا اسماؤهم : إنَاتوما الاول وابنه إنتينا وإنَاتوما الثاني (٣) وأُرباو وابنهُ كُدعا . واشتهر هذا الاخير كثيرا وحمل بامر ملك أُور على بلاد عيلام وافتتح مدينة أنشان . واشتهر خاصّة بالابنية الكثيرة العجيبة التي شيّدها . وجلب لذلك صوّانا وخشبا ونحاساً من جبل لبنان ومن بلد ماكان . وكثير من آثاره كالتماثيل والعُمد والآجر والاحجار المنقوشة موجودة الان

اليوم طاق او اياق طاغ (طالع شرفنامه ترجمة شارموا : ٢ ٢٩ و ٣٠٠)

(١) ماسپيرو ٢ : ٦٠٤–٦١٣ (٢) شبه جزيرة سيناى

(٣) انّ ماسپيرو في تواريخ الشرق القديمة (طالع ص : ٢٣ من هذا الكتاب) يذكر بين ملوك لاكاش أنادو وإنَادو الاول واسّادو الثاني ويقول عنهم انهم عاشوا قبل سنة ٣٢٠٠ التي فيها ملك اوركاعينا . ثم في كتابه في مصر وكلدو يذكر بين خلفاء اوركاعينا : انَاتوما الاول وانتينا واسّاتوما الثاني . فيظهر لي ان المستشرقين لم يقدروا ان يقرأوا جيّدًا هذه الاسماء فانها تشبه لفظاً بعضها بعضاً . فلعلّ انادو هو عين انتينا واسّادو وانّاتوما هما شخص واحد



نارمسين الاوّل ملك الكلدان



مرودخنادنخا ملك الكلدان (انظر صحيفة ٣٧)

في متحف الآثار في باريس٠ وخلفهُ ابنه اورنينغيرشو ثم كَلَالا

ملوك أُور (١)

انَّ موقع أُور او أُورو على ساحل الفرات في المكان الـذي يقال لهُ الآن المكَيِّر وذلك بقرب ملتقى النهرين الدجلة والفرات وسبب تسميتهـا بأُور اي الضوء (٢) لكونها مقام الكهنة ومركز الدين وفيها من الهياكل ما لا نظير لهُ سعة واتقانا٠ وهي التي دُعي منها ابرهيم ابو الآباء (٣) وكانت مركز التجارة برًّا ونهرًا واستولت مدَّة اجيال كثيرة على جميع الممالك الصغيرة الكلدانيَّة الجنوبيَّة

وكان مؤسّس مملكة أُور الملك أُورشمشا (٤) ودلك في سنة ٣٠٠٠ او ٢٩٠٠ ويستفاد من بقايا مدينة أُور انَّهُ هو الذي بنى سورها وشيَّد فيها الزِّقُرتا العظيمة التي ذهب بعض الناس الى انها برج البلبلة وبنى ايضاً لسكناه قصرًا جليلًا لا تزال جدرانهُ ماثلة لهذا اليوم وعلى احدها صورةٌ تشخّصه وليس من ذلك العهد صورة ابدع منها صنعا (٥) وشيَّد ايضا زقُرتات في لارسام وأُوروك ونيپور وسِبَّارا وغيرها وما كان فيها من العظمة والكبر يحيِّر العقول واعظمهـا كانت زقُرتا أُوروك وانقاضها باقية الى يومنا هذا وهي تلٌّ سمكه نحو سبعين مترا وعلوه نحو خمس وثلاثين وقد قُدِّر انهُ التزم لبنائها اكثر من ثلاثين مليون آجرّة (٦) واماَّ مملكة اورشمشا فكانت تشمل كلَّ بلاد الكلدان واعظم قسم من عيلام وكانت مدينة شوشان قد بقيت في حكم الكلدان منذ ايام الملك نارَمسين

ومن بعد وفاة اورشمشا (٧) جلس مكانه ابنه دونغي او ايلغي٠ وكان هو

---

(١) ماسبيرو ܐ : ٦١٣–٦١٩ (٢) من ܐܘܪܐ (٣) تكوين : ܗܐ ٣١

(٤) انَّ هذا الاسم يقرأهُ العلماء على انواع مختلفة : اوروخ او اورياك او اورباكا او اورباو او اورانكور او اورخاموس الخ٠ (ماسپرو : ܐ ص ٦١٧) وقد فضلنا هذا الاسم الاخير ومعناه ضوء الشمس ܐܘܪ ܫܡܫܐ راجع ما كتبناه عن قلم الكلدان والحرف المسماري وجه ١٤

(٥) جميل مدوّر. تاريخ بابل واشور: ص ٦٦–٦٧ (٦) ماسپرو ص: ١٩٢

(٧) ماسپرو : ١٩٤ و ܗܐ : ٦١٧–٦١٩

—

ايضاً نظير ابيه مغرماً بالبناء ومماً نعرف عنهُ انهُ نهب بابل وكان يحكم على عيلام ايضاً واماً اخبار خلفائه فهي عائصة في ظلمة دامسة والظاهر ان مملكة أور تقسّمت في ايامهم الى اقسام شتى منها مملكة أمانو وكانت قاعدتها مدينة أوروك وقد وصل الينا اسماء ثلاثة من ملوكها سينكشيد وسينكميل وبيلبوخي ومع ذلك لم تزل الرئاسة لمدينة أور وكلّ من اراد ان يصير ملكا على شومير واكاد كان يلبس التاج في اور كما فعل نحو سنة ٢٥٠٠ ليبيتّونيت وكاميلدار وايندين وبورسين الاول واشميداكان ملوك نيشين. ونحو سنة ٢٤٠٠ استولى على اور كنكونوم امير نيبور واشتهر خلفاؤه كثيرا بفتوحاتهم ووصلوا بغزواتهم الى بلاد سوريا فمنهم بورسين الثاني و إنسين وكاملسين ثم نحو سنة ٢٣٠٠ صارت الرئاسة لامرآء لارسام والاكثر شهرة فيهم نوراداد وابنه سينديِنام وهذا الاخير بنى ورمم هياكل كثيرة ونظّف وحفر القنوات

هذا ما قدر العلماء ان يعرفوه حتى الان عن تواريخ كلدو القديمة وهو لعمري لا يعطينا الاّ تصوّرًا مبهما عن اجدادنا الاوّلين ونؤّمل انَ المستشرقين يستخرجون بعد آثارًا أُخرى منها نقف تماماً على تواريخ هذه الملّة الشهيرة القديمة

الباب الثاني

دولة الكلدان العظمى الاولى (٢٤١٦–٦٤٨)

الفصل الاول

وصف بابل — ملوك بابل الاولون — استيلاء ملك عيلام على كلدو — غارة كردلاعمار ملك عيلام على سوريا — كوتورمابوغ ملك يموتبال وابنه ريمسين — حمورابي ملك بابل وقهره العيلاميين — فتوحاته — شريعته — ابنيته — قهر شمشوايلونا العيلاميين

ان مدينة بابل كانت اعظم مدن آسيا وابعدها ذكرًا وارفعها علماً واوسعها ظلّا واكثرها ثروةً وعمراناً وامنعها عزّةَ وسلطانا صحبت الملوك دهرا طويلًا وتقلبت في الخصب والدولة امدًا مديدًا حتى لم يكن لها مثيل في جميع المدن التي تقدمتها

في تاريخ العمران وفي تسميتها ببابل اقوال اشهرها انها انما سمّيت بذلك اخذًا من بلبلة الالسنة فيها على ما ورد في سفر التكوين(١) وفي رواية ان قوماً من الاقدمين بنوا هناك هيكلًا يجلسون ببابه لقضاء دعاويهم وفضّ خصوماتهم فسمّيت المدينة بابل واصلها على هذا باب ايل اي باب الله (٢)

ولم تكن بابل في اول الامر عاصمةً للملك ولا معتبرة من المدن الخطيرة كما تدلّ عليه الاثار التي كُشفت في عصرنا هذا ثمّ ضرب الدهر ضرباته وافضت نوبة الملك اليها في سياق غير معلوم فبلغت من العظمة والشهرة وسموّ المنزلة ما لم تبلغ اليهِ غيرها من بقيّة المدن وجرى فيها من الاعمال العظيمة والانشاءات الجسيمة ما لم يجرِ في سواها وتحاشدت اليها الجبايات والارزاق وامتدت اليها اسباب التجارات من كلّ اوب واتسع فيها نطاق الثروة والغنى حتى لُقّبت بمدينة الذهب (٣)

انَّ ملوك بابل كانوا في اول الامر تارةً مستقلّين وتارةً خاضعين لملوك مدن كلدو الاخرى ولا سيما لملوك اكاد وقد سبق الكلام عن ملوكها الأولين (٤) وعن اخبارهم الغائصة في الظلام. وفي نهاية القرن الخامس والعشرين قبل المسيح قامت في بابل دولة بابليّة (٥) وأول ملوكها سوموأبيم (٢٤١٦—٢٣٨٥) (٦) وحكم احدى وثلاثين سنة. وقد وصل الينا بعض المعاهدات التي صارت بايامه. وقام بعدهُ سومولالو (٢٣٨٥—٢٣٧٠) وملك ١٥ سنة. ثم ابنهُ زابوم (٢٣٧٠—٢٣٣٥) ثم أمِلسين (٢٣٣٥—٢٣١٧) ثم سينموبليت (٢٣١٧—٢٢٨٧) وفي ذاك الزمان اي نحو سنة ٢٢٩٥ اخضع كوتورناحونتا ملك عيلام كلّ بلاد الكلدان لسطوتهِ.

انَ بلاد عيلام كانت بازآء بلاد الكلدان على الجانب الشرقي من دجلة. وكانت تمتدُّ الى بـلاد مادي. وقاعدة عيلام مدينة شوشان المشهورة امَّا اداب العيلاميّين وصنائعهم فكانت تحاكي آداب الكلدان وصنائعهم. فاغار كوتورناحونتا على كلدو واستولى عليهـا. وخضعت لهُ بابل ايضاً. ونهب تماثيل الآلهة منها تمثال

---

(١) التكوين: يا (٢) جميل مدوَّر ص: ١٢—١٣ راجع ايضاً ص: ٥ من هذا الكتاب (٣) جميل مدوَّر ص: ١٤ (٤) طالع ص: ٢١ من هذا التاريخ (٥) سميث: مراسلات جمعية الآثار الكتابيَّة: ج ٣٦٥—٣٦٦

(٦) ان تاريخ جلوس ووفاة هؤلاء الملوك ليس بعد محققاً ثابتاً

الإلهة نانا شفيعة مدينة اوروك ووضعها في احد هياكل شوشان (١)

وتخلف بعد كوتورناحونتا في شوشان (٢) سيمتيشلخاك ثم كرد لاعمار . فالاوّل منهما ولّى ابنهُ كوتورمابوغ على يموتبال في عيلام. واشتهر كثيرا كوتورمابوغ وقيل عنهُ في الآثار انهُ ذهب بفتوحاته الى بلاد سوريا واستولى عليها. ومما يثبت هذا الامر ما اتى في سفر التكوين عن اغارة كرد لا عمار ملك عيلام على بلاد كنعان او سوريا فلا بدَّ من ان كوتورمابوغ باسم سلطانه كرد لا عمار افتتح تلك البلاد. وهاك ما ذكرت التوراة عن هذه الغزوة. (٣) انَّ كرد لا عمار ملك عيلام والملوك اتباعه اي آمرفيل (٤) ملك سنعار وآريوخ ملك ألاسار (٥) وترعيل ملك الكوتيين (٦) اغـاروا على سوريا وانتصروا على بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك ادمة وشِمايبر ملك صبوايم وعلى ملك بارع. وأدى لهُ الجزية هولآء الملوك مدّة اثنتي عشرة سنة. وفي السنة الثالثة عشرة عصوا عليه. فحمل عليهم كرد لا عمار في السنة الرابعة عشرة ونهب مدنهم

قد سبق القول ان سِمتشلخاك ولّى ابنهُ كوتورمابوغ على يموتبال. وكان في تلك الاثناء سيندتام مالكاً على مدينة اور. فخلع هذا الملك طاعة العيلاميين. فحمل عليهِ كوتورمابوغ وانزله عن الكرسيّ وملّك مكانهُ ريعسين ابنه. ولمّا مات كوتورمابوغ جلس مكانه ابنهُ ريعسين المذكور وتزوَّج بامرأة كلدانية وصار ملكهُ يشتمل على يموتبال وعلى كل بلاد كلدو الجنوبيَّة. وعمَّر كلّ المدن والهياكل التي كانت قد خربت. واحسن كثيرًا الى الكهنة واجتذبهم اليهِ ولكن كان الوقت قد حان لأَن يخلع الكلدان عنهم نير العيلاميين

انَّ سينموبليت ملـك بابل كان قد توفي نحو سنة ٢٢٨٧ وجلس مكانه ابنه

---

(١) ماسپيرو: ܬ ٣٧ (٢) كذا: ٣٨-٣٩

(٣) تكوين: ܝܕ (٤) لقد ذهب بعض العلماء ان امرفيل هو حمورابي ملك بابل نفسه (٥) ألاسار هي لارسام. ان هذا الاسم في الترجمة الكلدانية ܟܪܡܠܫ مكتوب دَالاسر والظاهر ان الكلدان النصارى كانوا يظنّون ان هذه المدينـة كانت في بيت كَارماي في اطراف كركوك (قصة حزقيال الراهب. وسيرة الشهداء والقديسين طبعة بيجان: ܬ ص ٣) (٦) بين نهر رادان ونهر ديالة

حمورابي (١) وكان ذا حزم وباس. واراد الاستيلاء على كلدو الجنوبيَّة التي كانت بيد العيلاميين. فانتشب القتال بينهُ وبين ريمسين العيلاميّ. وانتصر عليهِ وكسرهُ وهزمه اقبح هزيمة وتتبع حمورابي العدوّ وافتتح جميع الحصون التي تحصن فيها وخرَّبها. فاخضع بلاد الكلدان باسرها لحكمه وضمّ الى مملكتهِ بلدة اشنوناخ وغيرها مما يلي الجانب الايمن من دجلة وبنى على طول النهر عدَّة حصون منيعة. واشتهر ايضاً بغزوات أخرى كثيرة ذهبت عنا تفاصيلها. فاصبحت مملكته واسعة جدًّا. فكانت تشتمل على بلاد الكلدان كلها وعلى اثور وقسم من بلاد عيلام وما بين النهرين وبلاد سوريا فبلغت المملكة بايامه اعظم مبلغ من الثروة والترفه وتناهى حالها في المعارف والفنون

وبعد ان استوثق لهُ الامر تماماً صرف عنايته في صالح الجمهور فجمع كلّ الشرائع التي سنّها الملوك سلفاؤُه وزاد عليها اشيآء اخرى كثيرة وضمّنها كلها في كتاب معروف بقانون حمورابي وقد وصل الينا هذا الكتاب النفيس وقد مرّ ذكرهُ (٢) وكان مغرماً ايضاً ببناء الهياكل فان زقرتا مدينة كيش كانت مائلة الى السقوط فهدمها وبناها من جديد وعلّاها كثيراً حتى قيل عنها انَّ راسها يصل الى السماء كذلك بنى هيكلًا جليلًا في بابل اكراماً لمردوخ الاله ورفيقته زربانيت وخلاصة الكلام انهُ لم يترك مدينة من مدن مملكتهِ الاَّ وخلف فيها شيئاً من آثاره. واصلح ايضاً القنوات التي بين الدجلة والفرات وحفر قنوات جديدة منها القناة المسمَّاة بنهر حمورابي. وقد توفّق اهل البحث الى وجدان آجرّة من جدران هذه القناة قد نقش فيها ما نصهُ: « انا حمورابي القدير ملك البابليين الضابط لأزمَّة الاقطار الاربعة القاهر اعداء مرودخ ... قد حفرت نهر حمورابي الذي هو سعادة البابليين وبلغت بهِ ارض شومير واكاد وامرعت بهِ الفلوات اليابسة وكل بقعة لا ماء بها افضتُ عليها معيناً عذباً واجريت لشومير واكاد مناهل لا تنقطع فجعلت لهم في المدن والقرى قراراً خصيباً وانشأت لهم من القفر الغامر مروجاً رائعة وخمائل يانعة. وناديتهم: اقيموا في الرغد والخصب فهذه ارضكم ارض ريع وهناء. انا حمورابي الملك الهمام خليل الالهة العظيمة. وبالقوَّة الجسيمة التي منحني اياها مرودخ

---

(١) ماسبيرو: ت ٣٩—٤٤ (٢) طالع ص ١٨ من هذا الكتاب

قد بنيت عند منفجر نهر حمورابي على تلّ قصراً عاليا شامخ الرأس نظـير الجبال . وسمّيت هذا القصر (ܕܘܪ ܣܝܢܡܘܒܠܝܛ ܐܒܐ ܐܠܕܢܝ) دار سينموبليت الاب الذي ولدني . وذلك حتى اخلّد اسم سينموبليت ابي » (١)

انّ حمورابي هذا دبّر الملك بكل نجاح ومجد مدّة خمس وخمسين سنة . وكانت وفاته نحو سنة ٢٢٣٢

وجلس بعدهُ (٢) على عرش المملكة شمشو إيلونا من سنة ٢٢٣٢ الى سنة ٢١٩٧ . ولمّا بلغ ريمسين خبر وفاة حمورابي اغار على كلدو ليستولي عليها . لكن شمشو إيلونا حمل عليـهِ واثخن في جيوشه الجراح وقتلهُ . ثم ملك أبيشو (٢١٩٧—٢١٧٢) ثم أميديتانا (٢١٧٢—٢١٤٧) ثم أميزدُوكّا (٢١٤٧—٢١١٣) ثم شمشوديتانا (٢١١٣—٢٠٨٢) . واقتدى جميع هوءلاء الملوك بحمورابي بتشييد الهياكل وترميمها وحفر القنوات وتنظيفها كما تدلّ على ذلك آثارهم . ولم يزل ملكهم ممتدا الى بلاد سوريا . والباتن انهم تقوّوا فيها كثيرًا حتى انهم بغوا الاستيـلاء على مصر ايضاً . فان مانيثون المؤرّخ المصري يقول في جملة كلام لهُ ما نصه (٣) « وتخوّف نوبتي ملك مصر من بأس يفاجئهُ من نواحي الفرات فيهجم على بلاده . فجدّ في التحصين واتخذ لنفسه الاهبة وشحن الحصون بالرجال . » ولعـلّ العيلاميين اشغلوا الكلدان عن الاغارة على مصر اذ ان القتال كان دائماً ينتشب بين عيلام وكلدو

الفصل الثاني

الدولة الجنوبية (٢٠٩٩—١٧١٤)

انهُ بموت شمشوديتانا انقرضت سلالة حمورابي الشهير . فقامت عائلة اصلها من بلاد كلدو الواقعة عندمصبّ الفرات واستظهرت على سرير الملك (٤) . وقام منها اثنا

---

(١) مينان لغة اشور ص : ٣٠٦—٣١٣ وماسپيرو : ف ٤٣ وجبيل مدوَّر : ٧٥

(٢) ماسپيرو : ف ٤٤-٤٧

(٣) موللر : ف ٥٦٦ جبيل مدوَّر ص : ٧٣

(٤) راجع پينشيس : معلومات عن جدول جديد لملوك بابل : پروشيدينك : ١٨٨٠-١٨٨١ ص ٢٢-٤٢

عشر ماكا الاوّل ايلماو (٢٠٩٩—٢٠٨٢) . والثاني أغان (٢٠٨٢—٢٠٢٢) . والثالث كيانيبي او ايث ايل نيبي (٢٠٢٢—١٩٦٧) . والرابع دَمْكِلشو (١٩٦٧—١٩٣١) . والخامس ايشكيبيل (١٩٣١—١٩١٦) . والسادس شوشي (١٩١٦—١٨٨٩) . والسابع گولكيشار (١٨٨٩—١٨٣٤) . والثامن گور گلَلما (١٨٣٤—١٧٨٠) . والتاسع آدَر كلا (١٧٨٠—١٧٥٦) . والعاشر أكورلنّا (١٧٥٦—١٧٣٠) . والحادي عشر ملامكور كورا او مَلَمّاتاني (١٧٣٠—١٧٢٣) . والثاني عشر عكميل (١٧٢٣—١٧١٤) . ولم يصل الينا شيء يستحقّ الذكر من اخبار هذه الدولة . والامر المعلوم ان ملكهم كان يشمل بلاد اثور وبلاد سوريا ايضاً . وانهُ في ايام الملكَين الاخيرَين حدثت قلاقل شديدة في كلدو ومن اجلها قدرت قبيلة الكوسيين ان تستولي عليها وحلس رئيسها كانديش في بابل وكان ذلك نحو سنة ١٧١٤ ق م

الفصل الثالث

الدولة الكوسية (نحو ١٧١٤—١١٥٠)

ملوك الدولة الكوسية وغفلتهم — استقلال الاثوريين — انتصار المصريين على الكلدان في سوريا — معاطاة الكلدان والاثوريين مع المصريين كما اتى في آثار تلّ العمارنة — تداخل ملوك اثور في امور الكلدان — انتصار كوريكلزو الثاني على العيلاميين — انتصار الاثوريين على الكلدان — فتح تغلاتنينيب ملك اثور مدينة بابل قهر اداد شوماناصر العيلاميين والاثوريين — انقراض الدولة الكوسيَّة

انَّ الكوسيين او الكَشِّيين(١) اصلهم من جبال زكْرا في حدود مادي . وكانوا مستقلِّين لانَّ موقعهم كان حصيناً منيعاً . وكان منهم على حالة من التوحش ومنهم قد تمدَّنوا بتمدن الكلدان . ولم يكن شأنهم سوى النهب والغارات . والباتّ انهم في نهاية الجيل الثامن عشر بسبب القلاقل والفتن التي صارت في بابل انقضّوا على كلدو واستولوا على قسم منها واسّسوا فيها مملكة سُمّيت كردونياش ثمَّ استولوا على بابل وعلى بلاد الكلدان باسرها واختلطوا أوّلا فاوّلاً مع الاهالي وتخلّقوا باخلاقهم

(١) راجع ماسپيرو : ص ١١٣-١٢٠

واوّل ملك كوسيّ فتح بابل كان كنديش وملك من سنة ١٧١٤ الى سنة ١٧٠٧ .وجلس بعده ابنه أكومرا بي(١) الى سنة ١٦٨٥ .ثم أكوياشي الى ١٦٦٣ ثم أشي الى نحو ١٦٥٥ . ووصل الينا ايضاً اسماء آدوميتاش وتشيكورماش وأكومكاكريا . وكان هذا يُلقِّب نفسهُ بملك الكوسيين واكاد وبابل الواسعة وپادان وألمان والكوتيين

انّ الملوك الكوسيين حكموا مدّة اجيال كثيرة في كلدو ولكن لم يقم فيما بينهم ملك ذو حزم وباس يكتسب شهرة بافتتاحه البلاد مثل شركينا ونارمسين وحمورابي لا بل انّ تغافلهم عن مهمات المملكة وانهماكهم في الملذات والفتن والقلاقل التي صارت في ايامهم جعلت المملكة ان تنحط يوماً فيوماً فانتهز الاثوريون الفرصة واستقلوا وكذلك تمكن المصريون بكلّ سهولة ان يستولوا على بلاد سوريا ويخضعوها لحكمهم . وكان ذلك في القرن السابع عشر ق م فانّ تطمس الاول ملك مصر اغار عليها وافتتحها ووصل الى قرقميش وانتصر على الجيوش الكلدانية التي هناك ثم بعد وفاتهِ خلعت سوريا طاعته فحمل عليها تطمس الثالث وأخضعها ومن المحتمل انهُ وصل الى باليخ والى الخابور ايضاً فان ملك سنجار احد اتباع ملك اثور ارسل اليهِ هدايا نفيسة

انّ بعض المؤرخين زعموا انّ الفراعنة استولوا على بابل واثور ايضاً وانّ تطمس الثالث اغار على كلدو وحاصر بابل وفتحها لا بل انّ رعمسيس الثاني المعروف بساسستريس استظهر على ما بين النهرين واثور ومادي وفارس وبجتريانا والهند امّا العلماء فانهم ينكرون كلّ هذه الفتوحات (٢) فانّ المصريين لم يفتحوا ابدا كلدو واثور فضلًا عن مادي وغيرها بل انما اخضعوا بلاد سوريا التي كانت قسما من مملكة الكلدان واهتمّ ملوك بابل واثور بمحالفة الفراعنة وذلك بواسطة الهدايا التي ارسلوها اليهم وممّا يدلّ على ذلك الآثار المكشوفة (٣) سنة ١٨٨٨ في تلّ العمارنة في الصعيد وقد كُتبت قبل موسى النبي وهي سجلات الدولة الثامنة عشرة التي ملكت في مصر منذ القرن السابع عشر الى القرن الخامس عشر ومن ملوكها كان تطمس

---

(١) عن الملوك الكوسيين راجع پينشيس: ١٨٨٣–١٨٨٤ : ٥ : ١٩٥

(٢) ماسپيرو: ص ٢٦٢ و٥٩٢–٥٩٤ (٣) راجع المشرق: ص ٧٨٦

الاوَّل وتطمس الثالث. ومضمون آثار تل العمارنة مكاتبات مقسومة الى قسمين الاوَّل يشتمل على الرسائل التي بعث بها الى فراعنة مصر ملوك بابل وآثور وهم يكاتبونهم كما يكتب القرين الى قرينهِ والقسم الثاني يتضمَّن رسالات ارسلها الى فراعنة مصر ولاة وامراء عديدون من سوريا وفيها تذلُّل وتواضع كما يكتب العبيد الى ساداتهم من ذلك قولهم: عبدك فلان او فلان كلب الملك

ومنذ تسلُّط المصريّين على سوريا بدأت مملكة بابل في انحطاط ونزول (١) ومن ملوك الدولة الكوسيَّة كريندداش وما نعرف عنهُ شيئاً سوى انَّهُ رمّم هيكل سين في اوروك وعقد عهداً مع اسوربيلنشيشو ملك اثور. وقام بعدهُ بورنابورياش الاوَّل وجدَّد هو ايضاً العهد مع الاثوريّين وجدَّد هيكل شمشا في لارسام. ثم خلفه كوريكلزو الاول وعمَّر هيكل سين في اور وبنى قلعةً عند نهرملكا عُرفت باسمهِ اي دور كوريكلزو (٢) ثم ملك بورنابورياش الثاني. وكان الملك على اثور اسوربليت (نحو ١٤١٨—١٣٧٠) واعطى هذا الملك ابنته الى كاخرداش ابن بورنابورياش وهذا ممَّا جعل ملوك اثور ان يتداخلوا في امور بابل فانَّهُ بعد موت كاخرداش حدث فتنة في بابل قُتل فيها ابنهُ قدشمانحربا الذي جلس مكان ابيه وضبط تخت المملكة رجل اسمهُ نازيبوغاش فلمَّا بلغ ذلك الى مسامع اسوربليت ملك اثور اغار على كلدو وانتصر على نازيبوغاش وقتله وردَّ التاج الى ابن اخته الاصغر كوريكلزو الثاني وتقوَّى هذا الملك واشتهر. فانَّهُ اخضع سِپارا وبلاد كلدو الجنوبيَّة وقسماً من اهالي بابل الذين رفعوا عليهِ لوآء العصيان. وفي اثناء هذه الحرب انتهز خورباتيلا ملك عيلام الفرصة وهجم على بلاد الكلدان ليغتصب قسماً منها فحمل عليهِ كوريكلزو وانتصر عليهِ عند دوردونكي واستاسره ولم يطلقهُ الَّا بعد ان اخذ منهُ بلدة في الجانب الايمن من دجلة. وذهب حتى مدينة شوشان وافتتحها ونهبها واخذ كلَّ التماثيل التي كان كوتورناحونتا قد اغتصبها من الكلدان قبل الف سنة. وعاد الى بابل غانماً منصورًا

لكنَّ اداد نيراري الاول ملك اثور (نحو ١٣٢٠—١٢٩٠) حسد كوريكلزو

---

(١) ماسپيرو: ت ٥٩٤-٥٩٧

(٢) قيل ان موقعها كان في عقرقوف

الثاني على اقباله هذا . فحمل عليهِ وكسره واستولى على بلاد ما بين النهرين الممتدة من خابور الى حدود بابل واراد نازِمرتّاش بن كوريكلزو ان ياخذ الثار من الاثوريّين لكنهُ انكسر مرّتين واضطرّ ان يسلّم للاثوريّين كلّ ما كان في حكمه من البلاد من بيلاسكي في الجانب الأيمن من دجلة الى بلدة لولوما في جبل زكرا . وقام بعد نازِمرتّاش قدشمَنتوركو (١) ثم قدشمَنتورياش وايساميتا وشكركتيورياش وكانت مدّتهم قصيرة ثم قام بالملك بيبياشو (٢) وكان معاصراً لتغلت نينيب الاول ملك اثور (نحو ١٢٦٠—١٢٤٠) وانتشبت نار الحرب بينهما وتمادت طويلا ثم تصالحا ومات بيبياشو وقام بعده ابنه بيلنادِنشيا . وبايامه اغار على بلاده كدِنختروتاش ملك عيلام وحاصر مدينة نيبور وافتتحها ووقع بيلنادِنشيا قتيلا ولم يكن ملكهُ سوى ثمانية عشر شهراً فانتهز الفرصة تغلت نينيب وخرج بجيشه على كلدو وكسر قدشمانحربا الثاني ابن بيلنادنشيا وافتتح بابل وقتل قسماً من سكّانها ونهب القصر الملكي والهياكل واخذ تمثال مرودخ والشعائر الملكيّة واتخذ لقب ملك اكاد وشومير كما سترى في قصته وولّى رجاله على المدن المفتوحة ورجع الى عاصمتهِ مستأسرًا كثيرين من افراد العائلة الملوكيّة

غير ان بابل لم تثبت للاثوريّين زمناً طويلاً فان مدن كلدو الجنوبيّة كانت قد بقيت مستقلّة خاضعة لقدشمانحربا الثاني ولمّا مات ملك مكانهُ اداد شوما ناصر او اداد شومزور وكان ذا حزم متبصِّرا في الامور . ولمّا رأى كدنختروتاش ملك عيلام ضعف الكلدان اقتدى بالاثوريّين واراد ان يأخذ هو ايضا حصته . فحمل السلاح على كلدو الجنوبيّة . فقاتله اداد شوماناصر بقرب نيشين وكسره وطرد العيلاميّين من جميع الامكنة التي كانوا قد ضبطوها . وتشجّع الكلدان بهذه النصرة وقام امراء اكاد وكردونياش (٣) على الاثوريّين وطردوهم كذلك من جميع المدن التي قد استولوا عليها . فعادت بابل الى حرّيتها واستقلّت من اثور بعد ان بقيت في حوزتها

---

(١) ماسپرو : ت ٦٠٩—٦١٢

(٢) وقُرِئَ اسمهُ : كَشتِيلياش او بيثيلياش ايضاً (مجلة الكتاب المقدس : ص ٥٥)

(٣) ان الاثوريين كانوا يطلقون اسم كردونياش على بابل واطرافها (راجع ص ٣٢ من هذا الكتاب)

سبع سنين لكنَّ الاثوريّين استمرّوا مبطنين السوء على البابليّين وخرج عليهم ملكهم بيلكدناصر فقاتله اداد شوماناصر شديداً ووقعا كلاهما قتيلَين. وكانت الدائرة على الاثوريّين فرجعوا خائبين

فقام ميلشحو بعد اداد شوماناصر وعقد الصلح مع الاثوريّين وحكم خمس عشرة سنة. وملك بعده مرودخ بلدان (١) الاول ثلاث عشرة سنة. وبايام خليفته زمامشومدان حمل اسوردان ملك اثور (١١٨٢—١١٤٥) على كلدو واستولى على مدن كثيرة ومماً سهل فتوحاته اضطرام الفتنة في بابل وانقراض الدولة الكوسيَّة فيها نحو سنة ١١٤٠. وكان اخر ملوكها بيلنادنشوما الثاني. وعقبها دولة پاشيَّة بابليَّة

انَّ الدولة الكوسيَّة دامت خمسمائة وسبعين سنة وستة اشهر وقام بها ستة وثلاثون ملكاً ورأت ايام سعد واقبال واوشكت ان تفتح اسيا كلها غير ان الزمان خانها او بالحري عدم تدبير ملوكها ورخاوتهم أمسكتهم عن ذلك. نعم انها انتصرت على عيلام ولكنها ابقتها واقفة على ساقها تتهدّدها واستولت ايضاً على اثور ولكن هذه ايضاً تقوّت وسدَّت قدّامها طريق سوريا

الفصل الرابع

الدولة الپاشيَّة البابلية (نحو ١١٥٠—١٠٧٨)

نبوكد ناصر الاوَّل— قهره العيلاميين— انتصاره على الاثوريين ثم انكساره— افتتاح الاثوريين مدينة بابل— انتصار مرودخنادنخا على الاثوريين — المحالفة بين اثور وكلدو

تُنسب الدولة الپاشية الى قرية يقال لها پاشي واصلها من بابل (٢) ومن اشهر ملوكها نبوكد ناصر الاوَّل. وكان العيلاميون قد ضبطوا من الكلدان بلاد نامار(٣) وعبروا دجلة ونهبوا بابل واخذوا تمثال بيل. ولمَّا سم الناماريون من سلطة العيلاميين

(١) ان علماء اوروبا يكتبون مردوخ بَلْيدَينا. فكتبنا نحن مرودخ بلدان كما جاء في الكتاب المقدس (٢ ملوك : ٢٠ ١٢) . ومثلهُ كتبنا الشطر الاخير من هذا الاسم في جميع الاسماء المركبة منهُ

(٢) ماسپيرو: ف ٦١٢-٦١٧ و٦٦٣-٦٧٠

(٣) نامار او نمري كانت في حدود عيلام

هجر كثيرون منهم الوطن والتجأُوا الى نبوكدناصر. والباقون ارسلوا اليهِ رسلًا يستعينون بهِ على عيلام. فحمل نبوكدناصر على نامار في شهر تموز. فتأذَّى الكلدان كثيرًا لشدَّة الحرّ وقلَّة المياه لكنَّهم استولوا على نامار كلها وانضم اليهم رتيمَرذوخ ملك بيت كارزبكو وتوجَّهوا نحو شوشان. وكان ملك عيلام ينتظرهم على ساحل نهر اولاي امام شوشان وقد جمع اليهِ كل حلفائه وانتشب القتال بين الفريقين وكان شديدًا وللحال اظلمت السماء وحدثت عاصفة قوية وكاد نبوكدناصر يقع بيد الاعداء فخلَّصهُ رَتيمَردوخ وانتصر الكلدان على العيلاميين. واضطر هؤلاء ان يسلّموا لهم بلاد نامار ويرجّعوا اليهم تمثال بيل. فرجع نبوكدناصر غانمًا مظفَّرًا واجزل العطايا على كل من تبعهُ في هذه الحرب. واخضع ايضاً هذا الملك الجليل بلاد لولوما والكوسيين وولَّى رجاله على نامار وحلوان وجبال زكرا

وكان حينئذٍ على اثور اسورريشيشي (نحو ١١٣٥—١١١٥) وكان ذا حزم وبأس وافتتح بلادًا كثيرة واغار على لولوما وسحق سكانها ووصل الى حدود عيلام. فخاف نبوكدناصر على البلاد الخاضعة لهُ وتأهب للمحاربة. فحمل على الاثوريين وهزمهم وشدّ الحصار على قلعة لهم ولم يفتتحها لدخول فصل الشتاء. ولكنَّهُ احرق آلات الحصار. وفي نهاية الشتاء ظهر تحت اسوار مدينة اثور فحمل عليه اسور ريشيشي وكسرهُ وضبط منهُ اربعين عربة حربية وما بقي من اخبار نبوكدناصر لم تصل الينا وكانت وفاته نحو سنة ١١٢٤

وكذلك لم يصل الينا اسم خلفه ونعرف اسمَي بيلنادِنبال ومرودخناديِنحا. وفي زمان هذا الاخير اي نحو سنة ١١٠٥ اغار الاثوريون على كلدو برئاسة تغلاتپلاسر الاوَّل الشهير. وانتشب القتال بين الفريقين في وادي الزاب الاصغر في ارزوخينا ولم تظهر النصرة لاحدهما. وفي السنة التابعة سار تغلاتپلاسر على البابليين وانتصر عليهم وافتتح دور كوريگلزو وسِبّارا واوپي وبابل. واتخذ لقب ملك بابل. وصارت كلدو واثور مملكة واحدة ولكن ذلك لم يدم سوى سنتين. فان مرودخناديِنحا قام على الاثوريين وطردهم من بلاده واغار ايضاً على اثور واستولى على مدينة هيكلا واخذ تماثيل آلهتها وذهب بها الى بابل حيث بقيت محبوسة في هيكل بيل اربعمائة وثماني عشرة سنة

ومن بعد وفاة مرودخناديتحا جلس ابنهُ مرودخشاپكزيرات . وقام عليهِ الشعب وخلعهُ وبايع مكانهُ رجلًا يقال لهُ ادادبلدان . وتحالف هــذا الملك مع الاثوريين وزوَّج ابنته بملكهم اسوربيلقالا ابن تغلاتپلاسر . وتخلَّف بعدهُ مرودخبيــل ثمَّ مرودخزير ثم نبوشوم وضعفت المملكة بايامهم . وفي ذاك الزمان عينهِ اخذت مملكة اثور بالانحطاط والذي خلَّصها من البوار تغافل ملوك بابل والفتن التي جرت بايامهم وآلت هذه الفتن الى انقراض الدولة الپاشيَّة البابليَّة وقد دامت نحو ٧٢ سنة وستة اشهر (١) وقام بها احد عشر ملكاً . وكان انقراضها نحو سنة ١٠٧٨ ق م

الفصل الخامس

الدولة الساحلية والبازية والعيلامية (٢) (١٠٧٨—١٠٣٠)

بعد الدولة الپاشيَّة البابليَّة قامت دولة اخرى في بابل اصلها من كلدو الجنوبية على ساحل البحر . وبايامها اشتدَّت القلاقل والفتن . واول ملك قام بها كان سيمَشِيخو واهتمَّ باصلاح الامور وجدَّد زقرتا الاله شمشا في سپَّارا . ثم باد قتيلًا وقد ملك ثماني عشرة سنة . وتخلَّف بعدهُ ابنهُ حموكينشوما ولم يملك سوى بضعــة اشهر . ثم ملك كشّونادينخا ثلاث او ستّ سنين . ثم تسلَّطت بعدهُ على تخت المملكة عائلة يقال لها بازي وقام منها ثلاثة ملوك ومدتهم عشرون سنة . ثم استظهر على العرش الملكي رجل عيلامي وحكم سبع سنين وتوفي نحو سنة ١٠٣٠ وقيل انهُ قُتل

الفصل السادس

الدولة البابلية (١٠٣٠—٧٢٩)

غارات الاثوريين على كلدو — الفتن في بابل — التجــاء مرودخشمدان الى

---

(١) كذا اتى في قائمة ملوك بابل . وان كثيرين من علماء عصرنا يقولون ان العــدد ٧٢ غلط والصحيح ١٣٢ . وفي قولهم نظر : ان الدولة الپاشية البابلية بدأَت على زعمهم نحو سنة ١١٥٠ (ماسپيرو : ج ٢ ٦١٢ حاشية ٣) . فاذا ملكت ١٣٢ سنة مثلًا يقولون تكون بداية الدولة الساحلية والبازيَّة والعيلامية في سنة ١٠١٨ مع ان هولاء العلماء انفسهم يقولون ان نهــاية الدولة العيلاميَّة كان في سنة ١٠٣٠ (ماسپيرو : ج ٥) ٢) ماسپيرو : ج ٤-٥

شلمناسر ملك اثور — فتوحات شلمناسر في كلدو — عصيان مرودخ بلاتسكبا على اثور — قهر الاثوريين للكلدان — اسر ملك بابل — نبوناصر ملك بابل وتغلاتپلاسر الثالث ملك نينوى — الفتن في بابل وجلوس اوكيتزير على تخت المملكة — غزوات تغلاتپلاسر وصيرورته ملكا على بابل

من بعد الملك العيلامي قام رجل بابلي من عائلة شريفة واستظهر على تخت المملكة . ويُظنّ ان اسمهُ نبوكينبال . ولم تصل الينا اسماء اكثر خلفائه . وهم لم يشتهروا بشيء يستحق الذكر . وبدأت المملكة ان تنحط يوماً فيوما في زمانهم . فساءت الاحوال وصارت العشائر الارامية تغزو وتنهب القرى وما من احد يقاومها . وكانت اثور ايضاً قد انحطَّت في تلك المدة غير ان ملوكها كانوا مهتمين باصلاح الامور الداخلية والخارجية معاً . ومنهم الملك ادادنيراري الثاني (نحو ٩٠٠—٨٩٠) الذي صار له وقائع مع شمشامودمّيق ملك بابل وفيها انتصر عليهِ بقرب جبل يلمان (١) . وقام بعد شمشا مودمّيق ابنه نبوشمشيكين وهو ايضاً قهره الاثوريون وضبطوا منه مدينتي بامبالا وبغدادا واستاقوهُ اسيرًا الى اثور وادخلوا ايضا في مملكتهم اغاب البلاد التي في الجانب الايسر من الزاب الاصغر بين دجلة وجبال زكرا . ثم عقِد الصلح بين الفريقين ودام نحو خمسين سنة

وفي تلك المدّة اتّسعت مملكة اثور كثيرًا وراقت احوالها وذلك بايام اسورناصربال الثالث (٨٨٥—٨٦٠) وابنه شلمناسر الثالث (٨٦٠—٨٢٥) كما سيأتيك في اوانه . واماَّ مملكة بابل فكانت بالنزول من اجل الفتن التي كانت تجري فيها وكان ملكها نبوبَلدان صديقاً مع شلمناسر . وفي سنة ٨٥٢ قام عليهِ الشعب وخلعوهُ ونصبوا مكانه ابنه مرُودخشِدَّان او مرودخادِنشيا . ثم نشأ النزاع بينهُ وبين اخيهِ مرودخ بيلسات . وطلب مرودخشمدان النجدة من شلمناسر . فاجاب ملك اثور الى سؤاله بفرح . ودامت الحرب سنتين وكان ميدانها اولًا في السهول التي في الجانب الايسر من دجلة . ثم حمل شلمناسر على قلعة

(١) في اطراف حلوان . وكانت هذه المدينة آخر حدّ العراق من جهة الجبال وبينها وبين بغداد خمس مراحل

ماي تورنات(١) وهي في المحلّ المدعو الان باعقوبا وافتتحها. ثم صعد نحو كُنانَاتي (٢) وهناك انتشب القتال بينهُ وبين مرودخ بيلسات. فانكسر جيوش مرودخ بيلسات وانهزموا وتحصَّنوا في كُناناتي. وشدّ شلمناسر عليها الحصار ثم تركها لدخول الشتاء ورجع الى مملكته. ولمَّا كان الربيع ظهر ثانيةً تحت اسوارها وكان مرودخ بيلسات قد التجأ الى جبل يسوبي وتحصَّن في مدينة حلمان (٣). فافتتح الاثوريون مدينة كُناناتي ونكَّلوا بها. ثم هجموا على حلمان وفتحوها والظاهر ان مرودخ بيلسات باد قتيلًا في هذه المحاربة. ثم توجه شلمناسر بعد انتصاره هذا الى بابل ودخلها غانمًا منصورًا وعيَّد فيها عيدًا عظيماً للآلهة ودخل زقورتا بيل وقدَّم لهُ الذبائح وعمل غداء دعا اليهِ جميع سكان المدينة وقسَّم عليهم ثياباً فاخرة. ففرحوا بهِ واحبوهُ لكن القبائل الارامية الكلدانية التي على ساحل البحر كانت ترفض طاعة مرودخنادِنشيا وتغزو البلاد المجاورة. واشهر هذه القبائل بيت دَكُوري وبيت آديني وبيت اموقاني وبيت شيلاني وبيت شلّي وبيت ياقين فنزل شلمناسر لجهة البحر وحمل أوَّلًا على قبيلة بيت دكوري وحاصر مدينة بقاني وافتتحها واحرقها. ثم هجم على بيت اديني ونهب مدنهم فخافت منهُ القبائل الاخرى وقدَّمت لهُ الطاعة وكانت كلّها غنيَّة فاتتهُ بمقدار من الذهب والفضة والنحاس والحديد والعاج وجلد الفيل

وبقي مرودخنادنشيا امينا مع شلمناسر ولكن خليفته مرودخ بلاتسُكبا رفع لواء العصيان. وكان شمشيداد الرابع قد تخلّف بعد ابيهِ شلمناسر. فلمَّا كانت سنة ٨١٨ (٤) اغار على كلدو وحاصر مدينة ماي ترنات وافتتحها وسبى سكانها الى اثور. ثم افتتح ايضاً مدينتي كارنا وديبينا بقرب جبل يلمان وسحق الجيوش البابلية التي في كُناناتي. وكان ملك دورپاپسكال حليف البابليين قد وضع عساكره عند معابر دجلة ليمنع الاثوريين من العبور والدخول الى مدينته. فحمل عليهِ شمشيداد واثخن في جيشه وقتل منهُ ثلاثة عشر الف نفس واسر ثلاثة آلاف

(١) ܡܝ̈ ܬܘܪܢܬ اي مياه تورنات وهو نهر ديالة

(٢) ܓܢ̈ܬܐ اي بساتين ويُظنّ انها كانت في موقع خانقين (٣) وهي حلوان

(٤) آثار شمشيرمان وماسپيرو: ܦ ٩٧-٩٨

وفتح المدينة واحرقها . وكان ملك بابل قد جمع كل عساكره واتى لمساعدته العيلاميون والنامارئيون ايضاً . فانتصر عليهِ الاثوريون وقتلوا من جيشهِ سبعة آلاف وضبطوا منهُ مائتي عربة ومهمات حربية كثيرة . ثم افتتحوا بابل وكوتا وبارسيپا واخضعوا البلاد الجنوبية ايضاً . فاضطرَّ مرودخ بلادَسكبا ان يُسالم ملك اثور مقراً بسيطرته عليهِ

ولكن هـذا الصلح لم يدم سوى ستّ سنين فان باوخدان خليفــة مرودخ بلادَسكبا خلع طاعة شمشيداد . فتجدّدت المحاربة في سنة ٨١٣ ومات شمشيداد قبل انتهائها . فقام ابنهُ اداد نيراري الثالث وقاتل الكلدان حتى انتصر عليهم واسر باوخدان الملك واستاقهُ الى اثور مع جميع افراد عائلته وحاشيتــه ونصب مكانه في بابل رجلاً من ثقاته

ولم تتجاسر بابل من بعد هذه الكسرة ان ترفع رأسها الى نحو خمسين سنة . وبدأت اثور ان تضعف في زمان اسوردان الثالث (٧٧٢—٧٥٤) فاغتنم الفرصة البــابليون واستقلُّوا من حكمهــا . فلمَّا ملك على اثور تغلاتپلاسر الثالث (٧٤٥—٧٢٧) اغار في اول سنــة من ملكه على بلاد كلدو . وكان المالك يومئذٍ على بابل نبونصر (٧٤٧—٧٣٣) (١) وافتتح تغلاتپلاسر دوركوريگلزو وبارسيپا وكوتا وكيشو واوروك وسلَّم لهُ طوعاً نبونصر وكل الممالك الارامية الصغيرة التي في جنوبي كلدو كما سيأتيك في اخبار ملوك اثور

وبعد وفاة نبونصر ثارت فتن اهلية في بابل (٢) قُتِل فيها ابنهُ نبونادينزير او نادينو وبويع مكانه نبوشومكين سنة ٧٣٢ ولم تطــل مدته فان اوكينزير ملك بيت أُمكَّاني تداخل في الامر وهجم على بابل ودخلها وقتل الملك الجديد وجلس مكانه . فلمَّا بلغ الخبر الى تغلاتپلاسر الثالث نادى بجيشه وذهب الى بلاد الكلدان فهجم على بيت شيلاني وافتتح سراباناا عاصمتها ونهبها وقتــل ملكها وسبى خمسا وخمسين الفاً من سكَّانها الى اثور . ثم حمل على بيت شعلا واستأصل دور إيلاتا قاعدتها وسبى ٥٠٤٠٠ من اهاليها واستأسر ملكها ايضاً . وامَّا اوكينزير فتحصَّن في شپيا عاصمة مملكة بيت أُمكَّاني . فحاصرها الاثوريون ولم يقدروا على افتتاحها لحلول الشتاء . فلمَّا كانت سنة ٧٢٩ ظهر ثانية تغلاتپلاسر تحت اسوارها وافتتحها فسلَّم له

(١) ماسپيرو : جـ ٣ ١٦١ (٢) كذا ص ١٩٠—١٩٣

طوعاً كل امراء وملوك كلدو الجنوبية حتى مرودخبلدان ملك بيت ياقين وسيأتي ذكرهُ. ثم مشى على بابل ففتحت لهُ ابوابها. فدخل هيكل بيل واتخذ فيهِ لقب ملك اكاد وشومير وذلك بقبضه على يدَي بيل الاله كما كانت العادة جارية هناك منذ قديم الزمان. وهكذا اصبحت مملكة اثور وكلدو في يدَي ملك واحد عنوانهُ: ملك اثور وملك اكاد وشومير وملك الاقاليم الاربعة

واعلم ان الدولة البابلية هذه دامت ثلاثة قرون . وقام فيها اثنان وعشرون ملكاً

الفصل السابع

في احوال الكلدان تحت حكم ملوك نينوى (٧٢٩—٦٠٨)

سياسة ملوك اثور مع بابل — مرودخبلدان الثاني ملك بابل — انتصار شركينا وسنحاريب عليهِ — خراب بابل — تعميرها على يد اسرحدون — شمشوموكين ملك بابل وعصيانه على اخيهِ اسوربانيبال

انَّ تغلات پلاسر باستيلائهِ على بابل لم يتعرَّض لحريتها كما فعل بسائر الممالك بل تركها وشأنها متمتعة بعوائدها وولاياتها فانَّ بابل كانت مقدَّسة لدى الكلدان ولدى الاثوريّين معاً. فاحبَّ البابليُّون تغلات پلاسر وسمّوه پول اوپور وانمَّا بهذا الاسم عُرِف في قائمة ملوكهم الرسميَّة وكذا ايضاً اتى اسمه في الكتاب المقدَّس(١) واقتدى بهِ خلفاؤه ايضاً فانهم احسنوا النظر الى بابل واتخذوا لقب ملك بابل لكنهم لم يستفيدوا من سياستهم هذه شيئاً. فانَّ القبائل الاراميَّة التي في جنوب كلدو بذلت مجهودها في الاستيلاء على المدينة المقدَّسة. وكانت عيلام تساعدها على ذلك وبابل نفسها كانت ميَّالة الى الفتن. فالتزم ملوك بابل الاثوريّون ان ينزلوا مرارًا بجيوشهم الى كلدو إمَّا ليدافعوا عنها واماَّ لكي يخمدوا فيها نار العصيان

انَّ شلمناسر الخامس تخلَّف بعد ابيه تغلات پلاسر في نينوى وحكم من سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢٢ وفي ايامه لم تتحرك بابل وسمَّاه البابليون ايلولايا اي

(١) ٢ ملوك: ١٥ : ١٩

ايلوليّ نسبة الى شهر ايلول . ولكن بعد موته حمل مرودخ بلدان ملك بيت ياقين على بابل واستظهر على تخت المملكة سنة ٧٢٢ وكان شركينا خليفة شلمناسر مشغولًا حينئذٍ في اخضاع سوريّا . وحالما فرغ من امرها نزل بجيوشه الى كلدو سنة ٧١٠ وهزم مرودخ بلدان ودخل بابل منصورًا وقبض على يدَي بيل واتّخذ هو ايضاً لقب ملك اكاد وشومير وكان ذلك سنة ٧٠٩ . واسمهُ في قائمة ملوك بابل اركون وكل ذلك ستراه مفصلًا في تواريخ مملكة اثور

واما الملك سنحاريب فعمل بالعكس ولم يتخذ هذا اللقب الجديد الذي كان يفتخر به سلفاؤه وذلك امّا احتقارًا لبابل او جهالةً منهُ . وملّك عليها احد اخوته فسخط الكلدان وقاموا على ملكهم الجديد وقتلوه وملّكوا مكانه رجلًا يقال له مرودخ زاكير شوما وكان ذلك سنة ٧٠٤ . ولم يمض عليهِ شهر حتى خرج مرودخبلدان الثاني من مخبإه ودخل بابل وقتله وملك مكانه . فمشى عليه سنحاريب وانتصر عليهِ . فانهزم مرودخبلدان الى عيلام واما سنحاريب فملّك على بابل رجلًا اثوريًا اسمهُ بيلبيني ولكن مرودخبلدان ظهر من جديد واستولى على تخت المملكة فرجع سنحاريب الى كلدو وهزمه ثانيةً ولحق في اثره الى البحر دون ان يتمكن من القبض عليهِ . وملّك على بابل ابنهُ اسورناديشوما سنة ٧٠٠ واما الملك بيلبيني فساقهُ اسيرًا الى اثور

غير ان الكلدان لم يتَّعظوا بهذا كله بل تحالفوا مع عيلام فقبضوا على ملكهم الجديد وارسلوه الى شوشان سنة ٦٩٣ . واجلسوا مكانه رجلًا يقال له نرگلشيزيب وقاتل الاثوريين فانتصروا عليه وساقوه اسيرًا الى نينوى . وقام مكانه في بابل موشزيبمرودخ وصار لهُ ايضاً وقائع مع سنحاريب فيها قهره ملك اثور وفتح بابل وفي الآخر ضجر سنحاريب من البابليّين من اجل ثوراتهم المتواترة وابطن لهم السوء فأمر بدكّ اسوار مدينتهم واحراق قصورها وزقرتاتها وكان ذلك سنة ٦٨٩ . وبقيت بابل خربة الى سنة ٦٨٠ التي فيها جلس اسرحدون على مملكة اثور . وكان ابوه سنحاريب قد وَلّاه عليها بعد خرابها . فامر بتعميرها وتشييد قصورها وهيا كلها وصرف في ذلك خمس سنين ونصب ملكاً على كلدو نعد مرودخ بن مرودخبلدان الثاني لكي يستجلب اليهِ حزب هذا الملك الذي كان قويًا في بابل فيمتنع من العصيان

وقبل وفاته (سنة ٦٦٧) قسم المملكة بين ولديه . فملّك شمشوميكين على بابل واسوربانيبال على نينوى مع السيطرة على بابل . لكن شمشوميكين اراد ان يستقلّ من اخيه وطلب النجدة من عيلام . ولمّا علم بذلك اخوه اسوربانيبال حمل عليه وحاصر بابل وافتتحها فدخل هيكل بيل وقبض على يدي هذا الاله وجعل نفسهُ ملكاً على بابل واتخذ اسم قندلانا . وولّى عليها قائداً من قواده اسمهُ شمشادناني وكان ذلك سنة ٦٤٨ . واماً ما كان من امر شمشو ميكين فانهُ عند دخول جيوش اخيه في بابل احرق قصره وباد بالنار ولم تزل بابل تتوقّع الفرصة لكي تتخلّص من نير الاثوريّين وتستقلّ من حكمهم حتى نجز لها ذلك على يد نبوبلاس سنة ٦٠٨ التي فيها خربت نينوى واقتسم المادّيون والكلدان كلّ البلاد التي كانت في حكمها وسنرى ذلك مفصَّلاً في اخبار مملكة اثور

الكتاب الثالث

في اخبار الاثوريين (٢٠٠٠-٦٠٨)

الباب الاول

في اوائل مملكة اثور (٢٠٠٠—١١١٥)

الفصل الاول

اوائل الاثوريين — اثور — نينيب (نينوس) وشميرام

انّ تفاصيل اخبار الاثوريّين الاولى قد ذهبت عنا . وقد ذكرت التوراة انّ اصلهم من كلدو خرجوا منها الى اثور واستوطنوها وهذا نصّ كلامها (١) « ومن تلك الارض (اي ارض بابل) خرج اثور وابتنى نينوى ورحوبوث المدينة وكالح وراسن بين نينوى وكالح هذه هي المدينة العظيمة . » وممّا يشهد على ذلك جليّاً كون لغة

(١) تكوين : ١٠ : ١١ و ١٢

الاثوريين ولغة الكلدان واحدة وكذلك قل عن ديانتهم وتمدنهم

زعم اكتازياس المؤرخ اليوناني انَّ موَسس المملكة الاثورية كان نينيب او نينوس كما يسميه اليونان وهو الذي بنى مدينة نينوى على ساحل دجلة وجلب اليها ما عدا الاثوريين اقواماً كثيرة غريبة . ولم يزل يزخرفها حتى صارت اعظم وافخر مدينة في العالم واخضع بلاد بابل وارمنية ومادي وسائر البلاد التي بين بحر الهند والبحر المتوسط . وفي الحرب التي جرت لهُ مع بجتريانة صادف شميرام امراة حنون ملك سوريا وقد خرجت مع زوجها الى الحرب وكانت شجيعة وجميلة فكلف بها نينيب واخذها من زوجها وشاركها معه في الملك

وبنت شميرام مدينة بابل ووسَّعتها اكثر من نينوى وسدَّت الفرات وبلَّطت ساحلَيهِ على مسافة ثلاثين كيلو متراً وابتنت عليهِ جسراً عظيما وجعلت هيكل بيل في وسط المدينة . وعصى عليها الماديُّون فاخضعتهم ثم بدات تجول في كل البلاد الخاضعة لها لتنظم احوالها . وبنت اقبطانة في مادي وشميراموكارتا في ارمنية وهي وان وطرسوس في قيليقية واينما ذهبت نقبت الجبال وكسَّرت الصخور فمهَّدت الطرق واغارت حتى على بلاد مصر والحبشة وجعلتها تحت طاعتها ولم تستقرّ نفسها بهذه الفتوحات بل حرَّكتها الى افتتاح بلاد الهند ايضاً ولكن ستَرَبات ملك الهند انتصر عليها فرجعت خائبة الى عاصمة مملكتها

انَّ شميرام كانت تقول : ولو انَّ الطبيعة جعلتني امراة لكنّ اعمالي وضعتني في صفّ اعظم الرجال . اني دبَّرت مملكة نينيب التي تمتدّ غرباً الى نهر هينامان وجنوباً الى بلاد اللبان والمرّ وشمالاً الى بلاد السغدونيّين والساقيّين ولم يكن احد الاثوريين رأى البحر قبلي . اني رأيت اربعة اوقيانوسات لم يكن احد بلغ اليها لبعدها . جبرتُ الانهر ان تجري حيث اردت ولم ارد ان تجري الّا في المواضع المفيدة . سقيت الاراضي اليابسة بمياه انهري فجعلتها مخصبة . شيَّدت حصوناً منيعة ومهَّدت بالحديد طرقاً في جبال وعرة وفتحت لعجلاتي طرقاً لم تكن الوحوش نفسها قد سلكتها ومع هذه الاشغال كلّها صار لي وقت ان التذّ واتنعّم مع احبّائي

وفي نهاية حياتها توَّامر ابنها نينيا على ابادتها فلمَّا عرفت ذلك استعفت من السلطنة واستحالت الى حمامة فتالّهت . وكان يقال عنها انَّ أباها كان من المائتين

واما امّها فكانت إلهة ٠ هذا ما كتبه المؤرخون القدماء غير ان العلماء قد اجمعوا على انَ نينيب وزوجته شميرام هما شخصان وهميان قد وُضعا كناية عن ملوك نينوى واليهما نُسب على سبيل الاستعارة جميع ما اشتهر بهِ ملوك اثور الاوّلون كما انهُ نُسب الى سرداناپال الملك كل ما اتّصف بهِ بعض الملوك من الهوان والملاهي

ولست انكر ما في حكاية شميرام من الاشياء الوهميّة لكني لست اظنّ ان شخصها وشخص نينيب وهميّان فان التقاليد مبنيّة على حقيقة ما تاريخيّة والزمان الطويل الذي يمرّ عليها يزيدها اخبارًا وهميّة بعيدة عن الصواب ٠ فمن المحتمل انّ نينيب وشميرام شخصان تاريخيّان وان نينيب هو الذي بنى نينوى وباسمهِ سمّيت هذه المدينة ٠ ولعلّه هو تغلت نينيب الاوّل نفسهُ الذي وسّع مملكة اثور كما سترى وان شميرام اشتهرت ايضاً معه ومن اجل شهرتها دُعيت باسمها امكنة كثيرة منها قلعة شميرام في فارس (١) وساقية شميرام في وان (٢) وقد ذهب بعض العلماء ان شميرام هذه هي شميرام امرأة شمشيداد الرابع وستأتي قصته

الفصل الثاني

الملوك الاحبار (٢٠٠٠—١٦٠٠) — الملوك الاوّلون (١٤١٨—١٣٢٠) ومحاربتهم مع الكلدان — اداد نيراري الاوّل (١٣٢٠—١٢٩٠) — شلمناسر الاول (١٢٩٠—١٢٦١) نقله سرير الملك الى كالح — تغلاتنينيب الاول (١٢٦١—١٢٤٠) وفتحه بابل وقتله بيد ابنه اسورناصربال — انتصار تغلات اسوربال على اخيهِ اسورناصربال — محاربة خلفائه مع الكلدان — اسوريشيشي وغزواته (١١٣٥—١١١٥)

من اخبار الاثوريّين الصحيحة انهم كانوا في حوزة الكلدان منذ قديم الزمان والذين كانوا يسوسونهم كانوا احبارًا (٣) فمنهم إيريشوم وإيكنوم وإسمدكان وشمشيداد (٤) الاول وايكوركبكابو وشمشيداد الثاني وعاش هولآء الملوك

(١) جهان نما : الفصل ٣　　(٢) راجع ايضاً موسى الخوريني : 2 ١٥

(٣) ماسپيرو : ٣٦٥

(٤) ان المستشرقين قرأوا وكتبوا هذا الاسم في الاول شمشيرمان

الاحبار بين سنة ٢٠٠٠ و ١٦٠٠ قبل المسيح ولمّا تسلّط المصريون على بلاد سوريا بدات مملكة الكلدان بالانحطاط. واما الاثوريون فاصطلحت احوالهم وعظم شانهم فنراهم في الجيل الخامس عشر مستقلّين من بابل. ومن ملوكهم اسوربيلنيشيشو وبوزوراسور واسورنا دنحا واسوربليت (نحو ١٤١٨—١٣٧٠).

وفي ايام اسوربيلنيشيشو جرت الحرب بين اثور وكلدو فضرب هذا الملك عهدًا مع كرينداش ملك بابل وجدّده ايضاً بوزوراسور ودام العهد في ايام اسورنادنحا واسوربليت لا بل ان هذا زوّج ابنته مع بكراخداش ملك بابل ولكن بعد وفاته قام البابليّون على ابنه قدشماخربا وقتلوه وملّكوا مكانه رجلًا يقال له نازيبوكاش فغضب اسوربليت واراد ان ينتقم لحفيده فاغار على بابل وقتل الغاصب وردّ تخت المملكة الى حفيده الاصغر كوريكلزو الثاني

وتخلّف بعد اسوربليت بيلنيراري (١) الاول (نحو ١٣٧٠—١٣٤٥) ثم بوديلو (٢) (نحو ١٣٤٥—١٣٢٠) ثم ادادنيراري (٣) الاول (نحو ١٣٢٠—١٢٩٠) وجرت لهذا وقائع مع كوريكلزو الثاني ملك بابل وانتصر عليه وضبط منهُ كل البلاد التي تمتدّ من نهر الخابور الى حدود بابل. وقهر ايضاً نازِمرُتَّاش خليفة كوريكلزو وضبط منهُ كل ما كان في حكمه من البلاد من پيلاسكي الى بلدة لولوما (٤)

وجلس بعده على تخت المملكة شلمناسر الاول (٥) (نحو ١٢٩٠—١٢٦٠). وكان مولعاً في الحرب فصرف كل حياته في حمل السلاح ومحاربة الشعوب التي كانت في تخوم مملكته فزحف على الارامیين الذين في جبل ماشا (٦). وكانت قبائلهم المتعدّدة قد انتشرت من دجلة الى باليخ والفرات ففتح مدنهم ودكّ حصونهم ثم اغار على بلاد كيرخي الممتدة من دجلة الى بحيرة اورمية

---

(١) ويوجد من يكتب اثليل نيراري (مجلّة الكتاب المقدس: ٧ ص ٥٥

(٢) ويوجد من يقرأ أريكدين إيلي (كذا)

(٣) ان ألمستشرقين الاولين كانوا يقرأون: رَمّان نيراري

(٤) راجع ماسپيرو: ف ٥٩٥—٥٩٧ (٥) راجع ماسپيرو: ف ٦٠٧-٦٠٩

(٦) هو الجبل المسمّى الان قرهجه طاغ واليونان سمّوه ماسيوس

وعبر الفرات ايضاً يريد الغزو · واذ بلغه انَّ المدن التي في اطراف دور كوريكالزو امتنعت عليه كرّ على اعقابه طائرًا اليها على جناح السرعة واخضعها

وكان سرير ملوك اثور الى ذلك الحين في مدينة اثور ومنها اخذوا تسميتهم وأُطلق على كل جياهم · فزيّن شلمناسر هذه المدينة ورمم هياكلها وزَقّورتاتها · ثم نقل تخت المملكة الى مدينة كالاح حيث جاس خلفاؤه مدّة اجيال كثيرة

ومات شلمناسر نحو سنة ١٢٦٠ · وبويع بالملك ابنهُ تغلت نينيب الاول (١) وهو اول ملك اثوريّ افتتح مدينة بابل (٢) واتّخذ لقب ملك اكاد وشومير · انَّ الملوك الكوسيّين في بابل كانوا قد ضعفوا كثيرًا فقدحت نار الحرب بينهم وبين تغلت نينيب الاول وتمادت هذه الحرب طويلًا ثم أُلقي الصلح بين الفريقين · لكن تغلت نينيب اصاب فرصة لحمل السلاح على كلدو من حرب شبَّت بينها وبين عيلام · فحاصر بابل وافتتحها وقتل قسماً من سكّانها ودخل هيكل بيل ومسك بيدي هذا الاله وهكذا جعل نفسه ملكاً على بابل ونهب القصور والهياكل واخذ تمثال مرودخ والشعائر الملوكيّة ورجع الى اثور غانماً منصورًا

غير انَّ بابل لم تبق في حكم الاثوريّين الا سبع سنين فانَّ اسورناصربال نشر لوآء العصيان على ابيه تغلت نينيب وحاصره في المدينة التي شيَّدها على اسمه اي كرخ تغلت نينيب (٣) وكانت بالقرب من كالح ثم قبض عليه وقتله نحو سنة ١٢٤٠ فانتهز البابليون الفرصة وهجموا على الاثوريّين وطردوهم من جميع المدن التي كانوا مستولين عليها

والباتُ انَّهُ من بعد قتل تغلت نينيب الاول صار النزاع بين اسورناصربال واخوته وتمادى هذا النزاع مدّة ستّ سنين حتى ملك تغلت اسوربال ثم جلس على تخت المملكة اسورنيراري الاول · ولم يشتهر بشيءٍ · ثم ملك بيلكدناصر وحمل

---

(١) راجع ماسپيرو: ٢ ٦٠٩–٦١٢ والمستر كنغ: آثار تغلت نينيب الاول ١٩٠٤

(٢) راجع ص: ٣٥ من هذا الكتاب

(٣) ان المستشرقين يكتبون كار تغلت نينيب . امَّا انا فكتبتها كرخ عوض كار لانَّ ܟܪܟܐ بالكلدانية معناها مدينة مسوّرة وحصن وقلعة كما يقال كرخ سلوخ وكرخ ليدان وكرخ مِشان

السلاح على بابل يريد الاستيــلاء عليها فقاتله اداد شُمناصر ملك بابل ووقعا كلاهما قتيلَين وكانت النصرة للبابليــين فرجع الاثوريون خائبين الى بلادهم وملك في بابل ميلشحو وفي كالح نينيبيلاسر فتصالحا . وملك بعد نينيبيلاسر ابنه اسوردان الاول (نحو ١١٨٢—١١٤٥) ومما اشتهر بهِ انَّهُ قاتل الكلدان ورجّع مدينة زابا واريكا واكارسا التي كان البابليون قد ضبطوها . وجلس بعده على تخت المملكة مُتكلنوسكو (نحو ١١٤٥—١١٣٥) ثم اسور ريشيشي (نحو ١١٣٥—١١١٥) وكان هذا شجــاعاً فاخضع عشرين دولة وبدّد الاحلاميين وسحق اللولوماويّين والكوتيين ووصل الى حدود عيلام . وبايامه هجم نبوكدناصر الاول ملك بابل مرّتين على اثور ورجــع خائبا تاركاً كلّ عجلاته كما شرحنا ذلك في محلّه

الباب الثاني

في دولة اثور العظمى الاولى (١١١٥—٩٠٠)

الفصل الاول

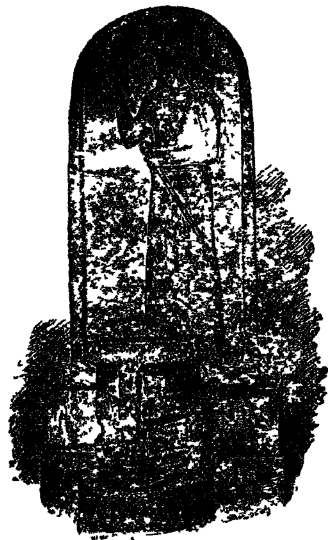
في جغرافية البلاد المحتاطة بمملكة اثور

انَّ مملكة اثور كانت محتاطة من كل جهة بممالك وشعوب وقبائل شتَّى . ففي الجهة الجنوبية كانت دولة الكلدان العظيمة . وقد سبق الكلام عنها (١)

وفي الجهات الشرقية اي في اقضية سليمانية الحالية وفي بلاد ايران كانت كوتي وزاموا ونمري وبارسوا وخرخر ومناي . اماَّ كوتي فكانت بين رادان وديالة . وزاموا كانت تمتدّ من ينابيع رادان الى اطراف بحيرة اورميا اي في النواحي الجبلية بين ديالة ورادان . ومن اشهر ممالكهــا مُرداش وسردوش ولولوما وخودون وكسرتا واراشتوا وزمري — ونمري كانت في شرقي زاموا في الجــانب الايسر من ديالة — وبارسوا في عربيّها في اطراف بحيرة اورمية — ومناي في غربي البحيرة — واماَّ خرخر

---

(١) راجع ص ١—٥ من هذا الكتاب



اسورناصربال الاوّل ملك آثور (انظر صحيفة ٤٨)



تغلاتبلاسر الاوّل ملك آثور

فكانت تشمل ولاية كرمانشاه الحالية. وفي شرقيّ هـذه البلاد كانت مادي وهي تمتد الى بحر قزوين

وفي الجهات الشمالية والشمالية الغربية اي في ارمنية واسيا الصغرى المدعوّة اليوم اناضول كان يوجد بلاد عديدة وممالك شتى. وكان الاثوريون يطلقون اسم نيري على جميع البلاد الممتـدّة من بحيرة وان الى نهر هاليس المعروف اليوم بقزل ايرماق. والبلاد التي في اطراف بحيرة وان كانت تُدعى أُرارطو او أُرارطا وهي التي يدعوها الكتاب المقدس أراراط. والتوباليون موقعهم في وادي نهر أرس المدعو الان يشيل ايرماق ويمتـدون الى البحر الاسود. والاشكيون (١) كانوا على سواحل الفرات الاعلى ويمتدُّون الى هاليس. وكومانو كانت في اطراف ينـابيع ساروس المعروف اليوم بنهر سيحون وهي التي سمّيت فيما بعد قبادوقيـة. وفي جنوبي كومانو اي في قيليقية كانت قوا. وكمّـ ا او كموج او كمّاجين كانت في منحدرات الطور بالقرب من سميساط وفي وادي دجلة الاعلى وتمتد الى حدود ديار بـكر. وكيرخى او كورخي او كورتى كانت تمتدّ من جدول دجلة الغربي الى جبال جودي. وختارا موقعهـا في قضاء ليجه. ونومي في قضاَئي وارطو وبولانق في سنجاق موش. وكيروري في قضاَئي صامسون وموش. وخانا في خيوط في اطراف بتليس. وكيرزان او كيلزان في حيزان. وخبوشخيا كانت تمتد من حيزان الى شتاق في ولاية وان

وفي الجهات الغربية والغربيـة الشمالية. كانت الجزيرة وسوريا. امّا الجزيرة المدعوّة ايضاً ما بين النهرين فاشهر الممالك الارامية التي فيها بيت اديني بين الفرات وباليخ وعاصمتها تل بارسيب. ومملكة زوحي ولاقي كانتا على شواطئ الفرات بين خابور وباليخ. ومملكة بيت زماني بين الفرات وينابيع باليخ. وان الجبال التي تفصل وادي دجلة من وادي الفرات والمعروفة اليوم بقرهجه طاغ كانت تُسمّى كشياري. وجبال طور عابدين كانت تدعى ايزلا وهي المسماة عند اليونان ماسيوس واسمها الارامي ماشا. وبلدة سيورك كانت تُعرَف بجازيديجا وقاعدتها كينابا. وبلدة نيربا كانت في منحدرات قرهجه طاغ الجنوبيّة وعاصمتها تلّا وهي ويران شهر الحاليّة

---

(١) قيل ان المسقوفيين الحاليـين ينتمون الى الماشكيين او الموشكيين (راجع فليكس يوليان: سياحة في ارض بابل. باريس ١٨٧٦ص ٢١١

واما سوريا فكان اسمها في اللغة المصريّة خارو او شارو واتخذهُ اليونان فقالوا فيه سوريا. وقيل ان سوريا تحريف اسوريا اليوناني اي اثور والراي الاول اصحّ. وبعد الهجرة اطلق العرب على سوريا اسم الشام وكان يحدُّهــا شمالًا الطور وهو المعروف عند اليونان بجبل طوروس ويدعى الان كورين وشرقاً الفرات والبادية وجنوباً البحر الاحمر وبلاد العرب وغرباً البحر المتوسط. وكان للحيثيين منذ قديم الزمان دولة عظيمة في اناضول وسوريا الشماليّة وسوريا الوسطى ثم بعد انتصار مصر عليها تقسمت الى ممالك شتى. اشهرها مملكة قرقميش وكانت على الفرات. وپاتين في غربي قرقميش. ومملكة حماة وصوبا في جنوبيّ پاتين. ومملكة ارني بين پاتين وجبل حمانا المعروف اليوم باللكام. واكوسي بين الفرات ونهر عفرين. وفي الشمال كانت كُركُم في جنوبيّ مرعش. وشمأل بقرب كُركُم. وبين سلسلة جبال لبنان والبحر المتوسط كانت بلاد فونيقي وكان يدعوها الاثوريون احارا (ܐܚܪܐ) اي الاخير وامتدادهــا من مدينة ارواد شمالًا الى عكا جنوباً واشهر مدنها: ارواد وجبيل وبيروت وصور وصيدا. وفي سوريا الجنوبيّة كانت دمشق وفلسطين اما فلسطين فكــان فيها ثلاث ممالك: مملكة اسرائيل ويهوذا والفلسطينيين وفي اطراف فلسطين كانت عدّة شعوب صغيرة منها العمالقة والموابيون والعمونيُّون والادوميُّون

الفصل الثاني

تغلاتپلاسر الاول (١١١٥—١١٠٠)

زحفه على ماشك وكماجين وكورخي وميلديش — غزوته الثانية في كورخي وغارته على مورداش وسورداش وسوكي — انتصــاره على ٨٢ ملكاً من ملوك نيري — غزوته في ما بين النهرين ومصري وكومانو — فتحه مدينة قرقميش وانتهاؤه الى البحر المتوسط — نقش صورته على صخرة بقرب ينابيــع دجلة — فتحه بابل واتخاذه فيها لقب ملك اكاد وشومير — ابنيته

ان تغلاتپلاسر من افضل ملوك اثور (١). وقضى كل ايام ملكهِ في الحروب

---

(١) عن تغلات پلاسر الاول راجع تاريخ دول الكلدان والاثوريين العظمى تأليف أوپير ص: ٤٤-٥٩ ; وماسپيرو: ❊ ٦٤٢—٦٦٣ وماسپيرو: ص ٣٤٧—٣٥٤ ; ومجلّـة

غير مبالٍ بالتعب والخطر. انَّ اباه اسوريشيشي خلّف لهُ مملكة زاهرة فوسّعها هو بنوع عجيب وجعلها في مصفّ الدول العظيمة. ففي اول سنة من ملكهِ زحف على الماشكيين الذين انحدروا من جبالهم تحت قيادة خمسة ملوك وهجموا على كماجين وكان الماشكيُّون قبل ستين سنة في حوزة اثور ثم عصوا واستقلّوا فخرج تغلاتپلاسر من كالح بعد بضعة اسابيع من تتويجه ومرّ بسرعة على سنجار ونصيبين وماردين وآمد وانقضّ على كمّاجين حيث كان ينتظره عشرون الفاً من الماشكيين. فهجم عليهم كالاسد الضاري وكسرهم وهزمهم وتتبعهم في الجبال والاودية وقال هو عن نصرته هذه: «ملات من جثثهم اودية الجبل وقممهِ. قطعت رؤوسهم وكلّلت بها اسوار مدنهم وسقت عدداً لا يحصى من الاسرى وملكت على خزائن لا تُعدّ. وان ستة آلاف من الذين خلعوا طاعتي خرّوا ساجدين قدامي فترحمت عليهم.» وكانت جيوش كماجين قد انفصلت في الهزيمة من الماشكيّين وعبرت دجلة فتحصّنت في قلعة شيريشا(١) مفتكرةً انّها في امن هناك داخل اسوار كثيفة منيعة من غابات وتلال عالية. لكن ملك اثور تتبعها وقطع اشجار الغابات وفتح طريقاً لجيوشه وعرباته الى ان انتهى الى القلعة فافتتحها وقتل جميع الذين كانوا ضمنها. قال في احد آثاره: «وان الذين بقوا من عساكرهم لم يقدروا على مقاومتي. فخوفاً من اسلحتي المهولة ونجاةً لانفسهم التجأوا الى قمم الجبال والهضاب الشامخة فصعدت متقفياً اثرهم فحاربوني ولكني هزّمتهم وعبرت مثل الزوبعة على صفوفهم في اودية الجبال وفتحت كل بلاد كموج وجعلتها في حدود مملكتي انا تغلاتپلاسر الملك القويّ قاتل الاشرار ومستأصل جيوش الاعداء.»

وبعد ان ضبط قلعة شيريشا رجع على اهالي كورخي الذين كانوا ياتون الى مساعدة الاعداء وحمل عليهم وغرّقهم في مياه نامي وقبض على اميرهم كليتشوب وارسله الى اثور هو ونساءه واولاده وكنوزه وتماثيل الهته ثم كرّ على اعقابه وعبر الى الجانب الايمن من دجلة وهجم على قلعة اوراخينا فانهزم سكّانها واماّ ملكهم

الكتاب المقدس: ۹ ٥٦-٥٨ (١) ماسيرو: (ف ٦٤٤: حاشية ٢) يَرتإي ان جيوش كمّوج عبروا الدجلة قدام آمد وهي ديار بكر وتحصّنوا في شمالي ميافرقين. وان شيريشا كانت بين جبال سلوان وآق‌طاغ وان نهر نامي هو النهر المعروف الان بيطمان صو

شاديشتوب بن خاتوشارو فخرج للقائه وخرّ على قدميـهِ ساجداً لهُ وقدّم لهُ كل ما كان عنده من ذهب ونحاس ومواشٍ فعفا عنهُ وتركهُ على سريرملكه وهكذا عامل سائر حلفائهِ الذين طلبوا منهُ الامان وفي رجوعه الى اثور اراد ان يستولي ايضاً على البلاد الجبليّة التي كانت بين بحر نيري الاعلى (١) ومملكتهِ وكانت تلك البلاد مثلما نراها اليوم مكتسية باشجار كثيفة مشيدة على جبال عاصية ونهر الدجلة الشرقي المدعو اليوم بهتـان يجري هو والجداول التي تنصبّ فيه في اودية عميقة معوجّة ولم يكن باستطاعة اي جيش كان ان يتحرّك في كذا امكنة وعرة ليفاجئ القرى المنيعة والقبائل البدّدة في الاودية والجبال فأخذ تغلاتپلاسر معه ثلاثين عربة فقط وقسماً من المشاة وتوغل هنـاك ثم اضطرّ ان يترك العربات على ساحل اروما ويزحف بالمشاة على سكّان مِلديش فنكّل بهم واحرق قراهم فسلّمت لهُ جميع تلك البلاد وفرض عليها جزية تؤدّيها لهُ كل عام

وفي السنة الثانية من ملكه باشر غروتين فارسل قسماً من عساكره الى الجهات الشرقية من مملكته فعبرت الزاب الاصغر. واماّ هو فحمل ثانية على كورخي ليخضعها تماماً. قال في احدى كتاباتهِ: « ان الاله اشور ربّي قال لي ان امشي. فجمعت عرباتي وجيوشي وتوغلت في امكنة عاصية بين جبـل إدني وجبل أيآ. بين هذين السدّين الحادّين مثل رأس السكّين. فلم يمكن لعرباتي ان تعبر. فتركتها في السهـل والتزمت ان اتسلّق جبالًا عاصية. فجمع الكورخيون عساكرهم الكثيرة لكي يحـاربوني وتحصّنوا في منحدرات جبل ازوبتاكيش وكان المكان منيعاً. فحاربتهم وانتصرت عليهم.» وحملته شجاعتهُ الغريبة ان يتوغل في جبال ارمنية. وافتتح اربعاً وعشرين مدينة واحرقها كلها. ثم طار على جناح السرعة الى البلاد التي في شرقي اثور اي الى سواحل الزاب الاصغر والى حدود لولوما. فقاومتهُ إمارتا موردآش وسردوش. فقاتل الاعداء بشدّة وشجاعة لا مزيد عليها حتى انهُ دخل معسكرهم مستلًا بيده السيف وهو يضرب ويقتل يميناً وشمالًا. وكانت نصرته تامّة فاخضعهم وفرض عليهم الجزية ثم ان فتنة حدثت في كورخي جبرتهُ ان يرجع سريعاً الى ينابيع دجلة في ارمنيـة. فان قبيلة سوكي جمعت تحت بيرقها نحو ستة آلاف مقاتل وتحصنوا في جبل خيرِيثا

---

(١) بحيرة وان

فحمل عليهم وكسرهم وافتتح مدنهم واخذ منهم ستة وعشرين تمثالًا لآلهتهم وارسلها الى اثور لتتوزع على هياكل بيليت واداد وايستارا

وفي السنة الثالثة لملكه اغار على البلاد التي في الغرب الشمالي الممتـدَّة من نهر قزل ايرماق الى بحيرة وان ويقـال لها نيري . وكان فيهـا ممالك شتَّى وسكانها مشهورون بالشجاعة والقساوة ويشتغلون بالمعـادن . فاخذ تغلات بلاسر طريق آمد واوغل في الغابات والجبال وقطع ستَّ عشرة سلسلة جبلية الواحدة بعد الاخرى . ثم عمل جسرًا على الفرات وعبر . ولما اتصل الخبر بملوك نيري اتفقوا جميعاً وتداعوا الى مقاتلته واجتمع منهم ثلاثة وعشرون ملكاً . واتى ايضاً الى مساعدتهم ستون ملكاً من سواحل البحر الاعلى وهو البحر الاسود . وكان القتال شديدًا فانتصر عليهم ملك اثور واسرهم جميعاً . ثم بعد ان أجبرهم ان يسلّموا اليهِ اولادهم وفرض عليهم تأدية الف ومائتَي حصـان والفي ثور خلّى سبيلهم وارسلهم الى مدنهم عدا سيني ملك دياني (١) الذي كان قد قاومهُ شديدًا فانهُ استاقهُ اسيرًا الى اثور زينةً لنصرته . ثم اطلقهُ ايضاً بعد ان اجبرهُ على السجود لآلهتهِ

والسنة الرابعة من ملكه صرفها تغلات بلاسر في اثور لراحة عساكره ونظامها اذ لقيت شدائد عظيمة في جبال ارمنية وتلف منهـا خلق كثير وعمل مع ذلك سياحة حربية في فيافي ما بين النهرين غازياً الاحلاميين وبقيَّـة الرُّحل من القبائل الاراميَّة . وفي يوم واحد قطع الاثوريون الفيافي التي بين زوخي ومعبر الفرات حتى انتهوا الى مدينة قرقميش قاتلين كل من قاومهم وناهبين القرى . وهرب الاراميون الى الجانب الاخر من الفرات في مملكة الحيثيين ظنًّا منهم ان ملك اثور لا يتجاسر ان يتعقبهم هناك . فعبر الاثوريون الفرات على اكلاك واحرقوا ونهبوا نواحي جبل بشري (٢) وفتكوا بكثـيرين من السكَّان . فذعر الاهالي وستٌّ من القرى الكبيرة المحصّنة فتحت لهم ابوابها دون قتال وهكذا رجعوا غانمين غنيمة باردة

وفي السنة الخامسة من ملكه ظهر ملك اثور من جديد في البلاد الواقعة في ساحة الفرات الاعلى اي في اطراف مالاطية لكي يتمم فتوحاته الاولى . فهجم

---

(١) كانت دياني على سواحل مرادصو وقال البعض انها بقرب ملازكرد

(٢) تلّ باشر الحالي

أوّلًا على مصري المتصلة ببليد (١) ونهبها • وكان عشرون الف مقاتل من كومانو قد تحصّنوا في جبل طالا (٢) • فحمل عليهم واثخن فيهم الجراح وطاردهم الى سلسلة جبل خاروسا بازاء مصري • فالتجأوا الى مدينة خوموسا وكانت منيعة الى الغاية ذات ثلاثة اسوار • فلم يرتخ عزم تغلات بلاسر بل تشجّع وهدم الاسوار الواحد بعد الآخر ودخل المدينة واخربها • ثم حمل على كيشونا عاصمة كومانو ودكّ اسوارها • ولم يقتل فيها احدًا بل ارسل الى اثور ثلاثمائة عائلة اشتهرت في معاداته وفرض على المدينة جزيةً تؤديها لهُ كل سنة

وهكذا نرى ان تغلات بلاسر في مدّة خمس سنين اخضع اثنتين واربعين مملكة كانت تمتد من سواحل الزاب الاصغر الجبلية الى سواحل البحر المتوسط • ونقرأ على احد اثاره هكذا : « منذ بداية جلوسي على تخت المملكة الى السنة الخامسة كانت يدي قد اخضعت اثنين واربعين شعباً وقهرت ملوكها من سواحل الزاب الاصغر الجبلية البعيدة الى الفرات والى بلد الحيثيين (٣) والى البحر الاعلى حيث تغرب الشمس • » ولم يكتفِ تغلات بلاسر بهذا كله بل اراد ان يوسّع مملكته توسيعاً اعظم • فوجّه الحاظهُ الى بلاد سوريا واستولى على مدينة قرقميش عاصمة مملكة الحيثيين وعلى الشعوب التي حواليها • ثم عبر الفرات وتسلّط على جميع بلاد سوريا الشمالية • ورقي جبل لبنان وانتهى الى البحر المتوسط • ودخل البحر وقتل فيهِ دلفيناً فالقى اسمهُ الرعبة في قلب رعمسيس ملك مصر • فارسل اليهِ هدايا كثيرة نفيسة من جملتها تماسيح وحصن بحريّة • واستغرب الاثوريون هذه الوحوش التي لم يكن قد رأوها ابدًا • والظاهر ان تغلات بلاسر في وصوله الى نهر الكلب في لبنان نقش صورته على ضفّتهِ الجنوبية وذلك تذكارًا لانتصاره هذا • والصفيحة التي تتضمّن صورته مع الكتابة المسمارية قد حُفِظت هناك الى يومنا هذا (٤) • ومما منع الاثوريين ان يتوغلوا اكثر في فونيقي ويصلوا الى فلسطين عصيان نيري عليهم

ان اخبار سني تغلات بلاسر الاخيرة لم تصل الينا بالتفصيل • والذي نعرفهُ هو انهُ اغار مرارًا على نيري التي كانت تستثقل نيره • وفي غارته الاخيرة حلّ بقرب

---

(١) مالاطية (٢) في قضاء زيتون (٣) ان الاثوريين كانوا يسمّون السريان حيثيّين (٤) راجع المشرق ١٨٩٨ ص ١٠٨٩

ينابيع زينبة احد جداول دجلة ونقش هناك على صخرة ما نصهُ : « بموجب ارادة ساداتي اشور وشمشا واداد الآلهة العظيمة انا تغلات پلاسر ملك اثور ابن اشوريشيشي ملك اثور ابن مُتكِل نوسخو ملك اثور الذي انتصرت على الشعوب منذ البحر العظيم الى نيري واخضعت لثالث مرة بلاد نيري» . ونعرف ايضاً عنهُ انهُ في السنة العاشرة لملكه جرت لهُ وقائع مع عيلام وكانت الدائرة على العيلاميين . ثم اشتعلت نار الحرب بينهُ وبين الكلدان . وكان ميدانها في ناحية ارزوخينا في ساحة الزاب الاصغر . وفي السنة التابعة انتصر انتصارًا تامًا على جيوش الكلدان ودخل بابل واتخذ فيها لقب ملك اكاد وشومير لكنَّ هذه الغلبة لم تدم الا سنتين . فان مرودخنادخا ملك بابل تقوَّى وحمل على الاثوريين وطردهم من مملكته وطاردهم حتى بلاد اثور وفتح مدينة هيكلا واخذ تماثيل الالهة وذهب بها الى بابل ووضعها في هيكل بيل (١)

ولم يعش تغلاتپلاسر كثيرًا بعد كسرته هذه . ولعلّ الشيخوخة منعتهُ من الغارة على بلاد الكلدان . وتوفي نحو سنة ١١٠٠ ومع كونه قائدًا فاضلًا كان مولعاً بالبناء ايضاً . فان اغلب هياكل مدينة اثور كانت قد بُنيت في الزمان الذي كان فيهِ الاثوريون تحت حكم الكلدان . فكانت إمَّا قد مالت الى الخراب وامَّا انها لم تكن عظمتها توافق عظمة دولة كبرى . فعظَّم ووسَّع تغلاتپلاسر هياكل إيستارا ومارتا وبيل وجدَّد هيكل الاله اشور الذي كان قد شيَّدهُ شمشيداد بن اسمدكان قبل سبعمائة سنة . وشيَّد عليهِ زقرتَين عظيمتين مرتفعتين الى السماء ورصّعهما بالخزف المدهون بالميناء وكرّسهما باحتفال لا مثيل لهُ . وشيَّد ايضاً على شكل هذا الهيكل هيكلًا آخر لاداد الإله

وممَّا اشتهر ايضاً بهِ تغلاتپلاسر الصيد . وقد اتى في آثاره انهُ في السنين الخمسة الاولى من ملكه قتل مائة وعشرين اسدًا واربعة أرآم ذكر في سهول متاني واتى بجلدها وقرونها الى مدينة اثور . وصاد ايضاً في ارض حران وعلى سواحل خابور اربعة عشر فيلًا . واتى باربعة منها الى اثور وهي حيَّة

---

(١) راجع ص ٣٧ من هذا الكتاب

الفصل الثالث

انحطاط دولة اثور العظمى الاولى في ايام اسوربيلقالا وشمشيداد الثالث واسورناصربال الثاني وخلفائهم منذ سنة ١١٠٠ الى ٩٠٠

انَّ تغلاتپلاسر كان قد وصل بفتوحاته الى بلاد شاسعة وكانت دولته واسعة جدًا. فلم يقدر خلفاؤه ان يحافظوا كما يقتضي على كذا ملك جسيم. ولمَّا مات جلس مكانه ابنه اسوربيلقالا. واخذ بثار ابيه من الكلدان(١) فانه استولى على بغدادا وغزا اطراف بابل حتى ان الملك مرودخشاپكزيرات التزم ان يطلب الصلح ودام الصلح طويلًا. لا بل انَّ اسوربيلقالا تزوَّج بنت اداد بيلدان خليفة مرودخشا پكزيرات ولم يُعرف شيءٌ عن شمشيداد الثالث خليفة اسوربيلقالا سوى انه زخرف الهياكل التي كان سلفاؤه قد بنوها وجلس بعده اسورناصربال الثاني وساءت احوال اثور في ايامه فانَّ الحيثيين اتفقوا جميعاً على محاربته وكسروه بقرب قرقميش نحو سنة ١٠٦٠(٢) ومنذ ذاك الزمان بدأت المملكة بالانحطاط فاستقل منها شيئا فشيئاً بلاد قيليقية ومالاطية ونواحي قرهجه طاغ وجبل زكرا وفيافي الخابور ونيري. ومع رونقها وبهآئها طُمِست ايضاً نجوم اخبارها واخبار ملوكها ولم يصل الينا سوى اسماء ثلاثة منهم وهم إرباداد واسورنادنخا الثاني وتغلاتپلاسر الثاني امَّا الاثنان الاولان فقد بنيا قصورًا وامَّا الثالث فملك نحو سنة ٩٥٠ ولا يُعرف عنهُ شيءٌ. وتخلَّف بعده اسوردان الثاني نحو سنة ٩٣٥ واهتمَّ باصلاح امور المملكة الداخليَّة فانه حفر قناة وجلب المياه الى عاصمته وعمرَّ الهياكل وحصَّن المدن والذي خلَّص مملكة اثور من الانقراض التام ضعف مملكة بابل فانَّها هي ايضا بدات بالتزول والانحطاط من جرَّاء الفتن التي حدثت فيها (٣) لكن الاثوريين لم يستمرّوا مطمورين تحت الهوان

---

(١) كذا كتب ماسپيرو في كتابه الصغير (ص: ٣٥٤) واما في كتابه الكبير ([illegible] : ٦٦٤) فيقول واضحاً ان اسور بيلقالا لم يحارب ابدًا البابليين

(٢) راجع ماسپيرو : ص ٣٥٤ ; وماسپيرو : [illegible] ٦٦٤-٦٦٥ و [illegible] : ٣-٤ ومجلة الكتاب المقدس: ٩ ٥٨

(٣) راجع الصحيفة ٣٨ من هذا الكتاب

والذلّ. فانّهم افضل الناس قوةً وبأساً واكثرهم براعة في القتال. وانّما رخاوة بعض ملوكهم جلبت عليهم البلايا فحان وقت فيه قام ملوك ذوو حزم وشجاعة اقاموا مملكة اثور من سقطتها واوّلهم ادادنيراري الثاني وذلك بعد مرور قرن ونصف من انحطاطها

الباب الثالث

دولة اثور العظمى الثانية (٩٠٠—٧٤٦)

الفصل الاول

قيام مملكة اثور من سقطتها في ايام ادادنيراري الثـاني (٩٠٠—٨٩٠) وتغلاتنينيب الثـاني (٨٩٠—٨٨٥) ترميم ادادنيراري اسوار اثور — حربه مع الكلدان وانتصاره — قساوة تغلاتنينيب الثاني نحو الاسرى — فتحه بلاد نيري — نقش صورته هناك بجانب صورة تغلاتپلاسر الاول

انّ ادادنيراري الثاني (١) قام بالملك نحو سنة ٩٠٠. ومن اعماله انّهُ عمَّر باب دجلة في مدينة اثور وقسماً من اسوارهـا ووسّع هيكلها العظيم واخضع اغلب الولايات التي خلعت طاعة اثور. وجرت لهُ وقائع مع شِمِشْمُودَمِيق ملك بابل. وكان ميدان الحرب بين الزاب الاصغر وتورنات فانكسر الكلدان عند جبل يلمان. ولم يعش ملك بابل كثيرًا من بعد كسرته هذه. وجلس مكانه نبوشمشيكون وانتصر عليه الاثوريون كذلك وضبطوا منهُ قلعتَي بامبال وبغدادا وقبضوا عليه واقتادوه اسيرًا الى اثور. واستولوا على اغلب البلاد التي في الجانب الايسر من الزاب الاصغر بين دجلة وجبل زكرا. ثم تصالح الفريقان وصاهر ملك اثور وملك بابل بعضهما بعضاً (٢)

وقـام بعده تغلت نينيب الثاني (٣) نحو سنة ٨٩٠. وكان مولعاً في الحرب

---

(١) ماسپيرو: ج ٤ يلقبهُ بالثالث (٢) طالع صحيفة ٣٩ من هذا الكتاب

(٣) ماسپيرو: ج ٦

قاسياً ظالماً وقيل عنهُ انه انتصر على الاعداء وقطع رؤوسهم وعلّقها على العيدان. وكانت اكثر غاراته على نيري. اماَّ تفاصيل غزواته فقد ذهبت عنَّا. ومماَّ يعرف عنهُ انَّهُ في مدَّة السنين الستّ التي ملك فيها اخضع كل البلاد التي في وادي دجلة الأَعلى وجميع البلاد الجبليَّة التي تفصل الجزيرة عن نيري. وانتهى الى ينبوع دجلة وكتب الى جانب كتابة تغلاتپلاسر الاول ما نصه: « انه بعون آلهته اشور وشمشا واداد ذهب بفتوحاته الى هناك واخضع الجبال العاصية من الشرق الى الغرب وانَّهُ انتهى الى هناك مظفراً غير مقهور وعبر مثل البرق الانهر المائجة. » ولو لم يخنهُ الدهر لاشتهر ازيد وافتتح بلاداً اكثر فانَّهُ لم يملك سوى ست سنين ومات سنة ٨٨٥. لكنه خلّف جيشاً باسلًا لابنه اسورناصربال وهو الذي وسَّع المملكة توسيعا عجيباً واسترجع كل البلاد التي كانت قد خلعت الطاعة لآثور

الفصل الثاني

اسورناصربال الثالث (١) (٨٨٥—٨٦٠) — تعمير مدينة كالح ونقل سرير الملك اليها — إخضاع نومي وكيرخي والقبائل الاراميَّة في الجزيرة وزاموا وزمرو ونيري وزوخي وبيت اديني وسوريا الشمالية

انَّ اسورناصربال الثالث (٢) اقام في اوائل ملكه في نينوى ومنها خرج الى الغزوات وفيها استقبل الملوك الذين اتوه ليسجدوا له. وفي السنة الرابعة من ملكه نقل تخت المملكة الى كالح وكان شلمناسر الاول قد وضع اساس هذه المدينة وبناها في الجانب الايسر من دجلة عند مصب الزاب الاكبر. فامر اسورناصربال باستئصال كل القصور والهياكل التي في كالح وشيَّد مكانها قصورا وهياكل اكثر عظمة. فبنى زقرتا عظيمة لنينيب اله الحرب وكانت ذات سبع طبقات وارتفاعها نحو سبعين مترًا. وتمثال نينيب الذي فيها كان من مرمر مذهَّب وفي

(١) وقيل الثاني (مجلّة الكتاب المقدس: ٩ و ٥٨

(٢) راجع من هذا الملك: أوپير تاريخ دول الكلدان واثور: ٧٢—١٠٢؛ ومينان: تاريخ سني ملوك اثور ٦٦—٩٣؛ وماسپيرو: ج ١٣—٥١؛ ومجلّة الكتاب المقدس: ص ٥٩—٦٢

مدخلها كان تمثال للملك اسورناصربال طوله متر وقد انتصب قائماً وبيده اليمنى منجل وفي يده اليسرى عصا . وكان قصر الملك مبنياً على النهر وطوله مائة وعشرون مترًا وعرضهُ مائة متر ومشحوناً بصور الملك على اختلاف حركاته مشاورًا وزراءه او خارجاً الى الصيد او عابرًا النهر او متسلقاً الجبل للمحاربة . وكنت ترى في القصور او على ابوابها تماثيل اسود فاتحة افواهها للافتراس وتماثيل ثيران جسيمة وجهها كوجه الانسان وغير ذلك من الصور والنقوش المتنوّعة . وجلب اسورناصربال الى المدينة مياه الزاب في قناة وغرس على جانبيها بساتين كثيرة رائقة فيها اشجار متنوّعة وداخلها بيوت وقصور جميلة للمصيف

لكنَّ ولع اسورناصربال في الحرب والغزو كان اشدّ منهُ في البناء . ومنذ اليوم الثاني من تتويجهِ اغار على البلاد التي في الشمال الغربيّ من مملكته . فهجم على نومي (١) وافتتح كوبي عاصمتها وتسلّط على ستّ مدن اخرى من مدنها . وتحصّن الاهالي في جبل منيع تشبه قمته نصل السكين فتسلّق الاثوريون ذاك الجبل وفي مدَّة ثلاثة ايام ضبطوا جميع المتاريس التي اقامها العدوّ وقتلوا مائتي رجل واسروا الباقين . فتخوّف الكيروريون (٢) وقدَّموا الطاعة وسلَّموا خيلهم وبغالهم وثيرانهم واغنامهم وآنيتهم النحاسيَّة وغير ذلك . واقتدى بهم الشعوب المجاورة اي الادوشيّون (٣) والكيلزانيون (٤) والخوبوشكيون (٥) وارسلوا الى ملك اثور هدايا كثيرة من ذهب وفضة ونحاس . ثم هجم على كيرخي واستولى على قصر نيشتون (٦) ونهب مدن خانو (٧) وختارو (٨) وإربيدي وارزانيا وتلّا (٩) وخالوا . وأسر ملك كيرخي وارسله الى اربيل وهناك امر بسلخ جلده وتعليقه على الاسوار

وفي تلك السنة عينها توجه نحو البلاد التي في شمال غربيّ اثور . وعبر الدجلة عند آمد قاصدًا الفرات . فذُعر منهُ المشكيون والكموجيون وخرجوا للقائه مقدّمين لهُ الطاعة والهدايا وبينما هو كذلك اتاه خبر انَّ بعض المدن في ما بين النهرين

(١) قضاء بولانق وقضاء ارطو في موش (٢) في قضاء صاسون وقضاء موش
(٣) بين مياه بطمان وبهتان (٤) في اطراف بتليس
(٥) في قضاء شناق وحكارية (٦) في جبال ميافرقين (٧) خيوط
(٨) في قضاء ليجة (٩) تل ناورو عند مصبّ جتان في دجلة

خلعت طاعته فطار اليها قاطعاً جبال ايزلا متوجهاً نحو الخابور . ولاح غفلةً تحت اسوار مدينة سورا . فخرج اليهِ روساء المدينة طالبين العفو . لكنهُ قسّى قلبهُ عليهم وقاصصهم قصاصاً شديداً فنهم من سلخ جلده ومنهم من قُبر وهو حيّ ومنهم من صُلب على عواميد . فخافته جميع الاقوام المجاورة وطلب اللاقيّون الامان وكانوا يمتدون بين الخابور والبليخ . واتاه ايضاً حيان ملك حيندانا على الفرات وقدّم له ذهباً وفضة ونحاساً وحجارة كريمة وارجواناً وجمالاً . وعلامة لعبوديته نصب تمثال اسورناصربال في وسط قصره

وفي السنة الثانية من ملك اسورناصربال اتى حوباني ملك زوخي الى نينوى ومعهُ كميّة وافرة من الذهب والفضة وقدّم لهُ الطاعة . وبعد خروج الملك الزوخي من نينوى شاع الخبر انَّ حولاي قائد المستعمرة الاثوريّة التي وضعها شلمناصر الاول في كشياري بناحية حازيدجا في اطراف سيورك يريد ان يستقلّ وقد حاصر قلعة دَمادوسا . فتوجه اسورناصربال نحو ينابيع دجلة وكفى حضوره هناك ليمنع كل ثورة . ونقش هو ايضاً صورته هناك مثل ابيه تغلات نينيب وجدّه تغلاتپلاسر . ثم نزل نحو جبل ايزلا واذ بلغ حولاي خبر مجيئهِ رفع الحصار عن دمادوسا (١) وذهب فتحصن في كينابا (٢) فسقطت كينابا بيد العدو وقُتل فيها نحو ستمائة جندي وطُرح ثلاثة آلاف رجل في النار مع كثيرين من النساء والصبيان . واتى سكّان ماريرا (٣) لمساعدة كينابا . لكنهم انكسروا هم ايضاً وقُتل منهم اكثر من ثلاثمائة رجل . ثم اغار الاثوريون على بلد نيربا فانهزم السكّان الى فيافي ما بين النهرين والتجأ قسم منهم الى تلّا (٤) وكانت منيعة الى الغاية ذات ثلاثة اسوار . وقاومت مقاومة شديدة وفي الاخير انكسرت وقتل منها ثلاثة الاف محارب وقوصص اشرافها قصاصاً شديداً فصار البعض فريسة للنار وغيرهم قُطعت آذانهم او اياديهم او سلخ جلدهم فسلّم لملك اثور جميع امرآء البلاد المجاورة اي امرآء بيت زماني ونيردون (٥) وشوپريا ونيري واورومي (٦) وفي رجوعه الى نينوى

---

(١) ارغني الحاليّة ؟ (٢) سيورك الحالية ؟ (٣) بالقرب من قضاء سيورك
(٤) ويران شهر الحالية (٥) في منحدرات قرهجه طاغ الشرقية
(٦) في اطراف سيساط

لبث قليلاً في مدينة اردوبا (١) حيث زاره احد الملوك الحيثيين وسفرآء ملوك حانيكلبات

وفي سنة ٨٨٢ جبرته الاحوال ان يحمل السلاح على البلاد التي في الجهات الشرقيَّة . واعلم ان الاراضي الممتدة من ينابيع رادان الى اطراف بحيرة اورمية كان اسمها زاموا . وكان فيها عدَّة ممالك صغيرة قد تخلقت باخلاق الكلدان . اذ كانت قبلاً في حوزة بابل ثم صارت تحت حكم نينوى . فلما رأى اهل زاموا الاثوريين مشغولين بالحروب في الجهات الشماليَّة والغربيَّة خلعوا طاعتهم واجتمعوا تحت راية نوراداد ملك دكارا . فجمع اسورناصربال عساكره في كاكزي وعبر الزاب الاصغر عند التون كوبري وقطع اراضي بيباني وعبر سيل خاصا فوق كركوك وتوجه نحو اطراف سليمانية وكان القتال شديداً . وقتل من الاعداء ١٤٦٠ رجلاً واحرق دكارا وانهزم نوراداد وتسلَّط الاثوريون على قلعتي لاربوسا وبارا . فاضطرَّ رؤساء زاموا ان يخضعوا ويقدموا مالهم ذهباً وفضة

وفي سنة ٨٨١ رجع ثانيةً الى تلك الجهات . لانَّ نوراداد لم يكن قد قُبض عليه بعد وقد تحصَّن في جبل نيشبي وكان العصيان قد انتشر ايضاً في خودون وكِسَّرتو وارشتوا . وكانت هذه البلاد في اودية الزاب الاصغر ورادان وتورنات العليا ونزل اسورناصربال عند مدينة دكارا وارسل يطلب منها الجزية . وهذه كانت حيلة منه . فانَّهُ ذات مسآء اختار اسرع عرباته واحسن خيَّالتهِ وعدا بهم طول الليل وعند الفجر عبر نهر ديالة ولم يزل يعدو حتى انتهى بعد الظهر الى مدينة أمالي قاعدة ارشتوا وافتتحها وأسر من كان فيها من السكَّان ودكَّ اسوارها واحرق بيوتها . ثم استولى على خودون وعلى عشرين من قراها وعلى كسَّرتو وعلى عشرٍ من ضيعها وعلى باره وكتيارا ودورلولوما ويونيسا . امَّا اميكا ملك زمرو فلم يُسلّم لهُ . فرجع ملك آثور الى معسكره ليعطي الراحة لجيوشه ثم زحف بها على زمرو . وكان موقع اميكا منيعاً حتى ان اسورناصربال لم يتجاسر ان يهجم عليهِ من قدام فاحتال وكشف بين قمتين لجبل لارا وبدركي على سبيل لم يكن يخطر على بال احد انَّ الخيَّالة تقدر ان تجتازه . فتوغل فيهِ خفية وانقضَّ غفلة على زمرو . فانهزم أميكا تاركاً بين يدي عدوّه قصره وكنوزه ونسآءه حتى عربته . وجعل ملك اثور زمرو ولاية اثورية

ولمَّا استقر الامر في زاموا حمل بجيوشه على ما بين النهرين الشماليَّة سنة ٨٨٠

---

(١) ماردين الحالية

فانّهُ كان قد بقي فيها بعض شعوب لم تزل مستقلّة. فاتاه الكوموجيون بالجزية المفروضة. وافتتح ونهب مدينة متياتي التي قاومته. واتاه ايضاً الكورخيون وقدّموا لهُ هداياهم. واستولى على مدينة مدرا في منحدر قرهجه طاغ الشماليّ وكانت هذه المدينة حصينة جداً ذات اربعة اسوار ثم رجع الى توشخان على دجلة بالقرب من آمد. وذات مساء خرج بعرباته وخيالته فعبر دجلة على اكلاك ومشى الليل كله حتى انتهى الى بيتورا (١) عاصمة الديريّين وكانت محاطة بسورَين عظيمين. فهجم عليها وفي مدة ثماني واربعين ساعة افتتح المدينة وقتل ثمانمائة رجل من المحاربين على الاسوار وصلب سبعمائة منهم على الابواب وتسلّط ايضاً على أرباكي. ثم اغار على نيري حيث احرق مائة واربعين مدينة او قرية وارسل غنيمة عظيمة الى توشخان. واتاه الخبر هناك انَّ بيت زماني نشرت لوآء العصيان وقتلت ملكها امنيبعل وأجلست مكانه بورَمان. فحمل عليها وفتح سينابا عاصمتها وقتل بورمان وملّك مكانه اخاه ارتيانا. وغنم عربات جميلة وستمائة حصان والفي ثور وخمسمائة راس غنم ومائة وعشرين كيلو ذهباً وفضة وستة الاف كيلو نحاسا وتسعة آلاف كيلو حديداً وشيئاً كثيراً من الاقمشة والاواني المصنوعة من ذهب وعاج

وفي سنة ٨٧٩ اغار اسورناصربال على البلاد التي في وادي الخابور وعلى سواحل الفرات. فانَّ بعضاً من المدن والقبائل الاراميّة التي هناك لم تكن بعد قد خضعت تماماً لنير نينوى وانَّ الزوحيين واللاقيين اتّفقوا سرّاً مع نبوبلدان ملك بابل على محاربة اثور. فكان نبوبلدان قد ارسل لمساعدة ملك زوحي قسماً من جيوشه تحت قيادة اخيه زبدان والقائد بيلبلدان فاستولى ملك اثور بدون مشقة على مدن خيتداني وخاريدى وعانه وانتشب القتال بينه وبين ملك زوحي في شورا. فانهزم الملك الزوحيّ الى بلاد العرب ووقع زبدان وبيلبلدان أسيرَين بيد اسورناصربال واستاقهما الى كالح. وفي سنة ٨٧٨ رجع ثانية الى زوحي لأنّها لم تتّعظ بما اصابها من الدمار وامتنعت عليه. فنكّل بها واخرب خينداناً وخاريدي وكيبينا ومحافظةً لولايته هذه الجديدة بنى قلعتَين منيعتَين على الفرات احداهما على الجانب

---

(١) لعلّها حطو الحالية في ولاية بتليس

الايمن وسمَّاها نيبارت اسور والاخرى على الجانب الايسر ودعاها كرخ اسورناصربال

ولكن اقوى الممالك الارامية الممتـدَّة في الجزيرة الغربية كانت بيت اديني وكانت تشمل اقضية عينتاب وروم قلعة وبيرهجك وسروج واعظم قسم من منبج والرقة وقسماً من سنجاق دير الزور. فحمل الاثوريون على بيت اديني سنــة ٨٧٧ وشدّوا الحصار على قبرابي وكانت امنع مدينة فيها. فهدموا اسوارها وقتلوا فيهـا ثلاثمائة محارب واخربوها وارسلوا ٢٤٠٠ من سكّانها الى اطراف كالح. فخاف احوني ملك بيت اديني وسلَّم لهم كل مملكته

امَّا اسورناصربال فلم تستقرّ نفسه بافتتاح البلاد التي في شرقي مملكته وغربيها وشماليها بل حرّكتهُ حماسته ان يقتدي بالملوك العظام اسلافهِ اي بشركينا الاول ونارمسين وتغلاتپلاسر فيذهب مثلهم بفتوحاته الى بلاد السريان ايضاً. فبذل جهده في اعداد العُدَّة للحرب. وفي سنــة ٨٧٦ في اواخر نيسان خرج من كالح وتوغّل في الجزيرة وعبر الخابور والبليخ متوجهاً نحو قرقميش. فخافهُ سنجار ملك الحيثيين وخرج للقائه وفتح لهُ عاصمته وقدّم لهُ عشرين وزنة فضة وسبــائك وحلقاً وخناجر من ذهب ومائة وزنة نحاساً ومائتي وزنة حديداً وارجواناً وعاجاً واقمشة وغير ذلك من الاشياء النفيسة. ثم ان اسورناصربال بعد ان ضمّ الى جيشه الاجناد الحيثيين واصل سيره الى نهر عفرين نحو پاتين وظهر تحت اسوار حزاز (١). فقدمت لهُ المدينة فديةً عن نفسها كميَّة وافرة من الذهب والاقمشة. ثم عبر النهر واقام على ساحله معسكراً ومحصّناً لجمع الغنائم. ومشى على كتالوا عاصمــة پاتين فاسرع الملك لوبرنا ودان لهُ بالطاعة واعطاهُ عشرين وزنة فضة ووزنة ذهباً وثلاثمائة وزنة حديداً ونحاساً والف ثور وعشرة آلاف رأس غنم وغير ذلك من الاحجار الكريمة والآنيــة والاقمشة. ثم عبر نهر أرانتي (٢) وقاومتهُ مملكة لوحوتي (٣) فاخربها ونهب مدنهــا وصلب الاسرى. ومن هناك توجَّه نحو جبل لبنان وصعده ونهبهُ ثم نزل الى البحر المتوسّط. فسلَّمت لهُ جميع مدن فونيقي اي صور وصيداوجبيل وارواد وقدمت لهُ هدايا كثيرة

---

(١) عزز الحالية في اطراف حلب

(٢) المعروف اليوم بالعاصي

(٣) تحت حماة على الجانب الايسر من العاصي

نفيسة. واشتغل الاثوريون بقطع شجر الارز والصنوبر والسرو في جبال لبنان وحماتا وارسلوها الى نينوى

هنا تقف اخبار اسورناصربال. ولا علم لنا بما عملهُ في الستّ عشرة سنة التي عاشها بعد اخضاع بلاد سوريا. وكان قد بقي في اطراف حدود مملكته الواسعة ثلاث ممالك قوية وهي مملكة الكلدان ومملكة أرارطو ومملكة دمشق. فالظاهر انهُ لم يتجاسر ان يتعرّض لها بل اكتفى بفتوحاته وقضى باقي ايامه في الراحة متفرّغا لتريين كالح وزخرفتها. ومع هذا فانهُ سنة ٨٦٧ باشر غزوة في البلاد الشمالية التي كانت قد امتنعت عليهِ ونكّل بها ورجع عنها ومعهُ ستة آلاف اسير. وتوفي اسورناصربال الثالث سنة ٨٦٠ ق م

الفصل الثالث

شلمناسر الثالث (١) (٨٦٠—٨٢٥)

أرارطو ودمشق — غارات شلمناسر على نيري وبيت اديني — غارته الاولى على سوريا وواقعة قرقر — حربه مع بابل — غاراته الثانية والثالثة على سوريا — حرب أرارطو وغري — غارته الرابعة على دمشق وانتصاره — غزواته في اسيا الصغرى — غزوات دَيان اسور القائد وانتصاره على أرارطو — فتن اهلية في كالح — وفاة شلمناسر

انَّ شلمناسر (٢) اشتهر نظير ابيه واكثر منهُ ايضاً بالشجاعة والغزو. وملك خمساً وثلاثين سنة صرفها كلّها في المحاربة. فانَّهُ باشر فيها اثنتين وثلاثين غزوة. وكان ابوه قد خلّف له مملكة واسعة غنيّة ومعسكرًا ذا حزم وباس. وكانت ثلاث ممالك قويّة تحتاط بدولته الكبرى اي مملكة الكلدان ومملكة ارارطو

(١) ان العلماء الى هذه السنين الاخيرة كانوا يكتبون شلمناسر الثاني. لكن اكتشافات شرقات دلّتنا انهُ هو الثالث لا الثاني (راجع مجلة الكتاب المقدس: ١٨٧ حاشية ٧

(٢) عن شلمناسر هذا راجع اوپير: تاريخ دول الكدان واثور ١٠٨-١١٧ ; ورحلة في ما بين النهرين: 2 ٣٤٢-٣٤٧ ; وميتان تاريخ سني ملوك اثور: ٩٧-١٠٤ ; ومجلة الكتاب المقدس: ٦٢—٧٥ و١٧٩ ; وماسپيرو: 𒀭 ٥٢—٩٥ ; وأميود شيل: آثار شلمناسر الثاني

ومملكة دمشق. وكان ابوه قد دلّته فطنته ألاّ يتعرّض لها كما سبق الكلام. لكنّ شلمناسر هذا رغبة في اكتساب المجد والشهرة نوى ان يعظّم دولته ويوسّعها وذلك باستيلائه على هذه الممالك الثلاث ايضاً

انّ أرارطو او أراراط كما يسمّيها الكتاب المقدس (١) كانت في اطراف بحيرة وان وداخلة في البلاد التي كان الاثوريون يطلقون عليها اسم نيري. ويدعون سكّانها قلدي. وكان فيها عدّة امارات صغيرة اعظمها بياناس وعاصمتها دوسپاس وهي وان الحاليّة. واخذ ملوكها اصول التمدّن من اثور حتى انّ لسانهم الرسمي كان لسان الاثوريين. واوّل ملك على أرارطو شاردوري الاول وكان معاصراً لاسورناصربال . ثمّ خلفه أرامي وهو الذي وسّع المملكة وجرت له وقائع مع شلمناسر

امّا دمشق ويسمّيها العرب الشام فلم يكن لها شهرة في قديم الزمان. وقد خضعت للكلدان ثمّ للمصريين. وسكّانها الاوّلون كانوا اموريين ثمّ استولى عليها الاراميّون في الجيل الثاني عشر. وفي زمان داود الملك كانت في حوزة هداد عزار ملك ارام صوبا. وكانت ارام صوبا على ما يُظنّ في وادي العاصي الاعلى او في اطراف حوران (٢). ثمّ انّ داود بانتصاره على هداد عزار استولى على دمشق ايضاً. وفي زمان سليمان تسلّط رجل اسمه رزون على الشام وملك فيها (٣) ثمّ ملك بعده ابنه طبريمون ثمّ بنهداد الأوّل (٤). وهذان الملكان وسّعا مملكة دمشق السريانية واخضعا حماة وسوريا المجوفة وكل النواحي التي في البادية على سواحل الفرات. وصار لدمشق سيطرة على مملكتي اسرائيل ويهوذا ايضاً (٥). ولولا الاثوريون لشكّلت دمشق مملكة عظيمة قوية في سوريا

انّ شلمناسر في السنة الاولى من ملكه اغار على بلاد نيري . لانّ بعض الشعوب التي كان ابوه قد اخضعها خلعت له الطاعة ولعلّ الحركة من أرارطو. فاحرق مدينة أريدي. فخافه جميع الشعوب المجاورة واتوا وقدّموا له الطاعة. ومن هناك

---

(١) التكوين: ص ٨ ع ٤ (٢) ان المطران يوسف اقليميس داود (الكتاب المقدس: المجلد الاول ص: ٥٩٠ حاشية ١) توهّم بقوله ان ارام صوبا كانت نصيبين في الجزيرة

(٣) ١ ملوك: ص ١١ ع ٢٣ (٤) ١ ملوك: ص ١٥ ع ١٨ (٥) كذا ١٨—٢١

هجم على مملكة خوبوشكيا واحرق فيها مائة مدينة اوقرية. ثم صعد الى شوكونيا وكانت تحت حكم أرامي ملك ارارط. فقاومهُ السكّان مقاومة شديدة. لكنه انتصر عليهم واخرب بلادهم. وانتهى الى بحيرة وان وغسل فيها سلاحه وقدم الذبائح لآلهته ونقش صورته على صخرة هناك ورجع غانمًا الى نينوى. ولم يسترح فيها الأ بضعة اسابيع فانهُ توجّه نحو الجهات المغربيَّة ليثبّت فيها سلطته. فتداعى الى مقاتلته جميع ملوك تلك الاطراف اي احوني ملك بيت اديني وملوك كركم وشمأل وقوا وياتين وقرقيش وغيرها. وحاصر شلمناسر مدينتي للاتي وبورمرنا وافتتحها. فهرب احوني الى الجانب الآخر من الفرات. فطارده ملك اثور ونكّل بكركم ثم انقضَّ على شمأل وقد اجتمعت هناك لمقاتلتهِ جيوش بيت اديني وشمأل وياتين. فبدَّدها ونقش صورته بالقرب من ينبوع نهر سالوارا وهو قرهصو الحاليّ. ثمَّ هجم على ياتين وكان ينتظره هناك شبلولا ملك ياتين مع بقيَّة جيوش بيت اديني وشمأل وقرقيش وقوا وقيليقية فهزَمها كلّها واحرق قلعة ياتين وصعد الى جبل حمانا وهناك قطع خشب الارز والصنوبر ونصب تمثاله على جبل آلار ونزل الى البحر المتوسّط او البحر حيث تغرب الشمس كما يسمّيه هو وغسل فيه سلاحه مثل ابيه. وقبل هدايا مدن فونيقي الساحليَّة. ورجع الى اثور مستاقاً عددًا كبيرًا من الاسرى والغنائم

من عيوب السياسة الاثوريَّة انّها كانت تترك اغلب البلاد المفتوحة على شأنها وتكتفي باشتراط الجزية عليها دون ان تضع فيها نقطة عسكرية وتولّي عليها رجالًا اثوريّين. وحالما كانت الجيوش الاثورية تنسحب عنها كانت تمتنع وترفض اداء الجزية. الامر الذي جبر شلمناسر ان يعود اليها سراعاً فيُدخلها ثانيةً وثالثةَ ورابعةً في طاعته. فالظاهر ان بيت اديني والممالك المجاورة لها لم تعتبر بكلّ ما اصابها من الدمار. بل تجرأت وابت الطاعة لاثور. فزحف شلمناسر ثانيةً بجيوشه سنة ٨٥٩ وكسر احوني بالقرب من تل بارسيب عاصمته. ثمَّ عبر الفرات وافتتح سورونو وباريبا ودبيگا(١) وستة قصور ومائتي قرية. ثم دخل في ارض قرقيش وَنكّل باهاليها شديدًا حتى انَّ جميع الملوك الحيثيّين اتوه بهداياهم طالبين العفو والامان. فقدَّم له شبلولا ملك ياتين

(١) في قضاء عينتاب

ثلاث وزنات ذهباً ومائة وزنة فضّة وستمائة وزنة نحاساً وحديداً. وما عدا هذه الهدايا فرض عليهِ وعلى ملوك شمأل واكوسي وكُمّاجين خواجاً يؤدّونهُ له كل عام

وفي سنة ٨٥٨ رجع شلمناسر مرّة اخرى الى بيت اديني. لأنَّ ملكها احوني لم يكن بعد قد قُبض عليهِ. وكان قد التجأ الى أرامي ملك أرارطو وطلب معونته. ولم يلبث طويلًا حتى اتاه الخبر ان ملك اثور مقبل نحوه بجيوشه. فحصّن مدن بيت آديني وولّى عليها رجالًا من خاصته وتوغل في بلاد ارمينية قاصداً ملك ارارط. فاحرق ملك اثور إنزيتي ومن هنــاك خرج الى ساحل ارزانيا (١) ونهب سوخمي ودياني. ثم ظهر تحت اسوار مدينة أرزَشخون في شمالي بحيرة وان. وكان الملك ارامي قد تحصّن في جبل أدُوري في موقع منيع الى الغاية. فهجم عليه شلمناسر بشدّة عجيبة وكسره وقتل من عساكره ٣٤٠٠ رجل وضبط معسكره وكنوزه وعرباته واحرق القرى والزروع واخرب مدينة ارزشخون واثخن الجراح في سكّانها. ثمّ تسلّق سلسلة جبل إريتيا ونهب ارمالي وزنزيونا ومن هناك نزل الى سواحل بحيرة وان وغسل فيها اسلحته وقدّم الذبائح وحفر على صخرة هناك اخبار غزوته هذه. ثم انقضّ على كَيلزان فسلّم لهُ الملك سُوا وادّى له الجزية. لكن ككيا ملك خوبوشكيا قاومه. فحاربه الاثوريون وانتصروا عليهِ وقتلوا من عسكره ثلاثة آلاف رجل وافتتحوا شيلايا عاصمته واخذوا منــهُ عدداً لا يحصى من الثيران والخيل والغنم

وكان احوني ملك بيت اديني قد انتهز الفرصة من غارة شلمناسر على ارارط وتحصن بين تلال شيتامرات في الجانب الايمن من الفرات. فحمل عليه شلمناسر سنة ٨٥٧ وجبره ان يطلب الامان. فقُبض عليهِ وعلى عسكره واستيقوا الى اثور

ولم تكن نار الحرب قد انطفات تماماً في الجهات الغربية الّا وقدحت في الجهات الشرقيّة ايضاً. فاسرع شلمناسر وعبر في مضيق بونكشلو وانقضّ على مازموا. فتراكض الاهالي الى سفنهم وتوغلوا في بحيرة اورمية. فصنع الاثوريون اكلاكاً ركبوها وطاردوا العدوّ وصبغوا مياه البحيرة بدمه

انَّ شلمنــاسر قد ذلّل مملكة أرارطو فبغى ان يتحرّش بمملكتَي دمشق

(١) مراد صوبي الحاليّ

والكلدان ايضاً . فخرج من نينوى في ١٤ ايار سنة ٨٥٤ . وعبر الفرات على اكلاك عند تلبارسيپ . واتاه جميع ملوك سوريا الشماليَّة الذين كانوا خاضعين له ليسجدوا له ويقدّموا له هداياهم . وكانوا سبعة : سنكّار ملك قرقيش وكوندشپي ملك كُمَّاجين وارامي ملك اكوسي (١) وللّي ملك ميليدا (٢) وحياني ملك شمأل (٣) وكربرودا ملك پاتين . وكرپرودا ملك كركم (٤) ثم مشى على حلمــان (٥) واستولى عليها ودخل في ارض حماة وافتتح بعضاً من مدنها

انَّ بنهداد او برهداد الاول ملك دمشق كان قد توفي وتخلّف بعده اداديدري وهو الذي يسمّيه الكتاب القدّس بنهداد باسم ابيه بنهداد الاول . وكان ذا حزم وقاتل احاب ملك اسرائيل واضطرّ احاب ان يعاهده (٦) فلمَّا سمع اداديدري بقدوم الاثوريّين حشد جيشه وكان مؤلفاً من ١٢٠٠ عربة حربيَّة و ١٢٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ راجل . واسرع فاستعان بملوك سوريا حلفآئه . فاعانه ارحوليني ملك حماة بجيش مؤلّف من ٧٠٠ عربة و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ راجل . وجيش احاب ملك اسرائيل كان مركّباً من ٢٠٠٠ عربة و ١٠٠٠٠ راجل . ونجدة ملك قوا (٧) كانت مؤلفة من ٥٠٠ رجل . ونجدة ملك مصري (٨) من ١٠٠٠ جندي . ونجدة ملك إرقانات (٩) من عشر عربات و ١٠٠٠٠ جندي . ونجدة ماتينو ملك ارواد من ٣٠٠ رجل . ونجدة ملك أوسنات (١٠) من ٢٠٠ محارب . ونجدة ادونا ملك شياتا (١٠) من ٣٠ عربة و ١٠٠٠٠ جندي . ونجدة جنديب ملك العرب من ١٠٠٠ جمل ونجدة بعشا ملك العمونيّين من ١٠٠٠٠ محــارب . فاشتمل الجيش كلّه على ٧١٩٠٠ راجل و ١٩٠٠ فارس و ٣٩٤٠ عربة . و ١٠٠٠ جمل

فكان اداديدري ملك دمشق مع الملوك حلفــائه ينتظر شلمناسر في قرقر بالقرب من حماة . فحدثت معركة شديدة دموية هناك . وكانت النصرة للاثوريين وقتــلوا من عسكر العدوّ ١٤٠٠٠ رجل او ٢٥٠٠٠ حسب رواية اخرى . قال

---

(١) بين پاتين وجبل حمانا وهو اللكام (٢) مالاطية
(٣) زنجرلي الحاليَّة (٤) في جنوبي مرعش (٥) حلب
(٦) ١ ملوك : ٢٠ (٧) في قيليقية (٨) في شمالي سوريا ؛
(٩) تلّ عرقا بالقرب من طرابلس
(١٠) على ساحل البحر المتوسّط في بلاد فونيقي

شلمناسر في احدى كتاباته: «بالقوّة العليّة التي منحني اياها الرب اشور وبالاسلحة القاطعة التي سلّمها اليّ نركال الماشي امامي اني حاربتهم وهزمتهم من حدود قرقر الى مدينة كيلزا. ووقّعت باسلحتي من عساكرهم ١٤٠٠٠ محارب وانزلت عليهم طوفاناً مثل الاله اداد وكوّمت جثثهم. وغطّيت وجه الارض باجنادهم العديدة واجريت دماءهم باسلحتي في شقوق الارض. انّ الصحراء بانت صغيرة لا تسع جثثهم. والارض الواسعة لم تكفِ لقبورهم. فملأت نهر أورونت (العاصي) باجسادهم. وكأني بها قد صارت عليهِ جسراً. وفي هذه الغزوة اخذت عرباتهم وخيلهم وحصنهم وجهازهم» اه

ان شلمناسر الملك عوضاً عن ان يطارد الاعداء فيضربهم ضربة قاطعة ويقتطف اثار نصرته هذه توجّه نحو البحر المتوسط للسياحة. ولنا ان نستنتج من حركته هذه إمّا انهُ تلف جانب عظيم من جيشه فلم يتجاسر ان يتتبّع العدو واماً انهُ اساء التدبير اذ خلّاه وشأنه بعد انكساره هذا. وفي السنة التابعة ايضاً لم يقدر ان يرجع اليهِ لانهُ اشتغل بامور الحيثيين والكلدان وبذلك مكّن السوريين من التجهز

ان سنكّار ملك قرقيش وسائر امراء الحيثيين أبوا اداء الجزية لشلمناسر ظنّاً منهم انهُ لا يرجع ولا يحمل عليهم. وكذلك امراء تل أبني وجبل كشياري نشروا لواء العصيان. فحمل عليهم شلمناسر سنة ٨٥٣ وصرف السنة كلها في اخضاعهم

وفي سنة ٨٥٢ حدثت فتن اهلية في بابل. فان مرودخشمدان ومرودخبيلسات كانا يتنازعان الملك. فالتجأ مرودخشمدان الى ملك اثور. فاغار شلمناسر سنة ٨٥١ على بلاد الكلدان وبدّد جيوش مرودخبيلسات وثبّت الملك لصديقه مرودخشمدان. وقد سبق لنا الكلام عن ذلك في اخبار مملكة بابل (١) ولمّا استبدّ لهُ الامر من جهة بابل قدر ان يجمع جيوشه فيحمل بها على بلاد سوريا

فلمّا كانت سنة ٨٥٠ عبر شلمناسر الفرات لثامن مرة. ونكّل بالحيثيين. ثم حمل على بلدة أكوسي وافتتح أرني عاصمتها مع مائة قرية من قراها. وفي سنة ٨٤٩ عبر الفرات لتاسع مرّة ونهب مدن الحيثيين واكوسي التي امتنعت عليهِ ولعلّها اتفقت مع دمشق. وتوجّه الى پاتين واخذ منها الفدية. ومن هناك زحف بجيوشهِ على حماة

---

(١) طالع ص: ٣٩—٤٠ من هذا الكتاب

والتقى باداديدري ملك دمشق والملوك حلفـائهِ فحاربهم شديداً وقهرهم. قال في احد آثاره: « في السنة الحادية عشرة من ملكي خرجت من نينوى وعبرت الفرات لتاسع مرّة في اثناء فيضانهِ. وفتحت سبعاً وتسعين مدينة من مدن سنكّار . وفتحت ايضاً مائة مدينة من مدن ارام فاخربتها واحرقتها بالنار . ثم مشيت طول حمّانا (١) وقطعت جبل يراقو فنزلت الى مدن حماة وافتتحت مدينة أشماك مع تسع وتسعين مدينة اخرى (٢) فنهبتها وقتلت سكانها. وحينئذٍ قام عليَّ اداديدري ملك دمشق وارحوليني ملك حماة مع اثني عشر من ملوك سواحل البحر ليحاربوني ويبارزوني. فحاربتهم وقهرتهم وقتلت باسلحتي عشرة آلاف رجل من عساكرهم واخذت عرباتهم وخيلهم وآلاتهم الحربية » . ومع هذا كلهِ لم ينتهز الاثوريون او لم يقـدروا ان ينتهزوا الفرصة ليعاقبوا العدو ويستولوا على بلاده. فرجعوا الى بلادهم عن طريق جبل حمانا وهناك قطعوا خشب الارز واتوا بهِ الى نينوى

ولم يرجع شلمناسر الى سوريا الّا بعد سنتـين . فانهُ في سنة ٨٤٨ حمل على يقرحبوني من اعمال مملكة بيت اديني . وفي سنة ٨٤٧ اغار على يَشترتي في يَنيتي بالقرب من ينابيع دجلة . فلماّ كانت سنة ٨٤٦ حمل ثالثة على سوريا وكان جيشهُ هذه المرّة مؤلفاً من ١٢٠٠٠٠ مقاتل. وانتشب القتال شديداً بينهُ وبين ملك دمشق وحلفـائه . وقال عن نفسهِ: « اني انتصرت عليهم فاخربت عرباتهم وقتلت خيلهم وضبطت آلاتهم الحربية فانهزموا طلباً للنجاة ». هذا قول شلمناسر . ولكن يظهر انهُ في هذه المرة ايضا لم ينجح مثلما كان يرغب. فانهُ لم يتجرأ على مطاردة العدو في هزيمتهِ. وانتظر ثلاث سنـين اي الى سنة ٨٤٢ للهجوم على سوريا لرابع مرَة. وفي هذه المدّة حمل أولًا على بلاد نيري ونقش صورتهُ على صخرة بقرب احد ينـابيع دجلة بجانب صورة تغلاتپلاسر الاول (٣) ومن هناك دخل مملكة أرارطو فنهب واخرب وصعد حتى ينابيع الفرات حيث غسل اسلحتهُ . وكان ذلك سنة ٨٤٥ وفي سنة ٨٤٤ عبر الزاب الاصغر وتوغّل في بلاد نمري. فانهزم ملكها مرودخمدّيق الى الجبال. فاخذ شلمناسر كنوزه كلّها وملّك مكانهُ رجلا يقال لهُ ينزو . وفي سنة

---

(١) جبل اللكام (٢) الظاهر ان شلمناسر بقوله المدن يعني المدن والقرى ايضاً

(٣) راجع ص ٥٦ من هذا الكتاب

٨٤٣ عمل سياحة في سوريا الشمالية وذهب الى جبل اللكام ليقطع فيهِ خشب الارز او بالاحرى ليجسّ احوال مملكة دمشق . فرأى الفرصة مناسبة لكي يضرب السريان ضربةً قاطعة حيث ان بعض الملوك كانوا قد خرجوا من المحالفة الدمشقية . وكان اداديدري قد مات وجلس مكانهُ حزائيل

ففي سنة ٨٤٢ زحف بجيوشه على سوريا وكان حزائيل ملك دمشق قد تجهز لمحاربته لكنهُ لم يجسر على مبارزته في الصحراء كما كان يفعل اداديدري بل تحصَّن في جبل سانير . فهجم عليهِ الاثوريون هناك وقاتلوهُ شديداً وقتلوا من عسكره ١٦٠٠٠ راجل و٤٧٠ فارساً وضبطوا منهُ ١١٢١ عجلة حربية . فانهزم حزائيل مع بقية جيشه . وتتبَّعهُ شلمناسر حتى مدينة دمشق وقطع الاشجار المثمرة ونهب القرى وتوغَّل في جبال حوران وغنم غنيمة عظيمة لا تحصى . ثم نزل الى بلاد فونيقي ونقش صورتهُ على ساحل نهر الكلب بجانب صورة تغلاتپلاسر الاول . وادّت لهُ الجزية كل مدن فونيقي وارسل لهُ ياهو ملك اسرائيل هدايا ثمينة منها قضبان من ذهب وفضة وصحون وكؤوس وآنية من ذهب

وفي سنة ٨٤١ رجع شلمناسر الى سوريا يتنزَّه في جبل اللكام وقطع فيهِ خشب الارز . وفي سنة ٨٤٠ زحف على قوا . وفي سنة ٨٣٩ رجع مرَّة اخرى الى الشام ولم يتجرأ حزائيل ملك دمشق على مقاومته . قال ملك اثور في احد اثاره : «في السنة الحادية والعشرين من ملكي عبرت الفرات للحادية والعشرين مرّة وحملت السلاح على مدن حزائيل ملك دمشق وافتتحت اربعاً من مدنه واخذت الجزية من صور وصيدا وجُبيل»

ولمَّا فرغ شلمناسر من امر ملوك سوريا وجَّه افكاره نحو اسيا الصغرى . فحمل سنة ٨٣٨ على بلاد التوباليين واخضع فيها اثنين وعشرين ملكاً . وفي سنة ٨٣٧ استولى على قلعة اوطاش في اطراف مالاطية . وكان يروم ان يحمل من هناك على قيليقية ليثبّت فيها سلطتهُ وبينما هو كذلك اتاهُ خبر انَّ غري خلعت طاعتهُ . فاسرع اليها واخضعها ومن هناك انقضَّ على بلاد پارسوا وذلّل فيها سبعاً وعشرين اميراً . وفي سنة ٨٣٦ اغار على قيليقية واخرب تيمور عاصمة قوا . وفي سنة ٨٣٥ افتتح مدينتي تناكون وطرسوس

ولا يخفاك ان غزوة شلمناسر هذه الاخيرة كانت الخامسة والعشرين من غزواته وكان قد ملك خمساً وعشرين سنة فيكون في كل سنة قد باشر هو بنفسه غزوةً وفي جميعها كان يرجع الى عاصمتهِ غانماً مظفَّرًا وهكذا وسَّع مملكتهُ توسيعاً عظيماً فرغب في الاستراحة ولعلَّ المرض او الشيخوخة جبرتهُ على ذلك . ومع هــذا لم ينكفَّ عن الفتوحات التي اجراهــا على يد قواده . والاشهر فيهم كان الترتار ديان اسور . واوَّل غارة هذا البطل كانت في الجهات الشمالية . فان سكان وادي الدجلة الاعلى وجبل ماشا وهو ماسيوس (١) امتنعوا من تأدية الخراج . فحمل عليهم ديان اسور واخضعهم . ثم عبر نهر ارزانيــا (٢) ودخل في حدود أرارطو . وكان المالك عليها حينئذٍ شاردوريس الثاني فقاتلهُ القائد الاثوري وانتصر عليهِ . وفي السنة التابعة اغار على پاتين (٣) لان الاهالي قتلوا ملكهم لوبارنا واجلسوا مكانهُ رجلا اسمهُ سوري . فصلب ديان اسور الرؤساء ومَلَّك على پاتين رجلًا يقــال لهُ ساسي . وفي سنة ٨٣٢ حمل السلاح على كيرخي ونكّل بها . وفي سنة ٨٣١ اغار على خربوشكيا(٤) ولمَّا لم يرَ فيها احدًا يقاومهُ انقضَّ على مناي فانهزم ملكها وَالكي واستخفى في الجبال . فنهب الاثوريون مملكتهُ ومن هناك حملوا على پارسوا (٥) وغنموا فيهــا غنيمة عظيمة . وفي سنة ٨٣٠ زحف ديان اسور على موزازير واحرق سبعا وخمسين مدينة او قرية . ودخل ثانية في أرارطو ونهبها ثم توجه نحو الجنوب جامعاً على طريقهِ الجزية من گوزان ومناي وأنديا حتى دخل بلاد غري (٦) واخرب فيها مائتي وخمسين مدينة او قرية

وكان لشلمناسر ابنان اسوردانيبال وشمشيداد . ولمَّا رأى اسوردانيبــال ان اباهُ قد شاخ وتسلَّطت عليهِ الامراض وانهُ تنزَّل عن قيادة الجيش اراد ان يجلس على تخت المملكة وابوه في قيد الحياة . فاحتال وجذب اليهِ كل اثور تقريباً ونشر لواء العصيان وكان ذلك سنة ٨٢٨ فتحزَّبت لهُ سبع وعشرون مدينــة منها اثور

---

(١) قرهجه طاغ (٢) مراد چاي الحالي
(٣) فى غربي قرقميش في سوريا (٤) بين حيزان وشتاق
(٥) مناي وپارسواها في اطراف بحيرة اورمية
(٦) في الجانب الايسر من نهر ديالة

ويكوربيل ونينوى واربيل وسيانيبا ودوربلط (١) وزابان وأرباحا (٢) . وانضمّت اليهِ اكثر المستعمرات الاثورية مثل امد وخيندانا وتلّ أبني . فلم يبق مع الملك سوى كالح واطرافها ونصيبين وحران والبلاد المفتوحة من عهد قريب . ولا بدّ من ان الجيش ايضاً بقي اميناً معهُ . فسلّم شلمناسر الامر بيد ابنهِ شمشيداد . وتمادى القتال بين الاخوَين نحو ثلاث سنين حتى انتصر شمشيداد على اخيهِ اسوردانيبال وقتلهُ . ومات شلمناسر سنة ٨٢٥ وقد قام بالملك ٣٥ سنة

الفصل الرابع

شمشيداد الرابع (٨٢٥—٨١٢)

غزوات ربشاقي متريز اسور في نيري وفي بلاد ايران — غارات شمشيداد على بلاد الكلدان — شميرام الملكة

ان شمشيداد الرابع (٣) جلس مكان ابيهِ سنة ٨٢٥ وبذل كل جهده لكي يحافظ على الملك الجسيم الذي خلّفهُ لهُ ابوهُ . وفي الحرب الاهلية التي جرت قبل جلوسه بينهُ وبين اخيهِ اسوردانيبال كان الماديون والسريان وسكان نيري وغيرهم قد انتهزوا الفرصة واقصروا عن تأدية الخراج . فاغار اولًا على نيري واخضعها من جديد لقضيب اثور . والغزوة الثانية باشرها ربشاقي متريز اسور . وكان ميدانها في اطراف بحيرة اورمية وتوغل متريز اسور في أرارطو واخرب فيها ثلاثمائة مدينة او قرية . وفي الغزوة الثالثة زحف ربشاقي بجيوشهِ على بلاد ايران ايضاً فاغار اولًا على ميزي وتحصّن السكّان في الجبال . فحمل عليهم واثخن فيهم الجراح ومن هناك هجم على كزيلبوندا وافتتح اوراش عاصمتها وقتل فيها ستة آلاف رجل . ثم توغّل في مادي وقتل منها خلقاً كثيراً . ومن هناك رجع الى بلاد ارزياش فاتاهُ أمراؤها العشرون وسلّموا لهُ طوعاً

---

(١) لعلّها هي بلد الحالية (٢) كانت هذه المدينة على الزاب الاكبر في الموقع المسمى الان دشت هرير او دشت هاران (٣) راجع عن شمشيداد الرابع اوپير: تاريخ دول الكلدان والاثوريين ١٢٢—١٢٨ ; مينان : تاريخ سني ملوك اثور: ١١٩—١٢٤ ; ماسپيرو: ܓ ٩٥-٩٨

وكانت مملكة الكلدان منذ ربع قرن تحت حماية اثور فآثر ملكها مرودخبلاتسكبا ان يطرح عنهُ هذا النير . وفي سنة ٨١٨ اغار شمشيداد الرابع على كلدو وقتل وسبى وضبط مدناً كثيرة وجبر الملك البابلي ان يضع مملكته ثانية تحت حماية الاثوريين . غير ان هذه المعاهدة لم تدم سوى ستّ سنين فان باوخدان خليفة مرودخبلاتسكبا لم يقبل عليهِ سيطرة شمشيداد . فاغار الاثوريون من جديد على بلاد الكلدان ودامت المحاربة من سنة ٨١٣ الى سنة ٨١٢ . ومات شمشيداد قبل انتهائها . وقد مرّ الكلام عن هذه الحروب في اخبار الكلدان (١)

وكان لشمشيداد الرابع امرأة اسمها شميرام او شمورمات . ومعنى شميرام بالكلدانية الاسم العالي . وقد عثر الالمان في سنة ١٩٠٩ على تمثالها في اخربة شرقات وهي مدينة اثور القديمة ومحفور على التمثال ما نصه : «شميرام سيّدة قصر شمشيداد ملك العالم ملك بلد اثور امّ ادادنيراري ملك العالم ملك بلد اثور كنّة شلمناسر ملك الاقطار الاربعة (٢) » . قال بعض العلماء ان شميرام التي نسب اليها القدماء اخبارا عجيبة مشوّهة بالاوهام وانها بنت بابل ومدناً اخرى (٣) هي شميرام هذه قرينة شمشيداد

الفصل الخامس

ادادنيراري الثالث (٨١٢—٧٨٣)

انتصار ادادنيراري على الكلدان — غاراته المتعدّدة — افتتاحه لدمشق — حدود الدولة بايامهِ

بعد وفاة شمشيداد الرابع جلس مكانه ابنه ادادنيراي الثالث (٤) سنة ٨١٢ . وهو الذي ختم الحرب التي كانت جارية بين الكلدان والاثوريّين . فانهُ انتصر على بَأوخدان واستاقهُ اسيرًا الى اثور هو وكل عائلته وكل حاشيته .

---

(١) راجع ص : ٤٠—٤١ من هذا الكتاب (٢) مجلة الكتاب المقدس : ٩ ١٨٠

(٣) راجع ص : ٤٤—٤٦ من هذا الكتاب (٤) عن ادادنيراري الثالث راجع اوبير : ص ١٣٠—١٣١ وميتان : ص ١٢٦—١٢٧ وماسبيرو : ج ٣ ص ٩٨—١٠٠

وكان ادادنيراري ذا حزم وذكاء. وملك مظفرًا نحو ثلاثين سنة. وقد وصلت الينا جميع غزواته ولكن لسوء الحظ قد ذهبت عنّا تفاصيلها. فانهُ اغار على مادي سنة ٨١٠ وعلى كوزان ٨٠٩. وعلى مناي ٨٠٨ و ٨٠٧. وعلى سوريا ٨٠٦ و ٨٠٥ و ٨٠٤ و ٨٠٣ واخضع ارپاد وحزاز ودمشق والمدن الفونيقيّة. وكان حزائيل ملك دمشق قد مات وقام مكانهُ ماري. فانتصر عليه الاثوريّون وحاصروا دمشق وافتتحوها. قال ادادنيراري في احدى كتاباته: «اني حملت على بلد دمشق وحبست ملكها ماري في دمشق عاصمته. فخوف جلالة اشور ربّي اسقطهُ على الارض فخرّ قدام رجليَّ مقرًّا بسلطتي وفي مدينة دمشق نفسها عاصمته وفي قصره اخذت منهُ ٢٣٠٠ وزنة فضّة و ٢٠ وزنة ذهباً و ٣٠٠٠ وزنة نحاساً و ٥٠٠٠ وزنة حديدًا. وثياباً مزركشة والبسة من كتان وسريرًا من عاج وعرشاً كلّه من عاج. واخذت ايضاً كنوزه وثروته كلّها.»

وبعد ان اخضع بلاد سوريّا كلها اراد ان يمدّ سلطته على الجهات الشرقيّة ايضاً ففي سنة ٨٠٢ و ٧٩٢ و ٧٨٤ زحف على خوبوشكيا. وفي سنة ٨٠١ و ٨٠٠ و ٧٩٤ و ٧٩٣ و ٧٩٠ و ٧٨٩ و ٧٨٨ و ٧٨٧ على مادي. وسنة ٧٩٩ على لوشيا. وسنة ٧٩٨ على نمري. وسنة ٧٩٦ و ٧٩٥ و ٧٨٥ على ديري. وسنة ٧٩١ و ٧٨٣ و ٧٨٢ على إيتوعـا. وسنة ٧٨٥ على كيشكي. وتوفي ادادنيراري سنة ٧٨٣. وتخلّف بعده ابنه شلمناسر الرابع

انَّ دولة اثور الثانية اتّسعت بايام ادادنيراري اتساعاً عجيباً. فكان يحدُّها شرقاً مثلما قال هو في احد اثاره على جبال إلبي وعلى خوخو وأزرياش وميسو ومادي وعلى كيزيلبوندا باسرها وعلى مناي وپارسوا وألابريا. وشمالًا على أبدادانا وعلى بلاد نيري الواسعة وانديو. وغرباً على بلاد الحيثيّين والاموريّين وعلى صور وصيدا ومملكة اسرائيل وادوم وفلسطين وجنوباً على بلاد الكدان. يعني انها كانت تمتدّ من مادي وعيلام وخليج العجم الى البحر المتوسط ومصر والبحر الاحمر

الفصل السادس

انحطاط دولة اثور العظمى الثانية على ايام شلمناسر الرابع (٧٨٣ - ٧٧٢) واسوردان الثالث (٧٧٢—٧٥٤) واسورنيراري الثالث (٧٥٤—٧٤٦) . انتصارات أرارطو . حكاية سردانابال

انَّ شلمناسر الرابع (١) ملك احدى عشرة سنة وفي ايامه وايام خلفائه سقطت اثور من ذروة العظمة التي بلغت اليها بهمّة اسورناصربال وشلمناسر وادادنيراري كما مرّ بك . انَّ مملكة أرارطو في ارمنيَّة كانت قد قويت شوكتها حتى انَّها ضبطت بعض البلاد من الاثوريّين . (٢) وانتشب القتال بين شلمناسر الرابع ملك اثور وأرغيستيس ملك أرارطو سنة ٧٨١ في اطراف ينابيع نهر دجلة . فسلمت نيربا للارارطيّين وغزا ارغيستيس ممالك الحيثيين الى مالاطية . وفي سنة ٧٨٠ جرت الحرب في خاخياس في وادي نهر بهتان . والظاهر انَّ النصرة لم تظهر لاحد الفريقين . فانَّ كلّا منهما ينسب الغلبة لنفسه . وفي سنة ٧٧٩ و ٧٧٨ كان ميدان الحرب في بارسوا وبستوس في اطراف بحيرة اورمية . وكانت النصرة لملك ارارط . وفي سنة ٧٧٥ اغار شلمناسر على جبل حمانا في سوريا . حيث ظهرت بعض القلاقل فانتهز الارارطيون الفرصة وتسلَّطوا تماماً على جميع الممالك الصغيرة التي في اطراف بحيرة اورمية . ومن هناك حملوا على بلاد نمري . فاسرع شلمناسر لكي يخلِّصها من يدهم . لكنَّهُ انكسر . وكانت بلاد سوريا باقية بعد في حكم الاثوريّين واتى في تواريخهم انَّهم في سنة ٧٧٣ حملوا السلاح على دمشق وفي سنة ٧٧٢ على حدرك (٣) . ومات شلمناسر في تلك السنة عينها (٤)

وانحطَّت مملكته اكثر على ايام اسوردان الثالث الذي خلفهُ سنة ٧٧٢ (٥)

---

(١) ان المؤلّفين كتبوا اولاً شلمناسر الثالث . لكن من اكتشافات شرقات الاخيرة عُرف ان شلمناسر هذا هو الرابع لا الثالث وان شلمناسر خليفة اسورناصربال هو الثالث لا الثاني . (راجع ص ٦٥ حاشية : ١)

(٢) عن مملكة أرارطو وانحطاط الدولة الاثورية راجع ماسبيرو : ٣ ص ١٠٢—١١٤

(٣) بالقرب من حماة

(٤) راجع مجلة الكتاب المقدس : ٩ ١٨٧—١٨٨

(٥) مجلة الكتاب المقدس : ص ١٨٨

والظاهر انَّ هذا الملك لم يتجاسر ان يبارز الأرارطيين بل اجتهد خاصّة في حفظ رعاياه من غارات الشعوب الذين في شرقيّ مملكته وغربيّها. وفي سنة ٧٧١ زحف على كُنانالي (١). وفي سنة ٧٦٩ على الايتوعيّين. وفي سنة ٧٦٧ اغار ثانيةً على كُنانالي. وفي سنة ٧٦٦ على مادي وفي سنة ٧٦٥ على حدرك في سوريا. ومن ذاك الحين بدات البلايا تنقضّ على دولته. فانَّ الوبأ ظهر فيها وفتك بها فتكاً ذريعاً. وفي سنة ٧٦٣ كسفت الشمس ونشرت مدينة اثور لواء العصيان واقتدت بها مدينة ارباح على الزاب الاكبر وبلد كُوزان في اطراف خابور. والباثُ انَّ سبب عصيانهم هو استكراههم لملكهم اسوردان من جرّاء غفلته. وظهر الوبا ثانية سنة ٧٥٩. وبذل اسوردان جهده باصلاح الامور وصرف خمس سنين في اطفاء نار الفتنة. وفي تلك المدّة المنحوسة انتهزت الفرصة اغلب البلاد الخاضعة لاثور وامتنعت عن تادية الخراج وبقي اسوردان مستريحاً في قصره ولم يحمل السلاح لكبح الشعوب المتمرّدة الا في سنة ٧٥٥ فانه اغار اولًا على حدرك. ثمَّ على ارپاد. ومات في سنة ٧٥٣ وجلس مكانه ابنه اسورنيراري (٢) الثالث

وكان هذا اكثر غفلة من ابيه وتشاغل بالملاهي عن الغزو. وفي كل مدَّة ملكه لم يخرج الّا مرتين للمحاربة وذلك على البلاد القريبة من عاصمته اعني بها بلاد نمري. فسآءت اكثر فاكثر احوال اثور في ايامه ولم يبق تحت حكمها سوى المستعمرات الاثورية التي في وادي الدجلة الاعلى اي في اطراف آمد وبلاد ما بين النهرين والمدن التي على سواحل خابور وقسم من بيت اديني الواقع في الجانب الايسر من الفرات. فلمّا رأى الاثوريون ما هو عليهِ ملكهم من الغفلة والرخاوة في تدبير امور المملكة قاموا عليهِ واحدثوا فتنة عظيمة في كالح سنة ٧٤٦ وفيها نُزّل اسورنيراري عن كرسي المملكة ونُصب مكانه تغلاتپلاسر الثالث. وكان ذلك في ١٢ ايار سنة ٧٤٥. وهو الذي اقام اثور من سقطتها هذه الثانية كما انَّ تغلت نينيب الثاني اقامها من سقطتها الاولى

انَّ المؤرخين القدماء الذين كانوا يجهلون اسماء الملوك العظام الذين اشتهروا في اثور في الجيل السابق اعني بهم تغلت نينيب الثاني واسورناصربال الثالث وشلمناسر

---

(١) خانقين (٢) مجلة الكتاب المقدس ١٨٩

الثاني وشمشيداد الرابع وادادنيراري الثالث وضعوا مكانهم جدول ملوك متغافلين متقاعدين عن امور المملكة وقالوا انَّ آخرهم كان سرداناپال وانَّهُ في ايامه خربت نينوى الخراب الاول نحو سنة ٧٨٩ قبل المسيح. وقالوا عن سرداناپال انَّهُ كان متفرّغاً للملاهي والملذات ملازماً دار الحرم لابساً ثيـاب النسآء متخلّقا باخلاقهنّ فاغتنم الفرصة اثنان من الملوك أتباعهِ اي ارباق امير مادي وبلاسيس ملك بابل وحاولا ان ينبذا نير الاثوريّين عنهما. فقام سرداناپال لمحاربتهما وانتصر عليهما. لكن البختريّين الذين كانوا قد اتوا لمساعدته انقادوا الى الماديّين والبابليّين فاستقووا عليهِ. وهرب سرداناپال الى نينوى وتحصَّن فيها. فاقام الكلدان والماديّون يحاصرونها مدّة سنتين. وفي السنة الثالثة وقعت امطار كثيرة ففاضت مياه دجلة وهدمت جانباً عظيماً من السور. فتذكّر سرداناپال حينئذ ما كان قد أُوحي اليهِ بانَّهُ يكون دائماً منصورًا الى اليوم الذي فيهِ يقوم النهر عليهِ. فلم يرد ان يقع اسيرًا بين ايدي ملوك كانوا من اتباعهِ. فاضرم قصره بالنـار وباد بها هو ونسآؤه قاطبةً

هذه هي حكاية سرداناپال. وقال عنها ماسپيرو (١) انها وهميَّة لا اصل لها وكذلك قل عن حكاية شميرام. فانَّ الاجيال الاخيرة نسبت الى شميرام جميع فتوحات وغزوات ملوك اثور الاوَّلين (٢) واماَّ رخاوة الملوك الذين تقاعدوا عن امور المملكة فنسبتها الى سرداناپال

واماَّ رأينا نحن في سرداناپال فهو انَّهُ شخص تاريخي وهو نفس اسوردانيپال او اسورداناپال ابن شلمناسر الذي سبق الكلام عنهُ انَّهُ رفع لوآء العصيان على ابيهِ وانَّ اخاه شمشيداد حـاربه وانتصر عليهِ وقتلهُ. ومن المحتمل انَّهُ تحصَّن في نينوى وانَّ شمشيداد حاصره فيها. ولمَّا افتتحها احرق اسورداناپال قصره وباد بالنار فترى انَّ التقليد لم يزد على هذه الحكاية شيئاً كثيرًا بل عوض شمشيداد وضع ارباق امير مادي وبلاسيس ملك بابل

---

(١) ماسپيرو: ٤٥٢ و٧٦٨–٧٦٩

(٢) راجع ص ٤٥–٤٦ من هذا الكتاب

الباب الرابع

في دولة اثور الكبرى الثالثة (١) (٧٤٥–٦٠٨)

الفصل الاول

تغلاتپلاسر الثالث (٧٤٥–٧٢٧) (٢)

مناقب تغلاتپلاسر — احوال الكلدان وأرارطو — انتصار تغلاتپلاسر على القبائل الاراميَّة الكلدانيَّة وعلى غمري ومادي وارارطو وسوريا — غزواته في مادي وارارطو ومملكة اسرائيل — جعل دمشق ولاية اثورية — اخضاع شمسي ملكة العرب — اخذ تغلاتپلاسر لقب ملك اكاد وشومير

انَّ تغلاتپلاسر لا يُعلم من اين اصلهُ. ولعلَّهُ كان من آل اسورنيراري او انَّهُ استولى بمهارتهِ وشجاعتهِ على سرير الملك. ومع كون اصلهِ غامساً في الظلمة تلالأ شخصهُ نورًا ساطعاً لا مثيل لهُ في التواريخ. فكان نشيطاً شديد الباس محبًّا للفتوحات والغزوات. فاثار الحميَّة في قلوب اهل وطنهِ واراهم من جديد الطريق المؤدّية الى بلاد اجنبيَّة وساقهم الى بلاد بعيدة لم يقدر الذين قبلهُ ان يبلغوا اليها ومع كونهِ قائدًا فاضلًا كان ايضاً رجلًا سياسيًّا. فانَّ سلفاءَه كانوا يكتفون بافتتاح البلاد ونهبها وفرضهم عليها الخراج. امَّا هو فاجتهد ان يضع فيها مستعمرات اثوريَّة فادخلها في جملة ولايات مملكته وولَّى عليها رجالًا من قواده

(١) ان المؤرّخين لم يميزوا بين دولة اثور العظمى الثانية ودولتها العظمى الثالثة فانها ارتفعت ثلاث مرَّات الى صفّ الدول المعظَّمة او آمپير كما يدعوها الافرنج (empire) وذلك في عهد تغلاتپلاسر الاول (١١١٥–١١٠٠) وفي عهد ادادنيراري الثاني وخلفائه (٩٠٠–٧٨٣) ثم في زمان تغلاتپلاسر الثالث سنة ٧٤٥. ونزلت مرَّتين في صفّ الممالك او روايوم (royaume) كما يقول اهل اوروبا وذلك في زمان خلفاء تغلاتپلاسر الاول (١١٠٠–٩٠٠) ثم في عهد شلمناسر الثالث وخلفائه (٧٨٣–٧٤٥)

(٢) عن تغلاتپلاسر الثالث راجع ميتان تاريخ سني ملوك اثور ١٤٠–١٤٤ والمجلَّة الاسياوية الفرنساوية: ٥ ١٤٤١–٤٧٢. ومجلة الكتاب المقدس ١٨٩–١٩٩. وماسپيرو: ج ١٣٩–١٩٣

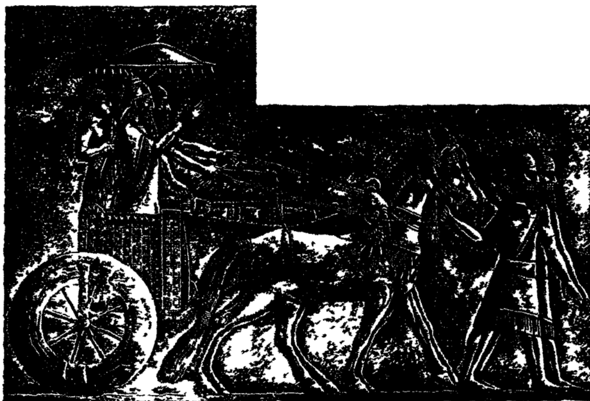
انّ تغلاتيلاسر صرف ستة اشهر في اثور حتى استوثق لهُ الامر وكانت مملكته محاطة باعداء اقوياء جسورين. فبدأ أولاً بالذين كانوا يتحرشون لهُ اكثر وكانت النصرة عليهم اسهل. اعني بهم القبائل الارامية الكلدانية التي في الجنوب انّ احوال مملكة الكلدان كانت قد تغيرت كثيرًا منذ اوائل الجيل الثامن. فانّ الاراميين الرحل امتدّوا شيئاً فشيئاً على سواحل القنوات المحفورة بين الدجلة والفرات واحتلّوا ايضاً سواحل الدجلة في حدود عيلام وصار لهم ممالك صغيرة كثيرة مستقلّة من بابل أشهرها بيت دقوري وبيت اموقاني وبيت شيلاني وبيت سُلي ونبطا وپوقودا وكُمولا وايزوعا. وكان الايتوعيّون في زمان ادادنيراري الثالث قد انتشروا في وادي تورنات (١) الاسفل. فحمل عليهم ادادنيراري مرارًا وابعدهم عن حدود مملكته. ولكنّهم تقووا بايام خلفآئه وانتشروا واحتلوا سواحل الزاب الاصغر. واعاروا كلما سنحت لهم الفرصة على اثور وضبطوا منها قطعة من الارض فحمل تغلاتيلاسر عليهم في اوّل سنة من ملكهِ واثخن فيهم الجراح وافصاهم عن سواحل الزاب الاصغر الى شواطئ أُوقنو (٢) في عيلام. فوقعت في حكمه كل البلاد التي كانوا مستولين عليها في شرقي دجلة. ثمّ عبر النهر وزار المدن الكلدانيَة ليُظهر لها قوّتهُ فدخل نيپور وسپارا وبادل وكوتا وكيشو وديلبات واوروك وقرب فيها القرابين لبيل وزربانيت ونبو وطشميت ونرگل. وقدّم لهُ الطاعة نبوناصر ملك بابل واقتدى بهِ جميع امرآء القبائل الاراميّة. ولم يتعرّض تغلاتيلاسر لحرّية بابل بل اكتفى بان يكون لهُ عليها سيطرة فقط

وعزم ان يحمل على مملكة اراراط ولكن دلته فطنته على ان يخضع اولا كل الممالك الصغيرة التي كانت قبلًا في حوزة سلفائه والتي كان الاستيلاء عليها اسهل. فاغار في سنة ٧٤٤ على غري وأخضعها ومن هناك توغل في مادي حيث لم يكن سلفاؤه وطأوها قبلًا فاستولى عليها وجعلها ولاية اثوريّة وولّى عليها رجلًا اثوريًا. ورجع الى كالح مستاقاً ٦٠٥٠٠ من الاسرى وغنيمة لا تحصى من الثيران والغنم والجمال والبغال وفي الوقت عينهِ كان قائده اسوردَيناني قد توغل في الجبال المحاطة ببحر قزوين. ولم يتقدّم الى ما قدام لأن الاثوريّين كانوا يظنون ان تلك

(١) نهر ديالة (٢) نهر كرخه



شمشيداد الرابع ملك آشور (انظر صحيفة ٧٤)



تغلاتپلاسر الثالث ملك آشور

الجبال موئخر الدنيا . وانتشر خبر غزوة اسوردينانى هذه في كل تلك الاقطار بنوع عجيب حتى انهُ تقاطر اليهِ جميع ملوك تلك الاطراف وقدموا اليهِ احتراماتهم وهداياهم النفيسة

فلمَّا فرغ تغلاتبلاسر من امر الملوك الذين في شرقيّ مملكته وجنوبيّها اراد حينئذٍ محاربة شاردوري ملك أرارطو . ولمَّا رأى ان الهجوم عليهِ في جبال عاصية صعب جدًا ذهب يبيده في سوريا الشماليَة في اشخاص ملوك الحيثيين والسريان أتباعه . وكانت مملكة ارارطو قد قويت حينئذٍ واتسعت جدًا وكان الملك ايشپوني نحو سنة ٨٢٨ قد نقل سرير الملك الى مدينة دوسپان وهي وان الحاليَة . وكان ابنهُ مينوا قد حصنها وجعلها منيعة الى الغاية . واركيستي بن مينوا انتصر مرارًا على الاثوريين كما سبق الكلام ووسع ملكهُ . وملك بعده شاردوري الثالث نحو سنة ٧٥٦ . واستولى هذا الملك على بلاد مالاطية والحيثيين وعلى جميع الممالك التي بين الفرات والبحر المتوسط اي على بيت اكوسي وقرقميش وكركم وكاجين وشمأل وقيليقيَّة . وكاد يمدّ سلطته على حماة ودمشق ايضاً لكن قيام اثور من سقطتها قطع الطريق قدامه فاجبره تغلاتبلاسر الثالث ان يرجع الى الوراء فيتحصن في عاصمته

ففي ربيع سنة ٧٤٣ عبر تغلاتبلاسر الفرات ولم يتجرأ احد الملوك المجاورين على مقاومته . وظهر تحت اسوار ارپاد عاصمة مملكة اكوسي (١) . وكانت حصينة الى الغاية ولها السطوة على جميع البلاد التي بين الفرات وجبل حامانا (٢) . ولم يلبث كثيرًا هناك حتى بلغهُ انَّ شاردوري ملك أراراطو مقبل اليهِ بجيوشهِ الجرارة فاسرع ورفع الحصار عن ارپاد وذهب للقائهِ . والتقى به في كاجين بالقرب من الفرات بين كيشتان وحلپي وكانت جنود الملك الارمنيّ اكثر عددًا من جنود الملك الاثوريّ . لان جيوش الملوك اتباعهِ كانت قد انضمّت اليهِ اعني بها جيوش ملك اكوسي وملك ميليدا (٣) وملك كوجا (٤) وملك كركم (٥) وكان القتال شديدًا دام من

---

(١) بين پاتين وجبل حامانا (٢) جبل اللكام

(٣) مالاطية (٤) في وادي الدجلة الاعلى في منحدرات جبل الطور

(٥) في جنوبي مرعش

الصباح الى المسآء. ونحو المسآء تبددت فرسان شاردوري وعرباتهُ. وانهزمت جيوشهُ ودخلت المعسكر فتتبَّعتها الجيوش الاثوريَّة مثخنة فيها الجراح. فتشوّش شاردوري وترك عربتهُ وركب حصاناً وهرب ولم يزل يطرد حتى دخل مملكته. وكان عدد الذين قُتلوا وأُسروا من جيشهِ نحو ٧٣٠٠٠ جندي. وضبط الاثوريون كل ما كان في معسكره من العربات والحصن والمعدات الحربيَّة وبقيت خيمتهُ منصوبة وفيها حليتهُ الملوكيَّة وعرشهُ وسريره. فاحرقها تغلاتبلاسر اكراماً لآلهتهِ. ولم يترك منها الا السرير الذي ذهب بهِ الى نينوى وقدّمه لإستار الإلهة

وكان جيشهُ قد عيي وتلف منهُ خلق كثير فنظم احوالهُ في نينوى. وبدأ ملوك السريان ايضاً يتاهبون للمدافعة وكانوا يؤملون ان شاردوري يجمع لهُ العدة ويأتي لمساعدتهم. لكن المذكور لم يتجاسر ان ينحدر من جبلهِ. فلمّا كان ربيع سنة ٧٤٢ رجع الاثوريون الى سوريا. وكان ماتيلا ملك الأكوسيّين قد تحصَّن في ارپاد عاصمتهِ. فحاصروه فيها واقاموا تحت اسوارها ثلاث سنين حتى افتتحوها سنة ٧٤٠. فالقى اسم تغلاتپلاسر الرعبة في قلوب جميع الملوك المجاورين وتقاطروا اليهِ في ارپاد وسجدوا لهُ وقدّموا لهُ هداياهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وعاج وارجوان. وكان في جملتهم كوشتاشپي ملك كموجا وترحولارا ملك كُركُم وپيزير ملك قرقميش واورياك ملك قوا. وكذلك حيرام الثاني ملك صور وراسين ملك دمشق ارسلاهما ايضاً يهنئانهِ على انتصاره هذا. واما توتلما ملك أُونقي فلم يقدّم لهُ الطاعة. فزحف عليهِ الاثوريون وافتتحوا كينالوا عاصمتهُ ونهبوها وولّوا عليها وعلى بيت آكوسي رجالًا اثوريين

ن تغلاتپلاسر بانتصاراته هذه جرح اراراط جرحاً بليغاً. فبغى ان يربطها هي ايضاً تحت نيره. ففي سنة ٧٣٩ حمل عليها وافتتح قسماً عظيماً من بلاد نيري التي كانت في حوزتها. وكان في نيتهِ ان يرجع عليها سنة ٧٣٨ لكن احوال سوريا الشمالية منعتهُ عن ذلك. فان عازرياهو ملك يادي كان قد تحالف مع تسعة عشر ملكاً كانوا في البلاد الممتدَّة من حماة الى البحر المتوسط ومن قيليقية الى حدود مملكة دمشق. ولعلّ ملوك دمشق ويهوذا واسرائيل ارادوا الدخول في هذه المحالفة غير ان تغلاتپلاسر لم يمكّنهم من ذلك فانهُ اسرع وحمل بشدّة على الشعوب

المتمرّدة ونكّل بهم وادخل بلادهم في جملة ولايات اثور وسبى منهم خلقاً كثيراً واسكن مكانهم الاسرى الذين استاقهم قبلًا من نيري . فسلّم له كل السريان وثمانية عشر ملكاً قدموا اليه الهدايا من جملتهم مناحيم ملك اسرائيل وراسين او راسون ملك دمشق . وملك صور وملك حماة وملك ميليدا وملك التوباليين وزبيبي ملكة العرب . واما هديّة مناحيم ملك اسرائيل فكانت الف وزنة من الفضة (١) وفي تلك السنة عينها صارت ثورة في بلاد نيري ولولومي ففتك الحكّام الاثوريون الذين هناك بالعصاة وارسلوا جمًّا غفيرًا منهم الى تغلاتپلاسر . فاسكن ستة آلاف منهم في ارض دَمونا وخمسة آلاف واربعمائة في كوناليا وحوزرا وطاي وطرماتزي وكُولدرا وحطاطيرا وساكيلو من مدن أونقي (٢) . وعشرة آلاف على شواطئ البحر المتوسط وفي الجبال المجاورة

وكان العصيان قد سرى الى مادي . والظاهر ان ذلك كان بتحريك أرارطو . فحمل عليها تغلاتپلاسر في سنة ٧٣٧ وكان سكان ارياش قد تحصّنوا في منحدرات جبل أبيروس . فهجم عليهم وقتل منهم خلقاً كثيرًا فطلبوا الامان . واما أوشرو ملك تديروتا وبوربَدًا ملك نيروتكا فاستخفيا في الجبال . فتتبّعهما تغلاتپلاسر متسلّقاً تلك الجبال حتى قبض عليهما . ولم يزل يحارب من نازعهُ حتى قهر جميع ملوك مادي وحيثما ذهب اقام اعمدةً ذكرًا لانتصاراته . ففي باو اقام نشّابة كتب عليها مدائح ربّه اشور . وبالقرب من شيلخازي نقش صورتهُ على صخرة وفي تيلشوري نصب عمودًا اكراماً لمرودخ . وفي سنة ٧٤٦ رجع ثالثة الى مادي ليثبّت فيها سلطتهُ واستولى على بلاد نال الجبليّة المتصلة بأرارطو . وفي سنة ٧٣٥ حمل على أرارطو وظهر تحت اسوار دوسپان . وكانت وان القديمة منيعة جدًا اذ انَّ ملوكها حصّنوها تحصيناً لا مزيد عليهِ حتى انهُ لم يكن للعدو سبيل ان يدخلها الّا من الجهة الغربية . والطريق المؤدي اليها من هذه الجهة كان ضيقاً جدًا وتحتهُ هاوية عميقة وعلى طوله ابراج كثيرة . فقطع الاثوريون اشجار البساتين كلها واحرقوا جميع القصور التي في خارج المدينة . وكان شاردوري ينظر اليهم من قصره متأسفا ولا يجسر ان يتحرّك من مكانه . واقام الاثوريون تمثال ملكهم ونصبوهُ قدام باب القصر ورفعوا الحصار

---

(١) ٢ ملوك : ١٥ : ١٩ (٢) في وادي نهر العاصي

عن المدينة وطافوا كل البلد فاخربوا المدن والقرى واحرقوها وقتلوا خلقاً كثيراً ورجعوا الى نينوى غانمين غنيمة عظيمة

وكانت مصر في تلك الاثناء قد قويت شوكتها . وملوك سوريا الجنوبية لا يزالون يتنازعون . وكان البعض منهم ينتظرون الخلاص من مصر والبعض الآخر استغاثوا باثور . وكان راسون او راسين ملك دمشق قد استقرّ له الامر وحارب فقح ملك اسرائيل على احاز ملك يهوذا . فلم يرَ احاز بدا للتخلص منهما الآن يلتجي الى تغلاتپلاسر . فارسل اليهِ رسلًا وقال: « انا عبدك وابنك فاصعد وخلّصني من يدي ملك ارام وملك اسرائيل اللذين يحاربانني » . واخذ ما كان موجودا في بيت الرب وبيت مال الملك من الفضة والذهب وارسله اليهِ هديةً (١) فاقبل مسرعا ملك اثور سنة ٧٣٤ وحمل اولًا على اسرائيل وفتح عيون وآبل بيت معكا ويانوحا وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل ارض نفتالي وساق السكّان الى اثور (٢) . ثم ارسل بعض عساكره على الفلسطينيين . فهرب حنون ملك غزّة الى مصر . ودخل الاثوريون مدينة غزة ونهبوها . وكان راسين قد ادخل في حزبه موتون الثاني ملك صور . وميتنتي ملك اشقالون وشمسي ملكة العرب . وتحصّن هو في جبل لبنان الشرقي . فهجم عليهِ تغلاتپلاسر وقهرهُ . فهرب الى دمشق . وكانت المدينة محصنة وفيها عساكر وذخائر كثيرة . فحاصرها الاثوريون وافتتحوها وقتلوا الملك راسين (٣) واسروا فيها ثمانية آلاف رجل وارسلوهم الى قير (٤) . وصارت دمشق ولاية اثورية تولّى عليها رجل اثوري سنة ٧٣٢ وللحال قدّم الطاعة موتون ملك صور . واما ملك اشقالون فهرب ولحق بحنون في مصر . فملّك الاثوريون مكانه رجلا يقال لهُ روقيبتا . وقام بنو اسرائيل على ملكهم فقح وقتلوهُ واجلسوا مكانهُ هوشاع بن ايلة . فاخذ منهُ تغلاتپلاسر عشر وزنات ذهباً وكمّية وافرة من الفضة واثبتهُ على كرسيهِ . واما شمسي ملكة العرب فبقيت عاصية ظنًّا منها انها في أمنٍ وراء جبال من رمل . فحمل عليها الاثوريون وانتصروا عليها وصار لنصرتهم هذه رنّة عظيمة في كل بلاد العرب . فتقاطر الى تغلاتپلاسر شمسي الملكة وملوك ميشا وتيما وسبا وعيفة وأوبائيل وبدانا وحتّي وقدّموا لهُ هدايا من الذهب والفضة والطيب . وبينما

---

(١) ٢ ملوك: ص ١٥-٩ (٢) كذا: ص ٢٩ (٣) كذا: ص ٩-١٠ (٤) في ارمينية

كان القواد الاثوريون يغزون بلاد العرب كان تغلاتپلاسر في دمشق مشغولًا في تدبير امور ملوك سوريا واتاهُ خمسة وعشرون ملكاً ليسجدوا لهُ ويقدّموا لهُ هداياهم النفيسة

وكان في نية تغلاتپلاسر ان يحمل على مصر فيخضعها هي ايضاً. لكنَّ تقلبات بابل اجبرتهُ ان ينتقل من سواحل البحر المتوسط الى شواطئ الفرات الاسفل. فان أوكتزير ملك بيت اموقاني دخل بابل وقتل ملكها نبوشمكين وجلس مكانهُ. فقهرهُ الاثوريون واستأسروهُ. ودخل تغلاتپلاسر مدينة بابل وجلس على سرير الملك وقبض على يدَي بيل الإله فصار لقبهُ: ملك اثور وملك اكاد وشومير وملك الاقاليم الاربعة. واحبَّ البابليون ملكهم الجديد وسمّوهُ پول او پور وبهذا الاسم عُرف في قائمة ملوكهم وفي تواريخ بني اسرائيل ايضاً (١). ولكنَّهُ لم يفرح طويلًا بلقبهِ هذا الجديد فانهُ توفّي في كالح في شهر كانون الثاني سنة ٧٢٧

الفصل الثاني

شلمناسر الخامس (٧٢٧—٧٢٢) (٢)

عصيان اسرائيل وفونيقي — محاصرة السامرة وصور

قام بالملك بعد تغلاتپلاسر ابنهُ شلمناسر الخامس (٣). وسمّاهُ البابليون ايلولاي كما دعوا اباهُ پول. وكذا كتبوا اسمهُ في قائمة ملوكهم ولم يملك شلمناسر سوى خمس سنين. وقضى اكثر حياته في الراحة فان اباهُ رتّب جيّدًا امور المملكة وقسّمها الى ولايات واقام على كل ولاية قائدًا اثوريًا يسوسها. فكانت دولة اثور بايامه تشمل بلاد مادي والكلدان وارمنية واسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وفونيقي وبلاد العرب. فكانت تمتدّ من بحر قزوين وعيلام وخليج العجم الى البحر المتوسّط ومصر والبحر الاحمر. فبحقٍ قال عنها حزقيال النبي (٤) « ها هوذا اثور مثل ارز في

---

(١) راجع ص ٤١-٤٢ من هذا الكتاب (٢) عن شلمناسر الخامس راجع ماسپرو: ج ٢١٢—٢١٦ ومجلّة الكتاب المقدس ٣٦٨٠ ٣٧١

(٣) راجع ص ٦٥ حاشية: ١ من هذا الكتاب (٤) [illegible] ١-١٠

لبنان · جميل الاغصان مظلّلًا بالاوراق ورفيع القامة وارتفع علوه بين الاغصان الغبياء · المياه اغذتهُ والغمر رفعهُ · وانهارهُ جارية حول اصولهِ واطلق مجاريه الى جميع اشجار البلد · لذلك ارتفعت قامته على جميع اشجار البلد وكثرت اغصانه وتطاولت افنانه لكثرة الماء · ولمّا بسط ظلّه عشّشت في اغصانه كل طيور السماء · وتحت اوراقه ولدت كل وحوش البرّ · وفي ظلّه سكن جماعة امم كثيرة · فكان جميلًا في عظمته وفي تمادي قضبانه · فان اصله عند مياه كثيرة · الارز لم يكن اعلى منهُ في جنة الله · والسرو لم يُساوه باغصانه · والدلب لم يكن مثل فروعه · لم تشابههُ شجرة من كل اشجار جنة الله في حسنهِ · صنعتهُ جميلًا بقضبان كثيرة فغارت منهُ جميع اشجار عدن التي في جنة الله »

قلنا ان تغلاتپلاسر رتّب امور دولته هذه الواسعة ترتيباً حسنا حتى ان العصيان لم يظهر بعد موته الّا في اسرائيل وفونيقي · وكان ذلك بتحريك مصر · امّا شلمناسر فكان يعرف جيّداً احوال سوريا اذ قد تولّى عليها في حياة ابيه · فنادى بجيشه وذهب مسرعاً الى فلسطين · فبادرهُ الفونيقيون بتقديم الطاعة · وامّا هوشاع ملك اسرائيل فاذ لم يرَ ادنى مساعدة من القبائل المجاورة سلّم هو ايضاً لشلمناسر ودفع لهُ هدايا كثيرة (١)

ولكن هوشاع لم يتّعظ بذلك كله بل تجاسر وحالف ثانيةً ملك مصر · فلمّا عرف منهُ ذلك شلمناسر ارسل يستدعيه · فقبض عليهِ والقاهُ في السجن وارسل جيشهُ الى مدينة السامرة · وامّا بنو اسرائيل فلم يفشلوا بحبس ملكهم بل تأهّبوا للقتال · وكانوا ينتظرون ان تأتيهم النجدة من مصر · وفي تلك الاثناء خرجت ايضا فونيقي من طاعة اثور فان ملكها لوليا قهر سكان جزيرة قبرص · فقسم شلمناسر جيشه الى قسمين (٢) وجعل قسماً منهُ تحت اسوار السامرة ومشى هو نفسهُ بالقسم الاكبر على فونيقي · واستولى على جميع مدنها ما خلا مدينة صور وكانت في جزيرة · فجمع شلمناسر جميع سفن صيدا وجبيل وارواد وكانت ستين سفينة · فركبها الاثوريون واجتهدوا بالنزول الى الجزيرة · ولكونهم غير ماهرين في الحرب على البحر انتصر عليهم الصورّيون واسروا منهم خمسمائة جندي · وكانت سفن صور اثنتي

(١) ٢ ملوك : ١٧ : ١—٥ (٢) ماسپيرو : ٢٨٤

عشرة سفينة فقط . ففكر شلمناسر في ان يحاصر المدينة برًّا ويقطع عنهـا المياه فيجبرها بذلك على تقديم الطاعة . وطال حصـار السامرة وصور . ووُجِد شلمناسر ذات ليلة ميّتاً ولم يُعرف سبب موتهِ . وكانت وفاتهُ في بابل في كانون الثاني سنة ٧٢٢

الفصل الثالث

شركينا الثاني (١) (٧٢٢—٧٠٥)

محاربة عيلام ومرودخبلدان ملك بابل — افتتاح السامرة — عصيان السريان وخضوعهم — عصيان منـاي وزيكَّارتا وقيليقية وخضوعها — انقلاب العرب وأرارطو وموزاتزير وكاركّا ومادي وميليدا — عصيان سوريا وخضوعها

امّا انهُ لم يكن لشلمناسر ابن يرثه او كان لهُ ابن ولم يرض بهِ الشعب . فجلس مكانهُ شركينا الثاني (٢) وكان هذا رئيس قواد الجيش . ولا بد من انهُ كان افضل رجال الدولة ولذلك بويع بالملك . وكان جلوسهُ في ٢٢ كانون الثاني . وملك مثل تغلاتپلاسر وشلمناسر على بابل ايضاً . لكنَّ البابليّين رفضوه بعد ثلاثة اشهر وملّكوا عليهم مرودخبلدان الثـاني . واعلم انَّ تغلاتپلاسر اعجبتهُ بابل كثيرًا وفي مدَّة سنتين زارها مرّتين كذلك ابنهُ شلمناسر جلس ايضاً في بابل وفيها قضى نحبه . وتفضيل هـذين الملكين بابل على نينوى كان قد اغضب الاثوريّين وكان من الاسباب التي حملتهم على مبايعـة شركينا الذي لم يكن من سلالة تغلاتپلاسر . ولمّا ملك شركينـا بدأ البابليون يشكُّون في سياستهِ نحوهم وانتظروا نحو ثلاثة اشهر ليعرفـوا حقيقة الامر . فلمَّا تأكّد عندهم أنّهُ يفضّل اثور عليهم استدعوا

---

(١) ان شركينا ملك اثور لُقّب بالثاني لتمييزه من شركينا الاول ملك الكلدان (طالع ص: ٢٤ من هـذا التاريخ) ومعنى شركينا : الملك العادل (ܡܠܟܐ ܟܐܢܐ) وقد اتى اسمهُ في نبوَّة اشعيا : ܟ : ١ سركون او سرجون

(٢) شركينا راجع مجلّة الكتاب المقدس : ٣٧١—٣٩٠ وماسپيرو : ܓ ص ٢٢١—٢٧٣ وبوطا اثار نينوى : ٦٣—٩٢ و١٠٥—١٢٠ و١٥٥—١٦٠ ومينان تاريخ سِنِي ملوك اثور : ١٥٨—١٧٩ واوپير آثار دورشركيان

مرودخبلدان ملك بيت ياقين ليملك عليهم وكان هذا قد خضع لغلاتبلاسر وادى له الجزية فبدأ ملك بابل الحديد يتجهز للمحاربة وطلب محالفة حومبانيكاش ملك عيلام. فاجاب حومبانيكاش الى سؤاله لانَ فتوحات اثور بدأت ان تقلقهُ. فالجواسيس اوقفوا شركينا على حقيقة الامر فلم يمكن المالكان من ضم جيوشهما بعضها الى بعض. وكان حومبانيكاش قد جمع عساكره وزحف بها على اومليائش التي كانت خاضعة لاثور وانتهى الى مدينه دور ينتظر وصول جيوش مرودخبلدان. واذا بالجيوش الاثورية حملت عليه بشدة واجرت الدماء سيولا. فانهزم العيلاميون الى بلادهم وقاصص شركينا القبائل الارامية الكلدانية التي حالفت عيلام ورجع الى اثور ليصلح ما وقع في صفوف عساكره من الخلل. وكان في نيَّته ان يرجع في السنة التابعة الى كلدو ليخضعها بيد ان احوال سوريا اشغلهُ عن ذلك.

انَّ القائد الاثوريّ الذي كان يحاصر مدينة السامرة فتحها بعد وفاة شلمناصر وسبى من سكانها الى اثور ٢٧٢٨٠ نفسا وانزلهم الى حلح وكوزان في وادي الخابور والى مدن مادي(١). وجلس حاكم اثوريّ في قصر ملوك اسرائيل في السامرة. ثمَّ ان شركينا سنة ٧١٠ وسنة ٧٠٩ اسكن السامرة اقواما من كوتا ومن عاوا ومن حماة ومن سفراويم. فانَّ السامرة سقطت سنة ٧٢٢. ومع السامرة سقطت مملكة اسرائيل وبسقوط مملكة اسرائيل سقط الحاجز الاخير الفاصل مصر من مملكة اثور فاضطرب المصريّون واجتهد بوقوريس ملكهم باستدراك الامر. فحالف ملوك سوريا وحركهم على محاربة اثور واعداً اياهم بالنجدة فتداعوا الى السلاح تحت قيادة ايلوبدي ملك حماة وحملوا على الاثوريّين وطردوهم من بيت اكوسي ومن فونيقي الشمالية ومن دمشق ومن السامرة فمشى شركينا على العصيان وانتشب القتال بينهُ وبينهم في قرقر فانكسر ايلبودي كسرة تامةً وقُبضَ عليهِ وسُلخ جلده. واخذ شركينا من الحمويّين ستمائة فارس ومائتي عربة وضمّهم الى جيشهِ وقتل جميع الذين اضرموا نار العصيان في بيت اكوسي ودمشق والسامرة. ثمّ حمل على عزة. وكان ملكها حنون قد رجع اليها وينتظر النجدة من مصر. فهرب الى رابيح (٢)

---

(١) ٢ ملوك: ١٧ ٦ ١٠–١١ (٢) تل ارفاء الحالية

وكانت في حدود مصر وفلسطين٠وانضمت اليهِ هناك جيوش مصر تحت قيادة سبعو٠فحمل عليهما شركينا وقهرهما فهرب القائد سبعو الى مصر٠واما حنون فقُبض عليهِ وأُرسِل اسيرًا الى اثور٠ونهب الاثوريون مدينه رابيح واحرقوها وسبوا من سكانها ٩٠٣٣ نفساً٠وكان ذلك سنة ٧٢٠٠ورجع شركينا الى نينوى غانماً منصورًا

شركينا الثاني ملك آثور ووزيره



وكان في عزمهِ ان ينزل على بابل لكنّ الاحوال جبرتهُ ان يصعد الجبال متوجّها نحو ارمنية٠وقد سبق القول انَّ تغلاتپلاسر قد كسر شوكة ارارطو٠وكان ملكها شاردوري قد مات نحو سنة ٧٣٠ وخلفهُ ابنهُ روسا الاول٠فلماً رأى هذا ان شركينا مشغولًا بالحروب في سوريا شاء ان يوسّع ملكهُ مثل اجداده٠وجعل لهُ حزباً ضد اثور في بلاد مناي وزيكارتا والحيثيين٠غير ان ايرانزا ملك مناي

انكر عليهِ ذلك. فاحتال روسا وساغ لهُ ان يجتذب اليهِ مدينتين من مدن ايرانزا وهما سونداخول ودوردُكّا. فانقادتا الى متاتي ملك زيكارتا. وكان ذلك سنة ٧١٩. فاسرع شركينا وحمل عليهما واستأصل اسوارهما واحرقهما ونفى سكانهما الى سوريا. ولم يفرغ من امرهما الّا وقدحت نار الفتن في جبال قيليقية. فان كياكو التوباليّ ملك شينوختا (١) امتنع عن تادية الجزية سنة ٧١٨. فحمل عليهِ الاثوريّون وقهروه وقبضوا عليهِ واخربوا مدينته واستاقوه اسيرًا الى اثور هو و ٧٥٠٠ نفس من رعيَّته. ثمّ في سنة ٧١٧ مشى شركينا بجيوشه على أپيزير ملك قرقيش صديق الأرارطيّين. فانهُ تحالف هو ومَتيلا. ملك بيت آكوسي وميتا ملك الماشكيّين على اثور. فانتصر شركينا عليهِ وارسلهُ اسيرا الى اثور وحُبس مع كياكو ملك شينوختا. وجُعلت مملكته ولاية اثورية تولى عليها رجل اثوريّ

ولمّا فرغ شركينا من امر شينوختا وقرقيش رجع مسرعا الى بلاد مناي (٢). لانَّ الملك ايرانزا صديق الاثوريّين توفي وخلفهُ ابنهُ أزا. فبذل روسا ملك ارارط ومتاتي ملك زيكارتا (٣) جهدهما لكي يحملاه على محالفتهما على اثور. فابى. فاغريا بهِ شعبهُ. فقاموا عليهِ وقتلوه اشنع قتلة على جبل أُواوُش. وانقادوا الى بكاداتي ملك أُميلديش (٤). فانقضّ شركينا على بكاداتي وقبض عليهِ وسلخ جلده وهو حيّ. وذلك في المكان نفسهِ الذي قُتل فيهِ ازا الملك. وكان اهل مناي قد ملّكوا عليهم أُولوسون اخا ازا وحالف أُولوسون روسا ومتاتي واقتدى بهِ ملوك أُخر كثيرون. فعمّ العصيان وامتدّ منذ حدود عيلام الى حدود الماشكيّين. فكان الخطر عظيماً. ولكنّ شركينا بمهارتهِ العجيبة وشجاعتهِ الفريدة قهر العصاة كلّهم فانقضّ اوّلًا على مناي وافتتح إزيرتا عاصمتها ونهبها واحرقها. واخرب ايضا مدينتي زيبيا وارماَئيد وقبض على الملك أُولوسون. غير انَّهُ رعايةً لابيهِ عفا عنهُ وردّ اليهِ مملكتهُ. ثمّ انقضّ على أنديا (٥) ونهبها واسر منها ٤٢٠٠ نفس ومن هناك مشى

---

(١) في شمالي قيليقية (٢) في غربي بحيرة اورمية

(٣) على حدود مادي الغربية بين انديا وألابريا

(٤) في شمالي ارمنية

(٥) في جنوب شرقيّ بحيرة اورمية

على زيكرتا ونكل بها . فهرب ملكها متاتي الى الجبال . ثمّ حمل على كَرَلّا (١) وقبض على ملكها اسورلي وسلخ جلده . وقبض ايضاً على إيتي ملك ألابريا (١) وارسلهُ اسيرًا هو ونصف شعبهِ الى حماة . وفتح مدينتَي نيكساما وشوركاديا وضمّها الى ولايةِ پارسوا . ونهب مدينة كيشيزيم واحرقها وبعث ملكها بيلشاروزور اسيرًا الى نينوى وافتتح مدينة خرخر (٢) وسمّاها كرخ شركينا اي مدينة شركينا وانتصر ايضاً على دلتا ملك أليبي (٣) وفرض عليهِ الجزية . ورجع الى آثور بغنيمة عظيمة وذلك سنة ٧١٦ .

وكان نجاح الاثوريّين في تلك السنة عظيماً واصبح اعظم سنة ٧١٥ لانّ العصيان ايضاً كان اشدّ واوسع وقدحت ناره هذه المرة في شمال غربيّ المملكة . وانتشرت الى حدود سوريا الشماليّة . فانّ روسا ملك ارارط لم يكن قد اتّعظ بما اصاب حلفآءه من الدمار بل اجتهد في اغرآء أهل مناي وتيسر لهُ ان يجتذب اليهِ احد امرآءهم يقال لهُ دَيوكا . وبواسطته استولى على اثنتين وعشرين قلعة من قلاع مناي . وفي تلك الاثناء اغار ميتا ملك الماشكيين على بلاد قيليقية وبدأ العرب ايضاً يغزون في اراضي اثور . فاقتضى مباشرة ثلاثة حروب في وقت واحد وفي ثلاثة امكنة مختلفة بعيدة بعضها عن بعض . فخرج شركينا على ارمنية حيث كان الخطر اعظم وفوّض امر الماشكيين والعرب الى قوّاده وعمّاله . فصعد بجيوشهِ جبال ارمنية ودخل بلاد مناي . واستولى على الاثنتين والعشرين قلعة التي ضبطها روسا الملك من اولوسون . وقبض على ديوكا وارسلهُ اسيرًا الى حماة . وامّا ملك خوبوشكيا فخرج للقائهِ وقدّم لهُ عددًا وافرًا من الثيران والخيل والغنم . ومن خوبوشكيا انحرف شركينا الى اندِيا واسر ملكها تيلوسينا . ونصب تمثالهُ في ايزيرتا ذكرًا لعظمتهِ . وانحدر مسرعاً من تلك الجبال متوجهاً نحو الشرق الجنوبيّ وانقضّ بغتةً على بلاد خرخر التي كان قبل بضعة اشهر قد جعلها ولايةً اثورية . فانّها امتنعت ايضاً عليهِ ما عدا مدينة كرخ شركينا فافتتح جميع مدنها وقلاعها . وسمّى

(١) انّ ألابريا كانت متّصلة ببارسوا في جنوب بحيرة اورمية وكَرَلّا كانت متصلة بألابريا
(٢) في اطراف كرمنشاه
(٣) في حدود لورستان في ايران

اربعاً منها باسماء اثوريَّة وهي كرخ نبو وكرخ سين وكرخ اداد وكرخ ايستار . وكانت اسماؤهـا القديمة : كيشيسلا وكنيداُو وبيت بكَّايا وزاريا . وحصَّن مدينة كرخ شركينا وسلَّم لهُ المـاديون من جديد واتاه اثنان وعشرون من امرآئهم وخرُّوا على قدميهِ حالفين لهُ بالامانة

وبينما كان شركينا يقفز على الجبال في الشمال ويضرب في الاودية والسهول في الشرق غـازياً غانماً كان قواده في الغرب والجنوب يتتبعون هم ايضا الاعدآء مثخنين فيهم الجراح . ذهب ميتا ملك الماشكيين بغاراتهِ الى البحر المتوسط ولكنَّ حاكم ولاية قوا الاثوريّ حمل عليهِ وقهره واقصاه الى جباله . وكذلك الجيوش التي زحفت الى العرب فانها استظهرت عليهم وكسرتهم شر كسرة . واستاقت منهم اسرى كثيرين واسكنتهم في السامرة مع اليهود والبابليّين . فعظمت شهرة شركينا في كل بلاد العرب وبلاد مصر ايضاً . فارسل لهُ جميع ملوك تلك الاطراف هداياهم النفيسة . ومن جملتهم شمسي الملكة وقد سبق الكلام عنها في اخبار تغلاتپلاسر . وايتعمار ملك سبا . وملك الثموديّين وملك اليابديّين وفرعون ملك مصر نفسهُ . وحينئذٍ قدر شركينا ان يجمع جيوشهُ فيضرب ارارطو ضربة قاسية قاطعة

كان شركينـا حنقاً على روسا الارمني . لانهُ كان سبب الفتن التي حدثت في حدود مادي وفي الجهات الشمالية والشمالية الغربية . وفي غاراتهِ السابقـة دلَّتهُ فطنتهُ ألَّا يتعرَّض لهُ الَّا بعد ان يكون قد سحق واخضع كل الممالك الصغيرة المتمرّدة . فلمَّا كان ربيع سنة ٧١٤ تسلَّق جبال ارمنيـة وانقضَّ على زيكارتا وافتتح ياردا عاصمتها واحرقها واخرب ايضاً ثلاث مدن من مدنها واربعاً وعشرين قرية من قراها وهرب ملكها متاتي تائهاً في الجبال ولم يُوقَف على اثره . ثم مشى على مملكة ارارطو يريد خنق الملك روسا . فتحصن روسا في اودية جبل أُواوش . فحمل عليهِ شركينا بشدّة وانتصر عليهِ وقتل من عسكره خلقاً كثيراً وأَسر حرسه الخاص كله وكان مؤَلفاً من مائتي فارس وكلهم مرتبطون بالقرابة مع العائلة الملوكية . فلم يكن من روسا الَّا ان يقتدي بابيهِ شاردوري لما حمل عليهِ تغلاتپلاسر في كوجا وقهره (١) اعني ترك هو ايضاً عربته في ميدان الحرب وركب حصانا وهرب مسرعاً . فخاف

(١) راجع ص ٨٢–٨٣ من هذا الكتاب

الارارطيون خوفاً شديداً وسلّموا للاثوريين وفتحوا لهم مدنهم· واحرق شركينا كل المدن التي لم يكن يمكنهُ المحافظة عليها· وضم ناحية اراوش الى مُلك حليفهِ اولوسون ملك مناي مكافاةً لهُ عن امانتهِ

واماَ روسا فلم يزل تائهاً في الجبال والاودية· وبقي على تلك الحالة خمسة اشهر دون ان يرى محلًا يلتجئ اليهِ· لان شركينا كان يتتبعهُ اينما ذهب ويقاصص شديداً كل من عاونهُ· فلم يبق من معاونيهِ سوى اورزانا ملك موزازير· وتحصّن هذا الملك وراء جبالٍ عاصية لا يمكن الوصول اليها الّا من طريقَين ضيّقَين خطرَين· وعلى طول هذين الطريقين عمل اورزانا عدّة متاريس· فاحتال شركينا وخرج بعرباتهِ ومعهُ الف فارس من فرسانهِ كانهُ يريد ان يحمل السلاح الى ارض اخرى· ثمّ انحرف عن الطريق وقطع اربعة جبال كانت تفصلهُ من موزازير وانقضّ عليها بغتةً· فدافع الملك اورزانا بشدّة عجيبة· لكنّهُ غُلب وهرب· وافتتح الاثوريون المدينة ونهبوها· واخربوا قصر الملك وهدموا هيكل الآلهة واخذوا كل الاصنام التي فيها واسروا افراد العائلة الملوكيّة وجمًّا غفيراً من الاهالي بلغ عددهم ٢٠١٧٠ نفساً وغنموا ٦٩٠ بغلًا و ٩٢٠ ثوراً و ١٠٠٢٢٥ راس غنم وكميّة وافرة من الذهب والفضة والنحاس والحديد والاحجار الكريمة والاقمشة النفيسة· واماَ ما كان من امر روسا الملك فانهُ بقي بلا معين وبلا عسكر وبلا مأوى· فضاق صدره عن البقاء في الحيوة وقتل نفسهُ

وفي سنة ٧١٣ اغار شركينا على مملكة كارلًا· لانّ اهاليها قامت على الحاكم الذي نصبهُ وعزلتهُ وعيّنت مكانهُ اميتشي اخا اسورلي اميرها الذي مرّ الكلام عنهُ فبدّد شركينا عساكر أميتشي واخذ منهُ الفدية· واتاه ملوك بيت ديوكا والبيبي وألابريا وقدّموا لهُ هداياهم· ثمّ توغّل في اطراف بحيرة قزوين ولم يزل يقاوم من عاداهُ ويسالم من وادعهُ حتى تسلّط على جميع تلك البلاد· وفي تلك الاثناء حمل احد قوّاده على شماليّ قيليقية ليقاصص التوباليّين· لانّ ملكهم أمباري مع كونهِ متزوّجاً باحدى اميرات اثور حالف هو ايضاً روسا ملك أرارطو· فقبض عليهِ الاثوريون وأرسلوه اسيراً الى نينوى وضُمّت مملكتهُ الى ولاية قيليقيّة

وفي سنة ٧١٢ مشى شركينا على ترحونازي ملك ميليدا· لانهُ امتنع عن تأدية

الجزية . فقهره وجعل مملكته من ولايات اثور واسره هو وجميع افراد عائلته وساق ٥٠٠٠ نفس من رعاياه الى اثور . وكان ترحولارا ملك كُركُم قد قُتل بيد ابنهِ . فرأى شركينا ان ياخذ بثاره . فحمل على مركاسي وهي مرعش الحاليّة واستولى عليها وادخل البلد كلّه في جملة الولايات الاثوريّة

وفي سنة ٧١١ اشتغل الاثوريون بامور سوريا الجنوبيَّة . فانَّ شبقون ملك مصر كان قد اعتراه عار عظيم بانكسار رئيس جيشهِ سبعو وحليفه حنون ملك غزة . وكانت فتوحات اثور تقلقه . فاحتال شبقون وجعل من حزبهِ الادوميين والفلسطينيين والفونيقيين والموابيين . واماَّ يهوذا فلم يتبعهُ . لان اشعيا النبيّ بامر الرب منعهُ عن ذلك (١) . فاستدرك الامر شركينا ولم يمكّنهم من ان يجمعوا جيوشهم . وحمل الترتان على سوريا واستولى على اشدود . فهرب ملكها الى مصر وكان قدوم الاثوريّين قد القى الرعبة في قلوب المصريّين . فقبض شبقون على ملك اشدود وكبَّلهُ بالاغلال وسلَّمهُ الى يد الاثوريّين

الفصل الرابع

تتمَّة قصة شركينا الثاني (٧١٠—٧٠٥)

هجوم شركينا على عيلام وكلدو وتتويجه في بابل — قهر مرودخبلدان — انكسار الماشكيين — خضوع اهل قبرص — غارة الاثوريين على كموجا والبيپي — بناء دور شركينا — قتل الملك شركينا ومناقبهُ

انَّ شركينا ارتاحت نفسهُ من جهة الغرب . وكان قد انتصر ايضاً على الارارطيين وعلى الماديين . فرأى الفرصة مناسبة لان يستوي هو ايضاً مثل تغلاتپلاسر وشلمناسر على سرير مملكة بابل . وكان المالك عليها مرودخبلدان منذ اثنتي عشرة سنة . اماَّ البابليون فقد ضجروا من سلطتهِ لانهُ حبس خلقاً كثيرًا من اهل كوتا وسپارا وبورسيپا ونهب اموالهم . لكنَّ قوّتهُ كانت في الاراميين الذين في الجنوب وفي عيلام . وكان الاراميُّون الكلدان يُقسَمون الى قبائل شتى تُسمَّى بيتاتي (ܒܝܬܬܐ)

(١) اشعيا : ص ٢٠

واشهرها بيت دقوري وبيت ياقين وپقودا وكمبولا وقد مرّ الكلام عنها

فلمّا كانت سنة ٧١٠ قسم شركينا جيشه الى قسمين . وسار القسم الاول الى مقاتلة عيلام والاراميين الذين على سواحل البحر . وامّا القسم الثاني فذهب تحت قيادة الملك نفسه يريد محاربة مرودخبلدان . وتوغّل القسم الاول في كامبولا . وكان الكامبوليّون قد تحصنوا في مدينة دور أبيحار وملأوا الخنادق ماءً . واتى لمساعدتهم ٦٠٠ فارس و ٤٠٠٠ راجل من البلاد المجاورة . فانتصر عليهم الاثوريون وافتتحوا المدينة ودخلوها واسروا منها ١٦٤٩٠ نفساً وضبطوا عدداً كبيراً من الثيران والخيل والبغال والجمال والغنم . فخافت جميع القبائل المجاورة وطلبت الامان . وجُعِلت كامبولا من الولايات الاثورية وبُدِّل اسم دورأبيحار بدورنبو . ومن هناك حمل الاثوريون على قبيلة پقودا وغيرها من القبائل التي احتلّت بلاد يتبور فاخضعوها وضمّوها الى ولاية كامبولا . ثم توجّهوا نحو عيلام وكان الملك حمبانيكاش قد مات وجلس مكانه شوتورنخوندي . وكان مرودخبلدان قد ارسل اليهِ هدايا كثيرة ثمينة طالباً مساعدته على الاثوريين . لكن ملك عيلام لم يقدر ان يتفكر الّا بمحافظة اراضيهِ . فافتتح الاثوريون مدن شمونا وبابدوري وتحيريو وپيلوتا ونصبوا معسكرهم على ساحل نديتي . وسرى الخوف في بلد راشي فغرغت مدن تلحومبا ودورميشمش وبوبي وخمانا من السكان . وانهزموا قاطبةً نحو بيت يامبي . وهرب شوتورنخوندي نفسه الى الجبال . وامّا شركينا فانهُ عبر الفرات وتوجّه رأساً نحو بيت دقوري . وبنى هناك من جديد قلعة دورلدينو التي كانت قد خربت وجعل مقرّه فيها . وكان شوتورنخوندي قد ارسل خبراً الى مرودخبلدان انهُ لا يمكنهُ مساعدتهُ . فبلغ الحزن كل مبلغ من مرودخبلدان وشقّ ثيابه وبدأ يبكي . وخرج خفيةً بجيوشه من بابل يريد الهرب فالاستخفاء وذهب فانزوى في مدينة دورياقين عاصمة مملكتهِ القديمة

ولمّا خرج مرودخبلدان الثاني من بابل اسرع البابليّون والبورسيپيّون واخرجوا تماثيل آلهتهم من هياكلها وذهبوا بها الى دورلدينو عند شركينا الملك ليسلّموا عليهِ ويقدّموا لهُ الطاعة وهم ينشدون اناشيد الظفر والسرور ويدقون بآلات الطرب . فأتى ودخل معهم بابل بوهج عظيم . وقدّم الذبائح للآلهة ودخل قصر مرودخبلدان وجلس على سرير المملكة . واخذ الجزية لكنّهُ صرفها في ترميم قناة عتيقة في بورسيپا

ثم رجع الى اثور ليقضي فيها فصل الشتاء . ولمَّا كانت سنة ٧٠٩في شهر نيسان رجع شركينا الى بابل ليتتوَّج فيها . فقدَّم القرابين لبيــل ودخل هيكله ومسك بيديه وقال منهُ هكذا تاج ملوك بابل المقدَّس. فصارت الدولتان العظيمتان من جديد في يد ملك واحد او ايمبراطور واحد كما يقول الافرنج

ثم ان شركينا بعد ان تتوَّج في بابل حمل بجيوشه على بيت ياقين . وكان الملك مرودخبلدان قد انتهز الفرصة في الشتاء فحصَّن بيت ياقين تحصينًا منيعا . وجلب اليها اهل مدن إقبيبيــل واور واوروك وغيرها ووسَّع الخنــادق المحتاطة بدور ياقين عاصمته وعمَّقها وملأها من مياه الفرات . واماَّ هو فكان ينتظر الاثوريين في محلّ بين المستنقعات قريب من عاصمتــه . وكان خروج شركينا من بابل في شهر ايار . وانتشب القتال بين الجمعَين شديدًا . فهربت جيوش مرودبلدان ودخلت المدينة تاركةً بين يدَي العــدو كل ما كان في المعسكر من الاشياء الملوكيَّة والذخائر والاسلحة . واسر الاثوريون ٩٠٥٨٠ نفساً من القرويين الذين التجأوا هناك واخذوا منهم ٢٥٠٠ حصــان و ٦١٠ بغال و ٨٥٤ جملًا وغير ذلك . ثم شدّوا الحصار على المدينة وقطعوا اشجار النخل التي في اطرافها فكوَّموها بعضهـــا فوق بعض حتى وصلت الى رأس السور . ودافع مرودخبلدان عن نفســه بشدَّة عجيبة . وافتتح الاثوريون المدينــة فاحرقوها ودكّوا اسوارها وقصورها وهياكلها وبيوتهـــا . واماَّ مرودخبلدان فتمكَّن من الهرب من الجهة الاخرى . وانتشرت شهرة شركينا الى ديلمون وهي البحرين . فاتاهُ ملكها أوبيري بهداياهُ وقدَم له الطاعة . ثم ان شركينا عبر الدجلة وبنى قلعة حصينة على حدود عيلام في محلّ يقــال لهُ سكّبات . ولمَّا كان هنــاك اتاهُ رسل ملك الماشكيين وقدَّموا لهُ الجزية لانه بيما كان هو يحــارب مرودخبلدان كان احد قوَّاده المتولّي على قيليقية يقاتل الماشكيين . اذ ان ملكهم ميتا رفع لواء العصيان وانحاز الى الأرارطيين . فاسر القائد الاثوري الف رجل من الماشكيين وارسلهم الى حدود عيــلام حيث كان مولاه . ونهب بلادهم واخرب قلاعهم فجبر ملكهم ان يقدّم الطاعة

ان اسم شركينا انتشر حتى في بلاد اليونان والقى الرعبــة في قلوبهم . فان سبعة من ملوك جزيرة يَنا وهي قبرص سلَّموا لهُ طوعاً وارسلوا اليهِ الخراج . وارسل

لهم الملك الاثوري صورتهُ منقوشة على عمود من مرمر اسود ذكرًا لامتــداد سلطانه الى هناك ونُصِب العمود في كيتيو . وقد وُجِد هذا العمود في هــذه الازمنة المتأخرة ونُقِل الى برلين . وقد كُتِب عليهِ هكذا: « انَّ سبعةً من ملوك جزيرة يَنا الذين لم يسمع الملوك سلفائي باسم بلدهم ابدًا بلغهم ما عملت في بلاد الكلدان وحثّو (١) فرجفت قلوبهم واستولى عليهم الخوف فاتوني وانا في بابل بالذهب والفضة وغير ذلك وقبَّلوا رجليَّ فاعطيتهم صورتي منقوشة على عمود كتبت عليهِ عظـائم آلهتي واسماء كل الشعوب الذين اخضعتهم شرقاً وغرباً »

انَّ شركينا باخضـاعه بلاد الارارطيّين والكلدان استراح نوعاً ما من مشقَّة الحروب . نعم انهُ قدحت بعض الاحيان نار الفتن في حدود مملكته الواسعة . لكنَّ حضوره او حضور احد قوّاده كفى لتسكينها . انَّ موتلّو ملك كوجا الذي تجاسر وحالف الارارطيين امتنع من اداء الجزية . فحمل عليهِ الاثوريون فاسرع وهرب قبل دخولهم في مملكته . فنهبوا مدنه واسكنوا فيها الاراميين الذين اسروهم في بيت ياقين . وجعل شركينا مملكة كوجا من الولايات الاثورية وولَى عليهــا القائد الذي افتتحها . وكان ذلك سنــة ٧٠٨ وجعل تحت قيادته ١٥٠ عربة و١٥٠٠ حصان و٢٠٠٠٠ مقوّس و١٠٠٠٠ حامل ترس . وفي سنة ٧٠٧ ارسل جيوشــه الى بلاد اليبي (٢) لان دلتا الملك حليفه توفي فتنازع الملك ابناهُ نيبي وايشبـيرا فطلب نيبي مساعدة عيلام واما ايشبيرا فالتجأ الى شركينا . فانتصر الاثوريون على عساكر عيلام واجلسوا ايشبيرا مكان ابيهِ . وبينما كانت جيوش شركينا تقهر العيلاميين في اليبي ذهب هو فزار مدن الكلدان ونزل حتى البحر

انهُ لأَمرٌ مستغرب كيف انَّ شركينا مع كثرة انشغاله بحروب متواصلة قدر ان يهتمّ ايضاً بترميم القنوات القديمة وبحفر قنوات جديدة وبتصليح المدن القديمة وعمارة مدن جديدة . ومن اشهر ابنيتهِ مدينة جليلة في شمال عربي نينوى على مسافة ثلاث ساعات منها سمَّاها دور شركينا اي مدينــة او مقرّ شركينا ونقل اليها سرير المملكة . وبنى فيها قصرًا فاخرًا على تلّ مصنوع . وكان للقصر بابان كبيران وعلى

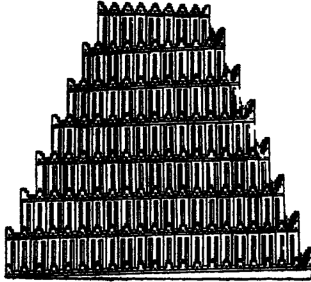
---

(١) بلاد السريان (٢) في حدود لورستان في ايران

جانبَي كل باب ثوران عظيمان لهما رأس انسان واجنحة طير وبين الثورَين تمثال كلكاموس وهو يخنق اسدًا . والباب نفسه مزيّن بكثير من ضروب النقوش وعجائب الاشكال والتصاوير . وكان داخل القصر مزيّناً كله بنقوش عجيبة وبآنية ذهبيّة وفضيّة وعاجيّة وخزفيّة وتروس وسيوف وغير ذلك من الاسلحة المتنوّعة والتحف الجليلة . وعلى الجدران صور بشريّة وحيوانيّة مختلفة الحركات والهيئات . وبنى بجانب القصر زقورتا عظيمة عالية ذات سبع طبقات مكرّسة للآلهة السبعة . وكانت هذه الطبقات السبع مصبوغة بالالوان المختلفة . فالطبقة الاولى كانت مصبوغة بالابيض والثانية بالاسود والثالثة بالقرمز والرابعة بالازرق والخامسة بالاحمر والسادسة كانت محلّاة بالفضة والسابعة بالذهب . وبالقرب من القصر كان بستان واسع الارجاء فيه كل انواع الشجر والنباتات وانواع كثيرة من الحيوانات الاهلية والبرّية . وكان الفراغ من هذه المدينة وتكريسها في ٢٢ تشرين سنة ٧٠٧ ومركزها في المحلّ المسمّى الان خرصباد والظاهر ان خرصباد تحريف خسروا باد اي مدينة كسرى . وذهب اثرها تحت الردم والانقاض من نحو الفين واربعمائة سنة حتى قدم الموسيو بوطا قنصل دولة فرنسا في الموصل سنة ١٨٤٢ وهو اوّل من كشف هذه المدينة في ٢٠ اذار سنة ١٨٤٣ وقد نُقِلت جميع آثارها الى دار الانتيكات في باريس

وكان شركينا الملك يُؤمّل انهُ يقضي بقية ايامه في الراحة في مدينته هذه الجديدة . وكان قد ولّى سنحاريب ابنهُ الاكبر على البلاد الشمالية ووكلهُ على امور مناي وارارطو والاقوام المتوحشة الساكنة على سواحل البحر الاسود وقزل ايرماق . وفي ذيل جبل قوقاس . وجرى لسنحاريب في سنة ٧٠٦ محاربة مع التوباليين فيها انتصر عليهم . واماً شركينا فلم يذق الراحة كما كان يشتهي . فانهُ في سنة ٧٠٥ قام عليهِ جندي عريب وقتلهُ . وكان سنحاريب في الجهات الشمالية فاتى مسرعا وجلس مكان ابيهِ

زقرتا مدينة دور شركينا



انَّ شركينا هـذا من اعظم الملوك الذين قاموا شرقاً وغرباً. فبكلّ صواب نقدر ان نطلق عليهِ اسم الكبير. وقد استحقّ هـذا اللقب بفتوحاتهِ المتواترة وشجاعتهِ الفريدة وعقلهِ الثاقب. ومع كونهِ بطلًا شجيعاً وفاتحاً منصوراً كان ايضاً من السياسيين الماهرين. فانهُ كان بدولتهِ الواسعة الارجاء شعوب مختلفة في الطباع والاديان والاداب. فالشعوب الذين كان تخلّقهم باخلاق الاثوريّين سهلًا جعلهم من ولايتهِ وولّى عليهم رجالًا اثوريين ومع اجتهاده بقرض سلالة ملوكهم واسكانهِ فيما بينهم اقواماً غريبة حافظ ايضاً على ديانتهم وآدابهم وشرائعهم. واماً الشعوب الذين رآهم لا يتطبّعون بطباع الاثوريّين كالعيلاميين والارارطيين فبذل جهده في تضعيفهم واذلالهم. وبعض الممالك الصغيرة التي بقيت امينة نحوه مثل مملكة يهوذا لم يتعرّض لها بل تركها وشأنها. ومع كونهِ مشغولًا بالحروب اهتمّ ايضاً بترقية الفلاحة في دولتهِ. واماً طبعهُ فلم يكن قاسياً كما يظهر في اول لمحة بل نراه حليم الطبع شفوقاً على المغلوبين كلّما مكّنتهُ السياسة من ذلك. ولقد اقتدى بهِ خلفاؤه العظام في توسيع الدولة واقامة ولاة اثوريّين على البلاد المفتوحة ونجحوا في هذا العمل ايّ نجاح. لكنّهم لم يتوفّقوا في تمكينهِ وتثبيتهِ. لان الحصول على الشيء امر صعب والمحافظة عليهِ اصعب

الفصل الخامس

سنحاريب (٧٠٥—٦٨١) (١)

عصيان بابل وفلسطين واخضاعهما وقهر المصريين — انهزام مرودخبلدان الثاني — اخضاع القبائل التومريّة وقيليقية — بحريّة سنحاريب وانتصاره على مرودخبلدان — احوال عيلام ومحاربتها الاثوريين — واقعة حالولي —

جلس سنحاريب على تخت المملكة في ١٢ آب سنة ٧٠٥. وقيل ان اصل اسم سنحاريب ܣܝܢ ܐܚܐ̈ ܐܪܒ ومعناه سين يكثّر الاخوة او يا سين كثّر الاخوة. وعندي انَ اصلهُ ܣܝܢ ܡܚܐ اي سين يقاتل او سين المقاتل. وكان سنحاريب نظير ابيهِ شركينا مشهورًا بالشجاعة وشدّة الباس مولعا في الحرب والبناء. غير انَّ اخلاقهُ وسياستهُ لا تشابه اخلاق والده وسياستهُ. فانّهُ لم يعرف ان يشفق بعد الغلبة بل اخرب وقتل وجعل البلاد المفتوحة قاعا صفصفاً

انَّ خبر قتل شركينا طار على جناح السرعة وانتشر في كل انحاء الدولة. فايقظ في بعض الشعوب الميل الذي كان لهم الى العصيان. واول من تمرَّد مملكة بابل. والداعي الى ذلك انَّ سنحاريب لم يرَ مناسباً ان يجعل بابل في مصفّ نينوى بتتويجهِ فيها واخذه لقب ملك بابل بمسكهِ يدَي بيل الاله مثلما فعل سلفاؤهُ. بل ملّك عليها احد اخوتهِ وارتكب بذلك خطأً سياسيًّا عظيماً. فانَّ هذه المعاملة اغضبت البابليين فقاموا على ملكهم الجديد وقتلوه وملّكوا مكانهُ رجلًا اسمهُ مرودخزاكيرشوما وكان ذلك سنة ٧٠٤. ولم يمض عليهِ شهر حتى ظهر مرودخبلدان الثاني. فحدثت فتنة في بابل فيها قُتل مرودخزاكيرشوما فدخل مرودخبلدان المدينة وجلس ثانيةً على تخت المملكة. ولكي يثبت لهُ الامر بذل مجهوده في ان يكون لهُ حلفاء كثيرون. فقصد اوّلا عيلام فوعدتهُ بالمساعدة. وبتشويق عيلام عصى

---

(١) راجع من سنحاريب مجلّة الكتاب المقدس: ٥٠١—٥٢٠ وماسبيرو: ٥٠١—٥٢١ وماسپيرو: ج ٢٧٣—٣٢٠ وميان تاريخ سني ملوك اثور: ٢١٤—٢٣٠ وأوپير كتابات سركونيّة اثوريّة: ١—٥٣ ورحلة في ما بين النهرين: ٢ ٢٩٧

الكوسيون والاليبيون ايضاً. ثم ذهب رسلهُ الى سوريا وزرعوا فيها الفتنة. فان حزقيا ملك يهوذا رغماً عن نصائح اشعيا النبي استنجد المصريين. واقصر لوليا ملك صيدا عن الخراج واقتدى بهِ الاشقاليون. واهل عقرون هجموا على ملكهم پادي الذي ملّكهُ شركينا عليهم واسروه وارسلوه الى حزقيا الملك فالقاه في السجن

فظهر سنحاريب في هذا الخطر الشديد شجاعاً بطلاً غازياً. وحمل اولاً على البابليين سنة ٧٠٤. وكان مرودخبلدان قد تحصّن في مدينة كيش. وقد اتت الى مساعدتهِ جيوش عيلام. فانغلب وهرب واستخفى في مستنقعات دجلة. ووقع كل ما كان في معسكره من العربات والخيل والبغال والجمال بيد الاثوريين. وفتحت بابل ابوابها لسنحاريب مؤملةً انّهُ يدخل نظير سلفآئه هيكل بيل فيقبض على يدَي الاله ويصير عليهم ملكاً. ولكن خاب املهم. فانَّ سنحاريب نهب القصر واخذ كل ما في الخزينة وملّك على بابل رجلاً بابلياً اسمهُ بيلبيني كان قد تربّى في قصر شركينا الملك. وهو الذي يسمّيه اليونان بيلوسوس او بيلس. وافتتح سنحاريب اكثر من خمس وسبعين مدينة من مدن الكلدان واربعمائة وعشرين قرية. وطرد كل الجنود الاراميّة والعربيّة التي كان مرودخبلدان قد وضعها في اوروك ونيپور وكيش وكوتا وسيپار وغزا ايضاً القبائل الاراميّة الكلدانيّة التي على سواحل الفرات وفي حدود عيلام ورجع الى نينوى منصوراً غانماً ٢٠٨٠٠٠ اسير و ٧٢٠٠ حصان و ١١٠٧٣ حماراً و ٥٢٣٠ جملاً و ٨٠١٠٠ ثور

وفي سنة ٧٠٣ هجم على الكوسيين. فهربوا الى الجبال فطاردهم. ولم يمكن لعرباتهِ ان تسلك في تلك الاودية الضيقة. فركب حصانهُ واضطرّ احياناً ان يقطع تلك الجبال ماشياً مع اجناده. وافتتح بيت كلمزاح وحرديشپي وبيت كوباتي وادخل ارض الكوسيين ويسوبيكّلاّي في ولاية أراپحا. وعبر من هناك الى الييپي فلم يتجاسر الملك ايشپيرا ان يقاتلهُ بل هرب من مدينة الى مدينة. فاحرق سنحاريب عاصمتين كانتا لهُ اي ماريبشي واكودا. واستولى ايضاً على اربع وثلاثين قلعة من قلاعه واخربها واستظهر على زيزيرتا وكومالا وناحية بيت بارا وعلى مدينة اليتراش واطلق عليها اسم كرخ سنحاريب. وضمّ هذه البلاد كلّها الى ولاية خرخر. واتاه الملوك من اقاصي مادي وقدّموا لهُ هداياهم وجدّدوا الميثاق الذي ضربوه مع

ابيهِ شركينا الملك

ولمّا فرغ سنحاريب من امر الكلدان والشعوب الذين على حدود عيلام حمل على سوريا سنة ٧٠٢ . وكان حزقيا ملك يهوذا وايلولاي ملك صور ورفاقهما ينتظرون المساعدة من مصر . ولكن خاب مسعاهم . فهرب ايلولاي الى جزيرة قبرص وهناك مات . واستولى الاثوريّون على صيدا الكبرى وعلى صيدا الصغرى وعلى بيت زيت وصاريبتا ومحليبا وأوشو واكزيب وعكا . والقى اسم سنحاريب الرعبة في قلوب جميع الملوك المجاورين . فاتوه بهداياهم مقدّمين لهُ الطاعة . وكان في جملتهم منحيم ملك شمشيمورنا وعبد يليتي ملك ارواد واورملك ملك جبيل وبُدإيل ملك عمون وكموش ندبي ملك مواب وملكرام ملك ادوم ومتندي ملك اشدود . واما حزقيا ملك يهوذا وصدقيا ملك اشقالون فبقيا متمرّدَين . فزحف سنحاريب على ملك اشقالون وافتتح كل مدنهِ المحصنة اي بيت داغون ويافا وبني براق وازور واشقالون وقبض على صدقيا الملك وكبّله بالاغلال وارسلهُ هو وكل افراد عائلته الى اثور . ونصب مكانه شرلوداري ابن روكبتي وكان يريد الزحف على عقرون ولكن بلغهُ انَّ المصريّين ظهروا في اسيا لمساعدة حلفآئهم . وكان المالك حينئذ على مصر شبيتقا فارسل على الاثوريّين احسن جيوشه وانضمّ اليهم عساكر ملك دلتا وبعض ملوك اسيا ايضاً والتقى سنحاريب بالجيوش المصرية بالقرب من مدينة التقا . وانتشب القتال في السهول الممتدّة بين تبنة وعقر وكانت النصرة للاثوريّين . فهرب المصريون اقبح هزيمة تاركين في ميدان الحرب قسماً من عرباتهم الحربيَّة وقُتل منهم خلق كثير وفي جملتهم بعض اولاد ملوكهم وافتتح الاثوريون مدينتَي التقا وتمنة ونهبوهما . ثمّ هجموا على عقرون وفتحوها ايضاً ونهبوها

اما حزقيا ملك يهوذا فانهُ خاف خوفاً عظيماً فخلّى سبيل پادي ملك عقرون الذي كان محبوساً عنده . ولم يتفكّر بمساعدة المصريين الذين لاغاثته اتوا الى اسيا . ومشى عليه سنحاريب ليقاصصه هو ايضاً قصاصاً شديداً . فاستولى على ست واربعين مدينة محصنة من مدنهِ وعلى عدد كبير من قراه ونهبها كلّها واسر منها ٢٠٠١٥٠ نفساً (١) ثم صعد نحو اورشليم . ولمّا سمعت عاصمة يهوذا بقدوم سنحاريب اضطربت

(١) ٢ ملوك : ص ١٣

ايّ اضطراب. وقال اشعيا النبي واصفاً هذا الخوف: « ياتي الى عياث. يعبر بمغرون عند مخمش يودع امتعتهُ. عبروا المعبر باتوا في جبع بيتوتةً. اندهشت الرامة هربت جبعة شاول. اصهلي بصوتك يا ابنة جلّيم اصغي يا ليشة عناتوث فقيرة. هربت مدمنة واحتمى سكان جابيم. ايضاً اليوم يقف في نوب يهزّ يده على جبل ابنة صهيون اكمة اورشليم (١) وما فتئ سنحاريب يحرق وينهب حتى وصل الى اورشليم وشدّ عليها الحصار. وأتى في الكتاب المقدّس (٢) ان حزقيا ارسل رسلاً الى سنحاريب قائلاً: اني اخطأت. فارجع عني فاني ادفع كل ما جعلت عليَّ من الخراج. فطلب منهُ ملك اثور ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب. ولم تكف الفضة التي في خزانة الملك. فدفع حزقيا كل الفضة التي كانت في بيت الرب ايضاً. وقشر الذهب عن ابواب الهيكل والدعائم التي كان غشّاها ودفعه الى الاثوريين. وقال ايضاً سنحاريب في احدى كتاباتهِ: « اني هجمت على مدينة اورشليم دار الملك حزقيا. فحبسته داخل المدينة كما يُحبس العصفور في القفص. ووهبت مدنه المفتوحة لميتتي ملك اشدود وپادي ملك عقرون وإشمان ملك غزة. وانّ حزقيا لمّا رأى بأسي ضاقت عليه مذاهب الخلاص ولم يجد للثبات سبيلاً فارسل اليَّ رسله يعرضون عليَّ المهادنة والصلح وان اضرب عليهِ ما شئت من الاموال فاخذت منه ثلاثين وزنة من الذهب وثمانمائة وزنة من الفضة وكثيراً من الاحجار الكريمة واللؤلؤ والياقوت والعاج وجلود الفيل والاخشاب المتنوعة وثياباً ثمينة ارجوانيَّة واسلحة كثيرة لا تحصى. . . . وذهبت بها الى نينوى. »

انّ كلام سنحاريب يؤيد ما اتى في اخبار ملوك يهوذا. والفرق بينهما هو انّ سنحاريب يكتب ٨٠٠ وزنة من الفضة فيما ان الكتاب المقدّس لا يذكر سوى ٣٠٠ وزنة. ثم انّ مدينة لخيش المذكورة في سفر الملوك الثاني (١٨: ١٧. و١٩: ٨) لا ذكر لها في كلام سنحاريب. فيقول الاب دورم (٣) انّ ما اتى في اخبار الملوك (١٨: ١٣—١٦) هو عن غارة سنحاريب على بلاد اليهودية سنة ٧٠٢. واماً ما اتى في

(١) اشعيا: ص ٢٨—٣٢ (٢) ٢ ملوك: ص ١٣—١٦

(٣) في مجلة الكتاب المقدس: ٥١٢

ذلك الفصل عينه بعد العدد السادس عشر وفي الفصل التابع هو عن غارة سنحاريب على بلاد العرب ففلسطين في سنة ٦٩٠ وسيأتي ذكرها

وفي سنة ٧٠٠ اشتغل سنحاريب ثانيةً بامور بابل . فان مرودخبلدان لم يكن قد قطع رجاءَهُ . واجتهد في محالفة ملك عيلام . وتحزَّب لهُ اهل بابل ومرودخشازيب او شيزيب احد امراء الكلدان الاراميين الذين على سواحل البحر . وكان هذا في مدينة بيتوتا . وتحرَّش هو ومرودخبلدان بالعساكر الاثورية التي في مملكة بابل . فانقضَّ عليهما سنحاريب وافتتح بيتوتا . فهرب شيزيب وانهزم ايضاً مرودخبلدان آخذًا معهُ تماثيل آلهته وكنوزه وركب سفينةً والتجأ الى بلاد عيلام الى ما وراء نهر أولاي (١) ودخل سنحاريب بيت ياقين فرآها خالية لان السكان تبعوا ملكهم مرودخبلدان وهربوا معهُ الى بلاد عيلام . ونهب سنحاريب كل مدن كلدو الجنوبيَّة ثم دخل بابل واسر ملكها بيلبيني وساقهُ الى اثور هو وكل افراد عائلته . ونصب مكانه ابنه اسورنادينشوما . واما عيلام فلم تجسر ان تتداخل ولم يزحف عليها سنحاريب بل قصد ان يتتبَّع مرودخبلدان في البحر فيضربهُ ضربة قاطعة . لكن الفتن التي جرت في حدود مملكة اراراط اشغلتهُ عن ذلك



سنحاريب ملك اثور

انَّ قبائل تومورا في جبل نيپور نشرت لواء العصيان وبدأت تنزل من جبالها فتغير على السهول وتنهبها . وكانت قصورها على قمم جبال عالية منيعة حتى ان سنحاريب قال عنها انها كانت تشبه اوكار الطيور في اعالي الصخور . فخلَّى الملك الاثوري المهمات الحربية في سحف الجبل في شماليّ آمد . وحملهُ اجناده على اكتافهم وهو جالس على تخت . والتزم ان ينزل مرارًا من التخت ويتسلَّق الجبل كالعنزة ثم يجلس على الصخور ليستريح . ولم يزل على تلك الحالة حتى لحق بالعدوّ وبدَّد شمله واثخن فيهِ الجراح واحرق قلاعه ونهب اغنامه واسر منهُ خلقاً كثيرًا . وانتقل من هناك الى دياني في غربي بحيرة وان متسلِّقاً

(١) كارون الحاليّ

الجبال ومنحدرًا في الاودية وقهر الملك مانيا وهزمهُ وافتتح أوكى عاصمته ونهبها وضبط منهُ ثلاثاً وثلاثين مدينة او قرية. وكان ذلك سنة ٦٩٩

وفي سنة ٦٩٨ اغارت الجيوش الانورية على قيليقية التي نشرت لواء العصيان. فاخضعتها وقبضت على كيروا مسبّب الفتنة واتت بهِ الى اثور حيث سُلخ جلدهُ وهو حيّ. ونُقِشت على عمود في مدينة ايلوپرى اخبار هذه النصرة. وقد اجمع المؤرّخون القدماء ان باني مدينة طرسوس هو سنحاريب الملك. وانهُ انتصر على سفن اليونان في مصبّ نهر ساروس (١)

انَّ آثار سنحاريب لا تتكلّم عمّا جرى في سنة ٦٩٧ و ٦٩٦ وفي سنة ٦٩٥ مشى الاثوريون على التوباليين فاخضعوهم من جديد واتوا بغنائم كثيرة

انّ هزيمة مرودخبلدان اثّرت شديداً في العيلاميين ونسبوا ذلك الى رخاوة ملكهم شوتورنخوندي. فقبضوا عليهِ وحبسوهُ ونصبوا مكانه اخاه حلودوش. فعلم سنحاريب انهُ لا بدّ من مداخلة العيلاميين في امر مرودخبلدان. فقصد ان يفرغ من امر هذا الملك قبل ان يلحق بهِ حلودوش. وكان مرودخبلدان قد التجأ مع قبائله الارامية الكلدانية الى ما وراء خليج العجم في محلّ يقال لهُ ناكيتا فعمل سنحاريب سفناً حربيّة تذهب بجيوشه الى سواحل عيلام لينقض غفلةً على العدوّ. وكان الكلدان يصطنعون السفن غير ان الفونيقيّين كانوا يفوقونهم في هذه الصناعة. فدعا سنحاريب بحريةً فونيقيّين ويونانيّين وفي مدّة سنة عملوا لهُ سفناً حربيّة كثيرة قويّة بعضها في تلبارسيب وهي بيرهجك الحالية على ساحل الفرات. وبعضها في نينوى على ساحل الدجلة

وفرعوا منها سنة ٦٩٤ فالسفن المعمولة في تلبارسيب نزلت رأساً الى باب ساميتي. وكانت على مسافة اربع ساعات من البحر. واماَّ السفن المصنوعة في نينوى فنزلت الى أوپي ومن هناك حملوها على عربات الى قناة أرحتا ثم أوصلوها الى الفرات فلحقت بالسفن الاخرى. ولم ينزّلوها في دجلة لئلّا يراها العيلاميّون فيتأهبوا للمحاربة. فركبها سنحاريب هو ومشاته وخيله وسائقو عرباته. وحدثت زوبعة في البحر فوقفت

(١) مُلر ديدوت القطع التاريخية لمؤلفي اليونان : ص ٥٠٤

السفن مدّة خمسة ايام . فاضطرب سنحاريب والقى في البحر اكراماً للآلهة سفينة صغيرة وسمكة وصورة الاله حياً وكانت كلها من ذهب . ولمّا وصل بسفنه الى مصبّ اولاي صعد بها النهر فانقضّ غفلة على مرودخبلدان وقاتلهُ وبدّد جيوشه ورجّع كل الكلدان الذين هناك واتى بهم الى اثور . واما مرودخبلدان فهرب وخلص . قال سنحاريب في احد اثاره : « اني اسرت اهل بيت ياقين وآلهتهم وخدام ملك عيلام فاركبتهم المياه واتيت بهم الى هذه الجهة من البحر ثم سقتهم الى اثور . واخربت مدن تلك البلاد وهدمتها وجعلتها رماداً ودفنتها تحت انقاضها وجعلتها قاعاً صفصفاً »

وهكذا رجع سنحاريب الى نينوى غانماً مظفرًا . لكنّ غارتهُ هذه على ارض عيلام وقعت موقعاً شديدًا في قلب حلودوش . فتناول السلاح وحمل حالًا على بلاد الكلدان . فخالفوه ونشروا لواء العصيان على الاثوريين . وهجم البابليون على ملكهم اشورناديتشوما واسروه وارسلوه الى شوشان واجلسوا مكانه رجلا يقال لهُ نرگلشيزيب او شوزوب . وقاتل شوزوب الاثوريين بشدّة وكانت لهُ النصرة اوّلًا لكنّهُ غُلب بعدئذٍ بقرب مدينة نيپور ووقع بيد اعدائه . وتخلّفهُ موشزيبمرودخ سنة ٦٩٣ ودافع عن نفسه بشجاعة عجيبة وذلك بقوّة العيلاميّين حتى ان سنحاريب اضطرّ ان يكفّ موقتاً عن محاربتهِ

انَّ قتل نرگلشيزيب ملك بابل وقع موقعاً في قلوب اهل شوشان . فاغتنم كوتورناحونتا هذه الفرصة وقام على حلودوش ونزّلهُ عن السرير وجلس مكانه . وانتهز سنحاريب الفرصة من ذلك فجمع جيوشه في نهاية سنة ٦٩٣ وعبر بها الحدود في اطراف مدينة دور وانقضّ على عساكر الكلدان والعيلاميين وانتصر عليهم واسر منهم خلقاً كثيرًا وفتح اربعاً وثلاثين مدينة محصنة وعددًا لا يحصى من القرى . ولمّا بلغ هذا الخبر الملك كوتورناحونتا اخذه خوف شديد فانتقل بجيشه من مادكتو الى مدينة خيدلي في اقاليم مجهولة في حدود بلاد مادي وتحصن هناك في الجبال . ومشى عليهِ سنحاريب سنة ٦٩٢ غير ان الشتاء كان قاسياً فهطلت الامطار ووقع ثلج كثير وفاضت مياه الانهر والسيول فالتزم الاثوريون ان يكفّوا عن المحاربة . وفي تلك السنة عينها مات كوتورناحونتا وتخلّفهُ اخوه اومانمينانو

واشتغل اومانمينانو منذ بداية ملكه بامور الكلدان مثل سلفائه . فان ملك بابل ارسل لهُ كنوز هياكله طالباً مساعدته . فاجاب الملك الجديد الى سؤاله وجمع جيوش حلفائه وانضمَّ اليهِ اهل پارسوا وانزان والييپي والقبائل الساكنة في وادي الفرات الاسفل . واتى بهذه الجيوش كلها الى بابل . وكان موشزيبمرودخ قد ألَّب هو ايضاً جيوشه هناك . فحمل عليهم الاثوريون وانتشب القتال في اطراف حالولي على دجلة بالقرب من مصبّ نهر ديالة . قال سنحاريب في احدى كتاباته : « اني عقدت التاج على رأسي للمحاربة وركبت عربتي المخيفة المبدِّدة للاعداء وكان قلبي يشتعل بنار اخذ الثار . فمسكت القوس القويّ الذي اعطانيهِ اشور وقبضت على الدبُّوس المُتلِف الحيوة . وحملت بشجاعة وجلالة على جيش العصاة المرذولين وانقضَّيت عليهم نظير اداد » وكان القتال شديدًا . ووقع خومبوداش قائد الجيوش العيلاميَّة قتيلًا . فسرى الخوف في قلوب الحلفاء وانخذلوا . ووقع نابوز كرشكون بن مرودخبلدان اسيرًا بيد الاثوريين وقُتل اغلب اعيان الكلدان وهرب اومانمينانو ملك عيلام وموشزيبمرودخ ملك بابل كل واحد الى عاصمته

هذا ما اتى في آثار سنحاريب . واماَّ تاريخ بابل فينسب النصرة للكلدان . فالظاهر ان القتلى كانوا كثيرين من الفريقين ولم تظهر النصرة لاحدهما فبقيت الاحوال مثلما كانت قبلًا . وهذه الواقعة تُعرَف بواقعة حالولي وجرت سنة ٦٩١

الفصل السادس

تتمَّة قصَّة سنحاريب (٦٩١—٦٨١)

غارة سنحاريب على بلاد العرب وفلسطين — حصار اورشليم — وقوع الوبأ في عسكر الاثوريين — خراب بابل — ابنية سنحاريب وزخرفته لنينوى — صناعة النقش في اثور — قتل سنحاريب — احيقار الوزير وكتابةُ

ان سنحاريب حنق على بابل وقصد محوها حتى سنحت لهُ الفرصة سنة ٦٨٩ ولكنَّهُ لم يسترح في تلك المدَّة . بل اغار على بلاد العرب وتوغَّل فيها وانتصر على الملك حزائيل وغنم منهُ غنيمة عظيمة . وضرب في البراري حتى وصل نحو حدود

مصر . فذهب ونصب معسكره في مدينة لخيش . وكان المالك حينئذ على مصر ترهاق الحبشي الذي حمل على مصر سنة ٦٩٣ وقتل الملك شبيقتو وملك مكانه وكان ترهاق شجاعاً وباشر حرباً في لوبية وقيل عنهُ انهُ وصل الى جبل طارق وتوغل في شمال عربي افريقيا . وكان حزقيا ملك يهوذا قد خان ثانيةً اثور وتحالف مع ملك مصر . فارسل سنحاريب من مدينة لخيش قسما من جيوشه فحاصرت اورشليم . وهاك ما اتى في الكتاب المقدس عن هذه المحاصرة

انَّ ترتان وربشاقا (١) ذهبا الى اورشليم وشدَّا عليها الحصار . فارسل اليهما حزقيا الملك الياقيم الخازن وسبنة الكاتب ويولح المذكّر . فقال لهم ربشاقا بشدة : قولوا لحزقيا : هذا ما يقول الملك العظيم ملك الاثوريين : ما هذا التوكّل الذي توكات حتى تتمرَّد عليَّ . انك اعتمدت على عكاز هذه القصبة المرضوضة . على مصر التي اذا استند الانسان عليها انكسرت ودخلت في يده وثقبتها . ولمَّا طلب منهُ رجال اليهود ان يكلّمهم باللسان الارامي لا باليهودية لئلا يسمع الشعب الذي على السور وقف ربشاقا وصرخ بصوت عالٍ باليهودية وقال : اسمعوا كلام الملك العظيم ملك الاثوريين . هكذا يقول الملك : لا يضلّكم حزقيًّا لانهُ لا يقدر ان يخلصكم . اعقدوا معي عهداً واخرجوا اليَّ وليأكل كل واحد منكم من كرمهِ وتينه . واشربوا كل واحد من ماء جبّه حتى آتيكم وآخذكم الى ارض هي مثل ارضكم كثيرة الحنطة والخمر ارض الخبز والكروم . ولمَّا سمع ذلك حزقيا الملك مزّق ثيابه ولبس مسحا ودخل بيت الرب وصلَّى . وارسل اليهِ اشعيا النبي فشجَّعهُ وقال له ألَّا يخاف بسبب الكلام الذي سمعهُ من غلمان ملك الاثوريين . فانَّ الرب سلَّط عليه روحاً فيسمع خبرًا ويرجع الى بلده ويُقتل بالسيف في ارضه

وفي تلك الاثناء بلغ سنحاريب ان ترهاق ملك مصر قد تأهَّب للمحاربة وقد خرج من عاصمته ليأتي فيحمل عليهِ . فانتقل سنحاريب الى لبنة . وعلى رواية هيرودوت المؤرّخ ذهب حتى انتهى الى بلوزا وهناك ظهر الوباءُ في جيوشه ففتك بها فتكاً ذريعاً واهلك اكثر من نصفها . ويقول الكتاب المقدس ان الذين ماتوا بالوباء

---

(١) ٢ ملوك : ص ١٧—٣٧ والفصل ١٩

كان عددهم ١٨٥٠٠٠ رجل واضطرّ سنحاريب ان يرجع الى نينوى وكان ذلك في نهاية سنة ٦٨٩

انّ سنحاريب لم يرجع مرة اخرى الى سوريا. ولم يكن ذلك ضعفاً منه فانّ عزائمهُ لم ترتخ ابدًا بل انّ احوال بابل اشغلته عن ذلك. والظاهر انّ موشزيب مرودخ ملك بابل انتهز الفرصة من غياب سنحاريب وهجم على بعض نواحي اثور ففي تلك السنة عينها التي رجع فيها من ارض فلسطين حمل على بابل. واتفق في تلك الاثناء انّ اومانمينانو ملك عيلام أُصيب بدآء النقطة فلم يقدر ان يساعد البابليين وشدّد سنحاريب الحصار على بابل وافتتحها. ولا يخفى انّ ملوك اثور عاملوا دائماً مدينة بابل بلطفٍ ورفق وذلك مراعاةً لقدمها وآلهتها وهياكلها المقدّسة. ولكن سنحاريب ابطن السوء عليها من جرآء خيانتها وعصيانها الغير المنقطع. فامر بإبادتها واستئصالها. فقبض الاثوريون على الملك موشزيب مرودخ وكبلوه بالاغلال وارسلوه مع اسرى كثيرين الى اثور. وقتلوا جمًّا غفيرًا من اهــل المدينة حتى انّ الجثث تكوّمت بعضها فوق بعض في الازقة وفي دهاليز الهياكل والزقرتات. وبعد القتل بدأ الجنود بالنهب فنهبوا كنوز القصور والهياكل وكل بيوت الاشراف. واخربوا المدينة ودكّوا اسوارها وقصورها واتى في احدى كتابات سنحاريب ما نصه: « اني استأصلت المدينة والهياكل واخربتها واحرقتها بالنــار. واخربت الحيطان والاسوار ومعابد الالهة والزقرتات المبنيّة بالاجرّ وباللبن وملات قناة أرحتا من انقاضها ».

ووجد الاثوريون في احد المعابد تماثيل الاله اداد والإلهة شالا التي كان الملك مرودخنجا قد سلبها من مدينة هيكالي في عهد تغلاتپلاسر الاول اي قبل اربعمائة وثماني عشرة سنة (١). واكتشفوا ايضاً على ختم شلمناسر الاول الذي كان اداد بلدينا الغازي كرّسه لآلهة وطنه. فاتى سنحاريب بهذه التماثيل وهذا الختم الى نينوى ووضعها باحتفال عظيم في احد هياكل اثور

والبائن انّ سنحاريب بعد خراب بابل استراح من الغــارات والغزوات. لانّ مصيبة هــذه المدينة العظمى القت الرعبة في قلوب جميع الامم فلم تحرّك ساكناً ولعلّهُ باشر غزوة لم يتصل الينا خبرها

(١) راجع ص ٣٧ و ٥٦ من هذا الكتاب

ان سنحاريب كان ملكاً عظيم الشان شديد الوطأة بعيد الهمة كثير الغزوات والفتوح وقد اتى في ايامه من عظائم الامور ما لم يأته ملك قبلهُ حتى طـار ذكره في الآفاق وامتدت شوكته الى ابعد الاقطار وتحامت حوزته كبرآء الملوك ودان لدولته كثيرمن الاقاليم وكان يلقب نفسه بملك الارض وخليل الآلهة (١)

والامر الغريب هو ان هـذا الملك الجليل مع كونه مشغولًا دائمًا بالحروب الشديدة الغير المنقطعة امكنه ان يهتم بسياسة دولته الواسعة العظيمة وباقـامة الهياكل والقصور العجيبة وحفر القنوات وقد اقتضى لهُ لذلك اموال وافرة لانَّ الابنية التي شادها كثيرة جسيمة. فانَّه عمرّ هيكل نركال في مدينة تاربيزي (٢) وحصّن قرية ألشي (٣) وفي سنة ٧٠٤ بنى لهُ قصرًا جميلًا فاخرًا في مدينة كاكزي وكانت في جنوب شرقيّ كالح. والمدينة التي اهتمّ اكثر ما يكون في تزيينهـا وتوسيعها كانت مدينة نينوى الشهيرة. فانَّه لم يعجبه ان يجلس في دور شركينا التي كان ابوه قد نقل اليها كرسيّه. بل جلس منذ اوّل ملكه في نينوى. وبدأ يعمّر ابنيتها. ثمَّ لما استـاق اسرى كثيرين من البلاد المفتوحة في غزواته الاولى باشر بتجديد المدينة كلّها. فجدّد جادّاتها وازقتها وقنواتها ومسلّاتها وبساتينها. وبنى فيها قصورًا جميلة وزقورتات عظيمة. وارسلت لهُ الولايات كل ما لزمه من الموادّ للبنآء. وكان قصره على التلّ المعروف اليوم بتلّ قوينجغ بازآء الموصل على دجلة. وهو بناء كبير يُعدّ في جملة عظائم تلك الاعصـار. وكان مزيّنًا بجميع ضروب الزخرفة من تماثيل الاسد وتمـاثيل الثيران ذات الاجنحة وتماثيل الآلهة والإلاهات ومشاهد صيد ومعارك وحصارات وفتوحات وذبائح ومجالس وغير ذلك. وبجانب قصره غرس بستانًا عظيمًا واسعًا مغطًّى بكلّ انواع الاشجار المثمرة والغير المثمرة النابتة في جبال سوريا وفي سهول بابل من الارز والصنوبر والسرو والنخل والرمان والتفاح وغير ذلك ممّا لا يُحصى. وعمل في البستان حوضًا كبيرًا جلب اليهِ المياه بقناة من خوصر. وقسّم المياه الى عدة سواقٍ كانت تجري في كل اطراف البستان فتزيّنها

(١) جبيل مدوّر: ١٠١
(٢) انَّ هذه المدينة كانت في المحلّ المدعو اليوم شريف خان في اطراف الموصل
(٣) في شامك في اطراف اربيل

بالخضرة الدائمة. وفي مخابئ البستان كانت تستتر الخنازير والايلة وسائر الحيوانات. حتى ان الملك كان يخرج الى الصيد دون ان يخرج من قصره. وحفر سنحاريب ثماني عشرة قناة ايضاً جلب بها المياه من كل جهة الى نينوى. ونظّف القناة التي كان اسورناصربال قد عملها قبل مائتي سنة. وجلب ايضاً الى عاصمته المحبوبة بقناة مياه الينابيع من عند باويان على الجانب الايمن من نهر كومل في شماليّ جبل مقلوب

وفي ايام سنحاريب بلغت صناعة النقش والتصوير في اثور الى اسمى درجة من الكمال. قال رولينسون ما ملخَّصه: «انّ التصاوير التي صُنعت في زمان سنحاريب من الدقة في الرسم ومن الشبه بالصور الطبيعيَّة ما يقضي بالعجب. ففي عهده عمَّت العادة ان يصوّروا الحادثة والواقعة مع كلّ تفاصيلها وظروفها حتى الجبال والصخور والطرق والجداول والبحيرات والبساتين والحقول والغدران مع البردي النابت فيها والحيوانات الوحشيَّة. فترى الحيوانات هاربة والطيور تحوم من شجرة الى شجرة او تطعم فراخها في اوكارهــا والاسماك تعوم في المياه والصيادين يصيدونها وترى الفلاحين يفلحون الارض». وذات يوم اصبح سنحاريب مقتولاً بسيف. قال عنه الكتــاب المقدَّس (١). انه بينما كان يسجد في بيت نسروخ إلهِهِ قتله ادرملك وشراصر ابناه بالسيف وهربا الى ارض اراراط وملك اسرحدون ابنهُ عوضهُ. وقد ظنّ اوّلًا العلماء ان سنحاريب قُتل في نينوى. ولكن قد اتى في احد آثار اسوربانيبال انَّهُ قُتل في بابل. وقــال العلامة وينكلير انّ الهيكل الذي قُتل فيهِ هو هيكل مرودخ او مردوخ وليس نسروخ الّا تصحيف مردوخ. انّ كاتب سفر الملوك الثاني يقول انَّ قاتلي سنحاريب هما ابناه ادرملك وشراصر. واماً بيروس المؤرخ الكلداني وتاريخ بابل فيقولان انَّ ابنهُ قتله. ويقول بيروس انَّ اسم القاتل اردومزان وهو كما يظهر تحريف ادرملك او اردملك. واتى ايضاً في الآثار ذكر قائد من قواد العسكر يقال لهُ نبوشرصار قد تقدّم في المراتب سنة ٦٨١. فيقول الاب دورم (٢) انَّ آية الكتاب المقــدّس: ܐܕܪܡܠܟ ܘܫܪܐܨܪ ܒܢܘܗܝ بالعبرانيــة هي تحريف

---

(١) ٢٧ ملوك: مط ٣٧

(٢) في مجلَّة الكتاب المقدّس ٥٢٠

ܐܕܪܡܠܟ ܒܢܘ ܘܫܪܐܨܪ او ܢܒܘ ܫܪܐܨܪ اي ادر ملك ابنه وشراصر . وكانت وفاة الملك سنحاريب في ٢٠ كانون الثاني سنة ٦٨١ . وقد ملك اربعاً وعشرين سنة

ومن الذين اشتهروا في ايام سنحاريب الملك احيقار الحكيم (١) . وهاك ملخّص حكايته : كان احيقار وزير سنحاريب وكاتبهُ وحافظ مهره . وكان حكيماً اديباً وذا اموال جزيلة . ولم يكن لهُ ولد . فـاتّخذ نادان ابن اختهِ ابناً لهُ وربّاه بالعلوم والآداب . ولمّا شاخ ولّاه على بيتهِ وازدادت منزلة نادان عند الملك . فتكبّر وبدأ يبدّد اموال خاله وقصد اهلاكه . ولم يزل يسعى بهِ الى ان حمل الملك فامر بقتله . وكان السيّاف صديق احيقار فلم يقتلهُ . بل اخفاه في سرداب تحت الارض . وفرح الملوك بموت احيقار . واراد ملك مصر محاجّة سنحاريب . فطلب منهُ ان يرسل اليهِ رجلًا حكيماً لكي يبني لهُ قصرًا بين السماء والارض . فاحتار سنحاريب وندم على قتل احيقار وذكر جسيم خدمته . فاعلمهُ السيّاف انّ احيقـار حيّ . ففرح سنحاريب فرحاً عظيماً . وارسلهُ الى مصر ليردّ الجواب لفرعون . فلمّا مثل بين يديهِ طلب منهُ ان يحضر كلساً وحجارة وطيناً لبناء القصر المطلوب وكان احيقار قد ذهب بنسرين وعلّم ولدَين الركوب على ظهرهما . فاطلق النسرين وقد ركبهما الولدان فارتفعا في الجوّ . وبدأ الولدان يصرخان من فوق : وصّلوا الينا الاحجار والكلس والطين لنبني قصرًا لفرعون . فانخذل فرعون واقرّ بمهارة احيقـار وحكمته . هذه هي خلاصة قصة احيقار وفيها امثال ونصائح كثيرة

انّ كتاب احيقار أُلّف في بابل او في اثور قبل الجيل الخامس قبل المسيح ولعلّه في عهد اسرحدون الملك . فانّ كتابهُ كان موجودًا في مصر في الجيل الخامس قبل المسيح ولم يكن يحتوي أوّلًا الّا على اقوالٍ حكميّة وانّما بكرور الازمنة أُدخلت فيهِ الحكايات الموجودة فيهِ الان . وقد اتى اسمهُ في كتـاب طوبيا في الترجمة السبعينيّة . وذكره ايضاً پوسيدونيوس الذي عاش في الجيل الثاني قبل المسيح . ومنهُ استعار اقوالًا حكميّة كثيرة صاحب كتاب برسيرا ومؤلّف كتاب طوبيا . وترجم

(١) عن احيقار وكتابه راجع موسيه و نو : حكاية وحكمة احيقار الاثوريّ باريس ١٩٠٩ ومجلّة الشرق المسيحيّ ١٩٠٨ العدد الرابع ص : ٣٦٧ و ١٩٠٩ العدد الاول ص : ١٠٦—١٠٨

ديوكريت الاقوال الحكميَّة التي فيهِ الى اللغة اليونانيَّة. ومنهُ اقتبس كتبة اليونان تاليفاتهم في الحكمة والالغاز. ومنهُ سُرقت امثال اوسيب ولقمان الحكيم. وتُرجم هذا الكتاب منذ قديم الزمان الى لغات شتى. وقد طبع الاب صالحاني اليسوعي ترجمتهُ العربيَّة سنة ١٨٩٠ ومادام اغنيسة سميث الانكليزية سنة ١٨٩٨

الفصل السابع

اسرحدون (٦٨٠ — ٦٦٧) (١)

انتصاره على اخيهِ ادرملك — عمارة بابل — عصيان كلدو الجنوبيَّة وخضوعها — الاشكوزيّون والكمريّون وانتصار الاثوريّين عليهم — إخضاع العرب — قهر اسرحدون لعبد ملكوت ملك صيدا وشاندواري ملك قيليقيَّة — انكسار الاشكوزيّين والماديّين والعرب — اخضاع منسى ملك يهوذا ومحاصرة صور — انكسار اندارِيا ملك لوبدى — افتتاح مصر — وفاة اسرحدون ومناقبه

انَّ اسم اسرحدون الحقيقي ܐܫܘܪ ܐܚܐ ܐܝܕܝܢܐ ومعناه اشور رزق اخاً. وكانت امّهُ بابليَّة واسمها نِكعا. وكان ابوه سنحاريب قد جعلهُ ملكاً على بابل. اذ انَّ البابليين بعد خراب مدينتهم المقدّسة رجعوا اليها وعمّروها. اماَّ قصد سنحاريب بهدم هذه المدينة فلم يكن الَّا قصداً سياسياً ليتخلص من ثوراتها المتواصلة. والظاهر انّ اسرحدون كان بكر اولاد سنحاريب وولي العهد. وانَّ كلًّا من اخوته كان يريد الملك لنفسهِ. فاتّفق اخوه ادرملك مع بعض رجال المملكة وفي جملتهم شراصر وقتل اباه سنحاريب ليجلس هو مكانهُ. وللحال هرب من بابل الى نينوى لكي يتقوى فيها. فاسرع اسرحدون الى اثور وانتصر عليهِ وعاقبهُ فانهزم ادرملك وعبر الفرات لانَّ الجيوش التي في الولايات الشماليَّة تحزّبت لهُ. فتتبَّعهُ اسرحدون ماشياً

(١) من اسرحدون راجع أوپير: الآثار السرگونية ص: ٥٣—٦٠ ومينان: تواريخ بني ملوك اثور ص ٢٤٠—٢٤٨ وماسپيرو: ܟ ٣٤٠—٣٨١ ومجلة الكتاب المقدس: ܥܡ ١٩٨— ٢١٨ واوبير: رحلة في ما بين النهرين: ܐ ١٨٠ الخ

قدّام جنوده . ولم يدعهم ان ينصبوا له خيمةً . فكان يقضي لياليه تحت السماء محتملاً شدّة البرد . لانهُ كان في شهر شباط . وانتشب القتال بين الاخوين في حانيكلبات وكانت النصرة لاسرحدون . فهرب ادرملك ورفيقهُ شراصر وتواريا في جبال ارمنيَّة ودامت الفتنة بين الاخوين اثنين واربعين يوماً اي منذ ٢٠ كانون الثاني الى ٢ اذار . وجلس اسرحدون على سرير الملك في ١٨ اذار سنة ٦٨٠

وفي اول سنة من ملكهِ بذل جهده في تجديد اسوار بابل وقصورها وهيا كلها فامر بجمع كل الاسرى ليحضروا آجرًّا للبناء . ثمّ حفر الأَساسات وصبَّ عليها زيتاً وعسلاً وخمرًا . واخذ هو بيده ماحجاً ووضع في القالب أوَّل لبنة لبنآء الهيكل الجديد وصرف خمس سنين في انشـاء المدينة المقدَّسة . ولتعجيل الشغل لم يشفق على ذهبهِ فبنى بوقت واحد القصور والهياكل وسورَي المدينة وكان يقـال للسور الاول إيكُورِبيل وللثاني ميتبيل . وطهَّر مجرى القنوات وغرس البساتين واستدعى السكان المتبدّدين وساعدهم كثيرًا ليستوطنوا المدينة

انَّ الفتنة الاهليَّة التي حدثت في اثور كان من شانها ان تزعزع اركان المملكة . لكن اسرحدون اطفأها سريعاً ولم يتمكَّن الشعوب من انتهاز الفرصة ما عدا الكلدان الذين على سواحل خليج العجم . واهل صيدا على شواطئ البحر المتوسّط . فانهم نشروا لوآء العصيان وتأهبوا للمحـاربة . وكان المالك على الكلدان المذكورين نبوزير كينوليشير بن مرودخبلدان الثاني الشهير . فانهُ اغار على مدن كلدو الشماليَّة فطلب نينكلشوميدان حاكم اور النجدة من اسرحدون . فارسل اليهِ عساكره . فهرب ابن مرودخبلدان والتجأ الى ملك عيلام . وكان حومبانخلداش الاول ملكها قد توفي سنة ٦٨٠ وخلفه ابنهُ حومبانخلداش الثـاني . فهذا خوفاً من الاثوريّين قبض على نبوزير كينوليشير وقتله . وكان اخوه نعدمرودخ قد رافقهُ في هزيمتهِ . فخاف خوفاً شديدًا وهرب من عيلام واتى نينوى ولجأ باسرحدون فلاطفهُ ملك اثور ورجّع اليهِ ملك ابيهِ مرودخبلدان وفرض عليهِ الجزية

اسرحدون ملك آثور



وبينما كان اسرحدون يستعدّ للحملة على صيدا اذ بلغهُ الخبر انَّ اقواماً برابرة يسمُّونهم كمرّيين او قومرّيين هجموا على حدود مملكتهِ الشماليَّة . وهؤلاء كانوا يسكنون ما وراء جبال قوقاس . ولمَّا كانت سنة ٧٥٠ هجم عليهم الاشكوزّيون وهم السقوثيُّون (١) واصلهم من الاراضي الشماليَّة القصوى . فهرب من قدامهم الكمرّيون وذهبوا فاستوطنوا اسيا الصغرى (٢) . في وادي نهر هاليس (٣) . فلمَّا قُتل سنحاريب اغتنم الفرصة ملكهم تيوُشپا وحمل على الجيوش الاثوريّة التي في قبادوقية وهزّمها . وانضم اليهِ بعض سكَّان قيليقية ايضاً . فزحف عليهِ اسرحدون وقاتله وانتصر عليهِ بالقرب من حوبوشنا وطارده الى ما وراء نهر هاليس ثمّ حمل على قيليقية وافتتح فيها احدى وعشرين مدينة ونهبها وسبى اهلها

وفي تلك الاثناء حدث انَّ اميرًا ارزانيًّا في اقاصي بلاد العرب الجنوبيَّة تجاسر وباشر غزوةً في حدود مملكة اثور . فحمل عليهِ الحاكم الاثوريّ الـذي في تلك الاطراف ومسكه وارسله اسيرًا الى نينوى وهناك حُبس ووُضع في قفص على

---

(١) انَّ اسم السقوتيّ يونانيّ مأخوذ من الاثوريّ ܐܫܟܘܙܐ وكذلك القومريّ مأخوذ من ܓܘܡܪ وكذا اتى هذان الاسمان في سفر الخليقة ه

(٢) اناضول (٣) قزل ايرماق

باب المدينة في مكان فيهِ دبب وكلاب وخنازير

ولمَّا فرغ اسرحدون من امر الكمريّين قصد ان يؤدّب هو بنفسهِ الفونيقيّين. وكان عبد ملكوت ملك صيدا قد حالف ملكاً اسمهُ شاندواري كان لهُ مدينتان حصينتان يقال لهما كوندي (١) وسيزو (٢) في قيليقية (٣) وحاصر اسرحدون مدينة صيدا سنة ٦٧٩. فهرب عبد ملكوت بحرًا. لكنَّهُ قُبض عليهِ وقُطع رأسهُ في تشرين الاول. ثمَّ في شهر اذار قُبض ايضاً على شاندواري وقُطع رأسهُ كذلك ونهب اسرحدون مدينة صيدا واحرقها وبنى تجاهها على الساحل مدينة سمَّاها كرخ اسرحدون ونقل اليها اقواماً من بلاد الكلدان الجنوبيَّة. وولّى عليها قائدًا اثوريًا ورجع الملك الاثوريّ الى نينوى بغنيمة عظيمة ودخلها منصورًا ومعهُ افراد عائلتَي عبد ملكوت وشاندواري واسرى كثيرون واموال جزيلة كانت صيدا قد جمعتها في تجارتها الواسعة من الذهب والفضة والعاج والابنوس والارجوان وغير ذلك. ولم يتَّعظ الاشكوزيون بما حلَّ باخوتهم الكمريّين عند هجومهم على مملكة اثور سنة ٦٨٠. فانَّ ملكاً من ملوكهم اسمهُ ايشپكاي حمل اهل مناي على ان يهجموا على البلاد الخاضعة لاثور لينهبوا ويغنموا. ومشى هو في مقدَّمتهم. فحمل عليهم الاثوريّون وكسروهم واقصوهم الى ما وراء بحيرة اورمية. وكان ذلك سنة ٦٧٨. لكن الاشكوزيّين كانوا امّة جسيمة مؤلفة من قبائل شتى. فاجتهد ملك اخر لهم يقال لهُ كشتاريتي ان يحالف المادّيين واهل مناي على الاثوريين. وفي تلك الاثناء نفسها طلب ملك اخر لهم يقال لهُ طاطوا الى اسرحدون ان يزوجه باحدى الاميرات الاثوريات فاجاب ملك اثور الى سؤاله بغية ان يجعلهُ من حزبه. كما كان قد زوَّج احدى بناته بأمباري ملك التوباليين ومع هذا كلهِ لم يزل الاشكوزيون يحملون المادّيين على خلع الطاعة لاثور. فاضطرَّ اسرحدون ان يزحف على بلاد مادي. وتوغّل في نواحي پاتوشرا في ذيل جبل دماوند. وأسر هناك ملكَين وارسلهما الى اثور مع اهاليهما وجميع اموالهما. فالقت شهرتهُ الرعبة في قلوب المادّيين حتى انَّ ثلاثة من ملوكهم لم يكونوا قد خضعوا لهُ قبلًا اتوا الى نينوى من بعد رجوعهِ اليها

(١) بالقرب من طرسوس (٢) مدينة سيس الحاليَّة ;
(٣) وقيل ان هاتين المدينتين كانتا في جبل لبنان

وقدّموا له هداياهم وطلبوا منهُ العفو . فاخذهم تحت حمايتهِ وفرض عليهم الخراج

وفي سنة ٦٧٥ تشاغل اسرحدون بامور العرب . فانَّ سنحاريب اباه في نهاية ملكهِ كان قد اخضع حزائيل ملك قيدار واخذ تماثيل آلهتهِ واتى بها الى نينوى فشقّ ذلك على العرب حتى انَّ الملك حزائيل في بدء ملك اسرحدون اتى الى نينوى وطلب بتواضع عميق ان يردّ له تماثيل آلهتهِ . فاجاب الاثوريّ الى طلبتهِ . فاصلح ما تعطل من التماثيل ونقش عليها اسم ومناقب اشور ربّهِ وردّها اليهِ . ثمَّ انَّ اسرحدون اقام لهم ملكةً امراة اسمها طابويا كانت قد تربّت في نينوى وتخلّقت باخلاق الاثوريّين . وضمّ الى الخراج الذي ضربه عليهم سنحاريب ابوه خمسة وستين جملًا وممَّا زاد في الطين بلة انَّ حزائيل مات بعد مدّة يسيرة . واراد رجل من الاشراف اسمهُ وهّاب ان يجلس مكانهُ . فحبسه اسرحدون وملّك على العرب يعاو بن حزائيل وضرب عليهِ جزية يؤدّيها لهُ كل سنة مقدارها عشرة امنان ذهباً . والف حجر كريم وخمسون جملًا

وقصد اسرحدون ان يتسلّط على بلاد العرب كلها . فلمَّا كانت سنة ٦٧٥ توغّل في الجنوب فادخل في جملة الولايات الاثوريّة بلاد بازو وخازو . وقتل في خازو ثمانية ملوك . واتى في آثاره ما نصه : « اني رجعت الى اشور بآلهتهم وغنائمهم وكنوزهم ورعاياهم . وكان ليلي ملك ياديا قد خلع طاعتي . فلمَّا بلغهُ اني اخذت آلهتهُ مثُل بين يديَّ في نينوى عاصمة مملكتي فانحنى قدامي فغفرت لهُ خطيئتهُ ولاطفته . واما آلهته فنقشت عليها تسابيح اشور ربّي ورديّتها اليهِ . وسلّمت لهُ بلد بازو وامرته ان يؤدّي لي خراجاً . »

وهكذا انتصر اسرحدون على الكمريّين وقهر الاشكوزيّين وسدّد احوال بابل وصالح عيلام واخضع بلاد العرب . فبقيت مصر وحدها غير طائعة له . فدخل الطمع في قلبهِ وبغى ان يقهرها هي ايضاً لانَّها لا تزال تحرّك ملوك سوريا على الفتن والعصيان وكان المالك يومئذٍ على مصر ترهاق الحبشيّ . وكان هذا متكبرًا ونشيطاً فحمل ملك اثور السلاح عليهِ سنة ٦٧٣ . لكنَّ ترهاق دافع مدافعة الابطال ولم يمكّن الاثوريّين من الدخول الى مملكتهِ . ونصرتهُ هذه جذبت اليهِ ممالك سوريا الصغيرة التي كانت تريد ان تستقلّ من نير اثور . من ذلك انَّ مدينة صور لم تكن

قد سلّمت للاثوريين منذ زمان ملكها اولالو. ولكنها لم تحكم الّا على جزيرتها. فظنّ ملكها بعل انّ الفرصة قد دنت ليدخل في حكمهِ ما كان خسره في البرّ. فخالف ترهاق ملك مصر سنة ٦٧٢ . واقتدى بهِ منسى ملك يهوذا. وللحال هجمت الجيوش الاثورية التي في سوريا على مملكة يهوذا. وقبضوا على منسى واسروه بسلاسل وارسلوه الى بابل. وبعد مدّة رفق بهِ اسرحدون وارجعهُ الى اورشليم فبقي خاضعاً لهُ (١).

ثمّ حاصر الاثوريون مدينة صور. وجعلوا عدّة متاريس على الساحل منعت الصوريين من الدنوّ الى البرّ. وكانوا يؤملون انّ اسرحدون ياتي حالًا الى مساعدتهم ولكن خاب املهم . فانّ اهل شوبريا في ارمنيــة خلعوا طاعة اثور بدسيسة اندارياملك لوبدي. فــاضطرّ اسرحدون ان يحمل على اندريا وحاصره في أبومي عاصمته. فخاف اندريا خوفاً شديداً حتى انّهُ خلع ثيابهُ الملوكيّة ولبس ثياباً رثة وصعد الى السور وبكى وطلب الامان من اسرحدون قائلًا : انّ شوبريا خاصتك. فافرض عليها الجزية. واماً انا فلصّ من اللصوص. واتوب خمسين مرّة عن خطيتي.» ولم يرد الملك الاثوريّ ان يسمع طلبته قبل افتتاحه المدينة. فلمّا فتحها ودخلها عفا عنهُ. ثمّ حمل على شوبريا وقــاصص اهلها وجعلهم عبيداً. وارسل قسما ممّا غنم الى مدينة اوروك هديّة لها

وفي سنة ٦٧٢ صار مأتم عظيم في نينوي وفي سائر بلاد اثور . لأن الملكة نكما البابليّة امّ الملك قضت نحبها في ٥ اذار. وفي تلك الغضون شارك اسرحدون في الملك ابنهُ الصغير اسوربانيبال مفضلًا اياه على ابنهِ البكر شمشوموكين. وصرف سنة ٦٧١ في اثور مسدّدًا الاحوال ومتاهّباً لمحاربة مصر

ولمّا كانت سنة ٦٧٠ في اوائل نيسان خرج اسرحدون من نينوى قاصدًا مصر وكان قد ارسل خبرًا الى شيوخ العرب لينتظروه في رافيا في اقصى بلاد فلسطين الغربية ومعهم جمالهم ليحملوا عليها مــاء للجيوش في الطريق. وفي مروره شجع الجيوش التي كانت تحــاصر مدينة صور. ثمّ ساق جيوشه الى ايفاق مدينة سبط شمعون. وطــاف بلاد العرب الغربيّة كي لا يترك العدوّ ورآء ظهره. وبعد ان دار

(١) ٢ ايام ٣٣ : ١١—١٣

ستة اسابيع في بلاد حقلة لا ماء فيها انثنى على رافيا ولم يزل ماشياً على الساحل حتى وصل الى حدود مصر في ٣ تموز. وكانت طليعة عسكر المصريين في ايشخوبري فقاتلها اسرحدون وانتصر عليها. فبادر اليه ترهاق باجناده كلها. فاقتتلا شديداً. وانكسر ترهاق. وكان ذلك في ١٦ تموز. ثمّ بعد يومين انتصر اسرحدون نصرة اخرى على ترهاق. وفي ٢٢ تموز حاصر مدينة منف وافتتحها ونهبها

وكانت هذه المحاصرة شديدة وجرى الافتتاح سريعاً حتى انّ ترهاق لم يمكنهُ ان ينقل حاشيتهُ الملوكيَّة . فاسر الاثوريون الملكة وجواريها ووليّ العهد وغيرهم من اولاد الملك وافراد عائلة الملكَين شبقون وشبيتقو. وهذه النصرة كلَّفت كثيراً الاثوريين فلم يمكنهم ان يتتبَّعوا ترهاق الملك في هزيمته. ولاطف اسرحدون اولاد الفراعنة لمَّا اتوا ليسجدوا لهُ وردَّ اليهم املاكهم. ولكنَّهُ اقام بالقرب منهم عمَّالًا وقوَّادًا اثوريين يراقبون حركاتهم وبدَّل اسماء مدنهم المصريَّة بأسماء آثوريَّة وضرب عليهم خراجاً سنويًّا مقداره ست وزنات من الذهب وستمائة وزنة من الفضة وكميَّة وافرة من الاقمشة الكتانية والمنسوجات النفيسة وجلود الحيوانات الوحشيَّة والحصن والغنم والحمير. ورجع الى اسيا بعدد لا يحصى من الاسرى وبغنيمة لا تُقدَّر

وفي عودته هذه المظفَّرة نظَّف مدن سوريا وطرقها من العصائب المصريَّة والحبشية التي كان يتكل على قوَّتها اهالي سوريا. وجعل على نهر الكلب بالقرب من بيروت ذكرًا ابديًّا اعني صورتهُ منقوشة بجانب صور رعمسيس الثاني ملك مصر وتغلاتپلاسر الاول وشلمناسر الثاني ملكَي اثور (١) . واقام في غير امكنة ايضاً ابنية اخرى تذكارًا لغزواته. وقد كُشف (٢) على اثار في زنجرله تشاهد عليها صورتهُ وقد ركع قدامه ترهاق ملك مصر والحبشة وحليفهُ بعل ملك صور وفي انفيهما حلقة علامة العبوديّة. ومكتوب عليها وصف انتصاره على مصر والحبش ما نصه: « امَّا ترهاق صاحب مصر والحبش فاني سرت من اشخوبري الى منف عاصمة ملكه. وتعقبت جيوشه وضربتها كلّ يوم دون انقطاع على مسير خمسة عشر يوماً. امَّا هو فضربته بالقوس والسيف وجرحته جرحاً مميتاً · وحاصرت مدينة منف قاعدة ملكه وفتحتها رغماً عن مناجيقها ثمّ نهبتها واحرقتها. »

(١) راجع المشرق: ١٨٩٨ ص ١٠٨٩ (٢) فيه ١٩٠٦ ٧٥٥

واعلم انّ اسرحدون من بعد نصرته هذه العظيمة لقّب نفسه « بالملك العظيم والملك القدير وملك العالم وملك اثور ونائب ملك بابل وملك شومير واكاد وملك كردونياش وملك ملوك مصر وملك صعيد وملك الكوشيّين (الحبش) .» لعمري انّه استحقّ هذه الالقاب العظيمة الجليلة . فانّ مصر وحدها قدرت لحدّ ذاك الوقت ان تدفع هجمات اثور . فانّ العيلاميّين انكسروا مرارًا وضُبط منهم ولايات كثيرة . والارارطيين أُقصوا الى جبالهم . وبابل افتُتِحت مرارًا وأُخربت . ومادي نُهِبت مرارًا . والعرب والسريان والفونيقيين وبني اسرائيل واهل قيليقية خضعوا جميعاً تحت نير نينوى . واما المصريون الذين كانوا يحملون هذه الشعوب على العصيان فلم يكونوا قد عوقبوا ابدًا . فكان يظنّ الجميع انّ مصر في مكان منيع جدًّا لا يقدر احد على افتتاحها . امّا اسرحدون البطل الشديد فبشجاعتهِ الفريدة وعزمهِ الثابت ابطل هذا الظنّ الفاسد واعلن على رؤوس الملأ انّ هذه المملكة القديرة هي ايضاً قابلة السقوط في حوزتهِ كرفيقاتها

وبينما كان اسرحدون يغزو غانماً مظفرًا في اراضي مصر وسوريا وفلسطين وفونيقي مرقّياً دولته الى اوج العظمة كان رجالهُ يحدثون الفتن في نينوى . ولا نعرف سبب هذه الفتن . قال البعض انّ اسرحدون جعل وليّ العهد اسوربانيبال ابنهُ الاصغر عوض شمشوموكين ابنهُ الاكبر . فساء ذلك عظماء المملكة لانّهم رأوا فيهِ خرقاً للقوانين . وقال غيرهم انّ اسرحدون كان بنيته ان يجعل وليّ العهد شمشوموكين ابنهُ الاكبر وانّما هذا الذي أساء الاثوريين لانّ شمشوموكين كانت امُّهُ بابليَّة فكان يحبّ طبعاً مدينة بابل فخاف الاثوريون من ان يفضّل هو ايضاً مثل ابيه اسرحدون بابل المقدّسة على نينوى ولاجل ذلك احدثوا الفتنة . وعلى كلّ حال فان اسرحدون حالما رجع من مصر سنة ٦٧٠ قبض على كثير من رجال مملكتهِ وقتلهم . والظاهر انّ هذه الفتنة غيَّرت فكره . فعيَّن ابنهُ شمشوموكين ملكاً على بابل وابنهُ اسوربانيبال ملكاً على اثور وصاحب المملكة كلّها . واعلن ذاك قدام الشعب في ١٢ ايار سنة ٦٦٨ في عيد الاله كولا قبل خروجه من نينوى لمحاربة مصر التي نشرت عليهِ ايضاً لواء العصيان

انّ بلاد مصر كان فيها عشرون مملكة صغيرة . ولم تكن كلّها قد خضعت

لاثور سنة ٦٧٠ . ومن الملوك الذين اتّكل عليهم اسرحدون اكثر من الجميع كان نخا الاول مالك صعيد ومنف . واماً ترهاق فمنذ انكساره لم يزل يتجهّز للمحاربة فلماً كانت سنة ٦٦٩ حمل السلاح على منف وافتتحها دون مشقَّة . واماً نخا وامرآء دلتا فبقوا امينين مع الاثوريّين . وكان اسرحدون طريح الفراش لَّما بلغهُ هذا الخبر . ومع ذلك جمع جيوشهُ وقصد مصر . ولكن لَّما وصل الى سوريا تغلّب عليهِ المرض ومات في ١٠ تشرين الثاني سنة ٦٦٨ . وقد ملك اثنتي عشرة سنة

انَّ اسرحدون عادل سلفاءَهُ الابطال حماسةً وجرآءَةً ولكنهُ فاقهم سماحةً . وعوضاً عن ان يسلخ جلد المغلوبين او يصلبهم كما كان يفعل اجداده كان هو يلاطفهم ويكرمهم . كان ايضاً سلفآؤه يخربون البلاد المفتوحة اماً هو فاجتهد بتعميرها . ومع كونه غازياً كان مولعاً ايضاً بالبنآء . وقد راينا كيف انهُ في اول سنة من ملكهِ عمَّر مدينة بابل وزخرفها . وبنى ايضاً وكرّس في اثور واكاد ستة وثلاثين معبداً طلاها كلّها بصفائح ذهبيَّة او فضيَّة وجعلها تتلألأ كالشمس . وبنى ايضاً لنفسهِ قصراً فاخرًا في نينوى فاق جميع القصور المبنيَّة قبلًا . فانَّ اثنين وثلاثين ملكاً من ملوك سوريا وفلسطين وفونيقي وجزيرة قبرس ارسلوا اليهِ قُرَم الصنوبر والارز والسرو . وكان سقف القصر مبنياً بخشب الارز ومنقوشاً بنقوش متنوعة وهو يستند على أعمدة من سرو مطوّقة بالذهب والفضة . وعلى الابواب تماثيل أُسود وثيران من حجر . ومصاريع الابواب كانت من الابنوس والسرو ومرصعة بالحديد والفضة والعاج . وكان الاثوريون قد استغربوا كثيرًا ابا الهول الذي رأوه في مصر . فاقتدى اسرحدون بالمصريين وصوّر مثلهُ صورًا كثيرة ووضعها على ابواب القصر . وانتهت عمارته في ثلاث سنين (٦٧١—٦٦٩)

الفصل الثامن

اسوربانيبال (٦٦٨—٦٢٧)

تتويج شمشوموكين على بابل — تذليل مصر ثانيةً — اسر تلنداي امير كيربيت — خضوع جوجس ملك لودية — انتصار تندماني الحبشي على الجيوش الاثوريّة —

محاربة اسوربانيبال الاولى لعيلام — انتصاره على تندماني وافتتـاح مصر ثالثة — عصيـان الماديين — محاربتهُ الثانية لعيلام — محالفة بابل وعيـلام على اثور — افتتاح بابل وموت شمشوموكين — عصيان مصر — قهر العرب — فتنة في شوشان ودخول الاثوريين اليهـا — غارة على بلاد العرب — جعل عيلام ولاية اثورية — وفاة اسوربانيبال

بعد موت اسرحدون ملك ابنهُ اسوربانيبال(١)على اثور وشمشوموكين على بابل. وحيث ان ملوك بابل كان يجب عليهم ان ياخذوا التاج الملوكي من بيل وانَّ تمثال هذا الاله كان في هيكل الاله اشور في نينوى منذ عهد سنحاريب الملك اقتضى ان يُرسل الى بابل لكي يتتوَّج هنـاك شمشوموكين.. فأُخرج هذا التمثال من نينوى برهج لا مثيل لهُ. ورافقهُ الملكان الى بابل. فخرج جميع سكـان المدينة للقائه وهم يرتلون تراتيل الفرح وادخلوه الى هيكلهِ بزياح عظيم فمسك شمشوموكين بيدي بيل الاله وهكذا قبض على زمام مملكة بابل.

وكان ترتان من بعد وفاة اسرحدون قد ترأس على قيادة الجيوش الزاحفة على مصر وكان ترهاق الملك ينتظر الاثوريين في كاربانيت في دلتا. فانتشب القتـال بين الطرفين وكانت النصرة للاثوريين سنة ٦٦٧ فهرب ترهاق الى مدينة ثيبس وتحصن فيها. فتتبعهُ الاثوريون وانتهوا الى ثيبس باربعين يوماً. وكان اسوربانيبال قد ارسل ربشاقي الى مساعدة ترتان وانضم اليهِ جيوش ملوك السريان ايضاً وامر الفونيقيين ان يذهبوا بسفنهم الى دلتـا فيصعدوا بها النيل. ثم لحق هو ايضاً بجيوشه الى مصر. فخاف ترهاق خوفاً شديدًا وهرب من ثيبس الى نافاطا قاعدة بلاد الحبشة. فطلب سكان ثيبس الصلح. فـدخل الاثوريون المدينة واخذوا نصف ما كان في خزائن هيكل امون. ورجع اسوربانيبال الى نينوى غانمًا منصورًا

ثم ان امرآء مصر ائتمروا سرًّا مع ترهاق على قتل الاثوريين الذين في مصر عن آخرهم على ان يُجلسوه هو على سرير الفراعنة ويحكموا هم كل واحد منهم في

---

(١) عن اسوربانيبال راجع سميث: تواريخ اسوربانيبال ١٨٧١ ومجلة الكتاب المقدس مه ٣٤٥–٣٦٤ وماسپيرو: ك ٣٨١–٤٦٤ وماسپيرو: ص ٥٤٣–٦٠٦

بلده. فوقعت رسائلهم بيد الاثوريين وللحال قبضوا على اصحـاب المؤامرة وكانوا ثلاثة: شرلوداري ملك تانيس وفـاقور ملك فيسوفي ونخا ملك صعيد المارّ ذكره. ونـكلوا بمدنهم اي تنـكيل وارسلوهم الى نينوى. لكنّ اسوربانيبال اكرم نخا وخلع عليهِ ثياباً نفيسة واعطاه سيفاً غمده من ذهب وعجلة وحصناً وبغالًا. وردّ عليهِ مدينة سائس وجعـل ابنهُ البكر بساطيق اميرًا على اثريبس. وسمّاه نبوشيزباني (١). واستمرّ نخا اميناً مع اسوربانيبال كما سترى

ولمّا كان الاثوريون يحاربون في مصر اغار تانداي امير كاربيت في الجهة الشرقيَّة على اقليم يوتبال. فحمل عليهِ القواد الاثوريون وقبضـوا عليهِ ونفوه هو وشعبهُ الى بلاد مصر

اما القائد الذي كان يحاصر مدينة صور منذ نحو اربع سنين فقد توفّق اخيرًا على فتحها. فانَّ بعل ملكها طلب الأمان وسلَّم للاثوريّين وليّ عهدهِ واحدى بناته وقـدّم لهم ذهباً وفضة كثيرة. ففرض عليهِ اسوربانيبال الجزية وتركهُ على تخت مملكته

وفي تلك الاثناء اي نحو سنة ٦٦٧ ارسل جوجس ملك لودية رسلًا مع هدايا كثيرة الى نينوى. وقد جاء في آثار اسوربانيبال ما ملخصه: انَّ جوجس ملك لودية الموجودة وراء البحور والتي اسمها لم يكن قد طرق مسامع اجدادي الملوك قال لهُ اشور ربّي في الحلم: اذهب واركع عند قدمَي اسوربانيبال ملك الاثوريّين. فانك بمجرد اسمهِ تقهر اعداءَك. فارسل جوجس رسلهُ ونقـل اليَّ ما راهُ في الحلم ولم يعرف احد من الذين في معيتي لسانهُ. ففتشت في مملكتي الواسعة ووجدت اخيرًا من يعرف لسانه.»

انَّ ترهاق ملك مصر والحبشة كان قد مات سنة ٦٦٦ في نافاطا حيث هرب. وجلس مكانه صهره تندماني. وكان جسورًا. فنزل النهر ليستولي على مصر. وحاصر مدينة منف وافتتحها وانتصر على الاثوريّين وعلى حلفائهم المصريّين وتتبعهم حتى دلتا. وقُتل نخا في هـذه المعركة واماَّ ابنهُ بساطيق فهرب الى سوريا. وتحصن امراء مصر كل واحد في مدينته منتظرين ان تاتيهم النجدة من اثور. وحاصر تندمـاني

(١) ܢܒܘܫܙܒܢܝ يا بو خلّصني

مدنهم لكنَّه لم يقدر ان يفتحها . واخيرًا عقدوا معهُ الصلح واعطوه هدايا فرجع الى نافاطا

ولمَّا بلغت هذه الاخبار المحزنة مسامع اسوربانيبال وكان مشغولًا بمحاربة عيلام لم يقدر ان يحمل السلاح على مصر ليقهر الملك الحبشي . لان اورتاقو ملك شوشان حالف القبائل الارامية التي على سواحل خليج فارس فعبر دجلة وهجم على كلدو سنة ٦٦٥ . واذ لم يقدر شمشوموكين على مقاومتهِ تحصن في بابل وسأل اخاه المساعدة . فبادر اسوربانيبال الى مساعدته . فهرب الملك اورتاقو ورجع الى بلاده حيث مات غفلة . وجلس مكانهُ اخوه الاصغر تيومان . واراد هذا الملك الجديد قتل اولاد اخيه اورتاقو . فالتجأوا الى نينوى . فرحَّب بهم اسوربانيبال رجاء ان يتداخل في امور عيلام


اسوربانيبال ملك آثور

فلمَّا كانت سنة ٦٦٤ زحف اسوربانيبال بجيوشه على مصر . وجمع تندماني عساكره في اطراف ثيبس . فصعد الاثوريون النيل وبعد ستة اسابيع بلغوا الى ثيبس ولمَّا رآهم تندماني مقبلين اليهِ بعزم شديد اسرع فهرب الى قينقيب في بلاد الحبشة فهجم الاثوريون على ثيبس وافتتحوها ونهبوها واسروا جميع سكانها رجالًا ونساءً وارسلوا الى نينوى كل ما وجدوا فيها من الذهب والفضة والنحاس والاحجار الكريمة . وكان في جملة المنهوبات هرمان كبيران كانا على باب احد الهياكل ثقلها مائة وزنة . وكان بساطيق بن نخا قد رافق الاثوريين من سوريا فاجلسهُ اسوربانيبال مكان ابيهِ ورجع الى نينوى بغنيمة عظيمة

انَّ انخذال مصر القى الرعبة في قلوب جميع الامم . ومع ذلك لم يزل بعض الملوك يتكلون على اماكنهم المنيعة ويخلعون طاعة آثور . او يباشرون غزوة في اراضيها . لكن القواد الاثوريين كانوا ينكلون بهم سريعاً . ومن جملة هولاء الملوك كان احشيري ملك مناي (١) . فارسل عليهِ القواد الاثوريون قسماً من جيوشهم .

(١) في اطراف بحيرة وان

واحتال احشيري فانقضّ ذات ليلة غفلة على المعسكر الاثوري. لكنهُ غُلب وانهزم وافتتح الاثوريون ثماني مدن من مدنه المحصنة ونهبوها . فهرب احشيري من عاصمته إيزيرتا وتحصن في قصر كان لهُ في الجبل. ولمَّا راى رجالهُ ان لا فائدة من المدافعة حملوا عليهِ وقتلوه والقوا جثتهُ خارج المدينة وبايعوا ابنهُ أُوَاني. فسلّم أُواني للاثوريين وقدّم لهم هدايا جزيلة. وفي تلك المدة ايضاً تحالف احد امرآء مادي المسمى بيريزحادري مع اثنين من ملوك زاحي واغار على الحدود يريد الغزو. فقُبض عليهِ وعلى رفيقَيهِ وأرسلوا الى اثور. وقُبض ايضاً على انداريا امير لوبدي الذي كان قد عفا عنهُ اسرحدون وقُطع راسهُ وأُرسل الى نينوى. لانهُ تجاسر وهجم على كوليمير

انَّ هذه الحروب في الحدود الشرقيَّة الشمالية لم يكن لها اهميَّة عظيمة. وانما الخوف كان من جهة عيلام. فانَّ تيومان الملك منذ كسرتهِ لم يزل يستعدّ للمحاربة واجتهد ان يستجلب اليهِ الاقوام الاراميَّة الكلدانية المقيمين على سواحل دجلة بين عيلام وكلدو. ولم يجب الى سؤاله سوى دونانو ملك كامبولا. فحشد تيومان عساكره على سواحل اوقنو (١) . وقبل ان يعبر الحدود ارسل اثنين من قواده حومبدرا العيلاميّ ونبوماديق الكلداني الى اثور يطلبان اخراج اولاد اورتاقو من نينوى وكان اسوربانيبال حينئذٍ في اربيل يعيّد عيد الالهة إستارا . فرفض طلب العيلاميّ واعلن الحرب. وزحف قوّاده على عيلام. فخاف تيومان وكرّ على اعقابه . وذهب فتحصّن في مدينة تُلّيز وكان موقعها منيعاً . فانّ غاباً كثيف الاشجار كان عن يمينها ونهر أُولاي (٢) عن يسارها. وكان معه جميع شبان اشراف عيلام. وحالما شبّت الحرب دخل الخوف في قلب تيومان فارسل احد قواده المدعو ايتوني الى الاثوريّين ليضرب معهم المهادنة . لكن القتال كان قد انتشب بين مقدمتي الجيشين وامتدّ في لحظة عين الى كلّ الصفوف وكان شديدًا طويلًا . اخيرًا انتصر الاثوريون على ميسرة العيلاميّين واسقطوها في نهر أولاي . فامتلأ النهر من جثث القتلى ومن الخيل والاسلحة وقطع العربات المكسّرة. واما الميمنة فهربت الى الغاب متوجهة نحو الجبل . فلحق الاثوريون في اثر العيلاميّين واثخنوا فيهم الجراح.

(١) نهر كرخه الحالي (٢) نهر كارون الحالي

وكان الملك تيومان في جملة الهاربين . وانكسرت عربته فلحقه الاثوريون وقتلوه هو وابنه . وقطعوا راسه وارسلوه الى اربيل . وكان اسوربانيبال يتنزّه حينئذٍ في البستان بصحبة الملكة . فامر براس الملك العيلاميّ ان يُعلّق على خشبة ليكون على مرأى من كلّ حاشيتهِ . وبلغ خبر قتل تيومان وهزيمة جيشه بسرعة الى شوشان . فاضطربت فيها نار الفتنة . فانّ حزب الامرآء المنفيّين قام على عائلة تيومان وقبض على اولاده وسلّمهم بيد الاثوريين . لا بل انّ جمًّا غفيرًا من اهل شوشان رجالا ونسآء لبسوا ثياب العيد وخرجوا للقآء الاثوريّين . وكان يتقدمهم الكهنة والمغنون وهم يدقون بآلات الطرب والصبيان يرتّلون تراتيل الفرح . ونصب الاثوريون ملكاً على عيلام حومبانيجاش بن اورتاقو وكان قد حارب بصفوفهم وفرضوا عليه الجزية . ثمّ انثنوا من هناك على كامبولا وادخلوها في طاعتهم واستاقوا الملك دوتانو اسيرًا الى اثور حيث سلخوا جلده وهو حيّ .

ولكنّ الخطر العظيم الذي كان موجودًا على اثور كان من جهة بابل . فانّ شمشوموكين كمّل ما كان اسرحدون بناه في بابل وحصّن المدينة . وصرف همّته في اصلاح احوال البابليين وجعل المساواة بينهم وبين الاثوريّين في كلّ الامور . وكان اخوه اسوربانيبال يساعده في اوّل الامر على ذلك . ولكنه لما امتدت شهرته في الآفاق تكبّر وبدأ يعامل اخاه شمشوموكين كانّه من اتباعه . فشقّ ذلك على شمشوموكين ورام الاستقلال . فاجتهد في محالفة الملوك الذين مثله كانوا يستثقلون نير نينوى . فاستجلب اليه الكلدان الذين على سواحل البحر ودخل ايضاً في هذه المؤامرة كلّ القبائل الارامية الكلدانية التي على سواحل اوقنو والفرات وملوك فونيقي وملوك العرب . واخذ ملك قيدار على نفسه ان يُشغِل حدود سوريا . وعُويتّه بن ليلي وعد بارسال النجدة الى بابل . وحومبا نيكاش ملك عيلام نفسه اضمر السوء على المحسنين اليه . لانّ اسوربانيبال امره ان يبعث الى اوروك تمثال الإلهة نانا الذي كان كوتورناحونتا سلبه منها قبل ستّة عشر جيلًا . فكانت هذه المحالفة مخيفة تمتدّ من البحر المتوسط الى خليج فارس . واسوربانيبال كان يجهل ذلك . والذي ايقظه من غفلته وعرّفه بالخطر العظيم المحيط به هو انّ احد اصحاب شمشوموكين دخل مدينة أور واجتهد سرًا بان يحمل الاهالي على

الاثوريين . فاتّصل ذلك بالحاكم الاثوريّ الذي في المدينة وهذا كشفه الى حاكم اوروك وهذا نقله الى اسوربانيبال . اما شمشوموكين فاخفى الامر واظهر تعلّقه باثور وطنه وارسل الى نينوى وفداً ليقدّم الطاعة لاخيه . ولم يكن ذلك الّا ليتمكّن من تجهيز عساكره . فانه حالما رجع الوفد الى بابل اعلن الحرب على اثور . وكان ذلك سنة ٦٥١

فارسل حومبانيكاش ملك شوشان جيشه الى بابل لمساعدة شمشوموكين تحت قيادة اونداش بن تيومان وزازاز امير بيلاتي وپارو امير حيلمون وغيرهم . وقال لأونداش : اذهب وخذ من اثور ثار ابيك الذي ولدك . فلاحت النصرة أولًا للاثوريين وقتلوا احد قوّاد عيلام وبعثوا راسه الى نينوى . ثمّ صارت الدائرة عليهم . فانّ الاراميّين انتصروا على الجيش الاثوريّ الذي في اوروك واستولوا ايضاً على اور . لكن الاحوال ساعدت الاثوريّين . فانه في تلك الاثناء حدثت فتنة في عيلام . فانّ تماريتا اخا حومبانيكاش لما رأى اخاه وحده في عيلام ائتمر عليه وقتله وجلس مكانه . ولِئلا يقال عنه انّه متحزّب للاثوريّين ارسل حالًا نجدةً لملك بابل . وفي تلك الاثناء كان قسم من الجيوش الاثوريّة قد انقضّ على سواحل خليج العجم واخضعها . وتولّى عليها رجل شريف الاصل يقال لهُ بيلبيني . ثمّ انّ فتنة اخرى حدثت في عيلام جعلت شمشوموكين ان يبقى وحده بلا معين . فانّ رجلًا من رجال مملكة عيلام اسمهُ يندابيكاش قام على تماريتا يريد قتله فهرب الى مستنقعات خليج فارس وركب سفينة هو واخوته واولاد اعمامه وسبعة عشر من الامرآء المتحزّبين لهُ وستة وثمانون رجلًا من اتباعه . غير ان السفينة اتت بهِ الى سواحل ارض كلدو حيث كان بيلبيني . فقبض عليه هذا الحاكم وارسلهُ هو ورفاقهُ الى نينوى . ورحّب بهِ اسوربانيبال وعفا عنهُ وادخله الى قصره معزّزاً . ولما ما كان من امر يندابيكاش فانّه رأى الانسب ان يستدعي الجيوش العيلاميّة من بابل الى ان يستوثق له الامر . وكان ذلك سنة ٦٥٠

ومع هذا كلّه لم ييأس شمشوموكين بل واصل الحرب الى النفس الاخير من حياته . وكان الاثوريون قد شدّوا الحصار على بابل وحجزوا عنها كلّ منفذ . فحدث فيها جوع عظيم بلغ مبلغاً جسيماً حتى صار الناس يأكلون اولادهم . واجتهد العرب

ان يقطعوا صفوف الاثوريين فيتخلصوا فلم يمكنهم ذلك . فسلموا بشرط ألّا يُقتلوا بحدّ السيف . وكذلك اهــل بابل جبرتهم الضيقة ان يعصوا على ملكهم شمشوموكين ويعقدوا الصلح مع الاثوريين فدخل الاثوريون المدينة وهجموا على قصر الملك . فضاق صدر شمشوموكين ولم يرد ان يقع اسيرًا بيد اخيه . فاحرق قصره وباد بالنار هو ونساؤه واولاده قاطبة .

اما القصاص الذي حلّ بالعصاة فكان شديدًا صارماً . قال اسوربانيبال في اثاره : « حلّ غضب ساداتي الآلهة العظيمة وثقل عليهم . ولم يتخلص واحد منهم . ولم يشفق على واحد منهم . كلهم وقعوا في يديّ . واتوني بعرباتهم وعدّتهم الحربيّة ونسآئهم وخزائن قصورهم . اني قطعت السنة الذين خانوني وائتمروا عليّ وعلى اشور ربّي واهلكتهم تماماً . وجيءَ بالأخر قدام الثيران العظيمة التي سنحاريب جدّي صنعها من حجر فرميتهم الى الخندق وقطّعت اعضآءهم وجعلتهم فريسة للكلاب والحيوانات الوحشيّة والجوارح والحيوانات البرّيّة والبحريّة . وبهذا كلهِ فرّحت قلب ساداتي الآلهة العظيمة . ولمّا سائر بنو بابل وكوتا وسپارا الذين احتملوا العذابات ومشقّات الجوع فغفرت لهم وامرت ان يبقوا سالمين . ووضعت عليهم سنّة اشور وبلتي إلهَي اثور . وضربت عليهم الخراج والجزية المضروبة عــلى سائر ولايات مملكتي . »

ولو علم اسوربانيبال انّ بابل مزمعة ان تُخرب عمّـا قليل نينوى عاصمتهُ وتقرض مملكته لاستأصلها نظير جدّه سنحاريب ودكّ اسوارها . غير انه قبل خروجهِ منها قبض على يديّ بيل الآله وجعل نفسه ملكاً على بابل واتّخذ لهُ اسم قندلانو . ثمّ ولّى عليها قائدًا من قواده يقال لهُ شمشادناني ورجع الى نينوى غانمًا مظفرًا . وكان ذلك سنة ٦٤٨

لمّا مصر فاغتنمت الفرصة من هذه المحاربات الطويلة الشديدة واستقلّت من اثور بهمّة بساطيق بن نخا الذي كان اسوربانيبال قد غمره باحساناته . فطرد الجيوش الاثوريّة واستولى على بلاد مصر كلّها . والذي اعانه على ذلك جوجس ملك لودية المارّ ذكره .

لما اسوربانيبال فرأى الانسب ان يقاصص اولًا الاقوام الذين حالفوا بابــل

عليه . وبدأ في العرب . وفوّض الامر بذلك الى حكّام ادوم ومواب وعمون وحوران ودمشق . فحملوا عليهم وقهروهم في كلّ الجهات وادخلوهم في طاعة اثور . وقبضوا على كثير من امرآئهم وارسلوهم الى نينوى .

ولمّا فرغ اسوربانيبال من امر العرب بدأ في امر عيلام . وكان ينذا بيكاش ملكهم قد اجار بعض امرآء الكلدان وفي جملتهم نبوبيلشوم ملك بيت ياقين . فانكر ذلك عليهِ ملك اثور وارسل اليهِ من يقول لهُ : « ان لم تسلّم اليّ هؤلآء الرجال الذين اجرتهم فاني اذهب اليك واخرب المدن واستاسر اهل شوشان ومادكتو وحيدلو . وانزلك من عرشك وانصب اخر مكانك . ومثلما سحقت قبلًا تيومان كذلك اسحقك انت ايضاً . »

وقبل وصول هذا الخبر الى ملك عيلام قام عليهِ عظمآء مملكته وقتلوه واجلسوا مكانهُ حومباخلداش (١) فاحتال اسوربانيبال ليضرم نار الفتنة في عيلام . وكان تماريتا بعده في نينوى . فارسل معه عساكره لكي يملكوه على عيلام . وانضمّ اليهِ كثير من العيلاميّين ايضاً . وسلّمت لهُ مدن كثيرة . غير انّ بيت إيبي قاومته وكانت منيعة جدًّا . فشدّ عليها الاثوريّون الحصار وافتتحوها . وقتلوا فيها خلقاً كثيرًا واسروا الباقين ونفوهم الى اثور . وكان في جملة الاسرى إيبايبي القائد صهر حومباخلداش ولما سمع ملك عيلام بافتتاح بيت ايبي هرب من شوشان وتحصَّن في الجبل . فدخل تماريتا منصورًا الى شوشان وجلس على عرش المملكة . وبعد مدّةٍ يسيرة خان الاثوريّين الذين اجلسوه على سرير الملك ونوى على قتلهم . لكنّ مكيدتهُ كُشِفت فقبضوا عليهِ وارسلوه مكبّلًا بالسلاسل الى نينوى . وكان الشتآء قد حان . فخرج الاثوريون من شوشان ونهبوا البلاد التي مروا بها ورجعوا غانمين الى بلادهم وكان ذلك سنة ٦٤٧

ولمّا خرج الاثوريون من شوشان رجع حومباخلداش وملك فيها كالسابق . بحيث انّ جيوش اسوربانيبال لم يستفيدوا شيئاً من غزوتهم هذه . فانّ نانا الإلهة لم تزل في قبضة عيلام والملك نبوبيلشوم بقي عندهم . فلمّا كانت سنة ٦٤٦ طلب اسوربانيبال من جديد ارسال نانا وتسليم نبوبيلشوم . فرفض ملك عيلام طلبته

(١) انّ الاب دورم يسمّيه أُمّأ نالدامي (مجلة الكتاب المقدس ١٩١١ ص ٣٥٧

هذه . فاغار ملك اثور على عيلام . ففتحت لهُ بيت ايبي ابوابها . وسلّمت لهُ راشي وحمانو ايضاً . وكان الملك العيلاميّ في مدكتو . فلمّا قرب منهُ الاثوريّون هرب الى مدينة دورأُونداسي . وكانت على ساحل نهر إيديدي . فطارده الاثوريّون . وكان النهر فائضاً جدًّا فوقفوا هناك يومَين لا يتجاسرون على العبور . ثمّ اخذتهم الحميّة واجتازوا النهر واحرقوا اربع عشرة مدينة وعددًا لا يحصى من القرى . فاسرع حومبانخلداش وهرب الى الجبل . واستولى الاثوريّون على عشرين مدينة ثمّ دخلوا مدينة شوشان دفعةً ثالثة لانهم دخلوها مرّةً بعد واقعة تلّيز واخرى بعد افتتاح بيت إيبي . ولكنّهم لم ينهبوها في هاتين الدفعتين بل دخلوها بصفة حلفآء يحضرون تتويج ملكٍ حليف ملكهم . ولكن في هذه المرّة الثالثة دخلوها بصفة أعداء . فأساءوا بها كلّ الاساءة . وكانت الغنيمة عظيمة ودام النهب شهرًا كاملًا . وكان كنز الملك ممتلئاً ذهباً وفضة وغير ذلك من الاشيآء الثمينة . وجآء في كتابات اسوربانيبال ما نصه : « اني بارادة اشور وإستارا دخلت قصورها واسترحت فيها متعجرفاً وفتحت الكنوز واخذت الذهب والفضة وكل ما وجدت من الاموال والخيرات التي كان ملك عيلام الأوّل وخلفآءهُ قد جمعوها والتي لم يكن احد الاعدآء قبلي قد مدّ يده عليها . واخذت ايضاً تمثال الإله شومشيناك الساكن في الغابات والذي لم يكن احد قطّ قد راى وجه الالهي واخذت تماثيل الآلهة سُمدو ولغمار وفرنيكيرا وامان كشيبار واودوران وشفاف . فسبيت الى اثور كلّ هذه الآلهة وهذه الإلهات مع ثروتها وكنوزها وزينتها وكهنتها وعبادها . وارسلت ايضاً الى اثور اثنين وثلاثين تمثالًا من تماثيل الملوك وكانت كلّها من الذهب والفضة والنحاس ... وكسّرت الاسود المجنّحة والثيران التي تحرس قصور بلاد عيلام .. » وكان تمثال الإلهة نانا بين هذه التماثيل فارسله اسوربانيبال الى مدينة اوروك ونصبهُ في هيكله القديم بزياح عظيم . وقد بقي منفياً ١٦٣٥ سنة

وهكذا رجع الاثوريّون الى نينوى سائقين غنيمة جسيمة لا تقدَّر واسرى كثيرين . ومن بعد خروجهم نزل حومبانخلداش من الجبال . وحيث انّ شوشان خربت ذهب فجلس في مدكتو . وائتمر عليه رجل اسمه باني ولم يقدر عليه فهرب باني

والتجأ الى اسوربانيبال . وحيث انَّ تمثال نانا قد أُخذ من عيلام ونُقل الى مكانه الاول ظنَّ حومبانخلداش ان اسوربانيبال لم يعد يتعرض له . ولكن خاب امله . فانَّ ملك اثور طلب من جديد إبعاد نبوبيلشوم من عيلام . فاحتار حومبانخلداش في امره . واتصل الخبر بنبوبيلشوم . فامر حامل سلاحه ان يقتله . فابى الخادم ان ينفصل من مولاه فقتل بعضهما بعضاً . فملِحت جثة نبوبيلشوم وراس خادمه وأُرسلا الى نينوى . ومع هذا كله لم يخلص حومبانخلداش من غضب اسوربانيبال . فانّه قصد محو عيلام بالتمام . فارسل عليهِ جيوشه . ولحقته في الاودية والجبال ثمّ اضطر اخيرًا ان يُسلّم للقواد الاثوريّين . وسيق الى بابل حيث القي في الحبس . واستولى اسوربانيبال على عيلام وولّى عليها قوّاده

وفي تلك المدّة كان عبياتة ملك العرب الجديد قد انتهز الفرصة واقصر عن اداء الخراج واقتدى بهِ نادان ملك النبطيين في اطراف حوران والملك هُوَينة . فلمَّا كانت سنة ٦٤٢ خرج الاثوريون من نينوى وعبروا الفرات وتوغّلوا في الصحراء . واجتازوا ببلاد ماش وأزلّا وقيدار وهم يقطعون الاشجار ويسدّون الآبار ويحرقون الخيم ويستاقون الناس والمواشي ودخلوا دمشق بغنيمة عظيمة . وفي اليوم الثالث من شهر آب خرجوا من دمشق متوجّهين نحو النبطيين في اطراف حوران وحاصروا مدينة حلحولتي وافتتحوها واستولوا على كل تلك البلاد . واسروا الملك عبياتة وضربوا الجزية على الملك نادان . وفي رجوعهم نكّلوا بمدينتَي عكا وأُوشا في فونيقي لعصيانهما عليهم . ورجعوا الى نينوى بغنيمة جسيمة حتى ان الجمل بيع على ابواب نينوى بنصف مثقال فضَّة

هنا تقف آثار اسوربانيبال عمَّا باشرهُ من الحروب والغزوات . فالظاهر انهُ اكتفى بفتوحاته هذه ولم يفكر بحمل السلاح على مصر لكي يخضعها من جديد لانها كانت بعيدة والمحافظة عليها صعبة . وقد دلّتهُ فطنتهُ السياسية على ذلك . لان المملكة اتّسعت جدًا جدًا . فكانت تشتمل على كلدو الجنوبية وكلدو الشمالية وعلى عيلام ومادي وفارس ومناي وارارطو مع ارمنية كلها وتوبال وماشك وقيليقية ولودية وقبرص وسوريا كلها واسرائيل ويهوذا وفلسطين وفونيقي وعمون ومواب وادوم وقبائل العرب المتعدّدة . وكان اسرحدون واسوربانيبال قد أخضعا

مصر ايضاً واذلّاها . فكان يقتضي يد ماهرة قويّة شديدة للقبض على زمام هذه الامم الكثيرة العدد المختلفة الاجناس والاطوار والمائلة دائماً الى العصيان

فحسناً اذن عمل اسوربانيبال باضرابه عن غزوات جديدة . فصرف باقي ايام حياته ببناء الهياكل وزخرفة القصور . فجدّد القصر الذي بناه جدّه سنحاريب وزخرفهُ وشيّد ابنية كثيرة في اثور وفي بابل واور واوروك وبورسيبا وكوتا ونيپور . وبلغت صناعة النقش والتصوير في ايامه الى درجة سامية من الكمال كما تدلّ على ذلك التصاوير التي صُنعت في زمانه . ومما اشتهر بهِ ايضاً محبته للعلوم وخدمته للآداب الكلدانية الاثورية . فانهُ استجلب من مكاتب بابل وغيرها من المدن الكلدانية كل ما وجدهُ من الكتب القديمة في آداب الكلدان وعلومهم وصنائعهم وتواريخهم وديانتهم واستنسخها كلها فانشأ مكتبة فاخرة جليلة في نينوى . وقد وصل الينا بقايا هذه المكتبة الثمينة . وقد نُقِلت كلها الى لندن عاصمة الانكليز . وقد ألّف الدكتور بتزولد الانكليزي كتاباً نفيساً في هذه مكتبة نينوى . وقال الاب لويس شيخو بوصفهِ هذا الكتاب ما نصهُ :

« قد وكلت ادارة المتحف البريطاني في لندن الى الدكتور بتزولد تدوين قائمة الصحائف المسمارية التي وُجدت في نينوى . فقام ذاك الاثريّ الشهير بهذا العمل وانجزهُ بعشر سنوات من ١٨٨٩ الى ١٨٩٩ . فاستحقّ شكر كل المستشرقين . وقد اطلعهُ هذا الشغل على كل اسرار الاشوريين في اقامة المكاتب وتجهيزها . وكان جنابه في تأليفه المعنون « نينوى وبابل » قد بيّن ما تحتويهِ مكتبة نينوى من الاعلامات والفوائد لتاريخ بلاد ما بين النهرَين . واليوم قد وضع مصنفاً جديداً شرح فيهِ كل ما ينوط بهذه المكتبة النينويّة ومحتوياتها واصناف صفائحها . وقد كان اكتشاف هذا الكنز الثمين في كوينجيك (قوينجق) قريباً من الموصل بين اخربة قصور نينوى القديمة . وكان الذي باشر بالتفتيش عن هذه الآثار المسيو ليارد السنة ١٨٤٦ ثمَ تتبّعها رولنسن ورسام وسميث وبدج الى كنغ في السنة ١٩٠٣ . وقد بلغ عدد الصفائح المكتشفة ٢٠،٠٠٠ . وهو لعمري عدد بليغ يدلّ على ترقي البابليين في معارج المدنية . والمسيو بتزولد يدقّق الوصف في هذا الكتاب ويبيّن كل خواصّ هذه المكتبة البابلية الشريفة كمواد الصفائح . . . وكل كتاب يتركّب

من صفائح متعدّدة على هيئة معلومة وقطع واحد وهامش مضبوط وتذييلات وتصحيحات الى غير ذلك ممّاً الفهُ اصحاب المكاتب المحكمة الترتيب الراقية في الحضارة . . . فترى من هذا انَّ القدماء قد سبقوا اهل عصرنا منذ نحو الفين وستمائة سنة في تنظيم المكاتب وتموينها بالكنوز الادبية (١) »

ان اسوربانيبال ملك اكثر من اربعين سنة . وقال عنهُ ماسپيرو (٢) انهُ مات نحو سنة ٦٢٥ وكذلك قال ايضاً الاب دورم(٣) . والاصحّ ان وفاته كانت في سنة ٦٢٧ كما يقول دي مور في تأليفه المعنون : نزاع الدولة الاثورية الكبرى وانقراضها (٤) فان بيروز المؤرّخ الكلداني قال عن اسوربانيبال انهُ صار ملكاً على بابل احدى وعشرين سنة . والمعروف ان هذا الملك في سنة ٦٤٨ قهر اخاهُ شمشوموكين واتخذ لقب ملك بابل (٥) فتكون اذاً وفاته سنة ٦٢٨ او ٦٢٧

انَّ اسوربانيبال كان متبصِّراً في امور السياسة . ومع كونه قاسياً ظالماً نحو الاعداء ظهر شفوقاً نحو بعض المغلوبين وغمرهم باحساناته . وذلك امَّا لكي يجعلهم من حزبه كما فعل مع نخا ملك صعيد او لكي يزرع الفتنة بواسطتهم بين اعدائه فيتهيأ لهُ الاستيلاء على مملكتهم كما فعل مع امراء وملوك عيلام . وممَّا امتاز بهِ اسوربانيبال دون الملوك سلفائه انهُ لم يباشر هو بنفسه الغزوات بل كان يعهدها غالباً الى قوّاده . ولهذا قد ذهب بعض علماء عصرنا (٦) انهُ ربما من اجل هذا ولكونهِ تفرَّغ للعلوم قد ظلمهُ التقليد ظلماً فاحشاً ونسب اليهِ كذباً وافتراء باسم سردانابال عيوب الملوك المنصبّين الى الملاهي والمتقاعدين عن امور الدولة . ولكن في قولهم هذا نظر . فان ما اتى في ترجمة اسوربانيبال لا يطابق ابدًا ما سُطّر عن سردانابال . وان ما حمل الاب دورم على هذا القول هو مشابهة اسم سردانابال لاسم اسوربانيبال لاغير وقد رأينا (٧) انَّ سردانابال هو نفس اسوردانابال بن شلمناسر الثاني

---

(١) المشرق : ١٩٠٥ ص ١٨٦ (٢) [illegible]: ص ٤٨١

(٣) مجلّة الكتاب المقدّس : ١٩١١ ص ٣٦٤ (٤) ص ٢

(٥) طالع ص : ١٢٧ من هذا الكتاب (٦) مجلة الكتاب المقدس ١٩١١ : ٣٦٣

(٧) طالع ص : ٧٨—٧٩

الفصل التاسع

انحطاط دولة اثور وانقراضها على يد الكلدان والماديين والاشكوزيين سنة ٦٠٨

انَّ تاريخ دولة اثور من بعد وفاة اسوربانيبال غامس في الظلمة . قال البعض انهُ بعد هذا الملك الجليل جلس مكانهُ ابنهُ اشورتيليلاني ثم نحو سنة ٦٢٠ ملك اخوه سينشاريشكين . وبايامه خربت نينوى وانقرضت دولة اثور (١) . وقال غيرهم انهُ بعد موت اسوربانيبال قام بالملك ابنهُ بيلزيكيريشكين ولم يملك سوى بضعة اشهر . فان اخاهُ اشورتيليلاني قام عليهِ وقتلهُ وجلس مكانهُ سنة ٦٢٦ . ثم ضبط ازمَّة المُلك سينشاريشكين (٢) . واماَّ الامر المعلوم فهو ان خلفاء اسوربانيبال كانوا كثيري الغفلة وهاة العزيمة وبايامهم خربت نينوى وان انقراض مملكة عيلام لم تنتفع منهُ اثور بل كان من جملة اسباب انقراضها هي ايضاً . فان الماديين انتهزوا الفرصة من انقراض مملكة عيلام فوسَّعوا ملكهم وتقوَّوا حتى استولوا على نينوى واخربوها

ان الماديين كانوا في شرقي اثور . وبلادهم منها جبلية تمتدّ من بحر قزوين الى جبال زكرا ومنها سهلية يحدّها جنوباً الاوقيانوس الهندي وشرقاً نهر هلمند . وكان الماديون منقسمين الى قبائل شتَّى ويدفعون الجزية لملوك اثور . والظاهر انهم لم يرفعوا رأسهم الَّا بعد انقراض مملكة العيلاميين . وان ما اتى في كتب الاوَّلين عن ارباق انهُ افتتح نينوى نحو سنة ٧٨٨ وقاتل سرداناپال الملك وقهره (٣) لا اصل لهُ ابداً . وقد اجمع العلماء رأيهم ان ارباق شخص وهميّ قد وضعهُ الفرس اظهاراً لشرف الماديين اخوتهم (٤) . وقيل انهُ ملك على الماديين فراورتي نحو سنة ٦٥٥ اي لما كان الملك اسوربانيبال في اتمّ السعد والاقبال . وكتب عنهُ هيرودوت المؤرّخ انهُ حمل على

---

(١) ماسبيرو : ص ٤٨٢ ; ومجلّة الكتاب المقدس ١٩١١ ص ٣٦٤

(٢) دي مور : نزاع دولة اثور وانقراضها : ص ٣ (٣) راجع ص ٧٩ من هذا الكتاب (٤) ماسبيرو ص : ٥٥٩

الاثوريين لكنهُ غُلِب وسقط قتيلاً. وقال ماسپيرو (١) ان ذلك كان في سنة ٦٣٥ واماً دي مور (٢) فيضع هذه المحاربة سنة ٦٥٢ وقولهُ يبان لي أصحّ . فانهُ في تلك السنة عينها كانت جيوش نينوى تحارب في كل الاطراف فلا بدّ من ان فراورتي او فراورط كان من جملة حلفاء شمشوموكين ملك بابل (٣)

ولمّا في كتب مؤرّخي اليونان ان الماديين لم يفشلوا بهذه الكسرة . فان ملكهم كواصار بن فراورتي نظم امور الجند وقسّمهم الى مراتب مثلما كانوا عليهِ في اثور. وحالف نبوپلاسر ملك بابل وحمل على الاثوريين وقهرهم وشدّ الحصار على نينوى سنة ٦٢٦ . ومماَّ خلَّص هذه المرَّة نينوى من الخراب هجوم الاشكوزيين على بلاد مادي . فاضطر كواصار ان يترك نينوى ويرجع الى وطنه لمقاتلة الاشكوزيين. وجرى القتال بينهم وبينهُ وكانت الدائرة عليهِ . ان الاشكوزيين شنُّوا ايضاً الغارة على اثور واحرقوا كل المدن والقرى وقتلوا خلقاً كثيراً رجالاً ونساء ولم تتخلَّص من ايديهم الَّا مدينة نينوى. وذهب الاشكوزيون بغزواتهم الى بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين ولم يقفوا الَّا عند حدود مصر . واينما ذهبوا اوقعوا الخراب والدمار

ثم ان الماديين احتالوا في التخلص من الاشكوزيين. فعمل كواصار وليمة دعا اليها ماديا ملكهم ورجال دولته. فغدر بهم وقتلهم قاطبةً نحو سنة ٦١٤ فاستكبر واراد ان ياخذ بثار ابيهِ من نينوى. وحالف ثانية نبو پلاسر ملك بابل وزوَّج ابنته أميت بنبوكدناصر بن نبو پلاسر . وكان نبوپلاسر هذا في اول الامر والياً على بابل من قبل ملك اثور. ثم اتخذ لقب الملك ونشر لواء العصيان على نينوى . فحمل كواصار ونبوپلاسر على اثور . وكانت الدائرة على الاثوريين فتحصَّنوا في نينوى . فشدّ عليها الحصار الماديون والبابليون واقاموا تحت اسوارها مدة سنين حتى افتتحوها واماً الملك سركوس وهو سينشاريشكين المارّ ذكره فضاق صدره ولم يرد ان يقع اسيراً بيد الاعداء . فشعل النار في قصره وباد بها . وحدث ذلك سنة ٦٠٨ (٤)

---

(١) ص: ٥٦٥ (٢) ص: ١١ (٣) راجع سفر جوديت الفصل الاول

(٤) ان الاب دورم يضع تاريخ خراب نينوى في سنة ٦٠٧ (مجلة الكتاب المقدس ١٩١١ ص ٣٦٤

فدخل البابليون والماديون المدينة الجليلة ونهبوها واحرقوها وهدموا بيوتها وقصورها وهياكلها . غير ان البابليين لم يشاركوا الماديين في نهب الهياكل واحراقها وذلك رعايةً للآلهة الساكنة فيها . فان آلهة اثور كانت آلهة كلدو ايضاً . واستأصل الاعداء المدينة كلها ومحوا رسومها حتى صارت كلها ردماً (١)

هذا ما كتبهُ المؤرّخون اليونانيون عن حصار نينوى وخرابها . واظن ان في قولهم نظرًا لانهُ أوّلًا انما بعد مرور جيلَين على هذه الحادثة قد كتبوا ما كتبوا عن الماديين وحربهم مع نينوى . وكل ما كتبوه تسلّموه من تقاليد الفرس . ومن المعلوم ان التقليد بكرور الزمان يزيد على الحوادث ويخلط بينها . ثانياً ان العلماء قد اجمعوا على ان كل ما سُطِّر عن الملوك الماديين الاولين وهميّ لا اصل لهُ البتة . فانهُ يظهر من آثار الاثوريين انهُ الى سنة ٦٤٢ لم يكن للماديين مملكة بل كانوا مؤلفين من قبائل شتى لا رباط بينها (٢) . وان الملك المادي الذي افتتح نينوى اختُلِف في تعيين اسمهِ . فسمّاه البعض كواصار والبعض استواج (٣) . والظاهر ان كواصار او كياصار هو نفس أحشيري ملك مناي الذي في سنة ٦٦٤ انتصر عليهِ قواد اسوربانيبال وقتلوه (٤) . هذا وانهُ لا يُصدَّق بسهولة ان كواصار او استواج قتل في وليمةٍ ملك الاشكوزيين ورجال دولته . فان هؤلاء كان دأبهم نهب المدن والقرى واحراقها وقتل الناس رجالًا ونساء كبارًا وصغارًا . فكيف يحتمل انهم بعد انتصارهم على كواصار واستيلائهم على مملكته تركوه في قيد الحيوة وكيف أمّنوهُ . ولهذا قد ذهب بعض علماء عصرنا ان كواصار لم يكن ماديًا كما كُتب عنهُ بل كان اشكوزيًا تسلّط على مادي ودامت فيها دولته الى ان قرضها كورش ملك الفرس (٥)

فنقول ان الاقرب الى الصواب انَّ الاشكوزيين والماديين سويةً حملوا على مملكة اثور وقرضوها (٦) . وهذا يظهر من انهُ منذ زمن اسرحدون كان

---

(١) ماسبيرو: ج ٣ ٤٦٤—٤٨٦ (٢) ماسبيرو: ٥٥٩—٥٦٣

(٣) راجع مجلة الكتاب المقدس: ١٩١١ ص ٣٦٤ (٤) راجع ص ١٢٥ من هذا الكتاب

(٥) ماسبيرو: ج ٣ ٤٨٠ حاشية ٥

(٦) راجع ايضاً مجلة الكتاب المقدس ١٩١١ ص ٣٦٤

الاشكوزيون لا يزالون يحملون الماديين على اثور (١)٠ وان هيرودوت نفسه (٢) يقول عن الاشكوزيين انهم تصادقوا اولًا مع الماديين ٠ ومما يؤيد ايضاً قولنا هذا ما اتى في نبوة حزقيال عن ان هؤلاء الاشكوزيين الذين يسمّيهم جوج وماجوج كانوا مصحوبين في غارتهم هذه بجنود فارس وكوش وفوط وغامر (اركامر) وتوغرما وشعوب اخرى كثيرة حتى انهم اتوا مثل زوبعة وكغيم غطّوا وجه الارض (٣) ثم ان الماديين والاشكوزيين استجلبوا ايضاً اليهم العيلاميين والكلدان الذين على سواحل خليج فارس ٠ وانضمّ ايضاً اليهم نبوپلاسر ملك بابل (٤) فحملوا سويةً على اثور وحاصروا نينوى واخربوها كما سبق القول

وكيفما كان الامر ان غارة الاشكوزيين هي التي صارت السبب الاول لانقراض دولة اثور العظمى ٠ ومن اعجب الامور ان هذه الدولة الجسيمة انما عند بلوغها الى اعلى ذروة المجد والعظمة سقطت فجأةً سقطةً ابديةً ٠ كما وان الكنيسة الاثورية الكلدانية لمَّا بلغت هي ايضاً في الجيل الرابع عشر بعد المسيح الى اعلى درجة من المجد وامتدَّت وانتشرت من بلاد الصين الى جزيرة قبرص ومن اقاصي ارمنية الى اقاصي بلاد العرب وقعت هي ايضاً غفلةً وقعة اليمة لم يمكنها ان تقوم منها ٠ وسبب سقوطها كان ايضاً الاشكوزيون او اخوتهم المغول او التتر الذين قتلوا ونهبوا وسبوا بلا شفقة ٠ فالاشكوزيون في غزوتهم الاولى قرضوا مملكة اثور ٠ وفي غزوتهم الثانية ذلّلوا كنيسة اثور واخربوها

من عيوب السياسة الاثورية طمعهم المفرط في افتتاح البلدان دون اخذ الراحة ابدًا ٠ فان شركينا الثاني وسّع المملكة توسيعاً عظيماً ٠ وابنهُ سنحاريب مع كونه مشغولًا دائمًا في إطفاء نيران الفتن والعصيان في جميع انحاء مملكته اراد اخضاع العرب والمصريين ايضاً ٠ واسرحدون حمل على مصر وافتتحها ٠ واسوربانيبال قبل ان يفرغ من امر مصر حارب اخاهُ في بابل وزحف على عيلام ونهبها ٠ فالمحافظة على كل

---

(١) طالع ص ١١٧ من هذا الكتاب (٢) هيرودوت: ܐ ٧٣-٧٤
(٣) حزقيال ܠܚ و ܠܛ (٤) راجع دي مور: نزاع دولة اثور العظمى واقراضها ص: ٣ وماسبيرو: ܓ ٤٣٨

هذه البلاد الواسعة الارجاء المختلفة الحركات والاطوار كانت صعبة الى الغاية . فضلاً عن ان اولئك الشعوب كانوا ميالين دائماً الى العصيان . فالاثوريون عوضاً عن ان يعمّروا البلاد المفتوحة ويصلحوا احوالها كما تطلب السياسة الحقيقية كانوا هم بالعكس يوقعون فيها الخراب والدمار . وهذه الرذيلة كانت شاملة جميع ممالك الشرق دون استثناء . ولهذا نرى ملوك اثور منذ يوم جلوسهم على سرير الملك الى يوم نزولهم الى القبر مجبورين ان يطوفوا دائماً في مملكتهم متنقلين من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ليقهروا العصاة وينكّلوا بهم . وحالما كان يجلس على تخت نينوى ملك واهي العزيمة غير مقتدر ان يباشر الغزوات مثل سلفائه كانت الدولة تبتدئ بالانحطاط والنزول

وجرى هذا الامر ثلاث مرّات : في سنة ١١٠٠ بعد وفاة تغلاتپلاسر الاول وفي سنة ٧٨٣ بعد موت ادادنيراري الثالث وسنة ٦٢٧ بعد وفاة اسوربانيبال . لكن في المرّة الاولى والثانية قام في اثور ملوك ذوو حزم وبأس اقاموها من سقطتها . او بالحري لم يوجد مَن ينتهز الفرصة من انحطاطها فيضربها ضربة قاطعة مميتة كما جرى في المرّة الاخيرة

الكتاب الرابع

دولة الكلدان العظمى الثانية (٦٠٨ ٥٣٨)

الفصل الاول

نبوكد ناصر الثاني (١) (٦٠٤—٥٦٢)

غارة نخا الثاني ملك مصر على سوريا — قهر نبوكدناصر الاراميين الرّحل ونخا الملك — موت نبوپلاسر وجلوس نبوكدناصر — عصيان يوياقيم ملك يهوذا وخضوعه — حصار اورشليم ونهبها — عصيان اورشليم وفونيقي — محاصرة اورشليم الثانية —

(١) ان علماء عصرنا يكتبون نبوكودوروسور ومعناهُ : نبو يحامي عن تاجي . والعرب كتبوا بختنصّر

انتصار الكلدان على المصريين — افتتاح اورشليم واسر صدقيا — افتتاح صور — محاربة نبوكدناصر مع المصريين — ابنيته واحلامه

ان نبوپلاسر كان من اقدم العائلات الكلدانية. وكان اسوربانيبال او ابنه اسورتيليلاني قد ولّاهُ على بابل . وبعد موت اسورتيليلاني اخذ نبوپلاسر لقب الملك. وكان خاضعاً لاثور الى نحو سنة ٦١١ . وفيها حالف الاشكوزيين والماديين على نينوى فافتتحوها وقرضوا مملكتها . وقد مرّ ذكر ذلك

فاقتسم الماديون والكلدان جميع البلاد الخاضعة للاثوريين . فاصاب الماديين البلاد الشمالية واصاب نبوپلاسر قسم من عيلام وبلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين. وحسب الكلدان ملوك مصر ايضاً من اتباعهم لانهم كانوا تحت حكم نينوى مع ان مصر كانت قد استقلّت منذ عهد اسوربانيبال . لا بل انها انتهزت الفرصة من محاصرة نينوى سنة ٦٠٨ فحملت على سوريا تريد اخضاعها . وكان ملك مصر يومئذٍ نخا الثاني ابن بسماطيق بن نخا الاوّل صديق الاثوريين. وقتل نخا يوشيا ملك يهوذا واتى بفتوحاته الى الفرات وافتتح مدينة قرقيش (١). فخضعت لهُ كل بلاد السريان. والاراميون الرّحل الذين بين خابور وباليخ استقلّوا هم ايضاً من بابل وانضمّ اليهم بعض الاشكوزيين والكمريين فحملوا على مدن ما بين النهرين وافتتحوا مدينة حاران مقرّ الاله سين ونهبوها

وكان نبوپلاسر قد طعن في السنّ فسيَّر ابنهُ نبوكدناصر على الاراميين والاشكوزيين. وكان نبوكدناصر وهو الذي يسمّيه العرب بختنصر ذا حزم وبأس. فاخضع تلك القبائل وضرب الخراج على حاران وادخل في جملة ولايات بابل نواحي سوبارو وصرف في ذلك ثلاث سنين (٢)

ولمّا كانت سنة ٦٠٤ عبر الفرات. وكان المصريون ينتظرونهُ بالقرب من مدينة قرقيش. وكان جيشهم عظيماً جدًّا مؤلّفاً من المصريين واليونان والحبشة وغيرهم .

---

(١) هيرودوت: ܒ ١٥٩ . و ٢ ايام: ܠܗ ٢٠-٢٤. و ٢ ملوك: ܟܓ ٢٩

(٢) ماسيبرو: ܓ ٥١٦ وماسپيرو: ٦٢٣-٦٢٤

فحمل عليهم نبوكدناصر بشدّة وقتل منهم خلقاً كثيراً وكسرهم كسرة تامّة وتتبعهم حتى اقصاهم الى حدود بلادهم (١) . وقال ارميا النبي واصفاً كسرة المصريين ما نصهُ: «قول الرب الذي صار الى ارميا النبي على الامم . على مصر وعلى جيش فرعون نخو ملك مصر الذي كان قرب نهر الفرات بكركميش الذي ضربهُ نبوكدناصر ملك بابل في السنة الرابعة ليوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا : اعدُّوا الترس والمجنّ . واخرجوا الى القتال . اسرجوا الخيل واركبوا يا ايها الفرسان وقفوا بالخوذات . اصقلوا الرماح . البسوا الدروع . لماذا رأيتهم فزعين وهاربين وشجعانهم مصروعون . وهربوا مُسرعين ولم يلتفتوا . المخافة من كل جانب يقول الرب . لا يهرب السريع ولا ينجو الشجيع . في الشمال عند نهر الفرات زلّوا وسقطوا . مَن هذا الذي يصعد كالنيل وكانهار تتلاطم امواجها . تصعد مصر مثل النيل . وكالانهار تتلاطم الامواج فيقول: أصعدُ واغشي الارض . اهلِك المدينة وسكَّانها اركبوا الخيل وابتهجوا بالمراكب . وليخرج الأبطال . كوش وفوط للاسكان الترس . واللوديون الآخذون والرامون بالسهام . فذلك اليوم يوم الرب اله الجنود يوم نقمة . لينتقم من اعدائهِ . فيأكل السيف ويشبع ويروى من دمائهم . فان للرب اله الجنود ذبيحةً في ارض الشمال عند نهر الفرات . اصعدي الى جلعاد وخذي بلساناً يا عذراء بنت مصر تكثرين الادوية باطلاً . لا يكون لكِ علاج . سمعَت الامم بخزيكِ وملأ الارض عويلكِ لان البطل يصدم البطل . . . . اكثر الساقطين . فيسقط بعض على بعض . ويقولون: انهض فنرجع الى امّتنا والى ارض ميلادنا من وجه السيف الماضي » (٢)

ان نبوكدناصر بقهره المصريين تسلّط على كل سوريا . وسلّم لهُ يوياقيم ملك يهوذا وغيره من ملوك تلك البلاد وقصد مصر يريد الاستيلاء عليها وانتهى الى مدينة بلوسية وفيما هو كذلك اذ نُعي اليهِ موت ابيه . ولخوفهِ من حدوث فتنة في بابل اسرع الرجوع على طريق الصحراء ودخل بابل فجأةً . وكان الكهنة يدبّرون الامور . فجلس على سرير الملك واستقرّ لهُ الامر (٣)

---

(١) ارميا : ܡܘ و٢ ملوك : ܟܕ :٧ . ويوسيفوس : تاريخ اليهود : ܗ :٧ . وماسپيرو: ܟ ٥١٧ (٢) ارميا: ܡܘ (٣) يوسيفوس: تاريخ اليهود : ١٠ـ٦ ويبروس القطعة ١٤

وقضى نبوكدناصر مدةً طويلة في السعد والاقبال (١) ولم يلتزم مثــل ملوك اثور ان يقضي حياتهُ كلها في الغزوات والغــارات لتسكين الثورات . لان التقلّبات السياسية التي حدثت في اسيا اغنتهُ عن ذلك . فان ممالك أورارطو ومناي وپارسوا والـيبي وعيلام كانت قد انقرضت . والماديون صاهرهم . فكان اخصّ اعدائه في الغرب والجنوب . فعزم ان يتسلّط هو ايضاً على مصر نظـير ملوك اثور . وكان نخا ملك مصر قد غشيهُ عار جزيل بسبب انتصار الكلدان عليــهِ فعزم ان ياخذ بثاره منهم وتجهّز لمحاربتهم . واجتهد مثل سلفائه ان يحالف ملوك سوريا . فاحتال وحمل يوياقيم ملك يهوذا على خلع الطاعة للكلدان . فلمّا بلغ هذا الخبر نبوكدناصر صعد الى اورشليم . فخاف يوياقيم خوفاً شديدًا وخضع لهُ (٢) . لكنهُ بعــد ثلاث سنين عاد فتمرّد عليهِ . فلم يرد ملك بابل ان يذهب بنفسه لمحــاربة اليهود بل ارسل عليهم قوّاده . فشدّ الكلدان الحصار على مدينــة اورشليم . ودافع يوياقيم عن نفسه بشدّة وحزم حتى اضطرّ نبوكدناصر ان يزحف هو بنفسه على يهوذا . ولمّا كان في الطريق توفي يوياقيم وملك عوضهُ ابنه يوياخين . ولم يملك هــذا سوى ثلاثة اشهر . فانّ ملك الكلدان افتتح اورشليم واخذ كل ما كان في كنز بيت الرب وبيت الملك وكسر جميع اوعية الذهب التي صنعها سليمان الملك . واستأسر كل الاجناد وساق الى بابل جميع الصنّاع لكي يشتغلوا هناك . وقبض ايضاً على يوياخين فسباهُ هو وامّه ونساءه وخصيانه واجلس مكانه مثنيا عمّه ودعا اسمه صدقيــا . وكان من جملة الاسرى دانيال النبي ورفاقه . وكان ذلك سنة ٥٩٧ (٣)

امّا نخا ملك مصر فمع كونه هو الذي شوّق اليهود الى العصيــان لم يتجاسر ان يأتي الى مساعدتهم . ومات في سنة ٥٩٥ وجلس مكانه ابنه بساطيق الثاني وكان السوريون لا يزالون ينتظرون الخلاص من مصر . ويتشاورون سرًّا على محالفتها . ومن جملتهم صدقيا الملك مع ان ارميا النبي لم يفتر من تحريضه على الخضوع للكلدان

وفي تلك الاثناء اي في سنة ٥٨٩ توفي بساطيق الثــاني ملك مصر وتخلّفهُ

---

(١) عن نبوكدناصر راجع ماسپيرو : ص ٥١٦—٥٦٤ (٢) ٢ ملوك : كد ١

(٣) ٢ ملوك : كد و ٢ ايام : لو ٥—١١

افرياس . فازداد حينئذٍ السوريون شوقاً الى رفع لواء العصيان . فبادر الى حمل السلاح اهالي صور وباقي مدن فونيقي واورشليم والبلاد التي ممّا وراء نهر الاردن . فحمل نبوكدناصر على بلاد سوريا وسيّر قسماً من جيشـه على فونيقي لمحاصرة صور . وانقضّ هو على بلاد يهوذا . فلم يتجرّأ صدقيا على مبـارزته وتحصّن في اورشليم . وكان ملك بابل قد غضب غضباً شديدًا على يهوذا . فامر بنهب المدن واحراقها . ثم شدّ الحصار على اورشليم وكان صدقيا الملك قد استعان بملك مصر وطلب منهُ خيلًا وجنودًا (١) . فاجاب افرياس الى سؤاله وبادر الى مساعدته . ولما اتصـل الخبر بنبوكدناصر رفع الحصار عن اورشليم وذهب للقائه . فافتكر اليهود انهم تخلّصوا من ايدي الكلدان . لكن ارميا النبي لم يزل يحثهم على الطاعة قائلًا لهم : « هكذا يقول الرب إله اسرائيل : ها انَّ جيش فرعون الذي خرج معونةً لكم يرجع الى ارضه الى مصر . ثم يرجع الكلدان ويحاربون هذه المدينـة ويفتحونها ويحرقونها بالنّار . هكذا يقول الربّ : لاتضلوا انفسكم قائلين : ان الكلدان سيـذهبون وينصرفون عنّا . فانهم لن يذهبوا (٢) . » وان نبوكدناصر التقى بملك مصر بالقرب من مدينة غزّة . فحمل عليـهِ وقاتلهُ شديدًا واثخن الجراح في جيوشه وهزمهُ شر هزيمة (٣) . ثم رجع الى اورشليم

ومن بعد هزيمة المصريين كان الاحسن لليهود ان يسلّموا للكلدان . لكنهم بقوا مصرّين على عنادهم ولم يسمعوا نصائح ارميا النبي بل قبضوا عليهِ وضربوهُ وطرحوهُ في السجن . وهو مع ذلك لا يزال يحثّهم على التسليم قائلًا لهم : « هكذا يقول الرب . كل من يبقى في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوبا . ولكن من يهرب الى الكلدان ينجو وتكون لهُ نفسهُ غنيمة ويسلم . » وقال ايضاً لصدقيـا الملك الذي ارسـل واخذهُ اليهِ من الحبس : « هكذا يقول الرب إله الجنود اله اسرائيل . ان ذهبت وخرجت الى رؤساء ملك بابل تسلم نفسك . ولا تحرق هذه المدينـة بالنار وتنجو انت واهل بيتك . وان لم تخرج الى رؤساء ملك بابل تُسلَّم هذه المدينة الى ايدي الكلدان فيحرقونها بالنار ولا تفلت انت من ايديهم (٤) . »

(١) حزقيال : ٢٩ و ١٥ (٢) ارميا : ٣٧ و ٧ — ٩ (٣) يوسيفوس : ١٠ و ٧
(٤) ارميا : ٣٨

ولكن اليهود لم يزدادوا الّا تعنّدًا ودافعوا عن المدينة بكل نشاط . اخيرًا افتتح الكلدان المدينة ودخلها قوّاد ملك بابل وجلسوا في البـــاب الاوسط . وهم نرݣل شراصر وسمكرنبو وسرسخيم وغيرهم . فانهزم صدقيا وخرج ليلًا من المدينة . لكن الكلدان تتبّعوهُ فادركوهُ في سهل إيريحا . واتوا بهِ الى نبوكدناصر وكان يومئذٍ في ربلة بناحية حماة

فعاملهُ ملك بابل بكل قساوة . اذ امر بذبح اولاده واشراف يهوذا بحضوره ثمّ فقأُوا عينيهِ وشدّوه بسلسلتين من نحـــاس واتوا بهِ الى بابل . واخرب نبوزردان رئيس الشرط مدينة اورشليم وهدم اسوارها . ونهب كل ما فيها واجلى جميع سكّانها الى بلاد الكلدان . ولم يترك فيها سوى الفقراء واعطاهم الكروم والحقول لكي يفلحوها ويزرعوها . وولّى عليهم جدليا بن احيقام صديق ارميـــا النبي (١) . وجرى ذلك سنة ٥٨٦

ان جدليا لم يعش كثيرًا . فان اسماعيل بن نثانيا قتلهُ هو وجميـــع اليهود والكلدان الذين معـــهُ ولحق بالعمونيين . وبعض الذين بقوا في اورشليم هربوا الى مصر خوفا من الكلدان . والاخر تجرأُوا مرةً اخرى وحالفوا الموابيين ونشروا لواء العصيان . فحمـــل عليهم الكلدان واجلوا من بقي منهم . ثم زحفوا على الموابيين والعمونيين والادوميين والعرب واخضعوهم قاطبةً

وكان بعض جيوش الكلدان يحاصرون مدينـــة صور منذ ثلاث عشرة سنة . وكانت منيعة جدًّا لانهـــا كانت في جزيرة في البحر . اخيرًا التزم الصوريون وسلّموا لملك بابل سنة ٥٧٤ (٢)

فلمّا فرغ نبوكدناصر من امر فونيقي وبلاد فلسطـــين حمل السلاح على مصر وانتصر على افرياس وساق كثيرًا من الاسرى وولّى على دلتا قائدًا من قوّاده . هذا ما كتبهُ يوسيفوس المؤرّخ اليهودي (٣) . ولكن تواريخ مصر تكذّب ذلك وتقول ان الدائرة كانت على نبوكدناصر . وان سفن ملك مصر التي كان يقودها اليونان انتصرت على سفن الفونيقيـــين التي كانت تحارب لاجل الكلدان . وتسلّط

(١) ٢ ملوك : ܟܗ . و٢ ايام : ܠܘ ١١—٢٠ وارميا : ܢܒ

(٢) ماسبيرو : ٦٣٧ (٣) كذا ܗ ١١ وحزقيال : ܠ

المصريون على صيدون وغيرها من المدن الساحليـــة (١) . وهنا اقول انهُ لا يوجد تناقض بين كلام يوسيفوس وكلام مدوّني تاريخ مصر . فان نبوكدناصر انتصر برا على المصريين واثخن فيهم الجراح . ومن بعد رجوعه الى مملكته قام المصريون على الكلدان وقهروهم بحرًا كما قال هيرودوت . ومما يؤيد قولنا هذا ان ملك الكلدان لمّا بلغهُ تسلُّط المصريين على فونيقي حمل ثانيةً السلاح على مصر سنـــة ٥٦٧ (٢) . ولسوء الحظ لا نعرف بالحقيقة نتيجة هذه المحاربة . فان تواريخ الكلدان تقول ان المصريين انغلبوا . واما تواريخ مصر فهي ساكتة عن هذه غزوة الكلدان الاخيرة

والظاهر ان هذه المحاربة هي آخر محاربات نبوكدناصر . او أقلّها يكون هي آخر محاربة كتبت عنها التواريخ . وكان نبوكدناصر قد طعن في السن . فصرف جزيل عنايته بتكميل الابنية الجبارية التي اشتهر بها كثيرًا (٣) . فان بابل قبـــل خراب نينوى خربت مرّتين على يد سنحاريب واسوربانيبال . وكانت اغلب ابنيتها محتاجة الى ترميم . وكان نبوپلاسر ابو نبوكدناصر قد بدأ بذلك . وممن ساعد نبوكدناصر على تشييد هذه الابنية الاسرى الكثيرون الذين ساقهم من اثور ويهوذا وسوريا ومصر وبلاد العرب وغيرها . فصارت بابل في ايامه اجمل مدن العالم واعظمها

فانهُ في وسط المدينة كانت تعلو بعظمة لا مثيل لها زقرتا الاله بيل وهي عبارة عن برج عظيم ذي سبع طبقات كل طبقة منها خُصِصت لواحد من الآلهـــة السبعة . وكان لون الطبقة السفلى اسود ولون الثانية ابيض والثـــالثة قرمزيًا والرابعة ازرق والخامسة احمر ولون السادسة فضيًا والسابعة ذهبيًا . وفي اعلى الطبقة السابعة تمثال الاله بيل من الذهب الخالص ارتفاعهُ عشرون قدمًا . وبجـــانب التمثال مائدة من الذهب الخالص ايضًا . وكان اول من بنى هذه الزقرتا ملك من ملوك بابل ثم جدّد بناءها نبوكدناصر الملك على رسمها القديم . وذكر يوسيفوس المؤرّخ ان واضع هذه

---

(١) هيرودوت : ٢ ١٦١ وديودور : ١ ٦٨

(٢) پينتشس : قطعة حديدة من تاريخ نبوكد ناصر في مجلّة الكتاب المقدس الانكليزية ٢١٠–٢٢٥

(٣) عن ابنية نبوكدناصر راجع اسبيرو : [illegible] ٥٦٠–٥٦٥ واوپير : اثار نبوكدناصر عن عجائب بابل سنة ١٨٦٦ ومينان : بابل وكلدو ١٩٦–٢٤٨ وجيل مدور تاريخ بابل واشور : ١٥–٢٦ وفليكس يوليان : سياحة في ارض بابل الفصل : ١

الزقورتا او هذا البرج العظيم هو نمرود وهو برج بابل المذكور في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين

وكان نهر الفرات ينساب في وسط المدينة ويقسمها الى شطرَين. وفي مركز كلٍّ من الشطرَين عمَّر نبوكدناصر او رمَّم قصرًا عظيماً فاخرًا. وقد نسب ديودوروس المؤرّخ هذين القصرين الى شميرام الملكة ووصفهما بقولهِ انهما كانا على اتمّ وجهٍ من الاحكام والزخرفة والقصر الغربيّ منهما محيطهُ نحو ١١ كيلومترًا وحولهُ سور عالٍ من الآجرّ ويليهِ من داخل سور آخر من اللبن وعليهِ صور حيوانات بديعة الصنعة رائعة الاتقان يتخيَّل الناظر اليها انها حيَّة. واماَّ القصر الثاني فكان دون ذلك في الرونق والسعة. وكان فيهِ تماثيل لتينيب وشميرام وجماعة من رجال الدولة والعمَّال وكلها من الشبه وتمثال بيل الإله. وفيهِ فضلًا عن ذلك صور معارك ومصارعات ومشاهد صيد متقنة الوضع محكمة الصنع

شميرام ملكة بابل على شبه حمامة (راجع صحيفة ٤٥)



والقصر الملكي كان مشتهرًا في البساتين المعلّقة المعدودة في جملة عجائب الدنيا السبع (١). وصفتها انها كانت على هيئة سطوح قائمة بعضها فوق بعض. وكل واحد

(١) ان عجائب الدنيا السبع هي ١ً جنائن بابل المعلّقة واسوارها ٢ً اهرام مصر ٣ً تمثال المشتري (زوس) في بلاد اولمپية ٤ً صنم رودس ٥ً هيكل ديانة في افسس ٦ً ضريح موزول ملك كارية في هليكرناس ٧ً منارة الاسكندرية (المشرق ١٩٠٣: ص ٧٦٨)

من هذه السطوح يتأخر عن الذي تحته على شكل ما يُسمّى بالامفيتياتر حتى كانت والاشجار عليها اشبه برابية خضراء ذات مروج ورياض رائعة . وكانت هذه البساتين مربّعة الشكل طول كل جهة من جهاتها نحو ١٢٠ مترًا . وكل سطح من السطوح المذكورة يرقى اليهِ بسلّم بينهُ وبين الذي يليهِ . والسطوح برمتها قائمة على عُمُـد وهي مفروشة بصفائح من الحجارة طول الواحدة منها ١٦ قدماً وعرضها ٤ اقدام . وهذه مستورة بخيزران قد غمس في الحمر . وفوقه صفّان من الآجرّ المغموس في الجصّ . وفوق ذلك صفائح من الرصاص تمنع نفوذ الماء الى ما تحتهـا من البناء اذا سُقي ما فوقها من الاشجار . وفوق الرصاص التراب المغروسة فيهِ اشجار البساتين وهو من الكثرة بحيث يمكن ان تغرس فيهِ اعظم شجرة . وكان هذا الموضع كلهُ مغطى بالشجر المختلف والمغروسات الانيقة ذات النشر والثمر . وفي داخل العمد المذكورة غُرَف رائعة الاتقان محكمة الوضع ينفذ اليها النور من خلال العمـد وهي الغرف الملكيَّة . وكان احد العمد اجوف من رأسه الى عقبه وفي داخله آلات ترفع الماء من النهر فتصبّهُ في البساتين . وكان المؤرّخون يظنّون ان مستنبط البساتين المعلّقـة هو نبوكدناصر الذي امر بصنعها كرامةً لامرأته المادّية التي كانت متعوّدة على المعيشة في الروابي المكسوّة بخضرة الرياض والبساتين . الَّا ان الموسيو ميسنر يقول ان نبوكدناصر انّما جدَّد الجنائن المذكورة على اثر خراب بابل سنة ٦٤٨ . وقد كانت قبل ايامه باجيال عديدة (١)

وحوَّط نبوكدناصر مدينة بابل باسوار عالية عريضة على شكل مربع . وذكر هيرودوت ان مساحة محيط هذه الاسوار ٤٨٠ غلوة اي ٨٦ كيلومترًا . وكان ارتفاعها نحو مائتَي ذراع وعرضها نحو ٣٥ ذراعاً . وكانت هذه الاسوار مبنيَّة باللبن المشويّ قد أُلحم بعضهُ ببعض بالقار المغليّ . وكان لها مائة باب مقسَّمة في الاطراف الاربعة على بعدٍ متساوٍ وكانت الابواب من النحاس . وداخل السور الكبير كان سور آخر اقلّ سمكاً منهُ . وعلى قمّة الاسوار على كلٍّ من جانبيها كان صفّان من ابراج صغيرة ذات طبقة واحدة ومتحاذية . وبين السورين خنـدق عميق مملو ماء . ونهر الفرات يقسم المدينة الى قسمَين . وبين القسمين جسر عظيم يصل بينهما . وكانت بابل مبنيَّة

(١) المشرق : ١٨٩٩ ص ١٨٧

على ترتيب مضبوط ورسم منظَّم اذ كانت جميع الازقّة على خطّ مستقيم بعضها محاذية والاخرى تنتهي عمودياً بالفرات. وكانت ممتلئة بساتين ومروج فسيحة فيها من جميع انواع الاشجار المثمرة واصناف البقول والزهور

ولنبوكدناصر غير ذلك من الابنية والآثار الجليلة. فمن ذلك انهُ حفر قنوات جديدة تصل الفرات بدجلة. ونظّف القنوات العتيقة وحفر بحيرات منعاً لفيضان الفرات والدجلة. وبنى هياكل فاخرة في مدن الكلدان الاخرى. وكانت وفاته سنة ٥٦٢ وقد ملك ٥٣ سنة

واتى في كتاب دانيال النبي روايات كثيرة عن نبوكدناصر الملك. من ذلك انهُ رأى احلاماً كدَّرت صفاهُ. فرأى تمثالًا جسيماً رأسهُ من ذهب خالص وصدره وذراعهُ من فضة وفخذاهُ من نحاس وساقاهُ من حديد وقدماهُ بعضهما من حديد وبعض من خزف. فسقط حجر وضرب التمثال وسحقهُ. وصار الحجر جبلًا عظيماً وغطّى وجه الارض كلها. فاحضر دانيال وفسَّر لهُ هذا الحلم قائلًا : انت سلطان مقتدر. فانت هو الرأس الذهبيّ. وبعدك تقوم مملكة اصغر من مملكتك وهي المرموز عنها بالفضة. ثم مملكة ثالثة وهي المشار اليها بالنحاس. والمملكة الرابعة ستظهر كالحديد تسحق جميع هذه الممالك. والحجر المنقطع من الجبل والساحق التمثال كلهُ سلطنة يقيمها رب السماء ولن تنقرض الى الابد (١). وقد قال آباء الكنيسة بتفسيرهم فصل دانيال هذا انَّ الممالك الاربع التي ذكرها النبي هي مملكة الاثوريين او الكلدان ثم مملكة الفرس ثم مملكة اسكندر اليوناني ثم مملكة الرومانيين. واماَّ المملكة المرموز عنها بالحجر فهي مملكة يسوع المسيح

ومن ذلك ايضا ما اتى في الاصحاح الرابع من كتاب دانيال ان نبوكدناصر رأى شجرة عظيمة يصل علوها الى السماء ومنظرها الى اقاصي الارض كلها. واذا بملاك امر بقطع الشجرة. وبينما كان ذات يوم يتمشى نبوكدناصر على قصره وبين يديهِ بابل يرى عظمتها تكبَّر وقال أليس ان هذه هي بابل العظيمة التي انا ابتنيتها. وللحال وقع عليهِ صوت من السماء يقول لهُ: يا نبوكدناصر ان ملكك هذا يُنزَع من يدك وعن قليل تكون منفياً من بين الناس ويكون اليفك وحش الصحراء

(١) دانيال : ٢

وتاكل العشب كالثيران . وقد اتى ايضاً في تواريخ الكلدان ان نبوكدناصر في آخر عمره بينما كان يتمشّى ذات يوم على سطح قصره كُشِف لهُ بروح النبوءَة ان مملكته ستنقرض ونقل ذلك الخبر الى شعبه . ولا حاجة الى القول ان ما اتى في سفر دانيال النبي عن نبوكدناصر الملك كان انّ مملكته الجسيمة بعد موته تنحطّ انحطاطا ظاهرًا فتنقرض انقراضاً يحيّر العقول

الفصل الثاني

انحطاط دولة الكلدان العظمى الثانية في ايام اميلمرودخ (٥٦٢—٥٦٠) ونرگلشاروصر (٥٦٠—٥٥٥) ولابوروسرحود (٥٥٥—٥٥٤) ونبونهيد (٥٥٤—٥٣٨) وانقراضها على يد كورش ملك الفرس سنة ٥٣٨

ان بابل كانت ميَّالة الى الفتن والقلاقل . والظاهر انهُ كان فيها فرق كثيرة تضادُّ بعضها بعضاً . فمنها فرقة الكهنة التي كانت تريد الاستبداد بالامر منفعةً لصوالحها وصوالح آلهتها . وفرقة الكلدان الذين على سواحل البحر وقد رأينا ان هذه الفرقة اجلست مرارًا رجالًا من حزبها على سرير المملكة (١) واليها كان ينتمي نبوكدناصر الثاني . وفرقة الاشراف البابليين القدماء التي منها كان نبونهيد الملك . فمماَّ يبيّن طول باع نبوكدناصر في امور السياسة انهُ جلب اليهِ كل هذه الفرق ولم يحدث في ايامه شغب وفتن . ولكن عندما توفّي قدحت نار الفتن الاهلية في عاصمته وما برحت تستعر وتشتدّ حتى اضعفت المملكة فانتهز الفرس الفرصة من ذلك واستولوا عليها

انَّ أميلمرودخ او أويلمرودخ جلس مكان ابيهِ نبوكدناصر سنة ٥٦٢ . فاطلق يوخنيا ملك يهوذا من الحبس واجزل عليه العطايا واقامهُ قهرمانا على بيته(٢) . مع ان اباهُ نبوكدناصر خلعه منذ زمان قبل ان يملك صدقيا والقاهُ في السجن . وبعد مرور سنتين على جلوس أميلمرودخ جرت فتنة في بابل فيها قام عليهِ صهره نرگلشاروصر

---

(١) راجع ص: ٤١—٤٣ من هذا الكتاب

(٢) ملوك : ٢٥ ٢٧—٣٠

وقتلهُ وجلس مكانه سنة ٥٦٠ .ولم يتمتع كثيراً هذا الملك الدخيل فانهُ مات سنة ٥٥٥ .وخلفهُ ابنهُ لَبَاشمرودخ او لابوروسرحود . ولم يملك سوى تسعة اشهر فانهُ قُتل وجلس مكانهُ نبونهيد وبهِ انقرضت ذرّية نبوپلاسر (١)

وبينما كانت هذه القلاقل والفتن تجلب البوار على مملكة الكلدان كانت احوال الفرس تروق يوماً فيوماً (٢) . فان كورش ملك فارس سنة ٥٥٢ او ٥٥٣ نشرلواء العصيان على الماديين وقهر استواج الملك وافتتح مدينة اقبطانة واقتنى خزائنها سنة ٥٤٩ .وان كريسوس ملك لوديا في اسيا الصغرى الذي وسَّع مملكته كثيراً لما بلغهُ خبر سقوط مملكة الماديين خاف فخالف المصريين والكلدان واللاقيديونيين سنة ٥٤٥ واراد محاربة الفرس .وقبل ان يتهيَّأ لكريسوس ان يجمع اليهِ حلفاءَهُ اغار كورش على لوديا وافتتح سرديس عاصمتها . فلمّا تقوّى حمل على بلاد الكلدان سنة ٥٣٨ . وكان نبونهيد ملكها واهي العزيمة متغافلاً عن امور المملكة . وعوضاً عن ان يتجهَّز للقتال ويدافع عن مملكته انصبّ الى عبادة آلهته الباطلة كأنَّها هي وحدها قادرة ان تحافظ على ملكه . لا بل حمل البابليين على مقته لانهُ فضَّل آلهة لارسام واور وسپارا على آلهتهم . وكانت المدن التي على سواحل البحر المتوسط قد خلعت طاعته . فلم يتحرَّك نبونهيد من يقظته وبقي غافلاً

وكان الانبياء قد تنبَّأُوا على سقوط بابل .وهاك قول ارميا النبيّ(٣) : «هكذا يقول الرب .هانذا ابعث الى بابل والى سكَّانها الذين رفعوا قلوبهم عليَّ ريحاً مفسدة . وأرسل الى بابل مذرّين فيذرّونها ويخربون ارضها . . . . . بابل كاس ذهب بيد الرب تُسكر الارض كلها ومن خمرها شربت الامم ولذلك جُنَّت الامم . سقطت بابل بغتةً وتكسَّرت .وَلوِلُوا عليها .خذوا بلساناً لوجعها لعلَّها تشفى . . . . سنّوا السهام . املأُوا الاتراس .قد انهض الرب روح ملوك مادي .لان خاطره على بابل ليهلكها . ايتها الساكنة على المياه الكثيرة . الغنية بالكنوز جاءَ أَجلكِ وقياس قطعكِ .أقسم رب الجنود بنفسه: لأَملأَنَّكِ من الناس مثل الجراد فيصيحون عليكِ

(١) ماسپيرو: ٦٤٢—٦٤٣ (٢) ماسپيرو: ٦٤٣—٦٥٨

(٣) ارميا: ٥١

بجلبة . . . . ارفعوا اللواء في الارض . اهتفوا بالبوق في الامم . قدّسوا عليها الامم . نادوا عليها ملوك اراراط ومِنّي واشكناز . اقيموا عليها مرزبانا . ايتوا بخيل كجندب مقشعر . وتتزلزل الارض وتضطرب . لانهُ سيستيقظ على بابل فكر الرب ليجعل ارض بابل خربة وغير معمورة . كفَّ جبابرة بابل عن الحرب وسكنوا في المحاصن . خارت قواهم وصاروا كنسوان . احرقوا مساكنها . انحطمت اقفالها . ساعٍ يلاقي ساعيا . ومخبّر يلاقي مخبّرًا ليخبر ملك بابل بان مدينته قد أُخذت عن اقصى »

فلمّا ظهر كورش في ارض الكلدان احتار نبونهيد في امره (١) . لانهُ لم يكن قد استعدَّ للحرب . فالتجأ الى آلهته طالباً اليها ان تحامي هي عن مملكتهِ . وارسل وجلب الى بابل من المدن الاخرى كل تماثيل الآلهة لتنضمَّ الى آلهة بابل فتدافع عنها بشدَّة . وذبح ذبائح لبيل الاله . ولكن كورش كان قد عبر الدجلة في اوائل تموز وقاتل جيوش الكلدان بالقرب من مدينة روتوم وهزمها اقبح هزيمة . وللحال خلعت مدينة اكاد طاعة نبونهيد فازداد فشلًا . وفي الرابع عشر من تموز دخل الفرس مدينة سپارا دون مشقَّة . وفي السادس عشر منهُ افتتح گوبريا قائد الجيوش الفارسية مدينة بابل . ومع هذا كله فلم يفق نبونهيد من سباته متكلًا على آلهته . لكنَّ ابنهُ البكر بلطشاصر او بيلشاراصر دافع شديدًا عن المدينة ثم سقط قتيلًا . واماَّ ابوهُ نبونهيد فقبض عليهِ الفرس ونفوهُ الى بلاد قارمانية

وذكر كتاب دانيال (٢) عن بلطشاصر انهُ بينما كان جالساً في احدى الليالي مع وزرائه وقوَّاده على المائدة وهم يشربون انواع الخمر بآنية القدس التي كان نبوكدناصر قد سلبها من هيكل اورشليم اذ عاين يدًا على الحائط تكتب كلمات سرّية . فامر باحضار دانيال ليفسّرها لهُ . فاتى دانيال وقال : هذه هي الكتابة المسطورة : منا منا تقل پارسين (ܡܢܐ ܡܢܐ ܬܩܠ ܦܪܣܝܢ) وهذا تفسير الكلام : منا اي عدّ الله ملكك . وتقل اي وزنك . وپارسين اي يقسمون مملكتك وفي تلك الليلة قُتِل بلطشاصر

انهُ يظهر جليًّا من كلام ارميا النبي الذي نقلناهُ ان الجيوش التي زحفت على

(١) ماسپرو : ٦٦٨—٦٧٠

(٢) دانيال : ٥

بابل كانت جرّارة مؤلّفة من الفرس والماديين والارارطيين والاشكوزيين والمنّيين وهم اهل مناي . وكان افتتاح بابل وانقراض دولة الكلدان سنة ٥٣٨ ق م

اننا في برهة سبعين سنة رأينا ثلاث دُوَل عظيمـة في الشرق سقطت الواحدة بعد الاخرى . رأينا دولة اثور انقرضت سنة ٦٠٨ ودولة الماديين سنة ٥٤٩ ودولة الكلدان سنة ٥٣٨ . والامر الغريب ان سقوط هذه الدول من ذروة العظمة كان بغتةً لا تدريجاً . وذلك لان الدول كانت قائمة بشخص ملوكها لا بقوانينها وشرائعها ونظامها . فتقوم الدولة اذا قام الملِك وانتصر وتموت اذا مات ولم يخلفهُ احدٌ نظيره

رأينا انهُ حالما كان يجلس في اثور ملك ذو حزم وبأس كانت المملكة في ايامه تتّسع اتساعاً عظيماً . وحينما كان يملك فيها ملك جبان واهي العزيمة كانت المملكة تبتدئ بالانحطاط . كذلك كواصار فاتح نينوى فانهُ بعزمه الثابت أسّس مملكة مادي ولكن لمّا مات ماتت مملكته معهُ . وهذا نبوكدناصر فاتح نينوى مع ابيهِ نبوبلاسر انشأ دولة الكلدان العظمى الثانية ونجحت في ايامهِ نجاحاً باهرًا . ولمّا انقطع خيط حياته انقطع ايضاً خيط دولته . واذا تتبعنا تواريخ شرقنـا نرى امثلة كثيرة نظير هذه . فما هي تُرى اسباب ذلك

ان ركن السياسة الحقيقية هو اجراء العدل في البلاد وتعميرها وترقيتهـا في معارج الفلاح وسعادة الافراد . واذا جرى ذلك بحقٍّ دامت الدولة وعاشت طويلًا . فالغزاة الشرقيون الاولون بعكس ذلك كانوا يقلبون ظهرًا لبطن احوال البـلاد المفتوحة ويخربونها ويحرقونها وينهبونها ويتخذون اهلها عبيدًا . وهذا ممّا كان يجعلهم مبغوضين في عيون الاهالي وعوضاً عن ان يتعلّقوا بكذا ملوك كانوا يجتهـدون بان يتخلّصوا من نيرهم الثقيل ويفتحون ابوابهم بطيبـة خاطر لقبول اوّل ملكٍ فاتح يأتي اليهم

ولنرجع الان الى كورش ملك الفرس فانهُ بسقوط بابل سقطت الدولة كلها على قدميهِ . وكان كورش متبصّرًا بامور السياسة . فعمل كل ما من شأنه ان يجذب اليهِ الكلدان . فاقتدى بملوك اثور الاوّلين ودخل هيكل بيل الاله ومسك بيدَيهِ واتخذ نظيرهم لقب ملك بابل اجابةً لطلب البابليين . ثم اعتنى ورجّع تماثيـل الآلهة الى محلّاتها الاولى وهي التي كان نبونهيد قد جمعها في بابل فاحتّثهُ جميع مدن الكلدان

واحبَّهُ اليهود ايضاً لانهُ اصدر امرًا بهِ اعطاهم الحرّية ليرجعوا الى وطنهم المحبوب
وكانت مملكة الكلدان قد دامت اكثر من ثلاثة آلاف سنة · اي منذ سنة ٤٠٠٠ الى سنة ٥٣٨ قبل المسيح

الكتاب الخامس

في اخبار الكلدان والاثوريين بعد سقوط بابل

الفصل الاول

في حال الكلدان والاثوريين في حكم ملوك فارس (٥٣٨—٣٣٠)

كبوزيا وفتحهُ مصر (٥٢٩—٥٢٢) — عصيان الكلدان في عهد درياوش الاول (٥٢١—٤٨٤) — نبوكدناصر الثالث ملك بابل وقتلهُ — زعم اراحا الارمني انهُ من ذرّية ملوك بابل وقتله — عصيان الكلدان في زمان احشويرش (٤٨٥—٤٦٥) — ارتحششتا الاول (٤٦٥—٤٢٣) — الفتن في فارس — ارتحششتا الثاني (٤٠٥—٣٦٢) — ارتحششتا الثالث (٣٦٢—٣٣٨) — انحطاط دولة الفرس وانقراضها على يد اسكندر الكبير سنة ٣٣٠

ان الكلدان والاثوريين بعد سقوط بابل صاروا في حوزة ملوك افرس واصطفُّوا في الحروب تحت بيرقهم · ولمَّا مات كورش سنة ٥٢٩ خلفهُ ابنهُ الاكبر كمبوزيا ويسمّيهِ اليونان كمبوس (١)· وفي سنة ٥٢٥ جمع كمبوزيا جيشاً عظيماً من الفرس والكلدان والاثوريين وغيرهم واغار على بلاد مصر واستولى عليها · ثم اراد ان يغزو بلاد الحبشة· لكن الجوع اجبره ان يرجع على اعقابه · وفي رجوعهِ الى مصر قتل الثور آفيس الاه المصريين وفي تلك الاثناء قدحت فتنة في فارس · وذلك ان كمبوزيا كان قد قتل سرًّا اخاهُ برديا· وكان عوماتا احد الحكّام في فارس يشبه برديا كل المشابهة ويعلم بقتله · فنشر لواء العصيان سنة ٥٢٢ وبايعهُ بالملك جميع اهل فارس ومادي وهم يظنونهُ انهُ برديا بن كورش · فرجع كمبوزيا مسرعاً ومات

---

(١) عن كمبوس وخلفائه راجع ماسپيرو: ٦٧٤—٧٦١

في الطريق . وملك غوماتا ستة اشهر حتى اشتبه بهِ بعض رجال الدولة فحملوا عليهِ وقتلوهُ واجلسوا مكانهُ درياوش بن ويستسبا وكان ذلك سنة ٥٢١

واماَّ الكلدان والاثوريون فانتهزوا الفرصة من هذه الفتنة التي جرت في فارس ونشروا لواء العصيان . وجلس على سرير الملك في بابل ندينتوبيل مدَّعياً انهُ من ذرّية نبونهيد الملك واتخذ اسم نبوكدناصر الجليل . واقتدى بالكلدان العيلاميون ايضاً . فارسل درياوش قوّاده على عيلام لكي يذلّوا العصاة . واماَّ هو فسار بجيوشه الجرَّارة على بابل . وكان نبوكدناصر الثالث ملك بابل قد تجهَّز للمحاربة وينتظر الفرس في امكنة عاصية على سواحل دجلة في اراضي اثور . وكان هناك تحت يده سفن كثيرة على الدجلة . فاحتال درياوش وقسَّم اجناده الى اقسام شتَّى ركب بعضهم خيلًا وبعضهم جمالًا . وبذلك غشّ الكلدان لماَّ هو فعبر النهر وباغتهم . فحمل عليهِ نبوكدناصر ولكنهُ انكسر . ثم بعد ستة ايام جرت بينهما واقعة في محلّ يقال لهُ زازانو على ساحل الفرات وانتصر الفرس على البابليين واثخنوا فيهم الجراح . وكان ذلك في كانون الاول سنة ٥٢١ . فهرب نبوكدناصر وتحصَّن في بابل . وشدَّد عليها درياوش الحصار واقام تحت اسوارها مدَّة طويلة حتى افتتحها سنة ٥١٩ وقتل نبوكدناصر (١)

ومن اخبار هذه المحاصرة على ما قيل ان المحاربة تمادت بين درياوش والكلدان مدة عشرين شهرًا ولم تظهر لهُ النصرة . فان اهل بابل سدّوا القنوات وملأُوا المدينة ذخيرةً . وتوفيرًا للطعام قتلوا معظم النساء ولم يتركوا منهنَّ سوى الخبَّازات . وكان الفرس قد يئسوا من افتتاح المدينة فاخترع عليهم زبورا احد امرائهم حيلةً بها تمكَّن من الاستيلاء على بابل . وذلك ان زبورا جدع انفه واذنيهِ طوعاً ومثلَ بين يدي درياوش وعرض نفسهُ عليهِ قائلًا لهُ : ان عظيم غيرتي عليك ايها الملك وعزيز محبتي لبني وطني قد سوّلت لي ان اصنع بنفسي هذا الصنيع . واتوجه كذلك الى البابليين كانني قد هربت من ظلم الفرس فينعشُون لقولي ويركنون اليَّ . ثم يسلّمون بيدي المدينة . فرحّب بهِ درياوش واثنى عليهِ . فلماَّ انحاز زبورا الى البابليين لم يحسُّوا بالخديعة التي دسّها لهم . بل استقبلوهُ ورحّبوا بهِ وفوَّضوا اليهِ حراسة اسوار المدينة .

(١) ماسبيرو : ﻫ ٦٧٥–٦٧٩ . وماسبيرو: ٦٩٨–٧٠١

ففتح زبورا حينئذٍ ابواب المدينــة للفرس . وهكذا وقعت بابل مرّةً ثانية في ايديهم (١)

لا حاجة الى القول ان هذه الحكاية ملفّقــة لا اصل لها ابدًا . وانما الداعي الى استنباطها تمادي محاصرة بابل ومدافعة الكلدان الشديدة عن مدينتهم (٢)

ولمّا خرج درياوش من بابل ظهر فيها رجل ارمني يقال لهُ أراحا قال عن نفسهِ انهُ ابن نبونهيد وسمّى هو ايضاً نفسهُ نبوكدناصر . لكنّ ويندابرانا القائد الفارسي حمل عليهِ وقهرهُ وقتلهُ (٣)

ثم ان درياوش زحف على بلاد الهند وافتتحها . فصار ملكه واسعا جدًّا يمتــدّ من بحر الهند الى البحر المتوسّط والى صحراء افريقيــا ومن البحر الاسود وجبال قوقاس وبحر قزوين الى بحر الهند وبلاد العرب . ثم غزا جهات اوروبا بغية ان يخضع الاشكوزيين الذين هناك . غير ان هؤلاء هربوا من وجهه متوغلين في بلاد روسيا . ثم اراد ان يخضع اليونان الذين في اوروبا ايضا . لكنهُ انغلب في محلّ يقال لهُ مراثون سنة ٤٩٠ ثم عصت عليهِ بلاد مصر سنة ٤٨٦ . فبــدأ يتجهّز لمحاربة اليونان والمصريين . وبينما هو في هذا الاستعداد داهمهُ الموت سنة ٤٨٥ . وكان درياوش متبصرًا في الامور وقام باعباء الملك اتمّ قيام وقسّم مملكته كلها الى ٣١ ايالة وضرب على كلٍّ منها جزية تؤدّيهــا لهُ . فكانت بابل تؤدي لهُ خمسمائة خصيّ . وتدفع كل يوم لواليها اردبًّا من الفضة

وجلس بعد درياوش على سرير المملكة ابنهُ احشويرش الاول . وخرج على مصر واخضعها سنة ٤٨٢ . وفي سنة ٤٨١ اجتهد الكلدان مرّة أخرى في ان يستقلّوا لكنّ الفرس اخضعوهم ايضاً واكثروا بهم التنكيل . فان مكّامبيز بن زبورا الذي تولّى على ايالة بابل فتك بهم كثيرًا ونهب هيكل بيل واخذ تمثالهُ وقتل الكاهن الذي يخدمهُ ودنّس قبور الملوك واستأسر قسماً عظيماً من الاهالي وجعلهم عبيدًا

ثم ان احشويرش سار على اليونان يريد الانتصــار عليهم . لكنهُ انغلب ولم يفتكر ان يتجهّز لمحاربتهم ليدرك منهم ثاره بل انهمك في الملذّات . وقُتِل سنة

---

(١) هيرودوت : ك ١٥٠—١٦٠

(٢) ماسبيرو : ٧٠٢ (٣) كذا : ٧٠٣

٤٦٥ . وقام بعده ابنهُ ارتحششتا . وامتنع عليهِ المصريون فانتصر عليهم . ومات سنة ٤٢٣

وحدث بعد موته فتن كثيرة في مملكة فارس . فان ابنه احشويرش الثاني قُتل بعد ٤٥ يوماً بيد سغديان . وهذا ايضاً قُتل بعد ستة اشهر ونصف بيد اخيهِ درياوش الثاني . ومات دريوش الثاني سنة ٤٠٥ وخلفهُ ابنه ارتحششتا الثاني . وكان لهُ اخ اسمهُ كورش كان في زمان ابيهِ قد جُعِلت لهُ ولاية اسيا الصغرى . فاراد ان يأخذ التاج من اخيهِ . فجهّز لهُ جيشاً مؤلفاً من مائة الف جندي وامدّه السبارطيون ايضاً بجيش عظيم . فخرج بهم كورش على اخيهِ ارتحششتا . والتقى بهِ على مسافة يومَين من بابل . وسقط كورش قتيلًا في المحاربة سنة ٤٠١ . واما اليونان فلم يفشلوا بل ضربوا في سهول اثور وصعدوا جبال قردو وارمنية حتى بلغوا مدينة طرابزون ومن هناك قصدوا وطنهم . وكانت مصر قد خلعت طاعة الفرس منذ سنة ٤٠٥ . فاستعان عليهم ارتحششتا بالسبارطيين وانغلب المصريون لكنهم في سنة ٣٧٤ قهروا الفرس واخرجوهم من مصر . وتوفي ارتحششتا الثاني سنة ٣٦٢

وقام بعده ابنهُ أوخس ويلقّب ايضاً باسم ارتحششتا الثالث وقتل جميع اخوته وخلعت طاعته قبرص واسيا الصغرى وبعض بلاد سوريا . فحمل عليها واخضعها قاطبةً . ثم اغار على مصر واستولى عليها وقتل الثور آفيس ونهب الهياكل وقتل خلقاً كثيراً . ومع هذا كله كانت مملكة الفرس على انحطاط لسبب القتل والقلاقل التي كانت تحدث في القصر الملكي وعصيان الولاة على المملكة ورغبتهم في الاستقلال وتهاون الملوك وانصبابهم الى الملاهي . واصبح ذات يوم ارتحششتا الثالث مقتولًا . والذي سمّمهُ باغوا الخصيّ احد ثقاته وذلك سنة ٣٣٨ . وقتل باغوا جميع اولاد ارتحششتا ما خلا الاصغر وكان اسمهُ ارسيس فاجلسهُ على تخت المملكة . ثم قتلهُ هو ايضاً سنة ٣٣٧ ونصب مكانهُ قدمان احد اصدقائه ولُقِب باسم دريوش سنة ٣٣٦ . ولمّا علم دريوش ان باغوا قد عزم على اهلاكه ايضاً امر بقتله فتخلّص منهُ

وفي تلك السنة عينها كان اسكندر الكبير قد صار ملكاً على ماقدونية مكان ابيهِ فيلبس . فانتهز الفرصة من الفتن الجارية في مملكة الفرس وحمل عليها . ولكنهُ لم

يباشر هذه الغزوة الّا بعد ان ضمّ اليهِ كل بلاد اليونان . واستولى على اسيا الصغرى سنة ٣٣٤ . وفي سنة ٣٣٣ تسلّط على قيليقية والبلاد المجاورة لها . ثم على بلاد سوريا وفي سنة ٣٣٢ افتتح مدينة صور وبلاد مصر . وفي سنة ٣٣١ رجع الى اسيا وعبر الدجلة في ٢٠ ايلول والتقى بدرياوش في كوكمل(١) وكان القتال شديدًا فانكسر الفرس وهرب الملك درياوش في ٣٠ ايلول . ودخل اسكندر اربيل مظفرًا . ثم توجه نحو كركوك وبابل فافتتحها وبعد ايام استظهر ايضاً على شوشان . وفي ربيع سنة ٣٣٠ حمل على اقبطانة وفتحها وفي تلك السنة عينها قُتل درياوش في بجتريانة . وكان قاتلهُ احد قواده

ثم ان اسكندر انطلق الى الهند وافتتحها . وفي رجوعه دخل بابل بعظمــة لا مثيل لها . وخرج جميع الاهالي للقائه واصوات الفرح والتهليل ترنّ في الازقّة . وكان ينتظره هناك سفراء ملوك اسيا واوربا وافريقيا ليقدّموا لهُ اكاليل ذهبيَّة ويهنئوهُ على انتصاراته . وكانت نيّته ان يرمّم قصور بابل الفاخرة التي كان الفرس قد اخربوها . وبينما هو على هذا المقصد دهمهُ الموت وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ق م

ومن علماء الكلدان الذين اشتهروا في عهد اسكندر الكبير كان بيروس او برحوشا الشهير الذي فتح مدرسة في مدينة اثينا . وقد سبق ذكره في مقدّمة هذا الكتاب

الفصل الثاني

في احوال الكلدان والاثوريين بعد انقراض دولتهم وفي انتشار لغتهم

ان بلاد اثور لم تقم ابدًا من سقطتها . فالظاهر ان الاشكوزيين والماديين اخذوا بحدّ السيف جميع سكّان نينوى ودور شركينا وكالح واثور رجالًا ونساء كبارًا وصغارًا واوقعوا الدمار والخراب في كل القرى والمدن الاخرى . فلم يسلم من الخراب التام في اثور سوى اربيل وكركوك . وفي ما بين النهرين سوى اورهاي ونصيبين وسنجار وراس العين . فانّ كالح دُفنت تحت انقاضها ولم يبقَ من ابنيتهـا في عهد

(١) في اطراف اربيل

اسكندر الكبير سوى اسوارها المبنيّة بالاجرّ والقائمة على احجار منحوتة . وكانت واقفة ايضاً الزقورتا العظيمة التي فيها وكانت مبنية بالحجارة وعرضها نحو واحد وثلاثين مترًا وارتفاعها نحو اثنين وستين مترًا . وكذلك لم يكن قد بقي من ابنية نينوى سوى اسوارها . وكان اساس هذه الاسوار من الاحجار المنحوتة مرصعة بالصدف وسمكها خمسون قدماً وارتفاعها خمسون قدماً ايضاً . وكان مبنيًا على هذه الاحجار اسوار عرضها خمسون قدماً وارتفاعها مائة قدم . وكان بعض المنفيين الاثوريين قد رجعوا من بابل بامر كورش الملك الى وطنهم وعمّروا مدينة اثور وانصبّوا الى الزراعة والتجارة فراقت احوالهم . ويذكر كسينيفون اليوناني مدينة كاني في اثور ويقول عنها انها كانت كبيرة وغنيّة . فلفظة كاني باليونانية معناها الجديدة . فمن المحتمل ان كاني هذه هي مدينة حدتًا (ܚܕܬܐ) التي معناها الجديدة في اللغة الارامية وهي كانت على ساحل دجلة عند الموقع المعروف الان بحمام العليل . ومع هذا فقد اتى في تواريخ الاثوريين النساطرة واليعاقبة ذكر مدينة اخرى يقال لها خانيكار وكانت في بيت كرماي (١) . وذكر مدينة اخرى اسمها بيت كينا وكانت بين الموصل وتكريت(٢)

واما بلاد الكلدان فلم تكن قد سقطت مثل اثور . نعم ان مدنها قلّت من السكان غير انها لم تزل زاهرة عامرة . فان اوروك ويورسيپا كانتا مركزين لجميع العلوم الدينيّة والادبيّة . وكذلك بابل العظمى بقيت تقريباً على حالتها الاولى . فانها بعد شوشان كانت هي العاصمة الثانية لمملكة الفرس . لان الملك مع حاشيته كان يأتي اليها كل سنة ويقضي فيها فصل الشتاء . وبذلت جهدها مرارًا وطلبت الاستقلال لكنها سلّمت اخيرًا ورضيت بحالتها منذ نهبها احشويرش ونكّل بها . وكان يقصدها الناس افواجاً افواجاً للتفرّج عليها او للتجارة . وكانت اسوارها التي بناها نبوكدناصر الثاني قد بقيت تقريباً على حالها . والمدينة نفسها كانت مبنية على ترتيب مضبوط ورسم منظّم خلافاً لما كانت عليه المدن اليونانية من عدم الانتظام في الطرق والازقة (٣) . ومما كان يحيّر اكثر الزوّار القادمين اليها البساتين المعلّقة وكانت تُعرف ببساتين شميرام وقد سبق ذكر وصفها (٤) . واما الكلدان فكانوا يتميّزون

(١) سمعاني المكتبة الشرقية : ܒ : ܦ ٧٣٨ (٢) كذا : ܦ ٢٩٨ وفي المقدّمة

(٣) هيرودوت : ܐ ١٨٠ (٤) راجع ص ١٤٧ من هذا الكتاب

من الغرباء بزيهم الفاخر وكسوتهم الناعمة. وكانت عبارة عن كتونة طويلة من كتان تنزل على الرجلين. ويلبسون فوقها كتونة اخرى من صوف وفوقها عباءة بيضاء. وكانوا يربون شعرهم ويعقدون على رؤوسهم تاجاً ويعطرون جسدهم كلهُ. وكان لكل واحد منهم خاتم يقوم بمقام المهر وفي يده عصاً ظريف يعلوهُ اما صورة ثمرة من الاثمار او زهرة من الزهور او صورة الهلال او صورة النجمة او صورة النسر او غير ذلك

ان الاثوريين انقرضت مملكتهم وكذلك الكلدان سقطت دولتهم سقطة مميتة. ولكن لغة الكلدان والاثوريين انتشرت انتشاراً عجيباً وعاشت مدَّة طويلة في البلاد التي كانوا قد استولوا عليها. ان اللغة التي كان يستعملها كتبة بابل ونينوى في تاليفاتهم وتدوين الامور الرسميَّة لم تكن مستعملة الَّا عند النزر القليل. واما لغة العامَّة فكانت الكلدانية او الارامية. وهذه اللغة الارامية اجتهد ملوك كلدو واثور بنشرها اينما ذهبوا بسلاحهم. وكان من عادتهم كما رأينا سابقاً ان يُسكِنوا في البلاد المفتوحة الاسرى الذين يقتادونهم في غزواتهم. وكان شركينا وخلفاؤهُ قد استاقوا جمًّا غفيراً من الكلدان الى سواحل الفرات والعاصي في بلاد السريان. واستوطن هؤلاء الكلدان في بيت اديني في اطراف دمشق وحماة. وانضمَّ اليهم بعدئذٍ اسرى أُخر كثيرون من بني جنسهم. وازدادوا نشاطاً ونجاحاً في عهد نبوكدناصر الملك. فانهُ بانتصاراته ضمَّهم الى اخوتهم الكلدان الذين في بابل واطرافها. فصارت بلاد السريان الشمالية من اخصّ مراكز الكلدان وقرضت لغتهم لغات اولئك الاقوام (١) حتى ان تيادوروس بركوني الكشكري الذي عاش في نهاية الجيل السابع بعد المسيح قال متعجباً: « انَّ اللغة السريانية مع تغيير الزمان وكرور الاجيال قد تبدلت وفسدت بالفاظ غريبة لا بل هربت من حيث كانت اي من بابل واستوطنت في بلاد أُخرى. واذا قابلنا اللغة البابلية مع اللغة السريانية الفصيحة لا نرى فيها كلمةً سريانية بين مائة كلمة. نعم ان اللغة السريانية بقيت في بابل ولكن السريانية الفصيحة نراها في حمص وافامية واطرافها (٢) »

---

(١) ماسبيرو: ٧٧٥–٧٧٦ ورنيان: تواريخ اللغات السامية ١٨٧٣

(٢) تيادوروس بركوني طبعة ادى شير: ٢ ١١٣

ولا بدّ من ان بركوني بقولهِ اللغة البابلية يشير الى اللغــة التي كان يستعملها الكتبة في بابل ونينوى والتي يسمّيها علماء عصرنا اشورية . فيظهر من قوله هذا ان هذه اللغة الاشورية كانت مستعملة بعد في زمانه عنــد كهنة الكلدان الوثنيين وعلمائهم

ولمّا انتقل الحكم من الاثوريين والكلدان الى الفرس لم تفقد اللغة الارامية شيئاً من رونقها بل بقيت لغة رسمية للمملكة في جميع البلاد المغربية الخاضعة لها كمصر واسيا الصغرى وسوريا وشمالي بلاد العرب . والاكتشافات الاثرية تؤيد ذلك فاننا نرى اللغة الكلدانية الارامية مكتوبة على مصكوكات اسيا الصغرى ونجدها مسطَّرة على البرديّ وعلى الاحجار في مصر . وكل اوامر الحكام وتحريراتهم بهــا كانت مكتوبة . حتى ان الملك نفسه بها كان يكتب اوامره الساميــة . فبلغ انتشارها مبلغاً عظيماً حتى انها قرضت جميع اللغات ان سامية وان غيرها التي كانت مستعملة في بلاد السريان ويهوذا وفلسطين وفونيقي وامتدّت من بلاد عيــلام ومادي وخليج فارس الى البحر الاحمر والبحر المتوسط (١) . وكذلك ايضاً في عهد السلوقيين والفرثيين والساسانيين اضحت هي اللغة السائدة في كل آسيا الساميّــة وامتدّت ايضاً في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجاز وذلك في القرون الاولى من تاريخ الميلاد الى القرن السابع منهُ . والادلّة على ذلك كثيرة . فانّ الكتابات التي وُجدت في كل تلك الانحاء انما هي بالارامية وليست بالعربيــة . وكذلك في شبه جزيرة سينا كتابات ارامية لا تحصى ابقاها لنا عرب تلك الجهات (٢) . واضحت الارامية مدة اعصار مديدة حتى بعد فتح الاسلام لا بل بعد القرون المتوسطة لغة علماء الشرق كما كانت اللاتينية لغــة علماء الغرب . وكان المسلمون ايضاً يدرسونها لكثرة فوائدها . وقد كتب بها الارمن مدّةً قبل انتشار الارمنية وحروفها . وكتب بها ايضاً الاتراك الملقبون بأُويكور . ولحد الان يكتب بها المغول والمنچوريون (٣) وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى اقاصي الشرق في الصين شمالًا وفي الاقطار الهندية جنوباً كما انها بلغت جنادل النيل . فلا نظنّ ان لغةً اخرى حتى ولا اليونانية جارت

(١) ماسپيرو : ٧٧٥–٧٧٦ (٢) المشرق : ١٩٠٣ ص ٧٠٥–٧٠٦

(٣) شارل اوديس بونين : ملحوظات على كنائس النساطرة النصارى في اسيا الوسطى

الارامية في اتساعها اللهمّ الّا الانكليزية في عصرنا هذا (١)

لكن منذ الجيل السابع فصاعدًا بدأت اللغة العربية تقرض شيئاً فشيئاً اللغة الكلدانية حتى استولت عليها بالتام وابطلتها في الجيل الخامس عشر للميلاد من جميع المدن الكبيرة والصغيرة ما عدا اربيل وسليمانية وكويسنجاق في البلاد العثمانية وسنا واورمية في فارس. والمتكلّمون في هذه المدن بهذه اللغة هم النصارى واليهود فقط. فان الاسلام هناك يتكلّمون بالتركية او بالكردية او بالفارسية. واما القرى التي حافظت على لغتها هذه الشريفة فكثيرة. ومعظمها في اثور ومادي اي في اطراف الموصل وجبل طور عابدين في سنجاق ماردين وكردستان وفي اطراف اورمية. وممّا يستحقّ كل التأسف ان الكلدان او الاراميين اصبحوا منذ زمان يحتقرون لغتهم هذه فلا يجتهد بتعليمها سوى بعض الكهنة لاغير. ويا ليتهم يستيقظون وينكبّون بجدّ ونشاط على درس لغتهم هذه القديمة

الكتاب السادس

في الممالك التي ظهرت في الشرق من بعد موت اسكندر الكبير (٣٢٣—٣٢٦) ق م

لمَا رجع اسكندر الكبير من بلاد الهند الى بابل قصد ان يتّخذ هذه المدينة الجليلة عاصمةً لدولته الواسعة. ولكنّ الموت لم يمكّنهُ من ذلك. وتوفي في بابل في قصر نبوكدناصر سنة ٣٢٣ ق م. ومن بعد وفاته تنازع الملك قوّاد جيشه وانتشبت بينهم حرب شديدة كانت نتيجتها ان مملكة اسكندر قُسمت الى اربعة اقسام. فوقعت بلادنا هذه مع سوريا في حصّة سلوقوس سنة ٣١١

ان سلوقوس كان كريماً وديعاً يحبّ العلوم والصنائع وبنى مدناً كثيرة اشهرها انطاكية وساليق على سواحل دجلة ولم تكن بعيدة عن بابل. وبقي السلوقيون متسلّطين على بلادنا ستًّا وستين سنة. والملوك الذين ملكوا في هذه المدّة: سلوقوس (٣١١—٣٧٩) وانطيوخس الاول الملقّب بسوطير اي المخلّص (٢٧٩—٢٦٣)

---

(١) المشرق: ١٩٠٣ص ٧٠٧

وانطيوخس الثـاني الملقب بثأوس اي الله (٢٦١—٢٤٥) . وكان هذان الملكان الاخيران ضعيفَي الرأي قاصرَي العقل . فساءت احوال المملكة في ايامهما

ان الكلدان والاثوريين الذين في عهـد ملوك الفرس قاموا مرارًا وارادوا الاستقلال لم يظهر منهم ادنى حركة في زمان السـلوقيين . وكانت مدينة ساليق قد ازدهرت ومحت اسم بابل وعاش اهلها عيشة الماقدونيين وكان لها مجلس ملّي مؤلف من ثلاثمائة شخص (١) وانتقل اليهـا كثير من سكّان بابل . ولعمري ان فكر سلوقوس في بنائه هذه المدينة لم يكن الّا هذا اي ان يخرّب بابل ويمحو من اذهان سكانها ذكر الملوك العظام الذين ملكوا فيها . لا بل انهُ ابطل كل التواريخ المستعملة عند اجدادنا واحرق كل الكتب التي كانت تذكرها وابتدأوا منذ ذلك الحين يستعملون تاريخ السلوقيين المعروف ايضاً بتاريخ اسكندر وبدوهُ سنة ٣١١ قبل المسيح (٢) . فنسي الكلدان الشهرة العظيمـة التي حصل عليها اجدادهم واستولى عليهم الهوان والغفلة وتعوَّدوا ان يعيشوا تحت رقّ العبودية

لكنّ شعباً جديدًا لم يُذكر اسمهُ في التواريخ الى ذلك الحين اعني بهم الفرثيين قام غفلةً وانتهز الفرصة من ضعف السلوقيين واستقـلّ من حكمهم . وكان موقع بلاد الفرثيين الى شرقيّ مادي . ولمّا كانت السنة ٢٥٠ قبل المسيح رفع ارشاق او اشك احد عظمائهم لواء العصيان على انطيوخس الثاني واستقلّ واخضع بلاد فارس ومادي وكلدو واثور ايضاً . ومنهُ بدأت دولة الارشاقيين الفرثيين . واتخذوا مدينة ساليق عاصمةً لملكهم . ثم بنوا حذاءها مدينة اخرى سمّوها قطيسفون وأطلِق على هتين المدينتين اسم (ܡܕܝܢܬܐ) اي المدائن

وكانت مملكة الفرثيين مركبة من ممالك شتى صغيرة وكل واحدة منهـا لها ملك يحكم عليهـا . واشهرها مملكة اورهاي ومملكة تدمر وإمارات حدياب وحطارا وميشان وبيت كرماي . وكانت كل هذه الممالك كلدانية ارامية . وكانت تارة تستقلّ وتارة تخضع للفرثيين او للرومانيين . ولسوء الحظ لم تحفظ لنا التواريخ الّا شيئاً يسيرًا من اخبار هذه الممالك التي قامت في بلادنا في الاجيـال الاخيرة والاولى قبل المسيح وبعده

---

(١) تاسيت : التواريخ : ٥ : ٤٦ (٢) ميخائيل : ٤ : ٧٤

الفصل الاول

في مملكة الفرثيين

انّ تاريخ الملوك الفرثيين مطموس في الظلام . وما وصلنا عنهم قد اتى مبدّدًا في تواريخ اليهود واليونان والرومانيين والكلدان النساطرة . وقد اجتهد المستشرقون ان يكتبوا قائمتهم بواسطة نقودهم التي وصلتنا . لكنّهم لم ينالوا بعد المرغوب بالتمام . لا بل ان اغلب ما وصلوا الى كشفه من معرفة سني جلوس هؤلاء الملوك ووفاتهم ليس الّا على سبيل التخمين لا غير . وهاك جدول الملوك الفرثيين الذي كتبهُ كوتشميد في كتاب تواريخ ايران بحسب سنة جلوسهم في تاريخ قبل الميلاد (١)

١	ارشاق الاول المؤسّس	٢٥٠—٢٤٨
٢	تيريدات الاول اخو ارشاق	٢٤٨—٢١٠
٣	ارشاق الثاني (٢) ابن تيريدات	٢١٠—١٩١
٤	اپرهاپاط	١٩١—١٧٦
٥	اپراهاط الاول ابن اپرهاپاط	١٧٦—١٧١
٦	ميثريدات الاول اخو أپراهاط الاول	١٧١—١٣٨
٧	اپراهاط الثاني ابن ميثريدات الاول	١٣٨—١٢٨
٨	ارطبان الاول اخو ميثريدات الاول	١٢٨—١٢٣
٩	ميثريدات الثاني	١٢٣—٨٨
١٠	ارطبان الثاني	٨٨ —٧٧
١١	سيناطروق	٧٧ —٧٠
١٢	اپراهاط الثالث ابن سيناطروق	٧٠— ٥٧
١٣	ميثريدات الثالث ابن اپراهاط الثالث	٥٧ —٥٤

(١) راجع ايضا ألوت دي لافوي : جدول جديد للنقود الارشاقيــة . باريس ١٩٠٤ ص ٥—٦

(٢) ألوت (ص ٦—٨) وغيره من العلماء يسمّونهُ ارطبان الاول

١٤ أورود بن ابراهاط الثالث ٥٧ — ٣٧
١٥ پاقور الاول ابن أورود ٣٨
١٦ ابراهاط الرابع ابن أورود ٣٧ — ٢

ان ملوك سوريا حاولوا كثيرًا ان يُخضعوا الفرثيين ولم يقدروا. ففي السنة ٢٢٥ قبل المسيح حارب سلوقوس الثاني (٢٤٦—٢٢٥) تيريدات الاول . لكنهُ انكسر ووقع اسيرًا بيــد الفرثيين . واتى في سفر المقابيين الاول (١) والثاني (٢) ان انطيوخس الكبير (٢٢٢—١٨٧) حمــل عليهم وكانت النصرة اولًا لهُ ثم انغلب ورجع مكسورًا ومات في الطريق . وكذلك ديمطريوس بن ديمطريوس سوطير نازع نحو سنة ١٤١ ميثريدات الاول فوقع هو ايضاً اسيرًا بيده ونفاه الى هرقانيا . ثم انس بهِ ولاطفهُ وزوَّجهُ بابنته . واشتهر ميثريدات الاول كثيرًا بفتوحاته اذ وسَع ملكه من دجلة الى بلاد الهند ومن بحر قزوين الى خليج العجم (٣)

ولمَّا صارت بلاد سوريا في حوزة الرومانيين اجتهدوا هم ايضاً باخضــاع الفرثيين فلمَّا كانت السنة ٦٥ قبل المسيح حمــل عليهم افراتيوس قائد پومپيوس ودامت الحرب سنتين . وكان موقعها في ما بين النهرَين . فلولا ابجر الثــاني ملك اورهاي وسكان مدينة حران لهلكت الجيوش الرومانية جوعاً وبردًا (٤) . وفي سنــة ٥٣ اغار عليهم كراسوس وانضمّ اليهِ ابجر الثاني فخرج عليهما أورود الملك وقهرهما بالقرب من حران وسقط كراسوس قتيلًا (٥) وتشجَّع الفرثيون بهذه الغلبة وعبروا الفرات زاحفين على سوريا وحاصروا مرَّتين انطاكية حتى ان يوليوس قيصر استعدّ ان يمشي هو بنفسه عليهم . لكنّ قتله حال دون ذلك (٦)

وانّ انطونيوس بعد قتل قيصر ظلم اهالي سوريا (٧) فاستثقلوا نيره وانحازوا سرًّا الى الفرثيين . فاغار پاقور بن أورود على سوريا سنــة ٤٠ قبل المسيح وتسلَّط

---

(١) ٥ : ١—١٦ (٢) [illegible] (٣) ادريان دي لونكپيريي : تاريخ الملوك الفرثيين والارشاقيين وتقودم . پاريس ١٨٥٣—١٨٨٢ ص ٢٣ و٢٥- ٢٨ . وألوت : ١٩- ٢٢
(٤) دوڤال : تواريخ اورهاي ص : ٤٣ (٥) كذا
(٦) فراسير : تاريخ ما بين النهرَين واثور في الانكليزية ص : ٢٠٤
(٧) كذا ص : ٢٠٥—٢٠٧

عليها . واستولى على صيدا ودخل اورشليم وأسر هيرقان وپسائيل اخا هيرودس واستاقهما الى بلاده (١) وحمل ايضاً على اسيا الصغرى . غير ان ڤانتيديوس قائد انطونيوس قهره وهزمهُ . وقُتل پاقور فعيّن أُورود مكانه ابناً آخر لهُ يدعى ابراهاط وكان ابراهاط ظالماً شرس الاخلاق . فقام على ابيهِ وقتلهُ سنة ٣٧ واخذ ايضاً بحدّ السيف جميع اخوته وكانوا ثلاثين عدداً (٢) . ففي تلك الاثناء هجم انطونيوس على الفرثيين بجيش موءلّف من مائة الف جندي وتوغّل في بلادهم . لكنّهُ انكسر وهلك اكثر جيشه في الطريق . واماً ما كان من ابراهاط الرابع فانهُ تكبّر من جراء نصرته هذه واخذ يظلم الرعية . فمقتوهُ وعزلوهُ واجلسوا مكانه رجلًا يقال لهُ تيريدات . وكان ذلك نحو سنة ٢٨ ق م . فالتجأ ابراهاط الى الاشكوزيين (٣) (السقوثيين) وتجهّز لمحاربة تيريدات . فانهزم تيريدات من قدامهِ واستجار بأوغوسطوس قيصر . لكن أوغوسطوس لم يستجبهُ بل انتهز الفرصة وتصادق مع ابراهاط وهذا رجّع اليهِ كل الغنائم التي كان الفرثيون قد اغتنموها من كاسوس وانطونيوس (٤) . وارسل ايضاً ابراهاط بعضاً من اولاده الى رومية لكي يتخلّقوا باخلاقها (٥) . وارسل اليهِ أوغوسطوس جاريةً رومانية اسمها موزا فتزوّج بها . ومات ابراهاط في السنة الثانية قبل ميلاد المسيح

هولآء هم الملوك الفرثيون الذين ملكوا في بلادنا قبل المسيح . والذين ملكوا بعد ميلاده هم الآتي ذكرهم . من بعد وفاة ابراهاط الرابع حدثت بين الفرثيين فتن وقلاقل شتّى تداخل من اجلها الرومانيّون في امورهم (٦) . وملك أوّلًا من بعد ابراهاط ابنه ابراهاطاس الذي ولدته له موزا الرومانيّة . ولم يدم ملكه كثيراً . فانّه قُتِل في فتنة جرت في ساليق . وملّك الفرثيون مكانه أُورود الثاني . وكان أُورود سيّئ الاخلاق غضوباً فمقته الرعيّة وقتلوه هو ايضاً وارسلوا وفداً الى رومية يطلبون من أوغوسطوس قيصر احد اولاد ابراهاط الرابع الذين كانوا هناك

---

(١) السمعاني: ج ٤١٩ . وادريان ص ٤٣ (٢) ادريان ص: ٥٥

(٣) كذا ص: ٥٢ (٤) كذا ص: ٦٥

(٥) تاسيت تاريخ طيبريوس ترجمة دي لا بليترى باريس ١٨٩٥ ص ٢٧

(٦) كذا ص ٧٢-٧٩ . وادريان ٧٩-٩٥ والوت ٤٨

ليملك عليهم . فاجاب القيصر الى طلبتهم وارسل معهم أُونون . وكان ذلك في السنة الرابعة للميلاد . وكان أُونون قد تخلّق باخلاق الرومانيّين . فبغضه اهل ساليق واستدعوا ارطبان . وكان ارطبان من العائلة الملوكيّة وتربّى عند الاشكوزيّين . فحمل هذا الملك الجديد على أُونون وقهره وجلس مكانه سنة ١١ بعد المسيح . لمّا أُونون فهرب الى سوريا . ولما استوثق الامر لارطبان الرابع حمل على ارمنية . وكانت بيد الرومانيّين . فاستولى عليها وجعل عليها ملكاً ارشاق ابنه البكر . واذ كان بنيته ان يحمل على سوريا ايضاً توآمر عليه اثنان من اعيان مملكته يقال لهما عبدا وسيناق . وارسلا الى رومية من يطلبون ابراهاط بن ابراهاط الذي هناك . وكان أُوغوسطوس قيصر قد مات سنة ١٤ وخلفه طيباريوس . فاجاب الملك الروماني بفرح الى سؤلهم . واكثر العطايا على ابراهاط وارسله مع نجدة الى الشرق وحالما بلغ ارطبان هذا الخبر رجع مسرعاً الى ساليق وقتل عبدا وتصادق مع سيناق . وكان ابراهاط بوصوله الى سوريا قد وقع مريضاً ومات . فعيّن طيباريوس عوضه ملكاً اخر للفرثيّين وهو تيريدات حفيد ابراهاط . وتمكّن ڤيتليوس القائد الروماني من القاء الفتنة في ساليق . فاضطرّ ارطبان وهرب الى هرقانية . فاتى تيريدات ومعه الجنود الرومانية تحت قيادة ڤيتليوس المذكور وجلس على سرير الملك . ولم يلبث ان اشتدّت الفتنة بين حزبه وحزب ارطبان . فرجع ارطبان بجيوش كثيرة الى ساليق وهزّم تيريدات وملك ثانيةً . وكانت وفاته على الراي الأرجح سنة ٤١ بعد المسيح

وكان لأرطبان ابنان وردان وكوتارز . فتنازعا الملك . (١) وكانت النصرة لوردان . فهرب كوتارز الى هرقانية . ولمّا كانت السنة ٤٧ صارت فتنة في ساليق قُتِل فيها وردان . فاتى كوتارز وجلس على تخت المملكة . ونازعه مهردات وكان حليف الرومانيّين . فقوي عليه كوتارز . فاستغاث مهردات بالرومانيّين سنة ٤٩ . واضافه ابجر الخامس ملك اورهاي مدّة اشهر كثيرة . ثم رافقه في غارته على حدياب ليحارب كوتارز . ولكنّه خانه هناك وتحالف مع كوتارز فكانت الدائرة على مهردات . (٢) وتوفي كوتارز سنة ٥١

(١) الوت ٤٨—٥٢ وادريان ٩٦—٩٨ (٢) دوڤال تاريخ أورهاي ص ٤٨

وجلس بعده أُولغاش الاول (٥١ — ٧٧) . فلمّا كانت السنة ٥٤ اغار هــذا الملك على ارمنيــة . لكن ابنه وردان انتهز الفرصة من غيابه واراد ان يجلس مكانه . فترك اولغاش ارمنية ورجع مسرعاً الى ساليق وأطفأ نار العصيان . ثم حمل ثانية في السنة ٦١ على ارمنية وقهر الرومانيّين وأخرجهم منها . (١)

وملك بعده باقور الثاني (٧٧ — ١١١) . (٢) ثمّ خوسرو (١١١ — ١٢١) . (٣) وفي ايام هذا الملك حمــل طريانوس قيصر على بلاد المشرق . وارسل اليه خوسرو رسلًا يطلب منه الصلح . فلم يقبل القيصر طلبته . بل زحف على بلاده . وقــدّم له الطاعة جميع امرآء ما بــين النهرَين . وفي سنة ١١٥ انتصر الرومانيون على الفرثيّين وافتتحوا ساليق وانزلوا خوسرو من تحت الملك واجلسوا مكانه پرناتسپاط . ولمّا كان طريانوس مشغولًا سنة ١١٦ على سواحل خليج العجم عصت عليه ما بــين النهرين . فارسل عليها قائده لوسيوس كويتيوس فاخضعهــا واحرق اورهاي ثمّ ان طريانوس برجوعه الى اطاليا مات في الطريق سنة ١١٧ . فانتهز الفرثيون الفرصة وخلعوا پرناتسپاط واجلسوا مكانه خوسرو . وكان ادريانوس خليفة طريانوس محبًّا للسلام فصالح خوسرو ورجّع اليه ابنته التي كان طريانوس قد سباها . (٤)

وقام بعــد خوسرو بالملك اولغاش الثاني (١٢١ — ١٤٨) . (٥) وفي ايامه هجم على مملكتــه اقوام برابرة كانوا يسكنون في اطراف بحيرة قزوين . فارسل عليهم اولغاش قائــده ارشاق بصحبة رقبخت النصرانيّ الاربيلي . وكانت النصرة اولًا للفرثيّــين . ولكن كيزو ملك البرابرة احتال عليهم وسار بهم الى وادٍ واحتاط بهم هناك واشتدّ القتال ثلاثــة ايام وكاد الفرثيون يموتون جوعاً . فتشجّع حينئذٍ رقبخت وصاح باجناده وتسلّق الجبل وضرب ضربة شديدة في العدوّ وفتح الطريق لأرشاق وجيوشه واماً هو فخرّ قتيلًا في ميدان الحرب . ولم يتعقّب البرابرة ارشاق اذ بلغهم ان اقواماً عبروا البحر وهجموا على بلادهم . فرجعوا مسرعين لكي يدافعوا عنها(٦)

---

(١) تاسيت : [illegible] و[illegible] و[illegible] وادريان ١١٠—١١٤

(٢) ادريان ١٣٣—١٣٤ (٣) ادريان ١٣٥ (٤) كذا ١٣٥—١٤١

(٥) ادريان يسمّيه الثالث (٦) مشيحازخا ٨—١٠

ثمّ ملك اولغاش الثالث (١) (١٤٨ — ١٩١) .وفي سنة ١٦١ اغار على سوريا وانتصر على الجنود الرومانية .(٢) وكان مرقوس اوراليوس يملك حينئذٍ في رومية واتخذ له شريكاً في الملك لوقيوس واروس . فخرج واروس على الفرثيّين سنة ١٦٣ وفي سنة ١٦٤ حاصر أورهاي التي كانت قد وقعت بيد اولغاش . وحمل اهلها على الجيوش الفرثيّة التي عندهم وقتلوها وسلّموا المدينة بيد الرومانيّين . وفي سنة ١٦٥ ذهب واروس بفتوحاته الى مدينة قطيسفون وشدّ عليها الحصار . وفي تلك الاثناء حدث وبأ شديد في المدائن . فالتزم الرومانيّون ان يكرّوا على اعقابهم وقد باد منهم خلق كثير .(٣) واصطلح الفريقان ودام هذا الصلح اكثر من ثلاثين سنة

ثمّ جلس على سرير الملك اولغاش الرابع (١٩١ — ٢٠٨) .(٤) وكان ذا حزم . فحرّك سكّان ما بين النهرين الى العصيان على رومية . فانقادوا اليه . فحمل عليهم سپتيموس سيڤير سنة ١٩٥ واخضعهم . واذ كان هذا الملك مشغولاً بالحرب في غاليا انتهز اولغاش الفرصة من ذلك وحمل على ما بين النهرين واستولى عليها . فزحف عليه القيصر سنة ١٦٨ وقهره وافتتح قطيسفون ونهبها . واتى في كتاب مشيحا زخا (٥) انّ الفرس تجهّزوا في تلك الاثناء لمحاربة الفرثيّين . فحمل عليهم اولغاش بجيش مؤلف من مائة وعشرين الف مقاتل . وانتشب القتال في خوراسان . وكانت الدائرة على الفرثيّين حتى انهم التجأوا الى الجبل تاركين خيلهم . فتعقّبهم الفرس والماديّون واثخنوا فيهم الجراح . فلمّا راى الفرثيّون ان لا مناص لهم تشجّعوا وكرّوا على الاعداء بشدّة عجيبة وهزّموهم الى بحيرة قزوين وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . امّا نرساي ملك حدياب فلم يرافق الفرثيّين في هذه الحرب . فاثّر فيهم ذلك . ولمّا رجعوا منصورين هجموا على بلاده وخرّبوا مدنه ونهبوها واغرقوه في الزاب الاكبر .(٦) انّ آخر الملوك الفرثيّين كان ارطبان الرابع (٧) (٢٠٨ — ٢٢٦) .ومن اخباره

---

(١) ادريان يدعوه الرابع

(٢) تاريخ ايليا النصيبيني ص ٨٨ وادريان ١٤٨—١٥٠ ودوڤال تاريخ اورهاي ٥٦—٥٩ (٣) مشيحازخا ١٢ (٤) دوڤال تاريخ أورهاي ٦٠—٦١ ومشيحازخا ٢١ . امّا ادريان دي لونكهيري فيلقّب بالخامس

(٥) ص ٢١—٢٢ (٦) مشيحازخا ص: ٢٥ (٧) كذا ٢٨

انه في السنة ٢١٦ و ٢١٨ قاتل الرومانيّين واحرق مدناً كثيرة من مدنهم . ثم عقد الصلح مع مكرينوس . (١) وكان الفرس (٢) والماديّون يرغبون منذ زمان في ان يستقلّوا لا بل ان يتسلّطوا على كل مملكة الفرثيّين . وقد سبق القول انّ هذه المملكة لم تكن مرتّبة . اذ انّه في كلّ بلدة كان يحكم ملك مستقلّ نوعاً ما . فاحتال الفرس واجتذبوا اليهم هؤلاء الملوك الصغار . ومن جملة الذين تحزبوا لهم كان شهراط ملك حدياب ودوميطيانا ملك بيت كرماي . وكان المالك على الفرس يومئذٍ ارداشير من آل ساسان . وكان قد اخضع جميع الملوك الموجودين في جبال فارس . فانقضّ من اسطخر على البلاد السهليّة وتسلّط على ما بين النهرين وارزون وبيت زبداي وارض بابل . وظفر ظفراً تامّاً بارطبان ملك الفرثيّين في ٢٨ نيسان سنة ٢٢٦ . (٣) ولقّب ارداشير بشاهنشاه اي ملك الملوك وعُرِفت دولته بدولة الساسانيّين . فهرب الفرثيون الى جبال ارمنية تاركين كلّ خزائنهم واموالهم بيد العدوّ . ونصب ارداشير كرسيّه في المدائن . ودامت دولته الى ان قرضها العرب المسلمون

الفصل الثاني

في مملكة أُورهاي (٤)

انّ المؤلّفين الاراميّين ذهبوا انّ اورهاي هي آرك المذكورة في التوراة وانّ بانيها هو نمرود . ولمّا مصّرها السلوقيّون سنة ٣٠٤ قبل المسيح سمّوها إيدِسّاً على اسم احدى مدن ثراقية . ودعاها اليونان كاليرهوي اي الحسنة المياه . وتُعرف عند الاراميّين باورهاي وربّما سمّوها مدينة الفرثيّين او بنت الفرثيّين . وعُرّبت بالرها واسمها المشهور اليوم أُورفا وهي من المدن العريقة في القدم وحازت في بعض ادوار التاريخ على اهميّة عظيمة ولا سيّما في مدة مملكتها الصغيرة التي دامت ثلاثة اجيال ونصف

---

(١) مشيحازخا وادريان ١٥٥–١٥٦ (٢) مشيحازخا ٢٨–٢٩

(٣) مشيحازخا يكتب ٢٧ نيسان سنة ٢٢٥

(٤) كل ما قلناه هنا عن مملكة اورهاي مأخوذ عن تاريخ أُورهاي تأليف دوقال ص ٣–٧٣ . راجع ايضاً ديونوسيوس التلمحريّ عند السمعاني : 1 ٤١٧–٤٢٣

انّ تلسيس مملكة أُورهاي كان في السنة ١٣٢ قبل للسيح على يد أريو الملك ومعنى اريو الاسد وملك خمس سنين اي الى سنة ١٢٧ . وخلفــه عبدو بن مزعور (١٢٧ — ١٢٠) ثم أبراداشت (١٢٠ — ١١٥) ثم بكرو الاول (١١٥ — ١١٢). ولمَّا مات بكرو الاول جلس مكانه ابنه بكرو الثاني . وفي سنة ٩٤ شاركه في الملك معنو مدّة اربعة اشهر ثم ابجر (١) بيقا . فلماً كانت السنــة ٩٢ قام ابجر على بكرو وقتله وحكم الى سنة ٦٩

وبعد ابجر الاول ملك ابنه ابجر الثاني (٦٨—٥٣) . وحالف هذا الملك الرومانيّين على الفرثيّين . ولولاه لهلكت جوعاً وبردًا في ما بين النهرين عساكر افراتيوس قائد پومپيوس في شتآء السنة ٦٥ و ٦٤ قبل المسيح . فانّه هو واهل مدينة حران قدّموا للرومانيّين يد المساعدة . فلذلك اكرمه پومپيوس وأعزّه كثيرًا . ولمَّا اغار كراسوس على الفرثيين في ربيع سنة ٥٣ انضمّ اليه ابجر الثاني . وقال عنه المؤرّخون الغربيّون انــه خان الرومانيين اذ دلّهم على طريق يابس لا مآء فيه فانكسروا وسقط كراسوس قتيلًا . لكنّ في هذا نظرًا . فانّ موقع المحاربة كان بالقرب من حران ولم يكن المكان مجدباً يابساً كما زعم المغلوبون . هذا وانّ الفرثيــين استولوا على اورهاي وعزلوا ابجر الثاني من جرآء تحزّبه للرومانيين ولعلّهم قتلوه ايضاً . فانّ التاريخ لا يذكر اسمه بعد هذه الواقعة

وفي سنة ٥٢ ملك على اورهاي معنو الثاني . ولقّب هذا الملك نفسه بألاها اي الله . ولعلّه باخذه هذا اللقب اقتدى بإبراهاط الثالث ملك الفرثيــين وتيغران الثاني ملك ارمنية اللذين اتّخذا همــا ايضاً هذا الاسم الجليل . وملك بعد معنو الثاني باقوري (٣٤ — ٢٩) . انّ اسم هذا الملك فرثيّ وهــذا ممّا يدلّ على انّ اورهاي كانت في حكم الفرثيين في زمان هــذا الملك . وملك بعــده ابجر الثالث (٢٩—٢٦) . ثمّ أبجر الرابع الملقّب بسوماقا (ܣܘܡܩܐ) اي الاحمر (٢٦ — ٢٣) . ثم معنو الثالث المعروف بسَپلول (٢٣ — ٤)

---

(١) ان اسم ابجر آراميّ كما يقول دوقال ومعنــاهُ الاعرج وبهذا الاسم عُرِف ايضاً احد بطاركة الكلدان النساطرة في الجيل العاشر وهو ܝܘܚܢܢ ܒܪ ܐܒܓܪܐ

فلمّا كانت السنة الرابعة قبل ميلاد المسيح ملك في اورهاي ابجر الخامس وهو المعروف بأُوكاما (ܐܘܟܡܐ) اي الاسود. وفي السنة العاشرة لملكه حدثت فتنة في اورهاي فنفوا ابجر وأجلسوا عوضه اخاه معنو الرابع. ولكن لم تدم مدّته كثيرًا فانّ ابجر رجع وجلس ثانية على سرير الملك . وكانت وفاته سنة ٥٠ بعد المسيح. ومما اشتهر به ابجر أوكاما خيانته لميهيردات ملك الفرثيين وقد مرّ الكلام عن ذلك. وأتى في التقليد انّ ابجر هذا لمّا سمع عن شهرة يسوع كتب اليه طالبًا منه ان يأتي فيشفيه من مرض اعتراه. فوعده المسيح انّه من بعد قيامته يرسل اليه احد تلاميذه. فاتى مار ادى الى اورهاي وشفاه من مرضه وعمّده . انّ هذا التقليد شاع وانتشر في كل البلاد الشرقية. ووقع ايضاً بيد الارمن. فلفّقوه مثلما ارادوا قائلين عن ابجر انّه ارمنّي وانه هو الذي اسّس مملكة أورهاي. وهاك قول مورّخهم موسى الخوريني : انّ ارشام بن ارتاشيس من آل تيغران العظيم جلس على تخت المملكة سنة ٣٣ قبل المسيح. وجرت لهُ حروب طويلة مع هيرودس ملك اليهود. ومات وقد ملك ٣٠ سنة. وخلّفه ابنه أبكار (ابجر) . وهو الذي نقل سرير المملكة من ميدزبين (نصيبين) الى اورهاي. وبعد موته قُسّمت مملكته بين ابنه وابن اخته. فوقعت اورهاي في حصّة ابنه أنانو (معنو) وارمنية وحدياب في حكم سناتروك ابن اخته. ثمّ انّ سناتروك استولى على كلّ المملكة وقتل جميع اولاد ابكار وعمّر مدينة نصيبين وزخرفها. » هذه هي الحكاية الارمنية عن ابجر الخامس. ويقول عنها روبانس دوڤال انّها مزوّرة لفّقوها ترويجاً لبضاعتهم

ومن بعد ابجر الخامس ملك ابنه معنو الخامس (٥٠ — ٥٧) ثمّ معنو السادس (٥٧ — ٧١) ثمّ ابجر السادس (٧١ — ٩١) . ومن سنة ٩١ الى سنة ١٠٣ بعد المسيح اما ان يكون قد فرغ سرير الملك في اورهاي او جلس عليه احد الفرثيين او ملك آخر اسمه ايزاط من عائلة ملوك حدياب

ولمّا كانت السنة ١٠٩ ملك ابجر السابع ابن ايزاط ومات سنة ١١٦ . وفي عهده اغار طريانوس قيصر على الفرثيين. وقرض مملكة پيترا النبطيّة وغيرها من الامارات التي كانت قد تأسّست بالقرب من الفرات والدجلة. وسلّم له ابجر ايضاً وقدّم له ٢٥٠ حصاناً مع كلّ لوازمها و ٦٠٠٠ سهم. فلم يقبل منه طريانوس سوى ثلاثة

دروع وصار ضيفاً عنده. وفي سنة ١١٥ رافق ابجر الرومانيين في غارتهم على سپوراق امير انتيموزيا. وأخضع طريانوس كل بلاد ما بين النهرين. ونزل الى سواحل خليج العجم سنة ١١٦. ولمّا كان مشغولًا هناك رفع عليه لوآء العصيان كل امرآء ما بين النهرين. فارسل عليهم طريانوس من بابل القائدَين لوسيوس كويتيوس وماكسيموس. أمّا ماكسيموس فانغلب واماً لوسيوس فكسر العصاة واستولى على نصيبين وأحرق اورهاي. وكان ذالك في آب سنة ١١٦. والظاهر انّ أبجر قُتل في هذه الحرب اذ لم نقف بعد على اثره. وبقيت اورهاي بيد الرومانيين الى سنة ١١٨

قد سبق القول (١) انّ طريانوس لمّا فتح ساليق ملّك پرناتسپاط مكان خوسرو وانه لما مات قيصر خلع الفرثيون پرناتسپاط. فالباثن ان پرناتسپاط هذا هو الذي صار ملكاً على اورهاي ودام ملكه الى سنة ١٢٢ او ١٢٣. وانّ پرناتسپاط المذكور مرّتين عند ديونوسيوس التلمحري ليس الّا شخصاً واحداً. (٢)

بعد وفاة پرناتسپاط رجع الملك الى اصحابه الاولين. وملك معنو السابع ابن ايزاط. والباثن انه كان اخا ابجر السابع ومات سنة ١٣٩. وملك بعده ابنه معنو الثامن الى سنة ١٦٣. وفيها تقوّى اولغاش الثالث ملك الفرثيين واستولى على اورهاي. فهرب معنو الى رومية وملّك الفرثيون مكانه وال بن سهرو. فلمّا كانت السنة ١٦٤ زحف لوقيوس واروس على ما بين النهرين وحاصر اورهاي. وخان السكان الجيوش الفرثيــة التي عندهم اذ قتلوهم كلهم وسلّموا المدينة الى الرومانيين. وملّكوا عليهــا ابجر الثامن. والظاهر انه لم يملك سوى سنتين. فانّ معنو الثامن رجع الى اورهاي سنة ١٦٧ فملك ثانية الى سنة ١٧٩.

ولما مات معنو الثامن جلس مكانــه ابنه ابجر التاسع (١٧٩ — ٢١٤). وفي

---

(١) راجع ص ١٦٧ من هذا الكتاب

(٢) هاك قول ديونوسيوس (سمعاني: 1 ٤٢٢): « انّ پرناتسپاط ملك ثلاث سنين وعشرة اشهر ثم ملك بعده پرناتسباط عشرة اشهر. » واماً دوقال (ص ٥٥) فيقول ان إيلور او يالور ملك في أورهاي تحت حكم پرناتسپاط ولما عُزل هذا حكم ايلور على بلاد ما بين النهرَين وما يجاورها ثم بعد مرور ثلاث سنين وعشرة اشهر خلفهُ پرناتسپاط نفسه وملك عشرة اشهر

ايامه اي في سنة ١٩٤ عصى اهل ما بين النهرَين على پيسكينوس قائـد الجيوش الرومانية في سوريا . وكان ذلك بتحريك الفرثيين . وكان ابجر التاسع من جملة العصاة . ونازع پيسكينوس سپتيموس سيڤير فحمـل عليه سيڤير وقتله . وزحف ايضاً هذا الملك على ما بين النهرين واخضع العصاة . ورجع ثانيةً في سنـة ١٩٨ وانتصر على الفرثيين وذهب الى قطيسفون وافتتحها . واماً ما كان من امر ابجر فانّـه التجأ الى سپتيموس وسلّمهُ اثنين من اولاده . واكرمه الملك الروماني كثيرًا واستدعاه الى رومية حيث صار له استقبال عظيم . وسمّى ابجر ابنه باسم سپتيموس سيڤير . وفي ايام ابجر هذا اي في شهر تشرين الثاني سنة ٢٠١ فاض نهر ديصان فيضاناً عظيماً حتى انه هدم جانباً من السور ودخل المدينـة واخرب قصر الملك وبيوتاً كثيرة واغرق اكثر من الفي نسمة

انّ ابجر التاسع كان نصرانياً . لكننا لا نعرف في اي سنـة تنصَّر . وقال عنه دوڤال انه من بعد رجوعه من رومية اعتنق الديانة المسيحيَّة غير انّ قوله ليس من المحتمـل . فان أبجر لم يكن يتجاسر ان يتظاهر علانية بالديانة التي كان مولاه القيصر يبغضها ان لم يكن قد اعتنقها قبل التجائه اليه وذهابه الى رومية . واجتهد ابجر برفع شان الآداب الارامية . فانّه استدعى اليـه برديصان الشهير وشجَّعه في تاليفاتهِ . واقام ايضاً عنده مدّة من الزمان يوليوس الافريقيّ

انّ ابجر التاسع في سنة ٢١٤ شارك معه في الملك ابنـه سيڤير ابجر العاشر . وظهر ابجر هذا قاسياً نحو اهل اورهاي حيث انه اراد ان يُدخل فيما بينهم العوائد الرومانية . وفي سنة ٢١٦ اغار كراكلّا على ما بين النهرين فاحتال على ابجر سيڤـير واستجلبه اليه فاسره والقاه في السجن وجعل مملكته ولايةً رومانية . وقد دامت هذه المملكة ٣٤٧ سنة . وكان لابجر العاشر ابن اسمه معنو . وقيل عنه انه ملك ٢٦ سنة وأُطلق عليه اسم معنو التاسع . لكنّ في هذا نظرًا . فانّ كراكلا ابطل مملكة اورهاي في سنة ٢١٦ كما سبق القول . فلم يملك معنو ابدًا بل انما أُطلِق عليه اسم الملك لا غير

ولما كانت السنة ٢٤٢ انبعثت هذه المملكة من بين الاموات لكنّها لم تعِش الّا سنتين وماتت ميتة ابديّة . فانّ ارداشير ملك الفرس اغار سنـة ٢٤١ على ما

بين النهرَين واستولى على نصيبين وحران . فحمل عليه غورديان قيصر سنة ٢٤٢ واخذ منه المدن التي ضطبها . وولّى على اورهاي احد اولاد ابجر اسمه ابراهاط ابجر (الحادي عشر) . وزال مُلك ابجر مع زوال حياة غورديان سنة ٢٤٤ . وقضى ابجر هذا الاخير ايامه الاخيرة في رومية ومات هناك . وقد كُشِف فيها على قبر مكتوب عليه اسم ابراهاط ابجر واسم امراته حودا او هودا

الفصل الثالث

في مملكة تدمر (١)

انّ تدمر هي في برّ الشام . وقال الكتاب المقدس ان بانيها سليمان الملك . ولتدمر اسم آخر في اللغات الاجنبيّة وهو پالمير اي مدينة النخل . وكانت تدمر مدينة تجارية يتقاطر اليها ارباب التجارة من كلّ مكان وكانت في اول الامر مستقلّة ثم خضعت للدولة الرومانية . قد ورد في تاريخ اپيانوس الروماني : ان مرقوس انطونيوس القائد الرومانيّ بعد ان حارب سنة ٣٦ قبل المسيح الملوك الفرثيين وانغلب توجّه الى الشام . فلمّا قرب من تدمر ارسل الى اهلها رسلًا يخبرونهم انّه قاصد مدينتهم ليريح عندهم جنوده . وكان بنيته ان ينهب المدينة . فبادر التدمريون الى نقل اموالهم وعيالهم وعبروا الفرات مسرعين . فتعقّبهم انطونيوس واقتتلوا قتالًا شديدًا كانت الغلبة فيه لاهل تدمر

انّنا نجهل زمان دخول تدمر في حكم الرومانيين لأنّها في بدء النصرانية كانت مضمومة الى اقاليمهم الشرقيّة . وكان لها مجلس وطني يسنّ الشرائع . وكانت السلطة الاجرائية مسلّمة الى اركونين وديوان مؤلّف من عشرة حكّام . والسلطة القضائيّة كانت تختصّ ببعض الوكلاء وغيرهم من العمّال . وكانت في اوائل الجيل الثاني للمسيح قد ارتقت الى درجة سامية من العمران . فامتلأت خزائنها باموال طائلة كما يشهد على ذلك كتابة رسميّة قد اكتشفها الامير الروسيّ لازارف في سنة ١٨٨٢

(١) ان ما قلناه في هذا الفصل عن مملكة تدمر مأخوذ كلّهُ عن مقالة الاب رنزقال اليسوعيّ التي طبعها في المشرق : السنة الاولى العدد ١٠ وما بعده الى ٢٣

وكانت صنائع اليونان وفنونهم قد دخلت ابواب تدمر. وشُيّد فيها من الهياكل والمنازل والملاعب والقبور ما يستدعي العجب العجاب . ومع ذلك لم تزل تدمر تحفظ سننها الوطنية وعوائدها الخصوصية فبقيت آدابها ولغتها ارامية رغماً عن شيوع اليونانية في المعاملات الرسميَّة

وفي نحو سنة ٢٥٠ بعد الميلاد خلع سبتيموس اذينة الاول طاعة رومية. فلبّى قومه الى دعآئه وسمّوه ملكاً. لكن الرومانيين انتصروا عليه وقتلوه. وكان له ابنان سبتيموس حيران (١) وسبتيموس اذينة. فترأس حيران على مجلس الشيوخ بعد قتل ابيه وبقي اميناً مع الرومانيين. فلمّا مات عن ولد صغير يدعى معنا خلفه اخوه اذينة الثاني. وكان قبل ذلك قد استولى على قيادة الجيوش والقوافل. وفي سنة ٢٥٧ دعاه واليريانوس قيصر قنصلًا او سيّد البلدة

وكانت تلك الايام ايام حروب وقد ذلّل شابور بن اردشير ملك الفرس الرومانيين في اقاليمهم الشرقيَّة. فعزم واليريانوس على محاربته لكنه وقع اسيرًا بيده سنة ٢٦٠. فلما اتصل هذا الخبر باذينة تهيَّب سطوة شابور. واوفد رسلًا يحملون اليه الهدايا مع كتابة يلتمس فيها منه الصلح والمعاهدة. فلم يُجب شابور الى طلبته بل شقّ الرسالة ورمى الهدايا في الفرات . فغضب اذينة وتأهّب لمحاربة الفرس وتقاطر اليه قبائل العرب وولّى رئاستهم ابنه هيروديس. وضمّ اليهم فرسان تدمر وقوّاسيها وجعلهم تحت امر زبدا كبير قوّاده وزبّاي زعيم فرسانه. وحشد معهم العساكر الرومانية وتوجّه راساً الى المدائن

وكان شابور بعد ان دوّخ العساكر الرومانيّة قد اخذ يغزو الانحآء الشمالية. وزحف على انطاكية وفتحها واباد سكانها قتلًا واسرًا. ثم مشى على بلاد قبادوقية وليقاونية وقيليقية وتوغّل فيها حتى انتهى الى مدينة پمپيوپوليس الساحلية. وبينما هو يحاصرها اذ لجئه قائد روماني مستقلّ اسمه كاليستوس وشتّت شمل جموعه فاجفل الفرس مسرعين الى بلادهم. فلماً علم اذينة وهو على طريق المدائن ما لحق بشابور رجع فصار الى ملاقاته وادركه قبل عبوره الفرات. فحمل عليه وكسره وغنم

(١) لست ادري لماذا صاحب المقالة يكتب خيران مع ان هذا الاسم مكتوب في الآثار حيران (مصحح) ص٥٩٠

امواله واسر حرمه وكاد ينقذ والريانوس من يده. وعبر شابور الفرات مهزوماً. ووقع هذا الخبر احسن موقع في قلب غاليانوس الذي جلس مكان ابيه والريانوس فرفع منزلة اذينة ودعاه قائداً عاماً على جميع عساكر المشرق

فاعتزّ اذينة واستكبر ولم يلبث الّا قليلاً حتى حمل ثانية على ما بين النهرين وفتح حران ونصيبين ثم بادر الى محاصرة المدائن. وكانت الغلبة له فهرب شابور الى عاصمتــه تاركاً نساءه وحشمه وكان ذلك سنة ٢٦١ . وشدّ اذينة الحصار على ساليق

وكانت في تلك الايام المملكة الرومانية في اضطراب عظيم وقلق جسيم. فانّ مكريانوس القائد كان قد اغتصب الاقاليم الشرقيــة وپوستوموس اختطف الاقاليم الغربيّة. واقتدى بهما قوّاد أخر كثيرون وزد على ذلك هجوم اقوام برابرة على بعض نواحي المملكة. فترك اذينة المدائن ورجع الى تدمر حيث اتخذ اسم الملك. ثمّ زحف على مدينة حمص التي كان مكرينوس قد ضبطها. ومن هناك زحف على نواحي ما بين النهرين واعمال فارس وتمّم فتوحاته وانتصر على بعض مرازبة شابور

وكان غاليانوس قد اخمد كل الفتن لكنه رغماً عن ذلك لم يكن ليستوثق من استقرار الملك له. وفكّر في وجــه تاييد اركان الدولة. ففتّش عن رجل صالح امين نهوض يشاركه في الملك. فاقرّ لاذينة بحق الرئاسة ودعاه امبراطوراً على جميع انحاء المشرق اي على الشام وما بين النهرين واسيا الصغرى سوى بضعــة نواحٍ شماليّة. وكان ذلك في السنة ٢٦٤. ثمّ امر بضرب نقود على اسم اذينة . فضُربت ونقشت عليها صورته ووراءه بعض الاسرى من الفرس. واتّخذ اذينة منذ ذاك الحين اسما آخر يناسب سموّ مقامهِ في عيون الشرقيــين فدُعي ملك الملوك على منوال ملوك الفرس واشرك ابنه هيروديس في سياسة ممالكه. وقام باعباء التدبير احسن قيام. وازال اضطهاد النصارى في بعض المدن. وتأهب لمحاربة الفرس مرّة ثالثة. وتوجّه الى المدائن. وكانت الغلبة لعساكره. الا انه لا يُعرَف أَفتَح ساليق ام لا

وأصبح اذينة ذات يوم مقتولاً هو وابنــه هيروديس في مدينة حمص. وكان القاتل معنا ابن اخيــه حيران. وجلس معنا مكانه على عرش الممالك الشرقية سنة ٢٦٦. لكنّ ملكه لم يدم كثيراً. فان اهالي حمص خرجوا عليه وقتلوه سنة ٢٦٧

انّ اذينة الثاني كان له زوجة اسمها بَت زَبّاي كما اتى في كتابات تدمر: ܒܬ (ܙܒܝ) ܘܗܒ ܐܠܬ ܡܠܟܬܐ . اي بنت زباي المجيدة.(١) وقال فيه العرب الزّبآء بحذف بث اي بنت. واما اسم زينب فهو صورة اسم يوناني قد اعتاد الشرقيون في اطراف سوريا ان يزيدوه على اسمآئهم السامية. فلماً قُتِل زوجها اذينة ضبطت زينب عنان الرئاسة ودبّرت بكلّ حكمة وشجاعة شؤون الرعية بالنيابة عن ابنها وهبلات (٢) وكانت قبلًا قد صحبت دائماً زوجها في ساحة الحروب ومجال الصيد كأنها احد قوّاده. وقيل انها هي التي شجّعت معنا على قتل هيروديس رجآء ان يصير الامر الى ابنها وهبلات. فان هيروديس لم يكن ولدها. واشتهرت بث زباي كثيرًا وطار صيتها في الآفاق. وقال عنها زوزيموس المؤرخ: «ان سيرة ملكة تدمر سيرة بطل لا سيرة امراة.» وكانت اذا ارادت السفر ركبت فرسا ولم ترضَ ان تركب الهوادج الّا نادرًا. وكانت تحب ايضاً المشي فتقطع مع عساكرها المسافات البعيدة

واول امر اشتهرت به زينب كان غارتها على بيثنيَة وكانت من الاقاليم الذعنة لدولة الرومان في اسيا الصغرى. فخاف غاليانوس قيصر على سلامة مملكته ووجّه جيشاً الى المشرق. فبادرت زينب الى حشد عساكرها وركبت فيهم واغرتهم على عساكر الرومان عند مرورهم بسوريا الشمالية. وكانت النصرة للتدمريين وقُتل هراقيانوس قائد الرومان. وفي اوخر السنة ٢٦٩ عزمت على فتح الاقطار المصرية. فركب زبدا قائدها الاول في ٧٠٠٠٠ نفر وزحف الى مصر. وقاتل جيش المصريين وانتصر عليه. فصارت حدود مملكة زينب تنتهي جنوباً الى ساحل النيل وشمالًا الى اقاصي اسيا الصغرى وتحدّها غرباً سواحل البحر المتوسط وشرقاً نهر الفرات ودجلة. فعظم شانها في كلّ الاقطار. واعتنت بتزيين عاصمتها بما لا مزيد عليه من

(١) لا نعلم كيف ان الاب رتزقال صاحب المقالة في زينب ادّعى (المشرق: ٤ ٦٩٣) انّ زينب كانت عربية الجنس وهو يسند زعمهُ الى تسميتها بث زباي والى مؤرخي العرب بيد انهُ في المقالة نفسها يُعلِن مرارًا انها كانت ارامية (ص: ٤٩٤) وان لسان اهل تدمر هو لهجة ارامية (ص ٥٢٨) ويقرّ ايضاً (ص: ٤٣٣ و٤٣٥) انّ ما اوردهُ مؤرخو العرب في شان زينب هو من ضروب الخرافات وانواع الترهات

(٢) وهبلات معناهُ هبة الإلاهة بالارامية

البهآء . فاضافت الى الآثار التي ابقاها مَن سلفها من الملوك ابنية جليلة وحصوناً عجيبة

وكانت زينب قد نشأت في الآداب . فكانت تعرف علاوة على لغتها التدمرية وهي الارامية كلًّا من اللغات المصرية واليونانية واللاتينيَّة . وكانت قد استقصت تواريخ الاقدمين وقيل عنها انَّها الَّفت بخط يدها كتاباً اختصرت فيه تواريخ الامم الشرقية . وصرفت ايضاً جلّ اهتمامها الى حشد بعض العلمآء والبلغآء والنحاة وغيرهم من فضلاء عصرها فجعلتهم اسرى فضلها واجزلت لهم العطايا

الّا انّ سلطانة المشرق لم تدم مدتها طويلًا لتتميم مرغوباتها . فانه كان قد جلس على سرير القياصرة في رومية لوقيوس اوريليانوس سنة ٢٧٠ . وكان ذا باس جرى بينه وبين زينب قتال شديد . فلماَّ كانت السنة ٢٧١ انتصر قائده پروبوس على التدمريين في مصر وطردهم منها . وفي تلك السنة عينها مشى اوريليانوس نفسه على اسيا الصغرى وقهر عساكر زينب في بيثنيَّة ثمّ واصل فتوحاته فتغلّب على غالاطية وقبادوقية وانقرة وانطاكية . وهناك جرى قتال شديد بين القيصر وملكة تدمر . فانكسرت زينب والتجأت الى حمص . فتعقّبها اوريليانوس وهناك ايضاً قهر التدمريين . فتركت زينب حمص على جناح السرعة وقصدت تدمر . فشدّ في اثرها القيصر وأسرها . وفتح عاصمتها وأخربها سنة ٢٧٣ وجلاها هي الى رومية وعيّن لها هناك مصيفاً جميلًا

الفصل الرابع

في إمارات حدياب وميشان وحطارا وسنجار

انّ امارات حدياب وميشان وحطارا وسنجار لم يصل الينا شيء من اخبارها . امّاَ حدياب وسمّاها العرب حزَّة فموقعها بين الزابَين وكانت تمتدّ الى اثور والى نصيبين ايضاً وكانت قاعدتها مدينة اربيل . وفي الجيل الاول للمسيح كان يملك فيها ملك اسمه ايزاط . وقال عنه يوسيفوس المُؤَرّخ اليهوديّ انّه اعتنق الديانة اليهوديَّة على يد حننيا . (١) واشتهرت امّه هيلاني بمحبتها للفقرآء . فانّها في مجاعة حدثت في زمانها

(١) يوسيفوف ح ٢٠:

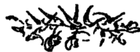
في اورشليم جلبت القمح من مصر ووزّعته على اهل اورشليم٠(١) وفي ايام ايزاط دخلت نصيبين تحت حكم اربيل٠فان ارطبان الثالث ملك الفرثيين نزعها من يد الفرثيين الذي كانوا يملكون في ارمنية وسلّمها بيد ايزاط الملك٠ (٢) واتى في كتاب مشيحا زخا (٣) أنه في زمان اولغاش الرابع (١٩١ — ٢٠٨) كان نرساي يملك في اربيل٠وان اولغاش اخرب بلاده وقتله لانه لم يرافقه في غارته على الفرس٠ وخلفه ابنه شهراط٠وكان شهراط من جملة الملوك الذين في سنة ٢٢٦ حالفوا الفرس على الفرثيين

وامارة ميشان او پرات ميشان وقيل لها بالعربية دست ميسان وباليونانية خاركـ كانت على خليج العجم باسفل ارض البصرة

وحطارا وسمّاها العرب حضر كانت في اطراف تكريت في طيرهان٠ومن ملوكها برشميا(ܒܪܫܡܝܐ) ٠ وهو لما جرت الحرب في سنة ١٩٤ بين نيجر وسپتيموس ساويرس الرومانيين ساعد الاول على الثاني بارساله اليه قسماً من جيشه٠ وان ساويرس لمّا هجم على هذه البلاد سنة ١٩٨شدّ الحصار على مدينة حطارا لكنه لم يقدر ان يفتتحها(٤)٠ وقد توفقت البعثة الالمانية على اكتشاف الحضر في هذه السنين الاخيرة وحصلت على آثار ثمينه (٥)

ومما نعرف عن سنجار ان ملكها معنو انهزم سنة ١١٥ من قدام طريانوس الملك الذي حمل على الفرثيين واستولى على المدائن (٦)

تمّ المجلّد الاول



---

(١) اوسابيوس : كتاب التواريخ طبعة بيجان باريس١٨٩٧ ص ١٠٥
(٢) دوقال تواريخ أورهاي ص : ٤
(٣) ص ٢٥ و٢٨ وراجع ايضاً هنا ص ١٦٨
(٤) هيروديان : ٣ : ٤
(٥) راجع مجلة المشرق ١٩١٢ ص ٥٠٩
(٦) دوفال ص : ٤

فهرست الكتاب

المقدّمة

الكتاب الاول

الكتاب الثاني

في اخبار الكلدان (٤٠٠٠— ٦٤٨)

الباب الاول

في اوائل الكلدان

الباب الثاني

دولة الكلدان العظمى الاولى (٢٤١٦-٦٤٨)

صفحة

الكتاب الثالث

في اخبار الاثوريين (٢٠٠٠-٦٠٨)

الباب الاول

في اوائل مملكة اثور (٢٠٠٠-١١١٥)

الباب الثاني

في دولة اثور العظمى الاولى (١١١٥–٩٠٠)

الباب الثالث

دولة اثور العظمى الثانية (٩٠٠–٧٤٦)

الباب الرابع

دولة اثور العظمى الثالثة (٧٤٥-٦٠٨)

الكتاب الرابع

دولة الكلدان العظمى الثانية (٦٠٨–٥٣٨)

الكتاب الخامس

في اخبار الكلدان والاثوريين بعد سقوط بابل

الكتاب السادس

اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صواب
٤	١٩	اسمها بغداد	اسمها دربغدأد
٥	١	ܦܪܘܣܬܐ	ܒܪܘܣܬܐ
٥	٢٣	ص ٧٨و٨٦	ع ٧٨و٨٦
١٤	١٤	زمان	رمان
٣٢	١٠	وحلس	وجلس
٤٦	٢٣	٣٦٥	٢٢٦
٤٧	٧	بكراخداش	كراخداش
٥٣	١٢	غروتين	غزوتين
٥٥	٦	ثلاثاثة	ثلاثمائة
٦٠	١٨	خانو	خاتو
٦١	٢	سورا	شورا
٥٠و٦١	٢٣و١١	حازيديجا	حازيديجا
٦١	١٢و١٤	دمادوسا	دمداموسا
٦٣	٤	ترتنخان	توشخان
٦٤	١٨	كتالوا	كنالوا
٧٠	٢٢	٣٥٠	٨٥٠
٧١	٥	اشناك	اشتاك
٧٦	٢٢	الكدان	الكلدان
٧٦	١٨	فكان يجدّها	فكانت تشمل
٧٧	٩و١٠	ارغيستيس	اركيستي
١٢٥	٢٣	بعص	بعض
١٢٩	١٣	سائر بنو	سائر بني
١٤٨	٢	ومروج	ومروجاً

تاريخ

كلدو واثور

تأليف

ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثور

المجلّد الثاني

HISTOIRE

DE LA CHALDÉE ET DE L'ASSYRIE

par

Sa Grandeur Mgr ADDAI SCHER

ARCHEVÊQUE CHALDÉEN DE SÉERT

deuxième volume

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣

Beyrouth Imprimerie catholique 1913

المقدمة

ذكرنا في المجلّد الاول ان اسم الكلدان او الاثوريين يُطلق على شعبٍ واحد دون تمييز لان لسانهم واحد وديانتهم وتمدنهم وعوائدهم واحدة لا تختلف . غير انهُ لمّا انتشرت الديانة المسيحية بينهم اهمل المتنصّرون الاسم الكلداني الاثوري لنفورهم من كل ما يدل على الوثنيّة . لان اسم الكلدان في تلك الاحقاب صار مرادفاً للمنجّم والفلكي . فاشمأزّوا منـه وسمّوا انفسهم مشارقة (ܡܕܢܚܝ̈ܐ) وكنيستهم الكنيسة الشرقية (ܥܕܬܐ ܕܡܕܢܚܐ) او الكنيسة الكاثوليكية (ܥܕܬܐ ܩܬܘܠܝܩܐ) او الكنيسة التي في فارس (ܥܕܬܐ ܕܦܪܣ) . ولقّبوا بطريركهم ببطريرك المشرق او جاثليق ساليق وقطيسفون . وقد أُطلق ايضاً عليهم اسمُ السريان الشرقيين ولكنه اسم غريب خارجيّ اطلقـه المصريّون ثم اليونان على اهل سوريا (١) . ومن اليونان استعـاره الاراميون الغربيّون . ومن السريان الغربيين سرى الى المتنصِّرين من الكلدان الاثوريين لانه من سوريا اتتهم الديانة المسيحية . فتسمّوا باسم السريان تمييزاً لهم من الكلدان الاثوريين الوثنيّين . فلم يكن الاسم السرياني يومئذٍ يشير الى امّة بل الى الديانة المسيحيّة لا غير . وممّا يثبِت قولنـا ما اتى في كتاب تاريخ ايليا مطران نصيبين (٩٧٥—١٠٤٦) فانه فسَّر لفظة سرياني (ܣܘܪܝܝܐ) بلفظة نصراني والى يومنا هذا نرى الكلدان الاثوريين لا يتَّخذون لفظة ܣܘܪ̈ܝܐ اي سرياني للدلالة على الجنسيَّة بل على الديانة . فان هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحيّ من اي أُمّة وجنس كان (٢)

ولكن هل بقي الكلدان الاثوريّون تاركين اسم اجدادهم الذي ذاع في كل اقطار العالم ؟ لا لعمري . فانهُ بعد فتوحات العرب تلاشى الكلدان المنجمون الوثنيّون

---

(١) طالع المجلد الاول ص ٥١

(٢) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية للسيد يوسف داود . الموصل سنة ١٨٩٦ ص ٤١

من هذه الديار وسُمّوا مسلمين لاعتناقهم الديانة الاسلامية . فعاد اجدادنا المسيحيّون واسترجعوا الاسم الكلداني . فانك ترى ايليا مطران نصيبين يُفسّر لفظة كلدان بلفظة سريان (١) لا بلفظة منجّمين وقال ميخائيل بطريرك اليعاقبة في تواريخه : انّ الكلدان الاثوريّين هم السريان . وابن العبري في كتابهِ المسمّى معلثا لمّا تكلّم عن الامّة الكلدانية النسطورية قال : الشرقيون العجيبون اولاد الكلدان القدماء (٢) وفي كتابه تاريخ الدول في بحثهِ عن فروع اللغة الآرامية سمّى لغة اهل جبال آثور وسواد العراق الكلدانية النبطية . وجاء في كتاب طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي : « والامّة الثانية الكلدانيون وهم السريانيون والبابليون (٣) » وعبديشوع الصوباوي في كتاب القوانين السنهادوسيّة في الميمر التاسع يلقّب بطريرك المشرق ببطريرك بابل عاصمة الكلدان . كذلك المؤرخ نيلوس دوكسابتريوس في مقالتـهِ عن الكراسي البطريركية التي الّفها سنة ١٠٤٣ يلقّب بطريرك النساطرة ببطريرك بابـل (٤) . ولمّا رجع نساطرة قبرص الى حضن الكنيسة الرومانية سنة ١٤٤٤ طلبوا الى اوجين الرابع بابا رومية ان يأمر ألّا يعود احد يسمّيهم نساطرة بل كلداناً

نرى ان للكلدان المسيحيين اسماء كثيرة في التواريخ . فسُمّوا أراميين نسبةً الى ارام بن سام الذي استوطن هذه البلاد وعمّرها بنسله . وفرساً لكونهم وُجدوا في مملكتهم . ومشارقة لانهم في المشرق . ونساطرة لاتّباعهم تعليم نسطور بطريرك القسطنطينيّة . وسريانا شرقيّين تمييزاً لهم من السريان الغربيّين وهم اليعاقبـة . ولكنّ اسمهم الاصلي كلدان اثوريّون جنساً ووطناً . لانّ منشأ كنيستهم ومركزها كلدو واثور . ولغتهم الجنسية والطقسيّة هي الكلدانيّة ويقال لها ايضاً الارامية . وغلطاً سُمّيت سريانية كما انهُ غلطاً ايضاً سمّي اجدادنا النصارى سرياناً

واعلم انّ السريان الغربيّين اعني بهم اليعاقبة حسُبوا هم ايضاً على هذا الغلط

---

(١) كتاب الاخرايقون طبعة شابو ٦

(٢) في النحو طبعة الاب مارتين ص : ١

(٣) المشرق ١٩١١ : ٥٦٩

(٤) في السمعاني ج ٤ : ص ٦١٦

واقرّوا علناً ان اسمهم الحقيقي الاصلي ليس السرياني بل الكلداني الاثوري . فانهُ على عهد ديونوسيوس التلمحريّ الذي عاش في النصف الاول من الجيل التاسع كان اليونان يستهزئون بالسريان اليعـاقبة ويقولون لهم : انّ طائفتكم السريانيَّة لا اهميَّة لها ولا شرف . فانهُ ليس لكم مملكة ولا قام في سالف الازمان فيما بينكم ملكٌ جليل . فاضطرّ السريان اليعـاقبة ان يقرُّوا ويثبّتوا انهُ ولو أُطلق عليهم اسم السريان الا انّ اصلهم كلدان اثوريّون وقد صار لهم عدَّة ملوك جبابرة (١) . وقال ميخائيل بطريركهم : ان العيلاميّين والاثوريّين والاراميّين وهم الذين سمّاهم اليونان سرياناً سُمُّوا قـاطبةً كلداناً باسمهم القديم واشوريّين اعني اثوريّين باسم اشور الذي بنى مدينة نينوى (٢) . ثم يقول نقلًا عن ديونوسيوس التلمحريّ ما نصه : « انّ سوريا هي في غربيّ الفرات . فالذين يتكلّمون بلساننا الارامي انّما على سبيل الاستعـارة سمّوا سرياناً . لانهم ليسوا الا جزءًا (من الكلّ) . واماّ الأُخر فسكنوا كلهم في شرقي الفرات وامتدّوا من سواحل الفرات الى بلاد فارس . وقام ملوك كثيرون في هذا القسم اي في اثور وبابل واورهاي »

فقد تحقَّق ان السريان اليعاقبة ايضاً اقرّوا ان اصلهم كلدان اثوريون جنساً ولغةً وان اسم السرياني هو يوناني خارجي أُطلق غلطا وزوراً علينا وعليهم . ويا ليتهم يجوزون مثلنـا عن الاسم السرياني ويسترجعون الاسم الكلداني الاثوري فنصبح كلنا شعباً واحدًا اسما وجسماً ويدًا واحدة لتنهض امّتنا هذه القويّة القديمة (٣) التي كسبت في سالف الازمان ذكرًا جميلًا ومجدًا عظيماً في الزمنيّات وفي الروحيّات

ان اجـدادنا الكلدان المسيحيّين اشتهروا هم ايضا نظير آبائهم الكلدان الوثنيّين . فانهُ كما ان الصنائع والمعـارف بلغت عند الكلدان الاثوريّين الى اسمى درجة ومنهم اقتبسها اليونان والفرس وغيرهم من الشعوب القديمـة (٤) . وامتدّت فتوحاتهم حتى جزيرة قبرص ومصر غربا والى بحر قزبين والبحر الاسود شمالًا وحتى

(١) ميخائيل بطريرك السريان اليعاقبه طبعة شابو ٧٥٠

(٢) فيه ٧٤٨ (٣) ارميا ٥ : ١٥

(٤) راجع المجلد الاول ١٠ — ١٦

بلاد مـاداي وعيلام شرقا والى جزيرة العرب جنوباً . كذلك الكلدان النصارى بفتوحـاتهم الدينيّة عظمت شهرتهم وخلّدوا لهم ذكرًا جيلًا مؤبدًا . اذ انهم كأجدادهم افتتحوا بلاد فارس وماداي والعرب وارمنية وسوريا وقبرص ومصر حتى بلاد الهند والصين وتركستان وغيرها من البلاد التي لم يقدر اجدادهم الوثنيون ان يفتحوها بقوّة اسلحتهم القاطعة

قال أدولف دَاڤريل بمقالته في كلدو المسيحيّة ما نصّهُ: « ان الكنيسة النسطورية ابرزت مدة اجيال عديدة قوّة امتداد عجيب خارق العادة . فان قوّة هذه الفتوحات الدينيّة (Népotisme) والميل اليهـا هما علامتان فارقتان اتّصفت بها النسطرة دون غيرها . والامر الغريب هو ان الرسالات النسطوريّة لم تكن نتيجة فتوحـات دنيويّة او آلة نفوذ سياسي بل سببها الوحيد هو الميل الشديد الذي كان للنصارى في الاجيال المتوسّطة الى نشر الايمان وافتتاح الرسالات النبيلة » . ثم يتكلم ادولف عن انتشار النساطرة في سيلان وسقوطره والصين وبلاد التتر والهنـد واورشليم وقبرص

فبهمّة هؤلاء المرسلين الغيورين ارتفع شان الكلدان النصارى وازدادوا وكثروا حتى ان عددهم فاق المائة مليون . قال بعض علماء اوروبا : « ان الكنيسة النسطورية على عهد الخلفاء كانت منتشرة وممتدّة من الصين حتى اورشليم وجزيرة قبرص . وان عددهم مع عدد اليعاقبة كان يفوق عدد اليونان واللاتين » (١)

وممّا اشتهر بهِ ايضاً الكلدان النصارى انهم حيثما ذهبوا بفتوحـاتهم الدينية زرعوا مع تعليم الانجيل بذور المعارف والتمدّن المسيحي . وهذا ما اجمع عليهِ العلماء . ان موسيو شارل إوديس بونين بمقـالته في قدم النساطرة في اسيا الوسطى بعد ان بحث عن امتداد الكلدان النساطرة في بلاد الصين وتركستان ومغولستان قـال ما تعريبه: « ان للنساطرة دورًا مهمًا في تاريخ التمدّن العمومي . فان كهنتهم هم اوّل من ادخلوا التمدّن في اسيـا الوسطى ومن المعلوم انهُ من الحروف السريانيّة

(1) Jacob. a Vitriaco, Hist. Hierosol. 1, 2, c. 76, P. 1093 : Gesta Dei per Francos, Thomassin, discipline de l'Eglise, tom. 1, P. 172.

النسطورية تولّد في القرون الوسطى على يد غزاة اسيا القلم التركيّ الايغوريّ والمغولي والمانچوريّ. والقلمان الاخيران مستعملان الى يومنا هذا (١). ومن جهة اخرى ان اشهر ديانات اسيا اعني بها اللاماوية (Lamaïsme) اخذت اشياء كثيرة من طقس النساطرة ولعلّ من معتقدهم ايضاً » (٢)

وقال الاب لابور (٣): « ان الكنيسة النسطوريّة ما برحت مدة احد عشر جيلًا تنشر التمدّن والتربية المسيحيّة بين اهالي اسيا القديمة والشرق الاقصى ». وقال ايضاً: « ان النصارى (الكلدان) نالوا اعلى المناصب في الدولة العباسيّة وعلّموا ساداتهم الذين كانوا الى ذلك الحين في حالة الجهل فلسفة اليونان وعلم الفلك وعلم الطبيعيّات والطبّ. ونقلوا الى العربيّة تاليفات اريسطوطاليس وأوقليديس وبطلميوس وابقراط وجالينوس وديوسقوريدوس » (٤). وبواسطة الكلدان ايضاً تعلّم العرب الارقام الهنديّة (٥) وآلة الاسطرلاب وغير ذلك (٦)

وقال هومبولت في كتابه المسمّى كوسموس (٧): «كان من الاحكام العجيبة ان تلتفت الشيعة النسطورية التي لها فضل عظيم في نشر العلم الى جهة العرب ايضاً فتفيدهم علماً »

واتى في قاموس اللاهوت الكاثوليكي تاليف علماء المانيا (٨) ما تعريبه: « ان العلوم الشرقية في زمان فتوحات العرب، كانت محصورة خاصّةً عند الكلدان.. فكانوا يعلّمون في مدارس اورهاي ونصيبين وساليق او ماحوز وديرقوني اللغات الكلدانية والسريانية واليونانيــة والنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقي والفلكيّات والطبّ. وكان لهم مكاتب عموميّة يحفظون فيها تآليف المعلّمين »

---

(١) في المجلة الاسيوية الفرنسية ١٩٠٠

(٢) راجع ايضاً بادجير (Badger) النساطرة وطقوسهم

(٣) الديانة المسيحية في مملكة الفرس ٣٥١ (٤) فيه ٣٤٩

(٥) مجلة الشرق المسيحي ١٩١٠ : ٢٥٠ والمشرق ١٩١١ : ٣٣٩

(٦) نو : مقالة ساويرا ساوخت في الاسطرلاب ٩ — ١٠

(٧) ك : ٢٤٧

(٨) الترجمة الفرنسيه لكوشلير ٥ه : ٧٦

لعمري انّ المدارس والمستشفيات كثُرت جدًّا عند الكلدان حتى ان الاب لابور اخذهُ العجب من ذلك وقال: « انّهُ ليس من امّةٍ على الارض بارت امّة الكلدان النصارى في تاسيس المدارس ». فاتسعت صناعة التاليف عندهم اتساعاً عجيباً حتى انّ عدد المؤلفين منذ الجيل الرابع الى نهاية الجيل الثالث عشر الذي فيه انطفأت العلوم لديهم فاق الاربعمائة. وتاليفات بعض هؤلاء المؤلفين فاتت الخمسة عشر والثلاثين والاربعين. وتصنيفات مار افرام لا تُعدّ. وميامر نرساي ما عدا الكتب العديدة التي الّفها تبلغ ٣٦٠ . وميامر يعقوب السروجي ٧٠٠. وجبرائيل اسقف هرمزد ارداشير له ثلاثمائة مؤلَّف ويوسف حزايا الف وتسعمائة

انّ الينابيع التي استقينا منها رواياتنا لتاليف هذا الكتاب كثيرة لا يسعنا ذكرها . واخصها :

مشيحازخا (الجيل السادس) طبعة القس الفونس منكنا في الموصل سنة ١٩٠٧

تلسيس المدارس تاليف برحدبشبا عربايا اسقف حلوان طبعة اديّ شير في باترولوجية كرافين ونو في باريس ١٩٠٧

نبذة تاريخيّة مؤلفها مجهول طبعها كويدي في ليدي ١٨٩١ عنوانها: شهادة سريانية جديدة في تاريخ الساسانيّين الآخرين. مختصرها: كويدي

اعمال القدّيسين والشهداء وهي ستة مجلّدات طبعة الاب بيجان في ليبسيك ١٨٩٠ — ١٨٩٥ . والاشارة اليها بيجان

السنهادوسات اي المجامع النسطورية طبعة شابو في باريس ١٩٠٢

ترجمة حياة مار يهبلاها وتلاثة جاثلقة أخر طبعة بيجان ١٨٩٥

كتاب العفّة تصنيف ايشوعدناح مطران البصرة (نهاية الجيل الثامن) طبعة بيجان في كتاب الرؤساء سنة ١٩٠١

كتاب الرؤساء تأليف توما اسقف مركا (الجيل التاسع) طبعة بيجان ١٩٠١

تاريخ ايليا برشنايا مطران نصيبين (الجيل الحادي عشر) طبعة بروكس في باريس

تاريخ ميخائيل رابو (الجيل الثاني عشر) طبعة شابو في باريس

التاريخ السعردي طبعة ادي شير في باترولوجية كرافين ونو في باريس ١٩٠٧ . ان هذا الكتاب ناقص ولا نعرف تماماً مولفه وهو في مكتبة ابرشيتنا السعردية .

القسم الاول منهُ يحوي الاخبار المدنيَّة والدينية من سنة ٢٥٠ الى ٤٢٢ والقسم الثاني من سنة ٤٨٤ الى ٦٥٠ . وقد طُبع في اربع قطع والقطعة الرابعة تحت الطبع وقد ارسلنا القارئ الى مراجعة صحيفة الكتاب لا صحيفة الپاترولوجية

اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان (الجيل الثاني عشر) ولعمرو بن متى وصليبا بن يوحنان طبعة جيسموندي في رومية وفيهِ غلطات كثيرة لا سيَّما في تاريخ جلوس ووفاة بطاركة المدائن قبل الجيل السادس

التاريخ الكنيسي لابن العبري (الجيل الثالث عشر) وهو قسمان. الاول يختص ببطاركة اليعاقبة والثاني بمفريانات تكريت وبطاركة النساطرة وقد طبعه أبيلوس ولامي في لوفان (١٨٧٢ — ١٨٧٧) في ثلاثة مجلَّدات

تاريخ الدول لابن العبري في الارامية طبعة بيجان . والاشارة اليهِ تاريخ ابن العبري

تاريخ الدول لابن العبري في العربية طبعة الاب صالحاني في بيروت ١٨٩٠ .

المكتبة الشرقية تاليف السمعاني في ثلاثة مجلّدات طبعة رومية ١٧١٩—١٧٢٨ المجلد الاول يبحث عن مؤلّفي السريان الكاثوليك مشارقة كانوا او مغاربة والثاني عن مؤلّفي اليعاقبة. والثالث قسمان . الاول يتكلَّم عن مؤلّفي النساطرة ويشرح مقالة عبديشوع الصوباوي في المؤلّفين . والثاني يبحث عن كنيسة النساطرة

مدرسة نصيبين في العربية تأليف ادي شير طبعة بيروت ١٩٠٥

الآداب السريانية في الفرنسية لروبانس دوڤال طبعة ثانية في باريس ١٩٠٠

النصرانية في مملكة فارس تأليف الاب لابور في باريس ١٩٠٤

كتاب معاطاة الكنيسة الكلدانيـــة مع الكرسي الرسولي لربَّان شموئيل جميل طبعة رومية ١٩٠٢ . ومختصره جميل

كتاب شرفنامه تأليف شرف الدين امير بتليس ترجمة برنار شارموي الفرنسية مع شرح كثير في اربعة مجلَّدات طبعة بتروسبرج ١٨٦٨ — ١٨٧٥

تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية في الفترة المتراوحة بين سنة ١٠٠٠ و ١٧٠٠ وقف على طبعه وعلّق حواشيه الخوري بطرس عزيز. طُبع في بيروت ١٩٠٩ ومؤلّفه ماروني نقل عن السمعاني وزاد من عنده اشياء كثيرة لا يوثق بصحتها

تاريخ عبديشوع خياط بطريرك الكلدان المتوفي سنة ١٨٩٩ وفيهِ خاصةً وقائع الاجيال الاخيرة وهو لم يُطبع

كراريس لا تحصى جمعتها من مكاتب الشرق واوروبا محفوظة في مكتبتنا



توطئة

في جغرافية الكنيسة الكلدانيَّة النسطوريَّة

لتعريف جغرافية البلاد التي ذهب اليها اجدادنا النصارى بفتوحاتهم الدينية نصف هنا على قدر الامكان الولايات او الابرشيات المطرابوليطية (١) ونقول اولًا ان بلاد كلدو واثور مع البلاد المتَّصلة بها كانت مقسومة الى ستّ ابرشيات مطرابوليطية. ثلاث منها في كلدو والاهواز وثلاث في آثور

١— انَّ الابرشيَّة الكبرى البطريركية كانت في كلدو الشمالية التي سُمّيت بيث ارمايي وقيل لها ولأرض البصرة بعد فتوحات المسلمين العراق العربي. والكرسي البطريركي كان في ساليق التي بناها سلوقوس نيقاطور على ضفة الدجلة اليسرى . ثم جدَّدها ارداشير الاول ملك الفرس فقيل لها بهِ ارداشير . ولمَّا ملك الفرثيّون شيَّدوا على الجانب الايمن من الدجلة مدينة اخرى سمّوها قطيسفون . وبين ساليق وقطيسفون قلعة منيعة دُعيت ماحوزا (١). وكانت هذه المدن الثلاث متصلة ببعضها كأنها مدينة واحدة. ولذلك سُميت المدائن (ܡܕܝܢ̈ܬܐ) وبيعة المدائن الكبرى كانت تُدعى كوخي. وفيها يجلس بطريرك الكلدان . وقد اتى اسم ساليق وقطيسفون والمدائن وماحوزا وكوخي بمعنى واحد في تواريخ الكلدان النصارى . وكانت المدائن عاصمة مملكة الفرثيين فالساسانيين وموقعها في جنوبي بغداد في المحل المدعو الان سلمان پاك في قضاء العزيزية . ولما ملك العرب المسلمون اخربوا المدائن ثم بنوا عوضها مدينة بغداد فانتقل اليها الكرسي البطريركي

---

(١) ان السمعاني والاب شاو كتبا فصلًا جليلًا في جغرافية ابرشيات الكلدان فنحن لم نعلق الحواشي الا على الاشياء التي فاتتهما او لم يذكراها

(٢) قاموس بر بهلول طبعة دوفال ١٣٥٤ و ١٣٥٥

كان في ابرشيّة البطريرك عشرون مرعيثاً اسقفيا وهي : ١ شِنّا وبالعربيـة السنّ وبالفارسية قردليباد وربّما سُمّيت بيث رامان (١) وكانت عند مختلط الزاب الصغير بدجلة (٢) . ٢ طيرهان بين تكريت وشنّا (٣) واشهر مدنهـا حطارا وآوانا وكُبيلتا (٤) وكانت هذه الاخيرة على ساحل الدجلة الأَيمن . ٣ مِشكاني على حدود طيرهان (٥) والظاهر انها بيث مسكيني نفسها المـذكورة في تاريخ مشيحازخا (٦) ومسكن المـذكورة في كتاب عمرو (٧) . ٤ كرْمي في اطراف تكريت . ٥ دَسْقَرتا (الدسكرة) وآثارها تسمّى اليوم اسكي بغداد . ٦ عكبرا وتُكتب ايضاً عكبرى او عكبر (٨) واتى اسمها أيكبرا (ܥܟܒܪܐ) مضافاً الى طيرهان في كتاب الاسياميـذ كانت بين بغداد وسامرّا على عشرة فراسخ من هذه الاخيرة . ٧ رادان بين نهر رادان وديالة ومن اشهر مدنها حالا . ٨ بدارون بالقرب من بغداد (٩) . ٩ كشكر وهي واسط الحالية على نهر الحيّ بين بغداد والبصرة . ١٠ نهر الدير (١٠) على حدود كلدو الجنوبية . ١١ بيث داراپي (بادرايا) عن شرقي بغداد على مسافة ١٥٠ كيلومترًا . ١٢ بيث كساپي (١١) (باكسايا) بين جبال حلوان وكلدو . ١٣ الحيرة كانت قـاعدة مملكة العرب وآثارها في جنوب شرقي مشهد عليّ بالقرب من عاقولا وهي الكوفة التي بناها المسلمون . ١٤ ماحوزا حَدْتا وسمّاها العرب الرومية والفرس انطيخوسرو بقرب المـدائن . ١٥ نيفر (١٢) بقرب النيل والنعمانية في قضاء الديوانية . ١٦ زاپي (الزوابي) وقيـل لها ايضاً

(١) اللغة ܣܘ (٢) توما مركايا ٣٢٧
(٣) قصة يوحنان نخلايا (كتاب مخطوط)
(٤) توما ١٤٣ و ١٥٠
(٥) قصة يوحنان نخلايا (٦) ص ٣٠
(٧) ص ١٨٣
(٨) عمرو ٧٣ و ١٠٣ و ١١٦ و ١٣٠ . وماري ٨٧
(٩) اللغة ܦܟ و ܦܓ . وعمرو ٨٣ و ١٣٠
(١٠) ايليا الدمشقي في السمعاني ܓ : ܦ ٢٥٨
(١١) ماري ١١٨
(١٢) عمرو ٨٣ و ٩٥ . وكان هذا المرعيث ينضم احياناً الى مرعيث النيل (ماري ١٢٢)

التمانية (١) بين المدائن وكشكر على الجانب الايمن من دجلة. ١٧ النيل بالقرب من زابي. ١٨ نهروان (٢) اسم البلد واسم النهر الذي يشقّ في وسطه وهي مدينة صغيرة عن بغداد على اربعة فراسخ وبالقرب منها مدينة القصر (٣). ١٩ . پيروز شابور وتدعى الانبار وآثارها على ضفّة الفرات الشرقيـــة في جنوبي الصقلاويّة . ٢٠ الرحبة بين الرقة وعانة (٤)

ومن مدن كلدو الشمالية المذكورة في التواريخ : شومرا وسمّاها العرب سرّ من رأى وتُدعى الان سامرّا وهي عن شمالي بغداد على مسافــة ١٧ ساعة منها . وتكريت على الجهة اليمنى من دجلة . ودير قوني وهي فوق بغداد على ثمانيــة كيلومترات منها في الجانب الايسر من دجلة على كيلومترَين منه وهيت على الفرات عن غربي بغداد على مسافة ٢٥ ساعة

٢ — الابرشية الثانية كانت في كلدو الجنوبية وأُطلِق عليها اسم ميشان وقاعدتها پراث ميشان وبالقرب منها بنى الاسلام مدينة البصرة. واسم پراث ميشان الرسمي وهماردشير ܒܗܡܢܐܪܕܫܝܪ (بَهمنشير او وهمناباذ ارداشير) وهي مركز الكرسي المطرابوليطي ومن مدنها الاسقفية: ١ كرْخا دْميشان بين الدجلة ونهر كارون وهي التي سمّاها اليونان خارك . ٢ رَيْما وبالفارسية شادبور وبالعربية دير مخراق (٥) وقد بناها شابور الاول . ٣ نهر گور او نهرگول وبالعربية نهرجور وبالفارسيـــة ابزقباد بين ميشان و لاهواز . امّا الأُبلة فكانت على اربعة فراسخ من البصرة . وعبادان على بحر فارس بينها وبين البصرة مرحلة ونصف

٣ — ابرشية الاهواز ويقال لها خوزستان واسمها القديم عيلام كانت محتاطة بارض الكلدان وماداي وفارس وخليج العجم (٦) وقاعدتهــا بيث لاپاط وتُدعى

---

(١) ماري ٥٣ و ٨٥ تم اضيف هذا المرعيث الى النيل (عمرو ١٠٤)

(٢) عمرو ١٠٣ . وماري ١١٧

(٣) ابو الفداء (٤) عمرو ٩٨

(٥) بيحان ك : ٢١٠ وقاموس بر حلول ١٨٩٩

(٦) عن جغرافية الاهواز راجع شرفنامه 2 : ١٠٠ — ١١٦ و ك : ٢٧٥

ايضاً گونديشابور او جونديشابور وكانت مركز الكرسي المطرابوليطي وتحت ولايتها ست اسقفيات وهي : ١ شوشتر (سستر او تستر) تحريف شَشْ در الفارسية اي ستة ابواب وهي على ساحل نهر كارون . ٢ شوش (سوس او السوس) وهي شوشان القديمة تبعد عن گونديشابور ستة فراسخ وعن شوشتر ثمانية. ٣ رامهورمزد وقد شيّدها هرمزد بن شابور على مسافة ١٩ فرسخاً عن سوق اهواز . ٤ هرمزدارداشير او هرمشير وتدعى اليوم الاهواز او سوق اهواز على نهر كارون وسمّاها اليونان ديوسپوليس . ٥ كرخ ليدان التي بناها شابور الثاني وهي فوق شوش على نهر كرخا . ٦ الصيمرة قاعدة بلدة مهرجان قذق ܡܗܪܩܢܝܐ او ܡܗܪܩܝܐ ويقال لها بيث مهرقايي او بيث مهقرايي

٤ — ابرشية بيث گرماي (باجرما) كانت محاطة بالزاب الصغير والدجلة وجبل اوروخ فديالة فلارب وجبل شنعار (١) وقاعدتها كرخ سلوخ وهي كركوك الحاليّة. وكان فيها عدّة كراسيّ اسقفية: ١ شهرقرت وتُكتب شهرقرد او شهرگرد . وفي اوّل وهلة يظنّ القارئ انها شرقات الحاليّة المبنيــة على الدجلة . ولكن يظهر من تاريخ مشيحا زخا (٢) وقصة ماري (٣) انها كانت في شرقي كركوك في اطراف حوبغلال. ٢ حوبغلال وتُكتب حوباث گلال كانت في شرقي كركوك في ناحية لارب او درآباد او اردباد واتى اسمهــا بيث ديال في كتاب الاسياميذ وباذيال في تاريخ عمرو (٤). ٣ لاشوم كانت بقرب داقوق في غربي كركوك على مسافة تسع ساعات منها وهي الآن قرية حقيرة. ٤ تَحَل في جنوب غربي كركوك. ٥ ماحوز اريون وربما قيل لها ماحوز ارنون وهي على شاطئ الزاب الاصغر والى الآن يسمّون التلّ الذي كانت مبنية عليهِ ماحوز وأُطلق عليها فيما بعــد اسم كونيشابور او بيث وازيق (٥) وبالعربية البوازيج (٦). ٦ دارا كانت ايضاً على ساحل الزاب الاصغر

---

(١) بيجان ܒ : ٥٠٨
(٢) ص ٣٥
(٣) ص ٦٠ وما يلي
(٤) عمرو ١٢٢
(٥) توما مركايا ٢٤٦
(٦) التاريخ السعردى ܒ : ܬܡܐ

في شمالي كركوك (١) . ٧ بيث نيقاطور في شمالي كركوك على مسافة خمس ساعات منها في الناحيــة المدعوة كانيكار او خانيجار . ٨ بورزان محلّها مجهول ولعلّها في الناحية المدعوّة اليوم بازيان في اطراف السليمانية . ومن مدن بيث كرماي الشهيرة كرخ جدان في جنوبي كركوك

٥ — حدياب وبالعربية حزّة كانت تمتد من الزاب الاكبر الى الزاب الاصغر ومن الدجلة الى آذربيجان . غير ان ابرشية حدياب المطرابوليطية كانت اوسع بكثير اذ كانت تشمل ايضاً آذربيجان وارض نينوى فتمتد من الزاب الاصغر الى الخـابور الاصغر وربما الى نهر خزلة ومن حدود ولاية وان الحاليّة واطراف اورمية الى الدجلة وقاعدتها مدينــة اربيل وتحت ولايتها ١٩ كرسيًا اسقفيًا : ١ حبتون (حفتون او خبتون) في الجبل على ساحل الزاب الاكبر . ٢ بيث بغاش في شمالي حبتون على ساحل الزاب الاكبر وقاعدتها باي وتدعى الآن بياو وهي في شمال غربي رواندوز على مسافة خمس ساعات منها . ٣ برحيس . ٤ دبرينوس . ٥ دبرنحسان . ٦ رامونين ٧ بيث مهقرت ومواقعها غير معلومة (٢) . ولعلّ برحيس ودبرينوس ودبرنحسان اسم واحـد . ويحتمل ان دبرينوس تحريف ديبور ودبرنحسان تصحيف بَنانيس . ان ديبور كان اسم رستاق في سالاخ (٣) . وبَنانيس اسم سالاخ الخارجيّــة (٤) . ٨ نينوى وليس المراد بها نينوى القديمة العظيمة بل القرية التي يقال لها الآن النبي يونس وهي تجاه الموصل عن يسار الدجلة . ٩ حدثا كانت على ساحل الدجلة في الموقع المدعو الآن حمّام العليل (٥) . ١٠ تيمنا اظنّ انها كانت في البادية في الجهة اليمنى من دجلة في الوادي الاحمر الحاليّ وهو بين سنجار وقلعة شرقات . ١١ بيث نوهدرا (بانهدرا او بانهذرا او باهذرا) كانت تشمل قضاء زاخو الحالي وقسماً من قضاء دهوك اذ كانت تمتد من نهر الخابور الاصغر الى الدجلة . ١٢ معلثا (معلثايا) وهي

---

(١) بيجان ܒ : ٥٢٢

(٢) من المحتمل ان اسماء هذه المراعيث مكرّرة لتغيير اسماء بعض المدن والنواحي عند تقلبات الزمان

(٣) توما ١٥٩ (٤) فيه ١٠٦

(٥) ܚܕܝܬܐ

اليوم قرية صغيرة بقرب دهوك. ١٣ حانيثا (الحانية) كانت متّصلة بمرعيث معلثا (١) وتمتـد الى اطراف العمادية وانضمّت مرارًا الى مرعيث معلثا (٢). ١٤ داسان او بيث داسان في جبـال كارا في غربي الزاب الاكبر في جنوبي العمادية. ١٥ مركا (مرج الموصل) كانت تشمل قضائي العقر والزيبار الحاليّين. والظاهر ان الكرسي الاسقفي كان في تلا وبربلا (٣). ١٦ سالاخ في شمالي مركا (٤). ١٧ بشتدر (٥) بلدة جبليّة بين رواندوز وكويسنجاق على حدود ايران. ١٨ عين سفنا وهي الان قرية في شمالي الموصل على مسافة نحو ١١ ساعة. ١٩ ومن الاسقفيات التابعة لحدياب اسقفية اذربيجان. وكانت لغتها كلدانية والدليل على ذلك ان نصارى رواندوز واطرافها واورمية وخوسراوا يتكلّمون لحد الآن بهذه اللغة. ومن اشهر مدن آذربيجان : اورمية وخوسراوا ورواندوز ومراغا واشنو (اشنوخ) وكـنزك (جزنق) وهي في جنوب غربي مراغا

ولما اكتسبت الموصل اهميّة كبرى قُسمت ابرشية حدياب الى قسمين وهما : أبرشية اربيل وابرشية الموصل. واتحدتا ايضاً فقيل لها ابرشية حدياب واثور. والموصل اسم وضعهُ العرب وكانت قرية صغيرة تدعى حِصْنا عِبْرايا اي الحصن الذي في ذاك الجانب (من الدجلة)

٦ — ابرشية بيث عربايي وتمتد من بيث زبـداي ومن بلد الى نصيبين (٦). وقاعدتها نصيبين والمراعيث المتعلّقة بهذه المطرابوليطيـة هي : ١ بيث زبداي (بازبدا) في وادي الدجلة بين بيث عربايي وقردو وعاصمتها فنك او بنك ويقال لها قسطرا دبيث زبداي (٧) وهي على الدجلة في الجهـة اليسرى في شمال غربي الجزيرة على مسافة خمس ساعات منها. امّا الجزيرة فقد بناها العرب المسلمون وسمّوها

---

(١) توما ٤٠٨ (٢) فيه ١٠٥

(٣) مخطوطات اسقفية ماردين الكلدانية العـدد ٨ . ان عمرو ١٢٢ و١٢٤ يكتب التل وبربري

(٤) توما ١٥٩ (٥) عمرو ١٠٣

(٦) قاموس بر بهلول ١٤٦٠

(٧) المغة ب : و ٥

جزيرة ابن عمر والكلدان سمّوها ܓܙܪܬܐ ܕܒܝܬ ܙܒܕܝ . ٢ قردو (باقردا او باقردى او قردي) وهي القطعة المعروفة اليوم ببهتان ويحيطها شمالًا وغرباً نهر بهتان وهو الدجلة الشرقي وجنوباً الدجلة وبيث زبداي . وقاعدة قردو ثمانون وهي في لحف جبل جودي تجاه شرناخ . ٣ بيث مكسايي وهي مكس الحاليّة في شمالي قطعة بهتان وفي جنوبي بحيرة وان . ٤ أرزون تمتد من نهر الدجلة الشرقي الى ميـاه بطمان . واشهر مدنها ارزون وسعرد . امـا ارزون فكانت بين سعرد وميافرقين وترى الان اخربتها في قضاء غرزان في محل يقال لهُ خراب باژار اي المدينـة الخربة نحو ١٠ ساعات عن سعرد . ٥ أوستان ارزون . ٦ بيث رحيماي . ٧ قوبا ارزون . ٨ طيباثا ومواقع هذه المراعيث مجهولة . والباثق ان الاوّل كان في شمالي ارزون . والثاني في اطراف كلي كوان في قضاء شطاق . والثـالث قوباني الحاليّة في قضاء غرزان . والرابع طيباثا الحاليّة (١) في اطراف ماردين . ٩ بلد وهي على الدجلة في شمالي الموصل على مسافة سبع ساعات منها ويقال لهـا الان اسكي موصل . ١٠ آذورمية بين الموصـل ونصيبين . ١١ كفرزمّار على الدجلة بقرب الموصل . ١٢ سنجار وبالكلدانية ܫܝܓܪ وهي في غربي الموصل وسكانها الان كلهم يزيديّة . ١٣ كانوش (كدنس) بقرب سنجار

ثم انهُ في تمادي الازمان ولا سيّما في دولة العرب المسلمين ازداد عدد المراعيث المتعلّقة بكرسي نصيبين المطرابوليطي في البلاد التي كانت قبلًا في حكم الروم . فمن هذه المراعيث : ١٤ اخلاط وهي في ارمنيّة على ساحل بحيرة وان . ١٥ ميافرقين (ܡܝܦܪܩܛ) قاعدة بلاد صوپ الممتدة من حدود ارزون الى الدجلة . ١٦ آمد وهي ديار بكر الحاليّة . ١٧ حران . ١٨ رأس العين . ١٩ ماردين . ٢٠ الرقـة . وهذه المدن كلّها في ما بين النهرَين ومواقعها معروفة

ومن البلاد التي تخلّقت باخلاق الكلدان او كان اصل سكّانها كلداناً : بيث

(١) في كتاب السنهادوسات (ص ١٦٥) اتى اسم طيباثا مضافاً الى اسم القرتاويّة (ܠܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܒܝܬ ܩܪܛܘܝܐ ܘܕܛܝܒܘܬܐ) فاستنتج شابو من ذلك ان هذا المرعيث كان في شرق الزاب الاصغر فوق اربيل (فيه ٦٧٥)

قطرايي وبالعربية قطر . فانّ سكان تلك البلاد كانوا يتكلّمون بالكلدانية (١) وظهر منهم علماء فطاحل كتبوا كلهم بالكلدانية منهم جبرائيل قطرايا واحوب قطرايا (٢) وداديشوع قطرايا(٣) واسحق اسقف نينوى (٤) . وكانت بلاد قطرايي في خليج العجم . قال بَر بهلول : القطريون والبحريون بالقرب من مجراة الاحساء والقطيف . [illegible] اهل سقطرة ونجران واهل يمامة . فترى ان المراد في تواريخ الكلدان النصارى ببيث قطرايي الجزائر التي في خليج العجم وجميع النواحي الشمالية الشرقية من شبه جزيرة العرب . واعظم هذه الجزائر ديرين ومشميغ (سماهيج) وكانت هذه بين البحرين وعمان . وعلى سواحل البحر تجاه هذه الجزائر كانت بلاد حطا المسمّاة بيطارداشير وبلاد مازون (٥) ومدينة هجر ([illegible]) كانت داخل البحرين

وكان كرسي بيث قطرايي المطرابوليطي يدير خمسة اساقفة وكراسيهم في ديرين ومشميغ وهجر ومازون (٦) وحطا (٧)

قلنا ان فتوحات الكلدان النصارى الدينية اتّسعت جدًّا . وقد صار لهم ايضاً كراسي مطرابوليطية في فارس وماداي وخوراسان وتركستان والهند والصين شرقاً وفي اران وبلاد الديلم وگيلان شمالاً وفي سوريا وفلسطين وجزائر البحر المتوسّط غرباً

١ — ان فارس الاصلية كانت محتاطة جنوباً بخليج العجم وغرباً بقرمانية وشرقاً بالاهواز وشمالاً بماداي (٨) . ومركز الكرسي المطرابوليطي مدينة

---

(١) قاموس بر بهلول ٧٣٤ (٢) الصوباوي في السمعاني [illegible]: ١٧٢ و١٧٥

(٣) راجع مقالتنا الفرنسية في داديشوع قطرايا

(٤) كتاب العفة [illegible] (٥) كويدي ٣٦

(٦) مازون كُتبت احياناً مارون (السنهادوسات ٧٦ و ١١٠) والنسبة اليها مارونايا (السنهادوسات ٢١٦ ورسائل ايشوعياب الحديابي ٢٤٨ و ٢٥١ و ٢٥٩) وهما غلط من الناسخ عوض مازون مازونايا

(٧) السنهادوسات ٢١٦ ورسائل ايشوعياب ٢٦٧

(٨) راجع شرفنامه ١ : ١١٦ — ١٢٦

ريواردشير وموقعها على نهر تاب في حدود فارس والاهواز. ومن المدن الاسقفية التي في فارس : اصطخر وبهشابور وقيش ودرابجرد وكازرون ومشكنا قردو (زموم الاكراد) وارداشيركوره واسمها القديم كور او جور ثم سمّيت پيروزآباد

٢ — ماداي ويسمّيها العرب جبل او العراق العجمي كانت محتاطة جنوباً بفارس والاهواز ورادان وشمالاً ببحر قزبين وشرقاً بخوراسان وسجستان وغرباً بآذربيجان وبيث كرماي (١) ومن اخصّ مدنها حلوان واتى اسمها في الكتاب المقدس حلح. وكانت في الجبال على حدود بلاشبار . قال ابو الفداء : «حلوان آخر حد العراق من جهة الجبل بينها وبين بغداد خمس مراحل» وهمدان وهي اقبطان القديمة. والري في ماداي العليا على حدود خوراسان بينها وبين طهران ٤٥ كيلومترًا . وكان في ماداي كرسيّان مطراپوليطيان : كرسي حلوان وكرسي الري. اما كرسي حلوان ويُقال لهُ ايضاً كرسي همدان لانهُ في الاجيال الاخيرة انتقل اليها فراعيثه الاسقفية المعروفة هي : ١ نهاوند في جنوبي همدان على مسافة ٦٠ كيلومترًا عنها . ٢ مسبذان في ناحية سيروان بالجبال بينها وبين جسر نهروان ست مراحل . ٣ بلاشبار في وادي نهر ديالة بينها وبين كركوك اربع مراحل. ٤ شهرزور بين بلاشبار وبيث كرماي. ٥ اصبهان وهي معروفة. ٦ دينور في غربي همدان عند كرمانشاه

وكرسي الري المطراپوليطي المسمّى بيث رازيقايي لا نعرف تماماً عدد الكراسي الاسقفية المتعلّقة بهِ. والمعروفة هي: قاشان في شمالي اصبهان على مسافة ١٥٠ كيلومترًا عنها . وقُوم في غربي همدان تبعد عن قاشان ٨٠ كيلومترًا

٣ — اران او كرجستان كانت بين البحر الاسود وبحر قزبين اي بين نهرَي كور وأراس او ألكز . وعاصمة اران كانت بردعة وفيها الكرسي المطراپوليطي والمدن الاسقفية التي تحت طاعتهِ : كرج . وأللان في قوقاس . وپيدانكران في شمالي آذربيجان على نهر اراس. وكان ايضاً تحت ولاية مطران بردعة بعض اساقفة في ارمنية الغربية غير اننا نجهل كراسيهم

(١) راجع عن جغرافية ماداي شرفنامه ٤ : ٨٦ — ١٠٠

٤ — بلاد الديلم وكيلان على سواحل بحر قزبين الغربيــة والجنوبية . وكان للكلدان النساطرة في الديلم وكيــلان كرسيان مطرابوليطيان (١) . ولا نعرف الكراسي الاسقفية المتعلّقة بهذين الكرسيّين سوى كرسي موقان او موغان (٢) .

٥ — خوراسان كانت في شرقي بحر قزبين . وحدودها سجستان وفــارس وصحراء ايران وما وراء النهر وقسم من تركستان . وكان في خوراسان كرسيان مطرابوليطيان وهما : مرو وهرات . اما الكراسي الاسقفية المعروفة الخاضعــة لكرسي مرو فهي : ١ طوس وكانت قبلًا قاعدة خوراسان وآثارها في شمال غربي مشهد على مسافة ٢٢ كيلومترًا منها . ٢ مروالرود على مسير نحو ثلاثة ايام من مرو . ٣ جرجان في شرق جنوبي بحر قزبين . ٤ دعبرستاي . ٥ سرخس بين ابرشهر ومرو . ٦ ابرشهر وهي نيشابور الحالية . ٧ آبورد في جنوبي خوراسان وكان اسقفها يسوس ايضاً شهرپيروز ٨ آمول في طبرستان في جنوبي جبل دماوند وكانت كيلان تحت تدبيرها قبل ان يصير فيها اسقف

والكراسي الاسقفية المتعلّقة بكرسي هرات المطرابوليطي لا نعرف منها سوى پوشنج وهي كوريان الحالية في غربي هرات . وقدستان او قِــدس بقرب هرات . وكان مطران هرات يتسلّط على اساقفة سجستان ايضاً وموقع سجستان في الجهة الغربية الجنوبية من افغانستان الحالية ومن مدنها فره . وزرنغ . وروخوت (رخود) . وبست وكانت على ساحل نهر هندمند . وقش (خواس) على نهر خواس

٦ — ان ما وراء النهر بلاد واسعة يقال لهــا توران واسمها القديم سغديانه . وكان يحيط بها من جهــة الغرب حدود خوارزم ومن الجنوب نهر جيحون من بذخشان الى ان تتصل بحدود خوارزم . ومن مدنها بخارى وسمرقند وفرغانــة . واعظمها سمرقند وفيها كان الكرسي المطرابوليطي . اما الكراسي الاسقفية المتعلقة به فلا نعرفها . وتركستان ايضاً كانت ما وراء النهر وحدودها الصين وتيبت . والكرسي المطرابوليطي كان في كاشغر . والكراسي الاسقفية المرتبطة به لا نعرف منها سوى قار او قيمر

---

(١) توما ٢٧٦ (٢) فيه ٢٨٩

٧ — بلاد الصين كانت تُقسم في جغرافية الشرقيين الى قسمين : الصين العليا او الشمالية وتُسمَّى الصين او بلاد الخطا وقاعدتها خان بالق او پكين . والصين السفلى او الجنوبية وكانت تسمّى ماصين وقاعدتها خمدان او نانكين . وكان للكلدان النساطرة في الصين كرسيَّان مطرابوليطيان في خان بالق وتنكت . اما الكراسي الاسقفية الخاضعة لها فليست معروفة . لكنها كانت عديدة تبلغ اكثر من عشرين مرعيتاً . وقال كاتب تقويم الكنيسة النسطورية انهُ كان في الصين ثلاثة كراسي مطرابوليطية وعشرة كراسي اسقفية

٨ — بلاد الهند معروفة . وكان فيها كرسي مطرابوليطي في مدينة آنغامال او كرسيان . والكراسي الاسقفية كانت عديدة في جزيرة سيلان وقرانغول ويالور وكولام وكوخي وكمانور وكلكوتا وغويا وكوشين وغيرها . وعلى زعم مؤلف تقويم الكنيسة النسطورية كان في بلاد الهند احد عشر كرسياً اسقفياً

٩ — بلاد سوريا تشمل ولايات بيروت وحلب ودمشق ومتصرفية القدس . والكرسي المطرابوليطي كان في دمشق . والمراعيث الاسقفية المتعلّقة بهِ كانت في حلب ومنبج ومصيصة وطرسوس وملاطية واورشليم ومصر . وكان يوجد ايضاً للكلدان عدَّة كنائس في بيروت وطرابلس وعكا وانطاكية وجبيل . ولعلّ اسقف صنعا كان هو ايضاً تحت حكم مطران دمشق لا بل قيل انهُ كان كرسيَّان مطرابوليطيان في بلاد العرب الواحد في الحجاز والآخر في اليمن وان الكراسي الاسقفية الخاضعة لهما كانت تسعة (١) وفي الجيل الحادي عشر جُعل كرسي مصر الاسقفي كرسياً مطربوليطياً (٢) الامر الذي يدلّ على ان النساطرة كانوا هناك جدّا (٣). وكان ايضاً كرسي مطرابوليطي في جزيرة قبرص اما الكراسي الاسقفية الخاضعة لهُ فمجهولة . ويقول مؤلف تقويم الكنيسة النسطورية ان مطران قبرص كان تحت يده اسقفان

(١) تقويم الكنيسة النسطورية ٧ - ٨ (٢) ماري ١٢٥

(٣) مؤلف تقويم الكنيسة النسطورية يقول انهُ كان في مصر واسكندرية كرسيَّان مطرابوليطيان للنساطرة وسبعة كراسي اسقفية

الكتاب السابع

في اخبار كلدو واثور منذ الجيل الاول للمسيح
الى الجيل الرابع

~~~

الفصل الاول

في اوائل النصرانيَّة وتقليد الكنائس الشرقية
عن أدّي وماري وكرسي المدائن

انهُ في عاصمة الكلدان صارت النبوة الصريحة على زمان مجيء المسيح. هناك قال جبرائيل الملاك لدانيال النبي: «بعد سبعين اسبوعاً يأتي المسيح القائد (١).» وفي بلاد الكلدان ايضاً عرف الحكماء المجوس ان هذه المدّة قد تمّت وقد وُلِد المسيح. فاجتمع بعضهم وانطلقوا الى فلسطين وسجدوا قبل جميع الامم ليسوع الطفل وقدَّموا لهُ ذهباً ولباناً ومرًّا مقرّين بلاهوتهِ وكهنوتهِ وآلامهِ المستقبلة. ومن المحتمل انَّهم لمَّا رجعوا الى وطنهم بشَّروا بالمسيح المولود. فالانجيل المقدس يسمّيهم مجوساً. وكانوا ملوكا وحكماء فلكيّين حسبما اتى بهِ التقليد. او على الاقلّ كانوا رؤساء اقوامهم. وكانوا ثلاثة على رأي بعض العلماء. او اثني عشر على رأي غيرهم

ولمَّا ظهرت الديانة المسيحية كان العالم المعروف حينئذٍ مقسوماً الى مملكتَين عظيمتَين: وهما مملكة الرومانيّين ومملكة الفرثيّين. وكانت مملكة الرومانيين تشمل معظم بلاد اوروبا وافريقيا واسيا الصغرى وسوريا كلّها وقاعدتها مدينة رومية. اما مملكة الفرثيّين فكانت تشمل ما بين النهرَين واثور وكلدو ومادايي وفارس وعاصمتها المدائن. وكانت مملكة الرومانيين مرتبة منظَّمة ومقسَّمة الى

---

(١) دانيال ٩: ٢٤ و ٢٥
~~~

ولايات . واما مملكة الفرثيّين فبعكس ذلك كانت مركّبة من ممالك شتّى صغيرة لكل واحدة منها ملك يحكم عليها . وقد تكلّمنا عنها في المجلد الاول

وكان المالك في اورهاي على زمان المسيح أبجر الخامس المعروف بأوكاما . فكتب الى المسيح يدعوه اليهِ ليشفيهُ من مرضهِ . فجاوبه يسوع انّهُ سيرسل اليهِ واحدًا من تلاميذه . ففرح أبجر بذلك وبعث رجالًا الى المسيح ليرسموا صورته . أما يسوع فاخذ منهم منديلًا ووضعه على وجهِ فطُبعت عليهِ صورته وارسلها للملك اورهاي . ثمّ من بعد صعود المسيح الى السماء اتى مار أدّي الى أورهاي وهو من جملة الاثنين والسبعين تلميذًا . فشفى أبجر من داء النقرس الذي كان مبتلياً بهِ . ونصّره مع زمرة من اهل مدينتهِ

وكان لمار ادّي عدّة تلاميذ منهم ماري وأكّاي . فاخذ معــه ماري وطاف بلاد نصيبين واثور وبيت گرماي وتلمذ خلقًا كثيرًا وتوفي اخيرًا مار ادّي في اورهاي وخلفهُ هناك تلميذه أكّاي . وكان الملك أبجر قد مات وتولّى الامر احد اولاده . وكان هذا قاسياً متمسّكاً بالوثنية فامر بقتل أكّاي

امّا ماري فبشّر في نصيبين وارزون . ومن تلاميذه أناسيموس وفيلبّوس وأدّا وطوميس ويابا وايوب وملكيشوع . وارسل فيلبّوس الى قردو وطوميس الى داسان وارمنيّة الصغرى . امّا هو فبقي يطوف بلاد حدياب وبيت گرماي ورادان وكشكر وساليق وميشان والاهواز . ونصب كرسيّة في ساليق . وبنى كنيسة في دير قوني بالقرب من المدائن وفيها توفي

هذه هي خلاصة سيرة مار أدّي ومــار ماري اللذين تفتخر بهما الكنيسة الكلدانية وتنسب اليهما القداس المستعمل عندها الى اليوم . واعلم ان حكاية أدّي وأبجر الملك اتت بها كل النصوص التاريخية المتداولة في ايدي الكلدان والسريان والارمن واليونان (١) . وامّا قصة ماري فتداولتها أيدي الكلدان فقط (٢)

---

(١) راجع ملفانوت ادي في كورتون : النصوص السريانيّة القديمة لوندرا ١٨٦٤ ص ١ — ٢٣ . وبيجان 2 : ٤٥ — ٥١ . وتاريخ اوسابيوس 2 : مد . وماري ١ — ٣ وابن العبري ك : ١٤ . وميخائيل ٩٣

(٢) بيجان 2 : ٥٢ — ٩٤

ان الكتبة المحدثين من الافرنج المعروفين بالمستشرقين ينكرون صحة هتين القصتين (١). واخصّ ادلتهم قولهم ان اول ملك نصراني قام في أورهاي هو أبجر التاسع (١٧٩—٢١٤) لانّ جميع الملوك الذين حكموا قبله منقوش على النقود المضروبة بأسمائهم تاج وعليه صورة القمر وثلاث نجوم الامر الذي يدلّ صريحاً على انهم كانوا وثنيّين . ويدّعون ايضاً انه مكتوب في نهاية ملفانوت اديّ ان أكّاي لكونه لم يقدر ان يسيم احدًا قبل موته ذهب تلميذه پالوط الى انطاكية وهناك قبل الرسامة من يد سرافيون الاسقف. وسرافيون نفسه ارتسم عن يد زفيرينوس اسقف رومية وخليفة بطرس الرسول . والحال ان سرافيون جلس على كرسي انطاكية من سنة ١٩٠ الى ٢١٠. وزفيرينوس دبّر كرسي رومية من سنة ١٩٨ الى ٢١٧. فيستنتج المستشرقون من هذا كلّه ان اديّ اتى الى اورهاي وكرز فيها بعد منتصف الجيل الثاني. وان أبجر المذكور في قصته هو أبجر التاسع لا أبجر الخامس الذي كان على عهد المسيح . وانّ كنيسة اورهاي اخترعت تعمُّدًا حكاية مار اديّ هذه خالطةً بين أبجر الخامس وأبجر التاسع لكي تُظهر للناس انّها رسولية يرتقي عهدها الى زمان المسيح ورسله

وكذلك قصة ماري لا يثقون بصحتها. ويدّعون انّها كُتبت بعد الجيل الخامس لأنّه مذكور فيها انّ الشعوب الذين تلمذهم ماري كانوا يسجدون للشياطين الساكنة في الاشجار والأحجار. وقلّما تجد فيها اشارةً الى عبادة النجوم المشتهرة في بابل وعبادة النار التي في فارس. والمعجزات المنسوبة الى ماري مستعارة من كتب اخرى ولا سيّما من كتاب دانيال. والامر الاغرب انّهُ مكتوب في القصّة انّ پاپا خلَفَ ماري في كرسي المدائن مع انه صار جاثليقاً في نهاية الجيل الثالث. فيستنتجون ايضاً من ذلك انّ الديانة المسيحيّة لم تنتشر في كلدو واثور قبل الجيل الثالث

فنجيب: ان الادلّة التي يأتي بها المستشرقون لاثبات زعمهم ضعيفة. ولا ننكر انّ ملفانوت اديّ وقصة ماري أُدخِل فيهما اشياء كثيرة لا صحة لها. وهذا شأن كلّ

وماري ٣ — ٥ . وعمرو ١ — ٢. وابن العبري ﻟـ : ١١ وما يلي

(١) دوقال : تاريخ اورهاي ٨١ — ١٠٢ . والاداب السريانية ١٠٣ — ١٢٠ . ولابور ١٢ — ١٥

القصص التي بعد زمان طويل لحدوثها تُدوَّن في بطون الاوراق . فانّ التقليد كلّما عتق ومرّ عليه الزمان أُلبسَ صاحب الحكاية حلّةً جميلة لم تكن عليه قبلًا . فمن هذا القبيل هي المعجزات الموجودة في قصّة ماري . ومؤلّف القصّة يشير الى ذلك بقوله : « حيث انّ هذه القصة لم تُكتب في وقتها اني اتبع التقليد القديم المتداول في الكتب (١) » . ثمّ ان كثيرًا من النساخ الجهال يزيدون مرارًا من عندهم اشياء موافقة لبضاعتهم ومن هذا القبيل هي الزوائد التي في ملفانوت ادي كقبول بالوط الرسامة من سرافيون اسقف انطاكية وخلافة يابا لماري في المدائن . لمّا وجود القمر والنجوم على نقود ملوك اورهاي فلا يثبّت انّ جميع اولئك الملوك كانوا وثنيّين . فانّ ابجر الخامس مثلًا لا بدّ من انّه قبل ان يتنصّر رسم شعاره على النقود التي ضربها نظير الملوك الوثنيّين الذين سبقوه ولحقوهُ على سرير المملكة

ثمّ انّ المستشرقين يزعمون انّ الذين استبدلوا تعمدًا حكاية ادي وابجر اقتضى لهم مدّة طويلة بعد وفاة ابجر التاسع حتّى يشيّعوا في بلدتهم انّ ابجر المتنصّر ليس ابجر التاسع بل ابجر الخامس . وعليه نقول : انّ هذه المدّة الطويلة التي يطلبها المستشرقون لاشاعة هذه الحكاية الملفّقة على زعمهم عبارة عن ثلاثين او اربعين سنة . فانّ ابجر التاسع انقرض ملكهُ سنة ٢١٦ . وعلى قول المستشرقين انفسهم انّ الحكاية المذكورة كانت قد شاعت في اورهاي في منتصف الجيل الثالث (٢) . لأنّ اوسابيوس القيصريّ يذكرها كواقعة تاريخية لا ريب فيها . وقبل ان تصل اليه الحكاية اقتضى لها مدّة من الزمان حتى تشيع في اورهاي . فترى كيف قدر احد الرهاويّين في تلك المدّة القصيرة ان يموّه على عقول بني وطنه انّ ابجر الذي تنصر ليس ابجر التاسع بل ابجر الخامس المعاصر للمسيح حال كون الذين رأوا أبجر التاسع كانوا بعد في قيد الحيوة . فاذا ثبت ذلك نقول : انّ الديانة المسيحيّة انتشرت في بلادنا الشرقية منذ الجيل الاول للمسيح على يد اديّ وماري وتلاميذهما . وما عدا ملفانوت اديّ وقصّة ماري لنا ادلّة اخرى كثيرة . من ذلك انّه مذكور في قصص الرسل انهُ بين الذين رأوا

---

(١) بيجان 1 : ٥٢

(٢) دوقال : تواريخ اورهاي ٩٠ — ٩١

عياناً حلول الروح القدس على التلاميذ كان الفرثيّون والماديّون والعيلاميّون وسكان ما بين النهرين . فهذا مما يدلّ اقلما يكون على انّ الكنائس التي في المملكة الرومانية كانت تعرف في اواخر الجيل الاول للمسيح انّه يوجد نصارى في كلدو واثور

ومما يؤكّد هذا الامر انّ اقدم كتبة المغرب شهدوا به . قال ترتوليانوس في الكتاب الذي الّفه ضد اليهود في اواخر الجيل الثاني ما نصه : « أليس بالمسيح آمن كلّ الامم : الفرثيون والماديّون والعيلاميّون والذين يسكنون في ما بين النهرين (١) » . وكذلك ديونوسيوس الاسكندريّ الذي عاش في منتصف الجيل الثالث كتب انّه كان يوجد قبله كنائس مسيحيّة في ما بين النهرين (٢)

وكذلك برديصان في كتاب شرائع البلاد الذي الّفهُ في نهاية الجيل الثاني يعلن انّهُ منذ الجيل الاول كانت الديانة النصرانية قد انتشرت في كلّ بلاد الشرق وهاك كلامه (٣) : « ماذا نقول عن ملتنا النصرانية الجديدة التي انشأها المسيح في كلّ مكان وناحية انّنا حيثما وُجدنا نُعرف بمسيحيّين نسبةً الى اسم المسيح . . . وانّ الاخوة الذين في بلاد الفرثيّين لا يأخذون امرأتين والذين في فارس لا يتزوجون بناتهم . والذين في ماداي لا يهربون من امواتهم ولا يقبرونهم وهم احياء ولا يلقونهم للكلاب لتفترسهم . والذين في اورهاي لا يقتلون نساءهم واخواتهم الزانيات بل يتجنّبون منهنّ مسلّمين امرهنّ لدينونة الله . والذين في حطارا لا يرجمون اللصوص »

ونقدر ان نزيد على هذه الشواهد اولاً سلسلة الاساقفة الذين جلسوا على كرسي اورهاي منذ نهاية الجيل الاول الى بدء الجيل الثالث . وقد ذكرهم ميخائيل رابو اليعقوبيّ في كتاب تاريخه . ولكنه لم يعرّف عنهم سوى الاسم وهم : أكّاي وپالوط وعبشلاما وبرسميا وتيريدت وبوزني وشالولا وعبدا وكوريا وعبدا وايزني واوشتاسب وعقي (٤) . ثانياً انّ مدينة اورهاي اصبحت منذ منتصف الجيل الثاني

---

(١) ترتوليانوس : ضد اليهود (٢) ضد اوسابيوس ٥ : ٥

(٣) برديصان طبعة نو باريس ١٨٩٩ : ٢٩

(٤) تاريخ ميخائيل : ١٨٣ و ١٨٥

منتدى المهراطقة اذ انه فيها ظهر برديصان وططيانوس الشهيران نحو سنة ١٧٠ كما سترى في الفصل الرابع وفيها عُقد نحو سنة ١٩٧ مجمع مركّب من اساقفة ما بين النهرين لتعيين عيد الفصح(١) . واستشهد فيها في اوائل الجيل الثاني القديس شربيل الذي تنصَّر على يد الاسقف برسميا كما سيأتيك في الفصل الثالث . فهذا كله يدل جليا على انَّ الديانة النصرانية كانت قد عمّت بلاد ما بين النهرين منـذ منتصف الجيل الثاني وقد زُرِعت فيها اقلها يكون في نهاية الجيل الاول . ثالثاً سلسلة اساقفة اربيل وقد اتت في اقدم كتاب تاريخي بلغ الينا من اجدادنا الكلدان النصارى اذ انّ مؤلّفه مشيحا زخا عاش في الجيل السادس . ومشيحا زخا نفسه يستشهد بتاريخ هابيل الذي سبقهُ . وهو يسرد سلسلة اساقفة حدياب سرداً متناسقاً ويذكر اخبـار كلٍّ منهم فرداً فرداً مع بيان اصله واعماله وتسطير مدّة جلوسه . وكان أوّلهم بقيـدا ودَبَّر كرسيّ اربيل منذ سنة ١٠٤ الى سنة ١١٤ وهذا تراه في الفصل الثاني

فمن هذه النصوص والادلّة التاريخيّة لا يبقى ريب في امر انتشار النصرانية في كلدو واثور منذ الجيل الاول للمسيح . فلا بُدَّ اذاً من مبشّرين قد اتوا وزرعوا فيها بذور الايمان . فالتقليد الشرقي يثبّت ان ادّي وماري هما اللذان بشّرا اولاً في بلادنا . واقـدم التواريخ الكلدانية والكتب الطقسيّة تؤيّد صحّة هذا التقليد : فانّ مشيحا زخا الذي سبق الكلام عنه يقول : انّ ادّي كرز بالانجيـل في حدياب واطرافها وانّ بقيدا الذي صار اسقفا على اربيل سنة ١٠٤ كان من تلاميذه . وقال ايضاً برحدبشبا عربايا في مقالته في مدرسة نصيبين التي كتبها في نهاية الجيل السادس انّ مؤسّس كنيسة اورهاي كان ادي وتلميذه (٢) . ولا يذكر اسم هذا التلميذ . ولا بدّ من انهُ يريد به ماري . ومؤلف تاريخ كرخ سلوخ الذي عاش في الجيل الخامس او السادس يقول ان ادّي وماري اتيا الى بيت كرماي وبشّرا فيها بالانجيل (٣) . كذلك الاسـاقفة الذين اجتمعوا على باب خوسرو الثاني سنة ٦١٢ يشهدون انّ

---

(١) تاريخ اوسابيوس ٥ : ٢٣ . قابل ايضاً دوقال تاريخ اورهاي ١١٣ ١١٤

(٢) ص ٦٨ (٣) بيجان ك : ٥١٢

مؤسس كنيستهم هو ادي الرسول (١)٠ ثمّ انّ اغلب العلماء المدقّقين قد اجمعوا رايهم على انّ قداس الكلدان المسمّى بقداس الرسل والمنسوب الى الرسولين ادي وماري هو من اقدم ليترجيات العالم (٢)

فممّا قلنا يظهر واضحاً انّ الديانة المسيحية انتشرت في بلادنا الشرقيّة منذ الجيل الاول وانّ ادي وماري هما اللذان زرعا فيها بذور الانجيل٠ ومن خلال الاشياء الكثيرة العجيبة التي كُتِبت عنهما في قصّتيهما يظهر انّهما بشّرا في اورهاي وارزون وبيت زبداي وحدياب وبيت كَرماي وكشكر والاهواز وغيرها من البلاد المجاورة٠ واماً المدائن فالبائن من قول مشيحا زخا انّه لم يؤسّس فيها كنيسة منذ البدء٠ ويشير الى ذلك ايضاً مؤلّف قصة ماري بقولهِ : انّ القديس ماري اذ راى ان ليس له من سبيل على الدخول الى ساليق اضطرّ ان ينزل أولاً الى كشكر

ومع ذلك فالتقليد الشائع عند الكلدان النساطرة واليعاقبة انّ ماري نصب كرسيّه في المدائن٠ والاساقفة الذين خلفوه الى نهاية الجيل الثالث هم الآتية اسماؤهم (٣) :

أبريس وهو من قرابة مار يوسف خطيب مريم العذراء٠ وأسامه شمعون بن قليوفا وتوفي سنة ١٠٧ ٠ وفرغ الكرسيّ بعده اثنتَين وعشرين سنة

ابراهام٠وهو من قرابة يعقوب الملقّب باخي الرب وبصلاته زال الاضطهاد الذي اثاره ملك الفرثيّين على النصارى٠ وقضى نحبه سنة ١٥٢ ٠وخلا الكرسي بعده ١٩ سنة

يعقوب٠ وكان هو ايضاً من قرابة مار يوسف ومات سنة ١٩٠ وفرغ الكرسيّ بعده ١٤ سنة

احاد ابوي٠ كان يعقوب سالفه قد اشار على اثنين من تلاميذه وهما أحاذ آبوُي وقاميشوع ان يذهبا الى انطاكية ليسام احدهما اسقفاً مكانه فسعي بهما انهما من الجواسيس ٠ فقبض الرومانيون على قاميشوع وقتلوه هو وبطريرك انطاكية ٠ اما

---

(١) السنهادوسات ٥٨١ (٢) راجع المشرق لك : ٦٨٤ — ٦٨٧

(٣) ماري ٥ — ٨ . وعمرو ٢ — ١٣ . وتاريخ ابن العبري ١٩ — ٢٧

أحاد آبوي فهرب الى اورشليم وهناك أُسيم اسقفاً . فمنذ ذلك الحين رخّص الاساقفة الغربيّون للاساقفة الشرقيين ان يرسموا هم اسقفا للمدائن . وامروا ان يكون هذا الاسقف رئيسا على كلّ الكنيسة الشرقية . وتوفي أحاد آبوي سنة ٢٢٠

شحلويا . كان عالماً عارفاً بالامور يحبّ المساكين ويجتهد بالمدارس وهو من مدينة كشكر ومات سنة ٢٤٤ وفرغ الكرسي بعده سنتين . ثمّ جلس مكانه بابا بن عكّاي

هذا ما يؤخذ من تواريخ ماري وعمرو وابن العبري وغيرهم

الفصل الثاني

في اساقفة اربيل (١٠٠ — ٣٠٠)

انّ اول جماعات نصرانية قامت في بلادنا تألّفت من اليهود . ويدلّ على ذلك اسماء اول اساقفة اربيل وهم يقيدا وشمشون واسحق وابراهام ونوح وهابيل . وكان اليهود كثيرين في كلدو واثور . وبقوا عندنا منذ جلاء بابل ونينوى . ومركزهم في نهارديا وپيروز شابور وپومباديتا وسورا وماحوزا . وكان دأبهم فلاحة الارض والاشتغال بالصنائع . فراقت احوالهم وصار لهم مدارس شهيرة ورئيس مسموع الكلام في المملكة يقال له ريش گالوتا (ܪܝܫ ܓܠܘܬܐ) اي رئيس الجالوت (١) وما عدا اليهود انضمّ ايضاً الى الديانة المسيحية اقوام وثنيّون فازداد عددهم . ولكن لسوء الحظ لم يصل الينا شيء يستحق الذكر من اخبار اجدادنا النصارى في الاجيال الثلاثة الاولى غير انّ مشيحا زخا المؤرّخ حفظ لنا في كتاب تاريخه احوال كنيسة اربيل كما نسردها هنا . ومن كتابه هذا يتّضح انّه في مبادئ الجيل الثالث كان اسقف لكلّ من كشكر وبيت لاپاط وهرمزداشير وپراث ميشان وبيت قطرايي والاهواز وحلوان وكرخ سلوخ وبيت نيقاطور وحرباث كلال وشهرقرد واربيل وحانيثا وبيت زبداي وسنجار وبيت مسكيني وبيت حزايي وغيرها . فهذه الكنائس كلّها لا بدّ من انها انتظمت منذ مبادئ الجيل الثاني

---

(١) گراتز تاريخ اليهود ١٦٥

قال المؤرخ مشيحا زخا : من الذين تتلمذوا لمار ادّي في اربيل پقيدا وكان من عائلة فقيرة وتنصّر نحو سنة ٩٩. فاضطهده اهلــه وحبسوه لكنّه هرب ولحق بمار ادّي وهو يكرز بالانجيــل في جبال حدياب وبقي عنده خمس سنوات. ثم جعله اسقفاً وارسلــه الى اربيل سنة ١٠٤ ونصّر پقيدا اهله وكثيرين من سكّان المدينة وتوفّي سنة ١١٤ ودُفن في منزل اهله

وبقي كرسي اربيل فارغاً ستّ سنين. والظاهر انّ سبب ذلك انتشاب الحرب بين الفرثيّين والرومانيّين (١). فان الفرثيّين استولوا على ارمنية التي كانت تحت حكم القياصرة. فحمل طريانوس سنة ١١٥ على خوسرو الملــك واستولى على ما بين النهرين وحدياب وافتتح ساليق ولكن هذه البلاد لم تلبث ان خلعت طاعته ودخلت ثانية سنة ١١٧ تحت حوزة الفرثيّين. فلمّا عمّ السلام في المشرق ذهب مزرا اسقف بيت زبداي سنة ١٢٠ الى اربيل فوضع يده على شمشون الشماس ورسمه اسقفاً . وكان شمشون فاضلاً غيوراً ونصّر كثيرين من الاهالي. فشقّ ذلك على اعيان البلدة فهجموا عليه وقتلوه سنة ١٢٣

وكانت مدينة كرخ سلوخ بلا اسقف. وكان اسقف شهركرد ينظر في امورها الروحية . وعلى رواية مؤلّف تاريخ كرخ سلوخ (٢) انّهُ نحو سنة ١٣٠ اي في عهد ادريانوس قيصر (١١٧ — ١٣٨) اذ صار اضطهاد على نصارى المغرب اتى المشرق بعض الاساقفة والكهنة وكان في جملتهم طوقريطي. وباذن اسقف شهركرد تعيّن اسقفاً على كرخ سلوخ وبنى فيها كنيسة ووضع قوانين للكهنة والشمامسة وخلفه على الكرسي عبد يشوع

وبعد شمشون جلس على كرسي اربيل اسحق. فهذا الاسقف تلمذ حاكم اربيل وكان اسمه رقبخت وعمّدهُ خفيــةً خوفاً من اولغاش الثاني. وبواسطة رقبخت انتشرت الديانة النصرانية كثيراً في اطراف اربيل . واراد المجوس قتلــه ولم يتمكّنوا منــه. فنفخوا سمّهم على اسحق الاسقف وحبسوه فخلّصه رقبخت من

---

(١) راجع المجلّد الاول ص ١٦٧

(٢) بيجان ف : ٥١٢ — ٥١٣

ايديهم . وكان أُولغاش الملك يعزّ رقبخت . فارسلهُ بصحبة ارشاق القائد على البرابرة الذين حملوا على جبال قردو . وبدأ منه في تلك الحرب بسالة عظيمة ولولاه لهلكت عساكر ارشاق قاطبةً فصار فديةً عنها وسقط قتيلًا في معمعة القتال . وبكاه بكاءً شديدًا مار اسحق ونصارى اربيل . ولم يلبث الاسقف القديس ان لحقه الى القبر (١) ومما اشتهر بهِ انه شيَّد كنيسة جليلة في اربيل عُرفت باسمه وكانت باقية الى الجيل السادس

وقام بعد اسحق بالرئاسة ابراهام بن شليمون . وكان اصله من حيردا احدى قرى حِسْنا عربايا . وتنصر والده في زمان شمشون الاسقف . وبقي ابراهام الاسقف مدة في الجبال يبشّر بالانجيل ثم الجأته الاحوال ان ينزل الى اربيل ليبطّل الاضطهاد الذي اثاره المجوس على رعيته . وقصد المدائن حاملًا معه هدايا كثيرة الى رجال الدولة . لكنه لم ينجح برسالته هذه . فان اولغاش الثالث كان يتجهّز لمحاربة الرومانيّين وحمل على بلادهم . فخرج عليه واروس وقهرهُ وحاصر المدائن سنة ١٦٥ وفي تلك السنة عينها حدث وبأ شديد فالتزم الرومانيون ان يكرّوا على اعقابهم ودام الوبأ ثلاثة اشهر ومن جملة الذين ماتوا به ابراهام الاسقف

وجلس بعد ابراهام على كرسيّ اربيل نوح . وكان والداه من بريّة كشكر وذهبا الى اورشليم وهناك تنصر نوح . وفي رجوعهما استوطنا حدياب . ولزم نوح مار (٢) ابراهام . وواظب على الصوم والصلوة ويُروى عنهُ معجزات كثيرة . وقاسى في اسقفيته ضيقات شديدة من المجوس اذ انهم القوه في السجن خمس دفعات وجلدوه اثنتي عشرة مرّة . فالتزم ان يترك اربيل ويختفي في القرى . وتوجه الى اثور

(١) قال مشيحا زخا عن اسحق انهُ دبّر الكرسي ١٣ سنة فتكون وفاته سنة ١٣٦ . وقال عن خلفهِ ابراهام انهُ بعد ان جلس على الكرسي ١٥ سنة مات بالوبأ الذي فتك بالرومانيين لدى افتتاحهم المدائن فتكون اذًا وفاته على حسابه سنة ١٥١ غير ان الوبأ المذكور ظهر في عساكر لوقيوس واروس سنة ١٦٥ . فتكون وفاة ابراهام في تلك السنة عينها . فإمَّا ان يكون كرسي اربيل بعد موت شمشون او بعد وفاة اسحق قد فرغ ١٤ سنة وإمَّا ان يكون اسحق او ابراهام دبّر الكرسي ازيد ممَّا يذكره مشيحا زخا

(٢) مار لفظة كلدانية معناها السيّد وهي تعطى للاساقفة والبطاركة

حيث بقي سنة كاملة وتلمذ هناك خلقاً كثيراً . ثم رجع الى اربيل وبقي مختفياً فيها سنتين وتوفي سنة ١٨١ وقد دبر الكرسي ١٦ سنة . وبُني على قبره كنيسة عُرِفت باسمه

وبعد وفاة نوح ترملت كنيسة اربيل اربع سنوات من اجل الاضطهاد الثائر على المسيحيّين . فانّ المجوس كانوا ينهبون بيوتهم ويأخذون جبرًا اولادهم ليعلّموهم الديانة المجوسيّة . فلمّا كانت السنة ١٨٥ اجتمع المؤمنون وانتخبوا هابيل وذهبوا به الى زخا يشوع اسقف حانيثا فاسامه اسقفا . وكان هابيل من قرية زبرا يرعى غنم ابيه . وكان والده يبغضه لتغافله عن امر قطيعه . وذات يوم ضلّ نعجتان من ضأنهِ في الجبل . فضربه ابوه وطرده . فتوجّه هابيل نحو اربيل ونزل في كنيسة النصارى . فاعتنوا به وعمّذوه . وخدم ابراهام الاسقف وبعد وفاته لزم خلفه نوح . ولما صار هابيل اسقفاً ازال بوداعته الاضطهاد عن النصارى . وصار في ايامهِ حروب كدّرت حياته . فانّ نرساي ملــك حدياب لم يرافق اولغاش الرابع ملك الفرثيّين في غارته على الفرس (١) . ولما رجع اولغاش مظفرًا حمل على حدياب وقتل نرساي وخرّب مدنه ونهبها . ولم يعش هابيل مدّة طويلة بعد هذه المصيبة . فانّه بينما كان يطوف القرى ليسلّي مرعيثهُ (٢) توفي في قرية رَحطا . وأُتي بجسده ودُفِن في كنيســة اربيل . ولم يذكر مشيحا زخا مدّة جلوسه على الكرسيّ . والظاهر انهُ مات نحو سنة ١٩١ . اي في اوائل ملك اولغاش الرابع

وخلفه عبيد مشيحا (اي عبد المسيح) . وكان اصله من اربيل وسكن مــدة طويلة في انطاكية ودمشق وهناك تنصّر . ولمّا رجع الى اربيل لزم خدمة الكهنة وصارت الكنائس والاديرة في ايام رئاستهِ براحة وسكون . وقال عنه مشيحا زخا انه دبّر الكرسي خمساً وثلاثين سنة (٣)

---

(١) راجع المجلد الاول ص ١٦٨

(٢) المرعيث رعيّة الاسقف والابرشية رعية المطران وهي تحريف ܡܪܥܝܬܐ

(٣) ان ابراهام مات سنة ١٦٥ كما قلنا ونوح استمرَّ ١٥ سنة فتكون وفاته نحو سنة ١٨٠ وبعد مرور اربع سنين أُسيم هابيــل سنة ١٨٤ ومات سنة ١٩١ التي فيها ملك اولغاش الرابع . وقال عن حيران خليفة عبيد مشيحا انهُ في ايامهِ صارت محاربة بين ارطبان ملك

وقـام بعده حيران نحو سنة ٢١٦ وكان من اطراف بابل وقيل انّه في بدء رئاستهِ انـكسفت الشمس واغار ارطبان على بلاد الرومانيّين . فقاتله مقريانوس ثم عُقِد الصلح بين الطرفين . وفي ايامه ايضاً اي في ٢٨ نيسان سنة ٢٢٦ انقرضت مملكة الفرثيّين على يد ارداشير ملك الفرس من آل ساسان . ونصب ارداشير ايضاً كرسيَّهُ في المدائن . ونصَّر حيران خلقاً كثيرًا من الوثنيّين ودبّر كرسي اربيـل ٢٣ سنة (١)

وخلفه شحلوپا وكان من بيت أرمايي . وأبرأ بصلواته نـكيحا احد اكابر تلنياحا من مرضهِ فاعتنق نـكيحا الديانة المسيحية مع كثير من اهل قريتـهِ . وفي تلك الاثناء مات ارداشير الملك سنة ٢٤١ وخلفه ابنـه شابور وجرى لهُ حرب مع الخوارزميّين والمادّيين وقهرهم وغلب ايضاً الجليّين والديلوميّين . وانتشب ايضاً القتال بينه وبين الرومانيّين . وكان في جيشهِ قائد نصراني اسمه كزقان . فطلب هذا القائد الى شحلوپا ان يذهب الى المدائن فيزور النصارى الذين هناك . فاجاب الاسقف الى طلبتهِ ورافقـه نـكيحا مع اثنين من الشمامسة واسرهم العرب في الطريق . ولـكنهم بعد اربعة اشهر تمكّنوا من الفرار . ومـكث شحلوپا في المدائن سنتين وهو يـدبّر امور النصارى الذين فيها ورسم لهم كاهناً ثم رجع الى اربيل . وزاره شوحاليشوع اسقف بيت زبداي وبقي عنده سنة كاملة . وانطلقا سويةً الى حرباث كلال ورسونين ورسما هناك اسقفاً . ثم ذهبا الى شهركرد ورسما لها اسقفاً ايضاً لان اسقفها كان قد مات ودبّر شحلوپا كرسي اربيل ١٥ سنة

وجلس بعده على كرسي اربيل أحاذ آبوي . كان هذا في صغره قد ذهب الى

الفرثيين ومقريانوس ملك الرومانيّين . وقد جرى هذا القتال سنة ٢١٦ — ٢١٨ . فيظهر من كلام مشيحا زخا ان عبيد مشيحا دَبر الكرسي ٢٥ لا ٣٥ سنة ولعلّها غلطة من الناسخ

(١) على هذا المنوال تكون وفاته سنة ٢٤٩ ومشيحا زخا نفسه يقول انهُ بايام شحلوپا خليفة حيران توفي ارداشير ملك الفرس واضطهد مكسيمينوس قيصر نصارى المغرب فارداشير مات سنة ٢٤١ ومكسيمينوس ملك من سنة ٢٣٥ الى ٢٣٨ . فلا بدَّ من ان يكون جلوس شحلوپا قبل سنة ٢٣٨ التي فيها مات القيصر الروماني فتكون رئاسة حيران ٢٠ او ٢٢ سنـة لا غير

قطيسفون بسبب الحرب التي شبّت بين الرومانيّين والفرس. وهذه الحرب التي يشير اليهـا مشيحا زخا جرت سنة ٢٣٣ و٢٣٤ وفيها انتصر الكسندر سافيروس على ارداشير . ولمّا رجع أحاد آبوي الى اربيل تنصّر وتتلمذ لحيران الاسقف وفي مدّة رئاسته خلع كُونْبراشنَسب حاكم حدياب الطاعة لورهاران الثالث (٢٧٦ — ٢٩٣) وبنى لنفسه حصناً منيعاً في الجبـل وتبعه نحو ٥٦٠ رجلًا وصاروا ينهبون القفل ويقطعون الطرق وخرّبوا قرى كثيرة. فارسل ورهاران جنودًا للقبض عليهم لكنّهم رجعوا خائبين. ثم بعث جنودًا أُخر تحت قيادة زرهسپ. فاحتـال هذا القائد على الباغي وقبض عليهِ وذهب بهِ الى المدائن حيث سُلخ جلدهُ.

وفي تلك الاثناء اي نحو سنة ٢٨٠ طلب نصـارى المدائن الى احاد آبوي ان يذهب لزيارتهم نظير سلفه شحلوپا. فاجاب الى طلبتهم ورافقه زخا يشوع اسقف حرياث گلال وشبثا اسقف بيت زبـداي. وبقوا في المدائن سنة كاملة واصلحوا الامور العوجاء . وذات يوم قام شبثا في وسط الجماعة وكرز طويلًا وقابل بين غلبة المسيح وغلبة الملوك. قال: انّ غلبة المسيح فرّحت الجميع حتى اليهود والوثنيّين. وامّا غلبة الملوك فاثمارها الكبرياء والضيقات والموت. امّا الكبرياء فلانّ الملوك اذا انتصروا يتكبّرون فوق حدّهم ويعتبرون انفسهم آلهة وما مجازاتهم الاّ النار الابديّة . . . وكان بين الحاضرين احد المجوس فسعى بشبثا عند احد رجال الدولة. واتصل الخبر بالنصارى فاستخفوا وهرّبوا شبثا. واما بعضهم فتـداركوا الامر واعطوا هدايا كثيرة لاحد رجال الدولة اسمه رَدْكان وازالوا عنهم الخطر

ثمّ انّ نصارى المدائن الحّوا على أحاد آبوي ان يسيم لهم اسقفاً . فشاور بذلـك حَيّ بعيل اسقف شوشان. ووقع الانتخاب على پاپا بن عگاي ورسموه اسقفاً

انّ ما قاله مشيحا زخا عن احاد ابوي والاسقفَين اللذين معه وانهم بقوا سنةً في المدائن واصلحوا الامور المعوّجة وما قاله ايضاً عن موضوع كرازة شبثا وانتخاب پاپا يظهر منـهُ انه صار انشقاق بين نصارى المدائن وانّ كلًا من الكهنة او من الاساقفة كان يبذل جهده في ان يكون هو اسقفاً في عاصمة المملكة. ومن المحتمل ان المدائن كان لها اسقف قبل پاپا وتوفي وانّما من اجل تعيين خلف له صار فيها هذا

الشقاق . ومما يلمح الى هذا القول ما اتى في سنهادوس داديشوع : « انّ الآباء امروا ان يتلى اسم مار پاپا في سفر الاحياء قبــل جميع الذين سبقوه على كرسي المدائن ». وسنبحث عن پاپا في الفصل الرابع من الكتاب الثامن

وأمّا ما كان من امر احاد آبوي فانّه بعد ان وضع يده على پاپا رجع الى اربيل وهناك مات بعد ان دبّر الكرسي ١٨ سنة. وكانت وفاته في اوائل الجيل الرابع لانّه قيل عن خلفه شريعا انّه على ايّامه تنصّر قسطنطين الكبير (٣١٢)

الفصل الثالث

في الشهداء الذين تكلّلوا في الجيل الثاني والثالث

في الجيل الثاني والثالث بعد المسيح ظهر في كنيستنا الكلدانية بعض الشهداء منهم من دوّنت اخبارهم في تواريخنــا ومنهم من ذكرتهم تواريخ الكنيسة الغربيّة

ومن جملة الاولين الذين سقوا بدمائهم ارض كنيستنا العزيزة هو مار شمشون اسقف اربيل الذي استشهد سنة ١٢٣ وقد سبق الكلام عنه (١)

تكلّل في اورهاي نحو سنة ١١٥ القديس شربيل. وقد بلغت الينا قصّته مع جهاد برسميا الاسقف وطبعها كورتون في النصوص التاريخيّة السريانيّة القديمة. والاب بيجان في سيرة الشهداء. وهاك خلاصتها : في السنة الخامسة عشرة لطريانوس (١١٢) والثالثة لابجر السابع و ٤١٦ لاسكندر (١٠٥) امر طريانوس قيصر ان يقرّبوا الذبائح للآلهة ويضطهدوا النصارى. وكان شربيل رئيس الاحبار الوثنيّين هو المقدّم في تلك الاعياد ويترجم للشعب كل ما يسمعه من الآلهة. وكان في تلك الاثناء برسميا اسقفاً على اورهاي. فانطلق الى شربيــل واصحب معه تيردت القسيس وشالولا الشماس ولم يزل يلقي على مسامعه كلام الله حتى اقنعه هو واخته باباي. فلما وصل هذا الخبر الى مسامع لوسانيا حاكم المديــنة قبض عليه وعذّبه شديداً.

---

١) راجع ص ٩

ثمّ نشره بمنشار وقتل اخته باباي. وكان جهادهما في ٥ ايلول . وفي اليوم التابع قبضوا على برسميا الاسقف وعلّقوه على خشبة . وبينما كانوا يعذّبونه اتى امر من الملوك مآله : « انّ أمناءنا عرّفونا ان النصارى قوم يتجنّب من القتل والسحر والسرقة. لذلك امرنا ألّا يقتَلوا ». وللحال امر الحاكم بتخلية برسميا. وتذكار شربيل واخته عند اللاتين في ٢٩ كانون الثاني وتذكار برسميا في ٣٠ منه وعند السريان في ٨ تشرين الاول (١)

وقد اتى في نهاية قصّة برسميا : « انّه كان معاصرًا لفبيانوس اسقف رومية. وارتسم عن يد عبشلاما اسقف اورهاي. وعبشلاما رسمه پالوط الاول (اول اساقفة اورهاي) وپالوط رسمه سرافيون اسقف انطاكية وسرافيون قبل الرسامة من زفيرينوس اسقف رومية (٢). فيستنتج المستشرقون من هذه القطعة ان شربيل وبرسميا استشهدا في الاضطهاد الذي اثاره داقيوس قيصر من سنة ٢٤٩ الى ٢٥١ لأن فبيانوس دبّر كرسيّ رومية من سنة ٢٣٦ الى ٢٥٠

ولا ننكر ان القطعة المذكورة تؤيّد قول المستشرقين. لكنّا نظنّها زائدة ادخلها احد النساخ لكي يسلسل كهنوت اورهاي من كهنوت رومية. وممّا يؤكّد قولنا ان القطعة نفسها مكتوبة كما رأينا في ملفانوت ادي (٣). لعمري ان هذه العادة السمجة اعني اضافة الزوائد والتغيير في كتب التواريخ موجودة خصوصاً عند النساخ اليعاقبة وامثلة ذلك كثيرة منها الزوائد المدُخلة في ترجمتي اسحق اسقف نينوى ويوحنان برپنكايي النسطوريّين والتي تُظهر انّهما يعقوبيّان مع ان يوحنان برپنكايي شخص واحد مع يوحنان دلياثا ويوحنان سابا (٤). فعلى رايي ان شربيل وبرسميا استشهدا سنة ١١٥ وان لوسانيا المذكور في القصّة هو لوسيوس كويتوس الذي ضبط مدينة اورهاي واحرقها في تلك السنة عينها (٥). وقد اتى في كتاب ايليا النصيبينيّ

---

١) من الامر الغريب ان الكلدار السرياني يقول عن شربيل انهْ كان رئيس اساقفة انطاكية

٢) كورتون القطع التاريخية ٧١ — ٧٢

٣) راجع ص ٣

٤) دوفال الاداب السريانية ٢٣٤ . والمجلة الساميّة سنة ١٨٩٦ ص ٢٥٤ . والمجلة الاسياوية تموز وآب سنة ١٩٠٧ ص ١٦٢ حاشية ٢ ويوبنكايي طبعة منكنا المقدمة ٢ و ٤

٥) راجع المجلد الاول ص ١٦٧

انّه في سنة ١١٤ نشر يهود ما بين النهرين لواء العصيان على الرومانييّن فقتل منهم لوسيا بامر القيصر جمًّا غفيرًا لا يحصى . وكذا كتب اوسابيوس القيصري في كتاب تاريخه . فلابدّ من ان الرومانييّن قتلوا في اورهاي اليهود والنصارى معاً . وامّا الامر الملوكيّ المنوّه عنه في القصّة : ان الامناء عرّفونا ان النصارى بريئون ممّا يتهمونهم به الخ فهو جواب طريانوس قيصر لپلينوس الاصغر الذي تولّى على بيثينيّة سنة ١١٠ . فان هــذا الحاكم كتب الى طريانوس عن النصارى انّه لم يرَ فيهم جرماً يستوجب الموت فانهم يتجنَّبون السرقة والقتل والزناء . فاجاب طريانوس لا ينبغي التفتيش على النصارى ولا ان يؤمَر عليهم بالقصاص اذا سُعي بهم وتحقّق امرهم . ومنع منعاً شديدًا معاقبة النصارى اذا اشتكى عليهم اشخاص مجهولون (١) . فحالما وصل هذا الامر الى اورهاي اطلق الحاكم سبيل برسميا

وامّا شهداء كلدو الذين دوّن الغربيّون اخبارهم في بطون الاوراق فهم : مقيما ورفيقه اليهاب . پوليكرون ورفاقه . عبدون وسينون . مارتا وزوجها وابناها وقد ذُكر في هذه القصص عن مقيما وپوليكرون وعبدون ورفاقهم انهم نالوا اكليل الاستشهاد في عهد داقيوس قيصر لما اغار على بلاد الفرس . وانّ پوليكرون كان اسقف بابل . ولكنّ التواريخ لم تذكر عن داقيوس (٢٤٩ — ٢٥١) انّه زحف على المملكة الفارسيّة . وبابل كانت خربة في ذلك الزمان او بالحري لم تكن الّا قرية حقيرة (٢) . غير انّ العلّامة بارونيوس يقول انّه على ايام داقيوس ظلامٌ كثيف. فيحتمل ان هذا الملك حمل على بلاد الفرس وقد سكتت التواريخ عن ذلك . ولعل پوليكرون هو اسقف المدائن . فانّه كان يوجد اساقفة كما سبق الكلام في سالبق قبل پاپا . وهاك ما ذكره الغربيّون عن هؤلاء الشهداء

لا يذكر التاريخ عن مقيما واليهاب (٣) اين نالا اكليل الاستشهاد ويقول فقط

---

١) پلينوس : ܕ : ١٠ الرسالة ٩٧ و ٩٨ . وتاريخ اوسابيوس ܕ : ܠܓ

٢) مينان لغات فارس واثور المفقودة باريس ١٨٨٦ ܨ : ٩ — ١٠

٣) ان هذين الاسمين مكتوبان Maximus et Olympias فالظن ان ماكسيموس هو مقيما واوليمپياس اليهاب

انه لما اغار داقيوس على بلاد الفرس اتته عساكره بهذين الرجلين وكانا عالمين ومن اشرف عائلات الفرس. وحالما عرف القيصر انهما مسيحيّان امر بضربهما بالعصيّ والسياط. وكلّما ازداد القيصر غضباً ازدادا هما غيرةً على ديانتهما. ثمّ سلّم امرهما ليد احد ضباطه. فلاطفهما اولاً. ثم امر بقطع راسيهما. واتى بعض النصارى وكانوا من آل عبدون وسينون واخذوا جثتيهما ودفنوهما في بيوتهم. واتى ذكرهما في السنكسار اللاتيني في ١٥ نيسان

وخلاصة جهاد بوليكرون ورفاقه هي هذه. كان بوليكرون اسقف بابل. فامر داقيوس بالقبض عليه وعلى فرميان وأعليا وكاروزوتيل الكهنة ولوقا وموسى الشمّاسين وسيقوا كافةً الى هيكل الاوثان ليقدّموا لها البخور. ولما ابوا. قُطع لسان فرميان القسّيس وضُرب بوليكرون بقساوة شديدة حتى قضى نحبه. واماّ الباقون فقُطِعت روُوسهم. ونهى داقيوس عن دفنهم. غير ان عبدون وسينون اخذا جثثهم ودفناها باكرام عظيم. وكان استشهادهم في ١٧ شباط. وتذكارهم عند اللاتين في ٧ منهُ

اماّ عبدون وسينون فكانا اخوين شقيقين شريفين حسباً وعظيمين مرتبةً. وكانا من جملة الاسرى الذين اسرهم داقيوس قيصر واستاقهما الى رومية وهناك طرحهما في السجن وجلدهما بسياط مرصّصة ثم قطع رأسيهما في ٣٠ تموز وفيه يعيّد لهما اللاتين. وبقيت ذخائرهما مدفونة في بيت كويرينوس الشماس الى ان نُقِلت في زمان قسطنطين الملك الى مقبرة فنطيان. ويُرى في هذه المقبرة حتى الآن قطعة من الرخام عليها صورة هذين القديسين وعلى راسيهما تاج وقبع فارسيّان (١).

واما قصة ماري وزوجته مارتا وابنيهِ فقد شكّ في صحتها تيلمون وشاستيلين. لكن البولاندستيّين يخالفون هذا الراي ويقولون انّها صحيحة . كان ماري من بلاد فارس وهو شريف الاصل وكثير الثروة. وكان له زوجة اسمها مارتا وولدان يقال لهما اوديفا واباق. فباع ماري كل امواله وانطلق الى رومية مع امراته وولديه لكي يؤدّي الاكرام للشهداء المقتولين هناك في سبيل المسيح. ودخلوها في حومة

---

(١) بوتلير : سيرة الآباء والشهداء القديسين ٤ : ٢٠١

الاضطهاد الذي اثارهُ اوريليانوس (١) على المسيحيّن. فاخذوا يساعدون المعترفين ويطعمون الجياع ويدفنون الموتى . وبلغ خبرهم الى مرقيانوس حاكم المدينة فقبض عليهم وبعد ان عذّبهم عذاباً اليماً قطع رؤوس ماري وولديهِ وألقى القديسة مارتا في غدير ماء ووُضِعت ذخائرهم في محلّ خارج رومية. ثمَّ نُقلت الى كنيسة ادريانوس في عهد البابا پسكال الاول (٨١٧– ٨٢٤). ونُقل ايضاً قسم منها الى كنائس اخرى في اطاليا وفرنسا(٢). وكان استشهاد هولاء القدّيسين في١٩ كانون الثاني سنة٢٧٠وفيه يذكرهم اللاتين. وقد اتى ذكرهم في بعض السنكسارات في ٢٧ تشرين الثاني (٣)

ويوجد اسماء بعض الشهداء في جدولٍ كُتب سنة ٤١٢ وطبعهُ ريت في مجلّة الآداب والكتاب المقدس سنة١٨٦٥وقال عنهم الجدول المذكور انهم من الأولين وهم : آبا ودالي وبُولحا وحزات وابراهاط ومنپيلوس. وذكر ايضاً هذا الجدول آديلپاس وغايس في نصيبين

الفصل الرابع

في الهرطقات التي ظهرت ببلادنا في الجيل الثاني والثالث

لما اشرق نور الانجيل على الارض واستضاء بهِ الناس فبعض الذين تنوّروا به من اليهود والوثنيّين بقوا متمسّكين ببعض عقائدهم وعوائدهم القديمة وخلطوا عقائدهم اليهوديّة او الوثنية مع العقائد النصرانية. وغيرهم اخترعوا بدعةً جديدة إمَّا لكون العقائد المسيحية فوق طـاقة نور عقلهم الطبيعيّ او تكبّرًا او محبةً بالشرف والمنافع الشخصية اوسياسةً. وقد سبق المسيح وقـال : « لا بدّ ان تاتي الشكوك . . . ويقوم كثير من الانبياء الكذبـة ويضلّون كثيرين ». وقال ايضاً مار بولس : « لا بدّ ان تكون البـدع ليظهر المختارون ». فظهرت اذًا الهرطقات في كنيسة المسيح منذ نشأتها. كهرطقـة سيمون وابيون ونيقولا ومرقيون وغيرهم. ولم

---

(١) وقيل كلوديوس الثاني (راجع القس بيربي سيرة القدّيسين مجـ : ٢٨١) ولكن هذا الملك لم يضطهد النصارى (٢) بوتلير : سيرة الشهداء . . . ٤ : ٢٨٥ – ٢٨٦

(٣) بيربي : سيرة القديسين

تحلُّ منها كنيستنا الكلدانية . واشهر المبدعين الذين ظهروا فيها منذ الاول طظيانوس وبرديصان وماني وقوقا .

١ً طظيانوس

ان طظيانوس (١) يخبرنا عن نفسه انّه كان اثوريًا . وكذا قال عنه تِئَادوروس بركوني . وتربّى في ديانة الوثنيّين ودرس العلوم اليونانية . وباشر اسفارًا كثيرة وانطلق الى رومية . وهناك اعتنق الديانة المسيحيّة وتتلمذ للقديس يوسطينوس . ثمّ رجع الى ما بين النهرين حيث بدع بدعةً جديدة نحو سنة ١٧٢ فعلّم بإلهين إله مطلق و إله خالق وان جسد المسيح لم يكن حقيقيًا بل ظاهرًا اوغير ذلك . وقال عنه مار هيرونيموس واوسابيوس القيصري انّ لهُ تصنيفات كثيرة لا تحصى . ولم يصل الينا منها سوى رسالته الى اليونان التي فيها يدافع عن الديانة المسيحيّة . وقد كتبها بعد موت القديس يوسطينوس معلّمه وقبل ان يخترع بدعته . لانّه ليس فيها شيءٌ يخالف العقائد النصرانية . وبين سنة ١٥٢ و ١٧٣ نقل طظيانوس سيرة المسيح عن الاربعة الاناجيل وسبكها ببعضها سبكًا حسنًا بحيث جعل رواية الانجيليّين الاربعة روايةً واحدة . وسُمّي كتابهُ هذا دياطاسارون اي سياق الاناجيل الاربعة . وشاع هذا الكتاب في كنيسة اورهاي الى زمان ربولا الاسقف الذي مات سنة ٤٣٥ . وهو الذي منع استعماله فأُلقي في زوايا النسيان حتى لم يبق منه اليوم في الاصل الكلداني نسخة صحيحة بل قطع وصلت الينا في كتاب شرح ايشوعداد اسقف حدَثًا للانجيل وفي تاليفات غيره من العلماء النساطرة . وقد شرحه مـار افرام في الارامية ولكن هذا الشرح ايضاً فقـدناه ولم يصلنا سوى ترجمته الأَرمنية . وفي اوائل الجيل الحادي عشر نقل ابو الفرج عبدالله بن الطيّب الكلداني كتاب الدياطاسـارون الى

(١) عن طظيانوس راجع بركوني طبعة أدّي شير ف : ٣٩٥ . واوسابيوس د : [illegible] : وايشوعداد شرح الانجيل : بشارة مرقس (غير مطبوع) . ودوقال تاريخ اورهاي ١١١ — ١١٣ والاداب السريانية ٤٤ — ٤٨ و ٥٢ — ٥٤ . وتاريخ المؤلفين الكنائسيين تأليف ريمي سيليا : باريس ١٨٦٥ ص ٤٨٨ — ٤٩٢ . وقاموس اللاهوت الكاتوليكي ترجمة كوشلير باريس ١٨٧٠ ص ١١٨ — ١٣٧

العربيـــة وبلغنا منه نسختان كاملتان (١) . وقد طبع السيد شياسكا هذه الترجمة سنة ١٨٨٨

٢ً بردیصان

ان بردیصان (٢) ظهر في النصف الاخير من الجيل الثاني . وعلى قول بورفيريوس وهيرونيموس كان اصلهُ من بابل . وقال يوليوس الافريقيّ انه كان فرثيًّا . لأن الكلدان او البابليّين ربّما أُطلق عليهم في ذلك العهد اسم الفرثيين لكونهم تحت حكمهم . وقال عنه تئادوروس بركوني ان اصله من حدياب . والظاهر ان ميخائيل رابو يؤيد كلامه . اذ يقول : انّه في السنة ١٥ لشهروق بن نرساي مالك الفرس ترك نوحـاما ابو بردیصان وأمه نخشيرام وطنهما وهربا الى اورهاي . ومن المعلوم ان اسمَي نرساي وشهروق لم ياتيا في قائمـة ملوك الفرثيّين بل ذُكِرا في جدول ملوك حدياب (٣)

واختُلف في تعيين السنة التي وُلـد فيها بردیصان . قال ميخائيل رابو : انّه وُلد سنة ١٦٤ . وابن العـبري سنة ١٥٤ . ومؤلف تاريخ اورهاي في ١١ تموز سنة ١٥٤ . وايليا النصيبينيّ في ١١ تموز سنة ١٣٤ وهو التاريخ الأصحّ وقـد تركنا جانباً المجادلات لتثبيت رأينا هذا وهو رأي بعض المستشرقين ايضاً

ان بردیصان ولدته امه بالقرب من نهر ديصان في اورهاي وقيل انه لاجل ذلك سمّته بردیصان اي ابن ديصان . وتربّى في قصر الملك معنو الثامن ملـك اورهاي (١٣٩ — ١٧٩) وهـذا مما يدل على انه من حسب شريف . ومع الكلدانية تعلّم اليونانية . وقال عنه ميخائيل انه تنصّر على يد ايشتاسب اسقف

---

(١) المشرق ܒ : ١٠٠ — ١٠٢

(٢) عن بردیصان راجع بركوني ܟ : ٣٠٧ — ٣٠٨ . وميخائيل ܐ : ١٠٩ — ١١١ وابن العبري ܐ : ٤٧ . وبردیصان : كتاب شرائع البلدان طبعة نو : المقدمة . واوسايوس ܒ : ܗܗ . وتاريخ المؤلفين الكنائسيين ܐ : ٤٦٥ — ٤٦٧ . وقاموس اللاهوت . . . ܟ : ٣٣٠ — ٣٣١ . ودوڤال : تاريخ اورهاي ١١٤ — ١٢٢ : والآداب السريانية ٢٤١ — ٢٤٨

(٣) مشيحا زخا ٢٥ و٢٨

اورهـــاي . وارتسم شماساً وقال عنه بركوني انه أُسيم كاهناً ايضاً . ولعله هو الذي رغّب ابجر التاسع (١٧٩ — ٢١٤) في اعتناق الديانة المسيحيّة وحملهُ على ذلك منذ صغره اذ تربّى معه في قصر ابيه معنو(١) . فان كان ذلك صحيحاً يكون برديصان قد تربّى في الديانة المسيحية منذ نعومة اظفاره . وعلى رواية ميخائيل عاش برديصان ٦٨ سنة . فكانت وفاتهُ سنة ٢٠٢ (٢)

كان برديصان فصيحاً بارعاً منفنناً في الكلام . والّف كتباً كثيرة . وقــد استُخرجت تآليفه الى اليونانية على يد تلاميذه . وكتب ضدّ المرقيونيّين وغيرهم من الهراطقة . ومقالة في المحاماة عن الديانة النصرانية . والّف ايضاً ١٥٠ نشيداً على نسق كتاب المزامير . ولم يصل الينا من تأليفاته سوى كتابه في القدر او في شرائع البـلدان . وقد طبع كورتون هذا الكتاب مع ترجمته الانكليزية سنة ١٨٥٥ . وترجمهُ العلامة ميركس الى الالمانية سنة ١٨٦٣ وطبعه ايضاً نو مع الترجمة الفرنسية سنة ١٨٩٩

ان مار افرام النصيبيني وغيره من العلماء الاراميّين طعنوا طعناً شديداً ببرديصان وناضلوا تعاليمه لانه قال بالقدر وبوجود آلهة كثيرة وبعدم قيامة الاجساد وغير ذلك ومن قرأ كتاب برديصان في شرائع البلدان يرى انه يقرّ باله واحد خالق جميع الاشياء ويعتقد بالمسيح وينكر القدر ويقول بالحرّية والدينونة الاخيرة . قال اوسابيوس القيصري : ان برديصان وقع اولاً في شبكة والانطينوس لكنه ندم اخيراً ونبذ اضاليلــه . فان كان ذلك صحيحاً يكون برديصان قد الّف كتابه المذكور بعد ندامته

ومما زاد بالطين بلّة ان الكــلدان وجميع الاراميّين بعد تنصرهم رأوا في علم التنجيم سحراً وكلّ من نظر الى النجوم وراقبها اتخذوهُ كالساحر والوثني والاثيم .

---

(١) ايفانيوس : كتاب الهرطقات ٥٦

(٢) انّ ميخائيل يقول انــه مات سنة ٥٣٣ لليونان (٢٢٢) . وهو يناقض نفسهُ بقولهِ انهُ وُلد سنة ٤٧٥ وعاش ٦٨ سنــة فعلى هذا المنوال يجب ان يكون تاريخ وفاتهِ سنة ٥٤٣ (٢٣٢ م)

واذ كان برديصـــان منجماً اعتبروه من اعظم المبدعين ونسبوا اليه ضلالات كثيرة. وكان لبرديصان عدّة تلاميذ قرأوا عليه العلوم. وصار له ثلاثة اولاد : أبكرون وحسدو وأرمونيس . وهذا الاخير الّف كتباً كثيرة

٣ً ماني

يوجد روايات مختلفة عن اصل ماني (١). فروى المؤرخون الشرقيون ان اصله من شوشان. وكانت ولادته سنة ٢٤٠ (٢). ولما بلغ اشدّه اعتنق الديانة المسيحية وجعله اسقف شوشان كاهناً نحو سنة ٢٦٨. لان ايليا النصيبيني يقول عنهُ انه في تلك السنة عُرف واشتهر (٣). ثم نبذ الديانة النصرانية وبدع بدعة جديدة مدّعياً انه الفارقليط واتخذ له اثني عشر تلميذاً على مثال رسل المسيح وسمّاهم بأسماءهم وشرع يطوف معهم البلاد ويكرز بتعليمه الجديد . ولكي يجلب اليـــه المجوس قال بإلاهين إله الخير وإله الشرّ . وان النفس هي خلقة إله الخير والجسد خلقة إله الشرّ فمن ثمّ كان الجسد والنفس قائمين في تضادد دائم كخالقيهما

ومن تلاميذه المعروفـــين ثلاثة سمّاهم على اسم توما وأدي وماري متلمذي المشرق (٤). وقيـــل عنه انه عالج ابن ملك فارس. لكن الصبي توفي. فامر الملك بالقبض عليه فَسُلِخ جلده وحشِي وعُلّق فوق باب مدينة شوشان. وكتب مـــاني

---

(١) اطلب بركوني ܒ : ٣١١ — ٣١٨. وميخائيل ܓ : ١١٦ — ١١٩. وابن العبري ܓ : ٦٠ — ٦٢. والتاريخ السعردي ܓ : ١٥ — ١٨. واشهر شهداء المشرق ٨٠ — ٩٦. وتاريخ المؤلفين الكلدانيين ܒ : ٤٥٣ — ٤٥٩. وقاموس اللاهوت الكاثوليكي ܗ : ١٦٥ — ١٧٥ واوسابيوس و : ܕ (٢) ايليا ٩٢ . وتاريخ اورهاي في السمعاني ܓ : ٣٩٣

(٣) ميخائيل داود يضادد نفسه اذ يقول : في السنة الرابعة لاورليانوس قيصر (٢٧٠ — ٢٧٥) وهي السنة ٥٩٢ لليونان ظهر ماني وعمره ٣٣ سنة فالسنة الرابعة لاورليانوس هي سنة ٢٧٣ وسنة ٥٩٣ لليونان توافق سنة ٢٨١

(٤) قاموس اللاهوت ١٦٦ يسميهم توما و بودا وهرمز

كتباً كثيرة في الارامية وهي الكلدانية (١) اسماؤها: الاسرار والفصول والانجيل والكنز. وقال بعضهم انه الّف ايضاً كتاباً أُطلق عليه اسم أركنتي ماني. وله رسائل كثيرة اشهرها رسالة الاساس (٢)

وروي ايضاً ان مبدع المانوية هو شيتيان وكان عربياً جنساً. وتتلمذ له في مصر رجل يقال له تريبانت. وسمّى تريبانت ذاته بودا وزعم انه مولود من عذراء وكتب لمعلّمه شيتيان الكتب الاربعة المار ذكرها. وقيل انّ شيتيان نفسه الّفها. ومن بعد موت شيتيان اتى تريبانت الى ارض بابل ولم يتتلمذ له فيها سوى امرأة مسنّة لا غير. ومن بعد وفاته اشترت لها تلك الامراة عبداً اسمه قوربيج. ثمّ اعتقته وادّبته. وبعد مماتها ورث قوربيج اموالها وكُتُبَ شيتيان الاربعة وسمّى نفسه ماني

انّ تعليم ماني انتشر سريعاً في كلّ المشرق وامتدّ الى افريقيا واوروبا ايضاً. وقام علماء كثيرون وفندوا تعليمه. واشهرهم ارخلاوس اسقف كشكر الكلداني. كان لارخلاوس صديق يقال له مارقيل وكان غنياً ورحوماً. فكتب اليه ماني رسالةً لكي يحمله على الدخول في مذهبه الجديد. ولم يلبث ان انطلق اليه هو نفسه لكي يشرح له تعليمه. فحضر مار ارخلاوس وجادل ماني وفنده ببراهين قاطعة دامغة. وهذه المجادلة تعدّ من افضل المجادلات. ونُقلت منذ الجيل الرابع من الكلدانية الى اليونانيّة فاللاتينيّة. وقال العلماء انها جرت في سنة ٢٧٧ (٣). ولكن من كلام ايليا النصيبينيّ وميخائيل رابو يظهر انها صارت في نهاية الجيل الثالث. فان الاول كتب كما سبق القول انه في سنة ٢٧٩ ظهر تعليم ماني والثاني يجعل ذلك سنة ٢٨١. ويظهر ايضاً من كلامهما انّ ما قيل عن شابور الاول انه هو الذي قتل ماني لا صحّة له. لان شابور مات سنة ٢٧٢

والامر الغريب هو ان المؤلفين الشرقيين لم يذكروا مجادلة ارخلاوس مع ماني حتى ان اسم ارخلاوس مجهول عندهم. غير انه اتى عندهم اسم مار عبد يشوع وكان هو

---

(١) كتاب طيطوس ضد المانويّين طبعة بولس دي لاكارد ١٨٥٩ ص ١٣. وايبفانيوس كتاب الهرطقات ܗܗ : ܡܝܕ (٢) قاموس اللاهوت ١٦٧

(٣) تاريخ المؤلفين الكنائسيين ܒ : ٤٥٣

ايضاً اسقف كشكر وعاش في نهاية الجيل الثالث واوائل الجيل الرابع وقيل عنه انّه كان عالماً فاضلاً وحضر في المجمع الذي عُقِد في ساليق لمعاتبة پاپا الجاثليق سنة ٣١٧ (١) فعندي انا ان ارخلاوس في اليونانية تصحيف عبد يشوع في الكلدانية (٢)

ومن المراطقة القدماء قوقا ولم يصلنا شيء من اخباره · وقد اتى ذكره في ميامر مار افرام (٣) · وقد ذكرعنه تئادوروس بركوني الذي كتب تاريخ الهرطقات وقال عنه انّه كان يقرّ بآلهة كثيرة

الكتاب الثاني

في احوال الكلدان تحت حكم الملوك الساسانيّين

(٢٢٦ — ٦٣٢)

الباب الاول

في اخبار الكلدان في الجيل الرابع

ان الجيــل الرابع من امجد الاجيال واشرفها للكنيسة الكلدانيّة · فانّنا بافتتـــاحه نرى المملكة الفارسيّة مشحونة بالنصارى وقد صار لهم عدّة اسقفيات وعندهم مدارس زاهرة خرج منها علماء فطاحل · نرى القفار والجبال قد امتلأت رهباناً انفردوا لعبادة الله عزّ وجلّ · اخيرًا نرى اعداء النصرانية اقوياء الدّاء وقد احتمل منهم اجدادنا النصارى اشدّ واطول اضطهاد تكلّمت عنه التواريخ · حتى ان الجنائن والاراضي سُقِيت بدمهم الزكي · وهــذا لعمري اعظم مجدٍ حصل عليه اجدادنا

(١) التاريخ السعردي 2 : ٢٦

(٢) راجع مقالتنا الفرنسية في مؤلفي السريان الشرقيين ص ٤

(٣) السمعاني 2 : ١٢١

الكرام. فانهم خرجوا من حومة القتال الشديد مكلّلين باكليل الغلبة والظفر. فلنتكلّم الآن عن مقاومي كنيستنا ثم عن رهبانها فمدارسها فاساقفتها فشهدائها

الفصل الاول

في اعداء الكلدان والاثوريين النصارى

١ً الدولة الساسانية

قد سبق القول ان مؤسّس الدولة الساسانيّة هو أَرداشير بن بابك الذي قرض الدولة الفرثية سنة ٢٢٦. واستولى على ارمنية سنة ٢٣٢. وحمل ايضاً على ما بين النهرين. فقاتله الكسندر ساڤيروس سنة ٢٣٣ و ٢٣٤ وانتصر عليه بعض النصرة. ومات ارداشير سنة ٢٤١ (١)

فوسّع خلفاؤه الملك بفتوحات جديدة. فكانت تشمل مملكتهم بلاد ايران والديلم وجورجان وكلدو واثور وجزائر خليج العجم وقسماً من بلاد العرب. ونصبوا على كل بلدة والياً يسوسها من قبلهم. أما الولاة الكبار فأُطلق عليهم اسم الموهپاط من الفارسيّة مه آباد. والذي تولى منهم على الحدود دُعي مرزباناً اي حافظ الحدود. وامّا العمّال الذين كانوا احط منزلةً فأُطلق عليهم اسم الرد

وكانت ديانة الساسانيين الرسميّة ديانة زردوشت القائل بالاهين إلاه الخير المدعوّ هرمزد والاه الشرّ المسمّى اهريمان (٢). ومكتوب في كتاب معتقدهم ان توقد النار اكراماً لهرمزد ومن ذلك نتجت عندهم عبادة النار. وقد اتخذوا ايضاً من الكلدان عبادة الشمس والقمر والنجوم. وسُمّي كهنة زردوشت مجوساً وكانوا من الدّ اعداء النصارى ولهم منزلة عظيمة عند العامّة والخاصّة حتى عند الملوك انفسهم. وكان منهم في كل مدينة وقرية. ورئيسهم يُدعى موبيد والرئيس الاعظم موبيد موبيدان. واجتهد الملوك الساسانيون بتقوية مذهب زردوشت في كل البلاد الخاضعة

---

(١) راجع عن ارداشير الطبري طبعة استانبول ١٥٦ — ١٦٣ . والمجلّد الاول من هذا الكتاب ص ١٦٩

(٢) بركوني ك : ٢٩٥ — ٢٩٨. وبيجان ك : ٥٧٦ — ٥٨٠

لهم . فاقاموا معابد للنار في كل قطر ومصر . وهكذا تغلّبت ديانتهم على كل الديانات التي في مملكتهم

ولمّا مات ارداشير جلس مكانه ابنه شابور الأَول (٢٤١ — ٢٧٢) وكان ذا شجاعة وقاتل طول حياته الرومانيّين (١) . وانتصر عليه غورديان وضبط منهُ نصيبين وحران وكل بلاد ما بين النهرين . غير انّ فيلبّس قيصر خالفه وردّ اليه هذه البلاد مع ارمنية سنة ٢٤٥ . فلمّا كانت السنة ٢٥٩ حمل والريانوس قيصر على ما بين النهرين فبارزه شابور وغلبه بجوار اورهاي واسره وارسله الى ارض بابل وهناك اعتلّ من الغم ومات (٢) . وذهب شابور بفتوحاته الى انطاكية وسبى منها خلقاً كثيرًا . ثم استأنف المسير الى قبادوقية وليقاونية وقيليقية . وحمل عليه هناك الرومانيون وانتصروا عليه . وكان غاليانوس قد جلس مكان ابيه والريانوس . ذلك اذينه ملك تدمر على سوريا وارمنية وما بين النهرين . فقاتل اذينة شابور الملك وكسره وذهب الى ساليق وحاصرها سنة ٢٦١ . غير انه اضطرّ اخيرًا ان يرفع عنها الحصار (٣) . ومات شابور سنة ٢٧٢ . وبنى اربع مدن (٤) اطلق عليها اسمهُ وهي سد شابور في ميشان وهي التي سماها العرب دير مخراق والكلدان رَيما . وشابور وهي في فارس . ومروحابور (مروشابور ؟) على الدجلة وهي عكبرا . وحسرشابور في كشكر . وجدّد ايضاً بناء كونديشابور (٥) ودعاها انطيشابور وهي التي سمّاها الكلدان بيت لاپاط . واسكن شابور في تلك المدن الاسرى الذين سباهم من انطاكية واطرافها

وقام بعد شابور ابنه هرمزد الاول (٢٧٢ — ٢٧٣) ثم بهرام او وارهاران الاول (٢٧٣ — ٢٧٦) . ثم وارهاران الثاني (٢٧٦ — ٢٩٣) ثم وارهاران الثالث ولم يملك سوى اربعة اشهر (٦) . ولم يقع في ايام هولاء الملوك شيء يستحق الذكر

---

(١) الطبري ١٦٣ — ١٧٠ . والسمعاني [illegible] : ٤٣

(٢) التاريخ السعردي 2 : ١٠

(٣) راجع المجلد الاول ص ١٧٥

(٤) التاريخ السعردي 2 : ١١ — ١٢

(٥) قال بعضهم (ماري ٨ وعمرو ١٤ وتاريخ ابن العبري ٥٧) انهُ هو الذي بناها

(٦) راجع عن جلوس هؤلاء الملوك

سوى انه في سنة ٢٨٠ اراد بروبوس قيصر مقاتلة الفرس. فارسل اليه وارهاران الثاني سفراءه وسأله الصلح. وفي سنة ٢٨٣ استولى كاروس قيصر على ما بين النهرين وتقدّم نحو المدائن واصابته صاعقة قتلته لحينه. ورُوي عن وارهاران الثاني (١) انه كان حليماً ويعرف اللغة الكلدانية ويبحث عن اعتقاد النصارى كما فعل جده شابور واضطهد المانويين وهدم كنائسهم لكونهم يكرهون الزواج والتناسل(٢). فاضطهد المجوس النصارى ايضاً بغير تميز فقُتلت قنديدا امرأة الملك لاعتقادها بالنصرانية واستشهد ايضاً قاريبا بن حنثيا. ان قصة قنديدا الملكة محفوظة في مكتبة لوندرا (٣). وهذا عنوانها: «استشهاد قنديدا السعيدة التي سُبيت من بلاد الروم الى بلاد فارس وتزوّج بها وارتاران (وارهاران) ملك الملوك وتكلّلت مع النساء رفيقاتها في الاضطهاد الاول الذي صار في بلاد الفرس من اجل تعليم يسوع المسيح في ايام وارتاران جدّ شابور ملك ملوك فارس.» واما وارهاران الثالث فاحسن الى النصارى وامر ببناء الكنائس التي هُدمت على ايام ابيه بسبب المانويين

ثمّ جلس على سرير الملك نرسا (٢٩٣ — ٣٠٢). وكان فهيماً عاقلًا طاعناً في السنّ. واغار في السنة الخامسة من ملكه على بلاد الرومانيين واستولى على ارمنية. وكان ديوقلطيانوس قد نُصب قيصراً على الرومانيين سنة ٢٨٥. فاتى الى انطاكية واستدعى الى مساعدته غلاريوس الذي كان قد شاركه في الملك. فحمل غلاريوس على الفرس وانتشب القتال بينهما بالقرب من حران وانكسر الرومانيون اقبح كسرة وهربوا. لكنهم لم يلبثوا ان اخذوا ثارهم. فانّ غلاريوس جمع جيشه وذهب به الى ارمنية ومن هناك دخل بلاد الفرس وقهر نرسا وفتك به.

ايليا النصيبيني والتاريخ السعردي. وتاريخ ابن العبري وميخائيل رابو ١١٧. واما لابور (ص ٣٥٤) فنقلًا عن نلديك يكتب قائمة هؤلاء الملوك كما يلي: بهرام الاول (٢٧٢ — ٢٧٣) بهرام الثاني (٢٧٣ — ٢٧٦). بهرام الثالث (٢٧٦ — ٢٩٣) ويسكت عن هرمزد الاول

(١) التاريخ السعردي ٢٧

(٢) ان هذا الاضطهاد الذي يتكلّم عنهُ مؤلف تاريخ سعرد هو ذاك الاضطهاد الذي ثار على المانويين والذي فيه قُتل رئيسهم ماني. وقد رأينا (ص٢٣) ان قتل هذا الملحد سنة ٢٧٧ ليس من المحتمل ولا بد من انه جرى بعد سنة ٢٨٠

(٣) المخطوطات السريانية تأليف ريت العدد ٩٤٤

فهرب ملك الفرس تاركا بين يدي العدو امرأته واولاده وجواريه وكنوزه وكثيرًا من ضبّاطه. وكان ذلك سنة ٣٠٢. ثم صالح الرومانيون الفرس على ان تكون ما بين النهرين في حوزتهم وجعلوا حدًا بين المملكتين نهر الخابور

واما نرسا الملك فلم يعش طويلًا بعد هذه الكسرة ومات في تلك السنة عينها وقام بعده ابنه هرمزد الثاني (٣٠٢ — ٣٠٩) واستبدّ برايه في تدبير الامور واراد ان يأخذ بثار ابيه من الرومانيين وكانت الدائرة عليه. ومات من دون ولد. وكانت امراته حاملًا فولدت ابناً سُمّي شابور الثاني. وكان ذا حزم وبأس. وملك سبعين سنة. وصار له وقائع كثيرة مع الرومانيين. ومما اشتهر به اكثر ما يكون اضطهاده للنصارى

ان ملوك الفرس طالما كان ملوك رومية وثنيين لم يتعرضوا للنصارى الذين في مملكتهم. وانما في عهد وارهاران الثاني اضطهد المجوس المانويين ولم يفرقوا بينهم وبين المسيحيين. ولكن لما تنصر القياصرة بدأ الاكاسرة يثيرون اضطهادات شديدة قاسية على الكلدان النصارى الذين تحت حكمهم وذلك بغضاً بقسطنطين الكبير وخلفائه وظنًا منهم انّ نصارى المشرق متحزّبون لاخوتهم نصارى المغرب. وكثيرًا ما حرّكهم على ذلك اليهود

٢ً اليهود والمراطقة

رأينا ان اليهود كانوا كثيرين في كلدو واثور. وكانوا يبغضون المسيحيين اشدّ البغض وهم الذين اطلقوا عليهم اسم نصارى احتقارًا ونسبةَ الى يسوع الذي من الناصرة. ومنهم اتخذ الفرس هذا الاسم وانتقل الى العرب. ولم يزالوا كلّما سنحت لهم الفرصة يحرّكون ملوك فارس على اضطهاد المسيحيين واذيتهم (١). واكثر مجادلات النصارى كانت مع اليهود كما يتبيّن ذلك من كتاب افراهاط الحكيم الفارسي. فان تسعاً من مقالاته الثلاث والعشرين موجهة الى اليهود ويثبّت فيها صحّة الديانة المسيحيّة ويدحض زعمهم الباطل بانّهم شعب الله. قال افراهاط في اول مقالته

(١) بيجان ك : ١٤٣ — ١٤٥ و٢٥٤

ايضاح الاضطهاد (١) : « لقد غشيني ضباب (الالم) اذ سمعت اليهود يستهزئون بنا متكبّرين على بني امّتنا. وذات يوم صادفت رجلًا يقال له حكيم اليهود فجادلني قائلًا : انّ يسوع المدعوّ معلمكم كتب لكم : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل انتقل فينتقل ويقع في البحر سامعاً لكم. أفلا يوجد في كل شعبكم رجل حكيم مستجاب الدعاء يصرخ الى الله كي يجوز عنكم مضطهدوكم ؟ » هذا ما كان من معادات اليهود للمسيحيّين

أما المراطقة الذين عادوا النصرانيّة اكثر من غيرهم فهم المانويّون وقد سبق الكلام عنهم . والمرقيونيون المنسوبون الى مرقيون وكانوا يعتقدون بثلاثة آلهة : إله الخير و إله العدل و إله الشرّ . وينكرون قيامة الاجساد وغير ذلك (٢)

الفصل الثاني

السيرة النسكيـة

١ً في انتشار السيرة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانية

انّ السيرة النسكية او الرهبانية كانت منتشرة انتشارًا عجيباً في كنيستنا منذ مبادئ الجيل الرابع الامر الذي يدلّ على انّها أنشِئت فيها قبل ذلك العصر بسنين كثيرة. اتى في سيرة كوريا وشامونا اللذين استشهدا سنة ٣٠٣ ما نصهُ : « ليخلّص المسيح شعبه لئلّا نرى او نسمع ان الرهبان (ܕܝܪ̈ܝܐ) يُهانون والعفيفات يفضَحن. والراهبات (ܒܢܬ ܩܝܡܐ) يُرذَلن (٣) ». وابراهاط الحكيم الفارسي له مقالة خصوصيّة في الرهبان كتبها سنة ٣٣٧. ويطلق عليهم اسم (ܝܚܝܕ̈ܝܐ) المنفردين او (ܒܬܘ̈ܠܐ) البتولين او (ܒܢܝ ܩܝܡܐ) بني العهد . ويُسمّي الراهبات ܒܬܘ̈ܠܬܐ بتولات او ܒܢܬ ܩܝܡܐ بنات العهد. وكان هو ايضاً قد اعتنق العيشة النسكيّة وصار رئيساً على دير وكتب مقالاته الى رئيس دير آخر لم

---

(١) تحوياثا ابراهاط طبعة ريت ١٨٦٩ ص ٣٩٤

(٢) بركوني ܦ : ٣٠٤. وبيجان ܦ ١٥٢ و ٥١٢

(٣) سيرة كوريا وشامونا طبعة السيد رحماني رومية ١٨٩٩

يذكر اسمه. وقد ذكرت لنا سيرة الشهداء التي طبعها بيجان باللغة الكلدانية أسماء بعض الرهبان والراهبات الذين نالوا اكليل الاستشهاد في هذا الجيل الرابع. فمن الرهبان كوريا وشاموتا وقد سبق الكلام عنهما وحبيب وبرشبيا رئيس الدير واوهنام وپاپا وأولاش وعبد يشوع وبقيدا وشموئيل وعبديشوع وبدما رئيس الدير. واستشهد ايضاً غيرهم كثيرون لم تذكر التواريخ اسماءهم. ومن الراهبات فبرونيا ومرتا وتربو وتقلا وداناق وطاطون وماما ومزكيا واتّا وأبيت وحاتاي وورده ومريم وتقلا ومريم ومرتا ومريم وإمّا ومريم وطيطا واماً وادراني وماما ومريم ومَوَاح. وتكلّل ايضا غيرهن كثيرات

٢َ مار عبدا وتلاميذه

من الرهبـــان الاجلّاء الذين اشتهروا في نهاية الجيل الرابع مار عبدا وتلاميـــذه (١). كان مار عبدا من دير قوني. ولما ولدته امه طرحته على باب الكنيسة. فاخذه بعض النصارى وربّاه تربية صالحة. وكان كريم الاخلاق فاحبه الجميع ورُسِم كاهناً وبنى في بلدته ديرًا ونصب فيه مدرسة وقيل انه عظم امرها حتى صار فيها ستون معلماً. ونصّر مار عبدا في كلدو وثنيّين كثيرين واظهر الله على يده معجزات باهرة. وادخل ايضاً كثيرًا من المرقيونيّين في حظيرة المسيح. وقبض عليه المجوس في المدائن والقوه في السجن حيث بقي مدّةً

وفي الزمان الذي اثار فيه شابور اضطهادًا على النصارى ظهر صليب من الارض نظير شجرة بالقرب من قرية معروفة بالتلّ على نهر صرصر في كلدو. وكان هذا الصليب يصنع المعجزات. فاخذت الغيرة صليبا بن عوزيا رئيس تلك الناحية وابتاع الارض التي ظهر فيها الصليب وبنى فيها هيكلًا. فاجتمع فيه الرهبان وسُمّي دير صليبا. وقصد مار عبدا ذلك الدير وتلمذ جمًّا وافرًا من سكّان تلك الناحية

---

(١) التاريخ السعردي ٢ : ١٩٥. وماري ٢٨. وعمرو ٢١. واشهر شهداء المشرق ٢: ٢٧٦ — ٢٧٧. من المستغرب ان ايشوعدناح مطران البصرة في كتاب العفة لم يذكر مار عبدا هذا ولا تلاميذه. غير ان التاريخ السعردي (٢ : ٢١٣) يقول انهُ كان لهُ قصة. وقصتهُ قد كتبها تلميذه أحا الجاثليق

هذا ما رواه ماري ومؤلّف التاريخ السعردي عن ظهور الصليب في بيت أرماي.
وقد اتى ايضاً ذكر ذلك في كتاب ايليا النصيبيني حيث قال : « في سنة ٦٦٣ يونانيّة (٣٥٢) ظهر الصليب بالمشرق في السماء في اليوم الخامس من ايار »

ومن تلاميذ مار عبدا احا ويهبالاها الجاثليقان ومار عبد يشوع. اما احا ويهبالاها فسيأتي ذكرهما في اخبار الجيل الخامس. واماً مار عبد يشوع فكان من ميشان من قرية يقال لها ارفاونا (١). وتتلمذ لمار عبدا وقرأ العلوم في مدرسته. وفاق جميع رفاقه. وكان يميت جسده بالاصوام الشاقة والاسهار الطويلة. ثم مضى الى ارضه وبنى فيها ديراً. وانتقل من هناك الى ارض باكسايا وشيَّد هناك ايضاً ديراً وقصده الرهبان من كل جهة. وكان بهرام الرابع (٣٨٨ — ٣٩٩) عند مروره بذلك الموضع يزوره ويكرمه لما كان فيه من سموّ الفضيلة. فشاع خبره واتصل بتومرصا الجاثليق. فجعله اسقفاً على ريما وهي دير مخراق. وكان اهل البلد اشراراً. فاذي بهم. فخلّف غفارته وعصاه وخرج ليلاً وذهب الى جزيرة في اليمامة والبحرين حيث ردّ الاهالي الى معرفة الحق المبين وبنى هناك ديراً. ثم قصد الحيرة وشاد فيها ديراً آخر. فلماً قصده الناس خرج من هناك وانطلق الى الدير الذي بناه قبلاً في ارض ميشان ليزور تلاميذه. وتوفي هناك وصار قبره ينبوع الخيرات والمعجزات

٣ً يوليانا سابا

من الرهبان الذين اشتهروا في ما بين النهرين في اواخر الجيل الرابع مار يوليانا سابا وابراهام قيدونايا وابراهاط السائح

ان يوليانا الملقّب بسابا اي الشيخ سكن في اول امره بلاد القرثيّين اي في صحراء اثور (٢). وكان تلاميذه في اول الامر عشرة ثم صاروا عشرين وثلاثين واربعين ومائة. ومن اشهر تلاميذه يعقوب وأسطريس. وانطلق اسطريس الى

(١) التاريخ السعردي ج ١ : ١٩٨ — ٢٠٠ . وماري ٢٨ — ٢٩ . وعمرو ٢١ . واشهر شهداء المشرق ج ٢ : ٢٧٧ — ٢٧٨

(٢) بيجان ج ٥ : ٣٨٠ — ٤٠٤ . واشهر شهداء المشرق ج ٢ : ٣٣ — ٤١ والتاريخ السعردي ج ١ : ١٨٧ — ١٨٨ . . وتاريخ الرهبان لثودريطوس ج ٢

قرية بقرب انطاكية اسمها كنداريس وفيها نصب ديرًا وتتلمذ له كثيرون . ومن جملة تلاميذه اقاق الذي فيا بعد نصب اسقفاً على حلب. ثم ان سابا انطلق الى جبل سينا وبنى هناك كنيسة. وقيل عنه انه تنبأ على موت يوليانوس المرتدّ. وعمل معجزات باهرة. وذهب الى انطاكية واخزى الأريوسيّين. وكانت وفاته سنة ٣٦٧ (١). وذكره عند الكلدان في ١٥ شباط. وعند السريان في ٥ كانون الاول وعند اللاتين في ١٤ كانون الثاني

٤ً ابراهام قيدونايا

ان ابراهام اصله من اورهاي وسُمّي قيدونايا نسبة الى قرية قيدون لانهُ تلمذ اهلها. وكان من ارفع طبقات العائلات الشريفة. وعقد لهُ والداه على ابنة شريفة. ولكن لم يمضِ على عرسهِ سبعة ايام حتى ترك الخدر وتبوأ بيتاً بعيداً عن المدينة نحو ميلين. وانقطع فيهِ للصلوة وكان ذلك سنة ٣٥٦ (٢). وبعد موت والديه وزّع جميع امواله على الفقراء. ثم ارتسم كاهناً وانطلق الى قيدون وشيّد فيها كنيسة واهدى اهلها الى الديانة المسيحيّة ثم عاد الى مسكنهِ الأوّل. وتتلمذت لهُ مريم ابنة اخيهِ فاسكنها في حجرة خارجيّة. ولم تلبث ان صادها الشيطان فخرجت من مسكنها وانطلقت الى مدينة اخرى منقادة الى شهواتها. ولما اطّلع ابراهام على امرها انطلق اليها ولم يزل يرشدها ملحّاً عليها حتى تابت ورجعت معهُ وقضت حياتها في التقشف. وكانت وفاة مار ابراهام في ١٤ كانون الاول سنة ٣٦٦ ووفاة مريم سنة ٣٧٦. وذكره عند الكلدان والسريان في ١٤ كانون الاول.

٥ً ابراهاط السائح

ولد ابراهاط في بلاد فارس في مبادئ الجيل الرابع (٣). وكان ابواه

(١) التاريخ الأورهاوي في السمعاني ج ١ : ٣٩٧. والنصوص السريانية طبعة لاند ج ١ : ١٤

(٢) التاريخ الأورهاوي في السمعاني ج ١ : ٣٩٦

(٣) اشهر شهداء المشرق ك ١ : ٧٣ — ٧٧ . وثئودريطوس تاريخ الرهبان عدد ١٥٤ وميخائيل ١٥٤

مجوسيّين. وتنصّر هو وذهب الى اورهاي. وانفرد في مكان قريب من المدينة ليهتم في خلاص نفسه. ثم انطلق الى سوريا واقام في اراضي انطاكية. وكانت وقتئذٍ بدعة اريوس قد قويت في انطاكية وامتدّت بمساعدة الملك ڤالنس. فخرج مار ابراهاط من خلوته ودخل المدينة واخذ يشدّد المؤمنين في الايمان. وذات يوم رآه الملك ڤالنس ماشياً بسرعة. فسألهُ عن السبب. فقال لهُ القديس: «ماذا يجب على ابنة ابصرت النار تلتهب في بيت ابيها. أأن تبقى مستترة في خدرها حياء وتترك النار تحرق بيت ابيها ام ان تخرج خارجاً وتدعو الناس ليطفئوا النار وتسعى هي معهم بكلّ قوتها. فهذا ما افعله انا الآن. لاني لما رأيت من قلايتي نار الاضطهاد قلتُ في نفسي لقد احترقت كنيسة الله فبادرت الى اطفائها (١)». وتوفي ابراهاط في نهاية الجيل الرابع. وتعيّده الكنائس الشرقيّة في ٢٩ كانون الثاني والكنيسة الغربية في ٧ نيسان

٦ً مار اوجين وتلاميذه (٢)

ان جميع المؤرخين الشرقيين المتأخرين قد اجمعوا على ان الرهبنة انما على يد اوجين قد جُلبت من مصر الى بلادنا هذه. كان هذا القديس من جزيرة قليزما ودأبهُ الغوص في البحر لاخراج اللؤلؤ. ومكث على ذلك ٢٥ سنة. وبنى ديرًا في بلدته. ثم ترهّب في دير باخوميس. وصنع الله على يده معجزات باهرة. ثم قدم الى المشرق ومعهُ سبعون تلميذًا وسكن في جبل نصيبين المعروف بإيزلا. وبمشورته انتخب اهل نصيبين مار يعقوب اسقفاً لهم سنة ٣٠٩. ولمّا وقعت نصيبين بيد الفرس سنة ٣٦٣ رحب بهِ شابور الملك واذن لهُ ولتلاميذه بالتجول في كل مملكته. فتفرّق تلاميذه الى النواحي وعمّروا عدّة اديرة. وتوفي اوجين في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣

---

(١) ان هذه النبذة في بعض الكتب منسوبة الى ديودوروس اسقف طرسوس (راجع التاريخ السعردي ج ٤: ١٦٤ — ١٦٥)

(٢) راجع كتب بيجان. واشهر شهداء المشرق المطبوع بالموصل. والتاريخ السعردي. وماري. وكتاب العفة. وابن العبري

ومن اشهر تلاميذه الذين أسسوا الاديرة : شليطا وميخائيل ويونان واحّـا ويوحنان ودانيال الطبيب ويوحنان كمولايا وميخا نوهدرايا وبنيامين نوهدرايا واشعيا الحلبي وملكي قلوزمايا ومتى ويارث وشيري وفنحاس الشهيد ويوحنان كشكرايا وغيرهم

كان شليطا من مصر وفنّد الأريوسيّين. ثم اتى الى المشرق وتتلمذ لاوجين. وانقطع الى جبل يقال لهُ شبا بقرب فنك ورجّع كثيرين من الوثنيّين

وميخائيل اصلهُ من نواحي آمد من قرية سوسنة. وانضم الى تلاميذ اوجين وعمّد خلقاً كثيراً في جبال قردو. ثم انطلق الى حِسنا عبرايا وبنى بالقرب منها على ساحل الدجلة ديراً عظيماً هو باقٍ الى يومنا هذا وهو في غربي الموصل على مسافة ساعة منها

وكان يونان من جزيرة قبرص واسمهُ يُوَانيس. وتخرّج في علم الطبّ. وذهب الى مصر وتتلمذ لاوجين واتى معهُ الى المشرق. ثم انطلق الى بريّـة بيروز شابور وشيّد هناك ديراً. وزار دير مار توما الرسول في الهند. ثم رجع الى ديره وفيهِ توفي

واحّـا اقام في بيت زبداي وبنى فيها ديراً كبيراً عُرف بعمر زرنوقا. لان الرهبان كانوا يستقون الماء بالزرنوق فيتأذون. ومن بعد وفاة مار احا اتى الى الدير ايشوعسبران وبصلواته نبع للرهبان عين ماء من تحت حائط الهيكل

ومار يوحنان ذهب هو ايضاً الى بيت زبداي وبنى ديراً كان قديماً بيتاً للأصنام. ونصّر القرى المجاورة

ودانيال اصلـهُ من بلاد مصر وسكن مدّةً مع مار ميخائيل. ثم رحل الى بيت نوهدرا. ونصّر حش ملك تلحش. وبنى لهُ هذا الملك ديراً على نهر معلثايا بازآء قرية بيت قيطي

ويوحنان كمولايا اصلهُ من بيت كرماي من العائلة الملوكية. وسكن في مغارة بقرب كمول في جبل جودي. واتى بعد وفاتهِ ربان أوكاما من تلاميذ ابراهـام الكبير وبنى في الموضع ديراً

وميخا نوهدرايا اصلهُ من بيت نوهدرا وزار اورشليم وشيّد ديراً في القوش

واشعيا الحلبي كان ابن سوماخوس حاكم حلب. واكرههُ والداهُ على الزيجة.

لكنهُ ترك خطيئتهُ ولحق باوجين وبنى ديرًا في إيزلا

وملكي قلوزمايا كان ابن اخت اوجين. وشيَّد ديرًا بقرب دير معلمهِ اوجين

ومتى سكن في جبل الباپ المعروف الآن بجبل مقلوب. وشيَّد هناك ديرًا وهو باقٍ الى يومنا هـذا. وقيل عنهُ انهُ تلمذ بهنام بن سنحاريب الملك واختهُ سارا. وسيأتي ذكرهما

ويارث اصلهُ من مصر وترهَّب في دير الانبا باخوميس. ثم اتى الى المشرق وصنع معجزات كثيرة وبنى ديرًا في أعمال بيت زبداي (١). وشيري شيَّد ديرًا في جبـل دارا. وفنحاس اصلهُ من اتينا وسكن في جبال قردو وقُتل بامر سيمون حاكم فنك

هذه هي خلاصة سيرة مار اوجين وتلاميذه المشهورين . ومن اراد قراءتها باسهاب فليراجع الكتب التي ذكرناها في الحاشية

٧ً مقالة تاريخية في مار اوجين وتلاميذه

ان العلّامة لابور قد شكَّ في صحَّة قصّة اوجين وانكر انهُ هو الذي ادخـل السيرة الرهبانية في بلاد الفرس . ومما اتى بهِ اثباتًا لرأيهِ هو ان المجامع الشرقيَّة والقوانين الرهبانية القديمة والمؤرخين القدماء لم يذكروا ابدًا القدّيس اوجين. لا بل ان توما مركايا الذي كتب تواريخهُ بين سنة ٨٣٢ و ٨٥٠ لم يتكلَّم عنهُ ايضاً. وان اول مَن ذكره هو ابشوعدناح مطران البصرة في كتاب العفَّة الذي ألفهُ نحو سنة ٩٠٠. ويستنتج لابور من هذا كلّهِ ان قصة اوجين لم تكتب قبل الجيل الحادي عشر. فانَّهُ بين تلاميذه مذكور يوسف بوسنايا الذي مات سنة ٩٧٩ ويوحنان بركلدون كاتب قصة يوسف بوسنايا

فنحن نوافق الاب لابور في رايه ونقول انهُ ليس من المحتمل ابدًا ان اوجين جلب الرهبنة من بلاد مصر الى ارض الاثوريين والكلدان. ونزيد على ما اتى بهِ من

---

(١) قصته محفوظة في مكتبة لوندرا راجع قائمة المخطوطات السريانية تأليف ريت العدد ٩٦٠ . واشهر شهداء المشرق ك : ٢٦٥ — ٢٧٥

الادلّة اولاً انّا الى الاجيال المتاخرة لا نرى احد رهباننا قد تسمّى باسم اوجين. ثانياً ان مار افرام النصيبيني الذي الّف ميامر كثيرة في اساقفة نصيبين وفي الرهبنة لم يـذكره ابدًا في ميامره مع كونه معاصرًا لهُ. ثالثاً ان باباي الكبير الذي عاش في بدء الجيل السابع في كتابهِ المسمّى الاتحاد يلقب ابراهام الكبير ابا الرهبان ويقول عنهُ انهُ هو البكر في بلاد الفرس المباركة. رابعاً قيل عن اوجين انهُ ترهب في دير باخوميس اي من بعد موته دخل اوجين ديره ومن المعلوم ان هذا الانبا مات سنة ٣٤٨. فلا بدّ اذًا من انّ اوجين اتى المشرق من بعد هذا التاريخ. فليس اذًا هو الذي ادخل الرهبنة في بلاد الفرس فانها انتشرت عندنا منذ اوائل الجيل الرابع والامر الاغرب انهُ اتى في قصة اوجين نفسها ان تلاميذه لم يدخلوا ارض اثور الّا في السنة ٣٦٣ التي فيها سُلِمت نصيبين ليد الفرس. فتأمل

وما عـدا هذا كله ان قصص اوجين وتلاميذه ممتزجة بخرافات وتناقضات واغلاط تاريخية فاحشة. وهي كثيرة لا يسعنا ذكرها. وهاك اشهرها : اولاً اتى عن ماني الملحد انـهُ كان معاصرًا لأوجين. فان كاتب القصة خلط شابور الاول (٢٤١ — ٢٧٢) مع شابور الثاني (٣٠٩ — ٣٧٩). مع انّ ماني مات في نهاية الجيل الثالث (١)

ثانياً ان قصة اوجين تذكر عنه انهُ مات في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣. فهذا يضادد ما اتى في القصة نفسها عن انّ شابور لـما وقعت نصيبين بيده أكرم هذا القديس وقرّبهُ اليـهِ. فان هذه المدينة سُلِمت لشابور بعد موت يوليانوس الجاحد اي بعـد وفاة اوجين بثلاثة او اربعة اشهر. اذ ان يوليانوس قُتل في ٢٦ تموز سنة ٣٦٣ (٢)

ثالثاً من الغلط الواضح الجدول الناطق باسماء تلاميذ اوجين (٣). فانّ كبرونا ويوحنـان نحلايا ويوحنان ديلومايا وباباي الكاتب وسركيس دودا واوكاما

---

(١) عن ماني وزمانه راجع ما قلناه ص ٢٣ — ٢٤

(٢) ايليا ١٠٣. راجع ايضاً التاريخ الاورهاوي في السمعاني ج ١ : ٣٩٧

(٣) اطلب هذا الجدول في قصة اوجين. بيجان ج ٣ : ٤٧٣ — ٤٧٤

واسطفانوس وغيرهم عاشوا في الجيل السادس والسابع (١)٠ ويوسف بوسنايا (٢) ويوحنان بركلدون عاشا في الجيل العاشر

رابعاً ان بعض المعجزات المنسوبة الى مار اوجين نُسِبت هي نفسها الى كثير من تلاميذه٠ من ذلك بعث الميّت الذي افترسهُ الاسد والمشي على الدجلة مشية رجل على اليابسة (٣)

خامساً فيما انّ المؤرخين القدماء يقولون عن بعض مؤسسي الاديرة انهم من تلاميذ مار ابراهام الكبير قال عنهم المؤرخون المتأخرون انهم من تلاميذ مار اوجين ٠ قال توما مركايا (٤) عن حزقيال انّهُ عاش في الجيل السابع ٠ امّا كتاب العفّة وقصّة حزقيال (٥) فيجعلانه من تلاميذ اوجين٠ كذلك يذكر كتاب العفّة عن يعقوب الحبيس انهُ من تلاميذ ابراهام الكبير وقصّة يعقوب (٦) تقول عنهُ انهُ من تلاميذ اوجين

سادساً ان اغلب قصص تلاميذ اوجين مكتوبة بعد الجيل الثالث عشر٠ وهنا لا نذكر سوى قصّة ميخا نوهدرايا ٠ فان كاتبها الّفهـا بامر شمعون الجاثليق البطريرك (٧) ٠ ومن المعلوم ان البطاركة المعروفين باسم شمعون انما في الجيل الرابع عشر بدأوا ان يجلسوا في القوش

سابعاً من الامر الغريب ان النساطرة واليعاقبة تنافسوا في جعل قدّيسيهم من تلاميذ اوجين وفي نسبة اديرتهم اليهم٠ فاخصّ تلاميذ اوجين عند اليعاقبة هم متى وملكي قلوزمايا وبنيامين نوهدرايا ويوحنان كشكرايا وأُولوغ واشعيا الحلبي ويارث٠ اماّ تلاميذه عند النساطرة فاشهرهم ميخائيل وأحا ويوحنان ويونان وشليطا ويوحنان كمولايا ودانيال الطبيب وميخا نوهدرايا٠ والامر الاغرب فيما ان النساطرة قالوا عن يوحنان كشكرايا انهُ ترهب في كشكر ثمّ انتقل الى بيت كرماي وشيّد ديراً في جبل أُوروخ (٨) جعلهُ اليعاقبة من تلاميذ اوجين ونسبوا اليه ديراً في طور

---

(١) راجع كتاب العفة . والتاريخ السعردي (٢) اطلب سيرته في ترجمة شابو باريس ١٩٠٠ (٣) بيجان ܓ : ٤٣٧ و ٤٤٨ ٠ و ٤ : ٤٤٦ — ٤٥٠ و ٤٥١ و ٥١٢ (٤) طبعة بيجان ٤٩ (٥) قصة حزقيال محفوظة في كنيسة كركوك وقد طبعنا ترجمتها في كتاب اشهر شهداء المشرق (٦) قصة هذا القديس محفوظة في كنيسة الجزيرة (٧) بيجان ܓ : ٥١٠ — ٥١٣ (٨) كتاب العفة هـ

عابدين (١) واغرب من ذلك ان قصة ميخا نوهدرايا عند النساطرة (٢) وقصّة بنيامين نوهدرايا (٣) عند اليعاقبة هي واحدة في كلّ تفاصيلها مع هذا الفرق ان ميخا شيّد ديرًا في القوش وبنيامين بنى ديره بين دارا وكفرتوثا

فترى من هذا كلّه ان ما قاله المؤرخون المتأخرون عن اوجين وتلاميذه لا يُعتمد عليه ابدًا . وقال الاب لابور انهُ من المحتمل ان يكون اوجين يعقوبيًا وانهُ أسّس ديرًا عُرِف باسمه وذلك قبل الجيل الثامن . وان قصة هذا الدير كانت يعقوبيّة والدير نفسه كان لليعاقبة الى ان ضبطه منهم النساطرة في ايام اوزبيهان مطران نصيبين وذلك بين سنة ٧٥٠ وسنة ٨٠٠ . ولمّا انتشرت قصة اوجين زيد عليها زيادة تُذكر وجُعِلت ارثذوكسيّة

اقول ان رأي لابور عن اوجين انهُ يعقوبي ليس من المحتمل . لانهُ أولًا لو كان الامر كذلك لما سكت اليعاقبة عن امره ولما ادّعوا هم ايضاً مثل النساطرة انهُ هو الذي ادخل الرهبنة في المشرق قبل هرطقة نسطور واوطاخي . ثانياً لا نرى ابدًا ان النساطرة نسبوا اليهم قدّيسين يعقوبيّين بل بالعكس نرى اليعاقبة عزوا الى نحلتهم كثيرين من القديسين النساطرة منهم اسحق اسقف نينوى (٤) وابراهام الكبير وباباي النصيبيني (٥) ويوحنان برپنكايي ويوحنان دالياثا (٦) وابراهام نثبرايا (٧)

امّا قول الاب لابور ان المؤرّخين القدماء لم يذكروا اوجين ابدًا فهذا القول ضعيف . فانهُ على رواية عبديشوع الصوباوي (٨) ان تئادور اسقف مرو النسطوري الذي عاش في اواسط الجيل السادس كتب قصّة اوجين واليونانيّين . ولا بد من ان عبديشوع رأى وقرأ هذه القصة التي لم تصل الينا . فاذا كان تئادور كتب بالحقيقة

---

(١) ان قصة يوحنان كشكرايا اليعقوبية محفوظة في مكتبتنا السعرديـة في كتاب مسوح في طور عابدين (٢) بيجان ܐ : ٥١٠ وما يلي

(٣) قصته محفوظة في مكتبة لوندرا . راجع ريت : المخطوطات السريانية العدد ٩٦١

(٤) الآداب السريانية تأليف دوقال ٢٣٣ — ٢٣٤

(٥) ان قصة ابراهام وباباي اليعقوبية محفوظة في عدّة كتب يعقوبية

(٦) راجع الدروس السريانية طبعة السيد رحماني ١٩٠٤ ص ٦٥ . ويوحنان برپنكايي طبعة القس منكنا المقدمة (٧) السمعاني ٤ : ٤٦٣ (٨) فيه ܐ : ٤ : ١٤٧

قصة اوجين واوجين الذي كتب قصته هو الذي نحن بصدده فيكون هذا القديس قد عاش إمّا في نهاية الجيل الرابع او في الجيل الخامس · ولكنه لم يشتهر كما قال عنه المؤرخون المتأخرون وليس هو الذي أدخل السيرة الرهبانية في بلاد الفرس وكلّ التلاميذ المنسوبين اليه عاشوا بعد الجيل الرابع

ان سوزومين المؤرّخ اليوناني في كتاب تاريخه البيعي ذكر من جملة الرهبان الذين عاشوا في المشرق اسم آؤونيس وقال عنه انهُ جارى القديس انطونيوس بنشرهِ السيرة الرهبانية بين السريان · وقال السمعاني (١) ان آؤونيس هذا هو اوجين الذي يُطلِق عايه الكلدان اسم آبون (ܐܒܘܢ) اي ابونا · فنقول ان آؤونيس الذي يذكره سوزومين كان في سوريا وان اسم آبون عند الكلدان لم يُطلق ابدًا على اوجين بل كان كلّ دير يطاقه على مؤسّسه واليه يوجّه الحان آبون المسطّرة في الكتب الطقسيّة

امّا الالحان التي بها نذكر اسم اوجين وتلاميذه فليست من تاليفات القدماء بل هي حديثة أُدخِلت في كتاب الفرض بعد الجيل الثالث عشر · واخصّها التي تقال كلّ يوم اربعاء

الفصل الثالث

في المدارس والعلماء

١ً اصل الآداب الكلدانية المسيحيّة

ان العلّامة رينان يقول (٢) ان آداب اللغة الارامية الكتابية انما من بابل انتقلت الى ما بين النهرين وذلك على عهد برديصان · امّا روبانس دوڤال (٣) فيزعم ان الآداب الارامية المسيحيّة لم يكن منبعها من بابل بل انما نشأت عند نصارى ما بين

(١) ܓ : ܩ : ٨٦٣ راجع ايضاً مختصر تواريخ الكنيسة ترجمة الخوري يوسف داود · الموصل ١٨٧٣ ص ١٤٧

(٢) تاريخ اللغات السامية الطبعة الرابعة ص ٢٥٩ و ٢٦٢

(٣) الآداب السريانية ٩ — ١١

النهرين في الجيل الثاني. وانها بانتشار الدين المسيحي انتشرت هي ايضاً في البلاد الاراميّة الشرقية. والادلّة التي ياتي بها دوڤال لاثبات زعمه واهية وكلها محصورة في انهُ لم يصل الينا شيء مكتوب في هذه اللغة من الوثنيين لا في ما بين النهرين ولا في بابل. لكن هذا العالم يناقض نفسه بقوله (١) عن مارا برسرابيون الذي عاش في الجيل الاول او الثاني للمسيح انهُ كان فيلسوفاً وثنياً وكتب مقالة او رسالة في القدر وهي اقدم اثر اراميّ بلغ الينا. وفات دوڤال ايضاً ان ططيانوس الاثوري انما عند الوثنيين تخرّج في آداب اللغة الكلدانية لا عند المسيحيين. فانهُ في كبره وفي رومية اعتنق الديانة المسيحيّة. وان برديصان ايضاً انما عند الكلدان الوثنيين قرأ العلوم كما يقول هو عن نفسه في كتاب شرائع البلدان (٢) ويسأل تلميذه عويدا هل قرأ هو ايضاً مثله كتب كلدان بابل (٣) ثم ترى ماذا يقول دوڤال عن كتاب احيقار الاثوري الذي بموجب شهادة المستشرقين انفسهم كُتِب في بابل في الجيل السادس قبل المسيح (٤). فكلدانية كتاب احيقار هي ذات كلدانية برديصان ومار افرام وابراهاط وغيرهم من علماء الكلدان النصارى

فلا بدّ اذن من انّ الكلدان الوثنيين كان لهم مدارس شهيرة إن كان قبل المسيح وان كان بعده. ومما يوجب غاية التاسّف هو انهُ لم يصل الينا شيء من تاليفاتهم سوى كتاب احيقار ورسالة مارا برسرابيون. والداعي الى ذلك هو ان تمسك الكلدان المسيحيّين بديانتهم ساقهم الى ان يتلفوا من دون تمييز كلّ اثر وثنيّ اتصل بهم من اجدادهم. كما انّ الكلدان الكاثوليك في الازمنة المتاخرة حملهم حبّهم المفرط للكثلكة ان يجعلوا فريسةً للنار في ملبار وبغداد والموصل كتباً كثيرة نفيسة لكونها تحوي تعليم نسطور او اسمه فقط لا غير

انّ الموءلّفين الكلدانيين او الاراميين الذين اشتهروا في الاجيال الثلاثة الاولى هم ططيانوس وبرديصان وابنه أرمونيوس وماني ومار ارخلاوس او عبد يشوع اسقف كشكر وقد سبق الكلام عنهم. وفي الجيل الرابع تلألأ ميليس اسقف شوشان

---

(١) فيه ص ٣٤٨ (٢) طبعة نو ص ١٢ (٣) فيه ص ١٨
(٤) راجع المجلد الاول من هذا الكتاب ١١٣ - ١١٤

ومار شمعون برصباعي وابراهاط الحكيم الفارسي وغريغوريوس الراهب ومار افرام وتلاميذه · قال برحدبشبا عربايا في مقالته في مدرسة نصيبين ان يعقوب النصيبيني فتح مدرسة في نصيبين سنة ٣٢٥ وجعل فيها مار افرام معلّماً (١) · فهذه المدرسة لا بد من انها كانت موجودة في نصيبين قبل السنة المذكورة والّا فاين تعلّم مار افرام لا بل اين تعلّم مار يعقوب نفسه · ولا بدّ من انّ ابراهاط وشمعون برصباعي وميليس هم ايضاً درسوا امّا في نصيبين وامّا في مدينة اخرى · قال ابراهاط في المحبّة « كذا يقول ايضاً معلّمونا الحكماء »: ܗܟܢ ܐܡܪܝܢ ܡܠܦܢܝܢ ܐܦ ܚܟܝܡܐ

٢ً مار يعقوب اسقف نصيبين (٣٠٩ — ٣٣٨)

انّ اشهر مــدن الشرق في الجيل الرابع كانت نصيبين وكانت في حدود المملكتين الرومانية والفارسية ولذلك دُعيت ايضاً ܡܕܝܢܬ ܬܚܘܡܐ مدينة التخوم · وكانت تارة تقع بيد الفرس وتارة بيد الرومانيين · وكانت الديانة المسيحية قد انتشرت فيها انتشاراً عجيباً · فبُنيت فيها الكنائس الفاخرة (٢) وكثرت فيها وفي اطرافها الاديرة (٣) · وفُتحت فيها المدارس (٤) · فسمّيت ܬܪܣܐ ܕܟܠ ܡܕ̈ܝܢܬܐ تُرس كلّ المدن المحصّنة و ܪܫܐ ܕܐܬܪܐ ܕܒܝܬ ܢܗܪ̈ܝܢ رئيسة ما بين النهرين · و ܪܫܐ ܕܡܥܪܒܐ (٥) رئيسة المغرب · و ܐܡܐ ܕܝܘܠܦܢ̈ܐ ام العلوم · ܘܡܕܝܢܬ ܡܕ̈ܥܐ ·مدينة المعارف · و ܐܡܐ ܕܡܠܦ̈ܢܐ ام الملافنة · وسمّاها اليونانيون انطاكية الثانية اذ اطلقوا عليها اسم انطاكية مغدونيا · ومغدونيا هو اسم النهر الذي يمرّ بها

ففي هذه المدينة الشهيرة وُلد واشتهر اعظم قدّيسي الكلدان واجلّ ملافنتهم مار يعقوب ومار افرام النصيبيّين · وفيها فُتحت اول مدرسة في شرقنا تكلّمت

---

(١) برحدبشبا عربايا طبعة ادّي شير ٦٣ (٢) ايليا ٩٨
(٣) بيجان ٥٧٥ : ٥٧٥ (٤) برحدبشبا ٦٣
(٥) تأليفات مار افرام ورابولا و بالاي طبعة اوفربيك ١٨٦٥ : ١٠ — ١١

التواريخ عنها . وكان تلسيسها على يد مار يعقوب ومار افرام (١)

انتخب يعقوب سيرة الزهاد المتوحدين (٢) . ثم صار اسقفاً على نصيبين سنة ٣٠٩ (٣) . ولم يغيّر سيرته القشفة في اسقفيته وزاد على ذلك الاعتناء بالفقراء . وصنع الله على يده معجزات كثيرة باهرة . فطار صيته في الآفاق حتى انّ اوسابيوس القيصري (٤) سمّاه فخر اساقفة الفرس وجهبذاً في علوم الكتب المقدسة . وشيّد يعقوب كنيسة فاخرة في نصيبين (٥) بدأ بها سنة ٣١٣ وكمّلها سنة ٣٢٠ . ويُشاهد الى يومنا هذا قبره فيها . وقد ضبطها اليعاقبة من الكلدان في منتصف الجيل الماضي وقيل عن يعقوب انه لما حدث الشقاق في المدائن بين پاپا واساقفته كتب اليهم رسالة حثّهم فيها على التواضع والاتفاق وسياتي ذكر ذلك . وقد اجمع المؤرخون الشرقيون على انّ مار يعقوب حضر في المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ مع افرام تلميذه وبعض اساقفة الشرق . وعلى ايامه اي في سنة ٣٣٨ حاصر شابور لاول مرّة مدينة نصيبين . لكنه لم يتمكّن من افتتاحها . وتوفي مار يعقوب في تلك السنة عينها (٦) . وقال عنه كناديوس (٧) انّ له تاليفات كثيرة مقسومة الى ٢٦ كتاباً . وذكر منها ٢٤ وهي هذه : في الايمان وضد المراطقة وفي المحبة وفي محبة القريب والصوم والصلوة والقيامة والحيوة بعد الممات والتواضع والصبر والتوبة والبراهين والبتولية وحياة النفس والتطهير او الختانة وعنقود العنب والمسيح والطهارة وضدّ الامم وبناء الهيكل ورجوع الامم ومملكة الفرس والاضطهاد وكتب ايضاً افرانيقون . هذا ما قاله كناديوس ولا يخفى انهُ خلط بين مار يعقوب اسقف نصيبين وابراهاط الحكيم الفارسي . وممّا سبّب هذا التشويش هو انّ اليعاقبة ربّما اطلقوا اسم يعقوب على ابراهاط (٨) . فانّ هذه المقالات التي ذكرها كناديوس هي مقالات ابراهاط نفسها كما سيأتي

واتى ذكر القديس يعقوب في السنكسار الروماني في ١٥ حزيران وعند الروم

---

(١) برحدشبا ٦٣ (٢) بيجان ج : ٢٦٢ وما يلي واشهر شهداء المشرق ت : ١ — ١٠ (٣) ايليا ٩٨ (٤) ترجمة قسطنطين [illegible]

(٥) ايليا ٩٨ (٦) ايليا ١٠٠ وتاريخ اورهاي في السمعاني ج : ٣٩٥

(٧) كتابه في مشاهير الرجال الفصل الاول (٨) كتاب تحوياتا ٥٠٨

في ٣١ تشرين الاول وعند الموارنة في ١٣ تشرين الثاني. وعند القبط في ١٨ طوب . وعند السريان في ٢١ تشرين الثاني . وعند الارمن في السبت الاول من سبّة الخمسين (١) . وعند الكلدان في الجمعة الاولى من القيظ كما جاء في الحوذرا وفي ١٧ نيسان كما اتى في قائمة القدّيسين السنوّية

٣ً مار شمعون برصباعي الجاثليق (٣٢٩ — ٣٤١) .

كان شمعون برصباعي(٢) من المدائن وقيل من شوشان. وبرصباعي (ܒܪ ܨܒ̈ܥܐ) معناها ابن الصباغين. وكان ابوه مقرباً لدى الملك وكان شمعون حسن الصورة كما اتى في ترجمته. ولمّا وقعت المشاجرة بين پاپا واساقفته سنة ٣١٧ تحزّب شمعون ضدّه مع جملة كهنة المدائن . ولمّا توفي پاپا سنة ٣٢٩ جلس شمعون مكانه على كرسي المدائن. ورتّب اشياء كثيرة في بيعة الله. منها انّ الراهبات كنّ يحضرن الصلوة مع الرجال في ليالي الاعياد ويرتلن معهم المداريش فنعهنّ عن ذلك. وهو الذي امر ان تتلى الصلوة في الكنيسة بين جوقين. وقسم مزامير داود الى ماميث (ܡܪ̈ܡܝܬܐ) وهولالات (ܗܘ̈ܠܠܐ) ويقول عنه عبد يشوع الصوباوي (٣) انّ له رسائل ولم تصل الينا . وممّا وصل من تاليفاته بعض الالحان منها ܡܢܟ ܡܫܒ̈ܚܢܐ المكتوبة في كتاب الفرض المسمّى الحوذرا يوم تذكاره و ܐܬܐ ܥܠܝܡܘܗܝ الذي يرتل في قداس الاحد الجديد . وقيل انهُ أنشده تشجيعاً لرفاقه الشهداء على احتمال العذاب (٤) كما سترى في قصة استشهاده و ܫܡܥܐ ܕܫܘܬܦܘܬܐ (٥) قاله يوم خميس الفصح لمّا قدّس في الحبس (٦)

واليهِ نُسِب كتاب الآباء وهو يتكلّم عن طغمات الملائكة والدرجات البيعية

---

(١) السمعاني ܒ : ١٨ (٢) راجع تواريخ سعرد ܒ : ٨٦ ٩٥. وماري ١٦ — ١٩ وعمرو ١٥ — ١٩ . وابن العبري ܓ : ٣٣ . والسمعاني ܒ : ١ — ١٢

(٣) السمعاني : ܠ : ܒ : ٥١ (٤) ماري ١٨. والتاريخ السعردي ܒ : ٩٢

(٥) حوذرا (مخطوط) في تذكار مار شمعون برصباعي

(٦) ماري ١٨ . والتاريخ السعردي ܒ : ٩٥

وكراسي مطارنة الكلدان . لكنّ ذلك ليس بصحيح . فانّ هذا الكتاب يذكر كرسي مطرنة الصين والخلفاء العباسيين في بغداد ومن المعلوم انه على عهد مار شمعون لم يكن لنا مطران في الصين ولم يكن ظهر بعد دين الاسلام

٤َ مار ميليس اسقف شوشان (✠ ٣٤١)

كان ميليس (١) من ارض رازيق في بلاد فارس . وتربّى منذ صغره في دار الملك . ثمّ تنصّر وترهّب . وأُسيم اسقفاً على شوشان عن يد كدياب مطران كونديشابور . وحجّ الى اورشليم وزار الرهبان في مصر . وفي رجوعه بقي مدّة في نصيبين عند مار يعقوب اذ كان هذا الاسقف الجليل يشيّد كنيسته الاسقفية . ولما وصل ميليس الى حدياب ارسل اليه كمّية وافرة من الانسجة الحريرية لاجل نفقة تلك الكنيسة (نحو سنة ٣١٧) . وكان مار ميليس من الدّ اعداء بابا . ويروى عنه معجزات كثيرة . ونال اكليل الشهادة سنة ٣٤١ كما سترى في محلّه

وكان لمار ميليس رسائل وميامر متنوعة كما قال عنه الصوباوي (٢) ويُستنتج من التاريخ السعردي انّهُ كتب ايضاً كتاب تواريخ . فانهُ في ترجمة بهرام بن وارهاران قال ما نصّهُ: « لانهُ تربّى في كرخ جدان على ما قال ميلاس الرازي » لكن يحتمل ايضا ان هذا الكلام منقول عن رسائله التي ذكرها الصوباوي

٥َ اشعيا برحدابو وثوفيل الأُورهاوي

واشتهر ايضاً في النصف الاول من الجيل الرابع اشعيا برحدابو الارزنيّ بتسطيره جهاد الشهداء يونان وبريخيشوع ورفاقهما الذين استشهدوا سنة ٣٢٧ . وتئوفيل الاورهاوي وكان هذا وثنياً ثمّ تنصّر . وكتب اعمال كوريا وشامونا اللذين استشهدا سنة ٣٠٣ وجهاد حبيب الشماس الذين قُتِل سنة ٣٠٩ . وفي تلك الاثناء ايضاً اشتهرت تومايس الراهبة في دير للبنات في نصيبين . وكتبت اعمال فبرونيا وسياتي الكلام عن جميع هولاء الشهداء .

---

(١) راجع بيجان ٤ : ٢٦٠ — ٢٧٥ وشير ٤ : ٢٦٠ — ٢٦٨ . والسمعاني ١ : ١٢ — ١٣ (٢) في السمعاني ج ٣ : ١ : ٥١

٦ً ابراهاط الحكيم الفارسي (٣٤٥)

من اجلّ العلماء الذين ظهروا في النصف الاول من الجيل الرابع هو ابراهاط ويُلقَّب بالحكيم الفارسي ܚܟܝܡܐ ܦܪܣܝܐ . ودعاه الصوباوي (١) ܛܘܒܢܐ ܚܠܝܐ اي الكلّي الطوبى . واتى اسمه في تاريخ ميخائيل البطريرك وابن العبري بوزيطيس ܦܘܙܝܛܝܣ وليس هذا الّا تحريف ابراهاط . ولا يعُرَف من امر ابراهاط سوى انهُ كان راهباً واسقفاً معاً . ومن تاليفاته كتاب الايضاحات (ܬܚܘܝܬܐ) وهو مقسوم الى قسمين . القسم الاول ألّفه سنة ٣٣٧ ويشتمل على عشر مقالات في الايمان والمحبة والصوم والصلوة والحروب والرهبان والتائبين والقيامة والتواضع والرعاة . والقسم الثاني كُتِب سنة ٣٤٤ و ٣٤٥ وهو يحوي ثلاث عشرة مقالة في التطهير والفصح والسبت والتقنيع وتمييز الاكل والأُمم والمسيح والبتولية وضد اليهود وفي الصدقة والاضطهاد والموت . وجميع هذه المقالات هي على ترتيب الحروف الابجديّة . وتليها مقالة عنوانها ܣܓܘܠܐ اي العنقود وهذا الكتاب نفيس الى الغاية وهو اول كتاب دينيّ وصل الينا من اجدادنا الكلدان النصارى . وكان مؤلفه يعرف اتم المعرفة الكتب المقدسة وما اتى عنها في التقليد اليهودي والمسيحيّ (٢) . وقد طبع العلامة ريت الانكليزي هذا الكتاب سنة ١٨٦٩ وكرافين الفرنسوي سنة ١٨٩٤ وتُرجم من قديم الزمان الى الارمنيّة باسم يعقوب النصيبيني . وفي هذه السنين الاخيرة نُقِل ايضاً الى اللاتينيّة والانكليزيّة والالمانيّة

٧ً غريغوريوس الراهب

كان غريغوريوس (٣) من الاهواز من مدينة شوشتر فترك التجارة وترهّب وانطلق الى نصيبين فاورهاي ودرس العلوم على موسى الملفان . ثمّ اتى الى جبل ايزلا حيث انفرد في مغارة . وبعد حين رجع الى بلدته واتى باخته ووضعها في دير بقرب نصيبين .

---

(١) السمعاني ܐ : ܐ : ٨٥ (٢) الآداب السريانية ٢٢٧

(٣) تاريخ سعرد ܐ : ١٦١ — ١٦٣ . والعفة ܗܟ . والسمعاني ܐ : ١٧٠ — ١٧٤ والآداب السريانية ٢٣١

ومن هناك انطلق الى جزيرة قبرص وصار بستانياً في دير هناك قبل السنة ٣٦٦ التي فيها صار ابيفانيوس اسقفا في قبرص . كما يتّضح من كتابه . وظهر فضله للرهبان فجعلوه رئيساً عليهم . ثمّ تركهم ورجع الى جبل ايزلا حيث قضى نحبهُ . والّف غريغوريوس كتابا في السيرة الرهبانيّة وهو محفوظ في مكتبة الواتيكان وفي القلّاية البطريركيّة في الموصل (١) . وقال عنه التاريخ السعردي انّه كتاب كبير مقسوم الى ثلاثة اجزاء . الاول مواعظ والثاني الرؤيا التي رآها والثالث رسائل (٢)

٨ً مار افرام النصيبينيّ (✠ ٣٧٣)

انّ الذي زيّن الكنيسة الكلدانية اكثرما يكون في الجيل الرابع بعلمه وفضائله هو مار افرام النصيبيني . كانت ولادته في نصيبين في منتهى الجيل الثالث وتتلمذ لمار يعقوب الاسقف الذي هذّبه بالفضيلة والعلم وقيل انهُ اخذه معهُ الى المجمع النيقاوي . ثمّ جعله معلّماً في المدرسة التي فتحها نحو سنة ٣٢٥ او كانت موجودة قبل ذلك التاريخ ولما توفي مار يعقوب خدم افرام بين أيدي خلفائه اعني بهم بابو (٣٣٨ — ٣٤٣) واولغاش (٣٤٣ — ٣٦١) وابراهام . وانشد مناقبهم الجليلة في عدّة ميامر ألفها وهو في نصيبين (٣) . ويصف يعقوب بالغيرة والحزم . وبابو بالتواضع ومحبة الفقراء وأُولغاش بالعلم والآداب وابراهام بالوداعة ومحبة الفقر . ومما قالهُ عن اولغاش يظهر انّ المدرسة نجحت بايامه نجاحاً عظيماً . وبقي افرام يعلّم في مدرسة نصيبين اكثر من ٣٨ سنة وهو منكبّ على الدرس والتأليف الى السنة ٣٦٣ التي فيها سُلّمت نصيبين لشابور ملك الفرس . وكان ذلك في شهر آب او في ايلول . لان يوليانوس مات في ٢٦ تموز (٤) . والّف مار افرام في تلك الاثناء جملة قصائد فيها يذمّ يوليانوس الجاحد ملك الروم ويثني على شابور(٥) ملك الفرس كما سيأتيك في محلّه

---

(١) قائمة المخطوطات السريانية في القلاية البطريركية بالموصل لادي شير العدد ٩٦

(٢) ان عبد يشوع الصوباوي (في السمعاني ܓ : ܐ : ١٩١) يقول عنهُ انهُ الّف كتاباً ورسائل

(٣) راجع ميامر مار افرام النصيبينية طبعة بيكل والمروج النزهيّة في آداب اللغة الآرامية للقس يعقوب منّا ١٩٠١ ܐ : ٨٧ — ٩٢

(٤) ايليا ١٠٣

(٥) راجع تأليفات مار افرام وربولا وبالاي طبعة اوفربيك آكسفورد ١٨٦٥

واعلم ان مار افرام لم يخرج حالًا من نصيبين الى آمد او الى اورهاي كما يُذكر في قصته بل بقي في وطنهِ العزيز سنين كثيرة ولعله في سنة ٣٦٩ ذهب الى اورهاي وعلّم فيها · فانهُ اتى في النصوص السريانية التي طبعها لاند انهُ في تلك السنة عينها عُرف مار افرام واشتهر (١) · ورافق ايضاً مار افرام الى اورهاي جميع معلمي مدرسة نصيبين وبعض اشرافها · وفتحوا فيها مدرسة لبني جلدتهم عوض مدرسة نصيبين · ولذا لاجل ذلك عُرفت تلك المدرسة بمدرسة الفرس اي مدرسة الكلدان الذين تحت حكم ملوك فارس

وكانت اورهاي حينئذٍ زاهرة عامرة مزدانة بالكنائس والاديرة · وكان قونا اسقفها قد وضع سنة ٣١٣ اساس كنيسة فاخرة وتممها خلفه شاعاد (٣١٣— ٣٢٤) وبنى ديث ألاها (٣٢٤ — ٣٤٦) في اول سنة من اسقفيتهِ مقبرة عظيمة · وابراهام (٣٤٦ — ٣٦١) شيَّد كنيسة المعترفين · وجلس من بعده على الكرسي برسا من سنة ٣٦١ الى ٣٧٨ وهو الذي شيَّد بيت العماذ(٢) · ففي زمان هذا الاسقف وصل مار افرام ورفاقه إلى اورهاي · ولما رآها من بعيد وابصر الاديرة العامرة التي حولها تهلّل قلبه فرحاً · وصار لهُ تلاميذ كثيرون · ودبَّر مدرسته هذه الجديدة بكل غيرة ونشاط بضع سنوات · وكانت وفاته في ٩ حزيران سنة ٣٧٣ وذكره عند الكلدان في جمعة اسبوع الباعوث · وعند اللاتين في ٩ حزيران · وعند اليونان والسريان والارمن في ٢٨ كانون الثاني

ان الكلدان دعوا مار افرام النصيبيني نبيًّا وملفان الملافنة وافرام الكبير ودعاه اليعاقبة شمس السريان وكنارة الروح · وقد تُرجمت تأليفاتهُ من قديم الزمان الى اليونانية والارمنية والقبطية والحبشية واللاتينية والعربية · ودخلت اناشيده في طقس النساطرة والموارنة واليعاقبة · واتى في التاريخ السعرديّ ان لهُ قداساً يقدس بهِ الملكيون · وكان يقدّس بهِ النساطرة ايضاً في نصيبين الى ايام مار ايشوعياب الحدياييّ الجاثليق الذي رتّب الصلوات واقتصر على النوافير الثلاث المستعملة عندنا

---

(١) لاند ٢ : ١٨

(٢) التاريخ الاورهاوي في السمعاني ٢ : ٣٩٣ — ٣٩٧

اليوم والغنى ما سواها

كان مار افرام غزير المواد وبليغ الكتابة وفي قصائده تلوح العذوبة والجودة والقداسة . وقد مدحه حنانيشوع بن سروشويه اسقف الحيرة قائلًا (١)«من يتهيأ له يا بحر العلوم ان يصف غزارة خزائنك . من يحسن يا معدن الكنوز ان يسدر(٢) محاسن قولك . من لا تهمّه نفسه ويكرم حظّه من الصمت اذا ذكر في المحافل اسمك ... كلّ معلم يصمت ومار افريم ينطق . كل خاطب يتحير ويتحصر ومار افريم يطرب ويهدر . » اه

٩ً انتقاد تاريخيّ

انّ قصة مار افرام مطبوعة في صدر تاليفاته التي طبعها السمعاني في رومية سنة ١٧٤٣ وطبعها السيد لامي في مجموعة تآليف مار افرام الغير المنشورة . والاب بيجان في المجلد الثالث من اعمال القديسين والشهداء . وبكل اسف اقول انّ هذه القصة لا يُعتمد عليها فانّ فيها اغلاطاً كثيرة . ولا بد من انها كُتبت بعد وفاة مار افرام بجيلين او ثلاثة

١ً مكتوب في القصة انّ افرام كان وثنيًّا وان اباه كان كاهناً لصنم يقال له ابيزل . فنقول انّ افرام لو كان وثنياً ثمّ تنصّر لأشار الى ذلك في تاليفاته الكثيرة . وما عدا هذا فانّ البعض من الكتبة القدماء ذهبوا انه وُلد مسيحياً (٣)

٢ً لا صحة لما قيل عن سفره الى مصر ومكثه فيها ثماني سنين وذهابه الى قيصريّة لزيارة مار باسيليوس . لانّ انتقاله من نصيبين الى اورهاي كان بعد سنة ٣٦٣ ووفاته سنة ٣٧٣ . فان كان سفره الى مصر صحيحا يكون قد بقي في اورهاي سنة واحدة فقط وهذا ليس من المحتمل (٤)

٣ً لا صحّة لما قيل في القصّة نفسها انّ الهونيّين على ايام مار افرام حملوا

---

(١) التاريخ السعردي ٢ : ١٨٥ (٢) من ܣܕܪ ومعناها صفّ

(٣) تاريخ المؤلفين الكنائسيين ٥ : ١

(٤) راجع الآداب السريانية لدوفال ٣٣٤ — ٣٣٥

على اورهاي ونهبوا وقتلوا . لان خروج الهونيّين على ما بين النهرين كان سنة ٣٩٦ (١) اي ٢٣ سنة بعد وفاة افرام

٤ً لا يُصدَّق ما جاء فيها انهُ في ايام هذا الملفان اتى ڤالنس الملك الى اورهاي ونفى اسقفها برسا وان افرام كتب ميمرًا في هذا الاضطهاد لان نفي برسا كان في ايلول سنة ٣٧٣ (٢) اي ثلاثة اشهر من بعد وفاة القديس

٥ً لا صحّة لحكاية المرأة الخاطئة التي قيل عنها انها كتبت جميع خطاياها على قرطاس وقدمتهُ لمار باسيليوس وبصلاتهِ انمحت جميع الخطايا من القرطاس عدا خطية واحدة جسيمة . فارسلها الاسقف الى افرام . وهذا الملفان رجّعها الى باسيليوس واشار عليها ان تسرع اليهِ قبل ان يموت . فرجعت المرأة الى قيصرية واذا باسقفها قد مات وكُفّن . فكيف تصحّ هذه الحكاية اذا كان افرام قد توفي قبل باسيليوس (٣) بست سنين . ثم ان هذه الحكاية نفسها مكتوبة ايضاً في قصة مار يوحنا الرحوم رئيس اساقفة اسكندرية (٤)

٦ً ان كاتب القصّة يناقض نفسه اذ يقول ان مار افرام من بعد خروجه من نصيبين قد اعتمذ وتعلّم المزامير ولهُ حينئذٍ من العمر ٢٨ سنة وفي القصة نفسها يقول عنهُ انهُ حضر في المجمع النيقاوي مع معلّمهِ مار يعقوب . والحال انهُ بين هذا المجمع وخروج افرام من نصيبين اكثر من ٣٨ سنة

٧ً يوجد ايضاً تناقض صريح في قولهِ ان مار افرام وُلد في زمان قسطنطين الكبير الملك المؤمن وانهُ حضر المجمع النيقاوي . فاذا فرضنا ان ولادة هذا الملفان كانت في سنة ٣١٢ التي فيها تنصّر قسطنطين يكون عمره ١٣ سنة في سنة ٣٢٥ التي فيها عُقِد مجمع نيقية

وخلاصة الكلام ان قصّة مار افرام التي بيدنا عدا انها ممتلئة غلطات ومضاددات تاريخية فانها لا تصوّر امامنا هذا الملفان الذائع الصيت منكبًا على

---

(١) التاريخ الاورهاوي في السمعاني ١ : ٤٠٠ . ودوڤال الآداب السريانية ٣٣٥

(٢) فيهما ايضاً ٣٩٨ و ٣٣٥ (٣) توفي باسيليوس اسقف قيصريّة سنة ٣٧٩

(٤) بيجان ٥ : ٣٩١ — ٣٩٤

الدرس والتدريس والتأليف بل مختفياً عن الناس ومتزوياً في الجبـال والمغائر . وممّا يستحق الذكر والاعتبار ان يعقوب السروجي (٤٥٣ — ٥٢١) الذي هو اوّل مؤلف ارامي كتب عن مار افرام (١) لا يذكر شيئاً عن فضائلهِ الرهبانية وسيرتهِ النسكية بل يثني على ملفنتهِ وتعاليمهِ وتآليفهِ الغزيرة

ان تأليفات مار افرام كثيرة . وقد طُبع جانب كبير منها في روميـة عن يد السمعاني . وهي عبارة عن ستة مجلدات ضخمة ثلاثة منها ارامية وثلاثة يونانية ولاتينية . ومياره المعروفة بالنصيبينية طبعها بيكل سنة ١٨٦٦ واوفربيك سنة ١٨٦٥ . وطبع ايضاً السيد لامي ميامر اخرى كثيرة . والسيّد رحماني طبع ميامره في البتولية . ومياره الطويلة في يوسف بن يعقوب طبعها الاب بيجان . وتفسير الانجيل قد ضاع اصله في الارامية وترجمته الارمنية محفوظة . ووصيته قد طبعها اوفربيك سنة ١٨٦٥ (٢) والاب بيجان سنة ١٩٠١ (٣) . ولقد ذهب قوم ان هذه الوصية وميامر يوسف ليست من قلمه بل من قلم تلاميذه وكذلك قل عن كتاب مغارة الكنوز (ܡܥܪܬ ܓܙܐ) . وقد نُسب اليهِ ميامر كثيرة وعونيثات عديدة هي من تآليف اسحق الكبير ونرساي الملفان (٤)

١٠ً تلاميذ مار افرام

ان مار افرام كان له تلاميذ كثيرون . وهاك اشهرهم : آبا وابراهام وشمعون ومارا وپولونا وأرواد (٥) وزينوب واسحق وأسونا (٦) . امـا آبا فكتب تفسير الانجيل ومقالة في ايوب ومقالة اخرى في الآية التاسعة من المزمور ٤٢ (٧) وجادل

---

(١) بيجان ܓ : ٦٦٥ — ٦٧٩

(٢) تأليفات مار افرام وربولا وبالاي ١٣٧ — ١٥٦

(٣) كتاب الرؤساء لتوما مركايا طبعة بيجان ٦٨١ — ٦٩٦

(٤) الآداب السريانية لدوفال ٣٣٦ — ٣٣٧

(٥) وصية مار افرام في كتاب الرؤساء طبعة بيجان ٦٩١ — ٦٩٢

(٦) بيجان ܓ : ٦٣٨ . والتاريخ السعردي ܒ : ٨٤ . وسوزومين ܓ : ܝܘ

(٧) الآداب السريانية ٧٦

مكسيموس الاريوسي (١). وشمعون قيل عنه انه هو الذي كتب قصة معلمه مار افرام (٢). وبولونا الّف مداريش وكتب ضدّ المراطقة وضدّ مرقيون ومقالة في الايمان (٣) وفي وصية مار افرام يُذَم ذمًّا شديدًا لانهُ نبــذ الديانة المستقيمة. وزينوب ذكرهُ الصوباوي بين المؤلفين اليونانيين وكتب ضدّ مرقيون وبمپوليوس (٤) وقال عنهُ السمعاني انهُ من جزيرة قردو وذلك استنادًا الى تسمية مــار افرام اياه ܓܘܡܕܝܐ. لكنّ هذه الكلمة في الارامية معناها الجنديّ وجابي الجزية. فضلًا عن ان هذه الجزيرة المذكورة لم تكن موجودة حينئذٍ لانّ المسلمين بنوها. وأسونا قال عنه اخسنايا تحلايا في رسالتهِ الى بطرس الراهب انه كان راهباً في اورهاي والّف مداريش كثيرة وانطون ريطو قال عنه انه كان قبــل مار افرام اما التاريخ السعردي فيعدّهُ بين تلاميذ هذا الملفان. واسحق (٥) اصلهُ من آمد وتتلمذ لمار افرام وهو غير اسحق الكبير. ولعلّ بالاي ايضاً من تلاميذ افرام او هو تحريف بولونا ولهُ قصائد كثيرة في التوبة ومريم البتول والشهداء.

واتى في التاريخ الأورهاوي (٦) ان عبسميا ابن اخت مار افرام الّف سنة ٤٠٤ مداريش وميــامر في غارة الهونيين على بلاد الروم. وقال عنهُ ديونوسيوس بطريرك اليعاقبة انه عُرف سنة ٣٩٧. واما عبد يشوع الصوباوي (٧) فيسميهِ عبشلاما لكنهُ توهم بقوله انهُ كان اسقف اورهاي

ان العلامة بيكل النمساوي ذكر كيرلونا في كتاب لهُ طبعهُ سنة ١٨٧٣ واورد لهُ فيــه جملة قصائد في الصليب والفصح والحنطة ولهُ ايضاً قصيدة في بلية الجراد وهجوم الهونيين الّفها سنة ٣٩٧. وقــد ظنّ بيكل ان كيرلونا هو عبسميا نفسه المذكور الساعة (٨) اما نحن فقد ذهبنا في كتاب مدرسة نصيبين الذي طبعناه في بيروت انهُ قيورا الذي قال عنهُ برحدبشبّا عربايا انهُ قام بعد مــار افرام في رئاسة

---

(١) التاريخ السعردي 2 : ٢١٠
(٢) فيهِ ١٧٩
(٣) السمعاني ܐ : 2 : ١٧٠
(٤) فيهِ ٤٣
(٥) السمعاني 2 : ١٦٥ — ١٦٨
(٦) فيهِ ٤٠١
(٧) فيهِ ايضاً ١٦٩
(٨) راجع دوقال الآداب السريانية ٣٣٧

المدرسة . ويُحتمل ايضاً ان كيرلونا او قيرلونا تحريف پولونا المذكور او انّ پولونا تصحيف كيرلونا. والله اعلم

الفصل الرابع

في رئاسة كرسي المدائن وپاپا الجاثليق († ٣٢٩)

ومجمع سالبق الاول (سنة ٣١٧).

ان الانسان يرغب في الرفعة والمجد . وهـذه الرذيلة موجودة حتى في رعاة الكنيسة . ولم يخلُ منها تلاميذ المسيح انفسهم (١). وهي سبب اغلب الانشقاقات التي صارت وتصير في كنيسة الله. واول انشقاق حدث في الكنيسة الكلدانية بسبب الرئاسة كان على زمان پاپا اسقف المدائن. وحدث منهُ منفعة عظيمة . فان الرئاسة في كنيستنا ترتّبت حينئذٍ او بدأت تترتّب وتنتظم

قلنا ان المؤرخين الشرقيين ان كانوا نساطرة او يعاقبـة يذكرون على كرسي المدائن قبل پاپا ستة اساقفة وهم ماري وأبريس وابراهام ويعقوب وأحادآبوي وشحلوپا . وبعضهم يذكرون سبعة (٢) اعني انهم يزيدون تومرصا قبل شحلوپا . امّا المستشرقون فينكرون ذلك ويقولون انّ اول اسقف جلس على كرسي المدائن هو پاپا (٣) . وقد ظهر مشيحا زخا وأيّد قولهم فان هذا المؤرخ يعدّ أحادآبوي وشحلوپا من اساقفـة اربيل ويذكر ان أحادآبوي هو الذي اسام پاپا اسقفاً على المدائن

وعن هذا اقول: ان مشيحا زخا يروي الامر عن التقليد كما يقول هو (ܐܝܟ ܕܫܡܥܬ ܡܢ ܩܕܡܝ̈ܐ) وبين پاپا ومشيحا زخا ٢٥٠ سنة . ثانياً أتى في تواريخ ابن العبري ان داود مطران ميشان أسام پاپا . فلا ننكر ان مشيحازخا

(١) متى ك : ٢٠ وما يلي

(٢) ايليا الدمشقي في السمعاني ج ٣ : ٣٩٢ . وسفر الاحياء والموتى (مخطوط)

(٣) لابور ١٠ وما يلي

اقدم بكثير من ابن العبري . لكن لا بدّ من انّ المؤرخ اليعقوبي اخذ روايته هذه عن المؤرخين ايضاً . ثالثاً يظهر من اعمال مجمع داديشوع الجاثليق (٤٢٤) ان المدائن جلس فيها اساقفة قبل پاپا . فانهُ ذُكر فيها (١) نقلاً عن رسالة الآباء الغربيين الى اساقفة الشرق وفي رسالتهم الى پاپا (٢) نفسه ان يُتلى اسم پاپا في سفر الاحياء والاموات قبل أسماء الاساقفة الذين سبقوه . ومما يثبت قول المجمع سفر الاحياء نفسه (٣) . فانه يذكر اولًا اسماء الجثالقة الشهداء اعني بهم شمعون برصباعي وشاهدوست واربعشمين (بربعشمين) وبابي (بابوي) وايشوعياب (كذا) ثم پاپا وابريس وابراهام ويعقوب وأحادآبوي وتومرصا وشحلوپا . رابعاً يظهر ايضاً من كلام مشيحا زخا نفسه انهُ حدث انشقاق في ساليق بخصوص نصب اسقف لها وانما من اجل هذا الانشقاق التزم ثلاثة اساقفة او اكثر ان ينطلقوا الى المدائن . وهاك كلامه : ان أحادآبوي ذهب الى ساليق مصحوباً بزخايشوع اسقف حرباث گلال وشَبْثا اسقف بيت زبداي وبقوا هناك سنة كاملة واصلحوا الامور المعوّجة . وانهُ بمشورة حَيْ بْعيل اسقف شوشان وضع يده على پاپا ورسمه اسقفاً

فترى ان اخبار كرسي ساليق قبل پاپا غائصة في الظلام . وان كان أبريس ورفاقه قد جلسوا على كرسي المدائن فلم يمكنهم في تلك الازمنة الصعبة ان يظهروا سيطرتهم على سائر الاساقفة . ولا سيما ان القوانين البيعية لم تكن بعد قد سُنَّت . واسم رئيس الاساقفة او الميطراپوليت او البطريرك لم يكن قد أُطلِق بعد فكان يقال مثلًا اسقف اورشليم واسقف انطاكية واسقف اسكندرية وهلمّ جرّاً . والى زمان پاپا لم يكن بين اساقفة الشرق رباط يربطهم ببعضهم وربما كان اسقفان او ثلاثة يجلسون معاً على كرسي واحد كما كان گذياب وسابينا جالسَين معاً على كرسي گونديشابور سنة ٣٤١ وكلاهما نالا اكليل الاستشهاد مع شمعون برصباعي . وهذه العادة بقيت جارية الى مجمع اسحق الجاثليق سنة ٤١٠ (٤)

---

(١) السنهادوسات ٤٧ (٢) راجع مخابرة پاپا

(٣) ان سفر الاحياء والموتى ويقال لهُ ديوپطخين باليونانية طلبة تقال في قداس الاعياد المارانيَّة عوض ܬܘܒ ܥܠ ܥܢܝܕܐ ܟܠܗܘܢ او ܥܠ ܟܠܗܘܢ ܩܕܝܫܐ

(٤) السنهادوسات ٢٠

واعلم ان المرعيثات الكلدانية اعني الرعية التي يدبّرها اسقف كانت جدًّا في الجيل الرابع . والتي ذكرتها التواريخ (١) هي الآتية : في الشمال . نصيبين وبيت زبداي وارزون وسنجار واربيل وحانيثا . وفي الوسط كرخ سلوخ وشهرقرد وبيت نيقاطور وحرباث كلال وبيت مسكيني وبيت حزالي ولاشوم ودارا . وفي بيت ارمالي او كلدو . المداتن وكشكر وبيت كشكرالي وميشان وبرات ميشان وسد شابور او دير مخراق . وفي الاهواز شوشان وشوشتر وبيت لاباط وهرمزأرداشير . وفي ماداي وفارس وخليج العجم حولوان وريواردشير وبيت قطرايي . وفي اطراف بحيرة قزبين ديلوم

فاراد بابا ان يكون له السيطرة على جميع هؤلاء الاساقفة لكون كرسيه في عاصمة المملكة . واصل بابا من ارض بابل . وكان خبيرًا بالكلدانيــة والفارسية زكيًّا حازماً (٢) . فقام عليهِ اساقفة كثيرون واقليروس المداتن فحدث من ذلك شقاق عظيم كما اتى في تاريخ مشيحا زخا . وجاء في اعمال مجمع داديشوع الذي عُقِد سنة ٤٢٤ وفي مخابرة بابا (٣) ان الاساقفة اسندوا الى بابا اشياء شنيعة لم يكن قد ارتكبها وكتبوا في ذلك كتباً نشروها في كل مكان . اما في كتاب المجدل (٤) وفي اعمال مار ميليس (٥) فيذكر ان بابا اقام في بعض المدن اسقفين

---

(١) راجع ايليا ومشيحا زخا وتواريخ كرخ سلوخ وبيجان والتاريخ السعردي وجدول الشهداء طبعة الاب تان دين غين (٢) ماري ٨ . وعمرو ١٣ . وابن العبري ٢٧

(٣) ان مخابرة بابا مكتوبة في كتاب السنهادوسات وهي عبارة عن رسالتين ارسلهما بابا الى هيلاني الملكة والى اهل نصيبين . وست رسالات انفذها الى بابا اوسابيوس اسقف رومية وجوذا قرياقوس اسقف اورشليم وهيلاني الملكة ومار يعقوب اسقف نصيبين ومار افرام النصيبيني والآباء الغربيون . فاوسابيوس وقرياقوس يكتبان لهُ ان قسطنطين الملك وامه هيلاني ارسلا لهُ آنية كنائسية وانهما يريدان ان يبنيا كنيسة في ساليق . وهيلاني تطلب دعاءه . ومار يعقوب ومار افرام والآباء الغربيون يسلّونه ويطلبون اليهِ ان يغفر للاساقفة الذين ظلموه . وبابا نفسه يشكر هيلاني الملكة عن احساناتها ويكتب لاهل نصيبين واصفاً ما قاساه من المجوس ومن اساقفتهِ . ولا حاجة الى القول ان هذه المخابرة مزوّرة لكنها مستندة على حقيقة ولا سيما رسالة الآباء الغربيين

(٤) ماري ٨ — ٩ (٥) بيجان ٤ : ٢٦٦

اسقفين . وكان يتكبّر ويتطاول على الكهنة والشمامسة ويحتقرهم . فالظاهر انّ پاپا بغى أولًا الرئاسة كما قال مشيحا زخا وابراهاط . ولما انكر عليهِ ذلك الاساقفة اسام مكان بعضهم اساقفة متحزّبين لهُ وتطاول على الكهنــة الذين قاوموه . فاجتمع مجمع في ساليق لمحاكمتهِ (٣١٧) وهاك اسماء الاساقفة الذين حضروه : داود اسقف پراث ميشان وكُدياب اسقف كُونديشابور وعبديشوع اسقف كشكر . ويوحنان اسقف ميشان واندراوس اسقف دير محراق وابراهام اسقف شوشتر وميليس اسقف شوشان (١) وعقبلاها اسقف كرخ سلوخ (٢) وحبيب (٣) . وانضم اليهم كهنة المدائن وزعيمهم شمعون برصباعي وكان ابوه مقرّباً عند الملك . وكان اغلب الاساقفة المذكورين علماء عصرهم كما قال التاريخ السعرديّ

وفي هذا المجمع أُنزل پاپا عن الكرسي وأُجلس مكانه شمعون برصباعي . وهاك ما اتى في قصّة مار ميليس (٤) : ان هذا القديس لما رأى ما كان عليهِ پاپا من التكبُّر انتصب في الوسط وقال : « مالي اراك تتجرأ على اخوتك أنسيتَ قول ربّنا انّ الاكبر فيكم يكون خادماً لكم » قال پاپا وقد احتدّ : أأنت يا جاهل تعلّمني كأني اجهل فريضتي فاضطرب ميليس وأخرج الانجيل من مزوده ووضعه امام پاپا على وسادة وقال لهُ : ان لم ترضَ ان تتعلّم مني لاني انسان فدونك الانجيل ومنهُ تتعلّم . فتجاسر پاپا ورفع يده بغضب وضرب الانجيل قائلًا : تكلّم يا انجيل تكلّم وللحال نزل من السماء شيءٌ مثل البرق على شقّه فيبّسهُ . وفي اعمال مجمع داديشوع مذكور ان الاساقفة كانوا المعتدين واذ عاين پاپا ما يجري في المجمع من الظلم والافتراء وشهادة الزور غضب غضباً شديدًا ورفع يده وأوقعها على الانجيل الذي بالوسط وقال : تكلّم يا انجيل تكلّم هوذا الشر قد رفع رأسه والحقّ قد نكس وانت ساكت . فلأنهُ لم يقترب باحترام من الانجيل ضُرب حالًا في جسمهِ (٥)

ولم يبقَ لپاپا واسطة سوى الالتجاء الى اساقفة ما بين النهرين وسوريا الذين في حكم

---

(١) التاريخ السعردي ٤ : ٣٦ (٢) مشيحا زخا ٤٤

(٣) مخابرة پاپا (٤) بيجان ٤ : ٢٦٦ — ٢٦٨

(٥) السهادوسات ٤٦ — ٤٧

المملكة الرومانية . فكتب الى سَعْدا (١) اسقف اورهاي (٣١٣ — ٣٢٤) والى غيره من الاساقفة (٢) . وهؤلاء كتبوا الى قسطنطين الكبير والتمسوا منهُ ان يساعد پاپا . فتوسط قسطنطين في الامر . ومن المحتمل انهُ كتب رأساً الى شابور في شان رئاسة پاپا . او ارسل سفيرًا الى المدائن كما فعل خلفاؤه مرات عديدة . فالتزم اساقفة الكلدان ان يحنوا رؤوسهم امام هذه الاوامر الملوكية . وبقي پاپا جالساً على كرسي المدائن . لا بل ان اساقفة الغرب كتبوا هم ايضاً رسالة الى اساقفة الكلدان فيها يشيرون اليهم ان يعرفوا پاپا رئيساً عليهم ويطيعوه (٣)

هذا اول شقاق تكلّمت عنه التواريخ حدث في كنيستنا الكلدانية . وقد اشار اليهِ ابراهاط الحكيم الفارسي في المقالة الرابعة عشرة من كتابهِ وهي رسالة كتبها الى اخوتهِ الاساقفة والكهنة والشمامسة والى شعب الله كلهِ الساكن في ساليق وقطيسفون . فبعد ان تكلّم ابراهاط طويلًا عن شرور الرؤساء وطمعهم قال : «وُجد عندكم احد اخوتنا عقد التاج على رأسهِ وبلدته لم تشعر بهِ . ولما رفضته توجّه الى ملوك اخرين بعيدين عنهُ وطلب منهم سلاسل وقيودًا واخذ يوزّعها على اهل بلدتهِ ومدينتهِ . ونحن نظنّ ان ذلك الملك الذي عقد التاج كان يجب عليهِ عوض السلاسل التي طلبها من الملوك رفقائهِ ان يلتمس منهم هدايا يوزّعها على اعيانهِ وبني وطنه ومدينته . ليسمع الحكيم ويفهم » (٤)

ان هذا الكلام الرمزي يشير عن پاپا . فانهُ عقد تاج الرئاسة على رأسهِ ولما شعر بذلك الاساقفة واقليروس المدائن لم يقبلوا رئاسته . فاجتمعوا وانزلوه عن كرسيهِ . فالتجأ حينئذٍ الى الاساقفة الذين في المملكة الرومانية . وهؤلاء كتبوا الى

---

(١) مشيحا زخا يسمّيه سَعْدَا واماً التاريخ الاورهاوي (في السمعاني 1 : ٣٩٤) فيسميّهِ شاعاد

(٢) مشيحا زخا ٤٤ — ٤٥

(٣) ان هذه الرسالة لم تصل الينا غير ان كتاب السنهادوسات يذكر رسالتَين مزوّرتَين مبنيتين على اساسها . احداها كأنّها هي نفس الرسالة المذكورة المكتوبة عن مسألة بابا والاخرى كأن بطاركة المغرب كتبوها الى اساقفة الشرق نحو سنة ٢٠٠ وبها يثبتون ان اسقف المدائن هو بطريرك على كل بلاد فارس ويأمرون ان يُسام في المدائن لا في انطاكية

(٤) ابراهاط كتاب الايضاحات ٢٥١

اساقفة الشرق وامروهم ان يطيعوا پاپا وحرموا الذي لا يقبله . لا بل حملوا قسطنطين الملك ان يكتب هو ايضاً الى ملك فارس توصيةً في حق پاپا (١)

ان في تاريخ جلوس پاپا والمجمع المعقود ضدّه ووفاته روايات كثيرة لا يُعتمد عليها . قال عمرو انهُ جلس على كرسي ساليق سنة ٢٤٧ وتوفي سنة ٣٢٦ . وكتب ابن العبري ان جلوسه كان سنة ٢٦٦ وتنزيله عن الكرسي سنة ٣٣٤ ووفاته سنة ٣٣٥ . وقال ماري انهُ صار اسقفاً على عهــد هرمزد الاول اي نحو سنة ٣٧٢ . والظاهر ان جلوس پاپا كان في نهاية الجيل الثــالث او في بدء الجيل الرابع كما يُستنتج من كلام مشيحا زخا (٢) . ومجمع ساليق الاول ووفاته سنة ٣٢٩ فان مشيحا زخا يقول عن يوحنان اسقف اربيل انهُ في سنة ٣٢٩ نزل الى المدائن مع اساقفة أُخر لانتخاب خلف لپاپا الذي مات موتاً شنيعاً . وفي تلك السنة عينها يذكر ايليا النصيبيني نقلاً عن طيمثاوس الجاثليق وفاة پاپا . فاذا ثبتت وفاته سنة ٣٢٩ يكون مجمع ساليق عُقد سنة ٣١٧ . فانهُ جاء في قصة ميليس ان پاپا بعد المجمع المعقود ضده عاش ١٢ سنة (٣)

الفصل الخامس

في الشهداء الذين تكللوا في اضطهاد ديوقلطيانوس (٣٠٣ — ٣١١)

ان ديوقلطيانوس نُصب قيصراً على الرومانيين سنة ٢٨٥ وكان حازماً ذكياً .

---

(١) ذهب لابور ان اپراهاط يشير الى شمعون برصباعي لا الى پاپا لان المقالة مكتوبة سنة ٣٤٤ . اي نحو ٢٠ سنة بعد مجمع ساليق . ولكن رأيه مردود . فان شمعون برصباعي لم يُذكر عنه ابداً انهُ التجأ الى اساقفة الغرب وكان ابوه معزّزاً مكرّماً عند شابور فلم يقع اذن بين الاساقفة شقاق من اجل انتخابهِ . انّما يُستنتج من مقالة اپراهاط انهُ بعد قتل شاهدوست اسقف ساليق صار نزاع بين الاساقفة والكهنة سنة ٣٤٣ — ٣٤٤ في من يقوم مكانه . فكتب اليهم اپراهاط رسالة حرّضهم فيهــا على المحبة والتجنُّب من الشقاق وبيَّن لهم انهُ من اجل الخطايا ولا سيما خطايا الرعاة قد ثار الاضطهاد عليهم . وذكّرهم قصة پاپا مكتفياً بالتلميح ولم يكن حينئذٍ قد مر عليها سوى ١٥ سنة لأَن پاپا توفي سنة ٣٢٩

(٢) راجع ص ١٣ (٣) بيجان ك : ٢٦٨

وجرت له وقائع مع الفرس فيها انتصر عليهم واخذ منهم نصيبين . واثار ديوقلطيانوس وشريكه غلاريوس اضطهادًا شديدًا على المسيحيّين . ودام هذا الاضطهاد من سنة ٣٠٣ الى سنة ٣١١ ومات فيه خلق كثير لا يحصى في مملكة الرومانيّين ومن أشهر الذين استشهدوا فيه في اورهاي ونصيبين فبرونيا وكوريا وشامونا وحبيب الشماس

١ً القديسة فبرونيا (١)

في اوائل الجيل الرابع كان في نصيبين دير للبنات فيه خمسون راهبة وعليهنّ رئيسة اسمها برونة . وكانت فبرونيا من جملة هؤلاء الراهبات وهي ذات حسن وجمال فائق . ولاجل هذا كانت تحتفظ بها الرئيسة مخافةً عليها من فخاخ الاشرار فضلًا عن انّها كانت ابنة اخيها . فأتى سيلينوس بامر ديوقلطيانوس الى ما بين النهرين وفتك بالمسيحيين نحو سنة ٣٠٤ . ولما بلغه خبر فبرونيا امر بالقبض عليها واذاقها امرّ العذابات واشنعها . فانه مزّق ثيابها في وسط المشهد . ثمّ مدّدها على الارض وشعلوا تحتها نارًا خفيفة وجلدوا ظهرها بقضبان . ثم علقوها على خشبة ومشطوا جنبَيها بامشاط حديدية واحرقوهما بالنار . ثم قلعوا اسنانها وقطعوا ثدييها . اخيرًا قطعوا يديها ورجليها فرأسها . ودُفنت القديسة في ديرها . وتقول توماييس كاتبة قصتها انّ اسقف نصيبين (٢) بنى كنيسة فاخرة اكملها في ست سنين ونقل اليها جزءًا من ذخيرة القديسة فبرونيا

انّ الاباء البولنديّين (٣) قد اقرّوا بصحة اعمال فبرونيا . غير انّ تيلمون والسمعاني قد شكّا في حقيقتها وذلك على انهُ في ذلك الزمان لم يكن اديرة منتظمة . وقولهما مردود لانه كما راينا في الفصل الثالث من هذا الباب انه كان اديرة كثيرة في بلاد الفرس منذ مبادئ الجيل الرابع . وانّ اعمال فبرونيا تُرجمت منذ قديم الزمان

---

(١) راجع قصتها في بيجان وفي اشهر شهداء المشرق

(٢) هذا الاسقف هو مار يعقوب الذي بنى كنيسة نصيبين وكملها في سبع سنين كما سبق القول

(٣) حزيران المجلد ٥ ص ١٤

الى اليونانية واللاتينيّة . وتذكارها عند اللاتين والكلدان النساطرة والارمن والسريان في ٢٥ حزيران وعند الملكيين في ٢٦ منه

٢ً كوريا وشامونا

انّ كوريا وشامونا (١) كانا من اطراف اورهاي . الّا انهما تربّيا في اورهاي نفسها . وكانا شيخين جليلين وقد خرجا الى بعض البراري وانفردا فيها متمسكين بالسيرة النسكية . فلمّا اتصل خبرهما بانطونيوس حاكم اورهاي امر بالقبض عليهما فعُلّقا من اذرعهما في رأس عمودٍ عالٍ ورُبطت بارجلهما حجارة ثقيلة تجرّهما الى اسفل وبقيا على تلك الحالة الموجعة مدة خمس ساعات . ثم أُلقيا في سجن ضيّق رديّ المناخ . ولما رأى الحاكم ان عزمهما لم ينثنِ امر بهما ان يُعلّقا بارجلهما ويُضرب راساهما بالسيف . وكان ذلك في ١٥ تشرين الثاني . وفيهِ يذكرهما السريان واللاتين واتى ذكرهما عند الكلدان في ٢٥ حزيران

٣ً حبيب الشماس

كان حبيب من قرية تلصها من اعمال اورهاي (٢) . وفي زمانه اي في سنة ٣٠٩ اذ كان قونا اسقفاً لاورهاي اثار ليقينوس اضطهاداً على المسيحيين . فكان حبيب يطوف القرى ويرشد . ففشا امره وقُبض عليهِ . وجُلد بقساوة وحشيّة . ثم وُضع في قفص من حديد وضُيّق عليهِ بشدة . وأُلقي في السجن . وفي اليوم الثاني من ايلول امر الحاكم باحضاره . وامر الجلادين ان يضجعوه على الارض ويضربوه بقضبان من شجر الرمان . ثم علقوه على خشبة ومزقوه باظفار حديديّة واخيراً انزلوه في حفرة ووضعوا عليهِ الحطب واحرقوه . ودُفن في قبر كوريا وشامونا . واتى ذكره في السنكسار الروماني في ١٥ تشرين الثاني

---

(١) ان السيد زحماني طبع قصتهما في رومية سنة ١٨٩٩ . وقيل ان استشهادهما كان في سنة ٢٨٩ . امّا السيد رحماني فذهب انّهما قُتلا سنة ٢٩٧ . مع ان القصة تذكر سنة ٦١٨ لليونان (٣٠٦)

(٢) راجع قصته في بيجان وفي اشهر شهداء المشرق

الفصل السادس

في الشهداء الذين تكللوا على ايام شابور الملك
قبل الاضطهاد الاربعيني (٣١٨–٣٣٩)

ان شابور الثاني ملك سبعين سنة اي منذ سنة ٣٠٩ الى سنة ٣٧٩ (١). وكان شجاعاً جباراً . وفي اول ملكه اغار على بلاد العرب وتغلّب على اكثر قبائلهم . وحمل ايضاً على الاقوام البرابرة الذين زحفوا على الجهات الشمالية من مملكتهِ وقهرهم وتشبَّه شابور بمن تقدَّمه من الملوك في بناء المدن . وهو الذي شيّد كرخ ليدان في الاهواز . وهو اول الملوك الساسانيين الذين اضطهدوا المسيحيين . فانه طالما كان ملوك رومية وثنيين كان المسيحيون في مملكة الفرس مستريحين على وجه العموم من الاضطهادات ولكن لما تنصر القياصرة انقلب الامر ظهرًا لبطن . فبدأ ملوك فارس يقتلون الكلدان النصارى بغضةً بالرومانيين الذين تدّينوا بالنصرانية وظنًّا منهم ان المسيحيين الذين تحت حكمهم ميّالون الى القياصرة الذين من مذهبهم

لقد سبق القول ان ديوقلطيانوس نُصب قيصرًا على المملكة الرومانية سنة ٢٨٥ . وشارك بالملك مكسيميانوس وفلابيوس قسطنطيوس خورروس وغلاريوس وجعل ديوقلطيانوس لنفسه البلاد الشرقية وولّى قسطنطيوس خورروس على بلاد غالية واسبانيا . ثم ان ديوقلطيانوس اعتزل عن الملك سنة ٣٠٥ . ومات ايضاً قسطنطيوس خورروس سنة ٣٠٦ وجلس مكانه ابنه قسطنطين الكبير الشهير . ومات ايضا غلاريوس سنة ٣١١ . فاقتسم ملكه مكسنتيوس ومكسيمينوس وسويروس . وانتشب القتال بين قسطنطين ومكسنتيوس . وبينما كان قسطنطين يتجهّز للمسير على العدو شاهد في السماء صليباً يلمع وحوله كتابة مضمونها : « بهذه العلامة تغلب » فعمل له في الغد صليباً على ذاك الشكل وامر ان يُحمل في

---

(١) راجع التاريخ السعردي ٢ : ٧٧ – ٧٩ . والطبري طبعة استانبول ٢ : ١٧٤ – ١٨٠

مقدّمة الجيش. فانتصر على العدو وكان ذلك سنة ٣١٢. فلمّا استولى قسطنطين وحده على المملكة كلها رأى ان ينصب سريره في مدينة بيزنطية . فبدأ بتعميرها وتزيينها وغلب عليها اسم القسطنطينيَّة . وبهمّة قسطنطين اجتمع المجمع المسكوني في نيقية لحرم بدعة اريوس سنة ٣٢٥

ان اوسابيوس القيصري ذكر ان قسطنطين الملك كتب رسالة الى شابور ملك الفرس فيها يمدحه على ملاطفتـهِ للنصارى الذين في مملكتهِ واظهر فرحه بنجاحهم (١) . وبقي الكلدان النصارى مستريحين على وجه العموم طالما كان قسطنطين الكبير في قيد الحيوة. لان شابور الملك إمَّا رعايةً لهُ او خوفاً منه لم يُثِر عليهم الاضطهاد كما فعل من بعد موتهِ. واذا سمعتَ باضطهاد في تلك المدّة فكان ذلك نادراً وفي اماكن محدودة . ولم يحدث بامر شابور بل من بغضة المجوس . ومن جملة الذين استشهدوا في تلك المدّة القديسة ماهدوخت واخواها آذرپروا وميهرنرسا . ومار كوبدلاها واخته قازو . ومار يونان وبريخيشوع ورفاقهما . وباداي الكاهن ومعنا ويوحنان واسحق وشابور اساقفة كرخ سلوخ . وسيأتي ذكر ماهدوخت واخويها وكوبدلاها في نهاية الفصل السابع من هذا الباب

١ً يونان وبريخيشوع ورفاقهما (٢)

ان يونان وبريخيشوع كانا اخوين شقيقَين من قرية اسمها بيت آسا وكانا كاهنَين كما تشير الى ذلك قصتهما . وقُبض عليهما لانهما تجاسرا فدخلا السجن وشجَّعا المعترفين المحبوسين من اجل ايمانهم حتى فازوا باكليل الاستشهاد . وكانوا تسعة : زبينا ولاعازر وماروث ونرساي وايليا ومهري وحبيب وسابا وشيميّتا . اما يونان وبريخيشوع فأذاقهما هرمزد أرداشير وميهرنرسا أمرّ العذابات واقساها . فان يونان اوثقوا رجليه كالدوابّ الرابضة وشدّوا يديه على ظهره. وجعلوا يضربونه بقساوة وحشية بقضبان غير مخروطة حتى بانت اضلاعه. واذ لم يشأ مع هذه العذابات ان

---

(١) ترجمة قسطنطين ܕ : ٨ و٩. راجع ايضاً النصوص السريانيـة طبعة لاند ܐ : ٣

(٢) راجع قصتهم في بيجان . وفي اشهر شهداء المشرق

ينكر ايمانه ربطوا احدى رجليهِ بحبل وسحبوه كدابّة حقيرة وألقوه على الجليد حيث استمرّ الليل كله . ثم قطّعوا اصابع يديهِ ورجليهِ واحدة فواحدة ولسانه وسلخوا جلدة رأسه ونشروه بمنشار . اما بريخيشوع فجُلِد أوّلًا بقضبان مشوكة . ثم عرّوه من ثيابهِ واتوا بقصب حادّ واغرزوه في كل جسمه . ثم سحبوا القصب فتمزّقت جثمانه . واغلوا زفتاً وكبريتاً وسكبوهما في فمه حتى قضى نحبه . وجاء عبطوشطا واشترى جثّتيهما بخمسمائة درهم وثلاث خلع من حرير . وكان جهادهما في ٢٩ كانون الثاني سنة ٣٢٧ . وتذكارهما عند اللاتين في ٢٩ اذار (١) . وعند الارمن في ٢١ منه (٢)

٢ً باداي الكاهن

كان باداي كاهن قرية ارگولا وكان شيخاً وقورًا فاضلًا يفرغ قصارى جهده في ترجيع الوثنيين . واذ كان ذات يوم جالساً في بيتهِ اجتاز بهِ ميهرنرسا الحاكم . فوُشي بهِ قدامه وقُبض عليهِ وأُوقف بين يديهِ في جنينة . واذ أبى ان يسجد للشمس امر بتعذيبهِ . فقطعوا من تلك الجنينة اربعين قضيباً وضربوه بقساوة لا مزيد عليها حتى تناثر لحمه وامتلأت احشاؤه دماً . فسحبوه مغمياً عليهِ وطرحوه خارج الجنينة ولما كان المساء حمله النصارى وذهبوا بهِ الى داره ولم يفق حتى قضى نحبه بعد ثلاثة ايام وكان ذلك في ٥ تشرين الاول (٣) . ولا تعيّن القصة سنة استشهاده ولعلّ ميهرنرسا الذي قتله هو الذي استشهد على يده يونان وبريخيشوع

٣ً شهداء بيت گرماي

وفي تلك المدّة نال ايضاً اكليل الاستشهاد اساقفة وراهبات من بيت گرماي . وبيدنا ثلاثة نصوص تاريخية تتكلم عنهم قد طبعها الاب بيجان وهي : ١ً جهاد مار شابور ومار اسحق ٢ً مجموعة شهداء كرخ سلوخ ٣ً تاريخ كرخ سلوخ .

---

(١) السمعاني ١ : ١٥ (٢) فيرﻫ ١ : ٦٤٦

(٣) بيجان ٢ : ١٦٣ واشهر شهداء المشرق ١ : ٣٩٤

فالنصّ الاول يذكر ان شابور كان اسقف بيت نيقاطور واسحق اسقف كرخ سلوخ وانهما استشهدا سنة ٣٣٩ لأنّهما كانا يبنيان كنائس ومعابد ويحرّضان المجوس على التنصر . فغضب الملك النصارى ليرجموا اسحق . واماّ شابور فضُرب ضرباً شديدًا حتى انسحقت اسنانه وتكسّرت عظامه وقال لهُ الملك متهكماً : « ادعُ الآن سيّدك يسوع ليعطيك اسناناً » فقال لهُ القديس « ان سيدي يسوع يعطيني ما لستَ تقدر ان تعرفه انت » ومات شابور في الحبس من شدّة الضرب والعذاب

والنصّ الثاني ما عدا شابور واسحق الاسقفَين يذكر ايضاً يوحنان اسقف كرخ سلوخ ويقول عنه انّه قُتل في قرية حصين بامر ارداشير ملك حدياب . ويجعل شابور اسقفاً لكرخ سلوخ لا لبيت نيقاطور

والنص الثالث يذكر انهُ في ايام معنا اسقف كرخ سلوخ صار اضطهاد على المسيحيّين . فهُدمت الكنيسة ونُهبت اموال المؤمنين واستخفى مار معنا في مكان يقال لهُ حاصا . ثمّ قُبض عليهِ ورُجم بالحجارة حتى مات . وجلس بعده على كرسي كرخ سلوخ اسحق وكان من اعيان المدينة فقُبض عليه من اجل ديانتهِ . وامر الملك ان ترجم النصارى انفسهم على تل فوق قرية كنارا في نيقاطورأوانا فخافوا واجروا امره . وقام بعد اسحق يوحنان . وهو حضر في المجمع النيقاوي مع يعقوب اسقف نصيبين ويوحنان اسقف حدياب

فترى انه يوجد اختلاف في هذه القطع الثلاث التاريخية . فالقطعة الاولى تقول عن شابور انّهُ كان اسقف بيت نيقاطور فيما ان القطعة الثانية تقول عنه انه كان اسقف كرخ سلوخ . والقطعة الثالثة لا تذكره بل تقول عن مار اسحق انهُ استشهد قبل سنة ٣٢٠ لانّها تجعل خلفهُ يوحنان حاضرًا في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ . وتذكر معنا وتجعلهُ سلفاً لمار اسحق

ثمّ انهُ في النصّ الثالث يذكر المؤرخ ست راهبات قدمن الى كرخ سلوخ من عاصمة المملكة ونلن اكليل الاستشهاد مع مار معنا واسماؤهنّ محفوظة في النصّ الثاني وهي : تقلا ودانانق وطاطون وماما وامزكية وانا . وقُتِلن خارج المدينة في محل يقال له حَورا . ونبت هناك من دمهنّ شجرة تين اثمرت الخيرات والبركات غير ان المانويين قطعوها حسدًا . ومنذ ذلك الحين غلب على ذلك المكان اسم بيت

تيثا . وهو شرقي كركوك على مسافة نصف ساعة منها والى الآن يقال لهُ في التركية انجير اغاجي اي شجرة التين

ان كاتب اعمال مار شابور ومار اسحق يذكر ثلاثة شهداء وهم معنا وابراهام وشمعون قُتلوا هم ايضاً مع هذين الاسقفين فيما ان كاتب تاريخ كرخ سلوخ يقول عنهم انهم استشهدوا في اضطهاد يزدجرد الملك . فالظاهر ان الاول قد توهّم لانهُ كان في اورهاي بعيدًا عن محل استشهادهم كما يبان ذلك من عنوان تأليفه . ولا بدَّ من انهُ كتب هذه القصة لما نُقِلت ذخائر هؤلاء القدّيسين الى اورهاي . ومما حمله ان يجعل الاسقف اسحق معاصرًا لمعنا وابراهام وشمعون هو ان كاهناً اسمه اسحق قُتل هو ايضاً مع هؤلاء الشهداء الثلاثة وموضع القتل كان هو هو عينه اي قرية كنارا في بيت نيقاطور (١)

وكل ما نقدر ان نستنتجه من هذه النصوص الثلاثة التاريخية هو انهُ في النصف الاول من الجيل الرابع استشهد في بيت كُرماي مار معنا مع الراهبات الستّ ومار شابور ومار اسحق وان مار يوحنان المذكور في النص الثاني هو معنا نفسه المذكور في النص الثالث كما ان حصين وحاصا محل الاستشهاد هو محل واحد . وتذكار يوحنان وشابور واسحق الاساقفة عند اليونان في ٢٠ تشرين الثاني (٢)

الفصل السابع

الاضطهاد الاربعيني وفي الشهداء الذين تكلّلوا فيهِ

(٣٣٩ — ٣٧٩)

ان الاضطهادات التي اثارها ملوك الفرس او المجوس على الكلدان النصارى لحدّ الان لم تكن عمومية بل منحصرة في بعض الامكنة . وقد حان الزمان الذي فيهِ

(١) دوقال الآداب السريانية ١٣١ — ١٣٢

(٢) السمعاني ٤ : ١٨٩

يقتل اجدادنا افواجاً افواجاً وفي كل قطر ومصر وبكل نوع من العذابات المائلة القادحة فيجري دمهم سيولًا وذلك في مدّة سني شابور الاربعين الاخيرة

لمّا رأى شابور نفسه قادرًا على مقاومة الرومانيين ارسل اليهم سفراء يطلبون الولايات التي كان غلاريوس قد ضبطها من الفرس منذ نحو اربعين سنة . فاخذ قسطنطين الكبير يتجهّز للمحاربة وطلب الى بعض الاساقفة ان يرافقوه الى ميدان الحرب (١) . وفيما هو على هذا الاستعداد داهمه الموت في ٢٢ ايار سنة ٣٣٧ . وخلفهُ في الشرق ابنه قسطنطيوس . فانتهز شابور الفرصة وزحف على نصيبين (٢) وحاصرها ثلاثة وستين يوماً . ودلته فطنته ان يسدّ نهر مغدون وهو ماشاخ الذي يمرّ بالمدينة . فاحتبست المياه وارتفعت ثم اقام السدّ فتدفقت المياه وصدمت سور المدينة وهدمته ولم يمكنه الهجوم حالًا لانّ النهر كان طافحاً . ولمّا اصبحت اذا بالسور قد بُني من جديد . فانّ مار يعقوب اسقف المدينة اوعز الى الاهالي فجدّوا وبنوا في تلك الليلة سورًا ثانياً . وكان هو في الكنيسة يصلّي مع تلميذه افرام . فاستجاب الله دعاءه . فان شابور لمّا بلغهُ ان قسطنطيوس الملك زحف اليهِ كفّ عن المدينة ورجع الى بلاده . وكان ذلك سنة ٣٣٨

فحنق شابور على النصارى بغضةً بملوك الروم الذين تنصروا ومن اجل فشله في نصيبين . فاراد ان يأخذ ثاره من المسيحيين الذين في مملكته . وشرع يتحجّج عليهم وابرز عدة اوامر باضطهادهم . فامر اولًا بالتثقيل على المسيحيين بمضاعفة الجزية وذلك سنة ٣٣٩ . وكان شابور حينئذٍ في الاهواز فكتب الى الحكّام الذين في كلدو ان يجبروا شمعون برصباعي الجاثليق ليمضي صكًا آخذًا على نفسه جمع الجزية من النصارى مضاعفةً . فقال شمعون : « ان ما يطالبني بهِ الملك من اخذ الجبايات من النصارى ليس هو من شأني » ولمّا وصل هذا الجواب الى مسامع شابور غضب وقال : « ان شمعون يريد ان يحمل بني أمتهِ على خلع طاعتي ويجعلهم عبيدًا لقيصر الذي هو من مذهبهم . فلأفعلنَّ بهم ولاصنعنَّ » ثم كتب شابور رسالة ثانية الى

---

(١) تيلمون تاريخ الملوك ج ٤ : ٢٦٥

(٢) بيجان ج ٢ : ٢٧٠ . ومشيحا زخا ٤٨

الحكّام بها يأمرهم ان يتهدّدوا شمعون بالقتل ان أبى تكميل اوامره . فلم يجب شمعون الى طلبتهم واقرّ انهُ مستعدّ ليبذل دمه دون المسيحيين . فاشتدّ غضب الملك وأمر بهدم الكنائس وذالك سنة ٣٤٠ . فهدموا كنيسة المدائن . وذهبوا بمار شمعون برصباعي وغيره من الاساقفة والكهنة الى باب الملك في مدينة ليدان في الاهواز . ولما رأى شابور ان شمعون يأبى جمع الجبايات من رعيتهِ والسجود للشمس امر بقتله وقتل رفاقه وذالك في ٦ نيسان سنة ٣٤١ كما سيأتيك في قصة استشهادهم

ودام هذا الاضطهاد اربعين سنة اي من سنة ٣٣٩ الى وفاة شابور الملك سنة سنة ٣٧٩ . ولذلك عُرف بالاضطهاد الاربعيني . ومات فيهِ جمّ غفير لا يُحصى عدده من الاساقفة والكهنة والرهبان والراهبات والعلمانيين . وروى سوزومين المؤرخ اليوناني (١) ان المقتولين في هذا الاضطهاد الاربعيني رجالًا ونساء والمعروفة اسماؤهم فقط يبلغون نحو ١٦٠٠٠ نفس . وروى مؤرخونا الكلدانيون (٢) ان المقتولين في الدير الاحمر وبيت كرماي ونينوى ومركا يحملون نحو ١٦٠٠٠٠ نفس وفي بلاد بابل وحدها نحو ٣٠٠٠٠ نفس

٤ كاتب قصص الشهداء

ان الذي اعتنى في جمع معظم قصص اجدادنا الشهداء هو ماروثا اسقف ميافرقين الذي اشتهر في مبادئ الجيل الخامس وسيأتي الكلام عنه . وقد شكّ لابور في ذلك اوّلًا لأنَّ سوزومين لم يقل عن ماروثا انهُ هو الذي كتب هذه القصص . ثانياً ان كثيراً من هذه القصص لها مقدمات تختلف انشاء وفصاحةً بعضها من بعض . ثالثاً من حيث قيل عن آحا الجاثليق انهُ كتب هو ايضاً قصص الشهداء (٣)

وعليه نجيب اولا ان عدم ذكر سوزومين عن ماروثا انهُ كتب قصص الشهداء ليس من شأنه ان يثبت شيئاً . ثانياً اعتراضه على المقدمات لا يثبت شيئاً ايضاً . فاننا

---

(١) التاريخ الكنائسي ٢ : ١٤

(٢) ماري ١٨ . وعمرو ١٨ . والتاريخ السعردي ٤ : ٩٥

(٣) لابور ٥٢ — ٥٥

نرى مؤلفين آخرين يضعون هم ايضاً مقدمات لكثير من القصص التي يكتبونها . منهم توما اسقف مرگا في كتاب تاريخ دير بيت عابا . فانهُ ليس فقط في بداية كل ميمر من كتابه يضع مقدمة بل في بداية القصص ايضاً . ومن يقرأ بدقّة قصص الشهداء ومقدّماتها يرى انها خارجة كلها من قلم مؤلف واحد . ثالثاً لا ننكر ان احا الجاثليق ايضاً دوَّن في بطون الاوراق قصص الشهداء الذين قُتلوا على عهد شابور الملك (١) . لكنّ معظم القصص التي وصلت الينا هي من تأليف ماروثا . لان عبديشوع الصوباوي (٢) عنه يقول انه كتب هذه القصص ويسكت عن مار احّا وطيمثاوس الكبير البطريرك الذي عاش في الجيل الثامن يحثّ الموارنة في رسالتهِ الطويلة اليهم على قراءة كتاب قصص الشهداء تأليف ماروثا . وهذا ممّا يدلّ على ان هذين الملفانين نقلا الينا تقليداً كان قبلهما اعني ان اخبار الشهداء التي وصلت الينا هي من تأليفات ماروثا. ومما يثبت قولنا ما اتى في نهاية هذه الاخبار وهو : «بموجب ما تحقق لدينا انهُ في مدن فارس قاسى الشهداء عباد الله هذه العذابات والآلام التي ذكرناها قبلاً . وان الذين اذاقوهم اياها هم الحكام الاشرار الذين كانوا يحكمون هناك (٣) » . فلفظة هناك تدلّ صريحاً على ان الذي كتب هذه الجملة كان في مملكة الرومانيين مثل ميافرقين

ان القصص التي كتبها ماروثا طبعها السمعاني ثم بيجان في المجلد الثاني من اعمال القديسين والشهداء . وفي أوّلها ميمر عجيب اي مقالة في مناقب المعترفين والشهداء . وقد اتى هذا الاسقف الجليل في ميمره هذا من فصاحة المذاق وبلاغة البيان ما يسبي العقول . وتصنيفه هذا لأحسن تصنيف اتى في هذا الشأن(٤) . لا بل فاق كتبة اليونان واللاتين في دقّة وصفه للوقائع وفي حياده عن الاطناب والمبالغة في الكلام (٥) وهو يقرّ ان ما قاله عن الشهداء مأخوذ إمّا عن مؤلّفين موثوق بهم قد عاينوا جهادهم (٦) وإمّا سمعهُ من افواه الاساقفة الطاعنين في السن والكهنة

---

(١) ماري ٣١. وعمرو ٢٦ . والتاريخ السعردي ܐ : ٧٩

(٢) في السمعاني : ܒ : ܐ : ٧٣ (٣) بيجان ܕ : ٣٩٥ – ٣٩٦

(٤) دوقال : الاداب ١٣٣ (٥) لابور ٥٩ (٦) بيجان ܕ : ٣٩٤ وما يليها

الصادقين والمؤمنين وكانوا جميعاً معاينين ويقول انهُ هو ايضاً رأى بعضاً من هؤلاء الشهداء وعاين جهادهم. فلا بدّ من انهُ بقوله هذا يشير الى شهداء بيت زبداي وحانيثا الذين قُتِلوا سنة ٣٦٢ و ٣٧٨ و ٣٧٩ . ويُحتمل ان اصل ماروثا من بيت زبداي او من بلدة اخرى مجاورة

اما القصص المطبوعة في المجلد الرابع (١٢٨—١٤١) وفي المجلد الثاني (٣٠٧—٣١٦) من اعمال القديسين والشهداء التي طبعها بيجان فالظاهر انها ليست من تأليف ماروثا بل من تصنيف كاتب آخر من حدياب . فانّ عنوانها هو هذا « جهاد شهداء حدياب الذين عندنا وفيما بيننا قُتِلوا » وكل قصة منها تبتدئ بهذه الجملة : « في السنة الفلانية لاضطهادنا » . كذلك ليست من تأليف اسقف ميافرقين قصّتا پوسي وابنته مارتا فان هٰتَين القصتين كُتبتا بعد سنة ٤٣٠ (١) . هذا اذا فرضنا ان القطعة التي في نهاية قصة مارتا زادها احد النسّاخ كتتمّة للقصة

وقد بلغ الينا ايضاً جدول يحوي اسماء الاساقفة والكهنة والشمامسة المقتولين في هذا الاضطهاد الاربعيني . وهذا الجدول نفيس ولا ريب في صحته . وقد وصل الينا في كتاب مخطوط سنة ٤١٢ لكنه لسوء الحظ غير كامل وسنة جهاد الشهداء غير مذكورة وقد طبعه العلّامة ريت الانكليزي (٢)

ب شهداء كلدو والاهواز

١ مار شمعون برصباعي الجاثليق (٣٢٩ — ٣٤١) ورفاقه الشهداء

ان اول الشهداء الذين تكلّلوا في هذا الاضطهاد الاربعيني هم : مار شمعون برصباعي جاثليق المدائن وكدياب وسابينا اسقفا بيت لاپاط ويوحنان اسقف هرمزاردشير وبوليداع اسقف پراث ميشان ويوحنان اسقف كرخ ميشان وسبعة

---

(١) بيجان ب : ٢٤٠ — ٢٤١

(٢) مجلة الآداب والكتاب المقدس الانكليزية العدد ١٥ تشرين الاول سنة ١٨٦٥ ص ٤٢٣ — ٤٧

وتسعون من الكهنة والشمامسة وكوشتازاد رئيس الخصيان (١)

ذكرنا ان شمعون برصباعي خلف پاپا على كرسي المدائن سنة ٣٢٩ وانهُ لما ابى جمع الجزية من ابرشيته مضاعفةً قُبِض عليه وعلى كهنته وكانوا اثني عشر واسماؤهم: حننيا وعبدهيكلا وقيوما وبدبوي وبولس وزيزي وبولس ونقيب إذنا واسحق وهرمزد وهبألاها وبدما. وسيقوا قاطبةً الى ليدان في الاهواز. ولما مثل مار شمعون بين يدي الملك اكتنفه المجوس قائلين: «انّ هذا بعدم اخذه على عاتقه دفع الجزية يروم ان يحمل شعبه على نشر لواء العصيان على ملك الملوك» فامره شابور بالسجود للشمس والنار فيخلص هو وشعبه من الموت. ولما أبى امر بالقائه في الحبس

وكان رئيس الخصيان مسيحياً واسمه كوشتازاد. وكان قد نبذ الديانة المسيحية خوفاً من شابور . فلما خرج مار شمعون من عند الملك مساقاً الى الحبس دنا منهُ كوشتازاد لينال بركته . لكنَّ مار شمعون حوَّل عنه وجهه قائلًا : ليس من الواجب ان اسالم الذي كفر بملكه الحقيقي . فكان هذا الكلام كسهم طعن قلب كوشتازاد فانطلق حالًا الى منزله وخلع عنه ثيابه الثمينة وتوشّح بلباس الحداد ورجع مكانه بين الخصيان. واتّصل الخبر بشابور. فاستدعاه واجتهد ان يحمله على نبذ الديانة المسيحية. ولما رآه لا يتزعزع عن رأيه امر بقتله . فقُطع رأسه بالسيف يوم خميس الفصح في ١٣ نيسان

واما مار شمعون فحُبس حيث كان الاساقفة رفاقه والكهنة والشمامسة الذين سبق ذكرهم. فلمّا عاينوه فرحوا به فرحا عظيماً وازداد سرورهم لما سمعوا باستشهاد كوشتازاد. فصلّوا وسبَّحوا . ولما كان خميس الفصح ولم يكن لاحد ان يأتيهم باواني الخدمة المقدسة خوفاً من المجوس قرّبوا الذبيحة الالهية على ايديهم في الحبس وحينئذٍ رتّل مار شمعون هذه الترنيمة : **ܟܗܢܐ ܕܬܪܒܝܬܐ ܘܕܚܘܣܝܐ** وهي تقال حتى الآن عندنا في قداس خميس الفصح. وبعد القداس بدأوا بصلاة الليل

---

(١) راجع قصة شمعون برصباعي في بيجان ܒ : ١٣١ — ٢٠٧ . وفي اشهر شهداء المشرق 2 : ١٩٣ — ٢٣٤ . وماري ١٦ — ١٩ . وعمرو ١٥ — ١٩ . والتاريخ السعردي 2 : ٨٦ — ٩٥

وفي يوم الجمعة العظيمة في نحو الساعة السادسة أمر شابور بقطع راس شمعون وروؤس رفاقه كلهم . فسيقوا قاطبةً الى خارج المدينة لِيُقتَلوا . وحدث في غضون ذلك اضطراب عظيم في ليدان. وكان الناس يزدحمون عليهم ليشاهدوهم . فغصّت الازقة والطرق وكان مار شمعون يتقدَّمهم كالقائد ويشجعهم . ولما وصلوا الى محل القتل اقبل عليهم السيافون وصاروا يأخذون منهم عشرة عشرة ويضربون اعناقهم بالسيف . وهم يتقدمون الى القتل مسرورين وشمعون يشجعهم على التوالي وقيل عنه انهُ في تلك الساعة قال هذا النشيد الآخر الذي بدوءه ܐܦ ܥܠܡܣܘܗܝ ܒܕܡܐ ܗܘܘ ܣܗܕ̈ܘܗܝ وهو يُقال الآن عندنا في قداس الاحد الجديد .

وعند استشهاد مائة منهم صرخ مار شمعون باعلى صوته عند مشاهدته جثثهم ملقاة على الارض كوماً كوماً : « اين شوكتك يا موت واين غلبتك يا جحيم » وكان قد بقي هو والكاهنان حننيا وعبدهيكلا. وبدأ جسم حننيا يرتعد لطعنه في السن. فشاهده رجل من اكابر الدولة اسمه يوسي وقال لهُ : لا تخف يا حننيا لا تخف غمّض عينيك قليلًا فترى نورَ المسيح . وهكذا تكلّل القديس ثم قُتِل ايضاً عبدهيكلا ومار شمعون وكان ذلك نحو الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة فصار عتمة على وجه الارض وأُظلمت الشمس واعترى الخوف جميع الواقفين هناك وقُبر الشهداء في مدينة ليدان . وتذكارهم عند اللاتين والسريان واليونان في ١٤ نيسان وعند الارمن في ١٢ منه وعند الكلدان في الجمعة الاولى من اسبوع القيامة وهو عيد جميع المعترفين وفي الجمعة السادسة من اسابيع القيظ وفي الجمعة الاولى من اسابيع ايليا

٢ يوسي وابنته مارتا

انّ يوسي المقدم ذكره كان من جملة المسبيّين من بلاد الروم ورئيساً على جميع الصناع الذين في فارس لانهُ كان حاذقاً ولهُ خبرة عظيمة في نسج الاقمشة وتطريزها وفي تلك الايام امره الملك ان ينطلق الى مدينة شادبور وهي ريما ليبحث عن امور الصناع الذين فيها . وعند خروجه من ليدان التقى بمار شمعون ورفاقه وهم يساقون الى القتل فرافقهم . ولما رأى جسم مار حننيا يرتعد تجاسر وصرخ من بين الجموع وقال : تشجّع يا حننيا ولا تخف. فامر للحال رئيس الحكّام بالقبض عليه واتصل

خبره بالملك فاستدعاه وامره ان يكفر بالمسيح ولما ابى امر بقتله فسيق الى المكان الذي فيه تكلّل مار شمعون وشلح ثيابه من تلقاء نفسه وازدحم عليه جم غفير من المؤمنين للتبرك واحاطوا به احاطة الهالة بالقمر . فاقبل عليه السياف وطرحه على وجهه وركب كاهله واخذ سكّيناً وبدأ يشق قذاله . واستمرّ على هذه الحالة من تعذيبه نحو ساعة . ثم قطعوا لسانه واستلّوه من قفاه وللحال اسلم روحه في يوم السبت العظيم نحو الساعة التي فيها شجّع مار حنّنيا

وكان لمار پوسي ابنة عذراء اسمها مارتا (١) قد نذرت بتوليتها لله فوُشي بها ايضاً ولما كان نحو الساعة الثالثة من اليوم الثاني لقتل ابيها وهو احد القيامة قبضوا عليها وعرضوا عليها امّا ان تكفر بديانتها وتتزوّج او ان تُذبَح . ففضّلت الذبح . فذهبوا بها خارج المدينة حيث ذُبح ابوها . وهي من تلقاء نفسها اسرعت بشجاعة وجلست فوق الحفرة التي كان الجلادون قد حفروها وكان الحاضرون الوفاً وصفوفاً يتعجبون من شجاعتها . فدنا منها السيّاف وذبحها كالنعجة ودُفنت في قبر ابيها

٣ً ازاد الخصيّ وأَمريا ومقيما الاسقفان وهرمزد القسيس ورفاقهم الشهداء

وفي اليوم الثاني من عيد القيامة اعني نهار الاثنين اتى المجوس بجمع وافر من الكهنة والشمامسة والرهبـان والراهبات والعلمانيين من امكنة مختلفة الى ليدان وسيقوا قاطبةً الى الذبح وهم يرتلون بفرح المزامير والداريش . ولم ينتهِ الجلادون من قتل جميعهم في ذلك اليوم فاباتوا الباقين الى جانب جثث المقتولين . فلمّا كان يوم الثلثاء أُتي بنصارى أُخر يفوقون السابقين عدداً وذبحوهم عن آخرهم . وكذلك قل عن يوم الاربعاء والخميس والجمعـة الى الاحد الجديد . ولم يكن لاحد ان يكتب اسماء الشهداء المقتولين في تلك الايام . لانهم كانوا غرباء ويفوق عددهم

(١) ان اردتَ ان تقرأ باسهاب قصص هؤلا الشهداء الذين نذكرهم في هذا الفصل عليك بمراجعة كتب بيجان واشهر شهداء المشرق

الآلاف. وقد عُرف منهم أمريا ومقيما وكانا من اساقفة بيت لاباط الاوّلين وهرمزد الكاهن من شوشتر

وعُرف ايضاً اسم ازاد الذي كان من خصيان الملك وموقرًا عنـده وكان من رفقاء كوشتازاد . فحملته غيرته على ان ينزع عنه ثيابه ويتزيّا بزي الرهبان. فوقف بين المعترفين وصاح قائلًا : «انا نصرانيّ» فقُبِض عليهِ وقُتل. فحزن عليـه شابور حزناً شديداً واصدر امره يوم الاحد الجديد ألّا يكون فيما بعد قتل النصارى على هذا المنوال بل مَن يُقبض عليه منهم يسألونهُ اولًا عن اسم ابيه وامّه وقبيلته وبلدته ويُكتب كل ذلك في كتاب وبعد هـذا يقتضي اجباره على السجود للشمس . فخمدت قليلًا بذلك نار الاضطهاد

٤ً تربو واختها وتلميذتها الراهبات

وفي تلك الاثناء قُبض في المدائن على تربو مع اختها وتلميذتها بحجة انهـا انتقاماً لقتل مار شمعون برصباعي قد سحرت الملكة واضرّتها. وكانت تربو اخت الجاثليق الشهيد وعذراء بديعـة الجمال فارسل الملك خبرًا ألّا يُقتلنَ اذا سجدنَ للشمس. وارسل لاستنطاقهنّ رئيس الحكام واثنين من الاعيان. فحالما وقع نظرهم على القديسة تربو هاموا بجمالها وارسل اليها كلٌّ منهم على حدة من يقول لها : ان اردتِ الاقتران بي فانا اتوسل الى الملك وانقـذكِ مع رفيقتيكِ من انياب الموت . فجاوبتهم بجدَّة انها تائقة الى القتل لانهُ يقودها الى اخيها شمعون الحبيب . فذهبوا بهنّ خارج المدينة وضربوا لكل واحدة منهنّ وتدَين على الواحد ربطوا الراس وعلى الآخر الرجلين ثم اتوا بمنشار فنشروا اجسادهنّ من وسطها وعلّقوها على ستة عواميد ثلاثة في الجهة الواحدة من الطريق وثلاثة في الجهة الاخرى . ثم اتوا بالملكة لتمرّ في وسط تلك العواميد لانه قيل لها اذا فعلت ذلك شُفيت من مرضها . وتكلّلت القديسات في ٥ ايار سنة ٣٤١ وتذكارهنّ عند اللاتين في ٢٢ نيسان (١)

(١) السمعاني 1 : ١٨٨

ميليس اسقف شوشان وابورسام الكاهن وسيناي الشماس

وفي تلك السنة عينها استشهد ميليس اسقف شوشان وابورسام القسيس وسيناي الشماس . وقد سبق الكلام عن ميليس انهُ كان من ارض رازيق وانه حضر سنة ٣١٧ في المجمع المعقود ضد بابا . وقال عنه كاتب قصته انهُ صنع معجزات كثيرة باهرة واذ كان لا يزال يُنصّر المجوس قُبض عليه بامر هرمزد كربز حاكم مدينة مهلدكرد في ارض رازيق ومعه تلميذاه ابورسام القسيس وسيناي الشماس . واذ لم يقدر الحاكم ان يزعزعهم عن عزمهم الثابت امر بالقائهم في السجن وبقوا سنة كاملة . غير انهُ اخرجهم مرتين وانزل بهم النكال بتباريح العذاب . واخيرًا قُتِل ميليس بحد السيف وابورسام وسيناي قُتلا رجمًا . وكان استشهادهم في ١٣ تشرين الثاني . وتذكارهم عند اللاتين في ٢٢ نيسان . وعند اليونان في ١٠ تشرين الثاني وعند القبط في ٢٨ بارمودا (١) . وعند الارمن في ١٢ تشرين الثاني (٢) . وعند السريان في ١٣ منه

٦ً برشبيا رئيس الدير ورهبانه

وفي ١٧ حزيران من السنة التابعة تكلّل برشبيا رئيس دير بالقرب من رازيق فانهُ وُشي به الى حاكم مدينة اصطهار انهُ يفسد عقول الناس ويبطّل علم المجوس فقُبض عليه وعلى رهبانه العشرة وكُسّرت بالمطارق ركبهم وسيقانهم واجنابهم . ثم ساقوهم الى خارج المدينة ليُقتلوا . وحدث انهُ اجتاز بالقرب منهم واحد من المجوس فعاين لسانًا ناريًا شبه الصليب مستقرًّا على اجساد القديسين فاستبدل ثيابه بثياب خادمه واقبل الى برشبيا وقص عليه الرؤيا وطلب اليه ان يعدّه كواحد من تلاميذه ويعرضه الى القتل . فاجاب القديس طلبته وصاروا اثني عشر شهيدا . وذهب المجوس برؤوسهم الى المدينة وعلّقوها في هيكل أناهيذ تخويفًا للنصارى . واما

---

(١) السمعاني ٤ : ١٢ — ١٣ (٢) كذلك ﻫ : ٤ : ٦٤٨

اجسادهم فصارت مأكلًا للوحوش الضارية والطيور الكاسرة . واتى ذكرهم في الكلندار الروماني في ١١ كانون الاول

٧ً دانيال الكاهن ووردة الراهبة

بعد مرور سنتين على استشهاد مار ميليس تكلّل في ارض رازيق دانيال الكاهن ووردة الراهبة ونكّل بهما المجوس مدة ثلاثة اشهر . فزّقوا بالمثقب جميع مفاصلهما وربطوهما على الجليد مدة خمسة ايام ثم قطعوا رأسيهما في ٢٥ شباط

٨َ مار شاهدوست (١) الجاثليق (٣٤١ — ٣٤٣) ورفقاؤه الشهداء المائة والثانية والعشرون

ان شاهدوست (٢) كان ارخدياقون مار شمعون برصباعي الجاثليق وأصله من بيت كرماي وقيل من شوشان وبعد مرور ثلاثة اشهر على قتل رئيسه انتُخب جاثليقاً مكانه . وبعد مرور سنتين لانتخابه رأى في الرؤيا سلّماً من نور قائمة على الارض وراسها يصل الى السماء . واذا بمار شمعون برصباعي واقف عليها بمجد لا يوصف وهو يدعوه قائلًا : « اصعد اليّ يا شاهدوست ولا تخف . فاني البارحة صعدتُ وانت اليوم تصعد » وفي السنة الثانية من الاضطهاد اذ كان شابور الملك في المدائن بلغه خبر شاهدوست فقبض عليهِ وعلى كثير من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات يبلغ عددهم ١٢٨ شخصاً وبعد ان مكثوا خمسة اشهر في السجن قُتلوا في ساليق في ٢٠ شباط . امّا مار شاهدوست فسيق الى لاباط وهناك قُطع راسه . وتذكاره عند اللاتين والسريان في ٢٠ شباط وعند اليونان في ٢٠ اذار و١٩ تشرين الاول (٣) وعند الكلدان في الجمعة الاولى من اسابيع ايليا

---

(١) معناه صديق الملك اما سليمان مطران البصرة في كتاب النحلة فيكتبه إيشوعدوست اي صديق يسوع

(٢) بيجان ٢ : ٢٧٦ — ٢٨١ . وماري ١٩ — ٢٠ . وعمرو ١٩ . وابن العبري ٢ : ٣٧ . والتاريخ السعردي ٩٩ — ١٠١ . واشهر شهداء المشرق 2 : ٢٦٨ — ٢٧١

(٣) السمعاني 2 : ١٨٨

٩ً الشهداء المائة والعشرون

ومار برباعشمين الجاثليق (٣٤٣ — ٣٤٦) ورفاقه الشهداء الستة عشر

وبعد قتل شاهدوست انتُخب مكانه برباعشمين ܒܪܒܥܫܡܝܢ ومعناه ابن رب السموات وهو ابن اخت شمعون برصباعي واصله من بيت كرماي وأُسيم خفيةً في منزل بعض المؤمنين . وهو ايضاً اسام خفيةً اساقفة وكهنة الى النواحي وكان يشير اليهم ان يتزيّوا بزي العلمانيين لاخفاء حالهم

فلمّا كانت السنة ٣٤٤ في تشرين الاول اذ كان شابور في ساليق قُبض بامره على الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات الذين في المدائن ونواحيها وبلغ عددهم ١٢٠ شخصاً . وبعد ان حُبسوا ستة اشهر أُخذت رؤوسهم بحد السيف في ٦ نيسان سنة ٣٤٥ . وفي مدة حبسهم قامت بكل حاجاتهم امرأة شريفة فاضلة من اربيل اسمها يازدَنْدُوختي وفي اليوم السابق لقتلهم أعدّت لهم عشاء فاخرًا وتولّت هي نفسها خدمتهم ثم غسلت ارجلهم وبدّلت كسوتهم وألبستهم جميعاً حلّةً بيضاء . ولما أُخرجوا الى القتل وقفت على باب الحبس وجعلت تقبل يدَي ورجلَي كل من كان يخرج منهم . وبعد قتلهم استأجرت ليلًا لحمل كل جثة فاعلَين . وهيّأت ثياباً من كتّان لدفنهم فذهبوا بالجثث الى مكان بعيد من المدينة ولخوفهم من المجوس استعجلوا في دفنهم خمسةً خمسةً

ولمّا كان هؤلاء الشهداء المذكورون في الحبس قُبض ايضاً على برباعشمين الجاثليق وعلى ستة عشر من كهنتهِ وشمامسته ورهبانه . وكبّلوا قاطبةً بالحديد وألقوا في السجن حيث بقوا من شهر شباط سنة ٣٤٥ الى كانون الثاني سنة ٣٤٦ . وفيها ارسل الملك شابور من ليدان يستدعيهم ليحملهم على نبذ ديانتهم . ولما مثل برباعشمين بين يدي الملك اتوه باناء من ذهب وفيه الف قطعة ذهبية ووعده شابور ان يكرمه الكرامة كلها اذا اطاعه وسجد للشمس . ولما رفض طلبته امر ان يُؤخذ هو ورفاقه بحد السيف . وكان ذلك في ٩ كانون الثاني واشتد حينئذٍ الاضطهاد اكثر ما يكون وتكاثر القتلى في كل مكان ولم يقدر احد ان يعرف

اسماء الشهداء ليكتبها . وتذكار برباعشمين عند الكلدان في الجمعة الاولى من اسابيع ايليا

١٠ الاربعون شهيدًا

في سنة ٣٧٦ تكلّل في ارض بابل اربعون شهيدًا وهذه اسماؤهم : مار عبدا ومار عبديشوع الاسقفان . وعبدألاها وشمعون وابراهام وأبا وإيهبيل ويوسف وعَنّي وعبديشوع وعبدألاها ويوحنان وعبديشوع وماري وبرحدبشبّا ورازيقايا وعبدألاها وعبديشوع الكهنة . وإليهاب وعبديشوع وعنّي ومارياب وماري وعبدا وبرحدبشبّا وشمعون وماري الشمامسة . وپاپا وأولاش وعبديشوع وپقيدا وشموئيل وعبديشوع الرهبان . ومريم وطيطا وإمّا وأدراني وماما ومريم ومارإح الراهبات . وهاك خلاصة اعمالهم

كان مار عبديشوع اسقفاً في قرى كشكر وكان قاطناً معهُ واحد من اولاد اخيهِ علق في شبكة الخطيئة فحرمه الاسقف القديس . فلكي يأخذ هذا الشقي بثاره من عمه انطلق عند الملك في بيت لاپاط وسعى بهِ عنده انه يقبل في داره جواسيس الروم ويكتب لقيصر كل ما يجري في مملكة الفرس . فقُبض على مار عبديشوع وعلى عبدألاها الكاهن وسيقا الى بيت لاپاط قدام ارداشير اخي الملك فامر بجلدهما . ومن شدّة الجلد انحلّت اعضاؤهما وتكسّرت اضلاعهما فوقعا على الارض مغشياً عليهما فحملوهما واودعوهما سجناً ضيقاً . ثم قُبض على مار عبدا اسقف كشكر وعلى شمعون و إليهاب وپاپا ورفاقهم الكهنة والشمامسة والرهبان وكانوا جميعا ثمانية وعشرين . ومُسكت ايضاً مريم ورفيقاتها الراهبات الستّ وسيقوا قاطبةً الى ليدان حيث كان شابور وضُرب كل واحد منهم مائة سوط ثم ساقوا مار عبدا ورفاقه الثمانية والعشرين الى خارج المدينة وهناك ذبحوهم واحدًا فواحدًا كما تذبح الخراف وذلك في ١٥ ايار . وقُتل ايضاً معهم اخوان شقيقان اسم احدهما برحدبشبّا والآخر شموئيل كانا قد لحقاهم ليعولاهم حبًّا بالله تعالى . وفي الغد ضُرب عنقا مار عبديشوع وعبدألاها . واماّ الراهبات السبع فأرسلنَ الى بيت لاپاط ليقتلنَ

هناك تخويفاً للنصارى ولمّا أبين التزوج والسجود للشمس أُخرجنَ الى ظاهر المدينة وهناك قُطعت رؤوسهنّ

١١ بدما رئيس الدير

وفي نهاية تلك السنة عينها قُبض على بدمــا رئيس الدير وهو من بيت لاپاط وكان ابواه مجوسيَّين وشريفيِ الاصل واعتنق هو الديانة المسيحيــة ووزَّع جميع امواله على الفقراء وشيّد لهُ ديرًا خارج المدينة فاجتمع اليهِ بعض الرهبان . وبلغ صيتُه الى شابور الملك فألقي القبض عليهِ وعلى سبعة من تلاميذه الرهبان ومكثوا في الحبس اربعة اشهر واذيقوا امرّ العذابات . وقُتل مار بدما في ١٠ نيسان سنة ٣٧٧ والذي قتله رجل نصراني رئيس مدينة ماحوز أريون في بيت كَرماي اسمه نرسا كان قد حُبس لانهُ لم يُرد ان يسجد للشمس . فقالوا لهُ انهُ اذا قتل بدما يطلقون سبيله ففعل . واما تلاميذ بدما السبعة فمكثوا في السجن نحو اربع سنين اعني الى وفاة شابور الملك . وحينئذٍ رُدَّت اليهم حرّيتهم وأطلقوا . وتذكار بدما عند اللاتين في ٨ نيسان وعند اليونان في ٩ منهُ

١٢ عدّة شهداء آخرين

ومن الذين تكلّلوا ايضاً في ارض بابل والاهواز والبلاد المجاورة وأتت اسماؤهم في جدول سنة ٤١٢ (١) عبدا اسقف پراث ميشان (٢) وبولس اسقف كشكر (٣) وهرمزد اسقف حولوان . ولونكين كاهن مشكاني . وشيــلا وبرحدبشبا وتيري وشيلا وعبديشوع كهنة ماحوز بيت أرمايي (٤) . واندراوس وعبد زكيا ويوسف وابراهام واندراوس وابراهام وبرحدبشبا ونقيب اذنا وشمعون ويوحنان كهنة الاهواز (٥) . ويعقوب وأدي ونوخرايا وشطارا وابراهام واسحق

---

(١) طبعة ريت
(٢) الظاهر انهُ كان حلف بوليداع الذي استشهد مع مار شمعون برصباعي
(٣) الظاهر انه كان اسقف كشكر قبل مار عبدا الذي تكلّل سنة ٣٧٦
(٤) يظهر ان هؤلاء الكهنة هم الذين تكلّلوا مع مار شاهدوست
(٥) لعلّ هؤلاء الكهنة تكلّلوا مع مار شمعون برصباعي

وصريبا وماري كهنة ساليق (١) . ويابسين شماس درياشدر (ريواردشير) . وران ومديان شماسا مشكاني . ومكتوب ايضاً اسم عشرين شماساً آخرين لم يقل عنهم الجدول من اي بلدة كانوا ولعلّهم هم الذين تكللوا مع شمعون برصباعي او مع شاهدوست او مع برباعشمين الجاثلقة وهم : عبديشوع واسحق وماري واسحق وعبديشوع ويعقوب وعبديشوع وداداق وكسرو وماريا وملكي ويوحنان وعبدا ونقيب اذنا ومالا وعبديشوع وامريا وأدّي وهبلاها وساساي

ﺟ شهداء بيت كرماي وحدياب

ممّا سبق يظهر جليّاً انّ الاضطهاد في بدايته اشتدّ خاصةً في كلدو اي في ارض بابل والاهواز اعني في المدن وفي اطراف المدن التي كان الملك يقيم فيها. ومنذ سنة ٣٤٣ بدأ يشتد ايضاً في ولايتي بيت كرماي وحدياب فانّ شابور وُجد هناك لمحاربة الروم (٢) . وكان اخوه ارداشير متولّياً على الجنود التي هناك (٣) فقُتل في هتين الولايتين ايضاً عدد لا يحصى من المسيحيين . والذين بلغت الينا اسماؤهم هم الآتي ذكرهم

١ً مار نرسا اسقف شهرقرد ويوسف تلميذه

في سنة ٣٤٤ اذ كان شابور الملك في مدينة شهرقرد قُبض على نرسا اسقف المدينة وتلميذه يوسف وكان الاسقف قد اهدف للثمانين . ولما أُخرجا الى القتل تبعهما جم غفير ليتفرّجوا. ولما بلغا الى المكان المعيّن رفع مار نرسا بصره ناظراً الى الجمع الكثير . فقال لهُ يوسف تلميذه: على م تنظر الى الجمع ايها الشيخ الوقور ها ان الجمع ينظرك لكي تطلقه في حال سبيله وتذهب انت في حال سبيلك . فدنا القديس الى تلميذه وقبّلهُ وقال : طوبى لك يا يوسف النقي فانك لم تتشبّث

---

(١) الظاهر ان هؤلاء الكهنة هم الذين استشهدوا مع برباعشمين

(٢) التاريخ الكنائسي لسوزومين ك : ١٢

(٣) بيجان ك : ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٣٣٣

بجبائل العالم بل دخلت بفرح باب الملكوت الضيّق . قال هذا ودنا السيّاف وقطع اولًا راس يوسف ثم راس مار نرسا وكان ذلك في ١٠ تشرين الثاني . وتذكاره عند اليونان في ٢٠ منه

٢ً عدّة شهداء بيت كرماي

والظاهر انهُ في تلك المدة ايضاً اي في سنة ٣٤٣ او في السنين التابعة تكلّل اغلب شهداء بيت كرماي المطبوع جدولهم في المجلد الثاني من اعمال القديسين والشهداء . وقد سبق الكلام عن بعض منهم (١) . واما الأُخر فهم: مار اسحق كاهن قرية حولاسار رُجم بالحجارة في كرخ سلوخ بامر الحاكم . ومار پاپا كاهن قرية حلمين قُتل في قرية كلال بامر ارداشير ملك حدياب . ومار أوهنام الفتى الراهب رُجم في قرية كنزاك بامر ارداشير ايضاً وكان من كرخ سلوخ . وساسان وزرون ونوح وطيما اصلهم من لاشوم وكانوا علمانيين وسيقوا الى الاهواز حيث اذيقوا كاس المنون بامر شابور الملك . وباعوثا وهي من اشرف نساء كرخ سلوخ وتقلا وداناق من كرخ سلوخ ايضاً وقد قُتلنَ بامر آذركوشنَسب الحاكم . وأبيات وحاتا ومزكيا من كرخ سلوخ ايضاً وقُتلنَ بامر شابور الملك عند وجوده في المدينة . وكوشتازاد الحاجب كان من كرخ سلوخ وعلى باب ارداشير ملك حدياب فوشي بهِ انهُ نصراني وطُرح في السجن وكان محبوساً معهُ وارتلران كاهن قرية سلوقانا فهذا لدى مشاهدته العذاب طار قلبه شعاعاً فزاغ عن ايمانه . فامره ارداشير ان يقتل هو كوشتازاد فجسر وفعل ذلك

واتى ايضاً اسماء بعض الشهداء من بيت كرماي في جدول سنة ٤١٢ وهم : بيبا وماري وشمعون و ابا واسحاق كهنة قرية حولاسار وابراهام وبطرس وپمباق وسوساي وساسان وبارس الكهنة

٣ً مار يوحنان اسقف اربيل ويعقوب الكاهن

ان هذين القديسين تكلّلا في غرّة تشرين الثاني سنة ٣٤٤ وكان يوحنان قد

---

(١) انظر ص ٦٢ — ٦٣

خلف شريعا على كرسي اربيل سنة ٣١٦ . ولُقّب بابن مريم لانهُ كان يحب مريم البتول ويتعبّـد لها كثيرًا . وقاسى عذابات كثيرة من المجوس حتى انهُ اضطرّ واستخفى في الجبال . ولما كانت السنة ٣٢٩ حضر في انتخاب شمعون برصباعي وبعد ان بقي سنتين في المدائن انطلق الى الاهواز لتدبير امور الكنيسة . وكان هناك لـمـا ابرز شابور امره باضطهاد المسيحيين . فهرب واتى الى اربيل . وكان حينئذٍ موهپاطاً على حدياب پاعراسپ وكان شفوقاً ولم يُقتَل في ايامه سوى بعض انفار . ولكن لا مات وتعيَّن مكانه پيروزطمشابور اشتـدّ الاضطهاد . فأُلقي القبض على يوحنان الاسقف ويعقوب القسيس الملقب بطنّانا (ܛܢܢܐ) اي الغيور . وقُتل عدد غفير من المسيحيين منهم نرساي الكاهن وحننيا ورحيا الشماسان . واما يوحنان ويعقوب فبعد ان حُبسا سنـة كاملة ساقهما پيروزطمشابور الى بيت لاپاط عند الملك وهناك قُطع راساهما بالسيف(١) . وتذكار يوحنان عند اللاتين والكلدان في ١ تشرين الثاني

٤ً ابراهام اسقف اربيل

ولما كان يوحنان محبوساً اجتمع نصارى اربيل وانتخبوا خفيةً مـار ابراهام ليدبّر مكانه شؤونهم الروحيـة فاتصل الخبر بالمجوس وارادوا قتله . وفي تلك الاثناء عزل شابور الملك الموهپاط پيروزطمشابور وعيّن عوضه موهپاطاً آخر اشدّ قساوةً يقال له آذوريره فهرب ابراهام واختفى في قرية تلنياحا . لكنه قُبض عليهِ وأُخذ راسه بالسيف في ٥ شباط سنة ٣٤٥ وفيهِ يعيّد لهُ الكلدان . وخلفه ماران زخا ودبّر الكرسي الى سنة ٣٧٤ ولم يزل ينتقل من قرية الى قرية ومن جبل الى جبل خوفاً من القتل

٥ً حننيا الاربيلي

وفي ١٢ كانون (الثاني ؟) سنة ٣٤٦ استشهد مار حننيا وكان علمانياً من مدينة

---

(١) مشيحا زخا يقول انهما صُلبا

اربيل . وقُبض عليهِ بامر آذورشاغ الموهپاط فأُذيق ضروب العذابات وجُلد ثلاث مرات بالمطارق حتى ان جميع اعضائه انحلّت وكل عظام جانبَيه وساقيه وذراعيه تكسّرت ولما أُغمي عليه ظنَّ المجوس انه مات فأمسكوا عن ضربه وسحبوه وطرحوه في السوق . فاتى النصارى واخذوه خفيةً وذهبوا بهِ الى بيته . فزاره الاسقف (ماران زخا) وكثير من المسيحيين . وبينما كانوا محتاطين بفراشه فتح عينيه وبدأ يخاطبهم عن المجد السماوي ثم أسلم الروح . وتذكاره عند الكلدان في ١٢ كانون الاول وعند اللاتين في ١ منه

٦ً يعقوب الكاهن واخته مريم

وفي ١٧ ايار سنة ٣٤٧ استشهد يعقوب كاهن قرية تلّا شليلا من اعمال حدياب مع اخته مريم الراهبة عن يد نرسا طمشابور الذي انزل بهما النكال وضربهما مرارًا بالعصي . اخيرًا امر واحدًا من اشراف النصارى اسمه مهداد ان يقطع راسيهما بالسيف . فاذعن لامره مداهنةً لهُ واستشهدا في تل دارا على ساحل الزاب الكبير

٧ً القديسة تقلا ورفيقاتها الراهبات

وفي ذلك الزمان عينه أُلقي القبض بامر نرسا طمشابور على خمس راهبات من قرية بكشاز وهنَّ : تقلا ومريم ومارتا ومريم وإمّا . واتوا بهنَّ الى حزة . ولما رفضنَ التزوّج والسجود للشمس ضربوهنَّ بالعصي ثم حُكم عليهنَّ بالموت . وكان محبوساً معهنَّ پولا كاهن قريتهنَّ . غير انهُ نبذ ديانتهُ حباً باموال الدنيا لانهُ كان ذا ثروة جزيلة . ولما رأى الموهپاط انهُ لم يعُد عليه حجّة ليقتلهُ ويضبط اموالهُ امره ان يقتل الراهبات بيده ظنًّا منهُ انهُ لا يفعل ذلك . غير انّ حبّ المال كان قد اعمى پولا فاخذ سيفاً وقطع اعناق القديسات . فلما رأى الموهپاط ذلك منه ارسل ليلًا وقتلهُ خفيةً وضبط اموالهُ كلها . وكان استشهاد القديسات في ٦ حزيران سنة ٣٤٧ وفيه يُعيّد لهنَّ الكلدان

٨ً برحدبشبا الشماس

وفي ٢٠ تموز سنة ٣٥٥ قُبض بامر شابور طمشابور موهپاط حدياب على

برحدبشبا شماس مدينـــة اربيل وانزل بهِ هذا الظالم النكال بتباريح العذاب . ثم امر بقطع راسه فسيق الى خارج قرية حزة ورُبط على تلّ هناك وكان محبوساً معه جل رحسيب من نصارى قرية تحل في بيت كرماي يقال لهُ عكّاي . فوعد الموهباط بتسريحهِ اذا قتل برحدبشبا بيده . فاذعن لهُ واخذ سيفاً وهجم على القديس واذ ضرب رقبته سبع مرات ولم يقدر ان يقطع رأسهُ من خوفهِ وارتعاده ألقى من يده السيف المخضّب بالدم . فغضب عليهِ المجوس وتهدّدوه . فاخذ ثانيةً السيف وطعن بهِ قلب القديس فمات من ساعتهِ . وللحال انتفخت ذراع عكّاي اليمنى ومات اشنع ميتة . وترك المجوس حارسَين على جثة الشهيد . فاقبل اثنان من الرهبان ليلًا وربطاهما واغتصبا الجثة ودفناها في محل لائق . وتذكاره عند الكلدان في ٢٠ تموز وعنـــد اللاتين في ٢١ منه

٩ إيثألاها وحپساي الشماس

وفي ١٦ كانون (الثاني ؟) سنة ٣٥٦ تكلّل إيثألاها وحپساي الشماس . كان ايثالاها حبر شربيل إلهة اربيل وكان بهِ مرض لم يقبل الشفاء قد اضرّ بهِ مدة سنين عديدة فاشار عليهِ احد المسيحيين ان يلتجيَ الى ماران زخا الاسقف فقصده وشُفي من علتهِ . وبعد ايام قليلة عُرف امره واراد المجوس قتلهُ فهرّبه النصارى الى مدينة شهرقرد عند حبيبا الاسقف (١) ثم هرب من هناك الى مدينة ماحوز اريون . وهناك تعمّذ ورجع الى اربيل . وسُعي به عند شابور طمشابور فأُلقي عليهِ القبض وأُرسل الى حزة . وحدث انهُ في تلك الساعة كان برحدبشبا قد قُضي عليهِ وقُطع راسهُ فذهبوا بايثالاها الى نطع الدم حتى اذا ما رأى برحدبشبا مخضباً بدمائهِ يخاف من الموت فيكفر بديانتهِ الجديدة . اما هو فوقع على الجثة المباركة وصار يقبّلها ويأخذ من دمها ويدهن بهِ جسمه . فلمّا رأى المجوس ذلك منهُ غضبوا جدًّا واجبروا احد النصارى الجاحدين على قطع اذنه اليمنى . وفي تلك الاثناء قُبض ايضاً على حپساي شماس قرية ماثا عربايا وحُبس مع ايثالاهـــا . ثم ساقوا هذين القدّيسين الى بيت لاباط وأوقفا بين يدَي الملك فأَمر بقطع رأسَيهما

---

(١) الظاهر ان حبيبا خليفة نرسا

١٠ يعقوب القسيس وازاد الشماس

في شهر ايلول سنة ٣٧٢ قُبض بامر كوركشيد الموهپاط على يعقوب كاهن قرية سپركُاتا وازاد شماس بيت نكَّارا وحُبسا سبعة اشهر في اربيل وأُذيقا امرّ العذاب اذ عُرضا مرارًا الى الجلد وصُبّ في مناخرهما رماد ممزوج بالخلّ وأُلقيا على الجليد الليل كله عريانَين . ثم أُخذ راساهما بحدّ السيف ولم يمكن للنصارى اخذ جثتَيهما فذهبتا فريسةً للكلاب. وكان استشهادهما يوم جمعة الآلام في ١٤ نيسان سنة ٣٧٣

١١ عقبشما اسقف حانيثا ويوسف كاهن بيت كاتوبا وايث ألاها شماس بيت نوهدرا

وكان ختام الاضطهاد الاربعيني في حدياب باستشهاد مار عقبشما ومار يوسف ومار إيثألاها . كان عقبشما اسقفاً على حانيثا واسم قريته پَقَا وكان شيخاً وقوراً فاضلًا بهيّ المنظر شريف الاصل وقد ناهز الثمانين من العمر. ويوسف كان كاهناً لقرية بيت كاتوبا وقد قارب السبعين. واصل إيث ألاها الشماس من بيت نوهدرا وقد ناهز الستين من العمر وكان ذَلِقاً طلِق اللسان فقبضوا عليهم وأتوا بهم مكبلين بالسلاسل الى اربيل وقاسوا عذابات شديدة بامر آذركُوركشيد (١) الموهپاط فجُلد عقبشما ويوسف جلداً شديداً بقضبان مشوَّكة . واماَّ إيث ألاها فشدّوا يديهِ تحت ركبتَيهِ واتوا بخشبة غليظة ادخلوها بين فخذَيه تمرّ على ذراعيهِ ووقف عليها اثنا عشر رجلًا يمنةً ويسرةً حتى فككوا اضلاعه

ولمّا مرّ على حبسهم ثلاث سنين اتى شابور الملك الى ارض ماداي فذهب بهم الموهپاط عنده فارسلهم الى آذرشابور رئيس الموهپاطين وهذا امر ان يوثقوا ذراعَي عقبشما بحبال متينة وصار يسحبه خمسة عشر رجلًا من ذراعه اليمنى وخمسة عشر من ذراعه اليسرى وجلّاد يضربه بمطرقة على ظهره وآخر على صدره وبطنه حتى قضى نحبه وسحبوا جثته خارج المدينة وامروا بحراستها لكنّها سُرقت بعد مرور ثلاثة

---

(١) الظاهر ان آذركوركشيد هذا والمذكور قبلًا هما شخص واحد

ايام بهمّة ابنة ملك ارمنية اذ كانت اسيرة هناك · وتكلّل عقبشما في ١٠ تشرين الاول سنة ٣٧٨

امّا يوسف وايث ألاها فرجع بهما آذركوركشيد الى اربيل ليجبر النصارى على رجمهما· وكانت يازدندوختي التي مرّ الكلام عنها لا تزال تكرم الشهداء وتعولهم من اموالها فاحتالت واستدعتهما ليلاً الى دارها وضمدت جروحهما وقبّلت اياديهما المنحلّة وبقي القديسان في الحبس ستة اشهر الى ان عُيّن مكان آذركوركشيد موهپاط آخر يُقال لهُ زرادوشت · وكان معهُ اوامر شديدة باجبار النصارى على رجم رؤسائهم فقبض على جمع كبير منهم وجبلهم على رجم يوسف وكان ذلك في اول جمعة القنطقوسطي

امّا ايث ألاها فاستاقه شابور طمشابور المجوسي الى بيت نوهدرا الى قرية يقال لها دستكرد او رستكرد فأجبر رئيس البلد واشراف النصارى رجالاً ونساء على رجمه · واستشهد يوم الاربعاء من اسبوع القنطقوسطي · ونبت في محل رجمه شجرة آس أصبحت ينبوع البركات لكنها في السنة الخامسة لظهورها قُلعت حسداً وبنى النصارى فيا بعد هناك ديراً جليلاً (١)

وتذكار مار عقبشما ورفيقَيه عند اللاتين في٢٢ نيسان وعند اليونان في ٣ تشرين الثاني (٢) وعند السريان في ٣ ايلول

ج الشهداء الكيلانيّون والسبيّون

ان البلاد التي في حدود مملكتَي الروم والفرس صار فيها ايضاً اضطهاد شديد فانّ شابور في غاراته المتعدّدة على تلك البلاد قتل فيها خلقاً كثيراً من النصارى · وقد مرّ بك انهُ في سنة ٣٣٨ حاصر نصيبين ثم شدّ عليها الحصار ثانية سنة ٣٤٦ · ولما كانت السنة ٣٥١ حمل على ما بين النهرين وذهب الى ابواب انطاكية (٣) ولما انتهى الى ساحل الفرات قتل ثمانية عشر من اجناده الكيلانيّين اذ عرف انهم نصارى

---

(١) كتاب العفة ههـ (٢) السمعاني ٤ : ١٩٤

(٣) لابور ٧٨ ح ٢

والمعروفة اسماؤهم هم بريخيشوع وعبـديشوع وشابور وسَنطروق وهرمزد وهاذَرْشابور وهَلَيد وإيث ألاها ومَقيم . وكان ايضاً بصحبتهم امرأتان : يوبي وهَلمدُور واولادها . وتكلّل هؤلاء القديسون سنـة ٣٥١ يوم الخميس في ١٢ نيسان (١)

ثم ان شابور حمل ثالثةً على نصيبين سنة ٣٦٠ واذ لم يقدر ان يفتتحها حمل على سنجار وبيت زبداي وآمد . وبعـد مرور سنتين اي سنة ٣٦٢ نشر عليهِ لواء العصيان سكان قسطرا بيت زبداي فاغار عليها ثانيةً وافتتحها واجلى منها رجالًا ونساء نحو ٩٠٠٠ نفس وتوجه بهم الى ارض الاهواز . وكان فيا بينهم هليودوروس الاسقف ودوسا ويَهب القسيسان وجم كثير من الكهنة والشمامسة والرهبـان والراهبات . وتوفي هليودوروس على الطريق في موضع يقال لهُ دَسْقارتا . وقبل وفاته وضع يده على دوسا ورسمهُ اسقفاً (٢) وسلَّم اليهِ المذبح الذي معهُ . وكان المسبيّون يجتمعون في سفرهم اجواقاً اجواقاً ويرتلون المزامير فامتعض منهم المجوس ولما بلغوا بهم الى دورساخ في ارض الراديّين صعدوا بثلاثمائة نفس منهم الى جبل مسبذان وكان فيا بينهم مار دوسا الاسقف ومار يهب فقتلوا منهم ٢٧٥ نفراً . وأما الأُخر وكانوا ٢٥ شخصاً فخوفاً من الموت سجدوا للشمس واقاموا في القرى التي هناك . وان واحداً من المجروحين اسمهُ عبديشوع لم يمت من جرحهِ لانهُ كان خفيفاً فدفن الشهداء وبدأ ينـذر بكلام الله فقبض عليهِ رئيس القرية وقتله . ثم انّ احد رؤساء الاديرة شيَّد في ذلك البلد هيكلًا حسناً ونقل اليه عظام الشهداء

وتذكار هليودوروس ودَوْسا ورفقائهما عند اللاتين في ٢٢ نيسان وعند اليونان في ٩ منه (٣)

---

(١) في كتاب اشهر شهداء المشرق ك : ٣٤٥ – ٣٤٨ غلطاً قيـل انهم استشهدوا سنة ٣٦٣

(٢) ان هليودوروس ودوسا في سفر الاحياء والاموات مذكوران بين اساقفة ثانون

(٣) السمعاني 2 : ١٩٢

٥ الشهداء المشبوه بهم

ما عدا قصص الشهداء التي كتبها ماروثا او غيره من المؤرخين الموثوق بهم يوجد حكايات اخرى كثيرة قد طبعها على علاتها الاب بيجان في المجلد الثاني والرابع من اعمال القديسين والشهداء . وهي حكاية دُوختانشاه وحكاية فنحاس ودادو وقرداغ وكُوبدلاها واخته قازو وآذرپروا واختهِ ماهدوخت وبهنام واخته سارة وباسوس واخته سوسان وحكاية سابا الفتى . لكن هيهات ان يكون لهذه الحكايات ما للقصص التي كتبها ماروثا من الصحة والثقة فانّ كاتبيها يطلقون العنان لخيالاتهم بحيث ان الحقيقة تستتر مرارًا تحت ظلام تلك السحابة الخيالية

١ً دوختانشاه بنت ملك الاهواز

دوختانشاه ومعناه «بنت الملك» كانت ابنة ملك الاهواز (١) وحيدةً لهُ . فذات يوم اذ كان ابوها يقتل النصارى وكانت هي جالسة في القصر وامامها الماشطة تضفر ذوائبها نظرت واذا ارواح المسيحيين تطير الى السماء على هيئة قناديل نيّرة فوقع ذلك في قلبها وللحال نزلت من القصر وتنكّرت وانضمّت الى المحكوم عليهم واستشهدت معهم . ولمّا بحثوا عنها وجدوا رأسها مقطوعاً ومرمياً بين رؤوس الشهداء فاخبرتهم الماشطة بالحكاية على وجهها . وكان استشهادها سنة ٣٤١

٢ً فنحاس الشهيد

اصل فنحاس من مدينة تِنّيس في مصر وكان كريم النسب وتخرّج في علم الفلسفة . ولما بلغ السنة العشرين من عمره ترك وطنه واتى المشرق فتتلمذ لمار اوجين ثم ترك جبل إيزلا وقصد بلاد قردو وسكن في جبل يقال لهُ حُوَارا . وبعد ان بقي فيهِ ثلاثين سنة سُعي بهِ لدى سيمون حاكم مدينة فنك وكان من آل شابور الملك فامر الحاكم بالقبض على فنحاس . وجمعوا عليهِ حطباً ليحرقوه غير ان النار لم

---

(١) عمرو ١٨ — ١٩ ومكيحا الجاثليق في السمعاني ج ٤ : ٥٥٣ . ومختصر في العقائد النصرانية لمار ايليا الثاني البطريرك : الباب ١٦ (مخطوط)

تؤثر فيهِ . ثم علّقوه منكّس الراس على الجلمود . فتساقطت عليهِ السهام والحجارة كالمطر ثمَّ قطّعوه ارباً ارباً . وكان استشهاده في ٢٨ نيسان . وقيل ان بعضاً من اعضائهِ وُزّعت بواسطة الملائكة على سبعة اديرة . وأُخذ ايضاً عضو منها الى قرية آزياخ ووضع في هيكل بُني على اسمه . ثم صار ذلك الهيكل ديرًا للراهبات وعُرف بدير مار فنحاس

٣ً دادو الشهيد

ان دادو كان في اوّل امره وثنيًا ثم تنصر فوشي بهِ لدى شابور الملك وامر بالقاء القبض عليه . فلما مثُل بين يديه ولم يرتخِ عزمه امر بجلده وتمزيق لحمانه . وللحال قبض عليهِ جلّاد فيبست يداه وبادر آخر فاصابهُ ما اصاب الاول . فطلب القديس الى الله ان يمكّنهم من جسده . فمزّقوا لحمانــه باظفار حديدية . ووضعوا على جروحه ملحاً ممزوجاً بالخلّ . ثم امر شابور بطرحه في ماء ملحة مغليّة ولكن حالما غُطّس فيها انطفأت النار وبردت الماء واستحالت الى طلّ سماوي . فامر الملك ثانيةً باضرام النار واعلاء الماء اشدّ من الاوّل لكنَّ النار انطفأت ايضاً . فصلّى دادو ملتمسا الى الله ان يمكّن اعداءه من قتله . فاغلوا الماء ثالثةً والقوا القديس في الحلقين فلم يلبث ان انشقَّ الى شطرين وقال كاتب هذه القصة : فاتيت انا يوحنان الضابط وابكرهان القائد وجمعنا ما فضل من عظامه ووضعناها خفيــةً في مكان لائق في قرية ثمانون حيث تكلّل الشهيد

٤ً قرداغ الشهيد

ان قرداغ تكلّل سنة ٣٥٩ في الجمعة السابعة من اسابيع القيظ . وقال عنهُ كاتب حكايتهِ ان اباه يدعى كوشناوي وهو من سلالة نمرود الجبار وامّــهُ من سلالة سنحاريب الملك وكانا مجوسيّين وكان قرداغ بهيّ المنظر قويّ البدن شديد البأس ماهرًا في القتال . واتصل خبره بشابور الملك فجعلهُ وزيرًا لاثور ومرزباناً من نهر ديالة الى مدينة نصيبين . وخافهُ النصارى لانهُ كان متمسكاً بالمجوسية تمسكاً شديدًا . ثم انار الله عقلهُ وتنصر على يد مار عبديشوع الناسك الذي كان يسكن

جبال بغاش . وتعلّم المزامير عن يد لسحق الراهب واذ كان يوماً في الجبل عند معلّمهِ عبديشوع هجم العرب والروم على حدياب وبيت كرماي ونهبوا وسبوا وكان بين المسبيّين ابو قرداغ وامه وامرأته وجميع اهل داره . فتبعهم القديس وصادف الاعداء على ساحل خابور فهجم عليهم واثخن فيهم الجراح وعاد غانماً منصوراً . واستأصل جميع معابد النار وبنى مكانها هياكل للرب . فأُخبر شابور بذلك فكتب الى كوشنازداد ودينكوشناسب وكانا حاكمَين في البلاد المتسلّط عليها قرداغ كي يرجّعاه الى ديانة المجوس . فتحصَّن قرداغ في قصره وحمل عليهِ بورزمهير القائد . وحاصر القصر لكنهُ لم يستفد شيئاً . اخيراً خرج قرداغ من تلقاء نفسه من قصره المنيع وقتلوه مرجوماً بالحجارة . وللحال فاحت رائحة ذكيَّة في محل رجمه . ولما جنَّ الليل اتى بعض النصارى وخطفوا جثته ودفنوها باكرام

ان المستشرقين (١) يرون في قرداغ اميراً او قائداً حديابياً نصرانياً رفع لواء العصيان على شابور الملك بغية الاستقلال واستوثق لهُ الامر في حدياب وما يجاورها لكنهُ غُلِب اخيراً وقُتل . ومما يستحق الاعتبار ان مشيحازخا لم يذكر قرداغ في تواريخهِ بل ذكر مرزباناً آخر اسمهُ كوبراشنَسب شابهت حركاته العصيانية حركات قرداغ . فانهُ خلع طاعة بهرام الثالث (٢٧٦ — ٢٩٣) وشيَّد لهُ قصراً منيعاً في الجبل وتحصّن فيهِ الى ان احتالوا وقبضوا عليهِ . فاستنتج من ذلك القس منكنا ان قرداغ هو كوبراشنَسب نفسه وقوله هذا مظنّة لا غير . فان مشيحا زخا لم يذكر الّا بعض الشهداء من الاكليريكيّين واما العلمانيون فسكت عنهم على الاطلاق واستكفى بقولهِ : ان الذين قُتلوا في حدياب على عهد شابور الملك كثيرون لا يُحصى عددهم

٥ كوبدلاها (٢) وآذر پَروا وبهنام وباسوس وسابا الشهداء

ان حكايات هؤلاء الشهداء مشبوهة اكثر من غيرها . وقبل ان نحكم بصدقها او كذبها نذكر خلاصتها نقلاً عن كتب بيجان :

(١) لابور ٤٩ حاشية ٣ . ودوفال الآداب السريانية ١٣٨

(٢) ان هذا الاسم مكتوب تارةً كوبدلاها وتارةً كوبرلاها

ان كوبدلاها كان ابناً لشابور الملك ثم تنصّر على يد دادو احد اقاربهِ وكان دادو رئيس الجيش في بلاد ماداي . فامر الملك بقتله فقُطِع اربا ارباً ونكّل بابنهِ كوبدلاها تنكيلًا شديدًا اذ جُلد مرارًا كثيرة بقساوة وحشيّة وأُخذ من جسمه قِدّتان من كعبَيه الى راسه . وسُلخ جلد وجهه ودُقّت مسامير في جبهتهِ وقُلِعت اظافير يدَيهِ ورجليه وقُلِعت اضراسه . ونصّر كوبدلاها وهو في الحبس احد المجوس اسمه كركامون فقُتِل ونال اكليل الاستشهاد . ونصّر ايضاً اختهُ قازو وبعد عذابات طويلة قادحة تكلّل القديس مع اخته قازو في ٢٢ ايلول سنة ٣٣٢

اما آذرپروا فكان ابن الملك بولار في ارض دورساس في بيت كرماي . ولهُ اخت اسمها ماهدوخت واخ يقال له ميهرنرسا . وكان بولار من نسل اريوخ الذي ذهب بصحبة كدرلاعومر لمقاتلة ملك سدوم في زمان ابراهيم الخليل . ولما ابرز شابور امرًا بقتل النصارى في السنة التاسعة من ملكه (٣١٧ م) قبض بولار الملك على الذين في ارضه وساقهم الى كرخ سلوخ . وذهب ايضاً باولاده الى هناك لكي يراهم موثّقين شابور الملك وفي رجوعهم الى ارضهم وقع ميهرنرسا عن حصانه بقرب قرية احوان وانكسرت فخذه . لكنه شُفي باعجوبة صنعها مار عبدا اسقف حرباث كلال فتنصّر هو واخته واخوه وللحال خطفتهم روح الرب الى كهف كان بقرب القرية فطلبهم ابوهم ولم يجد لهم اثرًا . وذات يوم افلت حصانه وذهب عادياً الى الكهف فاكتشف ابوهم على امرهم . واذ لم يقدر ان يحملهم على الكفر بالنصرانية اخبر الملك بامرهم فحكم شابور عليهم بالقتل فاستشهدوا في ١٢ كانون الثاني سنة ٣١٨ وفيهِ يعيّد لهم الكلدان

وهاك حكاية بهنام واخته سارا . كان بهنام ابن سنحاريب ملك اثور ولهُ اخت اسمها سارا وكان جسمها مضروباً بالبرص . واتفق ذات يوم ان بهنام خرج الى الصيد فاصاب ايلًا فسار في اثره الى لحف جبل الياب المسمّى اليوم مقلوب . فصادف في الجبل مار متى الناسك احد تلاميذ مار اوجين الذي كان قد هرب من اطراف آمد في اضطهاد يوليانوس الملك فتنصّر بهنام على يد متى . ثم اتاه باختهِ سارا فشفاها من برصها فاعتمدت هي ايضاً . فغضب ابوهما ونادى في المدينة بعيد لآلهتهِ رجاء ان يجبر ولدَيه على السجود لها . لكن القديسين هربا مع رفاقهما قاصدَين مغارة متّى

ليتزوّدا ببركته قبل مماتهما . فأرسل سنحاريب جندًا فقتلوهما على الطريق مع جميع رفاقهما وذلك في ١٠ كانون الاول سنة ٣٥٢ وفيه يُعيّد لهما السريان . وبُني دير في محل قتل بهنام واخته وهو المعروف اليوم بدير مار بهنام

واما قصّة باسوس وسابا فمرتبطتان ارتباطاً وثيقاً وخلاصتهما انّهُ لما عُقِد الصلح بين يوفيانوس ملك الروم وشابور ملك الفرس سنة ٣٦٣ وسُلّمت نصيبين ليد الفرس اقام شابور زَمَيسَب وآذوربرزكَرد عاملَين على بيت عربايي . وكانا اخوَين من قرابة الملك شابور . هذا ما ورد في قصة سابا (١) . واماً في حكاية باسوس فقد ذُكر انّ زميسب كان اخا شابور وحاكمًا على نصيبين . وارسل من قبله عاملًا على بيت عربايي وبيت زبداي رجلًا يقال لهُ ابورزد (٢)

فلمّا كانت السنة ٦٧٤ لليونان (٣٦٣) وهي السنة ٥٣ لشابور الملك من بعد وفاة يوفيانوس ملك الروم حمل شابور على تخوم الروم وحاصر قصر بيت زبداي وافتتحه وقتل فيه خلقاً كثيرًا واجلى منهم الى ارض فارس نحو ٩٠٠٠ نفر (٣) . فذهب زميسب بكثير منهم الى ارضه فبنوا فيها قرية . ثم ان شابور امر اولئك النصارى ان يدينوا بدين المجوسية ولما ابوا امر بقتلهم جميعاً وأُلقيت جثثهم قدام قصر رجل من النصارى اسمه تاديق وهذا وجد واحدًا من الشهداء اسمه إيث ألاها فيه رمق فعالجه وشُفي . وكان لزميسب ابن اسمه پيركوشنَسب فتنصَّر هذا على يد خادمهِ انسطاس وسُمّي بالعماذ سابا . فسمع شابور الملك بتنصّره وامر بقتله . وارسل رجلًا من حاشيته اسمه ابورزد للوقوف على اجراء امره فعُذّب سابا عذاباً شديدًا ودام عذابه ٤٩٠ يوماً . وقُتِل اخيرًا مع خادمه انسطاس في ٦ آب ولهُ من العمر اثنتا عشرة سنة . وأُصيب قاتله كوبي بداء عضال وانتفخت ذراعه ومات اشنع ميتة

واما باسوس فكان ابن ابورزد حاكم بيت زبداي وتنصَّر هو واخته سوسان عن يد عبد من عبيد ابيهما اسمهُ اسطيفان . وذات يوم رأيا أَيّلًا في البرّية فسعيا

---

(١) بيجان ج : ٢٢٢ — ٢٢٤ (٢) كذلك ٤٧٥

(٣) فيه ايضاً ٢٢٤ و ٤٧٤ — ٤٧٥

في طلبهِ واذا بمغارة في الجبل وجدا فيها ناسكاً يقال لهُ لونجينا فعمَّدهما • ولما عرف ذلك ابوهما اراد قتلهما • وجعل عيداً للآلهة كي يجبرهما على السجود لها • فهرب باسوس وسوسان وخادمهما اسطيفان قاصدين مغارة معلمهم لونجينا لكي ياخذوا بركته فلحقهم ابورزد وادركهم وقتلهم • وكان ذلك في السنة ٦٩٩ لليونان (٣٨٨) وهي السنة ٧٦ لشابور الملك وكان لكلٍ من باسوس وسوسان من العمر ١٢ سنة

فترى انَّ هذه القصص متشابهة كل الشبه فان كُوبدلاها كان ابن الملك شابور وآذرپروا ابن الملك بولار وبهنام ابن الملك سنحاريب وباسوس ابن ابورزد حاكم عربايي وكانوا كلهم مجوساً ثم تنصَّر كل واحد منهم مع اخت لهُ وقُتِلت معهُ بامر ابيها الملك

اما المشابهة الموجودة بين حكايتَي بهنام وباسوس فاعظم من ذلك • فان بهنام بواسطة ايّل التقى بمار متى في جبل الپاپ واعتمذ منه هو واخته سارا • كذلك بواسطة ايّل صادف باسوس مار لونجينا في جبل راكُولا واعتمذ منهُ مع اخته سوسان • ثم ان سنحاريب لكي يحمل ابنه وابنته على نبذ الديانة المسيحية جعل عيداً عظيماً لآلهتهِ ودعا ولدَيه ليسجدا لها معهُ ولما امتنعا اراد قتلهما • كذلك عمل ابورزد ابو باسوس وسوسان • ثم ان بهنام وسارا لما رأيا ما هو عليهِ ابوهما من الغضب بادرا الى الجبل عند متى لكي يتبرَّكا منه • كذلك باسوس وسوسان تسارعا الى الجبل عند لونجينا لكي يأخذا بركته • ثم انَّ بهنام في الطريق استشهد مع اخته وخدامه كذلك باسوس وسوسان في الطريق مع خادمهما • وكما بُني دير في محل استشهاد بهنام كذلك شُيِّد دير في المكان الذي قُتل فيهِ باسوس

وزد على ذلك ان حكاية باسوس وحكاية سابا فضلاً عن علاقتهما ببعضهما هما ايضاً متعلقتان بجهاد الشهداء السبيّين الذين سبق الكلام عنهم (١) • فان ما قيل في قصَّة السبيّين عن سابا وباسوس هو هو ما ذُكر في جهادهما هنا فان آذوپرزكرد المذكور في حكاية مار سابا هو آذرپر رئيس العمّال ذاته الذي قتل الشهداء المسبيّين

(١) انظر ص ٨٤

والنبذة المسطورة عن إيث ألاها في قصة مار سابا هي ذات النبذة المكتوبة عن مار عبديشوع في جهاد المسبيّين

ومن يعمل نظر الانتقاد في هذه الحكايات لا يلبث ان يتأكد ان هناك رواية واحدة تناقلها الناس عصراً بعد عصر فتصرّفوا فيها ورووها بتغيير بعض احوالها

ونتيجة الكلام انهُ في اضطهاد شابور ملك الملوك للمسيحيين تكلّل بين الشهداء الذين لا يحصى عددهم احد اولاده او احد اولاد الولاة او الملوك الذين في حكمه. ثم بعد مرور جيلين فثلاثة على هذه الحادثة نشأ عنها عدة تقاليد في بلدان مختلفة مع زيادات وتخيلات كثيرة وتبديل اسماء المواقع والاشخاص. فارادت كل بلدة ان تنسب هذا الشرف الى نفسها فجعل تقليد ماداي والاهواز هذا الامير الشهيد ابناً لشابور الملك نفسه. وروى تقليد بيت كرماي انهُ كان ابن بولار الملك وزعم تقليد اثور اليعقوبي انهُ كان ابن ملك خيالي اسمه سنحاريب. وجعلهُ تقليد بيت زبداي ابناً لابورزد الحاكم. فترى ان نور الحقيقة مستور تحت غيوم هذه التقاليد الكثيرة وناهيك عن الاغلاط التاريخية الموجودة في هذه القصص فان كاتب اخبار سابا وباسوس يقول ان شابور الملك بعد وفاة يوڤيانوس الملك (سنة ٣٦٤) افتتح بيت زبداي. والحال ان استيلاء شابور على هذه البلدة كان في سنة ٣٦٠ وجلاء اهلها الى فارس سنة ٣٦٢ كما ترى في تاريخ سوزومين المؤرخ اليوناني (١) وفي اعمال القديسين والشهداء نفسها اي قبل جلوس يوڤيانوس على سرير مملكة الروم. وقال ايضاً كاتب قصة باسوس ان هذا القديس تكلّل في السنة ٦٩٩ لليونان (٣٨٨) وهي السنة ٧٦ لشابور الملك. وكلٌّ يعلم ان شابور لم يملك سوى سبعين سنة وتوفي سنة ٣٧٩ اي تسع سنوات قبل استشهاد باسوس. ثم ان ابورزد المرسل من قِبَل شابور الملك لكي يقتل سابا بن زميسب هو ابو باسوس وسوسان. ومما يوجب الاستغراب ايضاً انّ كلّاً من سابا وباسوس وسوسان كان لهُ ١٢ سنة حين استشهاده والتناقضات التاريخية التي في قصة بهنام لأوفر جدًّا. فترى (اولاً) كاتب القصة

---

(١) سوزومين ك: ١٣. وأميان مارقلّين ك: ٧. ودوڤال الآداب السريانية ١٣٩ — ١٤٠

يقول انّ هـذا القديس تنصّر سنة ٣٥٢ على يد مار متى ونال اكليل الاستشهاد ويزعم ان متى في زمان يوليانوس (٣٦٠ — ٣٦٣) اتى من آمد وسكن في اثور اي عشر سنين بعد تنصّر وقتل بهنام . (ثانياً) انّ القصة تجعل سنحاريب الملك متسلطاً على كل مملكة فـارس (ܡܠܟܐ ܣܢܚܪܝܒ ܐܚܝܕ ܫܘܠܛܢܐ ܒܡܠܟܘܬܐ ܕܦܪܣܝܐ) . فترى من هو سنحاريب هذا ملك الفرس ؟ (ثالثاً) يُذكر ان سنحاريب الملك كان جالساً في مدينة اثور . ويعلمنا التاريخ ان هـذه المدينة خربت قبل المسيح بستمائة سنة . (رابعاً) لا ذكر ابدًا في القصة عن اضطهاد شابور الملك للنصارى ولا عن ديانة الفرس وعوائدهم بل تمثّل الامور كأن النصارى كانوا اذ ذاك راتعـين في الراحة في مملكة الفرس . (خامساً) انّ مؤلّف القصة يضادد نفسه اذ يقول انّ سنحاريب لما بلغه خبر متّى سأل عنـه وبحث لكي يطلب اليهِ ان يشفي ابنته سارا ثمّ يزعم انّ بهنام ذهب خفية باخته الى مار متى ليشفيها خوفاً من ابيه والظاهر ان كاتب القصة يعقوبي النحلة وعاش بعد الجيـل السادس وانّ زكّى الذي يجعله خليفة متى في رئاسة الدير هو زكّى ذاته الذي بواسطة جبرائيل السنجاري المعاصر لمار سبريشوع الجاثليق (٥٩٦ — ٦٠٤) ضبط دير مار متى من النساطرة (١)

وكذلك لا بدّ من نفي صحّة حكاية كوبدلاها واخته قازو ومن الاعتماد على ما اتى في الكلندار الروماني (٢) ان دادا كان من قرابة شابور الملك وكان لهُ امرأة اسمها كادوي وابن يقال لهُ كابديلا . وبعد ان حُبسوا مدّة طويلة أُخذوا بحـدّ السيف من اجل الديانة المسيحية . فترى ان الاشخاص في قصـة كوبدلاها وفي الكلندار الروماني هي واحدة غير ان النسبة بينها مختلفة ففي القصّة كوبدلاها او كابديلا هو ابن لشابور الملك وقازو هي اخته ودادو او دادا هو من اقاربـهِ . واما في الكلندار فكوبدلاها او كابديـلا هو ابن دادا وكادوي او قازو هي امّهُ

---

(١) راجع قصة برعيتا الفصل ٢٥

(٢) ٢٩ ايلول

الفصل الثامن

في اخبار مملكة الفرس والكنيسة الكلدانية في النصف الاخير من الجيل الرابع

بينما كان الاضطهاد يفتك بنصارى المشرق كانت الحرب طاحنة بين الروم والفرس قلنا ان شابور حاصر نصيبين سنة ٣٣٨ وسنة ٣٤٦ وانهُ في سنة ٣٥١ اغار على ما بين النهرين وذهب الى ابواب انطاكية . وفي سنة ٣٥٣ حملت جيوشه على بطنان وفي سنة ٣٥٩ زحف هو بنفسه على ما بين النهرين الشمالية وحاصر آمد وافتتحها واستولى ايضاً على بيت زبداي . وبينما كان قسطنطيوس بن قسطنطين الكبير يتجهَّز لمحاربتهِ وافتهُ المنية فجلس مكانه يوليانوس سنة ٣٦٠ . وكفر يوليانوس بالديانة المسيحيَّة فغلب عليهِ اسم الجاحد . ولما كانت السنة ٣٦٣ حمل يوليانوس على الفرس وعبر الدجلة وتوغَّل في ارض فارس واقترب من المداڻن . ولكنه انكسر هناك وقُتل . فبويع بالملك يوڤيانوس وهذا عقد الصلح مع شابور الملك واعطاه مدينة نصيبين . ولم يملك يوڤيانوس سوى سبعة اشهر وخلفه ڤالنس سنة ٣٦٤ وتأهب لمحاربة شابور سنة ٣٧٢ لان الفرس ارادوا الاستيلاء على ارمنية التي كانت بيد الروم . وفي سنة ٣٧٣ انتصر طرايانوس قائد ڤالنس على الفرس . فطلب شابور المهادنة ورجع الى المداڻن . ولما كانت السنة ٣٧٧ قاتل شابور الروم في ارمنية وانتصر عليهم فالتزم الروم ان يطلبوا الصلح . ومات شابور سنة ٣٧٩ وقد ملك سبعين سنة

وقام مكانه اخوه اردشير الثاني وكان ظالماً وفتك باشراف فارس فخلعوه وملّكوا مكانه شابور الثالث سنة ٣٨٣ . وكان هذا الملك محبًّا للسلام فارسل هدايا ثمينة الى تئودوسيوس الاول ملك الروم (٣٧٨ — ٣٩٥) طالباً صداقته . وملك بعده بهرام الرابع سنة ٣٨٨ وعقد الصلح مع الروم . وجرت لهُ وقائع مع الهونيّين (١) فانهم زحفوا سنة ٣٩٦ (٢) على ارمنية وصوپ وما بين النهرين

(١) النصوص السريانية طبعة لاند 2 : ٨

(٢) بعض المؤلفين كتبوا سنة ٣٩٥ . راجع السمعاني 2 : ٢٦٢ و ٤٠٠

وسوريا وسبوا سبياً · ومن هناك حملوا على بلاد الفرس ونهبوا وقتلوا وذهبوا الى ابواب المداين فحمل عليهم بهرام الملك وكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً واخذ جميع المسبيّين وكان عددهم ١٨٠٠٠ نفس وكلّهم من بـلاد الروم · واسكنهم الفرس في المداين ورجع بعضهم الى بلادهم ومات بهرام الرابع سنة ٣٩٩ وخلفه يزدجرد الاول

ان احوال الكلدان النصارى تحسنت قليلاً في النصف الاخير من الجيل الرابع وقد اجمع جميع المؤرخين الشرقيين (١) على ان شابور منذ عقد الصلح مع يوڤيانوس سنة ٣٦٣ واستلم نصيبين تغيّرت سياسته مع النصارى وقلّ عدد الشهداء لا بل احسن الى نصارى نصيبين كي يجذبهم اليه · فـانّ مار افرام الذي كان يومئذٍ في نصيبين قال بيامره في يوليانوس الجاحد وشابور الملك ما تعريبه :

« ان المجوسيّ (شابور) (٢) الذي دخل بلدتنا قدّس خجلتنا · اهان معبد النار واكرم قدس الاقداس · ذلّل هياكل الاصنام التي بُنيت لرخاوتنا · بطّل المعابـد (للاصنام) لانه عرف انّا من هيكل واحد خرجت الرحمة التي خلّصتنا منه ثلاث مرات ... ان الملك الحبر (يوليانوس) اهان كنائسنا · والملك المجوسي (شابور) اكرم قدس الاقداس · ضاعف تسليتنا لانه وقّر قدس اقداسنا · أحزننا ثم فرّحنا ولم يطردنا · وبّخ الذي ضلّ بواسطة الضالّ رفيقه · لانّ الحبر (يوليانوس) ظلم كثيراً · واماّ المجوسيّ (شابور) فعوّض باضعاف »

والظاهر ان خلفاء شابور ولا سيما شابور الثالث وبهرام الرابع لم يضطهدوا النصارى فاستراحت الكنيسة قليلاً على ايامهم وقدر الاساقفة الباقون في الحيوة ان يرسموا اساقفة للكنائس المترمّلة ويجعلوا لها كهنة وشمامسة · والدليل على ذلك ما اتى في مجمع اسحق الجاثليق انهُ في سنة ٤١٠ كان جالساً على كلّ من الكراسي الاسقفية اسقف او اسقفان وربّما ثلاثة · وذكر مشيحا زخا ان شوحاليشوع اسقف اربيل في السنة العاشرة لجلوسه على الكرسي اي في السنة ٣٨٤ (٣) بدأ يرسم كهنة

---

(١) ماري ٢٥ · وابن العبري ٤٨ · ويوحنان بريكايا طبعة منكنا ١٣١ — ١٣٢ ·

(٢) تاليفات مار افرام ودرولا وبالاي الخ طبعة أوفيربيك ص ١١ — ١٢

(٣) ان القس منكنا غلطاً يكتب ان ماران زخا جلس على كرسي اربيل منذ سنـة

وشمامسة . لانهم قلّوا بسبب الاضطهاد . ولا بدّ من ان الاساقفة الاخرين اقتدوا بهِ ايضاً

اما الجثالقة الذين جلسوا على كرسي المدائن منذ قتل برباعشمين الى جلوس اسحق اي منذ سنة ٣٤٥ الى سنة ٣٩٩ فاخبارهم طامسة في الظلام . والاخبار التي يكتبها عنهم المؤرخون لا توافق بعضها بعضاً فان ماروثا في اعمال الشهداء في جهاد برباعشمين يقول ان الكرسي فرغ نحو عشرين سنة وماري يكتب انهُ فرغ ٢٢ سنة وعمرو ٣١ سنة والتاريخ السعردي ٣٣ سنة وايليا النصيبيني ٣٧ سنة . وجميع هؤلاء المؤرخين متفقون في رئاسة تومرصا وقيوما على كرسي ساليق في الربع الاخير من القرن الرابع ولكن يخالفون بعضهم بعضاً في تعيين سنة جلوسهما . قال ابن العبري ان تومرصا ويسمّيهِ تموزا صار جاثليقاً سنة ٣٦٣ وماري في اول سنة لملك يزدجرد اي في سنة ٣٩٩ . واما عمرو وايليا النصيبيني ومؤلف التاريخ السعردي فيقولون انهُ جلس على الكرسي في السنة الاولى لبهرام الرابع اي سنة ٣٨٨ (١) . وكلّهم يقولون انّهُ دبّر الكنيسة ثماني سنين وانهُ اسام اساقفة وبنى كنائس بمعاونة بختيشوع الذي استشهد حبّاً بالمسيح . وانهُ مات في السنة التاسعة لملك بهرام الواقعة في السنة ٣٩٦ وقام بعده قيوما ودبّر الكرسي الى ان تقلّد يزدجرد ازمّة الملك وعُقِد الصلح بينه وبين الروم فاستعفى حينئذٍ وانتُخب مكانه مار اسحق سنة ٣٩٩

فترى مما سبق انهُ لا يُعتمد كثيراً على ما قالهُ المؤرخون عن فراغ كرسي ساليق بعد قتل برباعشمين وعن جثلقة تومرصا وقيوما . والامر الغريب هو ان ايليا الدمشقي (٢) في كتاب السنهادوسات في دفتر الجثالقة يضع تومرصا وقيوما قبل پاپا ويذكر اسحق بعد برباعشمين وكذلك سفر الاحياء والاموات يضع تومرصا قبل شحلوپا وپاپا

---

٣٤٧ الى سنة ٣٧٦ وشوحاليشوع من سنة ٣٧٦ الى سنة ٤٠٧ . فان ابراهام تكلل سنة ٣٤٥ وخليفته ماران زخا دبّر الكرسي ٢٩ سنة فيكون قد جلس من سنة ٣٤٥ الى ٣٧٤ . وشوحاليشوع من سنة ٣٧٤ الى ٤٠٥

(١) ان ايليا النصيبيني (ص ١٠٧) يضادد نفسه اذ يقول عنهُ انهُ أُسيم جاثليقاً في السنة الاولى لشابور (الثالث)

(٢) في السمعاني ج ٢ : ٣٩٢

ويكتب قيوما بين برباعشمين واسحق فيظهر من اعمال مجامع اسحق ويهبالاها وداديشوع الجثالقة (١) ان اساقفة الكلدان لم يزالوا يتنازعون الرئاسة منذ استشهاد شاهدوست الى مجمع مار اسحق سنة ٤١٠

الباب الثاني

في اخبار الكلدان في الجيل الخامس

الفصل الاول

في عقد الصلح بين الكنيسة الكلدانية والحكومة الفارسيَّة بهمَّة يزدجرد الملك وماروثا اسقف ميافرقين واسحق الجاثليق سنة ٤١٠

ان مجمع نيقية الذي عُقد سنة ٣٢٥ وضع بقوانينهِ وشرائعه نظاماً للكنائس الغربيَّـة التي تحت حكم ملوك الروم . اماَّ الكنائس الشرقية التي تحت حكم ملوك فارس فكانت محرومة من هذه القوانين التهذيبية . فانَّ الاساقفة لم يزالوا يتنازعون الرئاسة وكثير من الكراسي كان جالساً عليها اسقفان او ثلاثة . ولم تكن كلّ الكنائس تصوم سويَّة ولا تعيّد سويَّة عيد الميلاد والدنح والقيامة . وكانوا يقرّبون الذبيحة الآلهية في البيوت . أجل . قيل انّ شمعون برصباعي نيابةً عن بابا (٢) ويعقوب اسقف نصيبين ويوحنان اسقف كرخ سلوخ ويوحنـان اسقف اربيل وشمعون اسقف آمـد وكيوركيس اسقف سنجار وغيرهم حضروا المجمع النيقاويّ (٣) لكن ما من شيء يثبت هـذا القول . لا بل انّ ما اتى في

---

(١) السنهادوسات ١٩ و ٢٠ و ٣٩ و ٤٨ — ٤٩ راجع ايضاً هنا ٥٧ حاشية ١

(٢) وقيل ان شاهدوست نيابةً عن شمعون برصباعي حضر في المجمع النيقاوي (قوانين عبديشوع الصوباوي : ܒ : ܠܐ :)

(٣) ماري ١٥ . وعمرو ١٤ — ١٥ . وبيحان ܟ : ٥١٥ . وقوانين عبديشوع الصوباوي ܒ : ܣܘ . والتاريخ السعردي ܒ : ٦٧

مجمعَي اسحق ويهبالاها الجاثليقَين ينفي ذلك . فانّ اعمال هذين المجمعين تصرّح انّ القوانين النيقاويـة لم تكن معروفة في الكنيسة الفارسيّة الى سنة ٤١٠ وانّما لاحل ذلك ارسل الآباء الغربيّون على يد ماروثا هذه القوانين الى الاساقفة الشرقيين لكي يجروا هم ايضاً عليها . فلو حضر بعض اساقفة كنيسة فارس في مجمع نيقيّة لجلبوا معهم والى كنائسهم ما رسم هذا المجمع من القوانين والشرائع

فافتُتح الجيـل الخامس بالقاء النظام والسلام في الكنيسة الكلدانيّة وعُقد الصلح بينهـا وبين الحكومة الفارسيّة . والذين سعوا بهذين الامرَين الجليلين ثلاثة (١) : يزدجرد الاول ملك الفرس وماروثا اسقف ميافرقين ومـار اسحق جاثليق المدائن

١ً يزدجرد الاول (٣٩٩ — ٤٢٠)

انّ يزدجرد الاول هو ابن بهرام الرابع وجلس عوض ابيه سنة ٣٩٩ . وكان متبصِّراً في الامور حسن التدبير والسياسة ومحبًّا للسلام . وعوضاً عن قتل النصارى الذين كثروا في مملكته الواسعة أحسن اليهم (٢) ولاطفهم وسمح لهم ان يشيّدوا الكنائس التي خربت في الاضطهاد . وان يسلك الكهنة علانيةً بموجب ما تامرهم بهِ ديانتهم . واطلق جميع المحبوسين من اجل اسم المسيح . وممّا اشتهر به ايضاً هذا الملك الجليل اطلاقه للاسرى الروميّين الـذين سباهم الهونيّون من بلاد الروم سنة ٣٩٥ كما تقدّم . ولذلك جعله كاتب النصوص التاريخية التي طبعها لاند ملكاً نصرانيًا صالحًا رحوماً ومباركاً بين الملوك . وقال عنه سُقراط المؤرخ انـهُ كان بعزمِهِ ان يتنصَّر لكنَّ الموت حال دون ذلك . هذا ما قاله مؤرخو النصارى عن يزدجرد الاول (٣) . واماً تواريخ الفرس فبعكس ذلـك لقَّبته بالاثيم وقالت عنهُ انهُ كان شرّيرًا ظالمًا (٤) . فقال موسيو نيلديك « انّ يزدجرد مع كونهِ من الرجال السياسيّين الماهرين الميّـالين الى حلّ المسائل بالسلم كان ايضاً طاغياً نظير الملوك

---

(١) لابور ٨٧ — ٩٢ (٢) السنهادوسات ١٨

(٣) راجع ايضاً ماري ٢٩ . وعمرو ٢٤ وما يلي . والتاريخ السعرديّ ٤ : ٢٠٥ — ٢٠٦

(٤) الطبري طبعة استانبول ٢ : ١٨١

الساسانيين الأُخر. اذ انهُ في نهاية حياتهِ لمَّا عاين انَّ شوكة النصارى قد عظمت وان جسارتهم تفاقمت وكادت تثير عليه غضب المجوس لم يمتنع من اضطهادهم » (١) ولكنه لم يقتــل الَّا بعضاً من اشراف المجوس الذين تنصَّروا ولم يُثِر اضطهادًا شديدًا عامًا على النصارى

٢ً ماروثا اسقف ميافرقين

انَّ ماروثا كان عالمًا وطبيباً حاذقاً .وسافر مرارًا الى انطاكية وبيزنطية. قال عنهُ عمرو (٢) انهُ في سنة ٣٨١ حضر المجمع الذي عُقد في القسطنطينيّة ضدّ هرطقة الماقدونيّين القائلين بان روح القدس ليس هو الله. وذكر فوتيوس الروميّ انه حضر ايضاً في المجمع المعقود في انطاكية ضدّ هرطقة المصلين سنة ٣٨٣. وكتب سقراط وسوزومين انهُ تداخل ايضاً في النزاع الذي جرى سنة ٤٠٣ — ٤٠٤ بين تثوفيلوس الاسكندري ويوحنَّا فم الذهب. وممَّا اشتهر بهِ ماروثا انهُ أُرسل مرارًا من قبل قياصرة الروم الى المدائن لعقد الصلح بين المملكتَين الرومية والفارسيَّة. واول سفرته كانت عنــد جلوس يزدجرد على سرير الملك سنة ٣٩٩ (٣) . فانهُ انطلق الى القسطنطينية عند الملك اركاديوس (٣٩٥—٤٠٨) يسألهُ ان يكتب الى يزدجرد حتى يرفق بنصارى مملكتهِ ويكفّ عن اذيَّتهم. وقيل انَّ سبب ذهاب ماروثا الى ساليق المرة الاولى هو انَّهُ عرض ليزدجرد مرض اعيا اطبَّاء فارس. فارسل ملك الملوك الى اركاديوس يطلب منهُ طبيباً حاذقاً . فارسل اليــه ماروثا وكتب اليهِ كتاباً يطلب فيه ان يحسن الى النصارى ويزيل الاذى عنهم. وان ماروثا عالج يزدجرد وأبرأه من علتــهِ فاكرمهُ يزدجرد وازال الاذى عن النصارى وفي تلك السنة عينها انتُخب مار اسحق جاثليقاً مكان قيوما

وبعد ان اكمل ماروثا سفارتهُ هذه الاولى رجع الى القسطنطينية سنة ٤٠٤. وكان في تلك الاثنــاء قد توجَّه تثوفيلوس الاسكندريّ الى العاصمة لعزل مار

---

(١) في كتاب الطبري ٧٤ حاشية ٣ (٢) عمرو ١٤. راجع ايضاً ماري ٣١

(٣) ماري ٢٦ وعمرو ١٤ . والتاريخ السعردي 2 : ٢٠٥ — ٢٠٦. وابن العبري ✝ : ٤٧

يوحنا فم الذهب. فالظاهر انّ ماروثا تحزّب لتئوفيلوس ضد مار يوحنا. فانّ هــذا القديس كتب رسالتين الى اسقف ميافرقين. وكتب ايضاً رسالة الى أولمپياديس يطلب اليها ان تبذل جهدها في استمالة ماروثا على ترك حزب الاسكندريّ. لانّهُ يحتاج اليــهِ كثيرًا في امور نصارى فارس. ويرجو منها ان تسأل من ماروثا عن سبب مجيئه الى عاصمة المملكة. وعن نجاحه في سفارتهِ لدى ملك الفرس وهل يؤمل انّهُ يتوفّق في سفارتهِ الثانية (١). وكانت أولمپياديس هذه من اجلّ وافضل النساء في القسطنطينية

ورجع ماروثا مرّةً ثانيــة الى ساليق نحو السنة ٤٠٨ التي فيها مات اركاديوس الملك وذلك إمّا لكي يبلّغ يزدجرد خبر جلوس تئودوسيوس الثاني مكان ابيــه اركاديوس او حتى يلقي الصلح بين اساقفة الكلدان الذين نشأ بينهم النزاع من جهــة الرئاسة (٢). وبمعونة يزدجرد الملك نجح نجاحاً تامًّا في اصلاح امور الكنيسة الكلدانيّة وعقد مجمعاً في ساليق سنة ٤١٠ (٣). وبقي ماروثا هــذه المرّة في بلاد الكلدان نحو ثلاث سنين (٤). فجمع قصص الشهداء الذين استشهدوا في اضطهاد شابور الملك. وجمع ايضاً شيئاً كثيرًا من ذخائرهم وحملها على عربات فاخرة واتى بها الى ميافرقين (٥). ومنذ ذلك الحين سمّاها اليونان مارتيروپوليس والكلدان ܡܕܝܢܬ ܣܗܕܐ ومعناهما مدينة الشهداء. واكرم يزدجرد ماروثا كثيرًا. وروى عنــهُ سُقراط (٦) انّ المجوس حسدوه حسدًا عظيماً. فأسمعوا الملك عند دخولهِ معبد النار صوتاً يقول: « ليخرج الملك من معبد النار فانّهُ نجس لانّهُ يكرم اسقفاً نصرانياً.» لكن ماروثا كشف عن مكرهم. وطلب الى الملك ان يامر بحفر المكان الذي خرج منهُ الصوت ففعل يزدجرد. واذا برجل مختفيّ هناك في سرداب. فغضب ملك الملوك على المجوس وقتل منهم خلقاً كثيرًا

(١) تواريخ الكنيسة لتيمون ܗ 2: ٢٨٤ — ٢٨٧
(٢) السهادوسات ٤٩
(٣) كذا ايضاً ١٩
(٤) لابور ٨٩
(٥) تيلمون ܗ 2: ٢٨٤. وماري ٣١ . وعمرو ٢٤
(٦) التاريخ الكنائسي ٩ : ٩ . راجع ايضاً ماري ٣٠

ورجع ماروثا ثالثةً الى المدائن سنة ٤١٨ ليرافق يهبالاها الجاثليق الذي ارسلهُ يزدجرد بالسفارة الى القسطنطينية (١)٠وعلى ما يظهر انهُ توفي قبل السنة ٤٢٠ التي فيها عُقد مجمع يهبالاها الجاثليق٠ فاننا في هذا المجمع عوضاً عن ماروثا نرى من قبل الآباء الغربيين ماراقاق اسقف آمد (٢)

انّ كلّ الكنائس الشرقية والغربية اكرمت مار ماروثا فجعلهُ الكلدان كأحد الرسل واتى ذكره عندهم في ٢ تشرين الاول وعند السريان والموارنة والملكيين في ١٦ كانون الثاني٠ وعند اليونان واللاتين في ٤ كانون الاول٠ وعند الارمن في ٢٩ كانون الثاني وعند القبط في ٢٢ مشير

٣ اسحق الجاثليق (٣٩٩— ٤١٠)

كان اسحق على ما قيل من قرابة تومرصا (٣) ولمّا ملك يزدجرد وعُقِد الصلح بهمّة القديس ماروثا بين الفرس والروم وارتاح الكلدان النصارى من الاضطهاد جمع قيوما الجاثليق اساقفتهُ بحضور ماروثا وتنازل عن الكرسي٠ واختاروا مكانه اسحق سنة ٣٩٩٠(٤) ويشير الى هذا مؤلف قصّة المجمع النيقاوي٠ فانهُ في بداية القصة رسالة كتبها الى اسحق الجاثليق فيها يقول: « انّ ابانا الراعي بحكمتهِ وهمتهِ انتخبك انت لتكون مدبرًا بعده » وجاء عنهُ في مجمع داديشوع الجاثليق المعقود سنة ٤٢٤ انهُ هو الذي نظّم الرئاسة العليا بعد ان فرغت اثنتين وعشرين سنة٠ وانهُ كان معزّزًا وموقّرًا عند يزدجرد٠ لكن الاساقفة عصوا عليه فيما بعد وسعوا به كذباً لدى الملك وأُلقي في السجن٠ فتوسّط حينئذٍ الآباء الغربيون وماروثا

(١) جهاد پيروز الشهيد في بيجان ﺪ : ٢٥٦ (٢) السنهادوسات ٣٧ ٠ ان ديونوسيوس اليعقوبي (في السمعاني 2 : ١٧٦) غلطاً يقول انّ ماروثا حضر في مجمع يهبالاها والسمعاني نفسه يخلط بين ماروثا اسقف ميافرقين وماروثا مفريان تكريت اليعقوبي ٠ فان هذا الاخير ظهر في العالم نحو ١٧٠ سنة بعد الاول وتوفي سنة ٦٤٩

(٣) ماري ٣٠٠ وعمرو ٢٢٠ والتاريخ السعردي 2 : ٢٠٥٠ وابن العبري ﻫ : ٤٧٠ ولابور ٩٠ — ٩١

(٤) ايليا ٤٧

وساعدوا مار اسحق وبقوّة يزدجرد عقـد ماروثا مجمعاً في ساليق وحرم الاساقفة الذين قاوموا اسحق (١) وهاك مفصّلاً قصة هذا المجمع

الفصل الثاني

في مجمع اسحق وهو مجمع ساليق الثاني (سنة ٤١٠)

عُقد مجمع اسحق الجاثليق سنة ٤١٠ وهي الحادية عشرة للملك يزدجرد(٢) والباث انّ ماروثا اصحب معهُ ثلث رسالات من اساقفة مـا بين النهرين وسوريا. الرسالة الاولى كانت توصية بحقه للملك وللأساقفة. والثانية كان فيها تعليمات لمـار اسحق الجاثليق. والثالثة كانت للملك نفسه وفيها طلبوا اليهِ ان يساعد الاساقفة الذين في مملكته ليعقدوا مجمعاً ويصلحوا الاحوال. امَّا الاساقفة الذين امضوا هذه الرسائل فهم پورپوريوس اسقف انطاكية (٤٠٤—٤١٣) واقاق اسقف حلب (٣٧٩—٤٣٦) وپقيدا اسقف اورهاي (٣٩٨—٤٠٩) واوسابيوس اسقف تلّا واقاق اسقف آمد. ولا بـدّ من ان ماروثا اتى ايضاً برسالة من حكومة القسطنطينية. فمَثُل هو ومار اسحق بين يدَي الملك والتمسا منه ان يأمر بجمع الاساقفة القريبين. فكتب حالًا الى مرازبتهِ كي يبعثوا بعزّ واكرام الاساقفة الذين في حدود ولاياتهم. فاجتمع في ساليق هوشاع مطران نصيبين واساقفتهُ. ودانيـال مطران اربيل واساقفته. وعقبلاها مطران كرخ سلوخ واساقفتهُ ويزيداد مطران الاهواز واساقفتهُ وزبدا مطران ميشان واساقفتهُ وماري اسقف كشكر. وبلغوا الاربعين عدداً. وكان اجتماعهم في ساليق في شهر كانون الثاني. ولما كان عيد الدنح دخلوا كلهم الى الكنيسة الكبرى وتُليت بحضورهم رسالة الآباء الغربيين المُرسـلة الى يزدجرد الملك. وفي يوم الثلثاء اول شباط قُرئت الرسالة المكتوبة الى ماروثا بشأن قبول القوانين النيقاوية. فقبلوهـا وامضوها ثم حدَّدوا ٢١ قانوناً فيما يتعلّق بسياسة الكنيسة الكلدانيّة

---

(١) السنهادوسات ٤٨ — ٤٩

(٢) فيهِ ١٧ — ٢٢ راجع ايضاً لابور ٩٢ — ٩٩

وممَّا حتم بهِ المجمع (١) ألَّا يجلس على كل كرسيّ الَّا اسقف واحد. وألَّا يُرسَم الاسقف الَّا على يد ثلاثة اساقفة. وان يجتمع الاساقفة والمطارنة كلّ سنتين مرةً واحدة عند الجاثليق في ساليق لاصلاح الامور الكنائسية. وان تكون الصلوات الطقسية واحدة في كل الكنائس مثلما هي في بيعة المدائن. وألَّا تُقدَّم الذبيحة الآلهية في البيوت. وان تُعيِّد كل الكنائس سويةً عيد الميلاد والدنح والقيامة وتصوم ايضاً سويّةً. وان جاثليق ساليق هو رئيس كل الاساقفة والمطارين وان اسقف كشكر هو يمينهُ وهو يُدبّر الكرسي من بعد موتهِ. وحكم ايضاً المجمع انّ الكراسي المطرابوليطية خمسة وهي اولًا كرسي بيت لاباط وتحت حكمهِ اساقفة هرمزد ارداشير وشوشتروشوشان وكرخا اي كرخ ليدان. ثانياً كرسيّ نصيبين وهو يحكم على اساقفة ارزون وقردو وبيت زبداي وبيت رحيماي وبيت مكساي. ثالثاً كرسي پراث ميشان وتحت سيطرته اساقفة كرخ ميشان ونهركور وريما. رابعاً كرسي اربيل وتحت يده اساقفة بيت نوهدرا وبيت بغاش وداسان ورامونين وبيت مهرقرت ودبرينوس. خامساً كرسي بيت كرماي ولهُ الرئاسة على اساقفة شهرقرت ولاشوم واريون ودادرح وحرياث كلال. واماَّ اساقفة فارس ورازيق وبيت قطرايي وابرشهر فلم يدخلوا في هذه الترتيبات لانهم لم يحضروا المجمع لبعد بلادهم

ثم ان مار اسحق ومار ماروثا انطلقا الى باب الملك ومثُلا بين يديهِ وعرَّفاه نتيجة المجمع. ففرح الملك واراد ان يُظهر من جديد اهتمامه بخير النصارى فارسل الى آباء المجمع اثنين من اعظم رجالهِ وهما خوسرو يزدجرد الوزير الاعظم ومهرشابور اركابيطا (٢) اي رئيس الجيش وقالا لهم : « كنتم قبل الآن مضطهدين وتُجرون ديانتكم خفيةً. وأمّا الساعة فقد تلطَّف بكم ملك الملوك وجعل اسحق رئيساً على كلّ نصارى المشرق. وانَّما رعايةً لهُ وللماروثا الاسقف قد جاد عليكم بالحرية. فعلى جميع الاساقفة ان يذعنوا لاسحق الجاثليق وماروثا الاسقف وكلّ من عصاهما قوصص قصاصاً شديداً. »

---

(١) راجع كتاب السنهادوسات ٢٠ وما يلي

(٢) ܐܪܓܒܕ تصحيف اركابيد وهو عنوان صاحب الجيش (سرعسكر) راجع السنهادوسات ٢٦٠ و ٢٦١

الفصل الثالث

أحا الجاثليق (٤١٠ — ٤١٥) ويهبالاها (٤١٥ — ٤٢٠)
مجمع يهبالاها وهو مجمع ساليق الثالث (٤٢٠)
معنا وپرابوخت (٤٢٠)

انّ مار اسحق لم يعش طويلًا بعد مجمع ساليق ومات في نهاية السنة عينها وقام بعده أحا سنة ٤١٠ او في بداية سنة ٤١١ وقال عنه التاريخ السعردي(١) انهُ بهمّة مار ماروثا وبامر يزدجرد الملك أُختير للجثلقة وكان تلميذ مار عبدا القديس المارّ ذكره. ومال اليه يزدجرد. وانفذه بعد مدّة يسيرة الى فارس ليبحث عن امتعة وجواهر حُملت اليه من بلاد الهند والصين وقالوا انها فُقدت. وذكر نهروز (٢) المتقلّد حكومة فارس انّ اللصوص اخذوها. فعاد مار أحا الى يزدجرد وأوقفهُ على حقيقة الامر. فازداد عنده منزلةً وكرامة. وبوصول مار أحا الى فارس سأل عن قبور الشهداء الذين قُتلوا على أيام شابور الملك وكتب اخبارهم (٣) وكتب ايضاً قصة مار عبدا معلّمه. وكانت مدته في الجثلقة اربع سنين وبضعة اشهر

وجلس مكانهُ مار يهبالاها في نهاية سنة ٤١٥ وقال عنهُ ايليا النصيبينيّ انّهُ في السنة ١٧ ليزدجرد صار جاثليقاً. وجاء في مجمع يهبالاها نفسه انّ السنة الثالثة لجثلقتهِ كانت السنة ١٩ ليزدجرد. وقيل عنهُ في التاريخ السعردي انهُ هو ايضاً مثل مار أحا كان من تلاميذ مار عبدا ومتفقهاً في العلوم. وبنى ديرًا عظيماً في قرية دسكرة إيشوع في ارض بابل. وشيد ديرًا آخر على شاطئ الدجلة وقصده رهبان كثيرون وقسّمهم لتلاوة المزامير بحيث لا تنقطع الصلوة ابدًا . وصار جاثليقاً بامر يزدجرد الملك وفي السنة الثالثة لرئاسته وهي السنة ٤١٧ أرسلهُ يزدجرد مع هدايا نفيسة الى تئودوسيوس الثاني (٤٠٨ — ٤٥٠) الذي خلف اباه اركاديوس في

---

(١) ٤ : ٢١٢ راجع ايضاً ماري ٣١ . وعمرو ٢٥ (٢) عمرو يكتبها بيهود

(٣) ماري يقول ان مار احا قبل ان يتجثلق زار قبور الشهداء وكتب قصصهم

القسطنطينية وذلك لتوثيق الصلح بين الدولتين وكان بصحبتهِ ماروثا اسقف ميافرقين (١) فاكرمه تئودوسيوس الملك كثيرًا وخلع عليهِ ووهبهُ مالًا جزيلًا بهِ جدّد بيعة المدائن الكبرى وشيّد كنائس اخرى

فلمّا كانت السنة ٤١٩ ارسل ملك الروم اقــاق اسقف آمد الى يزدجرد الملك ليردّ الجواب على رسالتهِ (٢)٠ وبعث عن يده (٣) لمار يهبالاها كنيسة جميلة سفريّة معمولة من الجلد وداخلها مغشّى بالذهب والفضة والنحاس والاقمشة النفيسة وانتهز مار يهبالاها الفرصة من حضور مــار اقاق لجمع اساقفتهِ في المدائن فعقد مجمعًا سنة ٤٢٠

انّ اعمال هذا المجمع وصلت الينا وهو لم يصنع قوانين جديدة بل رسم وحدّد ان تُحفظ قوانين مجمع مار اسحق وقوانين المجامع الغربيــة اعني بها مجامع نيقية وانقورة ونئوقيصريّة وكنكارا وانطاكية واللاذقية٠ والظاهر ان الداعي الى عقد هــذا المجمع هو انّ الخصومة تجدّدت بين اساقفة الكلدان اذ كان البعض منهم يابون الطاعة لمار يهبالاها٠ وهذا يبان من اعمال المجمع نفسه٠ اذ اتى فيهِ ما نصهُ: « ان اغلب اخوتنا الاساقفة الذين حضروا مجمع مار اسحق انتقلوا من هذا العالم٠ ولانهُ لم يُرسم مكانهم اساقفة جديرون لم يحصل شفاء تلم من وجع الجهالة الاولى٠ بل يتولّد الى يومنا هذا في بعض الامكنة من ذاك خمير الجهالة الشقاق والخصام ٠ والمولّدون هم (الاساقفة) الجسورون المتكبّرون الناكرو الجميل المبغضو السلام»٠ وكان الاساقفة الذين امضوا اعمال هذا المجمع اثني عشر٠ والظاهر انهم كانوا اكثر عددًا وقد سقطت اسماءهم بكرور الزمان من الجدول

ولم تساعد الظروف هذا المجمع ليأتي بالاثمار المطلوبة٠ فان يهبالاها توفي في السنة ذاتها٠ ويُستدلّ من كلام المؤرخين انّ كثيرًا من الاساقفة تنازعوا الكرسي الجاثليقي٠ والمعروفون منهم ثلاثة: معنا مطران فارس وپروخوخت اسقف كازرون وداديشوع

---

(١) اعمال پيروز الشهيد في بيجان ج ٤ : ٢٥٦ (٢) السنهادوسات ٢٧٧ ح ٢ ولابور ١٠١ (٣) اعمال پيروز في بيجان ج ٤ : ٢٥٦

ان معنا (١) بذل مالًا جزيلًا لمهر شابور صاحب الجيش فساعده وجعله جاثليقاً . وقال عنه المؤرخون انه كان عالمًا بالفارسية والكلدانيّة وقد درس في مدرسة اورهاي ونقل كتباً كثيرة من الكلدانية الى الفارسيّة . ولم يجلس كثيرًا على الكرسي . فان يزدجرد غضب عليه وامر بعزله ونفيه الى فارس . (٢) وسبب ذلك انه حامى بحضور يزدجرد عن ترساي الكاهن الذي امر الملك بقتله . وسيأتي ذكر ذلك

فتقدم حينئذٍ پروخبوخت(٣) او پرابوخت اسقف كازرون وبذل هو ايضاً مالًا جزيلًا لمهر شابور المذكور وضمن لـه ان يسير على مذهب المجوس . فجلس على كرسي ساليق . وكان يزدجرد قد توفي . فاستعان الاساقفة باصحاب بهرام الملك وخلعوه ونصبوا مكانه داديشوع وكان ذلك سنة ٤٢١ او في اوائل ٤٢٢

الفصل الرابع

في اضطهاد يزدجرد الاول للنصارى (سنة ٤٢٠) .

١ في الدواعي للاضطهاد

راينا ان يزدجرد الملك حامى عن النصارى ومال اليهم . لكنه في نهاية حياته تغير فكره فيهم وبدأ يضطهدهم . ومما حمله على ذلك هو ان محبته للنصارى جلبت عليه بغضة المجوس . وقد اتى في التاريخ السعردي « ان المجوس ابغضوهُ لما عاملهم به من وضع روسائهم وميله الى النصارى وسماحهِ لهم ببناء الكنائس ولم يزالوا يلعنونه في بيوت النيران » . ثانياً ان الكلدان النصارى نجحوا نجاحاً عظيماً وانتشروا انتشارًا عجيبـاً في كل قطر ومصر منذ زال عنهم الاضطهاد حتى انهم فتحوا

---

(١) ماري ٣٣ . وعمرو ٢٧ . والتاريخ السعردي 2 : ٢١٦ — ٢١٨ . وايليا ٤٨

(٢) ان ابن العبري غلطاً يكتب مكنا عوض معنا وقال عنه ان الاساقفـة عزلوه لانهُ علّم تعليم نسطور وفسّر كتب تشودوروس المفسّر . وهكذا يخلط بين معنا هـذا ومعنا رفيق برصوما الذي عاش في غاية الجيل

(٣) ايليا ٤٨ . ان عمرو يكتب فرابخت وابن العبري مرابوخت . وماري فرابخت . وقال لابور انـهُ هو پربوخت الارداشير كوراويّ الذي قيل عنهُ في اعمال مجمع داديشوع (ص ٤٤) انهُ عصي على كرسي ساليق

ابرشيات كثيرة جديدة في اران وارمنية وكورزان وشابورخوست واردashير فريهاد والصيمرة واذوربيجان وهرات وسجستان ومرو ومزون وغيرها. ومما اقلق اكثر ما يكون المجوس والملك نفسهُ هو ان كثيرين من اشراف المملكة ورجال الدولة اعتنقوا الديانة النصرانية . جاء في اعمال نرساي الشهيد ان آذربوزي الموهباط مثل بين يدّي يزدجرد وقال له: «ان جميع عظماء مملكتك واشرافها قد نبذوا دياتنا وصاروا نصارى. فاعطني امرًا بترجيعهم الى المجوسيّة» فقال له الملك: «قد اعطيتك امرًا ان ترجعهم لكن ليس بالقتل بل بالتهديد والضرب القليل فقط» وهكذا رجّع اذربوزي بالتهديد بعضاً من الاشراف الذين آمنوا بالمسيح. ولولا حماقة بعض النصارى لاكتفى يزدجرد بهذه الاوامر

٢ مار عبدا اسقف هرمزد لرداشير ورفاقه الشهدآء

في السنة الاخيرة من حياة يزدجرد اي سنة ٤٢٠ هدم هشو او هوشاع كاهن مدينة هرمزد أرداشير في الاهواز معبدًا للنار كان متصلًا بالكنيسة لان النصارى كانوا يتأذّون من قيّميه. وكان الاسقف على تلك المدينة مار عبدا. فاليهِ نسب المجوس حريق بيت النار وسعوا بهِ لدى الملك. فعقد يزدجرد مجلسه وقرّر ان ينكّل بالنصارى. فدخل معنا الجاثليق على الملك مصحوباً ببعض اساقفتهِ ليحتجّ عن مار عبدا ويدفع الشرّ عن رعيته. وهاك ما جاء في هذا الصدد في التاريخ السعردي: دخل معنا في بعض الايام الى يزدجرد ومعهُ جماعة من الآباء. فنظر اليهم بغضب. فعلموا انه في طلب علّة بسبب ما فعله هوشع القس ثم قال: «كما ان قيصر مسلّط على مملكته يعمل فيها ما يريد هكذا انا مسلّط على مملكتي اعمل فيها ما اريد.» واعاد هذه العبارة دفعتين. فاجابه قسّ من المدائن اسمه نرساي وقال له: «ايها الملك انما قيصر مسلّط في مملكته على اخذ الخراج والجزية وقتل الاعدآء. أمّا ان يطالب رعيته بالانتقال عن دينهم فلا. لان مملكته مملوة من اليهود والحنفاء والمخالفين. وليس يمنعهم عن اعتقادهم.» فاغتاظ الملك من كلامه واوجب الحاضرون عليهِ القتل . لانه وقف بوجه الملك. فقال الجاثليق انما اجاب عما تكلم به الملك ولم يقل ما يستحق به القتل. فامر يزدجرد بضرب عنق القس ان اقام على النصرانية وتخريق

ثياب الجاثليق ونفيه الى فارس وان لا يدعى جاثليقاً لا ظاهراً ولا باطناً . واراد هوشع مطران نصيبين وباطا اسقف لاشوم ان يتكلما ويحتجا . فمُنعا وأُخرجا . واجتهد المجوس بنرساي القس ان ينتقل الى المجوسيّة فلم يفعل وضُرب عنقه . ودفنه المؤمنون في البيعة الكبرى بالمداين اه

ثم ان الملك يزدجرد امر بالقاء القبض على مار عبدا الاسقف وهشو واسحق الكاهنين وافرام الكاتب وپاپا الشماس ودادوق ودورثان العلمانيين وپاپا شقيق مار عبدا . وسيقوا الى باب الملك . واراد مار عبدا ان يحتج وقال : «ان للمجوس افتراء يفترون علينا فاننا لم نعمل شيئاً » فقال الملك : « لست اظلمكم ولا افتري عليكم . فان الامناء اخبروني بذلك » فقال هشو الكاهن بجسارة : « انا هدمت معبد النار لانهُ ليس بيت الله . وانا اطفأت النار لانها ليست بنت الله كما تزعمون . بل جارية تخدم الملوك والاغنياء والصعاليك والفقراء . وهي مخلوقة عديمة الحيوة تتولد من الحطب » ومع هذا كله لم يرد الملك قتل المعترفين بل اكتفى بجبرهم على تشييد معبد النار الذي هدموه . لكنهم ابوا ذلك لانهم راوا فيهِ الاشتراك مع المجوس بديانتهم . فقُتلوا قاطبةً . وتذكارهم عند اليونان في ٢١ اذار . وعند الكلدان في ٧ كانون الاول . وعند اللاتين في ١٦ ايار

ولا بدَّ من انهُ في ذاك الزمان عينه اي في سنة ٤٢٠ استشهد ايضاً نرساي الراهب وطاطاق الخادم والشهداء العشرة من بيت كرماي كما ترى قصتهم في اعمال القديسين طبعة بيجان واشهر شهداء المشرق ونسردها هنا بالاختصار

٣ نرساي الراهب الشهيد

ان نرساي كان من بيت رازيقان وترهب في احد الاديرة بالقرب من المداين . وكان حينئذٍ شابور الكاهن قد تلمذ احدَ اشراف الفرس يقال لهُ آذرپروا . فاعطاه ارضاً ليبني فيها كنيسة وكتب لهُ صكًّا بذلك . فتشكّى آذربوزي الموهپاط عند الملك من ان المجوس يعتنقون الديانة المسيحيَّة . فرخصهُ يزدجرد بترجيعهم بالتهديد . فضيّق الموهپاط على آذرپروا حتى حملهُ على نبذ الديانة المسيحية واكره شابور القسيس على رد الصك والخروج من البيعة . فضُبطت الكنيسة وجُعلت معبداً للنار . فاتى نرساي واطفأ

النار وطرح خارجاً كل ما وجد هناك من الامتعة المتعلقة بديانة المجوس. فقُبض عليهِ وسيق الى ساليق. فجبره آذربوزي ان يشيد كانون النار الذي هدمهُ. ولما ابى أوسعهُ ضرباً وأُلقي في السجن حيث بقي تسعة اشهر

فلما دنا الصيف خرج يزدجرد من المدائن وذهب الى الاهواز لكي يصيّف كجاري عادته. حينئذٍ اعطى النصارى أربعمائة درهم وكفل احدهم مار نرساي واخرجوه من الحبس. لكنهُ بعد مرور اثني عشر يوماً اتت رسالة من الملك الى مرزبان بيث ارمايي فيها يامر ان يخلي سبيل نرساي إن انكر انهُ اطفأ النار والّا فليجبره ان يجمع النار من ٣٦٦ بيتاً ويضعها في المعبد الذي اطفأ ناره وهدم كانونهُ. فآثر القديس الموت على ذلك الفعل. فصُفِّد بالقيود وأُرسل الى موضع يسمى ساليق حاروبتا فخرج للقائه جمٌ غفير من النصارى رجالًا ونساءً والقديس يتلو بفرح المزمور ١١٧ الذي بدؤه: اعترفوا للرب فانهُ صالح والى الابد رحمته. وتناول شرطيٌ مرتدّ سيفاً وضرب بهِ عنق مار نرساي. لكنّ قبضة السيف انكسرت واخذ الجلاد يكرّر الضربات حتى بلغت الثماني عشرة ضربة واخيراً ذبحه كما يُذبح الحمل الوديع ودُفن الشهيد (١) في بيت ساهدي حيث وُضع ١١٨ شهيداً على عهد شابور الملك وكان ماروثا اسقف صوپ (ميافرقين) قد بنى هناك هيكلًا فاخراً

٤ طاطاق الشهيد

كان طاطاق من اشراف حدياب وكان على باب الملك واصاب عنده منزلة ومكانة. ثم دخل ديرًا وترهب. فلما اتصل خبره بيزدجرد امر بالقبض عليهِ وطرحهُ في السجن نحو اربعة اشهر واذيق مرارًا اقسى العذابات. ثم اوعز الملك الى رئيس المجوس ان يسالهُ: لماذا ترك خدمتهُ وانطلق لدى النصارى. فجاوبهُ القديس انهُ وجد المسيح اعظم الملوك فتبعهُ. فامر الملك بقطع راسه. فأُخرج الى ساليق حاروبتا وهناك نقف الجلاد عنقهُ. ودُفن في بيت ساهدي بجانب مار نرساي الشهيد

---

(١) لا أدري هل ان نرساي هذا هو نرساى الذي دخل مع معنا الجاثليق على الملك يزدجرد وامر هذا بقتلهِ ام هو غيره

٥ الشهداء العشرة من بيت كرماي

ان هولاء الشهداء كانوا علمانيين وطاعنين في السن. ومنهم من كان مجوسياً فتنصر ومنهم من تزوج بامراةٍ مجوسيَّة فتلمذها الى الايمـان المسيحيّ. واسماؤُهم: هرمزد وأيتي وماري وآني وآتي ويعقوب وحوزا وپاپا ونمرود وآذرپروا . فسيقوا قاطبة الى المدائن . ومثلوا بين يديّ مهرشابور . فامرهم ان يسجدوا للشمس. ولما ابوا اصدر يزدجرد الملك امره بذبحهم . فاوعز مهرشابور الى احد المجوس وامينٍ من امنـاء الملك ان ينطلقا بهم الى ساليق حاروبتا . فقال لهما احدهم: « أَتخليانَ سبيل الذي يرتدّ منَّا . قالا لهُ: «والملك ايضاً يكون شاكرًا . » فبادر اليه رفاقهُ وأمسكوه وقالوا لهُ: « وحياتك لا تفلت . انك حتى اليوم اغتذيت بخبز ابن مريم . والآن تولّي مدبّرًا . » فلمَّا انتهوا الى المكان المُعيَّن حفروا حفرة عظيمة واركعوهم على حافتها محيطين بها وذبحوهم عن آخرهم . ويقول ابجر الراهب كاتب هذه القصة : ان جميع هؤلاء الشهداء المكتوبين في هذه الورقة والغير المكتوبين نُقلت عظامهم الى بيت ساهدي الذي في حصن لاورني وذلك بهمّة مار ايوب الاسقف الذي اصلهُ من الحصن المذكور

ويظهر جلياً من اعمال هؤلاء الشهداء ان اضطهاد يزدجرد لنصارى مملكته لم يكن عمومياً ولا قاسياً كسائر الاضطهادات بل اكتفى بتخويف الاشراف وقتل الذين تجاسروا فاهانوا معابد النار . حتى انّ ماري كتب عنهُ انه في تلك السنة عينها اخمد نار الاضطهاد وذلك رعايةً لامير نصراني اسمه اسحق كان يكرمهُ الكرامة كلها . لانهُ اخضع لهُ بلاد ارمنية . وتوفي يزدجرد الاول في خريف سنة ٤٢٠

الفصل الخامس

في بهرام الخامس ملك الفرس (٤٢٠ — ٤٣٨) واضطهاده للنصارى

لما مـات يزدجرد الاول تنازع اولادهُ المُلك . وكانوا ثلاثة : شابور وخوسرو وبهرام (او وارهاران) الملقَّب بكور . وكان شابور قد ملّكه ابوه على ارمنية . فاتى المدائن ليملك فيها . غير انّ العظماء قاموا عليهِ وقتلوه . وخوسرو ايضاً لم ينل مرامهُ

فجلس على تخت المملكة بهرام الخامس وذلك بمساعدة المنذر ملك العرب على راي الطبري (١) . لكنّ كاتب اعمال پيروز الشهيد الذي كان معاصراً لبهرام الخامس يقول انه بهمّة المجوس وعظماء المملكة عُقد لهُ التاج (٢) . فلكي يثبت لهُ الامر انقاد الى مشورتهم وبدأ منذ اول سنة من جلوسه ان يضطهد النصارى (٣) . واتى في اعمال مجمع داديشوع انّ الشقاق الذي كان بين الاساقفة هو الذي صار سبباً لانشاء هـذا الاضطهاد ومن الذين حملوا بهرام على النصارى مهرشابور رئيس المجوس (٤) . او بالاحرى مهرشابور صاحب الجيش السابق ذكره (٥) . غير انّهُ لم يأمر الّا بقتل الاعيان والاشراف ولو اراد ان يقتل العامّة لافرغ مملكته من الخلق لان النصارى ملأوا ارض فارس باسرها . فامر بنفي العظماء والاعيـان ونهب بيوتهم . وحبس ايضاً داديشوع الجاثليق مع بعض اساقفتهِ . ولم يترك كنيسة الّا هدمهـا ولا ديرًا الّا دكّهُ . وضبط الكنيسة السفريّة النفيسة التي كان تئودوسيوس ملك الروم قد ارسلها الى جاثليق المدائن . وجعلها خيمةً للصيادين ونهب ايضاً كل مـا وجده في بيعة ساليق الكبرى من الاشياء الكنائسية والآنية الثمينة والاقمشة الفاخرة

وكان هذا الاضطهاد قاسياً شديدًا . وقال تئودوريطوس المؤرخ اليوناني : « انّ اختلافات العذابات الكثيرة وشدّتها التي بها ضُيّق على النصارى في مملكة الفرس لمن المستحيل شرحها على حقيقتها . فنهم من سلخوا جلدة يديهِ ومنهم من سلخوا ظهره . ومنهم من سلخوا جـلدة وجهِ . ومنهم من شكّوا في جسمهِ قصباً ثم سحبوه بقوة شديدة . وغيرهم زجّوهم في جبوب فيها انواع الفيران والجرذان وربطوا ايدي المعترفين وارجلهم . فصاروا هكذا وهم احياء مأكلًا لهـذه الحشرات الجائعة . » (٦)

---

(١) الطبري طبعة استانبول ١٨٢ وما يلي . راجع ايضاً لابور ١٠٩

(٢) بيجان ج ٤ : ٢٥٤ (٣) التاريخ السعردي 2 : ٢٢٠

(٤) جهاد بيروز في بيجان ج ٤ : ٢٥٤ (٥) ماري ٣٣

(٦) التاريخ الكنـائسي لثودوريطوس ٥٧ : ٣٨ . راجع ايضاً تيلمون [illegible] : ص ٣٥٨ . وبيجان ج ٤ : ٢٥٤ وما يلي

ومن جملة الشهداء الذين تكللوا في اضطهاد بهرام الخامس ووصلت الينا اخبارهم: پيروز وميهرشابور ويعقوب المقطّع ويعقوب الكاتب وبنيامين الشماس وهرمزد وشاهين وقد طُبعت ترجمتهم باسهاب في كتب الاب بيجان وفي اشهر شهداء الشرق طبعة الموصل

١ پيروز البيلاپاطيّ

كان پيروز من اسرة معتبرة ذات ثروة واملاك كثيرة ووجيهاً في المملكة. قُبض عليهِ وعلى كثير من نظرائه من العظماء. غير ان العذابات ردَّتهُ الى المجوسية فسجد للشمس. ولما اتّصل خبره بوالديه وقرينتهِ بعثوا اليه رسالة بها رشقوه بسهام المذمّة. وما كاد يقرأها حتى تمزّق قلبــهُ اسفاً وندم على كفرهِ واسرع بين يديّ مهرشابور رئيس المجوس (١) واقرّ بانــه نصرانيّ. وأطلع مهرشابور الملك على خبره. فأمر بهرام بقتله. ورافقــهُ جمّ غفير من النصارى والمجوس. وشدّوا يديه وطرحوه على الأرض على وجهه. وشقُّوا قذالــهُ وقطعوا لسانهُ واستلّوه من قفاه واروه اياه. ثم قطعوا راسهُ. وكان استشهاده في بلاد شهرزور في ٥ ايلول سنة ٤٢١

٢ ميهرشابور

انَّ هذا الشهيد كان ذا حسب ونسب. ووُشي بهِ عند الملك (يزدجرد) انهُ نصرانيّ. فكُبِّــل بالقيود وأُلقي في سجن مُظلم حيث بقي ثلاث سنين. فلما اثار بهرام الملك الاضطهاد على النصارى أخرجهُ هرمزداور من الحبس لكي يجبره على الكفر وقتل رفيقيهِ نرساي وسابوخت. امّا هو فالقي في جُبّ مُظلم. واطبقوه عليه وختموه. ووضعوا عليهِ حراساً يحرسونهُ. ومكث القديس في الجبّ من غرّة آب الى العاشر من تشرين الاول. وحينئذٍ فتحوا الجبّ فرأوه نيّرًا ونظروا الشهيد جاثياً على ركبتيهِ وهو مائت وكان استشهاده سنة ٤٢١

---

(١) اظنه مهرشابور صاحب الجيش

٣ مار يعقوب المقطع

كان مسقط راسه في بيت لاپاط. وكان من ارفع طبقات الأسرات الشريفة وقرّبه يزدجرد الملك واكرمهُ وأولاه اشرف المراتب. وجعلهُ ان ينبذ الديانة المسيحية واتصل الخبر بامّه وزوجته. وكان يزدجرد قد مات فكتبتا له رسالة عتاب ومما قالتا له: « اذا بقيت على ما انتَ عليه في ديانة المجوس فنحن لسنا نعرفك ولا لنا معك اختلاط ابدًا.» فلمّا قرأ يعقوب هــذه الرسالة تاب الى الله واسرع الى سرادقه واخذ الانجيــل وبدأ يقرأ. ولما بلغ الخبر الى مسامع الملك وارهاران. احضره وتهدّده(١) واذ لم يكترث القديس بتخويفاته حكم عليه بالموت. فاسرعوا به الى محلّ العذاب. وتبعه الجيش وتقاطرت كلّ المدينة فقطعوا اوّلًا اصابع يديه ورجليهِ واحدة فواحدة. ثم يديهِ ورجليه ثم ساقيهِ وذراعيهِ ثم راسهُ. وانّ بعضاً من النصارى جمعوا فضة واعطوهــا للجلادين ليسلموهم جثتهُ. ولم يقبلوا. فلمّا جُنّ الليل اتوا وسرقوها وجمعوا الاعضاء المقطعة وكانت تسعة وعشرين وقبروها باكرام. وكان جهاد القديس سنة ٤٢١ يوم الجمعة في ٢٧ تشرين الثاني وفيه يذكره الكلدان والسريان. واتى ذكره في السنكسار الروماني في ٢٦ منهُ

٤ يعقوب الكاتب

انّ هــذا الشهيد اصلهُ من كرخ ليدان (٢) في الاهواز. وكان كاتب الملك وارهاران. فامر الملك بالقبض عليه وعلى خمسة عشر من كتّابه واكرههم على نبذ الديانة النصرانيــة. وكان يعقوب في العشرين من عمره. ولمّا ابوا أُخذت اموالهم وأُصدر عليهم الامر ان يسوسوا الافيال الشتاء كلهُ. ولما حان الزمان ليذهب الملك

---

(١) ان قصة مار يعقوب هذه لها متاهة كثيرة مع قصة بيروز التي سبتت

(٢) مكتوب في القصة ܟܪܟܐ ܕܐܘܪܗܝ وهذا غلط من الناسخ لانهُ لم يُطلق ابدًا اسم كرخ على اورهاي او إديسا وذكرت القصة ان جثة القديس نُقلت نهرًا الى مدينته وان صوماي اسقف المدينة دفنها. فمدينــة ليدان كانت على نهر كرخا والسفن تطوف منها الى المدائن. واسقف ليدان كان حينئذٍ صوماي (راجع بيجان ܒ : ٢٤٠ — ٢٤١ وكتــاب السنهادوسات ٤٢)

الى مصيفه امروهم ان يتركوا الفيلة ويمهدوا الطريق قدام الملك. فصاروا يقطعون الاشجار ويقلعون الاحجار وكان وارهاران يقول لهم مرارًا: « لماذا تركتم ما كان لكم عندي من الكرامة واحببتم هذا الهوان.» فكانوا يجيبون: « كل ما يامرنا به ملكنا الجليل نحسبه اكرامًا لنا. غير انه من المحال ان ننبذ ديانتنا.»

ثم اتى الخريف ورجع الملك الى المدائن. فلما بلغوا جبال بلاشبار اراد ميهرشابور قتلهم. فقال له الملك: حسبهم ما سمناهم من العذاب والهوان. فانَّ اموالهم أُخذت وهم الآن في حالة يُرثى لها.» قال ميهرشابور: « اذا امرني مولاي الملك فانا دون الضرب والقتل احملهم ان يكفروا بديانتهم.» فقال له: « دونك ذلك.» فامر ميهرشابور ان ينزعوا عنهم ثيابهم واحذيتهم ويربطوا ايديهم الى وراءهم ويذهبوا بهم الليل كلهُ في الجبل. ولما اصبحت القوهم على ظهرهم وهم عراة ومكبلون بالقيود ولم يقدموا لهم من الخبز والماء الَّا ما يسدّ رمقهم. ومرّ عليهم سبعة ايام على تلك الحالة من العذاب حتى سُلخت ارجلهم وضعفت اجسامهم. فقالوا لهم: « ان الملك امرنا ان نخلي سبيلكم اذا ما سجدتم للشمس. والَّا فلنسحبنَّكم على الحجارة والصخور في الجبل حتى تموتوا» وكان بعضهم قد أُغمي عليهم. ومن جملتهم يعقوب. فاجاب الباقون بصوت ضعيف: « اننا نمتثل امر الملك.» فخلّوا سبيلهم. ولما نالوا الشفاء انقطعوا للصوم والصلوة باكين على خطيتهم

وان واحدًا من عبيد يعقوب سعى بسيده عند حاكم المدائن على انهُ لم ينبذ ديانتهُ فدعا الحاكم يعقوب ورفاقهُ. وسال اولًا رفاق يعقوب وحدهم قائلًا: اما امتثلتم امر الملك قالوا: اننا اهلكنا انفسنا مرة. فماذا تريدون منا. فعندها خلى سبيلهم. اما يعقوب فجاوبهُ بشدَّة غير ناكر ايمانهُ فغضب عليه الحاكم وامر بضربه. ثم اطلع الملك ايضاً على امره وعلى كل ما قال. فاحضره الملك واجبره ان يكفر بديانتهِ. فاجابه القديس: « ان اباك يزدجرد دبَّر ملكهُ بسلام احدى وعشرين سنة. وظهر مهيباً لدى جميع اعدائهِ وعظمت شوكتهُ لانهُ اكرم النصارى وبنى الكنائس وصار الاهالي معه في سعة. اخيرًا لما اضطهد النصارى عاقبه الله. وانت تعلم جيدًا يا سيدي الملك ايّ ميتة مات وكيف حُرم الدفن.» فاستشاط الملك وصاح: امرتُ ان يُقتل هذا الشقيّ تسع قتلات. فذهبوا بهِ الى ساليق حاروبتا وقطعوا اولًا اصابعهُ واحدة

فواحدة ثم يديه ورجليه ثم ذراعيه وساقيه . ثم جدعوا انفهُ وصلموا اذنيه واخيرًا قطعوا راسه

وكان في المدائن بعض التجار من اهل مدينتهِ فاعطوا الحراس عشر قطع من الفضة واخذوا جثة القديس وراسه ولفوهما برداء ووضعوهما في دير في ساليق حاروبتا . واما يداه ورجلاه واصابعهُ فخطفها الرهبان . ثم بعد ايام قليلة نقل التجار الجثة والراس على الدجلة الى مدينته . ولما سمعت امّهُ باستشهاده ونقل جثته فرحت ولبست ثياباً بيضاً وانطلقت الى صوماي اسقف المدينة واطلعتهُ على قصة ابنها فدفنتهُ في مكان لائق

٥ هرمزد الشهيد

انّ هرمزد كان من ارفع طبقات الأُسر الشريفة (١) . وجعلهُ يزدجرد الاول موهپاطاً في نواحي مملكته . ولما جلس بهرام بلغهُ ان هرمزد نصراني . فامره ان ينكر المسيح . ولما ابى نزع عنهُ الثياب الفاخرة وارسلهُ الى البراري ليرعى الجمال . واستمر على هذه الحالة مدّة من الزمان . حتى تغير لونهُ وخارت قواه . ووقع عليه يوماً نظر الملك اذ كان يتطلّع من شباك قصرهِ . فاستدعاه ورحب به وناولهُ ثوبا فاخرًا ليلبسهُ مُلِحًّا عليه ان يسجد للشمس . اما هرمزد فاخذ الثوب وخرّقهُ ورجّعهُ الى الملك قائلًا : « خذ هديّتك الزائلة التي بها تريد ان ابيعك ديني . » فامر بهرام بقتله . وتذكارهُ عند اللاتين في ٨ آب

٦ بنيامين الشماس وشاهين

انّ بنيامين كان في غاية الحصافة (٢) . وردّ جما غفيرًا من المجوس . فسُعي به لدى بهرام الملك . وامر بتعذيبهِ وبقي محبوساً سنتين . وفي تلك الاثناء اي في سنة ٤٢٢ عُقد الصلح بين الروم والفرس . فالتمس سفير ملك الروم الى بهرام ان يخلّي سبيله . فاجابهُ الى ذلك غير انّ بنيامين لم يفتر من التبشير بالانجيل . واتصل الخبر

---

(١) تئودوريطوس كتاب التواريخ ٥ : ٣٩ . وميخائيل ١٢٣

(٢) فيهما ايضاً

ببهرام. فاستشاط عضباً وامر بادخال عشرين قصبة حادَّة تحت اظافر يديه ورجليه وضيّقوا عليه وبالغوا في تعذيبه حتى قضى نحبهُ. وتذكارهُ عند اللاتين والسريان في ٣١ اذار

وكان شاهين ايضاً من عائلة شريفة غنية جدًّا وله الف عبد. فامره بهرام ان ينبذ الديانة المسيحية فلم يطعه القديس. فوهب الملك كلّ امواله لاحد عبيده حتى امرأته ومع كلّ ذلك لم يرتخ عزم هذا القديس الجليل

٧ تأجج نار الحرب بين الروم والفرس

انَّ جميع الكلدان النصارى لم يقتدوا بهؤلاء الشهداء الابطال. فانَّ كثيرًا منهم ارتدّوا. وبعضهم استخفوا وغيرهم هربوا الى بلاد الروم (١). فكتب بهرام الملك الى العرب الذين على الحدود ان يمنعوا النصارى من العبور. غير انّ اميرًا من امراء العرب يقال لهُ اسپاپاط (او اصپهبد) ليس فقط لم يتعرض لهم بل مدَّ لهم يد المساعدة. ولما سعى به المجوس لدى الملك. فرّ هارباً الى بلاد الروم والتجأ الى اناطوليوس قائد الجيوش الرومية الشرقية. فولّاه اناطوليوس على القبائل العربية المحالفة للروم (٢)

وكان المالك حينئذ على الروم تئودوسيوس الثاني. وكان عمره لما جلس مكان ابيه اركاديوس ثماني سنين. فدبَر الملك نيابةً عنهُ انطيميوس الى سنة ٤١٤. ثم اختهُ پوليكريا. فطلب بهرام من تئودوسيوس ان يسلّم اليه النصارى الملتجاين الي بلادهِ. اما تئودوسيوس فلم يجب الى طلبته واعلن عليه الحرب سنة ٤٢١. فحمل القائد الرومي اردابور على بلاد ارزون وفتك بها. فزحف عليه ميهرنرسا قائد الجيوش الفارسية. وكانت الدائرة على الفرس. ودامت الحرب الى سنة ٤٢٢. وفيها عُقد الصلح بين الطرفين. فتعاهد الفرس ان يكفّوا عن اضطهاد النصارى. وكذلك اعطى الروم الحرية التامّة لعبدة النار الذين في بلادهم (٣). وكان داديشوع الجاثليق

---

(١) السنهادوسات ٤ﻫ

(٢) تيلمون ﻫـﻄ : ٣٦٠. والمشرق ١٩٠٩ : ٣٤٩

(٣) تيلمون ٥ : ٤٠. وسقراط و : ﻫـﻤﻌ وميخائيل ١٧٣ — ١٧٤

ملقى حينئذٍ في الحبس مع كثير من الاساقفة (١) . فترجاهم سفير الملك تئودوسيوس وأطلق سبيلهم . ومع ذلك لم ينته الاضطهاد بالكلية في المشرق . فان كاتب قصة پيروز الشهيد يقول ان اضطهاد بهرام الخامس دام خمس سنوات

٨ اقاق اسقف آمد

ومن الذين اشتهروا في اثناء المحاربة التي جرت بين الروم والفرس مار اقاق اسقف آمد المارّ ذكرهُ . لمّا اغار الروم على ارزون اسروا منها خلقاً كثيراً وذهبوا بهم الى آمد . وكانوا في حالة يُرثى لها . فتحنَّن عليهم مار اقاق واراد ان يخلّصهم من الاسر . وحيث لم يكن لهُ ما يفديهم بهِ دعا كهنتهُ وقال لهم: « من العدل ان نبيع مقداراً من الآنية الذهبية والفضية التي اهداها المؤمنون الى الكنيسة ونفدي بثمنها هؤلاء الاسرى ونُطعمهم . » فاخرج اقاق آنية الكنيسة وذوّبها وفدى بها الاسرى وكانوا نحو ٧٠٠٠ نفس وارسلهم مزوّدين مسرورين الى بلادهم . فوقع هذا الامر موقعاً حسناً في قلب وارهاران الملك . وطلب رؤيتــه . فارسله اليهِ تئودوسيوس الملك بعد عقد الصلح بين الفريقين سنة ٤٢٢ . هذا ما كتبهُ سقراط المؤرخ اما ديونوسيوس اليعقوبي (٢) فيقول عن الاسرى انهم كانوا ١٠٠٠٠ بيت وانّ هذا الامر حدث سنة ٧٢٥ يونانية (٤٢٤ م) لكنّ قول سقراط أصحّ

وقد رأينا ان مار اقاق قبل هذه المرة أُرسل من قبل تئودوسيوس الى يزدجرد الاول سنة ٤١٩ وانه حضر في المجمع الذي عقده مار يهبالاها في سالیق سنة ٤٢٠ وانه كان من جملة الاساقفة الــذين كتبوا رسائل الى الملك يزدجرد والى اسحق الجاثليق لإصلاح امور كنيسة فارس . ومن المحتمل انهُ تحزّب للاساقفة الذين خلعوا طاعة داديشوع الجاثليق وسياتي ذكر ذلك

ومع انــه تحزّب لنسطور كُتب اسمهُ مع ذلك بين القدّيسين في السنكسار الروماني في ٩ نيسان (٣) وتذكارهُ عند السريان الكاثوليك في ١٧ نيسان

---

(١) السنهادوسات ٩٥ . راجع ايضاً اعمال يعقوب الكاتب في بيجان ج ٤ : ١٩٢ . —

(٢) في السمعاني ج ٢ : ١٩٦ . —

(٣) ريت الآداب السريانية طبعة ثانية ٥١ وكتاب السنهادوسات ٢٥٦ حاشية ٧ . —

الفصل السادس

داديشوع الجاثليق (٤٢٠—٤٥٦) والمجمع الرابع الكلداني (٤٢٤)

قلنا ان اساقفة فارس بعد وفاة يهبالاها الجاثليق سنة ٤٢٠ تنازعوا الرئاسة. وفي مدَّة سنتين جلس ثلاثة جثالقة الواحد بعد الآخر على كرسي المداش. معنا وپروخبوخت وداديشوع. ومن الذين ساعدوا داديشوع على صيرورتهِ جاثليقاً شموئيل اسقف طوس (١) لانهُ حفظ حدود البلاد في طوس وخراسان من تطرّق الاعداء ودخولهم ارض فارس وكان بهرام يحبهُ وقد اتى في اعمال مجمع داديشوع نفسه عن لسان اعدائهِ انَّ رجلًا كان يسمَّى اسقفاً أسامهُ جاثليقاً وهذا مما يشير على ان داديشوع ليس برضاء الاساقفة بل بالقوَّة الجبريَّة جلس على كرسي ساليق

فالنزاع لم يبطل في جلوس داديشوع. وكثير من الاساقفة الذين حرمهم منذ جلوسه صاروا يضاددونهُ. وكان هذا الحزب مؤلفاً من احد عشر اسقفاً وهم: بطي (هرمزد أرداشير) وبرشبثا (شوشان) وزبيدا (زابي) وقيسا (قوني) وشربيل (دَسقَّرقا دمَلكا) وابنير (كشكر) وشليمون (بيت نوهدرا) وبرحيلا (تَحَل) وبريكوي (بلشپار) وپربوخت من ارداشير كوره ويزيدبوزيد من دربغداد (٢) فسعى هؤلاء الاساقفة بداديشوع عند الملك بهرام ورجال دولتهِ فاصغى اليهم الملك لانهُ كان يطلب فرصةً لاضطهاد النصارى الذين كثروا جدًّا جدًّا في المملكة. فكُبِّل داديشوع بالقيود وأُلقي في السجن وضُيق عليهِ كثيراً

---

(١) ماري ٣٦ وعمرو ٢٨

(٢) انَّ هذه الجملة لا تدل على ان پربوخت ويزيد بو زيد كانا اسقفين الواحد على ارداشير كوره والاخر على در بغداد مثلما ظن شابو بل تشير على انهما من هتين المدينتين. ومما يؤيد ذلك رواية ماري وعمرو ان پربوخت كان اسقف كازرون. — ثم ان شابو يكتب ܕܪܒܓܕܕ والحالة ان هذا الاسم مكتوب ܕܪܒܓܕܕ في النسختين اللتين بلغتا الينا من كتاب السنهادوسات

واضطهدوا ايضاً النصارى وهُدِمت البيع والاديرة. وجحد كثيرون وهرب جمع كثير واما المستشهدون فكانوا قليلين. وبقي داديشوع في الحبس الى ان عُقدالصلح بين الملك بهرام والروم. وحينئذ توسط سفير الملك تيودوسيوس لإخراج داديشوع من الحبس كما رأينا. غير انّ اخصامه لم يزالوا يقرفونهُ قائلين عنهُ انهُ ليس جاثليقاً وانه كتب الى المجوس ان ليس هو رئيساً على النصارى وما عاد يرسم لهم اساقفة وكهنة وشمامسة وتعاهد ان يكرم النار والماء ووطئ تحت رجليه الشرائع النصرانية ويعطي الدراهم بالربا ويأخذ الرشوة واضطهدوه كثيراً حتى التزم ان يستعفي وينفرد في الحيرة (١). ولما وصل هذا الخبر الى مسامع المطارنة والاساقفة المتحزّبين لهُ تقاطروا اليه وطلبوا منه بكل الحاح ان يرجع الى كرسيه. وكان عددهم ستة وثلاثين وهاك اسماؤهم (٢) : آغبطا (بيت لاباط) وهوشاع (نصيبين) وزبدا (براث ميشان) ودانيال (اربيل). وعقبلاها (كرخ سلوخ) ويزداد (ريواردشير) وميليس (قردو) وعبد يشوع (شوشتر) ودانيال (ارزون) وشمعون (الحيرة) وابراهام (ريما) ويوحنان (نهركور) ونرسا (كرخ ميشان) ونرسا (ردني) وماري (كشكر) وبطا (لاشوم) ويوسف (حربث كلال) ويوحنان (أوستان ارزون) وميليس (شوشتر) (٣) وبَرشَبا (مرو) ويزدوي (هرات) وأبريد (سجستان) وداود (أبرشهر) ودوماط (شوائيا دكوركان) وداود (ري) واداي (اريون عبرا) وصصرا (بيت دارايي) وأطيق

(١) في اعمال مجمع داديشوع مكتوب **ܡܪܟܒܬܐ ܕܛܝܝܐ** مَركَبتا العرب. فهذا المحلّ مجهول ولم يُذكر الا هنا. وهو غلط من الناسخ عوض **ܡܕܝܢܬܐ ܕܛܝܝܐ** مدينة العرب. فيكون داديشوع قد هرب الى الحيرة التي كانت نوعاً ما مستقلّة. اما الاب شابو فقد ذهب ان **ܡܕܒܪܬܐ** عوض **ܡܪܟܒܬܐ** . وقد اتى اسم هذا المحل في البذة التاريخية التي طبعها كويدي (ص ١٧ و٢٨ و٣٠) وفي كتاب التلموذ وكان بالقرب من المدائن. اما ماري وعمرو فعوض مركبتا العرب يكتبان دير القبوث غير ان هذا الدير كان في بيت زبداي

(٢) السنهادوسات ٤٣. و٢٨٥—

(٣) الظاهر ان شوشتر كان لها استففان

(بيث موكسايي) وارطشهر (ارمنية) وقبريس (داسان) ومارا (بيت بغاش) وأبراهاط (اصبهان) وارداق (مَشكتنا دقُوردو) وزادوي (اسطهار) ويوحنان (مازون) وهطا (شْوَايثا دِبيلاشپار). ولم يُجب داديشوع في اول الامر الى سؤال هؤلاء الاساقفة. بل بــدأ يعدّد اوجاعهُ ومصائبه ويصف شرّ اخصامه الذين حُرِموا في مجمع مار اسحق ومجمع مار يهبالاها. ثمّ استتلى كلامه قائلاً: « اتركوني ابكي على جروح الكنيسة وعلى سفالة اولادها وهلاكهم.» قال هذا وفاضت عيناه بالدموع. (١)

حينئذٍ قام آغبطا اسقف بيت لاپاط وقرأ الرسائل التي كان الاساقفة الغربيون قد ارسلوهاقبلاً الى اساقفةالشرق في زمان پاپا واسحق الجاثليقين. وحكى طويلاً عما جرى من الشقاق في ايامها وايام مــار يهبالاها. ثم ختم كلامه قائلاً: « وانتم ايها الآباء تعرفون انهُ في كلّ حين صار بيننا نزاع وشقاق. وانّ الآباء الغربيين سندوا دائماً هذا الكرسي الذي بهِ نحن جميعاً. معشر التلاميذ والاولاد مرتبطون كاعضاء الجسد بالراس ملك الاعضاء . وانّهم خلّصونا ونجّونا نحن واباءنا من اضطهادات المجوس وذلك على يد السفراء الذين ارسلوهم احياناً من اجلنا (الى ملوك فارس) وقد اشتدّ الآن علينا الاضطهاد والضيق والظروف لا تمكّنهم ان يهتموا في امورنا كالسابق . فنحن نظير اولاد اعزاء وورثة غيورين نلتزم ان نسند ونساعد بعضنا بعضاً بقوّة هذه الرئاسة . واذا سقطنا لا سمح الله من علوّ الرئاسة فنحن هالكون لا محالة فهلمّوا بنا لنسدّ ثلمات شعبنا ومقامنا ونسلِم انفسنا الى اي ميتةٍ كانت (٢) فداء عن ابينا ورئيسنا وقائدنا ومدبّرنا وموزّع الكنوز الإلهية مار داديشوع الذي هو لنا كبطرس رئيس جماعتنا الكنسية . »

ولمّا فرغ آغبطا من كلامه هذا نهض هوشاع اسقف نصيبين وحثّ الاساقفة قائلاً: « ما لي اراكم ايها الاخوة جالسين ساكتين. ان كان اولئك المحرومون يولّدون اضرارًا للكنيسة بكذبهم وشكاياتهم فكم بالحري نحن مجبورون ان

---

(١) السنهادوسات ٤٤ — ٤٦

(٢) تدلّ هذه الجملة على ان الاساقفة المضاددين كانوا اقوياء عند الملك بهرام وان اساقفة الغرب كانوا يساعدونهم

نبذل جهدنا ونعمل ما يفيدنا لتثبيت رئاسة ابينا ورئيسنا مار داديشوع الجاثليق وجلب الامن والسلام في البيعة.»

فاثّرت هذه الاقوال في قلوب الاساقفة وقاموا قاطبةً وخرّوا على قدمي الجاثليق ملحّين عليهِ ان يرجع الى كرسيّه ليدبر الكنيسة. وحرموا المنشقّين وابرزوا عليهم قضيّة التبطيل من الكهنوت. ثم حكموا ان لا سبيل لأساقفة الشرق ان يشتكوا على بطريركهم حتى عند بطاركة الغرب وألاّ يعقدوا مجمعاً لمحاكمتهِ لان محاكمته يجب ان تكون قدام عرش المسيح. فاجاب داديشوع الى طلبتهم. وثبّت قضيّتهم في حرم المنشقّين وعفا عن الذين جهالة منهم وقعوا في فخهم

هذه هي اعمال مجمع داديشوع الجاثليق والامر الاكثر اهميةً فيهِ هو استقلالية كرسيّ ساليق من حكم الاساقفة الغربيّين. ولكن ترى ما الذي حمل المجمع على هذا القانون ولماذا لا تسمح الظروف للغربيين كما قال آغبطا ان يساعدوا هذه البطريركية فيما ان المجمع نفسهُ يعلن على رؤوس الملأ ان الغربيين بتداخلهم الفعّال بطّلوا مراراً الشقاق الذي ضرب اطنابهُ في كنيسة ساليق وخلّصوها من اضطهاد الفرس لا بل ان داديشوع نفسهُ انما على يد السفير الروماني خلص من الحبس

ان المجمع لم يصرح بالاسباب الداعية الى هذا الحكم. لكنا نقدر ان نستنتج من اعمالهِ نفسها ان المنازعة بين حزب داديشوع وحزب اعدائه كانت شديدة جداً. وان النصرة كانت لاعداء داديشوع فانهم قدروا ان يعقدوا ضدّه مجمعاً في المدائن والحكومة الفارسية كانت معهم وهذا يتضح جليًّا من حبس داديشوع واستعفائه وهربه من المدائن الى مدينة عربية كانت مستقلّة نوعاً ما. ولما رأى الاساقفة الذين من حزبهِ ان رئاستهم ايضا في خطر اسرعوا ولحقوا به هناك وعملوا مجمعهم ويُستنتج ايضاً من اعمال المجمع ان اقاق اسقف آمد تحزب للاساقفة الذين كانوا ضد الجاثليق وكان اقاق معزّزًا ومسموع الكلام لدى بهرام الملك. ولا بدّ من ان اعداء داديشوع التجأوا ايضاً الى الاساقفة الغربيين وكتبوا لهم ماشيعوه عنه في بلادهم من السيّئات فتحزب لهم الاساقفة الغربيون وامروا اقاق ان يمد اليهم يد المعونة. هذا هو السبب الذي من اجله حكم مجمع داديشوع ان لا يشتكي اساقفتهم على الجاثليق لدى بطاركة الغرب

وعاش داديشوع في الجثلقة ٣٥ سنة (١) . وقضى حياته كلّها في المرارة من جراء الشقاق الداخليّ والاضطهادات التي اثارهـا الملك وارهاران الخامس وابنه يزدجرد الثاني وفي ايامـه صار النزاع بين كيرلوس الاسكندريّ واسطوريوس القسطنطينيّ والظاهر انه لم يتحزب لاحد الفريقين ومات سنة ٤٥٦ (٢)

الفصل السابع

في اضطهاد يزدجرد الثاني للكلدان النصارى

١ في اساقفة بيث كرماي

ان بهرام الخامس مات سنة ٤٢٨ وقام بعده ابنهُ يزدجرد الثاني. واقتدى بابيه في سياسته مع المجوس. فانه انقاد الى رأيهم وقلّد امر المملكة بيد ميهر نرسا الذي كان الدّ عدوّ للنصارى. ومما امتاز بهِ يزدجرد خاصّةً اضطهاده للنصارى الذين في بيث كرماي وبلاشبار

. ان قاعدة بيت كرماي كانت كرخ سلوخ وهي كركوك الحالية. وانتشرت فيها الديانة المسيحية منذ أوائلها كما سبق القول(٣) عن يد مار ادي ومار ماري وقد ذكرنا ايضاً الاساقفة والشهداء الذين في النصف الاول من الجيـل الرابع سقوا بدمائهم اراضي هذه القطعة المباركة (٤) وقد اتى في تاريخ مشيحا زخا انه بين الاساقفة الذين اجتمعوا في ساليق لمعاتبة بابا سنة ٣١٧ كان عقبلاها اسقف كرخ سلوخ. لكنّ تاريخ كرخ سلوخ لا يذكر بين اساقفة هذه المدينة في ذلك العهد سوى معنا واسحق ويوحنان. والظاهر ان مشيحا زخا خلط بين مجمع ساليق الاول ومجمع ساليق الثاني المعروف بمجمع مار اسحق الذي عُقد سنة ٤١٠. فانه في هذا المجمع الاخير حضر عقبلاها وامضى قوانينه

---

(١) ايليا ٤٩. وماري ٣٦. وعمرو ٢٩

(٢) عمرو غلطاً يجعل موتهُ سنة ٤٦٥

(٣) انظر ص ٩٨ (٤) اطر ص ٦٢—٦٤

كان عقبلاها (١) من اسرة شريفة . وامتاز خاصّةً في حبه للفقراء فانهُ لما بلغ الخامسة عشرة من عمره كان يأخذ خفيةً من بيت ابويهِ ذهباً وفضةً وغير ذلك ويوزعها على المحتاجين . وكان ابوه على باب الملك . ولكي يزداد عنده مكانةً نبذ الديانة المسيحية . فكدّر هذا الخبر عقبلاها ونغّصهُ عن البقاء في وسط العالم . فرغب في الانتظام بسلك الرهبان . ولما صار اسقفاً صرف همته قبل كل شيء بتشييد الكنيسة التي هُدمت على ايام مار معنا . وجهّزها بكل ما يلزمها من الاواني الفضّية والذهبية وبعد وفاة والديهِ اوقف لها كل ما كانا يملكانه واهدى سكان تيشين الى النصرانية وهي قرية كبيرة في جنوبي كركوك على مسافة ساعة منها . وقيل عنهُ ان الملك بهرام الرابع استدعاه اليهِ فشفى ابنتهُ من علّة كانت فيها

وحضر عقبلاها سنة ٤١٠ في مجمع اسحق الجاثليق وفي هذا المجمع تقرّر ان يكون كرسي كرخ ساوخ مطرانيًّا يحكم على اساقفة شهرقرت ولا شوم واريون وحرباث كلال ودارا . ثم في سنة ٤٢٤ حضر ايضاً عقبلاها في مجمع داديشوع مع بطا اسقف لاشوم ويوسف اسقف حرباث كلال ونرسا اسقف دارا (٢)

ومن بعد عقبلاها جلس على كرسي كرخ سلوخ برحدشبا ثم أخسنايا ثم شابور براز ولم يُذكر في التواريخ سنة جلوسهم ووفاتهم . وكان شابور من شرفاء المدينة واسم ابيهِ بورزين ولهذا قيل لهُ شابور براز او شابور بورزين . واشتهر بتقشفه وحبه للمرضى . فانهُ فتح كنوز والديه واقام في ارضها مستشفى وفوّض معالجة المرضى الى اطباء حاذقين . واوقف املاكا واموالاً لنفقاتها اللازمة . ثم استعفى من الرئاسة وانحبس في احد الاديرة وانتُخب مكانه مار يوحنان . وفي ايام هذا المطران الجليل جرى دم النصارى سيولاً في بيت كرماي وبلاشپار وكانت بلاشپار على ساحل نهر ديالة داخلة في بيت كرماي او اقلهُ متصلة بها

ولكن تُرى ما الداعي لهذا الاضطهاد الشديد ؟ ولماذا بقي الاضطهاد محصوراً

---

(١) بيجان ܒ : ٥١٥ — ٥١٧ . وماري ٣٤

(٢) ان دارا في اعمال مجمع اسحق مكتوبة ܕܕܪܡ وفي مجمع داديشوع ܕܪܡ ولا بد من ان هذا غلط من الناسخ عوض ܕܪܐ

في بيت كرماي وبلاشپار ؟ فالجواب مما اتى في التواريخ ان سبب قتل النصارى فيها كان تنصر بعض الحكام هناك. فحسبهم يزدجرد الثاني (١) عصاةً قد خلعوا له الطاعة كما سترى من تنصُّر طهمازكرد حاكم كرخ سلوخ وآذورهرمزد موهباط بلاشبار فارسل يزدجرد عمالهُ ليتفننوا في تعذيب النصارى

٢ شهداء بيت كرماي

اتى في تاريخ كرخ سلوخ (٢). ان طهماز كرد وآذوربرزكرد وداستبرهام دخلوا مدينة كرخ سلوخ في ١٥ تموز. فنكّلوا بالاكابر والشرفاء واودعوهم سجناً ضنكاً. واوفدوا جنودهم الى الاقطار ليقبضوا على النصارى. ولما رأى مار يوحنان مطران المدينة ءا الم بقطيعهِ كتب الى بطريرك انطاكية طالباً دعاءه. ولبث في الكنيسة مع قطيعهِ الى العشرين من آب وفيهِ امر طهمازكرد بالقبض عليهِ مع عشرة من اشراف المدينة والقوهم مكبلين في السجن وكان معهم عشرون الفاً من النصارى. واتى الجنود من بلاد أُخرى بعدد لا يُحصى من النصارى رجالاً ونساء وكهنةً واساقفة منهم مطران اربيل (٣) مع كهنتهِ وشمامستهِ واسقف بيت نوهدرا واسقف معلثا ومطران شهركرد واساقفة لاشوم وماحوزا اريون وحرباث كلال ودارا مع اكليروسهم. وقيل ان عددهم بلغ ١٣٣٠٠٠ نفر. وفي دخولهم المدينة كانت راية الصلب تتقدمهم وهم يترغون بالمزامير فارتجّت المدينة واضطرب الموهباط

ولما كان اليوم الرابع والعشرون من آب صعد طهمازكرد الى محل يُدعى بيت تيثا وفيهِ قُتل عدّة شهداء على ايام شابور الملك (٤). فمثُل امامهُ مار يوحنان مع

(١) في كتاب اشهر شهداء المشرق قد ذهبت ان يزدجرد الذي اضطهد نصارى بيت كرماي هو يزدجرد الاول (٣٩٩-٤٢٠) ولكن الان يتضح لي جلياً ان يزدجرد المذكور هو الثاني (٤٣٨-٤٥٧) كما يقول ايضاً ماري

(٢) بيجان ܒ : ٥١٩ — ٥٣٠. اشهر شهداء المشرق ܒ : ٢٢٤ — ٢٣٧

(٣) كان مطران اربيل في ذلك العهد رحيما. ومشيحا زخا الذي كتب ترجمتهُ لم يقل عنهُ انهُ استشهد بل يشير انهُ من حدياب ايضاً قتل خلق في اضطهاد يزدجرد. ويقول ان عبوشطا خليفة رحيما ويوحنان مطران بيت كرماي عقدا مجمعاً وحكما ان يجتمع كلّ سنة اساقفة بيت كرماي ويعيدوا عيد جميع الشهداء الذين تكلّلوا على عهد يزدجرد واخبرا بذلك مار بابوي الجاثليق

(٤) انظر ص ٦٤

الكهنة واعيــان المدينة . فوضع قدامهم آلات العذاب المهولة فدنا اسحق بن هرمزكرد احد اشراف المدينة من تلــك الآلات وقبلها قائلًا : السلام على هذا الحديد فاننا بهِ ندخل الملكوت فغضب عليهِ الموهباط وامر الجلادين فاضجعوه على الارض ودقّوا اوتادًا بيدَيهِ ورجليه . وسلخوا جلده بامشاط حديدية وامر الموهباط باحضار جميع المحبوسين ليشاهدوا اسحق وهو في ذلك العذاب المؤلم لعلهم يفشلون فحضروا مسرورين وراية الصليب تتقدّمهم وهم يترنمون بالمزامير . فاتى الجلادون بالنفط ودهنوا به عظام اسحق واطلقوا فيها النار

ثم أُحضر المطران يوحنان مصحوباً بدادیشوع وشوحاليشوع وبختيشوع الكهنة وبستين آخرين وذهبوا بهم الى الوادي الــذي بشرقي بيت تيا فمنهم من قطعوا رجلَيه . ومنهم من قطعوا لسانه ومنهم من فُقئت عيناه ومنهم من سلخوا جلدة راسه . ثم دهنوهم بالنفط واحرقوهم قاطبةً . وكان استشهادهم يوم الجمعــة في ٢٤ آب

ولما كان في الغداة اخرجوا الى ذلك المحل عينه ثلاثة آلاف من نصارى المدينة منهم اسحق واسطيفان الكاهنان ورُجما بالحجارة مع عبرهما من المعترفين ومنهم راهبتان رُجمتا بالحجارة مصلوبتين . ومنهم ابراهام وشمعون ومعنــا من الاعيان والاشراف فأجلسوهم في حفرة ورشقوهم بالسهام . ثم احموا مسامير بالنار وشكّوها في عيونهم . والباقون ساموهم امرّ العذابات والموت

ولما كان يوم الاحد اخرجوا الى ذلك المحل ايضاً ٨٩٤٠ معترفا من الذين اتوا بهم من المدن والقرى البعيدة والقريبة . وفي مقدمتهم الاساقفة المارّ ذكرهم . فولَّى طهمازكرد زهاء ثلاثة آلاف من الجوس امر تعذيبهم وقتلهم . فمنهم من أُحرق بالنار ومنهم من قُطع راسهُ . ومنهم من نُشر بالمنشار . ومنهم من رُجم بالحجارة . وفي الآخر اخذوا رؤوس الاساقفة بحدّ السيف

وان امراة بجوار بيت زادوق اسمها شيرين كانت في تلك الاثناء تخبز في بيتها فلما سمعت بتكليل الشهداء تركت العجين واخذت ولديهــا واحدًا على كتفها والآخر بيدها واسرعت الى بيت تيثا . ولما انتهت الى طهمازكرد قبضت على لجام حصانهِ واستحلفتهُ ألّا يمنعها من اللحاق بزمرة الشهداء . فاستغرب هذا الامر العجاب

وبدا يلحّ عليها ان تمسك عن رايها . ولما ابت امر بها وبابنها الكبير فقُتلا بالسيف . فاكبّ ابنها الصغير على جثتها وجثة اخيهِ يقبلها باكياً . فدعاه المجوس واخذوا يملقونهُ ويستغوونهُ بالهدايا واذ لم يجدوا الى ذلك سبيلًا ضربوا عنقه ايضاً

حينئذٍ اخذ طهمازكُرد يفكّر في امر المقتولين وكيف انهم بطيبـة نفس وفرح يقدمون انفسهم للموت . فرأى سلّماً من نور قائمة على الارض وراسها يصل الى السماء وراى المقتولين يرتقون عليها الى السماء . والرب في اعلاها يضع على رؤوسهم تيجاناً من نور . وللحال ارعوى وصاح قائلًا : انا ايضاً نصرانيّ . وبلغ يزدجرد خبر تنصره فامر بتعذيبه شديداً . واذ لم يفشل . صُلب منكّس الراس في ٢٥ ايلول

وبنى مارون مطران كرخ سلوخ ديراً جليلًا في محل قتل هؤلاء الشهداء . وهو موجود الى الآن ويدعى بالتركية قرمزى كليسا اي الكنيسة الحمراء او كنيسة مار طهمازكُرد وهي بشرقيّ كركوك على مسافة اقلّ من نصف ساعة منها . وكل سنة في عيد هذا القديس الواقع في ٢٥ ايلول يقصدها نصارى كركوك زرافات للتبرّك من عظام الشهداء المدفونة هناك

وقيل ايضاً عن مارون انـهُ هو وبابوي الجاثليق عقدا مجمعاً من اساقفة بيت كرماي وحدياب وقرّروا ان يعيَّد لهؤلاء الشهداء ثلاثـة ايام اي الجمعة والسبت والاحد من الاسبوع السادس من صوم الرسل(١) وكذا أتى في تاريخ مشيحازخا(٢) غير ان هذا المؤرخ يذكر ان مطران كرخ سلوخ كان يوحنان (الثـالث) . وليس مارون والباثر ان قولهُ أصحّ . فاننا نرى مار يوحنان مطران كرخ سلوخ حاضراً سنة ٤٨٦ في مجمع مار اقاق الجاثليق (٣) . فيكون اسم مارون تحريف يوحنان في تاريخ كرخ سلوخ

٣ً شهداء بلاشپار

في تلك السنة التي قُتل فيها طهمازكُرد موهپاط كرخ سلوخ كان آذورهرمزد

---

(١) بيجان ٤ : ٥٣٠ — ٥٣١

(٢) يذكر مشيحا زخا ان بيروز قُتل سنة ٤٨٤ وفي تلك السنة عُقد مجمع بيت كرماي فيكون اربعة اشهر قبل مجمع بيت لاباط (٣) السنهادوسات ٥٤

موهپاط بلاشبار قد اعتنق هو ايضاً مع ابنتهِ الديانة المسيحيـة عن يد مار پثيون القديس . كان پثيون من اشرف العائلات هناك وتنصر مع ابيهِ عن يد عمّه يازدين الذي اعتنق الديانة النصرانية وترهّب في دير بيت ساهدي في كرخ سلوخ مدة ٣٢ سنة فانضم پثيون الى عمهِ يازدين وسكن معهُ في الجبل اربع عشرة سنة مقتدياً بفضائلهِ وتقشفاته . وكانت وفاة يازدين في صومعتهِ في ٢١ ايلول وفيهِ يجعل له الكلدان تذكاراً (١)

ومن بعد وفاتهِ بدأ مار پثيون يطوف كل سنة بلاد ماسبذان ومادايِ وبيت دارايي وكوسايي ويتلمذ خلقاً كثيراً وذهب بفتوحاتهِ الدينية الى ميشان ومهركانقدق وبنى هناك اربع كنائس عظيمة

أما آذورهرمزد موهپاط بلاشپار فكان من مدينة بهشابور في فارس . وكان شهيراً بين المجوس . ولهُ ابنة وحيدة اسمها اناهيذ بديعة الجمال رشيقة القد . فلما بلغ خبر تنصره مع ابنته الى مسامع الملك يزدجرد امر قائده آذورپرزكرد ان ينطلق بجيشه الى هناك ويقبض على آذورهرمزد ويقتلهُ . وكان ذلك في السنة التاسعة ليزدجرد وهي السنة ٤٤٦ للمسيح اي ستة اشهر بعد قتل طهمازكرد . فقبض على آذورهرمزد ونكّل بهِ وقتله في ٢٥ نيسان في بقعة قرية يثري في بلاشپار . وفي تلك الليلة ذهب المسيحيون بجثتهِ الى قلاية مار پثيون وقُبر هناك باكرام

ثم ان آذورپرزكرد قبض ايضاً على اناهيذ وبذل جهده في جلبها الى آرائه ولم يقدر . فأوقع بها ضرباً على فمها وراسها بقساوة وحشيـة حتى تورّم راسها ووجهها وتساقطت اسنانها . واودعوها سجناً ضيقاً . وفي الغد عادوا الى تعذيبهـا . فاوثقوا يديها تحت ركبتيها وادخلوا خشبة تحت ابطيها وعلّقوها هكذا منكّسة الراس . وبقيت على تلك الحالة الليل كله . ثم ذهبوا بها الى الجبل الذي كانت تسكن فيه وتفنّنوا في عذابها . وهناك طارت روحها الى السما واتى كثير من الاسرى الروميين الذين كانوا بقرب المكان ومعهم كهنة واخذوا جثتها ودفنوها في قبر ابيهـا

---

(١) قائمة القديسين السنوية

آذورهرمزد ومار يازدين وكان ختام جهادها في ١٨ حزيران وفيه الى تذكارها عند الكلدان

ثم قبضوا ايضاً على پثيون وقتلوه اشنع قتلة فان الجلادين ذهبوا به الى الموضع الذي فيه قُتلت اناهيذ وقطعوا أولاً اذنيه ومنخرَيه. وفي اليوم الثاني قطعوا يدَيه ورجليه وفي اليوم الثالث ذراعيه وفي اليوم الرابع ساقيه وفي اليوم الخامس فخذيه وفي اليوم السادس اخذوا راسه بحدّ السيف. وكان استشهادهُ يوم الاربعاء ٢٥ تشرين الاول سنة ٤٤٦. وعُلّق راس القديس عشرة ايام على الجادة ليراه الجميع فيخافوا ولما كان اليوم الحادي عشر اجتمع كثير من النصارى واخذوا اعضاءه ودفنوها في لحف الجبل حيث قُبر رفاقهُ الاجلاء. وتذكار مار پثيون عند الكلدان والسريان في ٢٥ تشرين الاول. وله عند السريان فرض خصوصي فيه يُذكر آذورهرمزد واناهيذ ابنته وكان الكلدان يمسكون تذكار دفن اعضاء هذا الشهيد في ٣ تشرين الثاني. ويوجد كنائس كثيرة للكلدان على اسمه من جملتها كنيسة قديمة في الموصل وفيها جزء من جسد مار پثيون والمواصلة يعيدون لهذا الشهيد يوم الخميس الثاني من اسابيع ايايا لانهُ في ذلك اليوم بنيت تلك الكنيسة. ويوجد كنيسة اخرى في ديار بكر هي اليوم الكنيسة الكاتدرائية وكان على اسمه ايضاً كنيسة ودير وقلاية بطريركية في بغداد

الفصل الثامن

في هرطقتَي نسطور واوطاخي

ان جلوس ملوك الروم في القسطنطينية رفع مرتبة الكرسيّ القسطنطينيّ وفاق الكرسيّ الاسكندريّ منزلةً. ولذلك كان بطاركة مصر يحسدون بيزنطية وحدث مراراً بين الكرسيين منازعات شديدة (١) . من ذلك مخاصمة تئوفيلوس بطريرك الاسكندرية لمار يوحنا الذهبيّ الفم. ان هذا القديس الجليل جلس على

(١) قاموس اللاهوت الكاثوليكيّ تاليف علماء المانيا الكاثوليك ترجمة كوشلير ٥ : ٣٧٤

كرسي القسطنطينية سنة ٣٩٧. فشق ذلك على تئوفيلوس لانهُ اراد ان يُقيم مكان يوحنا واحداً من حزبهِ . وصار يحتال على يوحنا وينصب لهُ الدسائس حتى عقد مجمعاً سنة ٤٠٣ في القسطنطينية نفسها وحكم ظلماً عليهِ وانزلهُ عن كرسيه

وقام بعد تئوفيلوس على الكرسي الاسكندري ابن اخيه كيرلّوس سنة ٤١٢ وقضى كيرلّوس كل ايام حياته في النزاع والخصومات في امور شتى. ومما اشتهر به اكثر ما يكون مناضلتهُ لنسطور وتفنيده لتعليمه

جلس نسطور على الكرسي القسطنطيني سنة ٤٢٨. وكان متكبّراً يحبّ ايضاً النزاع فاضطهد الاريوسيين واراد هدم كنيستهم. فالتزموا ان يحرقوها وبسببها احترق بيوت كثيرة . ولاجل ذلك سُمّي نسطور المحرق. واضطهد ايضاً النصارى الذين كانوا يعيّدون الفصح مع اليهود. ومما اشتهر به قولهُ ان في المسيح طبيعتين واقنومين بشخص واحد. وان لاهوت المسيح لبس الناسوت وصار الناسوت هيكلاً للاهوت ومسكنهُ. وان مريم لا يجوز ان تُدعى ام الله بل ام المسيح الاله لانها لم تلد اللاهوت بل ولدت شخصاً هو إله وانسان معاً. وهذا كان راي اغلب العلماء الذين اشتهروا في انطاكية ونواحيها (١) مثل ديودوروس اسقف طرسوس (٣٧٨ — ٣٩٤) وتئودوروس اسقف مصيصة (٣٩٠ — ٤٢٨) ومار يوحنا فم الذهب

وحالما انتشر تعليم نسطور قام عليهِ كيرلّوس الاسكندري وشمّر الساعد لسحق راسه. وكان كيرلّوس تارةً يقول ان في المسيح طبيعة واحدة اي طبيعة الاله الكلمة المتجسّد (٢) وتارةً يقول ان في المسيح طبيعتين متحدتَين لكن المسيح واحد . ولم يكن لهُ ثبات في قوله او بالحري لم يكن يتجاسر ان يوضح افكاره توضيحاً تاماً كما قال عنهُ يوحنا بطريرك انطاكية وكثير من الاساقفة المعاصرين لهُ (٣) وانما لاجل هذا جعلهُ الكاثوليكيّون كاثوليكياً وجعلهُ المنوفيسيتيّون منوفيسيتياً

---

(١) لابور ٢٤٨ — ٢٥٢ (٢) تاريخ مؤلفي الكتب المقدسة. . . صه ٣٣١

(٣) لوپوس (Lupus) لم : ١٣٨ ص ١٢٢ لبد : ١٤٧ ص ١٤٠ . ومجلة الشرق المسيحي ١٩١٠ ص ٣٦٦ — ٣٨٦

وكان في ذلك الزمان على كرسيّ مملكة الروم تئودوسيوس الثاني. فامر بالتئام مجمع مسكونيّ في افسوس سنة ٤٣١ لحسم هذا الجدال والنزاع وكان رئيس المجمع كيرلوس. فحرم الاساقفة الحاضرون نسطور وتعليمهُ وانزلوه عن كرسيّه اما يوحنا بطريرك انطاكية واساقفته فدافعوا عن نسطور. وعقدوا هم ايضاً مجمعاً في افسوس فيه حرموا كيرلوس واجتهدوا بتبطيل مجمعه. لكنّ قوّتهم تلاشت قدام اوامر الحكومة فحدث من ذلك سجس عظيم واضرار جسيمة شتى. واجتهد اولياء الامر والناس الاتقياء في إزالة الشقاق من الكنيسة. فكتب القديس ايسيدوروس البيلوزيّ الى كيرلوس ما نصّه(١) : « ان التعجيل في الامور المشبوهة يقلّل النظر. اما البغضة فتعميه بالكليّة. ان اردت ان تتجنَّب هذين العيبَين عليك الاّ تحكم حكماً شديدًا بل ان تفحص بعدل عن الاسباب. ان كثيرين من الذين اجتمعوا في افسوس يقولون عنك ان بغيتك ان تأخذ بثارك من اعدائك. لا ان تهتم حقيقةً بمنافع يسوع المسيح. ويستتلون كلامهم انهُ هو ابن اخي تئوفيلوس فيقتدي به ايضاً ويجتهد في اكتساب الشرف مثل عمّه الذي القى غضبهُ على الطوباوي يوحنا ولو انهُ يوجد فرق عظيم بين المشتكى عليهما (٢) » ثم كتب لهُ ايضاً : « ناشدتك الله ان تضرب عن هذه المنازعة ولا تجرح جسم الكنيسة اخذًا لثارك من الذي اهانك. فتصير بحجة الديانة سبباً لانشقاق ابديّ في الكنيسة. »

والظاهر ان هذه الاقوال وغيرها اثّرت في القلوب. ولاسيما لان الملك امر يوحنا الانطاكي وكيرلوس الاسكندريّ بالقاء السلام في الكنيسة. فعقد يوحنا البطريرك مجمعاً في حلب سنة ٤٣٢ التأم فيهِ جميع اساقفة الشرق ما عدا ربولا اسقف اورهاي لانهُ كان متحزباً لكيرلوس. وحرم هذا المجمع نسطور. وامضى كيرلوس مع اساقفته قانون الايمان الذي ارسلهُ اليه يوحنا. وهو ذات القانون الذي حدَّده يوحنا واساقفته في افسوس بالمجمع الذي عقدوه ضد كيرلوس وحزبه. وكان فيه ان يسوع المسيح إله وانسان معاً وان فيه طبيعتين طبيعة الهية وطبيعة انسانية

---

(١) ايسيدوروس الرسالة ٣١٠ و٣٧٠ وتاريخ مؤلفي الكتب المقدَّسة . . . صفحه : ٤٧٢

(٢) اي مار يوحنا فم الذهب ونسطور

وان مريم هي ام الله

فقدّم الطاعة ليوحنا البطريرك بعض الاساقفة المخالفين. والذين أبوا أُرسلوا الى المنفى بقوّة الحكومة. وعلى هذا عُقد الصلح بين المصريين والشرقيين. وكان نسطور قد انفرد في دير بقرب انطاكية. وقال عنه سقراط المؤرخ: « انــه لما راى ان لا سبيل الى الاتحاد طالما النزاع ضارباً اطنابه تاسف على ما جرى وقبل لفظة تئوتوكوس اعني قال: لتُدعَ مريم ام الله وليبطل هذا الشقاق. ولكن لم يقبل احد ندامته اذ قال هذا الكلام وهو مطرود من كرسيه ومنفيّ في أُواسيس » (١)

غير ان هذا الصلح الذي جرى بين بطريركية انطاكية وبطريركية اسكندرية لم يدُم كثيرًا. لانهُ لم يكن مبنيًا على اساس متين. ولمّا سنحت الفرصة بدأ النزاع من جديد واشتدّ اكثر من قبل (٢). والذي اعطى العلامة للحرب هو ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية الذي جلس بعد كيرلوس سنة ٤٤٤ ومسبّب هذا السجس هو اوطاخي

كان اوطاخي رئيس دير بجوار القسطنطينية وقال ان في المسيح لا يُوجد بعد التجسد الاّ طبيعــة واحدة. واعلن مرارًا انه قرأ ذلك في تاليفات كيرلوس. وكان الجالس حينئذٍ على كرسيّ القسطنطينية فلابيانوس. فجمع هذا البطريرك الجليل مجمعاً في عاصمة المملكة سنة ٤٤٨ وحرم اوطاخي. فاشتكى اوطاخي على فلابيانوس لدى ديوسقوروس الاسكندريّ. فامر الملك بالتئام مجمع في افسوس سنة ٤٤٩ وقال الاب لابور: ان صفّي المحاربين كانا نفس الصفّين اللذين تقاتلا سنة ٤٣١. اي انطاكية والقسطنطينية في صفّ واسكندرية في صفٍّ آخر. ولكن نفوذ بطريرك اسكندرية كان في هذه المرّة اعظم من نفوذ سلفهِ. وصار هو ايضاً مقدام مجمع افسوس الثاني المعروف بمجمع اللصوص. فاجرى فيه ديوسقوروس كل مــا اراد. وحكم لاوطاخي واعطاه الحق. وعزل كل الاساقفة المتحزبين لكرسيّ انطاكية اي القائلين بطبيعتين في المسيح (٣). منهم دومنوس بطريرك انطاكية خليفة يوحنا

---

(١) التاريخ الكنسي لسوقراط ٧: ٣٤. ومجلة الشرق المسيحي ١٩١٠ ص ٣٩٠. وميخائيل اليعقوبي ١٧٥

(٢) لابور ٢٥٤ و٢٥٦ (٣) لابور ٢٥٦ — ٢٥٧

وهيبا اسقف أُورهاي وتئودوريطوس اسقف قورس وايرينـاوس اسقف صور ودانيال اسقف حران وسپرونيوس اسقف تلا (١) . امّا فلابيـانوس بطريرك القسطنطينية فأُرسل الى المنفى وتاذّى في الطريق كثيرًا ومـات بعد وصولهِ بايام قليلة

ثم اجتمع في خلكيدونية سنة ٤٥١ مجمع آخر بامر البابا لاون والملك مرقيان خليفة تئودوسيوس الثاني وحكم بالعكس . فانه اسقط ديوسقوروس . واثبت تئودوريطوس اسقف قورس وهيبا اسقف اورهاي على كرسيَّيهما بعد ان حرما نسطور واعترف المجمع (٢) ان يسوع هو رب واحد ومسيح واحد إله حق وانسان حق . كامل في الطبيعتين مساوٍ للآب في اللاهوت ومولود في آخر الازمنـة من مريم في الناسوت وهو في طبيعتين من دون بلبلة ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال وان خاصّة كلٍّ منهما محفوظة وتنتهيان الى اقنوم واحد بحيث انه هو بعينه ابن واحد وحيد وهو الله الكلمة ربنا يسوع المسيح (٣)

فشقَّت كثيرًا مقررات المجمع الخلكيدوني على الكيرلوسيين (٤) لا بل على الفلسطينيين والسريان ايضاً . ظنّاً منهم ان هذا المجمع بتحديد الطبيعتين في المسيح قد فنَّد تعليم كيرلوس الذي بهِ كانوا يفتخرون . فانحـازوا الى الذين علانيةً كانوا يقولون بالطبيعـة الواحدة في المسيح وعصوا على المجمع الخلكيدوني . وانتشر العصيان سريعاً في كل بلاد مصر وسوريا وفلسطين . ولم يخفَ المنوفيسيتيون(٥) من

---

(١) فيه ايضاً . والسمعاني ٤ : ٤٠٤ (٢) مانسي ٧ : ١٠

(٣) الظاهر ان الاستغاثة التي تقال عندنا في مساء اول احد من الميلاد ماخوذة من قانون الايمان هذا (حودرا طبعة يحان ٤ : ٩٦) —

(٤) لابور ٢٦٠ (٥) ان للقائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح اسماء متعددة تبلغ اكثر من عشرين . فقيـل لهم المنوفيسيتون اي المعتقدون بالطبيعة الواحدة والاوطاخيون نسبـة الى اوطاخي صاحب بدعتهم . والديوسقوريون نسبة الى ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية . والساوريانيون نسبة الى ساويرا بطريرك انطاكية الـذي على يده تم انشقاقهم في سوريا . واليعاقبة على اسم يعقوب البراذعي وسيجي ذكره . والثيوباسخيتيون اي الملحقوا الالم باللاهوت الى غير ذلك

شوكة الدولة الرومية التي بذلت كل وسعها من العزل والنفي لتجري قانون المجمع الخلكيدوني . ومن الذين اشتهروا اكثر ما يكون في نشر بدعة الطبيعة الواحدة في بلاد سوريا هو برصوما رئيس الرهبان وبطرس الملقّب بالقصّار الذي جلس على كرسيّ انطاكية سنة ٤٧٠ .ومن بعد وفاة هيبا وتئودوريطوس سنة ٤٥٧ تسلّطت المنوفيسيتيــة على اورهاي واطرافها ايضاً وطُرد تلامذة مدرسة اورهاي الذين انقادوا الى تعليم نسطور والتجأوا الى مملكة الفرس كما ترى في الفصول الآتية

الفصل التاسع

في اساقفة اورهاي ودخول النسطرة في مدرستها

راينا كيف ان المدرسة التي كانت للكلدان النصارى في نصيبين انتقلت عن يد مار افرام الى اورهاي بعد سنة ٣٦٣ (١) .وان هذا القديس علّم في اورهــاي نحو ثماني سنين وخلفه في رئاسة المدرسة قيورا .ويُستنتج من قول برحدبشبا ان قيورا توفي سنة ٤٣٧ بعد ان علّم اربعاً وستين سنة (٢) .وبعد مرور اربعة اشهر على وفاة مار افرام اي في ايلول سنــة ٣٧٣ اتى ڤالنس الملك الاريوسيّ الى اورهاي (٣) وضرب مضاربه حولها وارسل اليهم من يقول لهم ان يخرجوا اليه ويعلموه عن ايمانهم . فاجتمعوا في كنيسة مار توما لكي يصلوا ويطلبوا الى الله ان يزيل عنهم الخطر المحتاط بهم .وأمر الملك احد قوّاده ان يدخل المدينة ويقتل اهاليها . فصادف القائد امراة ماسكة ولديها بيدَيها وذاهبة الى الكنيسة لكي تنال هي ايضاً اكليل الاستشهاد(٤) . وأخبر القائد ملكه بذلك . فكفّ ڤالنس عن رايه واستكفى بارسال برسا الاسقف وكهنته الى المنفى .واتى في قصة مار افرام انه على ايامه صار هذا الاضطهاد وانه الّف فيه ميمرًا بدؤهُ : [illegible]

---

(١) انظر ص ٤٦ وما يلي (٢) برحدبشبا ٦٨

(٣) التاريخ الكنائسي لسوقراط ܕ : ܝܚ ولسوزومين ܘ : ܝܚ . ولتئودوريطس ܕ : ܝܙ ܘܝܚ . وميخائيل ١٥١ — ١٥٢ .—

(٤) ان قصة هذه الامراة تشابه كثيرًا قصّة شيرين الشهيدة (انظر ص ١٢٥)

ܕܓܠܘܬܐ : ܡܡܠܠܐ ܕܐܘܪܗܝܐ ܟܕ ܢܦܩܘ (١) . ولكن هذا غلط كما رأينا سابقاً (٢) . فان مار افرام توفي قبل هذا الاضطهـاد بثلاثة او اربعة اشهر

ومات برسا في المنفى في اذار سنة ٣٧٨ . وفي تلك السنة عينهـا مات ايضاً ڤالنس . فرجع المنفيون الى وطنهم في ٢٧ كانون الاول . وجلس بعد برسا اولغاش سنة ٣٧٩ (٣) . وهو الذي بنى كنيسة مار دانيال التي أُطلق عليها فيما بعد اسم مار دوميط . ثم قورا سنة ٣٨٧ وفي ايامه اي في سنة ٣٩٤ نُقلت ذخائر مار توما الرسول الى الكنيسة التي بُنيت على اسمه (٤) وفي آخر ايام حياته اي في سنة ٣٩٦ اغار الهونيون على اورهاي ونهبوا جميع الاديرة والقرى التي حواليها وقد مرّ الكلام عن ذلك (٥) . ومات قورا في ٢٢ تموز سنة ٣٩٦ وجلس مكانه سلوانا (٣٩٦—٣٩٨) ثم بقيدا (٦) وكان هذا من جملة الاساقفة الغربيين الذين كتبوا رسائل الى مار اسحق الجاثليق صحبة مار ماروثا اسقف ميافرقين . وكانت وفـاته في آب سنة ٤٠٩ وقام مكانهُ ديوجين ودبر كرسيّ اورهاي الى سنة ٤١١ (٧) ثم جلس ربولا سنة ٤١٢

ان قصة ربولا طبعها اوڤربيك سنة ١٨٦٥ والاب بيجان في المجلد الرابع من سيرة القديسين والشهداء وهذه القصة ليست الاّ مقالة تقريظيـة تعدّد فضائل ربولا ومناقبه ونقتصر عنها ما ياتي

كان ربولا مثالاً كاملاً للتقوى والغيرة والتقشف والمحبة للفقراء . فباع امواله كلها ووزعها على البائسين . وفي اسقفيّته بنى مستشفيَين احدهما للرجال والآخر للنساء ومع كونه مثالاً حيّاً للفضائل المسيحية كان ايضاً حادّ الطبع قاسياً على كل من لم يكن من مذهبه . فانهُ نهب كنيسة اليهود وهدمها . واضطهد البربوريين والعوديين

---

(١) ان هذا الميمر طبعهُ لامي في ميامر ومواعظ مـار افرام ܕ : ܗ : ٩٠

(٢) هنا ص ٤٩

(٣) السمعاني : 1^1 : ٣٩٨ -

(٤) فيه ايضاً ٣٩٩

(٥) انظر ص ٩٤

(٦) فيه ٤٠٠ — ٤٠١

(٧) فيهِ ايضاً

والزدوقيين وضبط معابدهم والذين اصرّوا على عنادهم وغيّهم اعلن عليهم الحرب وطردهم من المدينة . اما تعليم ربولا فكان يقرّ بطبيعة واحدة واقنوم واحد في المسيح . وفي رسالته الى اندراوس اسقف شميشاط يقول ما نصهُ: « ان القول بان في المسيح طبيعتين ولا سيا من بعد التجسّد يقلقني كثيراً (١) . » ولا يبقى شك في قولنا اذا كان هو الذي قد زاد على التقديسات قوله يا مَن صُلبت لاجلنا كما هو منسوب اليه في تاليفاتهِ التي طبعها اوڤربيك

فتحزّب ربولا لكيرلوس الاسكندري واضطهد تلامذة مدرسة اورهاي الذين تمسكوا بتعليم نسطور . فقاومه اغلب التلامذة منهم : هيبا واقاق ارمايا وبرصوما ومعنا الارداشيريّ وعبشوطا النينويّ ويوحنان الجرمقي وميخا وبولس بن قاقي الاهوازي وابراهام المادي ونرساي وازليا من دير كفر ماري (٢) ويوسي بن قورطي (٣) ومارون اليثا (٤) وكوماي وپروبا (٥) واليشاع المفسر (٦)

وكان ايضاً بين تلاميذ مدرسة اورهاي من انقادوا الى ربولا وهم : بابا من بيت لاپاط واخسنايا تحلايا من بيت گرماي المشهور واخوه أدّي وبرحدبشبا من قردو وبنيامين أرمايا (٧)

وكان هيبا قد ترجم من اليونانية الى الكلدانية كتب تئودوروس اسقف مصيصة الذي كان قد كسب شهرة عظيمة بتاليفاته . ومن الذين ساعدوا هيبا في هذه الترجمة كوماي وپروبا (٨) ومعنا الارداشيريّ (٩) . فاحرق ربولا كتب تئودوروس هذه المترجمة الى الارامية لكونها تحوي تعليم نسطور (١٠) . ولما صار

---

(١) اوڤيربيك تاليفات مار افرام الخ ٢٢٣ .

(٢) السمعاني ܓ : ٣٥١ — ٣٥٢ (٣) فيه ٣٥٤

(٤) فيه ٣٥١ (٥) السمعاني ܟ : ܓ : ٨٥

(٦) التاريخ السعردي ܒ : ٣٦ (٧) السمعاني ܓ : ٣٥٢ — ٣٥٣

(٨) عبد يشوع الصوباوي في السمعاني ܟ : ܓ : ٨٥ .

(٩) التاريخ السعرديّ ܒ : ٢٥

(١٠) برحدبشبا ٦٧ وابن العبريّ ܒ : ٥٥

الصلح سنة ٤٣٢ بين يوحنا الانطاكي وكيرلوس الاسكندري كتب هيبا رسالته الشهيرة الى ماري اسقف ارداشير (١). وكانت تشتمل على اربعة فصول. ففي الفصل الاول يذكر هيبا سبب الانشقاق بين نسطور وكيرلوس. وفيه يقول ان نسطور افرط في كلامه واخذ على نفسه شبه بولس الشميشاطي التاكر الوهية المسيح وان كيرلوس ايضاً وقع حقيقةً في بدعة الاپوليناريين القائلين في وحدة الطبيعة في المسيح الناتج منها نفي حقيقة الناسوت. وفي الفصل الثاني يقول ان المصريين عقدوا المجمع دون يوحنا الانطاكي ورفاقه وان كيرلوس حمل الاساقفة المجتمعين في مجمعه على حرم نسطور بغضةً به. ولذلك اعتزل الشرقيون وبرأوا نسطور وحرموا كيرلوس واصحابه. وفي الفصل الثالث يكتب هيبا ما جرى في اورهاي على يد ربولا ويطعن به لانه اضطهد ليس فقط الاحياء بل المتوفين ايضاً ومن جملتهم تئودوروس اسقف مصيصة العلامة الفاضل. اخيراً يذكر هيبا الصلح الذي عُقد بين يوحنا الانطاكي وكيرلوس الاسكندري وان الذي اراد الصلح هو ملك الروم وان واضع شرائط الصلح هو يوحنا ويختم قائلًا انه انتهى النزاع ورجعت الامور الى مجراها القديم

والظاهر ان هيبا كان محبوباً جدًا في اورهاي ومشهودًا بفضله. وحين وفاة ربولا في ٨ آب سنة ٤٣٥ عليه وقع الانتخاب فصار اسقفاً مكانهُ. وهو دون سائر اساقفة اورهاي لقّبه كاتب التاريخ الاورهاوي بالكبير والفاضل. (ܪܒܐ ܗܘܐ ܘܡܝܬܪܐ ܗܘܐ (٢) . وما عدا ترجمة تاليفات تئودوروس المصيصي كتب ايضاً تفسير سفر الامثال والّف تراجم ومداريش ومجادلة مع الهراطقة (٣) اي مع المنوفيسيتيين. وبنى هيبا كنيسة جليلة في اورهاي سُمّيت على اسم الرسل. وفي ايامه (٤) بطل النزاع من كنيسة الشرق فشمل السلام الديني في كل بلاد المشرق

---

(١) مانسي ٩ : ٢٤١ وما يلي. ومارتين اعمال مجمع افسوس المعروف بمجمع اللصوص ٥٤ و٦٠ و٧١

(٢) في السمعاني 1 : ٢٠٢ —

(٣) عبد يشوع الصوباوي في السمعاني ج : 1 : ٨٥

(٤) لابور ٢٥٦

من البحر المتوسط الى خليج فــارس ولم يُذكر لا اسم نسطور ولا اسم كيرلوس .
ودام هذا السلام الى سنة ٤٤٨ التي فيها اضرم ديوسقوروس الاسكندريّ نار النزاع المنطفأة فطُرد هيبا من اورهاي كما سبق القول وجلس مكانه نونا . ولكن منفى هيبا لم يدم الأ سنتَين . فان مجمع خلكيدونية برأه ورجع الى كرسيه سنة ٤٥١ . ومات في ٢٨ تشرين الاول سنة ٤٥٧ (١)

وقام بعده نونا وعلى ايامه تقوّى المنوفيسيتيون في اورهــاي . فطردوا منها تلامذة المدرسة الذين تحزبوا لنسطور كما سبق القول . وكان الرئيس على المدرسة يومئذٍ نرساي الشهير (٢) خليفة قيورا سنة ٤٣٧ . وأصل نرساي من بيت دولبا بالقرب من معلثا (٣) . وقال عنه التاريخ السعرديّ انه لما خرج من اورهاي احرق المخالفون كتبه بل بعضها . وفي خروجه قال هتَين الاستغاثتين (٤) : ܡܕܒܪܐ ܡܫܝܚܐ ܠܥܠ ܗܝܡܢܘܬܐ . ܘܡܫܝܚܐ ܕܝܢ ܒܬܘܬܒܘܬܗ . وفيهما يطلب الى الله ان يزيل الشقاق من كنيسته . لان الايمان يُضطهد من جراء الخطايا والواعظين يُقتلون وقد خفيت كتب الكهنة والملافنة الذين علّموا الحق . وهما مكتوبتان في موتب يوم الخميس الذي يلي الباعوث (٥) وفي غير ذلك من المواضع في كتاب الفرض

الفصل العاشر

دخول النسطرة في الكنيسة الكلدانية عن يد تلامذة مدرسة اورهاي

ان اغلب تلامذة مدرسة اورهاي في رجوعهم الى بلادهم صاروا فيها اساقفة فان برصوما صار اسقفاً في نصيبين ومعنا في بيت اردشير ويوحنــان في كرخ بيت

(١) التاريخ الاورهاوي في السمعاني ܐ : ٤٠٥

(٢) برحدبشبا ٦٩ ومدرسة نصيبين ٨ .

(٣) كتاب كَنزا (ܓܘܐ) تذكار ملافنة السريان . والتاريخ السعودي ܒ : ٢٢ .—

(٤) ماري ٤٤ (٥) حوذرا طبعة بيجان ܐ : ٢٣٦ (ܕܠܗ)

سلوخ (١) وبولس بن قـاقي في كرخ ليدان ويوسي بن قورطي في شوشتر وابراهام في ماداي وميخا في لاشوم (٢)۰وعبشوطا (٣) في اربيل ۰واما نرسـاي ففتح مـدرسة في نصيبين (٤) شاع صيتها في اقطار الارض حتى اطاليـا وافريقيا (٥)

ان هولآء التلاميذ لم يتركوا كلهم في وقت واحد مدرسة اورهاي كما يقول شمعون اسقف بيت ارشام ۰ فان البعض منهم خرجوا من اورهاي قبل سنة ٤٥٧ ۰ ويذكر برحدبشباً ان برصوما ومعنا اتيا الى فارس قبل طرد التلاميذ رفاقهما ۰وصار الاول اسقفاً على نصيبين والثاني على راوردشير ۰ واتى في كتاب الاحكـام الكنسيَّة تاليف عبديشوع الصوباويّ ان برصوما جلس على كرسيّ نصيبين سنة ٤٣٥ (٦) ۰ غير انهُ يظهر من اعمال مجمع افسوس المعروف بمجمع اللصوص الذي عُقد سنة ٤٤٩ ان برصوما كان يومئذٍ في اورهـاي ۰فان هذا المجمع امر بطرد برصوما وهيبا من اورهاي (٧)۰وقد اتى في سفر الاحياء والاموات انهُ بين هوشاع وبرصوما جلس خمسة مطارنة على كرسيّ نصيبين وهم ماري وسركيس وابراهام وهرمزد ويولي۰ فلا بدّ من ان كلّا من هولآء المطـارنة جلس على الكرسيّ اقلّها يكون ثلاث سنوات او اربع ۰وهوشاع كان بعد في قيد الحيوة سنة ٤٢٤ (٨)۰ولا يُحتمل ان برصوما جلس على الكرسيّ ٦١ سنة ۰ فانهُ مات سنة ٤٩٦

وعلى كل حال ان برصوما كان اسقفاً في نصيبين سنة ٤٥٧ اذ خرج نرساي مع سائر المعلمين من اورهاي ۰ لانهُ مسكهُ عنده وطلب اليهِ ان يفتح مدرسة في نصيبين

---

(١) ان شمعون الارشامي يكتب بيت ساري ۰ فلا بدّ من ان هذه اللفظة غلط من الناسخ عوض بيت سلوخ

(٢) شمعون الارشـامي في السمعاني ܐ : ٣٥٣—٣٥٤ ۰ والسنهادوسات ٥٣و٥٩—٦٠

(٣) مشيحا زخا ٦٥ يكتب مبوشطا كذا ايضاً اتى اسمهُ في السنهادوسات ٦٨ ۰

(٤) برحدبشبا ٧٠ — ٧٢ وشمعون الارشامي في السمعاني ܐ : ٣٥٣ ۰

(٥) السمعاني ܓ : ܒ : ٩٢٧ (٦) ܐ : ܗ (مخطوط)

(٧) ابن العبري ܒ ۰ ٦٢ ح ١ ۰ ومارتين : مجلّة العلوم الكنائسية ١٨٧٤ ص ٥٣٩ —

(٨) السنهادوسات ٤٣

عوض مدرسة اورهاي (١) . فنظم برصوما لائحةً لمواد الدروس والفروض يجري عليها المعلمون والتلاميذ . وهذه القوانين لم تصل الينا . لكنها لا تختلف كثيرًا من التي انتشرت على ايام هوشاع خليفتهِ (٢)

واما معنا فصار مطرانًا على راوردشير بعد وفاة ماري مطرانهـا الشهير الذي اليهِ كتب مار هيبا رسالتهُ المشهورة . والظاهر ان ماري ايضًا كان رفيق مار هيبا في مدرسة اورهاي . ومعنا هذا ليس الذي خلف يهبالاها على كرسيّ المدائن كما قال ابن العبريّ (٣) والسمعـانيّ (٤) . واعلم ان اول اسقف على راوردشير بلغ الينا اسمهُ هو ماثا (٥) ثم معنـا الاول الذي صار جاثليقًا سنة ٤٢٠ ثم ماري الذي كتب اليهِ هيبا رسالته الشهيرة سنة ٤٣٢ ثم معنا الثاني الذي كلامنـا عنهُ والذي تخرّج سويّةً في العلوم مع برصوما ونرساي في اورهاي وساعدهما كثيرًا على نشر النسطرة في فارس . وقال عنهُ التاريخ السعرديّ انهُ لما تقلّد المطرنة نقل الى الارامية كتب ديودوروس وتئودوروس وارسلها الى البحرين والهند وألّف ايضًا مداريش وميامر وعونيثات

غير ان هؤلآء الاساقفة تلامذة مدرسة اورهاي لم يجاهروا بالنسطرة في بلادهم الآ لما الجأتهم الاحوال ان يحاربوا محاربة شديدة الهرطقة المنوفيسيتية التي دخلت في كنائسهم وذلك انهُ لما صار النزاع بين كيرلوس ونسطور سنـة ٤٣١ لم يتداخل الشرقيون في امرهما . لا بل يظهر من رسالة هيبا الى ماري اسقف راوردشير انهُ يغلّط نسطور وكيرلوس كليهما ويقول ان النزاع قد انتهى وتصـالح اساقفة مصر واساقفة انطاكية . وامـا مجمع خلكيدونية فالظاهر ان الكلدان قبلوه في اول الامر ولو انهُ حرم نسطور وذلك لانهُ حدّد ان في المسيح طبيعتين وبرأ هيبا ورفاقه ومـا يؤيد هذا القول اولاً ان المنوفيسيتيين شقّ عليهم كثيرًا امر المجمع

---

(١) برحدشبا ٧٠ — ٧١ ومدرسة نصيبين ٩

(٢) قوانين مدرسة نصيبين : المقدّمة ومدرسة نصيبين ٥٩ —

(٣) ابن العبري ܒ : ٥٣ وما يلي . —

(٤) ܒܐ : ܒ : ٣٨١

(٥) التاريخ السعردي ܒ : ٢١ . ومدرسة نصيبين ٨ ح ٢ . ودرس عن مؤلفي السريان الشرقيين لادّي شير ص ٨ .

الخلكيدوني واعلنوا على روءوس الملأ انهُ أيد تعليم نسطور (١). ثانياً ان النساطرة حسبوا صحيح الايمان كل من قبل هذا المجمع من ملوك الروم واساقفة القسطنطينيــة (٢) وكل مرة رُفع من الوسط اسم كيرلوس واسماء تئودوروس وديودوروس ونسطوريوس تأخى الكلدان النساطرة والروم الكاثوليك واشتركوا في الاسرار بعضهم مع بعض (٣) . ثالثاً ان النساطرة قد ادخلوا قوانين المجمع الخلكيدونيّ بين قوانين المجامع الاخرى المقبولة عندهم (٤) اعني بها مجامع نيقيّة وانقورة وانطاكية وكنكارا وغيرها. رابعاً انهم يعظمون ويبجّلون لاون البابا الذي بامره انعقد المجمع الخلكيدونيّ ويثنون على رسالته في امر التجسّد (٥). خامساً ان اول مجمع كلدانيّ عُقِد بعد هرطقة نسطور (سنة ٤٨٦) اعني بهِ مجمع اقاق الجاثليق لم يذكر في قانون الايمان لا اسم كيرلوس ولا اسم نسطور بل اكتفى ان يُعلن ان في المسيح طبيعتين في اقنوم واحد (ܩܢܘܡܐ) ساكتاً عن لفظة ام الله (٦) ولكن لما دخلت البدعة المنوفيسيتية في كنيسة فارس اضطرّ الكلدان لاجل مقاومتها ان يتحزّبوا علانيةً لنسطور

ان مرقيان الملك الذي دافع عن مجمع خلكيدونية مات سنة٤٥٧ واقتدى بهِ خليفتهُ لاون (٤٥٧ — ٤٧٤) اما زينون خليفة لاون (٤٧٤ — ٤٨٤) فهو ايضاً في اول ملكه ساعد الخلكيدونيين لكنهُ تغير فيما بعد وبتحريك اقاق بطريرك بيزنطية نشر سنة ٤٨٢ صحيفته المعروفة باسم هنوتيكون ودسّ فيها البدعــة

---

(١) ميخائيل ١٧٨ و١٨٥ و١٨٩ وما يلي. وابن العبريّ ܙ : ١٦١ و١٧١ و١٧٧ الخ والسمعاني : ܒ : ١٥. ولاند النصوص السريانية ܐ : ١١٩ وما يلي.

(٢) التاريخ السعردي ܒ : ١١ و١١ و٢١ و٢٨ و٤٠ الخ. وماري ٣٩ و٤٨ الخ

(٣) لابور ٢٦٦.

(٤) كتاب السنهادوسات ٦ و٦١٠ وقائمة المخطوطات السريانية والعربية المحفوظة في الدار الاسقفية الكلدانية في سعرد لادي شير الموصل ١٩٠٥ص ٤٩.

(٥) السنهادوسات ٦ وكتاب الروءساء طبعة بيجان ٦٣٣ — ٦٥٢. والسمعاني ܒ: ٤٠

(٦) السنهادوسات ٥٥ . ولابور ٢٥٦ ان هذا قانون الايمان ماخوذ من قانون ايمان مجمع بيت لاباط

المنوفيسيتية(١) فتقوّى المنوفيسيتيون في كل مملكة الروم وانتشروا في مملكة فارس ليبثّوا فيها تعليمهم . ومما ساعدهم على ذلك هو الشقاق الذي كان في الكنيسة الفارسية بين بابوي الجاثليق واساقفتهِ كما سترى في الفصل الآتي. والظاهر ان اغلب المنوفيسيتيين الذين اتوا بلاد فارس كانوا رهباناً كما اتى ذلك في اعمال مجمع اقاق(٢) وكان رئيسهم اخسنايا الذي درس مع برصوما ورفاقه في اورهاي. فانتهز الفرصة من مساعدة زينون ورجع الى هذه البلاد ليحمل بني وطنه على اعتناق مذهبه (٣)ولا بدّ من ان اخاه ادّي وبابا البيثلاپاطي وبرحدبشبا القردويّ وبنيامين الاراميّ الذين انحازوا مثلهُ الى بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة(٤)رافقوه هم ايضاً الى هذه البلاد . والذي مدّ لهُ يد المعونة يعقوب السروجيّ وكان مشهوراً بعلمه وتاليفاتهِ . وفي رسالتــه الى اهل ارزون يحرّضهم ألاّ يقعوا في فخ نسطور (٥) . لا بل اتى الى نصيبين بذاتهِ كما يظهر من عنوان بعض ميامره (٦)

فلما راى اساقفة الكلدان تلامذة مدرسة اورهاي الخطر العظيم المحيــق بكنائسهم من جراء المنوفيسيتية افرغوا كل وسعهم في مقاومتها. فجاهروا علانية بالنسطرة وذلك في مجمع عقدوه في بيث لاپاط سنة ٤٨٤ (٧) . ورغماً عن الشقاق الموجود بينهم وبين بابوي الجاثليق توفقوا اخيراً وطردوا من هذه البلاد اخسنــايا ورفاقه . وجعلوا جميع كنائس مملكة فــارس عدا كنيسة تكريت ان تعتنــق رسمياً منذ تلك السنة المذهب النسطوريّ

---

(١) لابور ١٣٨ .
(٢) السنهادوسات ٥٤ . راجع ايضاً التاريخ السعرديّ [illegible] : ٣١ .
(٣) كتاب الاتحاد لباباي الكبير الفصل ٩ .
(٤) انظر ص ٣٢٠
(٥) في كتاب ساهدونا طبعة بيجان ٦٠٥ - ٦١٢
(٦) فيه ايضاً ٢٠٩ .
(٧) شمعون الارشاميّ في السمعاني ج ١ : ٣٥٤ . والسنهادوسات ٦١ و٦٣

الفصل الحادي عشر

بابوي الجاثليق وپيروز الملك (٤٥٧ — ٤٨٤)

عصيان برصوما مطران نصيبين على بابوي . مجمع بيت لاپاط . سابا الراهب

ان بابوي (١) صار جاثليقاً مكان داديشوع في السنة ٤٥٧ التي فيها طُرد تلامذة مدرسة الفرس من اورهاي . وكان هذا الجاثليق من قرية تُعرف بالتل على نهر صرصر في كلدو . وكان مجوسياً ثم تنصّر على يد راهب من دير مار عبدا بدورقني وترهب وانكبَّ على طلب العلم . وقضى هو ايضاً نظير داديشوع كل ايام حياتهِ بالمرارة . فانهُ لم يبطل في ايامه لا الشقاق بين الاساقفة ولا اضطهاد الفرس للنصارى

ان يزدجرد الثاني مات في ٣٠ تموز سنة ٤٥٧ وخلفهُ ابنهُ هرمزد . ولم تدم مدة هذا الملك . فان اخاه پيروز قتلهُ وجلس مكانهُ . وقصد پيروز بلاد الهياطلة واخذ مدناً كثيرة . وفي الهجمة الثانية نقصه الزاد في بعض المسافات وأُخذ اسيرًا ثم أُطلق سبيلهُ (٢) . وكان پيروز متعصباً . وحملهُ تعصّبهُ على معاداة النصارى واليهود معاً(٣) . وقد اتى ذكر هذا الاضطهاد في قصة سابا الراهب (٤) واخصّ اسبابهِ هو اضطهاد الروم للمجوس الذين في مملكتهم . فانهم كانوا يمنعونهم من استعمال طقوسهم الدينية ومن شعل النار في معابدهم (٥) . فامر پيروز بالقبض على بابوي وأخذ كل ما معهُ وسلَب الكنيسة وجبر النصارى باعداد الحطب لبيت النار . قال ماري ان بابوي بقي محبوساً سنتين . اما عمرو وابن العبري فقالا سبع سنين . وجاء في

---

(١) ماري ٤١ — ٤٣ . وعمرو ٢٩ — ٣١ . وابن العبري ٥٩ و٦١ و٦٣ و٦٥ والتاريخ السعردي ج ٢ : ٧ — ١٠ . وبيجان ج ٢ : ٦٣١ — ٦٣٤ . ولابور ١٢٩ — ١٣٠ و١٤٢ — ١٤٣ . واشهر شهداء الشرق ج ٢ : ٣٨٠ — ٣٨٤

(٢) ماري ٤٠ والطبري طبعة استانبول ج ٢ : ١٩٥ وما يلي

(٣) الطبري طبعة نيلديك ١١٨ / ٤ (٤) بيجان ج ٢ : ٦٥١

(٥) تيلمون ٥ : ٣٨١ . وميخائيل ٢٤٠ و٢٤١

قصتهِ التي طبعها بيجان انهُ حُبس سنين كثيرة. وكان خروجهُ من الحبس في السنة ٤٦٤ التي فيها وقع الصلح بين لاون ملك الروم وپيروز

ان بابوي كان طماعاً محباً للدراهم يسوس امور الكنيسة بموجب هوى الدنيا وعزل كثيرين من الاساقفة الذين طعنوا بهِ اذ كان محبوساً . فهذه البلبلات وغيرها ولّدت رخاوة في السيرة وفساد الاعمال فكثرت المنكرات واتصل الشرّ الى الكهنة والرهبان والاساقفة انفسهم . فصار شقاق عظيم في الكنيسة . وانتهز المنوفيسيتيون الفرصة وانتشروا في بلاد الفرس. ومن مَن ساعدهم زينون الملك . فانهُ تحزب لهم منذ سنة ٤٨٢ كما مرّ الكلام. ولمّا راى اساقفة الكلدان ذلك رفعوا اصواتهم ضدّ بابوي الجاثليق. وكان اكثرهم تلاميذ مدرسة اورهاي ومقدامهم برصوما مطران نصيبين

ولما كانت السنة ٤٨٤ في شهر نيسان عقد برصوما مجمعاً في بيت لاپاط واجتمع فيهِ يايا اسقف بيت لاپاط ومطران الاهواز (١) وثاني مطران پراث ميشان ويوحنا مطران بيت كرماي ومعنا مطران ريوارد شير وابراهام اسقف ماداي وبولي (بولس) اسقف كرخ ليدان ونوح اسقف بلاشبار واسحق اسقف كرخ ميشان (٢) وغيرهم كثيرون. فحرم المجمع هرطقة المنوفيسيتيين (٣) وكل من لا يقبل كتب تئودوروس المفسر اذ انها ممتلئة حكمةً وصواباً (٤). ثم حكم المجمع بعزل بابوي الجاثليق . وقال برصوما في احدى رسائلهِ (٥): « ان في الصحيفة المكتوبة في الاهواز تشكيات ومذمّات وافتراءات وشهادات على مار بابوي. » ومما تخصّص به مجمع بيت لاپاط انهُ رخّص للكهنة والرهبان والاساقفة ان يتزوّجوا ان لم

---

(١) الظاهر ان هذا المطران هو نفس يايا اليثلاياطي الذي ذكره شمعون الارشامي (انظر هنا ص ١٣٥ وقال عنه انهُ لما كان في مدرسة اورهاي انقاد لرپولا مع اخسنايا. فترى ما الذي حمله الان ان يتحزّب لبرصوما . ونراه ايضاً ناشرًا لواء العصيان على باباي الجاثليق في سنة ٤٩٦

(٢) السنهادوسات ٢١١ و٥٢٥ و٥٣١ (ح ٤) و٥٩ الى ٦٠

(٣) من التصادف الغريب انهُ في تلك السنة عينها عقد فيلكس البابا مجمعاً في رومية حرم فيه اقاق بطريرك القسطنطينية لانهُ حث زينون الملك على مساعدة المنوفيسيتية

(٤) السنهادوسات ٢١١ . (٥) فيه ٥٢٦

يمكنهم ضبط انفسهم. ومن مقرراتهِ ايضاً انهُ منع السيمونية والتزوّج بامراة الاب والاخ وبامراتين. وهذا المجمع فسخهُ برصوما نفسهُ لمّا تصالح مع اقاق الجاثليق كما سترى فلم يُكتب بين المجامع الاخرى ولم يصل الينا منهُ سوى بعض قطع في وجوب قبول كتب تئودوروس المفسر وفي الزواج والسيمونية وهي محفوظة في سنهادوس مار عريغور وفي رسالة مار ايليا مطران نصيبين وفي كتاب الاحكام الكنسيَّة لعبديشوع الصوباوي

اما ما كان من امر بابوي فانه هو ايضاً عقد مجمعاً في المدائن وحرم برصوما ورفاقه وكان مجمعه مؤلّفاً من اساقفة الابرشية البطريركية واسماؤهم: ميهرنرسا اسقف زابي وشمعون اسقف الحيرة وموسى اسقف پيروزشابور ويزدجرد اسقف بيتدارايي ودانيال اسقف كرمي (١). وفي تلك السنة عينها صار اضطهاد على النصارى في اطراف المدائن. فمن امتنع من تسمية الشمس الاهاً عُذّب (٢). والمظنون ان المحرّك الى هذا الاضطهاد كان برصوما ورفاقه. لانهُ كان محصوراً بالابرشية البطريركية ولأن برصوما كان معزّزاً عند ملك الفرس الذي فوّض اليهِ الحكم على نصيبين وما يليها (٣) ولعلّهُ قد سُعي ببابوي عند پيروز الملك انهُ متفق مع المملكة الرومية ضد المملكة الفارسية

ولما راى بابوي ما هو فيهِ من البلاء كتب الى زينون الملك (٤) كتاباً يشكو بهِ ما اصاب رعيتهُ من الجور والظلم وسالهُ مكاتبة پيروز في تخفيف الاذى. وفي هذه الرسالة يسمي دولة الفرس دولةً فاجرة (ܡܠܟܘܬܐ ܕܥܘܠܐ). وارسل الكتاب مع رسول جعلهُ في جوف عصاه. ولمّا وصل الرسول مدينة نصيبين وقف على امره بعض الناس فاحتالوا عليه واخذوا منهُ الكتاب وانفذوه الى پيروز الملك. وقيل ان برصوما نفسهُ فعل ذلك. غير ان شمعون الارشاميّ برسالته في برصوما ودخول النسطرة في بلاد الفرس (٥) يسكت عن ذلك. فاحضر پيروز بابوي

---

(١) فيه ايضاً ٥٩ و٥٣٤ (٢) التاريخ السعردي 2 : ٩ وماري ٤٢.
(٣) عمرو ٣١ (٤) راجع المصادر المذكورة في بداية الفصل
(٥) في السمعاني 2 : ٣٤٦ – ٣٥٨

وعرض عليهِ الكتاب مختوماً بخاتمهِ. فاعتذر مَن حضر من النصارى. والجاثليق نفسهُ اعتذر وقال: « اني اصلّي دائماً لاجل الملك وادعو لهُ واحبُّهُ. » فاجابهُ الملك: « ان ذنبك اعظم من ان يُغفر. فان كان ما ذكرتهُ عن محبتك لي صحيحاً اسجد للشمس. » ولما امتنع امر بتعليقه من اصبعه التي فيها الخاتم الذي ختم به الكتاب. فأُخرج خارج المدائن وعُلِّق بخنصره حتى مات. واخذ قوم من الحيرة جسده ودفنوه في مدينتهم. وكان استشهاده في نهاية حزيران او اوائل تموز من سنة ٤٨٤ اي بضعة اشهر بعد مجمع بيت لاباط

وكانت مدة بابوي في الجثلقة نحو ٢٧ سنة لا ١٥ سنة كما قال ماري وعمرو. فان ايليا النصيبيني كتب عنهُ انهُ جلس على الكرسيّ في عهد مرقيانوس الملك اي في سنة ٤٥٦ او ٤٥٧ وقُتل في السنة ٢٦ لپيروز (١). والتاريخ السعرديّ قال عنهُ انهُ دبّر الكرسيّ اكثر من عشرين سنة

ومن بعد شهر او شهرين من قتل بابوي قُتل الملك پيروز ايضاً (٢). فانه اغار على الهياطلة ليزيل عنهُ العار الذي لحقهُ منهم اذ كان ماسوراً عندهم. وقبل خروجهِ من المدائن امر المرزبان ان يهدم الكنائس والاديرة. ومن جملة ما هدم مدرسة مار عبدا وقتل پيروز في طريقه ثلاثمائة نفس من النصارى. فحاربهُ الهياطلة شديداً وقتلوا اكثر رجالهِ وهرب الباقون. وفزع پيروز ان يؤخذ اسيراً فانتحر

وفي وسط تلك الاضطهادات والمنازعات كان بعض الرهبان الاتقياء الغيورين ينشرون الديانة النصرانية بين المجوس الوثنيين. والذي اشتهر منهم في ذلك العصر هو مار سابا

ان هذا القديس (٣) كان من قرية بيت كُلّايي في بلاشپار من اعمال حلوان. وكان ابوه يُدعى شاهرين من آل ماهان العظيم وكان متعصّباً بالمجوسية واسم امّهِ

---

(١) والاصحّ ٢٧. فان مجمع بيت لاپاط عُقد في هذه السنة. وبعد عقده قتل مار بابوي كما رايا

(٢) التاريخ السعردي ١٥ — ١٦. وماري ٤٢ — ٤٣

(٣) بيجان ٤ : ٦٣٥ — ٦٨٠. واشهر شهداء المشرق ٢ : ٣٨٤ — ٣٩٦

دارانوش . وكانت تميل الى النصرانية . ودفعته الى موضعة مسيحية اسمها كوشتزير . ثم ان اباه جعل موهپاطاً في بيت داراپي في بلاد الكوسيين . فانتهز الصبي الفرصة وانقطع من مدرسة المجوس جاعلاً سيره اليومي الى بيعة النصارى . فعمّذوه وسمّوه سابا وكان اسمهُ قبلاً كوشتزداد ثم مات ابوه . ولمّا قرب عيد المجوس ارسل عمّه يطلب الصبيّ لينوب عن ابيه في تلك الاعياد . فامتنع سابا وعرف عمّه انهُ قد تنصّر . فغضب على ابن اخيهِ وعذّبه وحبسه . لكنه لم يلبث ان خرج من الحبس

ولمّا مات عمّه اعتنقت امّه ايضاً الديانة المسيحية ودخلت دير الراهبات فوزّع سابا كلّ امواله على المساكين . ودخل المدرسة وانعكف فيها مدة سنتين على العلوم المسيحية وممارسة الفضائل

ثم انتقل من المدرسة الى موضع يُعرف بشردا الى جانب نهر سيني الذي يصب في تورمارا . وقدم عليهِ هناك راهب اسمه كليليشوع وبقي عنده وصار يحثّه على الخروج للانذار بكلمة الله ولنوال اكليل الاستشهاد في الاضطهاد الذي اثاره المجوس على النصارى . وانطلق سابا الى مدينة حالي في ارض رادان وكرز بالانجيل ورجّع خلقاً كثيرًا الى الديانة المسيحية . وزاره هناك ميخا اسقف لاشوم مع تلميذَيه شمعون وبيشهريغ ورسمه كاهناً . ولزم بيشهريغ مار سابا وتلمذا سويةً كل المدينة ونصّرا ايضاً الموهپاط وشيّدا هناك كنيسة . ولم يزالا يطوفان البلاد المجاورة ويصنعان العجائب ونصّرا خلقاً كثيرًا ولا سيّما في دوما وإيليشقار . ثم توغّلا في الجبل وقد صحبهما عدة تلاميذ . فالتقى بهم الاكراد واسروهم . لكنّ القديس شفى مرضاهم ونصّرهم كلهم واستودعهم كاهناً اسمه شوحالماران . وشيّد هذا الكاهن هناك ديرًا . ثم نزل سابا من الجبل واخذ يطوف المدن والقرى ويلقي فيها زرع الانجيل ويشيّد كنائس واديرة . وبنى لهُ مظلّة في نهرزور حيث بقي مع رفيقه بيشهريغ ثلاث سنوات وستة اشهر وتوفي سنة ٤٨٨ . وعلى عهد شيروي الملك (سنة ٦٢٨) صار قحط في بيت أرماپي وعقبه موتان شديد . فاقفر ذلك المكان . حينئذٍ اخذ القس داود عضوًا من جسد مار سابا وذهب به الى بيت دقلا في بيت كرماي وبنى هناك هيكلاً ووضعه فيهِ

الفصل الثاني عشر

اقاق الجاثليق (٤٨٥ — ٤٩٦) وبرصوما مطران نصيبين
المجمع الكلداني الخامس (٤٨٦)

پيروز كان لهُ ابنان بلاش وقباذ (١) . فوقع الخلف بين الفرس في من يملكونهُ عليهم . ثمّ اتفقوا على بلاش . فاحسن هذا الملك الى النصارى فشيّدت الكنائس على ايامه . وقدر نصارى المدائن ان ينتخبوا لهم جاثليقاً مكان بابوي . ورسموا اقاق سنة ٤٨٥ . وكان من قرابة بابوي كما ذكر هو نفسه في رسالته الى برصوما (٢) . وتعلّم في مدرسة اورهاي مع نرساي وبرصوما ورفاقهما (٣) . فترك اورهاي وذهب الى المدائن وعلّم فيها وساعد بابوي على برصوما . ولما صار جاثليقاً لم يبطل الشقاق من الكنيسة . فان برصوما واصحابه قاوموه وطعنوا به وقرّفوه باشنع الجرائم لكنه برّأ نفسه ورفع عنه كل شبهة

وهذا الشقاق لم يدم كثيرًا بين اقاق وبرصوما فانّ انتشار المنوفيسيتيين في الكنيسة الكلدانية حملها على المصالحة . فالتقى القبيلان في بيت عذراي من بيت نوهدرا في شهر ايلول (٤) سنة ٤٨٥ . ودام الحديث بينهما طويلًا . اخيرًا قدّم برصوما وحزبه الطاعة . وأبطل كلّ ما كتبه في بيت لاپاط ضدّ بابوي الجاثليق . ووقع رايهم على ان يعقدوا مجمعاً في المدائن فيه يصلحون امور الكنيسة

وعُقِد هذا المجمع في شهر شباط سنة ٤٨٦ . غير ان برصوما لم يحضره . ولذلك جرت مخابرات طويلة بينه وبين الجاثليق . وهاك ما جرى بينهما

ان اقاق كتب الى برصوما يدعوه الى المجمع كما كان قد وعد . واخذ ايضاً امرًا من الملك وارسله اليه . اما اسقف نصيبين فاستعذر ولم يحضر ومن جملة ما

---

(١) التاريخ السعردي ص : ٣٠

(٢) فيه ٢٠ وعمرو ٣٥ (٣) فيهما ايضاً ٢١ و٣٥ وماري ٤٣

(٤) السنهادوسات مجمع اقاق ٥٣ . واما في رسالة برصوما الى الاساقفة (فيه ٥٢٦) فموضاً عن ايلول مكتوب آب

ذكره هو انّ المجاعة سائدة منذ سنتَين في نصيبين واطرافها وان العرب الخاضعة للفرس هجمت على بلاد الروم ونهبت . فلذلك استعدّ الروم للغارة على بلاد الفرس . وانه (اي برصوما) على طلب المرزبان قرداغ نكُّور كان ترجى من القائد الروميّ ان يأتي الى نصيبين لعقد الصلح. وبينما كان هذا القائد في نصيبين في شهر آب (سنة ٤٨٥) حمل العرب الخاضعون للفرس مرّة ثانية على اراضي الروم ونهبوها . فظنّ الروم ذلك مكيدةً . ولاجل هذا لم يتمّ الصلح. ثمّ ان برصوما ينصح الجاثليق ان يؤخر عقد المجمع ويذهب بالسفارة من قبل بالاش الى بلاد الروم

فكتب له اقاق ثانيةً والحّ عليه بان يحضر المجمع وانّ الامور التي ذكرها ليست كافية لتمنعهُ عن الحضور. فكتب برصوما ثانيةً واقرّ انّ قوانين مجمع بيت لاپاط هي ضدّ الديانة المسيحيّة. وان ضميره يوبّخه على ما فعل ويطلب الغفران من الله ويعد انه لن يزال الى الممات خاضعاً لكرسيّ ساليق. ثمّ يأتي بتعلّلات جديدة ويقول للجاثليق : « انّ نصيبين هائجة الآن كالبحر ومائلة الى العصيان. فاذا لم تكتب سريعاً وتحرم اهل نصيبين لا انا اقدر ان امكث في هذه المدينة ولا هي تبقى في حكم الفرس. وان اهل نصيبين هم الذين حملوني في الماضي على العصيان عليك وعلى سلفك. والمرزبان الذي هنا يساعد العصاة لانّهُ لا يعرف افكارهم الشريرة. واذا عرّفتهُ انا عن احوالهم اخاف ان يأمر الملك بقتل جميع النصارى. فالاحسن ان يُكتم هذا الامر عن الفرس. فاحرم انت اهل نصيبين وخوّفهمْ وقل لهم انهُ ان لم يرجعوا عن فكرهم تكشف قداستك امرهم للملك ورجال دولته »

ولم يقبل اقاق هذه المرّة ايضاً عذر اسقف نصيبين. بل استدعاه ثالثةً الى المجمع واخذ رسالةً من الملك بالاش الى حاكم نصيبين فيها يأمره ان يرسل برصوما الى المدائن. فاجابهُ برصوما انهُ لا يقصّر ابداً في ما يؤول الى الخير وليس هو من المسبّبين لجعل رئاسته عقيمة. ويرغب في ان تصطلح الامور باقرب مدّة. غير انّ الاسباب التي ذكرها في رسالته الاولى تمنعه هو واساقفته عن حضور المجمع . ومع ذلك فهو يطيع معهم ويسلّم لاحكام المجمع ومقرّراته. واقنع برصوما الحاكم ليكتب عنهُ الى الملك انهُ من المحال ان يخرج من نصيبين ما لم تُحسم مسألة الحدود بين الروم والفرس.

والظاهر انّهُ في تلك الاثناء انطلق معنا مطران راوردشير الى نصيبين . ولعلّ الداعي الى ذهابه هو ان يُقنع صديقه برصوما ليجيب الى سوءال الجاثليق ويحضر المجمع . فانّ اسقف نصيبين كتب رابعةً الى مار اقاق قائلًا: « ان مار معنا اخبرني عن غيرتك واهتمامك بامر الايمان الصحيح وعمَّا يصير لك من المصاريف الباهظة لاجل خير الكنيسة . فارسلتُ معهُ لقداستك مائة دينار . واني مستعدّ ان ابعث من الآن فصاعداً كلّ سنة خمسين ديناراً لقداستك . فارجو ان تقبلها مني » (١)

ولسنا نعرف هل ان هذه الامور التي ذكرها برصوما في رسائله هي التي منعته بالحقيقة من الذهاب الى المدائن ام انهُ لم يرد ان يمثل بين يدي اقاق فاحتجّ بها . وكيفما كان الامر فان بعض الاساقفة الذين كانوا من حزبه حضروا المجمع وبعضهم امضوا بعدئذٍ مقرراته . والاساقفة الذين امضوه كانوا خمسة وعشرين وهذه اسماوءهم :

اقاق الجاثليق(٢)وبابا (بيت لاباط) ونانى (پرات ميشان) ويُرُومي (مرو) ويوحنان (بيت سلوخ) وبطي (هرمزداردشير) وأبيشوع (كشكر) وشمعون (الحيرة) ويزدجرد (دارابي) ويُوسي (شوشتر) وميخا (لاشوم) وابراهام (ماداي) ونوح (بلاشپار) واسحاق (كرخ ميشان) وابراهام (تحل) وبابا (اريون) وموسى (پيروز شابور) ودانيال (كرمي) وكودنوز (حربغلال) وأپراهاط (بيت بغاش) وهوشاع (كنزك في آذوربيجان) . وامضى ايضاً شيلا الشماس الكاتب عن ميهرنرسا اسقف زابي . ونرسا الشماس الكاتب عن باغيش اسقف ريما ويوسف القس الكاتب عن ايليا اسقف نهركور . وابراهام القسيس عن يوسف اسقف الريّ

ان مجمع اقاق رسم ثلاثة قوانين . القانون الاول هو ضد المنوفيسيتيّين وقد اتى فيهِ ان اباء المجمع سمعوا انهُ يوجد في بيت أرمايي أُناس كثيرون عليهم زيّ الرهبان وهم بعيدون عن هذه الدعوة . فانهم يطوفون البلاد ويغشّون العقول السليمة بزرعهم بذور الهرطقة ويمنعون عن الزيجة . فحذراً منهم اثبتوا الايمان مثلما اثبتوه في بيت عذراي في حدياب محدّدين ان الثالوث الاقدس إله واحد بثلاثة اقانيم وان في

---

(١) السنهادوسات ٥٣٠ (٢) فيه ٥٩ — ٦٠

المسيح طبيعتين بشخص واحد (ܩܢܘܡܐ) من دون بلبلة وامتزاج ولا اختلاط

وفي القانون الثاني حكموا ان يسكن هؤلاء الرهبان في المواضع البعيدة من القرى والمدن لِئلّا يفسدوا رسوم البيعة ويلقوا الخلف والشقاق بين المؤمنين . وحرموا كل من يخالف هذه الرسوم

وفي القانون الثالث أثبت المجمع قوانين مجمع بيت لاپاط في الزيجة . فاباح للكهنة والشمامسة ان يتزوّجوا وحذّر الاساقفة ان يمنعوا الكاهن البتول او الارمل من التزوج اذا طلب . واما الذي يريد ان يترهب ويعيش بتولاً فعليهِ ان يُقيم في الاديرة خارج المدن والقرى . وممّا حمل الاساقفة على هذا القانون بخصوص زيجة الاقليروس هو فساد الاقليروس نفسهم وما لحق من العار بالنصرانيــة لدى غير المؤمنين كما يصرّح بذلك المجمع نفسه اذ يقول : «كفى مــا مضى من البلايا في الرعية ومن الفجور حتى سمع به الغرباء ايضاً . »

غير ان مجمع اقاق لم يأتِ بالاثمار المطلوبة . فان الخصومة ضربت ثانيةً اطنابها بين اقاق وبرصوما سنة ٤٩١ (١) . وذكر مجمع باباي الجاثليق ان اسبابــه كانت بشرية . والبائن ان المحرّك الاول كان اقاق نفسه . فانّه لا بدّ من انّه غضب على اسقف نصيبين لعدم حضوره المجمع . ولم يستصحبه معه في ذهابه بالسفــارة الى زينون ملك الروم . الامر الذي شقّ على برصوما

ان جميع المؤرّخين الشرقيين يذكرون ان اقاق أُرسل بسفــارة الى زينون الملك (٢) . ولكن لم يكن على ايام پيروز الملك كما زعم مــاري وعمرو وابن العبري بل بعد موته اي على زمان بالاش كما يشير الى ذلك جليًّا برصوما في رسالتهِ الثانية الى مار اقاق (٣) . وكانت هذه السفارة إمّا في سنة ٤٨٦ التي فيها عُقِد مجمع اقاق في المدائن او بعدها . قال عمرو والتاريخ السعرديّ انّ الملك زينون أعزّ مار

---

(١) اتى هذا التاريخ في مجمع بابوي ٦٣ حيث قيل في السنة الرابعة لقباد ولكن اتى فيه ايضاً ٦٥ في السنــة السابعة لقباد (السنة ٤٩٤ م) فاما ان لفظة الرابعة هي غلط من الناسخ واما لفظة السابعة

(٢) ماري ٤٣ . وعمرو ٣٥ . والتاريخ السعردي ٢١ . وابن العبري ك : ٧٥

(٣) السنهادوسات ٥٢٧

اقاق واكرم مثواه واجابةً لالتماسه ردّ الاساقفة (الكاثوليكيّين) الذين نفاهم. واماً ماري فمع زعمه ان اقاق استصحب برصوما الى بلاد الروم يضادد نفسه بقوله ان اقاق عاد على حوم مطران نصيبين لان بطريرك الروم واساقفته ذمّوه على سكوته عن قتل بابوي. وكذا اتى في تواريخ ابن العبريّ. وكانت وفاة اقاق سنة ٤٩٦ بعد ان جلس على الكرسي ١١ سنة وبضعة اشهر (١)

اماً برصوما فالظاهر انهُ هو ايضاً توفّي سنة ٤٩٦ او في نهاية سنة ٤٩٥. وقد اتى في تواريخ ايليا النصيبيني في الحاشية ان هوشاع خليفة برصوما في السنة التي صار فيها اسقفاً وضع القوانين لمدرسة نصيبين. فالقوانين المذكورة وضعها هوشاع في ٢١ تشرين الاول سنة ٤٩٦. وقد اتى في تواريخ ابن العبري وماري ان برصوما مات قبل مار اقاق

الفصل الثالث عشر

حكاية اليعاقبة عن برصوما مطران نصيبين

ان برصوما كان فعّالاً ثاقب العقل شديد الحميّة ولولاه لتسلّطت المنوفيسيتيّة على الكنائس الكلدانية. ولهذا ابغضهُ اليعاقبة ورشقوه باقبح الالقاب منها ܒܪܡܣܢܐ (٢) اي ابن النعل و ܛܡܐܐ (٣) النجس و ܛܘܦܢܐ ܕܚܘܒܐ طوفان الاثم و ܣܟܝܢܐ ܕܐܟܠܩܪܨܐ سكين الشيطان (٤) وسندوا اليهِ اشنع الافتراءات. منها انهُ كان سفاكاً وقد قتل ٧٧٠٠ نفس

وقد كتب عنه ابن العبري ما تعريبهُ (٥): « ان برصوما اسقف نصيبين ومعنا مطران فارس ونرساي كانوا ينذرون بالنسطرة ويشيرون على الاساقفة ان يتزوّجوا. وبرصوما نفسهُ تزوّج براهبة. ولما اتصل الخبر بالاساقفة الغربيّين كتبوا الى بابوي الجاثليق وكدّروه على هذه الاعمال. فجاوبهم الجاثليق قائلاً: لكوننا عائشين في

(١) غلطاً يقول ماري ان جثلقتهُ دامت ١٥ سنة

(٢) ابن العبري ܟ : ٦٩ (٣) شمعون الارشامي في السمعاني ܓ : ٣٥٣

(٤) ميخائيل ٤٢٥ (٥) ابن العبري ܟ : ٦٣ — ٧٨

مملكة فاسقة لا تقدر ان تقاصص المتجاسرين ». ووقعت الرسالة بيد برصوما فارسلها الى بيروز الملك وأتهم جاثليقة بالخيانة. فامر الملك بصلب بابوي. ثم قال برصوما لبيروز : ان النصارى الذين في بلادك ايها الملك لن يزالوا متفقين مع الروم ومائلين الى خيانتك ما داموا على دين واحد مع أولئك. وقد كان للروم بطريرك عالم عاقل اسمهُ نسطوريوس. وهذا كان يحب شعبك ومملكتك الفارسية . ولاجل ذلك ابغضهُ الروم وانزلوه عن كرسيه. فان سمحت لي جلالتك اني اجبر جميع النصارى الذين في مملكتك على اتباع راي ذلك الرجل العظيم. وحينئذٍ تقع البغضة بينهم وبين الروم. فاجاب بيروز الى سؤاله. واخذ برصوما معهُ جيوشاً فارسيّة ودخل بيت كرماي وقتل خلقاً كثيراً. ثم توجه نحو تكريت. لكن اهلها نازعوه ومنعوه عن الدخول اليهم. واتى الى اربيل. فهرب من قدامه مطرانها والتجأ الى دير مار متى في جبل الياب. فتبعهُ برصوما ودخل الدير. فانهزم الرهبان واختفوا في المغائر. فقبض على برساهدي مطران الدير وعلى اثني عشر من الرهبان الذين لم يمكنهم الهرب وكبلهم بالاغلال وارسلهم الى نصيبين وحبسهم في بيت احد اليهود. اما هو فنزل الى نينوى وقتل في دير بيزانيثا تسعين كاهناً. وانطلق من هناك الى بيت نوهدرا واراد التسلّق الى مغارة شموئيل . غير ان صلوات هذا القديس منعت دابّته عن المشي. فرجع وقصد بيتَ عذراي حيث عقد مجمعاً من الاساقفة ورسم قوانين فاسدة فيها سمح للاساقفة ان يتزوّجوا . وجمع ايضاً مجمعَين اخرين واحداً في المدائن والآخر في كرخ سلوخ في بيت يزدين الصرّاف. ووضع قوانين موافقة لرايه وقد فنّدها القديس اخسنايا في كتابين ضخمين. ويقال ان الذين قتلهم برصوما من المؤمنين (اي المنوفيسيتيّين) بلغ عددهم ٧٧٠٠ نفر. وعزم برصوما ان يدخل ايضاً بلاد الارمن ليزرع فيها هرطقته. لكن المرازبة منعوه وهدّدوه بالقتل فرجع الى نصيبين حيث قتل برساهدي مطران نينوى هو والرهبان الذين معهُ. ثمَّ ان الاساقفة الذين هربوا من قدام برصوما اجتمعوا خفيةً في المدائن وانتخبوا اقاق جاثليقاً. فلمّا بلغ ذلك برصوما ومعنا مطران فارس هدّداه بالقتل ان لم يوافق رايهما. فسلّم لهما خوفاً وجمع مجمعاً ثبتت فيهِ التعاليم النسطوريّة »

هذا ما قالهُ ابنُ العبري عن برصوما وهو مأخوذ ممّا اتى في تواريخ ميخائيل

اليعقوبيّ . وهاك عنوان الفصل (١) : الفصل التاسع وفيـه رسالة مار يوحنان البطريرك الى ماروثا مطران تكريت ورسالة ماروثا الى يوحنان وهي تحوي ما جرى قبلًا على المؤمنين (المنوفيسيتيين) من الاضطهاد على يد برصوما اسقف نصيبين. وفي رسالة ماروثا هـذه الى بطريركه يقول هكذا : « انّك طلبت منّا قصّة اضطهاد برصوما. فاعلم يا رئيس الروسآء ان جميع القصص الأُولى التي كانت في الدير (دير مار متى) احرقها مع الدير برصوما النجس. وهـذه القصّة ليست موجودة في كل مكان . فـانّ العلماء والمؤلفين استشهدوا في ذلك الزمان. ولكن لئلّا نكون مقصّرين عن طلب غبطتكم نكتب قليلًا ممّا اتصل بنا شفاهاً من الشيوخ الصادقين الذين هم ايضاً سمعوا هذه الاشياء من آبائهم »

ثمّ ان ماروثا يتكلّم عن نسطور وعن احراق ربولا كتب تئودوروس اسقف مصيصة والتجاء تلاميذ مدرسة اورهاي الى نصيبين. وانّ آبآء مجمع افسوس الثاني (المعروف بمجمع اللصوص) استدعوا بابوي ولم يمكنـهُ الحضور خوفاً من الفرس. فكتب رسالة الى ديوسقوروس رئيس المجمع معتذراً. ووقعت الرسالة بيد برصوما. فاخذها وذهب توًّا الى پيروز الملك وسعى ببابوي انهُ جاسوس الروم. وقبض برصوما على الجاثليق وجبره ان يعتنق مذهب نسطور. ولمّا لم يقبل امر بقطع لسانه ثم رأسه. وجعـل پيروز برصوما جاثليقاً مكان بابوي. ثم انّ ماروثا يذكر ما اتى به برصوما من المنكرات في بيت كرماي واثور وقد سبق ذكر ذلك عن ابن العبري

فترى ان حكاية اليعاقبة هذه عن برصوما قد اخترعوها بعد قتل بابوي الجاثليق بمائة وستين سنة . وهي ملفّقة لا يُعتمد عليها ابدًا (٢). وفي قول ماروثا تصنع ظاهر. اذ يعلن انّ ما يكتبه عن برصوما ليس مدوّناً في بطون الاوراق بل انما قد سمعهُ من الشيوخ وهؤلاء قد سمعوه من آبائهم. وما عدا هذا فانّ في التقليد اليعقوبي اغلاطاً كثيرة تاريخيّة ومضاددات شتى منها :

---

(١) ميخائيل ٤٢٣ — ٤٢٧ و٤٣٩ — ٤٤٠

(٢) راجع ايضاً لابور ١٣٣ — ١٣٧ وترجمة تواريخ ميخائيل لشابو : ٤٣٦ ح ٢ و٤٣٩ ح ٢

١ً ان بابوي استُدعي الى مجمع افسوس الثاني وكتب رسالة الى ديوسقوروس بطريرك الاسكندريّة الذي كان رئيس المجمع المذكور. وانّما من اجل هذه الرسالة قُبض على بابوي وقُتِـل . والحال ان مجمع افسوس المعروف بمجمع اللصوص عُقِد سنة ٤٤٩ اي نحو ثماني سنين قبل جلوس بابوي و ٣٥ سنة قبل قتله (١) فتأمل

٢ً ان برصوما بعد قتل بابوي صار جاثليقاً . فمن تراه لا يستقبح هذا الخطا التاريخي

٣ً انّ مطران نصيبين جمع مجمعاً في كرخ سلوخ في بيت يزدين الصراف مع ان يزدين المذكور كان على عهد خسرو الثاني (٥٩٠ — ٢٢٨) (٢) وعلى زمان ماروثا ملفق هذه الحكاية

٤ً ان برساهدي مطران اربيـل هرب من قدام برصوما . والحال ان مطران اربيل في تـلك الاثناء كان عبوشطا وهو رفيق برصوما وكان موافقاً لهُ في آرائه النسطوريّة

٥ً ان برصوما قتل برساهدي مطران دير مار متى . فترى من هو هـذا برساهدي .وفي ذلك العهد لم يكن يجلس مطران لا في هذا الدير ولا في غيره من الاديرة . بل انّهُ بعد انتشار اليعقوبيّة في بلادنا بدأ الاساقفة اليعاقبة يجلسون في الاديرة وذلك من الضرورة لانـهُ لم يكن لهم في اوّل الامر كراسي اسقفية في المدن. وبقيت هذه العادة عندهم الى يومنا هذا

٦ً ان النسطرة انّما بالقوة الجبرية أُدخِلت في كنائس الفرس وان اقاق الجاثليق خوفاً من القتل قبل النسطرة. وهذا مخالف لما اتى في تواريخ اليعاقبة نفسها . فانهُ منذ عهد هيبا كانت النسطرة قد زُرِعت في بلاد الفرس (٣)

٧ً ان برصوما في مجمع بيت عذراي رسم قوانين مخالفة للنصرانية وسمح للكهنة ان يتزوّجوا . والحال ان برصوما وضع هذه القوانين في مجمع بيت لاپاط (٤)

---

(١) بابوي دبّر الكرسي من سنة ٤٥٧ الى سنة ٤٨٤

(٢) راجع لابور ٢٣٠ — ٢٣٥ (٣) انظر ص ١٣٥

(٤) انظر ص ١٤٣

واما في بيت عذراي فتصالح مع مار اقاق (١)

٨ً ان التقليد اليعقوبيّ يخلط بـين معنا رفيق برصوما ومعنا الذي جلس على كرسي المدائن سنة ٤٢٠. مع انهما شخصان لا شخص واحد (٢)

٩ً من الذين يكذّبون هذه الحكاية اليعقوبيّة عن برصوما اليعاقبة انفسهم الذين كانوا معاصرين لبرصوما . فانّ شمعون اسقف بيت ارشام المنوفيسيتيّ برسالته في اسباب دخول النسطرة في بلاد فارس لم يذكر شيئاً ابدًا عن اضطهاد برصوما ومنكراتـه . وقضى شمعون اكثر حياتهِ في المملكة الفارسية وكتب رسالتهُ المذكورة نحو سنة ٥١٠ (٣) اي ١٤ سنة بعد وفاة برصوما . فلو كانت الامور التي أسندوها الى مطران نصيبين صحيحة لما سكت عنها . فانها كانت لهُ اقوى سلاح للطعن به . والامر الغريب انـهُ لم يعطِ ادنى اشارة الى مداخلة برصوما في قتل بابوي

وخلاصة الكلام ان التقليد اليعقوبي عن برصوما الذي حفظهُ ميخائيل البطريرك وابن العبري ملفّق مصنّع . وكل ما نقدر ان نثبته عن اسقف نصيبين المشهور هو انهُ :

اولًا : لولاه ولولا رفـاقهِ لتسلّطت المنوفيسيتيّة على كلّ كنائس فارس . فاجتهد وتوفّق وطرد من هذه البلاد أخسنايا وتلاميذه الذين اتوا من اورهاي وبدأوا ينذرون بتعاليمهم . ولم يمكنهم ان ينشروها الا في مدينة تكريت . ويُحتمل انهُ في هـذه المنازعات صار سفك دم قليل . لكن قول ميخائيل وابن العبري عن قتل ٧٧٠٠ او ٧٨٠٠ نفر مردود بالكلية وهو خيالي لا غير (٤) وان اخسنايا انتقاماً مما اصابهُ من الخزي والعار في وطنه لمّا رجع الى اورهاي بذل جهدهُ بقفل مدرسة أورهاي وتوفّق . فان زينون الملك امر بهدمها سنة ٤٨٩ وبنى مكانها كنيسة على اسم سيدتنا والدة الله (٥)

ثانياً انهُ لضعف رأي بابوي الجاثليق ومن اجل القلاقل التي جرت على ايامه من

---

(١) انظر ص ١٤٧ (٢) انظر ص ١٣٩

(٣) السمعاني ٤ : ٣٦١ (٤) راجع ايضاً لابور ١٤٠

(٥) شمعون الارشامي والتاريخ الاورهاوي في السمعاني ٣٥٣ و٤٠٦

سوء تدبيره رفع عليه برصوما صوتــه وتحزّب له اكثر الاساقفة وعقد مجمعاً في بيت لاباط فيه حرم بابوي ووضع قوانين سمح فيها للكهنة ان يتزوّجوا بعد الرسامة. وصار هو نفسهُ قــدوةً في ذلك. فانّهُ تزوّج براهبة اسمها ماموي. ولقد اجتهد النساطرة عبثاً بتبرأة برصوما من هذا الزواج الغير القانوني (١)

الفصل الرابع عشر

قباذ الملك (٤٨٨ — ٤٩٦) زماسب الملك (٤٩٦ — ٤٩٨)

باباي الجاثليق (٤٩٧ — ٥٠٣) المجمع الكلداني السادس (٤٩٧)

ذكرنا ان الفرس بعد موت ملكهم بيروز سنة ٤٨٣ ملّكوا عليهم بالاش. فثقل ذلك على قباذ اخيه وقصد ملك الهونيين المعروفــين بالهفتاليّين الساكنين في بختريانة واطرافها. فاكرموه وارسلوا معهُ جيشاً لمقاتلة اخيه. فلما صار قباذ في المدائن وجد بالاش قد مات. وقيل سملوا عينيه وقتلوهُ. فملك قباذ بدون مشقّة سنة ٤٨٨. وكان هذا الملك مغرماً في بناء المدن والقرى والجسور وحفر الانهر. ومال نظير اخيه بالاش الى النصارى واطلق لهم الحرية ببناء الكنائس والاديرة. ومما اتصف به انّهُ تمسّك بمذهب مزدق الذي زعم ان الاموال والنساء مبذولة للجميع وافرغ جهده بتقوية هذا المذهب. وغايته في ذلك ان يكسر نفوذ الاشراف ورؤساء المجوس. بتنقيص اموالهم وقطع شجرة نسبتهم. فاضطرب المجوس والاكابر وسألوه العدول عن هذا المذهب الغريب. ولم يصغِ الى كلامهم. فاحتالوا على قتله ولكنهم اخيراً خلعوه والقوه في الحبس. وملّكوا مكانه اخاه زماسب سنة ٤٩٦ (٢). فاضطهد زماسب رعايةً للاشراف والمجوس مذهب مزدق واجتهد في ابادته وحمل النصارى على مساعدته

---

(١) ماري ص ٤٥

(٢) نيلديك في الطبري ٤٥٥ — ٤٦٧. والتاريخ السعردي ك : ٣٢ — ٣٣. والطبري طبعة استانبول ك : ٢٠٥ وما يلي

وكان برصوما قد فصل الكنيسة الفارسية عن كنيسة انطاكية . ومما ساعده على هذا هدم مدرسة الكلدان في اورهاي سنة ٤٨٩ . فان خراب هذه المدرسة الشهيرة قطع كل علاقة دينية بين الروم والكلدان النصارى . فلم يعد ملوك الفرس يشكّون في صدق النصارى الذين في مملكتهم . ولم يعودوا يضطهدونهم بغضةً بالروم بل لاطفوهم واتخذوا منهم عمّالاً وكتّاباً كثيرين . وجرت العادة عندهم ان يكون أطباءهم وصيارفتهم ومنجموهم من النصارى . فصارت امور الكنيسة تجري اغلب الاوقات على هوى هؤلاء الرجال الذين هم على باب الملك

والظاهر ان برصوما صار له حزب قويّ بين الاساقفة حذوا حذوه في الزواج . فان باباي بن هرمزد مع كونه متزوّجاً وله امراة واولاد انتُخب وصار جاثليقاً مكان اقاق سنة ٤٩٧ . وكان شيخاً جليلاً من المدائن وكاتباً لزبركان مرزبان بيت أرمايي (١) . والذي امر بانتخابه الملك زماسب نفسه على طلب منجّمه موسى (٢) الذي كان من قرابة باباي . وقال عنهُ التاريخ السعردي انهُ كان فهماً عاقلاً . وكتب عنهُ ابن العبري انهُ كان قليل العلم . اما ماري فقال انهُ كان امياً لا يكتب ولا يقرأ . غير ان شخصاً امياً حسب قوله لا يصير كاتباً . وكيفما كان الامر فانّ باباي دبّر الامور بكلّ فطنة وحكمة

ولما جلس باباي الجاثليق كتب اليهِ زماسب الملك يأمره ان يجمع اساقفته ويضعوا للاقليروس قوانين في الزيجة الشرعيّة وميلاد البنين (٣) . فاجتمع الاساقفة في تشرين الثاني السنة الثانية لزماسب (سنة ٤٩٧) وجدّدوا ما رُسم في امر الزواج في مجمع برصوما المعقود في بيت لاپاط وفي المفاوضة التي بدأت في بيت عنداي على ايام اقاق الجاثليق وتمّت في بيت أرمايي . فسمح المجمع لجميع الاقليروس حتى للبطريرك ان يتزوّجوا

ان الخصومة التي كانت بين اقاق وبرصوما دامت بعد موتهما بين الاساقفة المتحزّبين لهما . وقد تولّد من ذلك اضرارٌ كثيرة في الكنيسة . فان أناساً بدون

(١) التاريخ السعردي ف: ٣٧ . وشمعون الارشامي عند السمعاني ١ : ٣٥٨

(٢) ماري (ص ٣٥) يكتب ماسوي . فلعلّ ماسوي تحريف موسى او موسى تحريف ماسوي

(٣) السنهادوسات ٦٣

انتخاب ومن دون استحقاق بل بالقوة الجبرية صاروا اساقفة . غير ان هوشاع خليفة برصوما على كرسي نصيبين اراد الصلح مع الجاثليق اذ انهُ حضر المجمع وقدَّم لهُ الطاعة (١) فأبطل المجمع كلّ ما جرى بين برصوما واقاق من المكاتبات والحروم وامر بتمزيقها ورشق بالحرم كلّ من يحفظها عنده (٢) . ثم ان المجمع حكم ان يكون اجتماع الاساقفة عند الجاثليق مرّةً في كلّ اربع سنوات وذلك في تشرين الاول (٣) . واثبت ما اتى في المجامع الاولى عن التمسك بطاعة الكرسي الرسولي الذي في بيعة كوخي الكبرى في المدائن . وكان يزيداد مطران راوردشير قد امتنع من الحضور . فامهلهُ المجمع سنةً حتى يأتي ويقدّم الطاعة لمار باباي والا فيكون محروماً . والمنوفيسيتيون بعد وفاة برصوما تشجعوا ورفعوا روُوسهم وبدأوا يبثّون تعاليمهم في الكنيسة النسطورية . وكان زعيمهم شمعون اسقف بيت ارشام (٤) وتحزّب لهُ بعض الاساقفة ومن جملتهم پاپا مطران بيت لاپاط (٥) . فأُمهل هو ايضاً سنة لكي يأتي ويمضي اعمال المجمع ويتمسك بالايمان الصحيح والّا فيُحرم ويُقطَع من جسم الكنيسة . والظاهر انهُ لم يطع فان اسمهُ ليس مذكوراً بين الاساقفة الذين امضوا فيما بعد اعمال المجمع

فالاساقفة الذين اجتمعوا في المدائن كانوا مع باباي الجاثليق ٣٣ شخصاً منهم اربعة مطارنة وهم هوشاع مطران نصيبين وأكّاي (٦) رئيس اساقفة پراث ميشان ويوسف رئيس اساقفة حدياب وبختيشوع مطران بيت كرماي و ٢٩ اسقفاً وهم عمانوئيل (كشكر) . وايليا (الحيرة) (٧) وعمانوئيل (كرخ ليدان) . وايوب (ارزون) . واسحق (كرخ ميشان) . وشليمون (نوهدرا) . وبولس (شهرقرت) . وميهرنرسا (زابي) . وبريخيشوع (بيت دارايي) . وموسى (پيروز شابور) . وأهرون

(١) ماري ٤٦ . (٢) السنهادوسات ٦٣ و٦٥ . والسمعاني ك : ٤ : ٤٢٩ و٤٣٠ والتاريخ السعردي ك : ٣٧

(٣) التاريخ السعردي وماري ص ٤٦ وعمرو ص ٣٦ غلطاً يقولون تشرين الثاني

(٤) السمعاني ١ : ٣٤٦ — ٣٥٨ (٥) فيه ايضاً ٣٥٢

(٦) هذا الاسم اتى ايضاً بصورة أُنيي (السنهادوسات ٦٦)

(٧) ان اسمي هذين الاسقفين محذوفان في طبعة شابو (راجع الترجمة ص ٣١١)

(بلاشپار) وباباي (ماداي) . ويوسف (الرّي) . وابراهام (جرجان) وابراهام (بيت مهقرايي واصپهان) . ويوحنيس (طوس وابرشهر) . ويوحنان (بيت زبداي) . وحوح (بَلد) . وماري (ريما) . وموسى (نهر كُور) . وابراهاط (بيت بغاش) . وخوديداد (حربغلال) . ويوحنا (معلثا) . وابراهام (لاشوم) . وابراهام (كَحل) . وثلاثة من الاساقفة لم يحضروا غير انهم اذعنوا بواسطة رسائلهم لمقرّرات المجمع وهم دانيال (كرمي) . ويزداد (هرات) وپاپي (شوش)

وعلى رأيي ان الاساقفة اجتمعوا ثانيةً لدى الجاثليق مثلما قرّروا في المجمع ان يلتئموا عنده في كل اربع سنين مرّة او قلما يكون انهُ بعد مدّة ولاسباب لا نعرفها استدعى باباي ثانيةً الاساقفة وطلب منهم ان يمضوا مقرّراتهم السابقة . ومما يجعل هذا الراي محتملًا ان في اعمال المجمع ثلاثة جداول لأسماء الاساقفة الذين حضروا . الجدول الاوّل فيهِ اسماء ٣٦ اسقفاً وزاده احد النسّاخ ليكون مثل عنوانٍ للمجمع . والثاني يشتمل على ٣٣ اسقفاً ولا بدّ من انــهُ هو الأصحّ كما يتّضح من سياق الكلام . والثـالث يحتوي على ٣٩ امضاء . وهذه الامضاءات وُضعت بعد ختام المجمع . وقد راينا ان پاپا اسقف بيت لاپـاط لم يطع باباي الجاثليق ولم يحضر المجمع . فمن بعد وفاته او بالحري بعد حرمه ارسل خليفته ماروي نائباً عنهُ وامضى تحديدات المجمع (١) . كذلك فعل عبوشطا مطران اربيل بعد وفاة سلفه يوسف . فانهُ هو ايضاً أرسل نائباً وامضى مقرّرات المجمع وقس على ذلك (٢)

وتوفي باباي سنة ٥٠٣ بعد ان جلس على كرسي المداين خمس سنوات . ومع كونه متزوّجاً فقد دبّر الامور حسناً . وقيل ان امرأته ساعدته كثيراً على عمل الخير (٣) . وانهُ في ايامه احتُفِل لأول مرّة بعيد الشعانين في المداين ونصيبين (٤)

---

(١) السنهادوسات ٦٥

(٢) فيهِ ايضاً ٦٦ و٦٧

(٣) التاريخ السعردي ك: ٤٥ — ٤٦

(٤) ماري ٤٦

الباب الثالث

في حالة الكلدان عند دخولهم في الجيل السادس

من اخصّ المصائب التي اصابت الكنيسة الكلدانية في الجيل الرابع والخامس هي النزاعات الداخلية والاضطهادات الخارجية . فان الشقاق ضرب فيها اطنابه على عهد الجثالقة پاپا واسحق وداديشوع وبابوي واقاق . وعدد الشهداء الذين قدّموا انفسهم للذبح على عهد شابور الثاني وخلفائه بلغ آلاف الالوف . وكان من نتيجة الشقاقات وضع قوانين شتى في الكنيسة وارتقاء كرسيّ ساليق الى الرئاسة الكبرى في مملكة فارس فصارت الكنيسة الفارسية بالحقيقة كنيسة مليّة وبعد ان تمسكت بهرطقة نسطور أصبحت قائمة بنفسها ومنفصلة انفصالًا تامًا عن سائر الكنائس النصرانية . ونتيجة الاضطهادات هي ان كنيستنا ايضاً شاركت اختها الكنيسة الغربيّة بارسالها الى السماء عددًا لا يُحصى من الشهداء والشهيدات واظهر الله بذلك ان الديانة المسيحية هي ديانة إلهيّة لا يقدر الملوك مع كلّ جهدهم وقوّتهم ان يقرضوها ويلاشوها

ورغماً عن هذه الشقاقات والاضطهادات القاسية ما زالت الكنيسة الكلدانية تزداد قوّة وامتدادًا . ومن اسباب ذلك اولاً الغيرة الدينيّة . فان المنذرين بالانجيل رغماً عن الاضطهادات القويّة زرعوا بذور الايمان في الاراضي اليابسة فجمعوا غلأت وافرة في كل قطر ومصر . ثانياً همّة البطاركة بعقد المجامع كلما دعت الحاجة فداووا سريعاً الجروح التي كانت تُجرَح بها الكنيسة ووضعوا ما لزم من القوانين لرفع الشقاق وتهذيب الاقليروس والعلمانيّين . ثالثاً اتخاذ الجثالقة والاساقفة سياسة ممتلئة حكمة وفطنة مع ملوك الفرس واجتهادهم بالتقرّب منهم فنجحوا نجاحاً عظيماً . فان ملوك المدائن الذين كانوا منذ تنصّر ملوك بيزنطية يشكّون في امانة النصارى الذين تحت حكمهم زال عنهم هذا الشكّ منذ تمسك الكلدان بنسطور الذي حرمه الروم . رابعاً اهتمام اجدادنا في المعارف والآداب اذ فتحوا في كل مدينة وقرية مدرسة علّموا فيها مع اللغة الكلدانية العلوم الدينية والدنيوية . وترقّت

بعض هــذه المدارس اكثر ما يكون فانها كانت جمعيات حقيقية منظومة ومقيّدة بقوانين وضوابط يسوسها معلّمون مقتدرون غيورون. واشهرهـا مدرسة نصيبين ومدرسة المدائن. خامساً تعلّق آبائنا الشديد بكرسي المدائن الاكبر وافتخارهم بهِ ورغبتهم في ارتقائه الى منزلة كراسي رومية وانطاكية وبيزنطية الرفيعة. فالكراسي الاسقفيــة الكلدانية التي في الجيل الرابع كانت نحو الثلاثين نراها بالغة في الجيل السادس الى اكثر من مائة. وكانت مقسومة الى عشر ابرشيات مطرابوليطية. وفي حكم كلٍ منها عدَّة اسقفيات. فالابرشيات المطرابوليطية في الجيل السادس كانت هذه : الابرشية البطريركية الكبرى ومركزها المدائن. وابرشيات عيلام ونصيبين وپراث ميشان وحدياب وبيت كرماي وبيت قطرايي وفارس ومرو وهرات (١)

الفصل الاول

قباذ الملك (٤٩٨ — ٥٣١) ومحاربتــه مع الروم. — شيلا الجاثليق (٥٠٣ — ٥٢٣). طرد المنوفيسيتيين من بلاد الفرس ثاني مرة

ان زماسب لم يملك طويلاً. فان قباذ بهمّة اختهِ هرب من الحبس والتجأ الى الهياطلة (٢) فرحَّب به ملك البرابرة وانفذ معه جيشاً لمحاربة اخيه. فرجع قباذ الى مملكته وقهر زماسب وجلس ثانيةً على سرير الملك سنة ٤٩٨. وبلغت بهِ الفطنــة انهُ اعتبر ما اصابه فيما سلف. واجتهد في استجلاب قومهِ ونبذ تعليم مزدق الذي كان متمسكاً به قبلاً. واحسن الى النصارى لان قومــاً منهم خدموه على الطريق لمَّا هرب لدى الهياطلة (٣). ولما راى نفسهُ كفوءًا لمحاربة الروم اخذ يترقب الفرصة. فان الجيوش الهونيّة التي اتت معهُ واجلسته على تخت المملكــة بقيت في خدمته.

---

(١) راجع التوطئة في اول الكتاب

(٢) راجع التاريخ السعردي ك : ٣٥ — ٣٦ . والطبري طبعة استانبول ٢٠٨ — ٢١١. ان ابن العبري (ك : ٨٣) غلطاً يقول ان قباذ التجأ الى الروم وانه ملك ٤٦ سنة فان مدة ملكه كلها كانت ٤٢ سنة

(٣) التاريخ السعردي ك : ٣٦

ولعلّها هي التي حملتهُ على هذه المحاربة كي لا ترجع الى بلادها فارغة . وكان الروم يدفعون كل سنة للفرس مبلغاً من الدراهم لمحافظتهم على الطرق القزوينية منعاً للهونيين من شن الغارة على مملكة الفرس والروم معاً . فلما طلب قباذ هذه الجزية وابى انسطاس ملك الروم تاديتها انتشبت الحرب بين الفريقين في ٢٢ آب سنة ٥٠٢ (١)

فأغار قباذ اولاً على مدينة تئودوسيوسپوليس وهي ارضروم الحالية وافتتحها بدون مشقة . لان واليها قسطنطين خان الروم وتحزب للفرس وصار قائداً في جيشهم ثم توجه قباذ نحو بلاد صوب وشدّ الحصار على آمد في ٥ تشرين الاول . فارسل انسطاس الملك عن يد روفينوس الجزية التي طلبها قباذ وسأل الصلح . غير ان ملك الفرس كان قد توغل في البلاد ولم يمكنه ان يجيب الى سؤالهِ . وفي تلك الاثناء حمل النعمان ملك الحيرة على اراضي حران واورهاي ونهبها وسبى منها ١٨٥٠٠نفساً اما قباذ فاقام مدة تحت اسوار آمد وهو لا يقدر ان يفتتحها لعظم سورها ومدافعة اهلها بشجاعة عجيبة . ففكر في الانصراف عنها . غير انهُ في تلك الليلة عينها هجمت عليها عساكره بشدة وافتتحوها . وكان قباذ قد غضب جدًّا على اهل المدينة لانهم قتلوا من جيوشه خمسين الف مقاتل . وقتل عوضاً عنهم ثمانين الفاً . ودخل الكنيسة الكبرى وراى صورة المسيح فيها . فسأل عنها . فقيل لهُ انها صورة يسوع . فسجد لها وقال لأصحابه : «هذه هي الصورة التي رايتها تخاطبني في الحلمِ وتقول : ارجع الى المدينة فاني اسلّمها اليك من اجل خطايا اهلها .» وامر ألّا يُقتل من استجار بالكنائس(٢) واخذ قباذ كل ما وجده في المدينة وارسلهُ على الاكلاك الى المدائن . وذهب هو الى سنجار لقضاء فصل الشتاء

لما ما كان من امر انسطاس الملك فانهُ لما بلغتهُ هذه الاخبار المحزنة انفذ جيشاً عظيماً تحت قيادة آرئوبيند وبطريقيوس وهيپاطيوس . فحلّ آرئوبيند في حدود دارا مع ١٢٠٠٠٠ مقاتل . وبطريقيوس وهيپاطيوس ذهبا الى آمد مع ٤٠٠٠٠ مقاتل

(١) خلاصة هذه الحرب الشديدة طبعها السمعاني (٢ : ٢٦٠ — ٢٨٢) وطبعها ايضاً الاب مارتين مع الترجمة الفرنسية غير ان مؤلفها مجهول . دوقال الآداب السريانية ١٨٧—١٨٩

(٢) التاريخ السرديّ ت : ٤٠ — ٤١ . وميخائيل ٢٥٩

وحاصراها . فحمل قباذ على آرتوبيند لكنه انكسر وهرب الى نصيبين . فانجده العرب والهونيون تحت قيادة قسطنطين المار ذكره . فلم يلبث آرتوبيند ان ترك مهاته الحربية وهرب الى تلاّ وهي ويران شهر الحاليّة . وانطلق قسم من عساكره الى اورهاي . وفي شهر آب سنة ٥٠٣ زحف بطريقيوس على الفرس لكنه غُلب ايضاً وهرب الى شميشاط . وفي هذه المحاربة جُرح النعمان ملك الحيرة ومات

وفي ١٧ ايلول سنة ٥٠٣ شدّ قباذ الحصار على اورهاي ولم يقدر ان يفتحها . فخلّى عنها بعد ان احرق كنيسة مار سركيس وكنيسة المعترفين . وحمل على الرقة وضبطها . وكان الروم يحاصرون آمد واحرقوا ونهبوا البلاد المجاورة لها . فاضطر الفرس وسلّموا لهم المدينة وعقدوا معهم الصلح سنة ٥٠٤

فانتهز الروم الفرصة من عقد الصلح واستحكموا مواقعهم الحربية . لانهُ لم يكن لهم في تلك الاطراف موقع حربيّ لمنع غارات اعدائهم . فبنوا مدينة حصينة بين نصيبين وماردين سمّوها انسطاسپوليس اي مدينة انسطاس وهي المعروفة بدارا (١)

ثم تجددت الحرب بين الفريقين سنة ٥٢٧ . والداعي الى ذلك ان يوسطينوس خليفة انسطاس لم يرسل الجزية السنوية التي طلبها منه قباذ (٢) . فغزا العربُ الذين في حكم الفرس البلاد الرومية . وحمل الروم ايضاً على بلاد الارمن التي في حكم الفرس وحاصروا مدينة نصيبين ولم يقدروا ان يدخلوها . كذلك هجم الفرس على دارا ورجعوا خائبين

ولما كانت السنة ٥٣١ عبر قباذ الفرات . ولكن بليزير القائد الروميّ الشهير جبره ان يكرّ على اعقابه . ومات قباذ الملك في ايلول سنة ٥٣١ وجلس مكانه خُوسرُو انوشروان المعروف عند العرب بكسرى . وكان هذا الملك محبّاً للسلام . فعقد الصلح مع الروم في ايلول سنة ٥٣٢

وبينما كان قباذ ينهب بلاد الروم كان شيلا الجاثليق ينهب الكنائس الفارسيّة

---

(١) راجع عن بناء دارا لاند ج ٣ : ٢١٤ — ٢١٥

(٢) دوقال تاريخ اورهاي ١٩٩ — ٢٠٠

ويأخذ زينتها . ان هذا البطريرك خلف باباي سنة ٥٠٣ (١) وكان اركد ياقونه . واصله من المداثن وله ابنة وزوجة . والذي سعى بانتخابه بوزاق (٢) اسقف الاهواز الذي كان معززًا مكرماً لدى الملك لانه كان طبيباً وشفاه وشفى ابنته من علة كانت فيها . وكان الشعب يبغض الجاثليق الجديد لانه كان متكبرًا وطماعاً وحريصاً على الدرهم . فقام عليه الاقليروس ومن الجملة ماري تحلايا . وكان هذا الملفان قد اختصّه باباي الجاثليق ويسمع منه (٣) . فانكر على شيلا سوء سيرته . غير انه لم يستفد شيئاً لان شيلا كان مقرباً لدى الملك مراعاةً لبوزاق الاسقف . غير ان شيلا مع عيوبه الكثيرة كان غيورًا على مذهبه فنازع المنوفيسيتيين شديدًا وطردهم من بلاد الفرس

ان زينون ملك الروم ساعد كثيرًا الهرطقة المنوفيسيتية . وانسطاس (٤٩١— ٥١٥) الذي خلفه عاونها اكثر . فتقوّى المنوفيسيتيون كثيرًا في ايامه . ومن مشاهيرهم الذين افرغوا الجهد بتقوية مذهبهم وبثه في سوريا وفي بلادنا هذه هم يعقوب السروجي واخسنايا وشمعون الارشامي ويعقوب البراذعي

وُلد يعقوب السروجي في اطراف سروج ودرس في مدرسة اورهاي (٤) . وانحاز الى المنوفيسيتيين . وكان عالماً جليلاً له ميامر لا تحصى . ورُسم اسقفاً على بطنان سنة ٥١٩ وتوفي سنة ٥٢١ (٥)

امّا اخسنايا وشمعون الارشامي ويعقوب البراذعي فكانوا كلداناً . وقد مرّ الكلام عن اخسنايا انهُ من تحل في بيت كرماي . وتربّى مع برصوما ونرساي في مدرسة اورهاي (٦) . وكان حادّ الذهن فصيح اللسان طويل الباع في تحريك الفتن .

---

(١) راجع عن شيلا التاريخ السعردي ٢ : ٤٣ — ٤٦ . وماري ٤٧ — ٤٨ وعمرو ٣٧ . وابن العبري ٣ : ٨١ . ولابور ١٥٩ — ١٦٠

(٢) ماري وعمرو والتاريخ السعردي غلطاً يكتبون يوزق (طالع السنهادوسات ٧١و٧٥)

(٣) شمعون الارشامي في السمعاني ١ : ٣٥٨

(٤) التاريخ السعردي ٢ : ٢٩

(٥) راجع عن يعقوب السروجي أبيلوس : ترجمة وتأليفات القديس يعقوب

(٦) شمعون الارشامي في السمعاني ١ : ٣٥٣

لكنهُ مع كل ذلك لم يقدر ان يغلب برصوما اسقف نصيبين فان هذا كسره كسرةً تامة وهزّمه من هذه البلاد (١) . فبذل اخسنايا سعيهُ في الانتقام من النساطرة وبتحريكه استأصل قورا الاسقف مدرسة اورهاي النسطوريّة سنة ٤٨٩ . وكان اهل الطبيعة الواحدة صيّروهُ اسقفاً على منبج سنة ٤٨٥ . ولما ملك انسطاس بذل اخسنايا سعيه بتقوية بني مذهبه . فسافر مرّتين الى بيزنطية سنة ٤٩٩ و٥٠٦ . وحمل الملك على نفي فلاڤيانوس بطريرك انطاكية . فجلس مكانهُ سيڤيروس وهو ساويرا المنوفيسيتيّ الشهير سنة ٥١٢ . واخسنايا من اجلّ كتبة الارامين . وله تاليفات كثيرة سياتي ذكرها

امّا شمعون فكان من ارض بابل وقيل عنهُ انهُ صار اسقفاً على بيت ارشام وهي قرية صغيرة بالقرب من المداين ويُطلق عليهِ اليعاقبة اسم **ܕܪܘܫܐ ܦܪܣܝܐ** اي المنطقيّ الفارسيّ . وهو افرغ كل وسعه في نشر المنوفيسيتية في ارض الكلدان ولم يتوفق (٢)

ويعقوب البراذعيّ كان من اطراف نصيبين . وبذل ما لا يمكن وصفه من الهمّة والكدّ والتفنن والسطوة في بثّ اليعقوبيّة في مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين . ونسبةً اليهِ سمّي السريان المنوفيسيتيون يعاقبة . وكانت وفاتهُ سنة ٥٧٨ (٣)

ولما مات انسطاس الملك وجلس مكانهُ يوسطينوس الاول سنة ٥١٨ انقلب الامر . فان هذا الملك نصر الكاثوليك واضطهد اليعاقبة . فهرب ساويرا بطريرك انطاكية الى برية مصر . ونُفي اخسنايا الى مدينة كنكرا حيث خُنق بالدخان ومات سنة ٥٢٣ والتجأ بعض المنوفيسيتيين الى بلاد الفرس ودخلوا الحيرة . وعاونهم الحجاج بن قيس الحيري صاحب المنذر بن النعمان ملك الحيرة (٤) . وانضم اليهم

---

(١) كتاب باباي الكبير في الاتحاد ܡ : ܠ

(٢) دوقال الآداب السريانية ٣٦٠ راجع ايضاً قصته في لاند ܦ : ٧٦ — ٨٨

(٣) دوقال ٣٦٢—٣٦٤ . والسمعاني ܦ : ٦٣ — ٦٩ راجع ايضاً قصته في لاند ܦ : ٣٦٤ — ٣٨٣

(٤) التاريخ السعردي ܦ : ٥١

شمعون الارشاميّ المار ذكره. وقيل عن شمعون هذا انهُ نصَّر من اكابر الحيرة. وذهب الى باب ملك الفرس وهناك ايضاً نصَّر بعضاً من المجوس. فسعى النساطرة باليعاقبة أنَّهم متحزّبون للروم. فاضطهدهم ملك الفرس ولذلك انتقل شمعون الى القسطنطينية واخذ توصية الى ملك الفرس ورجع الى بلاد الكلدان واخذ يبثّ تعاليمه بهمّة لا مزيد عليها (١). وقال التاريخ السعردي ان شيلا الجاثليق لما اتصل بهِ خبر نجاح اليعاقبة في الحيرة قصدهم وجادلهم واخزاهم. اما يوحنان اسقف اسيا اليعقوبي فيقول في قصّة شمعون الارشامي: ان اليعاقبة قهروا النساطرة بالجدال وهذا امرٌ طبيعي فانهُ ما من احد يسلّم بكونهِ مغلوباً في المجادلة. ويقول ايضاً يوحنان ان هذه المجادلة صارت على ايام باباي الجاثليق. وانهُ بعد هذه المجادلة رُسم شمعون اسقفاً على بيت ارشام. والحال يتضح من قول ديونوسيوس البطريرك اليعقوبيّ (٢) انَّ رسامة شمعون كانت في سنة ٥١٠ اي سبع سنين بعد وفاة باباي الجاثليق وميثافراست في قصة حارث الشهيد (٣) يقول ان مجادلة شمعون هذه صارت مع شيلا الاسقف النسطوري (٤). وكيفما كان الامر فانهُ بعد هذه المجادلة صار

---

(١) قصة شمعون الارشامي لاند ٦ : ٧٦ — ٧٩

(٢) في السمعاني ٢ : ٣٤١ وراجع ايضاً ميخائيل ٢٦٣ وابن العبري ٦ : ٨٥

(٣) في السمعاني ٢ : ٣٤٢

(٤) ان قصة شمعون الارشامي التي كتبها يوحنان اسقف اسيا (لاند ٦ : ٧٦ — ٨٨) مشبوهة ويجب ان تُعرض على محكّ الانتقاد. فان ابن العبري في كتاب تاريخهِ (٢ : ٢١٨ و ٦ : ٨٧) وميخائيل في تواريخهِ (ص ٣٤٤) يقولان واضحاً انهُ قبل سنة ٥٤٤ لم يكن في كل بلاد الفرس سوى اسقف واحد يعقوبي وهو ماريس اسقف سجار. ويوحنان اسقف اسيا نفسه في قصة يعقوب البرادعيّ (لاند ٦ : ٣٩٦) يُطن انهُ نحو سنة ٥٤٣ لم يكن في كل سوريا سوى ثلاثة اساقفة منوفيسيّين فكيف انهُ في قصة شمعون يقول ان خمسة اساقفة يعاقبة وضعوا اياديهم عليه ثم ان يوحنا المذكور ما عدا انهُ يخلط بين باباي وشيلا الجاثليقين فانه يجعل باباي جاثليقاً لارزون (لاند ٦ : ٨١). ويقول عن شمعون انهُ دار الارض كلها شرقاً وشمالاً وجنوباً ودامت سياحته سبع سنين وكتب تقرير ايمان جميع ملوك النصارى وتكلّم نظير الرسل بجميع لغات الارض. مع انهُ في ذلك الزمان لم يكن ملك نصراني في البلاد الشرقية

اضطهاد على اليعاقبة · فقال يوحنان اسقف اسيا انهُ قُبض على شمعون الارشامي وعلى رفاقه وألقوا في السجن في نصيبين مدَّة سبع سنين وبتوسّط ملك الحبشة أُخرجوا من الحبس · اما التاريخ السعردي فقال انهُ ورد كتاب من يوسطينوس الى المنذر بطرد كل من نُفي من بـلاد الروم من المخالفين · فطالبهم المنذر وهرب بعضهم وبقي البعض مستترًا · ومضى اخرون الى نجران حيث زرعوا اعتقاد يوليانا معلم ساويرا الذي قال ان جسد يسوع المسيح نزل من السماء

وكانت وفاة شيلا في السنة ٣٤ لقباذ الملك (١) الموافقة لسنة ٥٢٣ للمسيح · وقد جلس على كرسيّ المدائن ثماني عشرة سنة · ومحبة هذا الجـاثليق لأهله سبَّبت من بعد موته شقاق عظيم في الكنيسة كما سترى

الفصل الثاني

انحطاط الكنيسة النسطورية على عهد نرساي واليشاع الجاثليقَين
(٥٢٣ — ٥٣٧) بولس الجاثليق (٥٣٧ — ٥٣٩)

ان شيلا زوّج ابنته بأليشاع الطبيب واوصى عند موته بنصبه جاثليقاً مكانهُ · وكان اليشاع من المدائن · واقام زماناً في بلاد الروم وهناك تعلّم الطبّ فمال اليهِ الملك واصحابه · فاراده قوم ورفضه آخرون واختاروا نرساي وهو رجل كاتب عـالم يكرمه سائر الكتّاب (٢) · فانقسم النصارى الى فرقتين · ولكل فرقة زعيم مقتدر بالحكومة · بوزاق اسقف الاهواز تعصّب لنرسـاي وبيرون (٣) الطبيب لأليشاع ·

والشمالية والجنوبية · اخيرًا بينما انّ يوحنان في تاريخ دير مار يوحنا في آمد (لاندك : ٢٨٦ ودوقال الآداب السريانية ٣٦٤) يقول عن نفسهِ انهُ دخل بيزنطية سنة ٥٣٥ ترى في قصة شمعون ان يوحنان كان في عاصمة مملكة الروم سنة ٥٣١ (لابور ١٥٨ ح ١ · راجع ايضاً التاريخ السعردى ك : ٥١ ح ٢

(١) التاريخ السعردي ك : ٥٣
(٢) ايليا النصيبيني يكتب ان نرساي كان صهر شيلا امَّا اليشاع فكان قسيساً
(٣) ماري يكتب بيروي

وبقي الامر هكذا من حزيران سنة ٥٢٣ الى نيسان سنة ٥٢٤ (١)

اخيرًا حضر داود مطران مرو وجماعة من الاساقفة واساموا اليشاع في بيعة اسبانير خلافاً للرسوم بان تكون رسامة البطاركة في بيعة المدائن الكبرى المعروفة بكوخي. واخرج بيرون الطبيب امرًا من الملك بقبول اليشاع وبذل الرشوة لرجال الدولة. فلما رأى ذلك الحزب الآخر اجتمع هو ايضاً ورسم نرساي جاثليقاً في بيعة الكرسيّ على الرسم الجاري . والاساقفة الذين اساموه هم جوهر (٢) مطران نصيبين وايشوع اسقف زابي ونرساي اسقف الحيرة ويعقوب مطران بيت لاباط وتيماي (٣) مطران پراث ميشان وبولس مطران اربيل ويوحنان اسقف ميشان وشموئيل اسقف كشكر وداود اسقف الانبار . فجرى من الشقاق والسيمونية والخصومة بين الناس ما لم يُسمع بمثله. فجُعِل في كل كنيسة اسقفان ومذبحان وقسيسان : اذ ان كلاً من الفريقين كان يرسم للكراسيّ اساقفة من حزبه. ومات في تلك الاثناء بوزاق شفيع نرساي فضعف حزبه وتقوّى اليشاع كثيرًا حتى انهُ احتال وحبس نرساي وجماعةً من حزبهِ. لكن ابن خوسرو انوشروان توسط واخرجه من الحبس

فتكبَّر اليشاع كثيرًا بنصرته هذه واخذ يطوف البلدان وانتهى الى الري ومرو وحبس كل من خالفه هناك. ثم رجع الى فارس والاهواز والبحرَين واسام مطارنة واساقفة وحرم من قاومهُ . وحملت الغيرة يعقوب مطران بيت لاباط على مخالفته. فوضع كتاباً ضمّنه ما يجب على الروٴساء استعماله في امور البيعة واظهر البلايا التي سبَّبها اليشاع. لكنّ ذلك لم يوٴثر في هذا الجاثليق. فانهُ في رجوعه الى المدائن رسم لكشكر اسقفاً اسمه برشبا واسقفها شموئيل بعد في قيد الحيوة .

---

(١) عن نرساي واليشاع الجاثليقين راجع ماري ٤٩ . وعمرو ٣٧—٣٩ . والتاريخ السعردي ف : ٥٥—٦٠ . وابن العبري ف : ٨١ . ولابور ١٦٠— ١٦١

(٢) عمرو يكتب : كوسي وسفر الاحياء والاموات : كيوركيس واظن ان جوهر وكوسي محرّفان عن كيوركيس

(٣) عمرو والتاريخ السعردي يكتبان تَيمن . اما تيماي فقد اتى في مجمع مار آبا (السنهادوسات ٧١ و٧٣ و٧٤ و٧٥)

واستخرج له بيرون الطبيب كتاباً من الملك . فلم يقبله اهل كشكر . فقصد اليشاع الايقاع بهم بواسطة روساء الجيش . ولما وصل الخبر الى اهل كشكر عزموا على قتال من يقصدهم . واعانهم جماعة من اهل الاهواز وبيت كرماي المخالفين لاليشاع . فكبر ذلك على الجاثليق وقال : « انا غلبتُ سائر البلدان . أفيقدر اهل كشكر وهم بمنزلة الذباب الحقيرة ان يغلبوني . » فازداد اهل كشكر غضباً . وذهب اليشاع الى منزلهِ وكتاب الملك في يده . فصار اليهِ رجل من اهل كشكر مظهراً انهُ يريد تقبيل يديه . فاخذ الكتاب من يده ودفعه الى غيره وغاب . ووقعت خصومة شديدة واليشاع يخرّق ثيابه ويتأسف الصعداء على فقدان الكتاب لانهُ كلّفه كثيراً . ولم يزل يسيء السيرة في الرعية حتى امتلأ كاس سيئاته وفاض . فحان له ان يسقط من كرسيّه

انّ خوسرو الاول الملقّب بانوشروان ملك مكان ابيه قباذ سنة ٥٣١ . وقتل هذا الملك اخوته وروساء جيشه خوفاً ممّا جرى على ابيه منهم . وكان ذا دهاء خبيراً بامور السياسة وحسن التدبير والتجربة (١) . وقيل انهُ تعلّم الفلسفة على برصوما اسقف قردو وعلى بولس الفيلسوف الفارسيّ الذي كفر بالنصرانية اذ لم تتمّ له مطرنة فارس (٢) . ومال انوشروان في اول امره الى النصارى ولاطفهم وساعدهم كثيراً ولولا خوفه من المجوس لازداد في ذلك

ولمّا كانت السنة ٥٣٤ اذ انصرف خوسرو الاول من فارس في حرّ شديد تلقّاه بولس اسقف الاهواز وخليفة بوزاق بماء كثير حمّله على الدواب وسقى الملك وعساكره في تلك الجبال الوعرة اليابسة . فتعجّب الملك من تيقّظه واهتمامه بامره . وتاكد محبّته له . فاراد منذ ذلك الحين مكافأته بجعله جاثليقاً على جميع النصارى (٣)

ولما كانت السنة ٥٣٧ مات نرساي . ففرح اليشاع لظنّه ان الامر قد استوثق له . وطلب بيرون الطبيب الى خوسرو الملك تثبيته . غير ان الملك ردّ طلبة طبيبه وامر

---

(١) تاريخ يوحنان اسقف اسيا طبعة كورتون ٣٨٨

(٢) التاريخ السعردي ف ٢ : ٥٤ — ٥٥

(٣) التاريخ السعردي ف ٢ : ٦١ . وماري ٤٩ وعمرو ٣٩

حالاً بتنزيل اليشاع ونصب بولس اسقف الاهواز جاثليقاً مكانه . فاجتمع الاساقفة واجروا اوامره (١)

انّ المؤرخين يخالفون بعضهم بعضاً في تعيين مدة تلك الرئاسة المزدوجة . فقال عمرو وايليا النصيبينيّ والتاريخ السعردي انها دامت اثنتي عشرة سنة . امّا مجمع مار آبا فكتب ١٥ سنة (٢) . ولا ريب في ان قول هذا المجمع اصحّ . فانه عُقد بعد هذا الحادث بسنتين او ثلاث . ويوافقه التاريخ السعرديّ اذ يقول ان الشقاق دام من السنة ٣٥ لقباذ الى السنة السادسة لخوسرو انوشروان . اي من السنة ٥٢٤ الى السنة ٥٣٧ يعني ١٤ سنة لا ١٢ فانّ قباذ ملك ٤٢ سنة . والتاريخ المذكور لا يحسب السنة الاولى التي بدأ فيها الشقاق بل يعدّ السنين منذ تجثلق نرساي واليشاع . فانه سبق وقال انّ شيلا مات في السنة ٣٤ لقباذ

ان بولس الجاثليق كان فعّالاً ذا حزم وقوّة . ومنذ جلوسه على الكرسي بذل سعيه باصلاح الامور وقطع الشقاق . وساعده الملك خوسرو كثيراً لحرم الاساقفة الغير الشرعيين وأبطل جميع المكاتبات والحروم التي كان الاحزاب قد رشقوا بها بعضهم بعضاً (٣) . غير ان الزمان خانه . فانه قضى نحبه سريعاً تاركاً مهنته هذه لخليفته مار آبا الشهير

وقال عنه ايليا النصيبينيّ انه دبّر الكرسيّ شهرَين ومات في احد الشعانين في السنة السادسة لخوسرو انوشروان (سنة ٥٣٧ م) . وكذا قال عمرو وماري وزاد ماري هذه العبارة : « وقوم قالوا سنة (٤) » لمّا ايليا الدمشقيّ فكتب ان مدة بولس كانت سنتين (٥) . والظاهر ان قوله اصحّ وتكون وفاة هذا الجاثليق سنة ٥٣٩ . لانه من المحقّق ان مار آبا تجثلق في بدء السنة ٥٤٠ (٦) . فان كان بولس قد توفي سنة ٥٣٧ يجب ان نفرض ان الكرسيّ فرغ من بعد موته سنتين او ثلاثة

---

(١) التاريخ السعردي ܒ : ٦٠ وعمرو ٣٨ ,

(٢) السنهادوسات ٨١ . وماري ٤٩ وايليا الدمشقي في السمعاني ܓ : ܐ : ٧٨

(٣) السنهادوسات ٨٦ (٤) راجع ايضاً ابن العبري ܒ : ٨٩

(٥) في السمعاني ܓ : ܐ : ٧٨ (٦) السنهادوسات ٧٤

ولم نجد موءرخاً يشير الى ذلك . بل ان ايليا مطران نصيبين يقول واضحاً ان مار آبا تجثلق في السنة التي مات فيها بولس بعينها

الفصل الثالث

رئاسة مار آبا البطريرك (٥٤٠ — ٥٥٢)

١ اوائل مار آبا الكبير

ان مار آبا هو من اجلّ البطاركة الذين جلسوا على كرسيّ المدائن . وقد كتب قصة حياته احد تلاميذه . وطبعها بيجان سنة ١٨٩٥ (١) . و كان له قصة اخرى منها اخذ اشياء كثيرة موءلّف التاريخ السعرديّ

كان آبا مجوسيًّا من بلدة رادان . وتخرّج في علم المجوس والآداب الفارسية وجعل ارزبدًا في حالا . ثم تبع خودنبود جابي الاموال الاميريّة في بيت ارمايي واتفق ذات يوم انه اذ اراد العبور في زورق على الدجلة ليذهب الى منزله في حالا حضر تلميذ من مدرسة نصيبين اسمه يوسف وكان يُلقّب ايضاً موسى واراد العبور معه . فمنعه آبا . ولما حصل الزورق في وسط الدجلة عصفت ريح شديدة رجّعته الى الشاطئ . ولمّا سكنت الريح واراد آبا العبور ثانيةً عاد يوسف وساله ان يعبر معه . فمنعه وانتهره . فلم يتمكّن الزورق هذه المرّة ايضاً من العبور ورجع . فاضطرّ آبا حينئذٍ ان ياخذ معه يوسف فسكنت الريح وعبر الزورق الى الجانب الآخر

فاثّرت هذه الحادثة في قلب آبا وسأل الرجل عن ديانته . فاوقفه يوسف على صحة الديانة المسيحية . ولم يزل المجوسيّ يبحث عنها الى ان تاكّد له انها وحدها الديانة الحقيقية . فلازم الصوم والصلوة . ثم ان الجابي نزل الى قطيسفون مع كاتبه وتبعهما آبا . وكان يذهب ويصلّي في بيعة كصيصتا . فعرف ذلك صاحبه الكاتب

(١) قصة يَهْبالاها ٢٠٦—٢٧٤ . التاريخ السعردي ܒ : ٦٢ — ٨٠ . وماري ٢٩ — ٥٣ وعمرو ٣٩ — ٤١ . وابن العبري ܒ : ٨٩ — ٩٥ . والسمعاني ܓ : ܐ : ٧٥ — ٨١ . والسنهادوسات ٦٨ — ٩٥ و ٥٤٠ — ٥٦١ . ولابور ١٦٣ — ١٩١

وهدّده بنقل الخبر الى الجاثليق . فقال له آبا : اني نصراني ولا اخاف الحبس . ثم رجع الى بلدته واعتمد في قرية آكيد (١)

ثم انه انتقل الى مدرسة نصيبين وتخرّج في مدة قليلة في العلوم البيعيّة حتى استغرب الجميع من عقله الثاقب ولزم في المدرسة مار معنا الذي صار بعدئذٍ اسقفاً على ارزون . وتبعه هناك وصار معلّماً وردّجع كثيرين من اليعاقبة الى المعتقد النسطوريّ . ثم عاد الى نصيبين لكي يتمّم دروسه

وفي ذلك الزمان كان يذهب كثيرون من النساطرة الى بلاد الروم ليكمّلوا ما حصلوا عليه من العلوم . فانّ الملكَين يوسطينوس ويوسطينيانوس كانا ضد المنوفيسيتيين ولم يكونا يزعجان النساطرة القائلين بطبيعتَين في المسيح نظير الكاثوليك (٢) . فانتهز آبا الفرصة ودخل مملكة الروم . وكان قصده ان يزور الاماكن المقدسة ويجادل سركيس الذي كان فيه روح الاريوسيّة مصبوغةً بالوثنية ويحمله على اعتناق الديانة الصحيحة . وسركيس هذا هو الرشعينيّ الفيلسوف الطبيب الشهير الذي كتب مقالات شتى وترجم كتباً كثيرة فلسفيّة طبيّة من اليونانية الى الكلدانية (٣) . ولا تذكر القصة ما جرى بينه وبين آبا . والظاهر انّ هذا الفاضل جادل الطبيب وحمله على نبذ المذهب الاريوسيّ . فانه لم يلبث ان انحاز الى الكاثوليك وحارب معهم البدعة المنوفيسيتية بشدة لا مزيد عليها (٤) . وانطلق الى انطاكية سنة ٥٣٥ وسعى بأزيلوس (٥) اسقف راس العين اليعقوبيّ لدى افرام البطريرك الذي كان الدّ عدوّ للمنوفيسيتيين . وذهب من هناك الى رومية واتى باغاپيطوس البابا الى القسطنطينية . وبمساعدته وهمته طرد البابا من تلك المدينة كل المنوفيسيتيين (٦) . فترى مما قيل ان لا صحة لقول المؤلّفين المنوفيسيتيين (٧) ان

---

(١) التاريخ السعردي يكتب احد . امّا ماري فيقول انهُ اعتمد في الحيرة

(٢) لابور ١٦٤ — ١٦٥

(٣) السمعاني ٢ : ٣٢٣

(٤) لابور ١٦٨

(٥) ابن العبري يكتب : اسقيل

(٦) دوڤال الآداب السريانية ٣٦٥ — ٣٦٦

(٧) النصوص السريانية طبعة لاند ٢ : ٢٨٩ — ٢٩٠ . وابن العبري ١ : ٢٠٥ و ٢٠٧

سركيس الريشعيني كان يعقوبياً . ومما يستحق الاعتبار ان بعض النساطرة كانوا من اخص تلاميذ سركيس منهم تئودور اسقف مرو (١)

ثم ان آبا انتقل من راس العين الى اورهاي . ولزمه هناك احد تلاميذه المدعو توما الاورهاوي . وقد رجع من نصيبين الى مدينته إمّا لينذر فيها التعاليم النسطورية واما لانه صار كاهناً للنساطرة الذين هناك . وكونه من تلاميذ مدرسة نصيبين امر لا ريب فيه . فان قيورا اورهايا في مقالتيه في الصوم والفصح يسمّيه ربّان اي معلمنا (٢) . وقصة آبا تشير الى ذلك بتسميته ܐܚܐ اي الاخ وتوما نفسه في مقدمة مقالتيه في الميلاد والدنح (٣) يقول انه الّفهما في مدرسة نصيبين على طلب موسى المقريان (٤) بحسب ما علّمه الربّان القديس مار آبا المفسّر

وبقي آبا مدةً في اورهاي يتعلّم اللغة اليونانية من توما تلميذه فصار يحسن الفارسية والكلدانية واليونانية . ثم خرج الى الاراضي المقدّسة والى مصر وتبعه توما . وذكرت قصة حياته انه فسّر الكتب المقدّسة في الاسكندرية باليونانية . اماّ التاريخ السعردي فيقول ان آبا كان يفسّر بالارامية ورفيقه توما يترجم كلامه باليونانية . وذهب الاب لابور ان هذه الجملة تدل على ان مار آبا واظب على الدروس في الكلية التي تعلم فيها سركيس الريشعيني . وان آبا وتوما ردّجعا كثيرين من الوثنيين والهراطقة في الاسكندرية الى المذهب النسطوري . فشقّ ذلك على المنوفيسيتيين واضطهدوهما وطردوهما من المدينة . فمضيا الى اثينة ومن هناك الى القسطنطينية حيث بقيا سنة كاملة

ان سفر آبا الى بلاد الروم كان بعد عقد الصلح بين المملكتين اي نحو سنة ٥٣٢ . فانه ليس من المحتمل انه دخل هناك في اثناء المحاربة التي دامت الى سنة ٥٣١ . وسفره الى بيزنطية قد ذكره قزما انديكوپلستيس في كتابه المعروف

---

(١) دوقال الآداب السريانية ٣٦٥

(٢) ان هتين المقالتين محفوظتان في مكتبتنا السعردية العدد ٨٢

(٣) توهّم ابن العبري بقوله ان توما الاورهاوي كان يعقوبيا . فانهُ يتّضح جليّاً من هتين المقالتين انهُ كان نسطورياً (راجع ايضاً دوقال الآداب السريانية ٢٣٧

(٤) من المحتمل ان موسى المقريان هو الذي تلمذ مار آبا الى النصرانية (انظر ص ١٧١)

بالتوپوغرافيا المسيحية الذي ألّفه نحو سنة ٥٤٧ . وهذا نص كلامه : « اني اخذتها (هذه المعلومات) من الرجل الالهي والملفان العظيم پاتريكيوس (١) الذي اقتداء بابراهام اتى من عند الكلدانيين مع توما الاورهاوي . وكان توما يدرس حينئذٍ اللاهوت ويصحبه اينما ذهب وتوفي (اي توما) الآن بارادة الله في بيزنطية . واني اختبرت تقواه وعلمه المستقيم . وهو الذي قد ارتقى الآن بنعمة الله الى كرسي مطرنة فارس العالي . فصار اسقفاً جاثليقاً (٢) . »

وكان في تلك الاثناء في بيزنطية ما عدا آبا وتلميذه توما علماء كثيرون من النساطرة واليعاقبة استدعاهم الملك يوسطينيانوس (٥٢٧ — ٥٦٥) للمناظرة . فمن النساطرة بولس مطران نصيبين الذي بقي مدّة من الزمان في عاصمة مملكة الروم يفسر الكتاب المقدس لبعض وزراء الملك منهم يونيليوس الافريقي الذي يثني عليه كل الثناء . وألّف بولس هناك كتابه المعروف بضوابط الشريعة الالهية (٣) . والرسالة التي ضمّنها ما اتفق له من الجدال في اصول الدين مع الملك يوسطينيانوس (٤) . وروى التاريخ السعردي ان يوسطينيانوس عند تمام الصلح بينه وبين خوسرو انوشروان (سنة ٥٣٢) ساله ان ينفذ اليه جماعة من الملافنة من بلد الفرس . فبعث اليه بولس مطران نصيبين وماري اسقف بلد وبرصوما اسقف قردو وايشاي المفسر بالمدائن وايشوعياب ارزونايا (٥) الذي صار جاثليق المشرق وبابي اسقف سنجار . فاكرمهم جميعاً . ووقعت المناظرة بينهم ثلاثة ايام وهي مدونة (٦) . وعرّفوه الامانة

---

(١) ان اليوناني πατρίκιος يقابل الكلداني آبا ومعناه الأَب

(٢) الپاترولوغية اليونانية ܦܓ : ص ٣٧ . راجع ايضاً لابور ١٦٦ ومدرسة نصيبين ١٦ — ١٧

(٣) السمعاني ܓ : ܐ : ٩٢٧

(٤) ابو بركات في السمعاني ܓ : 2 : ٦٣٢ . وعبديشوع الصوباوي فيهِ ايضاً ص ٨٧ والتاريخ السعردي ܐ : العدد ٩٤

(٥) ان المؤلف يُطلق على اغلب هؤلاء الملافنة اللقب الذي لُقّبوا بهِ فيما بعد . فانهُ في ذاك الزمان لم يكن بولس قد صار مطراناً في نصيبين ولا ايشاي مفسّرًا في المدائن ولا ايشوعياب اسقفاً في ارزون

(٦) هنا المؤلف يريد مجادلة بولس المطران مع يوسطينيانوس

الصحيحة فسمع منهم وصرفهم مكرّمين. وقال قوم انّ ابراهام ويوحنان تلميذَي مار نرساي كانا مع القوم المنفذين الى ملك الروم وانه استحسن عبارتهما واستصوب قولهما وشركهما في البر مع بولس امّا آبا وتلميذه توما فلم ينالا ما ناله رفاقهما النساطرة من الكرامة عند الملك وقيل انه قد طلبوا منهما ان يحرما تئودوروس وديودوروس ونسطوريس. ولمّا أَبيا واوشكا ان يُقتَلا. هربا من القسطنطينية ورجعا الى نصيبين (١) اه. ولكنّ قصة مار آبا لا تذكر هذه الواقعة. وقرءنا المذكور آنفاً يقول عن توما انه توفي في القسطنطينية . فكيف يوافق مار آبا برجوعه الى المشرق

ولما عاد آبا الى نصيبين ورأى ما هي عليه الكنيسة على عهد نرساي واليشاع تاسف جدّاً واراد الانفراد في البرّية لممارسة الفضائل النسكيّة. لكنّ اهل نصيبين واساقفة الابرشية ومار ابراهام بيت ربّان رئيس المدرسة والتلاميذ (٢) اجتمعوا وطلبوا اليه ان يتقلّد التعليم والتفسير والخطاب والترجمة لان كلامه كان عسجدياً مفهوماً. وكتب صحفاً ونثر من فمه اللؤلؤ المكنون واصلح اموراً كثيرة. وردّ الى الايمان الصحيح تئوفيلا الذي كان قد زاغ عن المحجة المستقيمة (٣)

ولم يمكث آبا زمناً طويلاً في نصيبين. بل انتقل الى المدائن ليلقي السلام في الكنيسة التي كانت على حالة سيئة من اجل تنازع الرئاسة بين نرساي واليشاع. ففتح هناك مدرسة وبدأ يعلّم فيها بكل غيرة ونشاط (٤) . فودّه الجميع . وفي تلك الاثناء لاسباب لا نعرفها أُغلقت مدرسة نصيبين مدة سنتَين بامر خوسرو الملك فانتقل كثير من تلامذتها الى آبا في المدائن . ولا بدّ من ان اغلبهم لِئلّا نقول كلّهم كانوا من تلاميذه وقرأوا عليهِ اذ كان في نصيبين . ولمّا فُتحت مدرسة نصيبين

---

(١) التاريخ السعردي ك : ٦٤. وماري ٥٠

(٢) التاريخ السعردى ك : ٦٤

(٣) التاريخ السعردي ك : ٦٥

(٤) ماري ٥٠ . وعمرو ٤٠. والتاريخ السعردي ك : ٦٦. وميامر نرساي طبعة القس الفونس مكنا : المقدمة ٣٨

ثانيةً رجع اليها بعضهم وبقي الآخرون في المدائن ومن جملتهم ايشاي ورامیشوع (١) وصارا مفسّرين في هذه المدرسة الجديدة (٢)

واما تلاميذه الأخو الاكثر شهرة والمعروفة اسماؤهم فهم نرساي ويعقوب وبولس وحزقيال وقيورا وموسى وبرشبثا وداود وشوحالماران وسرگيس ويعقوب (٣). واكثرهم صاروا اساقفة على مدن مختلفة . فصار نرساي اسقفاً للانبار ويعقوب على كرخ سلوخ وبولس على نصيبين ورامیشوع على الانبار (٤). وموسى على شوش (٥) . وشوحالماران على كشكر . وبرشبثا (٦) على شهرقرد (٧). وداود على مرو . وحزقيال على زابي ثم صار جاثليقاً . وقيورا صار معلّماً في الحيرة (٨) وسرگيس في اربيل . وسياتي ذكر تاليفاتهم مفصّلاً في نهاية هذا المجلّد

٢ جثلقة مار آبا واصلاحاته واسفاره

ان آبا اشتهر كثيراً بفضائله وغزارة علمه . فاحبَّه الجميع واكرمه خوسرو انوشروان لانه كان يستعدّ لمحاربة الروم . وكان آبا قد طاف بلادهم وعرفها جيداً (٩) . ووضع امله فيه ليكون له دليلاً . فلمّا مات بولس الجاثليق آياه انتخب جميع المؤمنين وكل الذين على باب الملك من الاطباء والكتّاب (١٠) وعلى رواية ايشوعدنون الجاثليق انّ آبا كان يومئذٍ في الحيرة (١١) وهناك جرت رسامته .

---

(١) ميامر نرساي : المقدمة ٣٨ (٢) ماري ٥٢

(٣) عن تلاميذ مار آبا راجع التاريخ السعردي ﻫ : ٧٩ وعمرو ٤٠

(٤) بعد وفاة نرساى المار ذكره (٥) التاريخ السعردى يكتب كرح السوس وهو غلط عوض كرخ ليدان راجع السنهادوسات ١١٠

(٦) عمرو والتاريخ السعردى يكتبان برشبا وهو غلط من الناسخ راجع السنهادوسات ١١٠

(٧) التاريخ السعردى يكتب شهرزور وهو غلط راجع السنهادوسات ١١٠

(٨) عمرو يكتب حزة . ولكن الحيرة اصح . فانهُ قيل عن قيورا انهُ نقل جثة معلمه مار آبا الى الحيرة ودفنها (راجع مارى ٥٢ والتاريخ السعردي ﻫ : ٧٨)

(٩) ميامر نرساى المقدمة ٣٨ (١٠) التاريخ السعردى ٦٥

(١١) فيهِ ايضاً ٧٨

فارسل الملك خيّالته واتوا به الى المداين بعزّ واكرام. وذلك في اوائل سنـــة ٥٤٠ كما اتى في كتاب السنهادوسات (١)

وقام مار آبا باعباء وظيفته اتم قيام. وباشر بالعمل بشجاعة عظيمة وغيرة متقدة وكان بولس الجاثليق بمساعدة الملك قد وضع اساس الاصلاحات. غير انّ الشقاق لم يكن قد زال من المدن. فانه في كلٍ منها كان اسقفان او مطرانان وفي كل كنيسة مذبحان. فتقرّر في المجمع المعقود بعد رسامة مار آبا انه اذا كان لمدينة اسقف واحد وهو صالح لا عيب فيه يبقى في درجته وعلى كرسيه ولو كان مرسوماً في اثنـــاء الرئاسة المنشقّة. واذا وُجد اسقفان على كرسيّ واحد فأحسنهما طريقةً يثبت على الكرسيّ والآخر ينزل الى درجة القسيس. واذا كان كلاهما مستقيمَي الطريقة فاقدمهما يثبت في الاسقفية. واذا كان كلاهما لا يصلحان فيسقطان سويّة

ان الابرشيات والمرعيثات الشمالية لم يكن الشقــاق فيها شديداً. او بالحري كان قد ارتفع منها على عهد مار بولس الجاثليق او قبله. فانهُ اتى في رسالة مار آبا التي عنوانها: ترتيب الاعمال الصالحة ما نصه: «ان اكثر الابرشيات قد أُلقي فيهـــا السلام منذ زمان واصطلحت امورها» امّا الابرشيات والمرعيثـــات التي في كلدو الجنوبية والاهواز وفارس فكانت على اشقى حال. لان نرســـاي واليشاع ملآ تلك الابرشيات بالاساقفـــة. اذ كان كلٌّ منهما يسلك على هواه وينهب الكنائس ويرسم كهنة واساقفة

فاراد مار آبا ان يستاصل هذا الشرّ ساعةً اقدم. وانطلق هو بنفسه الى تلك الابرشيات والمرعيثات مصحوباً باثنين وثلاثين من كهنة المداين وشمامستهـــا. فبدأ أوّلاً في اصلاح امور پيروزشابور. ثم انتقل الى بلدة كشكر. واتاه في مدينـــة زيزوردا بولس مطران بيت لاپاط وشالمي اسقف كرخ ليدان وميهرنرسا اسقف زابي وشيلا اسقف هرمزدارداشير واليشـــاع اسقف شوشتر وخوسرو اسقف شوش. وبعد تعب كثير القوا السلام بين اهالي كشكر. وقد راينا سابقاً انّ اليشـــاع

---

(١) ان التاريخ السعردي وعمرو وابن العبري غلطاً يقولون ان رسامة هـــذا الجاثليق كانت في السنة السادسة لخوسرو (سنة ٥٣٦)

الجاثليق رسم لهذه المدينة اسقفاً من حزبه اسمه برشبا وكان اسقفها شموئيل في قيد الحيوة · فرسم مار آبا لكشكر اسقفاً آخر يقال له شموئيل ايضاً واسقط شموئيل الاول وبرشبا (١) اللذين كانا يتنازعان الكرسيّ

ثم نزل مار آبا والاساقفة الذين معه الى ميشان · ورافقهم شموئيل اسقف كشكر الجديد · وحيثما ذهبوا اصلحوا الامور · وكان تيماي بن داديشوع قد جعل نفسه اسقفاً في پراث قاعدة بلاد ميشان والقى فيها الفساد والخصومات · فحرمه مار آبا واسقطه من درجة الكهنوت واثبت مكانه على الكرسيّ مار يوحنان · وانتقل الجاثليق من هناك الى هرمزدارداشير في الاهواز ولحقه ابراهام اسقف زَيبا · فاصلح بينهم وبين راعيهم شيلا · ثم نزل آبا والاساقفة الى فارس · وادركهم في ريواردشير ابراهام اسقف بيهشابور وقرداغ سقف ارداشير كورة وداود اسقف قيش · وكان في ريواردشير ثلاثة مطارنة اسحق وايشوعبوخت واقاق · فاسقطهم كلهم ورسم معنا مطراناً على فارس · ثم رجعوا الى الاهواز ورافقهم مار معنا · ولم يبرحوا يصلحون الامور حيثما دخلوا حتى وصلوا الى شوشتر · وكان ابراهام النصيبينيّ قد سمّى نفسه هناك اسقفاً فاتى وقدّم الطاعة فقبلوه في درجة الكهنوت وامروهُ ان يخدم بين يدي اليشاع اسقف المدينة · وتوجّهوا من هناك الى بيت لاپاط قاعدة بلاد الاهواز · ولحقهم هناك شمعون اسقف پيروز شابور

انّ الشرّ الاعظم كان في بيت لاپاط حيث كان ابراهام البيثلاپاطي قد زرع الفساد · فانه كان قد اشتهر بالمنكرات منذ صغره · فحرمه مار بوزاق الاسقف ثم شيلا الجاثليق · غير انهُ انتهز الفرصة عندما انشقّت الرئاسة وصار كاهناً · وسرق اثاث الكنيسة وباعها · ثم ذهب الى ميشان عند تيماي بن داديشوع وأُسيم اسقفاً · ولما تجثلق مار آبا انطلق اليه الى المدائن وطلب منه الغفران ورضي بالقصاص الذي وضعه عليه فوعد واخذ على نفسه ان يعيش في درجة الكهنوت · غير انهُ لمّا رجع الى بيت لاپاط انتهز الفرصة من غياب المطران بولس ورجع الى شرّه وضبط كنيسة

---

(١) ان كتاب السنهادوسات ص ٧٠ يكتب **ܡܬܪܫܝܐ** مترشيا · والظاهر انهُ غلط من الناسخ عوض برشبا

ميهربوزيد وساعده بعض الناس الاشرار وبعض رجال الدولة لكنّ الحكومة نفسها كانت مع الجاثليق. فقبضوا على ابراهام المذكور وقصوا لحيته وكبّلوا يديه ورجليه بالقيود والقوه في السجن هو وجميع الذين كانوا من حزبه. فهرّبهُ المتحزّبون له من رجال الحكومة واسقطه مار آبا من درجات الكهنوت ورشقه بالحرم الكبير

انّ هذه الاصلاحات التي عملها مار آبا في ارض الكلدان وفارس والاهواز امضاها هو والمطارنة والاساقفة الذين رافقوه. وتسعة وعشرون كاهناً من كهنة كنائس برنحلا ومار ابراهام وبيت ميهربوزيد وبيت يزدنداد وخمسة وثلاثون علمانياً من اشراف كرخ ليدان وبيت لاپاط وشوشتر وهرمزدأرداشير. وعنوان هذا السفر في كتاب السنهادوسات: « اعمال الاصلاحات الرئيسية (١) »

وبطل الشقاق من الكنائس بهمّة مار آبا الجاثليق. غير ان الشرور المتولّدة منه كانت باقية. فان كثيراً من المسيحيين تراخت سيرتهم وضعُفَ ايمانهم. فاقتدوا بالمجوس واليهود والوثنيين وتزوّجوا نظيرهم بامراتين او بامرأة الاب او بعمّتهم او بخالتهم او اختهم او كنّتهم او بامراة اخيهم وهلم جرّاً. فاراد مار آبا قبل ان ينفصل من الاساقفة حاشيته ان يستأصل ايضاً هذه العوائد المستقبحة. فوجّه الى مطارنة واساقفة واقليروس نصارى المشرق منشوراً عنوانه: « تدبير الافعال الصالحة » وهاك شيئاً مما قاله: « حيث انه الآن بنعمة الله وهمّة خوسرو ملك الملوك قد زالت الرئاسة المثنّاة واعلب الابرشيّات اصطلحت امورها منذ زمان والقي فيها السلام راينا مناسباً ان نصلح امور العلمانيين مثلما أُصلِحت امور الاقليروس. فنحن والمطارنة والاساقفة الذين اهتمّوا معنا باصلاح امور الكنائس قرّرنا ان يجري امر الزواج حسب القانون الصحيح. فلا يتزوّج الرجل بامراة ابيه ولا بامراة عمّه ولا بعمته او بخالته او اختهِ او كنّتهِ او ابنة ابنهِ او ابنة ابنتهِ كما يفعل المجوس ولا بامراة

(١) ان الاب شابو (السنهادوسات ٣١٩) والاب لابور (ص ١٧٥) يترجمان ܗܓܡܘܢܝܩܝܬܐ بلفظة Provinciale. والحال ان اليوناني ἡγεμονικοῦ معناه Qui convient au chef

اخيهِ مثل اليهود . وممنوع ايضاً التزوّج بغير مؤمنة او بامرأتين . فمن تجاسر وارتكب خطية كهذه أمهلناه شهراً او شهرين او ثلاثة اشهر او سنة . فان تاب قُبِل والّا خُرِم (١) .»

٣ اضطهاد مار آبا

انّ مار آبا رجع الى المدائن في بدء السنة ٥٤١ . وذكرت عنهُ قصتهُ انهُ كان يكتب بالليل رسائل الى البلاد في خصوص تدبير الكنيسة . وكان في النهار الى الساعة الرابعة مشغولاً في تفسير الكتب المقدسة ومن الساعة الرابعة الى المساء كان يحكم بين المؤمنين او بين الحنفاء والمؤمنين ويزيل الخصومات من بينهم . ففرح بهِ عباد المسيح . وشمل السرور كل الكنائس التي تحت رعايتهِ

غير ان هذا السرور لم يدم سوى بضعة اشهر . فان المجوس لما راوا ما اتى بهِ مار آبا من الاصلاحات في الكنيسة وانهُ منع النصارى من التمسّك بعوائدهم وانهُ يخصم الدعاوي بين المسيحيين وبين اهل مذهبهم ابغضوه بغضاً شديداً وارادوا شرّهُ . وسنحت لهم الفرصة سريعاً بانتشاب الحرب بين الفرس والروم وامتناع مار آبا من الخروج مع الملك (٢)

ان خوسرو الاول الذي عقد الصلح مع الروم سنة ٥٣٢ لما راى يوسطينيانوس مشغولاً بامور اطاليا انتهز الفرصة واعلن عليهِ الحرب محتجاً انهُ هو الذي جعل الهياطلة ان يعصوا على الفرس (٣) . فلمّا كانت السنة ٥٤٠ زحف على سوريا

---

(١) ان هذا المنشور طبعه الاب بيجان في قصة جاالاها وتلاتة جثالقة أُخر الخ ص ٢٧٤ — ٢٨٢ . والاب شابو في كتاب السنهادوسات ٨٠ — ٨٥ . راجع ايضاً السمعاني ك : ٤ : ٧٩

(٢) التاريخ السعردي ف : ٦٦ - ٦٧ من اغرب الامور قول ابن العبري (ك : ٩١ وما يلي) ان الملك خوسرو اضطهد مار آبا لانهُ اشار عليهِ ان يقتل كيرلُّس الاسكندري ويصير يعقوبياً . فلمّا ابى نفاه الى اذوربيجان . ولعلّ ما حمل ابن العبري على هذا القول خلطه بين خوسرو انوشروان وخوسرو ابرويز

(٣) لابور ١٧٧

واستولى على شورا وحلب وانطاكية ونهب وقتل وسبى خلقاً كثيراً (١) . ثم حمل على افامية واخذ منها الجزية. وفي رجوعه حاصر اورهاي. فارسل اليهِ اهلها مائتي وزنة ذهباً وانصرف عنها . واخذ الجزية من تلا ودارا. وامّا الجزية والهدايا التي بعثها اليهِ اهل حاران فرجّعها اليهم رعايةً لهم لانهم بقوا متمسّكين بدياناتهم الوثنية (٢) . وفي رجوعهِ الى المدائن بنى بالقرب منها مدينة جديدة سمّاها انطيخوسرو اي انطاكية خوسرو واسكن فيها الاسرى الذين سباهم من سوريا (٣) واطلق عليها العرب اسم الرومية (٤) والكلدان ماحوزاحدثا اي القلعة الجديدة (٥)

ولما كانت السنة ٥٤١ حمل خوسرو السلاح على ارمنية ولازستان واستولى على مدينة پترا بالقرب من البحر الاسود. وفي تلك الاثناء حمل بيليزير القائد الرومي الشهير على وادي الدجلة فاضطرّ خوسرو وكرّ على اعقابهِ. لكنهُ في سنة ٥٤٢ زحف على كوماجين وفي سنة ٥٤٣ على ارمنية وفي سنة ٥٤٤ على ما بين النهرين وشدّ الحصار ثانية على اورهاي . ولما طال هذا الحصار قدّم لهُ اهل اورهاي ٥٠٠ وزنة من الذهب . فانصرف عنهم . ودامت الحرب في ما بين النهرين الى سنة ٥٤٦ . وفيها اعطى الروم للفرس مبلغاً جسيماً من الفضة. ووقعت الهدنة بينهم (٦)

من جملة نتائج هذه الحرب الشديدة اضطهاد الكلدان النصارى في مملكة الفرس. فانّ خوسرو الاول في غارتهِ على لازستان سنة ٥٤١ طلب الى مار آبا ان يرافقهُ ليشجّع بحضوره النصارى الذين في جيشهِ وكانوا كثيرين وليجذب الى الفرس اهل البلاد التي كانوا مزمعين ان يفتحوها والتي كان جميع سكّانها نصارى. كما

---

(١) لاند النصوص السريانية ܒ : ٣١٤   (٢) دوقال تاريخ اورهاي ٢٠١—٢٠٢

(٣) لاند النصوص السريانية ٢ : ١٥ و ܒ : ٣١٤ . التاريخ السعردي ܐ : ٩٠ والتاريخ الاورهاوي في السمعاني ٢ : ٤١٦

(٤) عمرو ٤٢ والتاريخ السعردي

(٥) السنهادوسات ١٠٨ . وابن العبري ܐ : ٨٥ و ٨٧

(٦) دوقال تاريخ اورهاي ٢٠١ — ٢١٠

استصحب فيا بعد الى ميدان الحرب حزقيال الجاثليق (١) . غير ان مار آبا لم يرافق الملك لئلّا يشاهد سفك الدماء وكان المجوس وفي مقدمتهم دادهرمزد حبرهم العظيم يبغضون الجاثليق ويسعون بهِ لدى ملك الملوك . ومن جملة شكاياتهم عليه انهُ يبطِل احكامهم ويحرم النصارى الذين ياكلون لحوم قرابينهم ويمنعهم ان يتزوّجوا نظير المجوس باهلهم وينصّر كثيرين منهم . وانهُ يحبّ قيصر الروم ويبغض دولة الفرس

وحالما خرج الملك من المدائن الى ارمنية لمحاربة الروم سنة ٥٤١ اجبر المجوس مار آبا ليحضر مجلسهم . فمثَل بين ايديهم ثلاث مرّات ولم يروا عليهِ حجّة . اخيراً اشتكى عليهِ حاكمان فارسيّان وقالا انهُ لمّا كان في فارس نصّر كثيرين من المجوس ومنع بني مذهبه من التمسُّك بعوائد المجوس . فلما سمع الحاضرون ذلك صاحوا اذن يستحق الموت . فطلب دادهرمزد حبرهم منهُ الجواب . ومن حيث ان الجاثليق كان واثقاً بالملك لِما رأى منهُ من الكرامة قال لهم بشجاعة انهُ لا يجاوبهم ما لم يامره ملك الملوك . ولم يجسر المجوس ان يُسيئوا اليهِ . فاخذوه معهم ولحقوا بالملك الذي لم يكن بعيداً من المدائن . ودخل رئيس المجوس على انوشروان واخبره بقصة جاثليق الكلدان . فامره الملك ان يجيب عمّا سالهُ المجوس . فاجاب مار آبا بشجاعة على رؤوس الجمع وقال انهُ مجبور على قبول الذين يريدون التنصُّر وعلى ابعاد النصارى عن عوائد المجوس . فلما سمع ذلك منهُ القضاة حكموا عليهِ بالموت . لكنهم لم يتجاسروا ان ينفذوا حكمهم خوفاً من الملك ومن النصارى انفسهم لانّ كثيرين منهم كانوا مقرّبين لدى الملك . حتى انّ واحداً منهم اسمهُ أبروداق المدائنيّ وبّخ المجوس توبيخاً مرّاً وقال لرئيسهم دادهرمزد على طريق الاستهزاء : « ان اردت ان تكون انت ايضاً نصرانياً يقبلك مولانا الجاثليق . ونحن معشر النصارى لا نطردك من الكنيسة . » ومع ان هذا الكلام المرّ وقع شرّ موقع في قلوب المجوس لم يقدروا مع ذلك ان يضرّوا أبروداق لانهُ كان من اعظم رجال الدولة . ثم دخلوا على الملك وسعوا بهِ لديهِ فقطع خوسرو حجتهم وقال لهم : « ولماذا لم تحكموا عليهِ من ساعتهِ » ولمّا ارادوا ان يحاجوه لم يروه . لانهُ ذهب بامر الملك الى المدائن

---

(١) التاريخ السعردي ف : ١٠١

وبقي مار آبا في المعسكر سبعين يوماً واعداؤه المجوس لا يزالون يحمّلون عليهِ الملك. وساعدهم ايضاً بعض النصارى الجاحدين ومن جملتهم ديننداد الشومراوي . فبقي الملك محتاراً في امره. لان المجوس كان لهم نفوذ عظيم في المملكة والنصارى ايضاً كانوا كثيرين فخاف ان يتم سجس يضرّه في وقت الحرب اذا امر بقتل الجاثليق. فكان كلما صادفهُ سلّم عليهِ واكرمهُ. فازداد غضب المجوس واستاءوا جداً. واخيراً نالوا مرامهم باطلاعهم على انهُ كان مجوسياً فتنصّر. ووعدوه انهم يطلقون سبيلهُ اذا ابطل الحروم التي رشق بها النصارى المتمسّكين بعوائد المجوس ولمّا ابى حكموا عليهِ بالحبس . وعندما سمع النصارى هذا الخبر المحزن صاحوا وضجّوا كثيراً . فاضطرّ انوشروان ألاّ يحبسهُ بل ان ينفيه الى اذوربيجان . فسُلّم الى دادين حاكم تلك النواحي. وشيعهُ المسيحيون بكل عزّ واكرام باكين متاسفين. وتبعهُ الكهنة والشمامسة الذين كانوا في خدمتهِ

ان نفي مار آبا فتح اضطهاداً على النصارى . لكنهُ لم يشتد نظير اضطهادات شابور الملك وخلفائهِ. وقد اتى في اعمال غريغور القائد الشهيد (١) ان المجوس هدموا الكنائس والاديرة حيثما كان النصارى قليلي العدد. فلما رأى ذلك الاساقفة تاسفوا جداً. وحالما رجع خوسرو من المحاربة اجتمع كثير منهم على بابهِ متظلمين ظنّاً منهم انّ هذا الملك العادل الذي لاطفهم في السابق وساعدهم في كل امورهم لا يامر ابداً باضطهادهم . ولكن خاب مسعاهم فان انوشروان لكي يُرضي كهنة النار أمر بهم فألقوا في السجن مع كثير من الكهنة والعلمانيين . ومن جملتهم شالمي اسقف ليدان وميهرنرسا اسقف زابي . وأُلقي ايضاً بالقبض على الاشراف المتنصّرين حديثاً . منهم پيرنا كوشناسب الذي تسمّى غريغور ويزيدپناه وعويدا. وهاك قصة جهادهم (٢)

٤ جهاد غريغور القائد ويزيدپناه الشهيدَين (٥٤٢) وعويدا المعترف (٥٤٤)

انّ پيرنا كوشناسب كان رازيقيّاً وطناً ومجوسيّاً مذهباً من آل مهران من عظماء

(١) قصة جبالاها الخ ٣٤٩ (٢) قصة جبالاها ٣٤٧ – ٤١٥

المملكة .وجُعل مرزباناً في كورزان واران . واعتنق الديانة النصرانيّة في السنة الثلاثين لقباذ الملك (سنة ٥١٨ م) واتخذ في العماذ اسم غريغور . ولما وصل خبره الى مسامع الملك اخذ جميع امواله والقاه في جبّ مظلم . وبقي فيهِ حتى انتشب القتال بين الروم والفرس . فخلّى حينئذٍ قباذ سبيلهُ واعاده الى وظيفتـهِ الاولى . ولما انكسر الفرس ووقع غريغور اسيرًا بيد الروم وذهبوا بهِ الى الملك يوسطينوس خلع عليهِ القيصر واكرمهُ . وفي سنة ٥٣٣ لمّا أُرسل زَبَرگان من قبل انوشروان الى ملك الروم لامضاء المهادنة بين الدولتَين اشار السفير الفارسيّ على غريغور ان يرجع معهُ الى وطنهِ فاجابهُ الى ذلك بعد ان اخذ منهُ التامينات اللازمة بألاّ يُجبر على ترك دينهِ . فاكرم خوسرو الاول غريغور ورجّعهُ الى مرتبتهِ الاولى في كورزان واران . ولمّا كانت السنة ٥٤١ زحف انوشروان على لازستان وهو غضبان على النصارى لامتناع بطريركهم آبا من الخروج معهُ الى الحرب.وعند وصولهِ الى كورزان مثُل بين يدَيه مهران احد اقارب غريغور القائد ووشى بهِ . وللحال امر الملـك بالقبض عليهِ . ولمّا رجع من المحاربة استاقهُ الى عاصمة مملكتهِ وطرحهُ في السجن في قرية قريبة من المدائن يقال لها زقارتا بيت بالان . ومكث غريغور في السجن طول الشتاء اي من تشرين الثاني سنة ٥٤١ الى نيسان سنـة ٥٤٢ وهو يكابد عذاباً اليماً . ونصَّر بعضاً من المجوس المحبوسين معهُ . فبلغ الغيظ من كهنة النار كل مبلغ . وكان الملك قد خرج الى محاربـة الروم وضرب معسكره بالقرب من بيروز شابور .فلحقهُ مهران المذكور وطلب قتل غريغور . فامر الملك باحضاره.ولمّا مثل بين يديهِ الحّ عليهِ رجال الدولة ان ينبذ الديانة النصرانية . واذ ابى ولم يفعل أُخذ بحد السيف بالقرب من بيروز شابور.وكان استشهاده في جمعة الآلام سنة ٥٤٢ وتذكاره عند الكلدان في الجمعة الثالثة من اسابيع الصليب (١)

امّا يزيدپناه فكان من اشرف عائلات الاهواز . من قرية يقال لها شوش في اطراف كرخ ليدان . وتنصّر على ايدي الرهبان الذين في تلك المدينة نحو سنة

---

(١) كتاب الاناجيل المفصّلة للآحاد والاعياد ... في مكتبة القلاية البطريركيـة الكلدانية في الموصل

٥٣٨ . وحملتهُ غيرتهُ الدينيّة ألّا يبالي بالموت واخذ يجادل المجوس . فاستدعاه الموهپاط لكي يجبره على نبذ ديانتهِ الجديدة . ووعده اذا اطاعهُ ان يجعلهُ حبرًا عظيماً لدى المجوس . واذ لم يسمع منهُ طرحه في السجن وبقي فيهِ خمس سنوات .
ولما قُتل عريغور القائد ذهب به المجوس الى المدائن لعلّهُ عند سماعهِ بقتلهِ يرتخي عزمهُ فيرجع الى المجوسيّة . ثم ذهبوا بهِ الى پيروز شابور عند الملك . غير انّ خوسرو كان قد انتقل من هناك ودخل بلاد الروم . فاجتمع موبذان موبذ وموهپاط بيت ارمايي وموهپاط آخر وكثير من المجوس واحضروا يزيدبناه بين ايديهم ووعدوه انهم يجعلونهُ موهپاطًا اذا لبّى دعوتهم . فبدأ المعترف يطعن بشدّة بديانة المجوس . فاشتدّ غضبهم وامروا بحبسه . واراد النصارى ان يختطفوه من بين ايديهم . فخاف المجوس ووجّهوه الى المدائن وقتلوه على الطريق في قرية يقال لها تيما . واتصل الخبر بأبروداق المارّ ذكره فامر خدّامه ان يرفعوا جثتهُ ويذهبوا بها الى المدائن ويقبروها حيث دُفن مار غريغور . وتذكاره عند الكلدان النساطرة في١٧ تموز(١) وفي الجمعة الثالثة من اسابيع الصليب (٢)

ومن بعد قتل غريغور ويزيدبناه اطلق المجوس سبيل كل النصارى المحبوسين . غير انّ نار الاضطهاد لم تنطفئ تماماً . فانّ المجوس استمرّوا على مضايقة النصارى ولا سيّما الذين يعتنقون حديثًا الديانة المسيحيّة . وبعد مرور ثلاث سنين على قتل الشهيدَين عريغور ويزيدبناه اي في سنة ٥٤٤ (٣) قبض المجوس على عويدا (٤) الذي اصلهُ من ارض الكوسيّين . وضيقوا عليهِ كثيرًا لانهُ ترك المجوسية وتنصَّر وضبطوا امواله واملاكهُ حتى انهُ اضطر ان يعيش من صدقات المؤمنين . ومع ذلك لم يرتخِ عزمهُ الشديد واخيرًا أُتي بهِ الى ماحوزا بيت ارمايي وعُذّب شديدًا . فلم يتزعزع ايمانهُ . لا بل مدَّ هو نفسهُ عنقهُ الى الجلاد لكي يقتلهُ . فلمّا رأى كهنة

---

(١) كلندار الكنيسة النسطورية
(٢) كتاب الاناجيل المفصّلة الخ
(٣) لابور يكتب سنة ٥٤٥ (ص ١٨٠)
(٤) ان هذا الاسم مكتوب عويرا في قصته التي طبعها بيجان . امّا اوقان فيكتب عويدا (طالع لابور ١٨٠ ح ١)

النار ما هو عليه من العزم الشديد استكفوا بقطع شحمتي اذنيه وارنبة انفه ثم اطلقوا سبيله

٥ في ما اتى به مار آبا من الاعمال الجليلة في المنفى
وفي المجمع الكلداني السابع

امّا ما كان من امر مار آبا فان خوس دادين حاكم اذوربيجان ذهبوا به بامر كهنة النار الى قرية في جبال اذوربيجان يقال لها سِرش المجوس . وفي مدّة قليلة جذب اليه المجوس الذين هناك بل الحاكم نفسهُ . فاكرموه كثيرًا ونصّر ايضاً بعضاً منهم بالمعجزات التي اجراها الله على يده . وبدأ النصارى اساقفةً وكهنةً وعلمانيين يقصدونهُ زرافات من جميع انحاء المملكة ليسمعوا كلامه وياخذوا بركتهُ . فجعل بيتهُ كنيسة ورسم فيه عدّة مطارنة واساقفة وكهنة وشمامسة

ولمّا كانت السنة ٥٤٤ في شهر شهريرِ الموافق لكانون الثاني اذ كان بعض المطارنة والاساقفة مجتمعين عنده رأى مار آبا ان يجمع ما كان قد رسمهُ في إصلاح الاقليروس والعلمانيين . ومجموعة هذه القوانين تشتمل على ستّ رسائل وهي . ١ً اعمال الاصلاحات الرئيسية . ٢ً في الايمان الصحيح . ٣ً في الاعمال الحسنة . ٤ً في زوال الرئاسة المتأتاة وترتيب القوانين لقبول او عدم قبول الاشخاص المرسومين على عهدها . ٥ً في المقرّرات والقوانين بخصوص جميع مراتب الرئاسة الكنائسية ٦ً عنوانها براقطيقي اي عملية وهي تشمل اغاب هذه الامور مع شرح على كل منها (١)

وهذه الرسالات الست قد طبعها الاب شابو في كتاب السنهادوسات . وقد لخصنا في العدد الثاني من هذا الفصل الرسالة الاولى والثالثة . وهتان الرسالتان مع الرسالة الثانية التي في الايمان كُتبتا قبل نفي مار آبا الى اذوربيجان اي في سنة ٥٤٠ . والرسالة الرابعة ارسلها الجاثليق الى اهل سجستان على يد سركيس الاسقف . لانهُ كان هناك ثلاثة اساقفة اعني بهم داود وسركيس ويزيدأبريد .

---

(١) السهادوسات ٦٨ — ٦٩ . راجع ايضاً السمعاني ܟܬ : ٤ : ٧٨ — ٧٩

وكان كلٌّ منهم يدّعي الرئاسة لنفسه . فبعد ان قصّ عليهم مار آبا خبر الشقاق الذي جرى على ايام نرساي واليشاع الجاثليقَين وبيّن المقرّرات المتخذة منهُ ومن سلفه مار بولس الجاثليق قضى وامر ان يحكم سرگيس الاسقف على كنيستَي بَست وروخوت . ويزيدأبريد على كنائس زرنغ وپروه وقَش وتوابعهـا . واذا توفي احدهما يحكم الآخر على كنائس سجستان كلها . امّا داود فهو محروم وساقط عن الدرجة الاسقفيّة . وهذه الرسالة امضاها ايضاً حنانا مطران اربيل ودْيرايا مطران بيت گرماي . والاساقفة موسى (بيت بغاش) ويوسف (لاشوم) وبرنون (طيرهان) وشمعون (معلثا) و بولس (برحيس) ومـاروثا (تحـل) ويعقوب (پيدافگران) ويوحنان (آذوربيجان)

والرسالة الخامسة مكتوبة الى مطارنة ميشان واربيـل وفارس والى جميع الاساقفة . والداعي الى تسطيرها هو ان بولس مطران بيت لاباط توفي . واهـل نصيبين قاموا على مطرانهم ورفضوا رئاستـه حتى اضطر ان ينفرد في بيته . فاراد اساقفة ابرشية بيت لاباط وابرشية نصيبين ان يرسموا هم مطراناً لهم . فحكم مار آبا ان رسامة المطران مختصة بالبطريرك وحرم الاساقفة اذا تجاسروا واساموا مطراناً لهم . ويقرّ انه كان بودّه ان يجمع اليهِ المطارنة والاساقفة لاتخاذ هـذه المقررات . غير ان ظروف الزمان لا تمكنهُ . فيعتذر ويطاب منهم ان يقبلوا هذه المقررات ويمضوها . فامضاها يوحنان مطران ميشان وحنانا مطران حدياب ودْيرايا مطران بيت گرماي ومعنا مطران فارس . والاساقفة شموئيل (كشكر) . وموسى (١) وشيلي (كشكر ميشان) (٢) وابراهام (شهرقرت) وشيلا (هرمزدأرداشير) وابراهام (رَيما) وموسى (بيت بغاش) ويوسف (لاشوم) وميهرنرسا (زابي) وايليشـاع (شوشتر) وشمعون (معلثـا) وبختيشوع (حربغلال) ومرقس (بيت دارايي)

(١) كتاب السنهادوسات لا يذكر كرسي موسى ولعله كان اسقف كرخ ليـدان او نهركور (السنهادوسات ٦٧ و ١١٠)

(٢) كذا مكتوب في طبعة شابو ܟܫܟܪ ܕܡܝܫܢ واما في النسخة السعرديّة فمكتوب ܟܫܟܪ ܘܡܝܫܢ كشكر وميشان . واظن ان كلمة كشكر زائدة

واماً الرسالة السادسة فلم يصل الينا منها سوى قطعة واحدة وهي في خصوص كرسيّ المدائن وقد طبعها الاب شابو في كتاب السنهادوسات · وفيها اشار مار آبا انهُ بعد موته يجب على اساقفة الابرشية البطريركية واهل المدائن ان يكتبوا الى مطارنة عيلام وبيت كرماي وحدياب وبراث ميشان ليحضروا في المدائن ويأتي مع كل واحد منهم ثلاثة اساقفة ليتخبوا للجثلقة بالاتفاق مع اهل المدائن رجلاً عالماً صالحاً لا عيب فيه ويرسموه بطريركاً في كنيسة كوخي ·ولا بدّ من انّ هذه الرسالة كتبها مار آبا في اذوربيجان حيث كان منفياً · ويظهر منها انهُ خائف على حياتهِ وعلى سلامة الكنيسة ·ولئلّا يحدث شقاقٌ بعد موته امر ان يبحثوا قبلما يموت على رجل فاضل يجلس مكانهُ (١)

وما عدا مجموعة الرسائل التي ذكرناها وضع مجمع مار آبا اربعين قانوناً في التدبير الكنسيّ ·وهذه القوانين ماخوذة اكثرها من مجامع نيقية وانقورة ونثوقيصريّة وكنكارا وخلكيدونية ومن مجمع مار اسحق الجاثليق (٢)·اما الاب لابور فقد شكّ في صحتها·غير انّ قولهُ ليس الّا مظنة لا غير

٦ رجوع مار آبا من المنفى وموته

انّ مار آبا البطريرك بقي منفياً سبع سنين في اذوربيجان·وما عدا المجوس عاداه ايضاً بعض النصارى لا سيما الاساقفة الذين لسقطهم عن كراسيّهم ومن جملتهم بطرس اسقف جرجان (٣) · فلكي ياخذ هذا الاسقف ثاره من الجاثليق اعتنق ديانة المجوس وجعل يُغري الملك بهِ حتى اخذ منهُ امرًا بعزلهِ وتبطيل كل الرسامات التي عملها · ولكي يشفي غليله طار على جناح السرعة الى اذوربيجان وأرى المجوس الحكم الصادر · غير ان هذا الحكم لم يكن صريحاً ·ولم يصغِ حبرهم العظيم الى كلام الجاحد·فاستشاط بطرس غضباً واحتال على قتل الجاثليق·

---

(١) لابور ١٨٧

(٢) السنهادوسات ٥٤٠ — ٥٥٠ . وكتاب الاحكام الكنائسية تأليف عبديشوع الصوباوي ܒ : ܛ (٣) قصته ٢٤٩ والتاريخ السعردي ܒ : ٦٧

وهجم عليهِ ليلًا ومعهُ جماعة من المجوس. غير ان تلاميذ مار آبا وصاحب البيت واهل القرية هزموه وابعدوه

فلمّا رأى ذلك مار آبا خاف على حياته. وهرب خفيةً الى المدائن مصحوباً باحد تلاميذه وبمار يوحنان اسقف اذوربيجان. وذهب توًّا الى باب الملك. ففرح المجوس وخاف النصارى لظنّهم ان انوشروان يقتلهُ لا محالة لانهُ كسر اوامره. اما خوسرو الملك فرعايةً للنصارى او خوفاً منهم لم يظهر لهُ القساوة. بل ارسل اليهِ احد قوّاده يسالهُ لماذا كسر اوامره وهرب. فاجابهُ الجاثليق انهُ يقبل الموت بطيبة خاطر اذا كان علنا وبامر الملك. ويكرههُ اذا كان خفيةً بيد احد الجاحدين وبدون امر الملك. فامر انوشروان بتخلية سبيله. فشمل النصارى فرح عظيم وتقاطروا اليه زرافات وانطلقوا به الى القلّاية البطريركية بزياح لا مثيل لهُ

فشقّ ذلك كثيرًا على المجوس. ودخلوا على الملك وتهدّدوه. ولما اصبحت خرج البطريرك مصحوباً بجمّ غفير من النصارى ليشكر انوشروان على تخلية سبيله فاحتال المجوس واستدعوه عندهم واغلقوا عليه الباب. فضجّ النصارى لظنّهم انهُ سيُقتل. فدخل احد اكابرهم على الملك وبيّن لهُ الشرّ الذي يتولّد من قتل الجاثليق. وقال لهُ: «ان النصارى الذين في مملكتك شعب عظيم قويّ لا يُحصى عدده وينفعون الملك. فان قُتل هذا الرجل الذي هو رئيسهم شقّ ذلك عليهم ولعلهم يحدثون فتنة في المملكة.» فاثّر هذا الكلام في انوشروان وامر ألّا يُقتل الجاثليق بل ان يُطرح في السجن. فكُبّل مار آبا بالقيود وأُودع السجن. ولما سمع النصارى الخبر اجتمع منهم كثيرون وارادوا ان يكسروا باب الحبس ليُخرجوا رئيسهم المحبوب. غير انّ مار آبا سكّنهم. فانقادوا الى كلامه

ولما ارتحل الملك وحاشيتهُ سنة ٥٤٩ الى اذوربيجان لقضاء فصل الصيف تبعهُ مار آبا وهو مكبّل بالقيود. وحيثما وصل اكرمهُ النصارى الكرامة كلها. ولما رجع الملك في الخريف الى المدائن رجع هو ايضا معهُ وحُبس في بيت مع بعض تلاميذه وهو مع ذلك يدبّر الكنيسة. ثمّ انّ انوشروان في ربيع سنة ٥٥٠ لما وصل الى جبال ماداي اراد ان يُطلِق مار آبا. لكنّ بعض المجوس حالوا دون ذلك. فساقهُ معه الى تلك الجبال ثم ارجعهُ معهُ الى المدائن

وفي تلك الاثناء عصى على انوشروان ابنهُ انوشازاد وكانت امه مسيحيّة . وكان ابوه قد نفاه الى بيت لاپاط من جرّاء فتنة بيتيّة (١) وانضمَّ اليه خلق كثير وفي جملتهم جميع النصارى الذين في گونديشابور وكانوا كثيرين . فلما بلغ خوسرو الاول ان النصارى انحازوا الى ابنه اضطرب واراد قتل مار آبا . وارسل اليه امينه دزاداغو يقول لهُ : « انت عدونا . وانما بتحريكك قد تكبّر النصارى حتى انهم في امكنة كثيرة تجاسروا وهجموا على المجوس وضربوهم ونهبوا اموالهم . والآن ايضاً قد رفعوا عليَّ لواء العصيان . فانت مستوجب اشنع قتلة . » ومع ذلك لم يضرّه بشيء بل دلّتهُ فطنتهُ ان يلاطفهُ كي يكتب الى النصارى ليعدلوا عن انوشازاد . وامر بتخليتهِ

وقيل عن مار آبا انهُ لما رأى الملك حزيناً كئيباً من جراء عصيان ابنهِ قال لـهُ يوماً : اريد ايها الملك ان اسال حبركم مسألة . قال لهُ الملك افعل . فقال الجاثليق: تصوّر ايها الملك انّ كانوناً عليه قدر مملوة ماء تفور وتحتهـا الحطب والنار تشتعل فماذا تقول الماء للقدر . وماذا تقول القدر للحطب . وماذا تقول النار للاناء . فاحتار الموبذ وضحك الملك بعد ان مضت عليه ايام لا يتكلّم وقال للجاثليق : لا يحضر مجلسنا اعلم منك فهات الجواب . قـال : ان الماء تقول للقدر أليس الطين الذي عُملت منهُ بي قد جُبل ولولاي لما صرتِ قدراً فلِمَ تؤذينني . وقالت القدر للحطب : أليس بالماء نبت شجرك ونمت اغصانك فلِمَ صرت تحرقني ومن اجل جورك صرتُ أوذي الماء الذي به تمّت جبلتي . وقال الحطب للنار : ليس احد جار على هؤلاء سواكِ . لانكِ انت تحملينـا على ان نؤذي آباءنا . فلمّا سمع الملك ذلك فهم انّ الآباء لا يسلمون من جور الابناء . فقبل تسليتهُ وحمـد عبارتهُ (٢)

ومما رفع مار آبا في عينَي انوشروان هو ان ملك الهياطلة ارسل في تلك الاثناء

---

(١) القصة ٢٦٣ وما يلي . وماري ٥٠ — ٥١ . والتـاريخ السعردي ك : ٧٠ — ٧٢ . لابور ١٨٩ وما يلي

(٢) التاريخ السعردي ك : ٧٦ — ٧٧ . وماري ٤٩ — ٥٠

كاهناً الى المدائن لدى خوسرو لكي يامر الجاثليق بان يرسمهُ اسقفاً لبلاد الهياطلة. وجرت هذه الرسامة في احتفال عظيم في الكنيسة الكبرى (١). ولم يلبث خوسرو ان ارسل الجاثليق الى الاهواز سنة ٥٥١ ليمنع النصارى من التحزّب مع العصاة. وكان قد كتب اليهم قبل ذلك وحرمهم ونهاهم عن العصيان. وتوفّق مار آبا في رسالته هذه. فازداد الملك فيه رغبة واعطاه الحرّية الكاملة. فاتّخذ لهُ مسكناً بالقرب من كنيسة نرقوس

غير انهُ لم يتمتّع طويلاً بهذه الحرّية. فان ما قاساه من الاسفار الشاقة والحبس والنفي الطويل اضعف قواه ووقع عليلاً. وارسل الملك اطباءه لكي يعالجوه. ولم يستفيدوا شيئاً. وقضى نحبه في المدائن في ٢٩ شباط سنة ٥٥٢ (٢). ودُفن باحتفال عظيم لان الجميع كانوا يتخذونهُ قدّيساً. فالقوا على جنازته ثياباً ومناديل للتبرك وكسروا نعشهُ وقطّعوه قطعاً اخذوها كذخائر. ودُفن مار آبا في دير ساليق. وقيل انّ قيورا تلميذه حمل فيما بعد جثّته الى الحيرة ودفنها هناك وبنى على قبره ديراً (٣)

وقال عنهُ الاب لابور: «كذا انتهت حياة هذا المعترف الجليل نور الكنيسة الفارسية. الذي اودعها كنوز تعليم صحيح وسيرةً لا عيب فيها. وبقيت مآثره بعد موته. فانهُ بهمته وهمّة خلفائه حُفِظت القوانين البيعية برمتها.» ولقّبتهُ الكنيسة الكلدانية بمار آبا الكبير والمعترف الجليل والملفان ورئيس الملافنة الى غير ذلك. وتذكاره في ١ اذار (٤) وفي الجمعة السابعة من الدنح (٥)

وقال عنهُ المؤرخون (٦) انهُ هو الذي ابطل عادة الزواج التي ادخلها برصوما في الكنيسة النسطورية وحذّره على الجاثليق والاساقفة. وهذا القانون غير مذكور في اعمال مجمع مار آبا التي بين ايدينا. ولا بدّ من انهُ كان مسطوراً في رسالته السادسة التي لم يصل الينا منها سوى قطعة

---

(١) القصّة ٢٦٦ — ٢٦٩ والتاريخ السعردي ك : ٧٨

(٢) السنهادوسات ٩٦ (٣) ماري ٥٢. وعمرو ٤١ والتاريخ السعردي ك: ٧٨

(٤) كلندار القديسين (٥) كتاب الحوذرا

(٦) التاريخ السعردي ك : ٦٧ . وماري ٥٠ وعمرو ٤١

ومن الامر الغريب الالهي انهُ بينما كان مار آبا مهتمًّا باصلاح حال الكهنة والاساقفة وضبط قوانين الكنيسة كان مار ابراهام الكشكري المعروف بابي الرهبان يجدّد السيرة الرهبانية فرجّعها الى بهاءها الاول . وبنى ديرًا جليلًا في جبل يزلا بالقرب من نصيبين وصار له عدّة تلاميذ شادوا اديرة لا تحصى . وسياتي ذكره او ذكر تلاميذه في نهاية هذا المجلد في فصل نخصّصهُ لهم

الفصل الرابع

يوسف الجاثليق (٥٥٢ — ٥٦٧) . المجمع الكلداني الثامن (٥٥٤) شيرين الشهيدة (٥٥٩)

قضى يوسف اكثر ايام حياته في بلاد الروم ليتعلّم الطبّ (١) . وقال الاب لابور : «من المحتمل انهُ درس عند سرجيس الريشعيني» . ثم اتى نصيبين وترهّب في دير هناك . وتعرّف لاجل علمه بمرزبان المدينة الذي كان من بيت ارمايي . ولمّا اعتلّ خوسرو انوشروان عرّفهُ المرزبان بيوسف . فعالجهُ وشفاه . ولقي حظًّا في عينيه

ولمّا توفي مار آبا انتخبهُ الملك ليكون جاثليقاً . فاطاعه الاساقفة صاغرين . ورسموه بطريركاً في ايار سنة ٥٥٢ . وكانت العادة الجارية منذ قديم الزمان ان يعقد البطريرك الجديد بعد رسامته مجمعاً عموميًا لاصلاح الامور . فلم يراعِ يوسف هذه العادة الحسنة وأخّر المجمع رغمًا عن طلب الاساقفة . لانهُ كان متكبّرًا مستبدًا برايه ولا يريد ان يكون تحت امر قوانين المجمع (٢) . ولا بدّ من انّ ارباب الحكومة وكثيرين من النصارى الذين كانوا على باب الملك ساعدوه على هذا الاستبداد

(١) عن يوسف راجع السنهادوسات ٩٥ وما يلي و٣٥٢ — ٣٦٧ . والتاريخ السعردي ܒ : ٨٤ — ٩٤ . وماري ٥٣ — ٥٤ . وعمرو ٤١ — ٤٣ وابن العبري ܒ : ٩٥ و ٩٧ . والسمعاني ܓ : ܐ : ٤٣٢ — ٤٣٥ . ولابور ١٩٢ — ١٩٧

(٢) راجع اعمال مجمع يوسف في كتاب السنهادوسات

لان الامور كانت تجري على هواهم من نصب الاساقفة ورسامة الكهنة الى غير ذلك

غير ان المطارنة والاساقفة لدى روئيتهم ان الكنيسة مضطربة جداً ولا بدّ من الاصلاح الحوّا عليه ليعقد المجمع . فاضطرّ الى اجابتهم . وعُقِد المجمع في المدائن في كانون الثاني سنة ٥٥٤ .واثبت الآباء اولًا صورة الايمان. فانهم حكموا انّ في المسيح طبيعتين طبيعة الهيّة وطبيعة انسانية من دون اختلاط وبلبلة .ثمّ وضعوا ثلاثة وعشرين قانوناً لنظام الاقليروس وحسن سلوك المؤمنين . فان بعض الكهنة والاساقفة كانوا يلتجئون الى رجال الحكومة إمّا ليرتقوا بواسطتهم الى درجة اعلى و إمّا ليُحلّوا من الحرم الساقطون فيه . فالمجمع حرم في القوانين الاولى وفي الثاني عشر كل من يحمل الحكومة على التداخل في امور الكنيسة .والقانون السابع والرابع عشر والخامس عشر والثامن عشر هو ضدّ يوسف الجاثليق نفسه . فانهُ كان يضع قوانين من دون ان يشاور الاساقفة.ثم يجبرهم ان يمضوها .واذا ابوا حرمهم.وانتخابه للجثلقة لم يكن قد صار بموجب القوانين . فرسم المجمع رسوماً شتّى تتعلّق بانتخاب البطريرك واجراء وظيفتهِ ثمّ اثبت ما رسمهُ مار آبا في امر الزيجة وغير ذلك

وحضر المجمع ما عدا يوسف الجاثليق اربعة مطارنة وهم شمعون (بيت لاباط) وبولس (نصيبين) ومشيحا (حدياب) وقلدينا (ماحوزا حدثا) (١) . وثلاثة عشر اسقفاً وهم : شوحالماران (كشكر) . وشمعون (پيروز شابور) . واقاق (ماداي) . ويوحنان (بيت داراي) . وبرنون (كرمي) . ودنحا (مسبذان).وابراهام (اصبهان) . ويزدجرد (بلد) . ويزيدپناه (معلثا) . واحودإمّه (نينوى) . ونرساي (ماحوز اريون) . وطاهمين (شهرزور). ويوحنان (أبورد وشهرپيروز). ثم لمضى اعمال المجمع مطرانان آخران وهما داود

(١) ان ماحوزا حدثا كانت في الارشية البطريركية .فمن المحال ان تكون كرسياً مطرابوليطياً . الا ان يُفرض ان قلدينا من مطارنة الغرب ورافق الاسرى الروميين وصار مطراناً عليهم في المدينة الجديدة التي ساها لهم انوشروان ثم اضطر ان يكون في حكم جاثليق المدائن فان قلدينا او كلَوديانوس اسم رومي لم يظهر الا هنا في تواريخ الكلدان النساطرة

مطران مرو والاهزخا مطران بيت كرماي . وستة عشر اسقفاً وهم : يوسي (حلوان) وسورين (كرخ ليدان) وشيلا (هرمزد ارداشير) وايليشاع (شوشتر) وخوسرو (شوش) وبرصوما (قردو) ونتوم (ارزون بيت أوستان) ودانيال (الري) ويعقوب (بيدانكران) وأوبان (أهمدان) وسركيس (ريما) وبرني (كرمي) (١) وملكيزداق (اذوربيجان) وجبرائيل (حربغلال) وتئودورا (مرمرود) وسورين (امول وجيلان)

غير ان القوانين التي وضعها المجمع لم تمنع يوسف من العبث بالرعية لا بل ازداد استصغاراً بامرها لانهُ كما قلنا كان مقرَّباً لدى الملك وجلب اليه رجال الدولة وفي جملتهم رادانفروح المرزبان الكبير (٢) . فأساء كل الاساءة الى الاساقفة والكهنة الذين تجاسروا وقاوموه . وقيل عنهُ انهُ وضع لهم رسناً وبنى لهم معلفاً ملأه تبناً وقال لهم : « اعتلفوا فانكم حيوانات بلا تمييز وبلا بيان . » ثم صار يحلق رؤوسهم ويصفعهم (٣)

ومن جملة الاساقفة الذين قاوموه فاذاهم شمعون اسقف بيروز شابور وميهرنرسا اسقف زابي وملكا اسقف دارابجرد . اما شمعون فكان قد عاكس ايضاً مار آبا الجاثليق (٤) . فقبض عليهِ يوسف وحبسهُ مدَّة من الزمان . فاتخذ شمعون في الحبس مذبحاً ليقدّس عليه في ايام الآحاد والاعياد . فدخل عليه ذات يوم الجاثليق . واذ راى الرهبان يقدّسون غضب وهجم على الاسقف وضربهُ . وبلغت بهِ الوقاحة الى انهُ قلب المذبح ووطىء ادواتهُ برجليه وبقي شمعون في الحبس حتى مات (٥)

امَّا ميهرنرسا فهو الذي حبسهُ خوسرو انوشروان على ايام مار آبا (٦) . فطرده يوسف الجاثليق من كرسيه واجلس مكانهُ حزقيال تلميذ مار آبا وكان ذا دهاء ولطف فدنا من انوشروان واصاب عنده مكانةً . وقصده يوماً ملكا اسقف

---

(١) الظاهر ان برني هذا وبرنون المذكور قبلا اسم واحد

(٢) التاريخ السعردي ف : ٨٥ (٣) فيهِ ايضاً . وابن العبري ف : ٩٧ وماري ٥٣

(٤) السمعاني : ك : ٤ : ٧٩

(٥) التاريخ السعردي ف : ٨٦ وعمرو ٤٢ . وماري ٥٣ (٦) انظر ص ١٨٣

داراجرد في فارس يسالهُ ان ياخذ لهُ كتاباً من الملك لرفع المكروه عن رعيتـه . فاستخرج لهُ حزقيال الكتاب . فكبر ذلك على يوسف لانهُ لم يجرِ عن يده . فاخذ الكتاب من ملكا . ولمَّا عرف ذلك اهالي فارس قطعوا خطبتـهُ وخلعوا طاعتهُ (١)

ولمَّا ازداد ظلماً وشرًّا . ارسل اليـه الاساقفة ثلاثة انفار ليصرفوه عمّا هو عليه من الظلم . فاستخفَّ بهم وطردهم . ثمَّ انفذوا اليـه غيرهم ثم غيرهم . فاصابهم ما اصاب الاوَّلين . وكاتبهُ ايضاً بولس مطران نصيبين وغيره من المطارنة والاساقفة فلم يزدد الّا تكبّرًا وعنادًا . فاجتمعوا حينئذٍ وحرموه واسقطوه من الجثلقة ومن سائر درجات الكهنوت

وممّا حمل الملك على السكوت لاسقاط يوسف هو ان هذا الجاثليق شهد على بعض النصارى انهُ سرق من خزانة الملك حلقاً ثميناً كثير القيمـة . ولدى التحقيق ظهر للملك براءة الرجل ممَّا قرَّفه بـه يوسف (٢) . ولكن انوشروان لم يؤيّد حكم الاساقفة باسقاط يوسف . فارسلوا اليه موسى الطبيب (٣) وكان ذا منزلة عنده . فضرب موسى لخوسرو الملك هذا المثل قائلًا : «انَّ بعض الملوك قرَّب اليه رجلًا مسكيناً وآنسه . ثم وهب لهُ فيلًا من فيلته . فاخذه الرجل ومضى به الى بيته . وكان باب داره صغيرًا . فلم يدخل فيه الفيل . ولم يكن بوسعه ان يطعمهُ . فبقي ذلك المسكين متحيّرًا مفكّرًا في امره . فعاد الى الملك والفيـل معهُ . وسال اصحاب الملك ان يستعذروا لهُ عن الفيل . وان يسالوا الملك اقالته منه .» فلمّا سمع الملك قول موسى النصيبينيّ تبسّم وفهم معنى المثل . ثمَّ قال موسى : « نحن المساكين وهذا فيلنا الذي وهبه لنا الملك قد راينا فيه وفي رئاسته علينا ما خيّب آمالنا . فلينعم الملك باقالتنا منهُ ونحن لهُ شاكرون . » فامر انوشروان بعزل يوسف (٤)

---

(١) التاريخ السعردي ك : ٨٦ — ٨٧ . وماري ٥٣

(٢) التاريخ السعردي ك : ٨٧ — ٨٨ . وماري ٥٣

(٣) ماري يكتب نرساي

(٤) التاريخ السعردي ك : ٨٨ — ٨٩ . وماري ٥٣ . وعمرو ٤٣

وجرى اسقاط يوسف من الجثلقة في شباط سنة ٥٦٧ . بعد ان جلس على الكرسيّ خمس عشرة سنة (١). واختار الاساقفة المجتمعون حزقيال اسقف زابي. وكان مقرّباً من الملك كما سبق القول. غير ان يوسف منع رسامتهُ لانهُ استمرَّ محافظاً على مكانته عند الملك. ولم يكن يتقدّم عليه في مجلسه سوى موبذ موبذان (٢) اي حبرهم الاعظم. فامر انوشروان ألّا يُنصب جاثليقاً إلّا اذا اجتمعت اراء كل النصارى على عزل يوسف . فدبّر امور الكرسيّ ماري اسقف كشكر مدّةً ثلاث سنين الى ان مات يوسف سنة ٥٧٠ (٣) ودُفِن في پيروز شابور

وقال عنهُ ايليا الدمشقيّ (٤) انهُ الّف قائمة بطاركة المشرق . والظاهر ان يوسف كتب هذه القائمة في الثلاث السنين الاخيرة من حياته لكي يبيّن انَّ كرسيّ المدائن رسوليّ ولا سبيل للاساقفة ان يحرموه ويسقطوه من الرئاسة. وعلى زعم ابن العبري انهُ هو الذي استنبط الرسائل المكتوبة الى پاپا الجاثليق باسم مار افرام ويعقوب اسقف نصيبين وغيرهما (٥) . غير انَّ بعض هذه الرسائل كانت مستنبطَة قبل يوسف الجاثليق (٦) وعلى كل حال ان يوسف لم يستفد شيئاً من كل ما عملهُ فان الكلدان النساطرة اسقطوا اسمهُ من بعد موته من سفر الاحياء والاموات .

ولم يكتسب يوسف الّا ذكرًا جميلًا بصرفه الهمّة لدفن الموتى في الوبأ الذي حدث في زمانه (٧) . وهو من اشدّ الاوبئة التي تكلّمت عنها التواريخ. وعلامته انه كان يظهر في كفّ الانسان ثلاث نقط سود في داخل اللحم . وحدث مرّتين

---

(١) عمرو يقول ١٢ سنة. وكذا كتب التاريخ السعردي ܒ: ٨٩. لكنه في ص ٩٠ يكتب: وقال قوم ١٥ سنة. واما ماري فقال ١٥ سنة وقوله اصحّ

(٢) لاند النصوص السريانية ܟ: ٣٣٩

(٣) ايليا ٥٢ (٤) في السمعاني ܟ: ٪: ٤٣٤ و٤٣٥

(٥) هنا ص ٥٤ ح ٣

(٦) لابور ١٩٧

(٧) التاريخ السعردي ܒ: ٩٤ وماري ٥٤

في الجيل السادس اي في سنة ٥٤٤ ثمّ في سنة ٥٦٢ (١) وفتك فتكاً ذريعاً في الناس حتى ان بعض المدن والقرى خلت من السكان

ومع كل تقرّب يوسف من خوسرو انوشروان لم يقدر ان يمنعهُ من اضطهاد النصارى فان ملوك فارس حاموا الكنيسة الكلدانية النسطورية منذ انفصالها من الكنيسة البيزنطية . لكنهم اضطهدوا شديدًا كل مجوسيّ تجاسر واعتنق الديانة النصرانية . ومن جملة الشهداء المقتولين على عهد يوسف القديسة شيرين

ان جهاد شيرين مكتوب باليونانية (٢) . كانت هذه القديسة مجوسية واصلها من كرخ سلوخ من حسب شريف . وتنصّرت واعتمذت على يد يوحنان مطران المدينة (٣) وهي في الثامنة عشرة من عمرها . فسُعي بها لدى الموهپاط . فاحضرها وهدَّدها بالقتل . فلم يرتخ عزمها . ثم ارسلها الى الملك وكان حينئذٍ في مصيفه في اطراف حلوان . فامر انوشروان بتعذيبها شديدًا ولم ينل منها بغية . فسيقت الى المداثن وأُلقيت في الحبس وقُتلت خنقاً في ٢٨ شباط سنة ٥٥٩ . ونُقلت جثتها الى لاشوم في بيت باطاي احد النصارى هناك . ويقول كاتب القصة ان شهداء أُخر كثيرين تكلّلوا مع القديسة شيرين ولكنهُ لا يعرف اسماءهم . ويظهر من قوله انهُ كان معاصرًا لهذه الشهيدة . وتذكار شيرين عند اليونان في ١٨ ايار وعند اللاتين في ١٩ منهُ . وعند اليعاقبة والسريان الكاثوليك في ١ شباط

الفصل الخامس

حزقيال الجاثليق (٥٧٠ — ٥٨١) . الحروب الرومية الفارسية

المجمع الكلداني التاسع (٥٧٦)

لمّا مات يوسف الجاثليق اجتمع الاساقفة لانتخاب خلفٍ له . فاختار بعضهم

---

(١) لاند النصوص السريانية 2 : ١٣ . راجع عن هذا الوباء التاريخ السعردي ك : ٩٠ — ٩٤ . ولاند النصوص السريانية ك : ٣٠٤ — ٤٢٥ . ومجلة المشرق ك : ٥٣٣

(٢) اعمال القديسين ١٨ ايار : ج : ١٧٠ — ١٨٢

(٣) يوحنان هذا يكون قد خلف الاهازخا الذي امضى اعمال مجمع يوسف سنة ٥٤٤

ايشاي الملفان (١) تلميذ مار آبا وكان مفسّرًا في مدرسة المدائن . غير ان بولس مطران نصيبين وغيره من الاساقفة اصرّوا ان لا يرجعوا عن حزقيال اسقف زابي الذي انتخبوه قبل ثلاث سنين . وكان حزقيال ايضاً تلميذ مار آبا (٢). وقال ماري انهُ كان خبازًا عنده وتعجّب الناس كيف جعلهُ اسقفاً على زابي . ولكن قد سبق الكلام انَّ الذي رسم حزقيال اسقفاً هو يوسف الجاثليق لا مار آبا الكبير . وانفذ انوشروان حزقيال الى البحرَين واليامة ومعهُ غوّاصون . فاستخرج لهُ جوهرًا نفيساً فاخرًا كثير القيمة فازداد فيه رغبة (٣). وكان نوروزي المروزي رئيس الاطباء من اخصّ اصدقاء حزقيال (٤) فلا عجب اذا فضلهُ انوشروان على ايشاي الملفان وامر الاساقفة ان يجعلوه جاثليقاً . وجرت رسامتهُ في المدائن سنة ٥٧٠ (٥) ودبّر تدبيرًا حسناً . فاستقامت الامور على يديه واستصحبه الملك لمحبته لهُ اينما ذهب ولمّا تجدّدت الحرب بينهُ وبين الروم سنة ٥٧٣ رافقه الى نصيبين ودارا

وسبب هذه الحرب هو ان المجوس حرّكوا خوسرو الاول ان يجعل الارمن مجوساً كما انّ ملك الروم كان يجبر جميع الذين في مملكته ان يكونوا من مذهبه . فقبض المجوس على ثلاثة اساقفة في ارمنية وقتلوهم . وهدموا الكنائس وبدأوا يبنون مكانها معابد النار . فقاومهم الارمن وقتلوا المرزبان . وخوفاً من الفرس التجأوا الى الروم وطلبوا مساعدتهم (٦) . فجرت الحرب بين الروم والفرس في ارمنيّة ولم تظهر النصرة لاحد الفريقين . ثم ان الروم شدّوا الحصار على نصيبين . فحمل عليهم انوشروان مصحوباً بمار حزقيال الجاثليق . فخاف الروم ورفعوا الحصار عن المدينة . فحمل خوسرو على دارا وافتتحها . وزحف قائده

---

(١) ماري (ص ٥٤) يكتب ماري الملفان

(٢) عن حزقيال راجع التاريخ السعردي ك: ١٠٠ — ١٠٣ وماري ٥٤ — ٥٥ . وعمرو ٤٣ — ٤٤ . وابن العبري ك: ٩٧ و١٠٣ والسمعاني ج: ٤: ٤٣٥ — ٤٣٩ . والسنهادوسات ٣٦٨ — ٣٨٩ . ولابور ١٩٧ — ١٩٩

(٣) التاريخ السعردي ك: ٨٦ و ١٠٠ . وعمرو ٤٣

(٤) فيه ايضاً ١٠٠ — ١٠١ (٥) ايليا ٥٢

(٦) راجع تواريخ يوحنان اسقف اسيا طبعة كورتون سنة ١٨٥٣ ص ٩٥ — ١٠٢

اذرماهان على افامية واخربها وسبى منها خلقاً كثيراً . ورجع انوشروان غانماً منصوراً الى عاصمته سنة ٥٧٣

ولما كانت السنة ٥٧٤ طلب الروم الهدنة فاجاب خوسرو الاول الى سؤالهم بعد ان اخذ منهم ٤٥٠٠٠ قطعة ذهب وفي سنة ٥٧٦ خرج على ارمنية واراد الاستيلاء على تئادوسيوپوليس وهي ارضروم الحالية . ولما لم يمكنهُ ذلك لكثرة العساكر التي فيها توجّه نحو قبادوقية ليأخذ قيصريّة . لكنهُ انكسر شر كسرة وهرب تاركاً معسكره بيد العدو . وفي سنة ٥٧٧ اغار اذرماهان على بلاد الروم ونهب واحرق كل قرى دارا وتلا وتلبشا وراس العين وميافرقين وآمد واورهاي وحوان (١) . ومات يوسطينوس الثاني ملك الروم في تشرين الاول سنة ٥٧٨ قبل انتهاء المحاربة ثم بعد بضعة اشهر لحقهُ الى القبر خوسرو انوشروان ايضاً . وخلفـهُ ابنهُ هرمزد الرابع سنة ٥٧٩ . واماً المحاربة فلم تبطل بموت هذَين الملكَين بل دامت طول مدّة ملك هرمزد

ان حزقيال الجاثليق عند دخوله مدينة نصيبين تلقّاه مطرانها بولس (٢) باعظم كرامة . وزفّ الجاثليق بالوقار والزياح الى قلّايته . ولما دخلوا الهيكل صعد المطران الى المنبر فخطب واحسن . وقال في ما خطب : « معشر المؤمنين قد زاركم المسيح في هذا اليوم . فطهّروا اجسادكم ونقّوا اطماركم وقدّموا هداياكم . » فاستحمقهُ السامعون وقالوا انهُ يتملّق الجاثليق . وحلف حزقيال انهُ متى رجع من دارا يسقطهُ من درجتهِ . ولما عرف بولس الحبر لازم الصوم والصلوة طالباً الى الله ان يخلّصهُ من فضيحة الحرم . فسمع الله دعآءه وقبض روحهُ قبل ان يفتح انوشروان مدينة دارا (٣)

ولما وصل حزقيال الى المدائن اهتمّ نظير سلفآئه بعقد مجمع عموميّ . ومما دعاه الى عقد هذا المجمع هو ان جميع الكنائس الفارسيّة لم تكن تطيعهُ وبعضها ابطلت

---

(١) فيه ٣٧٨ — ٣٨٥ . راجع ايضاً عن هـذه المحاربة تاريخ ابن العبري ٨٢ — ٨٦ ودوقال تاريخ اورهاي ٢١٣ (٢) ماري يكتب بكوس وهو غلط

(٣) التاريخ السعردي ف ٢ : ١٠٢ · وماري ٥٤

التنويه باسمه في الصلوة (١) . وكان الاساقفة يتجـاوزون حقوق بعضهم بعض . وزد على ذلك انتشار هرطقة المصلّين الذين بحجّـة صلواتهم الطويلة كانوا يعيشون عيشةً رديّة ويفسدون الاخلاق . فلمّا كانت السنة ٥٧٦ كتب حزقيال الجاثليق الى جميع المطارين والاساقفة يستدعيهم عنده في المدائن . فلبّى دعوتهُ دلاي وشمعون وحنانا مطارنة الاهواز وپراث ميشان وحدياب وسبعة وعشرون اسقفاً وهم : ماري (كشكر) . وموسى (كرخ ليدان) . وبرشبّا (شهرقرت) . وداود (هرمزدأرداشير) وساوا (لاشوم) . وبابي (زابي) ودانيال (شوشتر) . وقاميشوع (داسان) وشموئيل (ماحوزا اريون) . وماري (پيروز شابور) . واذورهرمزد (شوش) . وبرشبّا (معلثا) . وحنانا (حونفلال) . واهرون (اصبهان) . وشموئيـل (برحيس) وشوحاليشوع (تحل) . وپاپا (مهرجان قـدق) . وملكيزديق (اذربيجان) . وشوحا (بلاشپار) . وزعورا (جرجان) . وكورمه (سجستان) . ويوحنان (شِنّا) . وشوحا (مسبذان) . وميهرشابور (رامهرمزد) . ويزيدپناه (نينوى) . وشموئيل (مازون) . وبرساهدي (عين سفنـا) . ثمَّ امضى ايضاً اعمال المجمع سركيس (ميشمهيغ) واسحق (هجر وپيطارداشير) وبريخ يهبه (شهرزور) وباباي (بورزان)

وفي المقدّمة قرَّر المجمع صورة الايمان . وهي ضدّ ماني ومرقيون وبرديصان واريوس وإونيميس وايوليناريس واليعاقبة . ثم وضع ٣٩ قانوناً في ما يخصّ واجبات الاقليروس والعلمانيين . فالقانون الاول هو ضدّ هرطقة الرهبان المصلّين . والقوانين الاخرى هي في واجبات البطريرك والمطارنة والاساقفة . وحتموا ان يُعقد المجمع العمومي لدى البطريرك في كل اربع سنوات وذلك قبل الصوم الكبير . والمجمع الخصوصيّ لدى المطران في كل سنة في شهر ايلول . وان يُذكر اسم البطريرك في الكاروزوثا في كل الكنائس التي في مملكة الفرس . وألّا يتجاوز الاساقفة والمطارنة حقوق بعضهم بعض وحقوق البطريرك من رسم الكهنة ونصب الاساقفة والمطارنة الى غير ذلك . ومنعوا الكهنة والاساقفة ان يبيعوا او يرهنوا اوقاف الكنائس

---

(١) راجع اعمال مجمع حزقيال في السهادوسات القانون ١٤

والاديرة ويهبوا من وارداتها لاهاليهم . واذا اشترى الكاهن او الاسقف املاكاً باسمه للكنائس يجب عليه ان يعمل قبل موته نفي ملك. وان يُطلع اقليروسه وبعضاً من اكابر رعيته على جميع مقتنيات الكنائس والاديرة لئلا يضيع شيء منها بعد وفاته الى غير ذلك

امّا آخرة حزقيال فكانت مرّة. لان الله امتحنهُ بالعمى مدة سنتَين (١). وتوفي في السنة الثالثة لهرمزد الملك (سنة ٥٨١) بعد ان دبّر الكرسيّ احدى عشرة سنة (٢) . وقام بعده ايشوعياب الارزُنيّ

الفصل السادس

هرمزد الملك (٥٧٩ — ٥٩٠) ايشوعياب اررونايا الاول (٥٨٢ — ٥٩٥) المجمع الكلداني العاشر (٥٨٥) الحروب الفارسية الرومية

ان هرمزد الملك لم يتمسك بسياسة ابيه خوسرو الاول منقاداً مثله الى راي المجوس واكابر الدولة في اذية النصارى. وذلك إمّا لعظمة نفوذهم في المملكة فاراد ان يحطّ من قدرهم وامّا لانه كان يحب النصارى كما قال عنه التاريخ السعردي (٣) فعظُم ذلك على المجوس وتذمّروا. فاحتج عليهم هرمزد الرابع وفهّمهم ان الملك لا يثبت بالمجوس وحدهم. وضرب لهم مثلًا قائلًا: « ان السرير له اربعة قوائم. ولا يقوم بالقائمتين الداخلتين دون الخارجتين. فالحذر ثم الحذر من مخالفة ما امرتُ به منّ حفظ النصارى واحياء سننهم فانهم اهل الاستقامة وذوو السلامة. » (٤)

ولما توفي حزقيال اختار بعض الاساقفة ايوب المفسِّر في مدرسة المدائن وهو

---

(١) التاريخ السعردي ف: ١٠١ و١٠٣. وماري ٥٤

(٢) التاريخ السعردي ف: ١٠٣. وايليا ٥٢. اما عمرو فغلطاً يقول عشرين سنة وانه توفي سنة ٥٧٧

(٣) ف: ١٠٤ راجع ايضاً السنهادوسات ١٣١

(٤) التاريخ السعردي ف: ١٠٤ وماري ٥٥. ولابور ٢٠٠

من قرابة نرساي الملفان. واختار الاخرون ايشوعياب وكان تام القامة حسن الصورة اصله من بيت عربايي ودرس في مدرسة نصيبين على عهد ابراهام دبيث ربّان ثم قام باعباء رئاسة للمدرسة سنة ٥٦٩ وبعد ان علّم سنتين انتُخب اسقفاً على ارزون ولذلك لُقب بارزونايا اي الارزني (١) فامر هرمزد الملك بنصب ايشوعياب لانه لما كان اسقفاً على ارزون وهي على الحدود كاتبه وعرّفهُ عن جيوش الروم وحركاتها (٢) فاسيم جاثليقاً سنة ٥٨٢ (٣) وبعد رسامته دخل على الملك ومعه الاساقفة ودعوا له فاكرمهم وكتب الى عمّاله بان يرجعوا الى راي الاساقفة في الاحكام وفي سائر الامور

والظاهر انه منذ عهد يوسف الجاثليق جرت العادة ان لا يُعقد المجمع العام حالّا بعد رسامة الجاثليق. فانّ حزقيال جمعه في السنة السادسة من جثلقته. وهكذا ايشوعياب عقده في السنة الرابعة لجلوسه اي في سنة ٥٨٥

ان قوانين هذا المجمع هي ٣١ عدداً. واكثرها ماخوذة من مجامع آبا ويوسف وحزقيال الجثالقة لكنها احسن شرحاً واكثر بلاغة وهذا يدل على ان الذي رتّبها كان عالماً فاضلاً. فالكنيسة النسطورية ما عدا المجوس كان لها ثلاثة اعداء اقوياء اعني بهم المنوفيسيتيين والمصلّين والحناناويّين. فالمنوفيسيتيون وهم اليعاقبة صار لهم مطران في تكريت منذ سنة ٥٥٩ وما زالوا يجتهدون ببثّ تعاليمهم في الكنائس الفارسية. والمصلون انتشروا في الاديرة. والحناناويّون هم تبعة حنانا وكان ايمانه كاثوليكياً كما سترى وطعن بتودورس المفسّر الذي كان ركناً للايمان عند النساطرة وانتشر تعليمه كثيراً لانهُ كان رئيس مدرسة نصيبين ومفسّراً فيها. فاجتهد ايشوعياب في استدراك الامر. فقانونه الاول كما نقرأ في كتاب السنهادوسات هو في الايمان وهو ضدّ هؤلاء الخارجين ولا سيما اليعاقبة. والقانون الثاني هو في فضائل تودوروس المفسّر وصحّة ايمانه ويحرم كل من لا يتمسك بتعليمه والقانون الثامن

(١) ماري والتاريخ السعردي ومدرسة نصيبين ٢٥

(٢) ماري ٥٥ والتاريخ السعردي ٮ : ܩܥܕ .

(٣) ايليا ٥٢ . والسنهادوسات ١٣١ و٣٩١ ح ٣

هو ضد هرطقة المصلين. وبقية القوانين هي في منافع الشريعة ووظائف الاقليروس وواجبات الرهبان والراهبات وحقوق البطريرك والمطارنة والاساقفة والاركدياقون وفي الزواج الشرعي والرباء والمحافظة على اموال الايتام والاوقاف وفي الاعتقادات الباطلة من تفاؤل وتكهُّن وتطيُّر وما اشبه وفي منع المؤمنين من التزوج بالمجوسيات والهرطوقيات ومن الذهاب الى اعياد الوثنيين والمراطقة واليهود وغير ذلك

ثم ان المجمع هدَّد بالحرم شمعون مطران نصيبين وغريغور مطران ريواردشير واساقفتهما اذا لم يأتوا في تلك السنة عينها ويمضوا اعمال المجمع. فان البطريرك كتب اليهم مرتين ليحضروا فابوا الطاعة. والظاهر ان شمعون مطران نصيبين كان متحزباً لحنانا

وحضر المجمع براز مطران الاهواز وشمعون مطران برات ميشان وعشرون اسقفاً وهم: يوسف (كشكر) ويوسف (الحيرة) وكوسيشوع (بيت نوهدرا) وداود (هرمزد ارداشير) وطيمثاوس (بيت نغاش) وابراهام (زابي) واسطيفان (شوشتر) وقاميشوع (ماحوزا اريون) واذور هرمزد (شوش) وبرشبتا (معلثا) وجبرائيل (حربغلال) وبختيزاد (تحل) وبرنون (حلوان) ونثنئيل (شهرزور) وابراهام (طيرهان) ويايا (مهرجان قذق) وميليس (شنَّا) وعنانيشوع (رامهرمزد) وآبا (نينوى) وكليليشوع (طيباثا والكرد)

وامضى عن حنانا مطران اربيل آبا الكاهن الاركدياقون. وعن غريغور مطران مرو مراق الكاهن. وعن جبرائيل مطران هرات دانيال الكاهن. وعن حبيب اسقف پوشناغ ايليشاع الشماس وعن جبرائيل اسقف بديسي وقدستان سركيس الشماس. واساقفة أُخر ارسلوا خطوطهم وهم بختيشوع مطران بيت كرماي. وجبرائيل اسقف كرخ ميشان وسبريشوع اسقف لاشوم وملكيزديق اسقف ريما وموسى اسقف نهر كور

وما عدا القوانين المذكورة سنَّ ايضاً مار ايشوعياب عشرين قانوناً طلبها منه مار يعقوب اسقف جزيرة ديرين في بيت قطرايي وهي ايضاً مطبوعة في كتاب السنهادوسات. ومنها يظهر ان ايشوعياب كان عالماً جليلاً (١) وهذه القوانين هي

(١) لابور ٢٠٢

في تقدمة الذبيحة الالهية وفي سر العماذ وسر الاعتراف وتقديس يوم الاحد وغير ذلك . وله ايضاً تاليفات اخرى سياتي ذكرها في نهاية هذا المجلد . وعاش ايشوعياب الاول مسروراً على ايام الملك هرمزد الرابع . ولكن حالما جلس على سرير الملك ابنه خوسرو الثاني انقلبت الامور ظهراً لبطن . فان هذا الملك الجديد عاداه لاسباب سنذكرها

قلنا ان الحرب بين الروم والفرس لم تبطل بوفاة خوسرو الاول بل استمرّت على ايام الملك هرمزد . فانهُ حالما عقد التاج على راسه ارسل القائد اذرماهان الى ما بين النهرين (١) فظهر هـذا البطل تحت اسوار مدينة اورهاي وحاصرها ثلاثة ايام واحرق جميع الكنائس والاديرة والقرى التي في نواحيها . وذبح الاسرى واحرق جثثهم ظناً منه ان الاورهاوّيين اذا رأوا منه هـذه القساوة يرهبونه ويسلمونه المدينة . لكنهُ حالما اقترب منـهُ موريقي القائد الرومي رفع الحصار وهرب فلحقهُ موريقي وادركه بالقرب من الرقة فقاتله وانتصر عليه . وفي سنة ٥٨١ غلبـهُ مرة ثانية عند مدينة تلا وهزمه اقبح هزيمة . وحمـل ايضاً موريقي على ارزون ونهب واحرق وسبى خلقاً كثيراً من النصارى بلغ عددهم نحو سبعين الفـاً وارسلهم الى بلاد الروم . فاسكنوهم في جزيرة قبرص (٢) ولعلّ النساطرة الذين كانوا في هذه الجزيرة (٣) اصلهم من هؤلاء الاسرى

وفي تلك الاثناء مات طيباريوس قيصر فبويع مكانه موريقي . فاضطر هذا القائد الماهر ان يترك قيادة الجيوش سنة ٥٨٢ وينطلق الى القسطنطينية لكي يتتوج . ومنذ ذلك الحين بدأ الفرس يقهرون الروم . فانتصروا عليهم في ارزون سنة ٥٨٦ . ثم في سنة ٥٨٩ زحفوا على صوب واستولوا على ميافرقين

فتجبر هرمزد الرابع وتكبر بانتصاراته هذه واساء السيرة وضيّق على الجيوش

---

(١) دوقـال تاريخ اورهاي ٢١٣ — ٢١٥ . وتاريخ الدول لابن العبري في الارامية ٨٩ — ٩٠ . وتاريخ يوحنان اسقف اسيا ٣٩٣ وما يلي

(٢) تاريخ يوحنان اسقف اسيا ٣٨٢ و٤٠٧ . والتاريخ السعردي ܦ : ܨܛ

(٣) السمعاني ܓ : ܦ : ٤٣٢

واخذ اموالهم. وقتل اخوته وقبض على الاكابر وحبسهم واطعمهم خبزًا معجونًا بجصّ واسقاهم الماء المرّة (١). وكان له قائد جيش اسمه بهرام جوبين انفذه لقتال الترك. فظفر بهم وغنم غنيمة عظيمة. فحسده اصحاب الملك وحمّلوه عليه قائلين: انه احرز لنفسه القسم الاعظم من الغنيمة فانفذ اليه الملك قميصاً احمر ومغزلًا وفلكة وقال له: من كان على شاكلتك فهذا لباسه. فنفر الجيش وخلعوا طاعة الملك. وورد الامر الى بهرام بالمصير الى المدائن. فنشر هذا القائد لواء العصيان. ولكي يفسد بين هرمزد الملك وابنه خوسرو ابرويز ضرب في الري دراهم عليها اسم وصورة خوسرو ابرويز وارسلها سرًا الى المدائن. فظهرت في ايدي العامة واتصل الخبر بهرمزد واراد القبض على ابنه فهرب خوسرو نحو اذربيجان. وانتهز الفرصة الجيش والمجوس واكابر المملكة وقبضوا على الملك هرمزد وسملوا عينَيه. وكاتبوا خوسرو فسار اليهم وصار ملكاً. وكان بهرام القائد يريد الملك لنفسه. فبادر في جيشه مظهرًا الامتعاض عما جرى على هرمزد الرابع وقاتل خوسرو ابرويز وانتصر عليه (٢)

فانهزم خوسرو وقصد موريقي ملك الروم في انطاكية مستغيثاً بهِ على غاصب مملكته. حينئذٍ اغتنم موريقي الفرصة لكي يتداخل في امور فارس. ورحّب به وارسل معه جيوشاً وانضمت اليها الجيوش الفارسية التي بقيت امينة معه. فانكسر بهرام جوبين وهرب الى اذربيجان. ولحقه خوسرو وانتصر عليه هناك انتصارًا تامًّا. فهرب بهرام الى بلاد الترك. ورجع خوسرو منصورًا الى المدائن سنة ٥٩٠. ووصل جيوش الروم بصلات جليلة كثيرة. وانفذ الى موريقي هدايا نفيسة وسمّاه اباه وتنازل له عن دارا وميافرقين اللتين كان ابوه هرمزد قد استولى عليهما

وعند دخوله الى المدائن مظفرًا عُقدت له القباب على عادة ذلك الزمان. وعقد له مار ايشوعياب ايضاً ثلاث قباب ووقف للسلام عليه مع بعض الاساقفة وقد اخذ له طرفاً من المسك والعنبر والكافور والزعفران والعود الهندي والمجامر بايدي

---

(١) التاريخ السعردي ܒ: ܨܚ: وܩܥ والطبري طبعة استانبول ܒ : ٣٧٢

(٢) التاريخ السعردي ܒ ܨܚ. والطبري ٣٧٢ — ٣٧٥

الاساقفة . فاظهر الملك غضبه ولم يلتفت اليه . فاسرع الجاثليق الى القبة الثانية وبيده آس واترّجة ومجمرة . فعدل عنها ايضاً الملك . فاضطرب ايشوعياب وهمهمت جيوش ملك الروم وتقمقمت

فلما عرف خوسرو ذلك منها قال للجاثليق بغضب: « قد ظهر منك ثلاثة امور لا بدّ من مجازاتك عليها . الاوّل انك لم تخرج معي الى بلاد الروم ولا انفذت احد الاساقفة في صحبتي . فلو فعلت ذلك لزاد موريقي في اكرامي . والثاني انك لم تلحقني لما عرفت اني في مملكة الروم وقد قبلني الملك موريقي . والثالث دعاؤك لبهرام العاصي عليّ وعلى مملكتي» . قال هذا وتوجه نحو القبة الثالثة ونزل عن دابته ودخلها . وقال لايشوعياب بغضب: « اتتوهّم ان حيلتك هذه تبعد عنك العقوبة او تظنّ انه خفي عليّ بسط يديك ودعاؤك لبهرام خالع طاعتي .» وكان طيمثاوس النصيبيني رئيس الاطباء قد اخبر خسرو بجميع هذه الامور . واذ اراد الجاثليق ان يعتذر قطع خوسرو كلامه وقال له: « اني قد توسطت الان قبتك وقبلت تحيتك وامهلتك ثلاثة ايام لتجيب عمّا اوجب غضبي .» قال هذا ومد يده وتناول الاترجة التي في يد الجاثليق فدعا له وانصرف

ولما كان اليوم الثالث دخل ايشوعياب على خوسرو الملك وقال: « ان تأخري عن السفر صحبة جلالتك هو لانك سافرت ليلاً ولم يكن لي به سابق علم . وقعودي عن اللحاق بك الى بلاد الروم فلانهُ لو فارقتُ رعيتي وعرف ذلك بهرام العاصي لما ترك منهم صغيراً ولا كبيراً . واما دعائي فما كان الا للملك ولثبات مُلكه . والله يعلم ما في الضمير وكيف يجوز ان ادعو لمن اعلم انه عاصٍ على مولاه فكنت اضمر ان دعائي للذي يستحقّ ان يسمى ملكاً .»

فكتم خوسرو الثاني غيظه مراعاة لموريقي ملك الروم ولانه كان مشغولاً بالحروب الداخلية . فانه لم يفرغ من امر بهرام جوبين الا ونشر عليه لواء العصيان باسطام وبندوي وهما اخوان شقيقان وقد حبسهما هرمزد الرابع . فاخرجهما خوسرو ابرويز لانهما كانا من قرابة امه . وساعداه كثيراً على بهرام العاصي . فارسل خوسرو باسطام مع جيش عظيم على حدود الترك لكي يقاوم بهرام اذا ما حاول وزحف على المملكة . واما بندوي فبقي في خدمته . ولقيه بغير ما يجب واراد الملك قتله

فهرب بندوي عند اخيه· غير ان مرزبان اذربيجان احتــال عليه وامسكه وارسله الى خوسرو· ولما اتصل الخبر بباسطام جمع جيوشاً تركية وديلومية وقصد المدائن سنة ٥٩٥ · فحمل عليه خوسرو الثاني بجيوشه ولولا الحسن بن النعمان ملك الحيرة لقُتــل خوسرو على رواية مؤلف التاريخ السعردي· ثم ان رجــلًا تركياً احتال على باسطام وقتله وقطع راسه وارسله الى خوسرو· وقتــل ايضاً بندوي ورفاقه اشنع قتلة

فلماً استوثق الامر لخوسرو ابرويز واستقرّ له الملك خافه ايشوعياب البطريرك فصرف همته ليتوقى المكروه· فدلته فطنته ان يبــارح المدائن ويلتجيء الى الحيرة لــدى النعمان الملك الذي كان قد تنصر حديثاً · فمرض على الطريق ومات في قرية بيت قوشي بالقرب من الحيرة · فلما اتصل خبر وفاتــه باهل الحيرة خرجت هند اخت النعمان مع الكهنة والشمامسة والمؤمنين وادخلوا جسده الى الحيرة بزياح عظيم ودفنته هند في ديرهــا التي شيدته وهو المعروف بدير هند الصغرى(١) وقيــل ان خوسرو ابرويز لما اتصل به خبر وفاة مار ايشوعياب قال : نشكر الله ونحمده (٢) اذ خلصنا من دم ذلك الشيخ ومات موتاً طبيعياً · فقد كان مع ذنبه الينا رجلًا الاهياً (٣)

الفصل السابع

ملوك الحيرة — تنصّر النعمان الرابع

كان سكّان الحيرة من العرب · وانتشرت فيها الديانة المسيحية منذ الاجيــال الاولى· وبلغ الينا اسماء بعض اساقفتها في كتاب السنهادوسات· منهم هوشاع الذي حضر سنة ٤١٠ مجمع اسحق الجاثليق · وشمعون امضى سنة ٤٢٤ اعمال مجمــع

---

(١) كويدي ٩· والتاريخ السعردي ܦ : ܣܚܬ

(٢) التاريخ السعردي ܦ : ܣܗ

(٣) لا صحة لمزاعم ماري وعمرو ان ملك الفرس ارسل ايشوعياب الارزني الى موريقي الملك بهدايا ورسائل والبائن انهما نسبا اليه سفارة ايشوعياب كدالايا

يهبالاها . وشمعون (الثاني ؟) حضر سنة ٤٨٦ مجمع اقاق . وايليا امضى سنة ٤٩٧ اعمال مجمع باباي . ونرساي تحزّب سنة ٥٢٤ لنرساي الجاثليق ضدّ اليشاع . وافرام كان معاصراً لهند الكبرى امراة المنذر الثالث نحو سنة ٥٤٠ (١) ويوسف حضر سنة ٥٨٥ مجمع ايشوعياب الارزني. وشمعون (الثالث؟) بن جابر وهو الذي نصّر سنة ٥٩٤ الملك النعمان الرابع

ان ملوك الحيرة كانوا تحت سيطرة ملوك الفرس ويحاربون في صفوفهم ضدّ ملوك الروم . وعُرفوا بآل نصر لانّ عمرو بن عدي الذي اسّس مملكتهم كان جدّه نصر بن كهف (٢) . وعلى رواية ايليا اسقف نصيبين انّ عمرو ملك سنة ١٢٤ بعد المسيح وعلى قول عبديشوع الصوباوي سنة ١٠٧ (٣) . واتى في كتاب مجاني الادب (٤) انه ملك سنة ٢٦٨ . وخلفه امرؤ القيس الاول (٢٨٨ — ٣٣٨) وقيل عنه انه اعتنق الديانة المسيحيّة . ثمّ ولي مكانه ابنه عمرو (٣٣٨ — ٣٦٣) . ثم عقبه اوس بن قلام العمليقي وقُتل سنة ٣٦٨ . وولي مكانه امرؤ القيس الثاني (٣٦٨ — ٣٩٠) ويُعرف هذا الملك بالمنذر والمحرق لانه اوّل من عاقب بالنار . ثم ملك بعده ابنه النعمان الاعور السائح وهو باني الخورنق والسدير (٥) . وقيل ان عنده تربّى بهرام بن يزدجرد ملك الفرس (٦) . وكان النعمان صارماً حازماً ضابطاً لملكه وغزا مراراً بلاد الروم بامر ملوك الفرس . ولمّا اتى عليه ثلاثون سنة تنصّر على يد بعض وزرائه . ثم زهد وترك الملك ولبس المسوح وذهب فلم يوجد له اثر (٧)

---

(١) ياقوت ٤ : ٧٠٩   (٢) ايليا ٨٤

(٣) كتاب الاحكام الكنائسية ٢ : ٥ه   (٤) مجاني الادب ٦ : ٣٠٤ — ٣١٢ وشرح مجاني الادب ٥٠٨ — ٥١٠ . ومجلة المشرق ١٩١١ ص ٩٧٠ — ٩٧١

(٥) عن الخورنق والسدير راجع كتاب الالفاظ الفارسية المعرّبة تأليف ادي شير بيروت ١٩٠٨ ص ٨٦ . والبرهان القاطع

(٦) الطبري طبعة استانبول ٤ : ١٨٢

(٧) مجاني الادب ٦ : ١٦ و ٣٠٧

وتولى الامر بعده ابنه المنذر الاول (٤٢٠ — ٤٦٢) وهو الذي ساعد بهرام بن يزدجرد ملك الفرس على اخوته فملك بهرام في المدائن . ثم ملك النعمان الثاني . وكان وزيره عدي بن زيد نصرانياً فنصّره واخذ في العبادة والاجتهاد سنة ٤٦٩ (١) . وملك مكانهُ اخوه الاسود وهو الذي انتصر على عساكر عرب الشام واسر عدّة من ملوكهم وهلك سنة ٤٩١ . وملك اخوه المنذر الثاني (٤٩١ — ٤٩٨) ثم ابن اخيه النعمان الثالث (٤٩٨ — ٥٠٣) وهو الذي بامر قباذ الملك حمل على ارض الروم وسبي منها ١٨٥٠٠ نفساً ثم جُرح ومات سنة ٥٠٣ (٢) . فعيَّن قباذ خلفاً لهُ في تدبير الملك ابا يعفر علقمة (٥٠٣ — ٥٠٥) . ثم أُقيم امرؤ القيس الثالث (٥٠٥ — ٥١٢) ثم المنذر الثالث وكانت هند امراة المنذر نصرانية وتُعرف بهند الكبرى تمييزًا لها من هند الصغرى اخت النعمان الرابع . وشيّدت هند الكبرى ديرًا جليلًا في الحيرة . وكان في صدره مكتوب « بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وام الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح وام عبده وبنت عبيده في مُلك ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمن مار افريم الاسقف . فالاله الذي بنت لهُ هذا الدير يغفر خطيتها ويترّحم عليها وعلى ولدها ويكون الاله معها ومع ولدها الدهر الداهر . » (٣)

ان هند الكبرى نصّرت ابنها عمرو . وحكم هذا الملك من سنة ٥٥٤ الى ٥٦٩ . ثم ملك بعده اخوه قابوس اربع سنين . ثم المنذر الرابع سنة واحدة . ثم ابنهُ النعمان الرابع

انَّ معظم نصارى الحيرة كانوا نساطرة . واجتهد اليعاقبة مرارًا ان يدخلوها ولم يقدروا . واوّل حملتهم كانت على عهد المنذر الثالث وشيلا الجاثليق فرجعوا خائبين (٤) . ثم حملوا عليها ثانية في زمان النعمان الرابع . ففشلوا ايضاً لان الظروف أجبرت ملوك الحيرة ان يداهنوا الحكومة الفارسية التي حامت عن النسطرة ومدّت

---

(١) مجاني الادب ٦ : ١٧ — ١٨ و ٣٠٨

(٢) انظر صفحة ١٦٢

(٣) ياقوت ٤ : ٧٠٩ . وعبديشوع خياط : روضة الصبي بالموصل ١٨٦٩ ص ٩٠

(٤) انظر ص ١٦٥ — ١٦٧

لها يد المساعدة بغضاً بملوك الروم الذين بسطوا اجنحة الحماية تارةً على اليعاقبة واخرى على الخلكيدونيين

والبائن ان خلفاء عمرو بن هند الكبرى رجعوا الى الوثنية ٠فان النعمان الرابع كان يعبد النجمة المعروفة بالزهرة ( ) غير ان الديانة المسيحية كانت قد دخلت في داره ٠ اذ ان اختيه هند وماريا اعتنقتا الديانة النصرانيـة (٢) وبهمّة شمعون بن جابر اسقف الحيرة حملتاه على نبذ الديانة الوثنية ٠ وقيل ان مـا حمله على التنصّر محنة امتُحن بها ثلاث سنين ٠ وذلك انه كلما اراد النوم ظهر له صورتان مختلفتـان صورة فتى جميل المنظر وصورة حبشيّ كريه الوجه ٠ فكان الفتى الجميـل المنظر يحرّضه ان يتنصّر ٠ وهو يابى ٠ فاذا بالحبشيّ يصرعه ٠ فالتجأ الى شمعون اسقف الحيرة فشفاه وعمّذه (٣) ٠ وروى العرب محنة النعمان على صورة اخرى ٠ قالوا : ان خالد بن المضلّل وعمرو بن مسعود من ندماء النعمان اغضباه في بعض المنطق ٠ فامر بقتلهما ٠ ثم تندّم وامر ببناء الغريّين عليهما ٠ وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريّين يُسمى احدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس ٠ فـاول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الابل شوءماً اي سوداً ٠ واول من يطلع عليه يوم بؤسه يامر به فيُذبح٠ فحدث انهُ مرّ به رجل يقال له حنظلة ٠ فاراد قتلهُ ٠ فطلب ان يؤجله سنة ٠ ففعل ٠ وقد كفل به احد جلساء النعمان اسمه شريك ٠ فلماً حال الحول وكاد النعمان يقتل شريكاً اذا براكب قد ظهر ٠ فاذا هو حنظلة ٠ فتعجّب الملك ٠ وساله ما دعاك الى الوفاء٠ قال : ان لي ديناً يمنعني من الغدر ٠ قال : وما دينك٠ قال : النصرانية ٠ قال : فاعرضها عليّ ٠ فعرضها ٠ فتنصّر النعمان وترك تلك السنّة من ذلك اليوم وعفا عن حنظلة وشريك (٤)

ويستنتج من كلام المؤرّخين ان كلّا من النساطرة واليعاقبـة اراد ان يجلب

---

(١) التاريخ السعردي ܒ : ܦܗ ٠وقصة مار سبريشوع الجاثليق ٣٢٧

(٢) التاريخ السعردي ܒ : ܦܗ وܦܘ

(٣) التاريخ السعردي ܒ : ܦܘ

(٤) الاغاني ومجاني الادب ܒ : ٣٠٩ – ٣١٢

النعمان الى مذهبه . فان اخا النعمان كان يعقوبياً (١) . ولمّا اختاه هند وماريا فكانتا نسطوريّتين كما سبق الكلام . فاضطرب النساطرة واستدعوا الى مساعدتهم سبريشوع اسقف لاشوم فاعل العجائب وايشوعزخا رئيس الدير . وكانت النصرة ايضاً للنساطرة . فامر الملك النعمان بطرد اليعاقبة من مملكته (٢) . واعتمد النعمان في السنة الرابعة للملك خوسرو ابرويز (سنة ٥٩٤) (٣) وتنصّر معه كل اهل الحيرة . وبنى في حاضرة مملكته الكنائس العظيمة (٤) . فلمّا راى الحسن والمنذر ابناه النعمة التي حلّت على ابيهما اعتمدا هما ايضاً بعده بسنةٍ . وعمّدا اهل بيتهما . وامر الحسن عبيده ألّا يمنعوا المساكين عنه عند دخوله البيعة (٥)

امّا ما كان من امر النعمان فانهُ قُتِل مسموماً بامر خوسرو الثاني . فان هذا الملك غضب عليه لانهُ عند هربهِ الى بلاد الروم ساله المسير معه فلم يقبل . وطلب منهُ فرساً كريماً كان لهُ ولم يعطه . وخطب ابنته زوجة لهُ فلم يرض النعمان ان يعطيها وقال : اني لا ازوّج ابنتي لرجل زواجه على طريقة البهائم . فجمع خوسرو هذه كلها في قلبه . ولمّا استراح من الحروب اظهر لهُ العداوة . وكان النعمان قوياً في عشائره ولا سيّما في بني معد انسبائه . فبدأ العرب ينهبون ويسبون . فاحتال ملك الملوك واجتهد كثيراً في جلبه اليه لكي يقتله ولم يقدر . اخيراً احتال معنا احد تراجمة النعمان على سيده وحلف له بالانجيل انّ خوسرو يحبهُ ولا يؤْذيه اذا انطلق اليه . وكذلك أشارت عليه امراتهُ مويه قائلة لهُ : خير لك ان تموت باسم المملكة من ان تتعرّى من الملك وتبقى مطروداً . فانخدع النعمان وقصد باب الملك . فلم

---

(١) قصة جبالاها ٣٢٤

(٢) التاريخ السعردي ܠ : ܗܡ و ܗܡܘ . وقصة جبالاها الخ ٣٢١ — ٣٢٧ . وكتاب العفة ܗܡ . وماري ٥٦ . وعمرو ٤٧ — ٤٨ . ولابور ٢٠٦ و٢١٢ . ان ابن العبري (ܠ : ١٠٥) يقول ان النعمان عند تنصّره تمسّك باليعقوبية . غير انهُ يضادد نفسه اذ يقول ان ايشوعياب الجاثليق لما مات قبرته هند بنت (والاصحّ اخت) النعمان في ديرها . فترى اذا كان النعمان يعقوبياً لماذا تدفن ابنته جاثليقاً نسطورياً في ديرها

(٣) التاريخ السعردي   (٤) الاغاني

(٥) التاريخ السعردي وماري ٥٦

يلبث خوسرو ان امر بتسميمه (١) فمات سنة ٦٠٤ (٢) لمـا مؤرخو العرب فقالوا ان الداعي الى قتله هو ان النعمان كان قد قتـل عدي بن زيد . وكان اخو عدي من رجال خوسرو ابرويز . وانَّ خوسرو بعث بالنعمان الى سجن كان لـهُ بخانقين فلبث فيه حتى مات . وقال الكلبي:القاه تحت ارجل الفيلة فوطئته حتى مات (٣)

الفصل الثامن

خوسرو ابرويز (٥٩٠) سبريشوع الاول الجاثليق (٥٩٦ — ٦٠٤)
المجمع الكلداني الحادي عشر (٥٩٦)

انَّ خوسرو الثاني كان حدث السنّ يترقَّب النجوم عاملًا بموجبها ومتكلًا عليها ومنهمكاً في الملذّات . فلمَّا تم له الامر أطلق الذين كانوا محبوسين من الاعيـان وردَّ اليهم ما كان ابوه هرمزد قد اخذه منهم . فسُرَّ به الناس واحبوه (٤). ومع كونه عادى ايشوعياب الجاثليق لم يضطهد مع ذلك النصارى بل احسن اليهم رعاية بموريقي ملك الروم وامر باكرامهم وتجديد كنائسهم . وكان لهُ امراتان مسيحيتان مريم الرومية بنت الملك موريقي وشيرين الارامية من ارض ميشـان . فبنى لمريم كنيستين ولشيرين كنيسة كبيرة وقصراً في بلاشپار (٥). وهـذا القصر قائم الى يومنا هذا وهو المعروف بقصر شيرين . وبقي خوسرو يكرم النصارى طالما كان موريقي في قيد الحيوة ولكن لمَّا قُتل هذا الملك وبدأ النصارى الكلدان يُفسدون على بعضهم ابغضهم ملك الملوك واضطهدهم

من بعد وفاة ايشوعياب الارزنيّ اجتمع الاساقفة لانتخاب خلف له . وطـال

---

(١) كويدي ١٢ — ١٣ (٢) مجاني الادب ܟ :٣١٣

(٣) مجاني الادب ܕ : ٢٨٧ ح ١

(٤) التاريخ السعردي ܒ : ܩܣ

(٥) التاريخ السعردي ܒ : ܩܣ . وتوما 2 : ܟܕ

بينهم النزاع نحو شهر في من يعيّنونــه مكانه . واخيرًا انتخبوا بامر الملك مار سبريشوع اسقف لاشوم

ان قصة حياة مار سبريشوع طبعها الاب بيجان (١) . وكان له قصة اخرى منها أخذ مؤلّف التاريخ السعرديّ قطعاً كثيرة . وقيل فيها ان مؤلّفها هو بطرس الراهب وقال عنهُ التاريخ السعرديّ انه كان رئيس دير بيت عابي . غير ان توما اسقف مرگا الذي كتب تاريخ هذا الدير منذ تاسيسه الى الجيل الثامن لم يذكر بين روسائه واحدًا اسمه بطرس

وُلد سبريشوع نحو سنة ٥٢٤ في قرية بيروز آبات في حدود شهرزور . وعــلى رواية التاريخ السعرديّ وماري انه انتُخب من بطن امه فان والدته رات في حلمها انها رُزقت ابناً ملتحفاً بازار والجنود تسجد قدامه وكانهُ جالس على كرسيّ وعلى راسه تاج من ذهب والناس يزدحمون عليه ويطلبون بركته

ولمّا كبر سبريشوع صار يرعى الغنم ثم ترهّب . ولمّا تعلّم المزامير انطلق الى مدرسة نصيبين على عهد ابرهام دبيت ربّان طلباً للعلم . وبقي هناك تسع سنين (٢) ملازماً العلم والتقشّف معاً . ولمّاختم دروسه انتقل الى جبل في قردو (٣) ثمّ الى جبل شعران في بيت گرماي وسكن هناك خمس سنين . وانتشر صيته لان الله اجرى على يده معجزات كثيرة . وحسده المجوس . فقبض عليه عامل الناحية وارسلــه الى موهپاط كرخ سلوخ . وبقي هناك مدّة ثم مات مار سابا اسقف لاشوم . فانتخبه اهل هذه المدينة اسقفاً عليهم . ورسمه بختيشوع مطران كرخ سلوخ (٤) وقام باعبــاء وظيفته احسن قيام . فطار صيته في الآفاق حتى ان هرمزد الرابع استدعاه اليــه لكي يراه . ولمّا ملك خوسرو ابرويز وعُقــد الصلح بين الدولتين كان كل سفير

---

(١) قصة جبالاها ٢٨٨ — ٣٣١ . راجع عنه ايضاً التاريخ السعردي ܒ : [illegible] وما يلي وماري ٥٧ — ٦٠ وعمرو ٤٩ . وابن العبري ܒ : ١٠٧ . والسمعاني ܓ : ܐ : ٤٤١ — ٤٤٩ . وكويدي ١٠ وما يلي . ولابور ٢٠٩ — ٢١٢

(٢) التاريخ السعردي (٣) القصة تقول انهُ بقي في هذا الجبل ثلاث سنين

(٤) القصة ٣١٦ . اما التاريخ السعردي (ܒ : [illegible]) فيقول ان ايشوعياب الجاثليق رسمه اسقفاً

رومي يذهب الى المدائن يقصد سبريشوع لياخذ بركته لابل انّ موريقي نفسهُ ارسل اليه هدايا وطلب بركته. وكان سبريشوع ذا غيرة متقدة على مجد الله . وبدأ يطوف البلاد المجاورة ويهدي كثيرين من الوثنيين والمجوس الى الديانة المسيحية. وقد راينا ان غيرته حملتهُ على الذهاب الى الحيرة مصحوباً بايشوعزخا الراهب وهناك بهمّة مار شمعون الاسقف نصّر الملك النعمان. ولم يلبث مار سبريشوع بعد تنصّر ملك الحيرة ان استدعي الى المدائن لكي يُعقد على راسه التاج البطريركيّ

ان ايشوعياب الاول توفي في السنة السادسة لخوسرو الثاني اي في خريف سنة ٥٩٥ (١) . وبقي الكرسيّ فارغاً بضعة اشهر حتى اجتمع العظماء والاكابر من النصارى وفي مقدمتهم طخريد (٢) درجرو واستاذنوا ملك الملوك في اقامة رئيس عليهم . فاجتمع الاساقفة في المدائن يوم الجمعة الثالثة من الصوم سنة ٥٩٦ . ووقع الخلف بينهم . ورفع طخريد امرهم الى الملك . فامر خوسرو ابرويز بنصب مار سبريشوع اسقف لاشوم(٣) . والباعث انّ ما حمل الملك على ذلك هو انّ هذا الاسقف في رجوع خوسرو ابرويز من بلاد الروم وعبوره في بيت كرماي مع الجيوش الروميّة أكرمه واحسن مثواهُ كما تشير الى ذلك القصة نفسها بقولها انّ القائد نرسا الروميّ عند ذهابه الى محاربة بهرام زار هو وجيوشه مـار سبريشوع وطلبوا دعآءه . واعتقد هو وخوسرو الملك انهما ينتصران على العاصي بصلوات هذا الاسقف القديس

واتى في التقليد ان خوسرو الثاني لما كان يحارب باسطام العـاصي وراى جيش العدو وكثرته فكر في الهزيمة واذا بصورة شيخ راهب قصير القامة في يده عصـا قبض على لجام حصانه وجذبه بقوّة وانزلهُ الى الحرب فانتصر . ونقل الملك ذلـك

(١) راجع ماري ٥٧ وعمرو ٤٩ . التاريخ السعردي ܦ: ܗܢ . وايليا ١٢٣ . ان التاريخ السعردي في موضع آخر (العدد ٤٢) يكتب السنة الخامسة . وكذلك يكتب ايليا النصيبيني في الصحيفة ٥٢ . لكن السنة الخامسة لخوسرو ابرويز عند ايليا توافق السنة ٥٩٥ . فانّ خوسرو على رواية ايليا ملك سنة ٥٩١

(٢) ماري (٥٩) يكتب طجريد

(٣) التاريخ السعردي ܦ : ܗܢ

الى شيرين امراته فقالت له انّ هذا الشيخ هو سبريشوع اسقف لاشوم فاعل العجائب . فاراد منذ ذلك الحين ان يجعلهُ جاثليقاً (١)

ولم يكن سبريشوع حاضراً بين الاساقفة الذين اجتمعوا في المدائن لانتخاب جاثليق . فلمّا عرف الملك ذلك ارسل حالاً خيالتـــه واحضره من لاشوم . وكان وصولهُ الى المدائن يوم الاثنين ثاني الشعانين . ونزل في قصر شيرين الملكة . فلمّا كان يوم خميس الفصح ذهبوا به بزياح لا مثيل له الى البيعة الكبرى ورسمـــوه بطريركاً . وفي خروجه من الكنيسة صار عليه ازدحام عظيم حتى انهُ بكدّ جسيم انتهى الى باب الملك وقد مضى من الليل ثلاث ساعات . فدخل على الملـــك مصحوباً بالاساقفة ووجوه المؤمنين وخرج من قصر شيرين الخدام وفي اياديهم مباخر وشموع . فدعا الجاثليق للملك وطلب اليه ان يعيّن ميليس اسقف شنّا نائبـــاً بطريركيًّا ويإذن للاساقفة في البقآء عنده شهرًا ليصلح معهم احوال الكنيســـة . فاجاب خوسرو الى سؤَالهِ (٢)

فعُقد المجمع في ايار من تلك السنة عينها (٣) . وحرم الحناناويين واليعاقبة . وقد سبق القول انّ الحناناويين كانوا يرفضون تفاسير تئودوروس المصيصي ويقولون مثل الخلكيدونيين بطبيعتين واقنوم واحد في المسيح . وكان مركزهم في نصيبين لان زعيمهم حنانا كان رئيس المدرسة هناك . وسترى انّ تعاليمه سبّبت في الكنيسة النسطوريّة سجساً عظيماً دام من منتصف الجيل السادس الى منتصف الجيل السابع

(١) التاريخ السعردي [illegible] . وعمرو ٥٠ . وماري ٥٧ . كويـــدي ص٨ يقول ان هذه الرؤيا ظهرت لخوسرو لما قاتل بهرام اما تقليد الكنيسة اليونانيـــة فذكر ان خوسرو بشفاعة سركيس الشهيـــد قهر عدوّه . فانهُ اتى في تاريخ إواغريوس ان الملك موريقي أرسل بالسفارة الى خوسرو الملك غريغوريوس بطريرك انطاكية سنة ٥٩٣ (راجع قصة مار سبريشوع ٣٠٢) . فاكرم ملك الفرس البطريرك كثيرًا وقبل منهُ صليباً مرصعاً بالذهب والجواهر الثمينة كانت تئودورا الملكة اهدته لكنيسة مار سركيس في الرصافة فاخذه خوسرو انوشروان مع اشياء أُخرى كثيرة . وبعث ايضاً خوسرو للكنيسة المذكورة صليباً آخر ثميناً كتب عليهِ انهُ اهدى هذا الصليب لكنيسة مار سركيس لانهُ بشفاعتـــهِ انتصر على عدوّه زاديسبراس (Zadespras)

(٢) التاريخ السعردي [illegible]   (٣) السنهادوسات ١٩٦

فلاجل مقاومة حنانا وتفنيد تعليمه عيّن المجمع غريغور اسقف كشكر مطراناً على نصيبين . وكان مشهوداً بعلمه الواسع وغيرته المتقدة (١) . لكنهُ لم ينجح . لانهُ كان حادّ الطبع واظهر قساوة شديدة نحو كل من قاومهُ . فطرد الرهبان من اديرة سنجار لانهُ سُعي بهم انهم متمسكون بهرطقة المصلّين (٢) . وعاقب بصرامة جميع كهنة نصيبين واعيانها المتحزّبين لحنانا . وكتب الى مار سبريشوع يعرّفهُ بفساد معتقدهم (٣) والتجأ رهبان اديرة سنجار الى الملك طالبين اليهِ ان يجعل اديرتهم منحلّة من ولاية مطران نصيبين وداخلة تحت حكم البطريرك (٤) . ولمّا كانت السنة ٥٩٨ في شهر اذار اتى المدائن رهبان دير برقيطي ودير حدّثا ودير آخر لم يُذكر اسمهُ وتعهّدوا لمار سبريشوع انهم يتمسكون بايمان الكنيسة وتفاسير تئودور المفسّر وبقوانين الرهبان المصريين مضربين عن الجولان في المدن والقرى . فجعل البطريرك اولئك الرهبان كلهم تحت رئاسة بريخيشوع وآبا وربطهم كما طلبوا بالكرسيّ البطريركيّ مانعاً اي اسقف او مطران كان من التداخل في شؤونهم (٥) فشقّ ذلك على غريغور مطران نصيبين وصار بينهُ وبين الجاثليق عداوة ونزاع . وانتهز الفرصة اهل نصيبين واشتكوا هم ايضاً على مطرانهم . وكتب حنانا رسالة الى الجاثليق فيها يعرّفه عن صحّة معتقده ويطعن بغريغور . فتحزّب مار سبريشوع لحنانا واهل نصيبين وطلب الى الملك ان ينفي غريغور . فاجاب الملك الى سؤاله . وكان ذلك في شهر ايار سنة ٥٩٨ (٦)

وفي شهر ايار سنة ٥٩٩ نشر اهل نصيبين لوآء العصيان على الملك وقتلوا المرزبان (٧) لاسباب لا نعرفها ولمّا اتّصل الخبر بملك الملوك احتدّ غضباً وللحال ارسل اليهم نكورگان القائد مع عساكر كثيرة . وامر مار سبريشوع ان

---

(١) ايليا ١٢٤ (٢) كويدي ١١

(٣) فيهِ ايضاً والتاريخ السعردي ٢ : ܣܚܕ (٤) السنهادوسات ٢٠٦

(٥) السنهادوسات ٢٠٠ — ٢٠٧

(٦) التاريخ السعردي ٢ : ܣܚܕ . وكويدي ١١

(٧) التاريخ السعردي ٢ : ܣܚܗ . راجع ايضاً كويدي ١١

يرافقهُ مع اساقفة بيت كرماي وحدياب ونصيبين حتى يقنع النصيبيين بتقديم الطاعة . ففعل الجاثليق وضمن لهم السلامة اذا فتحوا الابواب وهو لا يعلم بما ضمر لهم القائد من السوء . فلمّا فتحوا المدينة نكّل بهم الجيش ايّ تنكيل اذ نهبوا وسلبوا واخربوا واحرقوا وقتلوا الاشراف قاطبةً وفي جملتهم يزدجرد وهرمزشابور . وهرب كثير منهم الى بلاد الروم وتفرّقوا ايادي سبأ . واسر نكور كان جماعةً منهم وانطلق بهم الى خوسرو ابرويز وماتوا في الحبس . ومن بقي في المدينة ذلّ وخضع . واغتمّ مار سبريشوع بما جرى وعاتب القائد على حنثه في يمينه

ولم يبرح مار سبريشوع مكرّماً لدى خوسرو الثاني واتى في التاريخ السعرديّ(١) انّ موريقي ملك الروم ايضاً اشتاق الى رؤيته . فارسل اليه مصوّرًا اخذ صورتهُ . وواصله بالمكاتبة وطلب دعاءه وقلنسوته تبرّكاً . والتمس اليه الجاثليق ان يبعث لهُ جزءًا من عود الصليب المقدس . فعمل موريقي صليباً من ذهب مرصّعاً بالجواهر ووضع فيه جزءًا من صليب المسيح وارسلهُ الى مار سبريشوع . فظفر خوسرو بالصليب واخذ منهُ العود المقدس . فعرف الجاثليق ذلك وردّ الصليب الى موريقي قائلًا : « حاجتي كانت الى جزء من الصليب المقدس . ولفرط محبة خوسرو الملك لامراته المؤمنة شيرين اخذه لها . فان سمحت جلالتك بجزء آخر والّا فلا حاجة لي في الذهب . »

وفي تلك الاثناء ارسل موريقي الملك پروبا الاسقف بالسفارة الى خوسرو الثاني والى الجاثليق . وكان پروبا هذا فيلسوفاً عالمًا عارفاً باليونانية والاراميّة والعبرانية . واتى اسمهُ ماروثا في التاريخ السعرديّ وفروا في كتاب ماري وهما تحريف پروبا . وكان پروبا في اول امره متمسّكاً بالمنوفيسيتية ثم انقاد الى الكاثوليكيين فجُعل اسقفاً على مدينة خلكيدونية (٢) ولما وصل الى المدائن وهو على احسن زيّ تلقّاه طخريد بامر الملك ومعهُ تئودوروس اسقف كشكر وعبدا اسقف بيت داراي وبختيشوع رئيس المدرسة . فدخل على الجاثليق ليسلّم عليه

---

(١) ت : ٤٥٠ . راجع ايضاً ماري ٥٩

(٢) السمعاني ت : ٧٢ — ٧٧ . وابن العبري 2 : ٢٥٣ و ٢٥٥

فلمّا شاهده جالساً على المسح بثياب رديّة وعلى راسه قلنسوة وهو في زاوية قلايتـهِ لم يعلم انهُ الجاثليق حتى قيل لهُ . فتعجّب من ذلك . وحدث في تلك الاثناء ان مار سبريشوع أبرأ فتى اعمى واخرس (١) فتحيّر پروبا الاسقف وقـال : حقًّا يا صفيّ الله انّ كلّ فخر بنت الملك من داخل (٢) والذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك (٣) . واقام پروبا عند الجاثليق مدّة شهرين يصير معـهُ الى دار خوسرو الملك ويحضر معهُ في القداس وياخذ القربان بلا تردّد . وزار المدرسة وخلع على التلاميذ . وزوّده الجاثليق بطيوب كثيرة وهدايا نفيسة اتتهُ من الهند والصين . ثم انّ خوسرو الملك احبّ ان ينفذ الى موريقي اسقفاً من جهتهِ مستصحبـاً پروبا فانتُخب ميليس اسقف شنا . فاكرمهُ الملك موريقي كثيرًا وانفذ معـهُ جزءًا من الصليب المقدّس الى مار سبريشوع

ولما كانت السنة ٦٠٢ حدثت فتنة اهلية في مملكة الروم قُتل فيهـا موريقي الملك وجُعل مكانهُ فوقا . فاراد خوسرو ابرويز ان ياخذ بثار حميه المحسن اليـه ويسترجع مـا سلّم اليهِ من البلاد . فلمّا كانت السنة ٦٠٤ حمل هو نفسهُ على دارا وامر سبريشوع الجاثليق ان يرافقـهُ . غير ان الجاثليق كان قد ناهز الثمانين من عمره . فلم يقدر ان يذهب مع الملك الى دارا بـل بقي في نصيبين . ثم مرض مرضاً ثقيلًا (٤) . ولما سمع خوسرو بمرضه ارسل من دارا طخوبد درجرو لكي يستخبر عن صحتهِ ويطلب دعاءه . وتوفي سبريشوع في الساعة التاسعة من يوم الاحد في الثامن عشر من ايلول (٥) سنة ٦٠٤ وفيهِ يعيّد لهُ الكلدان النساطرة

فحنطهُ الاطبّاء كما اوصاهم الملك . وادرجوه في الثياب التي انفذها اليهِ خوسرو وشيرين الملكة . وطرحوا عليهِ المسك والكافور ووُضع في تابوت . وكان اهل نصيبين قد طمعوا في دفنهِ عندهم . واراد اهل الحيرة ان ياخذوه غير ان تلاميذه حملوه

---

(١) التاريخ السعردي ܒ : ܣܗ . وماري ٥٩

(٢) المزمور ܡܗ : ٣٠ بموجب الترجمة البسيطة (٣) متى ܝܐ : ٨

(٤) التاريخ السعردي ܒ : ܟ و ܟܐ . وكويدي ١٤ — ١٥

(٥) ايليا ١٢٥ يكتب : آب

باذن الملك الى الدير الذي شيّده في كرخ جدان في بيت كرماي حسبما اوصاهم في حياتهِ . ولما سمع يزدين الصرّاف بقدومهِ قرع النواقيس في كلّ الكنائس والاديرة وادخلوه الكنيسة بزياح عظيم . وسهروا تلك الليلة وفي الغد قرّبوا الذبيحة الالهية عن نفسهِ . واراد يزدين ان يأخذ صليبهُ الذي فيهِ العود الثمين . فمنعهُ التلاميذ وعرّفوه انهُ اوصى بهِ للدير . فلم يتعرّض لهم

الباب الرابع

في اخبار الكلدان الاثوريين في الجيـل السابع
الى ظهور دولة العرب المسلمين

الفصل الاول

غريغور الجاثليق (٦٠٥ — ٦٠٩)
المجمع الكلداني الثـاني عشر (٦٠٥)

انّ الكرسيّ البطريركيّ بعد وفاة سبريشوع فرغ نحو سبعـة اشهر . لانّ خوسرو الثاني كان في ميدان الحرب ولم يمكنهُ ان يامر بالتئام الاساقفة لانتخـاب جاثليق . فلما رجع من دارا غانماً منصورًا تفكّر في امر النصارى . واستدعى المطارنة والاساقفة الى المدائن لكي يختاروا لهم بطريركاً . وامر ان يُنفق عليهم من مال الخزينة كل لوازم السفر . وكان عدد الاساقفة الذين اجتمعوا تسعـة وعشرين . وهاك اسمآءهم كما هي محررة في كتاب السنهادوسات : يوسف مطران پراث ميشان . ويوناداب مطران حدياب . وبختيشوع مطران بيت كرماي . والاساقفة تئادوروس (كشكر) . ويوسي (كرخ ليدان) . وجبرائيل (كرخ ميشان) . ويوحنان (بيت نوهدرا) . وسورين (شهرقرت) . ويوسي (هرمزدأرداشير) ويوحنان (ريما) . وطيمثاوس (بيت بغاش) . وأحيشما (شوشتر) . وماروثا (قردو) . وجبرائيل (نهركور) . ويورزميهر (بيت داسان) . وحنانـا

(ماحوزا اريون) · وشمعون (پيروزشابور) · ويعقوب (شوش) · وكليليشوع (معلثا) · وجبرائيل (حوبغلال) · وعبدا (بيت دارايي) ·وبولس(برحيس) · وقشا (تحل) · وپيروز (طيرهان) · وحنانيشوع (اذربيجان) · ونثنائيل (شهرزور) · وبرحدبشبا (حلوان) · ويزدخوست (ماداي) · وشابور (شنا)

كان سبريشوع قد أوصى ان يختاروا مكانهُ برحدبشبا الراهب المقيم في جبل شعران · لمّا الاساقفة الذين اجتمعوا في المدائن فانتخبوا غريغور مطران نصيبين المار ذكره لما عرفوا فيهِ من استقامة المذهب وحسن السيرة والغيرة الرسوليّة · وقد سبق الكلام ان سبريشوع الجاثليق طرده من نصيبين فانتقل الى بلدتـه كشكر · فاستاذنوا خوسرو ابرويز في امره · فاذن لهم في رسامتهِ · فلمّا وقف على ذلك ابراهام النصيبينيّ الطبيب وغيره من النصارى المقربين لدى الملك قلقوا واضطربوا · لانهم خافوا ان ياخذ بثاره منهم لما عملوا معهُ اذ كان مطرانهم في نصيبين · فقصدوا آبا الكشكري منجّم الملك وعرضوا عليهِ الامر · فأجمعوا رأيهم واتّخذوا الملكة شيرين آلةً لمكيدتهم · فاختارت شيرين غريغور المفسّر وقدّمتهُ الى الاساقفة ليرسموه جاثليقاً وقالت بهذا أمر الملك · وتمّ ذلك بسهولة لاتّفاق الاسم في الشخصَين · فاطاع الاساقفة امر الملكة · ورسموا غريغور المفسّر جاثليقاً (١) · وكان ذلك في سبت الشعانين في شهر نيسان سنة ٦٠٥ (٢)

انّ غريغور هذا اصلهُ من ميشان من بلدة شيرين الملكة · وكان تامّ القامة حسن الصورة · ولكن ليس باطنه مثل ظاهره · وتعلّم على ايشاي اللفان وصار مفسّراً في مدرسة المدائن · فبعد رسامته دخل بهِ الاطباء على خوسرو ابرويز ليدعو لهُ · فعرف الملك بالحيلة ووبّخ الاطباء · فاعتذر اليهِ آبا الكشكري وقال :

---

(١) من غريغور الجاثليق راجع ماري ٦٠ — ٦١ · وعمرو ٥١ — ٥٢ · والتاريخ السعردي ܬ : ܦ · وابن العبري ܬ : ١٠٧ و ١٠٩ وكويدي ١٥ · والسنهادوسات ٢٠٧ — ٢١٤ و ٤٧٢ · وتوما ٣٩ — ٤١ · والسمعاني ܓ : ܐ ٤٤٩ · ولابور ٢٢١ — ٢٢٣

(٢) ايليا ٥٣ و ١٢٥ · والسنهادوسات ٢٠٧

« انّ شيرين الملكة امرت بهِ لانهُ من اهل بلدتها . وهو مع ذلك ذو فهم وحكمة وعلم . » والباثن انّ الملك قبل حجتهم او بالحري كتم غيظهُ واكرم الجاثليق الجديد

وقبل ان يتفرّق الاساقفة عقدوا مجمعاً في المدائن تحت رئاسة غريغور الجاثليق واثبتوا فيهِ مقرّرات مجمع برصوما بخصوص الايمان وتاليفات تئودور المفسّر والرهبان العائشين خارج الاديرة وحرموا الحناناويين الذين يرفضون تفاسير اسقف مصيصة . والرهبان الذين لا يسكنون الاديرة وكل من يخطف لنفسه او لأهله اموال الاديرة الى غير ذلك

انّ غريغور كان طمّاعاً فيهِ روح العالم وقد عدل عن الحقّ ومال الى اللذات وجمع الدراهم وطالب بها الكهنة والاساقفة واساء السيرة في الرعية . وانتهز الفرصة اليعاقبة والحناناويّون وبدأوا يطعنون بهِ عند الملك وعاونهم في ذلك النساطرة انفسهم (١) . فازداد الملك بغضة فيهِ واشهره . فانهُ أمر بتصويره على المراوح باشنع حالة . فصوّره على مروحة وهو يقلّب دجاجة ليفحص عن دسمها . وعلى مروحة أُخرى وهو يقلّب ديناراً وينقده وعلى فخذه صبيّة جالسة (٢) وكان الفرس قد اخذوا من دارا لما افتتحوها كتباً كثيرة . فطرح خوسرو هذه الكتب على غريغور الجاثليق بعشرين الف استار فضة وطالبه بالثمن . فاخذ البطريرك هذا المبلغ من الكنائس ودفعهُ الى الملك . ولم يلبث غريغور ان مات سنة ٦٠٩ . ولعل سبب موته الحزن الشديد الذي تسلط عليه من جراء هذه المعاملات . واغتصب خوسرو الثاني كل ما يملكه غريغور وقبض على تلامذته وحبسهم حتى اظهروا لهُ ماله . وامر ألّا يُنصب للنصارى جاثليق . فبقيت الكنيسة الكلدانية النسطورية ارملة تسع عشرة سنة اي الى وفاة خوسرو ابرويز

---

(١) توما ٤٠ — ٤١

(٢) التاريخ السعردي ت: ف . راجع ايضاً توما ص ٤٠ حيث قيل ان بعض الاساقفة ايضاً أشهروا نظير غريغور

الفصل الثاني

فراغ الكرسي المدائني البطريركي (٦٠٩ — ٦٢٨)

ان الكنيسة النسطورية بعد وفاة غريغور الجاثليق اصابتها نكبات هائلة كادت تسقطها مصروعة لولا همّة بعض المطارين والرهبان وغيرتهم. فانهُ قام عليها منذ اواسط الجيل السادس كما اشرنا ثلاثة اعداء اقوياء وهم: المصلون واليعاقبة والخناناويون. وتقوّوا اكثر ما يكون في الربع الاول من الجيل السابع

١ المصلّون

ان هرطقة المصلّين (ܡܨܠܝܢܐ) ظهرت في الاديرة بين الرهبان (١). ونشأت في القرن الرابع في اطراف اورهاي. ومبدعوها شمعون وهرمس ودادو واوسابيوس (٢) فتظاهر هؤلاء الرهبان بطريقة انطونيوس ابي الرهبان. اما باطنهم فهو على خلاف ذلك. وادّعوا انهم بصلواتهم قد بلغوا الى طبقات الروحانيين وان روح القدس يظهر لهم ويخاطبهم. وكانوا يواظبون على الصلوة ولذلك لُقّبوا بالمصلين وقالوا ان من ادمن على الصلوة بلا ملل قَبِل الروح القدس ثانيةً كقبوله اياه في المعموذية وقَبِل الوحي وسقطت عنه شهوات الخطية. فلذلك كل من ادّعى منهم انهُ قبل الروح القدس احتقر الصوم والتقشف والسهر والاعمال الصالحة وشغل الايدي. فقعد النهار كله بطالًا نائمًا منتظرًا ان ينزل عليه الوحي. معتقدًا ان الاحلام هي من الروح القدس وانه لا منفعة من اخذ القربان المقدس. وبلغ بهم الشرّ الى ان اباحوا اشنع الخطايا قائلين ان لا خطية بعد ظهور المسيح. فكان شأن هؤلاء

---

(١) عن المصلّين راجع التاريخ السعردي 2 : ١٦٧ — ١٦٨ . وكتاب اسكوليون لثودوروس بركوني طبعة ادي شير ܟ : ٣٢٨ ٣٣١ . والتاريخ البيعي لتيلمون ܗ : ٢٢٢ — ٢٢٦

(٢) بركوني يكتب: سابا ودادو ودالاب وهرمس وشمعون

الرهبـان الجولان في المدن والقرى مظهرين النسك وعائشين من صدقات المؤمنين وهم يرتكبون انواع المنكرات

وانتشرت هذه الهرطقة في الكنيسة الكلدانية النسطورية في منتصف الجيل السادس. وقد حُرمت في مجامع حزقيال وايشوعياب الاول وسبريشوع وغريغور الجاثاثليق كما مرّ بك. وكان مركزهـا في اطراف سنجار. وقد رأينا ان سبريشوع الجاثليق رجَّع منهم كثيرين ومنعهم من ان يطوفوا في المدن والقرى وجبرهم ان ينقطعوا في الاديرة. ثم في بداية الجيل السابع انتشرت هـذه الهرطقة وقويت في ابرشية حدياب كما اخبرنا توما اسقف مركا في كتاب الرؤساء

٢ اليعاقبة

اما الهرطقة المنوفيسيتية فكانت اكثر خطراً. فان برصوما اسقف نصيبين مع كل جهده لم يقدر ان يستأصلها بالتام من مملكة الفرس. وبقيت تكريت متمسكة بها تمسكاً شديداً. وعلى عهد شيلا الجاثليق اجتهد اليعاقبة ان يتمكنوا في الحيرة فلم يقدروا. لان النساطرة قهروهم وطردوا من هنـاك رئيسهم شمعون اسقف بيت ارشام (١) ومع ذلك كان عدد اليعاقبـة يزداد في مملكة الفرس بالاسرى الروميين الذين ساقهم خوسرو انوشروان الى بلاده في الحرب الاولى التي دامت من سنة ٥٤٠ الى سنة ٥٤٦ وفي الحرب الثانيـة التي بدأت سنة ٥٧٣. وفي تلك المدة بذل يعقوب البراذعي ما لا يمكن وصفهُ من الهمـة والتعب والتفنن في تثبيت اهل سوريا وما بين النهرين على معتقد الطبيعة الواحدة. ولا بد من انهُ اتى ايضاً هذه البلاد ليبثّ فيها تعاليمه المنوفيسيتية (٢) وفي سنة ٥٥٩ اسام احودإمّه اسقفاً على تكريت . واجتهد هذا الاسقف الجديد في تقوية مذهبـه . ونصّر كثيرين من المجوس وفي جملتهم احد ابناء خوسرو الاول فعمـذه وسماه كيثوركي (٣) وقبض

(١) انظر ص ١٦٥

(٢) التاريخ السعردي ك : ٤٩ . وابن العبري ك : ٩٩ . وميخائيل ٣٦٨

(٣) من المحتمل ان كيثوركي هذا هو كريكور (غريغور) الشهيد الذي قتله انوشروان سنة ٥٤٢ (انظر صفحة ١٨٣) وان المؤرخ اليعقوبي جعلـه ابناً لخوسرو الاول وتلميذاً لأحودامه

عليه الملك والقاه في الحبس حتى مات سنة ٥٧٥ (١). ولم يقدر اليعاقبة ان ينتخبوا مكانهُ اسقفاً آخر حتى مات خوسرو انوشروان سنة ٥٧٩. وفيها عينوا لهم اسقفاً رجلًا يقال لهُ قاميشوع. وبدأ هذا الاسقف يرسم اساقفة للكراسي الفارغة. ومات سنة ٦٠٩ (٢). ومن بعد موته بقي اليعاقبة بدون رئيس خمس سنين اي الى سنة ٦١٤ التي فيها قام مكانه شموئيل ومات سنة ٦٢٤ وبقي بعده الكرسي فارغاً خمس سنين ايضاً

هذا ما قالهُ ابن العبري وميخائيل عن اساقفة تكريت اليعاقبة. وقال ميخائيل عن دير مار متى انهُ بعد برساهدي الذي قتلهُ برصوما مطران نصيبين الى كريسطوفوروس بطريرك الارمن ورسم مطراناً للدير المذكور رجلًا اسمه كُرماي وكُرماي قبل ان يموت اسام ماري (٣) وماري وضع يده على ايشوعزخا وايشوعزخا رسم ساهدا وساهدا اسام شمعون وشمعون وضع يده على كريسطوفوروس (٤)

ان تقليد اليعاقبة هذا عن دير متى مصنّع ملفّق. اولًا لانهُ لا صحة كما رأينا (٥) لما قيل عن ان هــذا الدير أُسس على يد مار متى تلميذ اوجين وان برساهدي كان اسقفاً عليه على عهد برصوما مطران نصيبين. ثانياً يظهر في كلام ميخائيل تصنّع وتعسف ظاهر. فانهُ يقول: « اننا كتبنا ما كتبنا (عن اساقفة دير متى) ليُعرَف من اين تسلسل الاسياميذ في المشرق. » فترى ان هذه النبذة تشبه كل الشبه النبذة الموجودة في اخر ملفانوت ادي وقصة شربيل الشهيــد (٦) وان كريسطوفوروس جاثليق الارمن الذي قيــل عنهُ انه اسام كُرماي ليس الّا كريسطوفوروس اسقف الدير المذكور في النبذة. ثالثاً اني في تقليد النساطرة ان دير مــار متى كان بيدهم الى نهاية الجيل السادس وانما بواسطة جبرائيل طبيب خوسرو الثاني ضبطهُ اليعاقبة (٧)

---

(١) المؤرخون اليعاقبة يقولون انهُ قُتل عير ان نيلديك يثبت انهُ مات حتف انفــه (دوفال الآداب السريانية ٣٦٦)　　(٢) ابن العبري ــ : ١٠٩ — ١١١

(٣) ابن العبري ــ : ١٠٣ يكتب طوبانا

(٤) ميخائيل ٤١٣ وابن العبري ــ : ٨٧ و ١٠٣　　(٥) انظر ص ٩٣ و ١٠٤

(٦) انظر ص ٣ و ٥　　(٧) قصة برعدتا ــ و ــ راجع ايضاً خلاصة قصة برعدتا لادي شير ٢٥ و ٣٢

وكيفما كان الامر فان مركز اليعاقبة في مملكة الفرس كان تكريت . وكان يوجد ايضاً كثيرون منهم في ارزون . وكذلك معظم سكان ما بين النهرين الخاضعة للروم والمتصلة بمملكة الفرس كانوا يعاقبة . فكان مرسلو المنوفيسيتية ينقضّون من طور عابدين وتكريت على ارض اثور ويبثّون فيها تعاليمهم . لكنّ النساطرة استدركوا الامر . فانّ مدرستهم في نصيبين ودير مار ابراهام الكبير في جبل ايزلا كانا حاجزَين عظيمين يمنعان اليعاقبة من الدخول في مملكة الفرس . وما برحت مجامعهم تحذر من المنوفيسيتية وترشقها بالحرم كما راينا في الفصول السابقة .

وحيث ان ملوك الفرس بسطوا اجنحة الحماية على النساطرة في مملكتهم صرف اليعاقبة اجلّ همّتهم الى استجلاب العرب الذين في الحيرة . لانّ هذه المدينة كانت نوعاً ما مستقلّة . ولكن هناك ايضاً كانت النصرة للنساطرة وانتصروا انتصاراً تامّاً في سنة ٥٩٤ اذ ادخلوا الى مذهبهم النعمان الرابع ملك الحيرة وجميع آل بيته (١) . وفي نحو ذلك الزمان طرد ايضاً طيطوس اسقف حدّيثا النسطوري اليعاقبة الذين انتشروا في كرسيّه منذ سنة ٥٥٥ (٢)

كان طيطوس مجوسيّاً من نواحي شهرزور (٣) . ثمّ تنصّر وتخرّج في مدرسة كرخ سلوخ (٤) على دنحا الملفان . ثمّ أُسيم اسقفاً لمدينة حدّيثا عن يد حزقيال الجاثليق (٥٧٠ — ٥٨١) . فقاوم شديداً اليعاقبة وجادلهم وقهرهم وطردهم من المدينة . والذي ساعده في هذا الامر يزدين الصرّاف . فقد قيل عنهُ انهُ لما خرج سنة ٦٠٤ مع خوسرو ابرويز على دارا دفع الى طيطوس ثلثمائة دينار بنى بها كنيسة حدّيثا . وتوفّي هذا الاسقف في ٦ كانون الاول وفيهِ يعيّد لهُ الكلدان (٥)

---

(١) انظر ص ٢١٠ (٢) ان التاريخ السعردي [illegible] : [illegible] : يكتب سنة ٩٦٦ لليونان (٦٥٥ م) وهو غلط عوض ٨٦٦ . فان التاريخ نفسهُ يقول ان طيطوس اسيم على يد ايشوعياب الارزني وكتاب العفة يكتب ان حزقيال رسمه ومن المعلوم ان هذين الجاثليقين جلسا من سنة ٥٧٠ الى ٥٩٥ (٣) راجع عن طيطوس كتاب العفة [illegible] . والتاريخ السعردي [illegible] : [illegible] (٤) التاريخ السعردي يكتب : المدائن

(٥) الكلندار النسطوري

اما اليعاقبة فرغماً عن هذه الكسرات المرّة المتعدّدة لم يقطعوا الرجاء . وما زالوا يجتهدون في نوال مرامهم حتى سنحت لهم الفرصة على عهد خوسرو ابرويز وذلك بعد وفاة سبريشوع الجاثليق . فضربوا النساطرة ضربةً مؤلمة . وجرى ذلك على يد جبرائيل الطبيب

كان جبرائيل رئيس اطبآء خوسرو الثاني وعُرف باسم دروستبَد او السنجاريّ لانّ اصلهُ من سنجار (١) . وكان يعقوبياً في اوّل امره . ثمّ اعتنق المذهب النسطوريّ لانهُ اخذ امراة نسطوريّة من عائلة شريفة . ثمّ تزوّج بامراتين مجوسيتين . فحرمهُ سبريشوع البطريرك . وتشفّع فيه الملك لحلّه من الحرم ولم تُقبل شفاعتهُ . حتى انهُ لما دنت وفاة الجاثليق وهو في نصيبين ارسل اليهِ الملك مَن يسالهُ ان يرفق بجبرائيل ويقبلهُ في شركة الكنيسة ولم يجبهُ الى ذلك (٢) . فانتهز اليعاقبة الفرصة واستجلبوا اليهم هذا الرجل المقتدر . فاصبح جبرائيل من الدّ اعدآء النساطرة واضرّ بهم كثيراً . لانهُ كان موقّرًا عند الملك خوسرو الثاني وقد عالج شيرين الملكة فرُزقت ابناً سمّتهُ مردانشاه (٣) . فانقادت هي ايضاً الى رايه وصارت يعقوبية . وضبط جبرائيل من النساطرة اديرة كثيرة منها دير شيرين ودير پثيون (٤) ودير متى في جبل الباپ (٥) . واراد يوناداب مطران حدياب ان يرجع دير متى (٦) ولم يقدر . وعلى رواية كاتب قصة برعيتا انهُ في تلك الاثنآء اعتنقت بعض قرى آثور المذهب اليعقوبيّ

٣ً الحناناويّون

الحناناويّون كانوا اكثر خطرًا من المصلّين والمنوفيسيتيين لانهم كانوا من الاهالي

---

(١) راجع عن جبرائيل كويدي ١٢ والتاريخ السعردي ܦ : ܩܕ و ܩܗ و ܩܘ وابن العبري ܦ : ١٠٩

(٢) كويدي ١٠ . والتاريخ السعردي ܦ : ܩܗ

(٣) اتى في تواريخ اواغريوس ان الله رزق شيرين ابناً بشفاعة سركيس الشهيد . فارسلت هذه الملكة الى كنيسته في الرصافة هدايا كثيرة

(٤) كويدي ١٦

(٥) قصة برعيتا ܣܘ . وخلاصة قصة برعيتا لادي شير ٣٢ — ٣٣

(٦) كويدي ١٦

الوطنيين ومن اجلّ العلمآء . وعلّموا انّ في المسيح طبيعتين واقنوماً واحدًا ورفضوا في تفاسيرهم للكتاب المقدس آرآء تئودور اسقف مصيصة الذي كان النساطرة قد ترجموا جميع تآليفهِ الى الكلدانية ويعتمدون عليها في كلّ خصوص (١) . وقد سبق القول انّ رئيسهم كان حنانا الحديابي. وروى عنهُ باباي الكبير في جهاد كيوركيس الشهيد انهُ قال بالقدر وانكر قيامة الاجساد والدينونة والقصاص الابدي وما شاكل ذلك (٢) . ولكن لا صحّة لهذه الاقوال. وهذا لعمري شأن اغلب اهل الجدال. فانهم يبالغون دائماً في ما يقولهُ اخصامهم ساندين اليهم ما لم يقولوه ولا علّموه . ونرى من المقالتين اللتين الّفهما حنانا في الباعوث وفي جمعة الذهب انّ هذا الملفان كان بعيدًا عن هذه التجاديف بُعد المشرق عن المغرب

كان حنانا من حدياب كما يدل لقبه (٣) .وتعلّم في مدرسة نصيبين على موسى المعلّم على عهد ابراهام دبيت ربان رئيس المدرسة (٥٠٩ — ٥٦٩) . ولعلّ موسى هذا هو الذي تلمذ مار آبا الكبير والذي على طلبه الّف توما الاورهاوي مقالتَيه في الميلاد والدنح (٤) . وقال التاريخ السعرديّ عن حنانا انهُ كثرنظره في كتب المخالفين وفسّر اشيآء خالف فيها تئودوروس المفسّر. ولما رأى ابراهام منهُ ذلك ألحّ على بولس مطران نصيبين ان يطرده من المدينة . فاجاب المطران الى سواله ولكن لما مات ابراهام وصار عوضه رئيساً للمدرسة ايشوعياب الارزنيّ سنة ٥٦٩ رجع حنانا الى المدرسة . وكان لهُ فيها عدّة تلاميذ يتبعون آرآءه . ولهذا فمن بعد وفاة ابراهام برقرداحي خليفة ايشوعياب الارزنيّ عُيّن حنانا رئيساً على المدرسة سنة ٥٧٢ (٥)

فاوّلما تصدّر حنانا في المدرسة ارخى العنان لتعليمه . وتحزّب لهُ اكثر تلامذة

---

(١) كتاب مدرسة نصيبين ٢٩ — ٣٠. ولابور ٢١٤ — ٢١٥

(٢) قصة چبالاها ٤٢٧ و٤٩٦

(٣) عن حنانا راجع مدرسة نصيبين ٢٨ — ٣٠. وبرحدبشبا عربايا ٧٦ — ٧٩. ومقالات ايشاي الملفان وحنانا حديابايا ٧ — ١٠. والتاريخ السعردي ܒ: ܚܕ ܘܦܕ .

(٤) راجع ص ١٧٣ ح ٤ (٥) برحدبشبا ٧٦

المدرسة . وكانوا ثمانمائة على رواية مـاري . وثلاثمائة ونيف على رواية التاريخ السعرديّ وخمسمائة على قول مؤلف مختصر قوانين المجامع الغربيّة والشرقيّة(١) . وتحزّب لهُ اغلب اشراف المدينة (٢) وبعض من رهبان دير مار ابراهام الكبير (٣) وانقاد ايضاً الى رايه شمعون مطران نصيبين (٤) . فاضطرب الاساقفة النساطرة وقلقوا . وحرموا تعليم حنانا في المجمع الذي عقدوه في المدائن سنة ٥٨٥ . وهدّدوا بالحرم شمعون المطران الذي امتنع عن الحضور الى المجمع . غير ان تعليم حنانا تقوّى فحرمه الاساقفة ثانية في مجمع مار سبريشوع الجاثليق سنة ٥٩٦ . ومن الامر الغريب انّ الاساقفة في المجمعَين المذكورَين لم يذكروا اسم حنانا وذلك اماّ لاجل ما كان لهُ من المنزلة الرفيعة عند الجميع واماً رعايةً لهُ واملًا انهم بهذه الطريقة يسهل عليهم ترجيعه عن آرآئه

وعلى هذا الامل عيّن مجمع سبريشوع غريغور اسقف كشكر مطراناً لنصيبين . لان شمعون مطرانها توفي وجلس مكانهُ جبرائيل بن روفينا . وكان هذا منكبـاً على علم الفلك والتنجيم فطرده اهل نصيبين . امّا غريغور فافرط بقساوتهِ وغيرته كما ذكرنا سابقاً وعوضـاً عن ان يداوي الجروح وضع عليها خلًّا . اذ انهُ حرم حنانا وجميع اشراف نصيبين المتحزّبين لهُ . وعامل الكهنة بقساوة شديدة وطرد رهبان اديرة سنجار الذين اخذهم مار سبريشوع الجاثليق تحت حمايتهِ . فكثرت عليـهِ الشكايات حتى انهُ لمّا كتب الى سبريشوع يعرّفهُ باعتقاد حنانا لم يُصغِ الجاثليق الى كلامه . بل ساعد حنانا الذي اشتكى على غريغور ايضاً . فامر الملك بخروج هذا المطران من نصيبين ولزم دير شاهدوست . ولم يكتفِ الجاثليق بذلـك بل اراد ان يحرمهُ ايضاً . غير انّ الاساقفة منعوه . وخلّى الملك سبيله فمضى الى بلده وانفرد في البرّية بين نفر و كشكر ملازماً الصوم والصلوة . ثمّ انتقل الى مكان

---

(١) هذا الكتاب موجود في مكتبتنا السعردية (راجع قائمة المخطوطات الارامية والعربية التي في مكتبة سعرد الكلدانية تاليف ادى شير العدد ٦٧

(٢) التاريخ السعردي ت : ܚܕ

(٣) قصة جبالاها الخ ٥٠٣ (٤) السنهادوسات ١٦٣

يُعرف ببزّاذنهراواثا (ܒܝܬ ܙܒܕܢܗܪܘܬܐ) ونصب فيه ديرًا جليـلًا . وكانت وفاته سنة ٦١٢ (١)

انّ خروج غريغور من نصيبين سبّب فتنًا اهليّة في مدرستهـا . فترك اغلب التلاميذ المدرسة او طُرِدوا منها لانهم لم ينقادوا الى آرآء حنانا . فخرجوا من المدرسة حاملين الاناجيل والصلبان في مقبلان لسود ومباخر. وهجروا المدينـة وهم يصلّون صلاة الباعوث واهل نصيبين يبكون على خروجهم . ولم يبق في المدرسة سوى عشرين نفرًا ودونهم صبيان. غير انّ بعض الذين تركوا المدرسة رجعوا اليها ثانيةً وتمسّكوا بتعليم حنانا . منهم اشعيا تاحلايا ومسكينا عربايا واحا . واما الآخر فلمّا بلغوا باب المدينة ختموا الصلوة وودّع بعضهم بعضـاً وتفرّقوا . فمضى بعضٌ منهم الى دير مار ابراهام الكبير وغيرهم قصدوا مرقس اسقف بلد. ففتح لهم مدرسة خارج المدينة وجمعهم فيها. وكان من جملة الخارجين من مدرسة نصيبين ايشوعياب كَذالايا وبرحدبشبا عربايا وايشوعياب الحديابي وميخائيل اللفان وبولس المفسّر في دير ابيمالك (٢)

انّ الميل الذي صار يومئذٍ في الكنيسة النسطوريّة الى اتّباع حنانا في آرائـه الكاثوليكية كان عظيماً . فانّ لشراف نصيبين تحزّبوا له قاطبةً وتحزّب له ايضاً كثير من الرهبان كما سبق القول . وبيان انّ مطارنة تلك المدينة تبعوه ايضاً في رايه وساعدوه . فانّ شمعون واحادآبوي ساعداه بنظم امور المدرسة . وقرياقوس الذي رافق ايشوعياب كَذالايا في سفره الى بِلاد الروم سنة ٦٣٠ سُعي به انهُ يعتقد

---

(١) التاريخ السعردي ܦ : ܩܟܕ . وكويدي ١١ . ومدرسة نصيبين ٣١ و٣٢

(٢) استنادًا على تاريخ الربان هرمزد تأليف الاب البشاع ذهبنـا في كتاب مدرسة نصيبين ان خروج التلامذة من المدرسة كان سنة ٥٨٢ . غـير ان ذلك ليس من المحتمل . لان خروجهم صار على عهد سبريشوع الجاثليق بين سنة ٥٩٦ التي فيها صار غريغور مطرانًا على نصيبين وسنة ٦٠٢ التي فيها خلفه احاد أبوي وقد اتى في التاريخ السعردي ان غريغور مـات سنة ٦١٢ . وذكر ايشوعياب الحديابي في جهاد ايشوعسبران ان منفى غريغور طال خمس عشرة سنة وعليه فيكون طرد هذا المطران من نصيبين وخروج التلامذة سنة ٥٩٨

معتقد الملكيّين (١) . وايشوعياب كدالايا نفسهُ في سفره هذا اقرّ علانيةً بالمعتقد الكاثوليكيّ واقتدى به ايضاً ساهدونا اسقف مـاحوزا أريون كما سترى . لا بل من المحتمل انّ حنانا جلب ايضـاً مار سبريشوع الجاثليق الى تعليمه . والّا فلماذا تحزّب لهذا الملفان . هذا وانّ تلامذة حنانا تبدّدوا في اراضي اثور وكلدو وبثّوا فيها تعاليم معلّمهم (٢)

٤ً الفتن في الكنيسة

كيوركيس الشهيد (٥٧٦ — ٦١٥) احتجاج اساقفة النساطرة (٦١٢)

انّ خسرو الثـاني الملك لم يكن يبغض النصارى كما قيل عنهُ . والّا فكيف اخذ امرأتين نصرانيتين اعني بهما مريم الروميّة وشيرين الاراميّة . وكيف بنى لهما عدّة كنائس واديرة . وان قيل انـهُ رعايةً لموريقي ملك الروم اكرم النصارى واحسن اليهم نراه مع ذلك بعد قتل موريقي يوقّر الاساقفة ويكرمهم الكرامة كلها وعند انتخاب خليفةٍ لسبريشوع الجاثليق امر عماله ان يرسلوا المطارين والاساقفة الى المدائن على نفقة الدولة . ورأينا انهُ في اوّل امره رغماً عمّا فعلهُ موريقي الملك معهُ من الاحسان لم يكرم ايشوعياب الجاثليق لانهُ لم يخرج معهُ الى بـلاد الروم . فالامر الذي حمّل خوسرو الثاني على النصارى لم يكن تعصّبه بل كانت القباحة من النصارى انفسهم

ذكرنا سابقاً انّ اهل نصيبين عصوا على ملك الملوك وقتلوا مرزبانهم . ولمّا كان خوسرو يحاصر دارا هدم احد العمّال كنائس شهرزور . فهيّج عليه نثنائيـل الاسقف الشعب كله فقاموا عليه وطردوه من عندهم . فاتى العامل لدى الملـك وسعى بالنصارى قائلاً . « انت تحارب عن النصـارى (اي عن تئودوسيوس بن

---

(١) التاريخ السعردي [illegible] : [illegible] . راجع ايضاً رسائل ايشوعياب الحديابي طبعة دوفـال باريس ١٩٠٤ ص ١٤٢

(٢) التاريخ السعردي [illegible] : [illegible]

موريقي) وهم يطردونني(١) .» والذي شقّ على خوسرو الثاني هو المكر والخيانة التي جرت في انتخاب غريغور الجاثليق . ومما زاد الشرّ الشقاقات والنزاعات التي جرت في تلك الاثناء بين النصارى . فانّ كل فرقة منهم كانت تحمّل الملك على الاخرى ولكلٍ منها رجال على باب الملك

كان المتحزّب لليعاقبة جبرائيل السنجاريّ وقد مرّ الكلام عنه . والمتحزّب للحناناويّين يوحنان السندوري (٢) وابراهام الطبيبان . وللنساطرة يزدين الصرّاف وآبا الكشكري المنجم . كان يزدين من كرخ سلوخ . وقد اثنى عليه المؤرّخون احسن ثناء فلقّبوه برئيس المؤمنين وقالوا عنه انهُ كان محامي الكنيسة المسيحيّة في المشرق مثلما قسطنطين الكبير وتئودوسيوس الملكان كانا في المغرب . وانهُ شيَّد كنائس واديرة كثيرة . وكان محبوباً معزّزاً لدى خوسرو ابرويز كما كان يوسف عند فرعون . وكان يرسل اليه كلّ صباح الف استار لانهُ قلّده الولاية من بيت كرماي الى نصيبين

فكان لكلٍ من هؤلاء الرجال عند الملك مكانةٌ ومنزلة . والظاهر انهُ بعد وفاة غريغور الجاثليق اتّفق جبرائيل السنجاريّ مع الحناناويّين على ان يجعلوا حنانا جاثليقاً(٣) . فاضطرب النساطرة ورفعوا اصواتهم ضدّ هذا الانتخاب واشتدّ الخلف والشقاق حتى انّ الملك أمر الّا يُنصب للنساطرة جاثليق . فبقيت الكنيسة الكلدانية النسطوريّة بدون بطريرك نحو تسع عشرة سنة (٤) . وامر ايضاً الّا يُنصب رئيسٌ لليعاقبة . فبقيت كنيستهم من دون مطران خمس سنين (٥)

غير انّ جبرائيل الطبيب لم يبرح من تجديد الحملات حتى انهُ في السنة ٦١٢ كاد ينتخب للجثلقة واحداً من حزبه او احد الحناناويّين (٦) . فقلق اساقفة

(١) التاريخ السعردي ف : ܡܚ .وكويدي ١٤ — ١٥

(٢) التاريخ السعردي ف ٧٠ و٧١ . واما في العدد ٩٢ فيسميه يوحنان بن اخسيدوريّ

(٣) التاريخ السعردي ف : ܦܗ

(٤) كل المؤرخين يكتبون سبع عشرة سنة . غير ان بين سنة ٦٠٩ التي مات فيها غريغور وسنة ٦٢٨ التي مات فيها خوسرو الثاني ١٩ لا ١٧ سنة

(٥) ابن العبري ف : ١١١ (٦) قصة يهبالاها الخ ٥٠٥ — ٥٠٦

النساطرة واجمعوا قوتهم لكي يذهب سعي جبرائيل ضياعاً وينتخبوا هم جاثليقاً من خاصتهم . فاجتمع في المدائن يوناداب مطران حدياب وشوحالماران مطران كرخ سلوخ وايشوعياب عربايا اسقف بلد وجبرائيل اسقف نهركور وسركيس كشكرايا اللفان (١) ولم يجسر هؤلاء الاساقفة ان ينطلقوا دون وسيط الى باب الملك . فالتجأوا الى راهب اسمه كيوركيس من دير مار ابراهام الكبير . وطلبوا اليه ان ياتي لمساعدتهم

وُلد كيوركيس (٢) نحو سنة ٥٧٦ في ناحية حيشتار في ارض بابل . وكان اسمهُ في المجوسيّة ميهرماكُوشنسب . واسم ابيه بابي وكان مرزباناً في نصيبين . واسم جدّه آبا وكان من العائلة الملوكيّة وموهبًاطاً في ماحوزا حدثا . وكان لهم قصور وبيوت كثيرة في المدائن . وتخرّج كيوركيس في علم المجوس حتى انّ الملك هرمزد الرابع احضره بين يديه وخلع عليه وامره ان يكون في خدمته وكان لهُ اخت اسمها هزاروي تزوّج بها على عادة المجوس

وحدث في تلك الاثناء وبأ في المدائن . فهرب كيوركيس الى احد قصوره فصاده الله هناك وفتح عينيه على يد وكيل خرجه . وعرّف اخته بميله الى الديانة المسيحيّة . فافترقت منهُ وتزوّج هو بامرأة نصرانيّة . وانطلق الى الحيرة وهناك عمّده اسقفها شمعون بن جابر الذي عمّذ النعمان الرابع ملك الحيرة . وكان ذلك في سنة ٥٩٦ . واتخذ في عماذه اسم كيوركيس . وانتقل من هناك الى بلاد حدياب ودخل مدرسة بيث رستاق وتعلّم المزامير . وارسلت اليه اخته خبرًا ان لا خوف عليه من الملك لانهُ لم يقل عنه شيئاً لمّا سمع بتنصّره . فرجع عندها ولم يلبث ان نصّرها . فعمّذها مار سبريشوع الجاثليق في عيد القيامة وسمّاها مريم . ثمّ انّ كيوركيس ومريم اعتقا العبيد والجواري قاطبةً وتركا الاملاك والقصور وانطلقا

---

(١) كويدي ١٦ والتاريخ السعردي ت : ܦܕ

(٢) قصة كيوركيس كتبها باباي الكبير وكان معاصرًا لهُ . وقد طبعها الاب بيجان سنة ١٨٩٥ (قصة جبالاها الخ ٤١٦ — ٥٧١ . راجع ايضاً عنهُ التاريخ السعردي ت : ܦܗ . وكتاب العفة ܠܘ . وكويدي ١٦ — ١٧

الى نصيبين . فدخلت مريم دير الراهبات المعروف بدير مــارت تارسوي وواظب كيوركيس على الدرس في مدرسة نصيبين . وفي تلك الاثناء مرَّ شمعون بن جابر الاسقف بنصيبين قاصداً القسطنطينية . فرافقه كيوركيس . وفي رجوعه دخــل دير مار ابراهام الكبير وترهّب فيه ولزم باباي الكبير . وجادل كثيراً الحنانا ويّين واليعاقبة (١)

فحالما اخذ كيوركيس رسالــة الاساقفة لبّى بسرعة دعوتهم ورافقهُ اندراوس وميخائيل الكاهنان وطيمثاوس وكوْسيشوع الشماسان وحنانيشوع (٢) . وكان هذا الاخير من الحيرة ومعروفاً من خوسرو الثاني . وصار لكيوركيس ورفاقــه استقبال عظيم حيثما وصلوا ولا سيّما في كرخ سلوخ . ولمّا بلغوا الى المــدائن طلب الاساقفة الذين ذكرناهم الى كيوركيس ان يرى احد رجال الدولة حتى يعرضوا بواسطته امرهم الى ملك الملوك . فشاور كيوركيس بعض النصارى المقرّبين لــدى الملك . فاشاروا عليه ان يصرف الاساقفة عن التماسهم واظهروا له ما لجبرائيل السنجاريّ من القدرة والجاه لدى الملك . فلم يلتفت كيوركيس الى قولهم بل دخل عــلى يروخان وكان مقرّباً من الملك وطلب اليه ان يعرّف خوسرو عن مجيء الاساقفــة لكي يلتمسوا منهُ ان يأذن لهم بانتخاب رئيس . فعرض يروخان ذلك على الملك . وكشف الملك هــذا الامر الى جبرائيل الطبيب وامراته شيرين . ثم امر ان يُظهر النساطرة صحة ايمانهم قبل ان ينتخبوا لهم رئيساً

فكتب الاساقفة النساطرة احتجاجاً فيه دافعوا عن ايمانهم وردّوا اقاويــل المنوفيسيتيين (٣) وفي مطلعه يثنون كلّ الثنآء على خوسرو ابرويز ويشكرونه عمّا فعل معهم من الاحسان . ويطلبون اليه ان يعيّن لهم رئيســاً . ثمّ تاتي صورة الايمان ويعقبها تفنيد المزاعم المنوفيسيتية في سرّ التجسُّد . وعرضوا هذا الاحتجاج على خوسرو الثاني . غير انّ الملك لم يجاوبهم وبقي الامر على حاله

---

(١) كتاب العفة ܦܘ . والتاريخ السعردي ت: ܦܗ . والقصة ٤٩٥ — ٤٩٦

(٢) التاريخ السعردي ت : ܦܕ و ܦܗ

(٣) هذا الاحتجاج طبعه الاب شابو في كتاب السنهادوسات ٥٦٢ — ٥٨٠

ولمّا قرب الصيف وخرج الملك الى مصيفه في ماداي تبعهُ الاساقفة والرهبان ظنًّا منهم انهم ينالون منهُ الاذن بانتخاب جاثليق ومكثوا هناك مدَّةً لا يسالهم احد عن شيء. وكان بالقرب منهم ديرٌ مبنيّ على اسم مار سرگيس وقد ضبطهُ جبرائيل من النساطرة فاراد النساطرة الدخول اليه لكي يصلّوا وفي مقدّمتهم كيوركيس وحنانيشوع وشوحالماران مطران كرخ سلوخ. فنعهم جبرائيل وجرت بينهم منازعة شديدة فيها اغلظ كيوركيس بالكلام فاستشاط جبرائيل الطبيب غضباً وافرغ جهده في كسر اعدآءه كسرًا تامًّا . وذهب الى الملك وحمّله على شوحالماران وعلى كيوركيس وقال لهُ : « انّ المطران جمع عليّ خلقاً كثيرًا ليقتلوني . وكيوركيس سبَّ جلالتك وشتمك ومع كونه مجوسيًّا وكان مكرّماً لديك فقد اعتنق الديانة النصرانية وتجاسر الآن ان ياتي ايضاً الى بابك . » فسمعه الملك وامر بنفي شوحالماران (١) . امّا كيوركيس فجلبه وامر درماخان احد رجال الدولة بالبحث عن امره . فاخبره كيوركيس بقصته وكيف انهُ تنصّر وترهّب . ونقل درماخان كلّ ذلك الى الملك . فعرفه خوسرو وذكر انهُ كان قبلًا بخدمته . فلمّا نزل الى المدائن امر به فحُبس في قصر أقراد كوخي بقرب ساليق. وبقي كيوركيس مدَّةً في الحبس . ثمَّ طولب بالرجوع الى المجوسية ولم يقبل. فأُخرج الى سوق التبن وعُلّق على خشبة ورُشق بالسهام حتى مات . وكان استشهاده في ١٤ كانون الثاني سنة ٦١٥ . وبقي معلّقاً على الصليب ثلاثة ايام. وشوهد في الليل نور ساطع نازل عليه . واخذ جثته تلميذاه كوسيشوع وطيمثاوس ودُفنت في كنيسة مبنية على اسم مار سركيس في مباركتا بقرب المدائن (٢)

وانتشر خبر استشهاده في كلّ الاقطار. وجُعل لهُ تذكار في كل كنائس المدائن وآكرمتهُ جميع بيع بيت أرمايي والاهواز وبيت قطرايي والهند والعرب وبيت كرماي . واجتمع خلق كثير في محلّ صلبه وحفروا الارض بعمق قامة واخذوا التراب تبرّكاً

---

(١) راجع كتاب العفة ܠܡܚ . والتاريخ السعردي ܒ : ܦܗ . وقصة كيوركيس ٥١٩ — ٥٢٢

(٢) القصة ٥١٩ — ٥٦٠ . وكويدي ١٧

وهكذا لم يستفد الاساقفة النساطرة شيئاً من اجتماعهم على باب الملك ولم يجسروا ان يطلبوا مرّة ثانيةً انتخاب رئيسٍ لهم . فانّ قتل مار كيوركيس ونفي شوحالماران خوّفاهم كثيراً وبقوا بدون بطريرك الى وفاة خوسرو الثاني . امـا اليعاقبة فنالوا من الملك اذناً في انتخاب مطرانٍ لهم . فـانهم في سنة ٦١٤ رسموا عليهم مطراناً رجلًا اسمهُ شموئيل (١)

انّ اساقفة الكنيسة النسطوريّة في المدّة التي فرغ فيها الكرسيّ البطريركيّ قاموا باعباء وظيفتهم اتمّ قيام ودافعوا عن حقوق كنيستهم اشدّ مدافعة . فـانهم اجتمعوا بكرخ جدان في بيت كرماي بمعاونة يزدين الصرّاف وجدّدوا حرم حنانا ومن يعتقد بمذهبه ومن يقرأ كتبه (٢) . ولا بدّ من انهم في هذا المجمع عيّنوا آبا الاركدياقون نائباً بطريركيّاً . وكان آبا من المدائن وذا عقل وحزم (٣) . وعيّنوا ايضاً باباي الكبير زائراً عمومياً للاديرة كي يطهّرها من هرطقة المصلّين (٤) وكان باباي من اجلّ ملافنة زمانه واصله من بيت عيناثا في بيت زبداي . وقرأ في مدرسة نصيبين . ثمّ تتلمذ لابراهام الكبير وخلف داديشوع في رئاسة الدير سنة ٦٠٤ . وقاوم حنانا والّف كتاباً ضدّه وصنّف ايضاً اثنين وثمانين كتاباً (٥) . فكتب اليه قرياقوس مطران نصيبين ويوناداب مطران حدياب وجبرائيـل مطران كرخ سلوخ الذي خلف شوحالماران ان يزور الاديرة وينقّيها من الهرطقـات . فكمّل باباي وظيفته هذه بكلّ غيرة ونشاط وجال في الاديرة واصلح الامور(٦) بمساعدة يزدين الصراف . وفي تلك الاثناء مات جبرائيل السنجـاريّ . فتحسّنت بموته احوال النساطرة . وانحطّ شان اليعاقبـة . فخربت كل الاديرة والكنائس التي كانت

(١) ابن العبري ܒ : ١٠٩

(٢) التاريخ السعردي ܒ : ܦܕ

(٣) التاريخ السعردي ܒ : ܦ وكويدي ١٧ . وماري ٦١ وعمرو ٥٢

(٤) توما ٤٢

(٥) راجع عن باباى كتاب العفة ܠܛ . والتاريخ السعردى ܒ : ܦ وܦܕ . وتوما ٤٢ – ٤٧ و٥٥ . والسمعاني ܓ : ܐ : ٨٨ – ٩٧

(٦) التاريخ السعردى ܒ : ܦܕ

لهم في المدائن واطرافها . ولمّا مات مطرانهم شموئيل سنة ٦٢٤ لم يقــدروا ان يعيّنوا مكانه مطراناً آخر فبقوا هم ايضاً بدون رئيس حتى مــات خوسرو ابرويز (١) .

الفصل الثالث

غارات الفرس على بلاد الروم (٦٠٤ — ٦٢٨)
اضطهاد خوسرو الثـاني للنصارى وقتله (٦٢٨)

راينا سابقاً ان الروم لمّا قتلوا ملكهم موريقي واجلسوا مكانه فوقا سنة ٦٠٢ تجدّدت الحرب بينهم وبين الفرس . فانّ تثاداسيس بن موريقي التجأ الى خوسرو الثاني مستجيراً به فقبله وضمن لهُ بذل الجهد في ردّ مملكته اليه كما انّ موريقي اباه رجّع الى خوسرو تاجه الذي اغتصبه بهرام. فامر خوسرو ابرويز مار سبريشوع الجاثليق ان يذهب بتثاداسيس الى الكنيسة ويعقد له التاج على عادة الروم (٢) . ثمّ انفذ معه قائداً من قوّاده فحملا على دارا وحاصراها . وبعد ايام خرج خوسرو ايضاً ومعهُ مار سبريشوع . واقام على دارا تسعة اشهر حتى فتحها (سنــة ٦٠٤) ورجع الى المدائن . امّا ما كان من امر تثاداسيس بن موريقي فانهُ مات مسموماً. غير انّ الحرب لم تبطل بموته ودامت اكثر من عشرين سنة (٣) . فانّ خوسرو ابرويز قصد ان يملك جميع البلاد التي كان قد استولى عليها كورش الملــك وخلفاؤه.

انّ الجيوش الفارسيّة بعد ان استولت على ميافرقين وآمد وماردين عبرت الفرات سنة٦٠٧وافتتحت منبج وقنّسرين وحلب وانطاكية.وفي سنة٦٠٩استولى خوسرو

---

(١) ابن العبري ܒ : ١١١

(٢) كويدى ١٣ . والتاريخ السعردى ܒ : ܟܕ . ولابور ٢٣٢

(٣) عن هذه الحرب راجع تاريخ اورهاي لدوفال ٢٢٢ — ٢٢٦ وتاريخ ابن العبري ٩٣ — ٩٦ . وفي العربية ١٥٥ — ١٥٦ . والتاريخ السعردي ܒ : ܩܘ . وكويدى ١٣ — ١٤ و ١٩ — ٢٣ . والنصوص السريانية طبعة لاند 2 : ١٥ — ١٧

على اورهاي وعامل سكّانها بقساوة شديدة وسبى منها خلقاً كثيراً وعيّن فيها اسقفاً نسطوريًّا يقال له أحشيا (١). غير انّ الاهالي لم يقبلوه . وبعد فتح اورهاي عبر الفرس ثانيةً الفرات واثخنوا الجراح في الجيوش الروميّة التي قاومتهم وقتلوا القائد سركيس . ثمّ توغّلوا في ارمنية الصغرى وذهبوا بفتوحاتهم الى خلكيدونية

ولمّا كانت السنة ٦١٠ أُنزل فوقا عن العرش وجلس مكانه هرقل . فارسل هذا الملك سفراءه الى ملك الملوك يطلب الصلح . لكنّ خوسرو تكبّر بفتوحاته ولم يستجبه وواظب على الحرب . وفي سنة ٦١١ افتتح الفرس مدينة قيصريّة . وفي سنة ٦١٣ استولوا على دمشق . وفي سنة ٦١٤ افتتح شهربراز القائد مدينة اورشليم وامر بنهبها وسبى اعيانها وفي جملتهم زكريا البطريرك . واخذ الفرس من اورشليم اشياء كثيرة نفيسة لا تُثمّن ومن جملتها الخشبة التي صُلب عليها المسيح ونُقلت كل هذه الاشياء الى المدائن ووُضعت في مخزن بناه خوسرو ليجمع فيه كل الغنائم المكتسبة من بلاد الروم . ولمّا فتح الفرس اورشليم القى اليهود نارًا في كل الكنائس واحرقوها وفي جملتها كنيسة القيامة . فطلب يزدين الصراف من الملك فامر ببناء الكنائس المحروقة ومعاقبة اليهود (٢)

ثمّ ان الفرس حملوا على مصر وشدّوا الحصار على اسكندريّة . وكان فيها رجل نصراني من بيت قطرابي اسمه بطرس . هذا احتال وسلّم المدينة ليد الفرس فاخذ القائد الفارسيّ مفاتيح المدينة ليرسلها الى خوسرو . فاخذها يزدين وفي تلك الليلة عينها صاغ عليها مفاتيح من ذهب وارسلها الى ملك الملوك . وكان ذلك ممّا زاد حبّه ليزدين (٣)

ولما راى الروم انّ مملكتهم على حافة الهاوية ثارت الحميّة في قلوبهم . وكانت كنائسهم غنيّة جدًّا . فتبرّع الاقليروس الى الخزينة بكل ما في المعابد من الذهب والفضة . وصالح هرقل الاقوام البرابرة التي على حدود مملكته . وحمل على الفرس

---

(١) ابن العبرى ٢ : ٢٩٣ . البائن ان هذا الاسقف كان اسقف لاشوم (راجع السنهادوسات ٢٠٣)

(٢) كويدى ٢١ — ٢٢ (٣) فيه ايضاً

في اناضول وانتصر عليهم . ومما سهّل انتصارات هرقل انَّ شهريون صاحب جيش الفرس وهو شهربراز المذكور آنفاً انحاز الى الروم . وسبب ذلك ان شمطا بن يزدين الصرّاف شتم ابنته اذ كانت ذات يوم مجتازة في ازقّة المدائن ومعها جواريها . فكتبت الى ابيها وعرّفتهُ بالخبر . فكتب القائد الى خوسرو يسالهُ الانتقام من شمطا . ولم يجب الملك الى طلبته . فوقعت العداوة بينهما (١) . حينئذٍ كتب خوسرو الى قائد آخر يقال لهُ قردنجان (٢) ان يحتال على شهريون ويقتله . فوقعت الرسالة بيد الروم واوصلوها الى شهريون . وحوّف هذا القائد الرسالة وقرأها على قردنجان وعلى غيره من قوّاد الجيش . وخلعوا قاطبةً طاعة ملك الملوك فاعطى هرقل الامان لشهريون وقردنجان واقاما في بلاده . ثمّ انَّ هرقل كتب الى خاقان الخزر كي يرسل اليه اربعين الف جندي ووعده انهُ يزوّجه بابنته أودوكسيا (٣)

فلمّا كانت السنة ٦٢٥ زحف هرقل بجيوشه على ارمنية الفارسيّة . وارسل عليه خوسرو قائداً اسمه روزبيهان . فالتقى بهرقل على الزاب الاكبر . وصار القتال شديداً وهرب الفرس وقُتل روزبيهان . واستولى الروم على حدياب وبيت كرماي وشهرزور ووافوا الدسكرة وخوسرو الملك مقيم فيها . فخاف ملك الفرس ونادى في معسكره بالرحيل وانتقل الى المدائن وقد قطع الجسور التي على نهروان لمنع الروم من العبور . ودخل هرقل الدسكرة واغتنم اشياء كثيرة ولما انتهى الى نهروان وراى الجسور مقطوعة كرّ على اعقابه . وكان ذلك سنة ٦٢٨ (٤)

انّ خوسرو تغيّرت اخلاقه في آخر حياته وقد راينا كيف ولماذا ابتدأ ان يُسيء الى الكلدان النساطرة . وفضلاً عن ذلك ان الحروب الطويلة الدمويّة التي جرت بينه وبين الروم جعلتهُ ان يتجبّر ويعبث بالرعية ويضاعف عليهم الخراج وياخذ

---

(١) التاريخ السعردي

(٢) تاريخ ابن العبري يكتب قرديجان

(٣) التاريخ السعردي ܟ : ܟܗ وتاريخ الدول ٩٥ — ٩٦

(٤) التاريخ السعردي ܒ : ܟܗ . وكويدي ٢٢ — ٢٣ وتاريخ ابن العبري ٩٦

اموالهم · حتى انه لما مات يزدين الصراف اغتصب جميع امواله (١) · وحبس امراته وعذّبها كثيرًا لكي تكشف له ما في بيتها من الكنوز الخفيّة (٢)· واقتدى ايضاً بسلفائه بقتله اشراف المجوس الذين تنصّروا · والذين بلغت الينا اسماءهم : ايشوعسبران ورفاقه وانسطاس ورفاقه والقديسة كريسطينا · وقد سبق القول عن كيوركيس الشهيد

ايشوعسبران الشهيد

انّ قصّة حياة ايشوعسبران كتبها ايشوعياب الحديابي وطبعها الاب شابو سنة ١٨٩٦ (٣) · كان هذا الشهيد من قرية قور (٤) في جبال حدياب واسمهُ في المجوسيّة مهانوش · وتنصّر بواسطة امراته التي كانت نصرانية · واعتمد في دير بيت شكوح الذي بشرقيّ اربيل · وسمّي في المعموديّة ايشوعسبران · فكُشِف امره وحُبس في حزّة اربعين يوماً · وفي تلك الاثناء ذهب الى هناك يزدين الصراف واطلق سبيله · فرجع ايشوعسبران الى قريته وبنى بالقرب منها ديرًا · فاجتمع اليه بعض الرهبان وعاش معهم ملازماً الصوم والصلوة ومتصدّقاً على الفقراء ونصّر كثيرين فحسده المجوس وشكوه الى عامل حزّة · فقبض عليه نحو سنة ٦٠٦ وارسله الى اربيل وهناك أُلقي في السجن ١٥ سنة وهو يلازم التقشف ويحتمل العذابات والاهانات بصبر عجيب · ثمّ سيق الى باب الملك لما خرج الى ماداي · ومرّ

---

(١) لا ندري لماذا الاب لابور (ص ٢٣٤) يقول ان خوسرو قتل يزدين الصراف فيما ان جميع المؤرخين يقولون انهُ مات حتف انفهِ (راجع كتاب الرؤساء · والتاريخ السعردي ورسائل ايشوعياب الحديابي طبعة دوفال ٩٠) ولعل لابور انفتّ بقول كاتب التاريخ الذي طبعه كويدى (ص ٢٤) ان شمطا ونيهورمزد قتلا خوسرو · الاول لانهُ بعد موت ابيه يزدين نهب خوسرو بيته · والثاني لان خوسرو كان قد قتل اباه · فظن لابور ان نيهورمزد كان ايضاً ابن يزدين · والحال انه كان من المرازبة · فانه اتى في التاريخ السعردي ܒ : ܡܒ : ان شمطا بن يزدين وهرمزد وجماعة من المرازبة تعاضدوا · · · وقتلوا خوسرو الملك

(٢) كويدى ٢٤ · وتوما ٥٤ · والتاريخ السعردي ܒ : ܡܒ

(٣) راجع ايضاً العفة ܗ

(٤) اظن ان قور هي كور الحالية وهي في غربي شقلاوة على مسافة ثلاث ساعات منها

في طريقه على يزدين في كرخ جدان فاكرمه هذا المؤمن كثيراً . لكنهُ لم يقدر في هذه المرّة ان يخلصهُ . وصُلب ايشوعسبران بامر الملك في قرية بيت دوداري سنة ٦٢١ . وبُني على اسمه دير جليل في اربيل

وقد استشهد مع ايشوعسبران اثنا عشر رجلاً من اعيان بيت كرماي . غير ان ايشوعياب الحديابي لم يقل شيئاً عنهم ولا ذكر اسماءهم لانّ قصّتهم كانت معروفة ومدوّنة في بطون الاوراق . وهاك اسماءهم كما اتت في الكُرّا الموجود في كنيسة ماردين الكلدانيّة : ايشوعسبران وبرشاهريغ وبرحنانا وقابوس ومهريغ وبرزور ويوزرين وديندوي وشابور وليلوك ونيساتايا وبرقرداحي وتذكار ايشوعسبران ورفاقه الشهداء عند الكلدان في ١٨ كانون الاول (١) وقد اتى ايضاً في الجمعة الثالثة من السوبار (٢)

كريسطينا الشهيدة

وفي تلك المدّة استشهدت السيّدة كريسطينا . لانّ كاتب قصتها هو باباي الكبير . وجميع القدّيسين الذين كتب هذا الملفان قصصهم كانوا معاصرين لهُ كما قال هو نفسهُ في مقدّمة قصّة مار كيوركيس الشهيد (٣) وقصّة كريسطينا الشهيدة مكتوبة في آخر الكتاب بعد قصّة سبريشوع الجاثليق وكيوركيس الشهيد (٤) . وقد وصلت الينا لكنها لسوء الحظ ناقصة كثيراً (٥) . كان اصل كريسطينا من كرخ سلوخ من العائلة الملوكيّة . واسمها في المجوسيّة يزدوي . واسم ابيها يزدين بن ميهرزبيري وهو غير يزدين الصراف السابق ذكره . وكان ابوها مجوسيًّا ومرزباناً في نصيبين . ولما تنصّرت كريسطينا قبضوا عليها وقتلوها . واتى ذكرها في الكلندار الرومانيّ في ١٣ اذار

---

(١) الكلندار النسطوري

(٢) مخطوطات القلاية البطريركية في الموصل لادى شير باريس ١٩٠٧ ص ٩

(٣) قصة جبالاها الخ ٤٢٤ — ٤٢٨

(٤) المخطوطات السريانية والعربية المحفوظة في قلاية ديار بكر الكلدانية لادى شير في المجلة الاسيوية ١٩٠٧ العدد ٩٦ ص ٥٢

(٥) بيجان ج ٤ : ٢٠١ — ٢٠٧

انسطاس الشهيد؛

انّ القديس انسطاس كان اسمهُ مغوندات في المجوسية (١) واصلهُ من بازيق (٢) . ودخل في السلك العسكريّ في خيّالة الملك . ورافق الجيش الذي افتتح اورشليم سنة ٦١٤ . وتنصّر هناك واعتمد وسُمّي انسطاس . وترهّب في دير انسطاس حيث بقي سبع سنين وتعلّم اللغة اليونانيّة . ثمّ انتقل الى قيصريّة . فعرفه المجوس الذين هناك والقوا عليه القبض وطرحوه في السجن واذاقوه عذابات شديدة وكتب عنهُ الحاكم الفارسيّ الذي في قيصرية الى خوسرو الثاني فامر به الملك ان يُرسل اليه مكبلًا بالاعلال . وكان حينئذٍ مقيماً في الدسكرة . فحُبس انسطاس في سجن قريب من المدينة . وكان برفقته راهب من ديره نزل في دار قرطاق بن يزدين الصرّاف . ثم انَّ الملك امر بتعذيب انسطاس ليحملهُ على التمجّس . فأذيق عذاباً مرًّا . وزاره كثير من النصارى طالبين ادعيته وفي جملتهم ولدا يزدين شمطا وقرطاق . ثم امر الملك بقتله وقتل النصارى المحبوسين معهُ وكانوا سبعين شخصاً . فقطع الجلّاد رؤوس جميعهم قدّام عينَي مار انسطاس . ثم خنقهُ وقطع راسه فدفع شمطا وقرطاق الى الحراس مبلغاً من الدراهم واخذا جثته ودفناها في دير مار سركيس . وكان جهاده في ١٢ كانون الاول سنة ٦٢٧ . وقد كتب قصته في اليونانية الراهب الذي كان يتبعهُ . ثم ان جسده نُقل الى القسطنطينية ومن هناك الى ديره في فاسطين . اما راسه فأُخذ مع ايقونته الى رومية . وهذه الايقونة عجائبيّة وقد استشهد بها المجمع النيقاويّ الثاني المسكونيّ سنة ٧٨٧ وفضّلها على سواها من الايقونات اثباتاً لوجوب اكرام الصور . والكنيسة الموضوع فيها راس القديس مع ايقونته عُرفت منذ ذلك الحين بكنيسة القديس منصور والقديس انسطاس

ان شمطا بن يزدين الجليل اخذ بثار جميع هؤلاء الشهداء . فانهُ حنق على

---

(١) راجع عن هذا الشهيد اعمال القديسين ٢٦ كانون الثاني ولابور ٢٣٣ ح ٥ . واعمال الاباء والقديسين والشهداء لالبانو بوتلير سنة ١٨٢٣ ج ٤ : ٣٢٧ — ٣٣٣ :

(٢) بيت واريق ؟

خوسرو ابرويز لتعذيبه امه ولاغتصابه اموال ابيه يزدين لكنه كان يريد ان يستبدّ بالملك ويتوقّع الفرصة لذلك . فتوآمر مع بعض رجال الدولة على قتل الملك ومن جملتهم نيهورمزد الـذي كان خسرو قد قتل اباه . وكان ملك الملوك من بعد انصراف هورقل الملك من ديار الفرس قد اقام في المدائن فزعاً مرعوباً . فنزل شمطا ونيهورمزد الى ماحوزا وفتحا السجون واخرجا المسجونين وسلّحاهم . واخرجا ايضاً من الحبس شيروي بن خوسرو من مريم الرومية بنت موريقي الملك وملّكاه مكان ابيه فخاف خوسرو ابرويز واراد الهزيمة . فقُبض عليه وحُبس في بيت رجل يقال له ميهرسپند . ولم يكتفِ شمطا ونيهورمزد بذلك بل طلبا الى شيروي الملك قتل ابيه خوسرو . فاذن لهما . فلمّا دخلا عليه رفع شمطا السيف لكي يضربه . فبكى خسرو بكاء مرّاً . فتأثّر شمطا من بكاءه ولم يضربه . غير ان نيهورمزد قتى قلبهُ وضربهُ ضربتين بالفاس على كتفَيه وقتلهُ (١)

هذه كانت آخرة خوسرو ابرويز الذي ملك ممجّداً مظفّراً مدّة ٣٨ سنة واستولى على جميع بلاد الروم الشرقيّة وذهب بفتوحاته الى مصر ولوبية وكاد يفتتح القسطنطينية

ثم ازداد شمطا ونيهورمزد جسارةً وعاونهما بعض رجال الدولة . فحملا شيروي على قتل جميع اولاد خوسرو الثاني خوفاً من انّ احدهم يطالب بثار ابيه ويدّعي بالملك . فقتل شمطا جميع اولاد خوسرو ابرويز وفي جملتهم مردانشاه بن شيرين الملكة وكانوا اربعة وعشرين عدداً (٢) . وقد سبق القول انّ شمطا كان يريد المُلك لنفسه . ولعلّهُ استعان بهرقـل الذي كان يبتغي ان يجعل المملكة الفارسيّة نصرانيّة فتتحالف مع اختها المملكة الرومية وتضرب عن مبارزتها . غير ان شيروي كشف الامر وحبس شمطا . لكنّهُ خرج من الحبس وهرب الى الحيرة (٣) . غير ان هذه المدينة العربيّة لم تكن قد بقيت على استقلالها الاول .

---

(١) كويدي ٢٣ . والتاريخ السعردي ف: ٤٤ ف . وتوما ٥٤ – ٥٥

(٢) توما ٥٥ . وكويدي ٢٤ . والتاريخ السعردي

(٣) كذلك

تاريخ

كلدو واثور

تأليف

ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوري

الجزء الاول

HISTOIRE

DE LA CHALDÉE ET DE L'ASSYRIE

par

Sa Grandeur Mgr ADDAI SCHER

ARCHEVÊQUE CHALDÉEN DE SÉERT

premier volume

طبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢

Beyrouth Imprimerie catholique 1912

تاريخ

كلدو واثور

تاليف

ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوري

HISTOIRE

DE LA CHALDÉE ET DE L'ASSYRIE

par

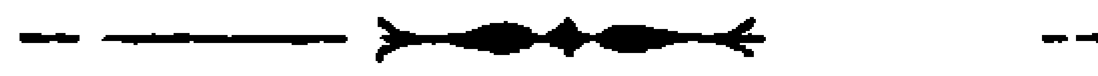
Sa Grandeur Mgr ADDAI SCHER

ARCHEVÊQUE CHALDÉEN DE SÉERT

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢

Beyrouth Imprimerie catholique 1912

قال المعلّم النحرير حنا افندي زهيا الاثوري مقرّظاً هذا الكتاب هذه الابيات



أموَدِّيَ الفرضِ الجليل الشانِ ... في خدمةِ الأوطانِ والإيمانِ
للهِ درُّكَ (أدِهِ) واكشف لنا ... سرا طواهُ سالفُ الأزمانِ
واحلُل طلاسِمَ سحر بابلَ واسحرَنْ ... الباَبنا في سحرك الكلداني
واجلو رموزاً قد تقدّم عهدها ... حتى غدت تنبي عن الطوفان
أهديتنا تاريخَ قومٍ ناطحوا ... كبد السما في شامخ البنيان
تاريخ آثورٍ وبابل آتيا ... بدلائل تغني عن البُرهانِ
وعرضتَ للعلماء اوفى معرضٍ ... آثارُهُ تربو على الأثمانِ
وجعلتنا نجني ثمارَ حديقة ... من كلِّ فاكهةٍ بها زوجانِ
وفتحت ما بين الفرات ودجلةٍ ... مضمار مصرع افرس الفرسان
واريتنا اهوال حربٍ شيّبت ... رعباً مفارق احدث الولدانِ
ووضعت ما كانوا عليهِ سابقاً ... من ميلهم لعبادة الاوثانِ
حتى اصطفى ابرهيمَ خالقهُ الذي ... سمّاهُ والدَ شعبِهِ العبراني
وتوالت الاجيالُ حتى اشرقت ... شمس المسيح بقطر كردستانِ
فتسيطرت ملكوتهُ وتبدّلت ... كهّانهم بالقسِّ والمطرانِ
فكتابكم سفرٌ فريدٌ قدحوى ... كل الفنون وما لهُ من ثانِ

المقدمة

سبحان من خلق الانسان وغرز فيهِ حبًا لابويه وذويه مع ما يخصهم من اراضٍ وبيوت واملاك وامتعة . فيتباهى بمجدهم ويفتخر بفضائلهم ويحاول ان يتكلَّم بلغتهم وهذا ما يسمّونهُ المحبّة الجنسيّة وحب الوطن . وقد اجاد اجدادنا اذ سمّوا الوطن بلغتهم الكلدانية ماثا ܡܬܐ يعني الأُميّة واليونان والرومانيّون باترا او باتريا Patria اعني الابويّة

ان سكان الجزيرة واثور والعراق على اختلاف مذاهبهم هم كلدان اثوريون جنساً ووطناً . وقد دعوتهم كلداناً اثوريين لان هذين الشعبين هما في الاصل شعب واحد نظرًا الى الديانة والعوائد والشرائع والآداب والصنائع . فضلا عن ان اسم الكلدان والاثوريين أُطلق دون تمييز على شعب واحد في التواريخ القديمة اذ كانت الدولتان تتضامّان غالباً فتصبحان دولةً واحدة . ولا عبرة للحروب المتواصلة بينهما فان بين سبارطة واثينة ايضاً كانت الحروب متواترة وهذا لا يمنعهما من ان تكونا ملةً واحدة فان لسانهما كان واحدا وكذلك قل عن عوائدهما

ومما يستحقّ الاستغراب والتأسف هو اننا نرى بني وطننا المتسلسلين من ذلك الشعب الكلداني الاثوري خالين من المحبة الجنسيّة ولا يفقهون انهم نازلون من ظهر شعب شريف قد فاق شعوب العالم كله في باسه وادابه وصنائعه . نرى الاسلام الوطنيين قد نسوا لغتهم واصلهم تماما ولا يدرون انهم كلدانا اثوريين . نرى اليعاقبة والسريان الكاثوليك الموجودين في بلادنا هذه يلقبون انفسهم بالسريان الغربيين كانهُ انما من سوريا قد اتوا واستوطنوا هذه البلاد . ونرى الكلدان انفسهم ولا سيّما الذين يسكنون المدن كالبصرة وبغداد وكركوك والموصل وديار بكر وغيرها عوضا عن ان يجتهدوا بدرس لغة اجدادهم الشريفة واحكام آدابها فهم يحتقرونها ويستهزئون بالقرويين والجبليين الذين لا يزالون الى اليوم يتكلمون بها

ولمّا رأيت انَ من اعظم الدواعي الى محبّـة الوطن هو ان يقف الانسان على مجد بلاده القديم وانَّ هذا لا يقوم الّا بمطالعة الاخبار السالفة دفعتني الغيرة الجنسية ان اتحف بني الوطن بهذا الكتاب الذي ضمنتهُ تاريخ الكلدان والاثوريين حتى اذا ما وقفوا على اخبار اجدادهم الاوَّلين اقتدوا بهم واقتفوا آثارهم فيبلغون ما بلغوا اليه من الفلاح والنجاح

من جملة المؤَلفين القدماء الذين كتبوا تواريخ كلدو واثور اربعة يونانيون واثنان من الكلدان. امّا اليونانيون فهم هيرودوت واكتازياس الكنيدي وديودوروس الصقلي وأَبيدين والكلدانيان هما بيروس وابو الحسن ثابت. اما هيرودوت فكانت ولادته سنة ٤٨٤ ق م. وقدم بابل وكانت قد نزلت من مجدها الاول فوصف ما شاهدهُ فيها من الابنية الجبارية وغير ذلك. وكتب ايضاً تواريخ اثور لكن كتابه هذا لم يصل الينا

وكان اكتازياس الكنيدي طبيب ارتحشستا الثاني ملك الفرس (٤٠٥—٣٥٩ ق م) وقد جمع اخبار كلدو واثور عن الكتب الفارسيّة التي في القصر الملكيّ. غير انهُ في كتابه حكايات كثيرة خرافيَّة لا يوثق بها. وعاش ديودوروس الصقلي نحو سنة ٤٤ ق م وجميع كتاباته منقولة عن تاليف اكتازياس الكنيدي. وكان أبيدين كاهناً في هيكل أوسيريس في مدينة ابيدوس في مصر

واماَّ بيروس واصل اسمه برحوشا فهو كلداني بابليّ وطناً وكان كاهن بيل وتعلَّم اللغة اليونانية ودرَّس العلوم الكلدانية في اثينة سنة ٣٤١ ق م واحبهُ الاثينيون حتى انهم نصبوا لهُ تمثالًا لسانهُ من ذهب. وكتب تاريخ ملوك بابل. وجميع ما كتبهُ عنهم اخذهُ عن الالواح التي كانت محفوظة في هياكل بابل. ولكن لسوء الحظ انَّ هذا الكتاب فُقِد ولم نحصل منهُ الّا على بعض قطع مفرّقة في كتب يوسيفوس اليهوديّ واوسابيوس واقليمس الاسكندري وغيرهم. وكان ابو الحسن ثابت حارانياً ولادةً وكلدانياً جنساً ووثنياً مذهباً. واشتهر في اواخر الجيل التاسع بعد المسيح. وكان متضلعاً بالكلدانية واليونانية والعربية. ومن جملة ما كتبهُ تاريخاً لملوك الكلدان. ولكنّ هذا الكتاب ايضاً لم يصل الينا

ان كلّ ما وصل الينا من تاليفات هؤلاء المؤرّخين المذكورين لم يفِ بالمرام.

•

حتى قام علماء اوروبا فاتوا بلادنا هذه ليقفوا على ما فيها من الاثار. وتجشّموا مشقات جسيمة وصرفوا نفقات كثيرة لحفر جبال من الانقاض وكشف ما في باطنهـا من الآثار. وكانت اول هذه الاكتشافات على يد المسيو بوتا قنصل دولة فرنسا في الموصل. وبدأ اولًا بالحفريات في تل قوينجق ازاء الموصل في كانون الاول سنـة ١٨٤٢ ثمّ في خورصاباد في ٢٠ اذار سنة ١٨٤٣. ثم واصل هذه الحفريات فلاندا سنة ١٨٤٤ وبلاس ولايرد سنة ١٨٤٥. وممّن ساعد السير لايرد في حفرياته هرمزد رسام الكلداني. واماً الحفريات في كلدو فباشرها لايرد سنة ١٨٥٠ ولوفتوس سنة (١٨٤٩–١٨٥٢) ورولينسون سنة ١٨٥٤. ولا تزال البعثات الاوروباوية الى يومنا هذا تواصل هذه الحفريات وتستخرج كل يوم من بطن ارض اجدادنا آثارا حديدة جليلة

انّ الكتب التي الّفها علماء اوروبا في ما يخصّ الكلدان والاثوريين منذ بداية الجيل التاسع عشر لا تُعَدّ ولا تحصى في كل لغات اوروبا ولاسيا الجرمانية والفرنسيّة والانكليزيّة. ولا يزالون يدرسون برعبـة لا مزيد عليها تواريخ هذا الشعب العظيم الجليل. واماً نحن ففي غفلة عظيمة. حتى اننا لا نرى احدًا في بلادنا يبـذل الغيرة في معرفة تواريخ اجداده. أفما الاجدر بنا ان نتشبه بالاوروباويين ان لم اقل ان نباريهم في هذه المساعي الجليلة. أوَليس من العيب والعار ان نجهل بالكليـة اخبار اجدادنا ودولهم وحروبهم وعوائدهم وصنائعهم وعلومهم

ومن اشهر الكتب التي اعتمدت عليها في تأليفي هذا هي

١: تاريخ الشعوب القـديمة في الشرق في ثلاثة مجلدات طُبعت في باريس سنة ١٨٩٥ تأليف ماسپيرو

٢: تاريخ الشعوب القديمة في الشرق في مجلد واحد تأليف ماسپيرو ايضاً طبعة ثامنة في باريس سنة ١٩٠٩

٣: مقالة الاب دورم الدومنيكي التي عنوانها: البلاد الكتابية واثور وهي مطبوعة في مجلة الكتاب المقدس (١٩١٠–١٩١١)

٤: تاريخ سِني ملوك اثور تأليف مينان

٥: تاريخ دول الكلدان والاثوريين تأليف اوپير

واعلم اني قد كتبت اغلب اسماء العلم على صورتها الاصليــة من ذلك مثلاً نبوكد ناصر عوض بختنصر ونبوپلاس عوض نبو فلاسر وشوشــان عوض السوس وكلكاموس عوض جلجــاموس وهلم جرًّا . واعلم ايضاً ان پ تُقرأ مثل ف الكلدانية او الباء الفارسيّة وكَ مثل ك الكلدانيّة او الجيم المصرية

ثمّ اني تميــيزًا لفصول ومجلدات التأليفات المذكورة قد استعملت في الحواشي فيما يخصّ عدد الفصول والمجلدات الارقام الابجدية الكلدانية . مثلًا : ماسپيرو : ا ٥٢ اعني ماسپيرو الجلد الاول صحيفة ٥٢ وكذلك اشعيا : ب : ٣٢ اعني اشعيا الفصل الثاني العدد ٣٢ . وعلى الله اتكالي اولًا وآخرًا

الكتاب الاول

في ارض الكلدان والاثوريين وديانتهم وسياستهم وفنونهم

الفصل الاول

جغرافية اثور وكلدو

قال بيلي فراسير العالم الانكليزي في افتتاح كتابه تاريخ ما بين النهرين واثور ما ملخصهُ(١): نقدر ان نقول بكل صدق انهُ ليس في العالم بلدة تستحق الذكر وتجلب الانظار اليها اكثر من بلاد ما بين النهرين واثور . ففيها سكن اولاد نوح من بعد الطوفان وفيها بنوا البرج المشهور ومنها تبددوا في كل جهات الارض وفيها نشأت اوَّل مملكة في الدنيا على يد نمرود الجبار . وفيها كانت افخر المدن واعظمها واقدمها اي نينوى وبابل وفيها صارت اوضح النبوّات على يد دانيال النبي عن مجيء المسيح وعن تقلّبات ممالك الارض . اه

ان ارض ما بين النهرين هي البقعة الكبيرة التي يكتنفها الدجلة والفرات وتسمى في سفر الخليقة بارض سنعار ويدعوها الكلدان بيت نهراوانا (ܒܝܬ ܢܗܪܘܬܐ) او بيت نهرين(ܒܝܬ ܢܗܪܝܢ) والعرب الجزيرة . واليونان والروم ميزوپوتاميا . ومنشأ الدجلة والفرات في ارمينية في جبل نيفات المعروف الآن بجبل قلشين . ويبتدئ النهران اوّلًا بالسير في جهتين متوازيتين فيجري الفرات من الشرق الى الغرب حتى مالاطية والدجلة من الغرب الى الشرق متوجها نحو آثور . ثم ان الفرات عند مالاطية يبدّل فجأةً مجراهُ نحو الجنوب الغربي ثم نحو الجنوب الشرقي . وكذلك الدجلة يميل نحو الجنوب ولا يزالان كذلك تارةً يقتربان وتارة يبتعدان حتى يختلطا في مجرى واحد يُسمَّى شطّ العرب ثم يصبّان في خليج العجم

ومن الجداول التي تصبّ في الفرات بلخ وخابور امّا بلخ ويسمّيه اليونان

---

(١) ميزوپوتاميا واثور ص ١٨

بيليوخوس والاثوريون باليحي فينبوعهُ في سلسلة جبل قراجه طاغ المدعو عند اليونان جبل ماسيوس ويصبّ في الفرات عند مدينة الرقّة . واما خابور ويسمّيه اليونان ابو راس او خابوراس فينابيعهُ في جبال قراجه طاغ ايضاً وطور عابدين وستجار

ومن الانهر التي تصبّ في دجلة مياه بطمان وغرزان وباشور وكزر وبهتان وروسور ودوش وخزلة وخابور الشرقيّ والزاب الاكبر والزاب الاصغر والادهم وديالة . امّا مياه بطمان فمجراها من جبال صاسون وتختلط بدجلة عند قرية عثمان . ومياه غرزان تأتي من جبال حظو وتصبّ في دجلة تحت رضوان وبهتان ويسميه اليونان كانتريتيس والكلدان النصارى والعرب دجلة واليوم يطلق عليهِ اسم بهتان او بهتان صو . ومنشأهُ في فاراشين ويعبر بالقرب من سعرد ويختلط بدجلة عند قرية تلّ ناورو . ومن المياه التي تختلط في بهتان باشور وكزر . اما باشور فيأتي من بتليس وكزر من قضاء شروان ويجتمعان في مجرى واحد تحت قرية سوران مهمديان ويصبان في بهتان عند قرية تلّ ناورو

وروسور ينابيعه في جبال چراو وشرناخ ويصب في دجلة عند المنصورية . ودوش اصلهُ من جبل جودي . وخزلة اصلهُ من جبل هوز ويُدعى كِلّا مامي ويصبّ في الخابور الشرقي والخابور نفسه ينابيعهُ في جبال الهكارية ويمرّ في زاخو ويصبّ في دجلة عند قرية پيشخابور . والزاب الاكبر قسم منهُ يأتي من رواندوز والقسم الآخر من جبال العمادية ويختلط بدجلة عند اخربة كالح . والزاب الاصغر ينزل من جبال يانا وكويسنجاق ورانية ويصبّ بدجلة عند المحلّ المسمّى مخلط . وكان الاثوريون يسمُّون الزابين بزابا علايا (ܙܒܐ ܥܠܝܐ)وزابا شپلا (ܙܒܐ ܬܚܬܝܐ) . وامّا اليونان فكانوا يسمونهما لوكوس وكاپروس

والادهم ويدعى اليوم داقوق او طاوخ چايي منبعهُ في جبال سليمانية ومياههُ قليلة صيفا وامّا شتاء فيصير نهرًا ويصبّ بدجلة تحت مدينة سامرا . وكان الاثوريون يسمُّونهُ رادان وكذا اتى ايضاً اسمهُ في تواريخ الكلدان او الاثوريين النصارى (١) والبلد الذي في الجهة اليسرى منهُ كان يدعى ايضاً رادان (٢)

---

(١) قصّة حزقيال الراهب (٢) سيرة الشهداء والقديسين طبعة بيجان : ٤ : ٦٩ . وماري طبعة جيسموندي : ٨ و٩٩ و١١٨

ونهر ديالة منحدرهُ من جبال العجم ويختلط بدجلة تحت بغداد ويُدعى تورنات في الآثار الاثورية وتورمارا في تواريخ الكلدان النساطرة(١) وجيندس او ثوراناوتس في تواريخ اليونان

فالبقعة التي يكتنفها الدجلة والفرات تُقسم الى قسمين شمالي وجنوبي . فالقسم الشمالي يُسمّى خاصةً الجزيرة او ما بين النهرَين . والقسم الجنوبي يشتمل على ارض الكلدان المسماة الان العراق العربي . واماً اثور فكانت واقعة في وادي دجلة الاوسط فكان يحدّها شرقاً الادهم وبلاد مادي . وشمالاً جبال قراجه طاغ اوماسيوس وغرباً وجنوباً الفرات والخابور

وكانت بلاد آثور والكلدان مخصبة جيدة التربة عامرة بمدن كثيرة عظيمة زاهرة . وكانوا قد جلبوا اليها مياه الدجلة والفرات والزابين وغيرها بالقنوات والسواقي حتى صارت اراضيهم تأتي بانواع الحبوب الكثيرة وصار الواحد يأتي بمائة ضعف وربما مائتين او ثلاثمائة . جاء في رحلة هيرودوت (٢) الذي عاش في الجيل الثالث قبل المسيح ما نصه : «وتنمو (عند الكلدان) الزروع جدًّا فليس في كل جهات العالم ارض تضاهي اراضيهم خصوبةً فان الحبوب تعطي مائتي ضعف وعند الاقبال تعطي اكثر من ثلاثمائة ضعف . وورق الشعير والحنطة عندهم بعرض اربع اصابع . اما الذرة والسمسم هناك فهي اشجار تامة . واني لا اذكر علوها لاني اعلم يقينا ان كل من لا يعرف ارض بابل لا يصدّقني ولذلك ضربت صفحاً عن ذكرها .» وان السير ولكوكس بسياحته الاخيرة سنة ١٩٠٥ في بلاد الكلدان قد تبيَن له الامر بما لقيهُ من آثار احواضهم وخزائنهم المائية حتى قال انَّ تلك البلاد كانت سابقاً كجنَّة غنَّاء تزيّنهــا الخضرة والمزروعات وانهُ لم يبلغ احد مبلغ الكلدان في حسن ابنيتهم لجمع المياه وتوزيعها على انحاء بلادهم (٣)

ومن مدن كلدو أورو ويعرف اليوم موقعها بالمقيَّر او المكَير كما يلفظها عرب البادية . وهي التي سماها الكتاب المقدّس أور الكلدانيين ومنها خرج ابرهيم الخليل (٤)

---

(١) سيرة الشهداء : ١ : ٥٠٨ و٦٣٦ (٢) هيرودوت : ١ : ١٩٣ . وراجع ايضاً تواريخ تنوفراست : ٨ : ٧ . ومقالة يوسف رزق الله غنيمة البغداديّ في الزراعة بالعراق المشرق : سنة ١٩٠٨ . ص : ٦٠٤-٦١٧ (٣) راجع المشرق ١٩٠٩ : ص : ٣٥٦ (٤) تكوين ١١ : ٣١

وكانت أُور مركز التجارة البحريّة وتخوض سفنهـا في خليج العجم وبحر الهند. وكانت مكرّسة للاله سين اي القمر وفي وسطها كان يعلو نحو السماء هيكلهُ العظيم بثلاث طوابق وفي جنوب أُور كانت مدينـة اخرى يقال لها أريدو. وهي المدعوة اليوم ابو شهرين ويسمّيها بطلماوس رَاتَا ومدينة باب ساليتي وكانت مينـا على البحر. ومدينة أُوروك وتدعوها التوراة آرك (١) واليونان أُرخوني وهي المسماة اليوم وركة. ومدينة لرسام وكانت مكرّسة للاله شِمشا اي الشمس وكانت على ساحل الفرات. وكيشحو وكانت تدعى في الازمنة الاولى بَبَار أُونو. ومدينـة نكّاش او زيرپورلا وهي المسماة اليوم تلُّو. وجميع هذه المدن كانت في بلاد الكلدان الجنوبية التي كان يقال لها شومير

ومن مدن كلدو الشماليَّة نيپور وبارسيپ وكُوتا وسِپَارا واكاد ودوركوريكلزو وبغدادا وزَبَّا وايريكا وأكارسال وكيش وأُوپي وشورپاك وهيت. امَّا نيپور فهي المسماة اليوم نُفَّر وصارت بعـد المسيح كرسيًّا اسقفيًّا تابعاً لكرسي بطريرك المداين (٢) وذكر عن جريغور مطران نصيبين انهُ بنى بالقرب من نفّر ديرًا ومدرسـةً (٣) وكُوتا هي المدعوَّة اليوم تلّ ابرهيم وهي على بعد ١٥ ميـلًا من شرق اكاد ودوركوريكلزو يُظَنّ ان موقعها كان في عقرقوف وهي في شمال غربي بغداد على اربعة اميال منها وستَّة اميال من نهر الفرات على ميمنة الترعة الصقلاويَّة. واكاد يُعرَف اليوم موقعها بابي حبَّة وبغدادا كانت إمَّا في موقع بغداد الحاليَّة او بالقرب منهـا. وقد اتى ايضاً ذكرها في تواريخ الكلدان النصارى ومكتوب اسمها بغداد (٤). وزبَّا كانت على ظنّي واقعة بين بغداد وواسط. وكان هناك للكلدان النصارى اسقفية معروفة باسقفية زابي او زوابي (٥) وسمّيت زابي لانها كانت واقعة بين الزّابين. وقال ياقوت: وبين بغداد وواسط زابان آخران ايضاً

---

(١) تكوين: ١٠: ١٠ (٢) ماري ص: ١٢٢

(٣) اديشير: التواريخ السعرديّ (تحت الطبع) (٤) طالع كتاب السنهادوسات طبعة شابو: ص: ٤٤ وهو يكتب ܒܓܕܕ لكن ذلك غلط فان نسخة دير الربّان هرمزد التي عليها طبع شابو هذا الكتاب تكتب ܒܓܕܕ وكذلك في النسخة السعردية

(٥) عمرو طبعة جيسموندي: ص: ٣٨ و٤٠ الخ

ويسمّيان الزاب الاعلى والزاب الاسفل وإريكا لعلّها باروقا (ܒܪܘܩܐ) المذكورة في كتاب العفّة تأليف ايشوعدناح مطران البصرة (١) وكانت في ارض بابل قريبة من الترعة المعروفة بنهر جمرا . واكارسال لعلّها اشكاپيل ܐܫܟܦܝܠ المذكورة في الكتاب نفسه (٢) وكانت قريبة من ساليق . وأوپي كانت على ساحل دجلة عند مصبّ الادهم . وهيت على ساحل الفرات وهي بعيدة عن انبار ١٢ فرسخاً

والاكثر شهرة كانت مدينة بابل . وكان الفرات يقسمها قسمين : خديعيرا اي باب الله وديتيرا اي محلّ شجرة الحيوة . وبابل معناها باب إيل وهو اسم الله عند الكلدان والاثوريين

ومن مدن اثور التي ذكرتها التواريخ والتي يمكن تعيين مواقعها هي هذه : اشور او اثور وهي المدعوة اليوم قلعة شرگات وقد اتى اسمها في تواريخ الكلدان النصارى شهركرد او شهرقرد او شهرقرت وكان لهم فيها كرسي اسقفي (٣) ومدينة كالاح وكان موقعها عند مصبّ الزاب الاكبر في دجلة وتدعى اليوم نمرود . ومدينة نينوى الشهيرة وكان موقعها على الجانب الايسر من دجلة بازاء الموصل . واتى ايضا اسمها في تواريخ الكلدان النساطرة وكان لهم فيها كرسي اسقفي . (٤) ومدينة دور شركينا وهي المسماة اليوم خورصباد وهي على مسافة اربع ساعات من نينوى نحو الشمال الغربي . ومدينة اربيل وهي بين الزابين ومعنى اسمها (ܐܪܥ ܒܝܠ) اي ارض بيل او (ܐܪܒܥ ܐܝܠ) اي اربعة آلهة . وبعد المسيح اصبحت كرسي مطارنة حدياب (٥) ومدينة كرخ سلوخ وهي المسماة اليوم كركوك . ويسمّيها بطلماوس كوركورا واسترابون يدعوها ديمترياس . واشتهرت كرخ سلوخ بعد المسيح بعدّة شهداءها وكانت كرسي مطارنة بيت كرماي (٦) ومدينة نصيبين وتسمّى ايضا صوبا وربّما سمّاها اليونان انطاكية ميكدونيا . وكان فيها للكلدان النساطرة مدرسة شهيرة طار صيتها في الآفاق (٧) . ومدينة سنجار ويدعوها الكلدان النصارى (ܫܝܓܪ) على مسافة

---

(١) طبعة بيجان : ص : ٧٨ (٢) ص : ٨٦

(٣) عمرو : ٤٠ وكتاب السنهادوسات ٣٣ و٣٤ و٦٢ الخ

(٤) كذا ١٠٩ و١١٠ الخ (٥) كذا : ٣٣ (٦) كذا : ٣٣ وسيرة الشهداء : ص : ٥١٢–٥٣٥ (٧) ادي شير : مدرسة نصيبين الشهيرة بيروت ١٩٠٥

٢٤ ساعة من الموصل نحو الغرب. ومدينة أُورهاي ويسمّيهـا العرب الرها واليونان إديسا . ومدينة آمد وتُدعى اليوم ديار بكر . ومدينة هيكلا وقد ورد اسمها في تواريخ الكلدان النساطرة ܚܝܟܠܐ في ترجمة سبريشوع بيت قوقا وكانت في جنوبي اربيل قريبة من دجلة. (١)

وفي وسط كلٍّ من المدن الاثورية والكلدانيّـة كان برج عالٍ عظيم ذو سبع طبقات يُسمّونهُ زَقُّرتا وهو هيكل يشيّدونهُ لاكرام آلهتهم ودعوهُ زَقُّرتا لعظمتـه وعلوه ولفظة ܙܩܘܪܬܐ معناها العظمة والزهو وهي مشتقّـة من ܙܩܪ اي علا وارتفع وقد انتقل هذا الاسم الى اللغات الاوروباويّة وهو فيها زِكُّورة (Ziggourat) والى الجيـل السادس بعد المسيح كان بالقرب من قطيسفون محلّ يقال لهُ زَقُّرتا بيت بالان (٢)

الفصل الثاني

ديانة كلدو واثور (٣)

انَّ ديانة الكلدان القدماء كانت تشابه ديانة المصريين. فكانوا يعتقـدون ان السماء مستقرَّة على الارض والارض مستقرّة على الهـاوية . وكان في كلٍّ من السماء والارض والهاوية إله عظيم يأمر ويحكم على آلهة اخرى كثيرة احطّ منهُ مرتبة شانها الحرب المتواصل بعضها مع بعض. فكان الإله زِي أنّا يحكم في السماء والإله زِي كيا في الرقيع والارض. والإله انليل يحكم على الشياطين في الهاوية . وجهنم كانت في الهاوية

ثمَّ بعد ما غلب العنصر الارامي على سكان كلدو القـدماء انتصرت ايضاً ديانتهُ على ديانتهم. فكان الكلدان الاراميُّون يعتقدون بثلاثة آلهة عظيمة اي أنو

---

(١) عن مدن اثور وكلدو القديمة راجع كتاب بيلي فراسير الذي عنوانهُ: ميزوبوتاميا واثور الفصل ٥ و٦ و٧ و ٨

(٢) قصة جبا لاها الجاثليق طبعة بيجان: ص ٣٦٩

(٣) ماسبيرو: ١٦٠-١٧٤ و2 :٦٢٣-٦٨٢ ولنورمان: السحر عنـد الكلدان واصل الاكاديين. وسايس: ديانات مصر و بابل القديمة

وبيل وحيًّا(١) . امَّا انو فكان أبا الآلهة وربّ العالم الاسفل وربّ الظلمات والكنوز الخفيَّة وكانوا يصوّرونهُ على شكل انسان ذي لحية طويلة لهُ ذنب مثل ذنب النسر ورأسهُ مغطًّى برأس سمكة وهي ساقطة على كتفه وظهره . وبيل كان ربّ العالم وكان متسلّطاً على جميع الاقاليم وجميع الارواح . وكانوا يصورونهُ على صورة ملك جليل جالس على عرش عظيم . والإله حيًّا كان الدليل العاقل وسيّد العالم المنظور وربّ العلوم والشرف والحيوة . وكان لهُ اربعة اجنحة مبسوطة . ومن كل من هذه الآلهة الثلاثة كانت تصدر إلهة تشبههُ فشريكة أنو يقال لها أناث ܐܢܬܬܐ (؟) ورفيقة بيل تُدعى بيلتي ܐܢܬܬܐ ܒܠ (؟) وشريكة حيًّا كان اسمها دوكينا

ويأتي بعد هذا الثالوث الاول الثالوث الثاني وكان مركّبا من الإله سين اي القمر والاله شمشا اي الشمس والاله اداد (٢) اي الجو او الرقيع . ولكون الكلدان فلكيين فضّلوا سين على شمشا ولقّبوهُ بالنيّر والسيد والقدير واللامع وربّ ايام الشهر . وكان شمشا محرّك السماء والارض ومدبّرها . واما اداد فكان متولّيًا على السماء والارض وموزّع الخصوبة وربّ القنوات ورئيس الزوابع والعواصف والفيضان والبرق

ويأتي بعد هذه الآلهة آلهة اخرى احطّ منها مرتبة . وكانت محامية للسيارات . واسماؤها : نينيب ومرودخ او مردوخ ونركال وإستارا ونبو . وكانوا يصوّرون نينيب على صورة جبار يخنق اسدًا . وكانوا يلقّبونهُ بالمخيف وسيّد الابطال وصاحب القوَّة ومبدّد الاعداء والعصاة ورب الحديد . واما مرودخ فرفعهُ البابليّون الى درجة الاله بيل . ونركال سمّوه البطل الكبير وملك المعارك ورب القتال وحامل سلاح الآلهة . وكان تمثالهُ مركّباً من رأس الانسان وجسم الاسد . ونبو كان قائد العالم ومرتّب امور الطبيعة والقائم على الشمس في غروبها وطلوعها ومثال كلّ ما حسُن على وجه الارض وعلى الملوك ان يقتدوا بهِ . واما إستارا فعنوا بها الطبيعة الهيوليَّة . وكانت إلهة الحرب ايضاً وسلطانة الظفر وإلهة اللذات والتناسل . وفي وظيفتها

---

(١) ان المؤلفين الغربيين يكتبونها ea

(٢) ان بعض الكلدان النصارى قد تسمّوا باسم شمشا واداد منهم أبا شمشا الذي نصب ديرًا بقرب مدينة انبار (كتاب العفّة ١٢٦) . واداد القسيس واداد سباس القسيس وكانا من جملة الكلدان المُرسَلين الى بلاد الصين (سمعاني : ܒ ٦٥٣)

الاولى كانوا يصوّرونها راكبةً اسدًا او ثورًا ورأسها مكلّل بتاج مرصّع بنجوم وبيديها قوس وجعبة · واماً في وظيفتها الثانيــة فسمّيت زربانيت اي المثمرة (١) وكانوا يصوّرونها على صورة امرأة عريضة الوجه واضعة يديها على صدرها · وقال بركوني (٢) عن هذه الإلهة ما نصه: « ان إستَرْتاَ هي نجمة الصبح ولها أسماء كثيرة بموجب الالسنة المختلفــة · فالطيّ دعوها عوزي · واليونان أپروديطا · والقدشيّون طلشمقيت · والكلدان بَلتي · والاراميّون استيرا · والرادانيّون لكث شميًّا (ملكة السماء) والعرب تاني »

وما عدا هذه الالهة كان ايضاً لكلّ مدينــة من مدن كلدو واثور إله خاصّ بها · من ذلك الاله اشور او اثور وكان من اعظم آلهــة الاثوريين · ونسكو ورد اسمهُ في الاثار البابلية وقد شاع عند علماء كثيرين (٣) انهُ نفس الاله نسروك الذي ورد اسمهُ في سفر اشعيا النبي (٤) وفي السفر الرابع من كتاب الملوك (٥) · وبرقا وكان معدودًا كإله الانواء والصواعق وكان من شاراته البرق وعلى رواية تيادوروس بركوني(٦) كان يُسجد لهُ في بلد جوزان في وادي خابور · وشربيل كانت إلهة اربيل · والإلهة تاني او نانا (٧) كانت مكرّمة في عيــلام ايضاً · ومن آلهتهم ايضاً تموز وقرينته عشترت · وكان تموز احياناً في بابل إله الانهار ومجاري الميــاه التي تنصبّ من ينابيعها وتخصب الحقول · وكان تموز يُعبد في بلاد فونيقي ايضاً

هــذه كانت ديانة الكلدان والاثوريين · وقد وُجد فيما بينهم من سجد لاله واحد حقيقي · فان بعض المدارس ومنها مدرسة مدينة أريدو كانت تعلِّم بوحدانية الله تعالى فتقدّم الصلوة لاله واحد لا بدءَ لهُ ولا نهاية (٨)

---

(١) الظاهر ان اصــل زربانيت ܙܪܥ ܒܢܝܬܐ او ܙܪܥ ܡܪܒܝܢܝܬܐ وقل الاب دورم (مجلة الكتاب المقدس ١٩١ ص: ٣٧٣) ان اصلها ܡܙܪܥܢܝܬܐ

(٢) تيادوروس بركوني طبعة شير: 2 ٢٠٥

(٣) المشرق : ه ٣٧٥–٣٧٧ (٤) ٣٧ : ٣٨ (٥) ٢ملوك : يط ٣٧

(٦) المجلد الثاني تحت الطبع (٧) ان بعض الكلدان النصارى سُمّوا باسم شربيل وناني · منهم شربيل اسقف دسكرة الملك (اسكي بغداد) سنة ٤٢٤ · وناني مطران فرات (البصرة) سنة ٦٠٥ (كتاب السنهادوسات ص: ٤٤ و٢١١) (٨) ماسپيرو: ١٦٨

الفصل الثالث

السياسة (١)

انَّ الأمَّة الاثورية او الكلدانية كانت من اشدّ الامم بأسا واكثرهن قوة عصبيَّة وكانت مائلة الى الحرب والقتال ولذلك حصل لملوكهم ان يفتتحوا بلادا كثيرة ويخضعوا امما شتَّى . وكان لا بدَّ لهم من ان يباشروا غزوة في كل عام في زمن الربيع

وكان الملوك يتظاهرون بالكبرياء . وكانوا دائما محفوفين بزمرة وزرائهم ورجال دولتهم ومحتاطين بالحراس والعبيد . واذا خرجوا من قصرهم تحملهم عربات تجرها اجود الخيل وكل ذلك يشاهد في التصاوير المستخرجة من آثار نينوى وبابل . وكان من وظيفة الملك ان يرافق جيشه الى ميدان الحرب ويتولَّى بنفسه اوامره لا بل اذا اقتضى الحال ان يسبق ويحارب في اوَّل صفٍّ من صفوف الجيش . واذا مرض او اشغلهُ شاغل مهمّ تسلَّم مركزهُ القائد الاعظم وهو المسمَّى ترتان

وممَّا اشتهر بهِ ملوكهم قساوة القلب والمعاملة الوحشيَّة نحو العدو المغلوب اذ كان اكثرهم يأمرون بسلخ اجسام الاسرى او بصلبهم او بقلع عيونهم ويفتخرون بذلك مدّعين انهم انما يعملون هذا بامر آلهتهم . وقد وجد الموسيو دي مرغان في بعثتهِ الاولى الى العجم تمثالًا يمثّل بعض ملوك اثور قائما بازاء إلههِ وهو يجرّ وراءَهُ اسيرًا بحبل معلَّق بعنقه او كلَّابة ناشبة في ارنبة انفه وتحت قدميه جثث غيره من الاسرى يدوسها برجليهِ . وكذلك ذكر الملك اسوربانيبال في احدى كتاباته قال عن أُوَيته احد ملوك العرب : « اني ثقبت فمه بمديتي التي بها اقطِّع اللحم . ثمَّ جعلت في شفته العليا حلقة من الصفر وعلَّقت الحلقة بسلسلة كما افعل بكلاب صيدي » . ولكن اغلب الامم شاركت الامة الاثورية في هذه القساوة نحو الاسرى . ومَن لا يعلم بقساوة السبارطيين نحو اهل هيلس كيف انهم اتخذوهم احطّ من منزلة البهائم نفسها . وكذلك قُل عن عبودية بني اسرائيل في مصر . ونرى ان

---

(١) المشرق : ١٩٠١ : ١٠٧٧-١٠٨١ . وماسبيرو : ٤ : ٧٠٠-٧١٠ وص ٦١٩-٦٤٠

امنوتيس الثاني ملك مصر يذبح مثل الغنم بعضاً من الملوك ويُعلّق رؤوسهم واياديهم على حائط هيكل آلهته. هذا وان ملوك اثور لم يعاقبوا بقصاص شديد الّا الذين تجرّأوا مراراً على رفع لواء العصيان عليهم وانما قصدهم بذلك كان ان يجعلوهم عبرةً للغير

واماً اسلحتهم فكانت الرمح والسيف والترس والدرع والقوس والنشاب والعربات ايضا. وكانوا قد اخترعوا آلات جديدة لافتتاح المدن والقلاع كما نرى ذلك منقوشاً في التصاوير المستخرجة من آثار نينوى وغيرها . وكان جيشهم منظوماً عليهِ قوّاد خبيرون بامور الحرب. وكان ينقسم الى ثلاث فرق. فرقة المشاة وهم القوّاسة وفرقة الخيالة وهم الرمّاحة وفرقة راكبي العربات الحربية وهم حاملو السيف والترس. وجميع الحركات والاوامر الحربيّة كانت تصدر من الملك نفسه وتلك الاوامر كانت تجري بنظام عجيب. قال لنورمان عن الجيش الاثوري انهُ لم يُغلَب قط في زمانه ولا مرّة واحدة

وكان ملوك الكلدان والاثوريين في اول الامر يتركون ملوك البلاد التي يفتحونها على شانهم ويفرضون عليهم جزية يؤدونها لهم في كل عام ولكن تغلاتپلاسر الثالث الذي ملك سنة ٧٤٥ ق م ابتدأ ان يولّي على البلاد المغلوبة قائداً من قوّاده

الفصل الرابع

صنائع الاثوريين والكلدان وفنونهم ومعارفهم(١)

انّ الصنائع والمعارف بلغت عند الكلدان الى اسمى درجة . قال الموسيو لنورمان عن الطنافس والانسجة التي كان يشتغلها الكلدان ما تعريبه. «ان انسجة الصوف والكتان التي كانت تشتغلها معامل بابل حازت اعتباراً بلغ الدرجة الاولى من الاهميّة كما انهُ في استحضار الاقبية والطنافس لم يسبقها اليهِ احد . وكانت

(١) راجع لنورمان : تواريخ الشعوب الشرقية القديمة : ص ١٠٣ الخ . واوبير : رحلة علميّة في ما بين النهرين . والمشرق : ص ٦٨٣–٦٨٦

العامل حينئذٍ في بابل وفي سائر مدن المملكة ونواحيهـا . ومن ذا الذي يقف على دقَّة تلك الانسجة وزخرفتها ولا يعترف بلياقة نسَّاجها وبذوقهم السليم . واغرب من ذلك ان النساء وحدهنَّ كنَّ يشتغلنَها في اوقات الفراغ . واماَّ الفرس خلفاء الكلدان فقد حافظوا بكل دقَّة على تلك العوائد والصنائع نفسها . » وقال ايضا : « ان النساء الكلدانيَّات وحدهنَّ كنَّ ينسجنَ الثياب الملكيَّة والنمارق ذات التصاوير المفتنــة الالباب التي يُنسَج عليها في ايامنا . » وكانت الانسجة البابليَة قد اشتهرت في كل جهات العالم ويرغبهـا الملوك والوزراء . وقد ذكرها الكتاب المقدَّس في سفر ايشوعبرنون (١) وكان عشَّاقها بروما يشترونها بثقلها ذهبا فان متلوس شيپيون دفع ما يساوي اليوم ١٦٨٠٠٠ فرنك لمشترى متكإ ثلاثيّ بابليّ . ودفع الملك نيرون لمشترى هذه الانسجة نفسها مبلغاً يساوي اليوم ٨٤٠٠٠٠ فرنك . ولهذا قال الموسيو اوجين منتز : « بالحقيقة انَّ الانسجة البابلية وبالاخص اللحف البابليَّة التي يذكرها دائما الشعراء اللاتينيـون بلفظ (Babylonica peristromata) كانت تفوق كل وصف »

وقال ايضاً لنورمان : ظلّ الشرق الى يومنا هذا المكان الوحيد الحائز على فنّ الصناعة والتطريز والنقش وذاك مماَّ استرثهُ عن اثور وبابل بعد انقراضهما . كل ذلك مما يثبت ويؤيد تقاليد اولئك الشعوب المتمدنة . فان انسجــة ذلك الزمان المطرزة بالقصب المشتملة على التصاوير المبهجة والالوان الطبيعيَّة جعلت شهرة اصحابها تغني عن وصفهم في كل جهات العالم . . . انَّ القدماء كانوا يحسنون تنزيل الذهب والفضة على الفولاذ حتى ان هذه الصناعة في الازمنة المتوسطة احرزت شهرة عظيمة لمدينتَي الشام وبغداد . وان سكانهما كانوا يُحكمون الترصيع والشغــل بالمينا والحفر على الحجر وتجهيز الزجاج . فكل هذه الفنون كان الكلدان يتعاطونها وكان الفعــلة ايضاً يعجنون ويشوون التراب الاحمر لصنع الطاباق والاوعية الفخَّاريَّة

وقال الموسيو أوپير (٢) انهُ يوجد في شمالي بغداد موقع يُسمَّى موسى الكاظم يسكنهُ اناس هم من بقايا الكلدان لهم صنائع فائقة كالنقش والتطريز والصياغة

---

(١) ٢١ : ٩

(٢) رحلته العلميَّة في ما بين النهرين : ص ١٣٠

وخصوصاً الحفر على الحجر . والبعض منهم قد احرزوا درجة سامية من المهارة . من ذلك اني وقفت على بعض الانتيكات المزوّرة فرأيتها تشابه كل المشابهة الانتيكات الحقيقيّة حتى ان كثيرًا من السيّاح البسطاء ينخدعون بها . وقال لنورمان (١) : انّ جميع منقوشات قصور نينوى مدهونة بالوان باهرة . ولا يزال موجوداً منهــا قطع تزيّن متاحف اوروبا . وتلك الصناعة كانت منتشرة في بابل اكثر ممّا كانت في نينوى غير ان صور نينوى المحفورة لم تكن ملوّنة بدهن خصوصي كما كانت صور بابل . بل كلّها من الطاباق المدهون بالميناء

وترى في المتحف البريطاني اوعيــة من الفخار والجرار والخوابي والاقداح والزرنيات وغيرها وُجدت في قبور الكلدان . ويُشاهَد اليوم ايضاً في جهــات بابل قطع عديدة من الطاباق المطلي بالازرق منتشرًا على التلال ممّا يدلّ على ان الكلدان كانوا يكثرون من استعماله . وقال ديودوروس (٢) : كان يشاهد على جدران بابل التي بناها نبوكد نصر الملك اصباغ مختلفة الالوان تمثل انواعا من الحيوانات

انّ اجدادنا كان لهم ايضاً اليد الطولى في التجارة (٣) . من ذلك اقواس بديعة الصنــع ورسوم وتماثيل تصــان حتى اليوم في متحف لوفر في باريس او في دار الانتيكات في لندن . نخصّ منها بالذكر تمثال اسد وبقــايا عرش ملكيّ في باريس ويدلّ على تقدّم التجارة في بابل آثار عديدة بديعة الصنع من العــاج او العظم . لعمري ان كان العملة اتقنوا الشغل بمثل هذه الموادّ الصلبة فما قولك بالخشب الذي يقبل الحفر والنقش على وجه اقرب . وكان قسم من هذه الاخشاب يُرصَّع بالعاج او الحجارة الكريمة . ويظهر ذلك من قطع منقوشة ابتاعها العلّامة دي فوكيه . امّا الخشب الذي كان يفضّلهُ الاثوريون دون سواهُ فهو السنديان لكثرته في اعالي جبال كردستان وارمنية . وقد استجلبوا ايضاً من لبنان خشب الارز فاستعملوهُ لابنيتهم . وقد وُجدت لهم ايضاً آثار منقوشة على الابنوس والساج وغيرها

وممّا اشتهر فيهِ الكلدان صناعة النقش في الحجر والتصاوير عليهِ وكانوا يبالغون في رسم العروق وارتفاع الاعضاء ونتوّها وتصوير ذيل اثواب الملوك المطرّزة المخرّمة بدقة بليغــة كما يُرى ذلك في الآثار المستخرجة من نينوى وغيرها . وقال فلكس

---

(١) : ص ٣٥٨ (٢) ك ٢ : ع : ٦ و ٨ (٣) المشرق ٢ : ٩٢٣ و ٨٨

يوليان في رحلته الى بابل (١) ما ملخصه: « انَّ تمدّن الاثوريين معاصر لتمدُّن مصر والهند. وكل تمدُّن العالم كان يومئذٍ محصوراً في هذه الامكنة الثلاثة . غير انهُ فيما يخصّ التصوير لفرق عظيم بين صناعة الاثوريين وصناعة المصريين. فاننا نرى في ثيبس ومنف السكون سائدًا وهدوْ المقابر ضارباً فيهما اطنابهُ والتماثيل مقرفصة بلا حركة». وقال يولي: « ان الصناعة في مصر نظريَّة تصوريَّة (C' est l'idéal) واما في اثور فهي عملية واقعية (C'est le réalisme) ويخال لي ان التماثيل حية مستعدة للحركة والمشي وكانَّ القصور الملوكيَّة معمورة باهلها . ومن الاثوريين انتقلت صناعة التصوير الى الفرس. ومنهم ايضاً اخذها اليونان ولكن اليونان والروميون اتوا في تصاويرهم من التهتّك والفضيحة ما يكرههُ كل عاقل اديب الامر الذي لا نراهُ ابدًا في تصاوير الاثوريين »

واماَّ الطبّ فلم يشتهر بهِ الكلدان كثيرا . وكانوا يتخذون النبات كادوية فعَّالة. وقد جاءَ في الكتابات الاثورية اشارات جَّمة تنبِّئنا على اقتدارهم في هذا الفن ومعرفتهم بخواصّ الادوية. واكثر الذين كانوا يتعاطون الطب هم الكهنة . وكانوا يضيفون اليهِ اعمالًا سحرية ليزيدوا جاهم وسلطتهم في اعين الجمهور. وقد اخبر هيرودوت ان البابليين كانوا يعرضون في بعض المدن مرضاهم في الشوارع فيمر بهم السابلة فيسألونهم عن دائهم واذا عرفوا لهُ دواءَ اختبروهُ في مرضهم او وجدوهُ ناجعاً في بعض معارفهم يفيدون عنهُ الريض ليتعالج بهِ (٢)

اماَّ العلم الذي فاق بهِ الكلدان على سائر الامم فهو علم الفلك . فانهم كانوا يرصدون الفلك وسيران النجوم حتى استنتجوا بعض الحقائق الفلكية وكانت سنتهم ثلاثمائة وستين يوماً. والسنة كانت مقسومة الى اثني عشر شهرا . والنهار الى اربع وعشرين ساعة. وهم الذين استنبطوا لقياس الزمان الساعة المائيَّة والساعة الشمسيَّة. ومن الاكتشافات الحديثة العهد التي لا ريب في صحتها نستدلّ على ان الكلدان بلغوا الى درجة ثابتة من علم الفلك. والعلِم الشهير كارل بتسولد في كتابه النجامة والتنجيم عند البابليين الذي طبعهُ سنة ١٩١١ يعدّد هذه المعارف ويثني عليها ويتعجّب من كونهم قدروا ان يحسبوا الحسابات الفلكية المضبوطة وليس

---

(١) ص: ١٩٥—١٩٧ (٢) راجع المشرق: ٨٣

لديهم الآلات التي اختُرعت في هــذه القرون الاخيرة . فما وقفوا عليهِ انهم عيَّنوا زمن وقوع انكسافات الشمس وهم مع ذلك لم يعرفوا اختلافات الحركة الارضيَّة في مبادرة الاعتدال التي حظي الفلكيّ ايپارك باكتشافهــا . فاخذ وقتئذٍ اليونان العلوم الفلكيَّة عن الكلدان وهؤلاء خلَّفوها للعرب (١) . ثم انقلب عند الكلدان علم الفلك الى صناعة التنجيم وانتشرت هذه الصناعة في العالم كله

وكانت صناعة الكتابة شائعة عند الكلدان منذ اقدم الازمان . ويشاهد في آثار نينوى وبابل وغيرهما قلم قديم مجهول سمَّاهُ علماء الافرنج القلم المسماري لشبهه بالمسامير . وسمَّاهُ ابن العبري (٢) القلم الحـبريّ ܟܬܝܒܬܐ ܟܘܡܪ̈ܝܬܐ اي القلم الخاص بالاحبار او الكهنة وهو قلم غريب صعب القراءَة . وقد توصَّــل العلماء الى قراءَته على طريقة الحدس والتخمين وذلك بالمقابلة مع اللغات الكلدانية الحاليَّة والعبرانيَة والعربيَّة وذكر بعض الاعلام في الفارسيَّة والكلدانية معاً . واماَّ التلفظ الحقيقي فالظاهر انهم لم يتوصلوا اليهِ بالتمام . فانَّهم قبل بضع سنــين كانوا يقرأون مثلا ايلغي عوض دونغي ورمان عوض اداد وهلمَّ جرًّا . ولذلك نرى انَّ هؤلاء العلماء قد قرأوا وكتبوا اولًا زمان نيراري وشمشيرمان كل اسماء ملوك اثور المركَّبــة من اداد ونيراري ومن شمشي واداد ثم عدلوا عن رأيهم هــذا الاوَّل فكتبوها اداد نيراري وشمشيداد . ونرى ايضاً انَّ بعض الاسماء يختلفون في قراءَتها من ذلك اسم أُورباو ملك بابل فقرأهُ البعض اوروخ والبعض اورياك وغيرهم اورخام وغــيرهم اورباكاس او اورباكوس او ليكباكاس او رباكاس او اوربابي او اوركور (٣)

ومن خواصّ هذه اللغة على ما قال العلماء ان الاسماء فيها إماَّ مجزومة او مختومة بالرباص . وهذا الرباص يقــابل تنوين الرفع في العربيَّة نحو ܫܪ ܫܪܪܘ اي الملك و ܠܫܢ ܠܫܢܘ اي اللسان و ܟܫܕ ܟܫܕܘ اي الفــاتح الغازي . واماَّ الاسماء المجموعة فهي مختومة اماَّ بالرباص او بالحبــاص او بالف الاطلاق فتقول في

(١) راجع ايضاً المشرق: مج ٩٧٢—٩٧٣

(٢) تاريخ الدول طبعة بيجان . ص ١٦٤

(٣) ماسپيرو: 2 ص ٦١٧ حاشية: ١

ܠܫܢܬܐ اي الالسنة ܠܫܢܬܘ او ܠܫܢܬܝ او ܠܫܢܬܐ وقد اتت ايضاً بعض الاسماء في حال الرفع والجرّ والنصب كما في العربيّة لكنها مختومة بحرف الميم لا بحرف النون. من ذلك ܒܠܬܘܡ ܘܒܠܬܝܡ ܘܒܠܬܡ اي سيّدةٌ وسيّدةٍ وسيّدةً. وهاك جملة قصيرة من الخطّ السماري بموجب ما قرأها هؤلاء العلماء كُتِبت في زمان حموراني ملك بابل اي الفَي سنة قبل السيح. ونكتبها بالحروف الكلدانية الحاليّة

ܚܡܘܪܒܝ ܫܪ ܕܢܢ ܫܪ ܒܒܝܠܐ ܫܪ ܟܒܪܬܐ

ܐܪܒܥ ܒܢܐ ܒܝܬ ܝܘܡ ܒܝܬ ܫܡܫ (١)

ومعناها حمورابي الملك القدير ملك بابل ملك الاقطـار الاربعة بنى بيت اليوم بيت الشمس

وقد سمّى علماء الافرنج هذه اللغة اثورية وذهب بعضهم انهُ قبل انتشارها كانت شائعة في كلدو بين قبائل لا تنتمي الى سام لغـة اخرى سمّوها سومريّة. ومنها اخذ الكلدان خطّهم السماري وعدّة الفاظ وتعابير وغيرهم لا يسلمون بوجود هذه اللغة السومريّة (٢) والله اعلم

وكان في كل مدينة من مدن الكلدانيين والاثوريين مكتبة تحوي كتباً شتى في الآداب والعلوم والصنائع والتواريخ. واشهر مكتبة وصلتنا بقايا كتبها هي مكتبة نينوى وكان منشئها اسوربانيبـال الملك. فانهُ استجلب من مكاتب بابل وغيرها كل الكتب القديمة واستنسخها ووضعها في نينوى. وقد كان اكتشاف هذا الكنز الثمين في قوينجق بازاء الموصل بين اخربة نينوى (٣)

وقد انتقلت آداب الكلدان الى اغلب الشعوب المعروفة حينئذ. والدليل على ذلك الآثار المكتشف عليها في تلّ العمارنة في الصعيد سنة ١٨٨٨ وهي صنـاديق خشب مملوءة من قطع الاجر مكتوب عليها الكتابات السماريّة البابليّة. وتشتمـل على سجلّات الدولة المصرية على ايام امينوفيس الرابع وابيـه امينوفيس الثالث.

---

(١) اللغة الاثورية تأليف ميان ١٨٨٠ ص ٣١٣

(٢) راجع كتاب مينان في لغات ايران واثور المفقودة: باريس سنة ١٨٨٦ ص ٣٢٥—٣٤٠

(٣) المشرق: ٥ ص ١٨٦—١٨٧

الذي عاش قبل موسى النبي وهي مجموع مراسلات وُجهت الى فراعنة مصر وتُقسم الى قسمين: رسائل امراء اسيا وملوكها الغير الخاضعين لمصر كالحيثيين وملوك بابل واثور. ورسالات ارسلهـا اليهم ولاة وامراء عديدون من سوريا وفلسطين . ولقد تعجّب العلماء كيف دخلت اللغة الكلدانية في سجلّات ملوك مصر. فذهب قوم ان اللغة الكلدانية كانت في ذلك الزمان اللغة الرسمية بين الدول الشرقيّـة كما نرى اللغة الفرنسيّـة في ايامنا . وذهب غيرهم ان اهل الولايات الشاميّة في ذلك الزمان كانوا يتكلّمون باللغة الكلدانية (١)

الفصل الخامس

الهيئة الاجتماعيّة

قال لنورمان (٢) من العجب العجاب تلك الالفة المكينة بين اعضاء عائلة او عشيرة اثورية كانت او بابلية فان اولئك الاعضاء كانوا يتّحدون اسماً وجسماً ويصيرون يداً واحدة ليلزموا الغير على احترام عهودهم واشخاصهم من العبـد حتى الرئيس

وكانوا يبنون البيوت ثلاثة اقسام . قسم يختصّ بسكنى النساء وقسم موقوف للرجال والقسم الثالث للعبيد والجواري والمطبخ (٣)

وكانوا اذا عمدوا الى الأكل وضعوا الصينيّة على كرسي وقعدوا حواليها متربّعين مثل العرب وقد طووا ارجلهم تحتهم .ومنهم من كان يأكل على مائدة عالية ويجلس على كرسي مثل الافرنج وهو يتناول الأكل بالملقط والملعقة (٤)

وفي غير ساعات الأكل اذا جالسوا صديقاً جلسوا على سرير او على كرسيّ . يوجد في دار الانتيكات في لندن صورة ملكة اثوريّة وهي قطعـة من حيطان قصر الملك اسوربانيبال . فترى هذا الملك جالساً متكئاً على وسادة ناعمة ماسكاً بيده الواحدة زهرةً ورافعاً بيده الاخرى كاساً ليشرب والملكة جالسـة بازائه على

---

(١) راجع المشرق: ج ٧٨٦

(٢) لنورمان: ج ٦ ٨٦–٨٧ (٣) ص: ٢٨ (٤) ص: ١٣٠

كرسي ذي مسند للظهر ورجلاها على اسكملة وماسكة بيدها اليمنى مروحة وبيدها اليسرى كأساً للشرب وفي اذنيها اقراط كبيرة وفي رقبتها طوق من الحجارة الكريمة وحواليها جوارٍ مهتمات بخدمتها (١) . واما زيّ الاثوريين والكلدانيين فهو فاخر جليل فكانوا يلبسون كتونةً من كتان تنزل على ارجلهم وفوقها كتونة اخرى من صوف تغطّيها عباءَة بيضاء . ويعتنون كل الاعتناء باللحية وبشعر الرأس . فكانوا يتركون الشعر ينبت ثم يجدلونهُ جدلات عديدة دقيقة غريبة الشكل واحيانا ينظمونهُ لؤلؤا او حلقات من ذهب او يعلقون باطرافه سلاسل رفيعة من ذهب او فضّة (٢) ويعقدون على رأسهم تاجاً ظريفاً يشبه التاج الذي يلبسهُ الاساقفة الكاثوليكيون . وكانوا يجعلون القرط في آذانهم والاساور في ذراعهم . وكان لكلٍّ منهم في اصبعه خاتم من ذهب او من فضة او من حجارة كريمة او من نحاس . واما الطوق فهو من افخر ملابسهم وكان يتقلّدهُ الملك والوجهاء واكابر الدولة (٣)

وكانت النساء يتركن رؤوسهنّ بلا غطاء ويسدلن الشعر على الاكتاف او يسترنهُ بغطاء طويل ينزل الى الظهر . وكانت نساء العامة يقضين زمانهنّ في الدكاكين والمخازن . ويَجلن في الازقة بحرّية مكشوفات الوجه لقضاء امور بيتهنّ او لاجراء وظيفتهنّ . اما نساء الخاصّة فلا يخرجن من البيت الّا نادرًا . وذلك الذهاب الى الهيكل للصلوة او لزيارة رفيقاتهنّ . ولا يخرجن وحدهنّ بل يحتاط بهنّ عبيد وجوار ويلبسن برقعاً يغطّي وجههنّ وجسمهنّ (٤)

وكان تعدّد النساء مباحاً عند الاثوريين والكلدان وكان عندهم الطلاق ايضاً . والمرأة العاقر كانت مبغوضة عندهم ويتّخذونها ملعونة بها شيطان . فكانوا اغلب الاوقات يخرجونها من البيت كانها نجسة

وكان العبيد لا يحصون في اثور وكلدو . وهم الأسرى الذين كان الملوك يجلبونهم في كل سنة اثر انتصاراتهم . او الكلدان انفسهم الذين من اجل ذنوبهم سقطوا من الحقوق المدنيّة . وكان في كلٍّ من المدن محلّ خصوصيّ لبيع العبيد . وكانت

---

(١) راجع المشرق : ٧ ٦٤٧ (٢) لنورمان : ٧ ١٢٨ المشرق : ج ١٠٢٥

(٣) ليار : الآثار ٢ : ١٠ (٤) ماسبرو : ص ١٥٩ - ١٦٠

شريعتهم تسمح لهم ان يتزوَّجوا البنات الاسيرات . وكانوا يعاملون العبيد معاملة سيئة من ذلك انهم يعلّقون في رقابهم قطعة اسطوانية الشكل مكتوب فيها اسم العبد واسم سيّده حتى اذا هرب العبد استردّه الحال صاحبه . ومع ذلك فكان بعض العبيد على احسن حال في بعض العائلات . وكانوا يحرّرون انفسهم بدفعهم مبلغاً من الدراهم

وكان للكلدانيين والاثوريين منذ قديم الزمان قوانين متقنة لسياسة الرعيَّة . وكفاك شاهدًا شرائع الملك حمورابي الذي يغني ذكرُهُ عن وصفهِ . انَّ هذا الملك عاش في الجيل الثالث والعشرين قبل المسيح وهو من اشهر ملوك الكلدان كما سترى في محله . فجمع كل الشرائع التي كان قد وضعها الملوك سلفاؤهُ في كتاب يُعرَف باسمه ولا بُدَّ من انهُ اضاف عليها ايضاً . والكتاب يشتمل على مائتين واثنين وثمانين فصلًا في الحقّ المدنيّ وفي وظائف القضاة وسائر المأمورين وفي مجازاتهم . فالقاضي اذا خالف الشريعة عوقب امَّا بالجزاء النقدي وامَّا بالعزل وامَّا بالقتل بموجب خفَّة او جسامة جرمه . وجميع المسائل المختصة باستئجار الاراضي وسقيها ومرعى المواشي وغيرها وتجاوز الحقوق الشخصيَّة حتى التعدّي على الحيوانات فهذه مذكورة كلها مع بيان ما يترتَّب عليها من الاحكام . وباقي الواد منها متعلّقة بالتجارة البحرية واجرة القوارب واستئجار الاشخاص والدواب لفلاحة الاراضي او للتجارة او للصنائع وغيرها . ومنها مختصَّة بالامور البيتيَة كالزواج وحقوق المرأة والرجل والاولاد بعضهم مع بعض وتقسيم الوراثة وحالة العبيد والجواري وغير ذلك . ومنها تبحث عن وظيفة الاطبَّاء والبنَّائين وعن اجرتهم . ومسئوليَّتهم وقد استُخرِجت هذه الشريعة من بطن الارض في مدينة شوشان عاصمة بلاد العيلاميين . وقد قضى منها العجب جميع علماء اوروبا وترجموها الى لغات شتَّى(١)

(١) راجع ترجمة الاب شيل الفرنسيَّة : شريعة حمورابي الطبعة الثالثة باريس: ١٩٠٥ (ص ٨٠)

الكتاب الثاني

في اخبار الكلدان (٤٠٠٠—٦٤٨)

الباب الاول

في اوائل الكلدان

الفصل الاول

اخبار الكلدان المعروفة بالوهمية — الملوك قبل الطوفان — الطوفان — اوّل دولة قامت في العالم — نمرود الجبّار — قصة كُلكامُوس

من اخبار الكلدان الشبيهة باخبار التوراة انهُ صار لهم قبل الطوفان عشرة ملوك (١) أوّلهم ألور وانتخبته الآلهة نفسها ليرعى الشعب (٢) وملك عشرة دارات اي ستة وثلاثين الف سنــة لانّ الدار (٣) عندهم ثلاثة الآف وستمائة سنة. والثاني الآقار وحكم ثلاثة دارات. والثالث أميلار او أميلاون وملك ثلاثة عشر دارًا. والرابع أمّون وتسلّط اثني عشر دارًا. والخامس أميلاكار وملك ثمانية عشر دارًا. والسادس داب وجلس على سرير الملك عشرة دارات. والسابع أدُورناخ وقام بالملك ثمانية عشر دارًا. والثامن أميمسين ومدّته عشرة دارات. والتاسع أُوبارت واستقرّ لهُ الامر عشرة دارات. والعاشر شيشيت (٤) ودام ملكه ثمانية عشر دارًا. وقُرِئَ اسمه في الآثار شَمِشنَپِشتِم(٥) او سِتنَپِشتِم (٦) وفي ايامه حدث الطوفان لمّا كثرت الشرور بين الناس قصد بيل الإله ان يمحو الانسان من على وجه الارض بطوفان المياه. فظهر لشيشيت وقال لهُ ان يبني سفينةً ويترك الاموال والاملاك فيخلّص حياته وان يضع في السفينة زرع حياة جميع الكائنات ويدفن الكتب المقدّسة في

---

(١) راجع بيروس طبعة لنورمان (٢) لعلّهُ هابيل المذكور في التوراة وهو ايضًا كان راعيًا (٣) انّ هذه اللفظة مكتوبة سار في بيروس ولعلّها تحريف ܕܳܪܳܐ ومعناها الدهر والجيل (٤) هذا الاسم مكتوب في اليونانية كيسطروس. وامّا شيشيت فيقرب لفظًا من شيث بن آدم (٥) ان هذا الاسم مشتقّ من ܫܡܫܐ ܕܦܘܪܩܢܐ اي شمس الحيوة او شمس الخلاص (٦) الظاهر ان هذا الاسم مركّب من ܐܣ ܦܘܪܩܢܐ إسّ الخلاص

مدينة سيبار . فاطاع شيشيت امر بيل وبنى سفينةً وادخل فيها كلَّ نوع من الطيور والحيوانات الوحشيَّة والاهليَّة . وامره شمشا الآله ان يدخل السفينــة ويغلق عليه الباب حالما يرى مسآء إله المطر يُنزِل السيول العرمرم فذات مسآء هطلت الامطار شديدًا وللحال دخل شيشيت السفينة هو وكلّ افراد عائلتــه ودخل ايضاً معهُ بوزربيل الربّان ليقود السفينة

ولمّا اصبحت ظهر غيم اسود في السماء وبدأ اداد الإله يرعد في وسط السحابة ونابو ومرودخ تقدّما كحامليَ العرش على الجبــال والسهول ونركيل اثار الزوبعة فصارت الارض مثل بحيرة وهطلت الامطار والزوابع ستة ايام . وفي صباح اليوم السابع انقطعت وفتح شيشيت الشباك فرأى الارض كلّها غامرة في المياه فبدأ يبــكي بــكاء مرًّا

واستقرّت السفينة على جبل قردو في بلاد نيزير (١) وبعد ستة ايام اطلق شيشيت حمامةً فلم تجد موضعاً تستقرّ عليه فرجعت ثم بعث السنونو فطارت وعادت هي ايضاً ثمّ اطلق غرابا فلما رأى الغراب ان المياه غاضت رجع الى السفينة ناعقاً ومصفّقًا بجناحيه ثمّ غاب ولم يرجع وحينئذ اخرج شيشيت الحيوانات وقرّب قربانا وبنى مذبحًا فصعدت رائحة الذبيحة الى السماء فاتى الآلهة كلّهم وفرحوا بسلامة الانسان ما عدا بيل فانّهُ اراد ان يمحو الذين كانوا في السفينة ايضاً . لكنَّ شيشيت بتوسلاته سكّن غضبه . فدخل بيل السفينة ومسك بيد شيشيت واخرجه خارجاً ثمّ اخرج ايضاً امرأتهُ واجلسها جانبه ورفعها وذهب بهما الى مكان بعيد اي الى مصبّ الانهر . وهناك تألّها ففتَّش عليهما الباقون في السفينة واذا بصوت من السماء يامرهم ان يتّقوا الآلهة فانَّ شيشيت مكافاة لتقواه ذهب ليسكن مع الآلهة هو وامرأته وابنته والربّان بوزربيل . ثمّ انَّ الصوت المذكور امرهم ان يرجعوا الى بابل ويخرجوا الكتب المدفونة لكي تتداول بين ايدي الناس . فلمّا سمعوا هــذا الصوت قرّبوا قرابين للآلهــة ثمَّ انطلقوا الى بابل واخرجوا الكتب المطمورة في مدينــة سيبار وكتبوا كتباً كثيرة وبنوا هياكل وأسّسوا بابل الجديدة .

وتكاثر نسلهم وكانوا يتكلمون قاطبةً بلسان واحد وحملتهم الكبرياء على ان

---

(١) جبل جودي الحاليّ

يرذلوا الآلهة بل ان يحسبوا انفسهم اعظم منها فاقاموا لهم في بابل برجاً عالياً وكاد يناطح السماء. فارسلت الآلهة ريحاً شديدة هدمت البرج وبلبلت السنتهم (١)

واول دولة قامت في العالم من بعد الطوفان وتبلبل الالسنة كانت كلدانية. وقال المؤرخ بيروس الكلداني انها قامت بستة وثمانين ملكاً ومدتها ٣٤٠٨٠ سنة وعن رواية اخرى لم يقم فيها الا سبعة ملوك ومدتهم ٢٢٥ سنة وأولهم أوخ وهو اوّل من نصب صنماً وعبده وسنّ عبادتهُ في رعيته وقام بعده خوماسبيل فتالّه في قومه وعبدوه. ثمّ ملك پور ونخوب ونابي وحبيبيل وزنزير (٢)

وعلى رواية تيادور بركوني (٣) انّ هذه الدولة قامت بعشرة ملوك وهم: نمرود وفالبـاطور وشمكّار وأول وأشليمون واحليمـون وشمشرون ولَستير وأحليمون الثاني وكمنكوس وأوكر وكلكاموس

وعلى ما تذكر التوراة (٤) انّ اول من ملك في هذه الدولة كان نمرود بن كوش بن حام. وكان اول ملكه يشتمل على اربع مدن وهي بابل وآرك واكاد وكلنه وكان جبارًا قانصاً قدام الربّ ومن اجل ذلك يقال مثلاً: «كنمرود جبار صيد قدام الربّ.» ويوجد احاديث كثيرة عن نمرود. فاتى عنهُ عند اليهود انّهُ كان ملكا ظالماً عاتياً على الله وانّهُ هو الـذي بنى برج بابل والعرب تقول عنهُ انّهُ القى ابراهيم الخليل في آتون النار وهو عندهم مثال الظلم فيقولون اظلم من نمرود. وقيل ايضاً عنهُ انّهُ اراد ان يصعد الى السماء وهو راكب على ظهر نسر وقد اتى عنهُ في تقليد الكلدان النصارى (٥) انّهُ ملك تسعاً وستين سنة وان سيسان الحائك عمل لهُ تاجاً على شبه التاج الذي رأى صورتهُ في السماء ومن اجل ذلك كان يقال: «من السماء نزل التاج» وانّهُ رأى نارًا تخرج من الارض فسجد لها. وانّهُ وصل الى بحيرة أطوس فصادف هناك يوناطون بن نوح. وعلّمه يوناطون الحكمة وسفر الرؤيا اي علم الفلك ونُسِب الى نمرود اشياء كثيرة أُضيفت الى اسمه منها مدينة نمرود وبرج نمرود وجبل نمرود وتماثيل نمرود الى غير ذلك

---

(١) بيروس: البقية ١٧ و١٨ (٢) بيروس في مُولّر

(٣) كتاب اسكوليون تيادور بركوني طبعة ادي شير ١ ١١٧ (٤) التكوين: ١٠: ٨ و٩ (٥) راجع كتاب مغارة الكنوز

انّ اكثر الاعمال المنسوبة الى نمرود نسبها الكلدان الى كلكاموس فيستنتج العلماء من ذلك انّ كلكاموس هو نمرود نفسه فانهُ قيل عنهُ انهُ كان جبّارًا وقتل سباعاً كثيرة واعلم انّ كاتباً مجهول الاسم في الجيل الثالث والعشرين قبل المسيح كتب قصتهُ في ميمر مقسوم الى اثني عشر فصلًا وقد وُجد عدّة نسخ من هذه القصائد الطويلة ولكن فيها نواقص كثيرة وهاك خلاصتها (١) كان كلكاموس ملكاً على اوروك وكان جبّارًا ذا حسن فريد من حفدَة شيشيت او سِتنَپِشتِم الذي في ايامهِ صار الطوفان وكان الإله شمشا قد اخذه تحت حمايته وجعل وحشاً اسمهُ حَباني ان يلازمه وكان لحباني قرنان مثل العنزة وقوائم وذنب كقوائم وذنب الثور وفي تلك الأثناء اغار خومبابا ملك عيلام على كلدو واراد ان يخربها فحمل عليه كلكاموس وحباني وقطعا رأسهُ ولمّا رأت الإلهة إستارا ما هو عليه كلكاموس من الجمال والباس والقوّة كلفت به. فانكر عليها البطل ذلك فغضبت عليه وخلقت سبعاً مخيفاً فاتى والقى الرعبة في قلوب سكّان اوروك فحمل عليهِ كلكاموس وحباني وقتلاه فاشتدّ غضب إستــارا وضربت كلكاموس بالبرص فقصد جدّهُ شيشيت لكي يشفيه من مرضه وكان الطريق مخطرًا جدًّا وكل من سلكه هلك فرافقه حباني وقتلا على الطريق نمرًا ولكنّ النمر جرح حباني فمات وواصل كلكاموس طريقه وبعد اخطار ومشقّات كثيرة وصل الى ساحل الاوقيانوس فحمل سفينة وركبهــا مع ربّان وبعد اربعين يوماً وصل الجزيرة السعيدة. وكان شيشيت واقفاً على الساحل. فرحّب به وشفاه من مرضه وقصّ عليهِ قصة الطوفان

الفصل الثاني

اخبار الكلدان الصحيحة منذ سنة ٤٠٠٠ ق م — ملوك كيشحو ولاكاش — شركينا الاوّل وتسلّطــهُ على كلدو واثور وسوريا — ابنيته — ابنــه نارمسين وفتوحاته — ماوك لاكاش — أورشمشا ملك أور وابنيتــه الجسيمة — ابنهُ ايلغي وفتوحاته — كنكثوم امير نيپور — بورسين الثاني وخلفاؤهُ

---

(١) راجع ١ ارميا: إيسدوبار نمرود سنة ١٨٩١

من بعد الجيل الاربعين قبل المسيح وصلت الينا بعض اخبار الكلدان مدوّنة في الآثار المستخرجة من بطن الارض

وقد سبق القول ان كلدو كانت منذ القديم منقسمة الى قسمين وهما شومير في الجهة الجنوبيَّة واكاد في الجهة الشماليَّة (١) وكان في كلّ مدينــة من مدن شومير واكاد ملك يسوسها وكان القويّ يستظهر على الضعيف ومن جملة هذه الممالك الصغيرة مملكة اكاد ومملكة بابل ومملكة كوتا ومملكة كيش في كلدو الشماليَّة . ولاكاش واوروك وأور ونيشين ولارسام في كلدو الجنوبية

ملوك كيشحو ولاكاش (٢)

كانت مسافة لاكاش نحو سبعة كيلومترات وكانت مركبة من خمس قرى عظيمة اي أوروزكا وغيشكلا وغيرسو ونينا ولاكاش وغلب هذا الاسم الاخير على الكلّ وكان اسمها القديم زيربورلا . وموقعها كان في المحلّ المسمّى اليوم تلّو وقد نُقلت جميع اثارها الى لوفر في باريس واماً كيشحو فالباتئ انها كانت قريبــة من لاكاش

نحو سنة ٤٠٠٠ ق م كان مانيشتوشو ملكاً في مدينة كيش . وكان ذا ثروة واملاك واسعة وتخلّف بعده ابنه مصليم . وفي أيامه كانت زيربورلا وكيشحو في نزاع شديد من اجل مسألة الحدود فأصلح بينهما مصليم وحفر قناة بين حدود هاتين المدينتين ولكنّ الصلح لم يدم بينهما كثيرًا فانّ أوش أمير كيشحو اغار على اراضي زيربورلا وضبط قسماً منها . غير انهُ غُلب بعدئذٍ واضطرّ خلفه أناقلي ان يرجّع الاراضي المحتلّة الى أنادو ملك زيربورلا الذي تسلّط ايضاً على كلّ بلاد كلدو الجنوبيَّة وعلى قسم من بلاد عيلام وبعد وفاة أنادو جلس مكانه اخوه انئّادو الاوّل وحمل عليه أورلوما الذي تخلّف بعد اناقلي في كيشحو وطالت الحرب بين كيشحو وزيربورلا . وكانت النصرة لزيربورلا وبقيت كيشحو في حوزتها في أيام انئّادو الثاني وأنليطارزي ولوكالباندا حتى قام لوكالزكيزي ملك كيشحو واستقلّ وجعل أوروك قاعدةً لمملكته واشتهر كثيرًا بفتوحاته واستولى على كلّ البلاد التي بين خليج العجم وبحيرة وان فصارت الرئاسة في كلدو لشومير . لكنها لم تدم كثيرًا حتى انتقلت الى اكاد

---

(١) راجع ص ٣–٥ من هذا الكتاب (٢) ماسبيرو : ١٨٨–١٨٩

ملوك اكاد (١)

نحو سنة ٣٧٨٠ ظهر في مدينة اكاد شركينـا الاول (٢) واسم ابيهِ ايثبيل. والباثن انهُ لم يكن ملكاً ولم يكن شركينـا يملك في اول الامر الّا على اكاد. ثم استولى على بابل وسِپَّارا وكيش ونيپور . وتسلَّط ايضاً على كل مدن كلـدو الجنوبيـة. ثم افتتح بلاد اثور والحيثيين وسوريا وفونيقي. واغار ايضاً على ماكان في بلاد العرب

ان شركينا لم يشتهر فقط في فتوحاته بل اشتهر ايضاً في بناء الهياكل والقصور. فبنى هيكلَين فاخرَين في اكاد وفي نيپور اكراماً لبيل الإله وشيَّـد ايضاً قصرًا في بابل صار فيما بعد مقبرةً للملوك. وعمَّر مدينة سمَّاها دور شركينا (٣)

ويُروى عن شركينـا روايات مشوّهة بالاوهام. وهاك ما وُجد مكتوباً على تمثاله: « انا هو شركينا الملك القويّ ملك اكاد . كانت امّي دنيئـة الاصل وابي مجهول الاسم. وكان اخو ابي يعيش في الجبال. انَّ اصلي من مدينـة ازوپيرانو على ساحل الفرات. وهناك حبلت بي امي وولدتني خفية ووضعتني في قفَّـة من البرديّ مطليَّةٍ بالزفت والقتني في النهر . ولم تصل اليَّ المياه وذهب بي النهر الى أَقي السقَّاء فترّحم عليَّ. أَقي السقاء ربَّاني مثل ابنه. أَقي السقَّاء جعلني بستـانيًا وفي صنعتي هذه نظرت اليَّ إستارا بعين المحبة. وملكتُ مدَّة اربع واربعين سنة »

وخلفهُ ابنهُ نَارَمسين نحو سنة ٣٧٥٠ وكان يشبه أباهُ في مناقبه وحزمه وبأسه واخضع العيلاميين الذين عصوا عليهِ. وفتح مدينة بيراق على ساحل الفرات وقتـل ملكها ريشهداد واستأسر سكَّانهـا . وخرج ايضاً على ماكان وانتصر على الملك مانيوم لا بل قيل عنهُ انهُ اغار ايضاً على بلاد مصر وافتتحها ورجع بالغنائم الوافرة. ومن آثارهِ حجر منقوشة عليهِ محاربتـه مع سكَّان جبل زكْرا (٤) وهو منقضّ على

(١) ماسيبرو ص ١٨٩–١٩١ (٢) لُقِّب بالاول لتمييزه من شركينا الثاني ملك اثور ومعنى شركينا: الملك العادل (ܫܪܟܝܢ ܟܐܢ)

(٣) انَّ شركينا الثاني ايضاً بنى مدينة سمَّاها باسمه. غير ان مدينة شركينا الاول كانت في بلاد الكلدان ومدينة شركينا الثاني كانت في اثور كماسياتيك

(٤) انَّ سلسلة الجبال الفاصلة بين اثور ومادي كانت تُسمَّى زكْروس او زكْرا وتدعى

ملكهم وجيوشه تتسلّق الجبل كاسحةً كلّ ما يأتي امامهــا . وكان نارَمسين مولعاً بالبناء مثـل ابيهِ شركينا وبنى هياكل في نيپور واكاد وسِپارا وما بقي من آثاره يدلّ على طول باع الكلدان في ذلك الزمان بصناعة النقش في الحجر

في من بقي من ملوك لاكَاش وامرائها (١)

ومن ملوك لاكُاش الواصلة الينا اسماؤهم في الآثار اوروكاغينا . وكان ملكه نحو سنة ٣٢٠٠ وبنى ورمّم هياكل كثيرة وحفر قناة في نينا . وملك بعده كُورشار ونينيكُلدو وأورنينا . وبنى أورنينا هياكل كثيرة اكراما للآلهة ووهب لها آنية فاخرة وجلب للبناء خشبا كثيرا من بلاد ماكَان (٢) وقد وصلت الينا صورته وصورة اولاده منقوشة على حجر . وحذا حذوه ابنه اقوركُل في بناء الهياكل . لكن حفيده إيدنغيراعين اشتهر في الحروب ودخل بلاد عيلام وانتصر على جيوش بلد يزدان . وصُور انتصاراته المنقوشة على الاحجار نُقِلت الى باريس وهي ليست متقنة . ومن هذا يظهر انّ صنّاع لاكاش لم يكونوا بارعين بصناعة النقش والحفر كسائر اخوتهم الكلدان

ومن بعد إيدنغيراعين انحطّ شأن ملوك لاكاش وصاروا خاضعــين لملوك أور ولهذا لُقّبوا بالامراء . ومن الذين وصلت الينا اسماؤهم : إنَناتوما الاول وابنه إنتينا وإنَنّاتوما الثاني (٣) وأرناو وابنهُ كُدعا . واشتهر هذا الاخير كثيرا وحمل بامر ملك أور على بلاد عيلام وافتتح مدينة أنشان . واشتهر خاصّة بالابنيــة الكثيرة العجيبة التي شيّدها . وجلب لذلك صوّانا وخشبا ونحاساً من جبـل لبنان ومن بلد ماكَان . وكثير من آثاره كالتماثيل والعُمد والآجر والاحجار المنقوشة موجودة الان

اليوم طاق او اياق طاغ (طالع شرفنامه ترجمة شارموا : ٢ : ٢٩ و ٣٠٠)

(١) ماسپيرو ٢ : ٦٠٤—٦١٣ (٢) شبه جزيرة سيناء

(٣) انّ ماسپيرو في تواريخ الشرق القديمة (طالع ص : ٣٣ من هذا الكتاب) يذكر بين ملوك لاكاش أنادو واَنّادو الاول واَنّادو الثاني ويقول عنهم انهم عاشوا قبل سنة ٣٢٠٠ التي فيها ملك اوركاغينا . ثم في كتابه في مصر وكلدو يذكر بين خلفاء اوركاغينا : اِنناتوما الاول وانتينا واَنّاتوما الثاني . فيظهر لي ان المستشرقين لم يقدروا ان يقرأوا جيّدًا هذه الاسماء فاضحـا تشبه لفظاً بعضها بعضاً . فلعلّ انادو هو عين انتينا واَنّادو واَنّاتوما هما شخص واحد



نارمسين الاوّل ملك الكلدان



مرودخنادنخا ملك الكلدان (انظر صحيفة ٣٧)

في متحف الآثار في باريس. وخلفهُ ابنه اورنينغيرشو ثم كَلَالا

ملوك أُور (١)

انَّ موقع أُور او أُورو على ساحل الفرات في المكان الـذي يقال لهُ الآن المكيّر وذلك بقرب ملتقى النهرين الدجلة والفرات وسبب تسميتهـا بأور اي الضوء (٢) لكونها مقام الكهنة ومركز الدين وفيها من الهياكل ما لا نظير لهُ سعة واتقانا. وهي التي دُعي منها ابرهيم ابو الآباء (٣) وكانت مركز التجارة برًّا ونهرًا واستولت مدَّة اجيال كثيرة على جميع الممالك الصغيرة الكلدانيَّة الجنوبيَّة

وكان مؤسّس مملكة أُور الملك أُورشمشا (٤) وذلك في سنة ٣٠٠٠ او ٢٩٠٠ ويستفاد من بقايا مدينة أُور انَّهُ هو الذي بنى سورها وشيّد فيها الزِّقّرتا العظيمة التي ذهب بعض الناس الى انها برج البلبلة وبنى ايضاً لسكناه قصرًا جليلًا لا تزال جدرانهُ ماثلة لهذا اليوم وعلى احدها صورةٌ تشخّصه وليس من ذلك العهد صورة ابدع منها صنعا (٥) وشيَّد ايضا زقّرتات في لارسام وأوروك ونيپور وسِبّارا وغيرها وما كان فيها من العظمة والكبر يحيّر العقول واعظمهـا كانت زقّرتا أُوروك وانقاضها باقية الى يومنا هذا وهي تلّ سمككه نحو سبعين مترا وعلوه نحو خمس وثلاثين وقد قُدِّر انهُ التزم لبنائها اكثر من ثلاثين مليون آجرّة (٦) واماَّ مملكة اورشمشا فكانت تشمل كلّ بلاد الكلدان واعظم قسم من عيلام وكانت مدينة شوشان قد بقيت في حكم الكلدان منذ ايام الملك نارَمسين

ومن بعد وفاة اورشمشا (٧) جلس مكانه ابنه دونغي او ايلغي. وكان هو

---

(١) ماسبيرو ܐ: ٦١٣–٦١٩ (٢) من ܐܘܪܐ (٣) تكوين: ܝܐ ٣١

(٤) انَّ هذا الاسم يقرأهُ العلماء على انواع مختلفة: اوروخ او اورياك او اورباكا او اورباو او اورانكور او اورخاموس الخ. (ماسبيرو ܐ: ص ٦١٧) وقد فضلنا هذا الاسم الاخير ومعناه ضوء الشمس ܐܘܪ ܫܡܫܐ راجع ما كتبناه عن قلم الكلدان والحرف المسماري وجه ١٤

(٥) جميل مدوّر. تاريخ بابل واشور: ص ٦٦–٦٧ (٦) ماسبيرو ص: ١٩٢

(٧) ماسبيرو: ١٩٤ و ܝܐ: ٦١٧–٦١٩

ايضاً نظير ابيه مغرماً بالبناء ومما نعرف عنهُ انهُ نهب بابل وكان يحكم على عيلام ايضاً واما اخبار خلفائه فهي غائصة في ظلمة دامسة والظاهر ان مملكة أور تقسمت في ايامهم الى اقسام شتى منها مملكة أمانو وكانت قاعدتها مدينة أوروك وقد وصل الينا اسماء ثلاثة من ملوكها سينكشيد وسينكميل وبيلبوخي ومع ذلك لم تزل الرئاسة لمدينة أور وكلّ من اراد ان يصير ملكا على شومير واكاد كان يلبس التاج في اور كما فعل نحو سنة ٢٥٠٠ ليبيتتونيت وكاميلدار وايندين وبورسين الاول واشميداكان ملوك نيشين. ونحو سنة ٢٤٠٠ استولى على اور كنكونوم امير نيبور واشتهر خلفاؤه كثيرا بفتوحاتهم ووصلوا بغزواتهم الى بلاد سوريا فمنهم بورسين الثاني وإنسين وكاملسين ثم نحو سنة ٢٣٠٠ صارت الرئاسة لامرآء لارسام والاكثر شهرة فيهم نوراداد وابنه سينديِنام وهذا الاخير بنى ورمم هياكل كثيرة ونظف وحفر القنوات

هذا ما قدر العلماء ان يعرفوه حتى الان عن تواريخ كلدو القديمة وهو لعمري لا يعطينا الاّ تصوّرًا مبهما عن اجدادنا الاوّلين ونؤمل انَ المستشرقين يستخرجون بعد آثارًا أُخرى منها نقف تماماً على تواريخ هذه المّلة الشهيرة القديمة

الباب الثاني

دولة الكلدان العظمى الاولى (٢٤١٦-٦٤٨)

الفصل الاول

وصف بابل — ملوك بابل الاولون — استيلاء مالك عيلام على كلدو — غارة كردلاعمار ملك عيلام على سوريا — كوتورمابوغ مالك يموتبال وابنه ريمسين — حموراپي ملك بابل وقهره العيلاميين — فتوحاته — شريعته — ابنيته — قهر شمشوايلونا العيلاميين

ان مدينة بابل كانت اعظم مدن آسيا وابعدها ذكرًا وارفعها علماً واوسعها ظلّاً واكثرها ثروةً وعمراناً وامنعها عزّةَ وسلطانا صحبت الملوك دهرا طويلاً وتقلبت في الخصب والدولة امدًا مديدًا حتى لم يكن لها مثيل في جميع المدن التي تقدمتها

في تاريخ العمران وفي تسميتها ببابل اقوال اشهرها انها انما سمّيت بذلك اخذًا من بلبلة الالسنة فيها على ما ورد في سفر التكوين(١) وفي رواية ان قوماً من الاقدمين بنوا هناك هيكلًا يجلسون ببابه لقضاء دعاويهم وفضّ خصوماتهم فسمّيت المدينة بابل واصلها على هذا باب ايل اي باب الله (٢)

ولم تكن بابل في اول الامر عاصمةً للملك ولا معتبرة من المدن الخطيرة كما تدلّ عليه الآثار التي كُشفت في عصرنا هذا ثمّ ضرب الدهر ضرباته وافضت نوبة الملك اليها في سياق غير معلوم فبلغت من العظمة والشهرة وسموّ المنزلة ما لم تبلغ اليهِ غيرها من بقيَّة المدن وجرى فيها من الاعمال العظيمة والانشاءات الجسيمة ما لم يجر في سواها وتحاشدت اليها الجبايات والارزاق وامتدت اليها اسباب التجارات من كلّ اوب واتسع فيها نطاق الثروة والغنى حتى لُقِبت بمدينة الذهب (٣)

انَّ ملوك بابل كانوا في اول الامر تارةً مستقلّين وتارةً خاضعين لملوك مدن كلدو الاخرى ولا سيما لملوك اكاد وقد سبق الكلام عن ملوكها الأَولين (٤) وعن اخبارهم الغائصة في الظلام٠ وفي نهاية القرن الخامس والعشرين قبل المسيح قامت في بابل دولة بابليَّة (٥) وأَول ملوكها سوموأَبيم (٢٤١٦—٢٣٨٥) (٦) وحكم احدى وثلاثين سنة٠ وقد وصل الينا بعض المعاهدات التي صارت بايامه٠ وقام بعدهُ سوموﻻلو (٢٣٨٥—٢٣٧٠) وملك ١٥ سنة٠ ثم ابنهُ زابوم (٢٣٧٠—٢٣٣٥) ثم أَمِلسين (٢٣٣٥—٢٣١٧) ثم سينموبليت (٢٣١٧—٢٢٨٧) وفي ذاك الزمان اي نحو سنة ٢٢٩٥ اخضع كوتورناحونتا ملك عيلام كلّ بلاد الكلدان لسطوتهِ٠

انَ بلاد عيلام كانت بازآء بلاد الكلدان على الجانب الشرقي من دجلة٠ وكانت تمتدُّ الى بلاد مادي٠ وقاعدة عيلام مدينة شوشان المشهورة امَّا اداب العيلاميّين وصنائعهم فكانت تحاكي آداب الكلدان وصنائعهم٠ فاغار كوتورناحونتا على كلدو واستولى عليها٠ وخضعت لهُ بابل ايضاً٠ ونهب تماثيل الآلهة منها تمثال

---

(١) التكوين: ﻫـ (٢) جميل مدوَّر ص: ١٢—١٣ راجع ايضاً ص: ٥ من هذا الكتاب (٣) جميل مدوَّر ص: ١٤ (٤) طالع ص : ٢١ من هذا التاريخ (٥) سميث: مراسلات جمعية الآثار الكتابيَّة: ج ٣٦٥—٣٦٦

(٦) ان تاريخ جلوس ووفاة هؤلاء الملوك ليس بعد محققاً ثابتاً

الإلهة نانا شفيعة مدينة اوروك ووضعها في احد هياكل شوشان (١)

وتخلّف بعد كوتورناحونتا في شوشان (٢) سيمتيشلخاك ثم كُرد لاعمار · فالاوّل منهما ولّى ابنهُ كوتورمابوغ على يموتبال في عيلام · واشتهر كثيرًا كوتورمابوغ وقيل عنهُ في الآثار انهُ ذهب بفتوحاته الى بلاد سوريا واستولى عليها · ومّما يثبت هذا الامر ما اتى في سفر التكوين عن اغارة كُرد لا عمار ملك عيلام على بلاد كنعان او سوريا فلا بدَّ من ان كوتورمابوغ باسم سلطانه كُرد لا عمار افتتح تلك البلاد · وهاك ما ذكرت التوراة عن هذه الغزوة · (٣) انَّ كُرد لا عمار ملك عيلام والملوك اتباعه اي آمرفيل (٤) ملك سنعار وآريوخ ملك ألاسار (٥) وترعيل ملك الكُوتيين (٦) اغـاروا على سوريا وانتصروا على بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك ادمة وشِمايبر ملك صبوايم وعلى ملك بارع · وأدى لهُ الجزية هولآء الملوك مدّة اثنتي عشرة سنة · وفي السنة الثالثة عشرة عصوا عليه · فحمل عليهم كُرد لا عمار في السنة الرابعة عشرة ونهب مدنهم

قد سبق القول ان سِمتشلخاك ولّى ابنهُ كوتورمابوغ على يموتبال · وكان في تلك الاثناء سيندتّام مالكاً على مدينة اور · فخلع هذا الملك طاعة العيلاميين · فحمل عليهِ كوتورمابوغ وانزله عن الكرسيّ وملّك مكانهُ ريمسين ابنه · ولمّا مات كوتورمابوغ جلس مكانه ابنهُ ريمسين المذكور وتزوَّج بامرأة كلدانية وصار ملكهُ يشتمل على يموتبال وعلى كل بلاد كلدو الجنوبيّة · وعمَّر كلّ المدن والهياكل التي كانت قد خربت · واحسن كثيرًا الى الكهنة واجتذبهم اليهِ ولكن كان الوقت قد حان لأَن يخلع الكلدان عنهم نير العيلاميين

انَّ سينموبليت ملـك بابل كان قد توفي نحو سنة ٢٢٨٧ وجلس مكانه ابنه

---

(١) ماسپيرو: ت ٣٧ (٢) كذا: ٣٨-٣٩

(٣) تكوين: يد (٤) لقد ذهب بعض العلماء ان امرفيل هو حمورابي ملك بابل نفسه (٥) ألاسار هي لارسام · ان هذا الاسم في الترجمة الكلدانية [illegible] مكتوب دَالاسر والظاهر ان الكلدان النصارى كانوا يظنّون ان هذه المدينـة كانت في بيت كَارماي في اطراف كركوك (قصة حزقيال الراهب · وسيرة الشهداء والقديسين طبعة بيجان: ت ص ٣) (٦) بين نهر رادان ونهر ديالة

حمورابي (١) وكان ذا حزم وباس. واراد الاستيلاء على كلدو الجنوبيّة التي كانت بيد العيلاميين. فانتشب القتال بينهُ وبين ريمسين العيلاميّ. وانتصر عليهِ وكسرهُ وهزمه اقبح هزيمة وتتبع حمورابي العدوّ وافتتح جميع الحصون التي تحصن فيها وخرَّبها. فاخضع بلاد الكلدان باسرها لحكمه وضمَّ الى مملكتهِ بلدة اشنوناخ وغيرها ممَّا يلي الجانب الايمن من دجلة وبنى على طول النهر عدَّة حصون منيعة. واشتهر ايضاً بغزوات أُخرى كثيرة ذهبت عنا تفاصيلها. فاصبحت مملكته واسعة جدًّا. فكانت تشتمل على بلاد الكلدان كلها وعلى اثور وقسم من بلاد عيلام وما بين النهرين وبلاد سوريا فبلغت المملكة بايامه اعظم مبلغ من الثروة والترفه وتناهى حالها في المعارف والفنون

وبعد ان استوثق لهُ الامر تماماً صرف عنايته في صالح الجمهور فجمع كلّ الشرائع التي سنّها الملوك سلفآؤه وزاد عليها اشيآء اخرى كثيرة وضمَّنها كلها في كتاب معروف بقانون حمورابي وقد وصل الينا هذا الكتاب النفيس وقد مرَّ ذكرهُ (٢) وكان مغرماً ايضاً ببناء الهياكل فان زقرتا مدينة كيش كانت مائلة الى السقوط فهدمها وبناها من جديد وعلّاها كثيرًا حتى قيل عنها انَّ راسها يصل الى السماء كذلك بنى هيكلًا جليلًا في بابل اكراماً لمردوخ الاله ورفيقته زربانيت وخلاصة الكلام انهُ لم يترك مدينة من مدن مملكتهِ الاَّ وخلف فيها شيئاً من آثاره. واصلح ايضاً القنوات التي بين الدجلة والفرات وحفر قنوات جديدة منها القناة المسمّاة بنهر حمورابي. وقد توفّق اهل البحث الى وجدان آجرّة من جدران هذه القناة قد نقش فيها ما نصهُ: « انا حمورابي القدير ملك البابليين الضابط لأَزمَّة الاقطار الاربعة القاهر اعداء مرودخ . . . قد حفرت نهر حمورابي الذي هو سعادة البابليين وبلغت بهِ ارض شومير واكاد وامرعت بهِ الفلوات اليابسة وكل بقعة لا ماء بها افضتُ عليها معيناً عدًّا واجريت لشومير واكاد مناهل لا تنقطع فجعلت لهم في المدن والقرى قرارًا خصيباً وانشأت لهم من القفر الغامر مروجاً رائعة وخمائل يانعة. وناديتهم: اقيموا في الرغد والخصب فهذه ارضكم ارض ريع وهناء. انا حمورابي الملك الهمام خليل الالهة العظيمة. وبالقوَّة الجسيمة التي منحني اياها مرودخ

(١) ماسپيرو: ك ٣٩—٤٤   (٢) طالع ص ١٨ من هذا الكتاب

قد بنيت عند منفجر نهر حمورابي على تلّ قصرًا عاليا شامخ الرأس نظير الجبال . وسمّيت هذا القصر (ܕܘܪ ܣܝܢܡܘܒܠܝܛ ܐܒܐ ܐܘܠܕܢܝ) دار سينموبليت الاب الذي ولدني . وذلك حتى اخلّد اسم سينموبليت ابي » (١)

انّ حمورابي هذا دبّر الملك بكل نجاح ومجد مدّة خمس وخمسين سنة . وكانت وفاته نحو سنة ٢٢٣٢

وجلس بعدهُ (٢) على عرش المملكة شمشو إيلونا من سنة ٢٢٣٢ الى سنة ٢١٩٧ . ولمّا بلغ ريمسين خبر وفاة حمورابي اغار على كلدو ليستولي عليها . لكن شمشو إيلونا حمل عليهِ واثخن في جيوشه الجراح وقتله . ثم ملك أبيشو (٢١٩٧—٢١٧٢) ثم أميديتانا (٢١٧٢—٢١٤٧) ثم أميزدوكًا (٢١٤٧—٢١١٣) ثم شمشوديتانا (٢١١٣—٢٠٨٢) . واقتدى جميع هؤلاء الملوك بحمورابي بتشييد الهياكل وترميمها وحفر القنوات وتنظيفها كما تدلّ على ذلك آثارهم . ولم يزل ملكهم ممتدا الى بلاد سوريًا . والبائن انهم تقوّوا فيها كثيرًا حتى انهم بغوا الاستيلاء على مصر ايضًا . فان مانيثون المؤرّخ المصري يقول في جملة كلام لهُ ما نصّه (٣) « وتخوّف نوبتي ملك مصر من بأس يفاجئهُ من نواحي الفرات فيهجم على بلاده . فجدّ في التحصين واتخذ لنفسه الاهبة وشحن الحصون بالرجال . » ولعلّ العيلاميين اشغلوا الكلدان عن الاغارة على مصر اذ ان القتال كان دائمًا ينتشب بين عيلام وكلدو

الفصل الثاني

الدولة الجنوبية (٢٠٩٩—١٧١٤)

انهُ بموت شمشوديتانا انقرضت سلالة حمورابي الشهير . فقامت عائلة اصلها من بلاد كلدو الواقعة عندمصبّ الفرات واستظهرت على سرير الملك(٤) . وقام منها اثنا

---

(١) مينان لغة اشور ص : ٣٠٦—٣١٣ وماسپيرو : ف ٤٣ وجميل مدوّر : ٧٥

(٢) ماسپيرو : ف ٤٤-٤٧

(٣) موللر : ف ٥٦٦ جميل مدوّر ص : ٧٣ (٤) راجع پينشيس : معلومات عن جدول جديد لملوك بابل : پروشيدينك : ١٨٨٠-١٨٨١ ص ٢٢-٤٢

عشر ملكا الاوّل ايلمياو (٢٠٩٩—٢٠٨٢) . والثاني أغان (٢٠٨٢—٢٠٢٢) . والثالث كيانيبي او ايث ايل نيبي (٢٠٢٢—١٩٦٧) . والرابع دَمْكِلشو (١٩٦٧—١٩٣١) . والخامس ايشكيبيل (١٩٣١—١٩١٦) . والسادس شوشي (١٩١٦—١٨٨٩) . والسابع كُولكيشار (١٨٨٩—١٨٣٤) . والثامن كُورگُلَما (١٨٣٤—١٧٨٠) . والتاسع آدَركلما (١٧٨٠—١٧٥٦) . والعاشر أكولنّا (١٧٥٦—١٧٣٠) . والحادي عشر ملامكوركورا او مَلَمَّاتاتي (١٧٣٠—١٧٢٣) . والثاني عشر عكّميل (١٧٢٣—١٧١٤) . ولم يصل الينا شيء يستحقّ الذكر من اخبار هذه الدولة . والامر المعلوم ان ملكهم كان يشمل بلاد اثور وبلاد سوريا ايضاً . وانهُ في ايام الملكَين الاخيرَين حدثت قلاقل شديدة في كلدو ومن اجلها قدرت قبيلة الكوسيين ان تستولي عليها وحلس رئيسها كانديش في بابل وكان ذلك نحو سنة ١٧١٤ ق م

الفصل الثالث

الدولة الكوسية (نحو ١٧١٤—١١٥٠)

ملوك الدولة الكوسية وغفلتهم — استقلال الاثوريين — انتصار المصريين على الكلدان في سوريا — معاطاة الكلدان والاثوريين مع المصريين كما اتى في آثار تل العمارنة — تداخل ملوك اثور في امور الكلدان — انتصار كوريكلزو الثاني على العيلاميين — انتصار الاثوريين على الكلدان — فتح تغلاتنينيب ملك اثور مدينة بابل قهر اداد شوماناصر العيلاميين والاثوريين — انقراض الدولة الكوسيَّة

انَّ الكوسيين او الكَشِّيين(١) اصلهم من جبال زكْرا في حدود مادي . وكانوا مستقلّين لانَّ موقعهم كان حصيناً منيعاً . وكان منهم على حالة من التوحش ومنهم قد تمدَّنوا بتمدن الكلدان . ولم يكن شأنهم سوى النهب والغارات . والباتّ انهم في نهاية الجيل الثامن عشر بسبب القلاقل والفتن التي صارت في بابل انقضّوا على كلدو واستولوا على قسم منها واسّسوا فيها مملكة سُمّيت كردونياش ثمَّ استولوا على بابل وعلى بلاد الكلدان باسرها واختلطوا أوّلا فاوّلاً مع الاهالي وتخلّقوا باخلاقهم

(١) راجع ماسپيرو: ص ١١٣-١٢٠

واوّل ملك كوسيّ فتح بابل كان كنديش وملك من سنة ١٧١٤ الى سنة ١٧٠٧. وجلس بعده ابنه أكومرا بي(١) الى سنة ١٦٨٥. ثم أكوباشي الى ١٦٦٣ ثم أشي الى نحو ١٦٥٥. ووصل الينا ايضاً اسماء آدوميتاش وتشيكورماش واكومكاكريا. وكان هذا يُلقِّب نفسهُ بملك الكوسيين واكاد وبابل الواسعة وپادان وألمان والكوتيين

انَّ الملوك الكوسيين حكموا مدَّة اجيال كثيرة في كلدو ولكن لم يقم فيما بينهم ملك ذو حزم وباس يكتسب شهرة بافتتاحه البلاد مثل شركينا ونارمسين وحمورابي لا بل انَّ تغافلهم عن مهمات المملكة وانهماكهم في الملذات والفتن والقلاقل التي صارت في ايامهم جعلت المملكة ان تنحط يوماً فيوماً فانتهز الاثوريون الفرصة واستقلوا وكذلك تمكن المصريون بكلّ سهولة ان يستولوا على بلاد سوريا ويخضعوها لحكمهم. وكان ذلك في القرن السابع عشر ق م فانَّ تطمس الاول ملك مصر اغار عليها وافتتحها ووصل الى قرقميش وانتصر على الجيوش الكلدانية التي هناك ثم بعد وفاتهِ خلعت سوريا طاعته فحمل عليها تطمس الثالث وأخضعها ومن المحتمل انهُ وصل الى باليخ والى الخابور ايضاً فان ملك سنجار احد اتباع ملك اثور ارسل اليهِ هدايا نفيسة

انَّ بعض المؤرخين زعموا انَّ الفراعنة استولوا على بابل واثور ايضاً وانَّ تطمس الثالث اغار على كلدو وحاصر بابل وفتحها لا بل انَّ رعمسيس الثاني المعروف بساسستريس استظهر على ما بين النهرين واثور ومادي وفارس وبختريانا والهند امَّا العلماء فانهم ينكرون كلّ هذه الفتوحات (٢) فانَّ المصريين لم يفتحوا ابدا كلدو واثور فضلًا عن مادي وغيرها بل انما اخضعوا بلاد سوريا التي كانت قسما من مملكة الكلدان واهتمّ ملوك بابل واثور بمحالفة الفراعنة وذلك بواسطة الهدايا التي ارسلوها اليهم وممَّا يدلّ على ذلك الآثار المكشوفة (٣) سنة ١٨٨٨ في تلّ العمارنة في الصعيد وقد كُتبت قبل موسى النبي وهي سجلات الدولة الثامنة عشرة التي ملكت في مصر منذ القرن السابع عشر الى القرن الخامس عشر ومن ملوكها كان تطمس

(١) عن الملوك الكوسيين راجع پينشس: ١٨٨٣–١٨٨٤: ٥ ١٩٥

(٢) ماسپرو: ك ٢٦٢ و٥٩٢–٥٩٤ (٣) راجع المشرق: ك ٧٨٦

الاوَّل وتطمس الثالث. ومضمون آثار تل العمارنة مكاتبات مقسومة الى قسمين الاوَّل يشتمل على الرسائل التي بعث بها الى فراعنة مصر ملوك بابل وآثور وهم يكاتبونهم كما يكتب القرين الى قرينهِ والقسم الثاني يتضمَّن رسالات ارسلها الى فراعنة مصر ولاة وامراء عديدون من سوريا وفيها تذلُّل وتواضع كما يكتب العبيد الى ساداتهم من ذلك قولهم: عبدك فلان او فلان كلب الملك

ومنذ تسلُّط المصريّين على سوريا بدأت مملكة بابل في انحطاط وتزول (١) ومن ملوك الدولة الكوسيَّة كينداش وما نعرف عنهُ شيئاً سوى انَّهُ رمَّم هيكل سين في اوروك وعقد عهداً مع اسوربيلنشيشو ملك اثور. وقام بعدهُ بورنابورياش الاوَّل وجدَّد هو ايضاً العهد مع الاثوريّين وجدَّد هيكل شمشا في لارسام. ثم خلفه كوريكالزو الاول وعمَّر هيكل سين في اور وبنى قلعةً عند نهرملكا عُرفت باسمهِ اي دور كوريكالزو (٢) ثم ملك بورنابورياش الثاني. وكان الملك على اثور اسوربليت (نحو ١٤١٨—١٣٧٠) واعطى هـذا الملك ابنته الى كاخرداش ابن بورنابورياش وهذا مما جعل ملوك اثور ان يتداخلوا في امور بابل فانَّهُ بعد موت كاخرداش حدث فتنة في بابل قُتل فيها ابنهُ قدشماخربا الذي جلس مكان ابيه وضبط تخت المملكة رجل اسمهُ نازيبوغاش فلمَّا بلغ ذلك الى مسامع اسوربليت ملك اثور اغار على كلدو وانتصر على نازيبوغاش وقتله وردَّ التاج الى ابن اخته الاصغر كوريكالزو الثاني وتقوَّى هذا الملك واشتهر. فانَّهُ اخضع سِپارا وبلاد كلدو الجنوبيَّة وقسماً من اهالي بابل الذين رفعوا عليهِ لوآء العصيان. وفي اثناء هذه الحرب انتهز خورباتيلا ملك عيلام الفرصة وهجم على بلاد الكلدان ليغتصب قسماً منها فحمل عليهِ كوريكالزو وانتصر عليهِ عند دوردونكي واستاسره ولم يطلقهُ الّا بعد ان اخذ منهُ بلدة في الجانب الايمن من دجلة. وذهب حتى مدينة شوشان وافتتحها ونهبها واخذ كلَّ التماثيل التي كان كوتورناحونتا قد اغتصبها من الكلدان قبل الف سنة. وعاد الى بابل غانماً منصوراً

لكنَّ اداد نيراري الاول ملك اثور (نحو ١٣٢٠—١٢٩٠) حسد كوريكالزو

---

(١) ماسپرو: ك ٥٩٤-٥٩٧

(٢) قيل ان موقعها كان في عقرقوف

الثاني على اقباله هذا. فحمل عليه وكسره واستولى على بلاد ما بين النهرين الممتدة من خابور الى حدود بابل واراد نازِمرتَّاش بن كوريكَلزو ان ياخذ الثار من الاثوريّين لكنهُ انكسر مرّتين واضطرّ ان يسلّم للاثوريّين كلّ ما كان في حكمه من البلاد من پيلاسكي في الجانب الأيمن من دجلة الى بلدة لولوما في جبل زكرا. وقام بعد نازِمرتَّاش قدشمَنتوركو (١) ثم قدشمَنتورياش وايساميتا وشكَركتيبورياش وكانت مدَّتهم قصيرة ثم قام بالملك بيبياشو (٢) وكان معاصرًا لتغلت نينيب الاول ملك اثور (نحو ١٢٦٠—١٢٤٠) وانتشبت نار الحرب بينهما وتمادت طويلا ثم تصالحا ومات بيبياشو وقام بعده ابنه بيلنادِنشيا. وبايامه اغار على بلاده كدِنخَروتاش ملك عيلام وحاصر مدينة نيپور وافتتحها ووقع بيلنادِنشيا قتيلا ولم يكن ملكهُ سوى ثمانية عشر شهرًا فانتهز الفرصة تغلت نينيب وخرج بجيشه على كلدو وكسر قدشمانحربا الثاني ابن بيلنادنشيا وافتتح بابل وقتل قسماً من سكَّانها ونهب القصر الملكي والهياكل واخذ تمثال مرودخ والشعائر الملكيَّة واتخذ لقب ملك اكاد وشومير كما سترى في قصته وولَّى رجاله على المدن المفتوحة ورجع الى عاصمتهِ مستأسرًا كثيرين من افراد العائلة الملوكيَّة

غير ان بابل لم تثبت للاثوريين زمناً طويلًا فان مدن كلدو الجنوبيَّة كانت قد بقيت مستقلَّة خاضعة لقدشمانحربا الثاني ولمَّا مات ملك مكانهُ اداد شوما ناصر او اداد شومزور وكان ذا حزم متبصِّرا في الامور. ولمَّا رأى كدنخَروتاش ملك عيلام ضعف الكلدان اقتدى بالاثوريّين واراد ان يأخذ هو ايضا حصته. فحمل السلاح على كلدو الجنوبيَّة . فقاتله اداد شوماناصر بقرب نيشين وكسره وطرد العيلاميّين من جميع الامكنة التي كانوا قد ضبطوها . وتشجَّع الكلدان بهذه النصرة وقام امراء اكاد وكردونياش (٣) على الاثوريّين وطردوهم كذلك من جميع المدن التي قد استولوا عليها . فعادت بابل الى حرّيتها واستقلّت من اثور بعد ان بقيت في حوزتها

---

(١) ماسپيرو: ٢ ٦٠٩—٦١٢

(٢) وقُرِئ اسمهُ : كَشتِلياش او بيثيلياش ايضاً (مجلة الكتاب المقدس: ص ٥٥)

(٣) ان الاثوريين كانوا يطلقون اسم كردونياش على بابل واطرافها (راجع ص ٣٢ من هذا الكتاب)

سبع سنين لكنَّ الاثوريّين استمرّوا مبطنين السوء على البابليّين وخرج عليهم ملكهم بيلكدناصر فقاتله اداد شوماناصر شديداً ووقعا كلاهما قتيلَين. وكانت الدائرة على الاثوريّين فرجعوا خائبين

فقام ميلشحو بعد اداد شوماناصر وعقد الصلح مع الاثوريّين وحكم خمس عشرة سنة. وملك بعده مرودخ بلدان (١) الاول ثلاث عشرة سنة. وبايام خليفته زمامشومدان حمل اسوردان ملك اثور (١١٨٢—١١٤٥) على كلدو واستولى على مدن كثيرة ومما سهل فتوحاته اضطرام الفتنة في بابل وانقراض الدولة الكوسيَّة فيها نحو سنة ١١٤٠. وكان اخر ملوكها بيلنادنشوما الثاني. وعقبها دولة پاشيَّة بابليَّة

انَّ الدولة الكوسيَّة دامت خمسمائة وسبعين سنة وستة اشهر وقام بها ستة وثلاثون ملكاً ورأت ايام سعد واقبال واوشكت ان تفتح اسيا كلها غير ان الزمان خانها او بالحري عدم تدبير ملوكها ورخاوتهم أمسكتهم عن ذلك. نعم انها انتصرت على عيلام ولكنها ابقتها واقفة على ساقها تتهدّدها واستولت ايضاً على اثور ولكن هذه ايضاً تقوّت وسدَّت قدَّامها طريق سوريا

الفصل الرابع

الدولة الپاشيَّة البابلية (نحو ١١٥٠—١٠٧٨)

نبوكد ناصر الاوَّل— قهره العيلاميين— انتصاره على الاثوريين ثم انكساره— افتتاح الاثوريين مدينة بابل— انتصار مرودخناد نخا على الاثوريين— المحالفة بين اثور وكلدو

تُنسب الدولة الپاشية الى قرية يقال لها پاشي واصلها من بابل (٢) ومن اشهر ملوكها نبوكد ناصر الاوَّل. وكان العيلاميون قد ضبطوا من الكلدان بلاد تامار(٣) وعبروا دجلة ونهبوا بابل واخذوا تمثال بيل. ولمَّا سم التاماريون من سلطة العيلاميين

(١) ان علماء اوروبا يكتبون مردوخ بَلْيدَينا. فكتبنا نحن مرودخ بلدان كما جاء في الكتاب المقدس (٢ ملوك : ك ١٢) . ومثلهُ كتبنا الشطر الاخير من هذا الاسم في جميع الاسماء المركبة منهُ

(٢) ماسپيرو: ك ٦١٢-٦١٧ و٦٦٣-٦٧٠

(٣) تامار او غري كانت في حدود عيلام

هجر كثيرون منهم الوطن والتجأوا الى نبوكدناصر . والباقون ارسلوا اليهِ رسلًا يستعينون بهِ على عيلام . فحمل نبوكدناصر على نامار في شهر تموز . فتأذَّى الكلدان كثيرًا لشدَّة الحرّ وقلّة المياه لكنَّهم استولوا على نامار كلها وانضم اليهم رتّيمَرذوخ ملك بيت كارزبكو وتوجَّهوا نحو شوشان . وكان ملك عيـلام ينتظرهم على ساحل نهر اولاي امام شوشان وقد جمع اليهِ كل حلفائه وانتشب القتـال بين الفريقين وكان شديدًا وللحال اظلمت السماء وحدثت عاصفـة قوية وكاد نبوكدناصر يقع بيد الاعداء فخلَّصهُ رَتّيمَردوخ وانتصر الكلدان على العيلاميين . واضطر هؤلاء ان يسلّموا لهم بلاد نامار ويرجعوا اليهم تمثال بيل . فرجع نبوكدناصر غانمًا مظفرًا واجزل العطايا على كل من تبعهُ في هذه الحرب . واخضع ايضاً هذا الملك الجليل بلاد لولوما والكوسيين وولَّى رجاله على نامار وحلوان وجبال زكرا

وكان حينئـذٍ على اثور اسورريشيشي (نحو ١١٣٥—١١١٥) وكان ذا حزم وبأس وافتتح بلادًا كثيرة واغار على لولوما وسحق سكَّانهـا ووصل الى حدود عيلام . فخاف نبوكدناصر على البلاد الخاضعة لهُ وتأهب للمحاربة . فحمـل على الاثوريين وهزمهم وشدّ الحصار على قلعة لهم ولم يفتتحها لدخول فصل الشتاء ولكنَّهُ احرق آلات الحصار . وفي نهاية الشتاء ظهر تحت اسوار مدينة اثور فحمل عليه اسور ريشيشي وكسرهُ وضبط منهُ اربعين عربة حربية وما بقي من اخبار نبوكدناصر لم تصل الينا وكانت وفاته نحو سنة ١١٢٤

وكذلك لم يصل الينا اسم خلفه ونعرف اسمَي بيلنادِنبال ومرودخناديئحا . وفي زمان هذا الاخير اي نحو سنة ١١٠٥ اغار الاثوريون على كلدو برئاسة تغلاتپلاسر الاوَّل الشهير . وانتشب القتال بين الفريقين في وادي الزاب الاصغر في ارزوخينا ولم تظهر النصرة لاحدهما . وفي السنة التابعـة سار تغلاتپلاسر على البابليين وانتصر عليهم وافتتح دور كوريكلزو وسِبارا واوپي وبابل . واتخذ لقب ملك بابل . وصارت كلدو واثور مملكة واحدة ولكن ذلك لم يدم سوى سنتين . فان مرودخناديئحا قام على الاثوريين وطردهم من بلاده واغار ايضاً على اثور واستولى على مدينـة هيكلا واخذ تماثيل آلهتها وذهب بها الى بابل حيث بقيت محبوسة في هيكل بيل اربعمائة وثماني عشرة سنة

ومن بعد وفاة مرودخناديخا جلس ابنهُ مرودخشاپكزيرات . وقام عليهِ الشعب وخلعهُ وبايع مكانهُ رجلًا يقال لهُ ادادبلدان . وتحالف هـذا الملك مع الاثوريين وزوَّج ابنته بملكهم اسوربيلقالا ابن تغلاتپلاسر . وتخلَّف بعدهُ مرودخبيـل ثمَّ مرودخزير ثم نبوشوم وضعفت المملكة بايامهم . وفي ذاك الزمان عينهِ اخذت مملكة اثور بالانحطاط والذي خلَّصها من البوار تغافل ملوك بابل والفتن التي جرت بايامهم وآلت هذه الفتن الى انقراض الدولة الپاشيَّة البابليَّة وقد دامت نحو ٧٢ سنة وستة اشهر (١) وقام بها احد عشر ملكاً . وكان انقراضها نحو سنة ١٠٧٨ ق م

الفصل الخامس

الدولة الساحلية والبازية والعيلامية (٢) (١٠٧٨—١٠٣٠)

بعد الدولة الپاشيَّة البابليَّة قامت دولة اخرى في بابل اصلها من كلدو الجنوبية على ساحل البحر . وبايامها اشتدَّت القلاقل والفتن . واول ملك قام بها كان سيمَشِيخو واهتمَّ باصلاح الامور وجدَّد زقرتا الاله شمشا في سپَّارا . ثم باد قتيلًا وقد ملك ثاني عشرة سنة . وتخلَّف بعدهُ ابنهُ حموكينشوما ولم يملك سوى بضعـة اشهر . ثم ملك كشّونادينخا ثلاث او ستّ سنين . ثم تسلَّطت بعدهُ على تخت المملكة عائلة يقال لها بازي وقام منها ثلاثة ملوك ومدتهم عشرون سنة . ثم استظهر على العرش الملكي رجل عيلامي وحكم سبع سنين وتوفي نحو سنة ١٠٣٠ وقيل انهُ قُتل

الفصل السادس

الدولة البابلية (١٠٣٠—٧٢٩)

غارات الاثوريين على كلدو — الفتن في بابل — التجـاء مرودخشمدان الى

---

(١) كذا اتى في قائمة ملوك بابل . وان كثيرين من علماء عصرنا يقولون ان العـدد ٧٢ غلط والصحيح ١٣٢ . وفي قولهم نظر : ان الدولة الپاشية البابلية بدأت على زعمهم نحو سنة ١١٥٠ (ماسپيرو : ك ٦١٢ حاشية ٣) . فاذا ملكت ١٣٢ سنة مثلا يقولون تكون بداية الدولة الساحلية والبازيّة والعيلامية في سنة ١٠١٨ مع ان هولاء العلماء انفسهم يقولون ان نهـاية الدولة العيلاميّة كان في سنة ١٠٣٠ (ماسپيرو : ك ٥)   ٢) ماسپيرو : ك ٤-٥

شلمناسر ملك اثور — فتوحات شلمناسر في كلدو — عصيان مرودخ بلاتسكبا على اثور — قهر الاثوريين للكلدان — اسر ملك بابل — نبوناصر ملك بابل وتغلاتپلاسر الثالث ملك نينوى — الفتن في بابل وجلوس اوكيتزير على تخت المملكة — غزوات تغلاتپلاسر وصيرورته ملكا على بابل

من بعد الملك العيلامي قام رجل بابلي من عائلة شريفة واستظهر على تخت المملكة. ويُظنّ ان اسمهُ نبوكينبال. ولم تصل الينا اسماء اكثر خلفائه. وهم لم يشتهروا بشيء يستحق الذكر. وبدأت المملكة ان تنحط يوماً فيوما في زمانهم. فساءت الاحوال وصارت العشائر الارامية تغزو وتنهب القرى وما من احد يقاومها. وكانت اثور ايضاً قد انحطَّت في تلك المدة غير ان ملوكها كانوا مهتمين باصلاح الامور الداخلية والخارجية معاً. ومنهم الملك ادادنيراري الثاني (نحو ٩٠٠—٨٩٠) الذي صار له وقائع مع شمشامودمّيق ملك بابل وفيها انتصر عليهِ بقرب جبل يلمان (١). وقام بعد شمشامودمّيق ابنه نبوشمشيكين وهو ايضاً قهره الاثوريون وضبطوا منهُ مدينتي بامبالا وبغدادا واستاقوهُ اسيرًا الى اثور وادخلوا ايضا في مملكتهم اغاب البلاد التي في الجانب الايسر من الزاب الاصغر بين دجلة وجبال زكرا. ثم عُقِد الصلح بين الفريقين ودام نحو خمسين سنة

وفي تلك المدّة اتّسعت مملكة اثور كثيرًا وراقت احوالها وذلك بايام اسورناصربال الثالث (٨٨٥—٨٦٠) وابنه شلمناسر الثالث (٨٦٠—٨٢٥) كما سيأتيك في اوانه. واماَّ مملكة بابل فكانت بالنزول من اجل الفتن التي كانت تجري فيها وكان ملكها نبوبَلدان صديقاً مع شلمناسر. وفي سنة ٨٥٢ قام عليهِ الشعب وخلعوهُ ونصبوا مكانه ابنه مرُودخشَيدَّان او مرودخادِنشيا. ثم نشأ النزاع بينهُ وبين اخيهِ مرودخ بيلسات. وطلب مرودخشمدان النجدة من شلمناسر. فاجاب ملك اثور الى سؤاله بفرح. ودامت الحرب سنتين وكان ميدانها اوّلاً في السهول التي في الجانب الايسر من دجلة. ثم حمل شلمناسر على قلعة

(١) في اطراف حلوان. وكانت هذه المدينة آخر حدّ العراق من جهة الجبال وبينها وبين بغداد خمس مراحل

ماي تورنات(١) وهي في المحلّ المدعو الان باعقوبا وافتتحها . ثم صعد نحو كَنَاناتي (٢) وهناك انتشب القتال بينهُ وبين مرودخ بيلسات . فانكسر جيوش مرودخ بيلسات وانهزموا وتحصَّنوا في كَناناتي . وشدّ شلمناسر عليها الحصار ثم تركها لدخول الشتاء ورجع الى مملكته . ولمَّا كان الربيع ظهر ثانيةً تحت اسوارها وكان مرودخ بيلسات قد التجأ الى جبل يسوبي وتحصَّن في مدينة حلمان (٣) . فافتتح الاثوريون مدينة كَناناتي ونكَّلوا بها . ثم هجموا على حلمان وفتحوها والظاهر ان مرودخ بيلسات باد قتيلًا في هذه المحاربة . ثم توجه شلمناسر بعد انتصاره هذا الى بابل ودخلها غانمًا منصورًا وعيَّد فيها عيدًا عظيماً للآلهة ودخل زقورتا بيل وقدَّم لهُ الذبائح وعمل غداء دعا اليهِ جميع سكان المدينة وقسَّم عليهم ثياباً فاخرة . ففرحوا بهِ واحبوهُ لكن القبائل الارامية الكلدانية التي على ساحل البحر كانت ترفض طاعة مرودخنادِنشيا وتغزو البلاد المجاورة . واشهر هذه القبائل بيت دَكُوري وبيت آديني وبيت اموقاني وبيت شيلاني وبيت شلّي وبيت ياقين فنزل شلمناسر لجهة البحر وحمل أوّلًا على قبيلة بيت دكوري وحاصر مدينة بقاني وافتتحها واحرقها . ثم هجم على بيت اديني ونهب مدنهم فخافت منهُ القبائل الاخرى وقدَّمت لهُ الطاعة وكانت كلّها غنيَّة فاتتهُ بمقدار من الذهب والفضة والنحاس والحديد والعاج وجلد الفيل

وبقي مرودخنادنشيا امينا مع شلمناسر ولكن خليفته مرودخ بلاتسُكبا رفع لواء العصيان . وكان شمشيداد الرابع قد تخلَّف بعد ابيهِ شلمناسر . فلمَّا كانت سنة ٨١٨ (٤) اغار على كلدو وحاصر مدينة ماي ترنات وافتتحها وسبى سكانها الى اثور . ثم افتتح ايضاً مدينتي كارنا وديبينا بقرب جبل يلمان وسحق الجيوش البابلية التي في كَناناتي . وكان ملك دورپاپسكال حليف البابليين قد وضع عساكره عند معابر دجلة ليمنع الاثوريين من العبور والدخول الى مدينته . فحمل عليهِ شمشيداد واثخن في جيشه وقتل منهُ ثلاثة عشر الف نفس واسر ثلاثة آلاف

(١) ܡܝ̈ܐ ܬܘܪܢܬ اي مياه تورنات وهو نهر ديالة

(٢) ܓܢ̈ܢܬܐ اي بساتين ويُظنّ انها كانت في موقع خانقين

(٣) وهي حلوان

(٤) آثار شمشيرمان وماسبيرو: ܦ ٩٧-٩٨

وفتح المدينة واحرقها. وكان ملك بابل قد جمع كل عساكره واتى لمساعدته العيلاميون والنامارثيون ايضاً. فانتصر عليهِ الاثوريون وقتلوا من جيشهِ سبعة آلاف وضبطوا منه مائتي عربة ومهمات حربية كثيرة. ثم افتتحوا بابل وكوتا وبارسيپا واخضعوا البلاد الجنوبية ايضاً. فاضطرّ مرودخ بلاتسكبا ان يُسالم ملك اثور مقرا بسيطرته عليهِ

ولكن هـذا الصلح لم يدم سوى ستّ سنين فان باوخدان خليفـة مرودخ بلاتسكبا خلع طاعة شمشيداد. فتجدّدت المحاربة في سنة ٨١٣ ومات شمشيداد قبل انتهائها. فقام ابنهُ اداد نيراري الثالث وقاتل الكلدان حتى انتصر عليهم واسر باوخدان الملك واستاقهُ الى اثور مع جميع افراد عائلته وحاشيتـه ونصب مكانه في بابل رجلاً من ثقاته

ولم تتجاسر بابل من بعد هذه الكسرة ان ترفع رأسها الى نحو خمسين سنة. وبدأت اثور ان تضعف في زمان اسوردان الثالث (٧٧٢—٧٥٤) فاغتنم الفرصة البـابليون واستقلّوا من حكمهـا. فلماً ملك على اثور تغلاتپلاسر الثالث (٧٤٥—٧٢٧) اغار في اول سنـة من ملكه على بلاد كلدو. وكان المالك يومئذٍ على بابل نبونصر (٧٤٧—٧٣٣) (١) وافتتح تغلاتپلاسر دوركوريگلزو وبارسيپا وكوتا وكيشو واوروك وسلّم لهُ طوعاً نبونصر وكل الممالك الارامية الصغيرة التي في جنوبي كلدو كما سيأتيك في اخبار ملوك اثور

وبعد وفاة نبونصر ثارت فتن اهلية في بابل (٢) قُتِل فيها ابنهُ نبونادينزير او نادينو وبويع مكانه نبوشومكين سنة ٧٣٢ ولم تطـل مدته فان اوكينزير ملك بيت أُمكّاني تداخل في الامر وهجم على بابل ودخلها وقتل الملك الجديد وجلس مكانه. فلماً بلغ الخبر الى تغلاتپلاسر الثالث نادى بجيشه وذهب الى بلاد الكلدان فهجم على بيت شيلاني وافتتح سرابانا عاصمتها ونهبها وقتـل ملكها وسبى خمسا وخمسين الفاً من سكّانها الى اثور. ثم حمل على بيت شعلا واستأصل دور إيلاتا قاعدتها وسبى ٥٠٤٠٠ من اهاليها واستأسر ملكها ايضاً. واماً اوكينزير فتحصّن في شپيا عاصمة مملكة بيت أُمكّاني. فحاصرها الاثوريون ولم يقدروا على افتتاحها لحلول الشتاء. فلماً كانت سنة ٧٢٩ ظهر ثانية تغلاتپلاسر تحت اسوارها وافتتحها فسلّم له

(١) ماسپيرو: ج ٣ ص ١٤١ (٢) كذا ص ١٩٠—١٩٣

طوعاً كل امراء وملوك كلدو الجنوبية حتى مرودخبلدان ملك بيت ياقين وسيأتي ذكرهُ. ثم مشى على بابل ففتحت لهُ ابوابها. فدخل هيكل بيل واتخذ فيهِ لقب ملك اكاد وشومير وذلك بقبضه على يدَي بيل الاله كما كانت العادة جارية هناك منذ قديم الزمان. وهكذا اصبحت مملكة اثور وكلدو في يدَي ملك واحد عنوانهُ: ملك اثور وملك اكاد وشومير وملك الاقاليم الاربعة

واعلم ان الدولة البابلية هذه دامت ثلاثة قرون . وقام فيها اثنان وعشرون ملكاً

الفصل السابع

في احوال الكلدان تحت حكم ملوك نينوى (٧٢٩—٦٠٨)

سياسة ملوك اثور مع بابل — مرودخبلدان الثاني ملك بابل — انتصار شركينا وسنحاريب عليهِ — خراب بابل — تعميرها على يد اسرحدون — شمشوموكين ملك بابل وعصيانه على اخيهِ اسوربانيبال

انَّ تغلات پلاسر باستيلائهِ على بابل لم يتعرَّض لحريتها كما فعل بسائر الممالك بل تركها وشأنها متمتعة بعوائدها وولاياتها فانَّ بابل كانت مقدَّسة لدى الكلدان ولدى الاثوريين معاً. فاحبَّ البابليُّون تغلات پلاسر وسمّوه پول اوپور وانما بهذا الاسم عُرِف في قائمة ملوكهم الرسميَّة وكذا ايضاً اتى اسمه في الكتاب المقدَّس(١) واقتدى بهِ خلفاؤه ايضاً فانهم احسنوا النظر الى بابل واتخذوا لقب ملك بابل لكنهم لم يستفيدوا من سياستهم هذه شيئاً. فانَّ القبائل الاراميَّة التي في جنوب كلدو بذلت مجهودها في الاستيلاء على المدينة المقدَّسة. وكانت عيلام تساعدها على ذلك وبابل نفسها كانت ميَّالة الى الفتن. فالتزم ملوك بابل الاثوريون ان ينزلوا مراراً بجيوشهم الى كلدو إمَّا ليدافعوا عنها واماً لكي يخمدوا فيها نار العصيان

انَّ شلمناسر الخامس تخلَّف بعد ابيه تغلات پلاسر في نينوى وحكم من سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢٢ وفي ايامه لم تتحرك بابل وسمَّاه البابليون ايلولايا اي

---

(١) ٢ ملوك: ١٥: ١٩

ايلوليّ نسبة الى شهر ايلول . ولكن بعد موته حمل مرودخ بلدان ملك بيت ياقين على بابل واستظهر على تخت المملكة سنة ٧٢٢ وكان شركينا خليفة شلمناسر مشغولًا حينئذٍ في اخضاع سوريّا . وحالما فرغ من امرها نزل بجيوشه الى كلدو سنة ٧١٠ وهزّم مرودخ بلدان ودخل بابل منصورًا وقبض على يدَي بيل واتّخذ هو ايضاً لقب ملك اكاد وشومير وكان ذلك سنة ٧٠٩ . واسمهُ في قائمة ملوك بابل اركون وكل ذلك ستراه مفصّلًا في تواريخ مملكة اثور

واماً الملك سنحاريب فعمل بالعكس ولم يتخذ هذا اللقب الجديد الذي كان يفتخر به سلفاؤه وذلك امّا احتقارًا لبابل او جهالةً منهُ . وملّك عليها احد اخوته فسخط الكلدان وقاموا على ملكهم الجديد وقتلوه وملّكوا مكانه رجلًا يقال له مرودخ زاكير شوما وكان ذلك سنة ٧٠٤ . ولم يمض عليهِ شهر حتى خرج مرودخبلدان الثاني من مخبإه ودخل بابل وقتله وملك مكانه . فمشى عليه سنحاريب وانتصر عليهِ . فانهزم مرودخبلدان الى عيلام واماً سنحاريب فملّك على بابل رجلًا اثوريًّا اسمهُ بيلبيني ولكن مرودخبلدان ظهر من جديد واستولى على تخت المملكة فرجع سنحاريب الى كلدو وهزمه ثانيةً ولحق في اثره الى البحردون ان يتمكن من القبض عليهِ . وملّك على بابل ابنهُ اسورناديتشوما سنة ٧٠٠ واماً الملك بيلبيني فساقهُ اسيرًا الى اثور

غير ان الكلدان لم يتّعظوا بهذا كله بل تحالفوا مع عيلام فقبضوا على ملكهم الجديد وارسلوه الى شوشان سنة ٦٩٣ . واجلسوا مكانه رجلًا يقال له نرگلشيزيب وقاتل الاثوريين فانتصروا عليه وساقوه اسيرًا الى نينوى . وقام مكانه في بابل موشزيبمرودخ وصار لهُ ايضاً وقائع مع سنحاريب فيها قهره ملك اثور وفتح بابل وفي الاخر ضجر سنحاريب من البابليّين من اجل ثوراتهم المتواترة وابطن لهم السوء فأمر بدكّ اسوار مدينتهم واحراق قصورها وزقوراتها وكان ذلك سنة ٦٨٩ . وبقيت بابل خربة الى سنة ٦٨٠ التي فيها جلس اسرحدون على مملكة اثور . وكان ابوه سنحاريب قد وَلّاه عليها بعد خرابها . فامر بتعميرها وتشييد قصورها وهيا كلها وصرف في ذلك خمس سنين ونصب ملكاً على كلدو نعد مرودخ بن مرودخبلدان الثاني لكي يستجلب اليهِ حزب هذا الملك الذي كان قويًّا في بابل فيمتنع من العصيان

وقبل وفاته (سنة ٦٦٧) قسم المملكة بين ولدَيه . فملّك شمشوميكين على بابل واسوربانيبال على نينوى مع السيطرة على بابل . لكن شمشوميكين اراد ان يستقلّ من اخيه وطلب النجدة من عيلام . ولمّا علم بذلك اخوه اسوربانيبال حمل عليه وحاصر بابل وافتتحها فدخل هيكل بيل وقبض على يدي هذا الاله وجعل نفسهُ ملكاً على بابل واتخذ اسم قندلانا . وولّى عليها قائداً من قواده اسمهُ شمشادناني وكان ذلك سنة ٦٤٨ . واماً ما كان من امر شمشو ميكين فانهُ عند دخول جيوش اخيه في بابل احرق قصره وباد بالنــار ولم تزل بابل تتوقّع الفرصة لكي تتخلّص من نير الاثوريّين وتستقلّ من حكمهم حتى نجز لها ذلك على يد نبوبلاس سنة ٦٠٨ التي فيها خربت نينوى واقتسم المادّيون والكلدان كلّ البلاد التي كانت في حكمها وسنرى ذلك مفصّلًا في اخبار مملكة اثور

الكتاب الثالث

في اخبار الاثوريين (٢٠٠٠–٦٠٨)

الباب الاول

في اوائل مملكة اثور (٢٠٠٠—١١١٥)

الفصل الاول

اوائل الاثوريين — اثور — نينيب (نينوس) وشميرام

انّ تفاصيل اخبار الاثوريّين الاولى قد ذهبت عنا . وقد ذكرت التوراة انّ اصلهم من كلدو خرجوا منها الى اثور واستوطنوها وهذا نصّ كلامها (١) « ومن تلك الارض (اي ارض بابل) خرج اثور وابتنى نينوى ورحوبوث المدينة وكالح وراسن بين نينوى وكالح هذه هي المدينة العظيمة . » وممّا يشهد على ذلك جلياً كون لغة

(١) تكوين : ١٠ : ١١ و ١٢

الاثوريين ولغة الكلدان واحدة وكذلك قل عن ديانتهم وتمدنهم

زعم اكتازياس المؤرخ اليوناني انَّ مؤسس المملكة الاثورية كان نينيب او نينوس كما يسميه اليونان وهو الذي بنى مدينة نينوى على ساحل دجلة وجلب اليها ما عدا الاثوريين اقواماً كثيرة غريبة. ولم يزل يزخرفها حتى صارت اعظم وافخر مدينة في العالم واخضع بلاد بابل وارمنية ومادي وسائر البلاد التي بين بحر الهند والبحر المتوسط. وفي الحرب التي جرت لهُ مع بختريانة صادف شميرام امراة حنون ملك سوريا وقد خرجت مع زوجها الى الحرب وكانت شجيعة وجميلة فكلف بها نينيب واخذها من زوجها وشاركها معه في الملك

وبنت شميرام مدينة بابل ووسَّعتها اكثر من نينوى وسدَّت الفرات وبلَّطت ساحلَيهِ على مسافة ثلاثين كيلو مترًا وابتنت عليهِ جسرًا عظيما وجعلت هيكل بيل في وسط المدينة. وعصى عليها الماديُّون فاخضعتهم ثم بدات تجول في كل البلاد الخاضعة لها لتنظم احوالها. وبنت اقبطانة في مادي وشميراموكارتا في ارمنية وهي وان وطرسوس في قيليقية واينما ذهبت نقبت الجبال وكسَّرت الصخور فمهَّدت الطرق واغارت حتى على بلاد مصر والحبشة وجعلتها تحت طاعتها ولم تستقرّ نفسها بهذه الفتوحات بل حرَّكتها الى افتتاح بلاد الهند ايضاً ولكن ستَرَبات ملك الهند انتصر عليها فرجعت خائبة الى عاصمة مملكتها

انَّ شميرام كانت تقول: ولو انَّ الطبيعة جعلتني امراة لكنّ اعمالي وضعتني في صفّ اعظم الرجال. اني دبَّرت مملكة نينيب التي تمتدّ غرباً الى نهر هينامان وجنوباً الى بلاد اللبان والمرّ وشمالًا الى بلاد السغدونيّين والساقيّين ولم يكن احد الاثوريّين رأى البحر قبلي. اني رأيت اربعة اوقيانوسات لم يكن احد بلغ اليها لبعدها. جبرتُ الانهر ان تجري حيث اردت ولم ارد ان تجري الّا في المواضع المفيدة. سقيت الاراضي اليابسة بمياه انهري فجعلتها مخصبة. شيَّدت حصوناً منيعة ومهَّدت بالحديد طرقاً في جبال وعرة وفتحت لعجلاتي طرقاً لم تكن الوحوش نفسها قد سلكتها ومع هذه الاشغال كلّها صار لي وقت ان التذّ واتنعَّم مع احبَّائي

وفي نهاية حياتها توَّامر ابنها نينيا على ابادتها فلمَّا عرفت ذلك استعفت من السلطنة واستحالت الى حمامة فتالّهت. وكان يقال عنها انَّ أباها كان من الالاتين

واما امّها فكانت إلهة. هذا ما كتبه المؤرخون القدماء غير ان العلماء قد اجمعوا على انَّ نينيب وزوجته شميرام هما شخصان وهميان قد وُضِعا كناية عن ملوك نينوى واليهما نُسب على سبيل الاستعارة جميع ما اشتهر بهِ ملوك اثور الاوّلون كما انهُ نُسب الى سرداناپال الملك كل ما اتّصف بهِ بعض الملوك من الهوان والملاهي

ولست انكر ما في حكاية شميرام من الاشيآء الوهميَّة لكنّي لست اظنّ ان شخصها وشخص نينيب وهميَّان فان التقاليد مبنيَّة على حقيقة ما تاريخيَّة والزمان الطويل الذي يمرّ عليها يزيدها اخبارًا وهميَّة بعيدة عن الصـواب . فمن المحتمل انَّ نينيب وشميرام شخصان تاريخيَّان وان نينيب هو الذي بنى نينوى وباسمهِ سمِّيت هذه المدينة. ولعلَّه هو تغلت نينيب الاوَّل نفسهُ الذي وسّع مملكة اثور كما سترى وان شميرام اشتهرت ايضاً معه ومن اجل شهرتها دُعيت باسمها امكنة كثيرة منها قلعة شميرام في فارس (١) وساقية شميرام في وان (٢) وقد ذهب بعض العلماء ان شميرام هذه هي شميرام امرأة شمشيداد الرابع وستأتي قصته

الفصل الثاني

الملوك الاحبار (٢٠٠٠—١٦٠٠) — الملوك الاوَّلون (١٤١٨—١٣٢٠) ومحاربتهم مع الكلدان — اداد نيراري الاوّل (١٣٢٠—١٢٩٠) — شلمناسر الاول (١٢٩٠—١٢٦١) نقله سرير الملك الى كالح — تغلاتنينيب الاول (١٢٦١—١٢٤٠) وفتحه بابل وقتله بيد ابنه اسورناصربال — انتصار تغلات اسوربال على اخيهِ اسورناصربال — محاربة خلفائه مع الكلدان — اسوريشيشي وغزواته (١١٣٥—١١١٥)

من اخبار الاثوريّين الصحيحة انهم كانوا في حوزة الكلدان منذ قديم الزمان والذين كانوا يسوسونهم كانوا احبارًا (٣) فنهم إيريشوم وإيكنوم وإسمدكان وشمشيداد (٤) الاول وايكوركبكابو وشمشيداد الثاني وعاش هولآء الملوك

---

(١) جهان نما: الفصل ٣ (٢) راجع ايضاً موسى الخوريني: ٤: ١٥

(٣) ماسپيرو: ٣٦٥

(٤) ان المستشرقين قرأوا وكتبوا هذا الاسم في الاول شمشيرمان

الاحبار بين سنة ٢٠٠٠ و ١٦٠٠ قبل المسيح ولمّا تسلّط المصريون على بلاد سوريا بدات مملكة الكلدان بالانحطاط. واما الاثوريون فاصطلحت احوالهم وعظم شانهم فنراهم في الجيل الخامس عشر مستقلّين من بابل. ومن ملوكهم اسوربيلنيشيشو وبوزوراسور واسورنا دنحا واسوربليت (نحو ١٤١٨—١٣٧٠).

وفي ايام اسوربيلنيشيشو جرت الحرب بين اثور وكلدو فضرب هذا الملك عهدًا مع كريندااش ملك بابل وجدّده ايضاً بوزوراسور ودام العهد في ايام اسورنادنحا واسوربليت لا بل ان هذا زوّج ابنته مع بكراخداش ملك بابل ولكن بعد وفاته قام البابليّون على ابنه قدشمانحربا وقتلوه وملّكوا مكانه رجلًا يقال له نازيبوگاش فغضب اسوربليت واراد ان ينتقم لحفيده فاغار على بابل وقتل الغاصب وردّ تخت المملكة الى حفيده الاصغر كوريگلزو الثاني

وتخلّف بعد اسوربليت بيلنيراري (١) الاول (نحو ١٣٧٠—١٣٤٥) ثم بوديلو (٢) (نحو ١٣٤٥—١٣٢٠) ثم ادادنيراري (٣) الاول (نحو ١٣٢٠—١٢٩٠) وجرت لهذا وقائع مع كوريگلزو الثاني ملك بابل وانتصر عليه وضبط منهُ كل البلاد التي تمتدّ من نهر الخابور الى حدود بابل. وقهر ايضاً نازِمْرُتَّاش خليفة كوريگلزو وضبط منهُ كل ما كان في حكمه من البلاد من پيلاسكي الى بلدة لولوما (٤)

وجلس بعده على تخت المملكة شلمناسر الاول (٥) (نحو ١٢٩٠—١٢٦٠). وكان مولعاً في الحرب فصرف كل حياته في حمل السلاح ومحاربة الشعوب التي كانت في تخوم مملكته فزحف على الاراميين الذين في جبل ماشا (٦). وكانت قبائلهم المتعدّدة قد انتشرت من دجلة الى باليخ والفرات ففتح مدنهم ودكّ حصونهم ثم اغار على بلاد كيرخي الممتدة من دجلة الى بحيرة اورمية

---

(١) ويوجد من يكتب اثليل نيراري (مجلّة الكتاب المقدس: ٧ ص ٥٥

(٢) ويوجد من يقرأ أريكدين إيلي (كذا)

(٣) ان ألمستشرقين الاولين كانوا يقرأون: رَمَّان نيراري

(٤) راجع ماسپيرو: ف ٥٩٥—٥٩٧ (٥) راجع ماسپيرو: ف ٦٠٧-٦٠٩

(٦) هو الجبل المسمّى الان قرهجه طاغ واليونان سمّوه ماسيوس

وعبر الفرات ايضاً يريد الغزو . واذ بلغهُ انَّ المدن التي في اطراف دور كوريكالزو امتنعت عليه كرّ على اعقابه طائرًا اليها على جناح السرعة واخضعها

وكان سرير ملوك اثور الى ذلك الحين في مدينة اثور ومنها اخذوا تسميتهم وأُطلق على كل جيلهم . فزيّن شلمناسر هذه المدينة ورمم هياكلها وزَقُّرتاتها . ثم نقل تخت المملكة الى مدينة كالاح حيث جاس خلفاؤه مدَّة اجيال كثيرة

ومات شلمناسر نحو سنة ١٢٦٠ . وبويع بالملك ابنهُ تغلت نينيب الاول (١) وهو اول ملك اثوريّ افتتح مدينة بابل (٢) واتّخذ لقب ملك اكاد وشومير . انَّ الملوك الكوسيّين في بابل كانوا قد ضعفوا كثيرًا فقدحت نار الحرب بينهم وبين تغلت نينيب الاول وتمادت هذه الحرب طويلًا ثم أُلقي الصلح بين الفريقين . لكن تغلت نينيب اصاب فرصة لحمل السلاح على كلدو من حرب شبَّت بينها وبين عيلام . فحاصر بابل وافتتحها وقتل قسماً من سكَّانها ودخل هيكل بيل ومسك بيدي هذا الاله وهكذا جعل نفسه ملكاً على بابل ونهب القصور والهياكل واخذ تمثال مرودخ والشعائر الملوكيَّة ورجع الى اثور غانماً منصورًا

غير انَّ بابل لم تبقَ في حكم الاثوريّين الا سبع سنين فانَّ اسورناصربال نشر لوآء العصيان على ابيه تغلت نينيب وحاصره في المدينة التي شيَّدها على اسمه اي كرخ تغلت نينيب (٣) وكانت بالقرب من كالح ثم قبض عليه وقتله نحو سنة ١٢٤٠ فانتهز البابليون الفرصة وهجموا على الاثوريّين وطردوهم من جميع المدن التي كانوا مستولين عليها

والبائن انَّهُ من بعد قتل تغلت نينيب الاول صار النزاع بين اسورناصربال واخوته وتمادى هذا النزاع مدَّة ستّ سنين حتى ملك تغلت اسوربال ثم جلس على تخت المملكة اسورنيراري الاول . ولم يشتهر بشيءٍ . ثم ملك بيلكدناصر وحمل

---

(١) راجع ماسپيرو : ص ٦٠٩—٦١٢ والمستر كنغ : آثار تغلت نينيب الاول ١٩٠٤

(٢) راجع ص : ٣٥ من هذا الكتاب

(٣) ان المستشرقين يكتبون كار تغلت نينيب . امَّا انا فكتبتها كرخ عوض كار لانَّ ܟܪܟܐ بالكلدانية معناها مدينة مسوّرة وحصن وقلعة كما يقال كرخ سلوخ وكرخ ليدان وكرخ ميشان

السلاح على بابل يريد الاستيــلاء عليها فقاتله اداد شُمناصر ملك بابل ووقعا كلاهما قتيلَين وكانت النصرة للبابليــين فرجع الاثوريون خائبين الى بلادهم وملك في بابل ميلشحو وفي كالح نينيبپلاسر فتصالحا . وملك بعد نينيبپلاسر ابنه اسوردان الاول (نحو ١١٨٢—١١٤٥) وممَّا اشتهر بهِ انَّهُ قاتل الكلدان ورجّع مدينة زابا واريكا واكارسا التي كان البابليون قد ضبطوها . وجلس بعده على تخت المملكة مُتكل‌نوسكو (نحو ١١٤٥—١١٣٥) ثم اسور ريشيشي (نحو ١١٣٥— ١١١٥) وكان هذا شجــاعاً فاخضع عشرين دلدة وبدّد الاحلاميين وسحق اللولوماويّين والكوتيين ووصل الى حدود عيلام . وبايامه هجم نبوكدناصر الاول ملك بابل مرّتين على اثور ورجــع خائبا تاركاً كلّ عجلاته كما شرحنا ذلك في محلّه

الباب الثاني

في دولة اثور العظمى الاولى (١١١٥—٩٠٠)

الفصل الاول

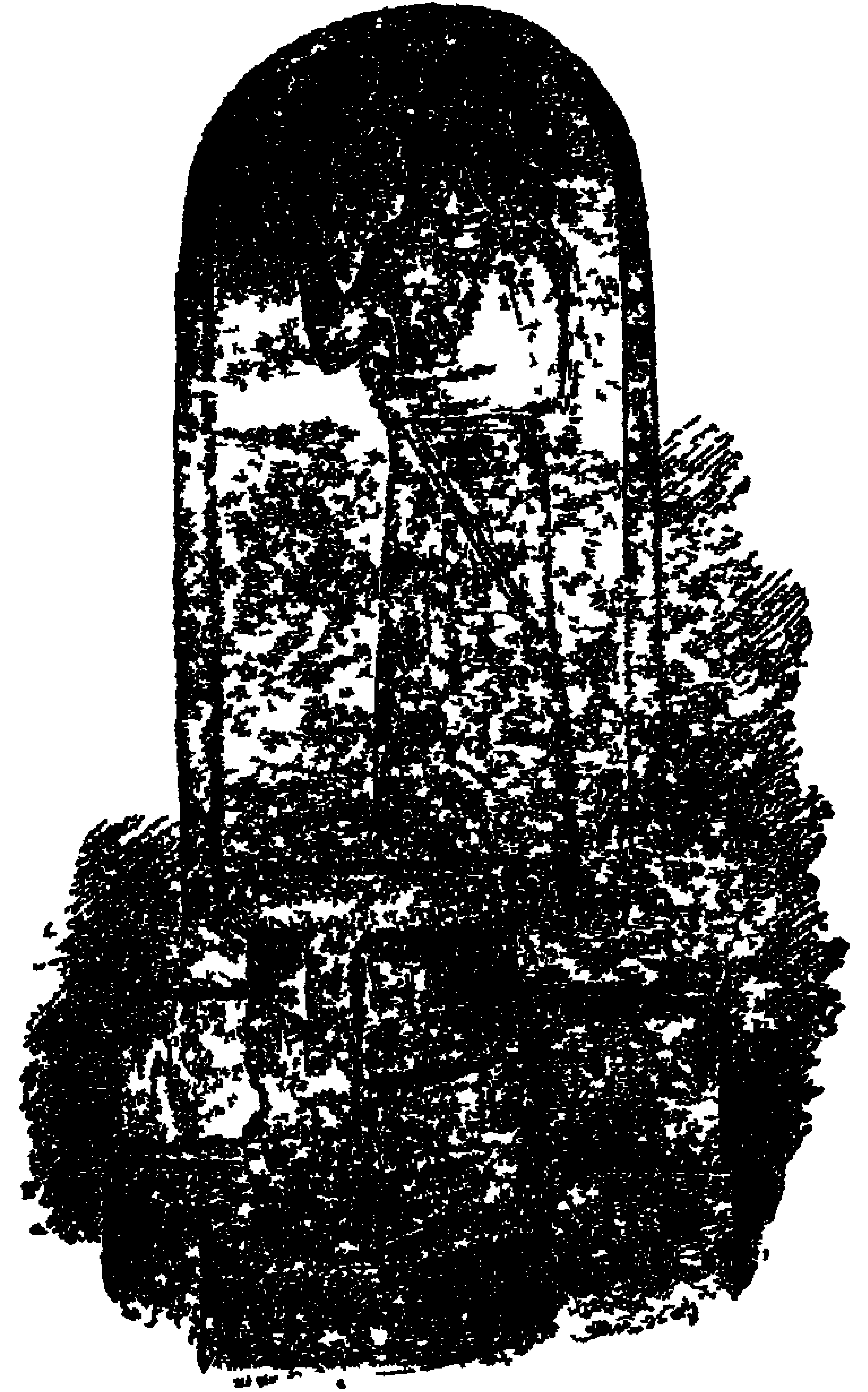
في جغرافية البلاد المحاطة بمملكة اثور

انَّ مملكة اثور كانت محاطة من كل جهة بممالك وشعوب وقبائل شتّى . ففي الجهة الجنوبية كانت دولة الكلدان العظيمة . وقد سبق الكلام عنها (١)

وفي الجهات الشرقية اي في اقضية سليمانية الحالية وفي بلاد ايران كانت كوتي وزاموا وغري وبارسوا وخوخو ومناي . اماَّ كوتي فكانت بين رادان وديالة . وزاموا كانت تمتدّ من ينابيع رادان الى اطراف بحيرة اورميا اي في النواحي الجبلية بين ديالة ورادان . ومن اشهر ممالكهــا مُرداش وسردوش ولولوما وخودون وكسرتا واراشتوا وزمري — وغري كانت في شرقي زاموا في الجــانب الايسر من ديالة — وبارسوا في عربيّها في اطراف بحيرة اورمية — ومناي في غربي البحيرة — واماَّ خوخو

---

(١) راجع ص ١—٥ من هذا الكتاب



اسورناصربال الاوّل ملك آثور (انظر صحيفة ٤٨)



تغلاتبلاسر الاوّل ملك آثور

فكانت تشمل ولاية كرمانشاه الحالية . وفي شرقيّ هـذه البلاد كانت مادي وهي تمتد الى بحر قزوين

وفي الجهات الشمالية والشمالية الغربية اي في ارمنية واسيا الصغرى المدعوّة اليوم اناضول كان يوجد بلاد عديدة وممالك شتّى . وكان الاثوريون يطلقون اسم نيري على جميع البلاد الممتـدّة من بحيرة وان الى نهر هاليس المعروف اليوم بقزل ايرماق . والبلاد التي في اطراف بحيرة وان كانت تُدعى أُرارطو او أُرارطا وهي التي يدعوها الكتاب المقدس أراراط . والتوباليون موقعهم في وادي نهر أرس المدعو الان يشيل ايرماق ويمتـدون الى البحر الاسود . واالاشكيون (١) كانوا على سواحل الفرات الاعلى ويمتدُّون الى هاليس . وكومانو كانت في اطراف ينـابيع ساروس المعروف اليوم بنهر سيحون وهي التي سمّيت فيما بعد قبادوقيـة . وفي جنوبي كومانو اي في قيليقية كانت قوا . و [illegible] او كموج او كمّاجين كانت في منحدرات الطور بالقرب من سميساط وفي وادي دجلة الاعلى وتمتد الى حدود ديار بكر . وكيرخي او كورخي او كورتي كانت تمتدّ من جدول دجلة الغربي الى جبال جودي . وختارا موقعهـا في قضاء ليجه . ونومي في قضاَني وارطو وبولانق في سنجاق موش . وكيروري في قضاَني صامسون وموش . وخانا في خيوط في اطراف بتليس . وكيرزان او كيلزان في حيزان . وخبوشخيا كانت تمتد من حيزان الى شتاق في ولاية وان

وفي الجهات الغربية والغربيـة الشمالية . كانت الجزيرة وسوريا . امّا الجزيرة المدعوّة ايضاً ما بين النهرين فاشهر الممالك الارامية التي فيها بيت اديني بين الفرات وباليخ وعاصمتها تل بارسيب . ومملكة زوحي ولاقي كانتا على شواطئ الفرات بين خابور وباليخ . ومملكة بيت زماني بين الفرات وينابيع باليخ . وان الجبال التي تفصل وادي دجلة من وادي الفرات والمعروفة اليوم بقره جه طاغ كانت تُسمّى كشياري . وجبال طور عابدين كانت تدعى ايزلا وهي المسماة عند اليونان ماسيوس واسمها الاراميّ ماشا . وبلدة سيورك كانت تُعرَف بجازيدجا وقاعدتها كيتابا . وبلدة نيربا كانت في منحدرات قره جه طاغ الجنوبيّة وعاصمتها تلّا وهي ويران شهر الحاليّة

---

(١) قيل ان المسقوفيين الحاليـين ينتمون الى الماشكيين او الموشكيين (راجع فليكس يوليان : سياحة في ارض بابل . باريس ١٨٧٦ص ٢١١

واما سوريا فكان اسمها في اللغة المصريّة خارو او شارو واتخذهُ اليونان فقالوا فيه سوريا. وقيل ان سوريا تحريف اسوريا اليوناني اي اثور والراي الاول اصحّ. وبعد الهجرة اطلق العرب على سوريا اسم الشام وكان يحدُّها شمالًا الطور وهو المعروف عند اليونان بجبل طوروس ويدعى الان كورين وشرقاً الفرات والبادية وجنوباً البحر الاحمر وبلاد العرب وغرباً البحر المتوسط. وكان للحيثيين منذ قديم الزمان دولة عظيمة في اناضول وسوريا الشماليّة وسوريا الوسطى ثم بعد انتصار مصر عليها تقسمت الى ممالك شتى. اشهرها مملكة قرقميش وكانت على الفرات. وپاتين في غربي قرقميش. ومملكة حماة وصوبا في جنوبيّ پاتين. ومملكة ارني بين پاتين وجبل حمانا المعروف اليوم باللكام. واكوسي بين الفرات ونهر عفرين. وفي الشمال كانت كركم في جنوبيّ مرعش. وشمأل بقرب كركم. وبين سلسلة جبال لبنان والبحر المتوسط كانت بلاد فونيقي وكان يدعوها الاثوريون احارا (ܐܚܪܐ) اي الاخير وامتدادها من مدينة ارواد شمالًا الى عكا جنوباً واشهر مدنها: ارواد وجبيل وبيروت وصور وصيدا. وفي سوريا الجنوبيّة كانت دمشق وفلسطين اما فلسطين فكان فيها ثلاث ممالك: مملكة اسرائيل ويهوذا والفلسطينيين وفي اطراف فلسطين كانت عدّة شعوب صغيرة منها العمالقة والموابيون والعمونيُّون والادوميُّون

الفصل الثاني

تغلاثپلاسر الاول (١١١٥——١١٠٠)

زحفه على ماشك وكماجين وكورخي وميلديش — غزوته الثانية في كورخي وغارته على مورداش وسورداش وسوكي — انتصاره على ٨٢ ملكاً من ملوك نيري — غزوته في ما بين النهرين ومصري وكومانو — فتحه مدينة قرقميش وانتهاؤه الى البحر المتوسط — نقش صورته على صخرة بقرب ينابيع دجلة — فتحه بابل واتخاذه فيها لقب ملك اكاد وشومير — ابنيته

ان تغلاثپلاسر من افضل ملوك اثور (١). وقضى كل ايام ملكهِ في الحروب

(١) عن تغلات پلاسر الاول راجع تاريخ دول الكلدان والاثوريين العظمى تأليف أوپير ص: ٤٤-٥٩ ; وماسپيرو: ف ٦٤٢—٦٦٣ وماسپيرو: ص ٣٤٧-٣٥٤ ; ومجلّة

غير مبالٍ بالتعب والخطر. انَّ اباه اسوريشيشي خلّف لهُ مملكة زاهرة فوسّعها هو بنوعٍ عجيب وجعلها في مصف الدول العظيمة. ففي اول سنة من ملكهِ زحف على الماشكيين الذين انحدروا من جبالهم تحت قيادة خمسة ملوك وهجموا على كماجين وكان الماشكيّون قبل ستين سنة في حوزة اثور ثم عصوا واستقلّوا فخرج تغلاتپلاسر من كالح بعــد بضعة اسابيع من تتويجه ومرّ بسرعة على سنجار ونصيبين وماردين وآمد وانقضّ على كمّاجين حيث كان ينتظره عشرون الفاً من الماشكيين. فهجم عليهم كالاسد الضاري وكسرهم وهزمهم وتتبعهم في الجبال والاودية وقال هو عن نصرته هذه: « ملات من جثثهم اودية الجبل وقممهِ. قطعت رؤوسهم وكلّلت بها اسوار مدنهم وسقت عدداً لا يحصى من الاسرى وملكت على خزائن لا تُعدّ. وان ستة آلاف من الذين خلعوا طاعتي خرّوا ساجدين قدامي فترحمت عليهم. » وكانت جيوش كماجين قد انفصلت في الهزيمة من الماشكيّين وعبرت دجلة فتحصّنت في قلعة شيريشا(١) مفتكرةً انّها في امن هناك داخل اسوار كثيفة منيعة من غابات وتلال عالية. لكن ملك اثور تتبعها وقطع اشجار الغابات وفتح طريقاً لجيوشه وعرباته الى ان انتهى الى القلعة فافتتحها وقتل جميع الذين كانوا ضمنها. قــال في احد آثاره: « وان الذين بقوا من عساكرهم لم يقدروا على مقاومتي. فخوفاً من اسلحتي المهولة ونجاةً لانفسهم التجأوا الى قمم الجبال والهضاب الشاهقة فصعدت متقفياً اثرهم فحاربوني ولكني هزمّتهم وعبرت مثل الزوبعة على صفوفهم في اودية الجبال وفتحت كل بلاد كموج وجعلتهــا في حدود مملكتي انا تغلاتپلاسر الملك القويّ قاتل الاشرار ومستأصل جيوش الاعداء. »

وبعد ان ضبط قلعة شيريشا رجع على اهالي كورخي الذين كانوا ياتون الى مساعدة الاعداء وحمل عليهم وغرّقهم في مياه نامي وقبض على اميرهم كليتشوب وارسله الى اثور هو ونساءه واولاده وكنوزه وتماثيل الهته ثم كرّ على اعقابه وعبر الى الجانب الايمن من دجلة وهجم على قلعة اوراخينا فانهزم سكّانها واماً ملكهم

---

(١) ماسيرو: (ص ٦٤٤: حاشيــة ٢) يرتإي ان جيوش كمّوج عبروا الدجلة قدام آمد وهي ديار بكر وتحصّنوا في شمالي ميافرقين. وان شيريشا كانت بين جبال سلوان وآق طاغ وان نهر نامي هو النهر المعروف الان ببطمان صو

الكتاب المقدس: ٩ ٥٦-٥٨

شاديشتوب بن خاتوشارو فخرج للقائه وخرّ على قدميهِ ساجدًا لهُ وقدّم لهُ كل ما كان عنده من ذهب ونحاس ومواش فعفا عنهُ وتركهُ على سرير ملكه وهكذا عامل سائر حلفائهِ الذين طلبوا منهُ الامان وفي رجوعه الى اثور اراد ان يستولي ايضاً على البلاد الجبليّة التي كانت بين بحر نيري الاعلى (١) ومملكتهِ وكانت تلك البلاد مثلما نراها اليوم مكتسية باشجار كثيفة مشيدة على جبال عاصية ونهر الدجلة الشرقي المدعو اليوم بهتسان يجري هو والجداول التي تنصبّ فيه في اودية عميقة معوّجة ولم يكن باستطاعة اي جيش كان ان يتحرّك في كذا امكنة وعرة ليفاجئ القرى المنيعة والقبائل البدّدة في الاودية والجبال فأخذ تغلاتپلاسر معه ثلاثين عربة فقط وقسماً من المشاة وتوغل هناك ثم اضطرّ ان يترك العربات على ساحل اروما ويزحف بالمشاة على سكّان مِلديش فنكّل بهم واحرق قراهم فسلّمت لهُ جميع تلك البلاد وفرض عليها جزية تؤدّيها لهُ كل عام

وفي السنة الثانية من ملكه باشر غروتين فارسل قسماً من عساكره الى الجهات الشرقية من مملكته فعبرت الزاب الاصغر. واماَّ هو فحمل ثانية على كورخي ليخضعها تماماً. قال في احدى كتاباتهِ: « ان الاله اشور ربّي قال لي ان امشي. فجمعت عرباتي وجيوشي وتوغلت في امكنة عاصية بين جبل إدني وجبل أيا. بين هذين السدّين الحادّين مثل رأس السكين. فلم يمكن لعرباتي ان تعبر. فتركتها في السهل والتزمت ان اتسلّق جبالًا عاصية. فجمع الكورخيون عساكرهم الكثيرة لكي يحاربوني وتحصّنوا في منحدرات جبل ازوبتاكيش وكان المكان منيعاً. فحاربتهم وانتصرت عليهم. » وحملته شجاعتهُ الغريبة ان يتوغل في جبال ارمنية. وافتتح اربعاً وعشرين مدينة واحرقها كلها. ثم طار على جناح السرعة الى البلاد التي في شرقي اثور اي الى سواحل الزاب الاصغر والى حدود لولوما. فقاومتهُ إمارتا موردّاش وسردوش. فقاتل الاعداء بشدّة وشجاعة لا مزيد عليهما حتى انهُ دخل معسكرهم مستلًا بيده السيف وهو يضرب ويقتل يميناً وشمالًا. وكانت نصرته تامّة فاخضعهم وفرض عليهم الجزية ثم ان فتنة حدثت في كورخي جبرتهُ ان يرجع سريعاً الى ينابيع دجلة في ارمنية. فان قبيلة سوكي جمعت تحت بيرقها نحو ستة آلاف مقاتل وتحصنوا في جبل خيريخا

---

(١) بحيرة وان

فحمل عليهم وكسرهم وافتتح مدنهم واخذ منهم ستة وعشرين تمثالاً لآلهتهم وارسلها الى اثور لتتوزع على هياكل بيليت واداد وايستارا

وفي السنة الثالثة لملكه اغار على البلاد التي في الغرب الشمالي الممتدَّة من نهر قزل ايرماق الى بحيرة وان ويقال لها نيري . وكان فيها ممالك شتّى وسكانها مشهورون بالشجاعة والقساوة ويشتغلون بالمعادن . فاخذ تغلات پلاسر طريق آمد واوغل في الغابات والجبال وقطع ستّ عشرة سلسلة جبلية الواحدة بعد الاخرى . ثم عمل جسراً على الفرات وعبر . ولما اتصل الخبر بملوك نيري اتفقوا جميعاً وتداعوا الى مقاتلته واجتمع منهم ثلاثة وعشرون ملكاً . واتى ايضاً الى مساعدتهم ستون ملكاً من سواحل البحر الاعلى وهو البحر الاسود . وكان القتال شديداً فانتصر عليهم ملك اثور واسرهم جميعاً . ثم بعد ان أجبرهم ان يسلّموا اليهِ اولادهم وفرض عليهم تأدية الف ومائتَي حصان والفي ثور خلّى سبيلهم وارسلهم الى مدنهم عدا سيني ملك دياني (١) الذي كان قد قاومهُ شديداً فانهُ استاقهُ اسيراً الى اثور زينةً لنصرته . ثم اطلقهُ ايضاً بعد ان اجبرهُ على السجود لآلهتهِ

والسنة الرابعة من ملكه صرفها تغلات پلاسر في اثور لراحة عساكره ونظامها اذ لقيت شدائد عظيمة في جبال ارمنية وتلف منها خلق كثير وعمل مع ذلك سياحة حربية في فيافي ما بين النهرين غازياً الاحلاميين وبقيَّة الرُّحل من القبائل الاراميَّة . وفي يوم واحد قطع الاثوريون الفيافي التي بين زوخي ومعبر الفرات حتى انتهوا الى مدينة قرقيش قاتلين كل من قاومهم وناهبين القرى . وهرب الاراميون الى الجانب الاخر من الفرات في مملكة الحيثيين ظنّاً منهم ان ملك اثور لا يتجاسر ان يتعقبهم هناك . فعبر الاثوريون الفرات على اكلاك واحرقوا ونهبوا نواحي جبل بشري (٢) وفتكوا بكثيرين من السكّان . فذعر الاهالي وستّ من القرى الكبيرة المحصّنة فتحت لهم ابوابها دون قتال وهكذا رجعوا غانمين غنيمة باردة

وفي السنة الخامسة من ملكه ظهر ملك اثور من جديد في البلاد الواقعة في ساحة الفرات الاعلى اي في اطراف مالاطية لكي يتمم فتوحاته الاولى . فهجم

---

(١) كانت دياني على سواحل مرادصو وقال البعض انها بقرب ملازكرد

(٢) تلّ باشر الحالي

أوَّلًا على مصري المتصلة بميليد (١) ونهبها ٠ وكان عشرون الف مقاتل من كومانو قد تحصَّنوا في جبل طالا (٢) ٠ فحمـل عليهم واثخن فيهم الجراح وطاردهم الى سلسلة جبل خاروسا بازاء مصري ٠ فالتجأوا الى مدينة خوموسا وكانت منيعة الى الغاية ذات ثلاثة اسوار ٠ فلم يرتخ عزم تغلات بلاسر بل تشجَّع وهـدم الاسوار الواحد بعد الآخر ودخل المدينة واخربها ٠ ثم حمل على كيبشونا عاصمـة كومانو ودكَّ اسوارها ٠ ولم يقتل فيها احدًا بل ارسل الى اثور ثلاثمائة عائلة اشتهرت في معاداته وفرض على المدينة جزيةً تؤديها لهُ كل سنة

وهكذا نرى ان تغلات بلاسر في مدَّة خمس سنـين اخضع اثنتين واربعين مملكة كانت تمتد من سواحل الزاب الاصغر الجبليـة الى سواحل البحر المتوسط ٠ ونقرأ على احد اثاره هكذا : « منـذ بداية جلوسي على تخت المملكة الى السنة الخامسة كانت يدي قد اخضعت اثنين واربعـين شعباً وقهرت ملوكها من سواحل الزاب الاصغر الجبلية البعيـدة الى الفرات والى بلد الحيثيين (٣) والى البحر الاعلى حيث تغرب الشمس ٠ » ولم يكتفِ تغـلات بلاسر بهذا كله بل اراد ان يوسّع مملكته توسيعاً اعظم ٠ فوجَّه الحاظهُ الى بلاد سوريا واستولى على مدينـة قرقميش عاصمة مملكة الحيثيين وعلى الشعوب التي حواليها ٠ ثم عبر الفرات وتسلَّط على جميع بلاد سوريا الشمالية ٠ ورقي جبل لبنـان وانتهى الى البحر المتوسط ٠ ودخل البحر وقتل فيهِ دلفيناً فالقى اسمهُ الرعبة في قلب رعمسيس ملك مصر ٠ فارسل اليهِ هدايا كثيرة نفيسة من جملتها تماسيح وحصن بحريَّة ٠ واستغرب الاثوريون هـذه الوحوش التي لم يكن قد رأوها ابدًا ٠ والظاهر ان تغلات بلاسر في وصوله الى نهر الكلب في لبنان نقش صورته على ضفَّتهِ الجنوبية وذلك تذكارًا لانتصاره هذا ٠ والصفيحة التي تتضمَّن صورته مع الكتابة المسمارية قد حُفِظت هناك الى يومنا هذا (٤) ٠ ومما منع الاثوريين ان يتوغلوا اكثر في فونيقي ويصلوا الى فلسطين عصيان نيري عليهم

ان اخبار سني تغلات بلاسر الاخيرة لم تصل الينا بالتفصيل ٠ والذي نعرفهُ هو انهُ اغار مرارًا على نيري التي كانت تستثقـل نيره ٠ وفي غارته الاخيرة حلَّ بقرب

---

(١) مالاطية (٢) في قضاء زيتون (٣) ان الاثوريين كانوا يسمّون السريان حيثيّين (٤) راجع المشرق ١٨٩٨ ص ١٠٨٩

ينابيع زينبة احد جداول دجلة ونقش هناك على صخرة ما نصهُ : «بموجب ارادة سادتي اشور وشمش واداد الآلهة العظيمة انا تغلات بلاسر ملك اثور ابن اشوريشيشي ملك اثور ابن مُتكِل نوسخو ملك اثور الذي انتصرت على الشعوب منذ البحر العظيم الى نيري واخضعت لثالث مرة بلاد نيري» . ونعرف ايضاً عنهُ انهُ في السنة العاشرة لملكه جرت لهُ وقائع مع عيلام وكانت الدائرة على العيلاميين . ثم اشتعلت نار الحرب بينهُ وبين الكلدان . وكان ميدانها في ناحية ارزوخينا في ساحة الزاب الاصغر . وفي السنة التابعة انتصر انتصارًا تامًا على جيوش الكلدان ودخل بابل واتخذ فيها لقب ملك اكاد وشومير لكنَّ هذه الغلبة لم تدم الا سنتين . فان مرودخنادنخا ملك بابل تقوَّى وحمل على الاثوريين وطردهم من مملكته وطاردهم حتى بلاد اثور وفتح مدينة هيكلا واخذ تماثيل الالهة وذهب بها الى بابل ووضعها في هيكل بيل (١)

ولم يعش تغلاتبلاسر كثيرًا بعد كسرته هذه . ولعلَّ الشيخوخة منعتهُ من الغارة على بلاد الكلدان . وتوفي نحو سنة ١١٠٠ ومع كونه قائدًا فاضلًا كان مولعاً بالبناء ايضاً . فان اغلب هياكل مدينة اثور كانت قد بُنيت في الزمان الذي كان فيهِ الاثوريون تحت حكم الكلدان . فكانت إمَّا قد مالت الى الخراب واما انها لم تكن عظمتها توافق عظمة دولة كبرى . فعظَّم ووسَّع تغلاتبلاسر هياكل إيستارا ومارتا وبيل وجدَّد هيكل الاله اشور الذي كان قد شيَّدهُ شمشيداد بن اسمدكان قبل سبعمائة سنة . وشيَّد عليهِ زقرتَّين عظيمتين مرتفعتين الى السماء ورصّعهما بالخزف المدهون بالميناء وكرَّسهما باحتفال لا مثيل لهُ . وشيَّد ايضاً على شكل هذا الهيكل هيكلًا آخر لاداد الإله

ومما اشتهر ايضاً بهِ تغلاتبلاسر الصيد . وقد اتى في آثاره انهُ في السنين الخمسة الاولى من ملكه قتل مائة وعشرين اسدًا واربعة أرآم ذكر في سهول متاني واتى بجلدها وقرونها الى مدينة اثور . وصاد ايضاً في ارض حران وعلى سواحل خابور اربعة عشر فيلًا . واتى باربعة منها الى اثور وهي حيَّة

---

(١) راجع ص ٣٧ من هذا الكتاب

الفصل الثالث

انحطاط دولة اثور العظمى الاولى في ايام اسوربيلقالا وشمشيداد الثالث واسورناصربال الثاني وخلفائهم منذ سنة ١١٠٠ الى ٩٠٠

انَّ تغلاتپلاسر كان قد وصل بفتوحاته الى بلاد شاسعة وكانت دولته واسعة جدًا. فلم يقدر خلفاؤه ان يحافظوا كما يقتضي على كذا ملك جسيم. ولمَّا مات جلس مكانه ابنه اسوربيلقالا. واخذ بثار ابيه من الكلدان(١) فانه استولى على بغدادا وغزا اطراف بابل حتى ان الملك مرودخشاپكزيرات التزم ان يطلب الصلح ودام الصلح طويلًا. لا بل انَّ اسوربيلقالا تزوَّج ببنت اداد بيلدان خليفة مرودخشا پكزيرات ولم يُعرف شيء عن شمشيداد الثالث خليفة اسوربيلقالا سوى انه زخرف الهياكل التي كان سلفاؤه قد بنوها وجلس بعده اسورناصربال الثاني وساءت احوال اثور في ايامه فانَّ الحيثيين اتفقوا جميعاً على محاربته وكسروه بقرب قرقميش نحو سنة ١٠٦٠ (٢) ومنذ ذاك الزمان بدأت المملكة بالانحطاط فاستقل منها شيئًا فشيئًا بلاد قيليقية ومالاطية ونواحي قرهجه طاغ وجبل زكَرا وفيافي الخابور ونيري. ومع رونقها وبهآئها طُمِست ايضاً نجوم اخبارها واخبار ملوكها ولم يصل الينا سوى اسماء ثلاثة منهم وهم إربإداد واسورنادنحا الثاني وتغلاتپلاسر الثاني امَّا الاثنان الاولان فقد بنيا قصورًا وامَّا الثالث فملك نحو سنة ٩٥٠ ولا يُعرف عنهُ شيء. وتخلَّف بعده اسوردان الثاني نحو سنة ٩٣٥ واهتمَّ باصلاح امور المملكة الداخليَّة فانه حفر قناة وجلب المياه الى عاصمته وعمرَّ الهياكل وحصَّن المدن والذي خلَّص مملكة اثور من الانقراض التام ضعف مملكة بابل فأنَّها هي ايضا بدات بالنزول والانحطاط من جرَّاء الفتن التي حدثت فيها (٣) لكن الاثوريين لم يستمرّوا مطمورين تحت الهوان

---

(١) كذا كتب ماسپيرو في كتابه الصغير (ص: ٣٥٤) واما في كتابه الكبير (: ت ٦٦٤) فيقول واضحاً ان اسور بيلقالا لم يحارب ابدًا البابليين

(٢) راجع ماسپيرو : ص ٣٥٤ ; وماسپيرو : ت٢ ٦٦٤-٦٦٥ وك: ٣-٤ ومجلة الكتاب المقدس: ٩ ٥٨ (٣) راجع الصحيفة ٣٨ من هذا الكتاب

والذلّ. فانّهم افضل الناس قوةً وبأساً واكثرهم براعة في القتال. وانّما رخاوة بعض ملوكهم جلبت عليهم البلايا فحان وقت فيه قام ملوك ذوو حزم وشجاعة اقاموا مملكة اثور من سقطتها واوّلهم ادادنيراري الثاني وذلك بعد مرور قرن ونصف من انحطاطها

الباب الثالث

دولة اثور العظمى الثانية (٩٠٠—٧٤٦)

الفصل الاول

قيام مملكة اثور من سقطتها في ايام ادادنيراري الثاني (٩٠٠—٨٩٠) وتغلاتنينيب الثاني (٨٩٠—٨٨٥) ترميم ادادنيراري اسوار اثور — حربه مع الكلدان وانتصاره — قساوة تغلاتنينيب الثاني نحو الاسرى — فتحه بلاد نيري — نقش صورته هناك بجانب صورة تغلاتپلاسر الاول

انّ ادادنيراري الثاني (١) قام بالملك نحو سنة ٩٠٠. ومن اعماله انّهُ عمّر باب دجلة في مدينة اثور وقسماً من اسوارها ووسّع هيكلها العظيم واخضع اغلب الولايات التي خلعت طاعة اثور. وجرت لهُ وقائع مع شِمِشْمُودَمّيق ملك بابل. وكان ميدان الحرب بين الزاب الاصغر وتورنات فانكسر الكلدان عند جبل يلمان. ولم يعش ملك بابل كثيرًا من بعد كسرته هذه. وجلس مكانه نبوشمشيكون وانتصر عليه الاثوريون كذلك وضبطوا منهُ قلعتَي بامبال وبغدادا وقبضوا عليه واقتادوه اسيرًا الى اثور. واستولوا على اغلب البلاد التي في الجانب الايسر من الزاب الاصغر بين دجلة وجبل زكرا. ثم تصالح الفريقان وصاهر ملك اثور وملك بابل بعضهما بعضاً (٢)

وقام بعده تغلت نينيب الثاني (٣) نحو سنة ٨٩٠. وكان مولعاً في الحرب

(١) ماسبيرو: ج ٤ يلقبهُ بالثالث (٢) طالع صحيفة ٣٩ من هذا الكتاب

(٣) ماسبيرو: ج ٦

قاسياً ظالماً وقيل عنهُ انه انتصر على الاعداء وقطع رؤوسهم وعلّقها على العيدان. وكانت اكثر غاراته على نيري. اماّ تفاصيل غزواته فقد ذهبت عنّا. ومماّ يعرف عنهُ انّهُ في مدّة السنين الستّ التي ملك فيها اخضع كل البلاد التي في وادي دجلة الأعلى وجميع البلاد الجبليّة التي تفصل الجزيرة عن نيري. وانتهى الى ينبوع دجلة وكتب الى جانب كتابة تغلاتپلاسر الاول ما نصه: « انه بعون آلهته اشور وشمشا واداد ذهب بفتوحاته الى هناك واخضع الجبال العاصية من الشرق الى الغرب وانّهُ انتهى الى هناك مظفرًا غير مقهور وعبر مثل البرق الانهر المائجة.» ولو لم يخنهُ الدهر لاشتهر ازيد وافتتح بلادًا اكثر فانّهُ لم يملك سوى ست سنين ومات سنة ٨٨٥. لكنه خلّف جيشاً باسلًا لابنه اسورناصربال وهو الذي وسّع المملكة توسيعا عجيباً واسترجع كل البلاد التي كانت قد خلعت الطاعة لآثور

الفصل الثاني

اسورناصربال الثالث (١) (٨٨٥—٨٦٠) — تعمير مدينة كالح ونقل سرير الملك اليها — إخضاع نومي وكيرخي والقبائل الارامية في الجزيرة وزاموا وزمرو ونيري وزوخي وبيت اديني وسوريا الشمالية

انّ اسورناصربال الثالث (٢) اقام في اوائل ملكه في نينوى ومنها خرج الى الغزوات وفيها استقبل الملوك الذين اتوه ليسجدوا له. وفي السنة الرابعة من ملكه نقل تخت المملكة الى كالح وكان شلمناسر الاول قد وضع اساس هذه المدينة وبناها في الجانب الايسر من دجلة عند مصب الزاب الاكبر. فامر اسورناصربال باستئصال كل القصور والهياكل التي في كالح وشيّد مكانها قصورا وهياكل اكثر عظمة. فبنى زقورتا عظيمة لنينيب اله الحرب وكانت ذات سبع طبقات وارتفاعها نحو سبعين مترًا. وتمثال نينيب الذي فيها كان من مرمر مذهّب وفي

(١) وقيل الثاني (مجلّة الكتاب المقدس: ٩ ٥٨

(٢) راجع من هذا الملك: أوپير تاريخ دول الكلدان واثور: ٧٢—١٠٢؛ وميئان: تاريخ سني ملوك اثور ٦٦—٩٣؛ وماسپيرو: ٣ ١٣—٥١؛ ومجلّة الكتاب المقدس: ص ٥٩—٦٢

مدخلها كان تمثال للملك اسورناصربال طوله متر وقد انتصب قائمًا وبيده اليمنى منجل وفي يده اليسرى عصا . وكان قصر الملك مبنيًا على النهر وطوله مائة وعشرون مترًا وعرضهُ مائة متر ومشحوناً بصور الملك على اختلاف حركاته مشاورًا وزراءه او خارجاً الى الصيد او عابرًا النهر او متسلقاً الجبل للمحاربة . وكنت ترى في القصور او على ابوابها تماثيل اسود فاتحة افواهها للافتراس وتماثيل ثيران جسيمة وجهها كوجه الانسان وغير ذلك من الصور والنقوش المتنوّعة . وجلب اسورناصربال الى المدينة مياه الزاب في قناة وغرس على جانبيها بساتين كثيرة رائقة فيها اشجار متنوّعة وداخلها بيوت وقصور جميلة للمصيف

لكنَّ ولع اسورناصربال في الحرب والغزو كان اشدّ منهُ في البناء . ومنذ اليوم الثاني من تتويجهِ اغار على البلاد التي في الشمال الغربيّ من مملكته . فهجم على نومي (١) وافتتح كوبي عاصمتها وتسلّط على ستّ مدن اخرى من مدنها . وتحصّن الاهالي في جبل منيع تشبه قمته نصل السكين فتسلّق الاثوريون ذاك الجبل وفي مدّة ثلاثة ايام ضبطوا جميع المتاريس التي اقامها العدوّ وقتلوا مائتي رجل واسروا الباقين . فتخوّف الكيروريون (٢) وقدّموا الطاعة وسلّموا خيلهم وبغالهم وثيرانهم واغنامهم وآنيتهم النحاسيّة وغير ذلك . واقتدى بهم الشعوب المجاورة اي الادوشيّون (٣) والكيلزانيون (٤) والخوبوشكيون (٥) وارسلوا الى ملك اثور هدايا كثيرة من ذهب وفضة ونحاس . ثم هجم على كيدخي واستولى على قصر نيشتون (٦) ونهب مدن خانو (٧) وختارو (٨) وإربيدي وارزانيا وتلّا (٩) وخالوا . وأسر ملك كيدخي وارسله الى اربيل وهناك امر بسلخ جلده وتعليقه على الاسوار

وفي تلك السنة عينها توجه نحو البلاد التي في شمال غربيّ اثور . وعبر الدجلة عند آمد قاصدًا الفرات . فذُعر منهُ المشكيون والكموجيون وخرجوا للقائه مقدّمين لهُ الطاعة والهدايا وبينما هو كذلك اتاه خبر انَّ بعض المدن في ما بين النهرين

(١) قضاء بولانق وقضاء ارطو في موش (٢) في قضاء صاسون وقضاء موش
(٣) بين مياه بطمان وجتان (٤) في اطراف بتليس
(٥) في قضاء شناق وحكارية (٦) في جبال ميافرقين (٧) خيوط
(٨) في قضاء ليجة (٩) تل ناورو عند مصبّ جتان في دجلة

خلعت طاعته فطار اليها قاطعاً جبال ايزلا متوجهاً نحو الخابور. ولاح غفلةً تحت اسوار مدينة سورا. فخرج اليهِ روسآء المدينة طالبين العفو. لكنهُ قسّى قلبهُ عليهم وقاصصهم قصاصاً شديداً فنهم من سلخ جلده ومنهم من قُبر وهوحيّ ومنهم من صُلب على عواميد. فخافته جميع الاقوام المجاورة وطلب اللاقيّون الامان وكانوا يمتدون بين الخابور وباليخ. واتاه ايضاً حَيان ملك حينداناا على الفرات وقدّم له ذهبا وفضة ونحاساً وحجارة كريمة وارجواناً وجمالًا. وعلامة لعبوديته نصب تمثال اسورناصربال في وسط قصره

وفي السنة الثانية من ملك اسورناصربال اتى حوباني ملك زوخي الى نينوى ومعهُ كميّة وافرة من الذهب والفضة وقدّم لهُ الطاعة. وبعد خروج الملك الزوخي من نينوى شاع الخبر انَّ حولاي قائد المستعمرة الاثوريّة التي وضعها شلمناصر الاول في كشياري بناحية حازيدجا في اطراف سيورك يريد ان يستقلّ وقد حاصر قاعة دَمادوسا. فتوجّه اسورنادصربال نحو ينابيع دجلة وكفى حضوره هناك ليمنع كل ثورة. ونقش هو ايضاً صورته هناك مثل ابيه تغلت نينيب وجدّه تغلاتپلاسر. ثم نزل نحو جبل ايزلا واذ بلغ حولاي خبر مجيئهِ رفع الحصار عن دمادوسا (١) وذهب فتحصن في كينابا (٢) فسقطت كينابا بيد العدو وقُتل فيها نحو ستمائة جندي وطُرح ثلاثة آلاف رجل في النار مع كثيرين من النساء والصبيان. واتى سكّان ماريوا (٣) لمساعدة كينابا. لكنهم انكسروا هم ايضاً وقُتل منهم اكثر من ثلاثمائة رجل. ثم اغار الاثوريون على بلد نيربا فانهزم السكّان الى فيافي ما بين النهرين والتجأ قسم منهم الى تلّا (٤) وكانت منيعة الى الغاية ذات ثلاثة اسوار. وقاومت مقاومة شديدة وفي الاخير انكسرت وقُتل منها ثلاثة الاف محارب وقوصص اشرافها قصاصاً شديداً فصار البعض فريسة للنار وغيرهم قُطعت آذانهم او اياديهم او سُلخ جلدهم فسلّم لملك اثور جميع امرآء البلاد المجاورة اي امرآء بيت زماني ونيردون (٥) وشوپريا ونيري واورومي (٦) وفي رجوعه الى نينوى

---

(١) ارغني الحاليّة ؟ (٢) سيورك الحالية ؟ (٣) بالقرب من قضاء سيورك
(٤) ويران شهر الحالية (٥) في منحدرات قرهجه طاغ الشرقية
(٦) في اطراف سيساط

لبث قليلاً في مدينة اردوبا(١) حيث زاره احد الملوك الحيثيين وسفرآء ملوك حانيكلبات

وفي سنة ٨٨٢ جبرته الاحوال ان يحمل السلاح على البلاد التي في الجهات الشرقيَّة · واعلم ان الاراضي الممتدة من ينابيع رادان الى اطراف بحيرة اورمية كان اسمها زاموا · وكان فيها عدَّة ممالك صغيرة قد تخلّقت باخلاق الكلدان · اذ كانت قبلاً في حوزة بابل ثم صارت تحت حكم نينوى · فلما رأى اهل زاموا الاثوريين مشغولين بالحروب في الجهات الشماليَّة والغربيَّـة خلعوا طاعتهم واجتمعوا تحت راية نوراداد ملك دكَّارا · فجمع اسورناصربال عساكره في كاكزي وعبر الزاب الاصغر عند التون كوبري وقطع اراضي بيباني وعبر سيل خاصا فوق ككوك وتوجه نحو اطراف سليمانية وكان القتال شديداً · وقتل من الاعداء ١٤٦٠ رجلاً واحرق دكَّارا وانهزم نوراداد وتسلَّط الاثوريون على قلعتي لاريوسا وبارا . فاضطرَّ رؤساء زاموا ان يخضعوا ويقدموا الهم ذهباً وفضة

وفي سنة ٨٨١ رجع ثانيةً الى تلك الجهات · لانَّ نوراداد لم يكن قد قُبض عليه بعد وقد تحصّن في جبل نيشبي وكان العصيان قد انتشر ايضاً في خودون وكِسُّرتو وارشتوا · وكانت هذه البلاد في اودية الزاب الاصغر ورادان وتورنات العليا ونزل اسورناصربال عند مدينة دكَّارا وارسل يطلب منها الجزية · وهذه كانت حيلة منه · فانَّهُ ذات مسآء اختار اسرع عرباته واحسن خيَّالتهِ وعدا بهم طول الليل وعند الفجر عبر نهر ديالة ولم يزل يعدو حتى انتهى بعد الظهر الى مدينة أمالي قاعدة ارشتوا وافتتحها وأسر من كان فيها من السكَّان ودكَّ اسوارها واحرق بيوتها · ثم استولى على خودون وعلى عشرين من قراها وعلى كسّرتو وعلى عشر من ضيعها وعلى باره وكتيارا ودورلولوما وبونيسا · امَّا اميكا ملك زمرو فلم يُسلّم لهُ · فرجع ملك آثور الى معسكره ليعطي الراحة لجيوشه ثم زحف بها على زمرو · وكان موقع اميكا منيعاً حتى ان اسورناصربال لم يتجاسر ان يهجم عليهِ من قدام فاحتال وكشف بين قمتين لجبل لارا وبدركي على سبيل لم يكن يخطر على بال احد انَّ الخيَّالة تقدر ان تجتازه · فتوغل فيهِ خفية وانقضَّ غفلة على زمرو · فانهزم أميكا تاركاً بين يدي عدوّه قصره وكنوزه ونسآءه حتى عربته · وجعل ملك اثور زمرو ولاية اثورية

ولمَّا استقر الامر في زاموا حمل بجيوشه على ما بين النهرين الشماليَّة سنة ٨٨٠

---

(١) ماردين الحالية

فانَّهُ كان قد بقي فيها بعض شعوب لم تزل مستقلة. فاتاه الكوموجيون بالجزية المفروضة. وافتتح ونهب مدينة متياتي التي قاومته. واتاه ايضاً الكورخيون وقدَّموا لهُ هداياهم. واستولى على مدينة مدرا في منحدر قرهجه طاغ الشماليّ وكانت هذه المدينة حصينة جداً ذات اربعة اسوار ثم رجع الى توتنخان على دجلة بالقرب من آمد. وذات مساء خرج بعرباته وخيالته فعبر دجلة على اكلاك ومشى الليل كله حتى انتهى الى بيتورا (١) عاصمة الديريّين وكانت محتاطة بسورَين عظيمين. فهجم عليها وفي مدة ثماني واربعين ساعة افتتح المدينة وقتل ثمانمائة رجل من المحاربين على الاسوار وصلب سبعمائة منهم على الابواب وتسلَّط ايضاً على أرباكي. ثم اغار على نيري حيث احرق مائة واربعين مدينة او قرية وارسل غنيمة عظيمة الى توشخان. واتاه الخبر هناك انَّ بيت زماني نشرت لوآء العصيان وقتلت ملكها امنيبعل وأجلست مكانه بورَمان. فحمل عليها وفتح سينابا عاصمتها وقتل بورمان وملَّك مكانه اخاه ارتيانا. وغنم عربات جميلة وستمائة حصان والفي ثور وخمسمائة راس غنم ومائة وعشرين كيلو ذهباً وفضة وستة الاف كيلو نحاسا وتسعة آلاف كيلو حديداً وشيئاً كثيراً من الاقمشة والاواني المصنوعة من ذهب وعاج

وفي سنة ٨٧٩ اغار اسورناصربال على البلاد التي في وادي الخابور وعلى سواحل الفرات. فانَّ بعضاً من المدن والقبائل الارامية التي هناك لم تكن بعد قد خضعت تماماً لنير نينوى وانَّ الزوحيين واللاقيين اتفقوا سرّاً مع نبوبلدان ملك بابل على محاربة اثور. فكان نبوبلدان قد ارسل لمساعدة ملك زوحي قسماً من جيوشه تحت قيادة اخيه زبدان والقائد بيلبلدان فاستولى ملك اثور بدون مشقة على مدن خيندانى وخاريدى وعانه وانتشب القتال بينه وبين ملك زوحي في شورا. فانهزم الملك الزوحيّ الى بلاد العرب ووقع زبدان وبيلبلدان أسيرَين بيد اسورناصربال واستاقهما الى كالح. وفي سنة ٨٧٨ رجع ثانية الى زوحي لأنَّها لم تتَّعظ بما اصابها من الدمار وامتنعت عليه. فنكَّل بها واخرب خيندانا وخاريدي وكيبينا ومحافظةً لولايته هذه الجديدة بنى قلعتَين منيعتَين على الفرات احداهما على الجانب

(١) لعلَّها حطو الحالية في ولاية بتليس

الايمن وسمّاها نيبارت اسور والاخرى على الجانب الايسر ودعاها كرخ اسورناصربال

ولكن اقوى المالك الارامية الممتـدَّة في الجزيرة الغربية كانت بيت اديني وكانت تشمل اقضية عينتاب وروم قلعة وبيرهجك وسروج واعظم قسم من منبج والرقة وقسماً من سنجاق دير الزور . فحمل الاثوريون على بيت اديني سنــة ٨٧٧ وشدّوا الحصار على قبرابي وكانت امنع مدينة فيها . فهدموا اسوارها وقتلوا فيهـا ثلاثمائة محارب واخربوها وارسلوا ٢٤٠٠ من سكّانها الى اطراف كالح . فخاف احوني ملك بيت اديني وسلّم لهم كل مملكته

امّا اسورناصربال فلم تستقرّ نفسه بافتتاح البلاد التي في شرقي مملكته وغربيها وشماليها بل حرّكتهُ حماسته ان يقتدي بالملوك العظام اسلافهِ اي بشركينا الاول ونارمسين وتغلاتپلاسر فيذهب مثلهم بفتوحاته الى بلاد السريان ايضاً . فبذل جهده في اعداد العُدَّة للحرب . وفي سنـــة ٨٧٦ في اواخر نيسان خرج من كالح وتوغّل في الجزيرة وعبر الخابور وباليخ متوجهاً نحو قرقميش . فخافهُ سنجار ملك الحيثيين وخرج للقائه وفتح لهُ عاصمته وقدّم لهُ عشرين وزنة فضة وسبــائك وحلقاً وخناجر من ذهب ومائة وزنة نحاساً ومائتي وزنة حديداً وارجواناً وعاجاً واقمشة وغير ذلك من الاشياء النفيسة . ثم ان اسورناصربال بعد ان ضمّ الى جيشه الاجناد الحيثيين واصل سيره الى نهر عفرين نحو پاتين وظهر تحت اسوار حزاز (١) . فقدمت لهُ المدينة فديةً عن نفسها كمّية وافرة من الذهب والاقمشة . ثم عبر النهر واقام على ساحله معسكراً ومحصّناً لجمع الغنائم . ومشى على كتنالوا عاصمــة پاتين فاسرع الملك لوبرنا ودان لهُ بالطاعة واعطاهُ عشرين وزنة فضة ووزنة ذهباً وثلاثمائة وزنة حديداً ونحاساً والف ثور وعشرة آلاف رأس غنم وغير ذلك من الاحجار الكريمة والآنيــة والاقمشة . ثم عبر نهر أرانتي (٢) وقاومتهُ مملكة لوحوتي (٣) فاخربها ونهب مدنهــا وصلب الاسرى . ومن هناك توجّه نحو جبل لبنان وصعده ونهبهُ ثم نزل الى البحر المتوسّط . فسلّمت لهُ جميع مدن فونيقي اي صور وصيداوجبيل وارواد وقدمت لهُ هدايا كثيرة

---

(١) عزز الحالية في اطراف حلب

(٢) المعروف اليوم بالعاصي

(٣) تحت حماة على الجانب الايسر من العاصي

نفيسة. واشتغل الاثوريون بقطع شجر الارز والصنوبر والسرو في جبال لبنان وحماتا وارسلوها الى نينوى

هنا تقف اخبار اسورناصربال. ولا علم لنا بما عملهُ في الستّ عشرة سنة التي عاشها بعد اخضاع بلاد سوريا. وكان قد بقي في اطراف حدود مملكته الواسعة ثلاث ممالك قوية وهي مملكة الكلدان ومملكة أرارطو ومملكة دمشق. فالظاهر انهُ لم يتجاسر ان يتعرّض لها بل اكتفى بفتوحاته وقضى باقي ايامه في الراحة متفرّغا لتزيين كالح وزخرفتها. ومع هذا فانهُ سنة ٨٦٧ باشر غزوة في البلاد الشمالية التي كانت قد امتنعت عليهِ ونكّل بها ورجع عنها ومعهُ ستة آلاف اسير. وتوفي اسورناصربال الثالث سنة ٨٦٠ ق م

الفصل الثالث

شلمناسر الثالث (١) (٨٦٠—٨٢٥)

أرارطو ودمشق — غارات شلمناسر على نيري وبيت اديني — غارته الاولى على سوريا وواقعة قرقر — حربه مع بابل — غاراته الثانية والثالثة على سوريا — حرب أرارطو وغري — غارته الرابعة على دمشق وانتصاره — غزواته في اسيا الصغرى — غزوات دَيان اسور القائد وانتصاره على أرارطو — فتن اهلية في كالح — وفاة شلمناسر

انَّ شلمناسر (٢) اشتهر نظير ابيه واكثر منهُ ايضاً بالشجاعة والغزو. وملك خمساً وثلاثين سنة صرفها كلّها في المحاربة. فانّهُ باشر فيها اثنتين وثلاثين غزوة. وكان ابوه قد خلّف له مملكة واسعة غنيّة ومعسكرًا ذا حزم وباس. وكانت ثلاث ممالك قويّة تحتاط بدولته الكبرى اي مملكة الكلدان ومملكة ارارطو

(١) ان العلماء الى هذه السنين الاخيرة كانوا يكتبون شلمناسر الثاني. لكن اكتشافات شرقات دلّتنا انهُ هو الثالث لا الثاني (راجع مجلة الكتاب المقدس: ١٨٧ حاشية ٧

(٢) عن شلمناسر هذا راجع اوپير: تاريخ دول الكدان واثور ١٠٨-١١٧ ؛ ورحلة في ما بين النهرين: ٢ ٣٤٢-٣٤٧ ؛ وميتان تاريخ سني ملوك اثور: ٩٧-١٠٤ ؛ ومجلة الكتاب المقدس: ٦٢—٧٥ و١٧٩ ؛ وماسپيرو: ج ٣ ٥٢—٩٥ ؛ وأميود شيل: آثار شلمناسر الثاني

ومملكة دمشق . وكان ابوه قد دلّته فطنته ألاّ يتعرّض لها كما سبق الكلام . لكنّ شلمناسر هذا رغبة في اكتساب المجد والشهرة نوى ان يعظّم دولته ويوسّعها وذلك باستيلائه على هذه الممالك الثلاث ايضاً

انّ أرارطو او أراراط كما يسمّيها الكتاب المقدس (١) كانت في اطراف بحيرة وان وداخلة في البلاد التي كان الاثوريون يطلقون عليها اسم نيري . ويدعون سكّانها قلدي . وكان فيها عدّة امارات صغيرة اعظمها بياناس وعاصمتها دوسپاس وهي وان الحاليّة . واخذ ملوكها اصول التمدّن من اثور حتى انّ لسانهم الرسمي كان لسان الاثوريّين . واوّل ملك على أرارطو شاردوري الاول وكان معاصراً لاسورناصربال . ثمّ خلفه أرامي وهو الذي وسّع المملكة وجرت له وقائع مع شلمناسر

امّا دمشق ويسمّيها العرب الشام فلم يكن لها شهرة في قديم الزمان . وقد خضعت للكلدان ثمّ للمصريّين . وسكّانها الاوّلون كانوا اموريّين ثمّ استولى عليها الاراميّون في الجيل الثاني عشر . وفي زمان داود الملك كانت في حوزة هداد عزار ملك ارام صوبا . وكانت ارام صوبا على ما يُظنّ في وادي العاصي الاعلى او في اطراف حوران (٢) . ثمّ انّ داود بانتصاره على هداد عزار استولى على دمشق ايضاً . وفي زمان سليمان تسلّط رجل اسمه رزون على الشام وملك فيها (٣) ثمّ ملك بعده ابنه طبريمون ثمّ بنهداد الأوّل (٤) . وهذان الملكان وسّعا مملكة دمشق السريانية واخضعا حماة وسوريا المجوفة وكل النواحي التي في البادية على سواحل الفرات . وصار لدمشق سيطرة على مملكتي اسرائيل ويهوذا ايضاً (٥) . ولولا الاثوريّون لشكّلت دمشق مملكة عظيمة قويّة في سوريا

انّ شلمناسر في السنة الاولى من ملكه اغار على بلاد نيري . لانّ بعض الشعوب التي كان ابوه قد اخضعها خلعت لهُ الطاعة ولعلّ الحركة من أرارطو . فاحرق مدينة أريدي . فخافه جميع الشعوب المجاورة واتوا وقدّموا له الطاعة . ومن هناك

---

(١) التكوين : ص ٤ (٢) ان المطران يوسف اقليميس داود (الكتاب المقدس : المجلد الاول ص : ٥٩٠ حاشية ١) توهّم بقوله ان ارام صوبا كانت نصيبين في الجزيرة (٣) ١ ملوك : ص ١١ ٢٣ (٤) ١ ملوك : ص ١٥ ١٨ (٥) كذا ١٨—٢١

هجم على مملكة خوبوشكيا واحرق فيها مائة مدينة اوقرية . ثم صعد الى شوكونيا وكانت تحت حكم أرامي ملك اراراط . فقاومهُ السكّان مقاومة شديدة . لكنه انتصر عليهم واخرب بلادهم . وانتهى الى بحيرة وان وغسل فيها سلاحه وقدم الذبائح لآلهته ونقش صورته على صخرة هناك ورجع غانمًا الى نينوى . ولم يسترح فيها الأ بضعة اسابيع فانَّهُ توجه نحو الجهات المغربيَّة ليثبّت فيها سلطته . فتداعى الى مقاتلته جميع ملوك تلك الاطراف اي احوني ملك بيت اديني وملوك كركميش وشمأل وقوا وپاتين وقرقميش وغيرها . وحاصر شلمناسر مدينتي تللاتي وپورمرنا وافتتحهما . فهرب احوني الى الجانب الآخر من الفرات . فطارده ملك اثور ونكّل بكركميش ثم انقضَّ على شمأل وقد اجتمعت هناك لمقاتلتهِ جيوش بيت اديني وشمأل وپاتين . فبدّدها ونقش صورته بالقرب من ينبوع نهر سالوارا وهو قره‌صو الحاليّ . ثمَّ هجم على پاتين وكان ينتظره هناك شبلولما ملك پاتين مع بقيَّة جيوش بيت اديني وشمأل وقرقميش وقوا وقيليقية فهزمها كلّها واحرق قلعة پاتين وصعد الى جبل حمانا وهناك قطع خشب الارز والصنوبر ونصب تمثاله على جبل آلار ونزل الى البحر المتوسّط او البحر حيث تغرب الشمس كما يسمّيه هو وغسل فيه سلاحه مثل ابيه . وقبل هدايا مدن فونيقي الساحليَّة . ورجع الى اثور مستاقًا عددًا كبيرًا من الاسرى والغنائم

من عيوب السياسة الاثوريّة انَّها كانت تترك اغلب البلاد المفتوحة على شأنها وتكتفي باشتراط الجزية عليها دون ان تضع فيها نقطة عسكرية وتولّي عليها رجالًا اثوريّين . وحالما كانت الجيوش الاثورية تنسحب عنها كانت تمتنع وترفض اداء الجزية . الامر الذي جبر شلمناسر ان يعود اليها سراعًا فيُدخلها ثانيةً وثالثةً ورابعةً في طاعته . فالظاهر ان بيت اديني والممالك المجاورة لها لم تعتبر بكلّ ما اصابها من الدمار . بل تجرأت وابت الطاعة لاثور . فزحف شلمناسر ثانيةً بجيوشه سنة ٨٥٩ وكسر احوني بالقرب من تل بارسيب عاصمته . ثمَّ عبر الفرات وافتتح سورونو وپاريپا ودبيگا(١) وستة قصور ومائتي قرية . . ثم دخل في ارض قرقميش ونكّل باهاليها شديدًا حتى انَّ جميع الملوك الحيثيّين اتوه بهداياهم طالبين العفو والامان . فقدَّم له شبلولما ملك پاتين

(١) في قضاء عينتاب

ثلاث وزنات ذهباً ومائة وزنة فضّة وستمائة وزنة نحاساً وحديداً. وما عدا هذه الهدايا فرض عليهِ وعلى ملوك شمأل وأكوسي وكُمّاجين خراجاً يؤدّونهُ له كل عام

وفي سنة ٨٥٨ رجع شلمناسر مرّة اخرى الى بيت اديني. لأنَّ ملكها احوني لم يكن بعد قد قُبض عليهِ. وكان قد التجأ الى أرامي ملك أرارطو وطلب معونته. ولم يلبث طويلاً حتى اتاه الخبر ان ملك اثور مقبل نحوه بجيوشه. فحصَّن مدن بيت آديني وولّى عليها رجالاً من خاصته وتوغل في بلاد ارمينية قاصداً ملك ارارط. فاحرق ملك اثور إنزيتي ومن هنـاك خرج الى ساحل ارزانيا (١) ونهب سوخمي وديانى. ثم ظهر تحت اسوار مدينة أرزَشخون في شمالي بحيرة وان. وكان الملك ارامي قد تحصَّن في جبل أدُّوري في موقع منيع الى الغاية. فهجم عليه شلمناسر بشدّة عجيبة وكسره وقتل من عساكره ٣٤٠٠ رجل وضبط معسكره وكنوزه وعرباته واحرق القرى والزروع واخرب مدينة ارزشخون واثخن الجراح في سكّانها. ثمَّ تسلّق سلسلة جبل إريتيا ونهب ارمالي وزنزيونا ومن هناك نزل الى سواحل بحيرة وان وغسل فيها اسلحته وقدّم الذبائح وحفر على صخرة هناك اخبار غزوته هذه. ثم انقضّ على كيلزان فسلّم لهُ الملك نُشوا وادّى له الجزية. لكن ككيا ملك خوبوشكيا قاومه. فحاربه الاثوريون وانتصروا عليهِ وقتلوا من عسكره ثلاثة آلاف رجل وافتتحوا شيلايا عاصمته واخذوا منـهُ عدداً لا يحصى من الثيران والخيل والغنم

وكان احوني ملك بيت اديني قد انتهز الفرصة من غارة شلمناسر على ارارط وتحصن بين تلال شيتامرات في الجانب الايمن من الفرات. فحمل عليه شلمناسر سنة ٨٥٧ وجبره ان يطلب الامان. فقُبض عليهِ وعلى عسكره واستيقوا الى اثور

ولم تكن نار الحرب قد انطفأت تماماً في الجهات الغربية الّا وقدحت في الجهات الشرقيّة ايضاً. فاسرع شلمناسر وعبر في مضيق بونكشلو وانقضّ على مازموا. فتراكض الاهالي الى سفنهم وتوغلوا في بحيرة اورمية. فصنع الاثوريون اكلاكاً ركبوها وطاردوا العدوّ وصبغوا مياه البحيرة بدمه

انَّ شلمنـاسر قد ذلّل مملكة أُرارطو فبغى ان يتحرّش بمملكتَي دمشق

---

(١) مراد صوبى الحالي

والكلدان ايضاً . فخرج من نينوى في ١٤ ايار سنة ٨٥٤ . وعبر الفرات على اكلاك عند تلبارسيپ . واتاه جميع ملوك سوريا الشماليّة الذين كانوا خاضعين له ليسجدوا له ويقدّموا له هداياهم . وكانوا سبعة : سنكّار ملك قرقيش وكوندشپي ملك كُمّاجين وارامي ملك اكوسي (١) وللّي ملك ميليدا (٢) وحياني ملك شمأل (٣) وكربرودا ملك باتين . وكرپرودا ملك كركُم (٤) ثم مشى على حلمان (٥) واستولى عليها ودخل في ارض حماة وافتتح بعضاً من مدنها

انّ بنهداد او برهداد الاول ملك دمشق كان قد توفي وتخلّف بعده اداديدري وهو الذي يسمّيه الكتاب القدّس بنهداد باسم ابيه بنهداد الاول . وكان ذا حزم وقاتل احاب ملك اسرائيل واضطرّ احاب ان يعاهده (٦) فلمّا سمع اداديدري بقدوم الاثوريّين حشد جيشه وكان مؤلفاً من ١٢٠٠ عربة حربيّة و ١٢٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ راجل . واسرع فاستعان بملوك سوريا حلفآئه . فاعانه ارحوليني ملك حماة بجيش مؤلّف من ٧٠٠ عربة و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ راجل . وجيش احاب ملك اسرائيل كان مركّباً من ٢٠٠٠ عربة و ١٠٠٠٠ راجل . ونجدة ملك قوا (٧) كانت مؤلفة من ٥٠٠ رجل . ونجدة ملك مصري (٨) من ١٠٠٠ جندي . ونجدة ملك إرقانات (٩) من عشر عربات و ١٠٠٠٠ جندي . ونجدة ماتينو ملك ارواد من ٣٠٠ رجل . ونجدة ملك أوسنات (١٠) من ٢٠٠ محارب . ونجدة ادونا ملك شيانا (١٠) من ٣٠ عربة و ١٠٠٠٠ جندي . ونجدة جنديب ملك العرب من ١٠٠٠ جمل ونجدة بعشا ملك العمونيّين من ١٠٠٠٠ محارب . فاشتمل الجيش كلّه على ٧١٩٠٠ راجل و ١٩٠٠ فارس و ٣٩٤٠ عربة . و ١٠٠٠ جمل

فكان اداديدري ملك دمشق مع الملوك حلفائه ينتظر شلمناسر في قرقر بالقرب من حماة . فحدثت معركة شديدة دموية هناك . وكانت النصرة للاثوريين وقتلوا من عسكر العدوّ ١٤٠٠٠ رجل او ٢٥٥٠٠ حسب رواية اخرى . قال

(١) بين باتين وجبل حمانا وهو اللكام (٢) مالاطية
(٣) زنجرلي الحاليّة (٤) في جنوبي مرعش (٥) حلب
(٦) ١ ملوك : ٢٠ (٧) في قيليقية (٨) في شمالي سوريا :
(٩) تلّ عرقا بالقرب من طرابلس
(١٠) على ساحل البحر المتوسّط في بلاد فونيقي

شلمناسر في احدى كتاباته: «بالقوَّة العليَّة التي منحني اياها الرب اشور وبالاسلحة القاطعة التي سلَّمها اليَّ نركال الماشي امامي اني حاربتهم وهزمتهم من حدود قرقر الى مدينة كيلزا. ووقَّعت باسلحتي من عساكرهم ١٤٠٠٠ محارب وانزلت عليهم طوفاناً مثل الاله اداد وكوَّمت جثثهم. وغطَّيت وجه الارض باجنادهم العديدة واجريت دماءهم باسلحتي في شقوق الارض. انَّ الصحراء بانت صغيرة لا تسع جثثهم. والارض الواسعة لم تكفِ لقبورهم. فملأت نهر أورونت (العاصي) باجسادهم. وكأني بها قد صارت عليهِ جسراً. وفي هذه الغزوة اخذت عرباتهم وخيلهم وحصنهم وجهازهم» اه

ان شلمناسر الملك عوضاً عن ان يطارد الاعداء فيضربهم ضربة قاطعة ويقتطف اثمار نصرته هذه نوجّه نحو البحر المتوسط للسياحة. ولنا ان نستنتج من حركته هذه إمَّا انهُ تلف جانب عظيم من جيشه فلم يتجاسر ان يتتبَّع العدو واماً انهُ اساءَ التدبير اذ خلَّاه وشأنه بعد انكساره هذا. وفي السنة التابعة ايضاً لم يقدر ان يرجع اليهِ لانهُ اشتغل بامور الحيثيين والكلدان وبذلك مكَّن السوريين من التجهز

ان سنكار ملك قرقيش وسائر امراء الحيثيين أبوا اداء الجزية لشلمناسر ظناً منهم انهُ لا يرجع ولا يحمل عليهم. وكذلك امراء تل أبني وجبل كشياري نشروا لواء العصيان. فحمل عليهم شلمناسر سنة ٨٥٣ وصرف السنة كلها في اخضاعهم

وفي سنة ٨٥٢ حدثت فتن اهلية في بابل. فان مرودخشمدان ومرودخبيلسات كانا يتنازعان الملك. فالتجأ مرودخشمدان الى ملك اثور. فاغار شلمناسر سنة ٨٥١ على بلاد الكلدان وبدّد جيوش مرودخبيلسات وثبَّت الملك لصديقه مرودخشمدان. وقد سبق لنا الكلام عن ذلك في اخبار مملكة بابل (١) ولمَّا استبدَّ لهُ الامر من جهة بابل قدر ان يجمع جيوشه فيحمل بها على بلاد سوريا

فلمَّا كانت سنة ٨٥٠ عبر شلمناسر الفرات لثامن مرة. ونكَّل بالحيثيين. ثم حمل على بلدة اكوسي وافتتح أرني عاصمتها مع مائة قرية من قراها. وفي سنة ٨٤٩ عبر الفرات لتاسع مرة ونهب مدن الحيثيين واكوسي التي امتنعت عليهِ ولعلَّها اتفقت مع دمشق. وتوجَّه الى پاتين واخذ منها الفدية. ومن هناك زحف بجيوشهِ على حماة

---

(١) طالع ص: ٣٩–٤٠ من هذا الكتاب

والتقى باداديدري ملك دمشق والملوك حلفـائهِ فحاربهم شديداً وقهرهم. قال في احد آثاره: « في السنة الحادية عشرة من ملكي خرجت من نينوى وعبرت الفرات لتاسع مرّة في اثناء فيضانهِ. وفتحت سبعاً وتسعين مدينة من مدن سنكّار . وفتحت ايضاً مائة مدينة من مدن ارام فاخربتها واحرقتها بالنار . ثم مشيت طول حمّانا (١) وقطعت جبل يراقو فنزلت الى مدن حماة وافتتحت مدينة أشماك مع تسع وتسعين مدينة اخرى (٢) فنهبتها وقتلت سكانها. وحينئذٍ قام عليّ اداديدري ملك دمشق وارحوليني ملك حماة مع اثني عشر من ملوك سواحل البحر ليحاربوني ويبارزوني. فحاربتهم وقهرتهم وقتلت باسلحتي عشرة آلاف رجل من عساكرهم واخذت عرباتهم وخيلهم وآلاتهم الحربية » . ومع هذا كلهِ لم ينتهز الاثوريون او لم يقـدروا ان ينتهزوا الفرصة ليعاقبوا العدو ويستولوا على بلاده. فرجعوا الى بلادهم عن طريق جبل حمانا وهناك قطعوا خشب الارز واتوا بهِ الى نينوى

ولم يرجع شلمناسر الى سوريا الّا بعد سنتـين . فانهُ في سنة ٨٤٨ حمل على يقرحبوني من اعمال مملكة بيت اديني . وفي سنة ٨٤٧ اغار على يَشترتي في يَنْيتي بالقرب من ينابيع دجلة . فلماَّ كانت سنة ٨٤٦ حمل ثالثة على سوريا وكان جيشهُ هذه المرّة مؤلفاً من ١٢٠٠٠٠ مقاتل. وانتشب القتال شديداً بينهُ وبين ملك دمشق وحلفـائه . وقال عن نفسهِ: « اني انتصرت عليهم فاخربت عرباتهم وقتلت خيلهم وضبطت آلاتهم الحربية فانهزموا طلباً للنجاة ». هذا قول شلمناسر . ولكن يظهر انهُ في هذه المرة ايضا لم ينجح مثلما كان يرغب. فانهُ لم يتجرأ على مطاردة العدو في هزيمته. وانتظر ثلاث سنـين اي الى سنة ٨٤٢ للهجوم على سوريا لرابع مرة. وفي هذه المدّة حمل أوّلًا على بلاد نيري ونقش صورتهُ على صخرة بقرب احد ينـابيع دجلة بجانب صورة تغلاتپلاسر الاول (٣) ومن هناك دخل مملكة أرارطو فنهب واخرب وصعد حتى ينابيع الفرات حيث غسل اسلحتهُ . وكان ذلك سنة ٨٤٥ وفي سنة ٨٤٤ عبر الزاب الاصغر وتوغّل في بلاد نمري. فانهزم ملكها مرودخمَدّيق الى الجبال. فاخذ شلمناسر كنوزه كلّها وملّك مكانهُ رجلا يقال لهُ ينزو . وفي سنة

(١) جبل اللكام (٢) الظاهر ان شلمناسر بقوله المدن يعني المدن والقرى ايضاً

(٣) راجع ص ٥٦ من هذا الكتاب

٨٤٣ عمل سياحة في سوريا الشمالية وذهب الى جبل اللكام ليقطع فيهِ خشب الارز او بالاحرى ليجسّ احوال مملكة دمشق . فرأى الفرصة مناسبة لكي يضرب السريان ضربةً قاطعة حيث ان بعض الملوك كانوا قد خرجوا من المحالفة الدمشقية . وكان اداديدري قد مات وجلس مكانهُ حزائيل

ففي سنة ٨٤٢ زحف بجيوشه على سوريا وكان حزائيل ملك دمشق قد تجهز لمحاربته لكنهُ لم يجسر على مبارزته في الصحراء كما كان يفعل اداديدري بل تحصَّن في جبل سانير . فهجم عليهِ الاثوريون هناك وقاتلوهُ شديدًا وقتلوا من عسكره ١٦٠٠٠ راجل و٤٧٠ فارساً وضبطوا منهُ ١١٢١ عجلة حربية . فانهزم حزائيل مع بقية جيشه . وتتبَّعهُ شلمناسر حتى مدينة دمشق وقطع الاشجار المثمرة ونهب القرى وتوغَّل في جبال حوران وغنم غنيمة عظيمة لا تحصى . ثم نزل الى بلاد فونيقي ونقش صورتهُ على ساحل نهر الكلب بجانب صورة تغلاتپلاسر الاول . وادّت لهُ الجزية كل مدن فونيقي وارسل لهُ ياهو ملك اسرائيل هدايا ثمينة منها قضبان من ذهب وفضة وصحون وكؤوس وآنية من ذهب

وفي سنة ٨٤١ رجع شلمناسر الى سوريا يتنزَّه في جبل اللكام وقطع فيهِ خشب الارز . وفي سنة ٨٤٠ زحف على قوا . وفي سنة ٨٣٩ رجع مرَّة اخرى الى الشام ولم يتجرأ حزائيل ملك دمشق على مقاومته . قال ملك اثور في احد اثاره : «في السنة الحادية والعشرين من ملكي عبرت الفرات للحادية والعشرين مرّة وحملت السلاح على مدن حزائيل ملك دمشق وافتتحت اربعاً من مدنه واخذت الجزية من صور وصيدا وجُبيل»

ولمَّا فرغ شلمناسر من امر ملوك سوريا وجَّه افكاره نحو اسيا الصغرى . فحمل سنة ٨٣٨ على بلاد التوباليين واخضع فيها اثنين وعشرين ملكاً . وفي سنة ٨٣٧ استولى على قلعة اوطاش في اطراف مالاطية . وكان يروم ان يحمل من هناك على قيليقية ليثبِّت فيها سلطتهُ وبينما هو كذلك اتاهُ خبر انَّ غري خلعت طاعتهُ . فاسرع اليها واخضعها ومن هناك انقضّ على بلاد پارسوا وذلَّل فيها سبعاً وعشرين اميرًا . وفي سنة ٨٣٦ اغار على قيليقية واخرب تيمور عاصمة قوا . وفي سنة ٨٣٥ افتتح مدينتَي تناكون وطرسوس

ولا يخفاك ان غزوة شلمناسر هذه الاخيرة كانت الخامسة والعشرين من غزواته وكان قد ملك خمساً وعشرين سنة فيكون في كل سنة قد باشر هو بنفسه غزوةً وفي جميعها كان يرجع الى عاصمتهِ غانماً مظفَّرًا وهكذا وسَّع مملكتهُ توسيعاً عظيماً فرغب في الاستراحة ولعلَّ المرض او الشيخوخة جبرتهُ على ذلك . ومع هـذا لم ينكفَّ عن الفتوحات التي اجراهـا على يد قواده . والاشهر فيهم كان الترتار ديان اسور . واوَّل غارة هذا البطل كانت في الجهات الشمالية . فان سكان وادي الدجلة الاعلى وجبل ماشا وهو ماسيوس (١) امتنعوا من تأدية الخراج . فحمل عليهم ديان اسور واخضعهم . ثم عبر نهر ارزانيـا (٢) ودخل في حدود أرارطو . وكان المالك عليها حينئذٍ شاردوريس الثاني فقاتلهُ القائد الاثوري وانتصر عليهِ . وفي السنة التابعة اغار على پاتين (٣) لان الاهالي قتلوا ملكهم لوبارنا واجلسوا مكانهُ رجلا اسمهُ سوري . فصلب ديان اسور الرؤساء ومَلَّكَ على پاتين رجلًا يقـال لهُ ساسي . وفي سنة ٨٣٢ حمل السلاح على كيرخي ونكّل بها . وفي سنة ٨٣١ اغار على خربوشكيا(٤) ولمَّا لم يرَ فيها احدًا يقاومهُ انقضَّ على مناي فانهزم ملكها وَالكي واستخفى في الجبال . فنهب الاثوريون مملكتهُ ومن هناك حملوا على پارسوا (٥) وغنموا فيهـا غنيمة عظيمة . وفي سنة ٨٣٠ زحف ديان اسور على موزازير واحرق سبعا وخمسين مدينة او قرية . ودخل ثانية في أرارطو ونهبها ثم توجه نحو الجنوب جامعاً على طريقهِ الجزية من كُوزان ومناي وأنديا حتى دخل بلاد نمري (٦) واخرب فيها مائتي وخمسين مدينة او قرية

وكان لشلمناسر ابنان اسوردانيبال وشمشيداد . ولمَّا رأى اسوردانيبـال ان اباهُ قد شاخ وتسلَّطت عليهِ الامراض وانهُ تنزَّل عن قيادة الجيش اراد ان يجلس على تخت المملكة وابوه في قيد الحياة . فاحتال وجذب اليهِ كل اثور تقريباً ونشر لواء العصيان وكان ذلك سنة ٨٢٨ فتحزَّبت لهُ سبع وعشرون مدينـة منها اثور

(١) قرەجه طاغ (٢) مراد چاي الحالي
(٣) في غربي قرقميش في سوريا (٤) بين حيزان وشتاق
(٥) مناي وپارسوا هما في اطراف بحيرة اورمية
(٦) في الجانب الايسر من نهر ديالة

ويعكوربيل ونينوى واربيل وسيـــانيبا ودوربلط (١) وزابان وأرباحا (٢) . وانضمّت اليهِ اكثر المستعمرات الاثورية مثل امد وخيندانا وتلّ أبني . فلم يبق مع الملك سوى كالح واطرافها ونصيبين وحران والبلاد المفتوحة من عهد قريب . ولا بدّ من ان الجيش ايضاً بقي اميناً معهُ . فسلّم شلمناسر الامر بيد ابنهِ شمشيداد . وتمادى القتال بين الاخوَين نحو ثلاث سنين حتى انتصر شمشيداد على اخيـــهِ اسوردانيال وقتلهُ . ومات شلمناسر سنة ٨٢٥ وقد قام بالملك ٣٥ سنة

الفصل الرابع

شمشيداد الرابع (٨٢٥—٨١٢)

غزوات ربشاقي مترين اسور في نيري وفي بلاد ايران — غارات شمشيداد على بلاد الكلدان — شميرام الملكة

ان شمشيداد الرابع (٣) جلس مكان ابيهِ سنة ٨٢٥ وبذل كل جهده لكي يحافظ على الملك الجسيم الذي خلّفهُ لهُ ابوهُ . وفي الحرب الاهلية التي جرت قبل جلوسه بينهُ وبين اخيهِ اسوردانيـــال كان الماديون والسريان وسكان نيري وغيرهم قد انتهزوا الفرصة واقصروا عن تأدية الخراج . فاغار اولًا على نيري واخضعهـــا من جديد لقضيب اثور . والغزوة الثانية باشرها ربشاقي مترين اسور . وكان ميدانها في اطراف بحيرة اورمية وتوغل مترين اسور في أُرارطو واخرب فيها ثلاثمائة مدينة او قرية . وفي الغزوة الثالثة زحف ربشاقي بجيوشهِ على بلاد ايران ايضاً فاغار اولًا على ميزي وتحصّن السكّان في الجبال . فحمل عليهم واثخن فيهم الجراح ومن هناك هجم على كزيلبوندا وافتتح اوراش عاصمتها وقتل فيها ستة آلاف رجل . ثم توغّل في مادي وقتل منها خلقاً كثيراً . ومن هناك رجع الى بلاد ارزياش فاتاهُ أُمراؤها العشرون وسلّموا لهُ طوعاً

---

(١) لعلّها هي بلد الحالية (٢) كانت هذه المدينة على الزاب الاكبر في الموقع المسمّى الان دشت هرير او دشت هاران (٣) راجع عن شمشيداد الرابع اوپير: تاريخ دول الكلدان والاثوريين ١٢٢—١٢٨ ; مينان : تاريخ ستي ملوك اثور: ١١٩—١٢٤ ; ماسپيرو : ج ٣ ص ٩٥-٩٨

وكانت مملكة الكلدان منذ ربع قرن تحت حماية اثور فآثر ملكها مرودخبلاَتسُكبا ان يطرح عنهُ هذا النير. وفي سنة ٨١٨ اغار شمشيداد الرابع على كلدو وقتل وسبى وضبط مدناً كثيرة وجبر الملك البابلي ان يضع مملكته ثانية تحت حماية الاثوريين. غير ان هذه المعاهدة لم تدم سوى ستّ سنين فان باوخدان خليفة مرودخبلاتسكبا لم يقبل عليهِ سيطرة شمشيداد. فاغار الاثوريون من جديد على بلاد الكلدان ودامت المحاربة من سنة ٨١٣ الى سنة ٨١٢. ومات شمشيداد قبل انتهائها. وقد مرّ الكلام عن هذه الحروب في اخبار الكلدان (١)

وكان لشمشيداد الرابع امرأة اسمها شميرام او شمورمات. ومعنى شميرام بالكلدانية الاسم العالي. وقد عثر الالمان في سنة ١٩٠٩ على تمثالها في اخربة شرقات وهي مدينة اثور القديمة ومحفور على التمثال ما نصه: «شميرام سيّدة قصر شمشيداد ملك العالم ملك بلد اثور امّ ادادنيراري ملك العالم ملك بلد اثور كنّة شلمناسر ملك الاقطار الاربعة (٢)». قال بعض العلماء ان شميرام التي نسب اليها القدماء اخبارا عجيبة مشوّهة بالاوهام وانها بنت بابل ومدناً اخرى (٣) هي شميرام هذه قرينة شمشيداد

الفصل الخامس

ادادنيراري الثالث (٨١٢—٧٨٣)

انتصار ادادنيراري على الكلدان — غاراته المتعدّدة — افتتاحه لدمشق — حدود الدولة بايامهِ

بعد وفاة شمشيداد الرابع جلس مكانه ابنه ادادنيراي الثالث (٤) سنة ٨١٢. وهو الذي ختم الحرب التي كانت جارية بين الكلدان والاثوريين. فانهُ انتصر على بَأوخدان واستاقهُ اسيراً الى اثور هو وكل عائلته وكل حاشيته.

---

(١) راجع ص: ٤٠—٤١ من هذا الكتاب (٢) مجلة الكتاب المقدس: ٩ ١٨٠

(٣) راجع ص: ٤٤—٤٦ من هذا الكتاب (٤) عن ادادنيراري الثالث راجع اوبير: ص ١٣٠—١٣١ ومينان: ص ١٢٦—١٢٧ وماسبيرو: ٣ ص ٩٨—١٠٠

وكان ادادنيراري ذا حزم وذكاء. وملك مظفرًا نحو ثلاثين سنة. وقد وصلت الينا جميع غزواته ولكن لسوء الحظ قد ذهبت عنّا تفاصيلها. فانهُ اغار على مادي سنة ٨١٠ وعلى كوزان ٨٠٩. وعلى مناي ٨٠٨ و ٨٠٧. وعلى سوريا ٨٠٦ و ٨٠٥ و ٨٠٤ و ٨٠٣ واخضع ارپاد وحزاز ودمشق والمدن الفونيقيَّة. وكان حزائيل ملك دمشق قد مات وقام مكانهُ ماري. فانتصر عليه الاثوريّون وحاصروا دمشق وافتتحوها. قال ادادنيراري في احدى كتاباته: «اني حملت على بلد دمشق وحبست ملكها ماري في دمشق عاصمته. فخوف جلالة اشور ربّي اسقطهُ على الارض فخرّ قدام رجليَّ مقرًّا بسلطتي وفي مدينة دمشق نفسها عاصمته وفي قصره اخذت منهُ ٢٣٠٠ وزنة فضَّة و ٢٠ وزنة ذهباً و ٣٠٠٠ وزنة نحاساً و ٥٠٠٠ وزنة حديدًا. وثياباً مزركشة والبسة من كتان وسريرًا من عاج وعرشاً كلّه من عاج. واخذت ايضاً كنوزه وثروته كلّها.»

وبعد ان اخضع بلاد سوريّا كلها اراد ان يمدّ سلطته على الجهات الشرقيَّة ايضاً ففي سنة ٨٠٢ و ٧٩٢ و ٧٨٤ زحف على خوبوشكيا. وفي سنة ٨٠١ و ٨٠٠ و ٧٩٤ و ٧٩٣ و ٧٩٠ و ٧٨٩ و ٧٨٨ و ٧٨٧ على مادي. وسنة ٧٩٩ على لوشيا. وسنة ٧٩٨ على نمري. وسنة ٧٩٦ و ٧٩٥ و ٧٨٥ على ديري. وسنة ٧٩١ و ٧٨٣ و ٧٨٢ على إيتوعا. وسنة ٧٨٥ على كيشكي. وتوفي ادادنيراري سنة ٧٨٣. وتخلّف بعده ابنه شلمناسر الرابع

انَّ دولة اثور الثانية اتّسعت بايام ادادنيراري اتساعاً عجيباً. فكان يحدُّها شرقاً مثلما قال هو في احد اثاره على جبال إلبي وعلى خرخ وأزرياش وميسو ومادي وعلى كيزيلبوندا باسرها وعلى مناي وپارسوا وألابريا. وشمالًا على أبدادانا وعلى بلاد نيري الواسعة وانديو. وغرباً على بلاد الحيثيّين والاموريّين وعلى صور وصيدا ومملكة اسرائيل وادوم وفلسطين وجنوباً على بلاد الكدان. يعني انها كانت تمتدّ من مادي وعيلام وخليج العجم الى البحر المتوسط ومصر والبحر الاحمر

الفصل السادس

انحطاط دولة اثور العظمى الثانية على ايام شلمناسر الرابع (٧٨٣ - ٧٧٢) واسوردان الثالث (٧٧٢—٧٥٤) واسورنيراري الثالث (٧٥٤—٧٤٦) · انتصارات أرارطو · حكاية سردانابال

انَّ شلمناسر الرابع (١) ملك احدى عشرة سنة وفي ايامه وايام خلفآئه سقطت اثور من ذروة العظمة التي بلغت اليها بهمّة اسورناصربال وشلمناسر واددنيراري كما مرّ بك · انَّ مملكة أُرارطو في ارمنيَّة كانت قد قويت شوكتها حتى انَّها ضبطت بعض البلاد من الاثوريّين · (٢) وانتشب القتال بين شلمناسر الرابع · ملك اثور وأرغيستيس ملك أُرارطو سنة ٧٨١ في اطراف ينابيع نهر دجلة · فسلمت نيربا للارارطيّين وغزا ارغيستيس ممالك الحيثيين الى مالاطية · وفي سنة ٧٨٠ جرت الحرب في خاخياس في وادي نهر بهتان · والظاهر انَّ النصرة لم تظهر لاحد الفريقين · فانَّ كلّا منهما ينسب الغلبة لنفسه · وفي سنة ٧٧٩ و ٧٧٨ كان ميدان الحرب في بارسوا وبستوس في اطراف بحيرة اورمية · وكانت النصرة لملك اراراط · وفي سنة ٧٧٥ اغار شلمناسر على جبل حمانا في سوريا · حيث ظهرت بعض القلاقل فانتهز الارارطيون الفرصة وتسلّطوا تماماً على جميع الممالك الصغيرة التي في اطراف بحيرة اورمية · ومن هناك حملوا على بلاد نمري · فاسرع شلمناسر لكي يخلّصها من يدهم · لكنَّهُ انكسر · وكانت بلاد سوريا باقية بعد في حكم الاثوريّين واتى في تواريخهم انَّهم في سنة ٧٧٣ حملوا السلاح على دمشق وفي سنة ٧٧٢ على حدرك (٣) · ومات شلمناسر في تلك السنة عينها (٤) وانحطّت مملكته اكثر على ايام اسوردان الثالث الذي خلفهُ سنة ٧٧٢ (٥)

---

(١) ان المؤلّفين كتبوا اولًا شلمناسر الثالث · لكن من اكتشافات شرقات الاخيرة عُرف ان شلمناسر هذا هو الرابع لا الثالث وان شلمناسر خليفة اسورناصربال هو الثالث لا الثاني · (راجع ص ٦٥ حاشية : ١)

(٢) عن مملكة أُرارطو وانحطاط الدولة الاثورية راجع ماسيبرو : ٣ ص ١٠٢-١١٤

(٣) بالقرب من حماة

(٤) راجع مجلة الكتاب المقدس : ٩ ١٨٧-١٨٨

(٥) مجلة الكتاب المقدس : ص ١٨٨

والظاهر انَّ هذا الملك لم يتجاسر ان يبارز الأُرارطيين بل اجتهد خاصّة في حفظ رعاياه من غارات الشعوب الذين في شرقيّ مملكته وغربيّها . وفي سنة ٧٧١ زحف على كُنانانّي (١) . وفي سنة ٧٦٩ على الايتوعيّين . وفي سنة ٧٦٧ اغار ثانيةً على كُنانانّي . وفي سنة ٧٦٦ على مادي وفي سنة ٧٦٥ على حدرك في سوريا . ومن ذاك الحين بدات البلايا تنقضّ على دولته . فانَّ الوبأ ظهر فيها وفتك بها فتكاً ذريعاً . وفي سنة ٧٦٣ كسفت الشمس ونشرت مدينة اثور لواء العصيان واقتدت بها مدينة ارباح على الزاب الاكبر وبلاد كُوزان في اطراف خابور . والباثن انَّ سبب عصيانهم هو استكراههم لملكهم اسوردان من جرآء غفلته . وظهر الوبا ثانية سنة ٧٥٩ . وبذل اسوردان جهده باصلاح الامور وصرف خمس سنين في اطفاء نار الفتنة . وفي تلك المدّة المنحوسة انتهزت الفرصة اغلب البلاد الخاضعة لاثور وامتنعت عن تادية الخراج وبقي اسوردان مستريحاً في قصره ولم يحمل السلاح لكبح الشعوب المتمرّدة الا في سنة ٧٥٥ فانه اغار اولاً على حدرك . ثمَّ على ارپاد . ومات في سنة ٧٥٣ وجلس مكانه ابنه اسورنيراري (٢) الثالث

وكان هذا اكثر غفلة من ابيه وتشاغل بالملاهي عن الغزو . وفي كل مدّة ملكه لم يخرج الَّا مرتين للمحاربة وذلك على البلاد القريبة من عاصمته اعني بها بلاد غري . فسآءت اكثر فاكثر احوال اثور في ايامه ولم يبق تحت حكمها سوى المستعمرات الاثورية التي في وادي الدجلة الاعلى اي في اطراف آمد وبلاد ما بين النهرين والمدن التي على سواحل خابور وقسم من بيت اديني الواقع في الجانب الايسر من الفرات . فلمّا رأى الاثوريون ما هو عليهِ ملكهم من الغفلة والرخاوة في تدبير امور المملكة قاموا عليهِ واحدثوا فتنة عظيمة في كالح سنة ٧٤٦ وفيها نُزّل اسورنيراري عن كرسي المملكة ونُصب مكانه تغلاتپلاسر الثالث . وكان ذلك في ١٢ ايار سنة ٧٤٥ . وهو الذي اقام اثور من سقطتها هذه الثانية كما انَّ تغلت نينيب الثاني اقامها من سقطتها الاولى

انَّ المؤرخين القدماء الذين كانوا يجهلون اسماء الملوك العظام الذين اشتهروا في اثور في الجيل السابق اعني بهم تغلت نينيب الثاني واسورناصربال الثالث وشلمناسر

---

(١) خانقين (٢) مجلة الكتاب المقدس ١٨٩

الثاني وشمشيداد الرابع وادادنيراري الثالث وضعوا مكانهم جدول ملوك متغافلين متقاعدين عن امور المملكة وقالوا انَّ آخرهم كان سرداناپال وانَّهُ في ايامه خربت نينوى الخراب الاول نحو سنة ٧٨٩ قبل المسيح. وقالوا عن سرداناپال انَّهُ كان متفرّغاً للملاهي والملذات ملازماً دار الحرم لابساً ثياب النسآء متخلّقا باخلاقهنّ فاغتنم الفرصة اثنان من الملوك أتباعهِ اي ارباق امير مادي وبلاسيس ملك بابل وحاولا ان ينبذا نير الاثوريّين عنهما. فقام سرداناپال لمحاربتهما وانتصر عليهما. لكن البختريّين الذين كانوا قد اتوا لمساعدته انقادوا الى الماديّين والبابليّين فاستقووا عليهِ. وهرب سرداناپال الى نينوى وتحصَّن فيها. فاقام الكلدان والماديّون يحاصرونها مدَّة سنتين. وفي السنة الثالثة وقعت امطار كثيرة ففاضت مياه دجلة وهدمت جانباً عظيماً من السور. فتذكَّر سرداناپال حينئذ ما كان قد أُوحي اليهِ بانَّهُ يكون دائماً منصورًا الى اليوم الذي فيهِ يقوم النهر عليهِ. فلم يرد ان يقع اسيرًا بين ايدي ملوك كانوا من اتباعهِ. فاضرم قصره بالنار وباد بها هو ونسآؤه قاطبةً

هذه هي حكاية سرداناپال. وقال عنها ماسپيرو (١) انها وهميَّة لا اصل لها وكذلك قل عن حكاية شميرام. فانَّ الاجيال الاخيرة نسبت الى شميرام جميع فتوحات وغزوات ملوك اثور الاوَّلين (٢) وامَّا رخاوة الملوك الذين تقاعدوا عن امور المملكة فنسبتها الى سرداناپال

وامَّا رأينا نحن في سرداناپال فهو انَّهُ شخص تاريخي وهو نفس اسوردانيپال او اسورداناپال ابن شلمناسر الذي سبق الكلام عنهُ انَّهُ رفع لوآء العصيان على ابيهِ وانَّ اخاه شمشيداد حاربه وانتصر عليهِ وقتلهُ. ومن المحتمل انَّهُ تحصَّن في نينوى وانَّ شمشيداد حاصره فيها. ولمَّا افتتحها احرق اسورداناپال قصره وباد بالنار فترى انَّ التقليد لم يزد على هذه الحكاية شيئاً كثيرًا بل عوض شمشيداد وضع ارباق امير مادي وبلاسيس ملك بابل

(١) ماسپيرو: ٤٥٢ و ٧٦٨-٧٦٩
(٢) راجع ص ٤٥-٤٦ من هذا الكتاب

الباب الرابع

في دولة اثور الكبرى الثالثة (١) (٧٤٥–٦٠٨)

الفصل الاول

تغلاتپلاسر الثالث (٧٤٥–٧٢٧) (٢)

مناقب تغلاتپلاسر — احوال الكلدان وأُرارطو — انتصار تغلاتپلاسر على القبائل الارامية الكلدانية وعلى غزي ومادي وارارطو وسوريا — غزواته في مادي وارارطو ومملكة اسرائيل — جعل دمشق ولاية اثورية — اخضاع شمسي ملكة العرب — اخذ تغلاتپلاسر لقب ملك اكاد وشومير

انَّ تغلاتپلاسر لا يُعلم من اين أصلهُ. ولعلهُ كان من آل اسورنيراري او انهُ استولى بمهارتهِ وشجاعتهِ على سرير الملك. ومع كون اصلهِ غامساً في الظلمة تلألأ شخصهُ نورًا ساطعاً لا مثيل لهُ في التواريخ. فكان نشيطاً شديد الباس محبًّا للفتوحات والغزوات. فاثار الحميَّة في قلوب اهل وطنهِ واراهم من جديد الطريق المؤدية الى بلاد اجنبيَّة وساقهم الى بلاد بعيدة لم يقدر الذين قبلهُ ان يبلغوا اليها ومع كونهِ قائدًا فاضلًا كان ايضاً رجلًا سياسيًّا. فانَّ سلفاءَه كانوا يكتفون بافتتاح البلاد ونهبها وفرضهم عليها الخراج. اماَّ هو فاجتهد ان يضع فيها مستعمرات اثورية فادخلها في جملة ولايات مملكته وولَّى عليها رجالًا من قواده

(١) ان المؤرخين لم يميزوا بين دولة اثور العظمى الثانية ودولتها العظمى الثالثة فانها ارتفعت ثلاث مرَّات الى صفّ الدول المعظَّمة او آمپير كما يدعوها الافرنج (empire) وذلك في عهد تغلاتپلاسر الاول (١١١٥–١١٠٠) وفي عهد ادادنيراري الثاني وخلفائه (٩٠٠–٧٨٣) ثم في زمان تغلاتپلاسر الثالث سنة ٧٤٥. ونزلت مرَّتين في صفّ الممالك او روايوم (royaume) كما يقول اهل اوروبا وذلك في زمان خلفاء تغلاتپلاسر الاول (١١٠٠–٩٠٠) ثم في عهد شلمناسر الثالث وخلفائه (٧٨٣–٧٤٥)

(٢) عن تغلاتپلاسر الثالث راجع ميتان تاريخ سني ملوك اثور ١٤٠–١٤٤ والمجلة الاسياوية الفرنساوية: ٥ ١٤٤١–٤٧٢. ومجلة الكتاب المقدس ١٨٩–١٩٩. وماسپرو: ج ١٣٩–١٩٣

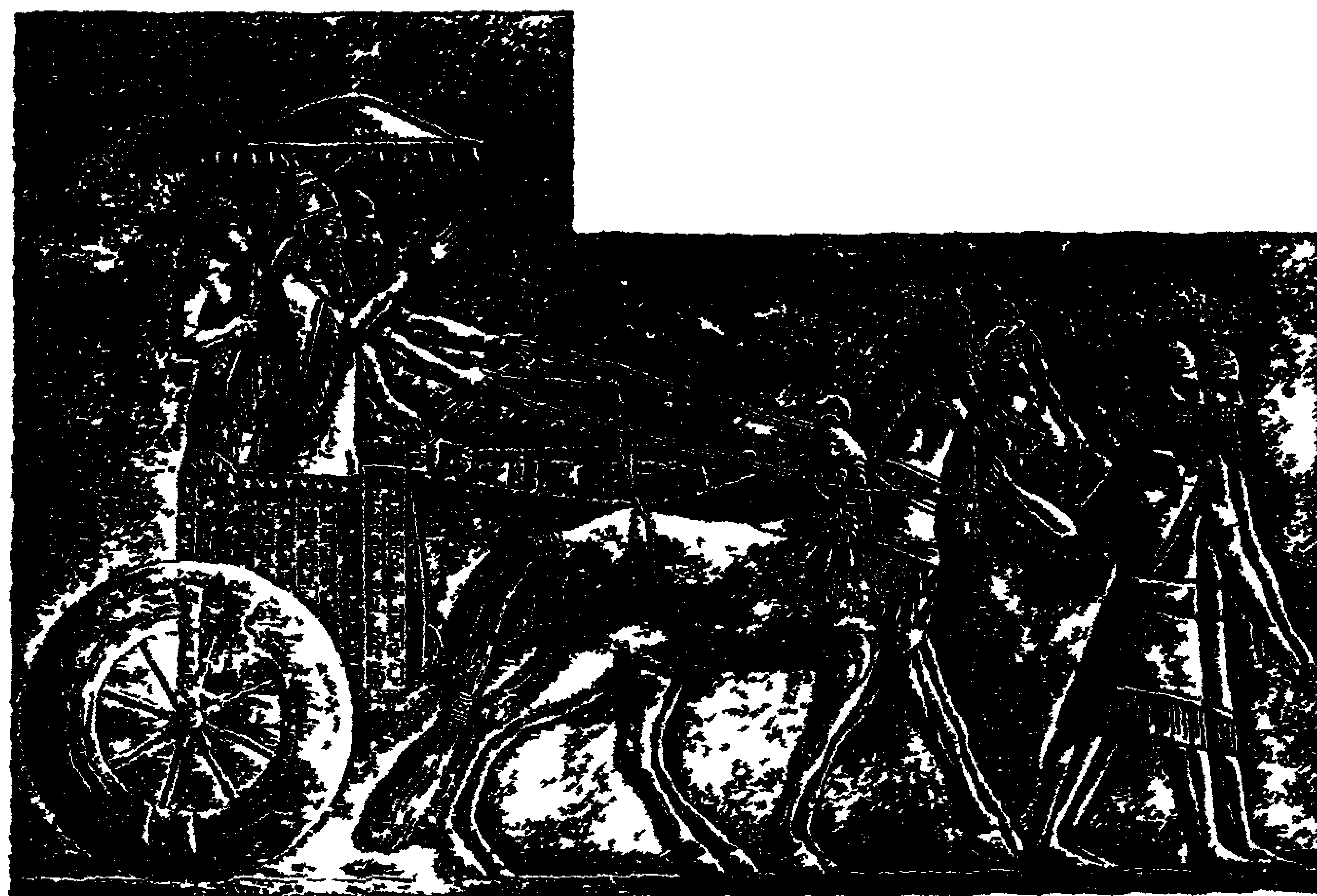
انّ تغلاتپلاسر صرف ستة اشهر في اثور حتى استوثق لهُ الامر وكانت مملكته محاطة باعداء اقوياء جسورين . فبدأ أولًا بالذين كانوا يتحرشون لهُ اكثر وكانت النصرة عليهم اسهل . اعني بهم القبائل الاراميَّة الكلدانيَة التي في الجنوب انّ احوال مملكة الكلدان كانت قد تغيرت كثيرًا منذ اوائل الجيل الثامن . فانّ الاراميين الرّحل امتدّوا شيئًا فشيئًا على سواحل القنوات المحفورة بين الدجلة والفرات واحتلّوا ايضاً سواحل الدجلة في حدود عيلام وصار لهم ممالك صغيرة كثيرة مستقلّة من بابل أشهرها بيت دقوري وبيت اموقاني وبيت شيلاني وبيت سُلي ونبطا وپوقودا وكُمولا وايزوعا . وكان الايتوعيّون في زمان ادادنيراري الثالث قد انتشروا في وادي تورنات (١) الاسفل . فحمل عليهم ادادنيراري مرارًا وابعدهم عن حدود مملكته . ولكنّهم تقووا بايام خلفآئه وانتشروا واحتلوا سواحل الزاب الاصغر . واعاروا كلما سنحت لهم الفرصة على اثور وضبطوا منها قطعة من الارض فحمل تغلاتپلاسر عليهم في اوّل سنة من ملكهِ واثخن فيهم الجراح وافصاهم عن سواحل الزاب الاصغر الى شواطئ أوقنو (٢) في عيلام . فوقعت في حكمه كل البلاد التي كانوا مستولين عليها في شرقي دجلة . ثمّ عبر النهر وزار المدن الكلدانيَة ليُظهر لها قوّتهُ فدخل نيپور وسپارا وبابل وكوتا وكيشو وديلبات واوروك وقرب فيها القرابين لبيل وزربانيت ونبو وطشميت ونركل . وقدّم لهُ الطاعة نبوناصر ملك بابل واقتدى بهِ جميع امرآء القبائل الاراميَّة . ولم يتعرّض تغلاتپلاسر لحريَّة بابل بل اكتفى بان يكون لهُ عليها سيطرة فقط

وعزم ان يحمل على مملكة ارارط ولكن دلته فطنته على ان يخضع اولا كل الممالك الصغيرة التي كانت قبلًا في حوزة سلفائه والتي كان الاستيلاء عليها اسهل . فاغار في سنة ٧٤٤ على نمري وأخضعها ومن هناك توغل في مادي حيث لم يكن سلفاؤه وطأوها قبلًا فاستولى عليها وجعلها ولاية اثوريَّة وولّى عليها رجلًا اثوريًا . ورجع الى كالح مستاقًا ٦٠٥٠٠ من الاسرى وغنيمة لا تحصى من الثيران والغنم والجمال والبغال وفي الوقت عينهِ كان قائده اسوردَيناني قد توغل في الجبال المحاطة ببحر قزوين . ولم يتقدّم الى ما قدام لأن الاثوريّين كانوا يظنون ان تلك

(١) نهر ديالة (٢) نهر كرخه



شمشيداد الرابع ملك آثور (انظر صحيفة ٧٤)



تغلاتپلاسر الثالث ملك آثور

الجبال مؤخر الدنيا. وانتشر خبر غزوة اسوردينانى هذه في كل تلك الاقطار بنوع عجيب حتى انهُ تقاطر اليهِ جميع ملوك تلك الاطراف وقدّموا اليهِ احتراماتهم وهداياهم النفيسة

فلمّا فرغ تغلاتبلاسر من امر الملوك الذين في شرقيّ مملكته وجنوبيّها اراد حينئذٍ محاربة شاردوري ملك أرارطو. ولمّا رأى ان الهجوم عليهِ في جبال عاصية صعب جدًا ذهب يريده في سوريا الشمالية في اشخاص ملوك الحيثيين والسريان أتباعه. وكانت مملكة ارارطو قد قويت حينئذٍ واتسعت جدًا وكان الملك ايشپوني نحو سنة ٨٢٨ قد نقل سرير الملك الى مدينة دوسپان وهي وان الحاليّة. وكان ابنهُ مينوا قد حصنها وجعلها منيعة الى الغاية. وارگيستي بن مينوا انتصر مرارًا على الاثوريين كما سبق الكلام ووسّع ملكهُ. وملك بعده شاردوري الثالث نحو سنة ٧٥٦. واستولى هذا الملك على بلاد مالاطية والحيثيين وعلى جميع الممالك التي بين الفرات والبحر المتوسط اي على بيت اگوسي وقرقيش وگرگم وكماجين وشمأل وقيليقيّة. وكاد عدّ سلطته على حماة ودمشق ايضاً لكن قيام اثور من سقطتها قطع الطريق قدامه فاجبره تغلاتبلاسر الثالث ان يرجع الى الوراء فيتحصّن في عاصمته

ففي ربيع سنة ٧٤٣ عبر تغلاتبلاسر الفرات ولم يتجرأ احد الملوك المجاورين على مقاومته. وظهر تحت اسوار ارپاد عاصمة مملكة اگوسي (١). وكانت حصينة الى الغاية ولها السطوة على جميع البلاد التي بين الفرات وجبل حمانا (٢). ولم يلبث كثيرًا هناك حتى بلغهُ انَّ شاردوري ملك أراراطو مقبل اليهِ بجيوشهِ الجرارة فاسرع ورفع الحصار عن ارپاد وذهب للقائهِ. والتقى به في كماجين بالقرب من الفرات بين كيشتان وحلبي وكانت جنود الملك الارمنيّ اكثر عددًا من جنود الملك الاثوريّ. لان جيوش الملوك اتباعهِ كانت قد انضمت اليهِ اعني بها جيوش ملك اگوسي وملك ميليدا (٣) وملك كموجا (٤) وملك گرگم (٥) وكان القتال شديدًا دام من

---

(١) بين پاتين وجبل حمانا (٢) جبل اللكام
(٣) مالاطية (٤) في وادي الدجلة الاعلى في منحدرات جبل الطور
(٥) في جنوبي مرعش

الصباح الى المساء. ونحو المساء تبددت فرسان شاردوري وعرباتهُ. وانهزمت جيوشهُ ودخلت المعسكر فتتبّعتها الجيوش الاثوريّة مثخنةً فيها الجراح. فتشوّش شاردوري وترك عربتهُ وركب حصاناً وهرب ولم يزل يطرد حتى دخل مملكته. وكان عدد الذين قُتلوا وأُسروا من جيشهِ نحو ٧٣٠٠٠ جندي. وضبط الاثوريّون كل ما كان في معسكره من العربات والحصن والمعدات الحربيّة وبقيت خيمتهُ منصوبة وفيها حليتهُ الملوكيّة وعرشهُ وسريره. فاحرقها تغلاتبلاسر اكراماً لآلهتهِ. ولم يترك منها الا السرير الذي ذهب بهِ الى نينوى وقدّمه لإستار الإلهة

وكان جيشهُ قد عيي وتلف منهُ خلق كثير فنظم احوالهُ في نينوى. وبدأ ملوك السريان ايضاً يتاهبون للمدافعة وكانوا يؤملون ان شاردوري يجمع لهُ العدة ويأتي لمساعدتهم. لكن المذكور لم يتجاسر ان ينحدر من جبلهِ. فلمَّا كان ربيع سنة ٧٤٢ رجع الاثوريّون الى سوريا. وكان ماتيلا ملك الاكوسيّين قد تحصَّن في ارپاد عاصمتهِ. فحاصروه فيها واقاموا تحت اسوارها ثلاث سنين حتى افتتحوها سنة ٧٤٠. فالقى اسم تغلاتپلاسر الرعبة في قلوب جميع الملوك المجاورين وتقاطروا اليهِ في ارپاد وسجدوا لهُ وقدّموا لهُ هداياهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وعاج وارجوان. وكان في جملتهم كوشتاشپي ملك كموجا وترحولارا ملك كركم وپيزير ملك قرقميش واورياك ملك قوا. وكذلك حيرام الثاني ملك صور وراسين ملك دمشق ارسلاهما ايضاً يهنئانهِ على انتصاره هذا. واما توتاما ملك أُونقي فلم يقدّم لهُ الطاعة. فزحف عليهِ الاثوريّون وافتتحوا كينالوا عاصمتهُ ونهبوها وولّوا عليها وعلى بيت آكوسي رجالًا اثوريّين

ن تغلاتپلاسر بانتصاراته هذه جرح اراراط جرحاً بليغاً . فبغى ان يربطها هي ايضاً تحت نيره. ففي سنة ٧٣٩ حمل عليها وافتتح قسماً عظيماً من بلاد نيري التي كانت في حوزتها. وكان في نيتهِ ان يرجع عليها سنة ٧٣٨ لكن احوال سوريا الشمالية منعتهُ عن ذلك. فان عازرياهو ملك يادي كان قد تحالف مع تسعة عشر ملكاً كانوا في البلاد الممتدَّة من حماة الى البحر المتوسط ومن قيليقية الى حدود مملكة دمشق . ولعلّ ملوك دمشق ويهوذا واسرائيل ارادوا الدخول في هذه المحالفة غير ان تغلاتپلاسر لم يمكّنهم من ذلك فانهُ اسرع وحمل بشدّة على الشعوب

المتمرّدة ونكّل بهم وادخل بلادهم في جملة ولايات اثور وسبى منهم خلقاً كثيراً واسكن مكانهم الاسرى الذين استاقهم قبلاً من نيري . فسلّم لهُ كل السريان وثمانية عشر ملكاً قدموا اليهِ الهدايا من جملتهم مناحيم ملك اسرائيل وراسين او راسون ملك دمشق . وملك صور وملك حماة وملك ميليدا وملك التوباليين وزبيبي ملكة العرب . واماً هديّة مناحيم ملك اسرائيل فكانت الف وزنة من الفضة (١) وفي تلك السنة عينها صارت ثورة في بلاد نيري ولولومي ففتك الحكّام الاثوريون الذين هناك بالعصاة وارسلوا جمًّا غفيرًا منهم الى تغلاتپلاسر . فاسكن ستة آلاف منهم في ارض دَمونا وخمسة آلاف واربعمائة في كوناليا وَحوزرا وطاي وطَرمازي وكُولدرا وحطاطيرا وساكِلو من مدن أونقي (٢) . وعشرة آلاف على شواطئ البحر المتوسط وفي الجبال المجاورة

وكان العصيان قد سرى الى مادي . والظاهر ان ذلك كان بتحريك أرارطو . فحمل عليها تغلاتپلاسر في سنة ٧٣٧ وكان سكان ارياش قد تحصّنوا في منحدرات جبل أبيروس . فهجم عليهم وقتل منهم خلقاً كثيرًا فطلبوا الامان . واماً أوشرو ملك تديروتا وبوربَدًا ملك نيروتكا فاستخفيا في الجبال . فتتبّعهما تغلاتپلاسر متسلّقاً تلك الجبال حتى قبض عليهما . ولم يزل يحارب من نازعهُ حتى قهر جميع ملوك مادي وحيثما ذهب اقام اعمدةً ذكرًا لانتصاراته . ففي باو اقام نشّابةً كتب عليها مدائح ربّه اشور . وبالقرب من شيلخازي نقش صورتهُ على صخرة وفي تيلشوري نصب عمودًا اكراماً لمرودخ . وفي سنة ٧٤٦ رجع ثالثة الى مادي ليثبّت فيها سلطتهُ واستولى على بلاد نال الجبليّة المتصلة بأرارطو . وفي سنة ٧٣٥ حمل على أرارطو وظهر تحت اسوار دوسپان . وكانت وان القديمة منيعة جدًّا اذ انّ ملوكها حصّنوها تحصيناً لا مزيد عليهِ حتى انهُ لم يكن للعدو سبيل ان يدخلها الّا من الجهة الغربية . والطريق المؤدي اليها من هذه الجهة كان ضيقاً جدًّا وتحتهُ هاوية عميقة وعلى طوله ابراج كثيرة . فقطع الاثوريون اشجار البساتين كلها واحرقوا جميع القصور التي في خارج المدينة . وكان شاردوري ينظر اليهم من قصره متأسفا ولا يجسر ان يتحرّك من مكانه . واقام الاثوريون تمثال ملكهم ونصبوهُ قدام باب القصر ورفعوا الحصار

---

(١) ٢ ملوك : ١٥ : ١٩ (٢) في وادي نهر العاصي

عن المدينة وطافوا كل البلد فا خربوا المدن والقرى واحرقوها وقتلوا خلقاً كثيراً ورجعوا الى نينوى غانمين غنيمة عظيمة

وكانت مصر في تلك الاثناء قد قويت شوكتها . وملوك سوريا الجنوبية لا يزالون يتنازعون . وكان البعض منهم ينتظرون الخلاص من مصر والبعض الآخر استغاثوا باثور . وكان راسون او راسين ملك دمشق قد استقرّ لهُ الامر وحالف فقح ملك اسرائيل على احاز ملك يهوذا . فلم يرَ احاز بدا للتخلص منهما الآن يلتجئ الى تغلاتپلاسر . فارسل اليهِ رسلًا وقال: « انا عبدك وابنك فاصعد وخلّصني من يدي ملك ارام وملك اسرائيل اللذين يحاربانني » . واخذ ما كان موجودا في بيت الرب وبيت مال الملك من الفضة والذهب وارسلهُ اليهِ هديةً (١) فاقبل مسرعا ملك اثور سنة ٧٣٤ وحمل اولًا على اسرائيل وفتح عيون وآبل بيت معكا ويانوحا وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل ارض نفتالي وساق السكّان الى اثور (٢) . ثم ارسل بعض عساكره على الفلسطينيين . فهرب حنون ملك غزّة الى مصر . ودخل الاثوريون مدينة غزة ونهبوها . وكان راسين قد ادخل في حزبه موتون الثاني ملك صور . وميتينتي ملك اشقالون وشمسي ملكة العرب . وتحصّن هو في جبل لبنان الشرقي . فهجم عليهِ تغلاتپلاسر وقهرهُ . فهرب الى دمشق . وكانت المدينة محصنة وفيها عساكر وذخائر كثيرة . فحاصرها الاثوريون وافتتحوها وقتلوا الملك راسين (٣) واسروا فيها ثمانية آلاف رجل وارسلوهم الى قير (٤) . وصارت دمشق ولاية اثورية تولّى عليها رجل اثوريّ سنة ٧٣٢ وللحال قدّم الطاعة موتون ملك صور . واما ملك اشقالون فهرب ولحق بحنون في مصر . فملّك الاثوريون مكانه رجلا يقال لهُ روقيبتا . وقام بنو اسرائيل على ملكهم فقح وقتلوهُ واجلسوا مكانهُ هوشاع بن ايلة . فاخذ منهُ تغلاتپلاسر عشر وزنات ذهباً وكميّة وافرة من الفضة واثبتهُ على كرسيهِ . واما شمسي ملكة العرب فبقيت عاصية ظنّاً منها انها في أمن وراء جبال من رمل . فحمل عليها الاثوريون وانتصروا عليها وصار لنصرتهم هذه رنّة عظيمة في كل بلاد العرب . فتقاطر الى تغلاتپلاسر شمسي الملكة وملوك ميشا وتيما وسبا وعيفة وأوبائيل وبدانا وحتّي وقدّموا لهُ هدايا من الذهب والفضة والطيب . وبينما

---

(١) ٢ ملوك: ص ١٦ ٥-٩ (٢) كذا: ص ١٥ ٢٩ (٣) كذا: ص ١٦ ٩-١٠ (٤) في ارمينية

كان القواد الاثوريون يغزون بلاد العرب كان تغلاتپلاسر في دمشق مشغولًا في تدبير امور ماوك سوريا واتاهُ خمسة وعشرون ملكاً ليسجدوا لهُ ويقدّموا لهُ هداياهم النفيسة

وكان في نية تغلاتپلاسر ان يحمل على مصر فيخضعها هي ايضاً . لكنَّ تقلبات بابل اجبرتهُ ان ينتقل من سواحل البحر المتوسط الى شواطئ الفرات الاسفل . فان أوكنزير ملك بيت اموقاني دخل بابل وقتل ملكها نبوشمكين وجلس مكانهُ. فقهرهُ الاثوريون واستأسروهُ. ودخل تغلاتپلاسر مدينة بابل وجلس على سرير الملك وقبض على يدَي بيل الإله فصار لقبهُ: ملك اثور وملك اكاد وشومير وملك الاقاليم الاربعة . واحبَّ البابليون ملكهم الجديد وسمّوهُ پول او پور وبهذا الاسم عُرف في قائمة ملوكهم وفي تواريخ بني اسرائيل ايضاً (١). ولكنَّهُ لم يفرح طويلًا بلقبهِ هذا الجديد فانهُ توفي في كالح في شهر كانون الثاني سنة ٧٢٧

الفصل الثاني

شلمناسر الخامس (٧٢٧—٧٢٢) (٢)

عصيان اسرائيل وفونيقي — محاصرة السامرة وصور

قام بالملك بعد تغلاتپلاسر ابنهُ شلمناسر الخامس (٣). وسمَّاهُ البابليون ايلولاي كما دعوا اباهُ پول . وكذا كتبوا اسمهُ في قائمة ملوكهم ولم يملك شلمناسر سوى خمس سنين . وقضى اكثر حياته في الراحة فان اباهُ رتّب جيدًا امور المملكة وقسَّمها الى ولايات واقام على كل ولاية قائدًا اثوريًا يسوسها . فكانت دولة اثور بايامه تشمل بلاد مادي والكلدان وارمنية واسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وفونيقي وبلاد العرب . فكانت تمتدّ من بحر قزوين وعيلام وخليج العجم الى البحر المتوسّط ومصر والبحر الاحمر . فبحقٍّ قال عنها حزقيال النبي (٤) « ها هوذا اثور مثل ارز في

(١) راجع ص ٤١-٤٢ من هذا الكتاب (٢) عن شلمناسر الخامس راجع ماسپرو: ج ٢١٢—٢١٦ ومجلّة الكتاب المقدس ٣٦٨٠ ٣٧١

(٣) راجع ص ٦٥ حاشية: ١ من هذا الكتاب (٤) Δ ١-١٠

لبنان. جميل الاغصان مظلّلًا بالاوراق ورفيع القامة وارتفع علوه بين الاغصان الغبياء. المياه اغذتهُ والغمر رفعهُ. وانهارهُ جارية حول اصولهِ واطلق مجاريه الى جميع اشجار البلد. لذلك ارتفعت قامته على جميع اشجار البلد وكثرت اغصانه وتطاولت افنانه لكثرة الماء. ولمّا بسط ظلّه عشّشت في اغصانه كل طيور السماء. وتحت اوراقه ولدت كل وحوش البرّ. وفي ظلّه سكن جماعة امم كثيرة. فكان جميلًا في عظمته وفي تمادي قضبانه. فان اصله عند مياه كثيرة. الارز لم يكن اعلى منهُ في جنة الله. والسرو لم يُساوه باغصانه. والدلب لم يكن مثل فروعه. لم تشابههُ شجرة من كل اشجار جنة الله في حسنهِ. صنعتهُ جميلًا بقضبان كثيرة فغارت منهُ جميع اشجار عدن التي في جنة الله»

قلنا ان تغلاتپلاسر رتّب امور دولته هذه الواسعة ترتيباً حسنا حتى ان العصيان لم يظهر بعد موته الّا في اسرائيل وفونيقي. وكان ذلك بتحريك مصر. امّا شلمناسر فكان يعرف جيّداً احوال سوريا اذ قد تولّى عليها في حياة ابيهِ. فنادى بجيشه وذهب مسرعاً الى فلسطين. فبادرهُ الفونيقيون بتقديم الطاعة. واماّ هوشاع ملك اسرائيل فاذ لم يرَ ادنى مساعدة من القبائل المجاورة سلّم هو ايضاً لشلمناسر ودفع لهُ هدايا كثيرة (١)

ولكن هوشاع لم يتّعظ بذلك كله بل تجاسر وحالف ثانيةً ملك مصر. فلمّا عرف منهُ ذلك شلمناسر ارسل يستدعيه. فقبض عليهِ والقاهُ في السجن وارسل جيشهُ الى مدينة السامرة. وامّا بنو اسرائيل فلم يفشلوا بحبس ملكهم بل تأهّبوا للقتال. وكانوا ينتظرون ان تأتيهم النجدة من مصر. وفي تلك الاثناء خرجت ايضا فونيقي من طاعة اثور فان ملكها لوليا قهر سكان جزيرة قبرص. فقسم شلمناسر جيشه الى قسمين (٢) وجعل قسماً منهُ تحت اسوار السامرة ومشى هو نفسهُ بالقسم الاكبر على فونيقي. واستولى على جميع مدنها ما خلا مدينة صور وكانت في جزيرة. فجمع شلمناسر جميع سفن صيدا وجبيل وارواد وكانت ستين سفينة. فركبها الاثوريون واجتهدوا بالنزول الى الجزيرة. ولكونهم غير ماهرين في الحرب على البحر انتصر عليهم الصوريّون واسروا منهم خمسمائة جندي. وكانت سفن صور اثنتي

---

(١) ٢ ملوك: ١٧ ١—٥ (٢) ماسپيرو: ٤٢٨

عشرة سفينة فقط . ففكر شلمناسر في ان يحاصر المدينة برًّا ويقطع عنها المياه فيجبرها بذلك على تقديم الطاعة . وطال حصار السامرة وصور . ووُجِد شلمناسر ذات ليلة ميتاً ولم يُعرف سبب موتهِ . وكانت وفاتهُ في بابل في كانون الثاني سنة ٧٢٢

الفصل الثالث

شركينا الثاني (١) (٧٢٢—٧٠٥)

محاربة عيلام ومرودخبلدان ملك بابل — افتتاح السامرة — عصيان السريان وخضوعهم — عصيان منـاي وزيكارتا وقيليقية وخضوعها — انقلاب العرب وأرارطو وموزانزير وكارلّا ومادي وميليدا — عصيان سوريا وخضوعها

امّا انهُ لم يكن لشلمناسر ابن يرثه او كان لهُ ابن ولم يرض بهِ الشعب . فجلس مكانهُ شركينا الثاني (٢) وكان هذا رئيس قواد الجيش . ولا بد من انهُ كان افضل رجال الدولة ولذلك بويع بالملك . وكان جلوسهُ في ٢٢ كانون الثاني . وملك مثل تغلاتپلاسر وشلمناسر على بابل ايضاً . لكنَّ البابليّين رفضوه بعد ثلاثة اشهر وملّكوا عليهم مرودخبلدان الثـاني . واعلم انَّ تغلاتپلاسر اعجبتهُ بابل كثيرًا وفي مدَّة سنتين زارها مرَّتين كذلك ابنهُ شلمناسر جلس ايضاً في بابل وفيها قضى نحبه . وتفضيل هـذين الملكين بابل على نينوى كان قد اغضب الاثوريّين وكان من الاسباب التي حملتهم على مبايعـة شركينا الذي لم يكن من سلالة تغلاتپلاسر . ولمّا ملك شركينـا بدأ البابليون يشكُّون في سياستهِ نحوهم وانتظروا نحو ثلاثة اشهر ليعرفـوا حقيقة الامر . فلمّا تاكّد عندهم انهُ يفضّل اثور عليهم استدعوا

(١) ان شركينا ملك اثور لُقّب بالثاني لتمييزه من شركينا الاول ملك الكلدان (طالع ص: ٢٤ من هـذا التاريخ) ومعنى شركينا : الملك العادل (ܫܪܐ ܟܐܢܐ) وقد اتى اسمهُ في نبوّة اشعيا: [illegible] : ١ سركون او سرجون

(٢) شركينا راجع مجلّة الكتاب المقدس: ٣٧١—٣٩٠ وماسبيرو: [illegible] ص ٢٢١—٢٧٣ وبوطا اثار نينوى: ٦٣—٩٢ و١٠٥—١٢٠ و١٥٥—١٦٠ وميتان تاريخ سِني ملوك اثور: ١٥٨—١٧٩ واوپير آثار دورشركيان

مرودخبلدان ملك بيت ياقين ليملك عليهم وكان هذا قد خضع لغلاتبلاسر وادّى له الجزية فبدأ ملك بابل الحديد يتجهّز للمحاربة وطلب محالفة حومبانيكاش ملك عيلام. فاجاب حومبانيكاش الى سؤاله لانَ فتوحات اثور بدأت ان تقلقهُ. فالجواسيس اوقفوا شركينا على حقيقة الامر فلم يمكّن الملكان من ضم جيوشهما بعضها الى بعض. وكان حومبانيكاش قد جمع عساكره وزحف بها على أوملياش التي كانت خاضعة لاثور وانتهى الى مدينه دور ينتظر وصول جيوش مرودخبلدان. واذا بالجيوش الاثورية حملت عليهِ بشدّة واجرت الدماء سيولا. فانهزم العيلاميّون الى بلادهم وقاصص شركينا القبائل الارامية الكلدانية التي حالفت عيلام ورجع الى اثور ليصلح ما وقع في صفوف عساكره من الخلل. وكان في نيّتهِ ان يرجع في السنة التابعة الى كلدو ليخضعها بيد ان احوال سوريا اشغلتهُ عن ذلك

انَّ القائد الاثوري الذي كان يحاصر مدينة السامرة فتحها بعد وفاة شلمناسر وسبى من سكّانها الى اثور ٢٧٢٨٠ نفسا وانزلهم الى حلح وكوزان في وادي الخابور والى مدن مادي(١). وجاس حاكم اثوريّ في قصر ملوك اسرائيل في السامرة. ثم ان شركينا سنة ٧١٠ وسنة ٧٠٩ اسكن السامرة اقواما من كوتا ومن عاوا ومن حماة ومن سفراويم. فانَّ السامرة سقطت سنة ٧٢٢. ومع السامرة سقطت مملكة اسرائيل وبسقوط مملكة اسرائيل سقط الحاجز الاخير الفاصل مصر من مملكة اثور فاضطرب المصريّون واجتهد بوقوريس ملكهم باستدراك الامر. فحالف ملوك سوريا وحرّكهم على محاربة اثور واعداً اياهم بالنجدة فتداعوا الى السلاح تحت قيادة ايلوبدي ملك حماة وحملوا على الاثوريين وطردوهم من بيت اكوسي ومن فونيقي الشمالية ومن دمشق ومن السامرة فمشى شركينا على العصاة وانتشب القتال بينه وبينهم في قرقر فانكسر ايلبودي كسرة تامّةً وقُبضَ عليهِ وسُلخ جلده. واخذ شركينا من الحمويّين ستمائة فارس ومائتي عربة وضمّهم الى جيشهِ وقتل جميع الذين اضرموا نار العصيان في بيت اكوسي ودمشق والسامرة. ثمَّ حمل على غزة. وكان ملكها خنون قد رجع اليها وينتظر النجدة من مصر. فهرب الى رافيح (٢)

(١) ٢ ملوك: ١٧: ٦ و ١٨: ١٠-١١ (٢) تل ارفاء الحاليَّة

وكانت في حدود مصر وفلسطين. وانضمت اليهِ هناك جيوش مصر تحت قيادة سبعو. فحمل عليها شركينا وقهرهما فهرب القائد سبعو الى مصر. واما حنون فقُبض عليهِ وأُرسل اسيرًا الى اثور. ونهب الاثوريون مدينه رابيح واحرقوها وسبوا من سكانها ٩٠٣٣ نفساً. وكان ذلك سنة ٧٢٠. ورجع شركينا الى نينوى غانمًا منصورًا

شركينا الثاني ملك آثور ووزيره



وكان في عزمهِ ان ينزل على بابل لكنَّ الاحوال جبرتهُ ان يصعد الجبال متوجها نحو ارمنية. وقد سبق القول انَّ تغلاتپلاسر قد كسر شوكة ارارطو. وكان ملكها شاردوري قد مات نحو سنة ٧٣٠ وخلفهُ ابنهُ روسا الاول. فلما رأى هذا ان شركينا مشغولًا بالحروب في سوريا شاء ان يوسّع ملكهُ مثل اجداده. وجعل لهُ حزباً ضد اثور في بلاد مناي وزيكارتا والحيثيين. غير ان ايرانزا ملك مناي

انكر عليهِ ذلك. فاحتال روسا وساغ لهُ ان يجتذب اليهِ مدينتين من مدن ايرانزا وهما سونداخول ودوردُكاً. فانقادتا الى متاتي ملك زيكارتا. وكان ذلك سنة ٧١٩. فاسرع شركينا وحمل عليهما واستأصل اسوارهما واحرقهما ونفى سكانهما الى سوريا. ولم يفرغ من امرهما الّا وقدحت نار الفتن في جبال قيليقية. فان كياكو التوباليّ ملك شينوختا (١) امتنع عن تادية الجزية سنة ٧١٨. فحمل عليهِ الاثوريّون وقهروه وقبضوا عليهِ واخربوا مدينته واستاقوه اسيرًا الى اثور هو و ٧٥٠٠ نفس من رعيّته. ثمّ في سنة ٧١٧ مشى شركينا بجيوشه على أپيزير ملك قرقميش صديق الأرارطيّين. فانهُ تحالف هو ومَتيلا ملك بيت آكوسي وميتا ملك الماشكيّين على اثور. فانتصر شركينا عليهِ وارسلهُ اسيرا الى اثور وحُبس مع كياكو ملك شينوختا. وجُعلت مملكته ولاية اثورية تولى عليها رجل اثوريّ

ولمّا فرغ شركينا من امر شينوختا وقرقميش رجع مسرعا الى بلاد مناي (٢). لانّ الملك ايرانزا صديق الاثوريّين توفي وخلفهُ ابنهُ أزا. فبذل روسا ملك ارارط ومتاتي ملك زيكارتا (٣) جهدهما لكي يحملاه على محالفتهما على اثور. فابى. فاغريا بهِ شعبهُ. فقاموا عليهِ وقتلوه اشنع قتلة على جبل أُواُوش. وانقادوا الى بكاداتي ملك أُميلديش (٤). فانقضّ شركينا على بكاداتي وقبض عليهِ وسلخ جلده وهو حيّ. وذلك في المكان نفسهِ الذي قُتل فيهِ ازا الملك. وكان اهل مناي قد ملّكوا عليهم أُولوسون اخا ازا وحالف أُولوسون روسا ومتاتي واقتدى بهِ ملوك أُخر كثيرون. فعمّ العصيان وامتدّ منذ حدود عيلام الى حدود الماشكيّين. فكان الخطر عظيماً. ولكنّ شركينا بمهارتهِ العجيبة وشجاعتهِ الفريدة قهر العصاة كلّهم فانقضّ اوّلًا على مناي وافتتح إزيرتا عاصمتها ونهبها واحرقها. واخرب ايضا مدينتي زيبيا وارمآئيد وقبض على الملك أُولوسون. غير انّهُ رعاية لابيهِ عفا عنهُ وردّ اليهِ مملكتهُ. ثمّ انقضّ على أنديا (٥) ونهبها واسر منها ٤٢٠٠ نفس ومن هناك مشى

---

(١) في شمالي قيليقية (٢) في غربي بحيرة اورمية

(٣) على حدود مادي الغربية بين انديا وألابريا

(٤) في شمالي ارمنية

(٥) في جنوب شرقيّ بحيرة اورمية

على زيكرتا ونكل بها . فهرب ملكها متاتي الى الجبال . ثمّ حمل على كَرَّلا (١) وقبض على ملكها اسورلي وسلخ جلده . وقبض ايضاً على إيتي ملك ألابريا (١) وارسلهُ اسيرًا هو ونصف شعبهِ الى حماة . وفتح مدينتَي نيكساما وشوركاديا وضمَّهما الى ولايةِ پارسوا . ونهب مدينة كيشيزيم واحرقها وبعث ملكها بيلشاروزور اسيرًا الى نينوى وافتتح مدينة خرخر (٢) وسمَّاها كرخ شركينا اي مدينة شركينا وانتصر ايضاً على دلتا ملك أليبي (٣) وفرض عليهِ الجزية . ورجع الى آثور بغنيمة عظيمة وذلك سنة ٧١٦ .

وكان نجاح الاثوريين في تلك السنة عظيماً واصبح اعظم سنة ٧١٥ لانَّ العصيان ايضاً كان اشدَّ واوسع وقدحت ناره هذه المرة في شمال غربيّ المملكة . وانتشرت الى حدود سوريا الشماليَّة . فانَّ روسا ملك ارارط لم يكن قد اتَّعظ بما اصاب حلفآءه من الدمار بل اجتهد في اغرآء أهل مناي وتيسر لهُ ان يجتذب اليهِ احد امرآءهم يقال لهُ دَيوكا . وبواسطته استولى على اثنتين وعشرين قلعة من قلاع مناي . وفي تلك الاثناء اغار ميتا ملك الماشكيين على بلاد قيليقية وبدأ العرب ايضاً يغزون في اراضي اثور . فاقتضى مباشرة ثلاثة حروب في وقت واحد وفي ثلاثة امكنة مختلفة بعيدة بعضها عن بعض . فخرج شركينا على ارمنية حيث كان الخطر اعظم وفوَّض امر الماشكيين والعرب الى قوَّاده وعمَّاله . فصعد بجيوشهِ جبال ارمنية ودخل بلاد مناي . واستولى على الاثنتين والعشرين قلعة التي ضبطها روسا الملك من اولوسون . وقبض على ديوكا وارسلهُ اسيرًا الى حماة . واما ملك خوبوشكيا فخرج للقائهِ وقدَّم لهُ عددًا وافرًا من الثيران والخيل والغنم . ومن خوبوشكيا انحرف شركينا الى انديا واسر ملكها تيلوسينا . ونصب تمثالهُ في ايزيرتا ذكرًا لعظمتهِ . وانحدر مسرعاً من تلك الجبال متوجهاً نحو الشرق الجنوبيّ وانقضَّ بغتةً على بلاد خرخر التي كان قبل بضعة اشهر قد جعلها ولايةً اثورية . فانَّها امتنعت ايضاً عليهِ ما عدا مدينة كرخ شركينا فافتتح جميع مدنها وقلاعها . وسمَّى

(١) انَّ ألابريا كانت متَّصلة بپارسوا في جنوب بحيرة اورمية وكَرَّلا كانت متصلة بألابريا

(٢) في اطراف كرمنشاه

(٣) في حدود لورستان في ايران

اربعاً منها باسماء اثوريّة وهي كرخ نبو وكرخ سين وكرخ اداد وكرخ ايستار. وكانت اسماؤهـا القديمة: كيشيسلا وكنيدأو وبيت بكّايا وزاريا. وحصّن مدينة كرخ شركينا وسلّم لهُ المـاديّون من جديد واتاه اثنان وعشرون من امرآئهم وخرّوا على قدميهِ حالفين لهُ بالامانة

وبينما كان شركينا يقفز على الجبال في الشمال ويضرب في الاودية والسهول في الشرق غـازياً غانماً كان قواده في الغرب والجنوب يتتبعون هم ايضا الاعدآء مثخنين فيهم الجراح. ذهب ميتا ملك الماشكيين بغاراتهِ الى البحر المتوسط ولكنّ حاكم ولاية قوا الاثوريّ حمل عليهِ وقهره واقصاه الى جباله. وكذلك الجيوش التي زحفت الى العرب فانها استظهرت عليهم وكسرتهم شر كسرة. واستاقت منهم اسرى كثيرين واسكنتهم في السامرة مع اليهود والبابليّين. فعظمت شهرة شركينا في كل بلاد العرب وبلاد مصر ايضاً. فارسل لهُ جميع ملوك تلك الاطراف هداياهم النفيسة. ومن جملتهم شمسي الملكة وقد سبق الكلام عنها في اخبار تغلاتپلاسر. وايتعار ملك سبا. وملك الثموديّين وملك اليابديّين وفرعون ملك مصر نفسهُ. وحينئذٍ قدر شركينا ان يجمع جيوشهُ فيضرب ارارطو ضربة قاسية قاطعة

كان شركينـا حنقاً على روسا الارمني. لانهُ كان سبب الفتن التي حدثت في حدود مادي وفي الجهات الشمالية والشمالية الغربية. وفي غاراتهِ السابقـة دلّتهُ فطنتهُ ألّا يتعرّض لهُ الّا بعد ان يكون قد سحق واخضع كل الممالك الصغيرة المتمرّدة. فلمّا كان ربيع سنة ٧١٤ تسلّق جبال ارمنيـة وانقضّ على زيكارتا وافتتح ياردا عاصمتها واحرقها واخرب ايضاً ثلاث مدن من مدنها واربعاً وعشرين قرية من قراها وهرب ملكها متاتي تائهاً في الجبال ولم يُوقَف على اثره. ثم مشى على مملكة ارارطو يريد خنق الملك روسا. فتحصن روسا في اودية جبل أواوش. فحمل عليهِ شركينا بشدّة وانتصر عليهِ وقتل من عسكره خلقاً كثيرًا وأسر حرسه الخاص كله وكان مؤلّفاً من مائتي فارس وكلهم مرتبطون بالقرابة مع العائلة الملوكية. فلم يكن من روسا الّا ان يقتدي بابيهِ شاردوري لما حمل عليهِ تغلاتپلاسر في كوجا وقهره (١) اعني ترك هو ايضاً عربته في ميدان الحرب وركب حصانا وهرب مسرعاً. فخاف

---

(١) راجع ص ٨٢—٨٣ من هذا الكتاب

الارارطيون خوفاً شديداً وسلَّموا للاثوريّين وفتحوا لهم مدنهم. واحرق شركينا كل المدن التي لم يكن يمكنهُ المحافظة عليها. وضم ناحية اراوش الى مُلك حليفهِ اولوسون ملك مناي مكافاةً لهُ عن امانتهِ

واماً روسا فلم يزل تائهاً في الجبال والاودية. وبقي على تلك الحالة خمسة اشهر دون ان يرى محلًّا يلتجئ اليهِ. لان شركينا كان يتتبعهُ اينما ذهب ويقاصص شديداً كل من عاونهُ. فلم يبقَ من معاونيهِ سوى اورزانا ملك موزازير. وتحصّن هذا الملك وراء جبالٍ عاصية لا يمكن الوصول اليها الّا من طريقَين ضيّقَين مخطرَين. وعلى طول هذين الطريقين عمل اورزانا عدّة متاريس. فاحتال شركينا وخرج بعرباتهِ ومعهُ الف فارس من فرسانهِ كانهُ يريد ان يحمل السلاح الى ارض اخرى. ثمّ انحرف عن الطريق وقطع اربعة جبال كانت تفصلهُ من موزازير وانقضّ عليها بغتةً. فدافع الملك اورزانا بشدّة عجيبة. لكنّهُ غُلب وهرب. وافتتح الاثوريون المدينة ونهبوها. واخربوا قصر الملك وهدموا هيكل الآلهة واخذوا كل الاصنام التي فيها واسروا افراد العائلة الملوكيَّة وجمًّا غفيراً من الاهالي بلغ عددهم ٢٠١٧٠ نفساً وغنموا ٦٩٠ بغلًا و ٩٢٠ ثوراً و ١٠٠٢٢٥ راس غنم وكميَّة وافرة من الذهب والفضة والنحاس والحديد والاحجار الكريمة والاقمشة النفيسة. واماً ما كان من امر روسا الملك فانهُ بقي بلا معين وبلا عسكر وبلا مأوى. فضاق صدره عن البقاء في الحيوة وقتل نفسهُ

وفي سنة ٧١٣ اغار شركينا على مملكة كارلّا. لانّ اهاليها قامت على الحاكم الذي نصبهُ وعزلتهُ وعيَّنت مكانهُ اميتشي اخا اسورلي اميرها الذي مرّ الكلام عنهُ فبدّد شركينا عساكر أميتشي واخذ منهُ الفدية. واتاه ملوك بيت ديوكا والبيي وألابريا وقدَّموا لهُ هداياهم. ثمّ توغل في اطراف بحيرة قزوين ولم يزل يقاوم من عاداهُ ويسالم من وادعهُ حتى تسلّط على جميع تلك البلاد. وفي تلك الاثناء حمل احد قوَّاده على شماليّ قيليقية ليقاصص التوباليّين. لانَّ ملكهم أمباري مع كونهِ متزوّجاً باحدى اميرات اثور حالف هو ايضاً روسا ملك أرارطو. فقبض عليهِ الاثوريون وأرسلوه اسيراً الى نينوى وضُمّت مملكتهُ الى ولاية قيليقيَّة

وفي سنة ٧١٢ مشى شركينا على ترحونازي ملك ميليدا. لانهُ امتنع عن تأدية

الجزية . فقهره وجعل مملكته من ولايات اثور واسره هو وجميع افراد عائلته وساق ٥٠٠٠ نفس من رعاياه الى اثور . وكان ترحولارا ملك كُركُم قد قُتل بيد ابنهِ . فرأى شركينا ان ياخذ بثاره . فحمل على مركاسي وهي مرعش الحاليَّة واستولى عليها وادخل البلد كلّه في جملة الولايات الاثوريّة

وفي سنة ٧١١ اشتغل الاثوريون بامور سوريا الجنوبيَّة . فانَّ شبقون ملك مصر كان قد اعتراه عار عظيم بانكسار رئيس جيشهِ سبعو وحليفه حنون ملك غزة . وكانت فتوحات اثور تقلقه . فاحتال شبقون وجعل من حزبهِ الادوميين والفلسطينيين والفونيقيين والموابيين . واماً يهوذا فلم يتبعهُ . لان اشعيا النبيّ بامر الرب منعهُ عن ذلك (١) . فاستدرك الامر شركينا ولم يمكّنهم من ان يجمعوا جيوشهم . وحمل الترتان على سوريا واستولى على اشدود . فهرب ملكها الى مصر وكان قدوم الاثوريّين قد القى الرعبة في قلوب المصريّين . فقبض شبقون على ملك اشدود وكبَّلهُ بالاغلال وسلَّمهُ الى يد الاثوريّين

الفصل الرابع

تتمّة قصة شركينا الثاني (٧١٠—٧٠٥)

هجوم شركينا على عيلام وكلدو وتتويجه في بابل — قهر مرودخبلدان — انكسار الماشكيين — خضوع اهل قبرص — غارة الاثوريين على كموجا والبيبي — بناء دور شركينا — قتل الملك شركينا ومناقبهُ

انَّ شركينا ارتاحت نفسهُ من جهة الغرب . وكان قد انتصر ايضاً على الارارطيين وعلى الماديين . فرأى الفرصة مناسبة لان يستوي هو ايضاً مثل تغلاتپلاسر وشلمناسر على سرير مملكة بابل . وكان المالك عليها مرودخبلدان منذ اثنتي عشرة سنة . امَّا البابليون فقد ضجروا من سلطتهِ لانهُ حبس خلقاً كثيراً من اهل كوتا وسپارا وبورسيپا ونهب اموالهم . لكنَّ قوَّتهُ كانت في الاراميين الذين في الجنوب وفي عيلام . وكان الاراميُّون الكلدان يُقسَمون الى قبائل شتى تُسمَّى بيتاتي (ܒܝܬܐ)

---

(١) اشعيا: ص ٢٠

واشهرها بيت دقوري وبيت ياقين ويقودا وكمبولا وقد مرّ الكلام عنها

فلمّا كانت سنة ٧١٠ قسم شركينا جيشه الى قسمين . وسار القسم الاول الى مقاتلة عيلام والاراميين الذين على سواحل البحر . وامّا القسم الثاني فذهب تحت قيادة الملك نفسه يريد محاربة مرودخبلدان . وتوغّل القسم الاول في كامبولا . وكان الكامبوليون قد تحصنوا في مدينة دور أبيحار وملأوا الخنادق ماء . واتى لمساعدتهم ٦٠٠ فارس و ٤٠٠٠ راجل من البلاد المجاورة . فانتصر عليهم الاثوريون وافتتحوا المدينة ودخلوها واسروا منها ١٦٤٩٠ نفساً وضبطوا عدداً كبيراً من الثيران والخيل والبغال والجمال والغنم . فخافت جميع القبائل المجاورة وطلبت الامان . وجُعِلت كامبولا من الولايات الاثورية وبُدِّل اسم دورأبيحار بدورنبو . ومن هناك حمل الاثوريون على قبيلة يقودا وغيرها من القبائل التي احتلّت بلاد يتبور فاخضعوها وضمّوها الى ولاية كامبولا . ثم توجّهوا نحو عيلام وكان الملك حمبانيكاش قد مات وجلس مكانه شوتورنحوندي . وكان مرودخبلدان قد ارسل اليهِ هدايا كثيرة ثمينة طالباً مساعدته على الاثوريين . لكن ملك عيلام لم يقدر ان يتفكر الّا بمحافظة اراضيهِ . فافتتح الاثوريون مدن شمونا وبابدوري وتحيريو وپيلوتا ونصبوا معسكرهم على ساحل نديتي . وسرى الخوف في بلد راشي ففرغت مدن تلحومبا ودورميشمش ويوبي وخمانا من السكان . وانهزموا قاطبةً نحو بيت يامبي . وهرب شوتورنحوندي نفسه الى الجبال . وامّا شركينا فانهُ عبر الفرات وتوجّه رأساً نحو بيت دقوري . وبنى هناك من جديد قلعة دورلدينو التي كانت قد خربت وجعل مقرّه فيها . وكان شوتورنحوندي قد ارسل خبراً الى مرودخبلدان انهُ لا يمكنهُ مساعدتهُ . فبلغ الحزن كل مبلغ من مرودخبلدان وشقّ ثيابه وبدأ يبكي . وخرج خفيةً بجيوشه من بابل يريد الهرب فالاستخفاء وذهب فاتزوى في مدينة دورياقين عاصمة مملكتهِ القديمة

ولمّا خرج مرودخبلدان الثاني من بابل اسرع البابليّون والبورسيپيّون واخرجوا تماثيل آلهتهم من هياكلها وذهبوا بها الى دورلدينو عند شركينا الملك ليسلّموا عليهِ ويقدّموا لهُ الطاعة وهم ينشدون اناشيد الظفر والسرور ويدقون بآلات الطرب . فأتى ودخل معهم بابل برهج عظيم . وقدّم الذبائح للآلهة ودخل قصر مرودخبلدان وجلس على سرير المملكة . واخذ الجزية لكنّهُ صرفها في ترميم قناة عتيقة في بورسيپا

ثم رجع الى اثور ليقضي فيها فصل الشتاء . ولمّا كانت سنة ٧٠٩ في شهر نيسان رجع شركينا الى بابل ليتتوّج فيها . فقدّم القرابين لبيــل ودخل هيكله ومسك بيديه وقال منهُ هكذا تاج ملوك بابل المقدَّس . فصارت الدولتان العظيمتان من جديد في يد ملك واحد او ايمپراطور واحد كما يقول الافرنج

ثم ان شركينا بعد ان تتوّج في بابل حمل بجيوشه على بيت ياقين . وكان الملك مرودخبلدان قد انتهز الفرصة في الشتاء فحصَّن بيت ياقين تحصينا منيعا . وجلب اليها اهل مدن إقبيبيــل واور واوروك وغيرها ووسَّع الخنــادق المحاطة بدور ياقين عاصمته وعمَّقها وملأها من مياه الفرات . واماَّ هو فكان ينتظر الاثوريين في محلّ بين المستنقعات قريب من عاصمتــه . وكان خروج شركينا من بابل في شهر ايار . وانتشب القتال بين الجمعَين شديدًا . فهربت جيوش مرود خبلدان ودخلت المدينة تاركة بين يدَي العــدو كل ما كان في المعسكر من الاشياء الملوكيَّة والذخائر والاسلحة . واسر الاثوريون ٩٠٥٨٠ نفساً من القرويين الذين التجأوا هناك واخذوا منهم ٢٥٠٠ حصــان و ٦١٠ بغال و ٨٥٤ جملًا وغير ذلك . ثم شدّوا الحصار على المدينة وقطعوا اشجار النخل التي في اطرافها فكوَّموها بعضهــا فوق بعض حتى وصلت الى رأس السور . ودافع مرودخبلدان عن نفســه بشدَّة عجيبة . وافتتح الاثوريون المدينــة فاحرقوها ودكّوا اسوارها وقصورها وهياكلها وبيوتهـــا . واماَّ مرودخبلدان فتمكَّن من الهرب من الجهة الاخرى . وانتشرت شهرة شركينا الى ديلمون وهي البحرين . فاتاهُ ملكها أوپيري بهداياهُ وقدَم له الطاعة . ثم ان شركينا عبر الدجلة وبنى قلعة حصينة على حدود عيلام في محلّ يقـــال لهُ سكّبات . ولمّا كان هنـــاك اتاهُ رسل ملك الماشكيين وقدَّموا لهُ الجزية لانهُ بيما كان هو يحـــارب مرودخبلدان كان احد قوّاده المتولّي على قيليقية يقاتل الماشكيين . اذ ان ملكهم ميتا رفع لواء العصيان وانحاز الى الأرارطيين . فاسر القائد الاثوري الف رجل من الماشكيين وارسلهم الى حدود عيــلام حيث كان مولاه . ونهب بلادهم واخرب قلاعهم فجبر ملكهم ان يقدّم الطاعة

ان اسم شركينا انتشر حتى في بلاد اليونان والقى الرعبــة في قلوبهم . فان سبعة من ملوك جزيرة يَنا وهي قبرص سلّموا لهُ طوعاً وارسلوا اليهِ الخراج . وارسل

لهم الملك الاثوري صورتهُ منقوشة على عمود من مرمر اسود ذكرًا لامتـداد سلطانه الى هناك ونُصِب العمود في كيتيو . وقد وُجِد هذا العمود في هـذه الازمنة المتأخرة ونُقِل الى برلين . وقد كُتِب عليهِ هكذا: « انَّ سبعةً من ملوك جزيرة يَتنا الذين لم يسمع الملوك سلفائي باسم بلدهم ابدًا بلغهم ما عملت في بلاد الكلدان وحثّو (١) فرجفت قلوبهم واستولى عليهم الخوف فاتوني وانا في بابل بالذهب والفضة وغير ذلك وقبّلوا رجليَّ فاعطيتهم صورتي منقوشة على عمود كتبت عليهِ عظـائم آلهتي واسماء كل الشعوب الذين اخضعتهم شرقاً وغرباً »

انَّ شركينا باخضـاعه بلاد الارارطيّين والكلدان استراح نوعاً ما من مشقّة الحروب . نعم انهُ قدحت بعض الاحيان نار الفتن في حدود مملكته الواسعة . لكنَّ حضوره او حضور احد قوّاده كفى لتسكينها . انَّ موتلّو ملك كوجا الذي تجاسر وحالف الارارطيين امتنع من اداء الجزية . فحمل عليهِ الاثوريون فاسرع وهرب قبل دخولهم في مملكته . فنهبوا مدنه واسكنوا فيها الاراميين الذين اسروهم في بيت ياقين . وجعل شركينا مملكة كوجا من الولايات الاثورية وولّى عليهـا القائد الذي افتتحها . وكان ذلك سنـة ٧٠٨ وجعل تحت قيادته ١٥٠ عربة و١٥٠٠ حصان و٢٠٠٠٠ مقوّس و١٠٠٠٠ حامل ترس . وفي سنة ٧٠٧ ارسل جيوشـه الى بلاد اليبي (٢) لان دلتا الملك حليفه توفي فتنازع الملك ابناهُ نيبي وايشبرا فطلب نيبي مساعدة عيلام واماَّ ايشپيرا فالتجأ الى شركينا . فانتصر الاثوريون على عساكر عيلام واجلسوا ايشپيرا مكان ابيهِ . وبينما كانت جيوش شركينا تقهر العيلاميين في اليبي ذهب هو فزار مدن الكلدان ونزل حتى البحر

انهُ لأَمرٌ مستغرب كيف انَّ شركينا مع كثرة انشغاله بحروب متواصلة قدر ان يهتمّ ايضاً بترميم القنوات القديمة وبحفر قنوات جديدة وبتصليح المدن القديمة وعمارة مدن جديدة . ومن اشهر ابنيتهِ مدينة جليلة في شمال غربي نينوى على مسافة ثلاث ساعات منها سمأها دور شركينا اي مدينـة او مقرّ شركينا ونقل اليها سرير المملكة . وبنى فيها قصرًا فاخرًا على تلّ مصنوع . وكان للقصر بابان كبيران وعلى

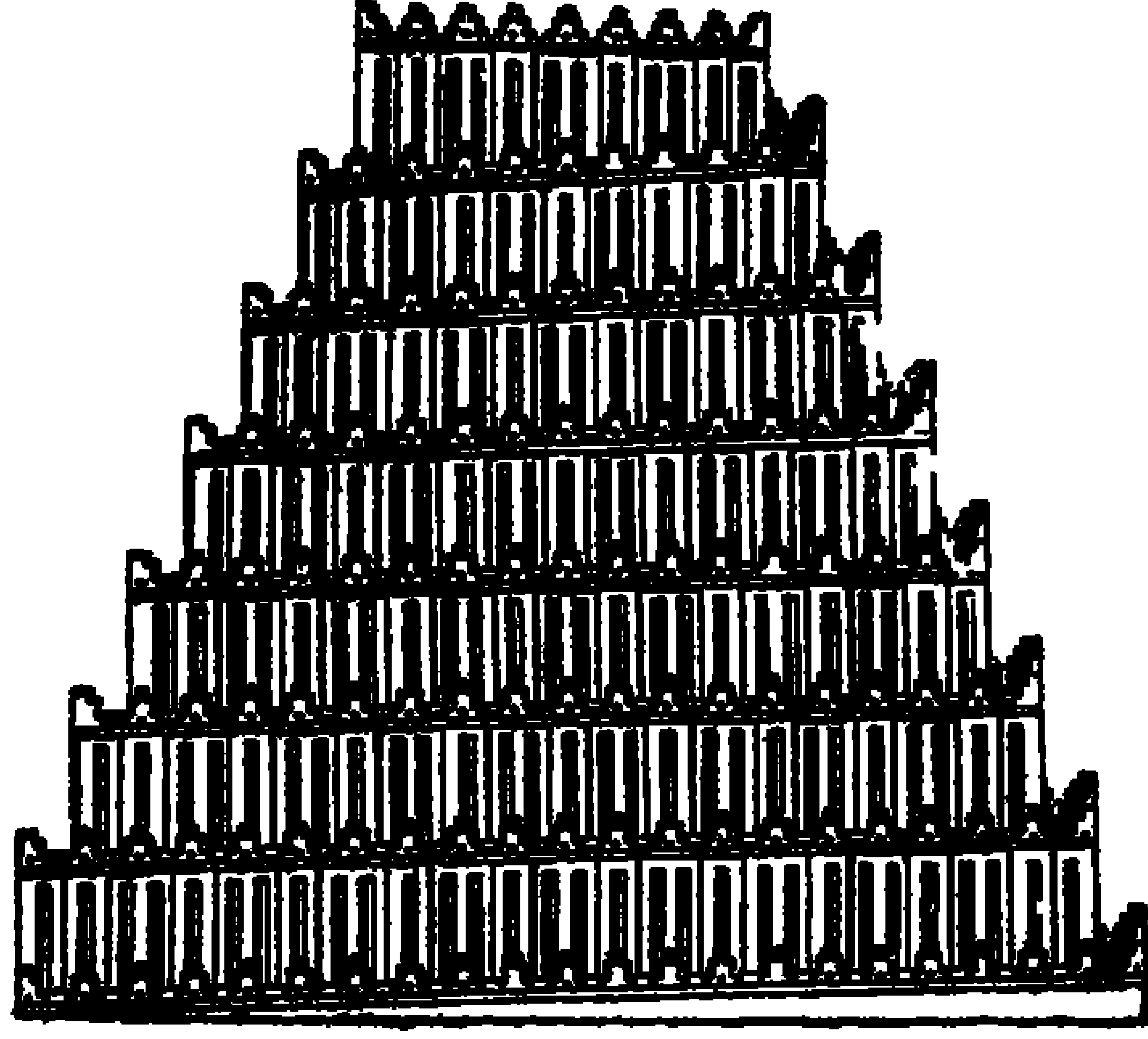
---

(١) بلاد السريان (٢) في حدود لورستان في ايران

جانبي كل باب ثوران عظيمان لهما رأس انسان واجنحة طير وبين الثورين تمثال كلكاموس وهو يخنق اسداً . والباب نفسه مزين بكثير من ضروب النقوش وعجائب الاشكال والتصاوير . وكان داخل القصر مزيناً كله بنقوش عجيبة وبآنية ذهبية وفضية وعاجية وخزفية وتروس وسيوف وغير ذلك من الاسلحة المتنوعة والتحف الجليلة . وعلى الجدران صور بشرية وحيوانية مختلفة الحركات والهيئات . وبنى بجانب القصر زقرتا عظيمة عالية ذات سبع طبقات مكرسة للآلهة السبعة . وكانت هذه الطبقات السبع مصبوغة بالالوان المختلفة . فالطبقة الاولى كانت مصبوغة بالابيض والثانية بالاسود والثالثة بالقرمز والرابعة بالازرق والخامسة بالاحمر والسادسة كانت محلاة بالفضة والسابعة بالذهب . وبالقرب من القصر كان بستان واسع الارجاء فيه كل انواع الشجر والنباتات وانواع كثيرة من الحيوانات الاهلية والبرية . وكان الفراغ من هذه المدينة وتكريسها في ٢٢ تشرين سنة ٧٠٧ ومركزها في المحل المسمى الان خرصباد والظاهر ان خرصباد تحريف خسرواباد اي مدينة كسرى . وذهب اثرها تحت الردم والانقاض من نحو الفين واربعمائة سنة حتى قدم الموسيو بوطا قنصل دولة فرنسا في الموصل سنة ١٨٤٢ وهو اول من كشف هذه المدينة في ٢٠ اذارسنة ١٨٤٣ وقد نُقلت جميع آثارها الى دار الانتيكات في باريس

وكان شركينا الملك يُؤمل انهُ يقضي بقية ايامه في الراحة في مدينته هذه الجديدة . وكان قد ولّى سنحاريب ابنهُ الاكبر على البلاد الشمالية ووكلهُ على امور مناي وارارطو والاقوام المتوحشة الساكنة على سواحل البحر الاسود وقزل ايرماق . وفي ذيل جبل قوقاس . وجرى لسنحاريب في سنة ٧٠٦ محاربة مع التوباليين فيها انتصر عليهم . واماً شركينا فلم يذق الراحة كما كان يشتهي . فانهُ في سنة ٧٠٥ قام عليه جندي غريب وقتلهُ . وكان سنحاريب في الجهات الشمالية فاتى مسرعا وجلس مكان ابيه

زقرتا مدينة دور شركينا



انَّ شركينا هـذا من اعظم الملوك الذين قاموا شرقاً وغرباً . فبكلّ صواب نقدر ان نطلق عليهِ اسم الكبير . وقد استحقّ هـذا اللقب بفتوحاتهِ المتواترة وشجاعتهِ الفريدة وعقلهِ الثاقب . ومع كونهِ بطلًا شجيعاً وفاتحاً منصورًا كان ايضاً من السياسيين الماهرين . فانهُ كان بدولتهِ الواسعة الارجآء شعوب مختلفة في الطباع والاديان والاداب . فالشعوب الذين كان تخلّقهم باخلاق الاثوريّين سهلًا جعلهم من ولايتهِ وولّى عليهم رجالًا اثوريين ومع اجتهاده بقرض سلالة ملوكهم واسكانهِ فيما بينهم اقواماً غريبة حافظ ايضاً على ديانتهم وآدابهم وشرائعهم . واما الشعوب الذين رآهم لا يتطبّعون بطباع الاثوريّين كالعيلاميين والارارطيين فبذل جهده في تضعيفهم واذلالهم . وبعض الممالك الصغيرة التي بقيت امينة نحوه مثل مملكة يهوذا لم يتعرّض لها بل تركها وشأنها . ومع كونهِ مشغولًا بالحروب اهتمّ ايضاً بترقية الفلاحة في دولتهِ واما طبعهُ فلم يكن قاسياً كما يظهر في اول لمحة بل نراه حليم الطبع شفوقاً على المغلوبين كلّما مكّنتهُ السياسة من ذلك . ولقد اقتدى بهِ خلفآؤه العظام في توسيع الدولة واقامة ولاة اثوريّين على البلاد المفتوحة ونجحوا في هذا العمل ايّ نجاح . لكنّهم لم يتوفّقوا في تمكينهِ وتثبيتهِ . لان الحصول على الشيء امر صعب والمحافظة عليهِ اصعب

الفصل الخامس

سنحاريب (٧٠٥—٦٨١) (١)

عصيان بابل وفاسطين واخضاعها وقهر المصريين — انهزام مرودخبلدان الثاني — اخضاع القبائل التومرية وقيليقية — بحرية سنحاريب وانتصاره على مرودخبلدان — احوال عيلام ومحاربتها الاثوريين — واقعة حالولي —

جلس سنحاريب على تخت المملكة في ١٢ آب سنة ٧٠٥. وقيل ان اصل اسم سنحاريب ܣܝܢ ܐܚ̈ܐ ܐܪܒ ومعناه سين يكثّر الاخوة او يا سين كثّر الاخوة. وعندي انَ اصلهُ ܣܝܢ ܡܚܪܒ اي سين يقاتل او سين المقاتل. وكان سنحاريب نظير ابيهِ شركينا مشهورًا بالشجاعة وشدّة الباس مولعا في الحرب والبنآء. غير انَّ اخلاقهُ وسياستهُ لا تشابه اخلاق والده وسياستهُ. فانَّهُ لم يعرف ان يشفق بعد الغلبة بل اخرب وقتل وجعل البلاد المفتوحة قاعا صفصفاً

انَّ خبر قتل شركينا طار على جناح السرعة وانتشر في كل انحآء الدولة. فايقظ في بعض الشعوب الميل الذي كان لهم الى العصيان. واول من تمرّد مملكة بابل. والداعي الى ذلك انَّ سنحاريب لم ير مناسباً ان يجعل بابل في مصفّ نينوى بتتويجهِ فيها واخذه لقب ملك بابل بمسكهِ يدَي بيل الاله مثلما فعل سلفاؤهُ. بل ملّك عليها احد اخوتهِ وارتكب بذلك خطأً سياسيًّا عظيماً. فانَّ هذه المعاملة اغضبت البابليين فقاموا على ملكهم الجديد وقتلوه وملّكوا مكانهُ رجلًا اسمهُ مرودخزاكيرشوما وكان ذلك سنة ٧٠٤. ولم يمض عليهِ شهر حتى ظهر مرودخبلدان الثاني. فحدثت فتنة في بابل فيها قتل مرودخزاكيرشوما فدخل مرودخبلدان المدينة وجلس ثانيةً على تخت المملكة. ولكي يثبت لهُ الامر بذل مجهوده في ان يكون لهُ حلفآء كثيرون. فقصد اوّلًا عيلام فوعدتهُ بالمساعدة. وبتشويق عيلام عصى

(١) راجع من سنحاريب مجلّة الكتاب المقدس: ٥٠١—٥٢٠ وماسبيرو: ٥٠١—٥٢١ وماسبيرو: ج ٢٧٣—٣٢٠ ومينان تاريخ سِني ملوك اثور: ٢١٤—٢٣٠ وأوبير كتابات سركونية اثورية: ١—٥٣ ورحلة في ما بين النهرين: ٢: ٢٩٧

الكوسيون والاليبيون ايضاً . ثم ذهب رسلهُ الى سوريا وزرعوا فيهـا الفتنة . فان حزقيا ملك يهوذا رغماً عن نصائح اشعيا النبي استنجد المصريّين . واقصر لوليا ملك صيدا عن الخراج واقتدى بهِ الاشقاليُّون . واهل عقرون هجموا على ملكهم پادي الذي ملّـكهُ شركينا عليهم واسروه وارسلوه الى حزقيا الملك فالقاه في السجن

فظهر سنحاريب في هـذا الخطر الشديد شجاعاً بطلًا غازياً . وحمل اولًا على البابليين سنة ٧٠٤ . وكان مرودخبلدان قد تحصَّن في مدينة كيش . وقد اتت الى مساعدتهِ جيوش عيلام . فانغلب وهرب واستخفى في مستنقعات دجلة . ووقع كل ما كان في معسكره من العربات والخيل والبغال والجمال بيد الاثوريّين . وفتحت بابل ابوابها لسنحاريب مؤملةً انَّهُ يدخل نظير سلفآئه هيكل بيل فيقبض على يدَي الاله ويصير عليهم ملكاً . ولكن خاب املهم . فانَّ سنحاريب نهب القصر واخذ كل ما في الخزينة وملّك على بابل رجلًا بابليًّا اسمهُ بيلبيني كان قد ترْبى في قصر شركينا الملك . وهو الذي يسمّيه اليونان بيلوسوس او بيلس . وافتتح سنحاريب اكثر من خمس وسبعين مدينة من مدن الكلدان واربعمائة وعشرين قرية . وطرد كل الجنود الاراميَّة والعربيَّة التي كان مرودخبلدان قد وضعها في اوروك ونيپور وكيش وكوتا وسيپار وغزا ايضاً القبائل الاراميَّة الكلدانيَّة التي على سواحل الفرات وفي حـدود عيلام ورجع الى نينوى منصورًا غانماً ٢٠٨٠٠ اسير و ٧٢٠٠ حصان و ١١٠٧٣ حمارًا و ٥٢٣٠ جملًا و ٨٠١٠٠ ثور

وفي سنة ٧٠٣ هجم على الكوسيين . فهربوا الى الجبال فطاردهم . ولم يمكن لعرباتهِ ان تسلك في تلك الاودية الضيقة . فركب حصانهُ واضطرّ احياناً ان يقطع تلك الجبال ماشياً مع اجناده . وافتتح بيت كلمزاح وحرديشپي وبيت كوباتي وادخل ارض الكوسيين ويسوبيگلّاي في ولاية أرايحا . وعبر من هناك الى اليپي فلم يتجاسر الملك ايشپيرا ان يقاتلهُ بل هرب من مدينة الى مدينة . فاحرق سنحاريب عاصمتين كانتا لهُ اي ماريبشي واكودا . واستولى ايضاً على اربع وثلاثين قلعة من قلاعه واخربها واستظهر على زيزيرتا وكومالا وناحية بيت بارا وعلى مدينة اليتراش واطلق عليها اسم كرخ سنحاريب . وضمّ هذه البـلاد كلّها الى ولاية خرخ . واتاه الملوك من اقاصي مادي وقدَّموا لهُ هداياهم وجدّدوا الميثـاق الذي ضربوه مع

ابيهِ شركينا الملك

ولمّا فرغ سنحاريب من امر الكلدان والشعوب الذين على حدود عيلام حمل على سوريا سنة ٧٠٢ . وكان حزقيا ملك يهوذا وايلولاي ملك صور ورفاقهما ينتظرون المساعدة من مصر . ولكن خاب مسعاهم . فهرب ايلولاي الى جزيرة قبرص وهناك مات . واستولى الاثوريّون على صيدا الكبرى وعلى صيدا الصغرى وعلى بيت زيت وصاريبتا ومحليبا وأوشو وأكزيب وعكا . والقى اسم سنحاريب الرعبة في قلوب جميع الملوك المجاورين . فاتوه بهداياهم مقدّمين لهُ الطاعة . وكان في جملتهم منحيم ملك شمشيمورنا وعبد يليتي ملك ارواد واورملك ملك جبيل وبُدإيل ملك عمون وكموش ندبي ملك مواب وملكرام ملك ادوم ومتندي ملك اشدود . واماً حزقيا ملك يهوذا وصدقيا ملك اشقالون فبقيا متمرّدَين . فزحف سنحاريب على ملك اشقالون وافتتح كل مدنهِ المحصنة اي بيت داغون ويافا وبني براق وازور واشقالون وقبض على صدقيا الملك وكبّله بالاغلال وارسلهُ هو وكل افراد عائلته الى اثور . ونصب مكانه شرلوداري ابن روكبتي وكان يريد الزحف على عقرون ولكن بلغهُ انَّ المصريّين ظهروا في اسيا لمساعدة حلفآئهم . وكان المالك حينئذ على مصر شبيتقا فارسل على الاثوريّين احسن جيوشه وانضمّ اليهم عساكر ملك دلتا وبعض ملوك اسيا ايضاً والتقى سنحاريب بالجيوش المصرية بالقرب من مدينة التقا . وانتشب القتال في السهول الممتدّة بين تبنة وعقر وكانت النصرة للاثوريّين . فهرب المصريون اقبح هزيمة تاركين في ميدان الحرب قسماً من عرباتهم الحربيَّة وقُتل منهم خلق كثير وفي جملتهم بعض اولاد ملوكهم وافتتح الاثوريون مدينتَي التقا وتمنة ونهبوهما . ثمّ هجموا على عقرون وفتحوها ايضاً ونهبوها

اماً حزقيا ملك يهوذا فانهُ خاف خوفاً عظيماً فخلّى سبيل پادي ملك عقرون الذي كان محبوساً عنده . ولم يتفكّر بمساعدة المصريين الذين لاغاثته اتوا الى اسيا . ومشى عليه سنحاريب ليقاصصه هو ايضاً قصاصاً شديداً . فاستولى على ست واربعين مدينة محصنة من مدنهِ وعلى عدد كبير من قراه ونهبها كلّها واسر منها ٢٠٠١٥٠ نفساً (١) ثم صعد نحو اورشليم . ولمّا سمعت عاصمة يهوذا بقدوم سنحاريب اضطربت

(١) ٢ ملوك : ١٣

ايّ اضطراب. وقال اشعيا النبي واصفاً هذا الخوف: « ياتي الى عياث. يعبر بغرون عند مخمش يودع امتعتهُ. عبروا المعبر باتوا في جبع بيتوتةً. اندهشت الرامة هربت جبعة شاول. اصهلي بصوتك يا ابنة جليم اصغي يا لَيشة عناتوث فقيرة. هربت مدمنة واحتمى سكان جابيم. ايضاً اليوم يقف في نوب يهزّ يده على جبل ابنة صهيون اكمة اورشليم (١) وما فتئ سنحاريب يحرق وينهب حتى وصل الى اورشليم وشدّ عليها الحصار. وأتى في الكتاب المقدّس (٢) ان حزقيا ارسل رسلاً الى سنحاريب قائلاً: اني اخطأت. فارجع عني فاني ادفع كل ما جعلت عليَّ من الخراج. فطلب منهُ ملك اثور ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب. ولم تكف الفضة التي في خزانة الملك. فدفع حزقيا كل الفضة التي كانت في بيت الرب ايضاً. وقشر الذهب عن ابواب الهيكل والدعائم التي كان غشّاها ودفعه الى الاثوريين. وقال ايضاً سنحاريب في احدى كتاباتهِ: « اني هجمت على مدينة اورشليم دار الملك حزقيا. فحبسته داخل المدينة كما يُحبس العصفور في القفص. ووهبت مدنه المفتوحة لميتتي ملك اشدود وپادي ملك عقرون و إشمان ملك غزة. وانَّ حزقيا لمّا رأى بأسي ضاقت عليه مذاهب الخلاص ولم يجد للثبات سبيلاً فارسل اليَّ رسله يعرضون عليَّ المهادنة والصلح وان اضرب عليهِ ما شئت من الاموال فاخذت منه ثلاثين وزنة من الذهب وثمانمائة وزنة من الفضة وكثيراً من الاحجار الكريمة واللؤلؤ والياقوت والعاج وجلود الفيل والاخشاب المتنوعة وثياباً ثمينة ارجوانيَّة واسلحة كثيرة لا تحصى .... وذهبت بها الى نينوى. »

انَّ كلام سنحاريب يؤيد ما اتى في اخبار ملوك يهوذا. والفرق بينهما هو انَّ سنحاريب يكتب ٨٠٠ وزنة من الفضة فيما ان الكتاب المقدّس لا يذكر سوى ٣٠٠ وزنة. ثم انَّ مدينة لخيش المذكورة في سفر الملوك الثاني (١٨: ١٧. و١٩: ٨) لا ذكر لها في كلام سنحاريب. فيقول الاب دورم (٣) انَّ ما اتى في اخبار الملوك (١٨: ١٣—١٦) هو عن غارة سنحاريب على بلاد اليهودية سنة ٧٠٢. واماَّ ما اتى في

---

(١) اشعيا: ١٠: ٢٨—٣٢ (٢) ٢ ملوك: ١٨: ١٣—١٦

(٣) في مجلة الكتاب المقدس: ٢: ٥١٢

ذلك الفصل عينه بعد العدد السادس عشر وفي الفصل التابع هو عن غارة سنحاريب على بلاد العرب ففلسطين في سنة ٦٩٠ وسيأتي ذكرها

وفي سنة ٧٠٠ اشتغل سنحاريب ثانيةً بامور بابل · فان مرودخبلدان لم يكن قد قطع رجاءهُ · واجتهد في محالفة ملك عيلام · وتحزّب لهُ اهل بابل ومرودخشازيب او شيزيب احد امراء الكلدان الاراميين الذين على سواحل البحر · وكان هذا في مدينة بيتوتا · وتحرّش هو ومرودخبلدان بالعساكر الاثورية التي في مملكة بابل · فانقضّ عليهما سنحاريب وافتتح بيتوتا · فهرب شيزيب وانهزم ايضاً مرودخبلدان آخذًا معهُ تماثيل آلهته وكنوزه وركب سفينةً والتجأ الى بلاد عيلام الى ما وراء نهر أولاي (١) ودخل سنحاريب بيت ياقين فرآها خالية لان السكان تبعوا ملكهم مرودخبلدان وهربوا معهُ الى بلاد عيلام · ونهب سنحاريب كل مدن كلدو الجنوبيّة ثم دخل بابل واسر ملكها بيلبيني وساقهُ الى اثور هو وكل افراد عائلته · ونصب مكانه ابنه اسورنادينشوما · واما عيلام فلم تجسر ان تتداخل ولم يزحف عليها سنحاريب بل قصد ان يتتبّع مرودخبلدان في البحر فيضربهُ ضربة قاطعة · لكن الفتن التي جرت في حدود مملكة ارارط اشغلتهُ عن ذلك

سنحاريب ملك اثور



انَّ قبائل تومورا في جبل نيپور نشرت لواء العصيان وبدأت تنزل من جبالها فتغير على السهول وتنهبها · وكانت قصورها على قمم جبال عالية منيعة حتى ان سنحاريب قال عنها انها كانت تشبه اوكار الطيور في اعالي الصخور · فخطّى الملك الاثوري المهمات الحربية في سحف الجبل في شماليّ آمد · وحملهُ اجناده على اكتافهم وهو جالس على تخت · والتزم ان ينزل مرارًا من التخت ويتسلّق الجبل كالعنزة ثم يجلس على الصخور ليستريح · ولم يزل على تلك الحالة حتى لحق بالعدوّ وبدّد شمله واثخن فيهِ الجراح واحرق قلاعه ونهب اغنامه واسر منهُ خلقاً كثيرًا · وانتقل من هناك الى دياني في غربي بحيرة وان متسلّقاً

(١) كارون الحاليّ

الجبال ومنحدرًا في الاودية وقهر الملك مانيا وهزمهُ وافتتح أوكى عاصمته ونهبها وضبط منهُ ثلاثاً وثلاثين مدينة او قرية. وكان ذلك سنة ٦٩٩

وفي سنة ٦٩٨ اغارت الجيوش الاثورية على قيليقية التي نشرت لواء العصيان. فاخضعتها وقبضت على كيروا مسبّب الفتنة واتت بهِ الى اثور حيث سُلخ جلدهُ وهو حيّ. ونُقِشت على عمود في مدينة ايلوپرى اخبار هذه النصرة. وقد اجمع المؤرّخون القدماء ان باني مدينة طرسوس هو سنحاريب الملك. وانهُ انتصر على سفن اليونان في مصبّ نهر ساروس (١)

انّ آثار سنحاريب لا تتكلّم عمّا جرى في سنــة ٦٩٧ و ٦٩٦ وفي سنة ٦٩٥ مشى الاثوريون على التوباليين فاخضعوهم من جديد واتوا بغنائم كثيرة

انّ هزيمة مرودخبلدان اثّرت شديدًا في العيــلاميين ونسبوا ذلك الى رخاوة ملكهم شوتورنخوندي. فقبضوا عليــهِ وحبسوهُ ونصبوا مكانه اخاه حلودوش. فعلم سنحاريب انهُ لا بدّ من مداخلة العيلاميين في امر مرودخبلدان. فقصد ان يفرغ من امر هذا الملك قبــل ان يلحق بهِ حلودوش. وكان مرودخبلدان قد التجأ مع قبائله الارامية الكلدانيَّة الى ما وراء خليج العجم في محلّ يقال لهُ ناكيتا فعمل سنحاريب سفناً حربيَّة تذهب بجيوشه الى سواحل عيــلام لينقض عفلةً على العدوّ. وكان الكلدان يصطنعون السفن غير ان الفونيقيّين كانوا يفوقونهم في هذه الصناعة. فدعا سنحاريب بحريةً فونيقيّين ويونانيّين وفي مدَّة سنة عملوا لهُ سفناً حربيَّة كثيرة قويَّة بعضها في تلبارسيب وهي بيره‌جك الحالية على ساحل الفرات. وبعضها في نينوى على ساحل الدجلة

وفرغوا منها سنة ٦٩٤ فالسفن المعمولة في تلبارسيب نزلت رأساً الى باب ساميتي. وكانت على مسافة اربع ساعات من البحر. واماَّ السفن المصنوعة في نينوى فنزلت الى أوپي ومن هناك حملوها على عربات الى قناة أرختا ثم أوصلوها الى الفرات فلحقت بالسفن الاخرى. ولم ينزّلوها في دجلة لئلّا يراها العيلاميّون فيتأهّبوا للمحاربة. فركبها سنحاريب هو ومشاته وخيله وسائقو عرباته. وحدثت زوبعــة في البحر فوقفت

---

(١) مُلَر ديدوت القطع التاريخية لمؤلفي اليونان: ج ٢ ص ٥٠٤

السفن مدّة خمسة ايام . فاضطرب سنحاريب والقى في البحر اكراماً للآلهة سفينة صغيرة وسمكة وصورة الاله حياً وكانت كلها من ذهب . ولمّا وصل بسفنه الى مصبّ اولاي صعد بها النهر فانقضّ غفلة على مرودخبلدان وقاتلهُ وبدّد جيوشه ورجّع كل الكلدان الذين هناك واتى بهم الى اثور . واماً مرودخبلدان فهرب وخلص . قال سنحاريب في احد اثاره : « اني اسرت اهل بيت ياقين وآلهتهم وخدام ملك عيلام فاركبتهم المياه واتيت بهم الى هذه الجهة من البحر ثم سقتهم الى اثور . واخربت مدن تلك البلاد وهدمتها وجعلتها رماداً ودفنتها تحت انقاضها وجعلتها قاعاً صفصفاً »

وهكذا رجع سنحاريب الى نينوى غانماً مظفرًا . لكنّ غارتهُ هذه على ارض عيلام وقعت موقعاً شديداً في قلب حلودوش . فتناول السلاح وحمل حالًا على بلاد الكلدان . فخالفوه ونشروا لواء العصيان على الاثوريين . وهجم البابليّون على ملكهم اشورنادينشوما واسروه وارسلوه الى شوشان واجلسوا مكانه رجلا يقال لهُ نركلشيزيب او شوزوب . وقاتل شوزوب الاثوريين بشدّة وكانت لهُ النصرة اوّلًا لكنّهُ غُلب بعدئذٍ بقرب مدينة نيپور ووقع بيد اعدائه . وتخلّفهُ موشزيبمرودخ سنة ٦٩٣ ودافع عن نفسه بشجاعة عجيبة وذلك بقوّة العيلاميّين حتى ان سنحاريب اضطرّ ان يكفّ موقتاً عن محاربتهِ

انّ قتل نركلشيزيب ملك بابل وقع موقعاً في قلوب اهل شوشان . فاغتنم كوتورناحونتا هذه الفرصة وقام على حلودوش ونزّلهُ عن السرير وجلس مكانه . وانتهز سنحاريب الفرصة من ذلك لجمع جيوشه في نهاية سنة ٦٩٣ وعبر بها الحدود في اطراف مدينة دور وانقضّ على عساكر الكلدان والعيلاميين وانتصر عليهم واسر منهم خلقاً كثيرًا وفتح اربعاً وثلاثين مدينة محصنة وعدداً لا يحصى من القرى . ولمّا بلغ هذا الخبر الملك كوتورناحونتا اخذه خوف شديد فانتقل بجيشه من مادكتو الى مدينة خيدلي في اقاليم مجهولة في حدود بلاد مادي وتحصن هناك في الجبال . ومشى عليهِ سنحاريب سنة ٦٩٢ غير ان الشتاء كان قاسياً فهطلت الامطار ووقع ثلج كثير وفاضت مياه الانهر والسيول فالتزم الاثوريون ان يكفّوا عن المحاربة . وفي تلك السنة عينها مات كوتورناحونتا وتخلّفهُ اخوه اوماغمينانو

واشتغل اومانمينانو منذ بداية ملكه بامور الكلدان مثل سلفائه . فان ملك بابل ارسل لهُ كنوز هيا كله طالباً مساعدته . فاجاب الملك الجديد الى سؤاله وجمع جيوش حلفائه وانضمّ اليهِ اهل پارسوا وانزان والپيپي والقبائل الساكنة في وادي الفرات الاسفل . واتى بهذه الجيوش كلها الى بابل . وكان موشزيبمرودخ قد ألَّب هو ايضاً جيوشه هناك . فحمل عليهم الاثوريون وانتشب القتال في اطراف حالولي على دجلة بالقرب من مصبّ نهر ديالة . قال سنحاريب في احدى كتاباته : « اني عقدت التاج على رأسي للمحاربة وركبت عربتي المخيفة المبدّدة للاعداء وكان قلبي يشتعل بنار اخذ الثار . فمسكت القوس القويّ الذي اعطانيهِ اشور وقبضت على الدبّوس المُتلِف الحيوة . وحملت بشجاعة وجلالة على جيش العصاة المرذولين وانقضّيت عليهم نظير اداد » وكان القتال شديدًا . ووقع خومبوداش قائد الجيوش العيلاميّة قتيلًا . فسرى الخوف في قلوب الحلفاء وانخذلوا . ووقع نابوز كرشكون بن مرودخبلدان اسيرًا بيد الاثوريين وقُتل اغلب اعيان الكلدان وهرب اومانمينانو ملك عيلام وموشزيبمرودخ ملك بابل كل واحد الى عاصمته

هذا ما اتى في آثار سنحاريب . واما تاريخ بابل فينسب النصرة للكلدان . فالظاهر ان القتلى كانوا كثيرين من الفريقين ولم تظهر النصرة لاحدهما فبقيت الاحوال مثلما كانت قبلًا . وهذه الواقعة تُعرَف بواقعة حالولي وجرت سنة ٦٩١

الفصل السادس

تتمّة قصّة سنحاريب (٦٩١—٦٨١)

غارة سنحاريب على بلاد العرب وفلسطين — حصار اورشليم — وقوع الوبأ في عسكر الاثوريين — خراب بابل — ابنية سنحاريب وزخرفته لنينوى — صناعة النقش في اثور — قتل سنحاريب — احيقار الوزير وكتابهُ

ان سنحاريب حنق على بابل وقصد محوها حتى سنحت لهُ الفرصة سنة ٦٨٩ ولكنّهُ لم يسترح في تلك المدّة . بل اغار على بلاد العرب وتوغّل فيها وانتصر على الملك حزائيل وغنم منهُ غنيمة عظيمة . وضرب في البراري حتى وصل نحو حدود

مصر . فذهب ونصب معسكره في مدينة لخيش . وكان المالك حينئذ على مصر ترهاق الحبشي الذي حمل على مصر سنة ٦٩٣ وقتل الملك شبيقتو وملك مكانه وكان ترهاق شجاعاً وباشر حرباً في لوبية وقيل عنهُ انهُ وصل الى جبل طارق وتوغل في شمال غربي افريقيا . وكان حزقيا ملك يهوذا قد خان ثانيةً اثور وتحالف مع ملك مصر . فارسل سنحاريب من مدينة لخيش قسما من جيوشه فحاصرت اورشليم . وهاك ما اتى في الكتاب المقدس عن هذه المحاصرة

انَّ ترتان وربشاقا (١) ذهبا الى اورشليم وشدَّا عليها الحصار . فارسل اليهما حزقيا الملك الياقيم الخازن وسبنة الكاتب ويولح المذكّر . فقال لهم ربشاقا بندة : قولوا لحزقيا : هذا ما يقول الملك العظيم ملك الاثوريين : ما هذا التوكّل الذي توكات حتى تتمرَّد عليَّ . انك اعتمدت على عكاز هذه القصبة المرضوضة . على مصر التي اذا استند الانسان عليها انكسرت ودخلت في يده وثقبتها . ولمَّا طلب منهُ رجال اليهود ان يكلّمهم باللسان الارامي لا باليهودية لئلا يسمع الشعب الذي على السور وقف ربشاقا وصرخ بصوت عالٍ باليهودية وقال : اسمعوا كلام الملك العظيم ملك الاثوريين . هكذا يقول الملك : لا يضلّكم حزقيّا لانهُ لا يقدر ان يخلصكم . اعقدوا معي عهداً واخرجوا اليَّ وليأكل كل واحد منكم من كرمهِ وتينه . واشربوا كل واحد من ماء جبّه حتى آتيكم وآخذكم الى ارض هي مثل ارضكم كثيرة الحنطة والخمر ارض الخبز والكروم . ولمَّا سمع ذلك حزقيا الملك مزّق ثيابه ولبس مسحا ودخل بيت الرب وصلَّى . وارسل اليهِ اشعيا النبي فشجَّعهُ وقال له ألّا يخاف بسبب الكلام الذي سمعهُ من غلمان ملك الاثوريين . فانَّ الرب سلّط عليه روحاً فيسمع خبرًا ويرجع الى بلده ويُقتل بالسيف في ارضه

وفي تلك الاثناء بلغ سنحاريب ان ترهاق ملك مصر قد تأهَّب للمحاربة وقد خرج من عاصمته ليأتي فيحمل عليهِ . فانتقل سنحاريب الى لبنة . وعلى رواية هيرودوت المؤرّخ ذهب حتى انتهى الى بلوزا وهناك ظهر الوبأ في جيوشه ففتك بها فتكاً ذريعاً واهلك اكثر من نصفها . ويقول الكتاب المقدس ان الذين ماتوا بالوباء

---

(١) ٣ ملوك : ص ١٧-٣٧ والفصل ١٩

كان عددهم ١٨٥٠٠٠ رجل واضطرّ سنحاريب ان يرجع الى نينوى وكان ذلك في نهاية سنة ٦٨٩

انّ سنحاريب لم يرجع مرة اخرى الى سوريا. ولم يكن ذلك ضعفاً منه فانّ عزائمه لم ترتخ ابدًا بل انّ احوال بابل اشغلته عن ذلك. والظاهر انّ موشزيب مرودخ ملك بابل انتهز الفرصة من غياب سنحاريب وهجم على بعض نواحي اثور ففي تلك السنة عينها التي رجع فيها من ارض فلسطين حمل على بابل. واتفق في تلك الاثنآء انّ اوماغينانو ملك عيلام أُصيب بدآء النقطة فلم يقدر ان يساعد البابليين وشدّد سنحاريب الحصار على بابل وافتتحها. ولا يخفى انّ ملوك اثور عاملوا دائماً مدينة بابل بلطفٍ ورفق وذلك مراعاةً لقدمها وآلهتها وهياكلها المقدّسة. ولكن سنحاريب ابطن السوء عليها من جرآء خيانتها وعصيانها الغير المنقطع. فامر بإبادتها واستئصالها. فقبض الاثوريون على الملك موشزيب مرودخ وكبلوه بالاغلال وارسلوه مع اسرى كثيرين الى اثور. وقتلوا جمًّا غفيرًا من اهل المدينة حتى انّ الجثث تكوّمت بعضها فوق بعض في الازقة وفي دهاليز الهياكل والزقرتات. وبعد القتل بدأ الجنود بالنهب فنهبوا كنوز القصور والهياكل وكل بيوت الاشراف. واخربوا المدينة ودكّوا اسوارها وقصورها واتى في احدى كتابات سنحاريب ما نصه: « اني استأصلت المدينة والهياكل واخربتها واحرقتها بالنار. واخربت الحيطان والاسوار ومعابد الالهة والزقرتات المبنيّة بالاجرّ وباللبن وملات قناة أرحتا من انقاضها. ».

ووجد الاثوريون في احد المعابد تماثيل الاله اداد والإلهة شالا التي كان الملك مرودخنادن اخي قد سلبها من مدينة هيكالي في عهد تغلاتپلاسر الاول اي قبل اربعمائة وثماني عشرة سنة (١). واكتشفوا ايضاً على ختم شلمناسر الاول الذي كان اداد بلدينا الغازي كرّسه لآلهة وطنه. فاتى سنحاريب بهذه التماثيل وهذا الختم الى نينوى ووضعها باحتفال عظيم في احد هياكل اثور

والبائن انّ سنحاريب بعد خراب بابل استراح من الغارات والغزوات. لانّ مصيبة هذه المدينة العظمى القت الرعبة في قلوب جميع الامم فلم تحرك ساكناً ولعلّه باشر غزوة لم يتصل الينا خبرها

---

(١) راجع ص ٣٧ و ٥٦ من هذا الكتاب

ان سنحاريب كان ملكاً عظيم الشان شديد الوطأة بعيد الهمة كثير الغزوات والفتوح وقد اتى في ايامه من عظائم الامور ما لم يأته ملك قبلهُ حتى طار ذكره في الآفاق وامتدت شوكته الى ابعد الاقطار وتحامت حوزته كبرآء الملوك ودان لدولته كثير من الاقاليم وكان يلقب نفسه بملك الارض وخليل الآلهة (١)

والامر الغريب هو ان هذا الملك الجليل مع كونه مشغولًا دائمًا بالحروب الشديدة الغير المنقطعة امكنه ان يهتم بسياسة دولته الواسعة العظيمة وباقامة الهياكل والقصور العجيبة وحفر القنوات وقد اقتضى لهُ لذلك اموال وافرة لانَّ الابنية التي شادها كثيرة جسيمة . فانَّه عمَّر هيكل نركال في مدينة تاربيزي (٢) وحصن قرية أشي (٣) وفي سنة ٧٠٤ بنى لهُ قصرًا جميلًا فاخرًا في مدينة كاكزي وكانت في جنوب شرقيّ كالح . والمدينة التي اهتمّ اكثر ما يكون في تزيينها وتوسيعها كانت مدينة نينوى الشهيرة . فانَّه لم يعجبه ان يجلس في دور شركينا التي كان ابوه قد نقل اليها كرسيّه . بل جلس منذ اوَّل ملكه في نينوى . وبدأ يعمّر ابنيتها . ثمَّ لما استاق اسرى كثيرين من البلاد المفتوحة في غزواته الاولى باشر بتجديد المدينة كلّها . فجدّد جادّاتها وازقتها وقنواتها ومسلّاتها وبساتينها . وبنى فيها قصورًا جميلة وزقرتات عظيمة . وارسلت لهُ الولايات كل ما لزمه من الموادّ للبنآء . وكان قصره على التلّ المعروف اليوم بتلّ قوينجغ بازآء الموصل على دجلة . وهو بناء كبير يُعدّ في جملة عظائم تلك الاعصار . وكان مزيّنًا بجميع ضروب الزخرفة من تماثيل الاسد وتماثيل الثيران ذات الاجنحة وتماثيل الآلهة والإلاهات ومشاهد صيد ومعارك وحصارات وفتوحات وذبائح ومجالس وغير ذلك . وبجانب قصره غرس بستانًا عظيمًا واسعًا مغطًّى بكلّ انواع الاشجار المثمرة والغير المثمرة النابتة في جبال سوريا وفي سهول بابل من الارز والصنوبر والسرو والنخل والرمان والتفاح وغير ذلك ممَّا لا يُحصى . وعمل في البستان حوضًا كبيرًا جلب اليهِ المياه بقناة من خوصر . وقسّم المياه الى عدة سواقٍ كانت تجري في كل اطراف البستان فتزيّنها

---

(١) جميل مدوّر : ١٠١

(٢) انَّ هذه المدينة كانت في المحلّ المدعو اليوم شريف خان في اطراف الموصل

(٣) في شمامك في اطراف اربيل

بالخضرة الدائمة. وفي مخابئ البستان كانت تستتر الخنازير والايلة وسائر الحيوانات. حتى ان الملك كان يخرج الى الصيد دون ان يخرج من قصره. وحفر سنحاريب ثماني عشرة قناة ايضاً جلب بها المياه من كل جهة الى نينوى. ونظّف القناة التي كان اسورناصربال قد عملها قبل مائتي سنة. وجلب ايضاً الى عاصمته المحبوبة بقناة مياه الينابيع من عند باويان على الجانب الايمن من نهر كومل في شماليّ جبل مقلوب

وفي ايام سنحاريب بلغت صناعة النقش والتصوير في اثور الى اسمى درجة من الكمال. قال رولينسون ما ملخّصه: «انّ التصاوير التي صُنعت في زمان سنحاريب من الدقة في الرسم ومن الشبه بالصور الطبيعيّة ما يقضي بالعجب. ففي عهده عمّت العادة ان يصوّروا الحادثة والواقعة مع كلّ تفاصيلها وظروفها حتى الجبال والصخور والطرق والجداول والبحيرات والبساتين والحقول والغدران مع البردي النابت فيها والحيوانات الوحشيّة. فترى الحيوانات هاربة والطيور تحوم من شجرة الى شجرة او تطعم فراخها في اوكارها والاسماك تعوم في المياه والصيادين يصيدونها وترى الفلاحين يفلحون الارض». وذات يوم اصبح سنحاريب مقتولاً بسيف. قال عنه الكتاب المقدّس (١). انه بينما كان يسجد في بيت نسروخ إلهه قتله ادرملك وشراصر ابناه بالسيف وهربا الى ارض اراراط وملك اسرحدون ابنهُ عوضهُ. وقد ظنّ اوّلاً العلماء ان سنحاريب قُتل في نينوى. ولكن قد اتى في احد آثار اسوربانيبال انّهُ قُتل في بابل. وقال العلامة وينكلير انّ الهيكل الذي قُتل فيهِ هو هيكل مرودخ او مردوخ وليس نسروخ الّا تصحيف مردوخ. انّ كاتب سفر الملوك الثاني يقول انّ قاتلي سنحاريب هما ابناه ادرملك وشراصر. واماّ بيروس المؤرخ الكلداني وتاريخ بابل فيقولان انّ ابنهُ قتله. ويقول بيروس انّ اسم القاتل اردومزان وهو كما يظهر تحريف ادرملك او اردملك. واتى ايضاً في الآثار ذكر قائد من قواد العسكر يقال لهُ نبوشرصار قد تقدّم في المراتب سنة ٦٨١. فيقول الاب دورم (٢) انّ آية الكتاب المقدّس: ܐܕܪܡܠܟ ܘܫܪܐܨܪ ܒܢܘܗܝ بالعبرانيــة هي تحريف

---

(١) ٢٧ ملوك: ܝܛ ٣٧

(٢) في مجلّة الكتاب المقدّس ٥٢٠

ܐܕܪܡܠܟ ܒܪܗ ܘܫܪܐܨܪ او ܒܪܗ ܫܪܐܨܪ اي ادر ملك ابنه وشراصر. وكانت وفاة الملك سنحاريب في ٢٠ كانون الثاني سنة ٦٨١. وقد ملك اربعاً وعشرين سنة

ومن الذين اشتهروا في ايام سنحاريب الملك احيقار الحكيم (١). وهاك ملخّص حكايته: كان احيقار وزير سنحاريب وكاتبهُ وحافظ مهره. وكان حكيماً اديباً وذا اموال جزيلة. ولم يكن لهُ ولد. فاتّخذ نادان ابن اختهِ ابناً لهُ وربّاه بالعلوم والآداب. ولمّا شاخ ولّاه على بيتهِ وازدادت منزلة نادان عند الملك. فتكبّر وبدأ يبدّد اموال خاله وقصد اهلاكه. ولم يزل يسعى بهِ الى ان حمل الملك فامر بقتله. وكان السيّاف صديق احيقار فلم يقتلهُ. بل اخفاه في سرداب تحت الارض. وفرح الملوك بموت احيقار. واراد ملك مصر محاجّة سنحاريب. فطلب منهُ ان يرسل اليهِ رجلًا حكيماً لكي يبني لهُ قصراً بين السماء والارض. فاحتار سنحاريب وندم على قتل احيقار وذكر جسيم خدمته. فاعلمهُ السيّاف انّ احيقار حيّ. ففرح سنحاريب فرحاً عظيماً. وارسلهُ الى مصر ليردّ الجواب لفرعون. فلمّا مثل بين يديهِ طلب منهُ ان يحضر كلساً وحجارة وطيناً لبناء القصر المطلوب وكان احيقار قد ذهب بنسرَين وعلّم ولدَين الركوب على ظهرهما. فاطلق النسرين وقد ركبهما الولدان فارتفعا في الجوّ. وبدأ الولدان يصرخان من فوق: وصّلوا الينا الاحجار والكلس والطين لتبني قصراً لفرعون. فاتخذل فرعون واقرّ بمهارة احيقار وحكمته. هذه هي خلاصة قصة احيقار وفيها امثال ونصائح كثيرة

انّ كتاب احيقار أُلّف في بابل او في اثور قبل الجيل الخامس قبل المسيح ولعلّه في عهد اسرحدون الملك. فانّ كتابهُ كان موجوداً في مصر في الجيل الخامس قبل المسيح ولم يكن يحتوي أوّلًا الّا على اقوالٍ حكميّة وانّما بكرور الازمنة أُدخلت فيهِ الحكايات الموجودة فيهِ الان. وقد اتى اسمهُ في كتاب طوبيا في الترجمة السبعينيّة. وذكره ايضاً پوسيدونيوس الذي عاش في الجيل الثاني قبل المسيح. ومنهُ استعار اقوالًا حكميّة كثيرة صاحب كتاب يسيرا ومؤلّف كتاب طوبيا. وترجم

---

(١) عن احيقار وكتابه راجع موسيو نو: حكاية وحكمة احيقار الاثوريّ باريس ١٩٠٩ ومجلّة الشرق المسيحيّ ١٩٠٨ العدد الرابع ص: ٣٦٢ و ١٩٠٩ العدد الاول ص: ١٠٦–١٠٨

ديوكريت الاقوال الحكميّة التي فيهِ الى اللغة اليونانيّة . ومنهُ اقتبس كتبة اليونان تاليفاتهم في الحكمة والالغاز . ومنهُ سُرقت امثال اوسيب ولقمان الحكيم . وتُرجم هذا الكتــاب منذ قديم الزمان الى لغات شتى . وقد طبع الاب صالحاني اليسوعي ترجمتهُ العربيّة سنة ١٨٩٠ ومادام اغنيسة سميث الانكليزية سنة ١٨٩٨

الفصل السابع

اسرحدون (٦٨٠ — ٦٦٧) (١)

انتصاره على اخيهِ ادرملك — عمارة بابل — عصيان كلدو الجنوبيّة وخضوعها — الاشكوزيّون والكمريّون وانتصــار الاثوريّين عليهم — إخضاع العرب — قهر اسرحدون لعبد ملكوت ملك صيدا وشاندواري ملك قيليقيّة — انكســار الاشكوزيّين والماديّين والعرب — اخضاع منسى ملك يهوذا ومحاصرة صور — انكسار اندارِيا ملك لوبدى — افتتاح مصر — وفاة اسرحدون ومناقبه

انّ اسم اسرحدون الحقيقي ܐܫܘܪ ܐܚܐ ܐܝܕܢ ومعناه اشور رزق اخاً . وكانت امّهُ بابليّة واسمها نِكعا . وكان ابوه سنحاريب قد جعلهُ ملكا على بابل . اذ انّ البابليين بعد خراب مدينتهم المقدّسة رجعوا اليها وعمّروها . امّا قصد سنحاريب بهدم هذه المدينة فلم يكن الّا قصداً سياسيًّا ليتخلص من ثوراتها المتواصلة . والظاهر انّ اسرحدون كان بكر اولاد سنحاريب وولي العهد . وانّ كلًّا من اخوته كان يريد الملك لنفسهِ . فاتّفق اخوه ادرملك مع بعض رجال المملكة وفي جملتهم شراصر وقتل اباه سنحاريب ليجلس هو مكانهُ . وللحال هرب من بابل الى نينوى لكي يتقوى فيها . فاسرع اسرحدون الى اثور وانتصر عليهِ وعاقبهُ فانهزم ادرملك وعبر الفرات لانّ الجيوش التي في الولايات الشماليّة تحزّبت لهُ . فتتبّعهُ اسرحدون مــاشياً

---

(١) من اسرحدون راجع أوپير: الآثار السركونية ص: ٥٣—٦٠ ومينان : تواريخ بني ملوك اثور ص ٢٤٠ — ٢٤٨ وماسپيرو : ج ٣٤٠—٣٨١ وجلة الكتاب المقدس: صص ١٩٨ — ٢١٨ واوبير: رحلة في ما بين النهرين: ج ١٨٠ الخ

قدّام جنوده . ولم يدعهم ان ينصبوا لهُ خيمةً . فكان يقضي لياليه تحت السماء محتملًا شدّة البرد . لانهُ كان في شهر شباط . وانتشب القتال بين الاخوين في حانيكلبات وكانت النصرة لاسرحدون . فهرب ادرملك ورفيقهُ شراصر وتواريا في جبال ارمنيَّة ودامت الفتنة بين الاخوين اثنين واربعين يوماً اي منذ ٢٠ كانون الثاني الى ٢ اذار . وجلس اسرحدون على سرير الملك في ١٨ اذار سنة ٦٨٠

وفي اول سنة من ملكهِ بذل جهده في تجديد اسوار بابل وقصورها وهيا كلها فامر بجمع كل الاسرى ليحضروا آجرًّا للبناء ثمّ حفر الأَساسات وصبّ عليها زيتاً وعسلًا وخمرًا . واخذ هو بيده مالجاً ووضع في القالب أوَّل لبنة لبنآء الهيكل الجديد وصرف خمس سنين في انشاء المدينة المقدَّسة . ولتعجيل الشغل لم يشفق على ذهبهِ فبنى بوقت واحد القصور والهياكل وسورَي المدينة وكان يقال للسور الاول إيكُوربيل وللثاني نيمتيبيل . وطهَّر مجرى القنوات وغرس البساتين واستدعى السكان المتبدّدين وساعدهم كثيرًا ليستوطنوا المدينة

انَّ الفتنة الاهليَّة التي حدثت في اثور كان من شانها ان تزعزع اركان المملكة . لكن اسرحدون اطفأها سريعاً ولم يتمكَّن الشعوب من انتهاز الفرصة ما عدا الكلدان الذين على سواحل خليج العجم . واهل صيدا على شواطئ البحر المتوسّط . فانهم نشروا لوآء العصيان وتأهبوا للمحاربة . وكان المالك على الكلدان المذكورين نبوزيركينوليشير بن مرودخبلدان الثاني الشهير . فانهُ اغار على مدن كلدو الشماليَّة فطلب نينكلشوميدان حاكم اور النجدة من اسرحدون . فارسل اليهِ عساكره . فهرب ابن مرودخبلدان والتجأ الى ملك عيلام . وكان حومبانحلداش الاول ملكها قد توفي سنة ٦٨٠ وخلفه ابنهُ حومبانحلداش الثاني . فهذا خوفاً من الاثوريّين قبض على نبوزيركينوليشير وقتله . وكان اخوه نعدمرودخ قد رافقهُ في هزيمتهِ . فخاف خوفاً شديدًا وهرب من عيلام واتى نينوى ولجأ باسرحدون فلاطفهُ ملك اثور ورجّع اليهِ ملك ابيهِ مرودخبلدان وفرض عليهِ الجزية



اسرحدون ملك آثور

وبينما كان اسرحدون يستعدّ للحملة على صيدا اذ بلغهُ الخبر انَّ اقواماً برابرة يسمُّونهم كِمِّريين او قومريّين هجموا على حدود مملكتهِ الشماليَّة . وهؤلاء كانوا يسكنون ما ورآء جبال قوقاس . ولمَّا كانت سنة ٧٥٠ هجم عليهم الاشكوزّيون وهم السقوثيُّون (١) واصلهم من الاراضي الشماليَّة القصوى . فهرب من قدامهم الكِمّريّون وذهبوا فاستوطنوا اسيا الصغرى (٢) . في وادي نهر هاليس (٣) . فلمَّا قُتل سنحاريب اغتنم الفرصة ملكهم تيوُشپا وحمل على الجيوش الاثوريّة التي في قبادوقية وهزّمها . وانضم اليهِ بعض سكَّان قيليقيــة ايضاً . فزحف عليهِ اسرحدون وقاتله وانتصر عليهِ بالقرب من حويوشتا وطارده الى ما ورآء نهر هاليس ثمّ حمل على قيليقية وافتتح فيها احدى وعشرين مدينة ونهبها وسبى اهلها

وفي تلك الاثناء حدث انَّ اميرًا ارزانيًّا في اقاصي بلاد العرب الجنوبيَّة تجاسر وباشر غزوةً في حدود مملكة اثور . فحمل عليهِ الحاكم الاثوريّ الــذي في تلك الاطراف ومسكه وارسله اسيرًا الى نينوى وهناك حُبس ووُضع في قفص على

---

(١) انَّ اسم السقوتيّ يونانيّ مأخوذ من الاثوريّ ܐܫܟܘܙܐ وكذلك القومريّ مأخوذ من ܓܘܡܪܐ وكذا الى هذان الاسمان في سفر الخليقة ه

(٢) اناضول (٣) قزل ايرماق

باب المدينة في مكان فيهِ دبب وكلاب وخنازير

ولمَّا فرغ اسرحدون من امر الكمريين قصد ان يؤدّب هو بنفسهِ الفونيقيّين. وكان عبد ملكوت ملك صيدا قد حالف ملكاً اسمهُ شاَندواري كان لهُ مدينتان حصينتان يقال لهما كوندي (١) وسيزو (٢) في قيليقية (٣) وحاصر اسرحدون مدينة صيدا سنة ٦٧٩. فهرب عبد ملكوت بحرًا. لكنَّهُ قُبض عليهِ وقُطع رأسهُ في تشرين الاول. ثمَّ في شهر اذار قُبض ايضاً على شاندواري وقُطع رأسهُ كذلك ونهب اسرحدون مدينة صيدا واحرقها وبنى تجاهها على الساحل مدينة سمَّاها كرخ اسرحدون ونقل اليها اقواماً من بلاد الكلدان الجنوبيَّة. وولَّى عليها قائدًا اثوريًا ورجع الملك الاثوريّ الى نينوى بغنيمة عظيمة ودخلها منصورًا ومعهُ افراد عائلتَي عبد ملكوت وشاندواري واسرى كثيرون واموال جزيلة كانت صيدا قد جمعتها في تجارتها الواسعة من الذهب والفضة والعاج والابنوس والارجوان وغير ذلك. ولم يتَّعظ الاشكوزيون بما حلَّ باخوتهم الكمريين عند هجومهم على مملكة اثور سنة ٦٨٠. فانَّ ملكاً من ملوكهم اسمهُ ايشپكاي حمل اهل مناي على ان يهجموا على البلاد الخاضعة لاثور لينهبوا ويغنموا. ومشى هو في مقدَّمتهم. فحمل عليهم الاثوريّون وكسروهم واقصوهم الى ما وراء بحيرة اورمية. وكان ذلك سنة ٦٧٨. لكن الاشكوزيين كانوا امَّة جسيمة مؤلفة من قبائل شتى. فاجتهد ملك اخر لهم يقال لهُ كشتاريتي ان يحالف المادّيين واهل مناي على الاثوريين. وفي تلك الاثناء نفسها طلب ملك اخر لهم يقال لهُ طاطوا الى اسرحدون ان يزوجه باحدى الاميرات الاثوريات فاجاب ملك اثور الى سؤاله بغية ان يجعلهُ من حزبه. كما كان قد زوَّج احدى بناته بأمباري ملك التوباليين ومع هذا كلهِ لم يزل الاشكوزيون يحملون المادّيين على خلع الطاعة لاثور. فاضطرَّ اسرحدون ان يزحف على بلاد مادي. وتوغَّل في نواحي پاتوشرا في ذيل جبل دماوند. وأسر هناك ملكَين وارسلها الى اثور مع اهاليها وجميع اموالها. فالفت شهرتهُ الرعبة في قلوب المادّيين حتى انَّ ثلاثة من ملوكهم لم يكونوا قد خضعوا لهُ قبلًا اتوا الى نينوى من بعد رجوعهِ اليها

(١) بالقرب من طرسوس (٢) مدينة سيس الحاليَّة ;
(٣) وقيل ان هاتين المدينتين كانتا في جبل لبنان

وقدّموا له هداياهم وطلبوا منهُ العفو . فاخذهم تحت حمايتهِ وفرض عليهم الخراج

وفي سنة ٦٧٥ تشاغل اسرحدون بامور العرب . فانَّ سنحاريب اباه في نهاية ملكهِ كان قد اخضع حزائيل ملك قيدار واخذ تماثيل آلهتهِ واتى بها الى نينوى فشقّ ذلك على العرب حتى انَّ الملك حزائيل في بدء ملك اسرحدون اتى الى نينوى وطلب بتواضع عميق ان يردّ له تماثيل آلهتهِ . فاجاب الاثوريّ الى طلبتهِ . فاصلح ما تعطل من التماثيل ونقش عليها اسم ومناقب اشور ربّهِ وردّها اليهِ . ثمَّ انَّ اسرحدون اقام لهم ملكةً امراة اسمها طابويا كانت قد تربّت في نينوى وتخلّقت باخلاق الاثوريّين . وضمّ الى الخراج الذي ضربه عليهم سنحاريب ابوه خمسة وستين جملًا ومماً زاد في الطين بلة انَّ حزائيل مات بعد مدّة يسيرة . واراد رجل من الاشراف اسمهُ وهّاب ان يجلس مكانهُ . فحبسه اسرحدون وملّك على العرب يعاو بن حزائيل وضرب عليهِ جزية يؤدّيها له كل سنة مقدارها عشرة امنان ذهباً . والف حجر كريم وخمسون جملًا

وقصد اسرحدون ان يتسلّط على بلاد العرب كلها . فلماً كانت سنة ٦٧٥ توغّل في الجنوب فادخل في جملة الولايات الاثوريّة بلاد بازو وخازو . وقتل في خازو ثمانية ملوك . واتى في آثاره ما نصه : « اني رجعت الى اثور بآلهتهم وغنائمهم وكنوزهم ورعاياهم . وكان ليلي ملك ياديا قد خلع طاعتي . فلماً بلغهُ اني اخذت آلهتهُ مثُل بين يديَّ في نينوى عاصمة مملكتي فانحنى قدامي فغفرت له خطيئتهُ ولاطفته . واماً آلهته فنقشت عليها تسابيح اشور ربّي ورديّتها اليهِ . وسلّمت له بلد بازو وامرته ان يُؤدّي لي خراجاً . »

وهكذا انتصر اسرحدون على الكمريّين وقهر الاشكوزيّين وسدّد احوال بابل وصالح عيلام واخضع بلاد العرب . فبقيت مصر وحدها غير طائعة له . فدخل الطمع في قلبهِ وبغى ان يقهرها هي ايضاً لانّها لا تزال تحرّك ملوك سوريا على الفتن والعصيان وكان المالك يومئذٍ على مصر ترهاق الحبشيّ . وكان هذا متكبراً ونشيطاً فحمل ملك اثور السلاح عليهِ سنة ٦٧٣ . لكنَّ ترهاق دافع مدافعة الابطال ولم يمكّن الاثوريّين من الدخول الى مملكتهِ . ونصرتهُ هذه جذبت اليهِ ممالك سوريا الصغيرة التي كانت تريد ان تستقلّ من نير اثور . من ذلك انَّ مدينة صور لم تكن

قد سلّمت للاثوريين منذ زمان ملكها اولالو . ولكنها لم تحكم الّا على جزيرتها . فظنّ ملكها بعل انّ الفرصة قد دنت ليدخل في حكمهِ ما كان خسره في البرّ . فخالف ترهاق ملك مصر سنة ٦٧٢ . واقتدى بهِ منسى ملك يهوذا . وللحال هجمت الجيوش الاثورية التي في سوريا على مملكة يهوذا . وقبضوا على منسى واسروه بسلاسل وارسلوه الى بابل . وبعد مدّة رفق بهِ اسرحدون وارجعهُ الى اورشليم فبقي خاضعاً لهُ (١) .

ثمّ حاصر الاثوريون مدينة صور . وجعلوا عدّة متاريس على الساحل منعت الصوريين من الدنوّ الى البرّ . وكانوا يؤملون انّ اسرحدون ياتي حالًا الى مساعدتهم ولكن خاب املهم . فانّ اهل شوبريا في ارمنيـة خلعوا طاعة اثور بدسيسة انداريا ملك لوبدي . فاضطرّ اسرحدون ان يحمل على انداريا وحاصره في أبومي عاصمته . فخاف انداريا خوفاً شديداً حتى انّهُ خلع ثيابهُ الملوكيَّة ولبس ثياباً رثّة وصعد الى السور وبكى وطلب الامان من اسرحدون قائلًا : انّ شوبريا خاصتك . فافرض عليها الجزية . واماً انا فلصّ من اللصوص . واتوب خمسين مرّة عن خطيتي . » ولم يرد الملك الاثوريّ ان يسمع طلبته قبل افتتاحه المدينة . فلمّا فتحها ودخلها عفا عنهُ . ثمّ حمل على شوبريا وقاصص اهلها وجعلهم عبيداً . وارسل قسما ممّا غنم الى مدينة اوروك هديّة لها

وفي سنة ٦٧٢ صار مأتم عظيم في نينوي وفي سائر بلاد اثور . لأن الملكة نكعا البابليَّة امّ الملك قضت نحبها في ٥ اذار . وفي تلك الغضون شارك اسرحدون في الملك ابنهُ الصغير اسوربانيبال مفضلًا اياه على ابنهِ البكر شمشوموكين . وصرف سنة ٦٧١ في اثور مسدّدًا الاحوال ومتاهّباً لمحاربة مصر

ولمّا كانت سنة ٦٧٠ في اوائل نيسان خرج اسرحدون من نينوى قاصدًا مصر وكان قد ارسل خبرًا الى شيوخ العرب لينتظروه في رافيا في اقصى بلاد فلسطين الغربية ومعهم جمالهم ليحملوا عليها ماء للجيوش في الطريق . وفي مروره شجع الجيوش التي كانت تحاصر مدينة صور . ثمّ ساق جيوشه الى ايفاق مدينة سبط شمعون . وطاف بلاد العرب الغربيَّة كي لا يترك العدوّ وراء ظهره . وبعد ان دار

(١) ٢ ايام ٣٣ : ١١—١٣

ستة اسابيع في بلاد قحلة لا مآء فيها انثنى على رافيا ولم يزل ماشياً على الساحل حتى وصل الى حدود مصر في ٣ تموز. وكانت طليعة عسكر المصريين في ايشخوبري فقاتلها اسرحدون وانتصر عليها. فبادر اليه ترهاق باجناده كلها. فاقتتلا شديداً. وانكسر ترهاق. وكان ذلك في ١٦ تموز. ثم بعد يومين انتصر اسرحدون نصرة اخرى على ترهاق. وفي ٢٢ تموز حاصر مدينة منف وافتتحها ونهبها

وكانت هذه المحاصرة شديدة وجرى الافتتاح سريعاً حتى انَّ ترهاق لم يمكنهُ ان ينقل حاشيتهُ الملوكيَّة. فاسر الاثوريون الملكة وجواريها وولي العهد وغيرهم من اولاد الملك وافراد عائلة الملكَين شبقون وشبيتقو. وهذه النصرة كلَّفت كثيراً الاثوريين فلم يمكنهم ان يتتبَّعوا ترهاق الملك في هزيمته. ولاطف اسرحدون اولاد الفراعنة لمَّا اتوا ليسجدوا له وردّ اليهم املاكهم. ولكنَّهُ اقام بالقرب منهم عمَّالًا وقوّادًا اثوريين يراقبون حركاتهم وبدّل اسماء مدنهم المصريّة بأسماء آثوريّة وضرب عليهم خراجاً سنويًّا مقداره ست وزنات من الذهب وستمائة وزنة من الفضة وكميَّة وافرة من الاقمشة الكتانية والمنسوجات النفيسة وجلود الحيوانات الوحشيَّة والحصن والغنم والحمير. ورجع الى اسيا بعدد لا يحصى من الاسرى وبغنيمة لا تُقدَّر

وفي عودته هذه المظفَّرة نظَّف مدن سوريا وطرقها من العصائب المصريَّة والحبشية التي كان يتكل على قوَّتها اهالي سوريا. وجعل على نهر الكلب بالقرب من بيروت ذكرًا ابديًّا اعني صورتهُ منقوشة بجانب صور رعمسيس الثاني ملك مصر وتغلاتپلاسر الاول وشلمناسر الثاني ملكَي اثور (١) . واقام في غير امكنة ايضاً ابنيــة اخرى تذكارًا لغزواته. وقد كُشف (٢) على اثار في زنجرله تشاهد عليها صورتهُ وقد ركع قدامه ترهــاق ملك مصر والحبشة وحليفهُ بعل ملك صور وفي انفيهما حلقة علامة العبوديّة. ومكتوب عليها وصف انتصاره على مصر والحبش ما نصه: « امَّا ترهاق صاحب مصر والحبش فاني سرت من اشخوبري الى منف عاصمة ملكه. وتعقبت جيوشه وضربتها كلّ يوم دون انقطاع على مسير خمسة عشر يوماً. امَّا هو فضربته بالقوس والسيف وجرحته جرحاً مميتاً . وحاصرت مدينــة منف قاعدة ملكه وفتحتها رغماً عن مناجيقها ثمّ نهبتها واحرقتها. »

(١) راجع المشرق: ١٨٩٨ ص ١٠٨٩ (٢) فيه ١٩٠٦ ٧٥٥

واعلم انّ اسرحدون من بعد نصرته هذه العظيمة لقّب نفسه «بالملك العظيم والملك القدير وملك العالم وملك اثور ونائب ملك بابل وملك شومير واكاد وملك كردونياش وملك ملوك مصر وملك صعيد وملك الكوشيّين (الحبش)». لعمري انّه استحقّ هـذه الالقاب العظيمة الجليلة . فانّ مصر وحدها قدرت لحدّ ذاك الوقت ان تدفع هجمات اثور . فـانّ العيلاميّين انكسروا مرارًا وضُبط منهم ولايات كثيرة . والارارطيين أُقصوا الى جبالهم . وبابل افتُتِحت مرارًا وأُخربت . ومادي نُهبت مرارًا . والعرب والسريان والفونيقيين وبني اسرائيل واهـل قيليقية خضعوا جميعاً تحت نير نينوى . وامـا المصريون الذين كانوا يحملون هذه الشعوب على العصيان فلم يكونوا قد عوقبوا ابدًا . فكان يظنّ الجميع انّ مصر في مكان منيع جدًّا لا يقدر احد على افتتاحها . امّا اسرحدون البطـل الشديد فبشجاعتهِ الفريدة وعزمهِ الثابت ابطل هذا الظنّ الفاسد واعلن على رؤوس الملاَ انّ هذه المملكة القديرة هي ايضاً قابلة السقوط في حوزتهِ كرفيقاتها

وبينما كان اسرحدون يغزو غـانماً مظفرًا في اراضي مصر وسوريا وفلسطين وفونيقي مرقّياً دولته الى اوج العظمة كان رجالهُ يحدثون الفتن في نينوى . ولا نعرف سبب هذه الفتن . قال البعض انّ اسرحدون جعل وليّ العهد اسوربانيبال ابنهُ الاصغر عوض شمشوموكين ابنهُ الاكبر . فسآء ذلك عظمآء المملكة لأنّهم رأوا فيهِ خرقاً للقوانين . وقال غيرهم انّ اسرحدون كان بنيته ان يجعل وليّ العهد شمشوموكين ابنهُ الاكبر وانمّا هذا الذي أسآء الاثوريّين لأنّ شمشوموكين كانت امّهُ بابليّة فكان يحبّ طبعاً مدينة بابل فخاف الاثوريون من ان يفضّل هو ايضاً مثل ابيه اسرحدون بابل المقدّسة على نينوى ولاجل ذلك احدثوا الفتنـة . وعلى كلّ حال فان اسرحدون حالما رجع من مصر سنة ٦٧٠ قبض على كثير من رجال مملكتهِ وقتلهم . والظاهر انّ هـذه الفتنة غيّرت فكره . فعيّن ابنهُ شمشوموكين ملكاً على بابل وابنهُ اسوربانيبال ملكاً على اثور وصاحب المملكة كلّها . واعلن ذاك قدام الشعب في ١٢ ايار سنة ٦٦٨ في عيد الاله كولا قبل خروجه من نينوى لمحاربة مصر التي نشرت عليهِ ايضاً لواء العصيان

انّ بلاد مصر كان فيهـا عشرون مملكة صغيرة . ولم تكن كلّها قد خضعت

لاثور سنة ٦٧٠. ومن الملوك الذين اتّكل عليهم اسرحدون اكثر من الجميع كان نخا الاول ملك صعيد ومنف. واماً ترهاق فمنذ انكساره لم يزل يتجهّز للمحاربة فلماً كانت سنة ٦٦٩ حمل السلاح على منف وافتتحها دون مشقّة. واماً نخا وامرآء دلتا فبقوا امينين مع الاثوريين. وكان اسرحدون طريح الفراش لمّا بلغهُ هذا الخبر. ومع ذلك جمع جيوشهُ وقصد مصر. ولكن لمّا وصل الى سوريا تغلّب عليهِ المرض ومات في ١٠ تشرين الثاني سنة ٦٦٨. وقد ملك اثنتي عشرة سنة

انّ اسرحدون عادل سلفاءَهُ الابطال حماسةً وجرآءةً ولكنهُ فاقهم سماحةً. وعوضاً عن ان يسلخ جلد المغلوبين او يصلبهم كما كان يفعل اجداده كان هو يلاطفهم ويكرمهم. كان ايضاً سلفآؤه يخربون البلاد المفتوحة اماً هو فاجتهد بتعميرها. ومع كونه غازياً كان مولعاً ايضاً بالبنآء. وقد راينا كيف انهُ في اول سنة من ملكهِ عمّر مدينة بابل وزخرفها. وبنى ايضاً وكرّس في اثور واكاد ستة وثلاثين معبداً طلاها كلّها بصفائح ذهبيّة او فضيّة وجعلها تتلألأ كالشمس. وبنى ايضاً لنفسهِ قصراً فاخراً في نينوى فاق جميع القصور المبنيّة قبلاً. فانّ اثنين وثلاثين ملكاً من ملوك سوريا وفلسطين وفونيقي وجزيرة قبرس ارسلوا اليهِ قُرَم الصنوبر والارز والسرو. وكان سقف القصر مبنياً بخشب الارز ومنقوشاً بنقوش متنوعة وهو يستند على أعمدة من سرو مطوّقة بالذهب والفضة. وعلى الابواب تماثيل أُسود وثيران من حجر. ومصاريع الابواب كانت من الابنوس والسرو ومرصعة بالحديد والفضة والعاج. وكان الاثوريون قد استغربوا كثيراً ابا الهول الذي رأوه في مصر. فاقتدى اسرحدون بالمصريين وصوّر مثلهُ صوراً كثيرة ووضعها على ابواب القصر. وانتهت عمارته في ثلاث سنين (٦٧١—٦٦٩)

الفصل الثامن

اسوربانيبال (٦٦٨ — ٦٢٧)

تتويج شمشوموكين على بابل — تذليل مصر ثانيةً — اسر تلنداي امير كيربيت — خضوع جوجس ملك لودية — انتصار تندماني الحبشي على الجيوش الاثوريّة —

محاربة اسوربانيبال الاولى لعيلام — انتصاره على تندماني وافتتـاح مصر ثالثة — عصيـان المادّيين — محاربتهُ الثانية لعيلام — محالفة بابل وعيـلام على اثور — افتتاح بابل وموت شمشوموكين — عصيان مصر — قهر العرب — فتنة في شوشان ودخول الاثوريين اليهـا — غارة على بلاد العرب — جعل عيلام ولاية اثوريّة — وفاة اسوربانيبال

بعد موت اسرحدون ملك ابنهُ اسوربانيبال(١) على اثور وشمشوموكين على بابل. وحيث ان ملوك بابل كان يجب عليهم ان ياخذوا التاج الملوكيّ من بيل وانّ تمثال هذا الاله كان في هيكل الاله اشور في نينوى منذ عهد سنحاريب الملك اقتضى ان يُرسل الى بابل لكي يتتوّج هنـاك شمشوموكين. فأُخرج هذا التمثال من نينوى برهج لا مثيل لهُ. ورافقهُ الملكان الى بابل. فخرج جميع سكـان المدينة للقائهِ وهم يرتلون تراتيل الفرح وادخلوه الى هيكلهِ بزياح عظيم فمسك شمشوموكين بيدي بيل الاله وهكذا قبض على زمام مملكة بابل.

وكان ترتان من بعد وفاة اسرحدون قد ترأس على قيادة الجيوش الزاحفة على مصر وكان ترهاق الملك ينتظر الاثوريّين في كاربانيت في دلتا. فانتشب القتـال بين الطرفين وكانت النصرة للاثوريين سنة ٦٦٧ فهرب ترهاق الى مدينة ثيبس وتحصن فيها. فتتبعهُ الاثوريّون وانتهوا الى ثيبس باربعين يوماً. وكان اسوربانيبال قد ارسل ربشاقي الى مساعدة ترتان وانضم اليهِ جيوش ملوك السريان ايضاً وامر الفونيقيّين ان يذهبوا بسفنهم الى دلتـا فيصعدوا بها النيل. ثم لحق هو ايضاً بجيوشه الى مصر. فخاف ترهاق خوفاً شديداً وهرب من ثيبس الى نافاطا قاعدة بلاد الحبشة. فطلب سكان ثيبس الصلح. فـدخل الاثوريّون المدينة واخذوا نصف ما كان في خزائن هيكل امون. ورجع اسوربانيبال الى نينوى غانماً منصورًا

ثم ان امرآء مصر ائتمروا سرًّا مع ترهاق على قتل الاثوريين الذين في مصر عن آخرهم على ان يُجلسوه هو على سرير الفراعنة ويحكموا هم كل واحد منهم في

(١) عن اسور بانيبال راجع سميث: تواريخ اسور بانيبال ١٨٧١ ومجلّة الكتاب المقدّس مجـ ٣٤٥–٣٦٤ وماسپيرو: جـ ٣٨١–٤٦٤ وماسيرو: ص ٥٤٣–٦٠٦

بلده. فوقعت رسائلهم بيد الاثوريين وللحال قبضوا على اصحاب المؤامرة وكانوا ثلاثة: شرلوداري ملك ثانيس وفاقور ملك فيسوفي ونخا ملك صعيد المارّ ذكره. ونكلوا بهم اي تنكيل وارسلوهم الى نينوى. لكنّ اسوربانيبال اكرم نخا وخلع عليهِ ثياباً نفيسة واعطاه سيفاً غمده من ذهب وعجلة وحصناً وبغالاً. وردّ عليهِ مدينة سائس وجعل ابنهُ البكر بساطيق اميراً على اثريبس. وسمّاه نبوشيزباني (١). واستمرّ نخا اميناً مع اسوربانيبال كما سترى

ولمّا كان الاثوريون يحاربون في مصر اغار تانداي امير كيربيت في الجهة الشرقيّة على اقليم يوتبال. فحمل عليهِ القواد الاثوريون وقبضوا عليهِ ونفوه هو وشعبهُ الى بلاد مصر

اما القائد الذي كان يحاصر مدينة صور منذ نحو اربع سنين فقد توفّق اخيراً على فتحها. فانّ بعل ملكها طلب الأمان وسلّم للاثوريين وليّ عهدهِ واحدى بناته وقدّم لهم ذهباً وفضة كثيرة. ففرض عليهِ اسوربانيبال الجزية وتركهُ على تخت مملكته

وفي تلك الاثناء اي نحو سنة ٦٦٧ ارسل جوجس ملك لودية رسلاً مع هدايا كثيرة الى نينوى. وقد جاء في آثار اسوربانيبال ما ملخصه: انَّ جوجس ملك لودية الموجودة وراء البحور والتي اسمها لم يكن قد طرق مسامع اجدادي الملوك قال لهُ اشور ربّي في الحلم: اذهب واركع عند قدمَي اسوربانيبال ملك الاثوريين. فانك بمجرد اسمهِ تقهر اعداءك. فارسل جوجس رسلهُ ونقل اليَّ ما رآهُ في الحلم ولم يعرف احد من الذين في معيتي لسانهُ. ففتشت في مملكتي الواسعة ووجدت اخيراً من يعرف لسانه.»

انَّ ترهاق ملك مصر والحبشة كان قد مات سنة ٦٦٦ في نافاطا حيث هرب. وجلس مكانه صهره تندماني. وكان جسوراً. فنزل النهر ليستولي على مصر. وحاصر مدينة منف وافتتحها وانتصر على الاثوريين وعلى حلفائهم المصريين وتتبعهم حتى دلتا. وقُتل نخا في هذه المعركة واماَّ ابنهُ بساطيق فهرب الى سوريا. وتحصّن امراء مصر كل واحد في مدينته منتظرين ان تاتيهم النجدة من اثور. وحاصر تندماني

(١) ܢܒܘ ܫܘܙܒܢܝ يا بو خلّصني

مدنهم لكنهُ لم يقدر ان يفتحها . واخيرًا عقدوا معهُ الصلح واعطوه هدايا فرجع الى نافاطا

ولمَّا بلغت هذه الاخبار المحزنة مسامع اسوربانيبال وكان مشغولًا بمحاربة عيلام لم يقدر ان يحمل السلاح على مصر ليقهر الملك الحبشي . لان اورتاقو ملك شوشان حالف القبائل الارامية التي على سواحل خليج فارس فعبر دجلة وهجم على كلدو سنة ٦٦٥ . واذ لم يقدر شمشوموكين على مقاومتهِ تحصن في بابل وسأل اخاه المساعدة . فبادر اسوربانيبال الى مساعدته . فهرب الملك اورتاقو ورجع الى بلاده حيث مات غفلة . وجلس مكانهُ اخوه الاصغر تيومان . واراد هذا الملك الجديد قتل اولاد اخيه اورتاقو . فالتجأوا الى نينوى . فرحَّب بهم اسوربانيبال رجاء ان يتداخل في امور عيلام



اسوربانيبال ملك آثور

فلمَّا كانت سنة ٦٦٤ زحف اسوربانيبال بجيوشه على مصر . وجمع تندماني عساكره في اطراف ثيبس . فصعد الاثوريون النيل وبعد ستة اسابيع بلغوا الى ثيبس ولمَّا رآهم تندماني مقبلين اليهِ بعزم شديد اسرع فهرب الى قينقيب في بلاد الحبشة فهجم الاثوريون على ثيبس وافتتحوها ونهبوها واسروا جميع سكانها رجالًا ونسآء وارسلوا الى نينوى كل ما وجدوا فيها من الذهب والفضة والنحاس والاحجار الكريمة . وكان في جملة المنهوبات هرمان كبيران كانا على باب احد الهياكل ثقلهما مائة وزنة . وكان بساطيق بن نخا قد رافق الاثوريين من سوريا فاجلسهُ اسوربانيبال مكان ابيهِ ورجع الى نينوى بغنيمة عظيمة

انَّ انخذال مصر القى الرعبة في قلوب جميع الامم . ومع ذلك لم يزل بعض الملوك يتكلون على اماكنهم المنيعة ويخلعون طاعة اثور . او يباشرون غزوة في اراضيها . لكن القواد الاثوريين كانوا ينكلون بهم سريعاً . ومن جملة هولآء الملوك كان احشيري ملك مناي (١) . فارسل عليهِ القواد الاثوريون قسماً من جيوشهم .

---

(١) في اطراف بحيرة وان

واحتال احشيري فانقضّ ذات ليلة غفلة على المعسكر الاثوري. لكنهُ غُلب وانهزم وافتتح الاثوريون ثمـاني مدن من مدنه المحصنة ونهبوها. فهرب احشيري من عاصمته إيزيرتا وتحصن في قصر كان لهُ في الجبل. ولمّا راى رجالهُ ان لا فـائدة من المدافعة حملوا عليهِ وقتلوه والقوا جثتهُ خارج المدينة وبايعوا ابنهُ أُوَاني. فسلّم أُواني للاثوريين وقدّم لهم هدايا جزيلة. وفي تلك المدة ايضاً تحالف احد امرآء مـادي المسمى بيريزحادري مع اثنين من ملوك زاحي واغار على الحدود يريد الغزو. فقُبض عليهِ وعلى رفيقيهِ وأُرسلوا الى اثور. وقُبض ايضاً على انداريا امير لوبدي الذي كان قد عفا عنهُ اسرحدون وقُطع راسهُ وأُرسل الى نينوى. لانهُ تجـاسر وهجم على كوليمير

انَّ هذه الحروب في الحدود الشرقيَّة الشمالية لم يكن لهـا اهميَّة عظيمة. وانما الخوف كان من جهة عيلام. فانَّ تيومان الملك منذ كسرتهِ لم يزل يستعدّ للمحاربة واجتهد ان يستجلب اليـهِ الاقوام الارامية الكلدانية المقيمـين على سواحل دجلة بين عيـلام وكلدو. ولم يجب الى سؤاله سوى دونانو ملك كامبولا. فحشد تيومان عساكره على سواحل اوقنو (١) . وقبـل ان يعبر الحدود ارسل اثنين من قواده حومبدرا العيلاميّ ونبوماديق الكلداني الى اثور يطلبان اخراج اولاد اورتاقو من نينوى وكان اسوربانيبال حينئذٍ في اربيل يعيّد عيد الآلهة إستارا. فرفض طلب العيلاميّ واعلن الحرب. وزحف قوّاده على عيلام. فخاف تيومان وكرّ على اعقابه. وذهب فتحصّن في مدينة تُلّيز وكان موقعها منيعـاً . فانّ غاباً كثيف الاشجار كان عن يمينها ونهر أُولاي (٢) عن يسارها. وكان معه جميع شبان اشراف عيلام. وحالما شبّت الحرب دخل الخوف في قلب تيومان فارسل احد قواده المدعو ايتوني الى الاثوريّين ليضرب معهم المهادنة . لكن القتال كان قد انتشب بين مقدمّتي الجيشين وامتدّ في لحظة عـين الى كلّ الصفوف وكان شديداً طويلاً . اخيراً انتصر الاثوريون على ميسرة العيلاميّين واسقطوها في نهر أُولاي . فامتلأ النهر من جثث القتلى ومن الخيل والاسلحة وقطع العربات المكسّرة. وامّا الميمنة فهربت الى الغاب متوجهة نحو الجبل . فلحق الاثوريون في اثر العيلاميّين واثخنوا فيهم الجراح.

---

(١) نهر كرخه الحالي (٢) نهر كارون الحالي

وكان الملك تيومان في جملة الهاربين . وانكسرت عربته فلحقه الاثوريون وقتلوه هو وابنه . وقطعوا راسه وارساوه الى اربيل . وكان اسوربانيبال يتنزّه حينئذٍ في البستان بصحبة الملكة . فامر براس الملك العيلاميّ ان يُعلّق على خشبة ليكون على مرأى من كلّ حاشيتهِ . وبلغ خبر قتل تيومان وهزيمة جيشه بسرعة الى شوشان . فاضطربت فيها نار الفتنة . فانّ حزب الامرآء المنفيّين قام على عائلة تيومان وقبض على اولاده وسلّمهم بيد الاثوريين . لا بل انّ جمًّا غفيرًا من اهل شوشان رجالًا ونسآء لبسوا ثياب العيد وخرجوا للقآء الاثوريّين . وكان يتقدمهم الكهنة والمغنون وهم يدقون بآلات الطرب والصبيان يرتّلون تراتيل الفرح . ونصب الاثوريّون ملكاً على عيلام حومبانيجاش بن اورتاقو وكان قد حارب بصفوفهم وفرضوا عليه الجزية . ثمّ انثنوا من هناك على كامبولا وادخلوها في طاعتهم واستاقوا الملك دونانو اسيرًا الى اثور حيث سلخوا جلده وهو حيّ .

ولكنّ الخطر العظيم الذي كان موجودًا على اثور كان من جهة بابل . فانّ شمشوموكين كمّل ما كان اسرحدون بناه في بابل وحصّن المدينة . وصرف همته في اصلاح احوال البابليين وجعل المساواة بينهم وبين الاثوريّين في كلّ الامور . وكان اخوه اسوربانيبال يساعده في اوّل الامر على ذلك . ولكنّه لما امتدت شهرته في الآفاق تكبّر وبدأ يعامل اخاه شمشوموكين كانّه من اتباعه . فشقّ ذلك على شمشوموكين ورام الاستقلال . فاجتهد في محالفة الملوك الذين مثله كانوا يستثقلون نير نينوى . فاستجلب اليه الكلدان الذين على سواحل البحر ودخل ايضاً في هذه المؤامرة كلّ القبائل الارامية الكلدانية التي على سواحل اوقنو والفرات وملوك فونيقي وملوك العرب . واخذ ملك قيدار على نفسه ان يُشغِل حدود سوريا . وعُويتّه بن ليلي وعد بارسال النجدة الى بابل . وحومبا نيكاش ملك عيلام نفسه اضمر السوء على المحسنين اليه . لانّ اسوربانيبال امره ان يبعث الى اوروك تمثال الإلهة نانا الذي كان كوتورناحونتا سلبه منها قبل ستّة عشر جيلًا . فكانت هذه المحالفة مخيفة تمتدّ من البحر المتوسط الى خليج فارس . واسوربانيبال كان يجهل ذلك . والذي ايقظه من غفلته وعرّفه بالخطر العظيم المحيط به هو انّ احد اصحاب شمشوموكين دخل مدينة أُور واجتهد سرًّا بان يحمل الاهالي على

الاثوريين · فاتّصل ذلك بالحاكم الاثوريّ الذي في المدينة وهذا كشفه الى حاكم اوروك وهذا نقله الى اسوربانيبال · امّا شمشوموكين فاخفى الامر واظهر تعلّقه باثور وطنه وارسل الى نينوى وفدًا ليقدّم الطاعة لاخيه · ولم يكن ذلك الّا ليتمكّن من تجهيز عساكره · فانه حالما رجع الوفد الى بابل اعلن الحرب على اثور · وكان ذلك سنة ٦٥١

فارسل حومبانيكاش ملك شوشان جيشه الى بابل لمساعدة شمشوموكين تحت قيادة اونداش بن تيومان وزازاز امير بيلاتي وپارو امير حيلمون وغيرهم · وقال لأونداش : اذهب وخذ من اثور ثار ابيك الذي ولدك · فلاحت النصرة أولًا للاثوريين وقتلوا احد قوّاد عيلام وبعثوا راسه الى نينوى · ثمّ صارت الدائرة عليهم · فانّ الاراميّين انتصروا على الجيش الاثوريّ الذي في اوروك واستولوا ايضاً على اور · لكن الاحوال ساعدت الاثوريّين · فانه في تلك الاثناء حدثت فتنة في عيلام · فانّ تماريتا اخا حومبانيكاش لما رأى اخاه وحده في عيلام ائتمر عليه وقتله وجلس مكانه · ولِئلا يقال عنه انّه متحزّب للاثوريّين ارسل حالًا نجدةً لملك بابل · وفي تلك الاثناء كان قسم من الجيوش الاثوريّة قد انقضّ على سواحل خليج العجم واخضعها · وتولّى عليها رجل شريف الاصل يقال لهُ بيلبيني · ثمّ انّ فتنة اخرى حدثت في عيلام جعلت شمشوموكين ان يبقى وحده بلا معين · فانّ رجلًا من رجال مملكة عيلام اسمهُ يندابيكاش قام على تماريتا يريد قتله فهرب الى مستنقعات خليج فارس وركب سفينة هو واخوته واولاد اعمامه وسبعة عشر من الامرآء المتحزّبين لهُ وستة وثمانون رجلًا من اتباعه · غير ان السفينة اتت بهِ الى سواحل ارض كلدو حيث كان بيلبيني · فقبض عليه هذا الحاكم وارسلهُ هو ورفاقهُ الى نينوى · ورحّب بهِ اسوربانيبال وعفا عنهُ وادخله الى قصره معزّزًا · ولما ما كان من امر يندابيكاش فانّه رأى الانسب ان يستدعي الجيوش العيلاميّة من بابل الى ان يستوثق له الامر · وكان ذلك سنة ٦٥٠

ومع هذا كلّه لم ييأس شمشوموكين بل واصل الحرب الى النفس الاخير من حياته · وكان الاثوريون قد شدّوا الحصار على بابل وحجزوا عنها كلّ منفذ · فحدث فيها جوع عظيم بلغ مبلغاً جسيماً حتى صار الناس يأكلون اولادهم · واجتهد العرب

ان يقطعوا صفوف الاثوريين فيتخلّصوا فلم يمكنهم ذلك . فسلّموا بشرط ألّا يُقتَلوا بحدّ السيف . وكذلك اهـل بابل جبرتهم الضيقة ان يعصوا على ملكهم شمشوموكين ويعقدوا الصلح مع الاثوريين فدخل الاثوريون المدينة وهجموا على قصر الملك . فضاق صدر شمشوموكين ولم يرد ان يقع اسيرًا بيد اخيه . فاحرق قصره وباد بالنار هو ونسآؤه واولاده قاطبة .

اما القصاص الذي حلّ بالعصاة فكان شديدًا صارماً . قال اسوربانيبال في اثاره : « حلّ غضب ساداتي الآلهة العظيمة وثقل عليهم . ولم يتخلّص واحد منهم . ولم يشفق على واحد منهم . كلّهم وقعوا في يديّ . واتوني بعرباتهم وعدّتهم الحربيّة ونسآئهم وخزائن قصورهم . اني قطعت السنة الذين خانوني وائتمروا عليّ وعلى اشور ربّي واهلكتهم تماماً . وجيء بالآخر قدام الثيران العظيمة التي سنحاريب جدّي صنعها من حجر فرميتهم الى الخندق وقطّعت اعضآءهم وجعلتهم فريسة للكلاب والحيوانات الوحشيّة والجوارح والحيوانات البرّيّة والبحريّة . وبهذا كلهِ فرّحت قلب ساداتي الآلهة العظيمة . واماّ سائر بنو بابل وكوتا وسپارا الذين احتملوا العذابات ومشقّات الجوع فغفرت لهم وامرت ان يبقوا سالمين . ووضعت عليهم سنّة اشور وبلتي إلهَي اثور . وضربت عليهم الخراج والجزية المضروبة عـلى سائر ولايات مملكتي . »

ولو علم اسوربانيبال انّ بابل مزمعة ان تُخرب عمّـا قليل نينوى عاصمتهُ وتقرض مملكته لاستأصلها نظير جدّه سنحاريب ودكّ اسوارها . غير انه قبل خروجهِ منها قبض على يدَي بيل الآله وجعل نفسه ملكاً على بابل واتّخذ لهُ اسم قندلانو . ثمّ ولّى عليها قائدًا من قواده يقال لهُ شمشادناني ورجع الى نينوى غانماً مظفرًا . وكان ذلك سنة ٦٤٨

امّا مصر فاغتنمت الفرصة من هذه المحاربات الطويلة الشديدة واستقلّت من اثور بهمّة بساطيق بن نخا الذي كان اسوربانيبال قد غمره باحساناته . فطرد الجيوش الاثوريّة واستولى على بلاد مصر كلّها . والذي اعانه على ذلك جوجس ملك لودية المارّ ذكره .

اما اسوربانيبال فرأى الانسب ان يقاصص اولًا الاقوام الذين حالفوا بابـل

عليهِ . وبدأ في العرب . وفوّض الامر بذلك الى حكّام ادوم ومواب وعمون وحوران ودمشق . فحملوا عليهم وقهروهم في كلّ الجهات وادخلوهم في طاعة اثور . وقبضوا على كثيرٍ من امرآئهم وارسلوهم الى نينوى .

ولمّا فرغ اسوربانيبال من امر العرب بدأ في امر عيلام . وكان ينّدا بيكّاش ملكهم قد اجار بعض امرآء الكلدان وفي جملتهم نبوبيلشوم ملك بيت ياقين . فانكر ذلك عليهِ ملك اثور وارسل اليهِ من يقول لهُ : « ان لم تسلّم اليّ هؤلآء الرجال الذين اجرتهم فاني اذهب اليك واخرب المدن واستاسر اهل شوشان ومادكتو وحيدلو . وانزّلك من عرشك وانصب اخر مكانك . ومثلما سحقت قبلًا تيومان كذلك اسحقك انت ايضاً . »

وقبل وصول هذا الخبر الى ملك عيلام قام عليهِ عظمآء مملكته وقتلوه واجلسوا مكانهُ حومبانخلداش (١) فاحتال اسوربانيبال ليضرم نار الفتنة في عيلام . وكان تماريتا بعده في نينوى . فارسل معه عساكره لكي يملّكوه على عيلام . وانضمّ اليهِ كثير من العيلاميّين ايضاً . وسلّمت لهُ مدن كثيرة . غير انّ بيت إيبي قاومته وكانت منيعة جدًّا . فشدّ عليها الاثوريّون الحصار وافتتحوها . وقتلوا فيها خلقاً كثيرًا واسروا الباقين ونفوهم الى اثور . وكان في جملة الاسرى إيبابي القائد صهر حومبانخلداش ولما سمع ملك عيلام بافتتاح بيت ايبي هرب من شوشان وتحصّن في الجبل . فدخل تماريتا منصورًا الى شوشان وجلس على عرش المملكة . وبعد مدّةٍ يسيرة خان الاثوريّين الذين اجلسوه على سرير الملك ونوى على قتلهم . لكنّ مكيدتهُ كُشِفت فقبضوا عليهِ وارسلوه مكبّلًا بالسلاسل الى نينوى . وكان الشتآء قد حان . فخرج الاثوريون من شوشان ونهبوا البلاد التي مروا بها ورجعوا غانمين الى بلادهم وكان ذلك سنة ٦٤٧

ولمّا خرج الاثوريون من شوشان رجع حومبانخلداش وملك فيها كالسابق . بحيث انّ جيوش اسوربانيبال لم يستفيدوا شيئاً من غزوتهم هذه . فانّ نانا الإلهة لم تزل في قبضة عيلام والملك نبوبيلشوم بقي عندهم . فلمّا كانت سنة ٦٤٦ طلب اسوربانيبال من جديد ارسال نانا وتسليم نبوبيلشوم . فرفض ملك عيلام طلبته

(١) انّ الاب دورم يسمّيه أُمّاً نالداسي (مجلة الكتاب المقدس ١٩١١ ص ٣٥٧

هذه . فاغار ملك اثور على عيلام . ففتحت لهُ بيت ايبي ابوابها . وسلّمت لهُ راشي وحمانو ايضاً . وكان الملك العيلاميّ في مدكتو . فلمّا قرب منهُ الاثوريّون هرب الى مدينة دورأونداسي . وكانت على ساحل نهر إيديدي . فطارده الاثوريّون . وكان النهر فائضاً جدًا فوقفوا هناك يومَين لا يتجاسرون على العبور . ثمّ اخذتهم الحميّة واجتازوا النهر واحرقوا اربع عشرة مدينة وعددًا لا يحصى من القرى . فاسرع حومبانخلداش وهرب الى الجبل . واستولى الاثوريّون على عشرين مدينة ثمّ دخلوا مدينة شوشان دفعةً ثالثة لانهم دخلوها مرّةً بعد واقعة تلّيز واخرى بعد افتتاح بيت إيبي . ولكنّهم لم ينهبوها في هاتين الدفعتين بل دخلوها بصفة حلفاء يحضرون تتويج ملكٍ حليف ملكهم . ولكن في هذه المرّة الثالثة دخلوها بصفة أعداء . فأساءوا بها كلّ الاساءة . وكانت الغنيمة عظيمة ودام النهب شهرًا كاملًا . وكان كنز الملك ممتلئاً ذهباً وفضة وغير ذلك من الاشياء الثمينة . وجاء في كتابات اسوربانيبال ما نصه : « اني بارادة اشور و إستارا دخلت قصورها واسترحت فيها متعجرفاً وفتحت الكنوز واخذت الذهب والفضة وكل ما وجدت من الاموال والخيرات التي كان ملك عيلام الأوّل وخلفاءهُ قد جمعوها والتي لم يكن احد الاعداء قبلي قد مدّ يده عليها . واخذت ايضاً تمثال الإله شومشيناك الساكن في الغابات والذي لم يكن احد قطّ قد راى وجهه الالهي واخذت تماثيل الآلهة سُمدو ولغمار وفرنيكيرا وامان كشيبار واودوران وشفاف . فسبيت الى اثور كلّ هذه الآلهة وهذه الإلهات مع ثروتها وكنوزها وزينتها وكهنتها وعبادها . وارسلت ايضاً الى اثور اثنين وثلاثين تمثالًا من تماثيل الملوك وكانت كلّها من الذهب والفضة والنحاس . . . وكسّرت الاسود المجنّحة والثيران التي تحرس قصور بلاد عيلام . . » وكان تمثال الإلهة نانا بين هذه التماثيل فارسله اسوربانيبال الى مدينة اوروك ونصبهُ في هيكله القديم بزياح عظيم . وقد بقي منفياً ١٦٣٥ سنة

وهكذا رجع الاثوريّون الى نينوى سائقين غنيمة جسيمة لا تقدَّر واسرى كثيرين . ومن بعد خروجهم نزل حومبانخلداش من الجبال . وحيث انّ شوشان خربت ذهب فجلس في مدكتو . وائتمر عليه رجل اسمه باثي ولم يقدر عليه فهرب باثي

والتجأ الى اسوربانيبال . وحيث انّ تمثال نانا قد أُخذ من عيلام ونُقِل الى مكانه الاول ظنّ حومبانخلداش ان اسوربانيبال لم يعد يتعرض له . ولكن خاب امله . فانّ ملك اثور طلب من جديد إبعاد نبوبيلشوم من عيلام . فاحتار حومبانخلداش في امره . واتصل الخبر بنبوبيلشوم . فامر حامل سلاحه ان يقتله . فابى الخادم ان ينفصل من مولاه فقتل بعضهما بعضاً . فمُلِحت جثة نبوبيلشوم وراس خادمه وأُرسلا الى نينوى . ومع هذا كله لم يخلص حومبانخلداش من غضب اسوربانيبال . فانّه قصد محو عيلام بالتمام . فارسل عليهِ جيوشه . ولحقته في الاودية والجبال ثمّ اضطر اخيرًا ان يُسلّم للقواد الاثوريّين . وسيق الى بابل حيث القي في الحبس . واستولى اسوربانيبال على عيلام وولّى عليها قوّاده

وفي تلك المدّة كان عيباثة ملك العرب الجديد قد انتهز الفرصة واقصر عن اداء الخراج واقتدى بهِ نادان ملك النبطيين في اطراف حوران والملك هُوَينة . فلمّا كانت سنة ٦٤٢ خرج الاثوريون من نينوى وعبروا الفرات وتوغّلوا في الصحراء . واجتازوا ببلاد ماش وأزلّا وقيدار وهم يقطعون الاشجار ويسدّون الآبار ويحرقون الخيم ويستاقون الناس والمواشي ودخلوا دمشق بغنيمة عظيمة . وفي اليوم الثالث من شهر آب خرجوا من دمشق متوجّهين نحو النبطيين في اطراف حوران وحاصروا مدينة حلحولتي وافتتحوها واستولوا على كل تلك البلاد . واسروا الملك عيباثة وضربوا الجزية على الملك نادان . وفي رجوعهم نكّلوا بمدينتَي عكا وأُوشا في فونيقي لعصيانهما عليهم . ورجعوا الى نينوى بغنيمة جسيمة حتى ان الجمل بيع على ابواب نينوى بنصف مثقال فضّة

هنا تقف آثار اسوربانيبال عمّا باشرهُ من الحروب والغزوات . فالظاهر انهُ اكتفى بفتوحاته هذه ولم يفكر بحمل السلاح على مصر لكي يخضعها من جديد لانها كانت بعيدة والمحافظة عليها صعبة . وقد دلّتهُ فطنتهُ السياسية على ذلك . لان المملكة اتّسعت جدًا جدًا . فكانت تشتمل على كلدو الجنوبية وكلدو الشمالية وعلى عيلام ومادي وفارس ومناي وارارطو مع ارمنية كلها وتوبال وماشك وقيليقية ولودية وقبرص وسوريا كلها واسرائيل ويهوذا وفلسطين وفونيقي وعمون ومواب وادوم وقبائل العرب المتعدّدة . وكان اسرحدون واسوربانيبال قد أخضعا

مصر ايضاً واذلّاها. فكان يقتضي يد ماهرة قويّة شديدة للقبض على زمام هذه الامم الكثيرة العدد المختلفة الاجناس والاطوار والمائلة دائماً الى العصيان

فحسناً اذن عمل اسوربانيبال باضرابه عن غزوات جديدة. فصرف باقي ايام حياته ببناء الهياكل وزخرفة القصور. فجدَّد القصر الذي بناه جدّه سنحاريب وزخرفهُ وشيَّد ابنية كثيرة في اثور وفي بابل واور واوروك وبورسيبا وكرتا ونيبور. وبلغت صناعة النقش والتصوير في ايامه الى درجة سامية من الكمال كما تدلّ على ذلك التصاوير التي صُنعت في زمانه. ومماَّ اشتهر بهِ ايضاً محبته للعلوم وخدمته للآداب الكلدانية الاثورية. فانهُ استجلب من مكاتب بابل وغيرها من المدن الكلدانية كل ما وجدهُ من الكتب القديمة في آداب الكلدان وعلومهم وصنائعهم وتواريخهم وديانتهم واستنسخها كلها فانشأ مكتبة فاخرة جليلة في نينوى. وقد وصل الينا بقايا هذه المكتبة الثمينة. وقد نُقِلت كلها الى لندن عاصمة الانكليز. وقد ألَّف الدكتور بترولد الانكليزي كتاباً نفيساً في هذه مكتبة نينوى. وقال الاب لويس شيخو بوصفهِ هذا الكتاب ما نصهُ:

«قد وكلت ادارة المتحف البريطاني في لندن الى الدكتور بترولد تدوين قائمة الصحائف المسمارية التي وُجدت في نينوى. فقام ذاك الاثريّ الشهير بهذا العمل وانجزهُ بعشر سنوات من ١٨٨٩ الى ١٨٩٩. فاستحقّ شكر كل المستشرقين. وقد اطلعهُ هذا الشغل على كل اسرار الاشوريين في اقامة المكاتب وتجهيزها. وكان جنابه في تأليفه المعنون «نينوى وبابل» قد بيَّنما تحتويهِ مكتبة نينوى من الاعلامات والفوائد لتاريخ بلاد ما بين النهرَين. واليوم قد وضع مصنفاً جديداً شرح فيهِ كل ما ينوط بهذه المكتبة النينويّة ومحتوياتها واصناف صفائحها. وقد كان اكتشاف هذا الكنز الثمين في كوينجيك (قوينجق) قريباً من الموصل بين اخربة قصور نينوى القديمة. وكان الذي باشر بالتفتيش عن هذه الاثار المسيو ليارد السنة ١٨٤٦ ثمَّ تتبَّعها رولنسن ورسام وسميث وبدج الى كنغ في السنة ١٩٠٣. وقد بلغ عدد الصفائح المكتشفة ٢٠،٠٠٠. وهو لعمري عدد بليغ يدلّ على ترقي البابليين في معارج المدنية. والمسيو بترولد يدقّق الوصف في هذا الكتاب ويبيّن كل خواصّ هذه المكتبة البابلية الشريفة كمواد الصفائح... وكل كتاب يتركّب

من صفائح متعدّدة على هيئة معلومة وقطع واحد وهامش مضبوط وتذييلات وتصحيحات الى غير ذلك ممّا الفهُ اصحاب المكاتب المحكمة الترتيب الراقية في الحضارة ... فترى من هذا انَّ القدماء قد سبقوا اهل عصرنا منذ نحو الفين وستمائة سنة في تنظيم المكاتب وتموينها بالكنوز الادبية (١) »

ان اسوربانيبال ملك اكثر من اربعين سنة . وقال عنهُ ماسپيرو (٢) انهُ مات نحو سنة ٦٢٥ وكذلك قال ايضاً الاب دورم(٣) . والاصحّ ان وفاته كانت في سنة ٦٢٧ كما يقول دي مور في تأليفه المعنون : نزاع الدولة الاثورية الكبرى وانقراضها (٤) فان بيروز المؤرّخ الكلداني قال عن اسوربانيبال انهُ صار ملكاً على بابل احدى وعشرين سنة. والمعروف ان هذا الملك في سنة ٦٤٨ قهر اخاهُ شمشوموكين واتخذ لقب ملك بابل (٥) فتكون اذًا وفاته سنة ٦٢٨ او ٦٢٧

انَّ اسوربانيبال كان متبصِّرًا في امور السياسة . ومع كونه قاسياً ظالماً نحو الاعداء ظهر شفوقاً نحو بعض المغلوبين وغمرهم باحساناته . وذلك امَّا لكي يجعلهم من حزبه كما فعل مع نخا ملك صعيد او لكي يزرع الفتنة بواسطتهم بين اعدائه فيتهيأ لهُ الاستيلاء على مملكتهم كما فعل مع امراء وملوك عيلام . وممَّا امتاز بهِ اسوربانيبال دون الملوك سلفائه انهُ لم يباشر هو بنفسه الغزوات بل كان يعهدها غالباً الى قوّاده . ولهـذا قد ذهب بعض علماء عصرنا (٦) انهُ ربما من اجل هذا ولكونهِ تفرّغ للعلوم قد ظلمهُ التقليد ظلماً فاحشاً ونسب اليهِ كذباً وافتراء باسم سردانابال عيوب الملوك المنصبّين الى الملاهي والمتقاعدين عن امور الدولة . ولكن في قولهم هـذا نظر . فان ما اتى في ترجمة اسوربانيبال لا يطابق ابدًا ما سُطّر عن سردانابال . وان ما حمل الاب دورم على هـذا القول هو مشابهة اسم سردانابال لاسم اسوربانيبال لاغير وقد رأينـا (٧) انَّ سردانابال هو نفس اسوردانابال بن شلمناسر الثاني

---

(١) المشرق : ١٩٠٥ ص ١٨٦ (٢) ج : ص ٤٨١

(٣) مجلّة الكتاب المقدس : ١٩١١ ص ٣٦٤ (٤) ص ٢

(٥) طالع ص : ١٢٧ من هذا الكتاب (٦) مجلة الكتاب المقدس ١٩١١ : ٣٦٣

(٧) طالع ص : ٧٨—٧٩

الفصل التاسع

انحطاط دولة اثور وانقراضها على يد الكلدان والماديين والاشكوزيين سنة ٦٠٨

انَّ تاريخ دولة اثور من بعد وفاة اسوربانيبال غامس في الظلمة . قال البعض انهُ بعد هذا الملك الجليل جلس مكانهُ ابنهُ اشورتيليلاني ثم نحو سنة ٦٢٠ ملك اخوه سينشاريشكين . وبايامه خربت نينوى وانقرضت دولة اثور (١) . وقال غيرهم انهُ بعد موت اسوربانيبال قام بالملك ابنهُ بيلزيكيريشكين ولم يملك سوى بضعة اشهر . فان اخاهُ اشورتيليلاني قام عليهِ وقتلهُ وجلس مكانهُ سنة ٦٢٦ . ثم ضبط ازمَّة المُلك سينشاريشكين (٢) . واماَّ الامر المعلوم فهو ان خلفاء اسوربانيبال كانوا كثيري الغفلة وهاة العزيمة وبايامهم خربت نينوى وان انقراض مملكة عيلام لم تنتفع منهُ اثور بل كان من جملة اسباب انقراضها هي ايضاً . فان الماديين انتهزوا الفرصة من انقراض مملكة عيلام فوسّعوا ملكهم وتقوّوا حتى استولوا على نينوى واخربوها

ان الماديين كانوا في شرقي اثور . وبلادهم منها جبلية تمتدّ من بحر قزوين الى جبال زكرا ومنها سهلية يحدّها جنوباً الاوقيانوس الهندي وشرقاً نهر هلمند . وكان الماديون منقسمين الى قبائل شتّى ويدفعون الجزية لملوك اثور . والظاهر انهم لم يرفعوا رأسهم الّا بعد انقراض مملكة العيلاميين . وان ما اتى في كتب الاوَّلين عن ارباق انهُ افتتح نينوى نحو سنة ٧٨٨ وقاتل سرداناپال الملك وقهره (٣) لا اصل لهُ ابداً . وقد اجمع العلماء رأيهم ان ارباق شخص وهميّ قد وضعهُ الفرس اظهاراً لشرف الماديين اخوتهم (٤) . وقيل انهُ ملك على الماديين فراورتي نحو سنة ٦٥٥ اي لما كان الملك اسوربانيبال في اتمّ السعد والاقبال . وكتب عنهُ هيرودوت المؤرّخ انهُ حمل على

---

(١) ماسپيرو: ج ٤٨٢ ; ومجلّة الكتاب المقدس ١٩١١ ص ٣٦٤

(٢) دي مور: نزاع دولة اثور وانقراضها : ص ٣

(٣) راجع ص ٧٩ من هذا الكتاب

(٤) ماسپيرو ص: ٥٥٩

الاثوريين لكنهُ غُلِب وسقط قتيلًا . وقال ماسپيرو (١) ان ذلك كان في سنة ٦٣٥ واماً دي مور (٢) فيضع هذه المحاربة سنة ٦٥٢ وقولهُ يبان لي أصحّ . فانهُ في تلك السنة عينها كانت جيوش نينوى تحارب في كل الاطراف فلا بدّ من ان فراورتي او فراورط كان من جملة حلفاء شمشوموكين ملك بابل (٣)

والتي في كتب مؤرّخي اليونان ان الماديين لم يفشلوا بهذه الكسرة . فان ملكهم كواصار بن فراورتي نظم امور الجند وقسّمهم الى مراتب مثلما كانوا عليهِ في اثور . وحالف نبوپلاسر ملك بابل وحمل على الاثوريين وقهرهم وشدّ الحصار على نينوى سنة ٦٢٦ . ومما خلّص هذه المرّة نينوى من الخراب هجوم الاشكوزيين على بلاد مادي . فاضطر كواصار ان يترك نينوى ويرجع الى وطنه لمقاتلة الاشكوزيين . وجرى القتال بينهم وبينهُ وكانت الدائرة عليهِ . ان الاشكوزيين شنُّوا ايضاً الغارة على اثور واحرقوا كل المدن والقرى وقتلوا خلقاً كثيرًا رجالًا ونساء ولم تتخلّص من ايديهم الّا مدينة نينوى . وذهب الاشكوزيون بغزواتهم الى بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين ولم يقفوا الّا عند حدود مصر . واينما ذهبوا اوقعوا الخراب والدمار

ثم ان الماديين احتالوا في التخلص من الاشكوزيين . فعمل كواصار وليمة دعا اليها ماديا ملكهم ورجال دولته . فغدر بهم وقتلهم قاطبةً نحو سنة ٦١٤ فاستكبر واراد ان ياخذ بثار ابيهِ من نينوى . وحالف ثانية نبوپلاسر ملك بابل وزوّج ابنته أميت بنبوكدناصر بن نبوپلاسر . وكان نبوپلاسر هذا في اول الامر والياً على بابل من قبل ملك اثور . ثم اتخذ لقب الملك ونشر لواء العصيان على نينوى . فحمل كواصار ونبوپلاسر على اثور . وكانت الدائرة على الاثوريين فتحصّنوا في نينوى . فشدّ عليها الحصار الماديون والبابليون واقاموا تحت اسوارها مدة سنين حتى افتتحوها واماً الملك سركوس وهو سينشاريشكين المارّ ذكره فضاق صدره ولم يرد ان يقع اسيرًا بيد الاعداء . فشعل النار في قصره وباد بها . وحدث ذلك سنة ٦٠٨ (٤)

---

(١) ص: ٥٦٥ (٢) ص: ١١ (٣) راجع سفر جوديت الفصل الاول

(٤) ان الاب دورم يضع تاريخ خراب نينوى في سنة ٦٠٧ (مجلة الكتاب المقدس ١٩١١ ص ٣٦٤

فدخل البابليون والماديون المدينة الجليلة ونهبوها واحرقوها وهدموا بيوتها وقصورها وهياكلها . غير ان البابليّين لم يشاركوا الماديين في نهب الهياكل واحراقها وذلك رعايةً للآلهة الساكنة فيها . فان آلهة اثور كانت آلهة كلدو ايضاً . واستأصل الاعداء المدينة كلها ومحوا رسومها حتى صارت كلها ردماً (١)

هذا ما كتبهُ المؤرّخون اليونانيون عن حصار نينوى وخرابها . واظن ان في قولهم نظرًا لانهُ أوّلًا انما بعد مرور جيلَين على هذه الحادثة قد كتبوا ما كتبوا عن الماديين وحربهم مع نينوى . وكل ما كتبوه تسلّموه من تقاليد الفرس . ومن المعلوم ان التقليد بكرور الزمان يزيد على الحوادث ويخلط بينها . ثانياً ان العلماء قد اجمعوا على ان كل ما سُطِر عن الملوك الماديين الاولين وهميّ لا اصل لهُ البتة . فانهُ يظهر من آثار الاثوريين انهُ الى سنة ٦٤٢ لم يكن للماديين مملكة بل كانوا مؤلفين من قبائل شتى لا رباط بينها(٢) . وان الملك المادي الذي افتتح نينوى اختُلِف في تعيين اسمهِ . فسمّاه البعض كواصار والبعض استواج (٣) . والظاهر ان كواصار او كياصار هو نفس أحشيري ملك مناي الذي في سنة ٦٦٤ انتصر عليهِ قواد اسوربانيبال وقتلوه (٤) . هذا وانهُ لا يُصدَّق بسهولة ان كواصار او استواج قتل في وليمةٍ ملك الاشكوزيين ورجال دولته . فان هؤلاء كان دأبهم نهب المدن والقرى واحراقها وقتل الناس رجالًا ونساء كبارًا وصغارًا . فكيف يحتمل انهم بعد انتصارهم على كواصار واستيلائهم على مملكته تركوه في قيد الحيوة وكيف أمَّنوهُ . ولهذا قد ذهب بعض علماء عصرنا ان كواصار لم يكن ماديًا كما كُتب عنهُ بل كان اشكوزيًا تسلّط على مادي ودامت فيها دولته الى ان قرضها كورش ملك الفرس (٥)

فنقول ان الاقرب الى الصواب انَّ الاشكوزيين والماديين سوية حملوا على مملكة اثور وقرضوها (٦) . وهذا يظهر من انهُ منذ زمن اسرحدون كان

---

(١) ماسپيرو: ج٣ ٤٦٤—٤٨٦ (٢) ماسپيرو: ٥٥٩—٥٦٣

(٣) راجع مجلّة الكتاب المقدس: ١٩١١ ص ٣٦٤ (٤) راجع ص ١٢٥ من هذا الكتاب (٥) ماسپيرو: ج٣ ٤٨٠ حاشية ٥

(٦) راجع ايضاً مجلّة الكتاب المقدس ١٩١١ ص ٣٦٤

الاشكوزيون لا يزالون يحملون الماديين على اثور (١) . وان هيرودوت نفسه (٢) يقول عن الاشكوزيين انهم تصادقوا اولاً مع الماديين . ومما يوئيد ايضاً قولنا هذا ما اتى في نبوة حزقيال عن ان هوءلاء الاشكوزيين الذين يسميهم جوج وماجوج كانوا مصحوبين في غارتهم هذه بجنود فارس وكوش وفوط وغامر (اركامر) وتوغرما وشعوب اخرى كثيرة حتى انهم اتوا مثل زوبعة وكغيم غطّوا وجه الارض (٣) ثم ان الماديين والاشكوزيين استجلبوا ايضاً اليهم العيلاميين والكلدان الذين على سواحل خليج فارس . وانضمّ ايضاً اليهم نبوپلاسر ملك بابل (٤) فحملوا سويةً على اثور وحاصروا نينوى واخربوها كما سبق القول

وكيفما كان الامر ان غارة الاشكوزيين هي التي صارت السبب الاول لانقراض دولة اثور العظمى . ومن اعجب الامور ان هذه الدولة الجسيمة انما عند بلوغها الى اعلى ذروة المجد والعظمة سقطت فجأةً سقطةً ابديةً . كما وان الكنيسة الاثورية الكلدانية لمّا بلغت هي ايضاً في الجيل الرابع عشر بعد المسيح الى اعلى درجة من المجد وامتدّت وانتشرت من بلاد الصين الى جزيرة قبرص ومن اقاصي ارمنية الى اقاصي بلاد العرب وقعت هي ايضاً غفلةً وقعة اليمة لم يمكنها ان تقوم منها . وسبب سقوطها كان ايضاً الاشكوزيون او اخوتهم المغول او التتر الذين قتلوا ونهبوا وسبوا بلا شفقة . فالاشكوزيون في غزوتهم الاولى قرضوا مملكة اثور . وفي غزوتهم الثانية ذلّلوا كنيسة اثور واخربوها

من عيوب السياسة الاثورية طمعهم المفرط في افتتاح البلدان دون اخذ الراحة ابداً . فان شركينا الثاني وسّع المملكة توسيعاً عظيماً . وابنهُ سنحاريب مع كونه مشغولاً دائماً في إطفاء نيران الفتن والعصيان في جميع انحاء مملكته اراد اخضاع العرب والمصريين ايضاً . واسرحدون حمل على مصر وافتتحها . واسوربانيبال قبل ان يفرغ من امر مصر حارب اخاهُ في بابل وزحف على عيلام ونهبها . فالمحافظة على كل

---

(١) طالع ص١١٧ من هذا الكتاب

(٢) هيرودوت : ܐ ٧٣—٧٤

(٣) حزقيال ܠܚ و ܠܛ

(٤) راجع دي مور : تراع دولة اتور العظمى وانقراضها ص : ٣ وماسپيرو : ܒ ٤٣٨

هذه البلاد الواسعة الارجاء المختلفة الحركات والاطوار كانت صعبة الى الغاية . فضلًا عن ان اولئك الشعوب كانوا ميّالين دائمًا الى العصيان . فالاثوريون عوضاً عن ان يعمّروا البلاد المفتوحة ويصلحوا احوالها كما تطلب السياسة الحقيقية كانوا هم بالعكس يوقعون فيها الخراب والدمار . وهذه الرذيلة كانت شاملة جميع ممالك الشرق دون استثناء . ولهذا نرى ملوك اثور منذ يوم جلوسهم على سرير الملك الى يوم نزولهم الى القبر مجبورين ان يطوفوا دائمًا في مملكتهم منتقلين من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ليقهروا العصاة وينكّلوا بهم . وحالما كان يجلس على تخت نينوى ملك واهي العزيمة غير مقتدر ان يباشر الغزوات مثل سلفائه كانت الدولة تبتدئ بالانحطاط والتزول

وجرى هذا الامر ثلاث مرّات: في سنة ١١٠٠ بعد وفاة تغلاتپلاسر الاول وفي سنة ٧٨٣ بعد موت ادادنيراري الثالث وسنة ٦٢٧ بعد وفاة اسوربانيبال . لكن في المرّة الاولى والثانية قام في اثور ملوك ذوو حزم وبأس اقاموها من سقطتها . او بالحري لم يوجد مَن ينتهز الفرصة من انحطاطها فيضربها ضربة قاطعة مميتة كما جرى في المرّة الاخيرة

الكتاب الرابع

دولة الكلدان العظمى الثانية (٦٠٨ — ٥٣٨)

الفصل الاول

نبوكد ناصر الثاني (١) (٦٠٤—٥٦٢)

غارة نخا الثاني ملك مصر على سوريا — قهر نبوكدناصر الاراميين الرّحل ونخا الملك —موت نبوپلاسر وجلوس نبوكدناصر — عصيان يوياقيم ملك يهوذا وخضوعه — حصار اورشليم ونهبها — عصيان اورشليم وفونيقي — محاصرة اورشليم الثانية—

(١) ان علماء عصرنا يكتبون نبوكودوروسور ومعناهُ: نبو يحامي عن تاجي . والعرب كتبوا بختنصّر

انتصار الكلدان على المصريين — افتتاح اورشليم واسر صدقيا — افتتاح صور — محاربة نبوكدناصر مع المصريين — ابنيته واحلامه

ان نبوپلاسر كان من اقدم العائلات الكلدانية. وكان اسوربانيبال او ابنه اسورتيليلاني قد ولَّاهُ على بابل . وبعد موت اسورتيليلاني اخذ نبوپلاسر لقب الملك. وكان خاضعاً لاثور الى نحو سنة ٦١١ . وفيها حالف الاشكوزيين والماديين على نينوى فافتتحوها وقرضوا مملكتها . وقد مرّ ذكر ذلك

فاقتسم الماديون والكلدان جميع البلاد الخاضعة للاثوريين . فاصاب الماديين البلاد الشمالية واصاب نبوپلاسر قسم من عيلام وبلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين. وحسب الكلدان ملوك مصر ايضاً من اتباعهم لانهم كانوا تحت حكم نينوى مع ان مصر كانت قد استقلّت منذ عهد اسوربانيبال . لا بل انها انتهزت الفرصة من محاصرة نينوى سنة ٦٠٨ فحملت على سوريا تريد اخضاعها . وكان ملك مصر يومئذٍ نخا الثاني ابن بسماطيق بن نخا الاوَّل صديق الاثوريين. وقتل نخا يوشيا ملك يهوذا واتى بفتوحاته الى الفرات وافتتح مدينة قرقيش (١). فخضعت لهُ كل بلاد السريان. والاراميون الرُّحل الذين بين خابور وباليخ استقلّوا هم ايضاً من بابل وانضمّ اليهم بعض الاشكوزيين والكمريين فحملوا على مدن ما بين النهرين وافتتحوا مدينة حاران مقرّ الاله سين ونهبوها

وكان نبوپلاسر قد طعن في السنّ فسيَّر ابنهُ نبوكدناصر على الاراميين والاشكوزيين. وكان نبوكدناصر وهو الذي يسمّيه العرب بختنصر ذا حزم وبأس. فاخضع تلك القبائل وضرب الخراج على حاران وادخل في جملة ولايات بابل نواحي سوبارو وصرف في ذلك ثلاث سنين (٢)

ولمَّا كانت سنة ٦٠٤ عبر الفرات. وكان المصريون ينتظرونهُ بالقرب من مدينة قرقيش. وكان جيشهم عظيماً جدًّا موَّلفاً من المصريين واليونان والحبشة وغيرهم.

---

(١) هيرودوت: ܒ ١٥٩ . و ٢ ايام: ܠܗ ٢٠-٢٤. و ٢ ملوك: ܟܓ ٢٩

(٢) ماسبرو: ܒ ٥١٦ وماسبرو: ٦٢٣-٦٢٤

فحمل عليهم نبوكدناصر بشدَّة وقتل منهم خلقاً كثيراً وكسرهم كسرة تامَّة وتتبَّعهم حتى اقصاهم الى حدود بلادهم (١) . وقال ارميا النبي واصفاً كسرة المصريين ما نصهُ: «قول الرب الذي صار الى ارميا النبي على الامم . على مصر وعلى جيش فرعون نخو ملك مصر الذي كان قرب نهر الفرات بكركميش الذي ضربهُ نبوكدناصر ملك بابل في السنة الرابعة ليوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا : اعدُّوا الترس والمجنّ . واخرجوا الى القتال . اسرجوا الخيل واركبوا يا ايها الفرسان وقفوا بالخوذات . اصقلوا الرماح . البسوا الدروع . لماذا رأيتهم فزعين وهاربين وشجعانهم مصروعون . وهربوا مُسرعين ولم يلتفتوا . المخافة من كل جانب يقول الرب . لا يهرب السريع ولا ينجو الشجيع . في الشمال عند نهر الفرات زلّوا وسقطوا . مَن هذا الذي يصعد كالنيل وكانهار تتلاطم امواجها . تصعد مصر مثل النيل . وكالانهار تتلاطم الامواج فيقول: أصعدُ واغشي الارض . اهلك المدينة وسكّانها اركبوا الخيل واهتاجوا بالمراكب . وليخرج الأَبطال . كوش وفوط للماسكان الترس . واللوديون الآخذون والرامون بالسهام . فذلك اليوم يوم الرب اله الجنود يوم نقمة . لينتقم من اعدائهِ . فيأكل السيف ويشبع ويروى من دمائهم . فان للرب اله الجنود ذبيحةً في ارض الشمال عند نهر الفرات . اصعدي الى جلعاد وخذي بلساناً يا عذراء بنت مصر تكثرين الادوية باطلًا . لا يكون لكِ علاج . سمعت الامم بخزيكِ وملأ الارض عويلكِ لان البطل يصدم البطل . . . . اكثر الساقطين . فيسقط بعض على بعض . ويقولون: انهض فنرجع الى امَّتنا والى ارض ميلادنا من وجه السيف الماضي » (٢)

ان نبوكدناصر بقهره المصريين تسلَّط على كل سوريا . وسلَّم لهُ يوياقيم . ملك يهوذا وغيره من ملوك تلك البلاد وقصد مصر يريد الاستيلاء عليها وانتهى الى مدينة بلوسية وفيما هو كذلك اذ نُعي اليهِ موت ابيهِ . ولخوفهِ من حدوث فتنة في بابل اسرع الرجوع على طريق الصحراء ودخل بابل فجأةً . وكان الكهنة يدبّرون الامور . فجلس على سرير الملك واستقرّ لهُ الامر (٣)

---

(١) ارميا : ܡܘ و٢ ملوك : ܟܕ : ٧ . ويوسيفوس : تاريخ اليهود : ܗ : ٧ . وماسپرو : ܓ ٥١٧ (٢) ارميا : ܡܘ (٣) يوسيفوس: تاريخ اليهود : ١٠:١١ وبيروس القطعة ١٤

وقضى نبوكدناصر مدةً طويلة في السعد والاقبال (١) ولم يلتزم مثـل ملوك اثور ان يقضي حياتهُ كلها في الغزوات والغـارات لتسكين الثورات . لان التقلّبات السياسية التي حدثت في اسيا اغنتهُ عن ذلك . فان ممالك أُورارطو ومناي وپارسوا والبيي وعيلام كانت قد انقرضت . والماديون صاهرهم . فكان اخصّ اعدائه في الغرب والجنوب . فعزم ان يتسلّط هو ايضاً على مصر نظـير ملوك اثور . وكان نخا ملك مصر قد غشيهُ عار جزيل بسبب انتصار الكلدان عليـهِ فعزم ان ياخذ بثاره منهم وتجهّز لمحاربتهم . واجتهد مثل سلفائه ان يحالف ملوك سوريا . فاحتال وحمل يوياقيم ملك يهوذا على خلع الطاعة للكلدان . فلمّا بلغ هذا الخبر نبوكدناصر صعد الى اورشليم . فخاف يوياقيم خوفاً شديدًا وخضع لهُ (٢) . لكنهُ بعـد ثلاث سنين عاد فتمرّد عليهِ . فلم يرد ملك بابل ان يذهب بنفسه لمحـاربة اليهود بل ارسل عليهم قوّاده . فشدّ الكلدان الحصار على مدينـة اورشليم . ودافع يوياقيم عن نفسه بشدّة وحزم حتى اضطرّ نبوكدناصر ان يزحف هو بنفسه على يهوذا . ولمّا كان في الطريق توفي يوياقيم وملك عوضهُ ابنه يوياخين . ولم يملك هـذا سوى ثلاثة اشهر . فانّ ملك الكلدان افتتح اورشليم واخذ كل ما كان في كنز بيت الرب وبيت الملك وكسر جميع اوعية الذهب التي صنعها سليمان الملك . واستأسر كل الاجناد وساق الى بابل جميع الصنّاع لكي يشتغلوا هناك . وقبض ايضاً على يوياخين فسباهُ هو وامّه ونساءه وخصيانه واجاس مكانه مثنيا عمّه ودعا اسمه صدقيـا . وكان من جملة الاسرى دانيال النبي ورفاقه . وكان ذلك سنة ٥٩٧ (٣)

امّا نخا ملك مصر فمع كونه هو الذي شوّق اليهود الى العصيـان لم يتجاسر ان يأتي الى مساعدتهم . ومات في سنة ٥٩٥ وجلس مكانه ابنه بساطيق الثاني وكان السوريون لا يزالون ينتظرون الخلاص من مصر . ويتشاورون سرًّا على محالفتها . ومن جملتهم صدقيا الملك مع ان ارميا النبي لم يفتر من تحريضه على الخضوع للكلدان وفي تلك الاثناء اي في سنة ٥٨٩ توفي بساطيق الثـاني ملك مصر وتخلّفهُ

---

(١) عن نبوكدناصر راجع ماسبيرو : ص ٥١٦-٥٦٤ (٢) ٢ ملوك : كد ١
(٣) ٢ ملوك : كد و ٢ ايام : لو ٥-١١

افرياس . فازداد حينئذٍ السوريون شوقاً الى رفع لواء العصيان . فبادر الى حمل السلاح اهالي صور وباقي مدن فونيقي واورشليم والبلاد التي مماً وراء نهر الاردن . فحمل نبوكدناصر على بلاد سوريا وسيّر قسماً من جيشهِ على فونيقي لمحاصرة صور . وانقضّ هو على بلاد يهوذا . فلم يتجرأ صدقيا على مبارزته وتحصّن في اورشليم . وكان ملك بابل قد غضب غضباً شديدًا على يهوذا . فامر بنهب المدن واحراقها . ثم شدّ الحصار على اورشليم وكان صدقيا الملك قد استعان بملك مصر وطلب منهُ خيلًا وجنودًا (١) . فاجاب افرياس الى سؤاله وبادر الى مساعدته . ولما اتصل الخبر بنبوكدناصر رفع الحصار عن اورشليم وذهب للقائه . فافتكر اليهود انهم تخلّصوا من ايدي الكلدان . لكن ارميا النبي لم يزل يحثهم على الطاعة قائلًا لهم : « هكذا يقول الرب إله اسرائيل : ها انَّ جيش فرعون الذي خرج معونةً لكم يرجع الى ارضه الى مصر . ثم يرجع الكلدان ويحاربون هذه المدينة ويفتحونها ويحرقونها بالنَّار . هكذا يقول الربّ : لاتضلوا انفسكم قائلين : ان الكلدان سيذهبون وينصرفون عنَّا . فانهم لن يذهبوا (٢) . » وان نبوكدناصر التقى بملك مصر بالقرب من مدينة غزّة . فحمل عليهِ وقاتلهُ شديدًا واثخن الجراح في جيوشه وهزمهُ شر هزيمة (٣) . ثم رجع الى اورشليم

ومن بعد هزيمة المصريين كان الاحسن لليهود ان يسلّموا للكلدان . لكنهم بقوا مصرّين على عنادهم ولم يسمعوا نصائح ارميا النبي بل قبضوا عليهِ وضربوهُ وطرحوهُ في السجن . وهو مع ذلك لا يزال يحثُّهم على التسليم قائلًا لهم : « هكذا يقول الرب . كل من يبقى في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوبا . ولكن من يهرب الى الكلدان ينجو وتكون لهُ نفسهُ غنيمة ويسلم . » وقال ايضاً لصدقيا الملك الذي ارسل واخذهُ اليهِ من الحبس : « هكذا يقول الرب إله الجنود اله اسرائيل . ان ذهبت وخرجت الى رؤساء ملك بابل تسلم نفسك . ولا تحرق هذه المدينة بالنار وتنجو انت واهل بيتك . وان لم تخرج الى رؤساء ملك بابل تُسلَّم هذه المدينة الى ايدي الكلدان فيحرقونها بالنار ولا تفلت انت من ايديهم (٤) . »

---

(١) حزقيال : يز ١٥ (٢) ارميا : لز ٧-٩ (٣) يوسيفوس : ي ٧
(٤) ارميا : لح

ولكن اليهود لم يزدادوا الّا تعنّدًا ودافعوا عن المدينة بكل نشاط . اخيرًا افتتح الكلدان المدينة ودخلها قوّاد ملك بابل وجلسوا في البـاب الاوسط . وهم نرگل شراصر وسمگرنبو وسرسخيم وغيرهم . فانهزم صدقيا وخرج ليلًا من المدينة . لكن الكلدان تتبّعوهُ فادركوهُ في سهل إيريحا . واتوا بهِ الى نبوكدناصر وكان يومئذٍ في ربلة بناحية حماة

فعاملهُ ملك بابل بكل قساوة . اذ امر بذبح اولاده واشراف يهوذا بحضوره ثمّ فقأُوا عينيهِ وشدّوه بسلسلتين من نحـاس واتوا بهِ الى بابل . واخرب نبوزردان رئيس الشرط مدينة اورشليم وهدم اسوارها . ونهب كل ما فيها واجلى جميع سكّانها الى بلاد الكلدان . ولم يترك فيها سوى الفقراء واعطاهم الكروم والحقول لكي يفلحوها ويزرعوها . وولّى عليهم جدليا بن احيقام صديق ارميـا النبي (١) . وجرى ذلك سنة ٥٨٦

ان جدليا لم يعش كثيرًا . فان اسماعيل بن نثانيا قتلهُ هو وجميع اليهود والكلدان الذين معـهُ ولحق بالعمونيين . وبعض الذين بقوا في اورشليم هربوا الى مصر خوفا من الكلدان . والاخر تجرأُوا مرةً اخرى وحالفوا الموابيين ونشروا لواء العصيان . فحمـل عليهم الكلدان واجلوا من بقيَ منهم . ثم زحفوا على الموابيين والعمونيين والادوميين والعرب واخضعوهم قاطبةً

وكان بعض جيوش الكلدان يحاصرون مدينـة صور منذ ثلاث عشرة سنة . وكانت منيعة جدًّا لانهـا كانت في جزيرة في البحر . اخيرًا التزم الصوريون وسلّموا لملك بابل سنة ٥٧٤ (٢)

فلمّا فرغ نبوكدناصر من امر فونيقي وبلاد فلسطـين حمل السلاح على مصر وانتصر على افرياس وساق كثيرًا من الاسرى وولّى على دلتا قائدًا من قوّاده . هذا ما كتبهُ يوسيفوس المؤرّخ اليهودي (٣) . ولكن تواريخ مصر تكذّب ذلك وتقول ان الدائرة كانت على نبوكدناصر . وان سفن ملك مصر التي كان يقودها اليونان انتصرت على سفن الفونيقيـين التي كانت تحارب لاجل الكلدان . وتسلّط

(١) ٢ ملوك : ܟܗ . و٢ ايام : ܠܘ ١١—٢٠ وارميا : ܢܒ

(٢) ماسپيرو : ٦٣٧ (٣) كذا ܗ ١١ وحزقيال : ܠ

المصريون على صيدون وغيرها من المدن الساحليــة (١) . وهنا اقول انهُ لا يوجد تناقض بين كلام يوسيفوس وكلام مدوّني تاريخ مصر . فان نبوكدناصر انتصر برا على المصريين واثخن فيهم الجراح . ومن بعد رجوعه الى مملكته قام المصريون على الكلدان وقهروهم بحرًا كما قال هيرودوت . ومما يؤيد قولنا هذا ان ملك الكلدان لمَّا بلغهُ تسلُّط المصريين على فونيقي حمل ثانيةً السلاح على مصر سنــة ٥٦٧ (٢) . ولسوء الحظ لا نعرف بالحقيقة نتيجة هذه المحاربة . فان تواريخ الكلدان تقول ان المصريين انغلبوا . واماً تواريخ مصر فهي ساكتة عن هذه غزوة الكلدان الاخيرة

والظاهر ان هذه المحاربة هي آخر محاربات نبوكدناصر . او أقلَّما يكون هي آخر محاربة كتبت عنها التواريخ . وكان نبوكدناصر قد طعن في السن . فصرف جزيل عنايته بتكميل الابنية الجبارية التي اشتهر بها كثيرًا (٣) . فان بابل قبــل خراب نينوى خربت مرَّتين على يد سنحاريب واسوربانيبال . وكانت اغلب ابنيتها محتاجة الى ترميم . وكان نبوبلاسر ابو نبوكدناصر قد بدأ بذلك . وممَّن ساعد نبوكدناصر على تشييد هذه الابنية الاسرى الكثيرون الذين ســاقهم من اثور ويهوذا وسوريا ومصر وبلاد العرب وغيرها . فصارت بابل في ايامه اجمل مدن العالم واعظمها

فانهُ في وسط المدينة كانت تعلو بعظمة لا مثيل لها زقرتا الاله بيل وهي عبارة عن برج عظيم ذي سبع طبقات كل طبقة منها خُصِّصت لواحد من الآلهــة السبعة . وكان لون الطبقة السفلى اسود ولون الثانية ابيض والثــالثة قرمزيًا والرابعة ازرق والخامسة احمر ولون السادسة فضيًا والسابعة ذهبيًا . وفي اعلى الطبقة السابعة تمثال الاله بيل من الذهب الخالص ارتفاعهُ عشرون قدماً . وبجــانب التمثال مائدة من الذهب الخالص ايضاً . وكان اول من بنى هذه الزقرتا ملك من ملوك بابل ثم جدَّد بناءَها نبوكدناصر الملك على رسمها القديم . وذكر يوسيفوس المؤرّخ ان واضع هذه

---

(١) هيرودوت: ك ١٦١ وديودور: 2 ٦٨

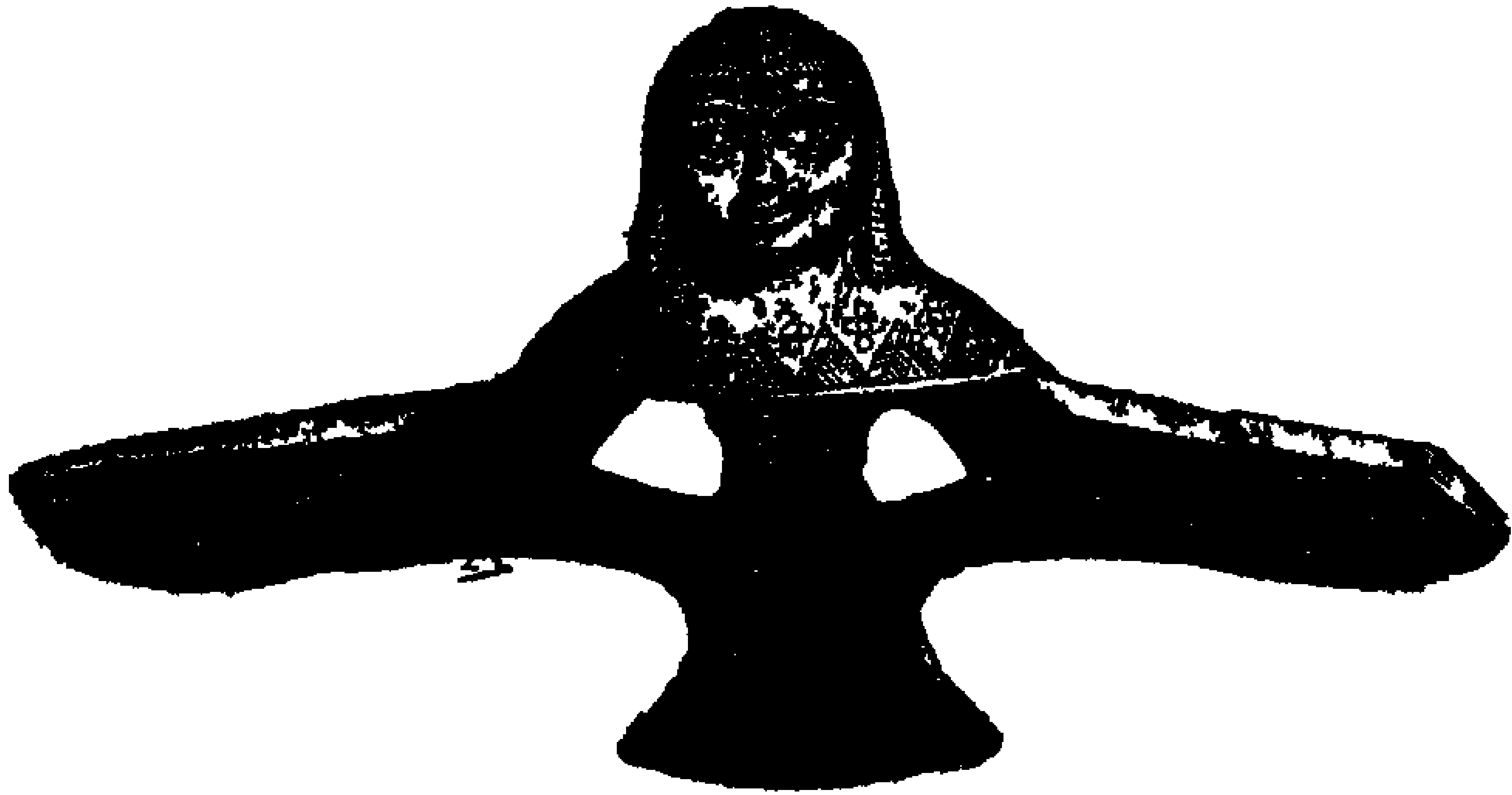
(٢) پينتشس: قطعة حديدة من تاريخ نبوكد ناصر في مجلة الكتاب المقدس الانكليزية ٢١٠-٢٢٥

(٣) عن ابنية نبوكدناصر راجع اسبيرو: ك ٥٦٠-٥٦٥ واوپير: اثار نبوكدناصر عن عجائب بابل سنة ١٨٦٦ وميتان: بابل وكلدو ١٩٦-٢٤٨ وجميل مدور تاريخ بابل واشور: ١٠-٢٦ وفليكس يوليان: سياحة في ارض بابل الفصل: ١

الزقورتا او هذا البرج العظيم هو نمرود وهو برج بابل المذكور في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين

وكان نهر الفرات ينساب في وسط المدينة ويقسمها الى شطرَين. وفي مركز كلٍّ من الشطرَين عمَّر نبوكدناصر او رمَّم قصرًا عظيماً فاخرًا. وقد نسب ديودوروس المؤرّخ هذين القصرين الى شميرام الملكة ووصفهما بقولهِ انهما كانا على اتمّ وجهٍ من الاحكام والزخرفة والقصر الغربيّ منهما محيطةُ نحو ١١ كيلومترًا وحولهُ سور عالٍ من الاجرّ ويليهِ من داخل سور آخر من اللبن وعليهِ صور حيوانات بديعة الصنعة رائعة الاتقان يتخيَّل الناظر اليها انها حيَّة. وامَّا القصر الثاني فكان دون ذاك في الرونق والسعة. وكان فيهِ تماثيل لنينيب وشميرام وجماعة من رجال الدولة والعمَّال وكلها من الشبه وتمثال بيل الإله. وفيهِ فضلًا عن ذلك صور معارك ومصارعات ومشاهد صيد متقنة الوضع محكمة الصنع

شميرام ملكة بابل على شبه حمامة (راجع صحيفة ٤٥)



والقصر الملكي كان مشتهرًا في البساتين المعلّقة المعدودة في جملة عجائب الدنيا السبع (١). وصفتها انها كانت على هيئة سطوح قائمة بعضها فوق بعض. وكل واحد

---

(١) ان عجائب الدنيا السبع هي ١ً جنائن بابل المعلّقة واسوارها ٢ً اهرام مصر ٣ً تمثال المشتري (زوس) في بلاد اولمپية ٤ً صنم رودس ٥ً هيكل ديانة في افسس ٦ً ضريح موزول ملك كارية في هليكرناس ٧ً منارة الاسكندرية (المشرق ١٩٠٣: ص ٧٦٨)

من هذه السطوح يتأخر عن الذي تحته على شكل ما يُسمّى بالامفيتياتر حتى كانت والاشجار عليها اشبه برابية خضراء ذات مروج ورياض رائعة . وكانت هذه البساتين مربّعة الشكل طول كل جهة من جهاتها نحو ١٢٠ مترًا . وكل سطح من السطوح المذكورة يرقى اليهِ بسلّم بينهُ وبين الذي يليهِ . والسطوح برمتها قائمة على عُمُد وهي مفروشة بصفائح من الحجارة طول الواحدة منها ١٦ قدماً وعرضها ٤ اقدام . وهذه مستورة بخيزران قد غمس في الحمر . وفوقه صفَّان من الاجرّ المغموس في الجصّ . وفوق ذلك صفائح من الرصاص تمنع نفوذ الماء الى ما تحتهـا من البناء اذا سُقي ما فوقها من الاشجار . وفوق الرصاص التراب المغروسة فيهِ اشجار البساتين وهو من الكثرة بحيث يمكن ان تغرس فيهِ اعظم شجرة . وكان هذا الموضع كلهُ مغطى بالشجر المختلف والمغروسات الانيقة ذات النشر والثمر . وفي داخل العمد المذكورة غُرَف رائعة الاتقان محكمة الوضع ينفذ اليها النور من خلال العمـد وهي الغرف الملكيَّة . وكان احد العمد اجوف من رأسه الى عقبه وفي داخله آلات ترفع الماء من النهر فتصبهُ في البساتين . وكان المؤرّخون يظنّون ان مستنبط البساتين المعلّقـة هو نبوكدناصر الذي امر بصنعها كرامةً لامرأته الماديّة التي كانت متعوّدة على المعيشة في الروابي المكسوّة بخضرة الرياض والبساتين . الّا ان الموسيو ميسنر يقول ان نبوكدناصر انّما جدَّد الجنائن المذكورة على اثر خراب بابل سنة ٦٤٨ . وقد كانت قبل ايامه باجيال عديدة (١)

وحوّط نبوكدناصر مدينة بابل باسوار عالية عريضة على شكل مربع . وذكر هيرودوت ان مساحة محيط هذه الاسوار ٤٨٠ غلوة اي ٨٦ كيلومترًا . وكان ارتفاعها نحو مائتَي ذراع وعرضها نحو ٣٥ ذراعاً . وكانت هذه الاسوار مبنيَّة باللبن المشويّ قد أُلحم بعضهُ ببعض بالقار المغليّ . وكان لها مائة باب مقسَّمة في الاطراف الاربعة على بعدٍ متساوٍ وكانت الابواب من النحاس . وداخل السور الكبير كان سور آخر اقلّ سمكاً منهُ . وعلى قمّة الاسوار على كلٍّ من جانبَيها كان صفَّان من ابراج صغيرة ذات طبقة واحدة ومتحاذية . وبين السورين خنـدق عميق مملو ماء . ونهر الفرات يقسم المدينة الى قسمَين . وبين القسمين جسر عظيم يصل بينهما . وكانت بابل مبنيَّة

(١) المشرق : ١٨٩٩ ص ١٨٧

على ترتيب مضبوط ورسم منظَّم اذ كانت جميع الازقَّة على خطّ مستقيم بعضها محاذية والاخرى تنتهي عموديًّا بالفرات. وكانت ممتلئة بساتين ومروج فسيحة فيها من جميع انواع الاشجار المثمرة واصناف البقول والزهور

ولنبوكدناصر غير ذلك من الابنية والآثار الجليلة. فمن ذلك انهُ حفر قنوات جديدة تصل الفرات بدجلة . ونظَّف القنوات العتيقة وحفر بحيرات منعاً لفيضان الفرات والدجلة. وبنى هياكل فاخرة في مدن الكلدان الاخرى . وكانت وفاته سنة ٥٦٢ وقد ملك ٥٣ سنة

واتى في كتاب دانيال النبي روايات كثيرة عن نبوكدناصر الملك . من ذلك انهُ رأى احلاماً كدَّرت صفاهُ . فرأى تمثالًا جسيماً رأسهُ من ذهب خالص وصدره وذراعهُ من فضة وفخذاهُ من نحاس وساقاهُ من حديد وقدماهُ بعضهما من حديد وبعض من خزف. فسقط حجر وضرب التمثال وسحقهُ . وصار الحجر جبلًا عظيماً وغطَّى وجه الارض كلها. فاحضر دانيال وفسَّر لهُ هذا الحلم قائلًا : انت سلطان مقتدر . فانت هو الرأس الذهبيّ . وبعدك تقوم مملكة اصغر من مملكتك وهي المرموز عنها بالفضة . ثم مملكة ثالثة وهي المشار اليها بالنحاس. والمملكة الرابعة ستظهر كالحديد تسحق جميع هذه المالك . والحجر المنقطع من الجبل والساحق التمثال كلهُ سلطنة يقيمها رب السماء ولن تنقرض الى الابد (١). وقد قال آباء الكنيسة بتفسيرهم فصل دانيال هذا انَّ المالك الاربع التي ذكرها النبي هي مملكة الاثوريين او الكلدان ثم مملكة الفرس ثم مملكة اسكندر اليوناني ثم مملكة الرومانيين. واماَّ المملكة المرموز عنها بالحجر فهي مملكة يسوع المسيح

ومن ذلك ايضا ما اتى في الاصحاح الرابع من كتاب دانيال ان نبوكدناصر رأى شجرة عظيمة يصل علوها الى السماء ومنظرها الى اقاصي الارض كلها . واذا بملاك امر بقطع الشجرة . وبينما كان ذات يوم يتمشى نبوكدناصر على قصره وبين يديهِ بابل يرى عظمتها تكبَّر وقال أليس ان هذه هي بابل العظيمة التي انا ابتنيتها . وللحال وقع عليهِ صوت من السماء يقول لهُ : يانبوكدناصر ان ملكك هذا يُنزَع من يدك وعن قليل تكون منفيًّا من بين الناس ويكون اليفك وحش الصحراء

(١) دانيال : ٢

وتاكل العشب كالثيران . وقد اتى ايضاً في تواريخ الكلدان ان نبوكدناصر في آخر عمره بينما كان يتمشّى ذات يوم على سطح قصره كُشِف لهُ بروح النبوَّة ان مملكته ستنقرض ونقل ذلك الخبر الى شعبه . ولا حاجة الى القول ان ما اتى في سفر دانيال النبي عن نبوكدناصر الملك كان انَّ مملكته الجسيمة بعد موته تنحطّ انحطاطا ظاهرًا فتنقرض انقراضاً يحيّر العقول

الفصل الثاني

انحطــاط دولة الكلدان العظمى الثانية في ايام اميلمرودخ (٥٦٢—٥٦٠) ونرگلشاروصر (٥٦٠—٥٥٥) ولابوروسرحود (٥٥٥—٥٥٤) ونبونهيد (٥٥٤—٥٣٨) وانقراضها على يد كورش ملك الفرس سنة ٥٣٨

ان بابل كانت ميَّالة الى الفتن والقلاقل . والظاهر انهُ كان فيها فرَق كثيرة تضادُّ بعضها بعضاً . فمنها فرقة الكهنــة التي كانت تريد الاستبداد بالامر منفعةً لصوالحها وصوالح آلهتها . وفرقة الكلدان الذين على سواحل البحر وقد رأينـا ان هذه الفرقة اجلست مرارًا رجالًا من حزبهـا على سرير المملكة (١) واليها كان ينتمي نبوكدناصر الثاني . وفرقة الاشراف البابليين القدماء التي منها كان نبونهيد الملك . فممَّا يبيّن طول باع نبوكدناصر في امور السياسة انهُ جلب اليهِ كل هذه الفرق ولم يحدث في ايامه شغب وفتن . ولكن عنـدما توّفي قدحت نار الفتن الاهلية في عاصمته وما برحت تستعر وتشتدّ حتى اضعفت المملكة فانتهز الفرس الفرصة من ذلك واستولوا عليها

انَّ أميلمرودخ او أويلمرودخ جلس مكان ابيهِ نبوكدناصر سنة ٥٦٢ . فاطلق يوخنيا ملك يهوذا من الحبس واجزل عليه العطايا واقامهُ قهرمانا على بيته(٢) . مع ان اباهُ نبوكدناصر خلعه منذ زمان قبل ان يملك صدقيا والقاهُ في السجن . وبعد مرور سنتين على جلوس أميلمرودخ جرت فتنة في بابل فيها قام عليهِ صهره نرگلشاروصر

---

(١) راجع ص: ٤١—٤٣ من هذا الكتاب

(٢) ملوك: ٢٥ ٢٧—٣٠

وقتلهُ وجلس مكانه سنة ٥٦٠ . ولم يتمتع كثيراً هذا الملك الدخيل فانهُ مات سنة ٥٥٥ . وخلفهُ ابنهُ لَبَاشمرودخ او لابوروسرحود . ولم يملك سوى تسعة اشهر فانهُ قُتل وجلس مكانهُ نبونهيد وبهِ انقرضت ذرّية نبوپلاسر (١)

وبينما كانت هذه القلاقل والفتن تجلب البوار على مملكة الكلدان كانت احوال الفرس تروق يوماً فيوماً (٢) . فان كورش ملك فارس سنة ٥٥٢ او ٥٥٣ نشر لواء العصيان على الماديين وقهر استواج الملك وافتتح مدينة اقبطانة واقتنى خزائنها سنة ٥٤٩ . وان كريسوس ملك لوديا في اسيا الصغرى الذي وسّع مملكته كثيراً لما بلغهُ خبر سقوط مملكة الماديين خاف فحالف المصريين والكلدان واللاقيدعونيين سنة ٥٤٥ واراد محاربة الفرس . وقبل ان يتهيَّأ لكريسوس ان يجمع اليهِ حلفاءهُ اغار كورش على لوديا وافتتح سرديس عاصمتها . فلماّ تقوّى حمل على بلاد الكلدان سنة ٥٣٨ . وكان نبونهيد ملكها واهي العزيمة متغافلاً عن امور المملكة . وعوضاً عن ان يتجهَّز للقتال ويدافع عن مملكته انصبّ الى عبادة آلهته الباطلة كأنها هي وحدها قادرة ان تحافظ على ملكه . لا بل حمل البابليين على مقتهِ لانهُ فضَّل آلهة لارسام واور وسپارا على آلهتهم . وكانت المدن التي على سواحل البحر المتوسط قد خلعت طاعته . فلم يتحرَّك نبونهيد من يقظتهِ وبقي غافلاً

وكان الانبياء قد تنبَّأوا على سقوط بابل . وهاك قول ارميا النبي (٣) : «هكذا يقول الرب . هانذا ابعث الى بابل والى سكَّانها الذين رفعوا قلوبهم عليَّ ريحاً مفسدة . وأرسل الى بابل مذرّين فيذرّونها ويخربون ارضها . . . . . بابل كاس ذهب بيد الرب تُسكر الارض كلها ومن خمرها شربت الامم ولذلك جُنَّت الامم . سقطت بابل بغتةً وتكسَّرت . وَلوِلُوا عليها . خذوا بلساناً لوجعها لعلّها تشفى . . . . سنّوا السهام . املأُوا الاتراس . قد انهض الرب روح ملوك مادي . لان خاطره على بابل ليهلكها . ايتها الساكنة على المياه الكثيرة . الغنية بالكنوز جاء أَجلكِ وقياس قطعكِ . أقسم رب الجنود بنفسه : لأَملأَنَّكِ من الناس مثل الجراد فيصيحون عليكِ

(١) ماسپرو : ٦٤٢—٦٤٣ (٢) ماسپرو : ٦٤٣—٦٥٨

(٣) ارميا : ٥١

بجلبة . . . . ارفعوا اللواء في الارض . اهتفوا بالبوق في الامم . قدّسوا عليها الامم . نادوا عليها ملوك اراراط ومِنّي واشكناز . اقيموا عايها مرزبانا . ايتوا بخيل كجندب مقشعرّ . وتتزلزل الارض وتضطرب . لانهُ سيستيقظ على بابل فكر الرب ليجعل ارض بابل خربة وغير معمورة . كفّ جبابرة بابل عن الحرب وسكنوا في المحاصن . خارت قواهم وصاروا كنسوان . احرقوا مساكنها . انحطمت اقفالها . ساعٍ يلاقي ساعيا . ومخبّر يلاقي مخبّرًا ليخبر ملك بابل بان مدينته قد أُخذت عن اقصى »

فلمّا ظهر كورش في ارض الكلدان احتار نبونهيد في امره (١) . لانهُ لم يكن قد استعدّ للحرب . فالتجأ الى آلهته طالباً اليها ان تحامي هي عن مملكته . وارسل وجلب الى بابل من المدن الاخرى كل تماثيل الآلهة لتنضمّ الى آلهة بابل فتدافع عنها بشدَّة . وذبح ذبائح لبيل الاله . ولكن كورش كان قد عبر الدجلة في اوائل تموز وقاتل جيوش الكلدان بالقرب من مدينة روتوم وهزمها اقبح هزيمة . وللحال خلعت مدينة اكاد طاعة نبونهيد فازداد فشلًا . وفي الرابع عشر من تموز دخل الفرس مدينة سپارا دون مشقَّة . وفي السادس عشر منهُ افتتح كوبريا قائد الجيوش الفارسية مدينة بابل . ومع هذا كله فلم يفق نبونهيد من سباته متكلًا على آلهته . لكنَّ ابنهُ البكر بلطشاصر او بيلشاراصر دافع شديدًا عن المدينة ثم سقط قتيلًا . واما ابوهُ نبونهيد فقبض عليهِ الفرس ونفوهُ الى بلاد قارمانية

وذكر كتاب دانيال (٢) عن بلطشاصر انهُ بينما كان جالساً في احدى الليالي مع وزرائه وقوّاده على المائدة وهم يشربون انواع الخمر بآنية القدس التي كان نبوكدناصر قد سلبها من هيكل اورشليم اذ عاين يدًا على الحائط تكتب كلمات سرّية . فامر باحضار دانيال ليفسّرها لهُ . فاتى دانيال وقال : هذه هي الكتابة المسطورة : منا منا تقل پارسين (ܡܢܐ ܡܢܐ ܬܩܠ ܘܦܪܣܝܢ) وهذا تفسير الكلام : منا اي عدّ الله ملكك . وتقل اي وزنك . وپارسين اي يقسمون مملكتك وفي تلك الليلة قُتِل بلطشاصر

انهُ يظهر جليًا من كلام ارميا النبي الذي نقلناهُ ان الجيوش التي زحفت على

---

(١) ماسپيرو : ٦٦٨—٦٧٠

(٢) دانيال : ٥

بابل كانت جرّارة مؤلّفة من الفرس والماديين والارارطيين والاشكوزيين والمنّيين وهم اهل مناي . وكان افتتاح بابل وانقراض دولة الكلدان سنة ٥٣٨ ق م

اننا في برهة سبعين سنة رأينا ثلاث دُوَل عظيمــة في الشرق سقطت الواحدة بعد الاخرى . رأينا دولة اثور انقرضت سنة ٦٠٨ ودولة الماديين سنة ٥٤٩ ودولة الكلدان سنة ٥٣٨ . والامر الغريب ان سقوط هذه الدول من ذروة العظمة كان بغتةً لا تدريجاً . وذلك لان الدول كانت قائمة بشخص ملوكها لا بقوانينها وشرائعها ونظامها . فتقوم الدولة اذا قام الملِك وانتصر وتموت اذا مات ولم يخلفهُ احدٌ نظيره رأينا انهُ حالما كان يجلس في اثور ملك ذو حزم وبأس كانت المملكة في ايامه تتّسع اتساعاً عظيماً . وحينما كان يملك فيها ملك جبان واهي العزيمة كانت المملكة تبتدئ بالانحطاط . كذلك كواصار فاتح نينوى فانهُ بعزمه الثابت أسّس مملكة مادي ولكن لمّا مات ماتت مملكته معهُ . وهذا نبوكدناصر فاتح نينوى مع ابيهِ نبوبلاسر انشأ دولة الكلدان العظمى الثانية ونجحت في ايامهِ نجاحاً باهرًا . ولمّا انقطع خيط حياته انقطع ايضاً خيط دولته . واذا تتبعنا تواريخ شرقنــا نرى امثلة كثيرة نظير هذه . فما هي تُرى اسباب ذلك

ان ركن السياسة الحقيقية هو اجراء العدل في البلاد وتعميرها وترقيتهــا في معارج الفلاح وسعادة الافراد . واذا جرى ذلك بحقٍّ دامت الدولة وعاشت طويلًا . فالغزاة الشرقيون الاولون بعكس ذلك كانوا يقلبون ظهرًا لبطن احوال البــلاد المفتوحة ويخربونها ويحرقونها وينهبونها ويتخذون اهلها عبيدًا . وهذا ممّا كان يجعلهم مبغوضين في عيون الاهالي وعوضاً عن ان يتعلّقوا بــكذا ملوك كانوا يجتهــدون بان يتخلّصوا من نيرهم الثقيل ويفتحون ابوابهم بطيبــة خاطر لقبول اوّل ملكٍ فاتح يأتي اليهم

ولنرجع الان الى كورش ملك الفرس فانهُ بسقوط بابل سقطت الدولة كلها على قدميهِ . وكان كورش متبصّرًا بامور السياسة . فعمل كل ما من شأنه ان يجذب اليهِ الكلدان . فاقتدى بملوك اثور الاوّلين ودخل هيكل بيل الاله ومسك بيدَيهِ واتخذ نظيرهم لقب ملك بابل اجابةً لطلب البابليين . ثم اعتنى ورجّع تماثيــل الآلهة الى محلّاتها الاولى وهي التي كان نبونهيد قد جمعها في بابل فاحبّتهُ جميع مدن الكلدان

واحبَّهُ اليهود ايضاً لانهُ اصدر امرًا بهِ اعطاهم الحرّية ليرجعوا الى وطنهم المحبوب
وكانت مملكة الكلدان قد دامت اكثر من ثلاثة آلاف سنة · اي منذ سنة ٤٠٠٠ الى سنة ٥٣٨ قبل المسيح

الكتاب الخامس

في اخبار الكلدان والاثوريين بعد سقوط بابل

الفصل الاول

في حال الكلدان والاثوريين في حكم ملوك فارس (٥٣٨—٣٣٠)

كمبوزيا وفتحهُ مصر (٥٢٩—٥٢٢) — عصيان الكلدان في عهد درياوش الاول (٥٢١—٤٨٥) — نبوكدناصر الثالث ملك بابل وقتلهُ — زعم اراخا الارمني انهُ من ذرّية ملوك بابل وقتله — عصيان الكلدان في زمان احشويرش (٤٨٥—٤٦٥) — ارتحششتا الاول (٤٦٥—٤٢٣) — الفتن في فارس — ارتحششتا الثاني (٤٠٥—٣٦٢) — ارتحششتا الثالث (٣٦٢—٣٣٨) — انحطاط دولة الفرس وانقراضها على يد اسكندر الكبير سنة ٣٣٠

ان الكلدان والاثوريين بعد سقوط بابل صاروا في حوزة ملوك الفرس واصطفُّوا في الحروب تحت بيرقهم · ولمَّا مات كورش سنة ٥٢٩ خلفهُ ابنهُ الاكبر كمبوزيا ويسمّيهِ اليونان كمبوس (١)· وفي سنة ٥٢٥ جمع كمبوزيا جيشاً عظيماً من الفرس والكلدان والاثوريين وغيرهم واغار على بلاد مصر واستولى عليها · ثم اراد ان يغزو بلاد الحبشة · لكن الجوع اجبره ان يرجع على اعقابه · وفي رجوعهِ الى مصر قتل الثور آفيس الاه المصريين وفي تلك الاثناء قدحت فتنة في فارس · وذلك ان كمبوزيا كان قد قتل سرًّا اخاهُ برديا · وكان عوماتا احد الحكّام في فارس يشبه برديا كل المشابهة ويعلم بقتله · فنشر لواء العصيان سنة ٥٢٢ وبايعهُ بالملك جميع اهل فارس ومادي وهم يظنونهُ انهُ برديا بن كورش · فرجع كمبوزيا مسرعاً ومات

---

(١) عن كمبوس وخلفائه راجع ماسپيرو: ٦٧٤—٧٦١

في الطريق ٠ وملك غوماتا ستة اشهر حتى اشتبه بهِ بعض رجال الدولة فحملوا عليهِ وقتلوهُ واجلسوا مكانهُ درياوش بن ويستسبا وكان ذلك سنة ٥٢١

واماَّ الكلدان والاثوريون فانتهزوا الفرصة من هذه الفتنة التي جرت في فارس ونشروا لواء العصيان ٠ وجلس على سرير الملك في بابل نديتتوبيل مدَّعياً انهُ من ذريَّة نبونهيد الملك واتخذ اسم نبوكدناصر الجليل ٠ واقتدى بالكلدان العيلاميون ايضاً ٠ فارسل درياوش قوَّاده على عيلام لكي يذلّوا العصاة ٠ واماَّ هو فسار بجيوشه الجرَّارة على بابل ٠ وكان نبوكدناصر الثالث ملك بابل قد تجهَّز للمحاربة وينتظر الفرس في امكنة عاصية على سواحل دجلة في اراضي اثور ٠ وكان هناك تحت يده سفن كثيرة على الدجلة ٠ فاحتال درياوش وقسَّم اجناده الى اقسام شتَّى ركب بعضهم خيلًا وبعضهم جمالًا ٠ وبذلك غشَّ الكلدان لماَّ هو فعبر النهر وباغتهم ٠ فحمل عليهِ نبوكدناصر ولكنهُ انكسر ٠ ثم بعد ستة ايام جرت بينهما واقعة في محلّ يقال لهُ زازانو على ساحل الفرات وانتصر الفرس على البابليين واثخنوا فيهم الجراح ٠ وكان ذلك في كانون الاول سنة ٥٢١ ٠ فهرب نبوكدناصر وتحصَّن في بابل ٠ وشدَّد عليها درياوش الحصار واقام تحت اسوارها مدَّة طويلة حتى افتتحها سنة ٥١٩ وقتل نبوكدناصر (١)

ومن اخبار هذه المحاصرة على ما قيل ان المحاربة تمادت بين درياوش والكلدان مدة عشرين شهرًا ولم تظهر لهُ النصرة ٠ فان اهل بابل سدّوا القنوات وملأوا المدينة ذخيرةً ٠ وتوفيرًا للطعام قتلوا معظم النساء ولم يتركوا منهنَّ سوى الخبَّازات ٠ وكان الفرس قد يئسوا من افتتاح المدينة فاخترع عليهم زبورا احد امرائهم حيلة بها تمكَّن من الاستيلاء على بابل ٠ وذلك ان زبورا جدع انفه واذنيهِ طوعاً ومثل بين يدي درياوش وعرض نفسهُ عليهِ قائلًا لهُ : ان عظيم غيرتي عليك ايها الملك وعزيز محبتي لبني وطني قد سوَّلت لي ان اصنع بنفسي هذا الصنيع ٠ واتوجَّه كذلك الى البابليين كانني قد هربت من ظلم الفرس فينغشّون لقولي ويركنون اليَّ ٠ ثم يسلّمون بيدي المدينة ٠ فرحَّب بهِ درياوش واثنى عليهِ ٠ فلماَّ انحاز زبورا الى البابليين لم يحسّوا بالخديعة التي دسَّها لهم ٠ بل استقبلوهُ ورحَّبوا بهِ وفوَّضوا اليهِ حراسة اسوار المدينة ٠

(١) ماسپرو : ج ٢ ٦٧٥–٦٧٩ ٠ وماسپيرو : ٦٩٨–٧٠١

ففتح زپورا حينئذٍ ابواب المدينة للفرس . وهكذا وقعت بابل مرّةً ثانية في ايديهم (١)

لا حاجة الى القول ان هذه الحكاية ملفّقة لا اصل لها ابدًا . وانما الداعي الى استنباطها تمادي محاصرة بابل ومدافعة الكلدان الشديدة عن مدينتهم (٢)

ولمّا خرج دريوش من بابل ظهر فيها رجل ارمني يقال لهُ أراخا قال عن نفسهِ انهُ ابن نبونهيد وسمّى هو ايضاً نفسهُ نبوكدناصر . لكنّ ويندافرانا القائد الفارسي حمل عليهِ وقهرهُ وقتلهُ (٣)

ثم ان دريوش زحف على بلاد الهند وافتتحها . فصار ملكه واسعا جدًّا يمتدّ من بحر الهند الى البحر المتوسّط والى صحراء افريقيا ومن البحر الاسود وجبال قوقاس وبحر قزوين الى بحر الهند وبلاد العرب . ثم غزا جهات اوروبا بغية ان يخضع الاشكوزيين الذين هناك . غير ان هؤلاء هربوا من وجهه متوغلين في بلاد روسيا . ثم اراد ان يخضع اليونان الذين في اوروبا ايضا . لكنهُ انغلب في محلّ يقال لهُ مراثون سنة ٤٩٠ ثم عصت عليهِ بلاد مصر سنة ٤٨٦ . فبدأ يتجهَّز لمحاربة اليونان والمصريين . وبينما هو في هذا الاستعداد داهمهُ الموت سنة ٤٨٥ . وكان دريوش متبصرًا في الامور وقام باعباء الملك اتمّ قيام وقسّم مملكته كلها الى ٣١ ايالة وضرب على كلٍّ منها جزية تؤدّيها لهُ . فكانت بابل تؤدي لهُ خمسمائة خصيّ . وتدفع كل يوم لواليها اردبًا من الفضة

وجلس بعد دريوش على سرير المملكة ابنهُ احشويرش الاول . وخرج على مصر واخضعها سنة ٤٨٢ . وفي سنة ٤٨١ اجتهد الكلدان مرّة أُخرى في ان يستقلّوا لكنَّ الفرس اخضعوهم ايضاً واكثروا بهم التنكيل . فان مكّامبيز بن زپورا الذي تولّى على ايالة بابل فتك بهم كثيرًا ونهب هيكل بيل واخذ تمثالهُ وقتل الكاهن الذي يخدمهُ ودنَّس قبور الملوك واستأسر قسماً عظيماً من الاهالي وجعلهم عبيدًا

ثم ان احشويرش سار على اليونان يريد الانتصار عليهم . لكنهُ انغلب ولم يفتكر ان يتجهَّز لمحاربتهم ليدرك منهم ثاره بل انهمك في الملذّات . وقُتِل سنة

---

(١) هيرودوت: ك ١٥٠–١٦٠

(٢) ماسپرو: ٧٠٢ (٣) هكذا: ٧٠٣

٤٦٥ . وقام بعدهُ ابنهُ ارتحششتا . وامتنع عليهِ المصريون فانتصر عليهم . ومات سنة ٤٢٣

وحدث بعد موته فتن كثيرة في مملكة فارس . فان ابنه احشويرش الثاني قُتل بعد ٤٥ يوماً بيد سغديان . وهذا ايضاً قُتل بعد ستة اشهر ونصف بيد اخيهِ دريارش الثاني . ومات دريارش الثاني سنة ٤٠٥ وخلفهُ ابنه ارتحششتا الثاني . وكان لهُ اخ اسمهُ كورش كان في زمان ابيهِ قد جُعِلت لهُ ولاية اسيا الصغرى . فاراد ان يأخذ التاج من اخيهِ . فجهّز لهُ جيشاً مؤلفاً من مائة الف جندي وامدّه السبارطيون ايضاً بجيش عظيم . فخرج بهم كورش على اخيهِ ارتحششتا . والتقى بهِ على مسافة يومَين من بابل . وسقط كورش قتيلاً في المحاربة سنة ٤٠١ . واماَّ اليونان فلم يفشلوا بل ضربوا في سهول اثور وصعدوا جبال قردو وارمنية حتى بلغوا مدينة طرابزون ومن هناك قصدوا وطنهم . وكانت مصر قد خلعت طاعة الفرس منذ سنة٤٠٥ . فاستعان عليهم ارتحششتا بالسبارطيين وانغلب المصريون لكنهم في سنة ٣٧٤ قهروا الفرس واخرجوهم من مصر . وتوفي ارتحششتا الثاني سنة ٣٦٢

وقام بعده ابنهُ أُوخس ويلقّب ايضاً باسم ارتحششتا الثالث وقتل جميع اخوته وخلعت طاعته قبرص واسيا الصغرى وبعض بلاد سوريا . فحمل عليها واخضعها قاطبةً . ثم اغار على مصر واستولى عليها وقتل الثور آفيس ونهب الهياكل وقتل خلقاً كثيراً . ومع هذا كله كانت مملكة الفرس على انحطاط لسبب القتل والقلاقل التي كانت تحدث في القصر الملكي وعصيان الولاة على المملكة ورغبتهم في الاستقلال وتهاون الملوك وانصبابهم الى الملاهي . واصبح ذات يوم ارتحششتا الثالث مقتولاً . والذي سمَّمهُ باغُوا الخصيّ احد ثقاته وذلك سنة ٣٣٨ . وقتل باغُوا جميع اولاد ارتحششتا ما خلا الاصغر وكان اسمهُ ارسيس فاجلسهُ على تخت المملكة . ثم قتلهُ هو ايضاً سنة ٣٣٧ ونصب مكانهُ قدمان احد اصدقائه ولُقِّب باسم دريارش سنة ٣٣٦ . ولمَّا علم دريارش ان باغوا قد عزم على اهلاكه ايضاً امر بقتله فتخلَّص منهُ

وفي تلك السنة عينها كان اسكندر الكبير قد صار ملكاً على ماقدونية مكان ابيهِ فيلبس . فانتهز الفرصة من الفتن الجارية في مملكة الفرس وحمل عليها . ولكنهُ لم

يباشر هذه الغزوة الّا بعد ان ضمّ اليهِ كل بلاد اليونان. واستولى على اسيا الصغرى سنة ٣٣٤. وفي سنة ٣٣٣ تسلّط على قيليقية والبلاد المجاورة لها. ثم على بلاد سوريا وفي سنة ٣٣٢ افتتح مدينة صور وبلاد مصر. وفي سنة ٣٣١ رجع الى اسيا وعبر الدجلة في ٢٠ ايلول والتقى بدرياوش في كوكمل(١) وكان القتال شديداً فانكسر الفرس وهرب الملك درياوش في ٣٠ ايلول. ودخل اسكندر اربيل مظفّراً. ثم توجه نحو كركوك وبابل فافتتحها وبعد ايام استظهر ايضاً على شوشان. وفي ربيع سنة ٣٣٠ حمل على اقبطانة وفتحها وفي تلك السنة عينها قُتل درياوش في بجتريانة. وكان قاتلهُ احد قواده

ثم ان اسكندر انطلق الى الهند وافتتحها. وفي رجوعه دخل بابل بعظمة لا مثيل لها. وخرج جميع الاهالي للقائه واصوات الفرح والتهليل ترنّ في الازقّة. وكان ينتظره هناك سفراء ملوك اسيا واوربا وافريقيا ليقدّموا لهُ اكاليل ذهبيّة ويهنئوهُ على انتصاراته. وكانت نيّته ان يرمّم قصور بابل الفاخرة التي كان الفرس قد اخربوها. وبينما هو على هذا المقصد دهمهُ الموت وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ق م

ومن علماء الكلدان الذين اشتهروا في عهد اسكندر الكبير كان بيروس او برحوشا الشهير الذي فتح مدرسة في مدينة اثينا. وقد سبق ذكره في مقدّمة هذا الكتاب

الفصل الثاني

في احوال الكلدان والاثوريين بعد انقراض دولتهم وفي انتشار لغتهم

ان بلاد اثور لم تقم ابدًا من سقطتها. فالظاهر ان الاشكوزيين والماديين اخذوا بحدّ السيف جميع سكّان نينوى ودور شركينا وكالح واثور رجالًا ونساء كبارًا وصغارًا واوقعوا الدمار والخراب في كل القِرى والمدن الاخرى. فلم يسلم من الخراب التام في اثور سوى اربيل وكركوك. وفي ما بين النهرين سوى اورهاي ونصيبين وسنجار وراس العين. فانّ كالح دُفنت تحت انقاضها ولم يبقَ من ابنيتها في عهد

(١) في اطراف اربيل

اسكندر الكبير سوى اسوارها المبنيّة بالاجرّ والقائمة على احجار منحوتة . وكانت واقفة ايضاً الزقرتا العظيمة التي فيها وكانت مبنية بالحجارة وعرضها نحو واحد وثلاثين مترًا وارتفاعها نحو اثنين وستين مترًا . وكذلك لم يكن قد بقي من ابنية نينوى سوى اسوارها . وكان اساس هذه الاسوار من الاحجار المنحوتة مرصعة بالصدف وسمكها خمسون قدماً وارتفاعها خمسون قدماً ايضاً . وكان مبنيًّا على هذه الاحجار اسوار عرضها خمسون قدماً وارتفاعها مائة قدم . وكان بعض المنفيين الاثوريين قد رجعوا من بابل بامر كورش الملك الى وطنهم وعمّروا مدينة اثور وانصبّوا الى الزراعة والتجارة فراقت احوالهم . ويذكر كسينيفون اليوناني مدينة كاني في اثور ويقول عنها انها كانت كبيرة وغنيّة . فلفظة كاني باليونانية معناها الجديدة . فمن المحتمل ان كاني هذه هي مدينة حدتّا (ܚܕܬܐ) التي معناها الجديدة في اللغة الاراميّة وهي كانت على ساحل دجلة عند الموقع المعروف الان بحمام العليل . ومع هذا فقد اتى في تواريخ الاثوريين النساطرة واليعاقبة ذكر مدينة اخرى يقال لها خانيكار وكانت في بيت كرماي (١) . وذكر مدينة اخرى اسمها بيت كينا وكانت بين الموصل وتكريت(٢)

واماَّ بلاد الكلدان فلم تكن قد سقطت مثل اثور . نعم ان مدنها قلّت من السكان غير انها لم تزل زاهرة عامرة . فان اوروك وبورسيپا كانتا مركزين لجميع العلوم الدينيّة والادبيّة . وكذلك بابل العظمى بقيت تقريباً على حالتها الاولى . فانها بعد شوشان كانت هي العاصمة الثانية لمملكة الفرس . لان الملك مع حاشيته كان يأتي اليها كل سنة ويقضي فيها فصل الشتاء . وبذلت جهدها مرارًا وطلبت الاستقلال لكنها سلّمت اخيرًا ورضيت بحالتها منذ نهبها احشويرش ونكّل بها . وكان يقصدها الناس افواجاً افواجاً للتفرّج عليها او للتجارة . وكانت اسوارها التي بناها نبوكدناصر الثاني قد بقيت تقريباً على حالها . والمدينة نفسها كانت مبنية على ترتيب مضبوط ورسم منظّم خلافاً لما كانت عليه المدن اليونانية من عدم الانتظام في الطرق والازقة (٣) . ومماَّ كان يحيّر اكثر الزوّار القادمين اليها البساتين المعلّقة وكانت تُعرَف ببساتين شميرام وقد سبق ذكر وصفها (٤) . واماَّ الكلدان فكانوا يتميّزون

(١) سمعاني المكتبة الشرقية : ܒ : ص ٧٣٨ (٢) كذا : ص ٢١٨ وفي المقدّمة

(٣) هيرودوت : ١ ١٨٠ (٤) راجع ص ١٤٧ من هذا الكتاب

من الغرباء بزيّهم الفاخر وكسوتهم الناعمة . وكانت عبارة عن كتونة طويلة من كتان تنزل على الرجلين . ويلبسون فوقها كتونة اخرى من صوف وفوقها عباءة بيضاء . وكانوا يربّون شعرهم ويعقدون على رؤوسهم تاجاً ويعطّرون جسدهم كلهُ . وكان لكل واحد منهم خاتم يقوم بمقام المهر وفي يده عصاً ظريف يعلوهُ اماّ صورة ثمرة من الاثمار او زهرة من الزهور او صورة الهلال او صورة النجمة او صورة النسر او غير ذالك

ان الاثوريين انقرضت مملكتهم وكذلك الكلدان سقطت دولتهم سقطة مميتة . ولكن لغة الكلدان والاثوريين انتشرت انتشاراً عجيباً وعاشت مدّة طويلة في البلاد التي كانوا قد استولوا عليها . ان اللغة التي كان يستعملها كتبة بابل ونينوى في تاليفاتهم وتدوين الامور الرسميّة لم تكن مستعملة الّا عند النزر القليل . واماّ لغة العامّة فكانت الكلدانية او الارامية . وهذه اللغة الارامية اجتهد ملوك كلدو واثور بنشرها اينما ذهبوا بسلاحهم . وكان من عادتهم كما رأينا سابقاً ان يُسكِنوا في البلاد المفتوحة الاسرى الذين يقتادونهم في غزواتهم . وكان شركينا وخلفاؤهُ قد استاقوا جمًّا غفيرًا من الكلدان الى سواحل الفرات والعاصي في بلاد السريان . واستوطن هؤلاء الكلدان في بيت اديني في اطراف دمشق وحماة . وانضمّ اليهم بعدئذٍ اسرى أُخر كثيرون من بني جنسهم . وازدادوا نشاطاً ونجاحاً في عهد نبوكدناصر الملك . فانهُ بانتصاراته ضمّهم الى اخوتهم الكلدان الذين في بابل واطرافها . فصارت بلاد السريان الشمالية من اخصّ مراكز الكلدان وقرضت لغتهم لغات اولئك الاقوام (١) حتى ان تيادوروس بركوني الكشكري الذي عاش في نهاية الجيل السابع بعد المسيح قال متعجباً : « انّ اللغة السريانية مع تغيير الزمان وكور الاجيال قد تبدلت وفسدت بالفاظ غريبة لا بل هربت من حيث كانت اي من بابل واستوطنت في بلاد أُخرى . واذا قابلنا اللغة البابلية مع اللغة السريانية الفصيحة لا نرى فيها كلمةً سريانية بين مائة كلمة . نعم ان اللغة السريانية بقيت في بابل ولكن السريانية الفصيحة نراها في حمص وافامية واطرافهما (٢) »

---

(١) ماسپيرو : ٧٧٥—٧٧٦ ورنيان : تواريخ اللغات السامية ١٨٧٣

(٢) تيادوروس بركوني طبعة ادى شير : ٢ ١١٣

ولا بدّ من ان بركوني بقولهِ اللغة البابلية يشير الى اللغـة التي كان يستعملها الكتبة في بابل ونينوى والتي يسمّيها علماء عصرنا اشورية . فيظهر من قوله هذا ان هذه اللغة الاشورية كانت مستعملة بعد في زمانه عنـد كهنة الكلدان الوثنيين وعلمائهم

ولمّا انتقل الحكم من الاثوريين والكلدان الى الفرس لم تفقد اللغة الارامية شيئاً من رونقها بل بقيت لغة رسمية للمملكة في جميع البلاد المغربية الخاضعة لها كمصر واسيا الصغرى وسوريا وشمالي بلاد العرب . والاكتشافات الاثرية تؤيد ذلك فاننا نرى اللغة الكلدانية الارامية مكتوبة على مصكوكات اسيا الصغرى ونجدها مسطّرة على البرديّ وعلى الاحجار في مصر . وكل اوامر الحكام وتحريراتهم بهـا كانت مكتوبة . حتى ان الملك نفسه بها كان يكتب اوامره الساميـة . فبلغ انتشارها مبلغاً عظيماً حتى انها قرضت جميع اللغات ان سامية وان غيرها التي كانت مستعملة في بلاد السريان ويهوذا وفلسطين وفونيقي وامتدّت من بلاد عيـلام ومادي وخليج فارس الى البحر الاحمر والبحر المتوسط (١) . وكذلك ايضاً في عهد السلوقيين والفرثيين والساسانيين اضحت هي اللغة السائدة في كل آسيا الساميّـة وامتدّت ايضاً في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجاز وذلك في القرون الاولى من تاريخ الميلاد الى القرن السابع منهُ . والادلّة على ذلك كثيرة . فانّ الكتابات التي وُجدت في كل تلك الانحاء انما هي بالارامية وليست بالعربيـة . وكذلك في شبه جزيرة سينا كتابات ارامية لا تحصى ابقاها لنا عرب تلك الجهات (٢) . واضحت الارامية مدة اعصار مديدة حتى بعد فتح الاسلام لا بل بعد القرون المتوسطة لغة علماء الشرق كما كانت اللاتينية لغـة علماء الغرب . وكان المسلمون ايضاً يدرسونها لكثرة فوائدها . وقد كتب بها الارمن مدّةً قبل انتشار الارمنية وحروفها . وكتب بها ايضاً الاتراك الملقّبون بأويغور . ولحد الان يكتب بها المغول والمنچوريون (٣) وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى اقاصي الشرق في الصين شمالاً وفي الاقطار الهندية جنوباً كما انها بلغت جنادل النيل . فلا نظنّ ان لغةً اخرى حتى ولا اليونانية جارت

(١) ماسپيرو : ٧٧٥–٧٧٦ (٢) المشرق : ١٩٠٣ ص ٧٠٥–٧٠٦

(٣) شارل اوديس بونين : ملحوظات على كنائس النساطرة النصارى في اسيا الوسطى

الارامية في اتساعها اللهمّ الّا الانكليزية في عصرنا هذا (١)

لكن منذ الجيل السابع فصاعدًا بدأت اللغة العربية تقرض شيئاً فشيئاً اللغة الكلدانية حتى استولت عليها بالتمام وابطلتها في الجيل الخامس عشر للميلاد من جميع المدن الكبيرة والصغيرة ما عدا اربيل وسليمانية وكويسنجاق في البلاد العثمانية وسنا واورمية في فارس. والمتكلّمون في هذه المدن بهذه اللغة هم النصارى واليهود فقط. فان الاسلام هناك يتكلّمون بالتركية او بالكردية او بالفارسية. واماَّ القرى التي حافظت على لغتها هذه الشريفة فكثيرة. ومعظمها في اثور ومادي اي في اطراف الموصل وجبل طور عابدين في سنجاق ماردين وكردستان وفي اطراف اورمية. وممّا يستحقّ كل التأسف ان الكلدان او الاراميين اصبحوا منذ زمان يحتقرون لغتهم هذه فلا يجتهد بتعليمها سوى بعض الكهنة لاغير. ويا ليتهم يستيقظون وينكبّون بجدّ ونشاط على درس لغتهم هذه القديمة

الكتاب السادس

في الممالك التي ظهرت في الشرق من بعد موت اسكندر الكبير (٣٢٣—٣٢٦) ق م

لمّا رجع اسكندر الكبير من بلاد الهند الى بابل قصد ان يتّخذ هذه المدينة الجليلة عاصمةً لدولته الواسعة. ولكنّ الموت لم يمكّنهُ من ذلك. وتوفي في بابل في قصر نبوكدناصر سنة ٣٢٣ ق م. ومن بعد وفاته تنازع الملك قوّاد جيشه وانتشبت بينهم حرب شديدة كانت نتيجتها ان مملكة اسكندر قُسمت الى اربعة اقسام. فوقعت بلادنا هذه مع سوريا في حصّة سلوقوس سنة ٣١١

ان سلوقوس كان كريماً وديعاً يحبّ العلوم والصنائع وبنى مدناً كثيرة اشهرها انطاكية وساليق على سواحل دجلة ولم تكن بعيدة عن بابل. وبقي السلوقيون متسلّطين على بلادنا ستًّا وستين سنة. والملوك الذين ملكوا في هذه المدّة: سلوقوس (٣١١—٣٧٩) وانطيوخس الاول الملقّب بسوطير اي المخلّص (٢٧٩—٢٦٣)

---

(١) المشرق: ١٩٠٣ ص ٧٠٢

وانطيوخس الثـاني الملقب بثأوس اي الله (٢٦١—٢٤٥) . وكان هذان الملكان الاخيران ضعيفَي الرأي قاصرَي العقل . فساءَت احوال المملكة في ايامهما

ان الكلدان والاثوريين الذين في عهـد ملوك الفرس قاموا مرارًا وارادوا الاستقلال لم يظهر منهم ادنى حركة في زمان السـلوقيين . وكانت مدينة ساليق قد ازدهرت ومحت اسم بابل وعاش اهلها عيشة المقدونيين وكان لها مجلس ملّي مؤلف من ثلاثمائة شخص (١) وانتقل اليهـا كثير من سكّان بابل . ولعمري ان فكر سلوقوس في بنائه هذه المدينة لم يكن الّا هذا اي ان يخرّب بابل ويمحو من اذهان سكانها ذكر الملوك العظام الذين ملكوا فيها . لا بل انهُ ابطل كل التواريخ المستعملة عند اجدادنا واحرق كل الكتب التي كانت تذكرها وابتدأُوا منذ ذلك الحين يستعملون تاريخ السلوقيين المعروف ايضاً بتاريخ اسكندر وبدوءُهُ سنة ٣١١ قبل المسيح (٢) . فنسي الكلدان الشهرة العظيمـة التي حصل عليها اجدادهم واستولى عليهم الهوان والغفلة وتعوّدوا ان يعيشوا تحت رقّ العبودية

لكنّ شعباً جديدًا لم يُذكر اسمهُ في التواريخ الى ذلك الحين اعني بهم الفرثيين قام غفلةً وانتهز الفرصة من ضعف السلوقيين واستقـلّ من حكمهم . وكان موقع بلاد الفرثيين الى شرقيّ مادي . ولمّا كانت السنة ٢٥٠ قبل المسيح رفع ارشاق او اشك احد عظمائهم لواء العصيان على انطيوخس الثاني واستقلّ وأخضع بلاد فارس ومادي وكلدو واثور ايضاً . ومنهُ بدأت دولة الارشاقيين الفرثيين . واتخذوا مدينة ساليق عاصمةً لملكهم . ثم بنوا حذاءها مدينة اخرى سمّوها قطيسفون وأُطلِق على هتين المدينتين اسم (ܡܕܝܢܬܐ) اي المدائن

وكانت مملكة الفرثيين مركبة من ممالك شتى صغيرة وكل واحدة منهـا لها ملك يحكم عليهـا . واشهرها مملكة اورهاي ومملكة تدمر وإمارات حدياب وحطارا وميشان وبيت كرماي . وكانت كل هذه الممالك كلدانية ارامية . وكانت تارة تستقلّ وتارة تخضع للفرثيين او للرومانيين . ولسوء الحظ لم تحفظ لنا التواريخ الّا شيئاً يسيرًا من اخبار هذه الممالك التي قامت في بلادنا في الاجيـال الاخيرة والاولى قبل المسيح وبعده

(١) تاسيت : التواريخ : ٥ : ٦ : ٤٢ (٢) ميخائيل : ٤ : ٧٤

الفصل الاول

في مملكة الفرثيين

انّ تاريخ الملوك الفرثيين مطموس في الظلام . وما وصلنا عنهم قد اتى مبدّداً في تواريخ اليهود واليونان والرومانيين والكلدان النساطرة . وقد اجتهد المستشرقون ان يكتبوا قائمتهم بواسطة نقودهم التي وصلتنا . لكنّهم لم ينالوا بعد المرغوب بالتمام . لا بل ان اغلب ما وصلوا الى كشفه من معرفة سني جلوس هؤلاء الملوك ووفاتهم ليس الّا على سبيل التخمين لاغير . وهاك جدول الملوك الفرثيين الذي كتبهُ كوتشميد في كتاب تواريخ ايران بحسب سنة جلوسهم في تاريخ قبل الميلاد (١)

١	ارشاق الاول المؤسّس	٢٥٠—٢٤٨
٢	تيريدات الاول اخو ارشاق	٢٤٨—٢١٠
٣	ارشاق الثاني (٢) ابن تيريدات	٢١٠—١٩١
٤	ابرهاپاط	١٩١—١٧٦
٥	ابراهاط الاول ابن ابرهاپاط	١٧٦—١٧١
٦	ميثريدات الاول اخو أبراهاط الاول	١٧١—١٣٨
٧	ابراهاط الثاني ابن ميثريدات الاول	١٣٨—١٢٨
٨	ارطبان الاول اخو ميثريدات الاول	١٢٨—١٢٣
٩	ميثريدات الثاني	١٢٣—٨٨
١٠	ارطبان الثاني	٨٨ —٧٧
١١	سيناطروق	٧٧ —٧٠
١٢	ابراهاط الثالث ابن سيناطروق	٧٠— ٥٧
١٣	ميثريدات الثالث ابن ابراهاط الثالث	٥٧ —٥٤

---

(١) راجع ايضا ألوت دي لافوي : جدول جديد للنقود الارشاقيـة . باريس ١٩٠٤ ص ٥—٦

(٢) ألوت (ص ٦—٨) وغيره من العلماء يسمّونهُ ارطبان الاول

١٤ أورود بن ابراهاط الثالث	٥٧ — ٣٧
١٥ پاقور الاول ابن أورود	٣٨
١٦ ابراهاط الرابع ابن أورود	٣٧ —٢

ان ملوك سوريا حاولوا كثيرًا ان يُخضعوا الفرثيين ولم يقدروا. ففي السنة ٢٢٥ قبل المسيح حارب سلوقوس الثاني (٢٤٦—٢٢٥) تيريدات الاول . لكنهُ انكسر ووقع اسيرًا بيد الفرثيين . واتى في سفر المقابيين الاول (١) والثاني (٢) ان انطيوخس الكبير (٢٢٢—١٨٧) حمل عليهم وكانت النصرة اولًا لهُ ثم انغلب ورجع مكسورًا ومات في الطريق . وكذلك ديطريوس بن ديطريوس سوطير نازع نحو سنة ١٤١ ميثريدات الاول فوقع هو ايضاً اسيرًا بيده ونفاه الى هرقانيا . ثم انس بهِ ولاطفهُ وزوّجهُ بابنته . واشتهر ميثريدات الاول كثيرًا بفتوحاته اذ وسَع ملكه من دجلة الى بلاد الهند ومن بحر قزوين الى خليج العجم (٣)

ولمّا صارت بلاد سوريا في حوزة الرومانيين اجتهدوا هم ايضاً باخضاع الفرثيين فلمّا كانت السنة ٦٥ قبل المسيح حمل عليهم افراتيوس قائد پومپيوس ودامت الحرب سنتين . وكان موقعها في ما بين النهرَين . فلولا ابجر الثاني ملك اورهاي وسكان مدينة حران لهلكت الجيوش الرومانية جوعاً وبردًا (٤) . وفي سنة ٥٣ اغار عليهم كراسوس وانضمّ اليهِ ابجر الثاني فخرج عليهما أورود الملك وقهرهما بالقرب من حران وسقط كراسوس قتيلًا (٥) وتشجّع الفرثيون بهذه الغلبة وعبروا الفرات زاحفين على سوريا وحاصروا مرّتين انطاكية حتى ان يوليوس قيصر استعدّ ان يمشي هو بنفسه عليهم . لكنّ قتله حال دون ذلك (٦)

وانّ انطونيوس بعد قتل قيصر ظلم اهالي سوريا (٧) فاستثقلوا نيره وانحازوا سرًّا الى الفرثيين . فاغار پاقور بن أورود على سوريا سنة ٤٠ قبل المسيح وتسلّط

---

(١) ٥:١-١٦ (٢) [illegible] (٣) ادريان دي لونكپيريي : تاريخ الملوك الفرثيين والارشاقيين ونقودهم . پاريس ١٨٥٣—١٨٨٢ ص ٢٣ و٢٥-٢٨ . وألوت : ١٩- ٢٢

(٤) دوڤال : تواريخ اورهاي ص : ٤٣ (٥) كذا

(٦) فراسير : تاريخ ما بين النهرَين واثور في الانكليزية ص : ٢٠٤

(٧) كذا ص : ٢٠٥—٢٠٧

عليها . واستولى على صيدا ودخل اورشليم وأسر هيرقان وبسائيل اخا هيرودس واستاقهما الى بلاده (١) وحمل ايضاً على اسيا الصغرى . غير ان ڤانتيديوس قائد انطونيوس قهره وهزمهُ . وقُتل باقور فعيّن أورود مكانه ابناً آخر لهُ يدعى ابراهاط وكان ابراهاط ظالماً شرس الاخلاق . فقام على ابيهِ وقتلهُ سنة ٣٧ واخذ ايضاً بحدّ السيف جميع اخوته وكانوا ثلاثين عددًا (٢) . ففي تلك الاثناء هجم انطونيوس على الفرثيين بجيش مؤلّف من مائة الف جندي وتوغّل في بلادهم . لكنهُ انكسر وهلك اكثر جيشه في الطريق . واماً ما كان من ابراهاط الرابع فانهُ تكبّر من جراء نصرته هذه واخذ يظلم الرعية . فمقتوهُ وعزلوهُ واجلسوا مكانه رجلًا يقال لهُ تيريدات . وكان ذلك نحو سنة ٢٨ ق م . فالتجأ ابراهاط الى الاشكوزيين (٣) (السقوثيين) وتجهّز لمحاربة تيريدات . فانهزم تيريدات من قدامهِ واستجار بأوغوسطوس قيصر . لكن أوغوسطوس لم يستجبهُ بل انتهز الفرصة وتصادق مع ابراهاط وهذا رجّع اليهِ كل الغنائم التي كان الفرثيون قد اغتنموها من كراسوس وانطونيوس (٤) . وارسل ايضاً ابراهاط بعضاً من اولاده الى رومية لكي يتخلّقوا باخلاقها (٥) . وارسل اليهِ أوغوسطوس جاريةً رومانية اسمها موزا فتزوّج بها . ومات ابراهاط في السنة الثانية قبل ميلاد المسيح

هؤلاء هم الملوك الفرثيون الذين ملكوا في بلادنا قبل المسيح . والذين ملكوا بعد ميلاده هم الآتي ذكرهم . من بعد وفاة ابراهاط الرابع حدثت بين الفرثيين فتن وقلاقل شتّى تداخل من اجلها الرومانيون في امورهم (٦) . وملك أولًا من بعد ابراهاط ابنه ابراهاطاس الذي ولدته له موزا الرومانيّة . ولم يدم ملكه كثيرًا . فانه قُتِل في فتنة جرت في ساليق . وملّك الفرثيون مكانه أورود الثاني . وكان أورود سيّئ الاخلاق غضوباً فمقته الرعيّة وقتلوه هو ايضاً وارسلوا وفدًا الى رومية يطلبون من أوغوسطوس قيصر احد اولاد ابراهاط الرابع الذين كانوا هناك

---

(١) السمعاني ٤ : ٤١٩ . وادريان ص ٤٣ (٢) ادريان ص : ٥٥

(٣) كذا ص : ٥٢ (٤) كذا ص : ٦٥

(٥) تاسيت تاريخ طيباريوس ترجمة دي لا بليتري باريس ١٨٩٥ ص ٧٧

(٦) كذا ص ٧٢-٧٩ . وادريان ٧٩-٩٥ والوت ٤٨

ليملك عليهم . فاجاب القيصر الى طلبتهم وارسل معهم أونون . وكان ذلك في السنة الرابعة للميلاد . وكان أونون قد تخلّق باخلاق الرومانيّين . فبغضه اهل ساليق واستدعوا ارطبان . وكان ارطبان من العائلة الملوكيَّة وتربّى عند الاشكوزيّين . فحمل هذا الملك الجديد على أونون وقهره وجلس مكانه سنة ١١ بعد المسيح . لمَّا أونون فهرب الى سوريا . ولما استوثق الامر لارطبان الرابع حمل على ارمنية . وكانت بيد الرومانيّين . فاستولى عليها وجعل عليها ملكاً ارشاق ابنه البكر . واذ كان بنيته ان يحمل على سوريا ايضاً توآمر عليه اثنان من اعيان مملكته يقال لهما عبدا وسيناق . وارسلا الى رومية من يطلبون اپراهاط بن اپراهاط الذي هناك . وكان أوغوسطوس قيصر قد مات سنة ١٤ وخلفه طيبريوس . فاجاب الملك الروماني بفرح الى سوءلهم . واكثر العطايا على اپراهاط وارسله مع نجدة الى الشرق وحالما بلغ ارطبان هذا الخبر رجع مسرعاً الى ساليق وقتل عبدا وتصادق مع سيناق . وكان اپراهاط بوصوله الى سوريا قد وقع مريضاً ومات . فعيّن طيبريوس عوضه ملكاً اخر للفرثيّين وهو تيريدات حفيد اپراهاط . وتمكّن ڤيتليوس القائد الروماني من القآء الفتنة في ساليق . فاضطرّ ارطبان وهرب الى هرقانية . فاتى تيريدات ومعه الجنود الرومانية تحت قيادة ڤيتليوس المذكور وجلس على سرير الملك . ولم يلبث ان اشتدّت الفتنة بين حزبه وحزب ارطبان . فرجع ارطبان بجيوش كثيرة الى ساليق وهزم تيريدات وملك ثانيةً . وكانت وفاته على الراي الأَرجح سنة ٤١ بعد المسيح

وكان لأَرطبان ابنان وردان وكوتلرز . فتنازعا الملك . (١) وكانت النصرة لوردان . فهرب كوتلرز الى هرقانية . ولمَّا كانت السنة ٤٧ صارت فتنة في ساليق قُتِل فيها وردان . فاتى كوتلرز وجلس على تخت المملكة . ونازعه مهردات وكان حليف الرومانيّين . فقوي عليه كوتلرز . فاستغاث مهردات بالرومانيّين سنة ٤٩ . واضافه ابجر الخامس ملك اورهاي مدّة اشهر كثيرة . ثم رافقه في غارته على حدياب ليحارب كوتلرز . ولكنه خانه هناك وتحالف مع كوتلرز فكانت الدائرة على مهردات . (٢) وتوفي كوتلرز سنة ٥١

---

(١) الوت ٤٨-٥٢ وادريان ٩٦-٩٨ (٢) دوڤال تاريخ أورهاي ص ٤٨

وجلس بعده أُولغاش الاول (٥١ — ٧٧) . فلمّا كانت السنة ٥٤ اغار هــذا الملك على ارمنيــة . لكن ابنه وردان انتهز الفرصة من غيابه واراد ان يجلس مكانه . فترك اولغاش ارمنية ورجع مسرعاً الى ساليق وأطفأ نار العصيان . ثم حمل ثانية في السنة ٦١ على ارمنية وقهر الرومانيّين وأخرجهم منها . (١)

وملك بعده باقور الثاني (٧٧ — ١١١) . (٢) ثمّ خوسرو (١١١ — ١٢١) . (٣) وفي ايام هذا الملك حمــل طريانوس قيصر على بلاد المشرق . وارسل اليه خوسرو رسلًا يطلب منه الصلح . فلم يقبل القيصر طلبته . بل زحف على بلاده . وقــدّم له الطاعة جميع امرآء ما بــين النهرَين . وفي سنة ١١٥ انتصر الرومانيون على الفرثيّين وافتتحوا ساليق وانزلوا خوسرو من تخت الملك واجلسوا مكانه برناتسپاط . ولمّا كان طريانوس مشغولًا سنة ١١٦ على سواحل خليج العجم عصت عليه ما بــين النهرين . فارسل عليها قائده لوسيوس كويتيوس فاخضعهـا واحرق اورهاي ثمّ ان طريانوس برجوعه الى اطاليا مات في الطريق سنة ١١٧ . فانتهز الفرثيون الفرصة وخلعوا برناتسپاط واجلسوا مكانه خوسرو . وكان ادريانوس خليفة طريانوس محبًّا للسلام فصالح خوسرو وردّ اليه ابنته التي كان طريانوس قد سباها . (٤)

وقام بعــد خوسرو بالملك اولغاش الثاني (١٢١ — ١٤٨) . (٥) وفي ايامه هجم على مملكتــه اقوام برابرة كانوا يسكنون في اطراف بحيرة قزوين . فارسل عليهم اولغاش قائــده ارشاق بصحبة رقبخت النصرانيّ الاربيلي . وكانت النصرة اولًا للفرثيــين . ولكن كيزو ملك البرابرة احتال عليهم وسار بهم الى وادٍ واحتاط بهم هناك واشتدّ القتال ثلاثــة ايام وكاد الفرثيون يموتون جوعاً . فتشجّع حينئذٍ رقبخت وصاح باجناده وتسلّق الجبل وضرب ضربة شديدة في العدوّ وفتح الطريق لأرشاق وجيوشه واماً هو فخرّ قتيلًا في ميدان الحرب . ولم يتعقّب البرابرة ارشاق اذ بلغهم ان اقواماً عبروا البحر وهجموا على بلادهم . فرجعوا مسرعين لكي يدافعوا عنها . (٦)

---

(١) تاسيت : مك ومج ومه وادريان ١١٠—١١٤

(٢) ادريان ١٣٣—١٣٤ (٣) ادريان ١٣٥ (٤) كذا ١٣٥—١٤١

(٥) ادريان يسمّيه الثالث (٦) مشيحازخا ٨—١٠

ثمّ ملك اولغاش الثالث (١) (١٤٨ — ١٩١) . وفي سنة ١٦١ اغار على سوريا وانتصر على الجنود الرومانية . (٢) وكان مرقوس اوراليوس يملك حينئذٍ في رومية واتخذ له شريكاً في الملك لوقيوس واروس . فخرج واروس على الفرثيّين سنة ١٦٣ وفي سنة ١٦٤ حاصر أُورهاي التي كانت قد وقعت بيد اولغاش . وحمل اهلها على الجيوش الفرثيّة التي عندهم وقتلوها وسلّموا المدينة بيد الرومانيّين . وفي سنة ١٦٥ ذهب واروس بفتوحاته الى مدينة قطيسفون وشدّ عليها الحصار . وفي تلك الاثناء حدث وبأ شديد في المدائن . فالتزم الرومانيّون ان يكرّوا على اعقابهم وقد باد منهم خلق كثير . (٣) واصطلح الفريقان ودام هذا الصلح اكثر من ثلاثين سنة

ثمّ جلس على سرير الملك اولغاش الرابع (١٩١ — ٢٠٨) . (٤) وكان ذا حزم . فحرّك سكّان ما بين النهرين الى العصيان على رومية . فانقادوا اليه . فحمل عليهم سپتيموس سيڤير سنة ١٩٥ واخضعهم . واذ كان هذا الملك مشغولاً بالحرب في غاليا انتهز اولغاش الفرصة من ذلك وحمل على ما بين النهرين واستولى عليها . فزحف عليه القيصر سنة ١٦٨ وقهره وافتتح قطيسفون ونهبها . واتى في كتاب مشيحا زخا (٥) انّ الفرس تجهّزوا في تلك الاثناء لمحاربة الفرثيّين . فحمل عليهم اولغاش بجيش مؤلف من مائة وعشرين الف مقاتل . وانتشب القتال في خوراسان . وكانت الدائرة على الفرثيّين حتى انهم التجأوا الى الجبل تاركين خيلهم . فتعقّبهم الفرس واللاديّون واثخنوا فيهم الجراح . فلمّا راى الفرثيّون ان لا مناص لهم تشجّعوا وكرّوا على الاعدآء بشدّة عجيبة وهزموهم الى بحيرة قزوين وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . امّا نرساي ملك حدياب فلم يرافق الفرثيّين في هذه الحرب . فاثّر فيهم ذلك . ولمّا رجعوا منصورين هجموا على بلاده وخرّبوا مدنه ونهبوها واغرقوه في الزاب الاكبر . (٦)

انّ آخر الملوك الفرثيّين كان ارطبان الرابع (٧) (٢٠٨ — ٢٢٦) . ومن اخباره

---

(١) ادريان يدعوه الرابع

(٢) تاريخ ايليا النصيبيّ ص ٨٨ وادريان ١٤٨—١٥٠ ودوڤال تاريخ اورهاي ٥٦—٥٩ (٣) مشيحازخا ١٢ (٤) دوڤال تاريخ أُورهاي ٦٠—٦١ ومشيحازخا ٢١ . امّا ادريان دي لونكپيري فيلقّب بالخامس

(٥) ص ٢١—٢٢ (٦) مشيحازخا ص: ٢٥ (٧) كذا ٢٨

انه في السنة ٢١٦ و ٢١٨ قاتل الرومانيّين واحرق مدناً كثيرة من مدنهم . ثم عقد الصلح مع مكرينوس . (١) وكان الفرس (٢) والماديّون يرغبون منذ زمان في ان يستقلّوا لا بل ان يتسلّطوا على كل مملكة الفرثيّين . وقد سبق القول انّ هذه المملكة لم تكن مرتّبة . اذ انّه في كلّ بلدة كان يحكم ملك مستقلّ نوعاً ما . فاحتال الفرس واجتذبوا اليهم هؤلاء الملوك الصغار . ومن جملة الذين تحزبوا لهم كان شهراط ملك حدياب ودوميطيانا ملك بيت كرماي . وكان المالك على الفرس يومئذٍ ارداشير من آل ساسان . وكان قد اخضع جميع الملوك الموجودين في جبال فارس . فانقضّ من اسطخر على البلاد السهليّة وتسلّط على ما بين النهرين وارزون وبيت زبداي وارض بابل . وظفر ظفراً تامًّا بارطبان ملك الفرثيّين في ٢٨ نيسان سنة ٢٢٦ . (٣) ولُقب ارداشير بشاهنشاه اي ملك الملوك وعُرِفت دولته بدولة الساسانيّين . فهرب الفرثيون الى جبال ارمنية تاركين كلّ خزائنهم واموالهم بيد العدوّ . ونصب ارداشير كرسيّه في المدائن . ودامت دولته الى ان قرضها العرب المسلمون

الفصل الثاني

في مملكة أُورهاي (٤)

انّ المؤلّفين الاراميّين ذهبوا انّ اورهاي هي آرك المذكورة في التوراة وانّ بانيها هو نمرود . ولمّا مصّرها السلوقيّون سنة ٣٠٤ قبل المسيح سمّوها إيدِساً على اسم احدى مدن ثراقية . ودعاها اليونان كاليرهوي اي الحسنة المياه . وتُعرف عند الاراميّين باورهاي وربّما سمّوها مدينة الفرثيّين او بنت الفرثيّين . وعُرّبت بالرها واسمها المشهور اليوم أُورفا وهي من المدن العريقة في القدم وحازت في بعض ادوار التاريخ على اهميّة عظيمة ولا سيّما في مدة مملكتها الصغيرة التي دامت ثلاثة اجيال ونصف

---

(١) مشيحازخا وادريان ١٥٥–١٥٦ (٢) مشيحازخا ٢٨–٢٩

(٣) مشيحازخا يكتب ٢٧ نيسان سنة ٢٢٥

(٤) كل ما قلناه هنا عن مملكة اورهاي مأخوذ من تاريخ أُورهاي تأليف دوقال ص ٣–٧٣ . راجع ايضاً ديونوسيوس التلمحريّ عند السمعاني: 1 ١٧–٤٢٣

انّ تلسيس مملكة أُورهاي كان في السنة ١٣٢ قبل للسيح على يد أريو الملك ومعنى اريو الاسد وملك خمس سنين اي الى سنة ١٢٧ . وخلفه عبدو بن مزعور (١٢٧ — ١٢٠) ثم أبراداشت (١٢٠ — ١١٥) ثم بكرو الاول (١١٥ — ١١٢). ولمّا مات بكرو الاول جلس مكانه ابنه بكرو الثاني. وفي سنة ٩٤ شاركه في الملك معنو مدّة اربعة اشهر ثم ابجر (١) بيقا. فلمّا كانت السنة ٩٢ قام ابجر على بكرو وقتله وحكم الى سنة ٦٩

وبعد ابجر الاول ملك ابنه ابجر الثاني (٦٨—٥٣) . وحالف هذا الملك الرومانيّين على الفرثيّين. ولولاه لهلكت جوعاً وبرداً في ما بين النهرين عساكر افراتيوس قائد پومپيوس في شتآء السنة ٦٥ و ٦٤ قبل المسيح. فانّه هو واهل مدينة حران قدّموا للرومانيّين يد المساعدة. فلذلك اكرمه پومپيوس وأعزّه كثيرًا. ولمّا اغار كراسوس على الفرثيين في ربيع سنة ٥٣ انضمّ اليه ابجر الثاني. وقال عنه المؤرّخون الغربيّون انه خان الرومانيين اذ دلّهم على طريق يابس لا مآء فيه فانكسروا وسقط كراسوس قتيلًا. لكنّ في هذا نظرًا. فانّ موقع المحاربة كان بالقرب من حران ولم يكن المكان مجدباً يابساً كما زعم المغلوبون. هذا وانّ الفرثيين استولوا على اورهاي وعزلوا ابجر الثاني من جرآء تحزّبه للرومانيين ولعلّهم قتلوه ايضاً. فانّ التاريخ لا يذكر اسمه بعد هذه الواقعة

وفي سنة ٥٢ ملك على اورهاي معنو الثاني. ولقّب هذا الملك نفسه بألاها اي الله. ولعلّه باخذه هذا اللقب اقتدى بإبراهاط الثالث ملك الفرثيين وتيغران الثاني ملك ارمنية اللذين اتّخذا هما ايضاً هذا الاسم الجليل . وملك بعد معنو الثاني پاقوري (٣٤ — ٢٩) . انّ اسم هذا الملك فرثيّ وهذا ممّا يدلّ على انّ اورهاي كانت في حكم الفرثيين في زمان هذا الملك . وملك بعده ابجر الثالث (٢٩—٢٦). ثمّ أبجر الرابع الملقّب بسوماقا (ܣܘܡܩܐ) اي الاحمر (٢٦ — ٢٣). ثم معنو الثالث المعروف بسَپلول (٢٣ — ٤)

---

(١) ان اسم ابجر اراميّ كما يقول دوقال ومعناهُ الاعرج وبهذا الاسم عُرِف ايضاً احد بطاركة الكلدان النساطرة في الجيل العاشر وهو ܐܒܓܪ ܒܪ ܐܒܓܪ

فلمّا كانت السنة الرابعة قبـل ميلاد المسيح ملك في اورهاي ابجر الخامس وهو المعروف بأوكاما (ܐܘܟܡܐ) اي الاسود. وفي السنة العاشرة لملكه حدثت فتنة في اورهاي فنفوا ابجر وأجلسوا عوضه اخاه معنو الرابع. ولكن لم تدم مدّته كثيراً فانّ ابجر رجع وجلس ثانية على سرير الملك. وكانت وفاته سنة ٥٠ بعد المسيح. ومما اشتهر به ابجر أوكاما خيانته لميهيردات ملك الفرثيين وقد مرّ الكلام عن ذلك. وأتى في التقليد انّ ابجر هذا لمّا سمع عن شهرة يسوع كتب اليه طالباً منه ان يأتي فيشفيه من مرض اعتراه. فوعده المسيح انّه من بعد قيامته يرسل اليه احد تلاميذه. فاتى مار ادى الى اورهاي وشفاه من مرضه وعمّده. انّ هذا التقليد شاع وانتشر في كل البلاد الشرقية. ووقع ايضاً بيد الارمن. فلفّقوه مثلما ارادوا قائلين عن ابجر انّه ارمنّي وانه هو الذي اسّس مملكة أورهاي. وهاك قول مورّخهم موسى الخوريني: انّ ارشـام بن ارتاشيس من آل تيغران العظيم جلس على تخت المملكة سنة ٣٣ قبل المسيح. وجرت له حروب طويلة مع هيرودس ملك اليهود. ومات وقـد ملك ٣٠ سنة. وتخلّفه ابنه أبكار (ابجر). وهو الذي نقل سرير المملكة من ميدزبين (نصيبين) الى اورهاي. وبعد موته قُسّمت مملكته بين ابنه وابن اخته. فوقعت اورهاي في حصّة ابنه أنانو (معنو) وارمنية وحدياب في حكم سناتروك ابن اخته. ثمّ انّ سناتروك استولى على كلّ المملكة وقتـل جميع اولاد ابكار وعمّر مدينـة نصيبين وزخرفها. » هذه هي الحكاية الارمنية عن ابجر الخامس. ويقول عنها روبانس دوڤال انّها مزوّرة لفّقوها ترويجاً لبضاعتهم

ومن بعد ابجر الخامس ملك ابنه معنو الخامس (٥٠ — ٥٧) ثمّ معنو السادس (٥٧ — ٧١) ثمّ ابجر السادس (٧١ — ٩١). ومن سنة ٩١ الى سنة ١٠٣ بعد المسيح اما ان يكون قد فرغ سرير الملك في اورهاي او جلس عليه احد الفرثيين او ملك آخر اسمه ايزاط من عائلة ملوك حدياب

ولمّا كانت السنة ١٠٩ ملك ابجر السابع ابن ايزاط ومات سنة ١١٦. وفي عهده اغار طريانوس قيصر على الفرثيين. وقرض مملكة پيترا النبطيّة وغيرها من الامارات التي كانت قد تاسّست بالقرب من الفرات والدجلة. وسلّم له ابجر ايضاً وقـدّم له ٢٥٠ حصاناً مع كلّ لوازمها و ٦٠٠٠ سهم. فلم يقبل منه طريانوس سوى ثلاثـة

دروع وصار ضيفاً عنده. وفي سنة ١١٥ رافق ابجر الرومانيين في غارتهم على سپوراق امير انتيموزيا. وأخضع طريانوس كل بلاد ما بين النهرين. ونزل الى سواحل خليج العجم سنة ١١٦. ولمّا كان مشغولًا هناك رفع عليه لوآء العصيان كل امرآء ما بين النهرين. فارسل عليهم طريانوس من بابل القائدَين لوسيوس كويتيوس وماكسيموس. أمّا ماكسيموس فانغلب وامّا لوسيوس فكسر العصاة واستولى على نصيبين وأحرق اورهاي. وكان ذلك في آب سنة ١١٦. والظاهر انّ أبجر قُتل في هذه الحرب اذ لم نقف بعد على اثره. وبقيت اورهاي بيد الرومانيين الى سنة ١١٨

قد سبق القول (١) انّ طريانوس لمّا فتح ساليق ملّك پرناتسپاط مكان خوسرو وانه لما مات قيصر خلع الفرثيون پرناتسپاط. فالبائن ان پرناتسپاط هذا هو الذي صار ملكاً على اورهاي ودام ملكه الى سنة ١٢٢ او ١٢٣. وانّ پرناتسپاط المذكور مرّتين عند ديونوسيوس التلمحري ليس الّا شخصاً واحداً. (٢)

بعد وفاة پرناتسپاط رجع الملك الى اصحابه الاولين. وملك معنو السابع ابن ايزاط. والبائن انه كان اخا ابجر السابع ومات سنة ١٣٩. وملك بعده ابنه معنو الثامن الى سنة ١٦٣. وفيها تقوّى اولغاش الثالث ملك الفرثيين واستولى على اورهاي. فهرب معنو الى رومية وملّك الفرثيون مكانه وال بن سهرو. فلمّا كانت السنة ١٦٤ زحف لوقيوس واروس على ما بين النهرين وحاصر اورهاي. وخان السكان الجيوش الفرثيـــة التي عندهم اذ قتلوهم كلهم وسلّموا المدينة الى الرومانيين. وملّكوا عليهـا ابجر الثامن. والظاهر انه لم يملك سوى سنتين. فانّ معنو الثامن رجع الى اورهاي سنة ١٦٧ فملك ثانية الى سنة ١٧٩.

ولما مات معنو الثامن جلس مكانـه ابنه ابجر التاسع (١٧٩ — ٢١٤). وفي

---

(١) راجع ص ١٦٧ من هذا الكتاب

(٢) هاك قول ديونوسيوس (سمعاني: 1 ٤٢٢): «انّ پرناتسپاط ملك ثلاث سنين وعشرة اشهر ثم ملك بعده پرناتسباط عشرة اشهر.» واماً دوقال (ص ٥٥) فيقول ان إيلور او يالور ملك في أورهاي تحت حكم پرناتسپاط ولما عُزل هذا حكم ايلور على بلاد ما بين النهرَين وما يجاورها ثم بعد مرور ثلاث سنين وعشرة اشهر خلفهُ پرناتسپاط نفسه وملك عشرة اشهر

ايامه اي في سنة ١٩٤ عصى اهل ما بين النهرَين على پيسكينوس قائد الجيوش الرومانية فيسوريا · وكان ذلك بتحريك الفرثيين · وكان ابجر التاسع من جملة العصاة · ونازع پيسكينوس سپتيموس سيڤير فحمل عليه سيڤير وقتله · وزحف ايضاً هذا الملك على ما بين النهرين واخضع العصاة · ورجع ثانيةً في سنة ١٩٨ وانتصر على الفرثيين وذهب الى قطيسفون وافتتحها · واماً ما كان من امر ابجر فانّه التجأ الى سپتيموس وسلّمهُ اثنين من اولاده · واكرمه الملك الروماني كثيرًا واستدعاه الى رومية حيث صار له استقبال عظيم · وسمّى ابجر ابنه باسم سپتيموس سيڤير · وفي ايام ابجر هذا اي في شهر تشرين الثاني سنة ٢٠١ فاض نهر ديصان فيضاناً عظيماً حتى انه هدم جانباً من السور ودخل المدينة واخرب قصر الملك وبيوتاً كثيرة واغرق اكثر من الفي نسمة

انّ ابجر التاسع كان نصرانياً · لكننا لا نعرف في اي سنة تنصّر · وقال عنه دوڤال انه من بعد رجوعه من رومية اعتنق الديانة المسيحيَّة غير انّ قوله ليس من المحتمل · فان ابجر لم يكن يتجاسر ان يتظاهر علانية بالديانة التي كان مولاه القيصر يبغضها ان لم يكن قد اعتنقها قبل التجائه اليه وذهابه الى رومية · واجتهد ابجر برفع شان الآداب الاراميَّة · فانّه استدعى اليه برديصان الشهير وشجّعه في تاليفاتهِ · واقام ايضاً عنده مدّة من الزمان يوليوس الافريقيّ

انّ ابجر التاسع في سنة ٢١٤ شارك معه في الملك ابنه سيڤير ابجر العاشر · وظهر ابجر هذا قاسياً نحو اهل اورهاي حيث انه اراد ان يُدخل فيما بينهم العوائد الرومانية · وفي سنة ٢١٦ اغار كراكلا على ما بين النهرين فاحتال على ابجر سيڤير واستجلبه اليه فاسره والقاه في السجن وجعل مملكته ولايةً رومانية · وقد دامت هذه المملكة ٣٤٧ سنة · وكان لابجر العاشر ابن اسمه معنو · وقيل عنه انه ملك ٢٦ سنة وأُطلق عليه اسم معنو التاسع · لكنّ في هذا نظرًا · فانّ كراكلا ابطل مملكة اورهاي في سنة ٢١٦ كما سبق القول · فلم يملك معنو ابدًا بل انما أُطلِق عليه اسم الملك لا غير

ولما كانت السنة ٢٤٢ انبعثت هذه المملكة من بين الاموات لكنَّها لم تعِش الّا سنتين وماتت ميتة ابديَّة · فانّ اردشير ملك الفرس اغار سنة ٢٤١ على ما

بين النهرَين واستولى على نصيبين وحران. فحمل عليه غورديان قيصر سنة ٢٤٢ واخذ منه المدن التي ضطبها. وولّى على اورهاي احد اولاد ابجر اسمه ابراهاط ابجر (الحادي عشر). وزال مُلك ابجر مع زوال حياة غورديان سنة ٢٤٤. وقضى ابجر هذا الاخير ايامه الاخيرة في رومية ومات هناك. وقد كُشِف فيها على قبر مكتوب عليه اسم ابراهاط ابجر واسم امراته حودا او هودا

الفصل الثالث

في مملكة تدمر (١)

انّ تدمر هي في برّ الشام. وقال الكتاب المقدس ان بانيها سليمان الملك. ولتدمر اسم آخر في اللغات الاجنبيّة وهو بالمير اي مدينة النخل. وكانت تدمر مدينة تجارية يتقاطر اليها ارباب التجارة من كلّ مكان وكانت في اول الامر مستقلّة ثم خضعت للدولة الرومانية. قد ورد في تاريخ ابيانوس الروماني: ان مرقوس انطونيوس القائد الرومانيّ بعد ان حارب سنة ٣٦ قبل المسيح الملوك الفرثيين وانغلب توجّه الى الشام. فاماّ قرب من تدمر ارسل الى اهلها رسلًا يخبرونهم انّه قاصد مدينتهم ليريح عندهم جنوده . وكان بنيته ان ينهب المدينة. فبادر التدمريون الى نقل اموالهم وعيالهم وعبروا الفرات مسرعين. فتعقّبهم انطونيوس واقتتلوا قتالًا شديدًا كانت الغلبة فيه لاهل تدمر

اننا نجهل زمان دخول تدمر في حكم الرومانيين لأنّها في بدء النصرانية كانت مضمومة الى اقاليمهم الشرقيّة . وكان لها مجلس وطني يسنّ الشرائع. وكانت السلطة الاجرائية مسلّمة الى اركونين وديوان مؤلّف من عشرة حكّام. والسلطة القضائيّة كانت تختصّ ببعض الوكلاء وغيرهم من العمّال. وكانت في اوائل الجيل الثاني للمسيح قد ارتقت الى درجة سامية من العمران. فامتلأت خزائنها باموال طائلة كما يشهد على ذلك كتابة رسميّة قد اكتشفها الامير الروسيّ لازارف في سنة ١٨٨٢

---

(١) ان ما قلناه في هذا الفصل عن مملكة تدمر مأخوذ كلّهُ عن مقالة الاب رنزقال اليسوعيّ التي طبعها في المشرق: السنة الاولى العدد ١٠ وما بعده الى ٢٣

وكانت صنائع اليونان وفنونهم قد دخلت ابواب تدمر. وشُيّد فيها من الهياكل والمنازل والملاعب والقبور ما يستدعي العجب العجاب . ومع ذلك لم تزل تدمر تحفظ سننها الوطنية وعوائدها الخصوصية فبقيت آدابها ولغتها ارامية رغماً عن شيوع اليونانية في المعاملات الرسميّة

وفي نحو سنة ٢٥٠ بعد الميلاد خلع سپتيموس اذينة الاول طاعة رومية. فلبّى قومه الى دعآئه وسمّوه ملكاً . لكن الرومانيين انتصروا عليه وقتلوه. وكان له ابنان سپتيموس حيران (١) وسپتيموس اذينة. فترأس حيران على مجلس الشيوخ بعد قتل ابيه وبقي اميناً مع الرومانيين. فلمّا مات عن ولد صغير يدعى معنا خلفه اخوه اذينة الثاني. وكان قبل ذلك قد استولى على قيادة الجيوش والقوافل. وفي سنة ٢٥٧ دعاه والريانوس قيصر قنصلًا او سيّد البلدة

وكانت تلك الايام ايام حروب وقد ذلّل شابور بن ارداشير ملك الفرس الرومانيين في اقاليمهم الشرقيّة. فعزم والريانوس على محاربته لكنه وقع اسيرًا بيده سنة ٢٦٠. فلما اتصل هذا الخبر باذينة تهيّب سطوة شابور. واوفد رسلًا يحملون اليه الهدايا مع كتابة يلتمس فيها منه الصلح والمعاهدة. فلم يُجب شابور الى طلبته بل شقّ الرسالة ورمى الهدايا في الفرات . فغضب اذينة وتأهّب لمحاربة الفرس وتقاطر اليه قبائل العرب وولّى رئاستهم ابنه هيروديس. وضمّ اليهم فرسان تدمر وقوّاسيها وجعلهم تحت امر زبدا كبير قوّاده وزبّاي زعيم فرسانه. وحشد معهم العساكر الرومانية وتوجّه راساً الى المدائن

وكان شابور بعد ان دوّخ العساكر الرومانيّة قد اخذ يغزو الانحآء الشمالية. وزحف على انطاكية وفتحها واباد سكانها قتلًا واسرًا. ثم مشى على بلاد قبادوقية وليقاونية وقيليقية وتوغل فيها حتى انتهى الى مدينة پمپيوپوليس الساحلية. وبينا هو يحاصرها اذ فجئه قائد روماني مستقلّ اسمه كاليستوس وشتّت شمل جموعه فاجفل الفرس مسرعين الى بلادهم. فلمّا علم اذينة وهو على طريق المدائن ما لحق بشابور رجع فصار الى ملاقاته وادركه قبل عبوره الفرات. فحمل عليه وكسره وغنم

(١) لست ادري لماذا صاحب المقالة يكتب خيران مع ان هذا الاسم مكتوب في الآثار حيران (مصحح) ص٥٩٠

امواله واسر حرمه وكاد ينقذ والريانوس من يده . وعبر شابور الفرات مهزوماً . ووقع هذا الخبر احسن موقع في قلب غاليانوس الذي جلس مكان ابيه والريانوس فرفع منزلة ادينة ودعاه قائداً عاماً على جميع عساكر المشرق

فاعتزّ ادينة واستكبر ولم يلبث الّا قليلًا حتى حمل ثانية على ما بين النهرين وفتح حران ونصيبين ثم بادر الى محاصرة المدائن . وكانت الغلبة لهُ فهرب شابور الى عاصمتـه تاركاً نسآءه وحشمه وكان ذلك سنة ٢٦١ . وشدّ ادينة الحصار على ساليق

وكانت في تلك الايام المملكة الرومانية في اضطراب عظيم وقلق جسيم . فانّ مكريانوس القائد كان قد اغتصب الاقاليم الشرقيـة وپوستوموس اختطف الاقاليم الغربيّة . واقتدى بهما قوّاد أُخر كثيرون وزد على ذلك هجوم اقوام برابرة على بعض نواحي المملكة . فترك ادينة المدائن ورجع الى تدمر حيث اتخذ اسم الملك . ثمّ زحف على مدينة حمص التي كان مكرينوس قد ضبطها . ومن هناك زحف على نواحي ما بين النهرين واعمال فارس وتمّم فتوحاته وانتصر على بعض مرازبة شابور

وكان غاليانوس قد اخمد كل الفتن لكنه رغماً عن ذلك لم يكن ليستوثق من استقرار الملك له . وفكّر في وجـه تاييد اركان الدولة . ففتّش عن رجل صالح امين نهوض يشاركه في الملك . فاقرّ لادينة بحق الرئاسة ودعاه امبراطوراً على جميع انحآء المشرق اي على الشام وما بين النهرين واسيا الصغرى سوى بضعـة نواحٍ شماليّة . وكان ذلك في السنة ٢٦٤ . ثمّ امر بضرب نقود على اسم ادينة . فضُربت ونقشت عليها صورته وورآءه بعض الاسرى من الفرس . واتّخذ ادينة منذ ذاك الحين اسما آخر يناسب سموّ مقامهِ في عيون الشرقيـين فدُعي ملك الملوك على منوال ملوك الفرس واشرك ابنه هيروديس في سياسة ممالكه . وقام باعبآء التدبير احسن قيام . وازال اضطهاد النصارى في بعض المدن . وتأهّب لمحاربة الفرس مرّة ثالثة . وتوجّه الى المدائن . وكانت الغلبة لعساكره . الا انه لا يُعرَف أَفتَح ساليق ام لا

وأصبح ادينة ذات يوم مقتولًا هو وابنـه هيروديس في مدينة حمص . وكان القاتل معنا ابن اخيـه حيران . وجلس معنا مكانه على عرش الممالك الشرقية سنة ٢٦٦ . لكنّ ملكه لم يدم كثيراً . فان اهالي حمص خرجوا عليه وقتلوه سنة ٢٦٧

انّ اذينة الثاني كان له زوجة اسمها بَت زَبَاي كما اتى في كتابات تدمر: ܒܬ (ܙܒܝ) ܕܝ ܝܩܝܪܬܐ . اي بنت زباي المجيدة.(١) وقال فيه العرب الزّبآء بحذف بث اي بنت. واماً اسم زينب فهو صورة اسم يوناني قد اعتاد الشرقيون في اطراف سوريا ان يزيدوه على اسمآئهم السامية. فلماً قُتِل زوجها اذينة ضبطت زينب عنان الرئاسة ودَبّرت بكلّ حكمة وشجاعة شؤون الرعية بالنيابة عن ابنها وهبلات (٢) وكانت قبلاً قد صحبت دائماً زوجها في ساحة الحروب ومجال الصيد كأنها احد قوّاده. وقيل انها هي التي شجّعت معنا على قتل هيروديس رجآء ان يصير الامر الى ابنها وهبلات. فان هيروديس لم يكن ولدها . واشتهرت بث زباي كثيرًا وطار صيتها في الآفاق. وقال عنها زوزيوس المؤرخ: « ان سيرة ملكة تدمر سيرة بطل لا سيرة امراة. » وكانت اذا ارادت السفر ركبت فرسا ولم ترضَ ان تركب الهوادج الّا نادرًا. وكانت تحب ايضاً المشي فتقطع مع عساكرها المسافات البعيدة

واول امر اشتهرت به زينب كان غارتها على بيثنيّة وكانت من الاقاليم الذعنة لدولة الرومان في اسيا الصغرى . فخاف غاليانوس قيصر على سلامة مملكته ووجّه جيشاً الى المشرق. فبادرت زينب الى حشد عساكرها وركبت فيهم واغرتهم على عساكر الرومان عند مرورهم بسوريا الشمالية . وكانت النصرة للتدمريين وقُتل هراقيانوس قائد الرومان. وفي اوخر السنة ٢٦٩ عزمت على فتح الاقطار المصرية. فركب زبدا قائدها الاول في ٧٠٠٠٠ نفر وزحف الى مصر. وقاتل جيش المصريين وانتصر عليه. فصارت حدود مملكة زينب تنتهي جنوباً الى ساحل النيل وشمالًا الى اقاصي اسيا الصغرى وتحدّها غرباً سواحل البحر المتوسط وشرقاً نهر الفرات ودجلة. فعظم شانها في كلّ الاقطار. واعتنت بتزيين عاصمتها بما لا مزيد عليه من

(١) لا نعلم كيف ان الاب رترقال صاحب المقالة في زينب ادّعى (المشرق: ٢ ٦٩٣) انّ زينب كانت عربية الجنس وهو يسند زعمهُ الى تسميتها ببث زباي والى مؤرخي العرب بيد انهُ في المقالة نفسها يُعلِن مرارًا انها كانت ارامية (ص: ٤٩٤) وان لسان اهل تدمر هو لهجة ارامية (ص ٥٣٨) ويقرّ ايضاً (ص: ٤٣٣ و٤٣٥) انّ ما اوردهُ مؤرخو العرب في شان زينب هو من ضروب الخرافات وانواع الترهات

(٢) وهبلات معناهُ هبة الإلاهة بالارامية

البهآء. فاضافت الى الآثار التي ابقاها مَن سلفها من الملوك ابنية جليلة وحصوناً عجيبة

وكانت زينب قد نشأت في الآداب. فكانت تعرف علاوة على لغتها التدمرية وهي الارامية كلًّا من اللغات المصرية واليونانية واللاتينيَّة. وكانت قد استقصت تواريخ الاقدمين وقيل عنها انَّها الَّفت بخط يدها كتاباً اختصرت فيه تواريخ الامم الشرقية. وصرفت ايضاً جلَّ اهتمامها الى حشد بعض العلمآء والبلغآء والنحاة وغيرهم من فضلاء عصرها فجعلتهم اسرى فضلها واجزلت لهم العطايا

الَّا انَّ سلطانة المشرق لم تدم مدتها طويلًا لتتميم مرغوباتها. فانه كان قد جلس على سرير القياصرة في رومية لوقيوس اوريليانوس سنة ٢٧٠ . وكان ذا باس جرى بينه وبين زينب قتال شديد. فلمَّا كانت السنة ٢٧١ انتصر قائده پروبوس على التدمريين في مصر وطردهم منها. وفي تلك السنة عينها مشى اوريليانوس نفسه على اسيا الصغرى وقهر عساكر زينب في بيثنيَّة ثمَّ واصل فتوحاته فتغلَّب على غالاطية وقبادوقية وانقرة وانطاكية. وهناك جرى قتال شديد بين القيصر وملكة تدمر. فانكسرت زينب والتجأت الى حمص . فتعقَّبها اوريليانوس وهناك ايضاً قهر التدمريين. فتركت زينب حمص على جناح السرعة وقصدت تدمر. فشدَّ في اثرها القيصر وأسرها. وفتح عاصمتها وأخربها سنة ٢٧٣ وجلاها هي الى رومية وعيَّن لها هناك مصيفاً جميلًا

الفصل الرابع

في إمارات حدياب وميشان وحطارا وسنجار

انَّ امارات حدياب وميشان وحطارا وسنجار لم يصل الينا شيء من اخبارها. امَّا حدياب وسمَّاها العرب حزَّة فموقعها بين الزابين وكانت تمتدَّ الى اثور والى نصيبين ايضاً وكانت قاعدتها مدينة اربيل. وفي الجيل الاول للمسيح كان يملك فيها ملك اسمه ايزاط. وقال عنه يوسيفوس المُؤَرّخ اليهوديّ انَّه اعتنق الديانة اليهوديَّة على يد حننيا. (١) واشتهرت امّه هيلاني بمحبتها للفقرآء. فانَّها في مجاعة حدثت في زمانها

---

(١) يوسيفوف ٢٠:٢

في اورشليم جلبت القمح من مصر ووزَّعته على اهــل اورشليم .(١) وفي ايام ايزاط دخلت نصيبين تحت حكم اربيل . فان ارطبان الثالث ملك الفرثيين نزعها من يد الفرثيين الذي كانوا يملكون في ارمنية وسلَّمها بيــد ايزاط الملك. (٢) واتى في كتاب مشيحا زخا (٣) انّه في زمان اولغاش الرابع (١٩١ — ٢٠٨) كان نرساي يملك في اربيل . وان اولغاش اخرب بلاده وقتله لانه لم يرافقه في غارته على الفرس . وخلفه ابنه شهراط . وكان شهراط من جملة الملوك الذين في سنة ٢٢٦ حالفوا الفرس على الفرثيين

وامارة ميشان او پرات ميشان وقيل لهــا بالعربية دست ميسان وباليونانية خارك كانت على خليج العجم باسفل ارض البصرة

وحطارا وسمّاها العرب حضر كانت في اطراف تكريت في طيرهــان . ومن ملوكها برشميا(ܒܪ ܫܡܝܐ) . وهو لمــا جرت الحرب في سنة ١٩٤ بين نيجر وسپتيموس ساويرس الرومانيين ساعد الاول على الثاني بارساله اليه قسماً من جيشه . وان ساويرس لمَّا هجم على هذه البلاد سنة ١٩٨ شدّ الحصار على مدينة حطارا لكنه لم يقدر ان يفتتحها(٤) . وقد توفقت البعثة الالمانية على اكتشاف الحضر في هذه السنين الاخيرة وحصلت على آثار ثمينه (٥)

ومما نعرف عن سنجــار ان ملكها معنو انهزم سنة ١١٥ من قدام طريانوس الملك الذي حمل على الفرثيين واستولى على المدائن (٦)

تمّ المجلّد الاول



---

(١) اوسابيوس : كتاب التواريخ طبعة بيجان باريس ١٨٩٧ ص ١٠٥
(٢) دوقال تواريخ أورهاي ص: ٤
(٣) ص ٢٥ و٢٨ وراجع ايضاً هنا ص ١٦٨
(٤) هيروديان : ܓ : ܛ
(٥) راجع مجلة المشرق ١٩١٢ ص ٥٠٩
(٦) دوقال ص: ٤

فهرست الكتاب

الكتاب الثالث

في اخبار الاثوريين (٢٠٠٠-٦٠٨)

الباب الاول

في اوائل مملكة اثور (٢٠٠٠-١١١٥)

الباب الثاني

في دولة اثور العظمى الاولى (١١١٥–٩٠٠)

الباب الثالث

دولة اثور العظمى الثانية (٩٠٠–٧٤٦)

الباب الرابع

دولة اثور العظمى الثالثة (٧٤٥–٦٠٨)

الكتاب الرابع

دولة الكلدان العظمى الثانية (٦٠٨–٥٣٨)

الكتاب الخامس

في اخبار الكلدان والاثوريين بعد سقوط بابل

الكتاب السادس

اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صواب
٤	١٩	اسمها بغداد	اسمها دربغدأد
٥	١	ܦܪܘܡܐ	ܒܪܘܡܐ
٥	٢٣	ص ٧٨و٨٦	ع ٧٨و٨٦
١٤	١٤	زمان	رمان
٣٢	١٠	وحلس	وجلس
٤٦	٢٣	٣٦٥	٢٢٦
٤٧	٧	بكراخداش	كراخداش
٥٣	١٢	غروتين	غزوتين
٥٥	٦	ثلاثائة	ثلاثمائة
٦٠	١٨	خانو	خاتو
٦١	٢	سورا	شورا
٥٠و٦١	٢٣و١١	حلزيديجا	حلزيديحا
٦١	١٢و١٤	دمادوسا	دمداموسا
٦٣	٤	ترتنخان	توشخان
٦٤	١٨	كتالوا	كنالوا
٧٠	٢٢	٣٥٠	٨٥٠
٧١	٥	اشنهاك	اشتهاك
٧٦	٢٢	الكدان	الكلدان
٧٦	١٨	فكان يحدّها	فكانت تشمل
٧٧	٩و١٠	ارغيستيس	اركيستي
١٢٥	٢٣	بعص	بعض
١٢٩	١٣	سائر بنو	سائر بني
١٤٨	٢	ومروج	ومروجاً

تاريخ

كلدو واثور

تأليف

ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثور

المجلّد الثاني



HISTOIRE

DE LA CHALDÉE ET DE L'ASSYRIE

par

Sa Grandeur Mgr ADDAI SCHER

ARCHEVÊQUE CHALDÉEN DE SÉERT

deuxième volume



طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣

Beyrouth Imprimerie catholique 1913

المقدمة

ذكرنا في المجلّد الاول ان اسم الكلدان او الاثوريين يُطلق على شعبٍ واحد دون تمييز لان لسانهم واحد وديانتهم وتمدنهم وعوائدهم واحدة لا تختلف . غير انهُ لمّا انتشرت الديانة المسيحية بينهم اهمل المتنصّرون الاسم الكلداني الاثوري لنفورهم من كل ما يدل على الوثنية . لان اسم الكلدان في تلك الاحقاب صار مرادفاً للمنجّم والفلكي . فاشمأزّوا منــه وسمّوا انفسهم مشارقة (ܡܕܢܚܝ̈ܐ) وكنيستهم الكنيسة الشرقية (ܥܕܬܐ ܕܡܕܢܚܐ) او الكنيسة الكاثوليكية (ܥܕܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝ) او الكنيسة التي في فارس (ܥܕܬܐ ܕܦܪܣ) . ولقّبوا بطريركهم ببطريرك المشرق او جاثليق ساليق وقطيسفون . وقد أُطلق ايضاً عليهم اسمُ السريان الشرقيين ولكنه اسم غريب خارجيّ اطلقــه المصريّون ثم اليونان على اهل سوريا (١) . ومن اليونان استعــاره الاراميون الغربيّون . ومن السريان الغربيين سرى الى المتنصِّرين من الكلدان الاثوريين لانه من سوريا اتتهم الديانة المسيحية . فتسمّوا باسم السريان تمييزًا لهم من الكلدان الاثوريين الوثنيّين . فلم يكن الاسم السرياني يومئذٍ يشير الى امّة بل الى الديانة المسيحيّة لا غير . ومما يثبِت قولنــا ما اتى في كتاب تاريخ ايليا مطران نصيبين (٩٧٥–١٠٤٦) فانه فسّر لفظة سرياني (ܣܘܪܝܝܐ) بلفظة نصراني والى يومنا هذا نرى الكلدان الاثوريين لا يتّخذون لفظة ܣܘܪ̈ܝܝܐ اي سرياني للدلالة على الجنسيّة بل على الديانة . فان هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحيّ من اي أُمّة وجنس كان (٢)

ولكن هل بقي الكلدان الاثوريّون تاركين اسم اجدادهم الذي ذاع في كل اقطار العالم ? لا لعمري . فانهُ بعد فتوحات العرب تلاشى الكلدان المنجمون الوثنيّون

---

(١) طالع المجلد الاول ص ٥١

(٢) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية للسيد يوسف داود . الموصل سنة ١٨٩٦ ح ٤١

من هذه الديار وسُمّوا مسلمين لاعتناقهم الديانة الاسلامية . فعاد اجدادنا المسيحيّون واسترجعوا الاسم الكلداني . فانك ترى ايليا مطران نصيبين يُفسّر لفظة كلدان بلفظة سريان (١) لا بلفظة منجّمين وقال ميخائيل بطريرك اليعاقبة في تواريخه : انّ الكلدان الاثوريّين هم السريان . وابن العبري في كتابهِ المسمّى معلثا لمّا تكلّم عن الامّة الكلدانية النسطورية قال : الشرقيون العجيبون اولاد الكلدان القدماء . (٢) وفي كتابه تاريخ الدول في بحثهِ عن فروع اللغة الآرامية سمّى لغة اهل جبال آثور وسواد العراق الكلدانية النبطية . وجاء في كتاب طبقات الامم القاضي ابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي : «والامّة الثانية الكلدانيون وهم السريانيون والبابليون (٣) » وعبديشوع الصوباوي في كتاب القوانين السنهادوسيّة في الميمر التاسع يلقّب بطريرك الشرق ببطريرك بابل عاصمة الكلدان . كذلك المؤرخ نيلوس دوكسابتريوس في مقالتـهِ عن الكراسي البطريركية التي ألّفها سنة ١٠٤٣ يلقّب بطريرك النساطرة ببطريرك بابـل (٤) . ولمّا رجع نساطرة قبرص الى حضن الكنيسة الرومانية سنة ١٤٤٤ طلبوا الى اوجين الرابع بابا رومية ان يأمر ألّا يعود احد يسمّيهم نساطرة بل كلداناً

فترى ان للكلدان المسيحيين اسماء كثيرة في التواريخ . فسُمّوا أراميين نسبةً الى ارام بن سام الذي استوطن هذه البلاد وعمّرها بنسله . وفرساً لكونهم وُجدوا في مملكتهم . ومشارقة لانهم في المشرق . ونساطرة لاتّباعهم تعليم نسطور بطريرك القسطنطينيّة . وسريانا شرقيّين تمييزاً لهم من السريان الغربيّين وهم اليعاقبـة . ولكنّ اسمهم الاصلي كلدان اثوريون جنساً ووطناً . لانّ منشأ كنيستهم ومركزها كلدو واثور . ولغتهم الجنسية والطقسيّة هي الكلدانيّة ويقال لها ايضاً الارامية . وغلطاً سُمّيت سريانية كما انهُ غلطاً ايضاً سمّي اجدادنا النصارى سرياناً

واعلم انّ السريان الغربيّين اعني بهم اليعاقبة حسُوا هم ايضاً على هذا الغلط

(١) كتاب الاخرايقون طبعة شابو ٦

(٢) في النحو طبعة الاب مارتين ܦ : ١

(٣) المشرق ١٩١١ : ٥٦٩

(٤) في السمعاني ܓ : ܦ ٦١٦

واقرّوا علناً ان اسمهم الحقيقي الاصلي ليس السرياني بل الكلداني الاثوري . فانهُ على عهد ديونوسيوس التلمحريّ الذي عاش في النصف الاول من الجيل التاسع كان اليونان يستهزئون بالسريان اليعاقبة ويقولون لهم : انّ طائفتكم السريانيّة لا اهميّة لها ولا شرف . فانهُ ليس لكم مملكة ولا قام في سالف الازمان فيما بينكم ملكٌ جليل . فاضطرّ السريان اليعاقبة ان يقرّوا ويثبتوا انهُ ولو أُطلق عليهم اسم السريان الا انّ اصلهم كلدان اثوريون وقد صار لهم عدّة ملوك جبابرة (١) . وقال ميخائيل بطريركهم : ان العيلاميّين والاثوريين والاراميّين وهم الذين سمّاهم اليونان سرياناً سُمّوا قاطبةً كلداناً باسمهم القديم واشوريين اعني اثوريين باسم اشور الذي بنى مدينة نينوى (٢) . ثم يقول نقلاً عن ديونوسيوس التلمحريّ ما نصه : « انّ سوريا هي في غربيّ الفرات . فالذين يتكلّمون بلساننا الارامي انّما على سبيل الاستعارة سمّوا سرياناً . لانهم ليسوا الا جزءا (من الكلّ) . واما الأُخر فسكنوا كلهم في شرقي الفرات وامتدّوا من سواحل الفرات الى بلاد فارس . وقام ملوك كثيرون في هذا القسم اي في اثور وبابل واورهاي »

فقد تحقّق ان السريان اليعاقبة ايضاً اقرّوا ان اصلهم كلدان اثوريون جنساً ولغةً وان اسم السرياني هو يوناني خارجي أُطلق غلطا وزوراً علينا وعليهم . ويا ليتهم يجوزون مثلنا عن الاسم السرياني ويسترجعون الاسم الكلداني الاثوري فنصبح كلنا شعباً واحداً اسما وجسماً ويداً واحدة لتنهض امّتنا هذه القويّة القديمة (٣) التي كسبت في سالف الازمان ذكرًا جميلًا ومجداً عظيماً في الزمنيّات وفي الروحيّات

ان اجدادنا الكلدان المسيحيّين اشتهروا هم ايضا نظير آبائهم الكلدان الوثنيّين . فانهُ كما ان الصنائع والمعارف بلغت عند الكلدان الاثوريين الى اسمى درجة ومنهم اقتبسها اليونان والفرس وغيرهم من الشعوب القديمة (٤) . وامتدّت فتوحاتهم حتى جزيرة قبرص ومصر غربا والى بحر قزوين والبحر الاسود شمالًا وحتى

(١) ميخائيل بطريرك السريان اليعاقبه طبعة شابو ٧٥٠

(٢) فيه ٧٤٨ (٣) ارميا ٥٧ : ١٥

(٤) راجع المجلد الاول ١٠ — ١٦

بلاد مـاداي وعيلام شرقا والى جزيرة العرب جنوباً. كذلك الكلدان النصارى بفتوحـاتهم الدينيَّة عظمت شهرتهم وخلَّدوا لهم ذكرًا جميلًا مؤبدًا. اذ انهم كأجدادهم افتتحوا بلاد فارس ومادي والعرب وارمنية وسوريا وقبرص ومصر حتى بلاد الهند والصين وتركستان وغيرها من البلاد التي لم يقدر اجدادهم الوثنيُّون ان يفتحوها بقوَّة اسلحتهم القاطعة

قال أدولف دَاڤريل بمقالته في كلدو المسيحيَّة ما نصَّهُ: « ان الكنيسة النسطورية ابرزت مدة اجيال عديدة قوَّة امتداد عجيب خارق العادة. فان قوَّة هذه الفتوحات الدينيَّة (Népotisme) والميل اليهـا هما علامتان فارقتان اتَّصفت بها النسطرة دون غيرها. والامر الغريب هو ان الرسالات النسطوريَّة لم تكن نتيجة فتوحـات دنيويَّة او آلة نفوذ سياسي بل سببها الوحيد هو الميل الشديد الذي كان للنصارى في الاجيال المتوسِّطة الى نشر الايمان وافتتاح الرسالات النبيلة ». ثم يتكلم ادولف عن انتشار النساطرة في سيلان وسقوطره والصين وبلاد التتر والهنـد واورشليم وقبرص

فبهمَّة هؤلاء المرسلين الغيورين ارتفع شان الكلدان النصارى وازدادوا وكثروا حتى ان عددهم فاق المائة مليون. قال بعض علماء اوروبا: « ان الكنيسة النسطورية على عهد الخلفاء كانت منتشرة وممتدَّة من الصين حتى اورشليم وجزيرة قبرص. وان عددهم مع عدد اليعاقبة كان يفوق عدد اليونان واللاتين » (١)

وممَّا اشتهر بهِ ايضاً الكلدان النصارى انهم حيثما ذهبوا بفتوحـاتهم الدينية زرعوا مع تعليم الانجيل بذور المعارف والتمدّن المسيحي. وهذا ما اجمع عليهِ العلماء. ان موسيو شارل إوديس بونين بمقـالته في قدم النساطرة في اسيا الوسطى بعد ان بحث عن امتداد الكلدان النساطرة في بلاد الصين وتركستان ومغولستان قـال ما تعريبه: « ان للنساطرة دورًا مهمًا في تاريخ التمدّن العمومي. فان كهنتهم هم اوَّل من ادخلوا التمدّن في اسيـا الوسطى ومن المعلوم انهُ من الحروف السريانيَّة

(1) Jacob. a Vitriaco, Hist. Hierosol. 1, 2, c. 76, P. 1093 : Gesta Dei per Francos, Thomassin, discipline de l'Eglise, tom. 1, P. 172.

النسطورية تولّد في القرون الوسطى على يد غزاة اسيا القلم التركيّ الايغوريّ والمغولي والمانچوريّ. والقلمان الاخيران مستعملان الى يومنـا هذا (١). ومن جهة اخرى ان اشهر ديانات اسيا اعني بها اللاماوية (Lamaïsme) اخذت اشياء كثيرة من طقس النساطرة ولعلّ من معتقدهم ايضاً » (٢)

وقـال الاب لابور (٣): « ان الكنيسة النسطوريّة ما برحت مدة احد عشر جيلًا تنشر التمدّن والتربية المسيحيّة بين اهـالي اسيا القديمة والشرق الاقصى ».
وقال ايضاً: « ان النصارى (الكلدان) نالوا اعلى المناصب في الدولة العباسيّة وعلّموا ساداتهم الذين كانوا الى ذلك الحين في حالة الجهل فلسفة اليونان وعلم الفلك وعلم الطبيعيّات والطبّ. ونقلوا الى العربيّة تاليفات اريسطوطاليس وأوقليديس وبطلميوس وابقراط وجالينوس وديوسقوريدوس » (٤). وبواسطة الكلدان ايضاً تعلّم العرب الارقام الهنديّة (٥) وآلة الاسطرلاب وغير ذلك (٦)

وقال هومبولت في كتابه المسمّى كوسموس (٧): « كان من الاحكام العجيبة ان تلتفت الشيعة النسطورية التي لها فضل عظيم في نشر العلم الى جهة العرب ايضاً فتفيدهم علماً »

واتى في قـاموس اللاهوت الكاثوليكي تاليف علماء المانيا (٨) ما تعريبه: « ان العلوم الشرقية في زمان فتوحات العرب، كانت محصورة خاصّةً عند الكلدان . . فكانوا يعلّمون في مدارس اورهاي ونصيبين وساليق او ماحوز وديرقوني اللغات الكلدانية والسريانية واليونانيـة والنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقي والفلكيّات والطبّ. وكان لهم مكاتب عموميّة يحفظون فيها تآليف المعلّمين »

---

(١) في المجلة الاسيوية الفرنسية ١٩٠٠
(٢) راجع ايضاً بادجير (Badger) النساطرة وطقوسهم
(٣) الديانة المسيحية في مملكة فرس ٣٥١   (٤) فيه ٣٤٩
(٥) مجلة الشرق المسيحي ١٩١٠: ٢٦٠ والمشرق ١٩١١: ٣٣٩
(٦) نو: مقالة ساويرا سابوخت في الاسطرلاب ٩ — ١٠
(٧) ك: ٢٤٧
(٨) الترجمة الفرنسيه لكوشلير مج ٥: ٧٦

لعمري انّ المدارس والمستشفيات كثُرت جدًّا عند الكلدان حتى ان الاب لابور اخذهُ العجب من ذلك وقـال: « انّهُ ليس من امةٍ على الارض بارت امّة الكلدان النصارى في تاسيس المدارس ». فاتسعت صناعة التاليف عندهم اتساعاً عجيباً حتى انّ عدد المؤلّفين منذ الجيل الرابع الى نهاية الجيل الثـالث عشر الذي فيه انطفأت العلوم لديهم فاق الاربعمائة. وتاليفـات بعض هؤلاء المؤلّفين فاتت الخمسة عشر والثلاثين والاربعين. وتصنيفات مار افرام لا تُعدّ. وميامر نرساي ما عدا الكتب العديدة التي الّفها تبلغ ٣٦٠ . وميـامر يعقوب السروجي ٧٠٠. وجبرائيل اسقف هرمزد ارداشير له ثلاثمائة مؤلّف ويوسف حزايا الف وتسعمائة

انّ الينابيع التي استقينا منها رواياتنا لتاليف هذا الكتاب كثيرة لا يسعنـا ذكرها . واخصها :

مشيحازخا (الجيل السادس) طبعة القس الفونس منكنا في الموصل سنة ١٩٠٧

تاسيس المدارس تاليف برحدبشبا عربايا اسقف حلوان طبعـة ادّي شير في پاترولوجية كرافين ونو في باريس ١٩٠٧

نبذة تاريخيّة مؤلّفها مجهول طبعهـا كويدي في ليدي ١٨٩١ عنوانها: شهادة سريانية جديدة في تاريخ الساسانيّين الآخرين. مختصرها: كويدي

اعمال القدّيسين والشهداء وهي ستة مجلّدات طبعة الاب بيجان في ليبسيك ١٨٩٠ — ١٨٩٥ . والاشارة اليها بيجان

السنهادوسات اي المجامع النسطورية طبعة شابو في باريس ١٩٠٢

ترجمة حياة مار يهبلاها وثلاثة جاثلقة أُخر طبعة بيجان ١٨٩٥

كتاب العفّة تصنيف ايشوعدناح مطران البصرة (نهاية الجيل الثامن) طبعـة بيجان في كتاب الرؤساء سنة ١٩٠١

كتاب الرؤساء تأليف توما اسقف مركا (الجيل التاسع) طبعة بيجان ١٩٠١

تاريخ ايليا برشنايا مطران نصيبين (الجيل الحادي عشر) طبعة بروكس في باريس

تاريخ ميخائيل رابو (الجيل الثاني عشر) طبعة شابو في باريس

التاريخ السعردي طبعة ادي شير في پاترولوجية كرافين ونو في باريس ١٩٠٧ . ان هذا الكتاب ناقص ولا نعرف تماماً مولفه وهو في مكتبة ابرشيتنا السعردية .

القسم الاول منهُ يحوي الاخبار المدنيَّة والدينية من سنة ٢٥٠ الى ٤٢٢ والقسم الثاني من سنة ٤٨٤ الى ٦٥٠ . وقد طُبع في اربع قطع والقطعة الرابعة تحت الطبع وقد ارسلنا القارئ الى مراجعة صحيفة الكتاب لا صحيفة الپاترولوجية

اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان (الجيل الثاني عشر) ولعمرو بن متى وصليبا بن يوحنان طبعة جيسموندي في رومية وفيهِ غلطات كثيرة لا سيَّما في تاريخ جلوس ووفاة بطاركة المدائن قبل الجيل السادس

التاريخ الكنيسي لابن العبري (الجيل الثالث عشر) وهو قسمان . الاول يختص ببطاركة اليعاقبة والثاني بمفريانات تكريت وبطاركة النساطرة وقد طبعه أبيلوس ولامي في لوڤان (١٨٧٢ — ١٨٧٧) في ثلاثة مجلَّدات

تاريخ الدول لابن العبري في الارامية طبعة بيجان . والاشارة اليهِ تاريخ ابن العبري

تاريخ الدول لابن العبري في العربية طبعة الاب صالحاني في بيروت ١٨٩٠ .

المكتبة الشرقية تاليف السمعاني في ثلاثة مجلَّدات طبعة رومية ١٧١٩—١٧٢٨ المجلد الاول يبحث عن مؤلّفي السريان الكاثوليك مشارقة كانوا او مغاربة والثاني عن مؤلّفي اليعاقبة . والثالث قسمان . الاول يتكلَّم عن مؤلّفي النساطرة ويشرح مقالة عبديشوع الصوباوي في المؤلّفين . والثاني يبحث عن كنيسة النساطرة

مدرسة نصيبين في العربية تأليف ادي شير طبعة بيروت ١٩٠٥

الآداب السريانية في الفرنسية لروبانس دوڤال طبعة ثانية في باريس ١٩٠٠

النصرانية في مملكة فارس تأليف الاب لابور في باريس ١٩٠٤

كتاب معاطاة الكنيسة الكلدانيــة مع الكرسي الرسولي لربّان شموئيل جميل طبعة رومية ١٩٠٢ . ومختصره جميل

كتاب شرفنامه تأليف شرف الدين امير بتليس ترجمة برنار شارموي الفرنسية مع شرح كثير في اربعة مجلَّدات طبعة بتروسبرج ١٨٦٨ — ١٨٧٥

تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية في الفترة المتراوحة بين سنة ١٠٠٠ و ١٧٠ وقف على طبعه وعلّق حواشيه الخوري بطرس عزيز . طُبع في بيروت ١٩٠٩ ومؤلّفه ماروني نقل عن السمعاني وزاد من عنده اشياء كثيرة لا يوثق بصحتها

تاريخ عبديشوع خياط بطريرك الكلدان المتوفي سنة ١٨٩٩ وفيهِ خاصةً وقائع الاجيال الاخيرة وهو لم يُطبع

كراريس لا تحصى جمعتها من مكاتب الشرق واوروبا محفوظة في مكتبتنا



توطئــة

في جغرافية الكنيسة الكلدانيَّة النسطوريَّة

لتعريف جغرافية البلاد التي ذهب اليها اجدادنا النصارى بفتوحاتهم الدينيـــة نصف هنا على قدر الامكان الولايات او الابرشيات المطرابوليطية (١) ونقول اوَّلًا ان بلاد كلدو واثور مع البـلاد المتَّصلة بها كانت مقسومة الى ستّ ابرشيات مطرابوليطية. ثلاث منها في كلدو والاهواز وثلاث في آثور

١— انَّ الابرشيَّة الكبرى البطريركية كانت في كلدو الشمالية التي سُمّيت بيث ارمايي وقيل لها ولأرض البصرة بعد فتوحات المسلمين العراق العربي. والكرسي البطريركي كان في ساليق التي بناها سلوقوس نيقاطور على ضفـة الدجلة اليسرى . ثم جدَّدها ارداشير الاول ملك الفرس فقيل لها بهِ ارداشير . ولمّا ملك الفرثيّون شيَّدوا على الجانب الايمن من الدجلة مدينة اخرى سمّوها قطيسفون . وبين ساليق وقطيسفون قلعة منيعة دُعيت ماحوزا (١). وكانت هذه المدن الثلاث متصلة ببعضها كأنها مدينة واحدة. ولذلك سُمّيت المدائن (ܡܕܝܢ̈ܬܐ) وبيعة المدائن الكبرى كانت تُدعى كوخي. وفيها يجلس بطريرك الكلدان . وقد اتى اسم ساليق وقطيسفون والمدائن وماحوزا وكوخي بمعنى واحد في تواريخ الكلدان النصارى . وكانت المدائن عاصمة مملكة الفرثيين فالساسانيين وموقعها في جنوبي بغداد في المحل المدعو الان سلمان پاك في قضاء العزيزية. ولما ملك العرب المسلمون اخرَبوا المدائن ثم بنوا عوضها مدينة بغداد فانتقل اليها الكرسي البطريركي

(١) ان السمعاني والاب شاو كتبا فصلًا جليلًا في جغرافية ابرشيات الكلدان فنحن لم نلق الحواشي الا على الاشياء التي فاتتهما او لم يذكراها

(٢) قاموس بر بهلول طبعة دوڤال ١٣٥٤ و ١٣٥٥

كان في ابرشيّة البطريرك عشرون مرعيثاً اسقفيا وهي : ١ شِنّا وبالعربية السنّ وبالفارسية قردليباد وربّما سُمّيت بيث رامان (١) وكانت عند مختلط الزاب الصغير بدجلة (٢) . ٢ طيرهان بين تكريت وشنّا (٣) واشهر مدنها حطارا وآوانا وكُبيلتا (٤) وكانت هذه الاخيرة على ساحل الدجلة الأيمن. ٣ مِشكاني على حدود طيرهان (٥) والظاهر انها بيث مسكيني نفسها المذكورة في تاريخ مشيحازخا (٦) ومسكن المذكورة في كتاب عمرو (٧) . ٤ كرْمي في اطراف تكريت. ٥ دَسْقَرْتا (الدسكرة) وآثارها تسمّى اليوم اسكي بغداد. ٦ عكبرا وتُكتب ايضاً عكبرى او عكبر (٨) واتى اسمها أيكبرا (ܥܘܟܒܪܐ) مضافاً الى طيرهان في كتاب الاسياميسذ كانت بين بغداد وسامرّا على عشرة فراسخ من هذه الاخيرة . ٧ رادان بين نهر رادان وديالة ومن اشهر مدنها حالا. ٨ بدارون بالقرب من بغداد (٩) . ٩ كشكر وهي واسط الحالية على نهر الحيّ بين بغداد والبصرة. ١٠ نهر الدير (١٠) على حدود كلدو الجنوبية. ١١ بيث دارايي (بادرايا) عن شرقي بغداد على مسافة ١٥٠ كيلومتراً. ١٢ بيث كسايي (١١) (باكسايا) بين جبال حلوان وكلدو . ١٣ الحيرة كانت قاعدة مملكة العرب وآثارها في جنوب شرقي مشهد عليّ بالقرب من عاقولا وهي الكوفة التي بناها المسلمون. ١٤ ماحوزا حَدْثا وسمّاها العرب الرومية والفرس انطيخوسرو بقرب المدائن. ١٥ نيفر (١٢) بقرب النيل والنعمانية في قضاء الديوانية . ١٦ زابي (الزوابي) وقيل لها ايضاً

---

(١) الغة ܫܢܐ (٢) توما مركايا ٣٢٧

(٣) قصة يوحنان نخلايا (كتاب مخطوط)

(٤) توما ١٤٣ و ١٥٠

(٥) قصة يوحنان نخلايا (٦) ص ٣٠

(٧) ص ١٨٣

(٨) عمرو ٧٣ و ١٠٣ و ١١٦ و ١٣٠ . وماري ٨٧

(٩) الغة ܒܕܪܘܢ و ܒܕܪܝܢ . وعمرو ٨٣ و ١٣٠

(١٠) ايليا الدمشقي في السمعاني ܒ : ܬ ٤٥٨

(١١) ماري ١١٨

(١٢) عمرو ٨٣ و ٩٥. وكان هذا المرعيث ينضم احياناً الى مرعيث النيل (ماري ١٢٢)

النعمانية (١) بين المدائن وكشكر على الجانب الايمن من دجلة. ١٧ النيل بالقرب من زابي. ١٨ نهروان (٢) اسم البلد واسم النهر الذي يشقّ في وسطه وهي مدينة صغيرة عن بغداد على اربعة فراسخ وبالقرب منها مدينة القصر (٣). ١٩ پيروز شابور وتدعى الانبار وآثارها على ضفّة الفرات الشرقيــة في جنوبي الصقلاويّة . ٢٠ الرحبة بين الرقة وعانة (٤)

ومن مدن كلدو الشمالية المذكورة في التواريخ : شومرا وسمّاها العرب سرّ من رأى وتُدعى الان سامرّا وهي عن شمالي بغداد على مسافــة ١٧ ساعة منها . وتكريت على الجهة اليمنى من دجلة . ودير قوني وهي فوق بغداد على ثمانيــة كيلومترات منها في الجانب الايسر من دجلة على كيلومترَين منه وهيت على الفرات عن غربي بغداد على مسافة٢٥ ساعة

٢ — الابرشية الثانية كانت في كلدو الجنوبية وأُطلِق عليها اسم ميشان وقاعدتها پراث ميشان وبالقرب منها بنى الاسلام مدينة البصرة. واسم پراث ميشان الرسمي وهمناردشير ܘܗܡܢܐ ܕܐܪܕܫܝܪ (بهمنشير او وهمناباذ ارداشير) وهي مركز الكرسي المطرابوليطي ومن مدنها الاسقفية: ١ كرْخا دْميشان بين الدجلة ونهر كارون وهي التي سمّاها اليونان خارك . ٢ رَيْما وبالفارسية شادبور وبالعربية دير مخراق (٥) وقد بناها شابور الاول . ٣ نهر گور او نهرگول وبالعربية نهرجور وبالفارسيــة ابزقباد بين ميشان و لاهواز . امّا الأُبلة فكانت على اربعة فراسخ من البصرة . وعبادان على بحر فارس بينها وبين البصرة مرحلة ونصف

٣ — ابرشية الاهواز ويقال لها خوزستان واسمها القديم عيلام كانت محاطة بارض الكلدان وماداي وفارس وخليج العجم (٦) وقاعدتهــا بيث لاپاط وتُدعى

---

(١) ماري ٥٣ و ٨٥ تم اضيف هذا المرعيث الى النيل (عمرو ١٠٤)

(٢) عمرو ١٠٣ . وماري ١١٧

(٣) ابو الفداء (٤) عمرو ٩٨

(٥) بيجان ق : ٢١٠ وقاموس بر حلول ١٨٩٩

(٦) عن جغرافية الاهواز راجع شرفنامه 2 : ١٠٠ — ١١٦ و ق : ٢٧٥

ايضاً كونديشابور او جونديشابور وكانت مركز الكرسي المطرابوليطي وتحت ولايتها ست اسقفيات وهي : ١ شوشتر (سستر او تستر) تحريف شَشْ در الفارسية اي ستة ابواب وهي على ساحل نهر كارون . ٢ شوش (سوس او السوس) وهي شوشان القديمة تبعد عن كونديشابور ستة فراسخ وعن شوشتر ثمانية . ٣ رامهورمزد وقد شيّدها هرمزد بن شابور على مسافة ١٩ فرسخاً عن سوق اهواز . ٤ هرمزداردشير او هرمشير وتدعى اليوم الاهواز او سوق اهواز على نهر كارون وسمّاها اليونان ديوسپوليس . ٥ كرخ ليدان التي بناها شابور الثاني وهي فوق شوش على نهر كرخا . ٦ الصيمرة قاعدة بلدة مهرجان قذق ܡܗܪܓܢܩܕܩ او ܡܗܪܩܕܩ ويقال لها بيث مهرقايي او بيث مهقرايي

٤ — ابرشية بيث كرماي (باجرما) كانت محاطة بالزاب الصغير والدجلة وجبل اوروخ فديالة فلارب وجبل شنعار (١) وقاعدتها كرخ سلوخ وهي كركوك الحاليّة . وكان فيها عدّة كراسيّ اسقفية : ١ شهرقرت وتُكتب شهرقرد او شهركرد . وفي اوّل وهلة يظنّ القارئ انها شرقات الحاليّة المبنية على الدجلة . ولكن يظهر من تاريخ مشيحا زخا (٢) وقصة ماري (٣) انها كانت في شرقي كركوك في اطراف حربغلال . ٢ حربغلال وتُكتب حرباث كلال كانت في شرقي كركوك في ناحية لارب او درآباد او ارداباد واتى اسمها بيث ديال في كتاب الاسياميذ وباذيال في تاريخ عمرو (٤) . ٣ لاشوم كانت بقرب داقوق في غربي كركوك على مسافة تسع ساعات منها وهي الآن قرية حقيرة . ٤ تحَل في جنوب غربي كركوك . ٥ ماحوز اريون وربما قيل لها ماحوز ارنون وهي على شاطئ الزاب الاصغر والى الآن يسمّون التلّ الذي كانت مبنية عليه ماحوز وأُطلق عليها فيما بعد اسم كونيشابور او بيث وازيق (٥) وبالعربية البوازيج (٦) . ٦ دارا كانت ايضاً على ساحل الزاب الاصغر

---

(١) بيجان ܒ : ٥٠٨ (٢) ص ٣٥

(٣) ص ٦٠ وما يلي (٤) عمرو ١٢٢

(٥) توما مركايا ٢٤٦ (٦) التاريخ السعردي ܒ : ܪܠܚ

في شمالي كركوك (١). ٧ بيث نيقاطور في شمالي كركوك على مسافة خمس ساعات منها في الناحية المدعوة كانيكار او خانيجار . ٨ بورزان محلها مجهول ولعلها في الناحية المدعوة اليوم بازيان في اطراف السليمانية . ومن مدن بيث كرماي الشهيرة كرخ جدان في جنوبي كركوك

٥ — حدياب وبالعربية حزة كانت تمتد من الزاب الاكبر الى الزاب الاصغر ومن الدجلة الى آذربيجان. غير ان ابرشية حدياب المطرابوليطية كانت اوسع بكثير اذ كانت تشمل ايضاً آذربيجان وارض نينوى فتمتد من الزاب الاصغر الى الخابور الاصغر وربما الى نهر خزلة ومن حدود ولاية وان الحالية واطراف اورمية الى الدجلة وقاعدتها مدينة اربيل وتحت ولايتها ١٩ كرسياً اسقفياً : ١ حپتون (حفتون او خبتون) في الجبل على ساحل الزاب الاكبر . ٢ بيث بغاش في شمالي حپتون على ساحل الزاب الاكبر وقاعدتها باي وتدعى الآن بياو وهي في شمال غربي رواندوز على مسافة خمس ساعات منها . ٣ برحيس . ٤ دبرينوس . ٥ دبرنحسان . ٦ رامونين ٧ بيث مهقرت ومواقعها غير معلومة (٢) . ولعل برحيس ودبرينوس ودبرنحسان اسم واحد . ويحتمل ان دبرينوس تحريف ديبور ودبرنحسان تصحيف بنانيس . ان ديبور كان اسم رستاق في سالاخ (٣) . وبنانيس اسم سالاخ الخارجية (٤) . ٨ نينوى وليس المراد بها نينوى القديمة العظيمة بل القرية التي يقال لها الآن النبي يونس وهي تجاه الموصل عن يسار الدجلة . ٩ حدثا كانت على ساحل الدجلة في الموقع المدعو الآن حمّام العليل (٥) . ١٠ تيمنا اظنّ انها كانت في البادية في الجهة اليمنى من دجلة في الوادي الاحمر الحاليّ وهو بين سنجار وقلعة شرقات . ١١ بيث نوهدرا (بانهدرا او بانهذرا او باهذرا) كانت تشمل قضاء زاخو الحالي وقسماً من قضاء دهوك اذ كانت تمتد من نهر الخابور الاصغر الى الدجلة . ١٢ معلثا (معلثايا) وهي

(١) بيحان ܕ : ٥٢٢

(٢) من المحتمل ان اسماء هذه المراعيث مكرّرة لتغيير اسماء بعض المدن والنواحي عند تقلبات الزمان

(٣) توما ١٥٩ (٤) فيه ١٠٦

(٥) ܡܥܠܬܐ

اليوم قرية صغيرة بقرب دهوك. ١٣ حانيثا (الحانية) كانت متّصلة بمرعيث معلثا (١) وتمتـد الى اطراف العمادية وانضمّت مرارًا الى مرعيث معلثا (٢). ١٤ داسان او بيث داسان في جبـال كارا في غربي الزاب الاكبر في جنوبي العمادية. ١٥ مركّا (مرج الموصل) كانت تشمل قضائي العقر والزيبار الحاليّين. والظاهر ان الكرسي الاسقفي كان في تلا وبربلا (٣). ١٦ سالاخ في شمالي مركّا (٤). ١٧ بشتدر (٥) بلدة جبليّة بين رواندوز وكويسنجاق على حدود ايران. ١٨ عين سفنا وهي الان قرية في شمالي الموصل على مسافة نحو ١١ ساعة. ١٩ ومن الاسقفيات التابعة لحدياب اسقفية اذربيجان. وكانت لغتها كلدانية والدليل على ذلك ان نصارى رواندوز واطرافها واورمية وخوسراوا يتكلّمون لحد الآن بهذه اللغة. ومن اشهر مدن آذربيجان: اورمية وخوسراوا ورواندوز ومراغا واشنو (اشنوخ) وكـنزك (جزنق) وهي في جنوب غربي مراغا

ولما اكتسبت الموصل اهميّة كبرى قُسمت ابرشية حدياب الى قسمين وهما: أبرشية اربيل وابرشية الموصل. واتحدتا ايضاً فقيل لها ابرشية حدياب واثور. والموصل اسم وضعهُ العرب وكانت قرية صغيرة تدعى حِسْنا عِبْرايا اي الحصن الذي في ذاك الجانب (من الدجلة)

٦ — ابرشية بيث عربايي وتمتد من بيث زبـداي ومن بلد الى نصيبين (٦). وقاعدتها نصيبين والمراعيث المتعلّقة بهذه المطرابوليطيـة هي: ١ بيث زبداي (بازبدا) في وادي الدجلة بين بيث عربايي وقردو وعاصمتها فنك او بنك ويقال لها قسطرا دبيث زبداي (٧) وهي على الدجلة في الجهـة اليسرى في شمال غربي الجزيرة على مسافة خمس ساعات منها. امّا الجزيرة فقد بناها العرب المسلمون وسمّوها

(١) توما ٢٠٨ (٢) فيه ١٠٥

(٣) مخطوطات اسقفية ماردين الكلدانية العـدد ٨ . ان عمرو ١٢٢ و١٢٤ يكتب التل وبربري

(٤) توما ١٥٩ (٥) عمرو ١٠٣

(٦) قاموس بر بهلول ١٤٦٠

(٧) المغة ب : و ٥

جزيرة ابن عمر والكلدان سمّوها ܓܙܪܬܐ ܕܒܝܬ ܙܒܕܝ . ٢ قردو (باقردا او باقردى او قردي) وهي القطعة المعروفة اليوم ببهتان ويحيطها شمالًا وغرباً نهر بهتان وهو الدجلة الشرقي وجنوباً الدجلة وبيث زبداي . وقاعدة قردو ثمانون وهي في حلف جبل جودي تجاه شرناخ . ٣ بيث مكسايي وهي مكس الحالية في شمالي قطعة بهتان وفي جنوبي بحيرة وان . ٤ أرزون تمتد من نهر الدجلة الشرقي الى ميـاه بطمان . واشهر مدنها ارزون وسعرد . امـا ارزون فكانت بين سعرد وميافرقين وترى الان اخربتها في قضاء غرزان في محل يقال له خراب بأژار اي المدينـة الخربة نحو ١٠ ساعات عن سعرد . ٥ أوستان ارزون . ٦ بيث رحيماي . ٧ قوبا ارزون . ٨ طيباثا ومواقع هذه المراعيث مجهولة . والباثن ان الاول كان في شمالي ارزون . والثاني في اطراف كلي كوان في قضاء شطاق . والثـالث قوباني الحاليّة في قضاء غرزان . والرابع طيباثا الحاليّة (١) في اطراف ماردين . ٩ بلد وهي على الدجلة في شمالي الموصل على مسافة سبع ساعات منها ويقال لهـا الان اسكي موصل . ١٠ آذورمية بين الموصـل ونصيبين . ١١ كفرزمّار على الدجلة بقرب الموصل . ١٢ سنجار وبالكلدانية ܫܓܪ وهي في غربي الموصل وسكانها الان كلهم يزيدّية . ١٣ كانوش (كدنس) بقرب سنجار

ثم انهُ في تمادي الازمان ولا سيّما في دولة العرب المسلمين ازداد عدد المراعيث المتعلّقة بكرسي نصيبين المطرابوليطي في البلاد التي كانت قبلًا في حكم الروم . فمن هذه المراعيث : ١٤ اخلاط وهي في ارمنيّة على ساحل بحيرة وان . ١٥ ميافرقين (ܡܝܦܪܩܝܛ) قاعدة بلاد صوپ الممتدة من حدود ارزون الى الدجلة . ١٦ آمد وهي ديار بكر الحاليّة . ١٧ حران . ١٨ رأس العين . ١٩ ماردين . ٢٠ الرقـة . وهذه المدن كلّها في ما بين النهرين ومواقعها معروفة

ومن البلاد التي تخلّقت باخلاق الكلدان او كان اصل سكّانها كلدانًا : بيث

---

(١) في كتاب السنهادوسات (ص ١٦٥) اتى اسم طيباتا مضـافاً الى اسم القرتاويّة (ܠܛܝܒܘܬܗ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܒܝܬ ܛܝܒܝܬܐ ܘܕܩܪܬܘܝܐ) فاستنتج شابو من ذلك ان هذا المرعيث كان في شرق الزاب الاصغر فوق اربيل (فيه ٦٧٥)

قطرايي وبالعربية قطر . فانّ سكان تلك البلاد كانوا يتكلّمون بالكلدانية (١) وظهر منهم علماء فطاحل كتبوا كلهم بالكلدانية منهم جبرائيل قطرايا واحوب قطرايا (٢) وداديشوع قطرايا(٣) واسحق اسقف نينوى (٤) . وكانت بلاد قطرايي في خليج العجم . قال بَر بهلول : القطريون والبحريون بالقرب من مجراة الاحساء والقطيف . ܩܛܪܝܐ اهل سقطرة ونجران واهل يمامة . فترى ان المراد في تواريخ الكلدان النصارى ببيث قطرايي الجزائر التي في خليج العجم وجميع النواحي الشمالية الشرقية من شبه جزيرة العرب . واعظم هذه الجزائر ديرين ومشميغ (سماهيج) وكانت هذه بين البحرين وعمان . وعلى سواحل البحر تجاه هذه الجزائر كانت بلاد حطا المسمّاة بيطارداشير وبلاد مازون (٥) ومدينة هجر (ܗܓܪ) كانت داخل البحرين

وكان كرسي بيث قطرايي المطرابوليطي يدير خمسة اساقفة وكراسيهم في ديرين ومشميغ وهجر ومازون (٦) وحطا (٧)

قلنا ان فتوحات الكلدان النصارى الدينية اتّسعت جدًّا . وقد صار لهم ايضاً كراسي مطرابوليطية في فارس ومادي وخوراسان وتركستان والهند والصين شرقاً وفي اران وبلاد الديلم وكيلان شمالًا وفي سوريا وفلسطين وجزائر البحر المتوسّط غرباً

١ — ان فارس الاصلية كانت محتاطة جنوباً بخليج العجم وغرباً بقرمانية وشرقاً بالاهواز وشمالًا بماداي (٨) . ومركز الكرسي المطرابوليطي مدينة

---

(١) قاموس بر بهلول ٧٣٤ (٢) الصوباوي في السمعاني ܓ: ١٧٢٤ و١٧٥

(٣) راجع مقالتنا الفرنسية في داديشوع قطرايا

(٤) كتاب العفة [illegible] (٥) كويدي ٣٦

(٦) مازون كُتبت احياناً مارون (السنهادوسات ٧٦ و١١٠) والنسبة اليها مارونايا (السنهادوسات ٢١٦ ورسائل ايشوعياب الحديابي ٢٤٨ و٢٥١ و٢٥٩) وهما غلط من الناسخ عوض مازون مازونايا

(٧) السنهادوسات ٢١٦ ورسائل ايشوعياب ٢٦٧

(٨) راجع شرفنامه ١ : ١١٦ — ١٢٦

ريواردشير وموقعها على نهر تاب في حدود فارس والاهواز. ومن المدن الاسقفية التي في فارس : اصطخر وبهشابور وقيش ودرابجرد وكازرون ومشكنا قردو (زموم الاكراد) وارداشير كوره واسمها القديم گور او جور ثم سمّيت پيروزآباد

٢ — ماداي ويسمّيها العرب جبل او العراق العجمي كانت محاطة جنوباً بفارس والاهواز ورادان وشمالاً ببحر قزبين وشرقاً بخوراسان وسجستان وغرباً بآذربيجان وبيث كرماي (١) ومن اخصّ مدنها حلوان واتى اسمها في الكتاب المقدس حلح. وكانت في الجبال على حدود بلاشبار . قال ابو الفداء : «حلوان آخر حد العراق من جهة الجبل بينها وبين بغداد خمس مراحل» وهمدان وهي اقبطان القديمة. والري في ماداي العليا على حدود خوراسان بينها وبين طهران ٤٥ كيلومترًا . وكان في ماداي كرسيّان مطرابوليطيان : كرسي حلوان وكرسي الري. اما كرسي حلوان ويُقال لهُ ايضاً كرسي همدان لانهُ في الاجيال الاخيرة انتقل اليها فمراعيثه الاسقفية المعروفة هي : ١ نهاوند في جنوبي همدان على مسافة ٦٠ كيلومترًا عنها . ٢ مسبذان في ناحية سيروان بالجبال بينها وبين جسر نهروان ست مراحل . ٣ بلاشبار في وادي نهر ديالة بينها وبين كركوك اربع مراحل. ٤ شهرزور بين بلاشبار وبيث كرماي. ٥ اصبهان وهي معروفة. ٦ دينور في غربي همدان عند كرمانشاه

وكرسي الري المطرابوليطي المسمّى بيث رازيقايي لا نعرف تماماً عدد الكراسي الاسقفية المتعلّقة بهِ. والمعروفة هي: قاشان في شمالي اصبهان على مسافة ١٥٠ كيلومترًا عنها . وقُوم في غربي همدان تبعد عن قاشان ٨٠ كيلومترًا

٣ — اران او كرجستان كانت بين البحر الاسود وبحر قزبين اي بين نهرَي كور وأراس او ألكز . وعاصمة اران كانت بردعة وفيها الكرسي المطرابوليطي والمدن الاسقفية التي تحت طاعتهِ : كرج . وأللان في قوقاس . وپيدانكران في شمالي آذربيجان على نهر اراس. وكان ايضاً تحت ولاية مطران بردعة بعض اساقفة في ارمنية الغربية غير انّنا نجهل كراسيهم

---

(١) راجع عن جغرافية ماداي شرفنامه ٢ : ٨٦ — ١٠٠

٤ — بلاد الديلم وكيلان على سواحل بحر قزبين الغربيــة والجنوبية ٠ وكان للكلدان النساطرة في الديلم وكيــلان كرسيان مطرابوليطيان (١) ٠ ولا نعرف الكراسي الاسقفية المتعلّقة بهذين الكرسيَّين سوى كرسي موقان او موغان (٢) ٠

٥ — خوراسان كانت في شرقي بحر قزبين ٠ وحدودها سجستان وفــارس وصحراء ايران وما وراء النهر وقسم من تركستان ٠ وكان في خوراسان كرسيان مطرابوليطيان وهما : مرو وهرات ٠ اما الكراسي الاسقفية المعروفة الخاضعــة لكرسي مرو فهي : ١ طوس وكانت قبلاً قاعدة خوراسان وآثارها في شمال غربي مشهد على مسافة ٢٢ كيلومترًا منها ٠ ٢ مروالرود على مسير نحو ثلاثة ايام من مرو ٠ ٣ جرجان في شرق جنوبي بحر قزبين ٠ ٤ دعبرستاي ٠ ٥ سرخس بين ابرشهر ومرو ٠ ٦ ابرشهر وهي نيشابور الحالية ٠ ٧ آبورد في جنوبي خوراسان وكان اسقفها يسوس ايضاً شهريبروز ٨ آمول في طبرستان في جنوبي جبل دماوند وكانت كيلان تحت تدبيرها قبل ان يصير فيها اسقف

والكراسي الاسقفية المتعلّقة بكرسي هرات المطرابوليطي لا نعرف منها سوى پوشنج وهي كوريان الحالية في غربي هرات ٠ وقدستان او قِـــدس بقرب هرات ٠ وكان مطران هرات يتسلّط على اساقفة سجستان ايضاً وموقع سجستان في الجهة الغربية الجنوبية من افغانستان الحالية ومن مدنها فره ٠ وزرنغ ٠ وروخوت (رخود) ٠ وبست وكانت على ساحل نهر هندمند ٠ وقش (خواس) على نهر خواس

٦ — ان ما وراء النهر بلاد واسعة يقال لهـــا توران واسمها القديم سغديانه ٠ وكان يحيط بها من جهـــة الغرب حدود خوارزم ومن الجنوب نهر جيحون من بذخشان الى ان تتصل بحدود خوارزم ٠ ومن مدنها بخارى وسمرقند وفرغانـــة ٠ واعظمها سمرقند وفيها كان الكرسي المطرابوليطي ٠ اما الكراسي الاسقفية المتعلقة به فلا نعرفها ٠ وتركستان ايضاً كانت ما وراء النهر وحدودها الصين وتيبت ٠ والكرسي المطرابوليطي كان في كاشغر ٠ والكراسي الاسقفية المرتبطة به لا نعرف منها سوى قمار او قيمر

---

(١) توما ٢٧٦ (٢) فيه ٢٨٩

٧ — بلاد الصين كانت تُقسم في جغرافية الشرقيين الى قسمين : الصين العليا او الشمالية وتُسمّى الصين او بلاد الخطا وقاعدتها خان بالق او پكين . والصين السفلى او الجنوبية وكانت تسمّى ماصين وقاعدتها خمدان او نانكين . وكان للكلدان النساطرة في الصين كرسيّان مطراپوليطيان في خان بالق وتنكت . اما الكراسي الاسقفية الخاضعة لها فليست معروفة . لكنها كانت عديدة تبلغ اكثر من عشرين مرعيتاً . وقال كاتب تقويم الكنيسة النسطوريّة انهُ كان في الصين ثلاثة كراسي مطرابوليطية وعشرة كراسي اسقفية

٨ — بلاد الهند معروفة . وكان فيها كرسي مطراپوليطي في مدينة آنغامال او كرسيان . والكراسي الاسقفية كانت عديدة في جزيرة سيلان وقرانغول وپالور وكولام وكوخي وكانور وكلكوتا وغويا وكوشين وغيرها . وعلى زعم مؤلف تقويم الكنيسة النسطورية كان في بلاد الهند احد عشر كرسياً اسقفياً

٩ — بلاد سوريا تشمل ولايات بيروت وحلب ودمشق ومتصرفية القدس . والكرسي المطرابوليطي كان في دمشق . والمراعيث الاسقفية المتعلّقة بهِ كانت في حلب ومنبج ومصيصة وطرسوس وملاطية واورشليم ومصر . وكان يوجد ايضاً للكلدان عدّة كنائس في بيروت وطرابلس وعكا وانطاكية وجبيل . ولعلّ اسقف صنعا كان هو ايضاً تحت حكم مطران دمشق لا بل قيل انهُ كان كرسيّان مطراپوليطيان في بلاد العرب الواحد فى الحجاز والآخر في اليمن وان الكراسي الاسقفيّة الخاضعة لهما كانت تسعة (١) وفي الجيل الحادي عشر جُعل كرسي مصر الاسقفي كرسياً مطربوليطياً (٢) الامر الذي يدلّ على ان النساطرة كانوا هناك جدّا (٣) . وكان ايضاً كرسي مطرابوليطي في جزيرة قبرص اما الكراسي الاسقفية الخاضعة لهُ فمجهولة . ويقول مؤلّف تقويم الكنيسة النسطورية ان مطران قبرص كان تحت يده اسقفان

(١) تقويم الكنيسة النسطورية ٧ - ٨ (٢) ماري ١٢٥

(٣) مؤلف تقويم الكنيسة النسطورية يقول انهُ كان في مصر واسكندرية كرسيّان مطرابوليطيان للنساطرة وسبعة كراسي اسقفية

الكتاب السابع

في اخبار كلدو واثور منذ الجيل الاول للمسيح
الى الجيل الرابع



الفصل الاول

في اوائل النصرانيّة وتقليد الكنائس الشرقية
عن أدّي وماري وكرسي المدائن

انهُ في عاصمة الكلدان صارت النبوة الصريحة على زمان مجيء المسيح . هناك قال جبرائيل الملاك لدانيال النبي : « بعد سبعين اسبوعاً يأتي المسيح القائد (١) . » وفي بلاد الكلدان ايضاً عرف الحكماء المجوس ان هذه المدّة قد تمّت وقد وُلِد المسيح . فاجتمع بعضهم وانطلقوا الى فلسطين وسجدوا قبل جميع الامم ليسوع الطفل وقدّموا لهُ ذهباً ولباناً ومرًّا مقرّين بلاهوتهِ وكهنوتهِ وآلامهِ المستقبلة . ومن المحتمل انَّهم لمَّا رجعوا الى وطنهم بشَّروا بالمسيح المولود . فالانجيل المقدس يسمّيهم مجوساً . وكانوا ملوكا وحكماء فلكيّين حسبما اتى بهِ التقليد . او على الاقلّ كانوا رؤساء اقوامهم . وكانوا ثلاثة على رأي بعض العلماء . او اثني عشر على رأي غيرهم

ولمَّا ظهرت الديانة المسيحية كان العالم المعروف حينئذٍ مقسوماً الى مملكتَين عظيمتَين : وهما مملكة الرومانيّين ومملكة الفرثيّين . وكانت مملكة الرومانيين تشمل معظم بلاد اوروبا وافريقيا واسيا الصغرى وسوريا كلّها وقاعدتها مدينة رومية . اما مملكة الفرثيّين فكانت تشمل ما بين النهرَين واثور وكلدو ومادای وفارس وعاصمتها المدائن . وكانت مملكة الرومانيين مرتبة منظَّمة ومقسَّمة الى

---

(١) دانيال ٩ : ٢٤ و ٢٥

ولايات. واما مملكة الفرثيين فبعكس ذلك كانت مركّبة من ممالك شتّى صغيرة لكل واحدة منها ملك يحكم عليها. وقد تكلّمنا عنها في المجلد الاول

وكان المالك في اورهاي على زمان المسيح أبجر الخامس المعروف بأوكاما. فكتب الى المسيح يدعوه اليهِ ليشفيهُ من مرضهِ. فجاوبه يسوع انّهُ سيرسل اليهِ واحدًا من تلاميذه. ففرح أبجر بذلك وبعث رجالًا الى المسيح ليرسموا صورته. أما يسوع فاخذ منهم منديلًا ووضعه على وجههِ فطُبعت عليهِ صورته وارسلها للملك اورهاي. ثمَّ من بعد صعود المسيح الى السماء اتى مار أدّي الى أورهاي وهو من جملة الاثنين والسبعين تلميذًا. فشفى أبجر من داء النقرس الذي كان مبتلياً بهِ. ونصّره مع زمرة من اهل مدينتهِ

وكان لمار ادّي عدّة تلاميذ منهم ماري وأكّاي. فاخذ معه ماري وطاف بلاد نصيبين واثور وبيت كرماي وتلمذ خلقاً كثيرًا وتوفي اخيرًا مار ادّي في اورهاي وخلفهُ هناك تلميذه أكّاي. وكان الملك أبجر قد مات وتولّى الامر احد اولاده. وكان هذا قاسياً متمسّكاً بالوثنية فامر بقتل أكّاي

امّا ماري فبشّر في نصيبين وارزون. ومن تلاميذه أناسيموس وفيلبّوس وأدّا وطوميس ويابا وايوب وملكيشوع. وارسل فيلبّوس الى قردو وطوميس الى داسان وارمنيّة الصغرى. امّا هو فبقي يطوف بلاد حدياب وبيت كرماي ورادان وكشكر وساليق وميشان والاهواز. ونصب كرسيّة في ساليق. وبنى كنيسة في دير قوني بالقرب من المدائن وفيها توفي

هذه هي خلاصة سيرة مار أدّي ومار ماري اللذين تفتخر بهما الكنيسة الكلدانية وتنسب اليهما القداس المستعمل عندها الى اليوم. واعلم ان حكاية أدّي وأبجر الملك اتت بها كل النصوص التاريخية المتداولة في ايدي الكلدان والسريان والارمن واليونان (١). وامّا قصة ماري فتداولتها أيدي الكلدان فقط (٢)

---

(١) راجع ملفانوت ادي في كورتون: النصوص السريانيّة القديمة لوندرا ١٨٦٤ ص ١ — ٢٣. وبيجان I: ٤٥ — ٥١. وتاريخ اوسابيوس I: مج. وماري ١ — ٣ وابن العبري ت: ١٤. وميخائيل ٩٣

(٢) بيجان I: ٥٢ — ٩٤

ان الكتبة المحدثين من الافرنج المعروفين بالمستشرقين ينكرون صحة هتين القصتين (١). واخصّ ادلتهم قولهم ان اول ملك نصراني قام في أورهاي هو أبجر التاسع (١٧٩—٢١٤) لانّ جميع الملوك الذين حكموا قبله منقوش على النقود المضروبة بأسمائهم تاج وعليه صورة القمر وثلاث نجوم الامر الذي يدلّ صريحاً على انهم كانوا وثنيّين . ويدّعون ايضاً انه مكتوب في نهاية ملفانوت ادّي ان أكّاي لكونه لم يقدر ان يسيم احداً قبل موته ذهب تلميذه پالوط الى انطاكية وهناك قبل الرسامة من يد سرافيون الاسقف. وسرافيون نفسه ارتسم عن يد زفيرينوس اسقف رومية وخليفة بطرس الرسول . والحال ان سرافيون جلس على كرسي انطاكية من سنة ١٩٠ الى ٢١٠ . وزفيرينوس دبّر كرسي رومية من سنة ١٩٨ الى ٢١٧ . فيستنتج المستشرقون من هذا كلّه ان ادّي اتى الى اورهاي وكرز فيها بعد منتصف الجيل الثاني. وان أبجر المذكور في قصته هو أبجر التاسع لا أبجر الخامس الذي كان على عهد المسيح . وانّ كنيسة اورهاي اخترعت تعمّداً حكاية مار ادّي هذه خالطةً بين أبجر الخامس وأبجر التاسع لكي تُظهر للناس انّها رسولية يرتقي عهدها الى زمان المسيح ورسله

وكذلك قصة ماري لا يثقون بصحتها . ويدّعون انّها كُتبت بعد الجيل الخامس لانّه مذكور فيها انّ الشعوب الذين تلمذهم ماري كانوا يسجدون للشياطين الساكنة في الاشجار والأحجار. وقلّما تجد فيها اشارةً الى عبادة النجوم المشتهرة في بابل وعبادة النار التي في فارس. والمعجزات المنسوبة الى ماري مستعارة من كتب اخرى ولا سيّما من كتاب دانيال. والامر الاغرب انّهُ مكتوب في القصّة انّ پاپا خلفَ ماري في كرسي المدائن مع انه صار جاثليقاً في نهاية الجيل الثالث. فيستنتجون ايضاً من ذلك انّ الديانة المسيحيّة لم تنتشر في كلدو واثور قبل الجيل الثالث

فنجيب: ان الادلّة التي يأتي بها المستشرقون لاثبات زعمهم ضعيفة. ولا ننكر انّ ملفانوت ادي وقصة ماري أُدخِل فيهما اشياء كثيرة لا صحة لها . وهذا شأن كلّ

وماري ٣ — ٥ . وعمرو ١ — ٢ . وابن العبري ٦ : ١١ وما يلي

(١) دوقال : تاريخ اورهاي ٨١ — ١٠٢ . والاداب السريانيـة ١٠٣ — ١٢٠ . ولابور ١٢ — ١٥

القصص التي بعد زمان طويل لحدوثها تُدوَّن في بطون الاوراق. فانّ التقليد كلّما عتق ومرّ عليه الزمان ألبسَ صاحب الحكاية حلّةً جميلة لم تكن عليه قبلًا. فمن هذا القبيل هي المعجزات الموجودة في قصّة ماري. ومؤلّف القصّة يشير الى ذلك بقوله: «حيث انّ هذه القصة لم تكتب في وقتها اني اتبع التقليد القديم المتداول في الكتب (١)» . ثمّ ان كثيرًا من النساخ الجهال يزيدون مرارًا من عندهم اشياء موافقة لبضاعتهم ومن هذا القبيل هي الزوائد التي في ملفانوت ادي كقبول بالوط الرسامة من سرافيون اسقف انطاكية وخلافة بابا لماري في المدائن. لمّا وجود القمر والنجوم على نقود ملوك اورهاي فلا يثبّت انّ جميع اولئك الملوك كانوا وثنيّين. فانّ ابجر الخامس مثلًا لا بدّ من انّه قبل ان يتنصّر رسم شعاره على النقود التي ضربها نظير الملوك الوثنيّين الذين سبقوه ولحقوهُ على سرير المملكة

ثمّ انّ المستشرقين يزعمون انّ الذين استنبطوا تعمدًا حكاية ادي وابجر اقتضى لهم مدّة طويلة بعد وفاة ابجر التاسع حتّى يشيّعوا في بلدتهم انّ ابجر المتنصّر ليس ابجر التاسع بل ابجر الخامس. وعليه نقول: انّ هذه المدّة الطويلة التي يطلبها المستشرقون لاشاعة هذه الحكاية الملفّقة على زعمهم عبارة عن ثلاثين او اربعين سنة. فانّ ابجر التاسع انقرض ملكهُ سنة ٢١٦ . وعلى قول المستشرقين انفسهم انّ الحكاية المذكورة كانت قد شاعت في اورهاي في منتصف الجيل الثالث (٢) . لأنّ اوسابيوس القيصريّ يذكرها كواقعة تاريخية لا ريب فيها. وقبل ان تصل اليه الحكاية اقتضى لها مدّة من الزمان حتى تشيع في اورهاي. فترى كيف قدر احد الرهاويّين في تلك المدّة القصيرة ان يموّه على عقول بني وطنه انّ ابجر الذي تنصر ليس ابجر التاسع بل ابجر الخامس المعاصر للمسيح حال كون الذين رأوا أبجر التاسع كانوا بعد في قيد الحيوة. فاذا ثبت ذلك نقول: انّ الديانة المسيحيّة انتشرت في بلادنا الشرقية منذ الجيل الاول للمسيح على يد ادّي وماري وتلاميذهما. وما عدا ملفانوت ادّي وقصّة ماري لنا ادلّة اخرى كثيرة. من ذلك انّه مذكور في قصص الرسل انهُ بين الذين رأوا

---

(١) بيجان 1 : ٥٢

(٢) دوقال : تواريخ اورهاي ٩٠ — ٩١

عياناً حلول الروح القدس على التلاميذ كان الفرثيّون والماديّون والعيلاميّون وسكان ما بين النهرين . فهذا مما يدلّ اقلها يكون على انّ الكنائس التي في المملكة الرومانية كانت تعرف في اواخر الجيل الاول للمسيح انّه يوجد نصارى في كلدو واثور

ومماً يؤكد هذا الامر انّ اقدم كتبة المغرب شهدوا به . قال ترتوليانوس في الكتاب الذي ألّفه ضد اليهود في اواخر الجيل الثاني ما نصه : « أليس بالمسيح آمن كلّ الامم : الفرثيون والماديّون والعيلاميّون والذين يسكنون في ما بين النهرين (١) » . وكذلك ديونوسيوس الاسكندريّ الذي عاش في منتصف الجيل الثالث كتب انّه كان يوجد قبله كنائس مسيحيّة في ما بين النهرين (٢)

وكذلك برديصان في كتاب شرائع البلاد الذي ألّفهُ في نهاية الجيل الثاني يعلن انهُ منذ الجيل الاول كانت الديانة النصرانية قد انتشرت في كلّ بلاد الشرق وهاك كلامه (٣) : « ماذا نقول عن ملتنا النصرانية الجديدة التي انشأها المسيح في كلّ مكان وناحية انّنا حيثما وُجدنا نُعرف بمسيحيّين نسبةً الى اسم المسيح . . . وانّ الاخوة الذين في بلاد الفرثيّين لا يأخذون امرأتين والذين في فارس لا يتزوجون بناتهم . والذين في ماداي لا يهربون من امواتهم ولا يقبرونهم وهم احياء ولا يلقونهم للكلاب لتفترسهم . والذين في اورهاي لا يقتلون نساءهم واخواتهم الزانيات بل يتجنبون منهنّ مسلّمين امرهنّ لدينونة الله . والذين في حطارا لا يرجمون اللصوص »

ونقدر ان نزيد على هذه الشواهد اولاً سلسلة الاساقفة الذين جلسوا على كرسي اورهاي منذ نهاية الجيل الاول الى بدء الجيل الثالث . وقد ذكرهم ميخائيل رابو اليعقوبيّ في كتاب تاريخه . ولكنه لم يعرّف عنهم سوى الاسم وهم : أكّاي وپالوط وعبشلاما وبرسميا وتيريدت وبوزني وشالولا وعبدا وكوريا وعبدا وايزني واوشتاسب وعقي (٤) . ثانياً انّ مدينة اورهاي اصبحت منذ منتصف الجيل الثاني

(١) ترتوليانوس : ضد اليهود (٢) عند اوسابيوس ٧ : ٥

(٣) برديصان طبعة نو باريس ١٨٩٩ : ٢٩

(٤) تاريخ ميخائيل : ١٨٣ و ١٨٥

منتدّى المهراطقة اذ انهُ فيها ظهر برديصان وططيانوس الشهيران نحو سنة ١٧٠ كما سترى في الفصل الرابع وفيها عُقد نحو سنة ١٩٧ مجمع مركّب من اساقفة ما بين النهرين لتعيين عيد الفصح(١)٠ واستشهد فيها في اوائل الجيل الثاني القديس شربيل الذي تنصَّر على يد الاسقف برسميا كما سيأتيك في الفصل الثالث٠ فهذا كله يدل جليا على انّ الديانة النصرانية كانت قدعمّت بلاد ما بين النهرين منـذ منتصف الجيل الثاني وقد زُرِعت فيها اقلما يكون في نهاية الجيل الاول٠ ثالثاً سلسلة اساقفة اربيل وقد اتت في اقدم كتاب تاريخي بلغ الينا من اجدادنا الكلدان النصارى اذ انّ مؤلّفه مشيحا زخا عاش في الجيل السادس٠ ومشيحا زخا نفسه يستشهد بتاريخ هابيل الذي سبقهُ٠ وهو يسرد سلسلة اساقفة حدياب سرداً متناسقاً ويذكر اخبـار كلٍّ منهم فرداً فرداً مع بيان اصله واعماله وتسطير مدّة جلوسه٠ وكان أوّلهم يقيـدا ودّبر كرسيّ اربيل منذ سنة ١٠٤ الى سنة ١١٤ وهذا تراه في الفصل الثاني

فمن هذه النصوص والادلّة التاريخيّة لا يبقى ريب في امر انتشار النصرانية في كلدو واثور منذ الجيل الاول للمسيح٠ فلا بُدّ اذاً من مبشّرين قد اتوا وزرعوا فيها بذور الايمان٠ فالتقليد الشرقي يثبّت ان اديّ وماري هما اللذان بشّرا اولاً في بلادنا٠ واقـدم التواريخ الكلدانية والكتب الطقسيّة تؤيّد صحّة هذا التقليد : فانّ مشيحا زخا الذي سبق الكلام عنه بقول : انّ اديّ كرز بالانجيـل في حدياب واطرافها وانّ يقيدا الذي صار اسقفا على اربيل سنة ١٠٤ كان من تلاميذه٠ وقال ايضاً برحدبشبا عربايا في مقالته في مدرسة نصيبين التي كتبها في نهاية الجيل السادس انّ مؤسّس كنيسة اورهاي كان ادي وتلميذه (٢)٠ ولا يذكر اسم هذا التلميذ٠ ولا بدّ من انهُ يريد به ماري٠ ومؤلف تاريخ كرخ سلوخ الذي عاش في الجيل الخامس او السادس يقول ان اديّ وماري اتيا الى بيت كرماي وبشّرا فيها بالانجيل (٣)٠ كذلك الاسـاقفة الذين اجتمعوا على باب خوسرو الثاني سنة ٦١٢ يشهدون انّ

---

(١) تاريخ اوسابيوس ٥٧ : ܚܕ . قابل ايضاً دوقال تاريخ اورهاي ١١٣ ١١٤

(٢) ص ٦٨

(٣) بيجان ب : ٥١٢

مؤسس كنيستهم هو ادي الرسول (١)· ثمّ انّ اغلب العلماء المدقّقين قد اجمعوا رايهم على انّ قداس الكلدان المسمّى بقداس الرسل والمنسوب الى الرسولين ادي وماري هو من اقدم ليترجيات العالم (٢)

فمّا قلنا يظهر واضحاً انّ الديانة المسيحية انتشرت في بلادنا الشرقيّة منذ الجيل الاول وانّ ادي وماري هما اللذان زرعا فيها بذور الانجيل· ومن خلال الاشياء الكثيرة العجيبة التي كُتبت عنهما في قصّتيهما يظهر انّهما بشّرا في اورهاي وارزون وبيت زبداي وحدياب وبيت كُرماي وكشكر والاهواز وغيرها من البلاد المجاورة·

واماّ المدائن فالبائن من قول مشيحا زخا انّه لم يؤسّس فيها كنيسة منذ البدء· ويشير الى ذلك ايضاً مؤلّف قصة ماري بقولهِ : انّ القديس ماري اذ راى ان ليس له من سبيل على الدخول الى ساليق اضطرّ ان ينزل أولاً الى كشكر

ومع ذلك فالتقليد الشائع عند الكلدان النساطرة واليعاقبة انّ ماري نصب كرسيّه في المدائن· والاساقفة الذين خلفوه الى نهاية الجيل الثالث هم الآتية اسماؤهم (٣) :

أبريس وهو من قرابة مار يوسف خطيب مريم العذراء· وأسامه شمعون بن قليوفا وتوفي سنة ١٠٧ · وفرغ الكرسيّ بعده اثنتَين وعشرين سنة

ابراهام·وهو من قرابة يعقوب الملقّب باخي الرب وبصلاته زال الاضطهاد الذي اثاره ملك الفرثيّين على النصارى· وقضى نحبه سنة ١٥٢ ·وخلا الكرسي بعده ١٩ سنة

يعقوب· وكان هو ايضاً من قرابة مار يوسف ومات سنة ١٩٠ وفرغ الكرسيّ بعده ١٤ سنة

احاد ابوي· كان يعقوب سالفه قد اشار على اثنين من تلاميذه وهما أحادْ آبوُي وقاميشوع ان يذهبا الى انطاكية ليسام احدهما اسقفاً مكانه فسعي بهما انهما من الجواسيس · فقبض الرومانيون على قاميشوع وقتلوه هو وبطريرك انطاكية · اما

---

(١) السنهادوسات ٥٨١   (٢) راجع المشرق ٦ : ٦٨٤ — ٦٨٧

(٣) ماري ٥ — ٨ . وعمرو ٢ — ١٣ . وتاريخ ابن العبري ١٩ — ٢٧

أحاد آبوي فهرب الى اورشليم وهناك أُسيم اسقفاً . فمنذ ذلك الحين رخّص الاساقفة الغربيّون للاساقفة الشرقيّين ان يرسموا هم اسقفا للمدائن. وامروا ان يكون هذا الاسقف رئيسا على كلّ الكنيسة الشرقية. وتوفي أحاد آبوي سنة ٢٢٠

شحلويا . كان عالماً عارفاً بالامور يحبّ المساكين ويجتهد بالمدارس وهو من مدينة كشكر ومات سنة ٢٤٤ وفرغ الكرسي بعده سنتين. ثمّ جلس مكانه پاپا بن عَكّاي

هذا ما يؤخذ من تواريخ ماري وعمرو وابن العبري وغيرهم

الفصل الثاني

في اساقفة اربيل (١٠٠ — ٣٠٠)

انّ اول جماعات نصرانية قامت في بلادنا تألّفت من اليهود. ويدلّ على ذلك اسماء اول اساقفة اربيل وهم پقيدا وشمشون واسحق وابراهام ونوح وهابيل. وكان اليهود كثيرين في كلدو واثور . وبقوا عندنا منذ جلاء بابل ونينوى. ومركزهم في نهارديا وپيروز شابور وپومباديتا وسورا وماحوزا. وكان دأبهم فلاحة الارض والاشتغال بالصنائع . فراقت احوالهم وصار لهم مدارس شهيرة ورئيس مسموع الكلام في المملكة يقال له ريش كالوتا (ܪܝܫ ܓܠܘܬܐ) اي رئيس الجالوت (١) وما عدا اليهود انضمّ ايضاً الى الديانة المسيحية اقوام وثنيّون فازداد عددهم . ولكن لسوء الحظ لم يصل الينا شيء يستحق الذكر من اخبار اجدادنا النصارى في الاجيال الثلاثة الاولى غير انّ مشيحا زخا المؤرّخ حفظ لنا في كتاب تاريخه احوال كنيسة اربيل كما نسردها هنا. ومن كتابه هذا يتّضح انّه في مبادئ الجيل الثالث كان اسقف لكلّ من كشكر وبيت لاپاط وهرمزداشير وپرات ميشان وبيت قطرايي والاهواز وحلوان وكرخ سلوخ وبيت نيقاطور وحرباث كلال وشهرقرد واربيل وحانيثا وبيت زبداي وسنجار وبيت مسكيني وبيت حزايي وغيرها. فهذه الكنائس كلّها لا بدّ من انها انتظمت منذ مبادئ الجيل الثاني

---

(١) كراتز تاريخ اليهود ١٦٥

قال المؤرخ مشيحا زخا : من الذين تتلمذوا لمار ادّي في اربيل پقيدا وكان من عائلة فقيرة وتنصّر نحو سنة ٩٩ .فاضطهده اهلــه وحبسوه لكنّه هرب ولحق بمار ادّي وهو يكرز بالانجيــل في جبال حدياب وبقي عنده خمس سنوات. ثم جعله اسقفاً وارسلــه الى اربيل سنة ١٠٤ ونصّر پقيدا اهله وكثيرين من سكّان المدينة وتوفّي سنة ١١٤ ودُفن في منزل اهله

وبقي كرسي اربيل فارغاً ستّ سنين. والظاهر انّ سبب ذلك انتشاب الحرب بين الفرثيّين والرومانيّين (١). فان الفرثيّين استولوا على ارمنية التي كانت تحت حكم القياصرة. فحمل طريانوس سنة ١١٥ على خوسرو الملــك واستولى على ما بين النهرين وحدياب وافتتح ساليق ولكن هذه البلاد لم تلبث ان خلعت طاعته ودخلت ثانية سنة ١١٧ تحت حوزة الفرثيّين. فلمّا عمّ السلام في المشرق ذهب مزرا اسقف بيت زبداي سنة ١٢٠ الى اربيل فوضع يده على شمشون الشماس ورسمه اسقفاً . وكان شمشون فاضلاً غيوراً ونصّر كثيرين من الاهالي. فشقّ ذلك على اعيان البلدة فهجموا عليه وقتلوه سنة ١٢٣

وكانت مدينة كرخ سلوخ بلا اسقف. وكان اسقف شهركرد ينظر في امورها الروحية . وعلى رواية مؤلّف تاريخ كرخ سلوخ (٢) انهُ نحو سنة ١٣٠ اي في عهد ادريانوس قيصر (١١٧ — ١٣٨) اذ صار اضطهاد على نصارى المغرب اتى المشرق بعض الاساقفة والكهنة وكان في جملتهم طوقريطي. وباذن اسقف شهركرد تعيّن اسقفاً على كرخ سلوخ وبنى فيها كنيسة ووضع قوانين للكهنة والشمامسة وخلفه على الكرسي عبد يشوع

وبعد شمشون جلس على كرسي اربيل اسحق. فهذا الاسقف تلمذ حاكم اربيل وكان اسمه رقبخت وعمّذهُ خفيــةً خوفاً من اولغاش الثاني. وبواسطة رقبخت انتشرت الديانة النصرانية كثيراً في اطراف اربيل . واراد المجوس قتلــه ولم يتمكّنوا منــه. فنفخوا سمّهم على اسحق الاسقف وحبسوه فخلّصه رقبخت من

---

(١) راجع المجلّد الاول ص ١٦٧

(٢) بيجان ٤ : ٥١٢ — ٥١٣

ايديهم . وكان أولغاش الملك يعزّ رقبخت . فارسلهُ بصحبة ارشاق القائد على البرابرة الذين حملوا على جبال قردو . وبدأ منه في تلك الحرب بسالة عظيمة ولولاه لهلكت عساكر ارشاق قاطبةً فصار فديةً عنها وسقط قتيلًا في معمعة القتال . وبكاه بكاء شديدًا مار اسحق ونصارى اربيل . ولم يلبث الاسقف القديس ان لحقه الى القبر (١) ومما اشتهر بهِ انهُ شيَّد كنيسة جليلة في اربيل عُرفت باسمه وكانت باقية الى الجيل السادس

وقام بعد اسحق بالرئاسة ابراهام بن شليمون . وكان اصله من حيردا احدى قرى حِسْنا عربايا . وتنصر والده في زمان شمشون الاسقف . وبقي ابراهام الاسقف مدة في الجبال يبشّر بالانجيل ثم الجأته الاحوال ان ينزل الى اربيل ليبطّل الاضطهاد الذي اثاره المجوس على رعيّته . وقصد المدائن حاملًا معه هدايا كثيرة الى رجال الدولة . لكنه لم ينجح برسالتــه هذه . فان اولغاش الثالث كان يتجهّز لمحاربة الرومانييّن وحمل على بلادهم . فخرج عليــه واروس وقهرهُ وحاصر المدائن سنة ١٦٥ وفي تلك السنة عينها حدث وبأ شديد فالتزم الرومانيون ان يكرّوا على اعقابهم ودام الوبأ ثلاثة اشهر ومن جملة الذين ماتوا به ابراهام الاسقف

وجلس بعد ابراهام على كرسيّ اربيــل نوح . وكان والداه من بريّة كشكر وذهبا الى اورشــليم وهنــاك تنصّر نوح . وفي رجوعهما استوطنا حدياب . ولزم نوح مار (٢) ابراهام . وواظب على الصوم والصلوة ويُروى عنهُ معجزات كثيرة . وقاسى في اسقفيته ضيقات شديدة من المجوس اذ انهم القوه في السجن خمس دفعات وجلدوه اثنتي عشرة مرّة . فالتزم ان يترك اربيل ويختفي في القرى . وتوجه الى اثور

---

(١) قال مشيحا زخا عن اسحق انهُ دبّر الكرسي ١٣ سنة فتكون وفاته سنــة ١٣٦ . وقال عن خلفهِ ابراهام انهُ بعد ان جلس على الكرسي ١٥ سنة مات بالوبأ الذي فتك بالرومانيين لدى افتتاحهم المدائن فتكون اذًا وفاته على حسابه سنة ١٥١ غير ان الوبأ المذكور ظهر في عساكر لوقيوس واروس سنة ١٦٥ . فتكون وفــاة ابراهام في تلك السنة عينها . فإمّا ان يكون كرسي اربيل بعد موت شمشون او بعد وفاة اسحق قد فرغ ١٤ سنة وإمّا ان يكون اسحق او ابراهام دبّر الكرسي ازيد ممّا يذكره مشيحا زخا

(٢) مار لفظة كلدانية معناها السيّد وهي تعطى للاساقفة والبطاركة

حيث بقي سنة كاملة وتلمذ هناك خلقاً كثيراً . ثم رجع الى اربيل وبقي مختفياً فيها سنتين وتوفي سنة ١٨١ وقد دبر الكرسي ١٦ سنة . وبُني على قبره كنيسة عُرِفت باسمه

وبعد وفاة نوح ترملت كنيسة اربيل اربع سنوات من اجل الاضطهاد الثائر على المسيحيّين . فانّ المجوس كانوا ينهبون بيوتهم ويأخذون جبرًا اولادهم ليعلّموهم الديانة المجوسيّة . فلمّا كانت السنة ١٨٥ اجتمع المؤمنون وانتخبوا هابيل وذهبوا به الى زخا يشوع اسقف حانيثا فاسامه اسقفا . وكان هابيل من قرية زبرا يرعى غنم ابيه . وكان والده يبغضه لتغافله عن امر قطيعه . وذات يوم ضلّ نعجتان من ضأنهِ في الجبل . فضربه ابوه وطرده . فتوجّه هابيل نحو اربيل ونزل في كنيسة النصارى . فاعتنوا به وعمّذوه . وخدم ابراهام الاسقف وبعد وفاته لزم خلفه نوح . ولما صار هابيل اسقفاً ازال بوداعته الاضطهاد عن النصارى . وصار في ايامهِ حروب كدّرت حياته . فانّ نرساي ملـك حدياب لم يرافق اولغاش الرابع ملك الفرثيّين في غارته على الفرس (١) . ولما رجع اولغاش مظفّرًا حمل على حدياب وقتل نرساي وخرّب مدنه ونهبها . ولم يعش هابيل مدّة طويلة بعد هذه المصيبة . فانّه بينما كان يطوف القرى ليسلّي مرعيثهُ (٢) توفي في قرية رَحطا . وأُتي بجسده ودُفِن في كنيسة اربيل . ولم يذكر مشيحا زخا مدّة جلوسه على الكرسيّ . والظاهر انهُ مات نحو سنة ١٩١ . اي في اوائل ملك اولغاش الرابع

وخلفه عَبيد مشيحا (اي عبد المسيح) . وكان اصله من اربيل وسكن مـدة طويلة في انطاكية ودمشق وهناك تنصَّر . ولمّا رجع الى اربيل لزم خدمة الكهنة وصارت الكنائس والاديرة في ايام رئاستهِ براحة وسكون . وقال عنه مشيحا زخا انه دبّر الكرسي خمساً وثلاثين سنة (٣)

---

(١) راجع المجلد الاول ص ١٦٨

(٢) المرعيث رعيّة الاسقف والابرشية رعية المطران وهي تحريف ܡܪܥܝܬܐ

(٣) ان ابراهام مات سنة ١٦٥ كما قلنا ونوح استمرّ ١٥ سنة فتكون وفاته نحو سنة ١٨٠ وبعد مرور اربع سنين أُسيم هابيـل سنة ١٨٤ ومات سنة ١٩١ التي فيها ملك اولغاش الرابع . وقال عن حيران خليفة عبيد مشيحا انهُ في ايامهِ صارت محاربة بين ارطبان ملك

وقــام بعده حيران نحو سنة ٢١٦ وكان من اطراف بابل وقيل انه في بدء رئاسته انكسفت الشمس واغار ارطبان على بلاد الرومانيين . فقاتله مقريانوس ثم عُقِد الصلح بين الطرفين . وفي ايامه ايضاً اي في ٢٨ نيسان سنة ٢٢٦ انقرضت مملكة الفرثيين على يد اردشير ملك الفرس من آل ساسان . ونصب اردشير ايضاً كرسيّهُ في المدائن . ونصّر حيران خلقاً كثيرًا من الوثنيين ودبّر كرسي اربيـــل ٣٣ سنة (١)

وخلفه شحلوبا وكان من بيت أرمايي . وأبرأ بصلواته نكيحا احد اكابر تلنياحا من مرضهِ فاعتنق نكيحا الديانة المسيحية مع كثير من اهل قريتـــهِ . وفي تلك الاثناء مات اردشير الملك سنة ٢٤١ وخلفه ابنـــه شابور وجرى لهُ حرب مع الخوارزميين والماديين وقهرهم وغلب ايضاً الجليين والديلوميين . وانتشب ايضاً القتال بينه وبين الرومانيين . وكان في جيشهِ قائد نصراني اسمه كُزقان . فطلب هذا القائد الى شحلوبا ان يذهب الى المدائن فيزور النصارى الذين هناك . فاجاب الاسقف الى طلبتهِ ورافقـــه نكيحا مع اثنين من الشمامسة واسرهم العرب في الطريق . ولكنهم بعد اربعة اشهر تمكّنوا من الفرار . ومكث شحلوبا في المدائن سنتين وهو يـــدبّر امور النصارى الذين فيها ورسم لهم كاهناً ثم رجع الى اربيل . وزاره شوحاليشوع اسقف بيت زبداي وبقي عنده سنة كاملة . وانطلقا سوية الى حرباث كُلال ورسونين ورسما هناك اسقفاً . ثم ذهبا الى شهر كرد ورسما لها اسقفاً ايضاً لان اسقفها كان قد مات ودبّر شحلوبا كرسي اربيل ١٥ سنة

وجلس بعده على كرسي اربيل أحاذ آبوي . كان هذا في صغره قد ذهب الى

الفرثيين ومقريانوس ملك الرومانيين . وقد جرى هذا القتال سنة ٢١٦ — ٢١٨ . فيظهر من كلام مشيحا زخا ان عيد مشيحا دبّر الكرسي ٢٥ لا ٣٥ سنة ولعلّها غلطة من الناسخ

(١) على هذا المنوال تكون وفاته سنة ٢٤٩ ومشيحا زخا نفسه يقول انهُ بايام شحلوبا خليفة حيران توفي اردشير ملك الفرس واضطهد مكسيمينوس قيصر نصارى المغرب فاردشير مات سنة ٢٤١ ومكسيمينوس ملك من سنة ٢٣٥ الى ٢٣٨ . فلا بدَّ من ان يكون جلوس شحلوبا قبل سنة ٢٣٨ التي فيها مات القيصر الروماني فتكون رئاسة حيران ٢٠ او ٢٢ سنـــة لا غير

قطيسفون بسبب الحرب التي شبّت بين الرومانيين والفرس. وهذه الحرب التي يشير اليهـا مشيحا زخا جرت سنة ٢٣٣ و٢٣٤ وفيها انتصر الكسندر ساڤيروس على ارداشير . ولمّا رجع أحاد آبوي الى اربيل تنصّر وتتلمذ لحيران الاسقف وفي مدّة رئاستهِ خلع كُوْپراشنَنسب حاكم حدياب الطاعة لورهاران الثالث (٢٧٦ — ٢٩٣) وبنى لنفسه حصناً منيعاً في الجبـل وتبعه نحو ٥٦٠ رجلاً وصاروا ينهبون القفل ويقطعون الطرق وخرّبوا قرى كثيرة. فارسل ورهاران جنوداً للقبض عليهم لكنّهم رجعوا خائبين. ثم بعث جنوداً أُخر تحت قيادة زرهسپ. فاحتـال هذا القائد على الباغي وقبض عليهِ وذهب بهِ الى المدائن حيث سُلخ جلده.

وفي تلك الاثناء اي نحو سنة ٢٨٠ طلب نصـارى المدائن الى احاد آبوي ان يذهب لزيارتهم نظير سلفه شحلوپا. فاجاب الى طلبتهم ورافقه زخا يشوع اسقف حوياث كلال وشبثا اسقف بيت زبـداي. وبقوا في المدائن سنة كاملة واصلحوا الامور العوجاء . وذات يوم قام شبثا في وسط الجماعة وكرز طويلاً وقابل بين غلبة المسيح وغلبة الملوك. قال: انّ غلبة المسيح فرّحت الجميع حتى اليهود والوثنيّين. واماً غلبة الملوك فاثمارها الكبرياء والضيقات والموت. اماّ الكبرياء فلانّ الملوك اذا انتصروا يتكبّرون فوق حدّهم ويعتبرون انفسهم آلهة وما مجازاتهم الاّ النار الابديّة. . . وكان بين الحاضرين احد المجوس فسعى بشبثا عند احد رجال الدولة. واتصل الخبر بالنصارى فاستخفوا وهرّبوا شبثا. واما بعضهم فتـداركوا الامر واعطوا هدايا كثيرة لاحد رجال الدولة اسمه رَدْكان وازالوا عنهم الخطر

ثمّ انّ نصارى المدائن الحّوا على أحاد آبوي ان يسيم لهم اسقفاً . فشاور بذلـك حَيّ بعيل اسقف شوشان. ووقع الانتخاب على پاپا بن عكّاي ورسموه اسقفاً

انّ ما قاله مشيحا زخا عن احاد ابوي والاسقفَين اللذين معه وانهم بقوا سنةً في المدائن واصلحوا الامور المعوّجة وما قاله ايضاً عن موضوع كرازة شبثا وانتخاب پاپا يظهر منـهُ انه صار انشقاق بين نصارى المدائن وانّ كلّاً من الكهنة او من الاساقفة كان يبذل جهده في ان يكون هو اسقفاً في عاصمة المملكة. ومن المحتمل ان المدائن كان لها اسقف قبل پاپا وتوفي وانّما من اجل تعيين خلف له صار فيها هذا

الشقاق . ومما يلمح الى هذا القول ما اتى في سنهادوس داديشوع : « انّ الآباء امروا ان يتلى اسم مار پاپا في سفر الاحياء قبل جميع الذين سبقوه على كرسي المدائن ». وسنبحث عن پاپا في الفصل الرابع من الكتاب الثامن

وأمّا ما كان من امر احاد آبوي فانّه بعد ان وضع يده على پاپا رجع الى اربيل وهناك مات بعد ان دبّر الكرسي ١٨ سنة . وكانت وفاته في اوائل الجيل الرابع لانّه قيل عن خلفه شريعا انه على ايّامه تنصّر قسطنطين الكبير (٣١٢)

الفصل الثالث

في الشهداء الذين تكلّلوا في الجيل الثاني والثالث

في الجيل الثاني والثالث بعد المسيح ظهر في كنيستنا الكلدانية بعض الشهداء منهم من دوّنت اخبارهم في تواريخنا ومنهم من ذكرتهم تواريخ الكنيسة الغربيّة

ومن جملة الاولين الذين سقوا بدمائهم ارض كنيستنا العزيزة هو مار شمشون اسقف اربيل الذي استشهد سنة ١٢٣ وقد سبق الكلام عنه (١)

تكلّل في اورهاي نحو سنة ١١٥ القديس شربيل . وقد بلغت الينا قصّته مع جهاد برسميا الاسقف وطبعها كورتون في النصوص التاريخيّة السريانيّة القديمة . والاب بيجان في سيرة الشهداء . وهاك خلاصتها : في السنة الخامسة عشرة لطريانوس (١١٢) والثالثة لابجر السابع و ٤١٦ لاسكندر (١٠٥) امر طريانوس قيصر ان يقرّبوا الذبائح للآلهة ويضطهدوا النصارى . وكان شربيل رئيس الاحبار الوثنيّين هو المقدّم في تلك الاعياد ويترجم للشعب كل ما يسمعه من الآلهة . وكان في تلك الاثناء برسميا اسقفاً على اورهاي . فانطلق الى شربيل واصحب معه تيردت القسيس وشالولا الشماس ولم يزل يلقي على مسامعه كلام الله حتى اقنعه هو واخته باباي . فلما وصل هذا الخبر الى مسامع لوسانيا حاكم المدينة قبض عليه وعذّبه شديداً .

---

١) راجع ص ٩

ثمّ نشره بمنشار وقتل اخته باباي. وكان جهادهما في ٥ ايلول . وفي اليوم التابع قبضوا على برسميا الاسقف وعلّقوه على خشبة . وبينما كانوا يعذّبونه اتى امر من الملوك مآله : « انّ أمنآءنا عرّفونا ان النصارى قوم يتجنّب من القتل والسحر والسرقة. لذلك امرنا ألاّ يقتلوا ». وللحال امر الحاكم بتخلية برسميا. وتذكار شربيل واخته عند اللاتين في ٢٩ كانون الثاني وتذكار برسميا في ٣٠ منه وعند السريان في ٨ تشرين الاول (١)

وقد اتى في نهاية قصّة برسميا : « انّه كان معاصراً لفبيانوس اسقف رومية. وارتسم عن يد عبشلاما اسقف اورهاي. وعبشلاما رسمه پالوط الاول (اول اساقفة اورهاي) وپالوط رسمه سرافيون اسقف انطاكية وسرافيون قبل الرسامة من زفيرينوس اسقف رومية (٢). فيستنتج المستشرقون من هذه القطعة ان شربيل وبرسميا استشهدا في الاضطهاد الذي اثاره داقيوس قيصر من سنة ٢٤٩ الى ٢٥١ لأن فبيانوس دبّر كرسيّ رومية من سنة ٢٣٦ الى ٢٥٠

ولا ننكر ان القطعة المذكورة تؤيّد قول المستشرقين. لكنّنا نظنّها زائدة ادخلها احد النساخ لكي يسلسل كهنوت اورهاي من كهنوت رومية. وممّا يؤكّد قولنا ان القطعة نفسها مكتوبة كما رأينا في ملفانوت ادي (٣). لعمري ان هذه العادة السمجة اعني اضافة الزوائد والتغيير في كتب التواريخ موجودة خصوصاً عند النساخ اليعاقبة وامثلة ذلك كثيرة منها الزوائد المدُخلة في ترجمتي اسحق اسقف نينوى ويوحنان برپنكايي النسطوريين والتي تظهر انّهما يعقوبيّان مع ان يوحنان برپنكايي شخص واحد مع يوحنان دلياثا ويوحنان سابا (٤). فعلى رايي ان شربيل وبرسميا استشهدا سنة ١١٥ وان لوسانيا المذكور في القصّة هو لوسيوس كويتوس الذي ضبط مدينة اورهاي واحرقها في تلك السنة عينها (٥). وقد اتى في كتاب ايليا النصيبينيّ

---

١) من الامر الغريب ان الكلندار السرياني يقول عن شربيل انهُ كان رئيس اساقفة انطاكية

٢) كورتون القطع التاريخية ٧١ — ٧٢

٣) راجع ص ٣

٤) دوفال الاداب السريانية ٢٣٤ . والمجلة الساميّة سنة ١٨٩٦ ص ٢٥٤ . والمجلة الاسياوية تموز وآب سنة ١٩٠٧ ص ١٦٢ حاشية ٢ وبرپنكايي طبعة منكنا المقدمة ٢ و ٤

٥) راجع المجلد الاول ص ١٦٧

انه في سنة ١١٤ نشر يهود ما بين النهرين لواء العصيان على الرومانيين فقتل منهم لوسيا بامر القيصر جمًّا غفيرًا لا يحصى . وكذا كتب اوسابيوس القيصري في كتاب تاريخه . فلابدّ من ان الرومانيين قتلوا في اورهاي اليهود والنصارى معاً . واما الامر الملوكيّ المنوّه عنه في القصّة : ان الامناء عرّفونا ان النصارى بريئون ممّا يتهمونهم به الخ فهو جواب طريانوس قيصر لپلينوس الاصغر الذي تولّى على بيثينيّة سنة ١١٠ . فان هـذا الحاكم كتب الى طريانوس عن النصارى انّه لم يرَ فيهم جرماً يستوجب الموت فانهم يتجنّبون السرقة والقتل والزناء . فاجاب طريانوس لا ينبغي التفتيش على النصارى ولا ان يؤمر عليهم بالقصاص اذا سُعي بهم وتحقّق امرهم . ومنع منعاً شديداً معاقبة النصارى اذا اشتكى عليهم اشخاص مجهولون (١) . فحالما وصل هذا الامر الى اورهاي اطلق الحاكم سبيل برسميا

واما شهداء كلدو الذين دوّن الغربيّون اخبارهم في بطون الاوراق فهم : مقيما ورفيقه اليهاب . پوليكرون ورفاقه . عبدون وسينون . مارتا وزوجها وابناها وقد ذُكر في هذه القصص عن مقيما وپوليكرون وعبدون ورفاقهم انهم نالوا اكليل الاستشهاد في عهد داقيوس قيصر لما اغار على بلاد الفرس . وانّ پوليكرون كان اسقف بابل . ولكنّ التواريخ لم تذكر عن داقيوس (٢٤٩ — ٢٥١) انّه زحف على المملكة الفارسيّة . وبابل كانت خربة في ذلك الزمان او بالحري لم تكن الّا قرية حقيرة (٢) . غير انّ العلّامة بارونيوس يقول انّه على ايام داقيوس ظلامٌ كثيف. فيحتمل ان هذا الملك حمل على بلاد الفرس وقد سكتت التواريخ عن ذلك . ولعل پوليكرون هو اسقف المدائن . فانّه كان يوجد اساقفة كما سبق الكلام في سالف قبل پاپا . وهاك ما ذكره الغربيّون عن هؤلاء الشهداء

لا يذكر التاريخ عن مقيما واليهاب (٣) اين نالا اكليل الاستشهاد ويقول فقط

---

١) پلينوس : [illegible] : ١٠ الرسالة ٩٧ و ٩٨ . وتاريخ اوسابيوس [illegible] : [illegible]

٢) مينان لغات فارس واثور المفقودة باريس ١٨٨٦ ص : ٩ — ١٠

٣) ان هذين الاسمين مكتوبان Maximus et Olympias فاظن ان ماكسيموس هو مقيما واوليمپياس اليهاب

انه لما اغار داقيوس على بلاد الفرس اتته عساكره بهذين الرجلين وكانا عالمين ومن اشرف عائلات الفرس . وحالما عرف القيصر انهما مسيحيَّان امر بضربهما بالعصيّ والسياط . وكلّما ازداد القيصر غضباً ازدادا هما غيرةً على ديانتهما . ثمّ سلّم امرهما ليد احد ضباطه . فلاطفهما اولاً . ثم امر بقطع راسيهما . واتى بعض النصارى وكانوا من آل عبدون وسينون واخذوا جثتيهما ودفنوهما في بيوتهم . واتى ذكرهما في السنكسار اللاتيني في ١٥ نيسان

وخلاصة جهاد پوليكرون ورفاقه هي هذه . كان پوليكرون اسقف بابل . فامر داقيوس بالقبض عليه وعلى فرميان وأعليا وكاروزوتيل الكهنة ولوقا وموسى الشمّاسين وسيقوا كافةً الى هيكل الاوثان ليقدّموا لها البخور . ولما ابوا . قُطع لسان فرميان القسّيس وضُرب پوليكرون بقساوة شديدة حتى قضى نحبه . واماّ الباقون فقُطِعت روؤسهم . ونهى داقيوس عن دفنهم . غير ان عبدون وسينون اخذا جثثهم ودفناها باكرام عظيم . وكان استشهادهم في ١٧ شباط . وتذكارهم عند اللاتين في ٧ منهُ

اماّ عبدون وسينون فكانا اخوين شقيقين شريفين حسباً وعظيمين مرتبةً . وكانا من جملة الاسرى الذين اسرهم داقيوس قيصر واستاقهما الى رومية وهناك طرحهما في السجن وجلدهما بسياط مرصّعة ثم قطع رأسيهما في ٣٠ تموز وفيه يعيّد لهما اللاتين . وبقيت ذخائرهما مدفونة في بيت كويرينوس الشماس الى ان نُقلت في زمان قسطنطين الملك الى مقبرة فنطيان . ويُرى في هذه المقبرة حتى الآن قطعة من الرخام عليها صورة هذين القديسين وعلى راسيهما تاج وقبع فارسيّان (١) .

واما قصة ماري وزوجته مارتا وابنيه فقد شكّ في صحتها تيلمون وشاستيلين . لكن البولاندستيّين يخالفون هذا الراي ويقولون انّها صحيحة . كان ماري من بلاد فارس وهو شريف الاصل وكثير الثروة . وكان له زوجة اسمها مارتا وولدان يقال لهما اوديفا واباق . فباع ماري كل امواله وانطلق الى رومية مع امراته وولديه لكي يؤدّي الاكرام للشهداء المقتولين هناك في سبيل المسيح . ودخلوها في حومة

---

(١) بوتلير : سيرة الآباء والشهداء القديسين ٥ : ٢٠١

الاضطهاد الذي اثارهُ اوريليانوس (١) على المسيحيّين. فاخذوا يساعدون المعترفين ويطعمون الجياع ويدفنون الموتى . وبلغ خبرهم الى مرقيانوس حاكم المدينة فقبض عليهم وبعد ان عذّبهم عذاباً اليماً قطع رؤوس ماري وولديهِ وألقى القديسة مارتا في غدير ماء ووُضِعت ذخائرهم في محلّ خارج رومية. ثمَّ نُقلت الى كنيسة ادريانوس في عهد البابا پسكال الاول (٨١٧– ٨٢٤). ونُقل ايضاً قسم منها الى كنائس اخرى في اطاليا وفرنسا(٢) . وكان استشهاد هولاء القدّيسين في١٩ كانون الثاني سنة ٢٧٠وفيه يذكرهم اللاتين. وقد اتى ذكرهم في بعض السنكسارات في ٢٧ تشرين الثاني (٣)

ويوجد اسماء بعض الشهداء في جدولٍ كُتب سنة ٤١٢ وطبعهُ ريت في مجلّة الآداب والكتاب المقدس سنة١٨٦٥وقال عنهم الجدول المذكور انّهم من الأولين وهم : آبا ودالي وبُولحا وحزات وابراهاط ومنپيلوس. وذكر ايضاً هذا الجدول آديلپاس وغايس في نصيبين

الفصل الرابع

في الهرطقات التي ظهرت ببلادنا في الجيل الثاني والثالث

لما اشرق نور الانجيل على الارض واستضاء بهِ الناس فبعض الذين تنوّروا به من اليهود والوثنيّين بقوا متمسّكين ببعض عقائدهم وعوائدهم القديمة وخلطوا عقائدهم اليهوديّة او الوثنية مع العقائد النصرانية. وغيرهم اخترعوا بدعةً جديدة إمّا لكون العقائد المسيحية فوق طاقة نور عقلهم الطبيعيّ او تكبّرًا او محبةً بالشرف والمنافع الشخصية اوسياسةً. وقد سبق المسيح وقال : «لا بدّ ان تاتي الشكوك... ويقوم كثير من الانبياء الكذبة ويضلّون كثيرين». وقال ايضاً مار بولس : «لا بدّ ان تكون البدع ليظهر المختارون». فظهرت اذًا الهرطقات في كنيسة المسيح منذ نشأتها. كهرطقة سيمون وابيون ونيقولا ومرقيون وغيرهم. ولم

---

(١) وقيل كلوديوس الثاني (راجع القس بيرني سيرة القدّيسين ⁂ : ٢٨١) ولكن هذا الملك لم يضطهد النصارى

(٢) بوتلير : سيرة الشهداء... 1 : ٢٨٥ – ٢٨٦

(٣) بيرني : سيرة القديسين

تحلُّ منها كنيستنا الكلدانيّة . واشهر المبدعين الذين ظهروا فيها منذ الاول ططيانوس وبرديصان وماني وقوقا .

١ً ططيانوس

ان ططيانوس (١) يخبرنا عن نفسه انّه كان اثوريًّا . وكذا قال عنه تِئادوروس بركوني . وتربّى في ديانة الوثنيّين ودرس العلوم اليونانية . وباشر اسفارًا كثيرة وانطلق الى رومية . وهناك اعتنق الديانة المسيحيّة وتتلمذ للقديس يوسطينوس . ثمّ رجع الى ما بين النهرين حيث بدع بدعةً جديدة نحو سنة ١٧٢ فعلّم بإلهين إله مطلق وإله خالق وان جسد المسيح لم يكن حقيقيًّا بل ظاهرًا وغير ذلك . وقال عنه مار هيرونيموس واوسابيوس القيصري انّ لهُ تصنيفات كثيرة لا تحصى . ولم يصل الينا منها سوى رسالته الى اليونان التي فيها يدافع عن الديانة المسيحيّة . وقد كتبها بعد موت القديس يوسطينوس معلّمه وقبل ان يخترع بدعته . لانّه ليس فيها شيءٌ يخالف العقائد النصرانية . وبين سنة ١٥٢ و ١٧٣ نقل ططيانوس سيرة المسيح عن الاربعة الاناجيل وسبكها ببعضها سبكًا حسنًا بحيث جعل رواية الانجيليّين الاربعة روايةً واحدة . وسُمّي كتابهُ هذا دياطاسارون اي سياق الاناجيل الاربعة . وشاع هذا الكتاب في كنيسة اورهاي الى زمان ربولا الاسقف الذي مات سنة ٤٣٥ . وهو الذي منع استعماله فأُلقي في زوايا النسيان حتى لم يبق منه اليوم في الاصل الكلداني نسخة صحيحة بل قطع وصلت الينا في كتاب شرح ايشوعداد اسقف حدثًا للانجيل وفي تاليفات عيره من العلماء النساطرة . وقد شرحه مار افرام في الارامية ولكن هذا الشرح ايضاً فقدناه ولم يصلنا سوى ترجمته الأرمنية . وفي اوائل الجيل الحادي عشر نقل ابو الفرج عبدالله بن الطيّب الكلداني كتاب الدياطاسارون الى

---

(١) عن ططيانوس راجع بركوني طبعة أدّي شير [illegible] : ٣٩٥ . واوسابيوس [illegible] : [illegible] : وايشوعداد شرح الانجيل : بشارة مرقس (غير مطبوع) . ودوقال تاريخ اورهاي ١١١ — ١١٣ والاداب السريانية ٤٤ — ٤٨ و ٥٢ — ٥٤ . وتاريخ المؤلفين الكنائسيين تأليف ريمي سيليا : باريس ١٨٦٥ ص ٤٨٨ — ٤٩٢ . وقاموس اللاهوت الكاتوليكي ترجمة كوشلير باريس ١٨٧٠ ص ١١٨ — ١٣٧

العربيـــة وبلغنا منه نسختان كاملتان (١) . وقد طبع السيد شياسكا هذه الترجمة سنة ١٨٨٨

٢ً بردیصان

ان برديصان (٢) ظهر في النصف الاخير من الجيل الثاني . وعلى قول بورفيريوس وهيرونيموس كان اصلهُ من بابل . وقال يوليوس الافريقيّ انه كان فرثياً . لأن الكلدان او البابليّين ربّما أُطلق عليهم في ذلك العهد اسم الفرثيين لكونهم تحت حكمهم . وقال عنه تئادوروس بركوني ان اصله من حدياب . والظاهر ان ميخائيل رابو يؤيد كلامه . اذ يقول : انّه في السنة ١٥ لشهروق بن نرساي مالك الفرس ترك نوحـاما ابو برديصان وأمّه نخشيرام وطنهما وهربا الى اورهاي . ومن المعلوم ان اسمَي نرساي وشهروق لم ياتيا في قائمـة ملوك الفرثيّين بل ذُكِرا في جدول ملوك حدياب (٣)

واختُلف في تعيين السنة التي وُلـد فيها برديصان . قال ميخائيل رابو : انّه وُلد سنة ١٦٤ . وابن العـبري سنة ١٥٤ . ومؤلف تاريخ اورهاي في ١١ تموز سنة ١٥٤ . وايليا النصيبينيّ في ١١ تموز سنة ١٣٤ وهو التاريخ الأصحّ وقـد تركنا جانباً المجادلات لتثبيت رأينا هذا وهو رأي بعض المستشرقين ايضاً

ان برديصان ولدته امه بالقرب من نهر ديصان في اورهاي وقيل انه لاجل ذلك سمّته برديصان اي ابن ديصان . وتربّى في قصر الملك معنو الثامن ملـك اورهاي (١٣٩ — ١٧٩) وهـذا مما يدل على انه من حسب شريف . ومع الكلدانية تعلّم اليونانية . وقال عنه ميخائيل انه تنصّر على يد ايشتاسب اسقف

---

(١) المشرق ܓ : ١٠٠ — ١٠٢

(٢) عن برديصان راجع بركوني ܒ : ٣٠٧ — ٣٠٨ . وميخائيل ܐ : ١٠٩ — ١١١ وابن العبري ܐ : ٤٧ . وبرديصان : كتاب شرائع البلدان طبعة نو : المقدمة . واوسابيوس ܓ : ܗܗ . وتاريخ المؤلفين الكلدانيين ܐ : ٤٦٥ — ٤٦٧ . وقاموس اللاهوت . . . ܒ : ٣٣٠ — ٣٣١ . ودوفال : تاريخ اورهاي ١١٤ — ١٢٢ : والآداب السريانية ٢٤١ — ٢٤٨

(٣) مشيحا زخا ٢٥ و٢٨

اورهـاي. وارتسم شماساً وقال عنه بركوني انه أُسيم كاهناً ايضاً. ولعله هو الذي رغّب ابجر التاسع (١٧٩ — ٢١٤) في اعتناق الديانة المسيحيّة وحملهُ على ذلك منذ صغره اذ تربّى معه في قصر ابيه معنو(١). فان كان ذلك صحيحاً يكون برديصان قد تربّى في الديانة المسيحية منذ نعومة اظفاره. وعلى رواية ميخائيل عاش برديصان ٦٨ سنة. فكانت وفاتهُ سنة ٢٠٢ (٢)

كان برديصان فصيحاً بارعاً منفتناً في الكلام. والّف كتباً كثيرة. وقد استخرجت تآليفه الى اليونانية على يد تلاميذه. وكتب ضدّ المرقيونيّين وغيرهم من الهراطقة. ومقالة في المحاماة عن الديانة النصرانية. والّف ايضاً ١٥٠ نشيداً على نسق كتاب المزامير. ولم يصل الينا من تأليفاته سوى كتابه في القدر او في شرائع البلدان. وقد طبع كورتون هذا الكتاب مع ترجمته الانكليزية سنة ١٨٥٥. وترجمهُ العلامة ميركس الى الالمانية سنة ١٨٦٣ وطبعه ايضاً نو مع الترجمة الفرنسية سنة ١٨٩٩

ان مار افرام النصيبيني وغيره من العلماء الاراميّين طعنوا طعناً شديداً ببرديصان وناضلوا تعاليمه لانه قال بالقدر وبوجود آلهة كثيرة وبعدم قيامة الاجساد وغير ذلك ومن قرأ كتاب برديصان في شرائع البلدان يرى انه يقرّ باله واحد خالق جميع الاشياء ويعتقد بالمسيح وينكر القدر ويقول بالحرّية والدينونة الاخيرة. قال اوسابيوس القيصري: ان برديصان وقع اولاً في شبكة والانطينوس لكنه ندم اخيرًا ونبذ اضاليلـه. فان كان ذلك صحيحاً يكون برديصان قد الّف كتابه المذكور بعد ندامتهِ

ومما زاد بالطين بلّة ان الكلدان وجميع الاراميّين بعد تنصرهم رأوا في علم التنجيم سحرًا وكلّ من نظر الى النجوم وراقبها اتخذوهُ كالساحر والوثني والاثيم.

---

(١) ايفانيوس : كتاب الهرطقات ٥٦

(٢) انّ ميخائيل يقول انـه مات سنة ٥٣٣ لليونان (٢٢٢). وهو يناقض نفسهُ بقولهِ انهُ وُلد سنة ٤٧٥ وعاش ٦٨ سنـة فعلى هذا المنوال يجب ان يكون تاريخ وفاتهِ سنة ٥٤٣ (٢٣٢ م)

واذ كان برديصان منجماً اعتبروه من اعظم المبدعين ونسبوا اليه ضلالات كثيرة. وكان لبرديصان عدّة تلاميذ قرأُوا عليه العلوم. وصار له ثلاثة اولاد : أبكرون وحسدو وأرمونيس . وهذا الاخير الّف كتباً كثيرة

٣ً مانى

يوجد روايات مختلفة عن اصل ماني (١). فروى المؤرخون الشرقيون ان اصله من شوشان. وكانت ولادته سنة ٢٤٠ (٢). ولما بلغ اشدّه اعتنق الديانة المسيحية وجعله اسقف شوشان كاهناً نحو سنة ٢٦٨. لان ايليا النصيبينيّ يقول عنهُ انه في تلك السنة عُرف واشتهر (٣). ثم نبذ الديانة النصرانية وبدع بدعة جديدة مدّعياً انه الفارقليط واتخذ له اثني عشر تلميذًا على مثال رسل المسيح وسمّاهم بأسماءهم وشرع يطوف معهم البلاد ويكرز بتعليمه الجديد . ولكي يجلب اليه المجوس قال بإلاهين إله الخير وإله الشرّ . وان النفس هي خلقة إله الخير والجسد خلقة إله الشرّ فمن ثمّ كان الجسد والنفس قائمين في تضادد دائم كخالقيهما

ومن تلاميذه المعروفين ثلاثة سمّاهم على اسم توما وأدي وماري متلمذي المشرق (٤). وقيل عنه انه عالج ابن ملك فارس. لكن الصبي توفي. فامر الملك بالقبض عليه فَسُلِخ جلده وحُشي وعُلّق فوق باب مدينة شوشان. وكتب ماني

---

(١) اطلب بركوني ت : ٣١١ — ٣١٨. وميخائيل ٦ : ١١٦ — ١١٩. وابن العبري ٦ : ٦٠ — ٦٢. والتاريخ السعردي ٦ : ١٥ — ١٨. واشهر شهداء المشرق ٨٠ — ٩٦. وتاريخ المؤلفين الكاثوليكيين ت : ٤٥٣ — ٤٥٩. وقاموس اللاهوت الكاثوليكي ٥ : ١٦٥ — ١٧٥ واوسابيوس ٩ : ٣١ (٢) ايليا ٩٢ . وتاريخ اورهاي في السمعاني ٦ : ٣٩٣

(٣) ميخائيل دائماً يضادد نفسه اذ يقول : في السنة الرابعة لاورليانوس قيصر (٢٧٠ — ٢٧٥) وهي السنة ٥٩٢ لليونان ظهر ماني وعمره ٣٣ سنة فالسنة الرابعة لاورليانوس هي سنة ٢٧٣ وسنة ٥٩٣ لليونان توافق سنة ٢٨١

(٤) قاموس اللاهوت ١٦٦ يسميهم توما و بودا وهرمز

كتباً كثيرة في الارامية وهي الكلدانية (١) اسماؤها: الاسرار والفصول والانجيل والكنز. وقال بعضهم انه الّف ايضاً كتاباً أُطلِق عليه اسم أركتي ماني. وله رسائل كثيرة اشهرها رسالة الاساس (٢)

وروي ايضاً ان مبدع المانوية هو شيتيان وكان عربياً جنساً. وتتلمذ له في مصر رجل يقال له تريبانت. وسمّى تريبانت ذاته بودا وزعم انه مولود من عذراء وكتب لمعلّمه شيتيان الكتب الاربعة المار ذكرها. وقيل انّ شيتيان نفسه الّفها. ومن بعد موت شيتيان اتى تريبانت الى ارض بابل ولم يتتلمذ له فيها سوى امرأة مسنّة لا غير. ومن بعد وفاته اشترت لها تلك الامراة عبداً اسمه قوربيج. ثمّ اعتقته وادّبته. وبعد مماتها ورث قوربيج اموالها وكُتُبَ شيتيان الاربعة وسمّى نفسه ماني

انّ تعليم ماني انتشر سريعاً في كلّ المشرق وامتدّ الى افريقيا واوروبا ايضاً. وقام علماء كثيرون وفندوا تعليمه. واشهرهم ارخلاوس اسقف كشكر الكلداني. كان لارخلاوس صديق يقال له مارقيل وكان غنياً ورحوماً. فكتب اليه ماني رسالةً لكي يحمله على الدخول في مذهبه الجديد. ولم يلبث ان انطلق اليه هو نفسه لكي يشرح له تعليمه. فحضر مار ارخلاوس وجادل ماني وفنده ببراهين قاطعة دامغة. وهذه المجادلة تعدّ من افضل المجادلات. ونُقلت منذ الجيل الرابع من الكلدانية الى اليونانيّة فاللاتينيّة. وقال العلماء انها جرت في سنة ٢٧٧ (٣). ولكن من كلام ايليا النصيبيني وميخائيل رابو يظهر انها صارت في نهاية الجيل الثالث. فان الاول كتب كما سبق القول انه في سنة ٢٧٩ ظهر تعليم ماني والثاني يجعل ذلك سنة ٢٨١. ويظهر ايضاً من كلامهما انّ ما قيل عن شابور الاول انه هو الذي قتل ماني لا صحّة له. لان شابور مات سنة ٢٧٢

والامر الغريب هو ان المؤلّفين الشرقيين لم يذكروا مجادلة ارخلاوس مع ماني حتى ان اسم ارخلاوس مجهول عندهم. غير انّه اتى عندهم اسم مار عبد يشوع وكان هو

---

(١) كتاب طيطوس ضد المانويّين طبعة بولس دي لاكارد ١٨٥٩ ص ١٣. وايبفانيوس كتاب الهرطقات هه : مهد (٢) قاموس اللاهوت ١٦٧

(٣) تاريخ المؤلّفين الكنائسيين ت : ٤٥٣

ايضاً اسقف كشكر وعاش في نهاية الجيل الثالث واوائل الجيل الرابع وقيل عنه انّه كان عالماً فاضلاً وحضر في المجمع الذي عُقِد في ساليق لمعاتبة پاپا الجاثليق سنة ٣١٧ (١) فعندي انا ان ارخلاوس في اليونانية تصحيف عبد يشوع في الكلدانية (٢)

ومن المراطقة القدماء قوقا ولم يصلنا شيء من اخباره . وقد اتى ذكره في ميامر مار افرام (٣) . وقد ذكر عنه تئادوروس بركوني الذي كتب تاريخ المرطقات وقال عنه انّه كان يقرّ بآلهة كثيرة



الكتاب الثاني

في احوال الكلدان تحت حكم الملوك الساسانيّين

(٢٢٦ — ٦٣٢)

الباب الاول

في اخبار الكلدان في الجيل الرابع

ان الجيـــل الرابع من امجد الاجيال واشرفها للكنيسة الكلدانيّة . فانّنا بافتتــاحه نرى المملكة الفارسيّة مشحونة بالنصارى وقد صار لهم عدّة اسقفيات وعندهم مدارس زاهرة خرج منها علماء فطاحل . نرى القفار والجبال قد امتلأت رهباناً انفردوا لعبادة الله عزّ وجلّ . اخيراً نرى اعداء النصرانية اقوياء الدّاء وقد احتمل منهم اجدادنا النصارى اشدّ واطول اضطهاد تكلّمت عنه التواريخ . حتى ان الجنائن والاراضي سُقِيت بدمهم الزكي . وهــذا لعمري اعظم مجدٍ حصل عليه اجدادنا

(١) التاريخ السعردي ٢ : ٢٦ (٢) راجع مقالتنا الفرنسية في مؤلفي السريان الشرقيين ص ٤ (٣) السمعاني ٢ : ١٢١

الكرام. فانهم خرجوا من حومة القتال الشديد مكلّلين باكليل الغلبة والظفر. فلنتكلّم الآن عن مقاومي كنيستنا ثم عن رهبانها فمدارسها فاساقفتها فشهدائها

الفصل الاول

في اعداء الكلدان والاثوريين النصارى

١ً الدولة الساسانية

قد سبق القول ان موسّس الدولة الساسانيّة هو أردشير بن بابك الذي قرض الدولة الفرثية سنة ٢٢٦. واستولى على ارمنية سنة ٢٣٢. وحمل ايضاً على ما بين النهرين. فقاتله الكسندر ساڤيروس سنة ٢٣٣ و ٢٣٤ وانتصر عليه بعض النصرة. ومات ارداشير سنة ٢٤١ (١)

فوسّع خلفاءه الملك بفتوحات جديدة. فكانت تشمل مملكتهم بلاد ايران والديلم وجورجان وكلدو واثور وجزائر خليج العجم وقسماً من بلاد العرب. ونصبوا على كل بلدة والياً يسوسها من قبلهم. أما الولاة الكبار فأطلق عليهم اسم الموهپاط من الفارسيّة مه آباد. والذي تولى منهم على الحدود دُعي مرزباناً اي حافظ الحدود. واما العمّال الذين كانوا احط منزلةً فأُطلق عليهم اسم الرد

وكانت ديانة الساسانييّن الرسميّة ديانة زردوشت القائل بالاهين إلاه الخير المدعوّ هرمزد والاه الشرّ المسمّى اهريمان (٢). ومكتوب في كتاب معتقدهم ان توقد النار اكراماً لهرمزد ومن ذلك نتجت عندهم عبادة النار. وقد اتخذوا ايضاً من الكلدان عبادة الشمس والقمر والنجوم. وسُمّي كهنة زردوشت مجوساً وكانوا من الدّ اعداء النصارى ولهم منزلة عظيمة عند العامّة والخاصّة حتى عند الملوك انفسهم. وكان منهم في كل مدينة وقرية. ورئيسهم يدعى موبيد والرئيس الاعظم موبيد موبيدان. واجتهد الملوك الساسانيون بتقوية مذهب زردوشت في كل البلاد الخاضعة

---

(١) راجع عن ارداشير الطبري طبعة استانبول ١٥٦ — ١٦٣ . والمجلّد الاول من هذا الكتاب ص ١٦٩ (٢) بركوني ك : ٢٩٥ — ٢٩٨. و بيجان ك : ٥٧٦ — ٥٨٠

لهم . فاقاموا معابد للنار في كل قطر ومصر . وهكذا تغلّبت ديانتهم على كل الديانات التي في مملكتهم

ولما مات ارداشير جلس مكانه ابنه شابور الأَول (٢٤١ — ٢٧٢) وكان ذا شجاعة وقاتل طول حياته الرومانييّن (١) . وانتصر عليه غورديان وضبط منهُ نصيبين وحران وكل بلاد ما بين النهرين . غير انّ فيلبّس قيصر حالفه وردّجع اليه هذه البلاد مع ارمنية سنة ٢٤٥ . فلمّا كانت السنة ٢٥٩ حمل والريانوس قيصر على ما بين النهرين فبارزه شابور وغلبه بجوار اورهاي واسره وارسله الى ارض بابل وهناك اعتلّ من الغم ومات (٢) . وذهب شابور بفتوحاته الى انطاكية وسبى منها خلقاً كثيرًا . ثم استأنف المسير الى قبادوقية وليقاونية وقيليقية . وحمل عليه هناك الرومانيون وانتصروا عليه . وكان غاليانوس قد جلس مكان ابيه والريانوس . فملّك اذينه ملك تدمر على سوريا وارمنية وما بين النهرين . فقاتل اذينة شابور الملك وكسره وذهب الى سابيق وحاصرها سنة ٢٦١ . غير انه اضطرّ اخيرًا ان يرفع عنها الحصار (٣) . ومات شابور سنة ٢٧٢ . وبنى اربع مدن (٤) اطلق عليها اسمهُ وهي سد شابور في ميشان وهي التي سماها العرب دير محراق والكلدان رَيما . وشابور وهي في فارس . ومروحابور (مروشابور ؟) على الدجلة وهي عكبرا . وحسرشابور في كشكر . وجدّد ايضاً بناء كونديشابور (٥) ودعاها انطيشابور وهي التي سمّاها الكلدان بيت لاباط . واسكن شابور في تلك المدن الاسرى الذين سباهم من انطاكية واطرافها

وقام بعد شابور ابنه هرمزد الاول (٢٧٢ — ٢٧٣) ثم بهرام او وارهاران الاول (٢٧٣ — ٢٧٦) . ثم وارهاران الثاني (٢٧٦ — ٢٩٣) ثم وارهاران الثالث ولم يملك سوى اربعة اشهر (٦) . ولم يقع في ايام هولاء الملوك شيء يستحق الذكر

---

(١) الطبري ١٦٣ — ١٧٠ . والسمعاني [illegible] : ٤٣

(٢) التاريخ السعردي ٢ : ١٠

(٣) راجع المجلد الاول ص ١٧٥

(٤) التاريخ السعردي ٢ : ١١ — ١٢

(٥) قال بعضهم (ماري ٨ وعمرو ١٤ وتاريخ ابن العبري ٥٧) انهُ هو الذي بناها

(٦) راجع عن جلوس هؤلاء الملوك

سوى انه في سنة ٢٨٠ اراد بروبوس قيصر مقاتلة الفرس· فارسل اليه وارهاران الثاني سفراءه وسأله الصلح· وفي سنة ٢٨٣ استولى كاروس قيصر على ما بين النهرين وتقدّم نحو المدائن واصابته صاعقة قتلته لحينه · ورُوي عن وارهاران الثاني (١) انـه كان حليماً ويعرف اللغة الكلدانية ويحث عن اعتقاد النصارى كما فعل جده شابور واضطهد المانويين وهدم كنائسهم لكونهم يكرهون الزواج والتناسل(٢)· فاضطهد المجوس النصارى ايضاً بغير تمييز فقُتلت قنديدا امرأة الملك لاعتقادهـا بالنصرانيةواستشهد ايضاً قاريبا بن حنيا· ان قصة قنديدا الملكة محفوظة في مكتبة لوندرا (٣) · وهذا عنوانها :« استشهاد قنديدا السعيدة التي سُبِيت من بلاد الروم الى بلاد فارس وتزوّج بها وارتاران (وارهاران) ملك الملوك وتكلّلت مع النساء رفيقاتها في الاضطهاد الاول الذي صار في بلاد الفرس من اجل تعليم يسوع المسيح في ايام وارتاران جدّ شابور ملك ملوك فارس·» واما وارهاران الثالث فاحسن الى النصارى وامر ببناء الكنائس التي هُدمت على ايام ابيه بسبب المانويين

ثمّ جلس على سرير الملك نرسا (٢٩٣ — ٣٠٢)· وكان فهيماً عاقلًا طاعناً في السنّ · واغار في السنة الخامسة من ملكه على بلاد الرومانيين واستولى على ارمنية · وكان ديوقلطيانوس قد نُصب قيصراً على الرومانيين سنـة ٢٨٥· فاتى الى انطاكية واستدعى الى مساعدته غلاريوس الذي كان قد شاركه في الملك· فحمـل غلاريوس على الفرس وانتشب القتال بينهما بالقرب من حران وانكسر الرومانيون اقبح كسرة وهربوا· لكنهم لم يلبثوا ان اخذوا ثارهم· فانّ غلاريوس جمع جيشه وذهب به الى ارمنية ومن هناك دخل بلاد الفرس وقهر نرسا وفتك به·

ايليا النصيبيني والتاريخ السعردي · وتاريخ ابن العبري وميخائيل رابو ١١٧ · واما لابور (ص٢٥٤) فنقلًا عن نلديك يكتب قائمة هؤلاء الملوك كما يلي : جرام الاول (٢٧٢ - ٢٧٣) جرام الثاني (٢٧٣ — ٢٧٦)· جرام الثالث (٢٧٦ — ٢٩٣) ويسكت عن هرمزد الاول

(١) التاريخ السعردي ٢٧

(٢) ان هذا الاضطهاد الذي يتكلّم عنهُ مؤلف تاريخ سعرد هو ذاك الاضطهاد الذي ثار على المانويين والذي فيه قُتل رئيسهم ماني · وقد رأينا (ص٢٣) ان قتل هـذا الملحد سنة ٢٧٧ ليس من المحتمل ولا بد من انه جرى بعد سنة ٢٨٠

(٣) المخطوطات السريانية تأليف ريت العدد ٩٤٤

فهرب ملك الفرس تاركا بين يدي العدو امرأته واولاده وجواريه وكنوزه وكثيرًا من ضباطه. وكان ذلك سنة ٣٠٢. ثم صالح الرومانيون الفرس على ان تكون ما بين النهرين في حوزتهم وجعلوا حدًّا بين المملكتين نهر الخابور

واما نرسا الملك فلم يعش طويلًا بعد هذه الكسرة ومات في تلك السنة عينها وقام بعده ابنه هرمزد الثاني (٣٠٢ — ٣٠٩) واستبدّ برايه في تدبير الامور واراد ان يأخذ بثار ابيه من الرومانيين وكانت الدائرة عليه. ومات من دون ولد. وكانت امراته حاملًا فولدت ابناً سُمّي شابور الثاني. وكان ذا حزم وبأس. وملك سبعين سنة. وصار له وقائع كثيرة مع الرومانيين. ومما اشتهر به اكثر ما يكون اضطهاده للنصارى

ان ملوك الفرس طالما كان ملوك رومية وثنيين لم يتعرضوا للنصارى الذين في مملكتهم. وانما في عهد وارهاران الثاني اضطهد المجوس المانويين ولم يفرقوا بينهم وبين المسيحيين. ولكن لمّا تنصر القياصرة بدأ الاكاسرة يثيرون اضطهادات شديدة قاسية على الكلدان النصارى الذين تحت حكمهم وذلك بغضاً بقسطنطين الكبير وخلفائه وظنًا منهم انّ نصارى المشرق متحزّبون لاخوتهم نصارى المغرب. وكثيرًا ما حرّكهم على ذلك اليهود

٢ً اليهود والمراطقة

رأينا ان اليهود كانوا كثيرين في كلدو واثور. وكانوا يبغضون المسيحيين اشدّ البغض وهم الذين اطلقوا عليهم اسم نصارى احتقارًا ونسبةً الى يسوع الذي من الناصرة. ومنهم اتخذ الفرس هذا الاسم وانتقل الى العرب. ولم يزالوا كلّما سنحت لهم الفرصة يحرّكون ملوك فارس على اضطهاد السيحيين واذيتهم (١). واكثر مجادلات النصارى كانت مع اليهود كما يتبيّن ذلك من كتاب افراهاط الحكيم الفارسي. فان تسعاً من مقالاته الثلاث والعشرين موجهة الى اليهود ويثبّت فيها صحّة الديانة المسيحيّة ويدحض زعمهم الباطل بانّهم شعب الله. قال افراهاط في اول مقالته

(١) بيجان ك : ١٤٣ — ١٤٥ و٢٥٤

ايضاح الاضطهاد (١) : « لقد غشيني ضباب (الالم) اذ سمعت اليهود يستهزئون بنا متكبّرين على بني امّتنا . وذات يوم صادفت رجلًا يقال له حكيم اليهود فجادلني قائلًا : انّ يسوع المدعوّ معلمكم كتب لكم : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل انتقل فينتقل ويقع في البحر سامعاً لكم . أفلا يوجد في كل شعبكم رجل حكيم مستجاب الدعاء يصرخ الى الله كي يجوز عنكم مضطهدوكم ؟ » هذا ما كان من معادات اليهود للمسيحيّين

أما الهراطقة الذين عادوا النصرانيّة اكثر من غيرهم فهم المانويّون وقد سبق الكلام عنهم . والمرقيونيون المنسوبون الى مرقيون وكانوا يعتقدون بثلاثة آلهة : إله الخير و إله العدل و إله الشرّ . وينكرون قيامة الاجساد وغير ذلك (٢)

الفصل الثاني

السيرة النسكيـة

١ً في انتشار السيرة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانية

انّ السيرة النسكية او الرهبانية كانت منتشرة انتشارًا عجيباً في كنيستنا منذ مبادئ الجيل الرابع الامر الذي يدلّ على انّها أنشِئت فيها قبل ذلك العصر بسنين كثيرة . اتى في سيرة كوريا وشامونا اللذين استشهدا سنة ٣٠٣ ما نصّهُ : « ليخلّص المسيح شعبه لئلّا نرى او نسمع ان الرهبان (ܕܝܪ̈ܝܐ) يُهانون والعفيفات والراهبات (ܒܢܬ ܩܝܡܐ) يُرذَلن (٣) » . وافراهاط الحكيم الفارسي له مقالة خصوصيّة في الرهبان كتبها سنة ٣٣٧ . ويطلق عليهم اسم (ܝܚ̈ܝܕܝܐ) المنفردين او (ܒܬܘ̈ܠܐ) البتولين او (ܒܢܝ ܩܝܡܐ) بني العهد . ويُسمّي الراهبات ܒܬܘ̈ܠܬܐ بتولات او ܒܢܬ ܩܝܡܐ بنات العهد . وكان هو ايضاً قد اعتنق العيشة النسكيّة وصار رئيساً على دير وكتب مقالاته الى رئيس دير آخر لم

---

(١) تحويانا افراهاط طبعة ريت ١٨٦٩ ص ٣٩٤

(٢) بر كوني ܒ : ٣٠٤ . وبيجان ܒ ١٥٢ و ٥١٢

(٣) سيرة كوريا وشامونا طبعة السيد رحماني رومية ١٨٩٩

يذكر اسمه. وقد ذكرت لنا سيرة الشهداء التي طبعها بيجان باللغة الكلدانية أسماء بعض الرهبان والراهبات الذين نالوا اكليل الاستشهاد في هذا الجيل الرابع. فمن الرهبان كوريا وشاموتا وقد سبق الكلام عنهما وحبيب وبرشبيا رئيس الدير واوهنام وبابا وأولاش وعبد يشوع وبقيدا وشموئيل وعبديشوع وبدما رئيس الدير. واستشهد ايضاً غيرهم كثيرون لم تذكر التواريخ اسماءهم. ومن الراهبات فبرونيا ومرتا وتربو وتقلا ودانات وطاطون وماما ومزكيا واتّا وأبيت وحاتاي وورده ومريم وتقلا ومريم ومرتا ومريم وإمّا ومريم وطيطا واماً وادراني وماما ومريم ومَوَاح. وتكلّل ايضا غيرهن كثيرات

٢ مار عبدا وتلاميذه

من الرهبان الاجلّاء الذين اشتهروا في نهاية الجيل الرابع مار عبدا وتلاميذه (١). كان مار عبدا من دير قوني. ولما ولدته امه طرحته على باب الكنيسة. فاخذه بعض النصارى وربّاه تربية صالحة. وكان كريم الاخلاق فاحبه الجميع ورُسِم كاهناً وبنى في بلدته ديرًا ونصب فيه مدرسة وقيل انه عظم امرها حتى صار فيها ستون معلماً. ونصر مار عبدا في كلدو وثنيّين كثيرين واظهر الله على يده معجزات باهرة. وادخل ايضاً كثيرًا من المرقيونيّين في حظيرة المسيح. وقبض عليه المجوس في المدائن والقوه في السجن حيث بقي مدّة

وفي الزمان الذي اثار فيه شابور اضطهادًا على النصارى ظهر صليب من الارض نظير شجرة بالقرب من قرية معروفة بالتلّ على نهر صرصر في كلدو. وكان هذا الصليب يصنع المعجزات. فاخذت الغيرة صليبا بن عوزيا رئيس تلك الناحية وابتاع الارض التي ظهر فيها الصليب وبنى فيها هيكلًا. فاجتمع فيه الرهبان وسُمّي دير صليبا. وقصد مار عبدا ذلك الدير وتلمذ جمًّا وافرًا من سكّان تلك الناحية

---

(١) التاريخ السعردي ٤ : ١٩٥. وماري ٢٨. وعمرو ٢١. واشهر شهداء المشرق ٤ : ٢٧٦ — ٢٧٧. من المستغرب ان ايشوعدناح مطران البصرة في كتاب العفة لم يذكر مار عبدا هذا ولا تلاميذه. غير ان التاريخ السعردي (٤ : ٣١٣) يقول انهُ كان لهُ قصة. وقصتهُ قد كتبها تلميذه أحا الجاثليق

هذا ما رواه ماري ومؤلّف التاريخ السعردي عن ظهور الصليب في بيت أرمايي .
وقد اتى ايضاً ذكر ذلك في كتاب ايليا النصيبيني حيث قال : « في سنة ٦٦٣ يونانيّة (٣٥٢) ظهر الصليب بالمشرق في السماء في اليوم الخامس من ايار »

ومن تلاميذ مار عبدا احا ويهبالاها الجاثليقان ومار عبد يشوع . اما احا ويهبالاها فسيأتي ذكرهما في اخبار الجيل الخامس . واماّ مار عبد يشوع فكان من ميشان من قرية يقال لها ارفلونا (١) . وتتلمذ لمار عبدا وقرأ العلوم في مدرسته . وفاق جميع رفاقه . وكان يميت جسده بالاصوام الشاقة والاسهار الطويلة . ثم مضى الى ارضه وبنى فيها ديراً . وانتقل من هناك الى ارض باكسايا وشيّد هناك ايضاً ديراً وقصده الرهبان من كل جهة . وكان بهرام الرابع (٣٨٨ — ٣٩٩) عند مروره بذلك الموضع يزوره ويكرمه لما كان فيه من سموّ الفضيلة . فشاع خبره واتصل بتومرصا الجاثليق . فجعله اسقفاً على ريما وهي دير مخراق . وكان اهل البلد اشراراً . فاذي بهم . فخلّف غفارته وعصاه وخرج ليلاً وذهب الى جزيرة في اليمامة والبحرين حيث ردّ الاهالي الى معرفة الحق المبين وبنى هناك ديراً . ثم قصد الحيرة وشاد فيها ديراً آخر . فلماّ قصده الناس خرج من هناك وانطلق الى الدير الذي بناه قبلاً في ارض ميشان ليزور تلاميذه . وتوفي هناك وصار قبره ينبوع الخيرات والمعجزات

٣ً يوليانا سابا

من الرهبان الذين اشتهروا في ما بين النهرين في اواخر الجيل الرابع مار يوليانا سابا وابراهام قيدونايا وابراهاط السائح

ان يوليانا الملقّب بسابا اي الشيخ سكن في اول امره بلاد الفرثيّين اي في صحراء اثور (٢) . وكان تلاميذه في اول الامر عشرة ثم صاروا عشرين وثلاثين واربعين ومائة . ومن اشهر تلاميذه يعقوب وأسطريس . وانطلق اسطريس الى

---

(١) التاريخ السعردي 2 : ١٩٨ — ٢٠٠ . وماري ٢٨ — ٢٩ . وعمرو ٢١ . واشهر شهداء المشرق ب : ٢٧٧ — ٢٧٨

(٢) بيجان 5 : ٣٨٠ — ٤٠٤ . واشهر شهداء المشرق ب : ٣٣ — ٤١ والتاريخ السعردي 2 : ١٨٧ — ١٨٨ . وتاريخ الرهبان لثودريطوس ب

قرية بقرب انطاكية اسمها كنداريس وفيها نصب ديرًا وتتلمذ له كثيرون . ومن جملة تلاميذه اقاق الذي فيا بعد نُصب اسقفاً على حلب. ثم ان سابا انطلق الى جبل سينا وبنى هناك كنيسة. وقيل عنه انه تنبأ على موت يوليانوس المرتدّ. وعمل معجزات باهرة. وذهب الى انطاكية واخزى الأريوسيّين. وكانت وفاته سنة ٣٦٧ (١). وذكره عند الكلدان في ١٥ شباط. وعند السريان في ٥ كانون الاول وعند اللاتين في ١٤ كانون الثاني

٤ً ابراهام قيدونايا

ان ابراهام اصله من اورهاي وسُمّي قيدونايا نسبة الى قرية قيدون لانهُ تلمذ اهلها. وكان من ارفع طبقات العائلات الشريفة. وعقد لهُ والداه على ابنة شريفة. ولكن لم يمضِ على عرسهِ سبعة ايام حتى ترك الخدر وتبوّأ بيتاً بعيداً عن المدينة نحو ميلين. وانقطع فيهِ للصلوة وكان ذلك سنة ٣٥٦ (٢). وبعد موت والديه وزّع جميع امواله على الفقراء. ثم ارتسم كاهناً وانطلق الى قيدون وشيَّد فيها كنيسة واهدى اهلها الى الديانة المسيحيَّة ثم عاد الى مسكنهِ الأول. وتتلمذت لهُ مريم ابنة اخيهِ فاسكنها في حجرة خارجيَّة. ولم تلبث ان صادها الشيطان فخرجت من مسكنها وانطلقت الى مدينة اخرى منقادة الى شهواتها. ولما اطَّلع ابراهام على امرها انطلق اليها ولم يزل يرشدها ملحّاً عليها حتى تابت ورجعت معهُ وقضت حياتها في التقشّف. وكانت وفاة مار ابراهام في ١٤ كانون الاول سنة ٣٦٦ ووفاة مريم سنة ٣٧٦. وذكره عند الكلدان والسريان في ١٤ كانون الاول

٥ً ابراهاط السائح

ولد ابراهاط في بلاد فارس في مبادئ الجيل الرابع (٣). وكان ابواه

---

(١) التاريخ الأورهاوي في السمعاني ج ١ : ٣٩٧. والنصوص السريانية طبعة لاند ج ٢ : ١٤

(٢) التاريخ الأورهاوي في السمعاني ج ١ : ٣٩٦

(٣) اشهر شهداء المشرق ف ٢ : ٧٣ — ٧٧ . وثئودريطوس تاريخ الرهبان ف ٥ وميخائيل ص ١٥٤

مجوسيّين. وتنصَّر هو وذهب الى اورهاي. وانفرد في مكان قريب من المدينة ليهتم في خلاص نفسه. ثم انطلق الى سوريا واقام في اراضي انطاكية. وكانت وقتئذٍ بدعة اريوس قد قويت في انطاكية وامتدَّت بمساعدة الملك ڤالنس. فخرج مار ابراهاط من خلوته ودخل المدينة واخذ يشدّد المؤمنين في الايمان. وذات يوم رآه الملك ڤالنس ماشياً بسرعة. فسألهُ عن السبب. فقال لهُ القديس: «ماذا يجب على ابنة ابصرت النار تلتهب في بيت ابيها. أأن تبقى مستترة في خدرها حياءً وتترك النار تحرق بيت ابيها ام ان تخرج خارجاً وتدعو الناس ليطفئوا النار وتسعى هي معهم بكلّ قوتها. فهذا ما افعله انا الآن. لاني لما رأيت من قلايتي نار الاضطهاد قلتُ في نفسي لقد احترقت كنيسة الله فبادرت الى اطفائها (١)». وتوفي ابراهاط في نهاية الجيل الرابع. وتعيّده الكنائس الشرقيَّة في ٢٩ كانون الثاني والكنيسة الغربية في ٧ نيسان

٦ً مار اوجين وتلاميذه (٢)

ان جميع المؤرخين الشرقيّين المتأخرين قد اجمعوا على ان الرهبنة انما على يد اوجين قد جُلبت من مصر الى بلادنا هذه. كان هذا القديس من جزيرة قليزما ودأبهُ الغوص في البحر لاخراج اللؤلؤ. ومكث على ذلك ٢٥ سنة. وبنى ديراً في بلدته. ثم ترهَّب في دير باخوميس. وصنع الله على يده معجزات باهرة. ثم قدم الى المشرق ومعهُ سبعون تلميذاً وسكن في جبل نصيبين المعروف بايزلا. وبمشورته انتخب اهل نصيبين مار يعقوب اسقفاً لهم سنة ٣٠٩. ولما وقعت نصيبين بيد الفرس سنة ٣٦٣ رحب بهِ شابور الملك واذن لهُ ولتلاميذه بالتجول في كل مملكته. فتفرَّق تلاميذه الى النواحي وعمَّروا عدّة اديرة. وتوفي اوجين في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣

---

(١) ان هذه النبذة في بعض الكتب منسوبة الى ديودوروس اسقف طرسوس (راجع التاريخ السعردي ٢/١ : ١٦٤ — ١٦٥)

(٢) راجع كتب بيجان. واشهر شهداء المشرق المطبوع بالموصل. والتاريخ السعردي. وماري. وكتاب العفة. وابن العبري

ومن اشهر تلاميذه الذين أسسوا الاديرة : شليطا وميخائيل ويونان واحا ويوحنان ودانيال الطبيب ويوحنان كولايا وميخا نوهدرايا وبنيامين نوهدرايا واشعيا الحلبي وملكي قلوزمايا ومتى ويارث وشيري وفنحاس الشهيد ويوحنان كشكرايا وغيرهم

كان شليطا من مصر وفنَّد الأريوسيّين . ثم اتى الى المشرق وتتلمذ لاوجين . وانقطع الى جبل يقال له شبا بقرب فنك ورجّع كثيرين من الوثنيّين

وميخائيل اصلهُ من نواحي آمد من قرية سوسنة . وانضم الى تلاميذ اوجين وعمّد خلقاً كثيراً في جبال قردو . ثم انطلق الى حِصنا عبرايا وبنى بالقرب منها على ساحل الدجلة ديراً عظيماً هو باقٍ الى يومنا هذا وهو في غربي الموصل على مسافة ساعة منها

وكان يونان من جزيرة قبرص واسمهُ يُوَانيس . وتخرّج في علم الطبّ . وذهب الى مصر وتتلمذ لاوجين واتى معهُ الى المشرق . ثم انطلق الى بريّة بيروز شابور وشيّد هناك ديراً . وزار دير مار توما الرسول في الهند . ثم رجع الى ديره وفيهِ توفي

واحا اقام في بيت زبداي وبنى فيها ديراً كبيراً عُرف بعمر زرنوقا . لان الرهبان كانوا يستقون الماء بالزرنوق فيتأذّون . ومن بعد وفاة مار احا اتى الى الدير ايشوعسبران وبصلواته نبع للرهبان عين ماء من تحت حائط الهيكل

ومار يوحنان ذهب هو ايضاً الى بيت زبداي وبنى ديراً كان قديماً بيتاً للأصنام . ونصّر القرى المجاورة

ودانيال اصلهُ من بلاد مصر وسكن مدّةً مع مار ميخائيل . ثم رحل الى بيت نوهدرا . ونصّر حش ملك تلحش . وبنى لهُ هذا الملك ديراً على نهر معلثايا بازآء قرية بيت قيطي

ويوحنان كولايا اصلهُ من بيت كرماي من العائلة الملوكية . وسكن في مغارة بقرب كول في جبل جودي . واتى بعد وفاتهِ ربان أوكاما من تلاميذ ابراهام الكبير وبنى في الموضع ديراً

وميخا نوهدرايا اصلهُ من بيت نوهدرا وزار اورشليم وشيّد ديراً في القوش

واشعيا الحلبي كان ابن سوماخوس حاكم حلب . واكرههُ والداهُ على الزيجة .

لكنهُ ترك خطيئتهُ ولحق باوجين وبنى ديرًا في إيزلا

وملكي قلوزمايا كان ابن اخت اوجين. وشيّد ديرًا بقرب دير معلمهِ اوجين ومتى سكن في جبل الباب المعروف الآن بجبل مقلوب. وشيّد هناك ديرًا وهو باقٍ الى يومنا هـذا. وقيل عنهُ انهُ تلمذ بهنام بن سنحاريب الملك واختهُ سارا. وسيأتي ذكرهما

ويارث اصلهُ من مصر وترهّب في دير الانبا باخوميس. ثم اتى الى المشرق وصنع معجزات كثيرة وبنى ديرًا في أعمال بيت زبداي (١). وشيري شيّد ديرًا في جبـل دارا. وفنحاس اصلهُ من اتينا وسكن في جبال قردو وقُتل بامر سيمون حاكم فنك

هذه هي خلاصة سيرة مار اوجين وتلاميذه المشهورين . ومن اراد قراءتها باسهاب فليراجع الكتب التي ذكرناها في الحاشية

٧ً مقالة تاريخية في مار اوجين وتلاميذه

ان العلّامة لابور قد شكّ في صحّة قصّة اوجين وانكر انهُ هو الذي ادخـل السيرة الرهبانية في بلاد الفرس . وممّا اتى بهِ اثباتًا لرأيهِ هو ان المجامع الشرقيّة والقوانين الرهبانية القديمة والمؤرخين القدماء لم يذكروا ابدًا القدّيس اوجين. لا بل ان توما مركايا الذي كتب تواريخهُ بين سنة ٨٣٢ و ٨٥٠ لم يتكلّم عنهُ ايضاً. وان اول مَن ذكره هو ايشوعدناح مطران البصرة في كتاب العفّة الذي الّفهُ نحو سنة ٩٠٠. ويستنتج لابور من هذا كلّهِ ان قصة اوجين لم تُكتب قبل الجيل الحادي عشر. فانّهُ بين تلاميذه مذكور يوسف بوسنايا الذي مات سنة ٩٧٩ ويوحنان بركلدون كاتب قصة يوسف بوسنايا

فنحن نوافق الاب لابور في رايه ونقول انهُ ليس من المحتمل ابدًا ان اوجين جلب الرهبنة من بلاد مصر الى ارض الاثوريين والكلدان. ونزيد على ما اتى بهِ من

---

(١) قصته محفوظة في مكتبة لوندرا راجع قائمة المخطوطات السريانية تأليف ريت العدد ٩٦٠ . واشهر شهداء المشرق ك : ٢٦٥ — ٢٧٥

الادلّة اولاً انّنا الى الاجيال المتاخرة لا نرى احد رهباننا قد تسمّى باسم اوجين. ثانياً ان مار افرام النصيبيني الذي الّف ميامر كثيرة في اساقفة نصيبين وفي الرهبنة لم يـذكره ابدًا في ميامره مع كونه معاصرًا له. ثالثاً ان باباي الكبير الذي عاش في بدء الجيل السابع في كتابهِ المسمّى الاتحاد يلقب ابراهام الكبير ابا الرهبان ويقول عنهُ انهُ هو البكر في بلاد الفرس المباركة. رابعاً قيل عن اوجين انهُ ترهب في دير باخوميس اي من بعد موته دخل اوجين ديره ومن المعلوم ان هذا الانبا مات سنة ٣٤٨. فلا بدّ اذًا من انّ اوجين اتى المشرق من بعد هذا التاريخ. فليس اذًا هو الذي ادخل الرهبنة في بلاد الفرس فانها انتشرت عندنا منذ اوائل الجيل الرابع والامر الاغرب انهُ اتى في قصة اوجين نفسها ان تلاميذه لم يدخلوا ارض اثور الّا في السنة ٣٦٣ التي فيها سُلِمت نصيبين ليد الفرس. فتأمّل

وما عـدا هذا كله ان قصص اوجين وتلاميذه ممتزجة بخرافات وتناقضات واغلاط تاريخية فاحشة. وهي كثيرة لا يسعنا ذكرها. وهاك اشهرها: اولاً اتى عن ماني الملحد انـهُ كان معاصرًا لأوجين. فان كاتب القصة خلط شابور الاول (٢٤١ — ٢٧٢) مع شابور الثاني (٣٠٩ — ٣٧٩). مع انّ ماني مات في نهاية الجيل الثالث (١)

ثانياً ان قصة اوجين تذكر عنه انهُ مات في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣. فهذا يضادد ما اتى في القصة نفسها عن انّ شابور لمـا وقعت نصيبين بيده أكرم هذا القديس وقرّبهُ اليـهِ. فان هذه المدينة سُلِمت لشابور بعد موت يوليانوس الجاحد اي بعـد وفاة اوجين بثلاثة او اربعة اشهر. اذ ان يوليانوس قُتل في ٢٦ تموز سنة ٣٦٣ (٢)

ثالثاً من الغلط الواضح الجدول الناطق باسماء تلاميذ اوجين (٣). فانّ كبرونا ويوحنـان نحلايا ويوحنان ديلومايا وباباي الكاتب وسركيس دودا واوكاما

---

(١) عن ماني وزمانه راجع ما قلناه ص ٢٢ — ٢٤

(٢) ايليا ١٠٣. راجع ايضاً التاريخ الاورهاوي في السمعاني ١ : ٣٩٢

(٣) اطلب هذا الجدول في قصة اوجين. بيجان ٣ : ٤٧٣ — ٤٧٤

واسطفانوس وغيرهم عاشوا في الجيل السادس والسابع (١)٠ويوسف بوسنايا (٢) ويوحنان بركلدون عاشا في الجيل العاشر

رابعاً ان بعض المعجزات المنسوبة الى مار اوجين نُسبت هي نفسها الى كثير من تلاميذه٠ من ذلك بعث الميّت الذي افترسهُ الاسد والمشي على الدجلة مشية رجل على اليابسة (٣)

خامساً فيما انّ المؤرخين القدماء يقولون عن بعض مؤسسي الاديرة انهم من تلاميذ مار ابراهام الكبير قال عنهم المؤرخون المتأخرون انهم من تلاميذ مار اوجين ٠قال توما مركايا (٤) عن حزقيال انّهُ عاش في الجيل السابع ٠ امّا كتاب العفّة وقصّة حزقيال (٥)فيجعلانه من تلاميذ اوجين٠ كذلك يذكر كتاب العفّة عن يعقوب الحبيس انهُ من تلاميذ ابراهام الكبير وقصّة يعقوب (٦) تقول عنهُ انهُ من تلاميذ اوجين

سادساً ان اغلب قصص تلاميذ اوجين مكتوبة بعد الجيل الثالث عشر٠ وهنا لا نذكر سوى قصّة ميخا نوهدرايا ٠ فان كاتبها الّفها بامر شمعون الجاثليق البطريرك (٧) ٠ ومن المعلوم ان البطاركة المعروفين باسم شمعون انما في الجيل الرابع عشر بدأوا ان يجلسوا في القوش

سابعاً من الامر الغريب ان النساطرة واليعاقبة تنافسوا في جعل قدّيسيهم من تلاميذ اوجين وفي نسبة اديرتهم اليهم ٠فاخصّ تلاميذ اوجين عند اليعاقبة هم متى وملكي قلوزمايا وبنيامين نوهدرايا ويوحنان كشكرايا وأولوغ واشعيا الحلبي ويارث٠ امّا تلاميذه عند النساطرة فاشهرهم ميخائيل وأحا ويوحنان ويونان وشليطا ويوحنان كمولايا ودانيال الطبيب وميخا نوهدرايا٠والامر الاغرب فيما ان النساطرة قالوا عن يوحنان كشكرايا انهُ ترهب في كشكر ثمّ انتقل الى بيث كرماي وشيّد ديراً في جبل أوروخ (٨) جعلهُ اليعاقبة من تلاميذ اوجين ونسبوا اليه ديراً في طور

---

(١) راجع كتاب العفة . والتاريخ السعردي (٢) اطلب سيرته في ترجمة شابو باريس ١٩٠٠ (٣) بيجان ܓ : ٤٣٧ و ٤٤٨ ٠ و ܕ : ٤٤٦ — ٤٥٠ و ٤٥١ و ٥١٢ (٤) طبعة بيجان ٤٩ (٥) قصة حزقيال محفوظة في كنيسة كركوك وقد طبعنا ترجمتها في كتاب اشهر شهداء المشرق (٦) قصة هذا القديس محفوظة في كنيسة الجزيرة (٧) بيجان ܓ : ٥١٠ — ٥١٣ (٨) كتاب العفة [illegible]

عابدين (١) واغرب من ذلك ان قصة ميخا نوهدرايا عند النساطرة (٢) وقصّة بنيامين نوهدرايا (٣) عند اليعاقبة هي واحدة في كلّ تفاصيلها مع هذا الفرق ان ميخا شيّد ديرًا في القوش وبنيامين بنى ديره بين دارا وكفرتوثا

فترى من هذا كلّه ان ما قاله المؤرخون المتأخرون عن اوجين وتلاميذه لا يُعتمد عليه ابدًا . وقال الاب لابور انهُ من المحتمل ان يكون اوجين يعقوبيًا وانهُ أسّس ديرًا عُرِف باسمه وذلك قبل الجيل الثامن . وان قصة هذا الدير كانت يعقوبيّة والدير نفسه كان لليعاقبة الى ان ضبطه منهم النساطرة في ايام اوزبيهان مطران نصيبين وذلك بين سنة ٧٥٠ وسنة ٨٠٠. ولمّا انتشرت قصة اوجين زيد عليها زيادة تُذكر وجُعِلت ارثدوكسيّة

اقول ان رأي لابور عن اوجين انهُ يعقوبي ليس من المحتمل . لانهُ أوّلًا لو كان الامر كذلك لما سكت اليعاقبة عن امره ولما ادّعوا هم ايضاً مثل النساطرة انهُ هو الذي ادخل الرهبنة في المشرق قبل هرطقة نسطور واوطاخي . ثانياً لا نرى ابدًا ان النساطرة نسبوا اليهم قدّيسين يعقوبيّين بل بالعكس نرى اليعاقبة عزوا الى نحلتهم كثيرين من القديسين النساطرة منهم اسحق اسقف نينوى (٤) وابراهام الكبير وباباي النصيبيني (٥) ويوحنان برپنكايي ويوحنان دالياثا (٦) وابراهام نثبرايا (٧)

امّا قول الاب لابور ان المؤرّخين القدماء لم يذكروا اوجين ابدًا فهذا القول ضعيف . فانهُ على رواية عبديشوع الصوباوي (٨) ان تئادور اسقف مرو النسطوري الذي عاش في اواسط الجيل السادس كتب قصّة اوجين واليونانيّين . ولا بد من ان عبديشوع رأى وقرأ هذه القصة التي لم تصل الينا . فاذا كان تئادور كتب بالحقيقة

(١) ان قصة يوحنان كشكرايا اليعقوبية محفوظة في مكتبتنا السرديـة في كتاب مسوح في طور عابدين

(٢) بيجان ܓ : ٥١٠ وما يلي

(٣) قصته محفوظة في مكتبة لوندرا . راجع ريت : المخطوطات السريانية العدد ٩٦١

(٤) الآداب السريانية تأليف دوقال ٢٣٣ — ٢٣٤

(٥) ان قصة ابراهام وباباي اليعقوبية محفوظة في عدّة كتب يعقوبية

(٦) راجع الدروس السريانية طبعة السيد رحماني ١٩٠٤ ص ٦٥ . ويوحنان برپنكايي طبعة القس منكنا المقدمة

(٧) السمعاني ٤ : ٤٦٣

(٨) فيه ܓ : ٤ : ١٤٧

قصة اوجين واوجين الذي كتب قصته هو الذي نحن بصدده فيكون هذا القديس قد عاش إمّا في نهاية الجيل الرابع او في الجيل الخامس . ولكنه لم يشتهر كما قال عنه المؤرخون المتاخرون وليس هو الذي أدخل السيرة الرهبانية في بلاد الفرس وكلّ التلاميذ المنسوبين اليه عاشوا بعد الجيل الرابع

ان سوزومين المؤرّخ اليوناني في كتاب تاريخه البيعي ذكر من جملة الرهبان الذين عاشوا في المشرق اسم آؤونيس وقال عنه انهُ جارى القديس انطونيوس بنشرهِ السيرة الرهبانية بين السريان . وقال السمعاني (١) ان آؤونيس هذا هو اوجين الذي يُطلِق عليه الكلدان اسم آبون (ܐܒܘܢ) اي ابونا . فنقول ان آؤونيس الذي يذكره سوزومين كان في سوريا وان اسم آبون عند الكلدان لم يُطلق ابدًا على اوجين بل كان كلّ دير يطلقه على مؤسّسه واليه يوجّه الحان آبون المسطّرة في الكتب الطقسيّة

امّا الالحان التي بها نذكر اسم اوجين وتلاميذه فليست من تاليفات القدماء بل هي حديثة أُدخِلت في كتاب الفرض بعد الجيل الثالث عشر . واخصّها التي تقال كلّ يوم اربعاء

الفصل الثالث

في المدارس والعلماء

١ً اصل الآداب الكلدانية المسيحيّة

ان العلّامة رينان يقول (٢) ان آداب اللغة الارامية الكتابية انما من بابل انتقلت الى ما بين النهرين وذلك على عهد برديصان . امّا روبانس دوڤال (٣) فيزعم ان الآداب الارامية المسيحيّة لم يكن منبعها من بابل بل انما نشأت عند نصارى ما بين

---

(١) ܓ : ܐ : ٨٦٢ راجع ايضاً مختصر تواريخ الكنيسة ترجمة الخوري يوسف داود . الموصل ١٨٧٣ ص ١٤٧

(٢) تاريخ اللغات السامية الطبعة الرابعة ص ٢٥٩ و ٢٦٢

(٣) الآداب السريانية ٩ — ١١

النهرين في الجيل الثاني. وانها بانتشار الدين المسيحي انتشرت هي ايضاً في البلاد الارامية الشرقية. والادلّة التي ياتي بها دوڤال لاثبات زعمه واهية وكلها محصورة في انهُ لم يصل الينا شيء مكتوب في هذه اللغة من الوثنيين لا في ما بين النهرين ولا في بابل. لكن هذا العالم يناقض نفسه بقوله (١) عن مارا برسرابيون الذي عاش في الجيل الاول او الثاني للمسيح انهُ كان فيلسوفاً وثنياً وكتب مقالة او رسالة في القدر وهي اقدم اثر اراميّ بلغ الينا. وفات دوڤال ايضاً ان طظيانوس الاثوري انما عند الوثنيين تخرّج في آداب اللغة الكلدانية لا عند المسيحيين. فانهُ في كبره وفي رومية اعتنق الديانة المسيحيّة. وان برديصان ايضاً انما عند الكلدان الوثنيين قرأ العلوم كما يقول هو عن نفسه في كتاب شرائع البلدان (٢) ويسأل تلميذه عويدا هل قرأ هو ايضاً مثله كتب كلدان بابل (٣) ثم ترى ماذا يقول دوڤال عن كتاب احيقار الاثوري الذي بموجب شهادة المستشرقين انفسهم كُتِب في بابل في الجيل السادس قبل المسيح (٤). فكلدانية كتاب احيقار هي ذات كلدانية برديصان ومار افرام وابراهاط وغيرهم من علماء الكلدان النصارى

فلا بدّ اذن من انّ الكلدان الوثنيين كان لهم مدارس شهيرة إن كان قبل المسيح وان كان بعده. وممّا يوجب غاية التأسف هو انهُ لم يصل الينا شيء من تاليفاتهم سوى كتاب احيقار ورسالة مارا برسرابيون. والداعي الى ذلك هو ان تمسك الكلدان المسيحيّين بديانتهم ساقهم الى ان يتلفوا من دون تمييز كلّ اثر وثنيّ اتصل بهم من اجدادهم. كما انّ الكلدان الكاثوليك في الازمنة المتأخرة حملهم حبّهم المفرط للكثلكة ان يجعلوا فريسةً للنار في ملبار وبغداد والموصل كتباً كثيرة نفيسة لكونها تحوي تعليم نسطور او اسمه فقط لا غير

انّ المؤلّفين الكلدانيين او الاراميين الذين اشتهروا في الاجيال الثلاثة الاولى هم طظيانوس وبرديصان وابنه أرمونيوس وماني ومار ارخلاوس او عبد يشوع اسقف كشكر وقد سبق الكلام عنهم. وفي الجيل الرابع تلألأ ميليس اسقف شوشان

---

(١) فيه ص ٢٤٨ (٢) طبعة نو ص ١٢ (٣) فيه ص ١٨

(٤) راجع المجلد الاول من هذا الكتاب ١١٣ - ١١٤

ومار شمعون برصباعي وابراهاط الحكيم الفارسي وغريغوريوس الراهب ومار افرام وتلاميذه . قال برحدبشبا عربايا في مقالته في مدرسة نصيبين ان يعقوب النصيبيني فتح مدرسة في نصيبين سنة ٣٢٥ وجعل فيها مار افرام معلّماً (١) . فهذه المدرسة لا بد من انها كانت موجودة في نصيبين قبل السنة المذكورة والّا فاين تعلّم مار افرام لا بل اين تعلّم مار يعقوب نفسه . ولا بدّ من انّ ابراهاط وشمعون برصباعي وميليس هم ايضاً درسوا امّا في نصيبين وامّا في مدينة اخرى . قال ابراهاط في المحبّة «كذا يقول ايضاً معلّمونا الحكماء»: ܐܦ ܕܝܠܢ ܡܠܦܢܐ ܗܟܢ ܐܡܪܝܢ

٢ً مار يعقوب اسقف نصيبين (٣٠٩ — ٣٣٨)

انّ اشهر مــدن الشرق في الجيل الرابع كانت نصيبين وكانت في حدود المملكتين الرومانية والفارسية ولذلك دُعيت ايضاً ܡܕܝܢܬ ܬܚܘܡܐ مدينة التخوم . وكانت تارة تقع بيد الفرس وتارة بيد الرومانيين . وكانت الديانة المسيحية قد انتشرت فيها انتشاراً عجيباً . فبُنيت فيها الكنائس الفاخرة (٢) وكثرت فيها وفي اطرافها الاديرة (٣) . وفُتحت فيها المدارس (٤) . فسمّيت ܬܪܝܣܐ ܕܟܠ ܡܕܝܢܢ تُرس كلّ المدن المحصّنة و ܪܫܐ ܕܐܬܪܐ ܕܒܝܬ ܢܗܪܝܢ رئيسة ما بين النهرين . و ܪܫܐ ܕܡܥܪܒܐ (٥) رئيسة المغرب . و ܐܡܐ ܕܡܠܦܢܘܬܐ ام العلوم . ܘܡܕܝܢܬ ܣܘܟܠܐ مدينة المعارف . و ܐܡܐ ܕܡܠܦܢܐ ام الملافنة . وسمّاها اليونانيون انطاكية الثانية اذ اطلقوا عليها اسم انطاكية مغدونيا . ومغدونيا هو اسم النهر الذي يمرّ بها

ففي هذه المدينة الشهيرة وُلِد واشتهر اعظم قدّيسي الكلدان واجلّ ملافنتهم كمار يعقوب ومار افرام النصيبيّين . وفيها فُتحت اول مدرسة في شرقنا تكلّمت

---

(١) برحدبشبا عربايا طبعة اديّ شير ٦٣ (٢) ايليا ٩٨

(٣) بيجان ܘ : ٥٧٥ (٤) برحدبشبا ٦٣

(٥) تأليفات مار افرام ورابولا و بالاي طبعة اوفربيك ١٨٦٥ : ١٠ — ١١

التواريخ عنها . وكان تلسيسها على يد مار يعقوب ومار افرام (١)

انتخب يعقوب سيرة الزهاد المتوحدين (٢) . ثم صار اسقفاً على نصيبين سنة ٣٠٩ (٣) . ولم يغيّر سيرته القشفة في اسقفيته وزاد على ذلك الاعتناء بالفقراء . وصنع الله على يده معجزات كثيرة باهرة . فطار صيته في الآفاق حتى انّ اوسابيوس القيصري (٤) سمّاه فخر اساقفة الفرس وجهبذاً في علوم الكتب المقدسة . وشيّد يعقوب كنيسة فاخرة في نصيبين (٥) بدأ بها سنة ٣١٣ وكمّلها سنة ٣٢٠ . ويُشاهد الى يومنا هذا قبره فيها . وقد ضبطها اليعاقبة من الكلدان في منتصف الجيل الماضي وقيل عن يعقوب انه لما حدث الشقاق في المدائن بين بابا واساقفته كتب اليهم رسالة حثّهم فيها على التواضع والاتفاق وسيأتي ذكر ذلك . وقد اجمع المؤرخون الشرقيون على انّ مار يعقوب حضر في المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ مع افرام تلميذه وبعض اساقفة الشرق . وعلى ايامه اي في سنة ٣٣٨ حاصر شابور لاول مرّة مدينة نصيبين . لكنه لم يتمكن من افتتاحها . وتوفي مار يعقوب في تلك السنة عينها (٦) . وقال عنه كناديوس (٧) انّ له تاليفات كثيرة مقسومة الى ١٦ كتاباً . وذكر منها ٢٤ وهي هذه : في الايمان وضد المراطقة وفي المحبة وفي محبة القريب والصوم والصلوة والقيامة والحيوة بعد الممات والتواضع والصبر والتوبة والبراهين والبتولية وحياة النفس والتطهير او الختانة وعنقود العنب والمسيح والطهارة وضدّ الامم وبناء الهيكل ورجوع الامم ومملكة الفرس والاضطهاد وكتب ايضاً افرانيقون . هذا ما قاله كناديوس ولا يخفى انهُ خلط بين مار يعقوب اسقف نصيبين وابراهاط الحكيم الفارسي . ومما سبّب هذا التشويش هو انّ اليعاقبة ربّما اطلقوا اسم يعقوب على ابراهاط (٨) . فانّ هذه المقالات التي ذكرها كناديوس هي مقالات ابراهاط نفسها كما سيأتي

واتى ذكر القديس يعقوب في السنكسار الروماني في ١٥ حزيران وعند الروم

---

(١) برحدشبا ٦٣ (٢) بيجان ج : ٢٦٢ وما يلي واشهر شهداء المشرق ت : ١ — ١٠ (٣) ايليا ٩٨ (٤) ترجمة قسطنطين ܨܒܐ

(٥) ايليا ٩٨ (٦) ايليا ١٠٠ وتاريخ اورهاي في السمعاني ج ١ : ٣٩٥

(٧) كتابه في مشاهير الرجال الفصل الاول (٨) كتاب تحوياتا ٥٠٨

في ٣١ تشرين الاول وعند الموارنة في ١٣ تشرين الثاني . وعند القبط في ١٨ طوب . وعند السريان في ٢١ تشرين الثاني . وعند الارمن في السبت الاول من سبة الخمسين (١) . وعند الكلدان في الجمعة الاولى من القيظ كما جاء في الحوذرا وفي ١٧ نيسان كما اتى في قائمة القديسين السنوية

٣ً مار شمعون برصباعي الجاثليق (٣٢٩ -- ٣٤١) .

كان شمعون برصباعي(٢) من المدائن وقيل من شوشان . وبرصباعي (ܒܪ ܨܒܥܐ) معناها ابن الصباغين . وكان ابوه مقرباً لدى الملك وكان شمعون حسن الصورة كما اتى في ترجمته . ولمّا وقعت المشاجرة بين پاپا واساقفته سنة ٣١٧ تحزّب شمعون ضدّه مع جملة كهنة المدائن . ولمّا توفي پاپا سنة ٣٢٩ جلس شمعون مكانه على كرسي المدائن . ورتّب اشياء كثيرة في بيعة الله . منها انّ الراهبات كنّ يحضرن الصلوة مع الرجال في ليالي الاعياد ويرتلن معهم المداريش فمنعهنّ عن ذلك . وهو الذي امر ان تتلى الصلوة في الكنيسة بين جوقين . وقسم مزامير داود الى مراميث (ܡܪܡܝܬܐ) وهولالات (ܗܘܠܠܐ) ويقول عنه عبد يشوع الصوباوي (٣) انّ له رسائل ولم تصل الينا . وممّا وصل من تاليفاته بعض الالحان منها ܡܫܒܚ ܡܫܝܚܐ المكتوبة في كتاب الفرض المسمّى الحوذرا يوم تذكاره و ܐܦ ܥܠܝܡܘܬܢ الذي يرتل في قداس الاحد الجديد . وقيل انهُ أنشده تشجيعاً لرفاقه الشهداء على احتمال العذاب (٤) كما سترى في قصة استشهاده و ܬܘܕܝܬܐ ܕܦܪܘܩܘܬܐ (٥) قاله يوم خميس الفصح لمّا قدّس في الحبس (٦)

واليهِ نُسِب كتاب الآباء وهو يتكلّم عن طغمات الملائكة والدرجات البيعية

---

(١) السمعاني ܐ : ١٨ (٢) راجع تواريخ سعرد ܐ : ٨٦ ، ٩٥ . وماري ١٦ — ١٩ وعمرو ١٥ — ١٩ . وابن العبري ܒ : ٣٣ . والسمعاني ܐ : ١ — ١٢

(٣) السمعاني : ܓ : ܐ : ٥١ (٤) ماري ١٨ . والتاريخ السعردي ܐ : ٩٢

(٥) حوذرا (مخطوط) في تذكار مار شمعون برصباعي

(٦) ماري ١٨ . والتاريخ السعردي ܐ : ٩٥

وكراسي مطارنة الكلدان . لكنّ ذلك ليس بصحيح . فانّ هذا الكتاب يذكر كرسي مطرنة الصين والخلفاء العباسيين في بغداد ومن المعلوم انه على عهد مار شمعون لم يكن لنا مطران في الصين ولم يكن ظهر بعد دين الاسلام

٤ً مار ميليس اسقف شوشان (✠ ٣٤١)

كان ميليس (١) من ارض رازيق في بلاد فارس . وتربّى منذ صغره في دار الملك . ثمّ تنصّر وترهّب . وأُسيم اسقفاً على شوشان عن يد كدياب مطران كونديشابور . وحجّ الى اورشليم وزار الرهبان في مصر . وفي رجوعه بقي مدّة في نصيبين عند مار يعقوب اذ كان هذا الاسقف الجليل يشيّد كنيسته الاسقفية . ولما وصل ميليس الى حدياب ارسل اليه كميّة وافرة من الانسجة الحريرية لاجل نفقة تلك الكنيسة (نحو سنة ٣١٧) . وكان مار ميليس من الدّ اعداء پاپا . ويروى عنه معجزات كثيرة . ونال اكليل الشهادة سنة ٣٤١ كما سترى في محلّه

وكان لمار ميليس رسائل وميامر متنوعة كما قال عنه الصوباوي (٢) ويُستنتج من التاريخ السعردي انّه كتب ايضاً كتاب تواريخ . فانهُ في ترجمة بهرام بن وارهاران قال ما نصّهُ : « لانهُ تربّى في كرخ جدان على ما قال ميلاس الرازي » لكن يحتمل ايضا ان هذا الكلام منقول عن رسائله التي ذكرها الصوباوي

٥ً اشعيا برحدابو وثوفيل الأُورهاوي

واشتهر ايضاً في النصف الاول من الجيل الرابع اشعيا برحدابو الارزنيّ بتسطيره جهاد الشهداء يونان وبريخيشوع ورفاقهما الذين استشهدوا سنة ٣٢٧ . وتثوفيل الاورهاوي وكان هذا وثنياً ثمّ تنصّر . وكتب اعمال كوريا وشامونا اللذين استشهدا سنة ٣٠٣ وجهاد حبيب الشماس الذين قُتِل سنة ٣٠٩ . وفي تلك الاثناء ايضاً اشتهرت تومايس الراهبة في دير للبنات في نصيبين . وكتبت اعمال فبرونيا وسياتي الكلام عن جميع هولاء الشهداء .

---

(١) راجع بيجان ٤ : ٢٦٠ — ٢٧٥ وشير ٤ : ٢٦٠ — ٢٦٨ . والسمعاني ٤ : ١٢ — ١٣ (٢) في السمعاني ٣ : ١ : ٥١

٦ً ابراهاط الحكيم الفارسي (٣٤٥)

من اجلّ العلماء الذين ظهروا في النصف الاول من الجيل الرابع هو ابراهاط ويُلقَّب بالحكيم الفارسي ܚܟܝܡܐ ܦܪܣܝܐ . ودعاه الصوباوي (١) ܟܠܗ ܛܘܒܐ اي الكلّي الطوبى . واتى اسمه في تاريخ ميخائيل البطريرك وابن العبري بوزيطيس ܦܘܙܝܛܝܣ وليس هذا الّا تحريف ابراهاط . ولا يعرَف من امر ابراهاط سوى انهُ كان راهباً واسقفاً معاً . ومن تاليفاته كتاب الايضاحات (ܬܚܘܝܬܐ) وهو مقسوم الى قسمين . القسم الاول ألّفه سنة ٣٣٧ ويشتمل على عشر مقالات في الايمان والمحبة والصوم والصلوة والحروب والرهبان والتائبين والقيامة والتواضع والرعاة . والقسم الثاني كُتِب سنة ٣٤٤ و ٣٤٥ وهو يحوي ثلاث عشرة مقالة في التطهير والفصح والسبت والتقنيع وتمييز الاكل والأمم والمسيح والبتولية وضد اليهود وفي الصدقة والاضطهاد والموت . وجميع هذه المقالات هي على ترتيب الحروف الابجديّة . وتليها مقالة عنوانها ܥܠ ܣܓܠܬܐ اي العنقود وهذا الكتاب نفيس الى الغاية وهو اول كتاب دينيّ وصل الينا من اجدادنا الكلدان النصارى . وكان مؤلفه يعرف اتم المعرفة الكتب المقدسة وما اتى عنها في التقليد اليهودي والمسيحيّ (٢) . وقد طبع العلامة ريت الانكليزي هذا الكتاب سنة ١٨٦٩ وكرافين الفرنسوي سنة ١٨٩٤ وتُرجم من قديم الزمان الى الارمنيّة باسم يعقوب النصيبيني . وفي هذه السنين الاخيرة نُقِل ايضاً الى اللاتينيّة والانكليزيّة والالمانيّة

٧ً غريغوريوس الراهب

كان غريغوريوس (٣) من الاهواز من مدينة شوشتر فترك التجارة وترهّب وانطلق الى نصيبين فاورهاي ودرس العلوم على موسى الملفان . ثمّ اتى الى جبل ايزلا حيث انفرد في مغارة . وبعد حين رجع الى بلدته واتى باخته ووضعها في دير بقرب نصيبين .

---

(١) السمعاني ܓ : ܐ : ٨٥ (٢) الآداب السريانية ٢٢٧

(٣) تاريخ سعرد ܒ : ١٦١ — ١٦٣ . والعنة ܡܠ . والسمعاني ܐ : ١٧٠ — ١٧٤ والآداب السريانية ٢٣١

ومن هناك انطلق الى جزيرة قبرص وصار بستانياً في دير هناك قبل السنة ٣٦٦ التي فيها صار ابيفانيوس اسقفا في قبرص . كما يتضح من كتابه . وظهر فضله للرهبان فجعلوه رئيساً عليهم . ثمّ تركهم ورجع الى جبل ايزلا حيث قضى نحبهُ . والّف غريغوريوس كتابا في السيرة الرهبانيّة وهو محفوظ في مكتبة الواتيكان وفي القلاية البطريركيّة في الموصل (١) . وقال عنه التاريخ السعردي انّه كتاب كبير مقسوم الى ثلاثة اجزاء . الاول مواعظ والثاني الرؤيا التي رآها والثالث رسائل (٢)

٨ً مار افرام النصيبينيّ (+ ٣٧٣)

انّ الذي زيّن الكنيسة الكلدانية اكثرما يكون في الجيل الرابع بعلمه وفضائله هو مار افرام النصيبيني . كانت ولادته في نصيبين في منتهى الجيل الثالث وتتلمذ لمار يعقوب الاسقف الذي هذّبه بالفضيلة والعلم وقيل انهُ اخذه معهُ الى المجمع النيقاوي . ثمّ جعله معلّماً في المدرسة التي فتحها نحو سنة ٣٢٥ او كانت موجودة قبل ذلك التاريخ ولما توفي مار يعقوب خدم افرام بين أيدي خلفائه اعني بهم بابو (٣٣٨ — ٣٤٣) واولغاش (٣٤٣ — ٣٦١) وابراهام . وانشد مناقبهم الجليلة في عدّة ميامر ألفها وهو في نصيبين (٣) . ويصف يعقوب بالغيرة والحزم . وبابو بالتواضع ومحبة الفقراء وأولغاش بالعلم والآداب وابراهام بالوداعة ومحبة الفقر . ومما قالهُ عن اولغاش يظهر انّ المدرسة نجحت بايامه نجاحاً عظيماً . وبقي افرام يعلّم في مدرسة نصيبين اكثر من ٨٠ سنة وهو منكبّ على الدرس والتأليف الى السنة ٣٦٣ التي فيها سُلّمت نصيبين لشابور ملك الفرس . وكان ذلك في شهر آب او في ايلول . لان يوليانوس مات في ٢٦ تموز (٤) . والّف مار افرام في تلك الاثناء جملة قصائد فيها يذمّ يوليانوس الجاحد ملك الروم ويثني على شابور(٥) ملك الفرس كما سيأتيك في محلّه

---

(١) قائمة المخطوطات السريانية في القلاية البطريركية بالموصل لادي شير العدد ٩٦

(٢) ان عبد يشوع الصوباوي (في السمعاني ܐ : 3 : ١٩١) يقول عنهُ انهُ الّف كتاباً ورسائل (٣) راجع ميامر مار افرام النصيبينية طبعة بيكل والمروج النزهيّة في آداب اللغة الآرامية للقس يعقوب منّا ١٩٠١ 3 : ٨٧ — ٩٢ (٤) ايليا ١٠٣

(٥) راجع تأليفات مار افرام وربولا وبالاي طبعة اوفربيك اكسفورد ١٨٦٥

واعلم ان مار افرام لم يخرج حالًا من نصيبين الى آمد او الى اورهاي كما يُذكر في قصته بل بقي في وطنهِ العزيز ستين كثيرة ولعله في سنة ٣٦٩ ذهب الى اورهاي وعلّم فيها . فانهُ اتى في النصوص السريانية التي طبعها لاند انهُ في تلك السنة عينها عُرف مار افرام واشتهر (١) . ورافق ايضاً مار افرام الى اورهاي جميع معلمي مدرسة نصيبين وبعض اشرافها . وفتحوا فيها مدرسة لبني جلتهم عوض مدرسة نصيبين . وانما لاجل ذلك عُرفت تلك المدرسة بمدرسة الفرس اي مدرسة الكلدان الذين تحت حكم ملوك فارس

وكانت اورهاي حينئذٍ زاهرة عامرة مزدانة بالكنائس والاديرة . وكان قونا اسقفها قد وضع سنة ٣١٣ اساس كنيسة فاخرة وتمّمها خلفه شاعاد (٣١٣— ٣٢٤) وبنى ديث ألاها (٣٢٤ — ٣٤٦) في اول سنة من اسقفيتهِ مقبرة عظيمة . وابراهام (٣٤٦— ٣٦١) شيَّد كنيسة المعترفين . وجلس من بعده على الكرسي برسا من سنة ٣٦١ الى ٣٧٨ وهو الذي شيَّد بيت العماذ(٢) . ففي زمان هذا الاسقف وصل مار افرام ورفاقه إلى اورهاي . ولما رآها من بعيد وابصر الاديرة العامرة التي حولها تهلّل قلبه فرحاً . وصار لهُ تلاميذ كثيرون . ودبّر مدرسته هذه الجديدة بكل غيرة ونشاط بضع سنوات . وكانت وفاته في ٩ حزيران سنة ٣٧٣ وذكره عند الكلدان في جمعة اسبوع الباعوث . وعند اللاتين في ٩ حزيران . وعند اليونان والسريان والارمن في ٢٨ كانون الثاني

ان الكلدان دعوا مار افرام النصيبيني نبيًّا وملفان الملافنة وافرام الكبير ودعاه اليعاقبة شمس السريان وكنارة الروح . وقد تُرجمت تأليفاتهُ من قديم الزمان الى اليونانية والارمنية والقبطية والحبشية واللاتينية والعربية . ودخلت اناشيده في طقس النساطرة والموارنة واليعاقبة . واتى في التاريخ السعرديّ ان لهُ قداساً يقدس بهِ الملكيون . وكان يقدّس بهِ النساطرة ايضاً في نصيبين الى ايام مار ايشوعياب الحديابيّ الجاثليق الذي رتّب الصلوات واقتصر على النوافير الثلاث المستعملة عندنا

---

(١) لاند 2 : ١٨

(٢) التاريخ الاورهاوي في السمعاني 2 : ٣٩٣ — ٣٩٧

اليوم والغى ما سواها

كان مار افرام غزير المواد وبليغ الكتابة وفي قصائده تلوح العذوبة والجودة والقداسة . وقد مدحه حنانيشوع بن سروشويه اسقف الحيرة قائلًا (١)« من يتهيأ له يا بحر العلوم ان يصف غزارة خزائنك . من يحسن يا معدن الكنوز ان يسدر(٢) محاسن قولك . من لا تهمّه نفسه ويكرم حظّه من الصمت اذا ذكر في المحافل اسمك . . . كلّ معلم يصمت ومار افريم ينطق . كل خاطب يتحير ويتحصر ومار افريم يطرب ويهدر . . » اه

٩ً انتقاد تاريخيّ

انّ قصة مار افرام مطبوعة في صدر تاليفاته التي طبعها السمعاني في رومية سنة ١٧٤٣ وطبعها السيد لامي في مجموعة تآليف مار افرام الغير المنثورة . والاب بيجان في المجلد الثالث من اعمال القديسين والشهداء . وبكل اسف اقول انّ هذه القصة لا يُعتمد عليها فانّ فيها اغلاطاً كثيرة . ولا بد من انها كُتبت بعد وفاة مار افرام بجيلين او ثلاثة

١ً مكتوب في القصة انّ افرام كان وثنيًا وان اباه كان كاهناً لصنم يقال له ابيزل . فنقول انّ افرام لو كان وثنياً ثمّ تنصّر لأشار الى ذلك في تاليفاته الكثيرة . وما عدا هذا فانّ البعض من الكتبة القدماء ذهبوا انه وُلد مسيحيًا (٣)

٢ً لا صحة لما قيل عن سفره الى مصر ومكثه فيها ثماني سنين وذهابه الى قيصريّة لزيارة مار باسيليوس . لانّ انتقاله من نصيبين الى اورهاي كان بعد سنة ٣٦٣ ووفاته سنة ٣٧٣ . فان كان سفره الى مصر صحيحا يكون قد بقي في اورهاي سنة واحدة فقط وهذا ليس من المحتمل (٤)

٣ً لا صحّة لما قيل في القصّة نفسها انّ الهونيّين على ايام مار افرام حملوا

---

(١) التاريخ السعردي ١ : ١٨٥ (٢) من ܣܕܪ ومعناها صفّ

(٣) تاريخ المؤلفين الكنائسيين ٥ : ١

(٤) راجع الآداب السريانية لدوفال ٣٣٤ — ٣٣٥

على اورهاي ونهبوا وقتلوا · لان خروج الهونيّين على ما بين النهرين كان سنة ٣٩٦ (١) اي ٢٣ سنة بعد وفاة افرام

٤ً لا يُصدَّق ما جاء فيها انهُ في ايام هذا الملفان اتى ڤالنس الملك الى اورهاي ونفى اسقفها برسا وان افرام كتب ميمرًا في هذا الاضطهاد لان نفي برسا كان في ايلول سنة ٣٧٣ (٢) اي ثلاثة اشهر من بعد وفاة القديس

٥ً لا صحّة لحكاية المرأة الخاطئة التي قيل عنها انها كتبت جميع خطاياهـا على قرطاس وقدمتهُ لمار باسيليوس وبصلاتهِ انمحت جميع الخطايا من القرطاس عدا خطية واحدة جسيمة · فارسلها الاسقف الى افرام · وهذا الملفان رجّعها الى باسيليوس واشار عليها ان تسرع اليهِ قبل ان يموت · فرجعت المرأة الى قيصريـة واذا باسقفها قد مات وكُفِّن · فكيف تصحّ هذه الحكاية اذا كان افرام قـد توفي قبل باسيليوس (٣) بست سنين · ثم ان هذه الحكاية نفسها مكتوبة ايضاً في قصة مار يوحنا الرحوم رئيس اساقفة اسكندرية (٤)

٦ً ان كاتب القصّة يناقض نفسه اذ يقول ان مار افرام من بعد خروجه من نصيبين قد اعتمذ وتعلّم المزامير ولهُ حينئذٍ من العمر ٢٨ سنة وفي القصة نفسها يقول عنهُ انهُ حضر في المجمع النيقاوي مع معلّمهِ مار يعقوب · والحال انهُ بين هذا المجمع وخروج افرام من نصيبين اكثر من ٣٨ سنة

٧ً يوجد ايضاً تناقض صريح في قولهِ ان مار افرام وُلد في زمان قسطنطين الكبير الملك المؤمن وانهُ حضر المجمع النيقاوي · فاذا فرضنا ان ولادة هذا الملفان كانت في سنة ٣١٢ التي فيها تنصَّر قسطنطين يكون عمره ١٣ سنة في سنة ٣٢٥ التي فيها عُقِد مجمع نيقية

وخلاصة الكلام ان قصّة مـار افرام التي بيدنا عدا انها ممتلئة غلطات ومضاددات تاريخية فانها لا تصوّر امامنـا هذا الملفان الذائع الصيت منكبًّا على

---

(١) التاريخ الاورهاوي في السمعاني ٢ : ٤٠٠ · ودوڤال الآداب السريانية ٣٣٥

(٢) فيهما ايضاً ٣٩٨ و ٣٣٥ (٣) توفي باسيليوس اسقف قيصريّة سنة ٣٧٩

(٤) بيجان ٥ : ٣٩١ — ٣٩٤

الدرس والتدريس والتأليف بل مختفياً عن الناس ومتزوياً في الجبـال والمغائر . ومما يستحق الذكر والاعتبار ان يعقوب السروجي (٤٥٣ — ٥٢١) الذي هو اوّل مؤلف ارامي كتب عن مار افرام (١) لا يذكر شيئاً عن فضائلهِ الرهبانية وسيرتهِ النسكية بل يثني على ملفنتهِ وتعاليمهِ وتآليفهِ الغزيرة

ان تأليفات مار افرام كثيرة . وقد طُبع جانب كبير منها في روميـة عن يد السمعاني . وهي عبارة عن ستة مجلدات ضخمة ثلاثة منها ارامية وثلاثة يونانية ولاتينية . وميامره المعروفة بالنصيبينية طبعها بيكل سنة ١٨٦٦ واوفربيك سنة ١٨٦٥ . وطبع ايضاً السيد لامي ميامر اخرى كثيرة . والسيّد رحماني طبع ميامره في البتولية . وميامره الطويلة في يوسف بن يعقوب طبعها الاب بيجان . وتفسير الانجيل قد ضاع اصله في الارامية وترجمته الارمنية محفوظة . ووصيته قد طبعها اوفربيك سنة ١٨٦٥ (٢) والاب بيجان سنة ١٩٠١ (٣) . ولقد ذهب قوم ان هذه الوصية وميامر يوسف ليست من قلمه بل من قلم تلاميذه وكذلك قل عن كتاب مغارة الكنوز (ܡܥܪܬ ܓܙܐ) . وقد نُسب اليهِ ميامر كثيرة وعونيثات عديدة هي من تآليف اسحق الكبير ونرساي الملفان (٤)

١٠ً تلاميذ مار افرام

ان مار افرام كان له تلاميذ كثيرون . وهاك اشهرهم : آبا وابراهام وشمعون ومارا وپولونا وأرواد (٥) وزينوب واسحق وأسونا (٦) . امـا آبا فكتب تفسير الانجيل ومقالة في ايوب ومقالة اخرى في الآية التاسعة من المزمور ٤٢ (٧) وجادل

(١) بيجان ܒ : ٦٦٥ — ٦٧٩
(٢) تأليفات مار افرام ورببولا و بالاي ١٣٧ — ١٥٦
(٣) كتاب الرؤساء لتوما مركايا طبعة بيجان ٦٨١ — ٦٩٦
(٤) الآداب السريانية لدوفال ٣٣٦ — ٣٣٧
(٥) وصية مار افرام في كتاب الرؤساء طبعة بيجان ٦٩١ — ٦٩٢
(٦) بيجان ܒ : ٦٣٨ . والتاريخ السعردي ܐ : ٨٤ . وسوزومين ܒ : ܡܗ
(٧) الآداب السريانية ٧٦

مكسيموس الاريوسي (١) ٠وشمعون قيل عنه انه هو الذي كتب قصة معلمه مار افرام (٢) ٠ وپولونا الّف مداريش وكتب ضدّ الهراطقة وضدّ مرقيون ومقالة في الايمان (٣) وفي وصية مار افرام يُذَم ذمًّا شديدًا لانهُ نبـذ الديانة المستقيمة٠ وزينوب ذكرهُ الصوباوي بين المؤلفين اليونانيين وكتب ضدّ مرقيون وپمپوليوس (٤) وقال عنهُ السمعاني انهُ من جزيرة قردو وذلك استنادًا الى تسمية مـار افرام اياه ܓܙܪܝܐ٠ لكنّ هذه الكلمة في الارامية معناها الجنديّ وجابي الجزية٠ فضلًا عن ان هذه الجزيرة المذكورة لم تكن موجودة حينئذٍ لانّ المسلمين بنوها٠ وأسونا قال عنه اخسنايا تحلايا في رسالتهِ الى بطرس الراهب انه كان راهباً في اورهاي والّف مداريش كثيرة وانطون ريطو قال عنه انه كان قبـل مار افرام اما التاريخ السعردي فيعدّهُ بين تلاميذ هذا الملفان٠ واسحق (٥) اصلهُ من آمد وتتلمذ لمار افرام وهو غير اسحق الكبير٠ ولعلّ بالاي ايضاً من تلاميذ افرام او هو تحريف پولونا ولهُ قصائد كثيرة في التوبة ومريم البتول والشهداء٠

واتى في التاريخ الأورهاوي (٦) ان عبسميا ابن اخت مار افرام الّف سنة ٤٠٤ مداريش وميـامر في غارة الهونيين على بلاد الروم٠ وقال عنهُ ديونوسيوس بطريرك اليعاقبة انه عُرف سنة ٣٩٧٠ واما عبد يشوع الصوباوي (٧) فيسميهِ عبشلاما لكنهُ توهم بقوله انهُ كان اسقف اورهاي

ان العلامة بيكل النمساوي ذكر كيرلونا في كتاب لهُ طبعهُ سنة ١٨٧٣ واورد لهُ فيـه جملة قصائد في الصليب والفصح والحنطة ولهُ ايضاً قصيدة في بلية الجراد وهجوم الهونيين الّفها سنة ٣٩٧٠ وقـد ظنّ بيكل ان كيرلونا هو عبسميا نفسه المذكور الساعة (٨) اما نحن فقد ذهبنا في كتاب مدرسة نصيبين الذي طبعناه في بيروت انهُ قيورا الذي قال عنهُ برحدبشبّا عربايا انهُ قام بعد مـار افرام في رئاسة

---

(١) التاريخ السعردي 2 : ٢١٠ (٢) فيهِ ١٧٩

(٣) السمعاني ܓ : 2 : ١٧٠ (٤) فيهِ ٤٣

(٥) السمعاني 2 : ١٦٥ — ١٦٨ (٦) فيهِ ٤٠١ (٧) فيهِ ايضاً ١٦٩

(٨) راجع دوقال الآداب السريانية ٣٣٧

المدرسة . ويُحتمل ايضاً ان كيرلونا او قيرلونا تحريف پولونا المذكور او انّ پولونا تصحيف كيرلونا. والله اعلم

الفصل الرابع

في رئاسة كرسي المدائن وپاپا الجاثليق (+ ٣٢٩)

ومجمع ساليق الاول (سنة ٣١٧).

ان الانسان يرغب في الرفعة والمجد . وهـذه الرذيلة موجودة حتى في رعاة الكنيسة . ولم يخلُ منها تلاميذ المسيح انفسهم (١). وهي سبب اغلب الانشقاقات التي صارت وتصير في كنيسة الله. واول انشقاق حدث في الكنيسة الكلدانية بسبب الرئاسة كان على زمان پاپا اسقف المدائن. وحدث منهُ منفعة عظيمة . فان الرئاسة في كنيستنا ترتّبت حينئذٍ او بدأت تترتّب وتنتظم

قلنا ان المؤرخين الشرقيين ان كانوا نساطرة او يعاقبة يذكرون على كرسي المدائن قبل پاپا ستة اساقفة وهم ماري وأبريس وابراهام ويعقوب وأحاذ آبوي وشحلوپا . وبعضهم يذكرون سبعة (٢) اعني انهم يزيدون تومرصا قبل شحلوپا . امّا المستشرقون فينكرون ذلك ويقولون انّ اول اسقف جلس على كرسي المدائن هو پاپا (٣) . وقد ظهر مشيحا زخا وأيّد قولهم فان هذا المؤرخ يعدّ أحادآبوي وشحلوپا من اساقفة اربيل ويذكر ان أحادآبوي هو الذي اسام پاپا اسقفاً على المدائن

وعن هذا اقول: ان مشيحا زخا يروي الامر عن التقليد كما يقول هو (ܐܝܟ ܕܡܫܠܡܐ ܠܢ ܡܢ ܩܕܡܝܐ) وبين پاپا ومشيحا زخا ٢٥٠ سنة . ثانياً أتى في تواريخ ابن العبري ان داود مطران ميشان أسام پاپا . فلا ننكر ان مشيحازخا

---

(١) متى ك : ٢٠ وما يلي

(٢) ايليا الدمشقي في السمعاني ب : ٣٩٢ . وسفر الاحياء والموتى (مخطوط)

(٣) لابور ١٠ وما يلي

اقدم بكثير من ابن العبري . لكن لا بدّ من انّ المؤرخ اليعقوبي اخذ روايته هذه عن المؤرخين ايضاً . ثالثاً يظهر من اعمـال مجمع داديشوع الجاثليق (٤٢٤) ان المدائن جلس فيها اساقفة قبل پاپا . فانهُ ذُكر فيها (١) نقلاً عن رسالة الآباء الغربيين الى اساقفة الشرق وفي رسالتهم الى پاپا (٢) نفسه ان يُتلى اسم پاپا في سفر الاحياء والاموات قبل أسماء الاساقفة الذين سبقوه . ومما يثبت قول المجمع سفر الاحياء نفسه (٣) . فانه يذكر اولّاً اسماء الجثالقة الشهداء اعني بهم شمعون برصباعي وشاهدوست واربعشمين (بربعشمين) وبابي (بابوي) وايشوعياب (كذا) ثم پاپا وابريس وابراهام ويعقوب وأحادآبوي وتومرصا وشحلوپا . رابعاً يظهر ايضاً من كلام مشيحا زخا نفسه انهُ حدث انشقاق في ساليق بخصوص نصب اسقف لها وانما من اجل هذا الانشقاق التزم ثلاثة اساقفة او اكثر ان ينطلقوا الى المدائن . وهاك كلامه : ان أحادآبوي ذهب الى ساليق مصحوباً بزخايشوع اسقف حرباث كلال وشَبْثا اسقف بيت زبداي وبقوا هناك سنة كاملة واصلحوا الامور المعوّجة . وانهُ بمشورة حَيْ بْعيل اسقف شوشان وضع يده على پاپا ورسمه اسقفاً

فترى ان اخبار كرسي ساليق قبل پاپا غائصة في الظلام . وان كان أبريس ورفاقه قد جلسوا على كرسي المدائن فلم يمكنهم في تلك الازمنة الصعبة ان يظهروا سيطرتهم على سائر الاساقفة . ولا سيما ان القوانين البيعيـة لم تكن بعد قد سُنَّت . واسم رئيس الاساقفة او الميطرابوليت او البطريرك لم يكن قد أُطلِق بعد فكان يقال مثلاً اسقف اورشليم واسقف انطاكية واسقف اسكندرية وهلمّ جرّاً . والى زمان پاپا لم يكن بين اساقفة الشرق رباط يربطهم ببعضهم وربما كان اسقفان او ثلاثة يجلسون معاً على كرسي واحد كما كان كُذياب وسابينا جالسَين معاً على كرسي كُونديشابور سنة ٣٤١ وكلاهما نالا اكليل الاستشهاد مع شمعون برصباعي . وهذه العادة بقيت جارية الى مجمع اسحق الجاثليق سنة ٤١٠ (٤)

---

(١) السنهادوسات ٤٧ (٢) راجع مخابرة پاپا

(٣) ان سفر الاحياء والموتى و يقال لهُ ديوپطخين باليونانية طلبة تقال في قداس الاعياد المارانيّة عوض [illegible] او [illegible]

(٤) السنهادوسات ٢٠

واعلم ان المرعيّات الكلدانية اعني الرعية التي يدبّرها اسقف كانت جدًّا في الجيل الرابع . والتي ذكرتها التواريخ (١) هي الآتية : في الشمال . نصيبين وبيت زبداي وارزون وسنجار واربيل وحانيثا . وفي الوسط كرخ سلوخ وشهرقرد وبيت نيقاطور وحرباث كلال وبيت مسكيني وبيت حزالي ولاشوم ودارا . وفي بيت ارمايي او كلدو . المداتن وكشكر وبيت كشكرايي وميشان وپرات ميشان وسد شابور او دير محراق . وفي الاهواز شوشان وشوشتر وبيت لاپاط وهرمزأرداشير . وفي ماداي وفارس وخليج العجم حولوان وريواردشير وبيت قطرايي . وفي اطراف بحيرة قزبين ديلوم

فاراد پاپا ان يكون لهُ السيطرة على جميع هؤلاء الاساقفة لكون كرسيهِ في عاصمة المملكة . واصل پاپا من ارض بابل . وكان خبيرًا بالكلدانيــة والفارسية زكيًّا حازماً (٢) . فقام عليهِ اساقفة كثيرون واقليروس المداتن فحدث من ذلك شقاق عظيم كما اتى في تاريخ مشيحا زخا . وجاء في اعمال مجمع داديشوع الذي عُقِد سنة ٤٢٤ وفي مخابرة پاپا (٣) ان الاساقفة اسندوا الى پاپا اشياء شنيعة لم يكن قد ارتكبها وكتبوا في ذلك كتباً نشروها في كل مكان . اما في كتاب المجدل (٤) وفي اعمال مار ميليس (٥) فيذكر ان پاپا اقام في بعض المدن اسقفين

---

(١) راجع ايليا ومشيحا زخا وتواريخ كرخ سلوخ وبيجان والتاريخ السعردي وجدول الشهداء طبعة الاب ثان دين غين (٢) ماري ٨ . وعمرو ١٣ . وابن العبري ٢٧

(٣) ان مخابرة پاپا مكتوبة في كتاب السنهادوسات وهي عبارة عن رسالتين ارسلهما پاپا الى هيلاني الملكة والى اهل نصيبين . وست رسالات انفذها الى پاپا اوسابيوس اسقف رومية وجوذا قرياقوس اسقف اورشليم وهيلاني الملكة ومار يعقوب اسقف نصيبين ومار افرام النصيبيني والآباء الغربيون . فاوسابيوس وقرياقوس يكتبان لهُ ان قسطنطين الملك وامه هيلاني ارسلا لهُ آنية كنائسية وانهما يريدان ان يبنيا كنيسة في ساليق . وهيلاني تطلب دعاءه . ومار يعقوب ومار افرام والآباء الغربيون يسلّونه ويطلبون اليهِ ان يغفر للاساقفة الذين ظلموه . وپاپا نفسه يشكر هيلاني الملكة عن احساناتها ويكتب لاهل نصيبين واصفاً مـا قاساه من المجوس ومن اساقفتهِ . ولا حاجة الى القول ان هذه المخابرة مزوّرة لكنها مستندة على حقيقة ولا سيما رسالة الآباء الغربيين

(٤) ماري ٨ — ٩ (٥) بيجان ك : ٣٦٦

اسقفين . وكان يتكبّر ويتطاول على الكهنة والشمامسة ويحتقرهم . فالظاهر انّ پاپا بغى أولًا الرئاسة كما قال مشيحا زخا وابراهاط . ولما انكر عليهِ ذلك الاساقفة اسام مكان بعضهم اساقفة متحزّبين لهُ وتطاول على الكهنــة الذين قاوموه . فاجتمع مجمع في ساليق لمحاكمتهِ (٣١٧) وهاك اسماء الاساقفة الذين حضروه : داود اسقف پراث ميشان وكدياب اسقف كونديشابور وعبديشوع اسقف كشكر . ويوحنان اسقف ميشان واندراوس اسقف دير محراق وابراهام اسقف شوشتر وميليس اسقف شوشان (١) وعقبلاها اسقف كرخ سلوخ (٢) وحبيب (٣) . وانضم اليهم كهنة المدائن وزعيمهم شمعون برصباعي وكان ابوه مقرّباً عند الملك . وكان اغلب الاساقفة المذكورين علماء عصرهم كما قال التاريخ السعرديّ

وفي هذا المجمع أُنزل پاپا عن الكرسي وأُجلس مكانه شمعون برصباعي . وهاك ما اتى في قصّة مار ميليس (٤) : ان هذا القديس لما رأى ما كان عليهِ پاپا من التكبُّر انتصب في الوسط وقال : « مالي اراك تتجرأ على اخوتك أنسيتَ قول ربّنا انّ الاكبر فيكم يكون خادماً لكم » قال پاپا وقد احتدّ : أأنت يا جاهل تعلّمني كأني اجهل فريضتي فاضطرب ميليس وأخرج الانجيل من مزوده ووضعه امام پاپا على وسادة وقال لهُ : ان لم ترضَ ان تتعلّم مني لاني انسان فدونك الانجيل ومنهُ تتعلّم . فتجاسر پاپا ورفع يده بغضب وضرب الانجيل قائلًا : تكلّم يا انجيل تكلّم وللحال نزل من السماء شيءٌ مثل البرق على شقّه فيبّسهُ . وفي اعمال مجمع داديشوع مذكور ان الاساقفة كانوا المعتدين واذ عاين پاپا ما يجري في المجمع من الظلم والافتراء وشهادة الزور غضب غضباً شديدًا ورفع يده وأوقعها على الانجيل الذي بالوسط وقال : تكلّم يا انجيل تكلّم هوذا الشر قد رفع رأسه والحقّ قد نكس وانت ساكت . فلأنهُ لم يقترب باحترام من الانجيل ضُرب حالًا في جسمهِ (٥)

ولم يبقَ لپاپا واسطة سوى الالتجاء الى اساقفة ما بين النهرين وسوريا الذين في حكم

---

(١) التاريخ السعردي ١ : ٣٦ (٢) مشيحا زخا ٤٤

(٣) مخابرة پاپا (٤) بيجان ٢ : ٢٦٦ — ٢٦٨

(٥) السهادوسات ٤٦ — ٤٧

المملكة الرومانية . فكتب الى سَعْدا (١) اسقف اورهاي (٣١٣ — ٣٢٤) والى غيره من الاساقفة (٢) . وهؤلاء كتبوا الى قسطنطين الكبير والتمسوا منهُ ان يساعد پاپا . فتوسط قسطنطين في الامر . ومن المحتمل انهُ كتب رأساً الى شابور في شان رئاسة پاپا . او ارسل سفيرًا الى المدائن كما فعل خلفاؤه مرات عديدة . فالتزم اساقفة الكلدان ان يحنوا رؤوسهم امام هذه الاوامر الملوكية . وبقي پاپا جالساً على كرسي المدائن . لا بل ان اساقفة الغرب كتبوا هم ايضاً رسالة الى اساقفة الكلدان فيها يشيرون اليهم ان يعرفوا پاپا رئيساً عليهم ويطيعوه (٣)

هذا اول شقاق تكلّمت عنه التواريخ حدث في كنيستنا الكلدانية . وقد اشار اليهِ اپراهاط الحكيم الفارسي في المقالة الرابعة عشرة من كتابهِ وهي رسالة كتبها الى اخوتهِ الاساقفة والكهنة والشمامسة والى شعب الله كلهِ الساكن في ساليق وقطيسفون . فبعد ان تكلّم اپراهاط طويلاً عن شرور الرؤساء وطمعهم قال : «وُجد عندكم احد اخوتنا عقد التاج على رأسهِ وبلدته لم تشعر بهِ . ولما رفضته توجّه الى ملوك اخرين بعيدين عنهُ وطلب منهم سلاسل وقيودًا واخذ يوزّعها على اهل بلدتهِ ومدينتهِ . ونحن نظنّ ان ذلك الملك الذي عقد التاج كان يجب عليهِ عوض السلاسل التي طلبها من الملوك رفقائهِ ان يلتمس منهم هدايا يوزّعها على اعيانهِ وبني وطنه ومدينته . ليسمع الحكيم ويفهم » (٤)

ان هذا الكلام الرمزي يشير عن پاپا . فانهُ عقد تاج الرئاسة على رأسهِ ولما شعر بذلك الاساقفة واقليروس المدائن لم يقبلوا رئاسته . فاجتمعوا وانزلوه عن كرسيهِ . فالتجأ حينئذٍ الى الاساقفة الذين في المملكة الرومانية . وهؤلاء كتبوا الى

---

(١) مشيحا زخا يسمّيه سَعْدًا واما التاريخ الاورهاوي (في السمعاني ١ : ٣٩٤) فيسمّيهِ شاعاد (٢) مشيحا زخا ٤٤ — ٤٥

(٣) ان هذه الرسالة لم تصل الينا غير ان كتاب السنهادوسات يذكر رسالتَين مزوّرتَين مبنيتين على اساسها . احداها كأنّها هي نفس الرسالة المذكورة المكتوبة عن مسألة پاپا والاخرى كأن بطاركة المغرب كتبوها الى اساقفة الشرق نحو سنة ٢٠٥ وفيها يثبتون ان اسقف المدائن هو بطريرك على كل بلاد فارس ويأمرون ان يُسام في المدائن لا في انطاكية

(٤) اپراهاط كتاب الايضاحات ٢٥١

اساقفة الشرق وامروهم ان يطيعوا پاپا وحرموا الذي لا يقبله. لا بل حملوا قسطنطين الملك ان يكتب هو ايضاً الى ملك فارس توصيةً في حق پاپا (١)

ان في تاريخ جلوس پاپا والمجمع المعقود ضدّه ووفاته روايات كثيرة لا يُعتمد عليها . قال عمرو انهُ جلس على كرسي ساليق سنة ٢٤٧ وتوفي سنة ٣٢٦. وكتب ابن العبري ان جلوسه كان سنة ٢٦٦ وتنزيله عن الكرسي سنة ٣٣٤ ووفاته سنة ٣٣٥ . وقال ماري انهُ صار اسقفاً على عهد هرمزد الاول اي نحو سنة ٢٧٢ . والظاهر ان جلوس پاپا كان في نهاية الجيل الثالث او في بدء الجيل الرابع كما يُستنتج من كلام مشيحا زخا (٢) . ومجمع ساليق الاول ووفاته سنة ٣٢٩ فان مشيحا زخا يقول عن يوحنان اسقف اربيل انهُ في سنة ٣٢٩ نزل الى المدائن مع اساقفة أُخر لانتخاب خلف لپاپا الذي مات موتاً شنيعاً . وفي تلك السنة عينها يذكر ايليا النصيبيني نقلاً عن طيمثاوس الجاثليق وفاة پاپا . فاذا ثبتت وفاته سنة ٣٢٩ يكون مجمع ساليق عُقد سنة ٣١٧ . فانهُ جاء في قصة ميليس ان پاپا بعد المجمع المعقود ضده عاش ١٢ سنة (٣)

الفصل الخامس

في الشهداء الذين تكللوا في اضطهاد ديوقلطيانوس (٣٠٣ — ٣١١)

ان ديوقلطيانوس نُصب قيصراً على الرومانيّين سنة ٢٨٥ وكان حازماً ذكيّاً .

---

(١) ذهب لابور ان ابراهاط يشير الى شمعون برصباعي لا الى پاپا لان المقالة مكتوبة سنة ٣٤٤. اي نحو ٢٠ سنة بعد مجمع ساليق . ولكن رأيه مردود . فان شمعون برصباعي لم يُذكر عنه ابداً انهُ التجأ الى اساقفة الغرب وكان ابوه معزّزاً مكرّماً عند شابور فلم يقع اذن بين الاساقفة شقاق من اجل انتخابهِ . انّما يُستنتج من مقالة ابراهاط انهُ بعد قتل شاهدوست اسقف ساليق صار نزاع بين الاساقفة والكهنة سنة ٣٤٣ — ٣٤٤ في من يقوم مكانه . فكتب اليهم ابراهاط رسالة حرّضهم فيها على المحبة والتجنُّب من الشقاق وبيَّن لهم انهُ من اجل الخطايا ولا سيما خطايا الرعاة قد ثار الاضطهاد عليهم . وذكّرهم قصة پاپا مكتفياً بالتلميح ولم يكن حينئذٍ قد مر عليها سوى ١٥ سنة لأَن پاپا توفي سنة ٣٢٩

(٢) راجع ص ١٣ (٣) بيجان ٢ : ٢٦٨

وجرت لهُ وقائع مع الفرس فيها انتصر عليهم واخذ منهم نصيبين . واثار ديوقلطيانوس وشريكه غلاريوس اضطهادًا شديدًا على المسيحيّين . ودام هذا الاضطهاد من سنة ٣٠٣ الى سنة ٣١١ ومات فيه خلق كثير لا يحصى في مملكة الرومانيّين ومن أشهر الذين استشهدوا فيه في اورهاي ونصيبين فبرونيا وكوريا وشامونا وحبيب الشماس

١ً القديسة فبرونيا (١)

في اوائل الجيل الرابع كان في نصيبين دير للبنات فيه خمسون راهبة وعليهنّ رئيسة اسمها برونة . وكانت فبرونيا من جملة هؤلاء الراهبات وهي ذات حسن وجمال فائق . ولاجل هذا كانت تحتفظ بها الرئيسة مخافةً عليها من فخاخ الاشرار فضلًا عن انّها كانت ابنة اخيها . فأتى سيلينوس بامر ديوقلطيانوس الى ما بين النهرين وفتك بالمسيحيين نحو سنة ٣٠٤ . ولما بلغه خبر فبرونيا امر بالقبض عليها واذاقها امرّ العذابات واشنعها . فانّه مزّق ثيابها في وسط المشهد . ثمّ مدّدها على الارض وشعلوا تحتها نارًا خفيفة وجلدوا ظهرها بقضبان . ثم علقوها على خشبة ومشطوا جنبَيها بامشاط حديدية واحرقوهما بالنار . ثم قلعوا اسنانها وقطعوا ثدييها . اخيرًا قطعوا يديها ورجليها فرأسها . ودُفنت القديسة في ديرها . وتقول تومايس كاتبة قصتها انّ اسقف نصيبين (٢) بنى كنيسة فاخرة اكملها في ست سنين ونقل اليها جزءًا من ذخيرة القديسة فبرونيا

انّ الاباء البولنديّين (٣) قد اقرّوا بصحة اعمال فبرونيا . غير انّ تيلمون والسمعاني قد شكّا في حقيقتها وذلك على انهُ في ذلك الزمان لم يكن اديرة منتظمة . وقولهما مردود لانه كما راينا في الفصل الثالث من هذا الباب انه كان اديرة كثيرة في بلاد الفرس منذ مبادئ الجيل الرابع . وانّ اعمال فبرونيا تُرجمت منذ قديم الزمان

---

(١) راجع قصتها في بيجان وفي اشهر شهداء المشرق

(٢) هذا الاسقف هو مار يعقوب الذي بنى كنيسة نصيبين وكملها في سبع سنين كما سبق القول (٣) حزيران المجلد ٥ ص ١٤

الى اليونانية واللاتينية . وتذكارها عند اللاتين والكلدان النساطرة والارمن والسريان في ٢٥ حزيران وعند الملكيين في ٢٦ منه

٢ كوريا وشامونا

انّ كوريا وشامونا (١) كانا من اطراف اورهاي. الّا انهما تربيا في اورهاي نفسها . وكانا شيخين جليلين وقد خرجا الى بعض البراري وانفردا فيها متمسكين بالسيرة النسكية . فلمّا اتصل خبرهما بانطونيوس حاكم اورهاي امر بالقبض عليهما فعُلّقا من اذرعهما في رأس عمود عالٍ ورُبطت بارجلهما حجارة ثقيلة تجرّهما الى اسفل وبقيا على تلك الحالة الموجعة مدة خمس ساعات . ثم أُلقيا في سجن ضيّق رديّ المناخ . ولما رأى الحاكم ان عزمهما لم ينثنِ امر بهما ان يُعلّقا بارجلهما ويُضرب راساهما بالسيف . وكان ذلك في ١٥ تشرين الثاني . وفيهِ يذكرهما السريان واللاتين واتى ذكرهما عند الكلدان في ٢٥ حزيران

٣ حبيب الشماس

كان حبيب من قرية تلصها من اعمال اورهاي (٢) . وفي زمانه اي في سنة ٣٠٩ اذ كان قونا اسقفاً لاورهاي اثار ليقينوس اضطهاداً على المسيحيين . فكان حبيب يطوف القرى ويرشد . ففشا امره وقُبض عليهِ . وجُلد بقساوة وحشيّة . ثم وُضع في قفص من حديد وضُيّق عليهِ بشدة . وأُلقي في السجن . وفي اليوم الثاني من ايلول امر الحاكم باحضاره . وامر الجلادين ان يضجعوه على الارض ويضربوه بقضبان من شجر الرمان . ثم علقوه على خشبة ومزقوه باظفار حديدية واخيراً انزلوه في حفرة ووضعوا عليهِ الحطب واحرقوه . ودُفن في قبر كوريا وشامونا . واتى ذكره في السنكسار الروماني في ١٥ تشرين الثاني

---

(١) ان السيد رحماني طبع قصتهما في رومية سنة ١٨٩٩ . وقيل ان استشهادهما كان في سنة ٢٨٩ . امّا السيد رحماني فذهب انّهما قُتلا سنة ٢٩٧ . مع ان القصة تذكر سنة ٦١٨ لليونان (٣٠٦)

(٢) راجع قصته في بيجان وفي اشهر شهداء المشرق

الفصل السادس

في الشهداء الذين تكلّلوا على ايام شابور الملك قبل الاضطهاد الاربعيني (٣١٨ — ٣٣٩)

ان شابور الثاني ملك سبعين سنة اي منذ سنة ٣٠٩ الى سنة ٣٧٩ (١). وكان شجاعاً جبارًا . وفي اول ملكه اغار على بلاد العرب وتغلّب على اكثر قبائلهم . وحمل ايضاً على الاقوام البرابرة الذين زحفوا على الجهات الشمالية من مملكتهِ وقهرهم وتشبّه شابور بمن تقدّمه من الملوك في بناء المدن . وهو الذي شيّد كرخ ليدان في الاهواز . وهو اول الملوك الساسانيين الذين اضطهدوا المسيحيين . فانه طالما كان ملوك رومية وثنيين كان المسيحيون في مملكة الفرس مستريحين على وجه العموم من الاضطهادات ولكن لما تنصر القياصرة انقلب الامر ظهرًا لبطن . فبدأ ملوك فارس يقتلون الكلدان النصارى بغضةً بالرومانيين الذين تديّنوا بالنصرانية وظنّاً منهم ان المسيحيين الذين تحت حكمهم ميّالون الى القياصرة الذين من مذهبهم

لقد سبق القول ان ديوقلطيانوس نُصب قيصرًا على المملكة الرومانية سنة ٢٨٥ . وشارك بالملك مكسيميانوس وفلابيوس قسطنطيوس خلوروس وغلاريوس وجعل ديوقلطيانوس لنفسه البلاد الشرقية وولّى قسطنطيوس خلوروس على بلاد غالية واسبانيا . ثم ان ديوقلطيانوس اعتزل عن الملك سنة ٣٠٥ . ومات ايضاً قسطنطيوس خلوروس سنة ٣٠٦ وجلس مكانه ابنه قسطنطين الكبير الشهير . ومات ايضا غلاريوس سنة ٣١١ . فاقتسم ملكه مكسنتيوس ومكسيمينوس وسويروس . وانتشب القتال بين قسطنطين ومكسنتيوس . وبينما كان قسطنطين يتجهّز للمسير على العدو شاهد في السماء صليباً يلمع وحوله كتابة مضمونها : « بهذه العلامة تغلب » فعمل لهُ في الغد صليباً على ذاك الشكل وامر ان يُحمل في

---

(١) راجع التاريخ السعردي 2 : ٧٧ — ٧٩ . والطبري طبعة استانبول 1 : ١٧٤ — ١٨٠

مقدّمة الجيش . فانتصر على العدو وكان ذلك سنة ٣١٢ . فلمّا استولى قسطنطين وحده على المملكة كلها رأى ان ينصب سريره في مدينة بيزنطية . فبدأ بتعميرها وتزيينها وغلب عليها اسم القسطنطينيّة . وبهمّة قسطنطين اجتمع المجمع المسكوني في نيقية لحرم بدعة اريوس سنة ٣٢٥

ان اوسابيوس القيصري ذكر ان قسطنطين الملك كتب رسالة الى شابور ملك الفرس فيها يمدحه على ملاطفتـهِ للنصارى الذين في مملكتهِ واظهر فرحه بنجاحهم (١) . وبقي الكلدان النصارى مستريحين على وجه العموم طالما كان قسطنطين الكبير في قيد الحيوة . لان شابور الملك إمّا رعايةً لهُ او خوفاً منه لم يُثِر عليهم الاضطهاد كما فعل من بعد موتهِ . واذا سمعتَ باضطهاد في تلك المدّة فكان ذلك نادرًا وفي اماكن محدودة . ولم يحدث بامر شابور بل من بغضة المجوس . ومن جملة الذين استشهدوا في تلك المدّة القديسة ماهدوخت واخواها آذرپروا وميهرنرسا . ومار كُوبدلاها واخته قازو . ومار يونان وبريخيشوع ورفاقهما . وباداي الكاهن ومعنا ويوحنان واسحق وشابور اساقفة كرخ سلوخ . وسيأتي ذكر ماهدوخت واخويها وكُوبدلاها في نهاية الفصل السابع من هذا الباب

١ً يونان وبريخيشوع ورفاقهما (٢)

ان يونان وبريخيشوع كانا اخوين شقيقَين من قرية اسمها بيت آسا وكانا كاهنين كما تشير الى ذلك قصتهما . وقُبض عليهما لانهما تجاسرا فدخلا السجن وشجّعا المعترفين المحبوسين من اجل ايمانهم حتى فازوا باكليل الاستشهاد . وكانوا تسعة : زبينا ولاعازر وماروث ونرساي وايليا ومهري وحبيب وسابا وشِيميّتا . اما يونان وبريخيشوع فأذاقهما هرمزد أرداشير وميهرنرسا أمرّ العذابات واقساها . فان يونان اوثقوا رجليه كالدوابّ الرابضة وشدّوا يديه على ظهره . وجعلوا يضربونه بقساوة وحشية بقضبان غير مخروطة حتى بانت اضلاعه . واذ لم يشأ مع هذه العذابات ان

---

(١) ترجمة قسطنطين ٤ : ٨ و ٩ . راجع ايضاً النصوص السريانيـة طبعة لاند ١ : ٣
(٢) راجع قصتهم في بيجان . وفي اشهر شهداء المشرق

ينكر ايمانه ربطوا احدى رجليهِ بحبل وسحبوه كدابّة حقيرة وألقوه على الجليد حيث استمرّ الليل كله . ثم قطّعوا اصابع يديهِ ورجليهِ واحدة فواحدة ولسانه وسلخوا جلدة رأسه ونشروه بمنشار . اما بريخيشوع فجُلِد أوّلًا بقضبان مشوكة . ثم عرّوه من ثيابهِ واتوا بقصب حادّ واغرزوه في كل جسمه . ثم سحبوا القصب فتمزّقت جثمانه . واغلوا زفتاً وكبريتاً وسكبوهما في فمه حتى قضى نحبه . وجاء عبطوشطا واشترى جثّتيهما بخمسمائة درهم وثلاث خلع من حرير . وكان جهادهما في ٢٩ كانون الثاني سنة ٣٢٧ . وتذكارهما عند اللاتين في ٢٩ اذار (١) . وعند الارمن في ٢١ منه (٢)

٢ً باداي الكاهن

كان باداي كاهن قرية ارحولا وكان شيخاً وقوراً فاضلًا يفرغ قصارى جهده في ترجيع الوثنيين . واذ كان ذات يوم جالساً في بيتهِ اجتاز بهِ ميهرنرسا الحاكم . فوُشي بهِ قدامه وقُبض عليهِ وأُوقف بين يديهِ في جنينة . واذ أبى ان يسجد للشمس امر بتعذيبهِ . فقطعوا من تلك الجنينة اربعين قضيباً وضربوه بقساوة لا مزيد عليها حتى تناثر لحمه وامتلأت احشاؤه دماً . فسحبوه مغمياً عليهِ وطرحوه خارج الجنينة ولما كان المساء حمله النصارى وذهبوا بهِ الى داره ولم يفق حتى قضى نحبه بعد ثلاثة ايام وكان ذلك في ٥ تشرين الاول (٣) . ولا تعيّن القصة سنة استشهاده ولعلّ ميهرنرسا الذي قتله هو الذي استشهد على يده يونان وبريخيشوع

٣ً شهداء بيت كرماي

وفي تلك المدّة نال ايضاً اكليل الاستشهاد اساقفة وراهبات من بيت كرماي . وبيدنا ثلاثة نصوص تاريخية تتكلم عنهم قد طبعها الاب بيجان وهي : ١ً جهاد مار شابور ومار اسحق ٢ً مجموعة شهداء كرخ سلوخ ٣ً تاريخ كرخ سلوخ .

---

(١) السمعاني ١ : ١٥ (٢) فيرك ١ : ٦٤٦

(٣) بيجان ٢ : ١٦٣ واشهر شهداء المشرق ١ : ٣٩٤

فالنصّ الاول يذكر ان شابور كان اسقف بيت نيقاطور واسحق اسقف كرخ سلوخ وانهما استشهدا سنة ٣٣٩ لأنّهما كانا يبنيان كنائس ومعابد ويحرّضان المجوس على التنصر . فغضب الملك النصارى ليرجموا اسحق . واماً شابور فضُرب ضرباً شديدًا حتى انسحقت اسنانه وتكسّرت عظامه وقال لهُ الملك متهكماً : « ادعُ الآن سيّدك يسوع ليعطيك اسناناً » فقال لهُ القديس « ان سيدي يسوع يعطيني ما لستَ تقدر ان تعرفه انت » ومات شابور في الحبس من شدّة الضرب والعذاب

والنصّ الثاني ما عدا شابور واسحق الاسقفَين يذكر ايضاً يوحنان اسقف كرخ سلوخ ويقول عنه انّه قُتل في قرية حصين بامر ارداشير ملك حدياب . ويجعل شابور اسقفاً لكرخ سلوخ لا لبيت نيقاطور

والنص الثالث يذكر انهُ في ايام معنا اسقف كرخ سلوخ صار اضطهاد على المسيحيّين . فهُدمت الكنيسة ونُهبت اموال المؤمنين واستخفى مار معنا في مكان يقال لهُ حاصا . ثمّ قُبض عليهِ ورُجم بالحجارة حتى مات . وجلس بعده على كرسي كرخ سلوخ اسحق وكان من اعيان المدينة فقُبض عليه من اجل ديانتهِ . وامر الملك ان ترجمه النصارى انفسهم على تل فوق قرية كنارا في نيقاطورأوانا فخافوا واجروا امره . وقام بعد اسحق يوحنان . وهو حضر في المجمع النيقاوي مع يعقوب اسقف نصيبين ويوحنان اسقف حدياب

فترى انه يوجد اختلاف في هذه القطع الثلاث التاريخية . فالقطعة الاولى تقول عن شابور انهُ كان اسقف بيت نيقاطور فيما ان القطعة الثانية تقول عنه انه كان اسقف كرخ سلوخ . والقطعة الثالثة لا تذكره بل تقول عن مار اسحق انهُ استشهد قبل سنة ٣٢٠ لانّها تجعل خلفهُ يوحنان حاضرًا في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ . وتذكر معنا وتجعلهُ سلفاً لمار اسحق

ثمّ انهُ في النصّ الثالث يذكر المؤرخ ست راهبات قدمن الى كرخ سلوخ من عاصمة المملكة ونلن اكليل الاستشهاد مع مار معنا واسماؤهنّ محفوظة في النصّ الثاني وهي : تقلا وداناق وطاطون وماما وامزكية وانا . وقُتِلن خارج المدينة في محل يقال له حَورا . ونبت هناك من دمهنّ شجرة تين اثمرت الخيرات والبركات غير ان المانويّين قطعوها حسدًا . ومنذ ذلك الحين غلب على ذلك المكان اسم بيت

تيثا . وهو شرقي كركوك على مسافة نصف ساعة منها والى الآن يقال لهُ في التركية انجير اغاجي اي شجرة التين

ان كاتب اعمال مار شابور ومار اسحق يذكر ثلاثة شهداء وهم معنا وابراهام وشمعون قُتلوا هم ايضاً مع هذين الاسقفين فيما ان كاتب تاريخ كرخ سلوخ يقول عنهم انهم استشهدوا في اضطهاد يزدجرد الملك. فالظاهر ان الاول قد توهّم لانهُ كان في اورهاي بعيداً عن محل استشهادهم كما يبان ذلك من عنوان تأليفه . ولا بدَّ من انهُ كتب هذه القصة لما نُقلت ذخائر هؤلاء القدّيسين الى اورهاي. ومما حمله ان يجعل الاسقف اسحق معاصراً لمعنا وابراهام وشمعون هو ان كاهناً اسمه اسحق قُتل هو ايضاً مع هؤلاء الشهداء الثلاثة وموضع القتل كان هو هو عينه اي قرية كنارا في بيت نيقاطور (١)

وكل ما نقدر ان نستنتجه من هذه النصوص الثلاثة التاريخية هو انهُ في النصف الاول من الجيل الرابع استشهد في بيت كرماي مار معنا مع الراهبات الستّ ومار شابور ومار اسحق وان مار يوحنان المذكور في النص الثاني هو معنا نفسه المذكور في النص الثالث كما ان حصين وحاصا محل الاستشهاد هو محل واحد . وتذكار يوحنان وشابور واسحق الاساقفة عند اليونان في ٢٠ تشرين الثاني (٢)

الفصل السابع

الاضطهاد الاربعيني وفي الشهداء الذين تكلّلوا فيهِ

(٣٣٩ — ٣٧٩)

ان الاضطهادات التي اثارها ملوك الفرس او المجوس على الكلدان النصارى لحدّ الان لم تكن عمومية بل منحصرة في بعض الامكنة . وقد حان الزمان الذي فيهِ

---

(١) دوفال الآداب السريانية ١٣١ — ١٣٢

(٢) السمعاني ٤ : ١٨٩

يقتل اجدادنا افواجاً افواجاً وفي كل قطر ومصر وبكل نوع من العذابات الهائلة القادحة فيجري دمهم سيولًا وذلك في مدّة سني شابور الاربعين الاخيرة

لمّا رأى شابور نفسه قادرًا على مقاومة الرومانيين ارسل اليهم سفراء يطلبون الولايات التي كان غلاريوس قد ضبطها من الفرس منذ نحو اربعين سنة . فاخذ قسطنطين الكبير يتجهّز للمحاربة وطلب الى بعض الاساقفة ان يرافقوه الى ميدان الحرب (١) . وفيما هو على هذا الاستعداد داهمه الموت في ٢٢ ايار سنة ٣٣٧ . وخلفهُ في الشرق ابنه قسطنطيوس . فانتهز شابور الفرصة وزحف على نصيبين (٢) وحاصرها ثلاثة وستين يوماً . ودلته فطنته ان يسدّ نهر مغدون وهو ماشاخ الذي يمرّ بالمدينة . فاحتبست المياه وارتفعت ثم اقام السدّ فتدفقت المياه وصدمت سور المدينة وهدمته ولم يمكنه الهجوم حالًا لانّ النهر كان طافحاً . ولمّا اصبحت اذا بالسور قد بُني من جديد . فانّ مار يعقوب اسقف المدينة اوعز الى الاهالي فجدّوا وبنوا في تلك الليلة سورًا ثانياً . وكان هو في الكنيسة يصلّي مع تلميذه افرام . فاستجاب الله دعاءه . فان شابور لمّا بلغهُ ان قسطنطيوس الملك زحف اليهِ كفّ عن المدينة ورجع الى بلاده . وكان ذلك سنة ٣٣٨

فحنق شابور على النصارى بغضةً بملوك الروم الذين تنصروا ومن اجل فشله في نصيبين . فاراد ان يأخذ ثاره من المسيحيين الذين في مملكته . وشرع يتحجّج عليهم وابرز عدة اوامر باضطهادهم . فامر اولًا بالتثقيل على المسيحيين بمضاعفة الجزية وذلك سنة ٣٣٩ . وكان شابور حينئذٍ في الاهواز فكتب الى الحكّام الذين في كلدو ان يجبروا شمعون برصباعي الجاثليق ليمضي صكّا آخذًا على نفسه جمع الجزية من النصارى مضاعفةً . فقال شمعون : « ان ما يطالبني بهِ الملك من اخذ الجبايات من النصارى ليس هو من شأني » ولمّا وصل هذا الجواب الى مسامع شابور غضب وقال : « ان شمعون يريد ان يحمل بني أمتهِ على خلع طاعتي ويجعلهم عبيدًا لقيصر الذي هو من مذهبهم . فلأفعلنّ بهم ولاصنعنّ » ثم كتب شابور رسالة ثانية الى

---

(١) تيلمون تاريخ الملوك ج : ٢٦٥

(٢) بيجان ج : ٢٧٠ . ومشيحا زخا ٤٨

الحكام بها يأمرهم ان يتهددوا شمعون بالقتل ان أبى تكميل اوامره · فلم يجب شمعون الى طلبتهم واقرّ انهُ مستعدّ ليبذل دمه دون المسيحيين · فاشتدّ غضب الملك وأمر بهدم الكنائس وذلك سنة ٣٤٠ · فهدموا كنيسة المدائن · وذهبوا بمار شمعون برصباعي وغيره من الاساقفة والكهنة الى باب الملك في مدينة ليدان في الاهواز · ولما رأى شابور ان شمعون يأبى جمع الجبايات من رعيتهِ والسجود للشمس امر بقتله وقتل رفاقه وذلك في ٦ نيسان سنة ٣٤١ كما سيأتيك في قصة استشهادهم

ودام هذا الاضطهاد اربعين سنة اي من سنة ٣٣٩ الى وفاة شابور الملك سنة سنة ٣٧٩ · ولذلك عُرف بالاضطهاد الاربعيني · ومات فيهِ جمّ غفير لا يُحصى عدده من الاساقفة والكهنة والرهبان والراهبات والعلمانيين · وروى سوزومين المؤرخ اليوناني (١) ان المقتولين في هـذا الاضطهاد الاربعيني رجالًا ونساء والمعروفة اسماؤهم فقط يبلغون نحو ١٦٠٠٠ نفس · وروى مؤرخونا الكلدانيون (٢) ان المقتولين في الدير الاحمر وبيت كرماي ونينوى ومركا يحملون نحو ١٦٠٠٠٠ نفس وفي بلاد بابل وحدها نحو ٣٠٠٠٠ نفس

٤ كاتب قصص الشهداء

ان الذي اعتنى في جمع معظم قصص اجدادنا الشهداء هو ماروثا اسقف ميافرقين الذي اشتهر في مبادئ الجيل الخامس وسيأتي الكلام عنه · وقد شكّ لابور في ذلك اولًا لأنَّ سوزومين لم يقل عن ماروثا انهُ هو الذي كتب هذه القصص · ثانياً ان كثيراً من هذه القصص لها مقدمات تختلف انشاء وفصاحةً بعضها من بعض · ثالثاً من حيث قيل عن آحا الجاثليق انهُ كتب هو ايضاً قصص الشهداء (٣)

وعليه نجيب اولا ان عدم ذكر سوزومين عن ماروثا انهُ كتب قصص الشهداء ليس من شأنه ان يثبت شيئاً · ثانياً اعتراضه على المقدمات لا يثبت شيئاً ايضاً · فاننا

(١) التاريخ الكنائسي ٢ : ١٤

(٢) ماري ١٨ · وعمرو ١٨ · والتاريخ السعردي ٤ : ٩٥

(٣) لابور ٥٢ — ٥٥

نرى مؤلفين آخرين يضعون هم ايضاً مقدمات لكثير من القصص التي يكتبونها . منهم توما اسقف مرگا في كتاب تاريخ دير بيت عابا . فانهُ ليس فقط في بداية كل ميمر من كتابه يضع مقدمة بل في بداية القصص ايضاً . ومن يقرأ بدقّة قصص الشهداء ومقدّماتها يرى انها خارجة كلها من قلم مؤلف واحد . ثالثاً لا ننكر ان احا الجاثليق ايضاً دوّن في بطون الاوراق قصص الشهداء الذين قُتلوا على عهد شابور الملك (١) . لكنّ معظم القصص التي وصلت الينا هي من تأليف ماروثا . لان عبديشوع الصوباوي (٢) عنه يقول انه كتب هذه القصص ويسكت عن مار احّا وطيمثاوس الكبير البطريرك الذي عاش في الجيل الثامن يحثّ الموارنة في رسالتهِ الطويلة اليهم على قراءة كتاب قصص الشهداء تأليف ماروثا . وهذا ممّا يدلّ على ان هذين الملفانين نقلا الينا تقليداً كان قبلهما اعني ان اخبار الشهداء التي وصلت الينا هي من تأليفات ماروثا. ومما يثبت قولنا ما اتى في نهاية هذه الاخبار وهو : «بموجب ما تحقق لدينا انهُ في مدن فارس قاسى الشهداء عباد الله هـذه العذابات والآلام التي ذكرناها قبلًا . وان الذين اذاقوهم اياها هم الحكام الاشرار الذين كانوا يحكمون هناك (٣) » . فلفظة هناك تدلّ صريحاً على ان الذي كتب هذه الجملة كان في مملكة الرومانيين مثل ميافرقين

ان القصص التي كتبها ماروثا طبعها السمعاني ثم بيجان في المجلد الثاني من اعمال القديسين والشهداء . وفي أوّلها ميمر عجيب اي مقالة في مناقب المعترفين والشهداء . وقد اتى هذا الاسقف الجليل في ميمره هذا من فصاحة المذاق وبلاغة البيان مـا يسبي العقول . وتصنيفه هذا لأحسن تصنيف اتى في هذا الشأن(٤) . لا بل فاق كتبة اليونان واللاتين في دقّة وصفه للوقائع وفي حياده عن الاطنـاب والمبالغة في الكلام (٥) وهو يقرّ ان ما قاله عن الشهداء مأخوذ إمّا عن مؤلّفين موثوق بهم قد عاينوا جهادهم (٦) وإما سمعهُ من افواه الاساقفـة الطاعنين في السن والكهنة

---

(١) ماري ٣١. وعمرو ٢٦ . والتاريخ السعردي ܐ : ٧٩

(٢) في السمعاني : ܓ : ܐ : ٧٣ (٣) بيجان ܒ : ٣٩٥ – ٣٩٦

(٤) دوفال: الاداب ١٣٣ (٥) لابور ٥٩ (٦) بيجان ܒ : ٣٩٤ وما يليها

الصادقين والمؤمنين وكانوا جميعاً معاينين ويقول انهُ هو ايضاً رأى بعضاً من هؤلاء الشهداء وعاين جهادهم. فلا بدّ من انهُ بقوله هذا يشير الى شهداء بيت زبداي وحانيثا الذين قُتِلوا سنة ٣٦٢ و ٣٧٨ و ٣٧٩ . ويُحتمل ان اصل ماروثا من بيت زبداي او من بلدة اخرى مجاورة

اما القصص المطبوعة في المجلد الرابع (١٢٨—١٤١) وفي المجلد الثاني (٣٠٧—٣١٦) من اعمال القديسين والشهداء التي طبعها بيجان فالظاهر انها ليست من تأليف ماروثا بل من تصنيف كاتب آخر من حدياب . فانّ عنوانها هو هذا « جهاد شهداء حدياب الذين عندنا وفيما بيننا قُتِلوا » وكل قصة منها تبتدئ بهذه الجملة: « في السنة الفلانية لاضطهادنا » . كذلك ليست من تأليف اسقف ميافرقين قصّتا پوسي وابنته مارتا فان هتَين القصتين كُتبتا بعد سنة ٤٣٠ (١) . هذا اذا فرضنا ان القطعة التي في نهاية قصة مارتا زادها احد النسّاخ كتتمّة للقصة

وقد بلغ الينـا ايضاً جدول يحوي اسماء الاساقفـة والكهنة والشمامسة المقتولين في هذا الاضطهاد الاربعيني . وهذا الجدول نفيس ولا ريب في صحته . وقد وصل الينا في كتاب مخطوط سنة ٤١٢ لكنه لسوء الحظ غير كامل وسنة جهاد الشهداء غير مذكورة وقد طبعه العلّامة ريت الانكليزي (٢)

ب شهداء كلدو والاهواز

١ مار شمعون برصباعي الجاثليق (٣٢٩ — ٣٤١) ورفاقه الشهداء

ان اول الشهداء الذين تكلّلوا في هذا الاضطهاد الاربعيني هم : مار شمعون برصباعي جاثليق المدائن وكدياب وسابينـا اسقفا بيت لاپاط ويوحنان اسقف هرمزارداشير وبوليداع اسقف پراث ميشان ويوحنان اسقف كرخ ميشان وسبعـة

---

(١) بيجان ب : ٢٤٠ — ٢٤١

(٢) مجلة الآداب والكتاب المقدس الانكليزية العدد ١٥ تشرين الاول سنة ١٨٦٥ ص ٤٠٢ — ٤٢٧

وتسعون من الكهنة والشمامسة وكوشتازاد رئيس الخصيان (١)

ذكرنا ان شمعون برصباعي خلف بابا على كرسي المدائن سنة ٣٢٩ وانهُ لما ابى جمع الجزية من ابرشيته مضاعفة قُبض عليه وعلى كهنته وكانوا اثني عشر واسماؤهم: حننيا وعبدهيكلا وقيوما وبدبوي وبولس وبولس وزيزي وبولس ونقيب إذنا واسحق وهرمزد وهبألاها وبدما. وسيقوا قاطبةً الى ليدان في الاهواز. ولما مثل مار شمعون بين يدي الملك اكتنفه المجوس قائلين: «انّ هذا بعدم اخذه على عاتقه دفع الجزية يروم ان يحمل شعبه على نشر لواء العصيان على ملك الملوك» فامره شابور بالسجود للشمس والنار فيخلص هو وشعبه من الموت. ولما أبى امر بالقائه في الحبس

وكان رئيس الخصيان مسيحياً واسمه كوشتازاد. وكان قد نبذ الديانة المسيحية خوفاً من شابور . فلما خرج مار شمعون من عند الملك مساقاً الى الحبس دنا منهُ كوشتازاد لينال بركته . لكنّ مار شمعون حوّل عنه وجهه قائلًا : ليس من الواجب ان اسالم الذي كفر بملكه الحقيقي . فكان هذا الكلام كسهم طعن قلب كوشتازاد فانطلق حالًا الى منزله وخلع عنه ثيابه الثمينة وتوشّح بلباس الحداد ورجع مكانه بين الخصيان. واتّصل الخبر بشابور. فاستدعاه واجتهد ان يحمله على نبذ الديانة المسيحية. ولما رآه لا يتزعزع عن رأيه امر بقتله . فقُطع رأسه بالسيف يوم خميس الفصح في ١٣ نيسان

واما مار شمعون فحُبس حيث كان الاساقفة رفاقه والكهنة والشمامسة الذين سبق ذكرهم. فلمّا عاينوه فرحوا به فرحا عظيماً وازداد سرورهم لما سمعوا باستشهاد كوشتازاد. فصلّوا وسبّحوا . ولما كان خميس الفصح ولم يمكن لاحد ان يأتيهم باواني الخدمة المقدسة خوفاً من المجوس قرّبوا الذبيحة الالهية على ايديهم في الحبس وحينئذٍ رتّل مار شمعون هذه الترنيمة : ܣܗܕܐ ܕܩܕܝܫܬܐ ܘܕܡܫܝܚܐ وهي تقال حتى الآن عندنا في قداس خميس الفصح. وبعد القداس بدأوا بصلاة الليل

---

(١) راجع قصة شمعون برصباعي في بيجان ܒ : ١٣١ — ٢٠٧ . وفي اشهر شهداء المشرق 2 : ١٩٣ — ٢٣٤ . وماري ١٦ — ١٩ . وعمرو ١٥ — ١٩ . والتاريخ السعردي 2 : ٨٦ — ٩٥

وفي يوم الجمعة العظيمة في نحو الساعة السادسة أمر شابور بقطع راس شمعون ورؤوس رفاقه كلهم . فسيقوا قاطبةً الى خارج المدينة ليُقتَلوا . وحدث في غضون ذلك اضطراب عظيم في ليدان . وكان الناس يزدحمون عليهم ليشاهدوهم . فغصّت الازقة والطرق وكان مار شمعون يتقدَّمهم كالقائد ويشجعهم . ولما وصلوا الى محل القتل اقبل عليهم السيافون وصاروا يأخذون منهم عشرة عشرة ويضربون اعناقهم بالسيف . وهم يتقدمون الى القتل مسرورين وشمعون يشجعهم على التوالي وقيل عنه انهُ في تلك الساعة قال هذا النشيد الآخر الذي بدؤه ܐܦ ܥܠܡܣܗܘܢ ܣܗܡܬܘ ܗܘܘ ܒܕܡܐ وهو يُقال الآن عندنا في قداس الاحد الجديد . وعند استشهاد مائة منهم صرخ مار شمعون باعلى صوته عند مشاهدته جثثهم ملقاة على الارض كوماً كوماً : « اين شوكتك يا موت واين غلبتك يا جحيم » وكان قد بقي هو والكاهنان حننيا وعبدهيكلا . وبدأ جسم حننيا يرتعد لطعنه في السن . فشاهده رجل من اكابر الدولة اسمه يوسي وقال لهُ : لا تخف يا حننيا لا تخف غمّض عينيك قليلًا فترى نورَ المسيح . وهكذا تكلّل القديس ثم قُتِل ايضاً عبدهيكلا ومار شمعون وكان ذلك نحو الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة فصار عتمة على وجه الارض وأُظلمت الشمس واعترى الخوف جميع الواقفين هناك وقُبر الشهداء في مدينة ليدان . وتذكارهم عند اللاتين والسريان واليونان في ١٤ نيسان وعند الارمن في ١٢ منه وعند الكلدان في الجمعة الاولى من اسبوع القيامة وهو عيد جميع المعترفين وفي الجمعة السادسة من اسابيع القيظ وفي الجمعة الاولى من اسابيع ايليا

٢ يوسي وابنته مارتا

انّ يوسي المقدم ذكره كان من جملة المسبيّين من بلاد الروم ورئيساً على جميع الصناع الذين في فارس لانهُ كان حاذقاً ولهُ خبرة عظيمة في نسج الاقمشة وتطريزها وفي تلك الايام امره الملك ان ينطلق الى مدينة شادبور وهي ربما ليبحث عن امور الصناع الذين فيها . وعند خروجه من ليدان التقى بمار شمعون ورفاقه وهم يساقون الى القتل فرافقهم . ولما رأى جسم مار حننيا يرتعد تجاسر وصرخ من بين الجموع وقال : تشجَّع يا حننيا ولا تخف . فامر للحال رئيس الحكّام بالقبض عليه واتصل

خبره بالملك فاستدعاه وامره ان يكفر بالمسيح ولما ابى امر بقتله فسيق الى المكان الذي فيه تكلّل مار شمعون وشلح ثيابه من تلقاء نفسه وازدحم عليه جم غفير من المؤمنين للتبرك واحاطوا به احاطة الهالة بالقمر . فاقبل عليه السياف وطرحه على وجهه وركب كاهله واخذ سكيناً وبدأ يشق قذاله . واستمرّ على هذه الحالة من تعذيبه نحو ساعة . ثم قطعوا لسانه واستلّوه من قفاه وللحال اسلم روحه في يوم السبت العظيم نحو الساعة التي فيها شجّع مار حننيا

وكان لمار پوسي ابنة عذراء اسمها مارتا (١) قد نذرت بتوليتها لله فوشي بها ايضاً ولما كان نحو الساعة الثالثة من اليوم الثاني لقتل ابيها وهو احد القيامة قبضوا عليها وعرضوا عليها امّا ان تكفر بديانتها وتتزوّج او ان تُذبَح . ففضّلت الذبح . فذهبوا بها خارج المدينة حيث ذُبح ابوها . وهي من تلقاء نفسها اسرعت بشجاعة وجلست فوق الحفرة التي كان الجلادون قد حفروها وكان الحاضرون الوفاً وصفوفاً يتعجبون من شجاعتها . فدنا منها السيّاف وذبحها كالنعجة ودُفنت في قبر ابيها

٣ً ازاد الخصيّ وأَمريا ومقيا الاسقفان وهرمزد القسيس ورفاقهم الشهداء

وفي اليوم الثاني من عيد القيامة اعني نهار الاثنين اتى المجوس بجمع وافر من الكهنة والشمامسة والرهبـان والراهبات والعلمانيين من امكنة مختلفة الى ليدان وسيقوا قاطبةً الى الذبح وهم يرتلون بفرح المزامير والداريش . ولم ينتهِ الجلادون من قتل جميعهم في ذلك اليوم فاباتوا الباقين الى جانب جثث المقتولين . فلمّا كان يوم الثلثاء أُتي بنصارى أُخر يفوقون السابقين عدداً وذبحوهم عن آخرهم . وكذلك قل عن يوم الاربعاء والخميس والجمعـة الى الاحد الجديد . ولم يمكن لاحد ان يكتب اسماء الشهداء المقتولين في تلك الايام . لانهم كانوا غرباء ويفوق عددهم

---

(١) ان اردتَ ان تقرأ باسهاب قصص هؤلا الشهداء الذين نذكرهم في هذا الفصل عليك بمراجعة كتب بيجان واشهر شهداء المشرق

الآلاف . وقد عُرف منهم أمريا ومقيما وكانا من اساقفة بيت لاپاط الاوّلين وهرمزد الكاهن من شوشتر

وعُرف ايضاً اسم ازاد الذي كان من خصيان الملك وموقرًا عنده وكان من رفقاء كوشتازاد . فحملته غيرته على ان ينزع عنه ثيابه ويتزيّا بزي الرهبان . فوقف بين المعترفين وصاح قائلًا : « انا نصرانيّ » فقُبض عليهِ وقُتل . فحزن عليه شابور حزناً شديدًا واصدر امره يوم الاحد الجديد ألّا يكون فيما بعد قتل النصارى على هذا المنوال بل مَن يُقبض عليه منهم يسألونهُ اولًا عن اسم ابيه وامّه وقبيلته وبلدته ويُكتب كل ذلك في كتاب وبعد هذا يقتضي اجباره على السجود للشمس . فخمدت قليلًا بذلك نار الاضطهاد

٤ً تربو واختها وتلميذتها الراهبات

وفي تلك الاثناء قُبض في المدائن على تربو مع اختها وتلميذتها بحجة انها انتقاماً لقتل مار شمعون برصباعي قد سحرت الملكة واضرّتها . وكانت تربو اخت الجاثليق الشهيد وعذراء بديعة الجمال فارسل الملك خبرًا ألّا يُقتلنَ اذا سجدنَ للشمس . وارسل لاستنطاقهنّ رئيس الحكام واثنين من الاعيان . فحالما وقع نظرهم على القديسة تربو هاموا بجمالها وارسل اليها كلٌّ منهم على حدة من يقول لها : ان اردتِ الاقتران بي فانا اتوسل الى الملك وانقذكِ مع رفيقتيكِ من انياب الموت . فجاوبتهم بجدّة انها تائقة الى القتل لانهُ يقودها الى اخيها شمعون الحبيب . فذهبوا بهنّ خارج المدينة وضربوا لكل واحدة منهنّ وتدَين على الواحد ربطوا الراس وعلى الآخر الرجلين ثم اتوا بمنشار فنشروا اجسادهنّ من وسطها وعلّقوها على ستة عواميد ثلاثة في الجهة الواحدة من الطريق وثلاثة في الجهة الاخرى . ثم اتوا بالملكة لتمرّ في وسط تلك العواميد لانه قيل لها اذا فعلت ذلك شُفيت من مرضها . وتكلّلت القديسات في ٥ ايار سنة ٣٤١ وتذكارهنّ عند اللاتين في ٢٢ نيسان (١)

---

(١) السمعاني 1 : ١٨٨

ميليس اسقف شوشان وابورسام الكاهن وسيناي الشماس

وفي تلك السنة عينها استشهد ميليس اسقف شوشان وابورسام القسيس وسيناي الشماس . وقد سبق الكلام عن ميليس انهُ كان من ارض رازيق وانه حضر سنة ٣١٧ في المجمع المعقود ضد پاپا . وقال عنه كاتب قصته انهُ صنع معجزات كثيرة باهرة واذ كان لا يزال يُنصِّر المجوس قُبض عليه بامر هرمزد كُرِيز حاكم مدينة مهلدكرد في ارض رازيق ومعه تلميذاه ابورسام القسيس وسيناي الشماس . واذ لم يقدر الحاكم ان يزعزعهم عن عزمهم الثابت امر بالقائهم في السجن وبقوا سنة كاملة . غير انهُ اخرجهم مرتين وانزل بهم النكال بتباريح العذاب . واخيرًا قُتِل ما ميليس بحد السيف وابورسام وسيناي قُتلا رجماً . وكان استشهادهم في ١٣ تشرين الثاني . وتذكارهم عند اللاتين في ٢٢ نيسان . وعند اليونان في ١٠ تشرين الثاني وعند القبط في ٢٨ بارمودا (١) . وعند الارمن في ١٢ تشرين الثاني (٢) . وعند السريان في ١٣ منه

٦ برشبيا رئيس الدير ورهبانه

وفي ١٧ حزيران من السنة التابعة تكلل برشبيا رئيس دير بالقرب من رازيق فانهُ وُشي به الى حاكم مدينة اصطهار انهُ يفسد عقول الناس ويبطّل علم المجوس فقُبض عليه وعلى رهبانه العشرة وكُسّرت بالمطارق ركبهم وسيقانهم واجنابهم . ثم ساقوهم الى خارج المدينة ليُقتلوا . وحدث انهُ اجتاز بالقرب منهم واحد من المجوس فعاين لساناً نارياً شبه الصليب مستقرّاً على اجساد القديسين فاستبدل ثيابه بثياب خادمه واقبل الى برشبيا وقص عليه الرؤيا وطلب اليه ان يعدّه كواحد من تلاميذه ويعرضه الى القتل . فاجاب القديس طلبته وصاروا اثني عشر شهيداً . وذهب المجوس برؤوسهم الى المدينة وعلّقوها في هيكل أناهيذ تخويفاً للنصارى . واماً

---

(١) السمعاني ٤ : ١٢ — ١٣   (٢) كذلك ﺣ : ٤ : ٦٤٨

اجسادهم فصارت مأكلاً للوحوش الضارية والطيور الكاسرة . واتى ذكرهم في الكلندار الروماني في ١١ كانون الاول

٧ً دانيال الكاهن ووردة الراهبة

بعد مرور سنتين على استشهاد مار ميليس تكلّل في ارض رازيق دانيال الكاهن ووردة الراهبة ونكّل بهما المجوس مدة ثلاثة اشهر . فزّقوا بالمثقب جميع مفاصلهما وربطوهما على الجليد مدة خمسة ايام ثم قطعوا رأسيهما في ٢٥ شباط

٨ً مار شاهدوست (١) الجاثليق (٣٤١ — ٣٤٣) ورفقاؤه الشهداء المائة والثانية والعشرون

ان شاهدوست (٢) كان ارخدياقون مار شمعون برصباعي الجاثليق وأصله من بيت كرماي وقيل من شوشان وبعد مرور ثلاثة اشهر على قتل رئيسه انتُخب جاثليقاً مكانه . وبعد مرور سنتين لانتخابه رأى في الرؤيا سلّماً من نور قائمة على الارض وراسها يصل الى السماء . واذا بمار شمعون برصباعي واقف عليها بمجد لا يوصف وهو يدعوه قائلاً : « اصعد اليّ يا شاهدوست ولا تخف . فاني البارحة صعدتُ وانت اليوم تصعد » وفي السنة الثانية من الاضطهاد اذ كان شابور الملك في المدائن بلغه خبر شاهدوست فقبض عليه وعلى كثير من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات يبلغ عددهم ١٢٨ شخصاً وبعد ان مكثوا خمسة اشهر في السجن قُتلوا في ساليق في ٢٠ شباط . اما مار شاهدوست فسيق الى لاياط وهناك قُطع راسه . وتذكاره عند اللاتين والسريان في ٢٠ شباط وعند اليونان في ٢٠ اذار و١٩ تشرين الاول (٣) وعند الكلدان في الجمعة الاولى من اسابيع ايليا

---

(١) معناه صديق الملك اما سليمان مطران البصرة في كتاب النحلة فيكتبه إيشوعدوست اي صديق يسوع

(٢) بيجان ٢ : ٢٧٦ ٢٨١ . وماري ١٩ — ٢٠ . وعمرو ١٩ . وابن العبري ٣ : ٣٧ . والتاريخ السعردي ٩٩ — ١٠١ . واشهر شهداء المشرق ٢ : ٢٦٨ — ٢٧١

(٣) السمعاني ٤ : ١٨٨

٩ً الشهداء المائة والعشرون

ومار برباعشمين الجاثليق (٣٤٣ — ٣٤٦) ورفاقه الشهداء الستة عشر

وبعد قتل شاهدوست انتُخب مكانه برباعشمين ܒܪܒܥܫܡܝܢ ومعناه ابن رب السموات وهو ابن اخت شمعون برصباعي واصله من بيت كرماي وأُسيم خفيةً في منزل بعض المؤمنين . وهو ايضاً اسام خفيةً اساقفة وكهنة الى النواحي وكان يشير اليهم ان يتزيّوا بزي العلمانيين لاخفاء حالهم

فلمّا كانت السنة ٣٤٤ في تشرين الاول اذ كان شابور في ساليق قُبض بامر على الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات الذين في المدائن ونواحيها وبلغ عددهم ١٢٠ شخصاً . وبعد ان حُبسوا ستة اشهر أُخذت رؤوسهم بحد السيف في ٦ نيسان سنة ٣٤٥ . وفي مدة حبسهم قامت بكل حاجاتهم امرأة شريفة فاضلة من اربيل اسمها يازدَنْدُوختي وفي اليوم السابق لقتلهم أعدّت لهم عشاء فاخرًا وتولّت هي نفسها خدمتهم ثم غسلت ارجلهم وبدّلت كسوتهم وألبستهم جميعاً حلّةً بيضاء . ولما أُخرجوا الى القتل وقفت على باب الحبس وجعلت تقبل يدَي ورجلَي كل من كان يخرج منهم . وبعد قتلهم استأجرت ليلًا لحمل كل جثة فاعلَين . وهيّأت ثياباً من كتّان لدفنهم فذهبوا بالجثث الى مكان بعيد من المدينة ولخوفهم من المجوس استعجلوا في دفنهم خمسةً خمسةً

ولمّا كان هؤلاء الشهداء المذكورون في الحبس قُبض ايضاً على برباعشمين الجاثليق وعلى ستة عشر من كهنتهِ وشمامسته ورهبانه . وكبّلوا قاطبةً بالحديد وألقوا في السجن حيث بقوا من شهر شباط سنة ٣٤٥ الى كانون الثاني سنة ٣٤٦ . وفيها ارسل الملك شابور من ليدان يستدعيهم ليحملهم على نبذ ديانتهم . ولما مثل برباعشمين بين يدي الملك اتوه باناء من ذهب وفيه الف قطعة ذهبية ووعده شابور ان يكرمه الكرامة كلها اذا اطاعه وسجد للشمس . ولما رفض طلبته امر ان يُؤخذ هو ورفاقه بحد السيف . وكان ذلك في ٩ كانون الثاني واشتد حينئذٍ الاضطهاد اكثر ما يكون وتكاثر القتلى في كل مكان ولم يقدر احد ان يعرف

اسماء الشهداء ليكتبها . وتذكار برباعشمين عند الكلدان في الجمعة الاولى من اسابيع ايليا

١٠ الاربعون شهيدًا

في سنة ٣٧٦ تكلّل في ارض بابل اربعون شهيدًا وهذه اسماؤهم : مار عبدا ومار عبديشوع الاسقفان . وعبدألاها وشمعون وابراهام وأبا وإيهبيل ويوسف وعَنّي وعبديشوع وعبدألاها ويوحنان وعبديشوع وماري وبرحدبشبًا ورازيقايا وعبدألاها وعبديشوع الكهنة . وإليهاب وعبديشوع وعنّي ومارياب وماري وعبدا وبرحدبشبًا وشمعون وماري الشمامسة . وپاپا وأُولاش وعبديشوع وپقيدا وشموئيل وعبديشوع الرهبان . ومريم وطيطا وإمّا وأدراني وماما ومريم ومارِاح الراهبات . وهاك خلاصة اعمالهم

كان مار عبديشوع اسقفًا في قرى كشكر وكان قاطنًا معهُ واحد من اولاد اخيهِ علق في شبكة الخطيَّة فحرمه الاسقف القديس . فلكي يأخذ هذا الشقي بثاره من عمه انطلق عند الملك في بيت لاپاط وسعى بهِ عنده انه يقبل في داره جواسيس الروم ويكتب لقيصر كل ما يجري في مملكة الفرس . فقُبض على مار عبديشوع وعلى عبدألاها الكاهن وسيقا الى بيت لاپاط قدام ارداشير اخي الملك فامر بجلدهما . ومن شدَّة الجلد انحلّت اعضاؤهما وتكسّرت اضلاعهما فوقعا على الارض مغشياً عليهما فحملوهما واودعوهما سجناً ضيّقاً . ثم قُبض على مار عبدا اسقف كشكر وعلى شمعون وإليهاب وپاپا ورفاقهم الكهنة والشمامسة والرهبان وكانوا جميعا ثمانية وعشرين . ومُسكت ايضاً مريم ورفيقاتها الراهبات الستّ وسيقوا قاطبةً الى ليدان حيث كان شابور وضُرب كل واحد منهم مائة سوط ثم ساقوا مار عبدا ورفاقه الثمانية والعشرين الى خارج المدينة وهناك ذبحوهم واحدًا فواحدًا كما تذبح الخراف وذلك في ١٥ ايار . وقُتل ايضاً معهم اخوان شقيقان اسم احدهما برحدبشبًا والآخر شموئيل كانا قد لحقاهم ليعولاهم حبًّا بالله تعالى . وفي الغد ضُرب عنقا مار عبديشوع وعبدألاها . واما الراهبات السبع فأُرسلنَ الى بيت لاپاط ليقتلنَ

هناك تخويفاً للنصارى ولمّا أبين التزوج والسجود للشمس أُخرجنَ الى ظاهر المدينة وهناك قُطعت رؤوسهنّ

١١ بدما رئيس الدير

وفي نهاية تلك السنة عينها قُبض على بدمـــا رئيس الدير وهو من بيت لاپاط وكان ابواه مجوسيَّين وشريفي الاصل واعتنق هو الديانة المسيحيـــة ووزّع جميع امواله على الفقراء وشيّد لهُ ديراً خارج المدينة فاجتمع اليهِ بعض الرهبان . وبلغ صيتُه الى شابور الملك فأُلقي القبض عليهِ وعلى سبعة من تلاميذه الرهبان ومكثوا في الحبس اربعة اشهر واذيقوا امرّ العذابات . وقُتل مار بدما في ١٠ نيسان سنة ٣٧٧ والذي قتله رجل نصراني رئيس مدينة ماحوز أريون في بيت كُرماي اسمه نرسا كان قد حُبس لانهُ لم يُرد ان يسجد للشمس . فقالوا لهُ انّهُ اذا قتل بدما يطلقون سبيله ففعل . واما تلاميذ بدما السبعة فمكثوا في السجن نحو اربع سنين اعني الى وفاة شابور الملك . وحينئذٍ رُدّت اليهم حريّتهم وأطلقوا . وتذكار بدما عند اللاتين في ٨ نيسان وعند اليونان في ٩ منهُ

١٢ عدّة شهداء آخرين

ومن الذين تكلّلوا ايضاً في ارض بابل والاهواز والبلاد المجاورة وأتت اسماؤهم في جدول سنة ٤١٢ (١) عبدا اسقف پراث ميشان (٢) وبولس اسقف كشكر (٣) وهرمزد اسقف حولوان . ولونكين كاهن مشكاني . وشيـــلا وبرحدبشبّا وتيري وشيلا وعبديشوع كهنة ماحوز بيت أرمايي (٤) . واندراوس وعبد زكيا ويوسف وابراهام واندراوس وابراهام وبرحدبشبّا ونقيب اذنا وشمعون ويوحنان كهنة الاهواز (٥) . ويعقوب وأدي ونوخرايا وشطارا وابراهام واسحق

---

(١) طبعة ريت
(٢) الظاهر انهُ كان خلف بوليداع الذي استشهد مع مار شمعون برصباعي
(٣) الظاهر انه كان اسقف كشكر قبل مار عبدا الذي تكلّل سنة ٣٧٦
(٤) يظهر ان هؤلاء الكهنة هم الذين تكلّلوا مع مار شاهدوست
(٥) لعلّ هؤلاء الكهنة تكلّلوا مع مار شمعون برصبّاعي

وصريبا وماري كهنة ساليق (١) . ويابسين شماس درياشدر (ريواردشير) . وران ومديان شماسا مشكاني . ومكتوب ايضاً اسم عشرين شماساً آخرين لم يقل عنهم الجدول من اي بلدة كانوا ولعلهم هم الذين تكللوا مع شمعون برصباعي او مع شاهدوست او مع برباعشمين الجثالقة وهم : عبديشوع واسحق وماري واسحق وعبديشوع ويعقوب وعبديشوع ودداق وكسرو وماريا وملكي ويوحنان وعبدا ونقيب اذنا ومالا وعبديشوع وامريا وأدّي وهبلاها وساساي

٤ شهداء بيت كرماي وحدياب

ممّا سبق يظهر جليًّا انّ الاضطهاد في بدايته اشتدّ خاصةً في كلدو اي في ارض بابل والاهواز اعني في المدن وفي اطراف المدن التي كان الملك يقيم فيها . ومنذ سنة ٣٤٣ بدأ يشتد ايضاً في ولايتي بيت كرماي وحدياب فانّ شابور وُجد هناك لمحاربة الروم (٢) . وكان اخوه ارداشير متولّياً على الجنود التي هناك (٣) فقُتل في هتين الولايتين ايضاً عدد لا يحصى من المسيحيين . والذين بلغت الينا اسماؤهم هم الآتي ذكرهم

١ً مار نرسا اسقف شهرقرد ويوسف تلميذه

في سنة ٣٤٤ اذ كان شابور الملك في مدينة شهرقرد قُبض على نرسا اسقف المدينة وتلميذه يوسف وكان الاسقف قد اهدف للثمانين . ولما أُخرجا الى القتل تبعهما جم غفير ليتفرّجوا . ولما بلغا الى المكان المعيّن رفع مار نرسا بصره ناظرًا الى الجمع الكثير . فقال لهُ يوسف تلميذه : على م تنظر الى الجمع ايها الشيخ الوقور ها ان الجمع ينظرك لكي تطلقه في حال سبيله وتذهب انت في حال سبيلك . فدنا القديس الى تلميذه وقبّلهُ وقال : طوبى لك يا يوسف النقي فانك لم تتشبّث

---

(١) الظاهر ان هؤلاء الكهنة هم الذين استشهدوا مع برباعشمين

(٢) التاريخ الكنائسي لسوزومين ك ٢ : ١٢

(٣) بيجان ك ٢ : ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٣٣٣

بجبائل العالم بل دخلت بفرح باب الملكوت الضيّق . قال هذا ودنا السيّاف وقطع اولًا راس يوسف ثم راس مار ئرسا وكان ذلك في ١٠ تشرين الثاني . وتذكاره عند اليونان في ٢٠ منه

٢ً عدّة شهداء بيت كرماي

والظاهر انهُ في تلك المدة ايضاً اي في سنة ٣٤٣ او في السنين التابعة تكلّل اغلب شهداء بيت كرماي المطبوع جدولهم في المجلد الثاني من اعمال القديسين والشهداء . وقد سبق الكلام عن بعض منهم (١) . واما الأُخر فهم: مار اسحق كاهن قرية حولاسار رُجم بالحجارة في كرخ سلوخ بامر الحاكم . ومار بابا كاهن قرية حلمين قُتل في قرية كلال بامر ارداشير ملك حدياب . ومار أوهنام الفتى الراهب رُجم في قرية كنزاك بامر ارداشير ايضاً وكان من كرخ سلوخ . وساسان وزرون ونوح وطيما اصلهم من لاشوم وكانوا علمانيين وسيقوا الى الاهواز حيث اذيقوا كاس المنون بامر شابور الملك . وباعوثا وهي من اشرف نساء كرخ سلوخ وتقلا وداناق من كرخ سلوخ ايضاً وقد قُتلنَ بامر آذركوشنَسب الحاكم . وأبيات وحاتا ومزكيا من كرخ سلوخ ايضاً وقُتلنَ بامر شابور الملك عند وجوده في المدينة . وكوشتازاد الحاجب كان من كرخ سلوخ وعلى باب ارداشير ملك حدياب فوشي بهِ انهُ نصراني وطُرح في السجن وكان محبوساً معهُ وارتلران كاهن قرية سلوقانا فهذا لدى مشاهدته العذاب طار قلبه شعاعاً فزاغ عن ايمانه . فامره ارداشير ان يقتل هو كوشتازاد فجسر وفعل ذلك

واتى ايضاً اسماء بعض الشهداء من بيت كرماي في جدول سنة ٤١٢ وهم : بيبا وماري وشمعون وابا واسحاق كهنة قرية حولاسار وابراهام وبطرس وپمباق وسوساي وساسان وبارس الكهنة

٣ً مار يوحنان اسقف اربيل ويعقوب الكاهن

ان هذين القديسين تكلّلا في غرّة تشرين الثاني سنة ٣٤٤ وكان يوحنان قد

---

(١) انظر ص ٦٢ — ٦٣

خلف شريعا على كرسي اربيل سنة ٣١٦ . ولُقّب بابن مريم لانهُ كان يحب مريم البتول ويتعبّد لها كثيراً . وقاسى عذابات كثيرة من المجوس حتى انهُ اضطرّ واستخفى في الجبال . ولما كانت السنة ٣٢٩ حضر في انتخاب شمعون برصباعي وبعد ان بقي سنتين في المدائن انطلق الى الاهواز لتدبير امور الكنيسة . وكان هناك لما ابرز شابور امره باضطهاد المسيحيين . فهرب واتى الى اربيل . وكان حينئذٍ موهپاطاً على حدياب ياعراسپ وكان شفوقاً ولم يُقتَل في ايامه سوى بعض انفار . ولكن لما مات وتعيَّن مكانه بيروزطمشابور اشتدّ الاضطهاد . فأُلقي القبض على يوحنان الاسقف ويعقوب القسيس الملقب بطنّانا (ܒܛܢܢܐ) اي الغيور . وقُتل عدد غفير من المسيحيين منهم نوساي الكاهن وحنّنيا ورحيا الشماسان . واما يوحنان ويعقوب فبعد ان حُبسا سنة كاملة ساقهما بيروزطمشابور الى بيت لاپاط عند الملك وهناك قُطع راساهما بالسيف(١) . وتذكار يوحنان عند اللاتين والكلدان في ١ تشرين الثاني

٤ً ابراهام اسقف اربيل

ولما كان يوحنان محبوساً اجتمع نصارى اربيل وانتخبوا خفيةً مار ابراهام ليدبّر مكانه شؤونهم الروحية فاتصل الخبر بالمجوس وارادوا قتله . وفي تلك الاثناء عزل شابور الملك الموهپاط بيروزطمشابور وعيَن عوضه موهپاطاً آخر اشدّ قساوةً يقال له آذوريره فهرب ابراهام واختفى في قرية تلنياحا . لكنه قُبض عليهِ وأُخذ راسه بالسيف في ٥ شباط سنة ٣٤٥ وفيهِ يعيّد لهُ الكلدان . وخلفه ماران زخا ودبّر الكرسي الى سنة ٣٧٤ ولم يزل ينتقل من قرية الى قرية ومن جبل الى جبل خوفاً من القتل

٥ً حنَنيا الاربيلي

وفي ١٢ كانون (الثاني ؟) سنة ٣٤٦ استشهد مار حننيا وكان علمانياً من مدينة

(١) مشيحا زخا يقول انهما صُلِبا

اربيل · وقُبض عليهِ بامر آذورشاغ الموهپاط فأُذيق ضروب العذابات وجُلد ثلاث مرات بالمطارق حتى ان جميع اعضائه انحلّت وكل عظام جانبَيه وساقيه وذراعيه تكسَّرت ولما أُغمي عليه ظنَّ المجوس انه مات فأمسكوا عن ضربه وسحبوه وطرحوه في السوق · فاتى النصارى واخذوه خفيةً وذهبوا بهِ الى بيته · فزاره الاسقف (ماران زخا) وكثير من المسيحيين · وبينما كانوا محتاطين بفراشه فتح عينيه وبدأ يخاطبهم عن المجد السماوي ثم أسلم الروح · وتذكاره عند الكلدان في ١٢ كانون الاول وعند اللاتين في ١ منه

٦ً يعقوب الكاهن واخته مريم

وفي ١٧ ايار سنة ٣٤٧ استشهد يعقوب كاهن قرية تلّا شليلا من اعمال حدياب مع اخته مريم الراهبة عن يد نرسا طمشابور الذي انزل بهما النكال وضربهما مرارًا بالعصي · اخيرًا امر واحدًا من اشراف النصارى اسمه مهداد ان يقطع راسيهما بالسيف · فاذعن لامره مداهنةً لهُ واستشهدا في تل دارا على ساحل الزاب الكبير

٧ً القديسة تقلا ورفيقاتها الراهبات

وفي ذلك الزمان عينه أُلقي القبض بامر نرسا طمشابور على خمس راهبات من قرية بكشاز وهنَّ : تقلا ومريم ومارتا ومريم وإمّا · واتوا بهنَّ الى حزة · ولما رفضنَ التزوّج والسجود للشمس ضربوهنَّ بالعصي ثم حُكم عليهنَّ بالموت · وكان محبوساً معهنَّ پولا كاهن قريتهنَّ · غير انهُ نبذ ديانتهُ حبًا باموال الدنيا لانهُ كان ذا ثروة جزيلة · ولما رأى الموهپاط انهُ لم يعُد عليه حجّة ليقتلهُ ويضبط اموالهُ امره ان يقتل الراهبات بيده ظنًا منهُ انهُ لا يفعل ذلك · غير انَّ حبَّ المال كان قد اعمى پولا فاخذ سيفاً وقطع اعناق القديسات · فلما رأى الموهپاط ذلك منه ارسل ليلًا وقتلهُ خفيةً وضبط اموالهُ كلها · وكان استشهاد القديسات في ٦ حزيران سنة ٣٤٧ وفيه يُعيّد لهنَّ الكلدان

٨ً برحدبشبا الشماس

وفي ٢٠ تموز سنة ٣٥٥ قُبض بامر شابور طمشابور موهپاط حدياب على

برحدبشبا شماس مدينـــة اربيل وانزل بهِ هذا الظالم النكال بتباريح العذاب · ثم امر بقطع راسه فسيق الى خارج قرية حزة وربُط على تلّ هناك وكان محبوساً معه جل رحسيب من نصارى قرية تحل في بيت كرماي يقال لهُ عكّاي· فوعد الموهپاط بتسريحهِ اذا قتل برحدبشبا بيده · فاذعن لهُ واخذ سيفاً وهجم على القديس واذ ضرب رقبته سبع مرات ولم يقدر ان يقطع رأسهُ من خوفهِ وارتعاده ألقى من يده السيف المخضَّب بالدم· فغضب عليهِ المجوس وتهدَّدوه· فاخذ ثانيةً السيف وطعن بهِ قلب القديس فمات من ساعتهِ · وللحال انتفخت ذراع عكّاي اليمنى ومات اشنع ميتة·وترك المجوس حارسَين على جثة الشهيد· فاقبل اثنان من الرهبان ليلًا وربطاهما واغتصبا الجثة ودفناها في محل لائق · وتذكاره عند الكلدان في ٢٠ تموز وعنـــد اللاتين في ٢١ منه

٩ إيثالاها وحپساي الشماس

وفي ١٦ كانون (الثاني ؟) سنة ٣٥٦ تكلّل إيثالاها وحپساي الشماس · كان ايثالاها حبر شريـيل إلهة اربيل وكان بهِ مرض لم يقبل الشفاء قد اضرَّ بهِ مدة سنين عديدة فاشار عليهِ احد المسيحيين ان يلتجئ الى ماران زخا الاسقف فقصده وشُفي من علتهِ · وبعد ايام قليلة عُرِف امره واراد المجوس قتلهُ فهرّبه النصارى الى مدينة شهرقرد عند حبيبا الاسقف (١) ثم هرب من هناك الى مدينة ماحوز اريون·وهناك تعمّد ورجع الى اربيل · وسُعي به عند شابور طمشابور فأُلقي عليهِ القبض وأُرسل الى حزة · وحدث انهُ في تلك الساعة كان برحدبشبا قد قُضي عليهِ وقُطع راسهُ فذهبوا بايثالاها الى نطع الدم حتى اذا ما رأى برحدبشبا مخضباً بدمائهِ يخاف من الموت فيكفر بديانتهِ الجديدة · اما هو فوقع على الجثة المباركة وصار يقبلها ويأخذ من دمها ويدهن بهِ جسمه · فلمّا رأى المجوس ذلك منهُ غضبوا جدًّا واجبروا احد النصارى الجاحدين على قطع اذنه اليمنى· وفي تلك الاثناء قُبض ايضاً على حپساي شماس قرية ماثا عربايا وحُبس مع ايثالاهـــا · ثم ساقوا هذين القدّيسين الى بيت لاپاط وأُوقفا بين يدَي الملك فأمر بقطع رأسيهما

(١) الظاهر ان حبيبا خليفة نرسا

١٠ يعقوب القسيس وازاد الشماس

في شهر ايلول سنة ٣٧٢ قُبض بامر كوركشيد الموهپاط على يعقوب كاهن قرية سپركاثا وازاد شماس بيت نكارا وحُبسا سبعة اشهر في اربيل وأُذيقا امرّ العذاب اذ عُرضا مرارًا الى الجلد وصُبّ في مناخرهما رماد ممزوج بالخلّ وأُلقيا على الجليد الليل كله عريانَين . ثم أُخذ راساهما بحدّ السيف ولم يمكن للنصارى اخذ جثّتيهما فذهبتا فريسةً للكلاب. وكان استشهادهما يوم جمعة الآلام في ١٤ نيسان سنة ٣٧٣

١١ عقبشما اسقف حانيثا ويوسف كاهن بيت كاتوبا وايث ألاها شماس بيت نوهدرا

وكان ختام الاضطهاد الاربعيني في حدياب باستشهاد مار عقبشما ومار يوسف ومار إيثألاها . كان عقبشما اسقفاً على حانيثا واسم قريته پقّعا وكان شيخاً وقورًا فاضلًا بهيّ المنظر شريف الاصل وقد ناهز الثمانين من العمر. ويوسف كان كاهناً لقرية بيت كاتوبا وقد قارب السبعين. واصل إيث ألاها الشماس من بيت نوهدرا وقد ناهز الستين من العمر وكان ذَلِقاً طاِقَ اللسان فقبضوا عليهم وأتوا بهم مكبلين بالسلاسل الى اربيل وقاسوا عذابات شديدة بامر آذركُوركشيد (١) الموهپاط فجُلد عقبشما ويوسف جلدًا شديدًا بقضبان مشوّكة . واماّ إيث ألاها فشدّوا يديهِ تحت ركبتَيهِ واتوا بخشبة غليظة ادخلوها بين فخذَيهِ تمرّ على ذراعيهِ ووقف عليها اثنا عشر رجلًا يمنةً ويسرةً حتى فككوا اضلاعه

ولماّ مرّ على حبسهم ثلاث سنين اتى شابور الملك الى ارض ماداي فذهب بهم الموهپاط عنده فارسلهم الى آذرشابور رئيس الموهپاطين وهذا امر ان يوثقوا ذراعَي عقبشما بحبال متينة وصار يسحبه خمسة عشر رجلًا من ذراعه اليمنى وخمسة عشر من ذراعه اليسرى وجلّاد يضربه بمطرقة على ظهره وآخر على صدره وبطنه حتى قضى نحبه وسحبوا جثته خارج المدينة وامروا بحراستها لكنّها سُرقت بعد مرور ثلاثة

---

(١) الظاهر ان آذركوركشيد هذا والمذكور قبلًا هما شخص واحد

ايام بهمّة ابنة ملك ارمنية اذ كانت اسيرة هناك . وتكلّل عقبشما في ١٠ تشرين الاول سنة ٣٧٨

امّا يوسف وايث ألاها فرجع بهما آذركور كشيد الى اربيل ليجبر النصارى على رجمهما. وكانت يازدندوخت التي مرّ الكلام عنها لا تزال تكرم الشهداء وتعولهم من اموالها فاحتالت واستدعتهما ليلًا الى دارها وضمدت جروحهما وقبّلت اياديهما المنحلّة وبقي القديسان في الحبس ستة اشهر الى ان عُيّن مكان آذركور كشيد موهباط آخر يُقال لهُ زرادوشت . وكان معهُ اوامر شديدة باجبار النصارى على رجم رؤسائهم فقبض على جمع كبير منهم وجبرهم على رجم يوسف وكان ذلك في اول جمعة الفنطقوسطي

امّا ايث ألاها فاستاقه شابور طمشابور المجوسي الى بيت نوهدرا الى قرية يقال لها دستكرد او رستكرد فأجبر رئيس البلد واشراف النصارى رجالًا ونساء على رجمه . واستشهد يوم الاربعاء من اسبوع الفنطقوسطي . ونبت في محل رجمه شجرة آس أصبحت ينبوع البركات لكنها في السنة الخامسة لظهورها قُلعت حسدًا وبنى النصارى فيا بعد هناك ديرًا جليلًا (١)

وتذكار مار عقبشما ورفيقيه عند اللاتين في ٢٢ نيسان وعند اليونان في ٣ تشرين الثاني (٢) وعند السريان في ٣ ايلول

ج الشهداء الكيلانيّون والمسبيّون

ان البلاد التي في حدود مملكتَي الروم والفرس صار فيها ايضاً اضطهاد شديد فانّ شابور في غاراته المتعدّدة على تلك البلاد قتل فيها خلقاً كثيرًا من النصارى . وقد مرّ بك انهُ في سنة ٣٣٨ حاصر نصيبين ثم شدّ عليها الحصار ثانية سنة ٣٤٦ . ولما كانت السنة ٣٥١ حمل على ما بين النهرين وذهب الى ابواب انطاكية (٣) ولما انتهى الى ساحل الفرات قتل ثمانية عشر من اجناده الكيلانيّين اذ عرف انهم نصارى

---

(١) كتاب العفة ههـ (٢) السمعاني 2 : ١٩٤

(٣) لابور ٧٨ ح ٢

والمعروفة اسماؤهم هم بريخيشوع وعبديشوع وشابور وسَنطروق وهرمزد وهاذَرْشابور وهَلِبيد وإيث ألاها ومَقيم . وكان ايضاً بصحبتهم امرأتان : يَوبي وهَلمدُور واولادها . وتكلّل هؤلاء القديسون سنة ٣٥١ يوم الخميس في ١٢ نيسان (١)

ثم ان شابور حمل ثالثةً على نصيبين سنة ٣٦٠ واذ لم يقدر ان يفتتحها حمل على سنجار وبيت زبداي وآمد . وبعد مرور سنتين اي سنة ٣٦٢ نشر عليهِ لواء العصيان سكان قسطرا بيت زبداي فاغار عليها ثانيةً وافتتحها واجلى منها رجالًا ونساء نحو ٩٠٠٠ نفس وتوجه بهم الى ارض الاهواز . وكان فيما بينهم هليودوروس الاسقف ودوسا ويَهب القسيسان وجم كثير من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات . وتوفي هليودوروس على الطريق في موضع يقال لهُ دَسقارتا . وقبل وفاته وضع يده على دوسا ورسمهُ اسقفاً (٢) وسلّم اليهِ المذبح الذي معهُ . وكان المسبيّون يجتمعون في سفرهم اجواقاً اجواقاً ويرتلون المزامير فامتعض منهم المجوس ولما بلغوا بهم الى دورساخ في ارض الراديّين صعدوا بثلاثمائة نفس منهم الى جبل مسبذان وكان فيما بينهم مار دوسا الاسقف ومار يهب فقتلوا منهم ٢٧٥ نفراً . وأما الأُخر وكانوا ٢٥ شخصاً فخوفاً من الموت سجدوا للشمس واقاموا في القرى التي هناك . وان واحداً من المجروحين اسمهُ عبديشوع لم يمت من جرحهِ لانهُ كان خفيفاً فدفن الشهداء وبدأ ينذر بكلام الله فقبض عليهِ رئيس القرية وقتله . ثم انّ احد رؤساء الاديرة شيَّد في ذلك البلد هيكلًا حسناً ونقل اليه عظام الشهداء

وتذكار هليودوروس ودَوْسا ورفقائهما عند اللاتين في ٢٢ نيسان وعند اليونان في ٩ منه (٣)

---

(١) في كتاب اشهر شهداء المشرق ٣٤٥ : ٣٤٠ — ٣٤٨ غلطاً قيل انهم استشهدوا سنة ٣٦٣

(٢) ان هليودوروس ودوسا في سفر الاحياء والاموات مذكوران بين اساقفة ثمانون

(٣) السمعاني ٤ : ١٩٢

٥ الشهداء المشبوه بهم

ما عدا قصص الشهداء التي كتبها ماروثا او غيره من المؤرخين الموثوق بهم يوجد حكايات اخرى كثيرة قد طبعها على علّاتها الاب بيجان في المجلد الثاني والرابع من اعمال القديسين والشهداء . وهي حكاية دُوختانشاه وحكاية فنحاس ودادو وقرداغ وكُوبدلاها واخته قازو وآذرپروا واختهِ ماهدوخت وبهنام واخته سارة وباسوس واخته سوسان وحكاية سابا الفتى . لكن هيهات ان يكون لهذه الحكايات ما للقصص التي كتبها ماروثا من الصحة والثقة فانّ كاتبيها يطلقون العنان لخيالاتهم بحيث ان الحقيقة تستتر مرارًا تحت ظلام تلك السحابة الخيالية

١ً دوختانشاه بنت ملك الاهواز

دوختانشاه ومعناه «بنت الملك» كانت ابنة ملك الاهواز (١) وحيدةً لهُ . فذات يوم اذ كان ابوها يقتل النصارى وكانت هي جالسة في القصر وامامها الماشطة تضفر ذوائبها نظرت واذا ارواح المسيحيين تطير الى السماء على هيئة قناديل نيّرة فوقع ذلك في قلبها وللحال نزلت من القصر وتنكّرت وانضمّت الى المحكوم عليهم واستشهدت معهم . ولمّا بحثوا عنها وجدوا رأسها مقطوعاً ومرمياً بين رؤوس الشهداء فاخبرتهم الماشطة بالحكاية على وجهها . وكان استشهادها سنة ٣٤١

٢ً فنحاس الشهيد

اصل فنحاس من مدينة تنّيس في مصر وكان كريم النسب وتخرّج في علم الفلسفة . ولما بلغ السنة العشرين من عمره ترك وطنه واتى الشرق فتتلمذ لمار اوجين ثم ترك جبل إيزلا وقصد بلاد قردو وسكن في جبل يقال لهُ حُوَارا . وبعد ان بقي فيهِ ثلاثين سنة سُعي بهِ لدى سيمون حاكم مدينة فنك وكان من آل شابور الملك فامر الحاكم بالقبض على فنحاس . وجمعوا عليهِ حطباً ليحرقوه غير ان النار لم

---

(١) عمرو ١٨ — ١٩ ومكيحا الجاثليق في السمعاني [illegible] : ٤ : ٥٥٣ . ومختصر في العقائد النصرانية لمار ايليا الثاني البطريرك : الباب ١٦ (مخطوط)

تؤثّر فيهِ . ثم علّقوه منكّس الراس على الجلمود . فتساقطت عليهِ السهام والحجارة كالمطر ثمّ قطّعوه ارباً ارباً . وكان استشهاده في ٢٨ نيسان.وقيـل ان بعضاً من اعضائهِ وُزّعت بواسطة الملائكة على سبعة اديرة . وأُخذ ايضاً عضو منها الى قرية آزياخ ووضع في هيكل بُني على اسمه . ثم صار ذلك الهيكل ديرًا للراهبـات وعُرف بدير مار فنحاس

٣َ دادو الشهيد

ان دادو كان في اوّل امره وثنيًّا ثم تنصر فوشي بهِ لدى شابور الملك وامر بالقاء القبض عليه . فلما مثل بين يديه ولم يرتخِ عزمه امر بجلده وتمزيق لحمانه . وللحال قبض عليهِ جلّاد فيبست يداه وبادر آخر فاصابهُ ما اصاب الاول . فطلب القديس الى الله ان يمكّنهم من جسده . فمزّقوا لحمانـه باظفار حديدية . ووضعوا على جروحه ملحاً ممزوجاً بالخلّ . ثم امر شابور بطرحه في ماء ملحة مغليّة ولكن حالما غُطّس فيها انطفأت النار وبردت الماء واستحالت الى طلّ سماوي . فامر الملك ثانيةً باضرام النار واعلاء الماء اشدّ من الاوّل لكنّ النار انطفأت ايضاً . فصلّى دادو ملتمسا الى الله ان يمكّن اعداءه من قتله . فاغلوا الماء ثالثةً والقوا القديس في الحلقين فلم يلبث ان انشقّ الى شطرين وقال كاتب هذه القصة : فاتيت انا يوحنان الضابط وابكرهان القائد وجمعنا ما فضل من عظامه ووضعناها خفيـةً في مكان لائق في قرية ثمانون حيث تكلّل الشهيد

٤َ قرداغ الشهيد

ان قرداغ تكلّل سنة ٣٥٩ في الجمعة السابعة من اسابيع القيظ . وقال عنهُ كاتب حكايتهِ ان اباه يدعى كوشناوي وهو من سلالة نمرود الجبار وامّـهُ من سلالة سنحاريب الملك وكانا مجوسيّين وكان قرداغ بهيّ المنظر قويّ البدن شديد البأس ماهرًا في القتال . واتصل خبره بشابور الملك فجعلهُ وزيرًا لاثور ومرزباناً من نهر ديالة الى مدينة نصيبين . وخافهُ النصارى لانهُ كان متمسكاً بالمجوسية تمسكاً شديدًا . ثم انار الله عقلهُ وتنصر على يد مار عبديشوع الناسك الذي كان يسكن

جبال بغاش . وتعلّم المزامير عن يد لسحق الراهب واذ كان يوماً في الجبل عند معلّمه عبديشوع هجم العرب والروم على حدياب وبيت كرماي ونهبوا وسبوا وكان بين المسبيّين ابو قرداغ وامه وامرأته وجميع اهل داره . فتبعهم القديس وصادف الاعداء على ساحل خابور فهجم عليهم واثخن فيهم الجراح وعاد غانماً منصوراً . واستأصل جميع معابد النار وبنى مكانها هياكل للرب . فأخبر شابور بذلك فكتب الى كوشنازداد ودينكوشناسب وكانا حاكمَين في البلاد المتسلّط عليها قرداغ كي يرجّعاه الى ديانة المجوس . فتحصّن قرداغ في قصره وحمل عليهِ بورزمهير القائد . وحاصر القصر لكنهُ لم يستفد شيئاً . اخيراً خرج قرداغ من تلقاء نفسه من قصره المنيع وقتلوه مرجوماً بالحجارة . وللحال فاحت رائحة ذكيّة في محل رجمه . ولما جَنّ الليل اتى بعض النصارى وخطفوا جثته ودفنوها باكرام

ان المستشرقين (١) يرون في قرداغ اميراً او قائداً حديابياً نصرانياً رفع لواء العصيان على شابور الملك بغية الاستقلال واستوثق لهُ الامر في حدياب وما يجاورها لكنهُ غُلِب اخيراً وقُتل . ومما يستحق الاعتبار ان مشيحازخا لم يذكر قرداغ في تواريخهِ بل ذكر مرزباناً آخر اسمهُ كوپراشنَسْب شابهت حركاته العصيانية حركات قرداغ . فانهُ خلع طاعة بهرام الثالث (٢٧٦ — ٢٩٣) وشيَّد لهُ قصراً منيعاً في الجبل وتحصّن فيهِ الى ان احتالوا وقبضوا عليهِ . فاستنتج من ذلك القس منكنا ان قرداغ هو كوپراشنَسْب نفسه وقوله هذا مظنّة لا غير . فان مشيحا زخا لم يذكر الّا بعض الشهداء من الاكليريكيّين واما العلمانيون فسكت عنهم على الاطلاق واستكفى بقولهِ : ان الذين قُتلوا في حدياب على عهد شابور الملك كثيرون لا يُحصى عددهم

٥ كوبدلاها (٢) وآذرپَروا وبهنام وباسوس وسابا الشهداء

ان حكايات هؤلاء الشهداء مشبوهة اكثر من غيرها . وقبل ان نحكم بصدقها او كذبها نذكر خلاصتها نقلاً عن كتب بيجان :

---

(١) لابور ٤٩ حاشية ٣ . دوفال الآداب السريانية ١٣٨

(٢) ان هذا الاسم مكتوب تارةً كوبدلاها وتارةً كوبرلاها

ان كوبدلاها كان ابناً لشابور الملك ثم تنصّر على يد دادو احد اقاربهِ وكان دادو رئيس الجيش في بلاد ماداي . فامر الملك بقتله فقطِّع اربا اربا ونكّل بابنهِ كوبدلاها تنكيلًا شديدًا اذ جُلد مرارًا كثيرة بقساوة وحشيّة وأُخذ من جسمه قِدّتان من كعبيه الى راسه . وسُلخ جلد وجهه ودُقّت مسامير في جبهتِهِ وقُلِعت اظافير يدَيهِ ورجليه وقُلِعت اضراسه . وندّمر كوبرلاها وهو في الحبس احد المجوس اسمه كركامون فقُتل ونال اكليل الاستشهاد . ونصّر ايضاً اختهُ قازو وبعد عذابات طويلة قادحة تكلّل القديس مع اخته قازو في ٢٢ ايلول سنة ٣٣٢

اما آذربروا فكان ابن الملك بولار في ارض دورساس في بيت كرماي . ولهُ اخت اسمها ماهدوخت واخ يقال له ميهرنرسا . وكان بولار من نسل اريوخ الذي ذهب بصحبة كدرلاعومر لمقاتلة ملك سدوم في زمان ابراهيم الخليل . ولما ابرز شابور امرًا بقتل النصارى في السنة التاسعة من ملكه (٣١٧ م) قبض بولار الملك على الذين في ارضه وساقهم الى كرخ سلوخ . وذهب ايضاً باولاده الى هناك لكي يراهم موتمن شابور الملك وفي رجوعهم الى ارضهم وقع ميهرنرسا عن حصانه بقرب قرية احوان وانكسرت فخذه . لكنه شُفي باعجوبة صنعها مار عبدا اسقف حرباث كلال فتنصّر هو واخته واخوه وللحال خلفتهم روح الرب الى كهف كان بقرب القرية فطلبهم ابوهم ولم يجد لهم اثرًا . وذات يوم افلت حصانه وذهب عادياً الى الكهف فاكتشف ابوهم على امرهم . واذ لم يقدر ان يحملهم على الكفر بالنصرانية اخبر الملك بامرهم فحكم شابور عليهم بالقتل فاستشهدوا في ١٢ كانون الثاني سنة ٣١٨ وفيهِ يعيّد لهم الكلدان

وهاك حكاية بهنام واخته سارا . كان بهنام ابن سنحاريب ملك اثور ولـهُ اخت اسمها سارا وكان جسمها مضروباً بالبرص . واتفق ذات يوم ان بهنام خرج الى الصيد فاصاب ايلًا فسار في اثره الى لحف جبل الياب المسمّى اليوم مقلوب . فصادف في الجبل مار متى الناسك احد تلاميذ مار اوجين الذي كان قد هرب من اطراف آمد في اضطهاد يوليانوس الملك فتنصّر بهنام على يد متى . ثم اتاه باختهِ سارا فشفاها من برصها فاعتمدت هي ايضاً . فغضب ابوهما ونادى في المدينة بعيد لآلهتهِ رجاء ان يجبر ولدَيه على السجود لها . لكن القديسين هربا مع رفاقهما قاصدَين مغارة متّى

ليتزوّدا ببركتهِ قبل مماتهما . فأرسل سنحاريب جنداً فقتلوهما على الطريق مع جميع رفاقهما وذلك في ١٠ كانون الاول سنة ٣٥٢ وفيهِ يُعيّد لهما السريان . وبُني دير في محل قتل بهنام واخته وهو المعروف اليوم بدير مار بهنام

واما قصّة باسوس وسابا فمرتبطتان ارتباطاً وثيقاً وخلاصتهما انّهُ لما عُقِد الصلح بين يوڤيانوس ملك الروم وشابور ملك الفرس سنة ٣٦٣ وسُلمت نصيبين ليد الفرس اقام شابور زَمْيَسْب وآذوربرزكُرد عاملَين على بيت عربايي . وكانا اخوَين من قرابة الملك شابور . هذا ما ورد في قصة سابا (١) . واماً في حكاية باسوس فقد ذُكر انّ زميسب كان اخا شابور وحاكماً على نصيبين . وارسل من قبله عاملاً على بيت عربايي وبيت زبداي رجلاً يقال لهُ ابورزد (٢)

فلمّا كانت السنة ٦٧٤ لليونان (٣٦٣) وهي السنة ٥٣ لشابور الملك من بعد وفاة يوڤيانوس ملك الروم حمل شابور على تخوم الروم وحاصر قصر بيت زبداي وافتتحه وقتل فيهِ خلقاً كثيراً واجلى منهم الى ارض فارس نحو ٩٠٠٠ نفر (٣) . فذهب زميسب بكثير منهم الى ارضه فبنوا فيها قرية . ثم ان شابور امر اولئك النصارى ان يدينوا بدين المجوسية ولما ابوا امر بقتلهم جميعاً وأُلقيت جثثهم قدام قصر رجل من النصارى اسمه تاديق وهذا وجد واحداً من الشهداء اسمه إيث ألاها فيه رمق فعالجه وشُفي . وكان لزميسب ابن اسمه پيركوشْنَسْب فتنصّر هذا على يد خادمهِ انسطاس وسُمّي بالعماذ سابا . فسمع شابور الملك بتنصّره وامر بقتله . وارسل رجلاً من حاشيته اسمه ابورزد للوقوف على اجراء امره فعُذّب سابا عذاباً شديداً ودام عذابه ٤٩٠ يوماً . وقُتِل اخيراً مع خادمه انسطاس في ٦ آب ولهُ من العمر اثنتا عشرة سنة . وأُصيب قاتله كوبي بداء عضال وانتفخت ذراعه ومات اشنع ميتة

واما باسوس فكان ابن ابورزد حاكم بيت زبداي وتنصّر هو واخته سوسان عن يد عبد من عبيد ابيهما اسمهُ اسطيفان . وذات يوم رأيا أيلاً في البرّية فسعيا

---

(١) بيجان ج ٤ : ٢٢٢ — ٢٢٤ (٢) كذلك ٤٧٥

(٣) فيهِ ايضاً ٢٢٤ و ٤٧٤ — ٤٧٥

في طلبهِ واذا بمغارة في الجبل وجدا فيها ناسكاً يقال لهُ لونجينا فعمّذهما . ولما عرف ذلك ابوهما اراد قتلهما . وجعل عيداً للآلهة كي يجبرهما على السجود لها . فهرب باسوس وسوسان وخادمهما اسطيفان قاصدين مغارة معلمهم لونجينا لكي ياخذوا بركته فلحقهم ابورزد وادركهم وقتلهم . وكان ذلك في السنة ٦٩٩ لليونان (٣٨٨) وهي السنة ٧٦ لشابور الملك وكان لكلٍ من باسوس وسوسان من العمر ١٢ سنة

فترى انّ هذه القصص متشابهة كل الشبه فان كوبدلاها كان ابن الملك شابور وآذرپروا ابن الملك بولار وبهنام ابن الملك سنحاريب وباسوس ابن ابورزد حاكم عربايي وكانوا كلهم مجوساً ثم تنصّر كل واحد منهم مع اخت لهُ وقُتِلت معهُ بامر ابيها الملك

اما المشابهة الموجودة بين حكايتَي بهنام وباسوس فاعظم من ذلك . فان بهنام بواسطة أيل التقى بمار متى في جبل الپاپ واعتمذ منه هو واخته سارا . كذلك بواسطة أيل صادف باسوس مار لونجينا في جبل راكولا واعتمذ منهُ مع اخته سوسان . ثم ان سنحاريب لكي يحمل ابنه وابنته على نبذ الديانة المسيحية جعل عيداً عظيماً لآلهتهِ ودعا ولدَيه ليسجدا لها معهُ ولما امتنعا اراد قتلهما . كذلك عمل ابورزد ابو باسوس وسوسان . ثم ان بهنام وسارا لما رأيا ما هو عليهِ ابوهما من الغضب بادرا الى الجبل عند متى لكي يتبركا منهُ . كذلك باسوس وسوسان تسارعا الى الجبل عند لونجينا لكي يأخذا بركته . ثم انّ بهنام في الطريق استشهد مع اخته وخدامه كذلك باسوس وسوسان في الطريق مع خادمهما . وكما بُني دير في محل استشهاد بهنام كذلك شُيّد دير في المكان الذي قُتل فيهِ باسوس

وزد على ذلك ان حكاية باسوس وحكاية سابا فضلاً عن علاقتهما ببعضهما هما ايضاً متعلقتان بجهاد الشهداء السبيّين الذين سبق الكلام عنهم (١) . فان ما قيل في قصّة السبيّين عن سابا وباسوس هو هو ما ذُكر في جهادهما هنا فان آذرپرزكرد المذكور في حكاية مار سابا هو آذرپر رئيس العمّال ذاته الذي قتل الشهداء السبيّين

---

(١) انظر ص ٨٤

والنبذة المسطورة عن إيث ألاها في قصة مار سابا هي ذات النبذة المكتوبة عن مار عبديشوع في جهاد المسبيّين

ومن يعمل نظر الانتقاد في هذه الحكايات لا يلبث ان يتأكد ان هناك رواية واحدة تناقلها الناس عصراً بعد عصر فتصرّفوا فيها وروها بتغيير بعض احوالها

ونتيجة الكلام انهُ في اضطهاد شابور ملك الملوك للمسيحيين تكلّل بين الشهداء الذين لا يحصى عددهم احد اولاده او احد اولاد الولاة او الملوك الذين في حكمه. ثم بعد مرور جيلين فثلاثة على هذه الحادثة نشأ عنها عدة تقاليد في بلدان مختلفة مع زيادات وتخيلات كثيرة وتبديل اسماء المواقع والاشخاص. فارادت كل بلدة ان تنسب هذا الشرف الى نفسها فجعل تقليد ماداي والاهواز هذا الامير الشهيد ابناً لشابور الملك نفسه. وروى تقليد بيت كرماي انهُ كان ابن بولار الملك وزعم تقليد اثور اليعقوبي انهُ كان ابن ملك خيالي اسمه سنحاريب. وجعلهُ تقليد بيت زبداي ابناً لابورزد الحاكم. فترى ان نور الحقيقة مستور تحت غيوم هذه التقاليد الكثيرة وناهيك عن الاغلاط التاريخية الموجودة في هذه القصص فان كاتب اخبار سابا وباسوس يقول ان شابور الملك بعد وفاة يوڤيانوس الملك (سنة ٣٦٤) افتتح بيت زبداي. والحال ان استيلاء شابور على هذه البلدة كان في سنة ٣٦٠ وجلاء اهلها الى فارس سنة ٣٦٢ كما ترى في تاريخ سوزومين المؤرخ اليوناني (١) وفي اعمال القديسين والشهداء نفسها اي قبل جلوس يوڤيانوس على سرير مملكة الروم. وقال ايضاً كاتب قصة باسوس ان هذا القديس تكلّل في السنة ٦٩٩ لليونان (٣٨٨) وهي السنة ٧٦ لشابور الملك. وكلٌّ يعلم ان شابور لم يملك سوى سبعين سنة وتوفي سنة ٣٧٩ اي تسع سنوات قبل استشهاد باسوس. ثم ان ابورزد المرسل من قِبَل شابور الملك لكي يقتل سابا بن زميسب هو ابو باسوس وسوسان. ومما يوجب الاستغراب ايضاً انّ كلًّا من سابا وباسوس وسوسان كان لهُ ١٢ سنة حين استشهاده والتناقضات التاريخية التي في قصة بهنام لأوفر جدًّا. فترى (اولًا) كاتب القصة

---

(١) سوزومين ك : ١٣ . وأميان مارقلّين ف : ٧ . ودوفال الآداب السريانية ١٣٩ — ١٤٠

يقول انّ هـذا القديس تنصّر سنة ٣٥٢ على يد مار متى ونال اكليل الاستشهاد ويزعم ان متى في زمان يوليانوس (٣٦٠ — ٣٦٣) اتى من آمد وسكن في اثور اي عشر سنين بعد تنصّر وقتل بهنام . (ثانياً) انّ القصة تجعل سنحاريب الملك متسلطاً على كل مملكة فـارس (ܡܠܟܐ ܡܫܠܛܢܐ ܗܘܐ ܥܠ ܟܠܗ̇ ܕܡܠܟܘܬܐ ܕܦܪ̈ܣ ܗܘܐ) . فترى من هو سنحاريب هذا ملك الفرس ? (ثالثاً) يُذكر ان سنحاريب الملك كان جالساً في مدينة اثور . ويعلمنا التاريخ ان هـذه المدينة خربت قبل المسيح بستمائة سنة . (رابعاً) لا ذكر ابدًا في القصة عن اضطهاد شابور الملك للنصارى ولا عن ديانة الفرس وعوائدهم بل تمثّل الامور كأن النصارى كانوا اذ ذاك راتعـين في الراحة في مملكة الفرس . (خامساً) انّ مؤلّف القصة يضادد نفسه اذ يقول انّ سنحاريب لما بلغه خبر متّى سأل عنـه وبحث لكي يطلب اليه ان يشفي ابنته سارا ثمّ يزعم انّ بهنام ذهب خفية باخته الى مار متى ليشفيها خوفاً من ابيه والظاهر ان كاتب القصة يعقوبي النحلة وعاش بعد الجيـل السادس وانّ زكّى الذي يجعله خليفة متى في رئاسة الدير هو زكّى ذاته الذي بواسطة جبرائيل السنجاري المعاصر لمار سبريشوع الجاثليق (٥٩٦ — ٦٠٤) ضبط دير مار متى من النساطرة (١)

وكذلك لا بدّ من نفي صحّة حكاية كُوبدلاها واخته قازو ومن الاعتماد على ما اتى في الكلندار الروماني (٢) ان دادا كان من قرابة شابور الملك وكان لهُ امرأة اسمها كادوي وابن يقال لهُ كَابديلا . وبعد ان حُبسوا مدّة طويلة أُخذوا بحـدّ السيف من اجل الديانة المسيحية . فترى ان الاشخاص في قصـة كُوبدلاها وفي الكلندار الروماني هي واحدة غير ان النسبة بينها مختلفة ففي القصّة كُوبدلاها او كَابديلا هو ابن لشابور الملك وقازو هي اخته ودادو او دادا هو من اقاربـهِ . واما في الكلندار فكُوبدلاها او كَابديـلا هو ابن دادا وكادوي او قازو هي امّهُ

---

(١) راجع قصة برعيتا الفصل ٢٥

(٢) ٢٩ ايلول

الفصل الثامن

في اخبار مملكة الفرس والكنيسة الكلدانية في النصف الاخير من الجيل الرابع

بينما كان الاضطهاد يفتك بنصارى المشرق كانت الحرب طاحنة بين الروم والفرس قلنا ان شابور حاصر نصيبين سنة ٣٣٨ وسنة ٣٤٦ وانهُ في سنة ٣٥١ اغار على ما بين النهرين وذهب الى ابواب انطاكية . وفي سنة ٣٥٣ حملت جيوشه على بطنان وفي سنة ٣٥٩ زحف هو بنفسه على ما بين النهرين الشمالية وحاصر آمد وافتتحها واستولى ايضاً على بيت زبداي . وبينما كان قسطنطيوس بن قسطنطين الكبير يتجهّز لمحاربتهِ وافتهُ المنية فجلس مكانه يوليانوس سنة ٣٦٠ . وكفر يوليانوس بالديانة المسيحيَّة فغلب عليهِ اسم الجاحد . ولما كانت السنة ٣٦٣ حمل يوليانوس على الفرس وعبر الدجلة وتوغل في ارض فارس واقترب من المداءن . ولكنه انكسر هناك وقُتل . فبويع بالملك يوڤيانوس وهذا عقد الصلح مع شابور الملك واعطاه مدينـة نصيبين . ولم يملك يوڤيانوس سوى سبعـة اشهر وخلفه ڤالنس سنة ٣٦٤ وتأهب لمحاربة شابور سنة ٣٧٢ لان الفرس ارادوا الاستيلاء على ارمنية التي كانت بيد الروم . وفي سنة ٣٧٣ انتصر طرايانوس قائد ڤالنس على الفرس . فطلب شابور المهادنة ورجع الى المداءن . ولما كانت السنة ٣٧٧ قاتل شابور الروم في ارمنية وانتصر عليهم فالتزم الروم ان يطلبوا الصلح . ومات شابور سنة ٣٧٩ وقد ملك سبعين سنة

وقام مكانه اخوه ارداشير الثاني وكان ظالماً وفتك باشراف فارس فخلعوه وملّكوا مكانه شابور الثالث سنة ٣٨٣ . وكان هذا الملك محبًّا للسلام فارسل هدايا ثمينة الى تئودوسيوس الاول ملك الروم (٣٧٨ — ٣٩٥) طالباً صداقته . وملك بعده بهرام الرابع سنة ٣٨٨ وعقـد الصلح مع الروم . وجرت لهُ وقائع مع الهونيّين (١) فانهم زحفوا سنة ٣٩٦ (٢) على ارمنيـة وصوپ وما بين النهرين

---

(١) النصوص السريانية طبعة لاند ٣ : ٨

(٢) بعض المؤلفين كتبوا سنة ٣٩٥ . راجع السمعاني ٣ : ٢٦٢ و ٤٠٠

وسوريا وسبوا سبياً . ومن هناك حملوا على بلاد الفرس ونهبوا وقتلوا وذهبوا الى ابواب المدائن فحمل عليهم بهرام الملك وكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيرًا واخذ جميع المسبيّين وكان عددهم ١٨٠٠٠ نفس وكلهم من بـلاد الروم . واسكنهم الفرس في المدائن ورجع بعضهم الى بلادهم ومات بهرام الرابع سنة ٣٩٩ وخلفه يزدجرد الاول

ان احوال الكلدان النصارى تحسنت قليلاً في النصف الاخير من الجيل الرابع وقد اجمع جميع المؤرخين الشرقيين (١) على ان شابور منذ عقد الصلح مع يوڤيانوس سنة ٣٦٣ واستلم نصيبين تغيّرت سياسته مع النصارى وقلّ عدد الشهداء لا بل احسن الى نصارى نصيبين كي يجذبهم اليه . فـانّ مار افرام الذي كان يومئذٍ في نصيبين قال بيامره في يوليانوس الجاحد وشابور الملك ما تعريبه :

« ان المجوسيّ (شابور) (٢) الذي دخل بلدتنا قدّس خجلنا . اهان معبد النار واكرم قدس الاقداس . ذلّل هياكل الاصنام التي بُنيت لرخاوتنا . بطّل المعابد (للاصنام) لانه عرف انّا من هيكل واحد خرجت الرحمة التي خلّصتنا منه ثلاث مرات ... ان الملك الحبر (يوليانوس) اهان كنائسنا . والملك المجوسي (شابور) اكرم قدس الاقداس . ضاعف تسليتنا لانه وقّر قدس اقداسنا . أحزننا ثم فرّحنا ولم يطردنا . وبّخ الذي ضلّ بواسطة الضالّ رفيقه . لانّ الحبر (يوليانوس) ظلم كثيرًا . واماّ المجوسيّ (شابور) فعوّض باضعاف »

والظاهر ان خلفاء شابور ولا سيما شابور الثالث وبهرام الرابع لم يضطهدوا النصارى فاستراحت الكنيسة قليلاً على ايامهم وقدر الاساقفة الباقون في الحيوة ان يرسموا اساقفة للكنائس المترّملة ويجعلوا لها كهنة وشمامسة . والدليل على ذلك ما اتى في مجمع اسحق الجاثليق انهُ في سنة ٤١٠ كان جالساً على كلّ من الكراسي الاسقفية اسقف او اسقفان وربّما ثلاثة . وذكر مشيحا زخا ان شوحاليشوع اسقف اربيل في السنة العاشرة لجلوسه على الكرسي اي في السنة ٣٨٤ (٣) بدأ يرسم كهنة

---

(١) ماري ٢٥ . وابن العبري ٤٨ . ويوحنان بريكايا طبعة منكنا ١٣١ — ١٣٢ .

(٢) تاليفات مار افرام ورىولا وبالاي الخ طبعة أوفيربيك ص ١١ — ١٢

(٣) ان القس منكنا غلطاً يكتب ان ماران زخا جلس على كرسي اربيل منذ سنة

وشمامسة . لانهم قلّوا بسبب الاضطهاد . ولا بدّ من ان الاساقفة الاخرين اقتدوا بهِ ايضاً

اما الجثالقة الذين جلسوا على كرسي المدائن منذ قتل برباعشمين الى جلوس اسحق اي منذ سنة ٣٤٥ الى سنة ٣٩٩ فاخبارهم طامسة في الظلام . والاخبار التي يكتبها عنهم المؤرخون لا توافق بعضها بعضاً فان ماروثا في اعمال الشهداء في جهاد برباعشمين يقول ان الكرسي فرغ نحو عشرين سنة وماري يكتب انهُ فرغ ٢٢ سنة وعمرو ٣١ سنة والتاريخ السعردي ٣٣ سنة وايليا النصيبيني ٣٧ سنة . وجميع هؤلاء المؤرخين متفقون في رئاسة تومرصا وقيوما على كرسي ساليق في الربع الاخير من القرن الرابع ولكن يخالفون بعضهم بعضاً في تعيين سنة جلوسهما . قال ابن العبري ان تومرصا ويسمّيهِ تموزا صار جاثليقاً سنة ٣٦٣ وماري في اول سنة للملك يزدجرد اي في سنة ٣٩٩ . واما عمرو وايليا النصيبيني ومؤلف التاريخ السعردي فيقولون انهُ جلس على الكرسي في السنة الاولى لبهرام الرابع اي سنة ٣٨٨ (١) . وكلّهم يقولون انّهُ دبَّر الكنيسة ثماني سنين وانهُ اسام اساقفة وبنى كنائس بمعاونة بختيشوع الذي استشهد حبًّا بالمسيح . وانهُ مات في السنة التاسعة للملك بهرام الواقعة في السنة ٣٩٦ وقام بعده قيوما ودبّر الكرسي الى ان تقلّد يزدجرد ازمّة الملك وعُقِد الصلح بينه وبين الروم فاستعفى حينئذٍ وانتُخب مكانه مار اسحق سنة ٣٩٩

فترى مما سبق انهُ لا يُعتمد كثيراً على ما قالهُ المؤرخون عن فراغ كرسي ساليق بعد قتل برباعشمين وعن جثلقة تومرصا وقيوما . والامر الغريب هو ان ايليا الدمشقي(٢) في كتاب السنهادوسات في دفتر الجثالقة يضع تومرصا وقيوما قبل پاپا ويذكر اسحق بعد برباعشمين وكذلك سفر الاحياء والاموات يضع تومرصا قبل شحلوپا وپاپا

---

٣٤٧ الى سنة ٣٧٦ وشوحاليشوع من سنة ٣٧٦ الى سنة ٤٠٧ . فان ابراهام تكلل سنة ٣٤٥ وخليفته ماران زخا دبَّر الكرسي ٢٩ سنة فيكون قد جلس من سنة ٣٤٥ الى ٣٧٤ . وشوحاليشوع من سنة ٣٧٤ الى ٤٠٥

(١) ان ايليا النصيبيني (ص ١٠٧) يضادد نفسه اذ يقول عنهُ انهُ أُسيم جاثليقاً في السنة الاولى لشابور (الثالث)

(٢) في السمعاني ٢ : ٣٩٢

ويكتب قيوما بين برباعشمين واسحق فيظهر من اعمال مجامع اسحق ويهبالاها وداديشوع الجثالقة (١) ان اساقفة الكلدان لم يزالوا يتنازعون الرئاسة منذ استشهاد شاهدوست الى مجمع مار اسحق سنة ٤١٠

الباب الثاني

في اخبار الكلدان في الجيل الخامس

الفصل الاول

في عقد الصلح بين الكنيسة الكلدانية والحكومة الفارسيَّة بهمَّة يزدجرد الملك وماروثا اسقف ميافرقين واسحق الجاثليق سنة ٤١٠

ان مجمع نيقية الذي عُقد سنة ٣٢٥ وضع بقوانينهِ وشرائعه نظاماً للكنائس الغربيَّـة التي تحت حكم ملوك الروم . اماَّ الكنائس الشرقية التي تحت حكم ملوك فارس فكانت محرومة من هذه القوانين التهذيبية . فانَّ الاساقفة لم يزالوا يتنازعون الرئاسة وكثير من الكراسي كان جالساً عليها اسقفان او ثلاثة . ولم تكن كلّ الكنائس تصوم سويَّة ولا تعيّد سويَّة عيد الميلاد والدنح والقيامة . وكانوا يقرّبون الذبيحة الآلهية في البيوت . أجل . قيل انَّ شمعون برصباعي نيابةً عن بابا (٢) ويعقوب اسقف نصيبين ويوحنان اسقف كرخ سلوخ ويوحنـان اسقف اربيل وشمعون اسقف آمـد وكيوركيس اسقف سنجار وغيرهم حضروا المجمع النيقاويّ (٣) لكن ما من شيء يثبت هـذا القول . لا بل انَّ ما اتى في

---

(١) السنهادوسات ١٩ و ٢٠ و ٣٩ و ٤٨ — ٤٩ راجع ايضاً هنا ٥٧ حاشية ١

(٢) وقيل ان شاهدوست نيابةً عن شمعون برصباعي حضر في المجمع النيقاوي (قوانين عبديشوع الصوباوي : ܒ : ܟ :)

(٣) ماري ١٥ . وعمرو ١٤ — ١٥ . وبيجان ܬ : ٥١٥ . وقوانين عبديشوع الصوباوي ܒ : ܡ . والتاريخ السعردي ٢ : ٦٧

مجمعَي اسحق ويهبالاها الجاثليقَين ينفي ذلك . فانّ اعمال هذين المجمعين تصرّح انّ القوانين النيقاويـة لم تكن معروفة في الكنيسة الفارسيَّة الى سنة ٤١٠ وانما لاحل ذلك ارسل الآباء الغربيّون على يد ماروتا هذه القوانين الى الاساقفة الشرقيين لكي يجروا هم ايضاً عليها . فلو حضر بعض اساقفة كنيسة فارس في مجمع نيقيَة لجلبوا معهم والى كنائسهم ما رسم هذا المجمع من القوانين والشرائع

فافتُتح الجيـل الخامس بالقاء النظام والسلام في الكنيسة الكلدانية وعُقد الصلح بينهـا وبين الحكومة الفارسيَّة . والذين سعوا بهذين الامرَين الجليلين ثلاثة (١) : يزدجرد الاول ملك الفرس وماروثا اسقف ميافرقين ومـار اسحق جاثليق المدائن

١ً يزدجرد الاول (٣٩٩ — ٤٢٠)

انّ يزدجرد الاول هو ابن بهرام الرابع وجلس عوض ابيه سنة ٣٩٩ . وكان متبصِّراً في الامور حسن التدبير والسياسة ومحبّاً للسلام . وعوضاً عن قتل النصارى الذين كثروا في مملكته الواسعة أحسن اليهم (٢) ولاطفهم وسمح لهم ان يشيّدوا الكنائس التي خربت في الاضطهاد . وان يسلك الكهنة علانيةً بموجب ما تامرهم بهِ ديانتهم . واطلق جميع المحبوسين من اجل اسم المسيح . وممّا اشتهر به ايضاً هذا الملك الجليل اطلاقه للاسرى الروميّين الـذين سباهم الهونيّون من بلاد الروم سنة ٣٩٥ كما تقدَّم . ولذلك جعله كاتب النصوص التاريخية التي طبعها لاند ملكاً نصرانيّاً صالحاً رحوماً ومباركاً بين الملوك . وقال عنه سُقراط المؤرخ انـهُ كان بعزمهِ ان يتنصَّر لكنَّ الموت حال دون ذلك . هذا ما قاله مؤرخو النصارى عن يزدجرد الاول (٣) . واما تواريخ الفرس فبعكس ذلـك لقَّبته بالاثيم وقالت عنهُ انهُ كان شرّيراً ظالماً (٤) . فقال موسيو نيلديك « انّ يزدجرد مع كونهِ من الرجال السياسيّين الماهرين الميّـالين الى حلّ المسائل بالسلم كان ايضاً طاغياً نظير الملوك

---

(١) لابور ٨٧ — ٩٢ (٢) السنهادوسات ١٨

(٣) راجع ايضاً ماري ٢٩ . وعمرو ٢٤ وما يلي . والتاريخ السعردي ٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦

(٤) الطبري طبعة استانبول ٢ : ١٨١

الساسانيين الأُخر. اذ انهُ في نهاية حياتهِ لمَّا عاين انَّ شوكة النصارى قد عظمت وان جسارتهم تفاقمت وكادت تثير عليه غضب المجوس لم يمتنع من اضطهادهم » (١) ولكنه لم يقتل الَّا بعضاً من اشراف المجوس الذين تنصَّروا ولم يثر اضطهاداً شديداً عاماً على النصارى

٢ً ماروثا اسقف ميافرقين

انَّ ماروثا كان عالماً وطبيباً حاذقاً . وسافر مراراً الى انطاكية وبيزنطية. قال عنهُ عمرو (٢) انهُ في سنة ٣٨١ حضر المجمع الذي عُقد في القسطنطينيّة ضدّ هرطقة الماقدونيّين القائلين بان روح القدس ليس هو الله. وذكر فوتيوس الروميّ انه حضر ايضاً في المجمع المعقود في انطاكية ضدّ هرطقة المصلين سنة ٣٨٣. وكتب سقراط وسوزومين انهُ تداخل ايضاً في النزاع الذي جرى سنة ٤٠٣—٤٠٤ بين تثوفيلوس الاسكندري ويوحنَّا فم الذهب. وممَّا اشتهر بهِ ماروثا انهُ أُرسِل مراراً من قبل قياصرة الروم الى المدائن لعقد الصلح بين المملكتَين الرومية والفارسيَّة. واول سفرته كانت عند جلوس يزدجرد على سرير الملك سنة ٣٩٩ (٣) . فانهُ انطلق الى القسطنطينية عند الملك اركاديوس (٣٩٥—٤٠٨) يسأَلهُ ان يكتب الى يزدجرد حتى يرفق بنصارى مملكتهِ ويكفّ عن اذيّتهم. وقيل انَّ سبب ذهاب ماروثا الى ساليق المرة الاولى هو انَّهُ عرض ليزدجرد مرض اعيا اطبَّاء فارس. فارسل ملك الملوك الى اركاديوس يطلب منهُ طبيباً حاذقاً . فارسل اليه ماروثا وكتب اليهِ كتاباً يطلب فيه ان يحسن الى النصارى ويزيل الاذى عنهم. وان ماروثا عالج يزدجرد وأبرأه من علتهِ فاكرمهُ يزدجرد وازال الاذى عن النصارى وفي تلك السنة عينها انتُخب مار اسحق جاثليقاً مكان قيوما

وبعد ان اكمل ماروثا سفارتهُ هذه الاولى رجع الى القسطنطينية سنة ٤٠٤. وكان في تلك الاثناء قد توجّه تثوفيلوس الاسكندريّ الى العاصمة لعزل مار

---

(١) في كتاب الطبري ٧٤ حاشية ٣ (٢) عمرو ١٤. راجع ايضاً ماري ٣١

(٣) ماري ٢٦ وعمرو ١٤ . والتاريخ السعردي 2 : ٢٠٥ — ٢٠٦. وابن العبري ... : ٤٧

يوحنا فم الذهب. فالظاهر انَّ ماروثا تحزَّب لثوفيلوس ضد مار يوحنا. فانَّ هـذا القديس كتب رسالتين الى اسقف ميافرقين. وكتب ايضاً رسالة الى أولمپياديس يطلب اليها ان تبذل جهدها في استمالة ماروثا على ترك حزب الاسكندريّ. لأنَّهُ يحتاج اليـهِ كثيرًا في امور نصارى فارس. ويرجو منها ان تسأل من ماروثا عن سبب مجيئه الى عاصمة المملكة. وعن نجاحه في سفارتهِ لدى ملك الفرس وهل يؤمل انَّهُ يتوفَّق في سفارتهِ الثانية (١) . وكانت أُولمپياديس هذه من اجلّ وافضل النساء في القسطنطينية

ورجع ماروثا مرَّة ثانيـة الى ساليق نحو السنة ٤٠٨ التي فيها مات اركاديوس الملك وذلك إمَّا لكي يبلّغ يزدجرد خبر جلوس تئودوسيوس الثاني مكان ابيـه اركاديوس او حتى يلقي الصلح بين اساقفة الكلدان الذين نشأ بينهم النزاع من جهـة الرئاسة (٢) . وبمعونة يزدجرد الملك نجح نجاحاً تامًّا في اصلاح امور الكنيسة الكلدانيَّة وعقد مجمعاً في ساليق سنة ٤١٠ (٣) . وبقي ماروثا هـذه المرَّة في بلاد الكلدان نحو ثلاث سنين (٤) . فجمع قصص الشهداء الذين استشهدوا في اضطهاد شابور الملك. وجمع ايضاً شيئاً كثيرًا من ذخائرهم وحملها على عربات فاخرة واتى بها الى ميافرقين (٥) . ومنذ ذلك الحين سمَّاها اليونان مارتيروپوليس والكلدان ܡܕܝܢܬ ܣܗܕܐ ومعناهما مدينة الشهداء. واكرم يزدجرد ماروثا كثيرًا. وروى عنـهُ سُقراط (٦) انَّ المجوس حسدوه حسدًا عظيماً. فأسمعوا الملك عند دخولهِ معبد النار صوتاً يقول: « ليخرج الملك من معبد النار فانَّهُ نجس لأنَّهُ يـكرم اسقفاً نصرانياً. » لكن ماروثا كشف عن مكرهم. وطلب الى الملك ان يامر بحفر المكان الذي خرج منهُ الصوت ففعل يزدجرد. واذا برجل مختفيّ هناك في سرداب. فغضب ملك الملوك على المجوس وقتل منهم خلقاً كثيرًا

---

(١) تواريخ الكنيسة لتيمون ܗ̈ : ٢٨٤ — ٢٨٧

(٢) السهادوسات ٤٩

(٣) كذا ايضاً ١٩

(٤) لابور ٨٩

(٥) تيلمون ܗ̈ : ٢٨٤ . وماري ٣١ . وعمرو ٢٤

(٦) التاريخ الكنائسي ٩ : ٩ . راجع ايضاً ماري ٣٠

ورجع ماروثا ثالثةً الى المدائن سنة ٤١٨ ليرافق يهبالاها الجاثليق الذي ارسلهُ يزدجرد بالسفارة الى القسطنطينية (١)٠وعلى ما يظهر انهُ توفي قبل السنة ٤٢٠ التي فيها عُقد مجمع يهبالاها الجاثليق٠ فانّنا في هذا المجمع عوضاً عن ماروثا نرى من قبل الآباء الغربيين ماراقاق اسقف آمد (٢)

انّ كلّ الكنائس الشرقية والغربية اكرمت مار ماروثا فجعلهُ الكلدان كأحد الرسل واتى ذكره عندهم في ٢ تشرين الاول وعند السريان والموارنة والملكيين في ١٦ كانون الثاني٠ وعند اليونان واللاتين في ٤ كانون الاول٠ وعند الارمن في ٢٩ كانون الثاني وعند القبط في ٢٢ مشير

٣ اسحق الجاثليق (٣٩٩ — ٤١٠)

كان اسحق على ما قيل من قرابة تومرصا (٣) ولمّا ملك يزدجرد وعُقِد الصلح بهمّة القديس ماروثا بين الفرس والروم وارتاح الكلدان النصارى من الاضطهاد جمع قيوما الجاثليق اساقفتهُ بحضور ماروثا وتنازل عن الكرسي٠ واختاروا مكانه اسحق سنة ٣٩٩٠(٤) ويشير الى هذا موءلف قصّة المجمع النيقاوي٠ فانّهُ في بداية القصة رسالة كتبها الى اسحق الجاثليق فيها يقول: « انّ ابانا الراعي بحكمتهِ وهمتـهِ انتخبك انت لتكون مدبّرًا بعده » وجاء عنهُ في مجمع داديشوع الجاثليق المعقود سنة ٤٢٤ انّهُ هو الذي نظّم الرئاسة العليـا بعد ان فرغت اثنتين وعشرين سنة٠ وانّهُ كان معزّزًا وموقّرًا عند يزدجرد٠ لكن الاساقفة عصوا عليه فيما بعد وسعوا به كذباً لـدى الملك وأُلقي في السجن٠ فتوسّط حينئذٍ الآباء الغربيون وماروثا

---

(١) جهاد پيروز الشهيد في بيجان ج : ٢٥٦ (٢) السنهادوسات ٣٧ ٠ ان ديونوسيوس اليعقوبي (في السمعاني ٢ : ١٧٦) غلطاً يقول انّ مـاروثا حضر في مجمع يهبالاها والسمعاني نفسه يخلط بين مـاروثا اسقف ميافرقين وماروثا مفريان تكريت اليعقوبي ٠ فان هذا الاخير ظهر في العالم نحو ١٧٠ سنة بعد الاول وتوفي سنة ٦٤٩

(٣) ماري ٣٠٠ وعمرو ٢٢٠ والتاريخ السعردي ٢ : ٢٠٥٠ وابن العبري ٣ : ٤٧٠ ولابور ٩٠ — ٩١ (٤) ايليا ٤٧

وساعدوا مار اسحق وبقوّة يزدجرد عقــد ماروثا مجمعاً في ساليق وحرم الاساقفة الذين قاوموا اسحق (١) وهاك مفصّلاً قصة هذا المجمع

الفصل الثاني

في مجمع اسحق وهو مجمع ساليق الثاني (سنة ٤١٠)

عُقد مجمع اسحق الجاثليق سنة ٤١٠وهي الحادية عشرة للملك يزدجرد(٢) والباين انّ ماروثا اصحب معهُ ثلث رسالات من اساقفة مــا بين النهرين وسوريا٠ الرسالة الاولى كانت توصية بحقه للملك وللأساقفة٠ والثانية كان فيها تعليمات لمــار اسحق الجاثليق٠ والثالثة كانت للملك نفسه وفيها طلبوا اليهِ ان يساعد الاساقفة الذين في مملكته ليعقدوا مجمعاً ويصلحوا الاحوال٠ امّا الاساقفة الذين امضوا هذه الرسائل فهم پورپوريوس اسقف انطاكية (٤٠٤—٤١٣) واقاق اسقف حلب (٣٧٩—٤٣٦) وپقيدا اسقف اورهاي (٣٩٨—٤٠٩) واوسابيوس اسقف تلّا واقاق اسقف آمد٠ ولا بــدّ من ان ماروثا اتى ايضاً برسالة من حكومة القسطنطينية٠ فمَثُل هو ومار اسحق بين يدَي الملك والتمسا منه ان يأمر بجمع الاساقفة القريبين٠ فكتب حالًا الى مرازبتهِ كي يبعثوا بعزّ واكرام الاساقفة الذين في حدود ولاياتهم٠ فاجتمع في ساليق هوشاع مطران نصيبين واساقفتهُ٠ ودانيــال مطران اربيل واساقفته٠ وعقبلاها مطران كرخ سلوخ واساقفتهُ ويزيداد مطران الاهواز واساقفتهُ وزبدا مطران ميشان واساقفتهُ وماري اسقف كشكر٠ وبلغوا الاربعين عدداً٠ وكان اجتماعهم في ساليق في شهر كانون الثاني٠ ولما كان عيد الدنح دخلوا كلهم الى الكنيسة الكبرى وتُليت بحضورهم رسالة الآباء الغربيين المُرســلة الى يزدجرد الملك٠ وفي يوم الثلثاء اول شباط قُرئت الرسالة المكتوبة الى ماروثا بشأن قبول القوانين النيقاوية٠ فقبلوهــا وامضوها ثم حدّدوا ٢١ قانوناً فيما يتعلّق بسياسة الكنيسة الكلدانيّة

---

(١) السنهادوسات ٤٨ — ٤٩

(٢) فيهِ ١٢ — ٢٢ راجع ايضاً لابور ٩٢ — ٩٩

وممّا حتم بهِ المجمع (١) ألّا يجلس على كل كرسيّ الّا اسقف واحد. وألّا يُرسَم الاسقف الّا على يد ثلاثة اساقفة. وان يجتمع الاساقفة والمطارنة كلّ سنتين مرّةً واحدة عند الجاثليق في ساليق لاصلاح الامور الكنائسية. وان تكون الصلوات الطقسية واحدة في كل الكنائس مثلما هي في بيعة المدائن. وألّا تُقدَّم الذبيحة الآلهية في البيوت. وان تُعيِّد كل الكنائس سويّةً عيد الميلاد والدنح والقيامة وتصوم ايضاً سويّةً. وان جاثليق ساليق هو رئيس كل الاساقفة والمطارين وان اسقف كشكر هو يمينهُ وهو يُدبّر الكرسي من بعد موتهِ. وحكم ايضاً المجمع انّ الكراسي المطرابوليطية خمسة وهي اولاً كرسي بيت لاباط وتحت حكمهِ اساقفة هرمزد ارداشير وشوشتروشوشان وكرخا اي كرخ ليدان. ثانياً كرسيّ نصيبين وهو يحكم على اساقفة ارزون وقردو وبيت زبداي وبيت رحيماي وبيت مكساي. ثالثاً كرسي پراث ميشان وتحت سيطرته اساقفة كرخ ميشان ونهركور ودِريا. رابعاً كرسي اربيل وتحت يده اساقفة بيت نوهدرا وبيت بغاش وداسان ورامونين وبيت مهرقرت ودبرينوس. خامساً كرسي بيت كرماي ولهُ الرئاسة على اساقفة شهرقرت ولاشوم واريون ودارع وحوياث كلال. وامّا اساقفة فارس ورازيق وبيت قطرايي وابرشهر فلم يدخلوا في هذه الترتيبات لانهم لم يحضروا المجمع لبعد بلادهم

ثم ان مار اسحق ومار ماروثا انطلقا الى باب الملك ومثُلا بين يديهِ وعرّفاه نتيجة المجمع. ففرح الملك واراد ان يُظهر من جديد اهتمامه بخير النصارى فارسل الى آباء المجمع اثنين من اعظم رجالهِ وهما خوسرو يزدجرد الوزير الاعظم ومهرشابور اركابيطا (٢) اي رئيس الجيش وقالا لهم: «كنتم قبل الآن مضطهدين وتُجرون ديانتكم خفيةً. وامّا الساعة فقد تلطّف بكم ملك الملوك وجعل اسحق رئيساً على كلّ نصارى المشرق. وانّما رعايةً لهُ ولماروثا الاسقف قد جاد عليكم بالحرية. فعلى جميع الاساقفة ان يذعنوا لاسحق الجاثليق وماروثا الاسقف وكلّ من عصاهما قوصص قصاصاً شديداً.»

---

(١) راجع كتاب السنهادوسات ٢٠ وما يلي

(٢) ܐܪܓܒܛܐ تصحيف اركابيد وهو عنوان صاحب الجيش (مر عسكر) راجع السنهادوسات ٢٦٠ و ٢٦١

الفصل الثالث

أحا الجاثليق (٤١٠ — ٤١٥) ويهبالاها (٤١٥ — ٤٢٠)
مجمع يهبالاها وهو مجمع ساليق الثالث (٤٢٠)
معنا وپرابوخت (٤٢٠)

انّ مار اسحق لم يعش طويلًا بعد مجمع ساليق ومات في نهاية السنة عينها وقام بعده أحا سنة ٤١٠ او في بداية سنة ٤١١ وقال عنه التاريخ السعردي(١) أنهُ بهمّة مار ماروثا وبامر يزدجرد الملك أُختير للجثلقة وكان تلميذ مار عبدا القديس المارّ ذكره. ومال اليه يزدجرد. وانفذه بعد مـدّة يسيرة الى فارس ليبحث عن امتعة وجواهر حُملت اليه من بلاد الهنـد والصين وقالوا انها فُقدت. وذكر نهروز (٢) المتقلّد حكومة فارس انّ اللصوص اخذوها. فعاد مار أحا الى يزدجرد وأوقفهُ على حقيقة الامر. فازداد عنده منزلةً وكرامة. وبوصول مـار أحا الى فارس سأل عن قبور الشهداء الذين قُتلوا على أيّام شابور الملك وكتب اخبارهم (٣) وكتب ايضاً قصة مار عبدا معلّمه. وكانت مدته في الجثلقة اربع سنين وبضعة اشهر

وجلس مكانهُ مار يهبالاها في نهاية سنة ٤١٥ وقال عنهُ ايليا النصيبينيّ انّهُ في السنة ١٧ ليزدجرد صار جاثليقاً. وجاء في مجمع يهبالاها نفسه انّ السنة الثالثة لجثلقتهِ كانت السنة ١٩ ليزدجرد. وقيل عنهُ في التاريخ السعردي انهُ هو ايضاً مثـل مار أحا كان من تلاميـذ مار عبدا ومتفقهاً في العلوم. وبنى ديرًا عظيماً في قرية دسكرة إيشوع في ارض بابل. وشيد ديرًا آخر على شاطئ الدجلة وقصده رهبان كثيرون وقسّمهم لتلاوة المزامير بحيث لا تنقطع الصلوة ابدًا. وصـار جاثليقاً بامر يزدجرد الملك وفي السنة الثالثة لرئاسته وهي السنة ٤١٧ أرسلهُ يزدجرد مع هدايا نفيسة الى تئودوسيوس الثاني (٤٠٨ — ٤٥٠) الذي خلف اباه اركاديوس في

---

(١) 2 : ٢١٢ راجع ايضاً ماري ٣١ . وعمرو ٢٥ (٢) عمرو يكتبها بيهود

(٣) ماري يقول ان مار احا قبل ان يتجثلق زار قبور الشهداء وكتب قصصهم

القسطنطينية وذلك لتوثيق الصلح بين الدولتين وكان بصحبته ماروثا اسقف ميافرقين (١) فاكرمه تئودوسيوس الملك كثيراً وخلع عليهِ ووهبهُ مالاً جزيلاً بهِ جدَّد بيعة المداين الكبرى وشيَّد كنائس اخرى

فلمَّا كانت السنة ٤١٩ ارسل ملك الروم اقــاق اسقف آمد الى يزدجرد الملك ليردَّ الجواب على رسالتهِ (٢)·وبعث عن يده (٣) لمار يهبالاها كنيسة جميلة سفريَّة معمولة من الجلد وداخلها مغشَّى بالذهب والفضة والنحاس والاقمشة النفيسة وانتهز مار يهبالاها الفرصة من حضور مــار اقاق لجمع اساقفتهِ في المداين فعقد مجمعاً سنة ٤٢٠

انَّ اعمال هذا المجمع وصلت الينا وهو لم يصنع قوانين جديدة بل رسم وحدَّد ان تُحفظ قوانين مجمع مار اسحق وقوانين المجامع الغربيــة اعني بها مجامع نيقية وانقورة ونئوقيصريَّة وكنكارا وانطاكية واللاذقية· والظاهر ان الداعي الى عقد هــذا المجمع هو انَّ الخصومة تجدَّدت بين اساقفة الكلدان اذ كان البعض منهم يابون الطاعة لمار يهبالاها· وهذا يبان من اعمال المجمع نفسه· اذ اتى فيهِ ما نصهُ: « ان اغلب اخوتنا الاساقفة الذين حضروا مجمع مار اسحق انتقلوا من هذا العالم· ولانهُ لم يُرسم مكانهم اساقفة جديرون لم يحصل شفاء تام من وجع الجهالة الاولى· بل يتولَّد الى يومنا هذا في بعض الامكنة من ذاك خمير الجهالة الشقاق والخصام · والمولَّدون هم (الاساقفة) الجسورون المتكبّرون الناكرو الجميل المبغضو السلام»· وكان الاساقفة الذين امضوا اعمال هذا المجمع اثني عشر· والظاهر انهم كانوا اكثر عدداً وقد سقطت اسماءهم بكرور الزمان من الجدول

ولم تساعد الظروف هذا المجمع ليأتي بالاثمار المطلوبة· فان يهبالاها توفي في السنة ذاتها· ويُستدلّ من كلام المؤرخين انّ كثيراً من الاساقفة تنازعوا الكرسي الجاثليقي· والمعروفون منهم ثلاثة: معنا مطران فارس وپروخوخت اسقف كازرون وداديشوع

---

(١) اعمال پيروز الشهيد في بيجان ج ٤ : ٢٥٦ (٢) السنهادوسات ٢٧٧ ح ٣ ولابور ١٠١ (٣) اعمال بيروز في بيجان ج ٤ : ٢٥٦

ان معنا (١) بذل مالًا جزيلًا لمهر شابور صاحب الجيش فساعده وجعله جاثليقاً . وقال عنه المؤرخون انه كان عالمًا بالفارسية والكلدانيَّة وقد درس في مدرسة اورهاي ونقل كتباً كثيرة من الكلدانية الى الفارسيَّة . ولم يجلس كثيرًا على الكرسيّ . فان يزدجرد غضب عليه وامر بعزله ونفيه الى فارس . (٢) وسبب ذلك انه حامى بحضور يزدجرد عن ترساي الكاهن الذي امر الملك بقتله . وسيأتي ذكر ذلك

فتقدم حينئذٍ پروخبوخت(٣) او پرابوخت اسقف كازرون وبذل هو ايضاً مالًا جزيلًا لمهر شابور المذكور وضمن لـه ان يسير على مذهب المجوس . فجلس على كرسي ساليق . وكان يزدجرد قد توفي . فاستعان الاساقفة باصحاب بهرام الملك وخلعوه ونصبوا مكانه داديشوع وكان ذلك سنة ٤٢١ او في اوائل ٤٢٢

الفصل الرابع

في اضطهاد يزدجرد الاول للنصارى (سنة ٤٢٠) .

١ في الدواعي للاضطهاد

راينا ان يزدجرد الملك حامى عن النصارى ومال اليهم . لكنه في نهاية حياته تغير فكره فيهم وبدأ يضطهدهم . ومما حمله على ذلك هو ان محبته للنصارى جلبت عليه بغضة المجوس . وقد اتى في التاريخ السعرديّ « ان المجوس ابغضوهُ لما عاملهم به من وضع روسائهم وميله الى النصارى وسماحهِ لهم ببناء الكنائس ولم يزالوا يلعنونه في بيوت النيران » . ثانياً ان الكلدان النصارى نجحوا نجاحاً عظيماً وانتشروا انتشارًا عجيباً في كل قطر ومصر منذ زال عنهم الاضطهاد حتى انهم فتحوا

(١) ماري ٣٣ . وعمرو ٢٧ . والتاريخ السعردي 2 : ٢١٦ — ٢١٨ . وايليا ٤٨

(٢) ان ابن العبري غلطاً يكتب مكنا عوض معنا وقال عنه ان الاساقفة عزلوه لانهُ علَّم تعليم نسطور وفسَّر كتب تئودوروس المفسّر . وهكذا يخلط بين معنا هذا ومعنا رفيق برصوما الذي عاش في خيانة الجيل

(٣) ايليا ٤٨ . ان عمرو يكتب فرابخت وابن العبري مرابوخت . وماري فرابخت . وقال لابور انهُ هو پربوخت الارداشير كوراويّ الذي قيل عنهُ في اعمال مجمع داديشوع (ص٤٤) انهُ عصي على كرسي ساليق

ابرشيات كثيرة جديدة في اران وارمنية وكورزان وشابورخوست واردشير فريهاد والصيمرة واذوربيجان وهرات وسجستان ومرو ومزون وغيرها . ومما اقلق اكثر ما يكون المجوس والملك نفسهُ هو ان كثيرين من اشراف المملكة ورجال الدولة اعتنقوا الديانة النصرانية . جاء في اعمال نرساي الشهيد ان آذربوزي الموهپاط مثل بين يدَي يزدجرد وقال له : «ان جميع عظماء مملكتك واشرافها قد نبذوا ديانتنا وصاروا نصارى . فاعطني امرًا بترجيعهم الى المجوسيَّة » فقال له الملك : « قد اعطيتك امرًا ان ترجعهم لكن ليس بالقتل بل بالتهديد والضرب القليل فقط » وهكذا رجّع اذربوزي بالتهديد بعضاً من الاشراف الذين آمنوا بالمسيح . ولولا حماقة بعض النصارى لاكتفى يزدجرد بهذه الاوامر

٢ مار عبدا اسقف هرمزد اردشير ورفاقه الشهدآء

في السنة الاخيرة من حياة يزدجرد اي سنة ٤٢٠ هدم هشو او هوشاع كاهن مدينة هرمزد أردشير في الاهواز معبدًا للنار كان متصلًا بالكنيسة لان النصارى كانوا يتأذّون من قيّميه . وكان الاسقف على تلك المدينة مار عبدا . فاليهِ نسب المجوس حريق بيت النار وسعوا بهِ لدى الملك . فعقد يزدجرد مجلسه وقرّر ان ينكّل بالنصارى . فدخل معنا الجاثليق على الملك مصحوباً ببعض اساقفتهِ ليحتجّ عن مار عبدا ويدفع الشرّ عن رعيته . وهاك ما جاء في هذا الصدد في التاريخ السعرديّ : دخل معنا في بعض الايام الى يزدجرد ومعهُ جماعة من الآباء . فنظر اليهم بغضب . فعلموا انه في طلب علّة بسبب ما فعله هوشع القس ثم قال : « كما ان قيصر مسلّط على مملكته يعمل فيها ما يريد هكذا انا مسلّط على مملكتي اعمل فيها ما اريد . » واعاد هذه العبارة دفعتين . فاجابه قسّ من المدائن اسمه نرساي وقال له : « ايها الملك انما قيصر مسلّط في مملكته على اخذ الخراج والجزية وقتل الاعدآء . أمّا ان يطالب رعيته بالانتقال عن دينهم فلا . لان مملكته مملوءة من اليهود والحنفاء والمخالفين . وليس يمنعهم عن اعتقادهم . » فاغتاظ الملك من كلامه واوجب الحاضرون عليهِ القتل . لانه وقف بوجه الملك . فقال الجاثليق انما اجاب عما تكلم به الملك ولم يقل ما يستحق به القتل . فامر يزدجرد بضرب عنق القس ان اقام على النصرانية وتخزيق

ثياب الجاثليق ونفيه الى فارس وان لا يدعى جاثليقاً لا ظاهراً ولا باطناً . واراد هوشع مطران نصيبين وباطا اسقف لاشوم ان يتكلما ويحتجا . فمُنعا وأُخرجا . واجتهد المجوس بنرساي القس ان ينتقل الى المجوسيّة فلم يفعل وضُرب عنقه . ودفنه المؤمنون في البيعة الكبرى بالمدائن اه

ثم ان الملك يزدجرد امر بالقاء القبض على مار عبدا الاسقف وهشو واسحق الكاهنين وافرام الكاتب وپاپا الشماس ودادوق ودورثان العلمانيين وپاپا شقيق مار عبدا . وسيقوا الى باب الملك . واراد مار عبدا ان يحتج وقال : « ان المجوس اقتراء يفترون علينا فاننا لم نعمل شيئاً » فقال الملك : « لست اظلمكم ولا افتري عليكم . فان الامناء اخبروني بذلك » فقال هشو الكاهن بجسارة : « انا هدمت معبد النار لانهُ ليس بيت الله . وانا اطفأت النار لانها ليست بنت الله كما تزعمون . بل جارية تخدم الملوك والاغنياء والصعاليك والفقراء وهي مخلوقة عديمة الحيوة تتولّد من الحطب » ومع هذا كله لم يرد الملك قتل المعترفين بل اكتفى بجبرهم على تشييد معبد النار الذي هدموه . لكنهم ابوا ذلك لانهم راوا فيه الاشتراك مع المجوس بديانتهم . فقُتلوا قاطبةً . وتذكارهم عند اليونان في ٢١ اذار . وعند الكلدان في ٧ كانون الاول . وعند اللاتين في ١٦ ايار

ولا بدَّ من انهُ في ذاك الزمان عينه اي في سنة ٤٢٠ استشهد ايضاً نرساي الراهب وطاطاق الخادم والشهداء العشرة من بيت گرماي كما ترى قصتهم في اعمال القديسين طبعة بيجان واشهر شهداء المشرق ونسردها هنا بالاختصار

٣ً نرساي الراهب الشهيد

ان نرساي كان من بيت رازيقان وترهب في احد الاديرة بالقرب من المدائن . وكان حينئذٍ شابور الكاهن قد تلمذ احدَ اشراف الفرس يقال لهُ آذرپروا . فاعطاه ارضاً ليبني فيها كنيسة وكتب لهُ صكًّا بذلك . فتشكّى آذربوزي الموهپاط عند الملك من ان المجوس يعتنقون الديانة المسيحيّة . فرخصهُ يزدجرد بترجيعهم بالتهديد . فضيّق الموهپاط على آذرپروا حتى حملهُ على نبذ الديانة المسيحية واكره شابور القسيس على رد الصك والخروج من البيعة . فضُبطت الكنيسة وجُعلت معبداً للنار . فاتى نرساي واطفأ

النار وطرح خارجاً كل ما وجد هناك من الامتعة المتعلقة بديانة المجوس. فقُبض عليه وسيق الى ساليق. فجبره آذربوزي ان يشيد كانون النار الذي هدمهُ. ولما ابى أوسعهُ ضرباً وأُلقي في السجن حيث بقي تسعة اشهر

فلما دنا الصيف خرج يزدجرد من المدائن وذهب الى الاهواز لكي يصيّف كجاري عادته. حينئذٍ اعطى النصارى أربعمائة درهم وكفل احدهم مار نرساي واخرجوه من الحبس. لكنهُ بعد مرور اثني عشر يوماً اتت رسالة من الملك الى مرزبان بيث ارمايي فيها يامر ان يخلي سبيل نرساي إن انكر انهُ اطفأ النار والّا فليجبره ان يجمع النار من ٣٦٦ بيتاً ويضعها في المعبد الذي اطفأ ناره وهدم كانونهُ. فآثر القديس الموت على ذلك الفعل. فصُفِّد بالقيود وأُرسل الى موضع يسمى ساليق حاروبتا فخرج للقائه جمٌّ غفير من النصارى رجالًا ونساءً والقديس يتلو بفرح المزمور ١١٧ الذي بدؤه: اعترفوا للرب فانهُ صالح والى الابد رحمته. وتناول شرطيٌّ مرتدٌّ سيفاً وضرب بهِ عنق مار نرساي. لكنَّ قبضة السيف انكسرت واخذ الجلاد يكرّر الضربات حتى بلغت الثماني عشرة ضربة واخيراً ذبحه كما يُذبح الحمل الوديع ودُفن الشهيد (١) في بيت ساهدي حيث وُضع ١١٨ شهيداً على عهد شابور الملك وكان ماروثا اسقف صوپ (ميافرقين) قد بنى هناك هيكلًا فاخراً

٤ طاطاق الشهيد

كان طاطاق من اشراف حدياب وكان على باب الملك واصاب عنده منزلة ومكانة. ثم دخل ديراً وترهب. فلما اتصل خبره بيزدجرد امر بالقبض عليهِ وطرحهُ في السجن نحو اربعة اشهر واذيق مراراً اقسى العذابات . ثم اوعز الملك الى رئيس المجوس ان يسالهُ: لماذا ترك خدمتهُ وانطلق لدى النصارى. فجاوبهُ القديس انهُ وجد المسيح اعظم الملوك فتبعهُ . فامر الملك بقطع راسه. فأُخرج الى ساليق حاروبتا وهناك نقف الجلاد عنقهُ. ودُفن في بيت ساهدي بجانب مار نرساي الشهيد

---

(١) لا أدري هل ان نرساي هذا هو نرساى الذي دخل مع معنا الجاثليق على الملك يزدجرد وامر هذا بقتلهِ ام هو غيره

٥ الشهداء العشرة من بيت كرماي

ان هولاء الشهداء كانوا علمانيين وطاعنين في السن. ومنهم من كان مجوسياً فتنصر ومنهم من تزوج بامرأة مجوسيّة فتلمذها الى الايمان المسيحي. واسماؤهم: هرمزد وأيتي وماري وآني وآتي ويعقوب وحورا وپاپا ونمرود وآذرپروا . فسيقوا قاطبة الى المدائن . ومثلوا بين يديّ مهرشابور. فامرهم ان يسجدوا للشمس. ولما ابوا اصدر يزدجرد الملك امره بذبحهم. فاوعز مهرشابور الى احد المجوس وامين من امناء الملك ان ينطلقا بهم الى ساليق حاروبتا. فقال لهما احدهم: « أتخليان سبيل الذي يرتدّ منّا. قالا له: «والملك ايضاً يكون شاكرًا.» فبادر اليه رفاقهُ وأمسكوه وقالوا له: « وحياتك لا تفلت . انك حتى اليوم اغتذيت بخبز ابن مريم . والآن تولّي مدبّرًا.» فلمّا انتهوا الى المكان المعيَّن حفروا حفرة عظيمة واركعوهم على حافتها محيطين بها وذبحوهم عن آخرهم. ويقول ابجر الراهب كاتب هذه القصة : ان جميع هؤلاء الشهداء المكتوبين في هذه الورقة والغير المكتوبين نُقلت عظامهم الى بيت ساهدي الذي في حصن لاورني وذلك بهمّة مار ايوب الاسقف الذي اصلهُ من الحصن المذكور

ويظهر جلياً من اعمال هؤلاء الشهداء ان اضطهاد يزدجرد لنصارى مملكته لم يكن عمومياً ولا قاسياً كسائر الاضطهادات بل اكتفى بتخويف الاشراف وقتل الذين تجاسروا فاهانوا معابد النار. حتى انّ ماري كتب عنهُ انه في تلك السنة عينها اخمد نار الاضطهاد وذلك رعايةً لامير نصراني اسمه اسحق كان يكرمهُ الكرامة كلها. لانهُ اخضع له بلاد ارمنية. وتوفي يزدجرد الاول في خريف سنة ٤٢٠

الفصل الخامس

في بهرام الخامس ملك الفرس (٤٢٠ — ٤٣٨) واضطهاده للنصارى

لما مات يزدجرد الاول تنازع اولادهُ المُلك. وكانوا ثلاثة: شابور وخوسرو وبهرام (او وارهاران) الملقَّب بكور. وكان شابور قد ملّكه ابوه على ارمنية. فاتى المدائن ليملك فيها. غير انّ العظماء قاموا عليه وقتلوه. وخوسرو ايضاً لم ينل مرامهُ

فجلس على تخت المملكة بهرام الخامس وذلك بمساعدة المنذر ملك العرب على راي الطبري (١). لكنّ كاتب اعمال پيروز الشهيد الذي كان معاصراً لبهرام الخامس يقول انه بهمّة المجوس وعظماء المملكة عُقد لهُ التاج (٢). فلكي يثبت لهُ الامر انقاد الى مشورتهم وبدأ منذ اول سنة من جلوسه ان يضطهد النصارى(٣). واتى في اعمال مجمع داديشوع انّ الشقاق الذي كان بين الاساقفة هو الذي صار سبباً لانشاء هذا الاضطهاد ومن الذين حملوا بهرام على النصارى مهرشابور رئيس المجوس (٤). او بالاحرى مهرشابور صاحب الجيش السابق ذكره (٥). غير انّهُ لم يأمر الّا بقتل الاعيان والاشراف ولو اراد ان يقتل العامّة لافرغ مملكته من الخلق لان النصارى ملأوا ارض فارس باسرها. فامر بنفي العظماء والاعيان ونهب بيوتهم. وحبس ايضاً داديشوع الجاثليق مع بعض اساقفتهِ. ولم يترك كنيسة الّا هدمها ولا ديراً الّا دكّهُ. وضبط الكنيسة السفريّة النفيسة التي كان تئودوسيوس ملك الروم قد ارسلها الى جاثليق المدائن. وجعلها خيمةً للصيادين ونهب ايضاً كل ما وجده في بيعة ساليق الكبرى من الاشياء الكنائسية والآنية الثمينة والاقمشة الفاخرة

وكان هذا الاضطهاد قاسياً شديداً. وقال تئودوريطوس المؤرخ اليوناني: « انّ اختلافات العذابات الكثيرة وشدّتها التي بها ضُيّق على النصارى في مملكة الفرس لمن المستحيل شرحها على حقيقتها. فمنهم من سلخوا جلدة يديهِ ومنهم من سلخوا ظهره. ومنهم من سلخوا جلدة وجهِ. ومنهم من شكّوا في جسمهِ قصباً ثم سحبوه بقوة شديدة. وغيرهم زجّوهم في جبوب فيها انواع الفيران والجرذان وربطوا ايدي المعترفين وارجلهم. فصاروا هكذا وهم احياء مأكلًا لهذه الحشرات الجائعة. » (٦)

---

(١) الطبري طبعة استانبول ١٨٢ وما يلي. راجع ايضاً لابور ١٠٩

(٢) بيجان ج ٢ : ٢٥٤ (٣) التاريخ السعردي ج ٢ : ٢٢٠

(٤) جهاد بيروز في بيجان ج ٢ : ٢٥٤ (٥) ماري ٣٣

(٦) التاريخ الكنائسي لثودوريطوس ٥ : ٣٨ . راجع ايضاً تيلمون ج ٥ : ص ٣٥٨ . وبيجان ج ٢ : ٢٥٤ وما يلي

ومن جملة الشهداء الذين تكللوا في اضطهاد بهرام الخامس ووصلت الينا اخبارهم: پيروز وميهرشابور ويعقوب المقطّع ويعقوب الكاتب وبنيامين الشماس وهرمزد وشاهين وقد طُبعت ترجمتهم باسهاب في كتب الاب بيجان وفي اشهر شهداء الشرق طبعة الموصل

١ پيروز البيلاپاطيّ

كان پيروز من اسرة معتبرة ذات ثروة واملاك كثيرة ووجيهاً في المملكة. قُبض عليهِ وعلى كثير من نظرائه من العظماء. غير ان العذابات ردّتهُ الى المجوسية فسجد للشمس. ولما اتّصل خبره بوالديه وقرينتهِ بعثوا اليه رسالة بها رشقوه بسهام المذمّة. وما كاد يقرأها حتى تمزّق قلبهُ اسفاً وندم على كفرهِ واسرع بين يديَ مهرشابور رئيس المجوس (١) واقرّ بانه نصرانيّ. وأطلع مهرشابور الملك على خبره. فأمر بهرام بقتله. ورافقهُ جمّ غفير من النصارى والمجوس. وشدّوا يديه وطرحوه على الأرض على وجهه. وشقّوا قفالهُ وقطعوا لسانهُ واستلّوه من قفاه واروه اياه. ثم قطعوا راسهُ. وكان استشهاده في بلاد شهرزور في ٥ ايلول سنة ٤٢١

٢ ميهرشابور

انّ هذا الشهيد كان ذا حسب ونسب. ووُشي بهِ عند الملك (يزدجرد) انهُ نصراني. فكُبّل بالقيود وأُلقي في سجن مُظلم حيث بقي ثلاث سنين. فلما اثار بهرام الملك الاضطهاد على النصارى أخرجهُ هرمزداور من الحبس لكي يجبره على الكفر وقتل رفيقيهِ نرساي وسابوخت. اماَّ هو فالقي في جُبّ مُظلم. واطبقوه عليه وختموه. ووضعوا عليهِ حراساً يحرسونهُ. ومكث القديس في الجبّ من غرّة آب الى العاشر من تشرين الاول. وحينئذٍ فتحوا الجبّ فرأوه نيّرًا ونظروا الشهيد جاثياً على ركبتيهِ وهو مائت وكان استشهاده سنة ٤٢١

---

(١) اظنه مهرشابور صاحب الجيش

٣ مار يعقوب المقطع

كان مسقط راسه في بيت لاپاط. وكان من ارفع طبقات الأُسرات الشريفة وقرَّبه يزدجرد الملك واكرمهُ وأولاه اشرف المراتب. وجعلهُ ان ينبذ الديانة المسيحية واتصل الخبر بامّه وزوجته. وكان يزدجرد قد مات فكتبتا له رسالة عتاب ومما قالتا له: « اذا بقيت على ما انتَ عليه في ديانة المجوس فنحن لسنا نعرفك ولا لنا معك اختلاط ابدًا. » فلمَّا قرأ يعقوب هـذه الرسالة تاب الى الله واسرع الى سرادقه واخذ الانجيـل وبدأ يقرأ. ولما بلغ الخبر الى مسامع الملك وارهاران. احضره وتهدَّده(١) واذ لم يكترث القديس بتخويفاته حكم عليه بالموت. فاسرعوا به الى محلّ العذاب. وتبعه الجيش وتقاطرت كلّ المدينة فقطعوا اوَّلًا اصابع يديه ورجليه واحدة فواحدة. ثم يديهِ ورجليه ثم ساقيهِ وذراعيهِ ثم راسهُ. وانَّ بعضاً من النصارى جمعوا فضة واعطوهـا للجلادين ليسلموهم جثتهُ. ولم يقبلوا. فلمَّا جُنَّ الليل اتوا وسرقوها وجمعوا الاعضاء المقطعة وكانت تسعة وعشرين وقبروها باكرام. وكان جهاد القديس سنة ٤٢١ يوم الجمعة في ٢٧ تشرين الثاني وفيه يذكره الكلدان والسريان. واتى ذكره في السنكسار الروماني في ٢٦ منهُ

٤ يعقوب الكاتب

انَّ هـذا الشهيد اصلهُ من كرخ ليدان (٢) في الاهواز. وكان كاتب الملك وارهاران. فامر الملك بالقبض عليه وعلى خمسة عشر من كتَّابه واكرههم على نبذ الديانة النصرانيـة. وكان يعقوب في العشرين من عمره. ولمَّا ابوا أخذت اموالهم وأُصدر عليهم الامر ان يسوسوا الافيال الشتاء كلهُ. ولما حان الزمان ليذهب الملك

---

(١) ان قصة مار يعقوب هذه لها مشابهة كثيرة مع قصة پيروز التي سبقت

(٢) مكتوب في القصة ܟܪܟܐ ܕܒܝܬ ܠܕܢ وهذا غلط من الناسخ لانهُ لم يُطلق ابدًا اسم كرخ على اورهاي او إديسا وذكرت القصة ان جثة القديس نُقلت نهرًا الى مدينته وان صوماي اسقف المدينة دفنها. فمدينـة ليدان كانت على نهر كرخا والسفن تطوف منها الى المدائن. واسقف ليدان كان حينئذٍ صوماي (راجع بيجان ج : ٢٤٠ — ٢٤١ وكتـاب السنهادوسات ٤٢)

الى مصيفه امروهم ان يتركوا الفيلة ويمهدوا الطريق قدام الملك· فصاروا يقطعون الاشجار ويقلعون الاحجار وكان وارهاران يقول لهم مرارًا: « لماذا تركتم ما كان لكم عندي من الكرامة واحببتم هذا الهوان.» فكانوا يجيبون: « كل ما يامرنا به ملكنا الجليل نحسبه اكراماً لنا· غير انه من المحال ان ننبذ ديانتنا·»

ثم اتى الخريف ورجع الملك الى المداين· فلما بلغوا جبال بلاشبار اراد ميهرشابور قتلهم· فقال له الملك: حسبهم ما سمناهم من العذاب والهوان· فانَّ اموالهم أُخذت وهم الآن في حالة يُرثى لها.» قال ميهرشابور: « اذا امرني مولاي الملك فانا دون الضرب والقتل احملهم ان يكفروا بديانتهم.» فقال له: « دونك ذلك.» فامر ميهرشابور ان ينزعوا عنهم ثيابهم واحذيتهم ويربطوا ايديهم الى وراءهم ويذهبوا بهم الليل كلهُ في الجبل· ولمَّا اصبحت القوهم على ظهرهم وهم عراة ومكبلون بالقيود ولم يقدّموا لهم من الخبز والماء الّا ما يسدّ رمقهم· ومرّ عليهم سبعة ايام على تلك الحالة من العذاب حتى سُلخت ارجلهم وضعفت اجسامهم· فقالوا لهم: « ان الملك امرنا ان نخلي سبيلكم اذا ما سجدتم للشمس· والّا فلنسحبنّكم على الحجارة والصخور في الجبل حتى تموتوا» وكان بعضهم قد أُغمي عليهم· ومن جملتهم يعقوب· فاجاب الباقون بصوت ضعيف: « انّنا نمتثل امر الملك.» فخلّوا سبيلهم· ولمَّا نالوا الشفاء انقطعوا للصوم والصلوة باكين على خطيتهم

وان واحدًا من عبيد يعقوب سعى بسيده عند حاكم المداين على انهُ لم ينبذ ديانتهُ فدعا الحاكم يعقوب ورفاقهُ· وسال اولًا رفاق يعقوب وحدهم قائلًا: اما امتثلتم امر الملك قالوا: اننا اهلكنا انفسنا مرة· فماذا تريدون منا · فعندها خلى سبيلهم· اما يعقوب فجاوبهُ بشدَّة غير ناكر ايمانهُ فغضب عليه الحاكم وامر بضربه· ثم اطلع الملك ايضاً على امره وعلى كل ما قال· فاحضره الملك واجبره ان يكفر بديانتهِ· فاجابه القديس: « ان اباك يزدجرد دبَّر ملكهُ بسلام احدى وعشرين سنة· وظهر مهيباً لدى جميع اعدائهِ وعظمت شوكتهُ لانهُ اكرم النصارى وبنى الكنائس وصار الاهالي معه في سعة· اخيرًا لما اضطهد النصارى عاقبه الله· وانت تعلم جيدًا يا سيدي الملك ايّ ميتة مات وكيف حُرم الدفن·» فاستشاط الملك وصاح: امرتُ ان يُقتل هذا الشقيّ تسع قتلات· فذهبوا بهِ الى ساليق حاروبتا وقطعوا اولًا اصابعهُ واحدة

فواحدة ثم يديه ورجليه ثم ذراعيه وساقيه . ثم جدعوا انفهُ وصلموا اذنيه واخيراً قطعوا راسه

وكان في المدائن بعض التجار من اهل مدينتهِ فاعطوا الحراس عشر قطع من الفضة واخذوا جثة القديس وراسه ولفوهما برداء ووضعوهما في دير في ساليق حاروبتا . واماً يداه ورجلاه واصابعهُ فخطفها الرهبان . ثم بعد ايام قليلة نقل التجار الجثة والراس على الدجلة الى مدينته . ولما سمعت امّهُ باستشهاده ونقل جثته فرحت ولبست ثياباً بيضاً وانطلقت الى صوماي اسقف المدينة واطلعتهُ على قصة ابنها فدفنتهُ في مكان لائق

٥ هرمزد الشهيد

انّ هرمزد كان من ارفع طبقات الأُسر الشريفة (١) . وجعلهُ يزدجرد الاول موهباطاً في نواحي مملكته . ولما جلس بهرام بلغهُ ان هرمزد نصراني . فامره ان ينكر المسيح . ولما ابى نزع عنهُ الثياب الفاخرة وارسلهُ الى البراري ليرعى الجمال . واستمر على هذه الحالة مدّة من الزمان . حتى تغير لونهُ وخارت قواه . ووقع عليه يوماً نظر الملك اذ كان يتطلّع من شباك قصرهِ . فاستدعاه ورحب به وناولهُ ثوبا فاخرًا ليلبسهُ مُلِحًّا عليه ان يسجد للشمس . اما هرمزد فاخذ الثوب وخرّقهُ ورجّعهُ الى الملك قائلًا: « خذ هديّتك الزائلة التي بها تريد ان ابيعك ديني . » فامر بهرام بقتله . وتذكارهُ عند اللاتين في ٨ آب

٦ بنيامين الشماس وشاهين

انّ بنيامين كان في غاية الحصافة (٢) . وردّ جما غفيرًا من المجوس . فسُعي به لدى بهرام الملك . وامر بتعذيبهِ وبقي محبوساً سنتين . وفي تلك الاثناء اي في سنة ٤٢٢ عُقد الصلح بين الروم والفرس . فالتمس سفير ملك الروم الى بهرام ان يخلّي سبيله . فاجابهُ الى ذلك غير انّ بنيامين لم يفتر من التبشير بالانجيل . واتصل الخبر

---

(١) تئودوريطوس كتاب التواريخ ٥ : ٣٩ . وميخائيل ١٧٣

(٢) فيهما ايضاً

ببهرام. فاستشاط غضباً وامر بادخال عشرين قصبة حادّة تحت اظافر يديه ورجليه وضيّقوا عليه وبالغوا في تعذيبه حتى قضى نحبهُ. وتذكارهُ عند اللاتين والسريان في ٣١ اذار

وكان شاهين ايضاً من عائلة شريفة غنية جدًّا وله الف عبد. فامره بهرام ان ينبذ الديانة المسيحية فلم يطعه القديس. فوهب الملك كلّ امواله لاحد عبيده حتى امرأته ومع كلّ ذلك لم يرتخ عزم هذا القديس الجليل

٧ تأجج نار الحرب بين الروم والفرس

انَّ جميع الكلدان النصارى لم يقتدوا بهؤلاء الشهداء الابطـــال. فانَّ كثيرًا منهم ارتدّوا. وبعضهم استخفوا وغيرهم هربوا الى بلاد الروم (١). فكتب بهرام الملك الى العرب الذين على الحدود ان يمنعوا النصارى من العبور. غير انّ اميرًا من امراء العرب يقال لهُ اسپاپاط (او اصبهبد) ليس فقط لم يتعرض لهم بل مدَّ لهم يد المساعدة. ولـــا سعى به المجوس لدى الملك. فرّ هارباً الى بلاد الروم والتجأ الى اناطوليوس قائد الجيوش الرومية الشرقية. فولّاه اناطوليوس على القبائل العربيـــة المحالفة للروم (٢)

وكان المالك حينئذ على الروم تئودوسيوس الثاني. وكان عمره لما جلس مكان ابيه اركاديوس ثماني سنين. فدبّر الملك نيابةً عنهُ انطيميوس الى سنة ٤١٤. ثم اختهُ پوليكريا. فطلب بهرام من تئودوسيوس ان يسلّم اليه النصارى الملتجإين الي بلادهِ. اما تئودوسيوس فلم يجب الى طلبته واعلن عليه الحرب سنة ٤٢١. فحمل القائد الرومي اردابور على بلاد ارزون وفتك بها. فزحف عليـــه ميهرنرسا قائد الجيوش الفارسية. وكانت الدائرة على الفرس. ودامت الحرب الى سنة ٤٢٢. وفيها عُقد الصلح بين الطرفين. فتعاهد الفرس ان يكفّوا عن اضطهاد النصارى. وكذلك اعطى الروم الحرية التامّة لعبدة النار الذين في بلادهم (٣). وكان داديشوع الجاثليق

---

(١) السنهادوسات ٤٥

(٢) تيلمون ܗܠ : ٣٦٠. والمشرق ١٩٠٩ : ٣٤٩

(٣) تيلمون ܗ : ٤٠. وسقراط ܘ : ܣܣ وميخائيل ١٧٣ — ١٧٤

ملقى حينئذٍ في الحبس مع كثير من الاساقفة (١) . فتزجاهم سفير الملك تئودوسيوس وأطلق سبيلهم . ومع ذلك لم ينته الاضطهاد بالكلية في المشرق . فان كاتب قصة پيروز الشهيد يقول ان اضطهاد بهرام الخامس دام خمس سنوات

٨ اقاق اسقف آمد

ومن الذين اشتهروا في اثناء المحاربة التي جرت بين الروم والفرس مار اقاق اسقف آمد المارّ ذكرهُ . لمّا اغار الروم على ارزون اسروا منها خلقاً كثيرًا وذهبوا بهم الى آمد . وكانوا في حالة يُرثى لها . فتحنّن عليهم مار اقاق واراد ان يخلّصهم من الاسر . وحيث لم يكن لهُ ما يفديهم بهِ دعا كهنتهُ وقال لهم : « من العدل ان نبيع مقدارًا من الآنية الذهبية والفضية التي اهداها المؤمنون الى الكنيسة ونفدي بثمنها هؤلاء الاسرى ونُطعمهم . » فاخرج اقاق آنية الكنيسة وذوّبها وفدى بها الاسرى وكانوا نحو ٧٠٠٠ نفس وارسلهم مزوَّدين مسرورين الى بلادهم . فوقع هذا الامر موقعاً حسناً في قلب وارهاران الملك . وطلب رؤيتـه . فارسله اليهِ تئودوسيوس الملك بعد عقد الصلح بين الفريقين سنة ٤٢٢ . هذا ما كتبهُ سقراط المؤرخ اما ديونوسيوس اليعقوبي (٢) فيقول عن الاسرى انهم كانوا ١٠٠٠٠ بيت وانّ هذا الامر حدث سنة ٧٢٥ يونانية (٤٢٤ م) لكنّ قول سقراط أصحّ

وقد رأينا ان مار اقاق قبل هذه المرة أُرسل من قبل تئودوسيوس الى يزدجرد الاول سنة ٤١٩ وانه حضر في المجمع الذي عقده مار يهبالاها في ساليق سنة ٤٢٠ وانه كان من جملة الاساقفة الـذين كتبوا رسائل الى الملك يزدجرد والى اسحق الجاثليق لإصلاح امور كنيسة فارس . ومن المحتمل انهُ تحزَّب للاساقفة الذين خلعوا طاعة داديشوع الجاثليق وسياتي ذكر ذلك

ومع انـه تحزَّب لنسطور كُتب اسمهُ مع ذلك بين القدّيسين في السنكسار الروماني في ٩ نيسان (٣) وتذكارهُ عند السريان الكاثوليك في ١٧ نيسان

---

(١) السنهادوسات ٩٥ . راجع ايضاً اعمال يعقوب الكاتب في بيجان ٤ : ١٩٢ . —

(٢) في السمعاني ١ : ١٩٦ . —

(٣) ريت الآداب السريانية طبعة ثانية ٥١ وكتاب السنهادوسات ٢٥٦ حاشية ٧ . —

الفصل السادس

داديشوع الجاثليق (٤٢٠ — ٤٥٦) والمجمع الرابع الكلداني (٤٢٤)

قلنا ان اساقفة فارس بعد وفاة يبالاها الجاثليق سنة ٤٢٠ تنازعوا الرئاسة. وفي مدّة سنتين جلس ثلاثة جثالقة الواحد بعد الآخر على كرسي المدائن. معنا وپروخبوخت وداديشوع. ومن الذين ساعدوا داديشوع على صيرورته جاثليقاً شموئيل اسقف طوس (١) لانهُ حفظ حدود البلاد في طوس وخراسان من تطرّق الاعداء ودخولهم ارض فارس وكان بهرام يحبهُ وقد اتى في اعمال مجمع داديشوع نفسه عن لسان اعدائه انّ رجلاً كان يسمّى اسقفاً أسامهُ جاثليقاً وهذا مما يشير على ان داديشوع ليس برضاء الاساقفة بل بالقوّة الجبريّة جلس على كرسي ساليق

فالنزاع لم يبطل في جلوس داديشوع. وكثير من الاساقفة الذين حرمهم منذ جلوسه صاروا يضاددونهُ. وكان هذا الحزب مؤلفاً من احد عشر اسقفاً وهم: بطي (هرمزد أرداشير) وبرشبثا (شوشان) وزبيدا (زابي) وقيسا (قوني) وشربيل (دَسقَرقا دَملكا) وابنير (كشكر) وشليمون (بيت نوهدرا) وبرحيلا (تَحَل) وبريكوي (بلشپار) وپريوخت من ارداشير كوره ويزيدبوزيد من دربغداد (٢) فسعى هؤلاء الاساقفة بداديشوع عند الملك بهرام ورجال دولته فاصغى اليهم الملك لانهُ كان يطلب فرصةً لاضطهاد النصارى الذين كثروا جداً جدًّا في المملكة. فكُبّل داديشوع بالقيود وأُلقي في السجن وضُيق عليهِ كثيراً

---

(١) ماري ٣٦ وعمرو ٢٨

(٢) انّ هذه الجملة لا تدل على ان پريوحت ويزيد بو زيد كانا اسقفين الواحد على ارداشير كوره والاخر على در بغداد مثلما ظن شابو بل تشير على انهما من هتين المدينتين. ومما يؤيد ذلك رواية ماري وعمرو ان پريوخت كان اسقف كازرون. — ثم ان شابو يكتب ܕܪܒܓܕܕ والحالة ان هذا الاسم مكتوب ܕܪܒܓܕܕ في النسختين اللتين بلغتا الينا من كتاب السنهادوسات

واضطهدوا ايضاً النصارى وهُدِمت البيع والاديرة. وجحد كثيرون وهرب جمع كثير واما المستشهدون فكانوا قليلين. وبقي داديشوع في الحبس الى ان عُقد الصلح بين الملك بهرام والروم. وحينئذ توسط سفير الملك تودوسيوس لإخراج داديشوع من الحبس كما رأينا. غير انّ اخصامه لم يزالوا يقرفونهُ قائلين عنهُ انهُ ليس جاثليقاً وانه كتب الى المجوس ان ليس هو رئيساً على النصارى وما عاد يرسم لهم اساقفة وكهنة وشمامسة وتعاهد ان يكرم النار والماء ووطئ تحت رجليه الشرائع النصرانية ويعطي الدراهم بالرباء ويأخذ الرشوة واضطهدوه كثيراً حتى التزم ان يستعفي وينفرد في الحيرة (١). ولما وصل هذا الخبر الى مسامع المطارنة والاساقفة المتحزّبين لهُ تقاطروا اليه وطلبوا منه بكل الحاح ان يرجع الى كرسيه. وكان عددهم ستة وثلاثين وهاك اسماؤهم (٢) : آغبطا (بيت لاباط) وهوشاع (نصيبين) وزبدا (براث ميشان) ودانيال (اربيل). وعقبلاها (كرخ سلوخ) ويزداد (ريواردشير) وميليس (قردو) وعبد يشوع (شوشتر) ودانيال (ارزون) وشمعون (الحيرة) وابراهام (ريما) ويوحنان (نهركور) ونرسا (كرخ ميشان) ونرسا (ردني) وماري (كشكر) وبطا (لاشوم) ويوسف (حربث كلال) ويوحنان (أوستان ارزون) وميليس (شوشتر) (٣) وبَرشَبا (مرو) ويزدوي (هرات) وأبريد (سجستان) وداود (أبرشهر) ودوماط (شواثيا دكوركان) وداود (ري) واداي (اريون عبدا) وصصرا (بيت دارايي) وأطيق

(١) في اعمال مجمع داديشوع مكتوب ܡܪܟܒܬܐ ܕܛܝܝܐ مَركَبْتا العرب. فهذا المحلّ مجهول ولم يُذكر الا هنا. وهو غلط من الناسخ عوض ܡܕܝܢܬܐ ܕܛܝܝܐ مدينة العرب. فيكون داديشوع قد هرب الى الحيرة التي كانت نوعاً ما مستقلّة. اما الاب شابو فقد ذهب ان ܡܪܟܒܬܐ عوض ܡܪܟܒܬܐ . وقد اتى اسم هذا المحل في النبذة التاريخية التي طبعها كويدي (ص ١٧ و٢٨ و٣٠) وفي كتاب التلموذ وكان بالقرب من المدائن. اما ماري وعمرو فعوض مركبتا العرب يكتبان دير القبوث غير ان هذا الدير كان في بيت زبداي

(٢) السنهادوسات ٤٣. و٢٨٩—

(٣) الظاهر ان شوشتر كان لها اسقفان

(بيث موكسايي) وارطشهر (ارمنية) وقبريس (داسان) ومارا (بيت بغاش) وأبراهاط (اصبهان) وارداق (مَشكنا دقُوردو) وزادوي (اسطهار) ويوحنان (مازون) وهطا (شُوَايثا دِبيلاشپار). ولم يُجب داديشوع في اول الامر الى سؤال هؤلاء الاساقفة. بل بـدأ يعدّد اوجاعهُ ومصائبه ويصف شرّ اخصامه الذين حُرِموا في مجمع مار اسحق ومجمع مار يهبالاها. ثمّ استتلى كلامه قائلًا: « اتركوني ابكي على جروح الكنيسة وعلى سفالة اولادها وهلاكهم. » قال هذا وفاضت عيناه بالدموع. (١)

حينئذٍ قام آغبطا اسقف بيت لاپاط وقرأ الرسائل التي كان الاساقفة الغربيون قد ارسلوها قبلًا الى اساقفة الشرق في زمان پاپا واسحق الجاثليقين. وحكى طويلًا عما جرى من الشقاق في ايامها وايام مـار يهبالاها. ثم ختم كلامه قائلًا: « وانتم ايها الآباء تعرفون انهُ في كلّ حين صار بيننا نزاع وشقاق. وانّ الآباء الغربيين سندوا دائمًا هذا الكرسي الذي بهِ نحن جميعاً . معشر التلاميذ والاولاد مرتبطون كاعضاء الجسد بالراس ملك الاعضاء . وانّهم خلّصونا ونجّونا نحن واباءنا من اضطهادات المجوس وذلك على يد السفراء الذين ارسلوهم احياناً من اجلنا (الى ملوك فارس) وقد اشتدّ الآن علينا الاضطهاد والضيق والظروف لا تمكّنهم ان يهتموا في امورنا كالسابق . فنحن نظير اولاد اعزاء وورثة غيورين نلتزم ان نسند ونساعد بعضنا بعضاً بقوّة هذه الرئاسة . واذا سقطنا لا سمح الله من علوّ الرئاسة فنحن هالكون لا محالة فهلمّوا بنا لنسدّ ثلمات شعبنا ومقامنا ونسلِم انفسنا الى اي ميتةٍ كانت (٢) فداء عن ابينا ورئيسنا وقائدنا ومدبّرنا وموزّع الكنوز الإلهية مار داديشوع الذي هو لنا كبطرس رئيس جماعتنا الكنسية . »

ولمّا فرغ آغبطا من كلامه هذا نهض هوشاع اسقف نصيبين وحثّ الاساقفة قائلًا: « ما لي اراكم ايها الاخوة جالسين ساكتين. ان كان اولئك المحرومون يولّدون اضرارًا للكنيسة بكذبهم وشكاياتهم فكم بالحري نحن مجبورون ان

---

(١) السنهادوسات ٤٤ — ٤٦

(٢) تدلّ هذه الجملة على ان الاساقفة المضاددين كانوا اقوياء عند الملك بهرام وان اساقفة الغرب كانوا يساعدونهم

نبذل جهدنا ونعمل ما يفيدنا لتثبيت رئاسة ابينا ورئيسنا مار داديشوع الجاثليق وجلب الامن والسلام في البيعة .»

فاثرت هذه الاقوال في قلوب الاساقفة وقاموا قاطبةً وخرّوا على قدمي الجاثليق ملحّين عليهِ ان يرجع الى كرسيّه ليدبر الكنيسة . وحرموا المنشقّين وابرزوا عليهم قضيّة التبطيل من الكهنوت . ثم حكموا ان لا سبيل لأساقفة الشرق ان يشتكوا على بطريركهم حتى عند بطاركة الغرب وألاّ يعقدوا مجمعاً لمحاكمتهِ لان محاكمته يجب ان تكون قدام عرش المسيح . فاجاب داديشوع الى طلبتهم . وثبّت قضيّتهم في حرم المنشقّين وعفا عن الذين جهالة منهم وقعوا في فخهم

هذه هي اعمال مجمع داديشوع الجاثليق والامر الاكثر اهميةً فيهِ هو استقلالية كرسيّ ساليق من حكم الاساقفة الغربيّين . ولكن ترى ما الذي حمل المجمع على هذا القانون ولماذا لا تسمح الظروف للغربيين كما قال آغبطا ان يساعدوا هذه البطريركية فيما ان المجمع نفسهُ يعلن على رؤوس الملأ ان الغربيين بتداخلهم الفعّال بطّلوا مراراً الشقاق الذي ضرب اطنابهُ في كنيسة ساليق وخلّصوها من اضطهاد الفرس لا بل ان داديشوع نفسهُ انما على يد السفير الروماني خلص من الحبس

ان المجمع لم يصرح بالاسباب الداعية الى هذا الحكم . لكنا نقدر ان نستنتج من اعمالهِ نفسها ان المنازعة بين حزب داديشوع وحزب اعدائه كانت شديدة جداً . وان النصرة كانت لاعداء داديشوع فانهم قدروا ان يعقدوا ضدّه مجمعاً في المدائن والحكومة الفارسية كانت معهم وهذا يتضح جليًّا من حبس داديشوع واستعفائه وهربه من المدائن الى مدينة عربية كانت مستقلّة نوعاً ما . ولما رأى الاساقفة الذين من حزبه ان رئاستهم ايضا في خطر اسرعوا ولحقوا به هناك وعملوا مجمعهم ويُستنتج ايضاً من اعمال المجمع ان اقاق اسقف آمد تحزب للاساقفة الذين كانوا ضد الجاثليق وكان اقاق معزّزًا ومسموع الكلام لدى بهرام الملك . ولا بدّ من ان اعداء داديشوع التجأوا ايضاً الى الاساقفة الغربيين وكتبوا لهم ماشيعوه عنه في بلادهم من السيّئات فتحزب لهم الاساقفة الغربيون وامروا اقاق ان يمد اليهم يد المعونة . هذا هو السبب الذي من اجله حكم مجمع داديشوع ان لا يشتكي اساقفتهم على الجاثليق لدى بطاركة الغرب

وعاش داديشوع في الجثلقة ٣٥ سنة (١) . وقضى حياته كلّها في المرارة من جراء الشقاق الداخليّ والاضطهادات التي اثارهـا الملك وارهاران الخامس وابنه يزدجرد الثاني وفي ايامـه صار النزاع بين كيرلوس الاسكندريّ واسطوريوس القسطنطينيّ والظاهر انه لم يتحزب لاحد الفريقين ومات سنة ٤٥٦ (٢)

الفصل السابع

في اضطهاد يزدجرد الثاني للكلدان النصارى

١ في اساقفة بيث كرماي

ان بهرام الخامس مات سنة ٤٣٨ وقام بعده ابنهُ يزدجرد الثاني. واقتدى بابيه في سياسته مع المجوس. فانه انقاد الى رأيهم وقلّد امر المملكة بيد ميهرنرسا الذي كان الدّ عدوّ للنصارى. ومما امتاز بهِ يزدجرد خاصّةً اضطهاده للنصارى الذين في بيث كرماي وبلاشبار

. ان قاعدة بيت كرماي كانت كرخ سلوخ وهي كركوك الحالية. وانتشرت فيها الديانة المسيحية منذ أوائلها كما سبق القول(٣) عن يد مار ادي ومار ماري وقد ذكرنا ايضاً الاساقفة والشهداء الذين في النصف الاول من الجيـل الرابع سقوا بدمائهم اراضي هذه القطعة المباركة (٤) وقد اتى في تاريخ مشيحا زخا انه بين الاساقفة الذين اجتمعوا في ساليق لمعاتبة پاپا سنة ٣١٧ كان عقبلاها اسقف كرخ سلوخ. لكنّ تاريخ كرخ سلوخ لا يذكر بين اساقفة هذه المدينة في ذلك العهد سوى معنا واسحق ويوحنان. والظاهر ان مشيحا زخا خلط بين مجمع ساليق الاول ومجمع ساليق الثاني المعروف بمجمع مار اسحق الذي عُقد سنة ٤١٠. فانه في هذا المجمع الاخير حضر عقبلاها وامضى قوانينه

---

(١) ايليا ٤٩. وماري ٣٦. وعمرو ٢٩

(٢) عمرو غلطاً يجعل موتهُ سنة ٤٦٥

(٣) انظر ص ٩٨ (٤) انظر ص ٦٢-٦٤

كان عقبلاها (١) من اسرة شريفة . وامتاز خاصةً في حبه للفقراء فانهُ لما بلغ الخامسة عشرة من عمره كان يأخذ خفيةً من بيت ابويهِ ذهباً وفضةً وغير ذلك ويوزعها على المحتاجين . وكان ابوه على باب الملك . ولكي يزداد عنده مكانةً نبذ الديانة المسيحية . فكدّر هذا الخبر عقبلاها ونغّصهُ عن البقاء في وسط العالم . فرغب في الانتظام بسلك الرهبان . ولما صار اسقفاً صرف همته قبل كل شيء بتشييد الكنيسة التي هُدمت على ايام مار معنا . وجهّزها بكل ما يلزمها من الاواني الفضية والذهبية وبعد وفاة والديهِ اوقف لها كل ما كانا يملكانه واهدى سكان تيشين الى النصرانية وهي قرية كبيرة في جنوبي كركوك على مسافة ساعة منها . وقيل عنهُ ان الملك بهرام الرابع استدعاه اليهِ فشفى ابنتهُ من علّة كانت فيها

وحضر عقبلاها سنة ٤١٠ في مجمع اسحق الجاثليق وفي هذا المجمع تقرّر ان يكون كرسي كرخ سلوخ مطرانياً يحكم على اساقفة شهرقرت ولاشوم واريون وحرباث كلال ودارا . ثم في سنة ٤٢٤ حضر ايضاً عقبلاها في مجمع داديشوع مع بطا اسقف لاشوم ويوسف اسقف حرباث كلال ونرسا اسقف دارا (٢)

ومن بعد عقبلاها جلس على كرسي كرخ سلوخ برحدشبا ثم أخسنايا ثم شابور براز ولم يُذكر في التواريخ سنة جلوسهم ووفاتهم . وكان شابور من شرفاء المدينة واسم ابيهِ بورزين ولهذا قيل لهُ شابور براز او شابور بورزين . واشتهر بتقشفه وحبه للمرضى . فانهُ فتح كنوز والديه واقام في ارضهما مستشفى وفوّض معالجة المرضى الى اطباء حاذقين . واوقف املاكا واموالاً لنفقاتها اللازمة . ثم استعفى من الرئاسة وانحبس في احد الاديرة وانتُخب مكانه مار يوحنان . وفي ايام هذا المطران الجليل جرى دم النصارى سيولاً في بيت كرماي وبلاشپار وكانت بلاشپار على ساحل نهر ديالة داخلة في بيت كرماي او اقلهُ متصلة بها

ولكن تُرى ما الداعي لهذا الاضطهاد الشديد ؟ ولماذا بقي الاضطهاد محصوراً

---

(١) بيجان ܒ : ٥١٥ — ٥١٧ . وماري ٣٤

(٢) ان دارا في اعمال مجمع اسحق مكتوبة ܕܪܕܡ وفي مجمع داديشوع ܕܪܕܡ ولا بد من ان هذا غلط من الناسخ عوض ܕܪܐ

في بيت كرماي وبلاشپار ؟ فالجواب مما اتى في التواريخ ان سبب قتل النصارى فيها كان تنصر بعض الحكام هناك. فحسبهم يزدجرد الثاني (١) عصاةً قد خلعوا له الطاعة كما سترى من تنصُّر طهمازكرد حاكم كرخ سلوخ وآذورهرمزد موهباط بلاشبار فارسل يزدجرد عمالهُ ليتفننوا في تعذيب النصارى

٢ شهداء بيت كرماي

اتى في تاريخ كرخ سلوخ (٢). ان طهمازكرد وآذوربرزكرد وداستبرهام دخلوا مدينة كرخ سلوخ في ١٥ تموز. فنكّلوا بالاكابر والشرفاء واودعوهم سجناً ضنكاً. واوفدوا جنودهم الى الاقطار ليقبضوا على النصارى. ولما رأى مار يوحنان مطران المدينة ما المّ بقطيعهِ كتب الى بطريرك انطاكية طالباً دعاءه. ولبث في الكنيسة مع قطيعهِ الى العشرين من آب وفيهِ امر طهمازكرد بالقبض عليـهِ مع عشرة من اشراف المدينة والقوهم مكبلين في السجن وكان معهم عشرون الفاً من النصارى. واتى الجنود من بلاد أُخرى بعدد لا يحصى من النصارى رجالاً ونسـاء وكهنةً واساقفة منهم مطران اربيل (٣) مع كهنتهِ وشمامستهِ واسقف بيت نوهدرا واسقف معلثا ومطران شهركرد واساقفة لاشوم وماحوزا اريون وحرباث كلال ودارا مع أكليروسهم. وقيـل ان عددهم بلغ ١٣٣٠٠٠ نفر. وفي دخولهم المدينة كانت راية الصلب تتقدمهم وهم يترغون بالمزامير فارتجّت المدينة واضطرب الموهباط

ولما كان اليوم الرابع والعشرون من آب صعد طهمازكرد الى محل يُدعى بيت تيثا وفيهِ قُتل عدّة شهداء على ايام شابور الملك (٤). فمثُل امامهُ مار يوحنان مع

---

(١) في كتاب اشهر شهداء المشرق قد ذهبت ان يزدجرد الذي اضطهد نصارى بيت كرماي هو يزدجرد الاول (٣٩٩-٤٢٠) ولكن الان يتضح لي جلياً ان يزدجرد المذكور هو الثاني (٤٣٨-٤٥٧) كما يقول ايضاً ماري

(٢) بيجان ج : ٥١٩ — ٥٣٠. اشهر شهداء المشرق ج : ٢٢٤ — ٢٣٧

(٣) كان مطران اربيل في ذلك العهد رحيما. ومشيحا زخا الذي كتب ترجمتهُ لم يقل عنهُ انهُ استشهد بل يشير انهُ من حدياب ايضاً قتل خلق في اضطهاد يزدجرد. ويقول ان عبوشطا خليفة رحيما ويوحنان مطران بيت كرماي عقدا مجمعاً وحكما ان يجتمع كلّ سنة اساقفة بيت كرماي ويعيدوا عيد جميع الشهداء الذين تكللوا على عهد يزدجرد واجبرا بذلك مار بابوي الجاثليق

(٤) انظر ص ٦٤

الكهنة واعيـان المدينة . فوضع قدامهم آلات العذاب المهولة فدنا اسحق بن هرمزكرد احد اشراف المدينة من تلـك الآلات وقبلها قائلاً : السلام على هذا الحديد فاننا بهِ ندخل الملكوت فغضب عليهِ الموهباط وامر الجلادين فاضجعوه على الارض ودقّوا اوتاداً بيدَيهِ ورجليه . وسلخوا جلده بامشاط حديدية وامر الموهباط باحضار جميع المحبوسين ليشاهدوا اسحق وهو في ذلك العذاب المؤلم لعلهم يفشلون فحضروا مسرورين وراية الصليب تتقدمهم وهم يترنمون بالمزامير . فاتى الجلادون بالنفط ودهنوا به عظام اسحق واطلقوا فيها النار

ثم أُحضر المطران يوحنان مصحوباً بداديشوع وشوحاليشوع وبختيشوع الكهنة وبستين آخرين وذهبوا بهم الى الوادي الـذي بشرقي بيت تيبا فمنهم من قطعوا رجلَيه . ومنهم من قطعوا لسانه ومنهم من فُقئت عيناه ومنهم من سلخوا جلدة راسه . ثم دهنوهم بالنفط واحرقوهم قاطبةً . وكان استشهادهم يوم الجمعـة في ٢٤ آب

ولما كان في الغداة اخرجوا الى ذلك المحل عينه ثلاثة آلاف من نصارى المدينة منهم اسحق واسطيفان الكاهنان ورُجما بالحجارة مع عبرهما من المعترفين ومنهم راهبتان رُجمتا بالحجارة مصلوبتين . ومنهم ابراهام وشمعون ومعنـا من الاعيان والاشراف فأجلسوهم في حفرة ورشقوهم بالسهام . ثم احموا مسامير بالنار وشكّوها في عيونهم . والباقون ساموهم امرّ العذابات والموت

ولما كان يوم الاحد اخرجوا الى ذلك المحل ايضاً ٨٩٤٠ معترفا من الذين اتوا بهم من المدن والقرى البعيدة والقريبة . وفي مقدمتهم الاساقفة المارّ ذكرهم . فولّى طهمازكرد زهاء ثلاثة آلاف من المجوس امر تعذيبهم وقتلهم . فمنهم من أُحرق بالنار ومنهم من قُطع راسهُ . ومنهم من نُشر بالمنشار . ومنهم من رُجم بالحجارة . وفي الآخر اخذوا رؤوس الاساقفة بحدّ السيف

وان امراة بجوار بيت زادوق اسمها شيرين كانت في تلك الاثناء تخبز في بيتها فلما سمعت بتكليل الشهداء تركت العجين واخذت ولديهـا واحداً على كتفها والآخر بيدها واسرعت الى بيت تيثا . ولما انتهت الى طهمازكرد قبضت على لجام حصانهِ واستحلفتهُ ألّا يمنعها من اللحاق بزمرة الشهداء . فاستغرب هذا الامر العجاب

وبدا يلحّ عليها ان تمسك عن رايها . ولما ابت امر بها وبابنها الكبير فقُتلا بالسيف . فاكبّ ابنها الصغير على جثتها وجثة اخيهِ يقبلها باكياً . فدعاه المجوس واخذوا يلقونهُ ويستغوونهُ بالهدايا واذ لم يجدوا الى ذلك سبيلاً ضربوا عنقه ايضاً

حينئذٍ اخذ طهمازكُرد يفكر في امر المقتولين وكيف انهم بطيبة نفس وفرح يقدمون انفسهم للموت . فرأى سلَّماً من نور قائمة على الارض وراسها يصل الى السماء وراى المقتولين يرتقون عليها الى السماء . والرب في اعلاها يضع على رؤوسهم تيجاناً من نور . وللحال ارعوى وصاح قائلاً : انا ايضاً نصرانيّ . وبلغ يزدجرد خبر تنصره فامر بتعذيبه شديداً . واذ لم يفشل . صُلب منكّس الراس في ٢٥ ايلول

وبنى مارون مطران كرخ سلوخ ديراً جليلاً في محل قتل هؤلاء الشهداء . وهو موجود الى الآن ويدعى بالتركية قرمزى كليسا اي الكنيسة الحمراء او كنيسة مار طهمازكُرد وهي بشرقيّ كركوك على مسافة اقلّ من نصف ساعة منها . وكل سنة في عيد هذا القديس الواقع في ٢٥ ايلول يقصدها نصارى كركوك زرافات للتبرّك من عظام الشهداء المدفونة هناك

وقيل ايضاً عن مارون انهُ هو وبابوي الجاثليق عقدا مجمعاً من اساقفة بيت كرماي وحدياب وقرّروا ان يعيَّد لهؤلاء الشهداء ثلاثة ايام اي الجمعة والسبت والاحد من الاسبوع السادس من صوم الرسل(١) وكذا أتى في تاريخ مشيحازخا(٢) غير ان هذا المؤرخ يذكر ان مطران كرخ سلوخ كان يوحنان (الثالث) . وليس مارون والباتث ان قولهُ أصحّ . فاننا نرى مار يوحنان مطران كرخ سلوخ حاضراً سنة ٤٨٦ في مجمع مار اقاق الجاثليق (٣) . فيكون اسم مارون تحريف يوحنان في تاريخ كرخ سلوخ

٣ شهداء بلاشپار

في تلك السنة التي قُتل فيها طهمازكُرد موهپاط كرخ سلوخ كان آذورهرمزد

---

(١) بيجان ٢ : ٥٣٠ — ٥٣١

(٢) يذكر مشيحا زخا ان بيروز قُتل سنة ٤٨٤ وفي تلك السنة عُقد مجمع بيت كرماي فيكون اربعة اشهر قبل مجمع بيت لاباط

(٣) السنهادوسات ٥٤

موهياط بلاشبار قد اعتنق هو ايضاً مع ابنتهِ الديانة المسيحيــة عن يد مار پثيون القديس . كان پثيون من اشرف العائلات هناك وتنصر مع ابيهِ عن يد عمّه يازدين الذي اعتنق الديانة النصرانية وترهّب في دير بيت ساهدي في كرخ سلوخ مدة ٣٢ سنة فانضم پثيون الى عمهِ يازدين وسكن معهُ في الجبل اربع عشرة سنة مقتدياً بفضائلهِ وتقشفاته . وكانت وفاة يازدين في صومعتهِ في ٢١ ايلول وفيهِ يجعل لهُ الكلدان تذكاراً (١)

ومن بعد وفاتهِ بدأ مار پثيون يطوف كل سنة بلاد ماسبذان ومادي وبيت دارايي وكوسايي ويتلمذ خلقاً كثيراً وذهب بفتوحاتهِ الدينية الى ميشان ومهركانقدق وبنى هناك اربع كنائس عظيمة

أما آذورهرمزد موهياط بلاشپار فكان من مدينة بهشابور في فارس . وكان شهيراً بين المجوس . ولهُ ابنة وحيدة اسمها اناهيذ بديعة الجمال رشيقة القد . فلما بلغ خبر تنصره مع ابنته الى مسامع الملــك يزدجرد امر قائده آذورپرزكرد ان ينطلق بجيشه الى هناك ويقبض على آذورهرمزد ويقتلهُ . وكان ذلك في السنــة التاسعة ليزدجرد وهي السنة ٤٤٦ للمسيح اي ستة اشهر بعد قتل طهماز كرد . فقبض على آذورهرمزد ونكّل بهِ وقتله في ٢٥ نيسان في بقعة قرية ياثري في بلاشپار . وفي تلك الليلة ذهب المسيحيون بجثتهِ الى قلاية مار پثيون وقبر هناك باكرام

ثم ان آذورپرزكرد قبض ايضاً على اناهيذ وبذل جهده في جلبها الى آرائه ولم يقدر . فأوقع بها ضرباً على فمها وراسها بقساوة وحشيــة حتى تورّم راسها ووجهها وتساقطت اسنانها . واودعوها سجناً ضيقاً . وفي الغد عادوا الى تعذيبهــا . فاوثقوا يديها تحت ركبتيها وادخلوا خشبة تحت ابطيها وعلّقوها هكذا منكسة الراس . وبقيت على تلك الحالة الليل كله . ثم ذهبوا بها الى الجبل الذي كانت تسكن فيه وتفنّنوا في عذابها . وهناك طارت روحها الى السما واتى كثير من الاسرى الروميين الذين كانوا بقرب المكان ومعهم كهنة واخذوا جثتها ودفنوها في قبر ابيهــا

---

(١) قائمة القديسين السنوية

آذورهرمزد ومار يازدين وكان ختام جهادها في ١٨ حزيران وفيه الى تذكارها عند الكلدان

ثم قبضوا ايضاً على پثيون وقتلوه اشنع قتلة فان الجلادين ذهبوا به الى الموضع الذي فيهِ قُتلت اناهيذ وقطعوا أولاً اذنيه ومنخرَيه. وفي اليوم الثاني قطعوا يدَيه ورجليه وفي اليوم الثالث ذراعيه وفي اليوم الرابع ساقيه وفي اليوم الخامس فخذيه وفي اليوم السادس اخذوا راسه بحدّ السيف. وكان استشهادهُ يوم الاربعاء ٢٥ تشرين الاول سنة ٤٤٦. وعلّق راس القديس عشرة ايام على الجادة ليراه الجميع فيخافوا ولما كان اليوم الحادي عشر اجتمع كثير من النصارى واخذوا اعضاءه ودفنوها في لحف الجبل حيث قُبر رفاقهُ الاجلاء. وتذكار مار پثيون عند الكلدان والسريان في ٢٥ تشرين الاول. وله عند السريان فرض خصوصي فيه يُذكر آذورهرمزد واناهيذ ابنته وكان الكلدان يمسكون تذكار دفن اعضاء هذا الشهيد في ٣ تشرين الثاني. ويوجد كنائس كثيرة للكلدان على اسمه من جملتها كنيسة قديمة في الموصل. وفيها جزء من جسد مار پثيون والمواصلة يعيدون لهذا الشهيد يوم الخميس الثاني من اسابيع ايليا لانهُ في ذلك اليوم بنيت تلك الكنيسة. ويوجد كنيسة اخرى في ديار بكر هي اليوم الكنيسة الكاتدرائية وكان على اسمه ايضاً كنيسة ودير وقلاية بطريركية في بغداد

الفصل الثامن

في هرطقتَي نسطور واوطاخي

ان جلوس ملوك الروم في القسطنطينية رفع مرتبــة الكرسيّ القسطنطينيّ وفاق الكرسيّ الاسكندريّ منزلةً. ولذلك كان بطاركة مصر يحسدون بيزنطية وحدث مراراً بين الكرسيين منازعات شديدة (١) . من ذلك مخاصمة تئوفيلوس بطريرك الاسكندرية لمار يوحنــا الذهبيّ الفم. ان هذا القديس الجليل جلس على

(١) قاموس اللاهوت الكاثوليكيّ تاليف علماء المانيا الكاثوليك ترجمة كوشلير ٥ : ٣٧٤ .

كرسي القسطنطينية سنة ٣٩٧. فشق ذلك على تئوفيلوس لانهُ اراد ان يُقيم مكان يوحنا واحدًا من حزبهِ. وصار يحتال على يوحنا وينصب لهُ الدسائس حتى عقد مجمعاً سنة ٤٠٣ في القسطنطينية نفسها وحكم ظلماً عليهِ وانزلهُ عن كرسيه

وقام بعد تئوفيلوس على الكرسي الاسكندري ابن اخيه كيرلّوس سنة ٤١٢ وقضى كيرلّوس كل ايام حياته في النزاع والخصومات في امور شتى. ومما اشتهر به اكثر ما يكون مناضلتهُ لنسطور وتفنيده لتعليمه

جلس نسطور على الكرسي القسطنطيني سنة ٤٢٨. وكان متكبّرًا يحبّ ايضاً النزاع فاضطهد الاريوسيين واراد هدم كنيستهم. فالتزموا ان يحرقوها وبسببها احترق بيوت كثيرة. ولاجل ذلك سُمّي نسطور المحرق. واضطهد ايضاً النصارى الذين كانوا يعيّدون الفصح مع اليهود. ومما اشتهر به قولهُ ان في المسيح طبيعتين واقنومين بشخص واحد. وان لاهوت المسيح لبس الناسوت وصار الناسوت هيكلًا للاهوت ومسكنهُ. وان مريم لا يجوز ان تُدعى ام الله بل ام المسيح الاله لانها لم تلد اللاهوت بل ولدت شخصاً هو إله وانسان معاً. وهذا كان راي اغلب العلماء الذين اشتهروا في انطاكية ونواحيها (١) مثل ديودوروس اسقف طرسوس (٣٧٨— ٣٩٤) وتئودوروس اسقف مصيصة (٣٩٠—٤٢٨) ومار يوحنا فم الذهب

وحالما انتشر تعليم نسطور قام عليهِ كيرلّوس الاسكندري وشمّر الساعد لسحق راسه. وكان كيرلّوس تارةً يقول ان في المسيح طبيعة واحدة اي طبيعة الاله الكلمة المتجسّد (٢) وتارةً يقول ان في المسيح طبيعتين متحدتَين لكن المسيح واحد. ولم يكن لهُ ثبات في قوله او بالحري لم يكن يتجاسر ان يوضح افكاره توضيحاً تامًّا كما قال عنهُ يوحنا بطريرك انطاكية وكثير من الاساقفة المعاصرين لهُ (٣) وانما لاجل هذا جعلهُ الكاثوليكيون كاثوليكيًا وجعلهُ المنوفيسيتيّون منوفيسيتيًّا

---

(١) لابور ٢٤٨ — ٢٥٢ (٢) تاريخ مؤلفي الكتب المقدسة . . . صص ٣٣١

(٣) لو پوس (Lupus) قم : ١٣٨ ص ١٢٢ فهد : ١٤٧ ص ١٤٠ . ومجلة الشرق المسيحي ١٩١٠ ص ٣٦٦ — ٣٨٦

وكان في ذلك الزمان على كرسيّ مملكة الروم تئودوسيوس الثاني. فامر بالتئام مجمع مسكونيّ في افسوس سنة ٤٣١ لحسم هذا الجدال والنزاع وكان رئيس المجمع كيرلوس. فحرم الاساقفة الحاضرون نسطور وتعليمهُ وانزلوه عن كرسيّه اما يوحنا بطريرك انطاكية واساقفته فدافعوا عن نسطور. وعقدوا هم ايضاً مجمعاً في افسوس فيه حرموا كيرلوس واجتهدوا بتبطيل مجمعه. لكنّ قوّتهم تلاشت قدام اوامر الحكومة فحدث من ذلك سجس عظيم واضرار جسيمة شتى. واجتهد اولياء الامر والناس الاتقياء في إزالة الشقاق من الكنيسة. فكتب القديس ايسيدوروس البيلوزيّ الى كيرلوس ما نصّه(١) : « ان التعجيل في الامور المشبوهة يقلّل النظر . اما البغضة فتعميه بالكلّية . ان اردت ان تتجنّب هذين العيبَين عليك الاّ تحكم حكماً شديداً بل ان تفحص بعدل عن الاسباب. ان كثيرين من الذين اجتمعوا في افسوس يقولون عنك ان بغيتك ان تاخذ بثارك من اعدائك. لا ان تهتم حقيقةً بمنافع يسوع المسيح. ويستتلون كلامهم انهُ هو ابن اخي تئوفيلوس فيقتدي به ايضاً ويجتهد في اكتساب الشرف مثل عمّه الذي القى غضبهُ على الطوباوي يوحنا ولو انهُ يوجد فرق عظيم بين المشتكى عليهما (٢) » ثم كتب لهُ ايضاً : « ناشدتك الله ان تضرب عن هذه المنازعة ولا تجرح جسم الكنيسة اخذاً لثارك من الذي اهانك. فتصير بحجة الديانة سبباً لانشقاق ابديّ في الكنيسة. »

والظاهر ان هذه الاقوال وغيرها اثّرت في القلوب. ولاسيا لان الملك امر يوحنا الانطاكي وكيرلوس الاسكندريّ بالقاء السلام في الكنيسة . فعقد يوحنا البطريرك مجمعاً في حلب سنة ٤٣٢ التأم فيهِ جميع اساقفة الشرق ما عدا ربولا اسقف اورهاي لانهُ كان متحزباً لكيرلوس. وحرم هذا المجمع نسطور. وامضى كيرلوس مع اساقفته قانون الايمان الذي ارسلهُ اليه يوحنا. وهو ذات القانون الذي حدَّده يوحنا واساقفته في افسوس بالمجمع الذي عقدوه ضد كيرلوس وحزبه. وكان فيه ان يسوع المسيح إله وانسان معاً وان فيه طبيعتين طبيعة الهية وطبيعة انسانية

---

(١) ايسيدوروس الرسالة ٣١٠ و٣٧٠ وتاريخ مؤلفي الكتب المقدّسة . . . صه : ٤٧٧

(٢) اي مار يوحنا فم الذهب ونسطور

وان مريم هي ام الله

فقدّم الطاعة ليوحنا البطريرك بعض الاساقفة المخالفين. والذين أبوا أُرسلوا الى المنفى بقوّة الحكومة. وعلى هذا عُقد الصلح بين المصريين والشرقيين. وكان نسطور قد انفرد في دير بقرب انطاكية. وقال عنه سقراط المؤرخ: « انـه لما راى ان لا سبيل الى الاتحاد طالما النزاع ضارباً اطنابه تاسف على ما جرى وقبل لفظة تثوتوكوس اعني قال: لتُدعَ مريم ام الله وليبطل هذا الشقاق. ولكن لم يقبل احد ندامته اذ قال هذا الكلام وهو مطرود من كرسيه ومنفيّ في أواسيس » (١)

غير ان هذا الصلح الذي جرى بين بطريركية انطاكية وبطريركية اسكندرية لم يدُم كثيرًا. لانهُ لم يكن مبنيًا على اساس متين. ولمَّا سنحت الفرصة بدأ النزاع من جديد واشتدّ اكثر من قبل (٢). والذي اعطى العلامة للحرب هو ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية الذي جلس بعد كيرلوس سنة ٤٤٤ومسبّب هذا السجس هو اوطاخي

كان اوطاخي رئيس دير بجوار القسطنطينية وقال ان في المسيح لا يوجد بعد التجسد الاّ طبيعـة واحدة. واعلن مرارًا انه قرأ ذلك في تاليفات كيرلوس. وكان الجالس حينئذٍ على كرسي القسطنطينية فلابيانوس. فجمع هذا البطريرك الجليل مجمعاً في عاصمة المملكة سنة ٤٤٨ وحرم اوطاخي. فاشتكى اوطاخي على فلابيانوس لدى ديوسقوروس الاسكندريّ. فامر الملك بالتئام مجمع في افسوس سنة ٤٤٩ وقال الاب لابور: ان صفّي المحاربين كانا نفس الصفّين اللذين تقاتلا سنة ٤٣١. اي انطاكية والقسطنطينية في صفّ واسكندرية في صفٍّ آخر. ولكن نفوذ بطريرك اسكندرية كان في هذه المرّة اعظم من نفوذ سلفهِ. وصار هو ايضاً مقدام مجمع افسوس الثاني المعروف بمجمع اللصوص. فاجرى فيه ديوسقوروس كل مـا اراد. وحكم لاوطاخي واعطاه الحق. وعزل كل الاساقفة المتحزبين لكرسيّ انطاكية اي القائلين بطبيعتين في المسيح (٣). منهم دومنوس بطريرك انطاكية خليفة يوحنا

---

(١) التاريخ الكنسي لسوقراط ٧ : ٣٤. ومجلة الشرق المسيحي ١٩١٠ ص ٣٩٠. وميخائيل اليعقوبي ١٧٥

(٢) لابور ٢٥٤ و٢٥٦ (٣) لابور ٢٥٦ — ٢٥٧

وهيبا اسقف أورهاي وتئودوريطوس اسقف قورس وايرينـاوس اسقف صور ودانيال اسقف حران وسپرونيوس اسقف تلا (١) . اما فلابيـانوس بطريرك القسطنطينية فأرسل الى المنفى وتاذى في الطريق كثيرًا ومـات بعد وصوله بايام قليلة

ثم اجتمع في خلكيدونية سنة ٤٥١ مجمع آخر بامر الپاپا لاون والملك مرقيان خليفة تئودوسيوس الثاني وحكم بالعكس . فانه اسقط ديوسقوروس . واثبت تئودوريطوس اسقف قورس وهيبا اسقف اورهاي على كرسيّيهما بعد ان حرما نسطور واعترف المجمع (٢) ان يسوع هو رب واحد ومسيح واحد إله حق وانسان حق . كامل في الطبيعتين مساوٍ للآب في اللاهوت ومولود في آخر الازمنـة من مريم في الناسوت وهو في طبيعتين من دون بلبلة ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال وان خاصّة كلٍ منهما محفوظة وتنتهيان الى اقنوم واحد بحيث انه هو بعينه ابن واحد وحيد وهو الله الكلمة ربنا يسوع المسيح (٣)

فشقّت كثيرًا مقررات المجمع الخلكيدوني على الكيرلوسيين (٤) لا بل على الفلسطينيين والسريان ايضاً . ظنًا منهم ان هذا المجمع بتحديد الطبيعتين في المسيح قد فنّد تعليم كيرلوس الذي بهِ كانوا يفتخرون . فانحـازوا الى الذين علانيةً كانوا يقولون بالطبيعـة الواحدة في المسيح وعصوا على المجمع الخلكيدوني . وانتشر العصيان سريعاً في كل بلاد مصر وسوريا وفلسطين . ولم يخفَ المنوفيسيتيون(٥) من

---

(١) فيه ايضاً . والسمعاني ٤ : ٤٠٤ (٢) مانسي ٧ : ١١٥

(٣) الظاهر ان الاستغاثة التي تقال عندنا في مساء اول احد من الميلاد ماخوذة من قانون الايمان هذا (حودرا طبعة بيحان ١ : ٩٦) —

(٤) لابور ٢٦٠ (٥) ان للقائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح اسماء متعددة تبلغ اكثر من عشرين . فقيـل لهم المنوفيسيتون اي المعتقدون بالطبيعة الواحدة والاوطاخيون نسبـة الى اوطاخي صاحب بدعتهم . والديوسقوريون نسبة الى ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية . والساوريانيون نسبة الى ساويرا بطريرك انطاكية الـذي على يده تم انشقاقهم في سوريا . واليعاقبة على اسم يعقوب البراذعي وسيجي ذكره . والتئوباسخيتيون اي الملحقوا الالم باللاهوت الى غير ذلك

شوكة الدولة الرومية التي بذلت كل وسعها من العزل والنفي لتجري قانون المجمع الخلكيدوني . ومن الذين اشتهروا اكثر ما يكون في نشر بدعة الطبيعة الواحدة في بلاد سوريا هو برصوما رئيس الرهبان وبطرس الملقَّب بالقصَّار الذي جلس على كرسيّ انطاكية سنة ٤٧٠ . ومن بعد وفاة هيبا وتئودوريطوس سنة ٤٥٧ تسلّطت المنوفيسيتيـة على اورهاي واطرافها ايضاً وطُرد تلامذة مدرسة اورهاي الذين انقادوا الى تعليم نسطور والتجأوا الى مملكة الفرس كما ترى في الفصول الآتية

الفصل التاسع

في اساقفة اورهاي ودخول النسطرة في مدرستها

راينا كيف ان المدرسة التي كانت للكلدان النصارى في نصيبين انتقلت عن يد مار افرام الى اورهاي بعد سنة ٣٦٣ (١) . وان هذا القديس علّم في اورهـاي نحو ثماني سنين وخلفه في رئاسة المدرسة قيورا . ويُستنتج من قول برحدبشبّا ان قيورا توفي سنة ٤٣٧ بعد ان علّم اربعاً وستين سنة (٢) . وبعد مرور اربعة اشهر على وفاة مار افرام اي في ايلول سنـة ٣٧٣ اتى ڤالنس الملك الاريوسيّ الى اورهاي (٣) وضرب مضاربه حولها وارسل اليهم من يقول لهم ان يخرجوا اليه ويعلموه عن ايمانهم . فاجتمعوا في كنيسة مار توما لكي يصلوا ويطلبوا الى الله ان يزيل عنهم الخطر المحتاط بهم . وأمر الملك احد قوّاده ان يدخل المدينة ويقتل اهاليها . فصادف القائد امراة ماسكة ولديها بيديها وذاهبة الى الكنيسة لكي تنال هي ايضاً اكليل الاستشهاد(٤) . وأخبر القائد ملكه بذلك . فكفّ ڤالنس عن رايه واستكفى بارسال برسا الاسقف وكهنته الى المنفى . واتى في قصة مار افرام انه على ايامه صار هذا الاضطهاد وانه الّف فيه ميمراً بدؤه : [illegible]

---

(١) انظر ص ٤٦ وما يلي (٢) برحدبشبا ٦٨

(٣) التاريخ الكنائسي لسوقراط [illegible] : [illegible] ولموزومين ٥ : [illegible] . ولثئودوريطس [illegible] : [illegible] و[illegible] . وميخائيل ١٥١ — ١٥٢ . —

(٤) ان قصة هذه الامراة تشابه كثيراً قصّة شيرين الشهيدة (انظر ص ١٢٥)

ܕܩܕܝܫܝܢ : ܚܫܝܫܐ ܐܦܪܝܡ ܚܕ ܠܒܫܐ (١). ولكن هذا غلط كما راينا سابقاً (٢) . فان مار افرام توفي قبل هذا الاضطهاد بثلاثة او اربعة اشهر

ومات برسا في المنفى في اذار سنة ٣٧٨ .وفي تلك السنة عينها مات ايضاً ڤالنس . فرجع المنفيون الى وطنهم في ٢٧ كانون الاول .وجلس بعد برسا اولغاش سنة ٣٧٩ (٣) .وهو الذي بنى كنيسة مار دانيال التي أُطلق عليها فيما بعد اسم مار دوميط .ثم قورا سنة ٣٨٧ وفي ايامه اي في سنة ٣٩٤ نُقلت ذخائر مار توما الرسول الى الكنيسة التي بُنيت على اسمه (٤) وفي آخر ايام حياته اي في سنة ٣٩٦ اغار الهونيون على اورهاي ونهبوا جميع الاديرة والقرى التي حواليها وقد مرّ الكلام عن ذلك (٥) .ومات قورا في ٢٢ تموز سنة ٣٩٦ وجلس مكانه سلوانا (٣٩٦—٣٩٨) ثم پقيدا (٦) وكان هذا من جملة الاساقفة العربيين الذين كتبوا رسائل الى مار اسحق الجاثليق صحبة مار ماروثا اسقف ميافرقين. وكانت وفاته في آب سنة ٤٠٩ وقام مكانهُ ديوجين ودبر كرسيّ اورهاي الى سنة ٤١١ (٧) ثم جلس ربولا سنة ٤١٢

ان قصة ربولا طبعها اوڤربيك سنة ١٨٦٥ والاب بيجان في الجلد الرابع من سيرة القديسين والشهداء وهذه القصة ليست الاّ مقالة تقريظيــة تعدّد فضائل ربولا ومناقبه ونقتصر عنها ما ياتي

كان ربولا مثالاً كاملًا للتقوى والغيرة والتقشف والمحبة للفقراء . فباع امواله كلها ووزعها على البائسين . وفي اسقفيّته بنى مستشفيَين احدهما للرجال والآخر للنساء ومع كونه مثالاً حيًّا للفضائل المسيحية كان ايضاً حادّ الطبع قاسياً على كل من لم يكن من مذهبه . فانهُ نهب كنيسة اليهود وهدمها . واضطهد البربوريين والعوديين

---

(١) ان هذا الميمر طبعهُ لامي في ميامر ومواعظ مار افرام ٤ : ٥ : ٩٠
(٢) هنا ص ٤٩
(٣) السمعاني : 1^{1} : ٣٩٨ -
(٤) فيه ايضاً ٣٩٩
(٥) انظر ص ٩٤
(٦) فيه ٤٠٠ — ٤٠١
(٧) فيه ايضاً

والزدوقيين وضبط معابدهم والذين اصرّوا على عنادهم وغيّهم اعلن عليهم الحرب وطردهم من المدينة . اما تعليم ربولا فكان يقرّ بطبيعة واحدة واقنوم واحد في المسيح . وفي رسالته الى اندراوس اسقف شميشاط يقول ما نصهُ : « ان القول بان في المسيح طبيعتين ولا سيا من بعد التجسّد يقلقني كثيراً (١) . » ولا يبقى شك في قولنا اذا كان هو الذي قد زاد على التقديسات قوله يا مَن صُلبت لاجلنا كما هو منسوب اليه في تاليفاتهِ التي طبعها اوفربيك

فتحزّب ربولا لكيرلوس الاسكندري واضطهد تلامذة مدرسة اورهاي الذين تمسكوا بتعليم نسطور . فقاومه اغلب التلامذة منهم : هيبا واقاق ارمايا وبرصوما ومعنا الارداشيريّ وعبشوطا النينويّ ويوحنان الجرمقي وميخا وبولس بن قاقي الاهوازي وابراهام المادي ونرساي وازليا من دير كفر ماري (٢) وپوسي بن قورطي (٣) ومارون اليثا (٤) وكوماي وپروبا (٥) واليشاع المفسر (٦)

وكان ايضاً بين تلاميذ مدرسة اورهاي من انقادوا الى ربولا وهم : بابا من بيت لاپاط واخسنايا تحلايا من بيت كرماي المشهور واخوه أدّي وبرحدبشبا من قردو وبنيامين أرمايا (٧)

وكان هيبا قد ترجم من اليونانية الى الكلدانية كتب تئودوروس اسقف مصيصة الذي كان قد كسب شهرة عظيمة بتاليفاته . ومن الذين ساعدوا هيبا في هذه الترجمة كوماي وپروبا (٨) ومعنا الارداشيريّ (٩) . فاحرق ربولا كتب تئودوروس هذه المترجمة الى الارامية لكونها تحوي تعليم نسطور (١٠) . ولما صار

(١) اوڤيربيك تاليفات مار افرام الخ ٢٢٣ .

(٢) السمعاني ܓ : ٣٥١ — ٣٥٢ (٣) فيه ٣٥٤

(٤) فيه ٣٥١ (٥) السمعاني ܟ : ܓ : ٨٥

(٦) التاريخ السعردي ܒ : ٣٤ (٧) السمعاني ܓ : ٣٥٢ — ٣٥٣

(٨) عبد يشوع الصوباوي في السمعاني ܟ : ܓ : ٨٥ .

(٩) التاريخ السعرديّ ܒ : ٢٥

(١٠) برحدبشبا ٦٧ وابن العبريّ ܒ : ٥٥

الصلح سنة ٤٣٢ بين يوحنا الانطاكي وكيرلوس الاسكندري كتب هيبا رسالته الشهيرة الى ماري اسقف ارداشير (١). وكانت تشتمـل على اربعة فصول. ففي الفصل الاول يذكر هيبا سبب الانشقاق بين نسطور وكيرلوس. وفيهِ يقول ان نسطور افرط في كلامه واخذ على نفسه شبه بولس الشميشاطي الناكر الوهية المسيح وان كيرلوس ايضاً وقع حقيقةً في بدعة الابوليناريين القائلين في وحدة الطبيعة في المسيح الناتج منهـا نفي حقيقة الناسوت . وفي الفصل الثاني يقول ان المصريين عقدوا المجمع دون يوحنا الانطاكي ورفاقه وان كيرلوس حمل الاساقفة المجتمعين في مجمعه على حرم نسطور بغضةً به. ولذلـك اعتزل الشرقيون وبرأوا نسطور وحرموا كيرلوس واصحابه . وفي الفصل الثالث يكتب هيبا ما جرى في اورهاي على يد ربولا ويطعن به لانه اضطهد ليس فقط الاحياء بل المتوفين ايضاً ومن جملتهم تئودوروس اسقف مصيصة العلامة الفاضل . اخيرًا يذكر هيبا الصلح الذي عُقد بين يوحنا الانطاكي وكيرلوس الاسكندري وان الذي اراد الصلح هو ملك الروم وان واضع شرائط الصلح هو يوحنا ويختم قائلًا انه انتهى النزاع ورجعت الامور الى مجراها القديم

والظاهر ان هيبا كان محبوباً جدًا في اورهاي ومشهودًا بفضله. وحين وفاة ربولا في ٨ آب سنة ٤٣٥ عليهِ وقع الانتخاب فصار اسقفاً مكانهُ . وهو دون سائر اساقفة اورهاي لقَّبه كاتب التاريخ الاورهاوي بالكبير والفاضل . (ܪܒܐ ܗܘܐ ܘܡܫܒܚܐ ܗܘܐ (٢) . وما عدا ترجمة تاليفات تئودوروس المصيصي كتب ايضاً تفسير سفر الامثال والّف تراجم ومداريش ومجادلة مع المراطقة (٣) اي مع المتوفيسيتيين . وبنى هيبا كنيسة جليلة في اورهاي سُمّيت على اسم الرسل. وفي ايامه (٤) بطل النزاع من كنيسة الشرق فشمل السلام الديني في كل بلاد الشرق

---

(١) مانسي ٩ : ٢٤١ ومـا يلي. ومارتين اعمال مجمع افسوس المعروف بمجمع اللصوص ٥٤ و٦٠ و٧١

(٢) في السمعاني 2 : ٤٠٢ —

(٣) عبد يشوع الصوباوي في السمعاني ܓ : 2 : ٨٥ (٤) لابور ٢٥٦

من البحر المتوسط الى خليج فــارس ولم يُذكر لا اسم نسطور ولا اسم كيرلوس. ودام هذا السلام الى سنة ٤٤٨ التي فيها اضرم ديوسقوروس الاسكندريّ نار النزاع المنطفأة فطُرد هيبا من اورهاي كما سبق القول وجلس مكانه نونا. ولكن منفى هيبا لم يدم الاّ سنتَين. فان مجمع خلكيدونية برأه ورجع الى كرسيه سنة ٤٥١ . ومات في ٢٨ تشرين الاول سنة ٤٥٧ (١)

وقام بعده نونا وعلى ايامه تقوّى المنوفيسيتيون في اورهــاي. فطردوا منها تلامذة المدرسة الذين تحزبوا لنسطور كما سبق القول . وكان الرئيس على المدرسة يومئذٍ نرساي الشهير (٢) خليفة قيورا سنة ٤٣٧ . وأصل نرساي من بيت دوليا بالقرب من معلثا (٣) . وقال عنه التاريخ السعرديّ انه لما خرج من اورهاي احرق المخالفون كتبه بل بعضها . وفي خروجه قال هتَين الاستغاثتين (٤) : ܡܪܝܐ ܚܘܣ ܥܠ ܗܝܡܢܘܬܐ . ܘܫܝܢܐ ܕܥܕܬܟ ܒܫܠܡܘܬܗ . وفيهما يطلب الى الله ان يزيل الشقاق من كنيسته. لان الايمان يُضطهد من جراء الخطايا والواعظين يُقتلون وقد خفيت كتب الكهنة والملافنة الذين علّموا الحق . وهما مكتوبتان في موتب يوم الخميس الذي يلي الباعوث (٥) وفي غير ذلك من المواضع في كتاب الفرض

الفصل العاشر

دخول النسطرة في الكنيسة الكلدانية عن يد تلامذة مدرسة اورهاي

ان اغلب تلامذة مدرسة اورهاي في رجوعهم الى بلادهم صاروا فيها اساقفة فان برصوما صار اسقفاً في نصيبين ومعنا في بيت ارداشير ويوحنــان في كرخ بيت

---

(١) التاريخ الاورهاوي في السمعاني ܐ : ٤٠٥

(٢) برحدبشبا ٦٩ ومدرسة نصيبين ٨ .

(٣) كتاب كنزا (ܓܙܐ) تذكار ملافنة السريان . والتاريخ السعودي ܒ : ٢٤٠-

(٤) ماري ٤٤ (٥) حوذرا طبعة بيجان ܓ : ٢٣٦ (ܦܠܗ)

سلوخ (١) وبولس بن قـاقي في كرخ ليدان ويوسي بن قورطي في شوشتر وابراهام في ماداي وميخا في لاشوم (٢)٠وعبشوطا (٣) في اربيل ٠واما نرسـاي ففتح مـدرسة في نصيبين (٤) شاع صيتها في اقطار الارض حتى اطاليـا وافريقيا (٥)

ان هولآء التلاميذ لم يتركوا كلهم في وقت واحد مدرسة اورهاي كما يقول شمعون اسقف بيت ارشام ٠ فان البعض منهم خرجوا من اورهاي قبل سنة ٤٥٧ ٠ ويذكر برحدبشبا ان برصوما ومعنا اتيا الى فارس قبل طرد التلاميذ رفاقهما ٠ وصار الاول اسقفاً على نصيبين والثاني على راوردشير ٠ واتى في كتاب الاحكـام الكنسيَّة تاليف عبد يشوع الصوباوي ان برصوما جلس على كرسيّ نصيبين سنة ٤٣٥ (٦) ٠ غير انهُ يظهر من اعمال مجمع افسوس المعروف بمجمع اللصوص الذي عُقد سنة ٤٤٩ ان برصوما كان يومئذٍ في اورهـاي ٠ فان هذا المجمع امر بطرد برصوما وهيبا من اورهاي (٧)٠وقد اتى في سفر الاحياء والاموات انهُ بين هوشاع وبرصوما جلس خمسة مطارنة على كرسيّ نصيبين وهم ماري وسركيس وابراهام وهرمزد ويولي ٠ فلا بدّ من ان كلّا من هولآء المطـارنة جلس على الكرسيّ اقلّها يكون ثلاث سنوات او اربع ٠ وهوشاع كان بعد في قيد الحيوة سنة ٤٢٤ (٨)٠ولا يُحتمل ان برصوما جلس على الكرسيّ ٦١ سنة ٠ فانهُ مات سنة ٤٩٦

وعلى كل حال ان برصوما كان اسقفاً في نصيبين سنة ٤٥٧ اذ خرج نرساي مع سائر المعلمين من اورهاي ٠ لانهُ مسكهُ عنده وطلب اليهِ ان يفتح مدرسة في نصيبين

---

(١) ان شمعون الارشامي يكتب بيت ساري ٠ فلا بدّ من ان هذه اللفظة غلط من الناسخ عوض بيت سلوخ

(٢) شمعون الارشـامي في السمعاني ܓ : ٣٥٣ – ٣٥٤ ٠ والسنهادوسات ٥٣و٥٩–٦٠

(٣) مشيحا زخا ٦٥ يكتب ميوشطا كذا ايضاً اتى اسمهُ في السنهادوسات ٦٨٠

(٤) برحدبشبا ٧٠ – ٧٢ وشمعون الارشامي في السمعاني ܓ : ٣٥٣٠

(٥) السمعاني [illegible] : [illegible] : ٩٢٧ (٦) ܓ : [illegible] (مخطوط)

(٧) ابن العبري [illegible] ٠ ٦٢ ح ١ ٠ ومارتين : مجلّة العلوم الكنائسية ١٨٧٤ ص ٥٣٩ –

(٨) السنهادوسات ص ٤٣

عوض مدرسة اورهاي (١). فنظم برصوما لائحةً لمواد الدروس والفروض يجري عليها المعلمون والتلاميذ. وهذه القوانين لم تصل الينا. لكنها لا تختلف كثيرًا من التي انتشرت على ايام هوشاع خليفتهِ (٢)

واما معنا فصار مطرانًا على راوردشير بعد وفاة ماري مطرانهـا الشهير الذي اليهِ كتب مار هيبا رسالتهُ المشهورة. والظاهر ان ماري ايضًا كان رفيق مار هيبا في مدرسة اورهاي. ومعنا هذا ليس الذي خلف يهبالاها على كرسيّ المدائن كما قال ابن العبريّ (٣) والسمعـانيّ (٤). واعلم ان اول اسقف على راوردشير بلغ الينا اسمهُ هو مانا (٥) ثم معنـا الاول الذي صار جاثليقًا سنة ٤٢٠ ثم ماري الذي كتب اليهِ هيبا رسالته الشهيرة سنة ٤٣٢ ثم معنا الثاني الذي كلامنـا عنهُ والذي تخرّج سويّة في العلوم مع برصوما ونرساي في اورهاي وساعدهما كثيرًا على نشر النسطرة في فارس. وقال عنهُ التاريخ السعرديّ انهُ لما تقلّد المطرنة نقل الى الارامية كتب ديودوروس وتئودوروس وارسلها الى البحرين والهند والّف ايضًا مداريش وميامر وعونيثات

غير ان هؤلآء الاساقفة تلامذة مدرسة اورهاي لم يجاهروا بالنسطرة في بلادهم الاّ لما الجأتهم الاحوال ان يحاربوا محاربة شديدة الهرطقة المنوفيسيتية التي دخلت في كنائسهم وذلك انهُ لما صار النزاع بين كيرلوس ونسطور سنـة ٤٣١ لم يتداخل الشرقيون في امرهما. لا بل يظهر من رسالة هيبا الى ماري اسقف راوردشير انهُ يغلّط نسطور وكيرلوس كليهما ويقول ان النزاع قد انتهى وتصـالح اساقفة مصر واساقفة انطاكية. وامـا مجمع خلكيدونية فالظاهر ان الكلدان قبلوه في اول الامر ولو انهُ حرم نسطور وذلك لانهُ حدّد ان في المسيح طبيعتين وبرأ هيبا ورفاقه وممـا يؤيد هذا القول اولاً ان المنوفيسيتيين شقّ عليهم كثيرًا امر المجمع

---

(١) برحدشبا ٧٠ – ٧١ ومدرسة نصيبين ٩

(٢) قوانين مدرسة نصيبين: المقدّمة ومدرسة نصيبين ٩• —

(٣) ابن العبري ܒ : ٥٣ وما يلي. — (٤) ܓ : ܐ : ٣٨١

(٥) التاريخ السعردي ܒ : ٢١. ومدرسة نصيبين ٨ ح ٢. ودرس عن مؤلفي السريان الشرقيين لادّي شير ص ٨.

الخلكيدوني واعلنوا على رؤوس الملأ انهُ أيد تعليم نسطور (١). ثانياً ان النساطرة حسبوا صحيح الايمان كل من قبل هذا المجمع من ملوك الروم واساقفة القسطنطينيــة (٢) وكل مرة رُفع من الوسط اسم كيرلوس واسماء تئودوروس وديودوروس ونسطوريوس تأخى الكلدان النساطرة والروم الكاثوليك واشتركوا في الاسرار بعضهم مع بعض (٣) . ثالثاً ان النساطرة قد ادخلوا قوانين المجمع الخلكيدوني بين قوانين المجامع الاخرى المقبولة عندهم (٤) اعني بها مجامع نيقية وانقورة وانطاكية وكنكارا وغيرها. رابعاً انهم يعظمون ويبجّلون لاون البابا الذي بامره انعقد المجمع الخلكيدونيّ ويثنون على رسالته في امر التجسّد (٥). خامساً ان اول مجمع كلدانيّ عُقِد بعد هرطقة نسطور (سنة ٤٨٦) اعني بهِ مجمع اقاق الجاثليق لم يذكر في قانون الايمان لا اسم كيرلوس ولا اسم نسطور بل اكتفى ان يُعلن ان في المسيح طبيعتين في اقنوم واحد (ܩܢܘܡܐ) ساكتاً عن لفظة ام الله (٦) ولكن لما دخلت البدعة المنوفيسيتية في كنيسة فارس اضطرّ الكلدان لاجل مقاومتها ان يتحزّبوا علانيةً لنسطور

ان مرقيان الملك الذي دافع عن مجمع خلكيدونية مات سنة٤٥٧ واقتدى بهِ خليفتهُ لاون (٤٥٧ — ٤٧٤) اما زينون خليفة لاون (٤٧٤ — ٤٩١) فهو ايضاً في اول ملكه ساعد الخلكيدونيين لكنهُ تغير فيما بعد وبتحريك اقاق بطريرك بيزنطية نشر سنة ٤٨٢ صحيفته المعروفة باسم هنوتيكون ودسّ فيها البدعــة

---

(١) ميخائيل ١٧٨ و١٨٥ و١٨٩ وما يلي. وابن العبريّ ܒ : ١٦١ و١٧١ و١٧٧ الخ والسمعاني : ܓ : ١٠. ولاند النصوص السريانية ܐ : ١١٩ وما يلي.

(٢) التاريخ السعردي ܒ : ١١ و١١ و٢١ و٢٨ و٤٠ الخ. وماري ٣٩ و٤٨ الخ

(٣) لابور ٢٦٦.

(٤) كتاب السنهادوسات ٦ و٦١٠ وقائمة المخطوطات السريانية والعربية المحفوظة في الدار الاسقفية الكلدانية في سعرد لادي شير الموصل ١٩٠٥ص ٤٩.

(٥) السنهادوسات ٦ وكتاب الرؤساء طبعة بيجان ٦٣٣ — ٦٥٢. والسمعاني ܒ : ٤٠

(٦) السنهادوسات ٥٥ . ولابور ٢٥٦ ان هذا قانون الايمان ماخوذ من قانون ايمان مجمع بيت لاباط

المنوفيسيتية(١) فتقوّى المنوفيسيتيون في كل مملكة الروم وانتشروا في مملكة فارس ليبثُّوا فيها تعليمهم . ومما ساعدهم على ذلك هو الشقاق الذي كان في الكنيسة الفارسية بين بابوي الجاثليق واساقفته كما سترى في الفصل الآتي . والظاهر ان اغلب المنوفيسيتيين الذين اتوا بلاد فارس كانوا رهباناً كما اتى ذلك في اعمال مجمع اقاق(٢) وكان رئيسهم اخسنايا الذي درس مع برصوما ورفاقه في اورهاي . فانتهز الفرصة من مساعدة زينون ورجع الى هذه البلاد ليحمل بني وطنه على اعتناق مذهبه (٣) ولا بدّ من ان اخاه ادّي وبابا البيثلاپاطي وبرحدبشبا القردويّ وبنيامين الاراميّ الذين انحازوا مثالهُ الى بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة(٤) رافقوه هم ايضاً الى هذه البلاد . والذي مدّ لهُ يد المعونة يعقوب السروجيّ وكان مشهوراً بعلمه وتاليفاته . وفي رسالتــه الى اهل ارزون يحرّضهم ألاّ يقعوا في فخ نسطور (٥) . لا بل اتى الى نصيبين بذاته كما يظهر من عنوان بعض ميامره (٦)

فلما راى اساقفة الكلدان تلامذة مدرسة اورهاي الخطر العظيم المحيــق بكنائسهم من جراء المنوفيسيتية افرغوا كل وسعهم في مقاومتها . فجاهروا علانية بالنسطرة وذلك في مجمع عقدوه في بيث لاپاط سنة ٤٨٤ (٧) . ورغماً عن الشقاق الموجود بينهم وبين بابوي الجاثليق توفقوا اخيراً وطردوا من هذه البلاد لاخسنــايا ورفاقه . وجعلوا جميع كنائس مملكة فــارس عدا كنيسة تكريت ان تعتنــق رسمياً منذ تلك السنة المذهب النسطوريّ

---

(١) لابور ١٣٨ .

(٢) السنهادوسات ٥٤ . راجع ايضاً التاريخ السعرديّ ٢ : ٣١ .

(٣) كتاب الاتحاد لباباي الكبير الفصل ٩ .

(٤) انظر ص ٣٢٠

(٥) في كتاب ساهدونا طبعة بيجان ٦٠٥ - ٦١٢

(٦) فيه ايضاً ٢٠٩ .

(٧) شمعون الارشاميّ في السمعاني ٤ : ٣٥٤ . والسنهادوسات ٦١ و٦٣

الفصل الحادي عشر

بابوي الجاثليق وپيروز الملك (٤٥٧ — ٤٨٤)

عصيان برصوما مطران نصيبين على بابوي · مجمع بيت لاپاط · سابا الراهب

ان بابوي (١) صار جاثليقاً مكان داديشوع في السنة ٤٥٧ التي فيها طُرد تلامذة مدرسة الفرس من اورهاي · وكان هذا الجاثليق من قرية تُعرف بالتل على نهر صرصر في كلدو · وكان مجوسياً ثم تنصّر على يد راهب من دير مار عبدا بدورقني وترهب وانكبّ على طلب العلم · وقضى هو ايضاً نظير داديشوع كل ايام حياتهِ بالمرارة · فانهُ لم يبطل في ايامه لا الشقاق بين الاساقفة ولا اضطهاد الفرس للنصارى

ان يزدجرد الثاني مات في ٣٠ تموز سنة ٤٥٧ وخلفهُ ابنهُ هرمزد · ولم تدم مدة هذا الملك · فان اخاه پيروز قتلهُ وجلس مكانهُ · وقصد پيروز بلاد الهياطلة واخذ مدناً كثيرة · وفي الهجمة الثانية نقصه الزاد في بعض المسافات وأُخذ اسيرًا ثم أُطلق سبيلهُ (٢) · وكان پيروز متعصباً · وحملهُ تعصّبهُ على معاداة النصارى واليهود معاً(٣) · وقد اتى ذكر هذا الاضطهاد في قصة سابا الراهب (٤) واخصّ اسبابهِ هو اضطهاد الروم للمجوس الذين في مملكتهم · فانهم كانوا يمنعونهم من استعمال طقوسهم الدينية ومن شعل النار في معابدهم (٥) · فامر پيروز بالقبض على بابوي وأخذ كل ما معهُ وسلب الكنيسة وجبر النصارى باعداد الحطب لبيت النار · قال ماري ان بابوي بقي محبوساً سنتين · اما عمرو وابن العبري فقالا سبع سنين · وجاء في

---

(١) ماري ٤١ — ٤٣ · وعمرو ٢٩ — ٣١ · وابن العبري ٥٩ و ٦١ و٦٣ و٦٥ والتاريخ السعردي ٢ : ٧ — ١٠ · وبيجان ٢ : ٦٣١ — ٦٣٤ · ولابور ١٢٩ — ١٣٠ و١٤٢ — ١٤٣ · واشهر شهداء الشرق ٢ : ٣٨٠ — ٣٨٤

(٢) ماري ٤٠ والطبري طبعة استانبول ٢ : ١٩٥ وما يلي

(٣) الطبري طبعة نيلديك ١١٨ ٤ ٤ (٤) بيجان ٢ : ٦٥١

(٥) تيلمون ٥ : ٣٨١ · وميخائيل ٢٤٠ و٢٤١

قصتهِ التي طبعها بيجان انهُ حُبس سنين كثيرة . وكان خروجهُ من الحبس في السنة ٤٦٤ التي فيها وقع الصلح بين لاون ملك الروم وپيروز

ان بابوي كان طماعاً محباً للدراهم يسوس امور الكنيسة بموجب هوى الدنيا وعزل كثيرين من الاساقفة الذين طعنوا بهِ اذ كان محبوساً . فهذه البلبلات وغيرها ولّدت رخاوة في السيرة وفساد الاعمال فكثرت المنكرات واتصل الشرّ الى الكهنة والرهبان والاساقفة انفسهم . فصار شقاق عظيم في الكنيسة . وانتهز المنوفيسيتيون الفرصة وانتشروا في بلاد الفرس . ومن مَن ساعدهم زينون الملك . فانهُ تحزب لهم منذ سنة ٤٨٢ كما مرّ الكلام . ولمّا راى اساقفة الكلدان ذلك رفعوا اصواتهم ضدّ بابوي الجاثليق . وكان اكثرهم تلاميذ مدرسة اورهاي ومقدامهم برصوما مطران نصيبين

ولما كانت السنة ٤٨٤ في شهر نيسان عقد برصوما مجمعاً في بيت لاپاط واجتمع فيهِ پاپا اسقف بيت لاپاط ومطران الاهواز (١) وثاني مطران پراث ميشان ويوحنا مطران بيت كرماي ومعنا مطران ريوارد شير وابراهام اسقف مادي وبولي (بولس) اسقف كرخ ليدان ونوح اسقف بلاشبار واسحق اسقف كرخ ميشان (٢) وغيرهم كثيرون . فحرم المجمع هرطقة المنوفيسيتيين (٣) وكل من لا يقبل كتب تئودوروس المفسر اذ انها ممتلئة حكمةً وصواباً (٤) . ثم حكم المجمع بعزل بابوي الجاثليق . وقال برصوما في احدى رسائلهِ (٥) : « ان في الصحيفة المكتوبة في الاهواز تشكيات ومذمّات وافتراءات وشهادات على مار بابوي . » ومما تخصص به مجمع بيت لاپاط انهُ رخّص للكهنة والرهبان والاساقفة ان يتزوّجوا ان لم

---

(١) الظاهر ان هذا المطران هو نفس پاپا البيلاپاطي الذي ذكره شمعون الارشامي (انظر هنا ص ١٣٥ وقال عنه انهُ لما كان في مدرسة اورهاي انقاد لرابولا مع اخسنايا . فترى ما الذي حمله الان ان يتحزّب لبرصوما . ونراه ايضاً ناشراً لواء العصيان على باباي الجاثليق في سنة ٤٩٦

(٢) السنهادوسات ٢١١ و٥٢٥ و٥٣١ (ح ٤) و٥٩ الى ٦٠

(٣) من التصادف الغريب انهُ في تلك السنة عينها عقد فيلكس البابا مجمعاً في رومية حرم فيه اقاق بطريرك القسطنطينية لانهُ حث زينون الملك على مساعدة المنوفيسيتية

(٤) السنهادوسات ٢١١ . (٥) فيه ٥٢٦

يمكنهم ضبط انفسهم. ومن مقرراتهِ ايضاً انهُ منع السيمونية والتزوّج بامراة الاب والاخ وبامراتين. وهذا المجمع فسخهُ برصوما نفسهُ لمّا تصالح مع اقاق الجاثليق كما سترى فلم يُكتب بين المجامع الاخرى ولم يصل الينا منهُ سوى بعض قطع في وجوب قبول كتب تئودوروس المفسر وفي الزواج والسيمونية وهي محفوظة في سنهادوس مار عريغور وفي رسالة مار ايليا مطران نصيبين وفي كتاب الاحكام الكنسيَّة لعبديشوع الصوباوي

اما ما كان من امر بابوي فانه هو ايضاً عقد مجمعاً في المدائن وحرم برصوما ورفاقه وكان مجمعه مؤلَّفاً من اساقفة الابرشية البطريركية واسماؤهم: ميهرنرسا اسقف زابي وشمعون اسقف الحيرة وموسى اسقف پيروزشابور ويزدجرد اسقف بيتدارابي ودانيال اسقف كرمي (١). وفي تلك السنة عينها صار اضطهاد على النصارى في اطراف المدائن. فمن امتنع من تسمية الشمس الاهاً عُذّب (٢). والمظنون ان المحرّك الى هذا الاضطهاد كان برصوما ورفاقه. لانهُ كان محصوراً بالابرشية البطريركية ولأن برصوما كان معزّزاً عند ملك الفرس الذي فوّض اليهِ الحكم على نصيبين وما يليها (٣) ولعلّهُ قد سُعي ببابوي عند پيروز الملك انهُ متفق مع المملكة الرومية ضد المملكة الفارسية

ولما راى بابوي ما هو فيهِ من البلاء كتب الى زينون الملك (٤) كتاباً يشكو بهِ ما اصاب رعيتهُ من الجور والظلم وسالهُ مكاتبة پيروز في تخفيف الاذى. وفي هذه الرسالة يسمي دولة الفرس دولةً فاجرة (ܡܠܟܘܬܐ ܪܫܝܥܬܐ). وارسل الكتاب مع رسول جعلهُ في جوف عصاه. ولمّا وصل الرسول مدينة نصيبين وقف على امره بعض الناس فاحتالوا عليه واخذوا منهُ الكتاب وانفذوه الى پيروز الملك. وقيل ان برصوما نفسهُ فعل ذلك. غير ان شمعون الارشاميّ برسالته في برصوما ودخول النسطرة في بلاد الفرس (٥) يسكت عن ذلك. فاحضر پيروز بابوي

---

(١) فيه ايضاً ٥٩ و٣٤٦. (٢) التاريخ السعردى ٢ : ٩ وماري ٤٢.
(٣) عمرو ٣١ (٤) راجع المصادر المذكورة في بداية الفصل
(٥) في السمعاني ٢ : ٣٤٦ – ٣٥٨

وعرض عليهِ الكتاب مختوماً بخاتمهِ . فاعتذر مَن حضر من النصارى . والجاثليق نفسهُ اعتذر وقال : « اني اصلّي دائماً لاجل الملك وادعو لهُ واحبُّهُ . » فاجابهُ الملك : « ان ذنبك اعظم من ان يُغفر . فان كان ما ذكرتهُ عن محبتك لي صحيحاً اسجد للشمس . » ولما امتنع امر بتعليقه من اصبعه التي فيها الخاتم الذي ختم به الكتاب . فأُخرج خارج المدائن وعُلّق بخنصره حتى مات . واخذ قوم من الحيرة جسده ودفنوه في مدينتهم . وكان استشهاده في نهاية حزيران او اوائل تموز من سنة ٤٨٤ اي بضعة اشهر بعد مجمع بيت لاپاط

وكانت مدة بابوي في الجثلقة نحو ٢٧ سنة لا ١٥ سنة كما قال ماري وعمرو . فان ايليا النصيبيني كتب عنهُ انهُ جلس على الكرسيّ في عهد مرقيانوس الملك اي في سنة ٤٥٦ او ٤٥٧ وقُتل في السنة ٢٦ لپيروز (١) . والتاريخ السعرديّ قال عنهُ انهُ دبّر الكرسيّ اكثر من عشرين سنة

ومن بعد شهر او شهرين من قتل بابوي قُتل الملك پيروز ايضاً (٢) . فانه اغار على الهياطلة ليزيل عنهُ العار الذي لحقهُ منهم اذ كان ماسوراً عندهم . وقبل خروجهِ من المدائن امر المرزبان ان يهدم الكنائس والاديرة . ومن جملة ما هدم مدرسة مار عبدا وقتل پيروز في طريقه ثلاثمائة نفس من النصارى . فحاربهُ الهياطلة شديداً وقتلوا اكثر رجالهِ وهرب الباقون . وفزع پيروز ان يؤخذ اسيراً فانتحر

وفي وسط تلك الاضطهادات والمنازعات كان بعض الرهبان الاتقياء الغيورين ينشرون الديانة النصرانية بين المجوس الوثنيين . والذي اشتهر منهم في ذلك العصر هو مار سابا

ان هذا القديس (٣) كان من قرية بيت كُلّايي في بلاشپار من اعمال حلوان . وكان ابوه يُدعى شاهرين من آل ماهان العظيم وكان متعصّباً بالمجوسية واسم امّهِ

---

(١) والاصحّ ٢٧ . فان مجمع بيت لاپاط عُقد في هذه السنة . وبعد عقده قتل مار بابوي كما رايا

(٢) التاريخ السعردي ١٥ — ١٦ . وماري ٤٢ — ٤٣

(٣) بيجان ٤ : ٦٣٥ — ٦٨٠ . واشهر شهداء المشرق ٤ : ٣٨٤ — ٣٩٦

دارانوش . وكانت تميل الى النصرانية . ودفعته الى مرضعة مسيحية اسمها كوشتزير . ثم ان اباه جُعِل موهپاطاً في بيت داراپي في بلاد الكوسيين . فانتهز الصبي الفرصة وانقطع من مدرسة المجوس جاعلاً سيره اليومي الى بيعة النصارى . فعمّذوه وسمّوه سابا وكان اسمهُ قبلاً كوشتزداد ثم مات ابوه . ولمّا قرب عيد المجوس ارسل عمّه يطلب الصبيّ لينوب عن ابيه في تلك الاعياد . فامتنع سابا وعرف عمّه انهُ قد تنصّر . فغضب على ابن اخيهِ وعذّبه وحبسه . لكنه لم يلبث ان خرج من الحبس

ولمّا مات عمّه اعتنقت امّه ايضاً الديانة المسيحية ودخلت دير الراهبات فوزّع سابا كلّ امواله على المساكين . ودخل المدرسة وانعكف فيها مدة سنتين على العلوم المسيحية وممارسة الفضائل

ثم انتقل من المدرسة الى موضع يُعرف بشردا الى جانب نهر سيني الذي يصب في تورمارا . وقدم عليهِ هناك راهب اسمه كليليشوع وبقي عنده وصار يحثّه على الخروج للانذار بكلمة الله ولنوال اكليل الاستشهاد في الاضطهاد الذي اثاره المجوس على النصارى . وانطلق سابا الى مدينة حالي في ارض رادان وكرز بالانجيل ورجّع خلقاً كثيراً الى الديانة المسيحية . وزاره هناك ميخا اسقف لاشوم مع تلميذَيه شمعون وبيشهريغ ورسمه كاهناً . ولزم بيشهريغ مار سابا وتلمذا سويةً كل المدينة ونصّرا ايضاً الموهپاط وشيّدا هناك كنيسة . ولم يزالا يطوفان البلاد المجاورة ويصنعان العجائب ونصّرا خلقاً كثيراً ولا سيّما في دوما وإيليشقار . ثم توغّلا في الجبل وقد صحبهما عدة تلاميذ . فالتقى بهم الاكراد واسروهم . لكنّ القديس شفى مرضاهم ونصّرهم كلهم واستودعهم كاهناً اسمه شوحالاران . وشيّد هذا الكاهن هناك ديراً . ثم نزل سابا من الجبل واخذ يطوف المدن والقرى ويلقي فيها زرع الانجيل ويشيّد كنائس واديرة . وبنى لهُ مظلّة في نهرزور حيث بقي مع رفيقه بيشهريغ ثلاث سنوات وستة اشهر وتوفي سنة ٤٨٨ . وعلى عهد شيروي الملك (سنة ٦٢٨) صار قحط في بيت أرماپي وعقبه موتان شديد . فاقفر ذلك المكان . حينئذٍ اخذ القس داود عضواً من جسد مار سابا وذهب به الى بيت دقلا في بيت كرماي وبنى هناك هيكلاً ووضعه فيه

الفصل الثاني عشر

اقاق الجاثليق (٤٨٥ — ٤٩٦) وبرصوما مطران نصيبين
المجمع الكلداني الخامس (٤٨٦)

پيروز كان لهُ ابنان بلاش وقباذ (١)، فوقع الخلف بين الفرس في من يملكونهُ عليهم، ثمّ اتفقوا على بلاش، فاحسن هذا الملك الى النصارى فشيّدت الكنائس على ايّامه، وقدر نصارى المدائن ان ينتخبوا لهم جاثليقاً مكان بابوي، ورسموا اقاق سنة ٤٨٥، وكان من قرابة بابوي كما ذكر هو نفسه في رسالته الى برصوما (٢)، وتعلّم في مدرسة اورهاي مع نرساي وبرصوما ورفاقهما (٣)، فترك اورهاي وذهب الى المدائن وعلّم فيها وساعد بابوي على برصوما، ولما صار جاثليقاً لم يبطل الشقاق من الكنيسة، فان برصوما واصحابه قاوموه وطعنوا به وقرّفوه باشنع الجرائم لكنه برّأ نفسه ورفع عنه كل شبهة

وهذا الشقاق لم يدم كثيرًا بين اقاق وبرصوما فانّ انتشار المنوفيسيتيّين في الكنيسة الكلدانية حملها على المصالحة، فالتقى القبيلان في بيت عذراي من بيت نوهدرا في شهر ايلول (٤) سنــة ٤٨٥، ودام الحديث بينهما طويلًا، اخيرًا قدّم برصوما وحزبه الطاعة، وأبطل كلّ ما كتبه في بيت لاپاط ضدّ بابوي الجاثليق، ووقع رايهم على ان يعقدوا مجمعاً في المدائن فيه يصلحون امور الكنيسة

وعُقِد هذا المجمع في شهر شباط سنة ٤٨٦، غير ان برصوما لم يحضره، ولذلك جرت مخابرات طويلة بينه وبين الجاثليق، وهاك ما جرى بينهما

ان اقاق كتب الى برصوما يدعوه الى المجمع كما كان قد وعد، واخذ ايضاً امرًا من الملك وارسله اليه، امّا اسقف نصيبين فاستعذر ولم يحضر ومن جملة ما

---

(١) التاريخ السعرديّ ﺼ : ٣٠

(٢) فيه ٢٠ وعمرو ٣٥ (٣) فيهما ايضاً ٢١ و٣٥ وماري ٤٣

(٤) السنهادوسات مجمع اقاق ٥٣، واما في رسالة برصوما الى الاساقفة (فيه ٥٢٦) فعوضاً عن ايلول مكتوب آب

ذكره هو انّ المجاعة سائدة منذ سنتَين في نصيبين واطرافها وان العرب الخاضعة للفرس هجمت على بلاد الروم ونهبت . فلذلك استعدّ الروم للغارة على بلاد الفرس . وانه (اي برصوما) على طلب المرزبان قرداغ نكور كان ترجّى من القائد الرومي ان يأتي الى نصيبين لعقد الصلح. وبينما كان هذا القائد في نصيبين في شهر آب (سنة ٤٨٥) حمل العرب الخاضعون للفرس مرّة ثانية على اراضي الروم ونهبوها . فظنّ الروم ذلك مكيدةً . ولاجل هذا لم يتمّ الصلح. ثمّ ان برصوما ينصح الجاثليق ان يؤخر عقد المجمع ويذهب بالسفارة من قبل بالاش الى بلاد الروم

فكتب له اقاق ثانيةً والحّ عليه بان يحضر المجمع وانّ الامور التي ذكرها ليست كافية لتمنعهُ عن الحضور. فكتب برصوما ثانيةً واقرّ انّ قوانين مجمع بيت لاپاط هي ضدّ الديانة المسيحيّة. وان ضميره يوبّخه على ما فعل ويطلب الغفران من الله ويعد انه لن يزال الى الممات خاضعاً لكرسيّ ساليق. ثمّ يأتي بتعللات جديدة ويقول للجاثليق : « انّ نصيبين هائجة الآن كالبحر ومائلة الى العصيان. فاذا لم تكتب سريعاً وتحرم اهل نصيبين لا انا اقدر ان امكث في هذه المدينة ولا هي تبقى في حكم الفرس. وان اهل نصيبين هم الذين حملوني في الماضي على العصيان عليك وعلى سلفك. والمرزبان الذي هنا يساعد العصاة لانّهُ لا يعرف افكارهم الشريرة. واذا عرّفتهُ انا عن احوالهم اخاف ان يأمر الملك بقتل جميع النصارى. فالاحسن ان يُكتم هذا الامر عن الفرس. فاحرم انت اهل نصيبين وخوّفهم وقل لهم انهُ ان لم يرجعوا عن فكرهم تكشف قداستك امرهم للملك ورجال دولته »

ولم يقبل اقاق هذه المرّة ايضاً عذر اسقف نصيبين. بل استدعاه ثالثةً الى المجمع واخذ رسالةً من الملك بالاش الى حاكم نصيبين فيها يأمره ان يرسل برصوما الى المدائن. فاجابهُ برصوما انهُ لا يقصر ابداً في ما يؤول الى الخير وليس هو من المسبّبين لجعل رئاسته عقيمة. ويرغب في ان تصطلح الامور باقرب مدّة. غير انّ الاسباب التي ذكرها في رسالته الاولى تمنعه هو واساقفته عن حضور المجمع. ومع ذلك فهو يطيع معهم ويسلّم لاحكام المجمع ومقرّراته. واقنع برصوما الحاكم ليكتب عنهُ الى الملك انهُ من المحال ان يخرج من نصيبين ما لم تُحسم مسألة الحدود بين الروم والفرس.

والظاهر انّهُ في تلك الاثناء انطلق معنا مطران راوردشير الى نصيبين . ولعلّ الداعي الى ذهابه هو ان يُقنع صديقه برصوما ليجيب الى سؤال الجاثليق ويحضر المجمع . فانّ اسقف نصيبين كتب رابعةً الى مار اقاق قائلاً : « ان مار معنا اخبرني عن غيرتك واهتمامك بامر الايمان الصحيح وعمّا يصير لك من المصاريف الباهظة لاجل خير الكنيسة . فارسلتُ معهُ لقداستك مائة دينار . واني مستعدّ ان ابعث من الآن فصاعداً كلّ سنة خمسين ديناراً لقداستك . فارجو ان تقبلها مني » (١)

ولسنا نعرف هل ان هذه الامور التي ذكرها برصوما في رسائله هي التي منعته بالحقيقة من الذهاب الى المدائن ام انهُ لم يرد ان يمثل بين يدي اقاق فاحتجّ بها . وكيفما كان الامر فان بعض الاساقفة الذين كانوا من حزبه حضروا المجمع وبعضهم امضوا بعدئذٍ مقرراته . والاساقفة الذين امضوه كانوا خمسة وعشرين وهذه اسماؤهم :

اقاق الجاثليق(٢) وبابا (بيت لاباط) ونانى (پرات ميشان) وپرُومي (مرو) ويوحنان (بيت سلوخ) وبطي (هرمزداردشير) وأبيشوع (كشكر) وشمعون (الحيرة) ويزدجرد (داراپي) ويُوسي (شوشتر) وميخا (لاشوم) وابراهام (مادای) ونوح (پلاشپار) واسحاق (كرخ ميشان) وابراهام (تحل) وبابا (اريون) وموسى (پيروز شابور) ودانيال (كرمي) وكودنوز (حربغلال) وأبراهاط (بيت بغاش) وهوشاع (كُنزك في آذوربيجان) . وامضى ايضاً شيلا الشماس الكاتب عن ميهرنرسا اسقف زابي . ونرسا الشماس الكاتب عن باغيش اسقف رَيما ويوسف القس الكاتب عن ايليا اسقف نهركور . وابراهام القسيس عن يوسف اسقف الريّ

ان مجمع اقاق رسم ثلاثة قوانين . القانون الاول هو ضد المنوفيسيتيّين وقد اتى فيهِ ان اباء المجمع سمعوا انهُ يوجد في بيت أرمايي أُناس كثيرون عليهم زيّ الرهبان وهم بعيدون عن هذه الدعوة . فانهم يطوفون البلاد ويغشّون العقول السليمة بزرعهم بذور الهرطقة ويمنعون عن الزيجة . فحذراً منهم اثبتوا الايمان مثلما اثبتوه في بيت عذراي في حدياب محدّدين ان الثالوث الاقدس إله واحد بثلاثة اقانيم وان في

---

(١) السنهادوسات ٥٣٠ (٢) فيه ٥٩ — ٦٠

المسيح طبيعتين بشخص واحد (ܦܪܨܘܦܐ)من دون بلبلة وامتزاج ولا اختلاط

وفي القانون الثاني حكموا ان يسكن هؤلاء الرهبان في المواضع البعيدة من القرى والمدن لِئلّا يفسدوا رسوم البيعة ويلقوا الخلف والشقاق بين المؤمنين . وحرموا كل من يخالف هذه الرسوم

وفي القانون الثالث أثبت المجمع قوانين مجمع بيت لاباط في الزيجة. فاباح للكهنة والشمامسة ان يتزوّجوا وحذّر الاساقفة ان يمنعوا الكاهن البتول او الارمل من التزوج اذا طلب. واما الذي يريد ان يترهب ويعيش بتولاً فعليه ان يُقيم في الاديرة خارج المدن والقرى . وممّا حمل الاساقفة على هذا القانون بخصوص زيجة الاقليروس هو فساد الاقليروس نفسهم وما لحق من العار بالنصرانيـة لدى غير المؤمنين كما يصرّح بذلك المجمع نفسه اذ يقول : «كفى مـا مضى من البلايا في الرعية ومن الفجور حتى سمع به الغرباء ايضاً . »

غير ان مجمع اقاق لم ياتِ بالاثار المطلوبة . فان الخصومة ضربت ثانيةً اطنابها بين اقاق وبرصوما سنة ٤٩١ (١) .وذكر مجمع باباي الجاثليق ان اسبابـه كانت بشرية . والباثن ان المحرّك الاول كان اقاق نفسه .فانّه لا بدّ من انّه غضب على اسقف نصيبين لعدم حضوره المجمع . ولم يستصحبه معه في ذهابه بالسفـارة الى زينون ملك الروم . الامر الذي شقّ على برصوما

ان جميع المؤرّخين الشرقيين يذكرون ان اقاق أُرسل بسفـارة الى زينون الملك (٢) . ولكن لم يكن على ايام پيروز الملك كما زعم مـاري وعمرو وابن العبري بل بعد موته اي على زمان بالاش كما يشير الى ذلك جلياً برصوما في رسالته الثانية الى مار اقاق (٣). وكانت هذه السفارة إمّا في سنة ٤٨٦ التي فيها عُقِد مجمع اقاق في المدائن او بعدها. قال عمرو والتاريخ السعرديّ انّ الملك زينون أعزّ مار

---

(١) اتى هذا التاريخ في مجمع بابوي ٦٣ حيث قيل في السنة الرابعة لقباد ولكن اتى فيه ايضاً ٦٥ في السنـة السابعة لقباد (السنة ٤٩٤ م) فاما ان لفظة الرابعة هي غلط من الناسخ واما لفظة السابعة

(٢) ماري ٤٣. وعمرو ٣٥. والتاريخ السعردي ٢١ . وابن العبري ك : ٧٥

(٣) السنهادوسات ٥٢٧

اقاق واكرم مثواه واجابةً لالتماسه ردّ الاساقفة (الكاثوليكيّين) الذين نفاهم . واماً ماري فمع زعمه ان اقاق استصحب برصوما الى بلاد الروم يضادد نفسه بقوله ان اقاق عاد على حرم مطران نصيبين لان بطريرك الروم واساقفته ذمّوه على سكوته عن قتل بابوي . وكذا اتى في تواريخ ابن العبري . وكانت وفاة اقاق سنة ٤٩٦ بعد ان جلس على الكرسي ١١ سنة وبضعة اشهر (١)

امّا برصوما فالظاهر انهُ هو ايضاً توفّي سنة ٤٩٦ او في نهاية سنة ٤٩٥ . وقد اتى في تواريخ ايليا النصيبيني في الحاشية ان هوشاع خليفة برصوما في السنة التي صار فيها اسقفاً وضع القوانين لمدرسة نصيبين . فالقوانين المذكورة وضعها هوشاع في ٢١ تشرين الاول سنة ٤٩٦ . وقد اتى في تواريخ ابن العبري وماري ان برصوما مات قبل مار اقاق

الفصل الثالث عشر

حكاية اليعاقبة عن برصوما مطران نصيبين

ان برصوما كان فعّالًا ثاقب العقل شديد الحميّة ولولاه لتسلّطت المنوفيسيّة على الكنائس الكلدانية . ولهذا ابغضهُ اليعاقبة ورشقوه باقبح الالقاب منها ܒܪ ܣܘܢܐ (٢) اي ابن النعل و ܡܣܝܒܐ (٣) النجس و ܛܘܦܢܐ ܕܥܘܠܐ طوفان الاثم و ܣܟܝܢܐ ܕܐܣܛܢܐ سكين الشيطان (٤) وسندوا اليهِ اشنع الافتراءات . منها انهُ كان سفّاكاً وقد قتل ٧٧٠٠ نفس

وقد كتب عنه ابن العبري ما تعريبهُ (٥) : « ان برصوما اسقف نصيبين ومعنا مطران فارس ونرساي كانوا ينذرون بالنسطرة ويشيرون على الاساقفة ان يتزوّجوا . وبرصوما نفسهُ تزوّج براهبة . ولما اتصل الخبر بالاساقفة الغربيّين كتبوا الى بابوي الجاثليق وكدّروه على هذه الاعمال . فجاوبهم الجاثليق قائلًا : لكوننا عائشين في

---

(١) غلطاً يقول ماري ان جثلقتهُ دامت ١٥ سنة

(٢) ابن العبري ܟ : ٦٩

(٣) شمعون الارشامي في السمعاني 1 : ٣٥٣

(٤) ميخائيل ٤٢٥

(٥) ابن العبري ܟ : ٦٣ — ٧٨

مملكة فاسقة لا نقدر ان نقاصص المتجاسرين ». ووقعت الرسالة بيد برصوما فارسلها الى پيروز الملك وأتهم جاثليقهُ بالخيانة. فامر الملك بصلب بابوي. ثم قال برصوما لپيروز : ان النصارى الذين في بلادك ايها الملك لن يزالوا متفقين مع الروم ومائلين الى خيانتك ما داموا على دين واحد مع أولئك. وقد كان للروم بطريرك عالم عاقل اسمهُ نسطوريوس. وهذا كان يحب شعبك ومملكتك الفارسية . ولاجل ذلك ابغضهُ الروم وانزلوه عن كرسيه. فان سمحت لي جلالتك اني اجبر جميع النصارى الذين في مملكتك على اتباع راي ذلك الرجل العظيم. وحينئذٍ تقع البغضة بينهم وبين الروم. فاجاب پيروز الى سؤاله. واخذ برصوما معهُ جيوشاً فارسيّة ودخل بيت كَرماي وقتل خلقاً كثيراً. ثم توجّه نحو تكريت. لكن اهلها نازعوه ومنعوه عن الدخول اليهم . واتى الى اربيل. فهرب من قدامه مطرانها والتجأ الى دير مار متى في جبل الباپ. فتبعهُ برصوما ودخل الدير. فانهزم الرهبان واختفوا في المغائر . فقبض على برساهدي مطران الدير وعلى اثني عشر من الرهبان الذين لم يمكنهم الهرب وكبلهم بالاغلال وارسلهم الى نصيبين وحبسهم في بيت احد اليهود. اما هو فنزل الى نينوى وقتل في دير بيزانيثا تسعين كاهناً. وانطلق من هناك الى بيت نوهدرا واراد التسلّق الى مغارة شموئيل . غير ان صلوات هذا القديس منعت دابّته عن المشي. فرجع وقصد بيث عذراي حيث عقد مجمعاً من الاساقفة ورسم قوانين فاسدة فيها سمح للاساقفة ان يتزوّجوا . وجمع ايضاً مجمعَين اخرين واحدًا في المدائن والآخر في كرخ سلوخ في بيت يزدين الصرّاف. ووضع قوانين موافقة لرايه وقد فنّدها القديس اخسنايا في كتابين ضخمين. ويقال ان الذين قتلهم برصوما من المؤمنين (اي المنوفيسيتيين) بلغ عددهم ٧٧٠٠ نفر. وعزم برصوما ان يدخل ايضاً بلاد الارمن ليزرع فيها هرطقته . لكن المرازبة منعوه وهدّدوه بالقتل فرجع الى نصيبين حيث قتل برساهدي مطران نينوى هو والرهبان الذين معهُ. ثمّ ان الاساقفة الذين هربوا من قدام برصوما اجتمعوا خفيةً في المدائن وانتخبوا اقاق جاثليقاً. فلمّا بلغ ذلك برصوما ومعنا مطران فارس هدّداه بالقتل ان لم يوافق رايهما. فسلّم لهما خوفاً وجمع مجمعاً ثبّت فيهِ التعاليم النسطوريّة »

هذا ما قالهُ ابن العبري عن برصوما وهو مأخوذ ممّا اتى في تواريخ ميخائيل

اليعقوبيّ . وهاك عنوان الفصل (١) : الفصل التاسع وفيه رسالة مار يوحنان البطريرك الى ماروثا مطران تكريت ورسالة ماروثا الى يوحنان وهي تحوي ما جرى قبلًا على المؤمنين (المنوفيسيتيين) من الاضطهاد على يد برصوما اسقف نصيبين. وفي رسالة ماروثا هذه الى بطريركه يقول هكذا : « انّك طلبت منّا قصّة اضطهاد برصوما . فاعلم يا رئيس الرؤساء ان جميع القصص الأُولى التي كانت في الدير (دير مار متى) احرقها مع الدير برصوما النجس . وهذه القصّة ليست موجودة في كل مكان . فانّ العلماء والمؤلفين استشهدوا في ذلك الزمان . ولكن لِئلّا نكون مقصّرين عن طلب غبطتكم نكتب قليلًا ممّا اتصل بنا شفاهاً من الشيوخ الصادقين الذين هم ايضاً سمعوا هذه الاشياء من آبائهم »

ثمّ ان ماروثا يتكلّم عن نسطور وعن احراق ربولا كتب تئودوروس اسقف مصيصة والتجاء تلاميذ مدرسة اورهاي الى نصيبين . وانّ آباء مجمع افسس الثاني (المعروف بمجمع اللصوص) استدعوا بابوي ولم يمكنهُ الحضور خوفاً من الفرس . فكتب رسالة الى ديوسقوروس رئيس المجمع معتذراً . ووقعت الرسالة بيد برصوما . فاخذها وذهب توًّا الى پيروز الملك وسعى ببابوي انهُ جاسوس الروم . وقبض برصوما على الجاثليق وجبره ان يعتنق مذهب نسطور . ولمّا لم يقبل امر بقطع لسانه ثم رأسه . وجعل پيروز برصوما جاثليقاً مكان بابوي . ثم انّ ماروثا يذكر ما اتى به برصوما من المنكرات في بيت كرماي واثور وقد سبق ذكر ذلك عن ابن العبري

فترى ان حكاية اليعاقبة هذه عن برصوما قد اخترعوها بعد قتل بابوي الجاثليق بمائة وستين سنة . وهي ملفقة لا يُعتمد عليها ابدًا (٢) . وفي قول ماروثا تصنع ظاهر . اذ يعلن انّ ما يكتبه عن برصوما ليس مدوّناً في بطون الاوراق بل انّا قد سمعهُ من الشيوخ وهؤلاء قد سمعوه من آبائهم . وما عدا هذا فانّ في التقليد اليعقوبي اغلاطاً كثيرة تاريخيّة ومضاددات شتى منها :

---

(١) ميخائيل ٤٢٣ — ٤٢٧ و٤٣٩ — ٤٤٠

(٢) راجع ايضاً لابور ١٣٣ — ١٣٧ وترجمة تواريخ ميخائيل لشابو ك ٢ : ٤٣٦ ح ٢ و٤٣٩ ح ٢

١ً ان بابوي استُدعي الى مجمع افسوس الثاني وكتب رسالة الى ديوسقوروس بطريرك الاسكندريّة الذي كان رئيس المجمع المذكور. وانّما من اجل هذه الرسالة قُبض على بابوي وقُتل . والحال ان مجمع افسوس المعروف بجمع اللصوص عُقِد سنة ٤٤٩ اي نحو ثماني سنين قبل جلوس بابوي و ٣٥ سنة قبل قتله (١) فتأمل

٢ً ان برصوما بعد قتل بابوي صار جاثليقاً . فمن تراه لا يستقبح هذا الخطا التاريخي

٣ً انّ مطران نصيبين جمع مجمعاً في كرخ سلوخ في بيت يزدين الصراف مع ان يزدين المذكور كان على عهد خسرو الثاني (٥٩٠ — ٦٢٨) (٢) وعلى زمان ماروثا ملفّق هذه الحكاية

٤ً ان برساهدي مطران اربيل هرب من قدام برصوما . والحال ان مطران اربيل في تلك الاثناء كان عبوشطا وهو رفيق برصوما وكان موافقاً له في آرائه النسطوريّة

٥ً ان برصوما قتل برساهدي مطران دير مار متى . فترى من هو هذا برساهدي . وفي ذلك العهد لم يكن يجلس مطران لا في هذا الدير ولا في غيره من الاديرة . بل انّهُ بعد انتشار اليعقوبيّة في بلادنا بدأ الاساقفة اليعاقبة يجلسون في الاديرة وذلك من الضرورة لانـهُ لم يكن لهم في اوّل الامر كراسي اسقفية في المدن . وبقيت هذه العادة عندهم الى يومنا هذا

٦ً ان النسطرة انّما بالقوة الجبرية أُدخلت في كنائس الفرس وان اقاق الجاثليق خوفاً من القتل قبل النسطرة. وهذا مخالف لما اتى في تواريخ اليعاقبة نفسها . فانهُ منذ عهد هيبا كانت النسطرة قد زُرِعت في بلاد الفرس (٣)

٧ً ان برصوما في مجمع بيت عذراي رسم قوانين مخالفة للنصرانية وسمح للكهنة ان يتزوّجوا . والحال ان برصوما وضع هذه القوانين في مجمع بيت لاباط (٤)

---

(١) بابوي دبّر الكرسي من سنة ٤٥٧ الى سنة ٤٨٤

(٢) راجع لابور ٢٣٠ — ٢٣٥ (٣) انظر ص ١٣٥

(٤) انظر ص ١٤٣

واما في بيت عذراي فتصالح مع مار اقاق (١)

٨ً ان التقليد اليعقوبي يخلط بين معنا رفيق برصوما ومعنا الذي جلس على كرسي المداين سنة ٤٢٠ · مع انهما شخصان لا شخص واحد (٢)

٩ً من الذين يكذّبون هذه الحكاية اليعقوبيّة عن برصوما اليعاقبة انفسهم الذين كانوا معاصرين لبرصوما · فانّ شمعون اسقف بيت ارشام المنوفيسيتيّ برسالتهِ في اسباب دخول النسطرة في بلاد فارس لم يذكر شيئاً ابداً عن اضطهاد برصوما ومنكراته · وقضى شمعون اكثر حياتهِ في المملكة الفارسية وكتب رسالتهُ المذكورة نحو سنة ٥١٠ (٣) اي ١٤ سنة بعد وفاة برصوما · فلو كانت الامور التي أسندوها الى مطران نصيبين صحيحة لما سكت عنها · فانها كانت لهُ اقوى سلاح للطعن به · والامر الغريب انهُ لم يعطِ ادنى اشارة الى مداخلة برصوما في قتل بابوي

وخلاصة الكلام ان التقليد اليعقوبي عن برصوما الذي حفظهُ ميخائيل البطريرك وابن العبري ملفّق مصنَّع · وكل ما نقدر ان نثبته عن اسقف نصيبين المشهور هو انهُ:

اولًا: لولاه ولولا رفاقهِ لتسلّطت المنوفيسيتيّة على كلّ كنائس فارس · فاجتهد وتوفّق وطرد من هذه البلاد أخسنايا وتلاميذه الذين اتوا من اورهاي وبدأوا ينذرون بتعاليمهم · ولم يمكنهم ان ينشروها الا في مدينة تكريت · ويُحتمل انهُ في هذه المنازعات صار سفك دم قليل · لكن قول ميخائيل وابن العبري عن قتل ٧٧٠٠ او ٧٨٠٠ نفر مردود بالكلية وهو خيالي لا غير (٤) وان اخسنايا انتقاماً مما اصابهُ من الخزي والعار في وطنه لمّا رجع الى اورهاي بذل جهدهُ بقفل مدرسة أورهاي وتوفّق · فان زينون الملك امر بهدمها سنة ٤٨٩ وبنى مكانها كنيسة على اسم سيدتنا والدة الله (٥)

ثانياً انهُ لضعف رأي بابوي الجاثليق ومن اجل القلاقل التي جرت على ايامه من

---

(١) انظر ص ١٤٧ (٢) انظر ص ١٣٩

(٣) السمعاني ٤ : ٣٦١ (٤) راجع ايضاً لابور ١٤٠

(٥) شمعون الارشامي والتاريخ الاورهاوي في السمعاني ٣٥٣ و٤٠٦

سوء تدبيره رفع عليه برصوما صوتــه وتحزّب له اكثر الاساقفة وعقد مجمعاً في بيت لاپاط فيه حرم بابوي ووضع قوانين سمح فيها للكهنة ان يتزوّجوا بعد الرسامة. وصار هو نفسهُ قــدوةً في ذلك. فانّهُ تزوّج براهبة اسمها ماموي. ولقد اجتهد النساطرة عبثاً بتبرأة برصوما من هذا الزواج الغير القانوني (١)

الفصل الرابع عشر

قباذ الملك (٤٨٨ — ٤٩٦) زماسب الملك (٤٩٦ — ٤٩٨)

بابای الجاثليق (٤٩٧ — ٥٠٣) المجمع الكلداني السادس (٤٩٧)

ذكرنا ان الفرس بعد موت ملكهم پيروز سنة ٤٨٣ ملكوا عليهم بالاش. فغلظ ذلك على قباذ اخيه وقصد ملك الهونيين المعروفــين بالهفتراتيين الساكنين في بجتريانة واطرافها. فاكرموه وارسلوا معهُ جيشاً لمقاتلة اخيه. فلما صار قباذ في المداثن وجد بالاش قد مات. وقيل سملوا عينيه وقتلوهُ. فملك قباذ بدون مشقّة سنة ٤٨٨. وكان هذا الملك مغرماً في بناء المدن والقرى والجسور وحفر الانهر. ومال نظير اخيه بالاش الى النصارى واطلق لهم الحرية ببناء الكنائس والاديرة. ومما اتصف بهِ انّهُ تمسك بمذهب مزدق الذي زعم ان الاموال والنساء مبذولة للجميع وافرغ جهده بتقوية هذا المذهب. وغايته في ذلك ان يكسر نفوذ الاشراف ورؤساء المجوس. بتنقيص اموالهم وقطع شجرة نسبتهم. فاضطرب المجوس والاكابر وسألوه العدول عن هذا المذهب الغريب. ولم يصغِ الى كلامهم. فاحتالوا على قتله ولكنهم اخيرًا خلعوه والقوه في الحبس. وملكوا مكانه اخاه زماسب سنة ٤٩٦ (٢). فاضطهد زماسب رعايةً للاشراف والمجوس مذهب مزدق واجتهد في اخماده وحمل النصارى على مساعدته

---

(١) ماري ص ٤٥

(٢) نيلديك في الطبري ٤٥٥ — ٤٦٧. والتاريخ السعردي ﻟ : ٣٢ — ٣٣. والطبري طبعة استانبول ﻟ : ٢٠٥ وما يلي

وكان برصوما قد فصل الكنيسة الفارسية عن كنيسة انطاكية. ومما ساعده على هذا هدم مدرسة الكلدان في اورهاي سنة ٤٨٩. فان خراب هذه المدرسة الشهيرة قطع كل علاقة دينية بين الروم والكلدان النصارى. فلم يعد ملوك الفرس يشكّون في صدق النصارى الذين في مملكتهم. ولم يعودوا يضطهدونهم بغضةً بالروم بل لاطفوهم واتخذوا منهم عمّالًا وكتّاباً كثيرين. وجرت العادة عندهم ان يكون أطباءهم وصيارفتهم ومنجموهم من النصارى. فصارت امور الكنيسة تجري اغلب الاوقات على هوى هؤلاء الرجال الذين هم على باب الملك

والظاهر ان برصوما صار له حزب قويّ بين الاساقفة لحذوا حذوه في الزواج. فان باباي بن هرمزد مع كونه متزوّجاً وله امراة واولاد انتُخب وصار جاثليقاً مكان اقاق سنة ٤٩٧. وكان شيخاً جليلًا من المداثن وكاتباً لزبركان مرزبان بيت أرمايي (١). والذي امر بانتخابه الملك زماسب نفسه على طلب منجّمِهِ موسى (٢) الذي كان من قرابة باباي. وقال عنهُ التاريخ السعردي انهُ كان فهماً عاقلًا. وكتب عنهُ ابن العبري انّهُ كان قليل العلم. اما ماري فقال انهُ كان امياً لا يكتب ولا يقرأ. غير ان شخصاً امياً حسب قوله لا يصير كاتباً. وكيفما كان الامر فانّ باباي دبّر الامور بكلّ فطنة وحكمة

ولما جلس باباي الجاثليق كتب اليهِ زماسب الملك يأمره ان يجمع اساقفته ويضعوا للاقليروس قوانين في الزيجة الشرعيّة وميلاد البنين (٣). فاجتمع الاساقفة في تشرين الثاني السنة الثانية لزماسب (سنة ٤٩٧) وجدّدوا ما رُسم في امر الزواج في مجمع برصوما المعقود في بيت لاپاط وفي المفاوضة التي بدأت في بيت عذداي على ايام اقاق الجاثليق وتمّت في بيت أرمايي. فسمح المجمع لجميع الاقليروس حتى للبطريرك ان يتزوّجوا

ان الخصومة التي كانت بين اقاق وبرصوما دامت بعد موتهما بين الاساقفة المتحزّبين لهما. وقد تولّد من ذلك اضرارٌ كثيرة في الكنيسة. فان أناساً بدون

---

(١) التاريخ السعردي ف: ٣٧. وشمعون الارشامي عند السمعاني 2 : ٣٥٨

(٢) ماري (ص ٣٥) يكتب ماسوي. فلعلّ ماسوي تحريف موسى او موسى تحريف ماسوي

(٣) السنهادوسات ٦٣

انتخاب ومن دون استحقاق بل بالقوة الجبريّة صاروا اساقفة . غير ان هوشاع خليفة برصوما على كرسي نصيبين اراد الصلح مع الجاثليق اذ انهُ حضر المجمع وقدّم لهُ الطاعة (١) فأبطل المجمع كلّ ما جرى بين برصوما واقاق من المكاتبات والحروم وامر بتمزيقها ورشق بالحرم كلّ من يحفظها عنده (٢). ثم ان المجمع حكم ان يكون اجتماع الاساقفة عند الجاثليق مرّة في كلّ اربع سنوات وذلك في تشرين الاول (٣) . واثبت ما اتى في المجامع الاولى عن التمسك بطاعة الكرسي الرسولي الذي في بيعة كوخي الكبرى في المدائن . وكان يزيداد مطران راوردشير قد امتنع من الحضور . فامهلــهُ المجمع سنةً حتى ياتي ويقدّم الطاعة لمار باباي والا فيكون محروماً . والمنوفيسيتيون بعد وفاة برصوما تشجعوا ورفعوا روؤسهم وبدأوا يبثون تعاليمهم في الكنيسة النسطورية . وكان زعيمهم شمعون اسقف بيت ارشام (٤) وتحزّب لهُ بعض الاساقفة ومن جملتهم پاپا مطران بيت لاپاط (٥). فأمهل هو ايضاً سنة لكي ياتي ويمضي اعمــال المجمع ويتمسك بالايمان الصحيح والّا فيُحرم ويُقطَع من جسم الكنيسة . والظاهر انهُ لم يطع فان اسمهُ ليس مذكوراً بين الاساقفة الذين امضوا فيما بعد اعمال المجمع

فالاساقفة الذين اجتمعوا في المدائن كانوا مع باباي الجاثليق ٣٣ شخصاً منهم اربعة مطارنــة وهم هوشاع مطران نصيبين وأكاي (٦) رئيس اساقفة پراث ميشان ويوسف رئيس اساقفة حدياب وبختيشوع مطران بيت كرماي و ٢٩ اسقفاً وهم عمانوئيل (كشكر) . وايليا (الحيرة) (٧) وعمانوئيل (كرخ ليدان) . وايوب (ارزون) . واسحق (كرخ ميشان) . وشليمون (نوهدرا) . وبولس (شهرقرت) . وميهرنرسا (زابي) . وبريخيشوع (بيت داراپي) . وموسى (پيروز شابور) . وأهرون

---

(١) ماري ٤٦ . (٢) السنهادوسات ٦٣ و٦٥ . والسمعاني ܟ : 2 : ٤٢٩ و٤٣٠ والتاريخ السعردي ܬ : ٣٧

(٣) التاريخ السعردي وماري ص ٤٦ وعمرو ص ٣٦ غلطاً يقولون تشرين الثاني

(٤) السمعاني 2 : ٣٤٦ — ٣٥٨ (٥) فيه ايضاً ٣٥٢

(٦) هذا الاسم اتى ايضاً بصورة أنيي (السنهادوسات ٦٦)

(٧) ان اسمي هذين الاسقفين محذوفان في طبعة شابو (راجع الترجمة ص ٣١١)

(بلاشپار) وباباي (ماداي) . ويوسف (الرّي) . وابراهام (جرجان) وابراهام (بيت مهقرايي واصپهان) . ويوحنيس (طوس وابرشهر) . ويوحنان (بيت زبداي) . وحوح (بّلد) . وماري (ديا) . وموسى (نهركور) . وابراهاط (بيت بغاش) . وخوديداد (حربغلال) . ويوحنا (معلثا) . وابراهام (الاشوم) . وابراهام (تحل) . وثلاثة من الاساقفة لم يحضروا غير انهم اذعنوا بواسطة رسائلهم لمقرّرات المجمع وهم دانيال (كرمي) . ويزداد (هرات) وباپي (شوش)

وعلى رأيي ان الاساقفة اجتمعوا ثانيةً لدى الجاثليق مثلما قرّروا في المجمع ان يلتئموا عنده في كل اربع سنين مرّة او قلما يكون انهُ بعد مدّة ولاسباب لا نعرفها استدعى باباي ثانيةً الاساقفة وطلب منهم ان يمضوا مقرّراتهم السابقة . ومما يجعل هذا الراي محتملًا ان في اعمال المجمع ثلاثة جداول لأسماء الاساقفة الذين حضروا . الجدول الاوّل فيهِ اسماء ٣٦ اسقفاً وزاده احد النسّاخ ليكون مثل عنوانٍ للمجمع . والثاني يشتمل على ٣٣ اسقفاً ولا بدَّ من انــهُ هو الأصحّ كما يتَّضح من سياق الكلام . والثــالث يحتوي على ٣٩ امضاء . وهذه الامضاءات وُضعت بعد ختام المجمع . وقد راينا ان پاپا اسقف بيت لاپــاط لم يطع باباي الجاثليق ولم يحضر المجمع . فمن بعد وفاته او بالحري بعد حرمه ارسل خليفته ماروي نائباً عنهُ وامضى تحديدات المجمع (١) . كذلك فعل عبوشطا مطران اربيل بعد وفاة سلفه يوسف . فانهُ هو ايضاً أرسل نائباً وامضى مقرّرات المجمع وقس على ذلك (٢)

وتوفي باباي سنة ٥٠٣ بعد ان جلس على كرسي المداين خمس سنوات . ومع كونه متزوّجاً فقد دبّر الامور حسناً . وقيل ان امرأته ساعدته كثيراً على عمل الخير (٣) . وانهُ في ايامه احتُفِل لأول مرّة بعيد الشعانين في المداين ونصيبين (٤)

---

(١) السنهادوسات ٦٥
(٢) فيهِ ايضاً ٦٦ و٦٧
(٣) التاريخ السعردي ك: ٤٥ — ٤٦
(٤) ماري ٤٦

الباب الثالث

في حالة الكلدان عند دخولهم في الجيل السادس

من اخصّ المصائب التي اصابت الكنيسة الكلدانية في الجيل الرابع والخامس هي النزاعات الداخلية والاضطهادات الخارجية. فان الشقاق ضرب فيها اطنابه على عهد الجثالقة بابا واسحق ودادیشوع وبابوي واقاق. وعدد الشهداء الذين قدّموا انفسهم للذبح على عهد شابور الثاني وخلفائه بلغ آلاف الالوف. وكان من نتيجة الشقاقات وضع قوانين شتى في الكنيسة وارتقاء كرسيّ ساليق الى الرئاسة الكبرى في مملكة فارس فصارت الكنيسة الفارسية بالحقيقة كنيسة مليّة وبعد ان تمسكت بهرطقة نسطور أصبحت قائمة بنفسها ومنفصلة انفصالًا تامًّا عن سائر الكنائس النصرانية. ونتيجة الاضطهادات هي ان كنيستنا ايضاً شاركت اختها الكنيسة الغربيّة بارسالها الى السماء عدداً لا يُحصى من الشهداء والشهيدات واظهر الله بذلك ان الديانة المسيحية هي ديانة إلهيّة لا يقدر الملوك مع كلّ جهدهم وقوّتهم ان يقرضوها ويلاشوها

ورغماً عن هذه الشقاقات والاضطهادات القاسية ما زالت الكنيسة الكلدانية تزداد قوّة وامتداداً. ومن اسباب ذلك اولاً الغيرة الدينيّة. فان المنذرين بالانجيل رغماً عن الاضطهادات القويّة زرعوا بذور الايمان في الاراضي اليابسة فجمعوا غلاّت وافرة في كل قطر ومصر. ثانياً همّة البطاركة بعقد المجامع كلما دعت الحاجة فداووا سريعاً الجروح التي كانت تُجرَح بها الكنيسة ووضعوا ما لزم من القوانين لرفع الشقاق وتهذيب الاقليروس والعلمانيّين. ثالثاً اتخاذ الجثالقة والاساقفة سَياسة ممتلئة حكمة وفطنة مع ملوك الفرس واجتهادهم بالتقرّب منهم فنجحوا نجاحاً عظيماً. فان ملوك المدائن الذين كانوا منذ تنصُّر ملوك بيزنطية يشكّون في امانة النصارى الذين تحت حكمهم زال عنهم هذا الشكّ منذ تمسك الكلدان بنسطور الذي حرمه الروم. رابعاً اهتمام اجدادنا في المعارف والآداب اذ فتحوا في كل مدينة وقرية مدرسة علّموا فيها مع اللغة الكلدانية العلوم الدينية والدنيوية. وترقّت

بعض هـذه المدارس اكثر ما يكون فانها كانت جمعيات حقيقية منظومة ومقيّدة بقوانين وضوابط يسوسها معلّمون مقتدرون غيورون . واشهرهـا مدرسة نصيبين ومدرسة المدائن . خامساً تعلّق آبائنا الشديد بكرسي المدائن الاكبر وافتخارهم بهِ ورغبتهم في ارتقائه الى منزلة كراسي رومية وانطاكية وبيزنطية الرفيعة . فالكراسي الاسقفيـة الكلدانية التي في الجيل الرابع كانت نحو الثلاثين نراها بالغة في الجيل السادس الى اكثر من مائة . وكانت مقسومة الى عشر ابرشيات مطرابوليطية . وفي حكم كلٍ منها عدّة اسقفيات . فالابرشيات المطرابوليطية في الجيل السادس كانت هذه : الابرشية البطريركية الكبرى ومركزها المدائن . وابرشيات عيلام ونصيبين وپراث ميشان وحدياب وبيت كرماي وبيت قطرايي وفارس ومرو وهرات (١)

الفصل الاول

قباذ الملك (٤٩٨ — ٥٣١) ومحاربتـه مع الروم . — شيلا الجاثليق (٥٠٣ — ٥٢٣) . طرد المنوفيسيتيين من بلاد الفرس ثاني مرة

ان زماسب لم يملك طويلاً . فان قباذ بهمّة اختهِ هرب من الحبس والتجأ الى الهياطلة (٢) فرحّب به ملك البرابرة وانفذ معه جيشاً لمحاربة اخيه . فرجع قباذ الى مملكته وقهر زماسب وجلس ثانيةً على سرير الملك سنة ٤٩٨ . وبلغت بهِ الفطنـة انهُ اعتبر ما اصابه فيما سلف . واجتهد في استجلاب قومهِ ونبذ تعليم مزدق الذي كان متمسكاً به قبلاً . واحسن الى النصارى لان قومـاً منهم خدموه على الطريق لمّا هرب لدى الهياطلة (٣) . ولما راى نفسهُ كفوًا لمحاربة الروم اخذ يترقب الفرصة . فان الجيوش الهونيّة التي اتت معهُ واجلسته على تخت المملكـة بقيت في خدمته .

---

(١) راجع التوطئة في اول الكتاب

(٢) راجع التاريخ السعردي ص : ٣٥ — ٣٦ . والطبري طبعة استانبول ٢٠٨ — ٢١١ . ان ابن العبري (ص : ٨٣) غلطاً يقول ان قباذ التجأ الى الروم وانه ملك ٤٦ سنة فان مدة ملكه كلها كانت ٤٢ سنة

(٣) التاريخ السعردي ص : ٣٦

ولعلّها هي التي حملتهُ على هذه المحاربة كي لا ترجع الى بلادها فارغة. وكان الروم يدفعون كل سنة للفرس مبلغاً من الدراهم لمحافظتهم على الطرق القزوينية منعاً للهونيين من شن الغارة على مملكة الفرس والروم معاً. فلما طلب قباذ هذه الجزية وابى انسطاس ملك الروم تاديتها انتشبت الحرب بين الفريقين في ٢٢ آب سنة ٥٠٢ (١)

فأغار قباذ اولاً على مدينة تئودوسيوسپوليس وهي ارضروم الحالية وافتتحها بدون مشقة. لان واليها قسطنطين خان الروم وتحزب للفرس وصار قائداً في جيشهم ثم توجه قباذ نحو بلاد صوب وشدّ الحصار على آمد في ٥ تشرين الاول. فارسل انسطاس الملك عن يد روفينوس الجزية التي طلبها قباذ وسأل الصلح. غير ان ملك الفرس كان قد توغل في البلاد ولم يمكنه ان يجيب الى سؤالهِ. وفي تلك الاثناء حمل النعمان ملك الحيرة على اراضي حران واورهاي ونهبها وسبى منها ١٨٥٠٠ نفساً اماً قباذ فاقام مدة تحت اسوار آمد وهو لا يقدر ان يفتتحها لعظم سورها ومدافعة اهلها بشجاعة عجيبة. ففكر في الانصراف عنها. غير انهُ في تلك الليلة عينها هجمت عليها عساكره بشدة وافتتحوها. وكان قباذ قد غضب جدًّا على اهل المدينة لانهم قتلوا من جيوشه خمسين الف مقاتل. وقتل عوضاً عنهم ثمانين الفاً. ودخل الكنيسة الكبرى ورأى صورة المسيح فيها. فسأل عنها. فقيل لهُ انها صورة يسوع. فسجد لها وقال لأصحابه: «هذه هي الصورة التي رايتها تخاطبني في الحلم وتقول: ارجع الى المدينة فاني اسلّمها اليك من اجل خطايا اهلها.» وامر ألّا يُقتل من استجار بالكنائس(٢) واخذ قباذ كل ما وجده في المدينة وارسلهُ على الاكلاك الى المدائن. وذهب هو الى سنجار لقضاء فصل الشتاء

لما ما كان من امر انسطاس الملك فانهُ لما بلغتهُ هذه الاخبار المحزنة انفذ جيشاً عظيماً تحت قيادة آرئوبيند وبطريقيوس وهيپاطيوس. فحلّ آرئوبيند في حدود دارا مع ١٢٠٠٠٠ مقاتل. وبطريقيوس وهيپاطيوس ذهبا الى آمد مع ٤٠٠٠٠ مقاتل

---

(١) خلاصة هذه الحرب الشديدة طبعها السمعاني (٢ : ٢٦٠ — ٢٨٢) وطبعها ايضاً الاب مارتين مع الترجمة الفرنسية غير ان مؤلفها مجهول. دوڤال الآداب السريانية ١٨٧-١٨٩

(٢) التاريخ السرديّ ك: ٤٠ — ٤١. وميخائيل ٢٥٩

وحاصراها . فحمل قباذ على آرثوبيند لكنه انكسر وهرب الى نصيبين . فانجده العرب والهونيون تحت قيادة قسطنطين المار ذكره . فلم يلبث آرثوبيند ان ترك مهماته الحربية وهرب الى تلا وهي ويران شهر الحالية . وانطلق قسم من عساكره الى اورهاي . وفي شهر آب سنة ٥٠٣ زحف بطريقيوس على الفرس لكنه غُلب ايضاً وهرب الى شميشاط . وفي هذه المحاربة جُرح النعمان ملك الحيرة ومات

وفي ١٧ ايلول سنة ٥٠٣ شدّ قباذ الحصار على اورهاي ولم يقدر ان يفتحها . فخلّى عنها بعد ان احرق كنيسة مار سركيس وكنيسة المعترفين . وحمل على الرقة وضبطها . وكان الروم يحاصرون آمد واحرقوا ونهبوا البلاد المجاورة لها . فاضطر الفرس وسلّموا لهم المدينة وعقدوا معهم الصلح سنة ٥٠٤

فانتهز الروم الفرصة من عقد الصلح واستحكموا مواقعهم الحربية . لانهُ لم يكن لهم في تلك الاطراف موقع حربيّ لمنع غارات اعدائهم . فبنوا مدينة حصينة بين نصيبين وماردين سمّوها انسطاسپوليس اي مدينة انسطاس وهي المعروفة بدارا (١)

ثم تجددت الحرب بين الفريقين سنة ٥٢٧ . والداعي الى ذلك ان يوسطينوس خليفة انسطاس لم يرسل الجزية السنوية التي طلبها منه قباذ (٢) . فغزا العربُ الذين في حكم الفرس البلاد الرومية . وحمل الروم ايضاً على بلاد الارمن التي في حكم الفرس وحاصروا مدينة نصيبين ولم يقدروا ان يدخلوها . كذلك هجم الفرس على دارا ورجعوا خائبين

ولما كانت السنة ٥٣١ عبر قباذ الفرات . ولكن بليزيو القائد الروميّ الشهير جبره ان يكرّ على اعقابه . ومات قباذ الملك في ايلول سنة ٥٣١ وجلس مكانه خوُسرُو انوشروان المعروف عند العرب بكسرى . وكان هذا الملك محبّاً للسلام . فعقد الصلح مع الروم في ايلول سنة ٥٣٢

وبينما كان قباذ ينهب بلاد الروم كان شيلا الجاثليق ينهب الكنائس الفارسيّة

---

(١) راجع عن بناء دارا لاند ج ٣ : ٢١٤ — ٢١٥

(٢) دوڤال تاريخ اورهاي ١٩٩ — ٢٠٠

ويأخذ زينتهـا . ان هذا البطريرك خلف باباي سنة ٥٠٣ (١) وكان اركد ياقونه . واصله من المدائن وله ابنة وزوجة . والذي سعى بانتخابه بوزاق (٢) اسقف الاهواز الذي كان معززًا مكرماً لدى الملك لانه كان طبيباً وشفاه وشفى ابنته من علـة كانت فيها . وكان الشعب يبغض الجاثليق الجديد لانه كان متكبرًا وطمّاعـاً وحريصاً على الدرهم . فقام عليه الاقليروس ومن الجملة ماري تحلايا . وكان هـذا الملفان قد اختصّه باباي الجاثليق ويسمع منه (٣) . فانكر على شيلا سوء سيرته . غير انه لم يستفد شيئاً لان شيلا كان مقرباً لدى الملك مراعاةً لبوزاق الاسقف . غير ان شيلا مع عيوبه الكثيرة كان غيورًا على مذهبه فنازع النوفيسيتيين شديدًا وطردهم من بلاد الفرس

ان زينون ملك الروم ساعد كثيرًا الهرطقة المنوفيسيتية . وانسطاس (٤٩١— ٥١٥) الذي خلفه عاونها اكثر . فتقوّى المنوفيسيتيون كثيرًا في ايامه . ومن مشاهيرهم الذين افرغوا الجهد بتقوية مذهبهم وبثّه في سوريا وفي بلادنا هـذه هم يعقوب السروجي واخسنايا وشمعون الارشاميّ ويعقوب البراذعيّ

وُلد يعقوب السروجيّ في اطراف سروج ودرس في مدرسة اورهاي (٤) . وانحاز الى المنوفيسيتيين . وكان عالماً جليلاً له ميامر لا تحصى . ورُسم اسقفاً على بطنان سنة٥١٩ وتوفي سنة ٥٢١ (٥)

امَّا اخسنايا وشمعون الارشاميّ ويعقوب البراذعيّ فكانوا كلدانـاً . وقد مرّ الكلام عن اخسنايا انهُ من تحل في بيت كرماي . وتربّى مع برصوما ونرساي في مدرسة اورهاي (٦) . وكان حادّ الذهن فصيح اللسان طويل الباع في تحريك الفتن .

---

(١) راجع عن شيلا التاريخ السعردي ك: ٤٣ — ٤٦ . وماري ٤٧ — ٤٨ وعمرو ٣٧ . وابن العبري ك: ٨١ . ولابور ١٥٩ — ١٦٠

(٢) ماري وعمرو والتاريخ السعردي غلطاً يكتبون يوزق (طالع السنهادوسات ٧١و٧٥)

(٣) شمعون الارشامي في السمعاني ١ : ٣٥٨

(٤) التاريخ السعردي ك : ٢٩

(٥) راجع عن يعقوب السروجيّ أبيلوس : ترجمة وتأليفات القديس يعقوب

(٦) شمعون الارشامي في السمعاني ١ : ٣٥٣

لكنهُ مع كل ذلك لم يقدر ان يغلب برصوما اسقف نصيبين فـان هذا كسره كسرةً تامة وهزّمه من هذه البلاد (١) . فبذل اخسنايا سعيهُ في الانتقـام من النساطرة وبتحريـكه استأصل قورا الاسقف مدرسة اورهاي النسطوريّة سنـة ٤٨٩ . وكان اهل الطبيعة الواحدة صيّروهُ اسقفاً على منبج سنـة ٤٨٥ . ولما ملك انسطاس بذل اخسنايا سعيه بتقوية بني مذهبه . فسافر مرّتين الى بيزنطية سنة ٤٩٩ و٥٠٦ . وحمل الملك على نفي فلاڤيانوس بطريرك انطاكية . فجعل مكانهُ سيڤيروس وهو ساويرا المنوفيسيتيّ الشهير سنة ٥١٢ . واخسنايا من اجلّ كتبة الارامين . وله تاليفات كثيرة سياتي ذكرها

امّا شمعون فكان من ارض بابل وقيل عنـهُ انهُ صار اسقفاً على بيت ارشام وهي قرية صغيرة بالقرب من المدائن ويُطلق عليهِ اليعاقبة اسم ܕܪܘܫܐ ܦܪܣܝܐ اي المنطقيّ الفارسيّ . وهو افرغ كل وسعه في نشر المنوفيسيتية في ارض الكلدان ولم يتوفق (٢)

ويعقوب البراذعيّ كان من اطراف نصيبين . وبذل ما لا يمكن وصفـه من الهمّة والكدّ والتفنن والسطوة في بثّ اليعقوبيّة في مصر وسوريا وبـلاد ما بين النهرين . ونسبةً اليهِ سمّي السريان المنوفيسيتيون يعاقبة . وكانت وفاتهُ سنـة ٥٧٨ (٣)

ولما مات انسطاس الملك وجلس مكانهُ يوسطينوس الاول سنة ٥١٨ انقلب الامر . فان هذا الملك نصر الكاثوليك واضطهد اليعاقبة . فهرب ساويرا بطريرك انطاكية الى برية مصر . ونُفي اخسنايا الى مدينة كنكرا حيث خُنق بالدخـان ومات سنة ٥٢٣ والتجأ بعض المنوفيسيتيين الى بلاد الفرس ودخلوا الحيرة . وعاونهم الحجاج بن قيس الحيري صـاحب المنذر بن النعمان ملك الحيرة (٤) . وانضم اليهم

---

(١) كتاب باباي الكبير في الاتحاد [illegible] : [illegible]

(٢) دوقال الآداب السريانية ٣٦٠ راجع ايضاً قصته في لاند ص : ٧٦ — ٨٨

(٣) دوقال ٣٦٢—٣٦٤ . والسمعاني ص : ٦٣ — ٦٩ راجع ايضاً قصته في لاند ص : ٣٦٤ — ٣٨٣

(٤) التاريخ السعردي ص : ٥١

شمعون الارشامي المار ذكره. وقيل عن شمعون هذا انهُ نصّر من اكابر الحيرة. وذهب الى باب ملك الفرس وهناك ايضاً نصّر بعضاً من المجوس. فسعى النساطرة باليعاقبة انّهم متحزّبون للروم. فاضطهدهم ملك الفرس ولذلك انتقل شمعون الى القسطنطينية واخذ توصية الى ملك الفرس ورجع الى بلاد الكلدان واخذ يبثّ تعاليمه بهمّة لا مزيد عليها (١). وقال التاريخ السعردي ان شيلا الجاثليق لما اتصل بهِ خبر نجاح اليعاقبة في الحيرة قصدهم وجادلهم واخزاهم. اما يوحنان اسقف اسيا اليعقوبي فيقول في قصّة شمعون الارشامي: ان اليعاقبة قهروا النساطرة بالجدال وهذا امرٌ طبيعي فانهُ ما من احد يسلّم بكونهِ مغلوباً في المجادلة. ويقول ايضاً يوحنان ان هذه المجادلة صارت على ايام باباي الجاثليق. وانهُ بعد هذه المجادلة رُسم شمعون اسقفاً على بيث ارشام. والحال يتضح من قول ديونوسيوس البطريرك اليعقوبي (٢) انّ رسامة شمعون كانت في سنة ٥١٠ اي سبع سنين بعد وفاة باباي الجاثليق وميثافراست في قصة حارث الشهيد (٣) يقول ان مجادلة شمعون هذه صارت مع شيلا الاسقف النسطوري (٤). وكيفما كان الامر فانهُ بعد هذه المجادلة صار

---

(١) قصة شمعون الارشامي لاند ٿ : ٧٦ — ٧٩

(٢) في السمعاني ٢ : ٣٤١ وراجع ايضاً ميخائيل ٢٦٣ وابن العبري ٿ : ٨٥

(٣) في السمعاني ٢ : ٣٤٢

(٤) ان قصة شمعون الارشامي التي كتبها يوحنان اسقف اسيا (لاند ٿ : ٧٦ — ٨٨) مشبوهة ويجب ان تُعرض على محكّ الانتقاد. فان ابن العبري في كتاب تاريخهِ (٢ : ٢١٨ و ٿ : ٨٧) وميخائيل في تواريخهِ (ص ٢٦٤) يقولان واضحاً انهُ قبل سنة ٥٤٤ لم يكن في كل بلاد الفرس سوى اسقف واحد يعقوبي وهو ماريس اسقف سجار. ويوحنان اسقف اسيا نفسه في قصة يعقوب البراذعيّ (لاند ٿ : ٣٩٦) يُعلن انهُ نحو سنة ٥٤٣ لم يكن في كل سوريا سوى ثلاثة اساقفة منوفيسيتيين فكيف انهُ في قصة شمعون يقول ان خمسة اساقفة يعاقبة وضعوا اياديهم عليه ثم ان يوحنا المذكور ما عدا انهُ يخلط بين باباي وشيلا الجاثليقين فانه يجعل باباي جاثليقاً لارزون (لاند ٿ : ٨١). ويقول عن شمعون انهُ دار الارض كلها شرقاً وشمالاً وجنوباً ودامت سياحته سبع سنين وكتب تقرير ايمان جميع ملوك النصارى وتكلّم نظير الرسل بجميع لغـات الارض. مع انهُ في ذلك الزمان لم يكن ملك نصراني في البلاد الشرقية

اضطهاد على اليعاقبة . فقال يوحنان اسقف اسيا انهُ قُبض على شمعون الارشامي وعلى رفاقه وألقوا في السجن في نصيبين مدَّة سبع سنين وبتوسّط ملك الحبشة أُخرجوا من الحبس . اما التاريخ السعردي فقال انهُ ورد كتاب من يوسطينوس الى المنذر بطرد كل من نُفي من بـلاد الروم من المخالفين . فطالبهم المنذر وهرب بعضهم وبقي البعض مستترًا . ومضى اخرون الى نجران حيث زرعوا اعتقاد يوليانا معلم ساويرا الذي قال ان جسد يسوع المسيح نزل من السماء

وكانت وفاة شيلا في السنة ٣٤ لقباذ الملك (١) الموافقة لسنة ٥٢٣ للمسيح . وقد جلس على كرسيّ المدائن ثماني عشرة سنة . ومحبة هذا الجـاثليق لأَهله سبَّبت من بعد موته شقاق عظيم في الكنيسة كما سترى

الفصل الثاني

انحطاط الكنيسة النسطورية على عهد نرساي واليشاع الجاثليقَين (٥٢٣ — ٥٣٧) بولس الجاثليق (٥٣٧ — ٥٣٩)

ان شيلا زوّج ابنته بأليشاع الطبيب واوصى عند موته بنصبه جاثليقاً مكانهُ . وكان اليشاع من المدائن . واقام زماناً في بلاد الروم وهناك تعلّم الطبّ فمال اليهِ الملك واصحابه . فاراده قوم ورفضه آخرون واختاروا نرساي وهو رجل كاتب عـالم يكرمه سائر الكتّاب (٢) . فانقسم النصارى الى فرقتين . ولكل فرقة زعيم مقتدر بالحكومة . بوزاق اسقف الاهواز تعصّب لنرسـاي وبيرون (٣) الطبيب لأَليشاع .

والشمالية والجنوبية . اخيرًا بينما انّ يوحنان في تاريخ دير مار يوحنا في آمد (لاند ٢ : ٢٨٦ ودوفال الآداب السريانية ٣٦٤) يقول عن نفسهِ انهُ دخل بيزنطية سنة ٥٣٥ ترى في قصة شمعون ان يوحنان كان في عاصمة مملكة الروم سنة ٥٣١ (لابور ١٥٨ ح ١ . راجع ايضاً التاريخ السعردى ٢ : ٥١ ح ٣

(١) التاريخ السعردي ٢ : ٥٣

(٢) ايليا النصيبيني يكتب ان نرساي كان صهر شيلا امّا اليشاع فكان قسيساً

(٣) ماري يكتب بيروي

وبقي الامر هكذا من حزيران سنة ٥٢٣ الى نيسان سنة ٥٢٤ (١)

اخيرًا حضر داود مطران مرو وجماعة من الاساقفة واساموا اليشاع في بيعة اسبانير خلافاً للرسوم بان تكون رسامة البطاركة في بيعة المداين الكبرى المعروفة بكوخي. واخرج بيرون الطبيب امرًا من الملك بقبول اليشاع وبذل الرشوة لرجال الدولة. فلما رأى ذلك الحزب الآخر اجتمع هو ايضاً ورسم نرساي جاثليقاً في بيعة الكرسيّ على الرسم الجاري . والاساقفة الذين اساموه هم جوهر (٢) مطران نصيبين وايشوع اسقف زابي ونرساي اسقف الحيرة ويعقوب مطران بيت لاپاط وتيماي (٣) مطران پراث ميشان وبولس مطران اربيل ويوحنان اسقف ميشان وشموئيل اسقف كشكر وداود اسقف الانبار . فجرى من الشقاق والسيمونية والخصومة بين الناس ما لم يُسمع بمثله. فجُعِل في كل كنيسة اسقفان ومذبحان وقسيسان : اذ ان كلاً من الفريقين كان يرسم للكراسيّ اساقفة من حزبه. ومات في تلك الاثناء بوزاق شفيع نرساي فضعف حزبه وتقوّى اليشاع كثيرًا حتى انهُ احتال وحبس نرساي وجماعةً من حزبهِ. لكن ابن خوسرو انوشروان توسط واخرجه من الحبس

فتكبَّر اليشاع كثيرًا بنصرته هذه واخذ يطوف البلدان وانتهى الى الري ومرو وحبس كل من خالفه هناك. ثم رجع الى فارس والاهواز والبحرَين واسام مطارنة واساقفة وحرم من قاومهُ . وحملت الغيرة يعقوب مطران بيت لاپاط على مخالفته. فوضع كتاباً ضمّنه ما يجب على الرؤساء استعماله في امور البيعة واظهر البلايا التي سبَّبها اليشاع. لكنّ ذلك لم يؤثر في هذا الجاثليق. فانهُ في رجوعه الى المداين رسم لكشكر اسقفاً اسمه برشبا واسقفها شموئيل بعد في قيد الحيوة .

---

(١) عن نرساي واليشاع الجاثليقين راجع ماري ٤٩ . وعمرو ٣٧—٣٩ . والتاريخ السعردي ك ٢ : ٥٥—٦٠ . وابن العبري ك ٢ : ٨١ . ولابور ١٦٠— ١٦١

(٢) عمرو يكتب : كوسي وسفر الاحياء والاموات : كيوركيس واظن ان جوهر وكوسي محرّفان عن كيوركيس

(٣) عمرو والتاريخ السعردي يكتبان تَيمن . اما تيماي فقد اتى في مجمع مار آبا (السنهادوسات ٧١ و٧٣ و٧٤ و٧٥)

واستخرج له بيرون الطبيب كتاباً من الملك. فلم يقبله اهل كشكر. فقصد اليشاع الايقاع بهم بواسطة رؤساء الجيش . ولما وصل الخبر الى اهل كشكر عزموا على قتال من يقصدهم . واعانهم جماعة من اهل الاهواز وبيت كرمـاي المخالفين لاليشاع. فكبر ذلك على الجاثليق وقال : « انا غلبتُ سـائر البلدان. أفيقدر اهل كشكر وهم بمنزلة الذباب الحقيرة ان يغلبوني . » فازداد اهل كشكر غضبـاً . وذهب اليشاع الى منزلهِ وكتاب الملك في يده. فصار اليـهِ رجل من اهل كشكر مظهرًا انهُ يريد تقبيل يديه. فاخذ الكتاب من يده ودفعه الى غيره وغاب. ووقعت خصومة شديدة واليشاع يخزّق ثيابه ويتأسف الصعداء على فقدان الكتاب لانـهُ كلّفه كثيرًا. ولم يزل يسيء السيرة في الرعية حتى امتلأ كاس سيئاته وفاض. فخان له ان يسقط من كرسيّه

انّ خوسرو الاول الملقّب بانوشروان ملك مكان ابيه قباذ سنة ٥٣١. وقتل هذا الملك اخوته ورؤساء جيشه خوفاً مما جرى على ابيه منهم. وكان ذا دهاء خبيرًا بامور السياسة وحسن التدبير والتجربة (١). وقيل انهُ تعلّم الفلسفة على برصومـا اسقف قردو وعلى بولس الفيلسوف الفارسيّ الذي كفر بالنصرانية اذ لم تتمّ لـه مطرنة فارس (٢) . ومال انوشروان في اول امره الى النصارى ولاطفهم وساعدهم كثيرًا ولولا خوفه من المجوس لازداد في ذلك

ولما كانت السنة ٥٣٤ اذ انصرف خوسرو الاول من فارس في حرّ شديد تلقّاه بولس اسقف الاهواز وخليفة بوزاق بماء كثير حمّلـه على الدواب وسقى الملك وعساكره في تلك الجبال الوعرة اليابسة. فتعجّب الملك من تيقّظـه واهتمامه بامره. وتاكد محبّته له. فاراد منذ ذلك الحين مكافأته بجعله جاثليقاً على جميع النصارى(٣)

ولما كانت السنة ٥٣٧ مات نرساي. ففرح اليشاع لظنّه ان الامر قد استوثق له. وطلب بيرون الطبيب الى خوسرو الملك تثبيته. غير ان الملك ردّ طلبة طبيبه وامر

---

(١) تاريخ يوحنان اسقف اسيا طبعة كورتون ٣٨٨

(٢) التاريخ السعردي ك : ٥٤ — ٥٥

(٣) التاريخ السعردي ك : ٦١ . وماري ٤٩ وعمرو ٣٩

حالاً بتنزيل اليشاع ونصب بولس اسقف الاهواز جاثليقاً مكانه. فاجتمع الاساقفة واجروا اوامره (١)

انّ المؤرخين يخالفون بعضهم بعضاً في تعيين مدة تلك الرئاسة المزدوجة. فقال عمرو وايليا النصيبينيّ والتاريخ السعردي انها دامت اثنتي عشرة سنة. امّا مجمع مار آبا فكتب ١٥ سنة (٢). ولا ريب في ان قول هذا المجمع اصحّ. فانه عُقد بعد هذا الحادث بسنتين او ثلاث. ويوافقه التاريخ السعرديّ اذ يقول ان الشقاق دام من السنة ٣٥ لقباذ الى السنة السادسة لخوسرو انوشروان. اي من السنة ٥٢٤ الى السنة ٥٣٧ يعني ١٤ سنة لا ١٢ فانّ قباذ ملك ٤٢ سنة. والتاريخ المذكور لا يحسب السنة الاولى التي بدأ فيها الشقاق بل يعدّ السنين منذ تجثلق نرساي واليشاع. فانه سبق وقال انّ شيلا مات في السنة ٣٤ لقباذ

ان بولس الجاثليق كان فعّالاً ذا حزم وقوّة. ومنذ جلوسه على الكرسي بذل سعيه باصلاح الامور وقطع الشقاق. وساعده الملك خوسرو كثيراً لحرم الاساقفة الغير الشرعيين وأبطل جميع المكاتبات والحروم التي كان الاحزاب قد رشقوا بها بعضهم بعضاً (٣). غير ان الزمان خانه. فانه قضى نحبه سريعاً تاركاً مهنته هذه لخليفته مار آبا الشهير

وقال عنه ايليا النصيبينيّ انه دبّر الكرسيّ شهرَين ومات في احد الشعانين في السنة السادسة لخوسرو انوشروان (سنة ٥٣٧ م). وكذا قال عمرو وماري وزاد ماري هذه العبارة: « وقوم قالوا سنة (٤) » لمـّا ايليا الدمشقيّ فكتب ان مدة بولس كانت سنتين (٥). والظاهر ان قوله اصحّ وتكون وفاة هذا الجاثليق سنة ٥٣٩ . لانه من المحقّق ان مار آبا تجثلق في بدء السنة ٥٤٠ (٦). فان كان بولس قد توفي سنة ٥٣٧ يجب ان نفرض ان الكرسيّ فرغ من بعد موته سنتين او ثلاثة

(١) التاريخ السعردي ܒ : ٦٠ وعمرو ٣٨ .

(٢) السنهادوسات ٨١ . وماري ٤٩ وايليا الدمشقي في السمعاني ܟ : ٤ : ٧٨

(٣) السنهادوسات ٨٦ (٤) راجع ايضاً ابن العبري ܒ : ٨٩

(٥) في السمعاني ܟ : ٤ : ٧٨ (٦) السنهادوسات ٧٤

ولم نجد موءرخاً يشير الى ذلك . بل ان ايليا مطران نصيبين يقول واضحاً ان مار آبا تجثلق في السنة التي مات فيها بولس بعينها

الفصل الثالث

رئاسة مار آبا البطريرك (٥٤٠ — ٥٥٢)

١ اوائل مار آبا الكبير

ان مار آبا هو من اجلّ البطاركة الذين جلسوا على كرسيّ المدائن . وقد كتب قصة حياته احد تلاميذه . وطبعها بيجان سنة ١٨٩٥ (١) . و كان له قصة اخرى منها اخذ اشياء كثيرة موءلّف التاريخ السعرديّ

كان آبا مجوسياً من بلدة رادان . وتخرّج في علم المجوس والآداب الفارسية وجعِل ارزبداً في حالا . ثم تبع خودنبود جابي الاموال الاميريّة في بيت ارمايي واتفق ذات يوم انه اذ اراد العبور في زورق على الدجلة ليذهب الى منزله في حالا حضر تلميذ من مدرسة نصيبين اسمه يوسف وكان يُلقّب ايضاً بموسى واراد العبور معه . فمنعه آبا . ولما حصل الزورق في وسط الدجلة عصفت ريح شديدة رجّعته الى الشاطئ . ولمّا سكنت الريح واراد آبا العبور ثانيةً عاد يوسف وساله ان يعبر معه . فمنعه وانتهره . فلم يتمكّن الزورق هذه المرّة ايضاً من العبور ورجع . فاضطرّ آبا حينئذٍ ان ياخذ معه يوسف فسكنت الريح وعبر الزورق الى الجانب الآخر

فاثّرت هذه الحادثة في قلب آبا وسأل الرجل عن ديانته . فاوقفه يوسف على صحة الديانة المسيحية . ولم يزل المجوسيّ يبحث عنها الى ان تأكّد له انها وحدها الديانة الحقيقية . فلازم الصوم والصلوة . ثم ان الجابي نزل الى قطيسفون مع كاتبه وتبعهما آبا . وكان يذهب ويصلّي في بيعة كصيصتا . فعرف ذلك صاحبه الكاتب

---

(١) قصة يهبالاها ٢٠٦—٢٧٤ . التاريخ السعردي ك : ٦٢ — ٨٠ . وماري ٢٩ — ٥٣ وعمرو ٣٩ — ٤١ . وابن العبري ك : ٨٩ — ٩٥ . والسمعاني ب : ٤ : ٧٥ — ٨١ . والسنهادوسات ٦٨ — ٩٥ و ٥٤٠ — ٥٦١ . ولابور ١٦٣ — ١٩١

وهدّده بنقل الخبر الى الجاثي . فقال لهُ آبا : اني نصراني ولا اخاف الحبس . ثم رجع الى بلدته واعتمذ في قرية آكيد (١)

ثم انه انتقل الى مدرسة نصيبين وتخرّج في مدة قليلــة في العلوم البيعيّة حتى استغرب الجميع من عقله الثاقب ولزم في المدرسة مار معنا الذي صار بعدئذٍ اسقفاً على ارزون . وتبعه هناك وصار معلّماً ورجّع كثيرين من اليعاقبــة الى المعتقد النسطوريّ . ثم عاد الى نصيبين لكي يتمّم دروسه

وفي ذلك الزمان كان يذهب كثيرون من النساطرة الى بلاد الروم ليكمّلوا ما حصلوا عليه من العلوم . فانّ الملكَين يوسطينوس ويوسطينيــانوس كانا ضد المنوفيسيتيين ولم يكونا يزعجان النســاطرة القائلين بطبيعتَين في المسيح نظير الكاثوليك (٢) . فانتهز آبا الفرصة ودخل مملكة الروم . وكان قصــده ان يزور الاماكن المقدسة ويجادل سركيس الذي كان فيه روح الاريوسيّة مصبوغةً بالوثنية ويحمله على اعتناق الديانة الصحيحة . وسركيس هــذا هو الريشعينيّ الفيلسوف الطبيب الشهير الذي كتب مقالات شتى وترجم كتباً كثيرة فلسفية طبيّة من اليونانية الى الكلدانية (٣) . ولا تذكر القصة مــا جرى بينه وبين آبا . والظاهر انّ هــذا الفاضل جادل الطبيب وحمله على نبذ المذهب الاريوسيّ . فانه لم يلبث ان انحاز الى الكاثوليك وحارب معهم البدعة المنوفيسيتية بشدة لا مزيد عليها (٤) . وانطلق الى انطاكية سنة ٥٣٥ وسعى بأزيلوس (٥) اسقف راس العين اليعقوبيّ لدى افرام البطريرك الذي كان الدّ عدوّ للمنوفيسيتيين . وذهب من هنــاك الى رومية واتى باغابيطوس البابا الى القسطنطينية . وبمساعدته وهمّته طرد البابا من تلك المدينة كل المنوفيسيتيين (٦) . فترى مما قيل ان لا صحة لقول المؤلّفين المنوفيسيتيين (٧) ان

---

(١) التاريخ السعردي يكتب احد . امّا ماري فيقول انهُ اعتمذ في الحيرة

(٢) لابور ١٦٤ — ١٦٥ (٣) السمعاني ܠ : ٣٢٣

(٤) لابور ١٦٨ (٥) ابن العبري يكتب : اسقيل

(٦) دوفال الآداب السريانية ٣٦٥ — ٣٦٦

(٧) النصوص السريانية طبعة لاند ܕ : ٢٨٩ — ٢٩٠ . وابن العبرى 2 : ٢٠٥ و ٢٠٧

سركيس الريشعيني كان يعقوبياً . ومما يستحق الاعتبار ان بعض النساطرة كانوا من اخص تلاميذ سركيس منهم تئودور اسقف مرو (١)

ثم ان آبا انتقل من راس العين الى اورهاي . ولزمه هناك احد تلاميذه المدعو توما الاورهاوي . وقد رجع من نصيبين الى مدينته إمّا لينذر فيها التعاليم النسطورية واما لانه صار كاهناً للنساطرة الذين هناك . وكونه من تلاميذ مدرسة نصيبين امر لا ريب فيه . فان قيورا اورهايا في مقالتيه في الصوم والفصح يسمّيه ربّان اي معلمنا (٢) . وقصة آبا تشير الى ذلك بتسميته ܐܚܐ اي الاخ وتوما نفسه في مقدمة مقالتَيه في الميلاد والدنح (٣) يقول انه الّفهما في مدرسة نصيبين على طلب موسى المقريان (٤) بحسب ما علّمه الربّان القديس مار آبا المفسّر

وبقي آبا مدةً في اورهاي يتعلّم اللغة اليونانية من توما تلميذه فصار يحسن الفارسية والكلدانية واليونانية . ثم خرج الى الاراضي المقدّسة والى مصر وتبعه توما . وذكرت قصة حياته انه فسّر الكتب المقدّسة في الاسكندرية باليونانية . اما التاريخ السعردي فيقول ان آبا كان يفسّر بالارامية ورفيقه توما يترجم كلامه باليونانية . وذهب الاب لابور ان هذه الجملة تدل على ان مار آبا واظب على الدروس في الكلية التي تعلم فيها سركيس الريشعيني . وان آبا وتوما ردّا كثيرين من الوثنيين والهراطقة في الاسكندرية الى المذهب النسطوري . فشقّ ذلك على المنوفيسيتيين واضطهدوهما وطردوهما من المدينة . فمضيا الى اثينة ومن هناك الى القسطنطينية حيث بقيا سنة كاملة

ان سفر آبا الى بلاد الروم كان بعد عقد الصلح بين المملكتين اي نحو سنة ٥٣٢ . فانه ليس من المحتمل انه دخل هناك في اثناء المحاربة التي دامت الى سنة ٥٣١ . وسفره الى بيزنطية قد ذكره قزما انديكوبلستيس في كتابه المعروف

---

(١) دوقال الآداب السريانية ٣٦٥

(٢) ان هتين المقالتين محفوظتان في مكتبتنا السعردية العدد ٨٢

(٣) توهّم ابن العبري بقوله ان توما الاورهاوي كان يعقوبيا . فانهُ يتّضح جلياً من هتين المقالتين انهُ كان نسطورياً (راجع ايضاً دوقال الآداب السريانية ٢٣٧

(٤) من المحتمل ان موسى المقريان هو الذي تلمذ مار آبا الى النصرانية (انظر ص١٧١)

بالتوبوغرافيا المسيحية الذي ألّفه نحو سنة ٥٤٧ . وهذا نص كلامه : « اني اخذتها (هذه المعلومات) من الرجل الالهي والملفان العظيم باتريكيوس (١) الذي اقتداء بابراهام اتى من عند الكلدانيين مع توما الاورهاوي . وكان توما يدرس حينئذٍ اللاهوت ويصحبه اينما ذهب وتوفي (اي توما) الآن بارادة الله في بيزنطية . واني اختبرت تقواه وعلمه المستقيم . وهو الذي قد ارتقى الآن بنعمة الله الى كرسي مطرنة فارس العالي . فصار اسقفاً جاثليقاً (٢) . »

وكان في تلك الاثناء في بيزنطية ما عدا آبا وتلميذه توما علماء كثيرون من النساطرة واليعاقبة استدعاهم الملك يوسطينيانوس (٥٢٧— ٥٦٥) للمناظرة . فمن النساطرة بولس مطران نصيبين الذي بقي مدّة من الزمان في عاصمة مملكة الروم يفسر الكتاب المقدس لبعض وزراء الملك منهم يونيليوس الافريقي الذي يثني عليه كل الثناء . والّف بولس هناك كتابه المعروف بضوابط الشريعة الالهية (٣) . والرسالة التي ضمّنها ما اتفق له من الجدال في اصول الدين مع الملك يوسطينيانوس (٤) . وروى التاريخ السعردي ان يوسطينيانوس عند تمام الصلح بينه وبين خوسرو انوشروان (سنة ٥٣٢) ساله ان ينفذ اليه جماعة من الملافنة من بلد الفرس . فبعث اليه بولس مطران نصيبين وماري اسقف بلد وبرصوما اسقف قردو وايشاي المفسر بالمدائن وايشوعياب ارزونايا (٥) الذي صار جاثليق المشرق وبابي اسقف سنجار . فاكرمهم جميعاً . ووقعت المناظرة بينهم ثلاثة ايام وهي مدونة (٦) . وعرّفوه الامانة

---

(١) ان اليوناني πατρίκιος يقابل الكلداني آبا ومعناه الأَب

(٢) الباترولوغية اليونانية ܦܚ : ص ٣٧ . راجع ايضاً لابور ١٦٦ ومدرسة نصيبين ١٦—١٧

(٣) السمعاني ܓ : ܒ : ٩٣٧

(٤) ابو بركات في السمعاني ܓ : 2 : ٦٣٢ . وعبديشوع الصوباوي فيهِ ايضاً ص ٨٧ والتاريخ السعردي ܒ : العدد ٩٤

(٥) ان المؤلف يُطلق على اغلب هؤلاء الملافنة اللقب الذي لُقّبوا بهِ فيما بعد . فانهُ في ذاك الزمان لم يكن بولس قد صار مطراناً في نصيبين ولا ايشاي مفسّراً في المدائن ولا ايشوعياب اسقفاً في ارزون

(٦) هنا المؤلف يريد مجادلة بولس المطران مع يوسطينيانوس

الصحيحة فسمع منهم وصرفهم مكرّمين. وقال قوم انّ ابراهام ويوحنان تلميذَي مار نرساي كانا مع القوم المنفذين الى ملك الروم وانه استحسن عبارتهما واستصوب قولهما وشركهما في البر مع بولس امّا آبا وتلميذه توما فلم ينالا ما ناله رفاقهما النساطرة من الكرامة عند الملك وقيل انه قد طلبوا منهما ان يحرما تئودوروس وديودوروس ونسطوريس. ولمّا أبيا واوشكا ان يُقتَلا. هربا من القسطنطينية ورجعا الى نصيبين (١) اه. ولكنّ قصة مار آبا لا تذكر هذه الواقعة. وقرنا المذكور آنفاً يقول عن توما انه توفي في القسطنطينية . فكيف يوافق مار آبا برجوعه الى المشرق

ولما عاد آبا الى نصيبين ورأى ما هي عليه الكنيسة على عهد نرساي واليشاع تاسف جدًّا واراد الانفراد في البريّة لممارسة الفضائل النسكيّة. لكنّ اهل نصيبين واساقفة الابرشية ومار ابراهام بيت ربّان رئيس المدرسة والتلاميذ (٢) اجتمعوا وطلبوا اليه ان يتقلّد التعليم والتفسير والخطاب والترجمة لان كلامه كان عسجدياً مفهوماً. وكتب صحفاً ونثر من فمه اللؤلؤ المكنون واصلح اموراً كثيرة. وردّ الى الايمان الصحيح تئوفيلا الذي كان قد زاغ عن المحجة المستقيمة (٣)

ولم يمكث آبا زمناً طويلًا في نصيبين. بل انتقل الى المدائن ليلقي السلام في الكنيسة التي كانت على حالة سيئة من اجل تنازع الرئاسة بين نرساي واليشاع. ففتح هناك مدرسة وبدأ يعلّم فيها بكل غيرة ونشاط (٤) . فودّه الجميع . وفي تلك الاثناء لاسباب لا نعرفها أُغلقت مدرسة نصيبين مدة سنتَين بامر خوسرو الملك فانتقل كثير من تلامذتها الى آبا في المدائن . ولا بدّ من ان اغلبهم لِئلّا نقول كلّهم كانوا من تلاميذه وقرأوا عليهِ اذ كان في نصيبين . ولمّا فُتحت مدرسة نصيبين

(١) التاريخ السعردي ٢ : ٦٤. وماري ٥٠

(٢) التاريخ السعردى ٢ : ٦٤

(٣) التاريخ السعردي ٢ : ٦٥

(٤) ماري ٥٠ . وعمرو ٤٠. والتاريخ السعردي ٢ : ٦٦. وميامر نرساي طبعة القس الفونس منگنا : المقدمة ٣٨

ثانيةً رجع اليها بعضهم وبقي الآخرون في المدائن ومن جملتهم ايشاي ورامیشوع (١) وصاروا مفسّرين في هذه المدرسة الجديدة (٢)

واما تلاميذه الأخر الأكثر شهرة والمعروفة اسماؤهم فهم نرساي ويعقوب وبولس وحزقيال وقيورا وموسى وبرشبّا وداود وشوحالماران وسركيس ويعقوب (٣). واكثرهم صاروا اساقفة على مدن مختلفة . فصار نرساي اسقفاً للانبار ويعقوب على كرخ سلوخ وبولس على نصيبين ورامیشوع على الانبار (٤). وموسى على شوش (٥) . وشوحالماران على كشكر . وبرشبّا (٦) على شهرقرد (٧). وداود على مرو . وحزقيال على زابي ثم صار جاثليقاً . وقيورا صار معلّماً في الحيرة (٨) وسركيس في اربيل . وسياتي ذكر تاليفاتهم مفصّلًا في نهاية هذا المجلّد

٢ جثلقة مار آبا واصلاحاته واسفاره

ان آبا اشتهر كثيرًا بفضائله وغزارة علمه . فاحبَّه الجميع واكرمه خوسرو انوشروان لانه كان يستعدّ لمحاربة الروم . وكان آبا قد طاف بلادهم وعرفها جيدًا (٩) . ووضع امله فيه ليكون له دليلًا . فلمّا مات بولس الجاثليق ايّاه انتخب جميع المؤمنين وكل الذين على باب الملك من الاطباء والكتّاب (١٠) وعلى رواية ايشوعبرنون الجاثليق انّ آبا كان يومئذٍ في الحيرة (١١) وهناك جرت رسامته .

---

(١) ميامر نرساي : المقدمة ٣٨ (٢) ماري ٥٢

(٣) عن تلاميذ مار آبا راجع التاريخ السعردي ١ : ٧٩ وعمرو ٤٠

(٤) بعد وفاة نرساى المار ذكره (٥) التاريخ السعردى يكتب كرخ السوس وهو غلط عوض كرخ ليدان راجع السنهادوسات ١١٠

(٦) عمرو والتاريخ السعردى يكتبان برشبا وهو غلط من الناسخ راجع السنهادوسات ١١٠

(٧) التاريخ السعردى يكتب شهرزور وهو غلط راجع السنهادوسات ١١٠

(٨) عمرو يكتب حزة . ولكن الحيرة اصح . فانهُ قيل عن قيورا انهُ نقل جثة معلمه مار آبا الى الحيرة ودفنها (راجع مارى ٥٢ والتاريخ السعردي ١ : ٧٨)

(٩) ميامر نرساى المقدمة ٣٨ (١٠) التاريخ السعردى ٦٥

(١١) فيهِ ايضاً ٧٨

فارسل الملك خيّالته واتوا به الى المدائن بعزّ واكرام. وذلك في اوائل سنة ٥٤٠ كما اتى في كتاب السنهادوسات (١)

وقام مار آبا باعباء وظيفته اتم قيام. وباشر بالعمل بشجاعة عظيمة وغيرة متقدة وكان بولس الجاثليق بمساعدة الملك قد وضع اساس الاصلاحات. غير انّ الشقاق لم يكن قد زال من المدن. فانه في كل منها كان اسقفان او مطرانان وفي كل كنيسة مذبحان. فتقرّر في المجمع المعقود بعد رسامة مار آبا انه اذا كان لمدينة اسقف واحد وهو صالح لا عيب فيه يبقى في درجته وعلى كرسيه ولو كان مرسوماً في اثناء الرئاسة المنشقّة. واذا وُجد اسقفان على كرسيّ واحد فأحسنهما طريقةً يثبت على الكرسيّ والآخر ينزل الى درجة القسيس. واذا كان كلاهما مستقيمَي الطريقة فاقدمهما يثبت في الاسقفية. واذا كان كلاهما لا يصلحان فيسقطان سويّة

ان الابرشيات والمرعيثات الشمالية لم يكن الشقاق فيها شديداً. او بالحري كان قد ارتفع منها على عهد مار بولس الجاثليق او قبله. فانهُ اتى في رسالة مار آبا التي عنوانها: ترتيب الاعمال الصالحة ما نصه: «ان اكثر الابرشيات قد أُلقي فيها السلام منذ زمان واصطلحت امورها» امّا الابرشيات والمرعيثات التي في كلدو الجنوبية والاهواز وفارس فكانت على اشقى حال. لان نرساي واليشاع ملآ تلك الابرشيات بالاساقفة. اذ كان كلٌّ منهما يسلك على هواه وينهب الكنائس ويرسم كهنة واساقفة

فاراد مار آبا ان يستاصل هذا الشرّ ساعةً اقدم. وانطلق هو بنفسه الى تلك الابرشيات والمرعيثات مصحوباً باثنين وثلاثين من كهنة المدائن وشمامستها. فبدأ أوّلاً في اصلاح امور پيروزشابور. ثم انتقل الى بلدة كشكر. واتاه في مدينة زيزوردا بولس مطران بيت لاباط وشالمي اسقف كرخ ليدان وميهرنرسا اسقف زابي وشيلا اسقف هرمزدارداشير واليشاع اسقف شوشتر وخوسرو اسقف شوش. وبعد تعب كثير القوا السلام بين اهالي كشكر. وقد راينا سابقاً انّ اليشاع

(١) ان التاريخ السعردي وعمرو وابن العبري غلطاً يقولون ان رسامة هذا الجاثليق كانت في السنة السادسة لخوسرو (سنة ٥٣٦)

الجاثليق رسم لهذه المدينة اسقفاً من حزبه اسمه برشبا وكان اسقفها شموئيل في قيد الحيوة . فرسم مار آبا لكشكر اسقفاً آخر يقال له شموئيل ايضاً واسقط شموئيل الاول وبرشبا (١) اللذين كانا يتنازعان الكرسيّ

ثم نزل مار آبا والاساقفة الذين معه الى ميشان . ورافقهم شموئيل اسقف كشكر الجديد . وحيثما دهبوا اصلحوا الامور . وكان تيماي بن داديشوع قد جعل نفسه اسقفاً في پراث قاعدة بلاد ميشان والقى فيها الفساد والخصومات . فحرمه مار آبا واسقطه من درجة الكهنوت واثبت مكانه على الكرسيّ مار يوحنان . وانتقل الجاثليق من هناك الى هرمزداردشير في الاهواز ولحقه ابراهام اسقف ريما . فاصلح بينهم وبين راعيهم شيلا . ثم نزل آبا والاساقفة الى فارس . وادركهم في رياردشير ابراهام اسقف بيهشابور وفرداغ اسقف اردشير كورة وداود اسقف قيش . وكان في ريادشير ثلاثة مطارنة اسحق وايشوعبوخت واقاق . فاسقطهم كلهم ورسم معنا مطراناً على فارس . ثم رجعوا الى الاهواز ورافقهم مار معنا . ولم يبرحوا يصلحون الامور حيثما دخلوا حتى وصلوا الى شوشتر . وكان ابراهام النصيبينيّ قد سمّى نفسه هناك اسقفاً فاتى وقدّم الطاعة فقبلوه في درجة الكهنوت وامروهُ ان يخدم بين يدي اليشاع اسقف المدينة . وتوجّهوا من هناك الى بيت لاپاط قاعدة بلاد الاهواز . ولحقهم هناك شمعون اسقف پيروز شابور

انّ الشرّ الاعظم كان في بيت لاپاط حيث كان ابراهام البيثلاپاطي قد زرع الفساد . فانه كان قد اشتهر بالمنكرات منذ صغره . فحرمه مار بوزاق الاسقف ثم شيلا الجاثليق . غير انهُ انتهز الفرصة عندما انشقّت الرئاسة وصار كاهناً . وسرق اثاث الكنيسة وباعها . ثم ذهب الى ميشان عند تيماي بن داديشوع وأُسيم اسقفاً . ولما تجثلق مار آبا انطلق اليه الى المدائن وطلب منه الغفران ورضي بالقصاص الذي وضعه عليه فوعد واخذ على نفسه ان يعيش في درجة الكهنوت . غير انهُ لمّا رجع الى بيت لاپاط انتهز الفرصة من غياب المطران بولس ورجع الى شرّه وضبط كنيسة

(١) ان كتاب السنهادوسات ص ٧٠ يكتب ܡܛܪܫܝܐ مترشيا . والظاهر انهُ غلط من الناسخ عوض برشبا

ميهربوزيد وساعده بعض الناس الاشرار وبعض رجال الدولة لكنّ الحكومة نفسها كانت مع الجاثليق · فقبضوا على ابراهام المذكور وقصوا لحيته وكبّلوا يديه ورجليه بالقيود والقوه في السجن هو وجميع الذين كانوا من حزبه · فهربهُ المتحزّبون له من رجال الحكومة واسقطه مار آبا من درجات الكهنوت ورشقه بالحرم الكبير

انّ هذه الاصلاحات التي عملها مار آبا في ارض الكلدان وفارس والاهواز امضاها هو والمطارنة والاساقفة الذين رافقوه · وتسعة وعشرون كاهناً من كهنة كنائس برنخلا ومار ابراهام وبيت ميهربوزيد وبيت يزدنداد وخمسة وثلاثون علمانياً من اشراف كرخ ليدان وبيت لاباط وشوشتر وهرمزدأرداشير · وعنوان هذا السفر في كتاب السنهادوسات : « اعمال الاصلاحات الرئيسية (١) »

وبطل الشقاق من الكنائس بهمّة مار آبا الجاثليق · غير ان الشرور المتولّدة منه كانت باقية · فان كثيراً من المسيحيين تراخت سيرتهم وضعُفَ ايمانهم · فاقتدوا بالمجوس واليهود والوثنيين وتزوّجوا نظيرهم بامراتين او بامرأة الاب او بعمّتهم او بخالتهم او اختهم او كنّتهم او بامراة اخيهم وهلم جرّا · فاراد مار آبا قبل ان ينفصل من الاساقفة حاشيته ان يستأصل ايضاً هذه العوائد المستقبحة · فوجّه الى مطارنة واساقفة واقليروس نصارى المشرق منشوراً عنوانه : « تدبير الافعال الصالحة » وهاك شيئاً مما قاله : « حيث انه الآن بنعمة الله وهمّة خوسرو ملك الملوك قد زالت الرئاسة المثنّاة واعلب الابرشيّات اصطلحت امورها منذ زمان والقي فيها السلام رأينا مناسباً ان نصلح امور العلمانيين مثلما أُصلِحت امور الاقليروس · فنحن والمطارنة والاساقفة الذين اجتمعوا معنا باصلاح امور الكنائس قرّرنا ان يجري امر الزواج حسب القانون الصحيح · فلا يتزوّج الرجل بامراة ابيه ولا بامراة عمّه ولا بعمته او بخالته او اختهِ او كنتهِ او ابنة ابنهِ او ابنة ابنتهِ كما يفعل المجوس ولا بامراة

---

(١) ان الاب شابو (السنهادوسات ٣١٩) والاب لابور (ص ١٧٥) يترجمان ܗܓܡܘܢܝܩܐ بلفظة Provinciale . والحال ان اليوناني ηγεμονικος معناه Qui convient au chef

لخيهِ مثل اليهود. وممنوع ايضاً التزوّج بغير مؤمنة او بامراتين. فمن تجاسر وارتكب خطية كهذه أمهلناه شهرًا او شهرَين او ثلاثة اشهر او سنة. فـان تاب قُبِل والّا تحرم (١).»

٣ اضطهاد مار آبا

انّ مار آبا رجع الى المدائن في بدء السنة ٥٤١. وذكرت عنهُ قصتهُ انهُ كان يكتب بالليل رسائل الى البلاد في خصوص تدبير الكنيسة. وكان في النهار الى الساعة الرابعة مشغولًا في تفسير الكتب المقدسة ومن الساعة الرابعة الى المساء كان يحكم بين المؤمنين او بين الحنفاء والمؤمنين ويزيل الخصومات من بينهم. ففرح بهِ عباد المسيح. وشمل السرور كل الكنائس التي تحت رعايتهِ

غير ان هذا السرور لم يدم سوى بضعة اشهر. فان المجوس لما راوا ما اتى بهِ مار آبا من الاصلاحات في الكنيسة وانهُ منع النصارى من التمسّك بعوائدهم وانهُ يخصم الدعاوي بين المسيحيين وبين اهل مذهبهم ابغضوه بغضاً شديدًا وارادوا شرّه. وسنحت لهم الفرصة سريعاً بانتشاب الحرب بين الفرس والروم وامتناع مار آبا من الخروج مع الملك (٢)

ان خوسرو الاول الذي عقد الصلح مع الروم سنة ٥٣٢ لما راى يوسطينيانوس مشغولًا بامور اطاليا انتهز الفرصة واعلن عليهِ الحرب محتجاً انـهُ هو الذي جعل الهياطلة ان يعصوا على الفرس (٣) . فلمّا كانت السنـة ٥٤٠ زحف على سوريا

---

(١) ان هذا المنشور طبعه الاب بيجان في قصة جبالاها وثلاثة جثالقة أُخر الخ ص ٢٧٤ — ٢٨٢ . والاب شابو في كتاب السنهادوسات ٨٠ — ٨٥ . راجع ايضاً السمعاني ب : ٤ : ٧٩

(٢) التاريخ السعردي ف : ٦٦ - ٦٧ من اغرب الامور قول ابن العبري (ف : ٩١ وما يلي) ان الملك خوسرو اضطهد مار آبا لانهُ إشار عليهِ ان يقبل كيرلُّوس الاسكندري ويصير يعقوبياً . فلماّ ابى نفاه الى اذوربيجان. ولعلّ ما حمل ابن العبري على هذا القول خلطه بين خوسرو انوشروان وخوسرو ابرويز

(٣) لابور ١٧٢

واستولى على شورا وحلب وانطاكية ونهب وقتل وسبى خلقاً كثيراً (١) . ثم حمل على افامية واخذ منها الجزية . وفي رجوعه حاصر اورهاي . فارسل اليهِ اهلها مائتي وزنة ذهباً وانصرف عنها . واخذ الجزية من تلا ودارا . وامّا الجزية والهدايا التي بعثها اليهِ اهل حاران فرّجعها اليهم رعايةً لهم لانهم بقوا متمسّكين بديانتهم الوثنية (٢) . وفي رجوعهِ الى المدائن بنى بالقرب منها مدينة جديدة سمّاها انطيخوسرو اي انطاكية خوسرو واسكن فيها الاسرى الذين سباهم من سوريا (٣) واطلق عليها العرب اسم الرومية (٤) والكلدان ماحوزاحدْثا اي القلعة الجديدة (٥)

ولما كانت السنة ٥٤١ حمل خوسرو السلاح على ارمنية ولازستان واستولى على مدينة پترا بالقرب من البحر الاسود . وفي تلك الاثناء حمل بيليزير القائد الرومي الشهير على وادي الدجلة فاضطرّ خوسرو وكرّ على اعقابهِ . لكنهُ في سنة ٥٤٢ زحف على كوماجين وفي سنة ٥٤٣ على ارمنية وفي سنة ٥٤٤ على ما بين النهرين وشدّ الحصار ثانية على اورهاي . ولما طال هذا الحصار قدّم لهُ اهل اورهاي ٥٠٠ وزنة من الذهب . فانصرف عنهم . ودامت الحرب في ما بين النهرين الى سنة ٥٤٦ . وفيها اعطى الروم للفرس مبلغاً جسيماً من الفضة . ووقعت المهدنة بينهم (٦)

من جملة نتائج هذه الحرب الشديدة اضطهاد الكلدان النصارى في مملكة الفرس . فانّ خوسرو الاول في غارتهِ على لازستان سنة ٥٤١ طلب الى مار آبا ان يرافقهُ ليشجّع بحضوره النصارى الذين في جيشهِ وكانوا كثيرين وليجذب الى الفرس اهل البلاد التي كانوا مزمعين ان يفتحوها والتي كان جميع سكّانها نصارى . كما

---

(١) لاند النصوص السريانية ﮯ : ٣١٤ (٢) دوفال تاريخ اورهاي ٢٠١—٢٠٢

(٣) لاند النصوص السريانية ٤ : ١٥ و ﮯ : ٣١٤ . التاريخ السعردي ﮯ : ٩٠

والتاريخ الاورهاوي في السمعاني ٤ : ٤١٦

(٤) عمرو ٤٢ والتاريخ السعردي

(٥) السنهادوسات ١٠٨ . وابن العبري ﮯ : ٨٥ و ٨٧

(٦) دوفال تاريخ اورهاي ٢٠١ — ٢١٠

استصحب فيما بعد الى ميدان الحرب حزقيال الجاثليق (١) . غير ان مار آبا لم يرافق الملك لئلّا يشاهد سفك الدماء . وكان المجوس وفي مقدمتهم دادهرمزد حبرهم العظيم يبغضون الجاثليق ويسعون بهِ لدى ملك الملوك . ومن جملة شكاياتهم عليه انهُ يبطِل احكامهم ويحرم النصارى الذين ياكلون لحوم قرابينهم ويمنعهم ان يتزوّجوا نظير المجوس باهلهم وينصّر كثيرين منهم . وانهُ يحبّ قيصر الروم ويبغض دولة الفرس

وحالما خرج الملك من المدائن الى ارمنية لمحاربة الروم سنة ٥٤١ اجبر المجوس مار آبا ليحضر مجلسهم . فمثل بين ايديهم ثلاث مرّات ولم يروا عليهِ حجّة . اخيراً اشتكى عليهِ حاكمان فارسيّان وقالا انهُ لمّا كان في فارس نصّر كثيرين من المجوس ومنع بني مذهبه من التمسُّك بعوائد المجوس . فلما سمع الحاضرون ذلك صاحوا اذن يستحق الموت . فطلب دادهرمزد حبرهم منهُ الجواب . ومن حيث ان الجاثليق كان واثقاً بالملك لِما رأى منهُ من الكرامة قال لهم بشجاعة انهُ لا يجاوبهم ما لم يامره ملك الملوك . ولم يجسر المجوس ان يُسيئوا اليهِ . فاخذوه معهم ولحقوا بالملك الذي لم يكن بعيداً من المدائن . ودخل رئيس المجوس على انوشروان واخبره بقصة جاثليق الكلدان . فامره الملك ان يجيب عمّا سالهُ المجوس . فاجاب مار آبا بشجاعة على روُس الجمع وقال انهُ مجبور على قبول الذين يريدون التنصُّر وعلى ابعاد النصارى عن عوائد المجوس . فلما سمع ذلك منهُ القضاة حكموا عليهِ بالموت . لكنهم لم يتجاسروا ان ينفذوا حكمهم خوفاً من الملك ومن النصارى انفسهم لانّ كثيرين منهم كانوا مقرّبين لدى الملك . حتى انّ واحداً منهم اسمهُ أبروداق المدائنيّ وبّخ المجوس توبيخاً مرّاً وقال لرئيسهم دادهرمزد على طريق الاستهزاء : « ان اردت ان تكون انت ايضاً نصرانياً يقبلك مولانا الجاثليق . ونحن معشر النصارى لا نطردك من الكنيسة . » ومع ان هذا الكلام المرّ وقع شرّ موقع في قلوب المجوس لم يقدروا مع ذلك ان يضرّوا أبروداق لانهُ كان من اعظم رجال الدولة . ثم دخلوا على الملك وسعوا بهِ لديهِ فقطع خوسرو حجتهم وقال لهم : «ولماذا لم تحكموا عليهِ من ساعتهِ» ولمّا ارادوا ان يحاجوه لم يروه . لانهُ ذهب بامر الملك الى المدائن

---

(١) التاريخ السعردي ف : ١٠١

وبقي مار آبا في المعسكر سبعين يوماً واعداؤه المجوس لا يزالون يحمّلون عليهِ الملك. وساعدهم ايضاً بعض النصارى الجاحدين ومن جملتهم ديناداد الشومراوي. فبقي الملك محتاراً في امره. لان المجوس كان لهم نفوذ عظيم في المملكة والنصارى ايضاً كانوا كثيرين فخاف ان يتبع سجس يضرّه في وقت الحرب اذا امر بقتل الجاثليق. فكان كلما صادفهُ سلّم عليهِ واكرمهُ. فازداد غضب المجوس واستاءوا جداً. واخيراً نالوا مرامهم باطلاعهم على انهُ كان مجوسياً فتنصّر. ووعدوه انهم يطلقون سبيلهُ اذا ابطل الحروم التي رشق بها النصارى المتمسّكين بعوائد المجوس ولمّا ابى حكموا عليهِ بالحبس. وعندما سمع النصارى هذا الخبر المحزن صاحوا وضجّوا كثيراً. فاضطرّ انوشروان ألاّ يحبسهُ بل ان ينفيه الى اذوربيجان. فسُلّم الى دادين حاكم تلك النواحي. وشيعهُ المسيحيون بكل عزّ واكرام باكين متاسفين. وتبعهُ الكهنة والشمامسة الذين كانوا في خدمتهِ

ان نفي مار آبا فتح اضطهاداً على النصارى. لكنهُ لم يشتد نظير اضطهادات شابور الملك وخلفائهِ. وقد اتى في اعمال غريغور القائد الشهيد (١) ان المجوس هدموا الكنائس والاديرة حيثما كان النصارى قليلي العدد. فلما رأى ذلك الاساقفة تاسفوا جداً. وحالما رجع خوسرو من المحاربة اجتمع كثير منهم على بابهِ متظلمين ظنّاً منهم انّ هذا الملك العادل الذي لاطفهم في السابق وساعدهم في كل امورهم لا يامر ابداً باضطهادهم. ولكن خاب مسعاهم فان انوشروان لكي يُرضي كهنة النار أمر بهم فألقوا في السجن مع كثير من الكهنة والعلمانيين. ومن جملتهم شالمي اسقف ليدان وميهرنرسا اسقف زابي. وأُلقي ايضاً بالقبض على الاشراف المتنصّرين حديثاً. منهم بيرنا كوشناسب الذي تسمّى غريغور ويزيدپناه وعويدا. وهاك قصة جهادهم (٢)

٤ جهاد غريغور القائد ويزيدپناه الشهيدَين (٥٤٢) وعويدا المعترف (٥٤٤)

انّ بيرنا كوشناسب كان رازيقياً وطناً ومجوسياً مذهباً من آل مهران من عظماء

(١) قصة جبالاها الخ ٣٤٩ (٢) قصة جبالاها ٣٤٧ — ٤١٥

المملكة . وجعل مرزباناً في كورزان واران . واعتنق الديانة النصرانيّة في السنة الثلاثين لقباذ الملك (سنة ٥١٨ م) واتخذ في العماد اسم غريغور . ولما وصل خبره الى مسامع الملك اخذ جميع امواله والقاه في جبّ مظلم . وبقي فيه حتى انتشب القتال بين الروم والفرس . فخلّى حينئذٍ قباذ سبيلهُ واعاده الى وظيفتـهِ الاولى . ولما انكسر الفرس ووقع غريغور اسيراً بيد الروم وذهبوا بهِ الى الملك يوسطينوس خلع عليهِ القيصر واكرمهُ . وفي سنة ٥٣٣ لمّا أُرسل زَبَركان من قبل انوشروان الى ملك الروم لامضاء المهادنة بين الدولتين اشار السفير الفارسيّ على غريغور ان يرجع معهُ الى وطنهِ فاجابهُ الى ذلك بعد ان اخذ منهُ التامينات اللازمة بألاّ يُجبر على ترك دينهِ . فاكرم خوسرو الاول غريغور وردّهُ الى مرتبتهِ الاولى في كورزان واران . ولمّا كانت السنة ٥٤١ زحف انوشروان على لازستان وهو غضبان على النصارى لامتناع بطريركهم آبا من الخروج معهُ الى الحرب . وعند وصولهِ الى كورزان مثَل بين يديه مهران احد اقارب غريغور القائد ووشى بهِ . وللحال امر الملك بالقبض عليهِ . ولمّا رجع من المحاربة استاقهُ الى عاصمة مملكتهِ وطرحهُ في السجن في قرية قريبة من المدائن يقال لها زقارتا بيت بالان . ومكث غريغور في السجن طول الشتاء اي من تشرين الثاني سنة ٥٤١ الى نيسان سنـة ٥٤٢ وهو يكابد عذاباً اليماً . ونصّر بعضاً من المجوس المحبوسين معهُ . فبلغ الغيظ من كهنة النار كل مبلغ . وكان الملك قد خرج الى محاربـة الروم وضرب معسكره بالقرب من بيروز شابور . فلحقهُ مهران المذكور وطلب قتل غريغور . فامر الملك باحضاره . ولمّا مثل بين يديهِ الحّ عليهِ رجال الدولة ان ينبذ الديانة النصرانية . واذ ابى ولم يفعل أُخذ بحد السيف بالقرب من بيروز شابور . وكان استشهاده في جمعة الآلام سنة ٥٤٢ وتذكاره عند الكلدان في الجمعة الثالثة من اسابيع الصليب (١)

امّا يزيدپناه فكان من اشرف عائلات الاهواز . من قرية يقال لها شوش في اطراف كرخ ليدان . وتنصّر على ايدي الرهبان الذين في تلك المدينة نحو سنة

---

(١) كتاب الاناجيل المفصّلة للآحاد والاعياد . . . في مكتبة القلاية البطريركيـة الكلدانية في الموصل

٥٣٨ . وحملتهُ غيرتهُ الدينيّة ألّا يبالي بالموت واخذ يجادل المجوس . فاستدعاه الموهپاط لكي يجبره على نبذ ديانتهِ الجديدة . ووعده اذا اطاعهُ ان يجعلهُ حبرًا عظيماً لدى المجوس . واذ لم يسمع منهُ طرحه في السجن وبقي فيهِ خمس سنوات . ولما قُتل عريغور القائد ذهب به المجوس الى المدائن لعلّهُ عند سماعهِ بقتلهِ يرتخي عزمهُ فيرجع الى المجوسيّة . ثم ذهبوا بهِ الى پيروز شابور عند الملك . غير انّ خوسرو كان قد انتقل من هناك ودخل بلاد الروم . فاجتمع موبذان موبذ وموهپاط بيت ارمايي وموهپاط آخر وكثير من المجوس واحضروا يزيدبناه بين ايديهم ووعدوه انهم يجعلونهُ موهپاطا اذا لبى دعوتهم . فبدأ المعترف يطعن بشدّة بديانة المجوس . فاشتدّ غضبهم وامروا بحبسه . واراد النصارى ان يختطفوه من بين ايديهم . فخاف المجوس ورجّعوه الى المدائن وقتلوه على الطريق في قرية يقال لها تيا . واتصل الخبر بأبروداق المارّ ذكره فامر خدّامه ان يرفعوا جثتهُ ويذهبوا بها الى المدائن ويقبروها حيث دُفن مار غريغور . وتذكاره عند الكلدان النساطرة في ١٧ تموز (١) وفي الجمعة الثالثة من اسابيع الصليب (٢)

ومن بعد قتل غريغور ويزيدبناه اطلق المجوس سبيل كل النصارى المحبوسين . غير انّ نار الاضطهاد لم تنطفئ تماماً . فانّ المجوس استمرّوا على مضايقة النصارى ولا سيّما الذين يعتنقون حديثا الديانة المسيحيّة . وبعد مرور ثلاث سنين على قتل الشهيدَين غريغور ويزيدبناه اي في سنة ٥٤٤ (٣) قبض المجوس على عويدا (٤) الذي اصلهُ من ارض الكوسيّين . وضيقوا عليهِ كثيرًا لانهُ ترك المجوسية وتنصّر وضبطوا امواله واملاكهُ حتى انهُ اضطر ان يعيش من صدقات المؤمنين . ومع ذلك لم يرتخِ عزمهُ الشديد واخيرًا أُتي بهِ الى ماحوزا بيت ارمايي وعُذّب شديدًا . فلم يتزعزع ايمانهُ . لا بل مدَّ هو نفسهُ عنقهُ الى الجلاد لكي يقتلهُ . فلمّا رأى كهنة

---

(١) كلندار الكنيسة النسطورية

(٢) كتاب الاناجيل المفصّلة الخ

(٣) لابور يكتب سنة ٥٤٥ (ص ١٨٠)

(٤) ان هذا الاسم مكتوب عويرا في قصته التي طبعها بيجان . امّا اوقان فيكتب عويدا (طالع لابور ١٨٠ ح ١)

النار ما هو عليه من العزم الشديد استكفوا بقطع شحمتي اذنيه وارنبة انفه ثم اطلقوا سبيلهُ

٥ في ما اتى به مار آبا من الاعمال الجليلة في المنفى وفي المجمع الكلداني السابع

امّا ما كان من امر مار آبا فان حرس دادين حاكم اذوربيجان ذهبوا به بامر كهنة النار الى قرية في جبال اذوربيجان يقال لها سِرش المجوس . وفي مدّة قليلة جذب اليه المجوس الذين هناك بل الحاكم نفسهُ . فاكرموه كثيرًا ونصّر ايضاً بعضاً منهم بالمعجزات التي اجراها الله على يده . وبدأ النصارى اساقفةً وكهنةً وعلمانيين يقصدونهُ زرافات من جميع انحاء المملكة ليسمعوا كلامه ويأخذوا بركتهُ . فجعل بيتهُ كنيسة ورسم فيه عدّة مطارنة واساقفة وكهنة وشمامسة

ولمّا كانت السنة ٥٤٤ في شهر شهريرِ الموافق لكانون الثاني اذ كان بعض المطارنة والاساقفة مجتمعين عنده رأى مار آبا ان يجمع ما كان قد رسمهُ في إصلاح الاقليروس والعلمانيين . ومجموعة هذه القوانين تشتمل على ستّ رسائل وهي . ١ً اعمال الاصلاحات الرئيسية . ٢ً في الايمان الصحيح . ٣ً في الاعمال الحسنة . ٤ً في زوال الرئاسة المتنأة وترتيب القوانين لقبول او عدم قبول الاشخاص المرسومين على عهدها . ٥ً في المقرّرات والقوانين بخصوص جميع مراتب الرئاسة الكنائسية ٦ً عنوانها براقطيقي اي عملية وهي تشمل اغلب هذه الامور مع شرح على كلٍ منها (١)

وهذه الرسالات الست قد طبعها الاب شابو في كتاب السنهادوسات . وقد لخصنا في العدد الثاني من هذا الفصل الرسالة الاولى والثالثة . وهتان الرسالتان مع الرسالة الثانية التي في الايمان كُتبتا قبل نفي مار آبا الى اذوربيجان اي في سنة ٥٤٠ . والرسالة الرابعة ارسلها الجاثليق الى اهل سجستان على يد سركيس الاسقف . لانهُ كان هناك ثلاثة اساقفة اعني بهم داود وسركيس ويزيدأبريد .

---

(١) السنهادوسات ٦٨ — ٦٩ . راجع ايضاً السمعاني ܟ : ٤ : ٧٨ — ٧٩

وكان كلٌّ منهم يدّعي الرئاسة لنفسه . فبعد ان قصّ عليهم مار آبا خبر الشقاق الذي جرى على ايام نرساي واليشاع الجاثليقَين وبيّن المقرّرات المتخذة منهُ ومن سالفه مار بولس الجاثليق قضى وامر ان يحكم سرگيس الاسقف على كنيستي بَست وروخوت . ويزيدأبريد على كنائس زرنغ وبروه وقَش وتوابعهـا . واذا توفي احدهما يحكم الآخر على كنائس سجستان كلها . امّا داود فهو محروم وساقط عن الدرجة الاسقفيّة . وهذه الرسالة امضاها ايضاً حنانا مطران اربيل ودْيرايا مطران بيت گرماي . والاساقفة موسى (بيت بغاش) ويوسف (لاشوم) وبرنون (طيرهان) وشمعون (معلثا) و بولس (برحيس) ومـاروثا (تحـل) ويعقوب (بيدافگران) ويوحنان (آذوربيجان)

والرسالة الخامسة مكتوبة الى مطارنة ميشان واربيـل وفارس والى جميع الاساقفة . والداعي الى تسطيرها هو ان بولس مطران بيت لاباط توفي . واهـل نصيبين قاموا على مطرانهم ورفضوا رئاستـه حتى اضطر ان ينفرد في بيته . فاراد اساقفة ابرشية بيت لاباط وابرشية نصيبين ان يرسموا هم مطراناً لهم . فحكم مار آبا ان رسامة المطران مختصة بالبطريرك وحرم الاساقفة اذا تجاسروا واساموا مطراناً لهم . ويقرّ انه كان بودّه ان يجمع اليهِ المطارنة والاساقفة لاتخاذ هـذه المقررات . غير ان ظروف الزمان لا تمكّنهُ . فيعتذر ويطلب منهم ان يقبلوا هذه المقررات ويمضوها . فامضاها يوحنان مطران ميشان وحنانا مطران حدياب ودْيرايا مطران بيت گرماي ومعنا مطران فارس . والاساقفة شموئيل (كشكر) . وموسى (١) وشيلي (كشكر ميشان) (٢) وابراهام (شهرقرت) وشيلا (هرمزدأردشير) وابراهام (ريما) وموسى (بيت بغاش) ويوسف (لاشوم) وميهرنرسا (زابي) وايليشـاع (شوشتر) وشمعون (معلثـا) وبختيشوع (حربغلال) ومرقس (بيت دارايي)

---

(١) كتاب السنهادوسات لا يذكر كرسي موسى ولعله كان اسقف كرخ ليـدان او نهركور (السنهادوسات ٦٧ و ١١٠)

(٢) كذا مكتوب في طبعة شاىو ܟܫܟܪ ܕܡܝܫܢ واما في النسخة السعرديّة فمكتوب ܟܫܟܪ ܘܡܝܫܢ كشكر وميشان . واظن ان كلمة كشكر زائدة

واما الرسالة السادسة فلم يصل الينا منها سوى قطعة واحدة وهي في خصوص كرسي المدائن وقد طبعها الاب شابو في كتاب السنهادوسات · وفيها اشار مار آبا انهُ بعد موته يجب على اساقفة الابرشية البطريركية واهل المدائن ان يكتبوا الى مطارنة عيلام وبيت كرماي وحدياب وپراث ميشان ليحضروا في المدائن ويأتي مع كل واحد منهم ثلاثة اساقفة لينتخبوا للجثلقة بالاتفاق مع اهل المدائن رجلاً عالماً صالحاً لا عيب فيه ويرسموه بطريركاً في كنيسة كوخي ·ولا بدّ من انّ هذه الرسالة كتبها مار آبا في اذوربيجان حيث كان منفياً · ويظهر منها انهُ خائف على حياتهِ وعلى سلامة الكنيسة ·ولئلّا يحدث شقاقٌ بعد موته امر ان يبحثوا قبلما يموت على رجل فاضل يجلس مكانهُ (١)

وما عدا مجموعة الرسائل التي ذكرناها وضع مجمع مار آبا اربعين قانوناً في التدبير الكنسيّ ·وهذه القوانين ماخوذة اكثرها من مجامع نيقية وانقورة ونئوقيصريّة وكنكارا وخلكيدونية ومن مجمع مار اسحق الجاثليق (٢) · اما الاب لابور فقد شكّ في صحتها· غير انّ قولهُ ليس الّا مظنة لا غير

٦ رجوع مار آبا من المنفى وموته

انّ مار آبا البطريرك بقي منفياً سبع سنين في اذوربيجان ·وما عدا المجوس عاداه ايضاً بعض النصارى لا سيما الاساقفة الذين لسقطهم عن كراسيّهم ومن جملتهم بطرس اسقف جرجان (٣) · فلكي ياخذ هذا الاسقف ثاره من الجاثليق اعتنق ديانة المجوس وجعل يُغري الملك بهِ حتى اخذ منهُ امرًا بعزلهِ وتبطيل كل الرسامات التي عملها · ولكي يشفي غليله طار على جناح السرعة الى اذوربيجان وأرى المجوس الحكم الصادر · غير ان هذا الحكم لم يكن صريحاً ·ولم يصغِ حبرهم العظيم الى كلام الجاحد· فاستشاط بطرس غضباً واحتال على قتل الجاثليق·

---

(١) لابور ١٨٧

(٢) السنهادوسات ٥٤٥ — ٥٥٥ . وكتاب الاحكام الكنائسية تأليف عبديشوع الصوباوي ٢ : ٦ (٣) قصته ٢٤٩ والتاريخ السعردي ٥ : ٦٧

وهجم عليهِ ليلًا ومعهُ جماعة من المجوس. غير ان تلاميذ مار آبا وصاحب البيت واهل القرية هزموه وابعدوه

فلمّا رأى ذلك مار آبا خاف على حياته . وهرب خفيةً الى المدائن مصحوباً باحد تلاميذه وبمار يوحنان اسقف اذوربيجان . وذهب توًّا الى باب الملك. ففرح المجوس وخاف النصارى لظنّهم ان انوشروان يقتلهُ لا محالة لانهُ كسر اوامره. اما خوسرو الملك فرعايةً للنصارى او خوفاً منهم لم يظهر لهُ القساوة . بل ارسل اليهِ احد قوّاده يسالهُ لماذا كسر اوامره وهرب . فاجابهُ الجاثليق انهُ يقبل الموت بطيبة خاطر اذا كان علنا وبامر الملك .ويكرههُ اذا كان خفيةً بيد احدالجاحدين وبدون امر الملك. فامر انوشروان بتخلية سبيله. فشمل النصارى فرح عظيم وتقاطروا اليه زرافات وانطلقوا به الى القلّاية البطريركية بزياح لا مثيل لهُ

فشقّ ذلك كثيرًا على المجوس . ودخلوا على الملك وتهدّدوه . ولما اصبحت خرج البطريرك مصحوباً بجمّ غفير من النصارى ليشكر انوشروان على تخلية سبيله فاحتال المجوس واستدعوه عندهم واغلقوا عليه الباب . فضجّ النصارى لظنّهم انهُ سيُقتل .فدخل احد اكابرهم على الملك وبيّن لهُ الشرّ الذي يتولّد من قتل الجاثليق . وقال لهُ : « ان النصارى الذين في مملكتك شعب عظيم قويّ لا يُحصى عدده وينفعون الملك . فان قُتل هذا الرجل الذي هو رئيسهم شقّ ذلك عليهم ولعلهم يحدثون فتنة في المملكة .» فاثّر هذا الكلام في انوشروان وامر ألّا يُقتل الجاثليق بل ان يُطرح في السجن .فكُبّل مار آبا بالقيود وأُودع السجن . ولما سمع النصارى الخبر اجتمع منهم كثيرون وارادوا ان يكسروا باب الحبس ليُخرجوا رئيسهم المحبوب. غير انّ مار آبا سكّنهم. فانقادوا الى كلامه

ولما ارتحل الملك وحاشيتهُ سنة ٥٤٩ الى اذوربيجان لقضاء فصل الصيف تبعهُ مار آبا وهو مكبّل بالقيود. وحيثما وصل اكرمهُ النصارى الكرامة كلها . ولما رجع الملك في الخريف الى المدائن رجع هو ايضا معهُ وحُبس في بيت مع بعض تلاميذه وهو مع ذلك يدبّر الكنيسة . ثمَّ انّ انوشروان في ربيع سنة ٥٥٠ لما وصل الى جبال ماداي اراد ان يُطلِق مار آبا . لكنَّ بعض المجوس حالوا دون ذلك. فساقهُ معه الى تلك الجبال ثم ارجعهُ معهُ الى المدائن

وفي تلك الاثناء عصى على انوشروان ابنهُ انوشازاد وكانت امه مسيحية . وكان ابوه قد نفاه الى بيت لاپاط من جرّاء فتنة بيتية (١) وانضمّ اليه خلق كثير وفي جملتهم جميع النصارى الذين في كُونديشابور وكانوا كثيرين. فلما بلغ خوسرو الاول ان النصارى انحازوا الى ابنه اضطرب واراد قتل مار آبا . وارسل اليه امينه دزاداغو يقول لهُ : « انت عدونا . وانما بتحريكك قد تكبّر النصارى حتى انهم في امكنة كثيرة تجاسروا وهجموا على المجوس وضربوهم ونهبوا اموالهم . والآن ايضاً قد رفعوا عليّ لواء العصيان . فانت مستوجب اشنع قتلة . » ومع ذلك لم يضرّه بشيء بل دلّتهُ فطنتهُ ان يلاطفهُ كي يكتب الى النصارى ليعدلوا عن انوشازاد . وامر بتخليتهِ

وقيل عن مار آبا انهُ لما رأى الملك حزيناً كئيباً من جراء عصيان ابنهِ قال لهُ يوماً : اريد ايها الملك ان اسال حبركم مسألة . قال لهُ الملك افعل . فقال الجاثليق: تصوّر ايها الملك انّ كانوناً عليه قدر مملوءة ماء تفور وتحتها الحطب والنار تشتعل فماذا تقول الماء للقدر . وماذا تقول القدر للحطب . وماذا تقول النار للاناء . فاحتار الموبذ وضحك الملك بعد ان مضت عليه ايام لا يتكلّم وقال للجاثليق : لا يحضر مجلسنا اعلم منك فهات الجواب . قال : ان الماء تقول للقدر أليس الطين الذي عُملت منهُ بي قد جُبل ولولاي لما صرتِ قدراً فلِمَ تؤذينني . وقالت القدر للحطب : أليس بالماء نبت شجرك ونمت اغصانك فلِمَ صرت تحرقني ومن اجل جورك صرتُ أُوذي الماء الذي به تمّت جبلتي . وقال الحطب للنار: ليس احد جار على هؤلاء سواكِ . لأنكِ انت تحملينا على ان نؤذي آباءنا . فلمّا سمع الملك ذلك فهم انّ الآباء لا يسلمون من جور الابناء . فقبل تسليتهُ وحمد عبارتهُ (٢)

ومما رفع مار آبا في عينَي انوشروان هو ان ملك الهياطلة ارسل في تلك الاثناء

---

(١) القصة ٢٦٣ وما يلي . وماري ٥٠ — ٥١ . والتاريخ السعردي ك : ٧٠ — ٧٢ . لابور ١٨٩ وما يلي

(٢) التاريخ السعردي ك : ٧٦ — ٧٧ . وماري ٤٩ — ٥٠

كاهناً الى المدائن لدى خوسرو لكي يأمر الجاثليق بان يرسمهُ اسقفاً لبلاد الهياطلة. وجرت هذه الرسامة في احتفال عظيم في الكنيسة الكبرى (١). ولم يلبث خوسرو ان ارسل الجاثليق الى الاهواز سنة ٥٥١ ليمنع النصارى من التحزّب مع العصاة. وكان قد كتب اليهم قبل ذلك وحرمهم ونهاهم عن العصيان. وتوفّق مار آبا في رسالته هذه. فازداد الملك فيه رغبة واعطاه الحرّية الكاملة. فاتّخذ لهُ مسكناً بالقرب من كنيسة نَرقوس

غير انهُ لم يتمتّع طويلًا بهذه الحرّية. فان ما قاساه من الاسفار الشاقة والحبس والنفي الطويل اضعف قواه ووقع عليلًا. وارسل الملك اطباءه لكي يعالجوه. ولم يستفيدوا شيئاً. وقضى نحبه في المدائن في ٢٩ شباط سنة ٥٥٢ (٢). ودُفن باحتفال عظيم لان الجميع كانوا يتخذونهُ قدّيساً. فالقوا على جنازته ثياباً ومناديل للتبرك وكسروا نعشهُ وقطّعوه قطعاً اخذوها كذخائر. ودُفن مار آبا في دير ساليق. وقيل انّ قيورا تلميذه حمل فيما بعد جثّته الى الحيرة ودفنها هناك وبنى على قبره ديرًا (٣)

وقال عنهُ الاب لابور: «كذا انتهت حياة هذا المعترف الجليل نور الكنيسة الفارسية. الذي اودعها كنوز تعليم صحيح وسيرةً لا عيب فيها. وبقيت مآثره بعد موته. فانهُ بهمته وهمّة خلفائه حُفِظت القوانين البيعية برمتها.» ولقّبتهُ الكنيسة الكلدانية بمار آبا الكبير والمعترف الجليل والملفان ورئيس الملافنة الى غير ذلك. وتذكاره في ١ اذار (٤) وفي الجمعة السابعة من الدنح (٥)

وقال عنهُ المؤرخون (٦) انهُ هو الذي ابطل عادة الزواج التي ادخلها برصوما في الكنيسة النسطورية وحذّره على الجاثليق والاساقفة. وهذا القانون غير مذكور في اعمال مجمع مار آبا التي بين ايدينا. ولا بدّ من انهُ كان مسطورًا في رسالته السادسة التي لم يصل الينا منها سوى قطعة

---

(١) القصة ٢٦٦ — ٢٦٩ والتاريخ السعردي ك ٢ : ٧٨

(٢) السنهادوسات ٩٦ (٣) ماري ٥٢. وعمرو ٤١ والتاريخ السعردي ك ٢ : ٧٨

(٤) كلندار القديسين (٥) كتاب الحوذرا

(٦) التاريخ السعردي ك ٢ : ٦٧ . وماري ٥٠ وعمرو ٤١

ومن الامر الغريب الالهي انهُ بينما كان مار آبا مهتمًّا باصلاح حال الكهنة والاساقفة وضبط قوانين الكنيسة كان مار ابراهام الكشكري المعروف بابي الرهبان يجدّد السيرة الرهبانية فرجّعها الى بهاءها الاول. وبنى ديرًا جليلًا في جبل يزلا بالقرب من نصيبين وصار له عدّة تلاميذ شادوا اديرة لا تحصى. وسياتي ذكره او ذكر تلاميذه في نهاية هذا المجلد في فصل مخصّصة لهم

الفصل الرابع

يوسف الجاثليق (٥٥٢ — ٥٦٧). المجمع الكلداني الثامن (٥٥٤) شيرين الشهيدة (٥٥٩)

قضى يوسف اكثر ايام حياته في بلاد الروم ليتعلّم الطبّ (١) . وقال الاب لابور : «من المحتمل انهُ درس عند سرگيس الريشعيني». ثم اتى نصيبين وترهّب في دير هناك . وتعرّف لاجل علمه بمرزبان المدينة الذي كان من بيت ارمايي . ولمّا اعتلّ خوسرو انوشروان عرّفهُ المرزبان بيوسف . فعالجهُ وشفاه . ولقي حظًّا في عينيه

ولمّا توفي مار آبا انتخبهُ الملك ليكون جاثليقاً . فاطاعه الاساقفة صاغرين . ورسموه بطريركاً في ايار سنة ٥٥٢ . وكانت العادة الجارية منذ قديم الزمان ان يعقد البطريرك الجديد بعد رسامته مجمعاً عموميّا لاصلاح الامور . فلم يراعِ يوسف هذه العادة الحسنة وأخّر المجمع رغمًا عن طلب الاساقفة. لانهُ كان متكبّرًا مستبدًّا برايه ولا يريد ان يكون تحت امر قوانين المجمع (٢) . ولا بدّ من انّ ارباب الحكومة وكثيرين من النصارى الذين كانوا على باب الملك ساعدوه على هذا الاستبداد

---

(١) عن يوسف راجع السنهادوسات ٩٥ وما يلي و٣٥٢ — ٣٦٧ . والتاريخ السعردي ܒ : ٨٤ — ٩٤ . وماري ٥٣ — ٥٤ . وعمرو ٤١ — ٤٣ وابن العبري ܒ : ٩٥ و ٩٧ . والسمعاني ܓ : ܐ : ٤٣٢ — ٤٣٥ . ولابور ١٩٢ — ١٩٧

(٢) راجع اعمال مجمع يوسف في كتاب السنهادوسات

لان الامور كانت تجري على هواهم من نصب الاساقفة ورسامة الكهنة الى غير ذلك

غير ان المطارنة والاساقفة لدى روئيتهم ان الكنيسة مضطربة جداً ولا بدّ من الاصلاح الحوّا عليه ليعقــد المجمع . فاضطرّ الى اجابتهم . وعُقِد المجمع في المدائن في كانون الثاني سنة ٥٥٤ .واثبت آلآبآء اولاً صورة الايمان. فانهم حكموا انّ في المسيح طبيعتين طبيعة الهيّة وطبيعة انسانية من دون اختلاط وبلبلة .ثمّ وضعوا ثلاثة وعشرين قانوناً لنظام الاقليروس وحسن سلوك المؤمنين . فان بعض الكهنة والاساقفة كانوا يلتجئون الى رجال الحكومة إمّا ليرتقوا بواسطتهم الى درجة اعلى وإمّا ليُحلّوا من الحرم الساقطون فيه . فالمجمع حرم في القوانين الاولى وفي الثاني عشر كل من يحمل الحكومة على التداخل في امور الكنيسة .والقانون السابع والرابع عشر والخامس عشر والثامن عشر هو ضدّ يوسف الجاثليق نفسه . فانهُ كان يضع قوانين من دون ان يشاور الاساقفة.ثم يجبرهم ان يمضوها .واذا ابوا حرمهم.وانتخابه للجثلقة لم يكن قد صار بموجب القوانين . فرسم المجمع رسوماً شتّى تتعلّق بانتخاب البطريرك واجراء وظيفتهِ ثمّ اثبت ما رسمهُ مار آبا في امر الزيجة وغير ذلك

وحضر المجمع مــا عدا يوسف الجاثليق اربعة مطارنة وهم شمعون (بيت لاباط) وبولس (نصيبين) ومشيحا (حدياب) وقلدينا (ماحوزا حــدثا) (١) . وثلاثة عشر اسقفاً وهم : شوحالماران (كشكر) . وشمعون (پيروز شابور) . واقاق (مادايي) . ويوحنان (بيت دارايي) . وبرنون (كرمي) . ودنحــا (مسبذان).وابراهام (اصبهان) . ويزدجرد (بلد) . ويزيدپناه (معلثــا) . واحودإمّه (نينوى) . ونرساي (مــاحوز اريون) . وطاهمين (شهرزور). ويوحنان (أبورد وشهرپيروز). ثم لمضى اعمال المجمع مطرانان آخران وهما داود

---

(١) ان ماحوزا حدثا كانت في الارشية البطريركية.فمن المحال ان تكون كرسياً مطرابوليطياً. الا ان يُفرض ان قلدينا من مطارنة الغرب ورافق الاسرى الروميين وصـار مطراناً عليهم في المدينة الجديدة التي ساها لهم انوشروان ثم اضطر ان يكون في حكم جاثليق المدائن فان قلدينا او كلَوديانوس اسم رومي لم يظهر الا هنا في تواريخ الكلدان النساطرة

مطران مرو والاهزخا مطران بيت كرماي . وستة عشر اسقفاً وهم : يوسي (حلوان) وسورين (كرخ ليدان) وشيلا (هرمزد ارداشير) وايليشاع (شوشتر) وخوسرو (شوش) وبرصوما (قردو) ونتوم (ارزون بيت أوستان) ودانيال (الري) ويعقوب (پيدانكران) وأوبان (أهمدان) وسركيس (ريما) وبرني (كرمي) (١) وملكيزداق (اذوربيجان) وجبرائيل (حربغلال) وتئودورا (مرمرود) وسورين (امول وجيلان)

غير ان القوانين التي وضعها المجمع لم تمنع يوسف من العبث بالرعية لا بل ازداد استصغاراً بامرها لانهُ كما قلنا كان مقرّباً لدى الملك وجلب اليه رجال الدولة وفي جملتهم رادانفروح المرزبان الكبير (٢) . فأساء كل الاساءة الى الاساقفة والكهنة الذين تجاسروا وقاوموه . وقيل عنهُ انهُ وضع لهم رسناً وبنى لهم معلفاً ملأه تبناً وقال لهم : « اعتلفوا فانكم حيوانات بلا تمييز وبلا بيان . » ثم صار يحلق رؤوسهم ويصفعهم (٣)

ومن جملة الاساقفة الذين قاوموه فاذاهم شمعون اسقف پيروز شابور وميهرنرسا اسقف زابي وملكا اسقف دارابجرد . امّا شمعون فكان قد عاكس ايضاً مار آبا الجاثليق (٤) . فقبض عليهِ يوسف وحبسهُ مدّة من الزمان . فاتخذ شمعون في الحبس مذبحاً ليقدّس عليه في ايام الآحاد والاعياد . فدخل عليه ذات يوم الجاثليق . واذ راى الرهبان يقدّسون غضب وهجم على الاسقف وضربهُ . وبلغت بهِ الوقاحة الى انهُ قلب المذبح ووطيء ادواتهُ برجليه وبقي شمعون في الحبس حتى مات (٥)

امّا ميهرنرسا فهو الذي حبسهُ خوسرو انوشروان على ايام مار آبا (٦) . فطرده يوسف الجاثليق من كرسيه واجلس مكانهُ حزقيال تلميذ مار آبا وكان ذا دهاء ولطف فدنا من انوشروان واصاب عنده مكانةً . وقصده يوماً ملكا اسقف

---

(١) الظاهر ان برني هذا وبرنون المذكور قبلا اسم واحد

(٢) التاريخ السعردي ٮ : ٨٥ (٣) فيهِ ايضاً . وابن العبري ٮ : ٩٧ وماري ٥٣

(٤) السمعاني : ٮ : ٤ : ٧٩

(٥) التاريخ السعردي ٮ : ٨٦ وعمرو ٤٢ . وماري ٥٣ (٦) انظر ص ١٨٣

داراجرد في فارس يسالهُ ان ياخذ لهُ كتاباً من الملك لرفع المكروه عن رعيتـه . فاستخرج لهُ حزقيال الكتاب . فكبر ذلك على يوسف لانهُ لم يجرِ عن يده . فاخذ الكتاب من ملكا . ولمّا عرف ذلك اهالي فارس قطعوا خطبتـهُ وخلعوا طاعتهُ (١)

ولمّا ازداد ظلماً وشرًّا . ارسل اليـه الاساقفة ثلاثة انفار ليصرفوه عمّا هو عليه من الظلم . فاستخفّ بهم وطردهم . ثمّ انفذوا اليـه غيرهم ثم غيرهم . فاصابهم ما اصاب الاوّلين . وكاتبهُ ايضاً بولس مطران نصيبين وغيره من المطارنة والاساقفة فلم يزدد الّا تكبّرًا وعناداً . فاجتمعوا حينئذٍ وحرموه واسقطوه من الجثلقة ومن سائر درجات الكهنوت

وممّا حمل الملك على السكوت لاسقاط يوسف هو ان هذا الجاثليق شهد على بعض النصارى انهُ سرق من خزانة الملك حلقاً ثميناً كثير القيمـة . ولدى التحقيق ظهر للملك براءة الرجل ممّا قرّفه بـه يوسف (٢) . ولكن انوشروان لم يؤيّد حكم الاساقفة باسقاط يوسف . فارسلوا اليه موسى الطبيب (٣) وكان ذا منزلة عنده . فضرب موسى لخوسرو الملك هذا المثل قائلًا : «انّ بعض الملوك قرّب اليه رجلًا مسكيناً وآنسه . ثم وهب لهُ فيلًا من فيلته . فاخذه الرجل ومضى به الى بيته . وكان باب داره صغيرًا . فلم يدخل فيه الفيل . ولم يكن بوسعه ان يطعمهُ . فبقي ذلك المسكين متحيّرًا مفكّرًا في امره . فعاد الى الملك والفيـل معهُ . وسال اصحاب الملك ان يستعذروا لهُ عن الفيل . وان يسالوا الملك اقالته منه .» فلمّا سمع الملك قول موسى النصيبيني تبسّم وفهم معنى المثل . ثمّ قال موسى : « نحن المساكين وهذا فيلنا الذي وهبه لنا الملك قد راينا فيه وفي رئاسته علينا ما خيّب آمالنا . فلينعم الملك باقالتنا منهُ ونحن لهُ شاكرون . » فامر انوشروان بعزل يوسف (٤)

---

(١) التاريخ السعردي ٢ : ٨٦ — ٨٧ . وماري ٥٣

(٢) التاريخ السعردي ٢ : ٨٧ — ٨٨ . وماري ٥٣

(٣) ماري يكتب نرساي

(٤) التاريخ السعردي ٢ : ٨٨ — ٨٩ . وماري ٥٣ . وعمرو ٤٣

وجرى اسقاط يوسف من الجثلقة في شباط سنة ٥٦٧ . بعد ان جلس على الكرسيّ خمس عشرة سنة (١). واختار الاساقفة المجتمعون حزقيال اسقف زابي. وكان مقرَّباً من الملك كما سبق القول. غير ان يوسف منع رسامتهُ لانهُ استمرَّ محافظاً على مكانته عند الملك. ولم يكن يتقدَّم عليه في مجلسه سوى موبذ موبذان (٢) اي حبرهم الاعظم. فامر انوشروان ألّا يُنصب جاثليقاً إلّا اذا اجتمعت اراء كل النصارى على عزل يوسف . فدبَّر امور الكرسيّ ماري اسقف كشكر مـدَّة ثلاث سنين الى ان مات يوسف سنة ٥٧٠ (٣) ودُفِن في پيروز شابور

وقال عنهُ ايليا الدمشقيّ (٤) انهُ ألَّف قائمة بطاركة المشرق . والظـاهر ان يوسف كتب هذه القائمة في الثلاث السنين الاخيرة من حياتـه لكي يبيّن انَّ كرسيّ المدائن رسوليّ ولا سبيل للاساقفة ان يحرموه ويسقطوه من الرئاسة. وعلى زعم ابن العبري انهُ هو الذي استنبط الرسائل المكتوبة الى بابا الجاثليق باسم مار افرام ويعقوب اسقف نصيبين وغيرهما (٥) . غير انَّ بعض هذه الرسائل كانت مستنبطة قبـل يوسف الجاثليق (٦) وعلى كل حال ان يوسف لم يستفد شيئاً من كل ما عملهُ فان الكلدان النساطرة اسقطوا اسمهُ من بعد موته من سفر الاحياء والاموات .

ولم يكتسب يوسف الّا ذكراً جميلًا بصرفه الهمّة لدفن الموتى في الوبأ الذي حدث في زمانه (٧) . وهو من اشدّ الاوبئة التي تكلّمت عنها التواريخ. وعلامته انه كان يظهر في كفّ الانسان ثلاث نقط سود في داخل اللحم . وحدث مرَّتين

---

(١) عمرو يقول ١٢ سنة. وكذا كتب التاريخ السعردي ك: ٨٩. لكنه في ص ٩٠ يكتب: وقال قوم ١٥ سنة. واما ماري فقال ١٥ سنة وقوله اصحّ

(٢) لاند النصوص السريانية ج: ٣٣٩

(٣) ايليا ٥٢ (٤) في السمعاني ج: ٢: ٤٣٤ و٤٣٥

(٥) هنا ص ٥٤ ح ٣

(٦) لابور ١٩٧

(٧) التاريخ السعردي ك: ٩٤ وماري ٥٤

في الجيل السادس اي في سنة ٥٤٤ ثمّ في سنة ٥٦٢ (١) وفتك فتكاً ذريعاً في الناس حتى ان بعض المدن والقرى خلت من السكان

ومع كل تقرّب يوسف من خوسرو انوشروان لم يقدر ان يمنعهُ من اضطهاد النصارى فان ملوك فارس حاموا الكنيسة الكلدانية النسطورية منذ انفصالها من الكنيسة البيزنطية . لكنهم اضطهدوا شديدًا كل مجوسيّ تجاسر واعتنق الديانة النصرانية . ومن جملة الشهداء المقتولين على عهد يوسف القديسة شيرين

ان جهاد شيرين مكتوب باليونانية (٢) . كانت هذه القديسة مجوسية واصلها من كرخ سلوخ من حسب شريف . وتنصّرت واعتمذت على يد يوحنان مطران المدينة (٣) وهي في الثامنة عشرة من عمرها . فسُعي بها لدى الموهپاط . فاحضرها وهدَّدها بالقتل . فلم يرتخ عزمها . ثم ارسلها الى الملك وكان حينئذٍ في مصيفه في اطراف حلوان . فامر انوشروان بتعذيبها شديدًا ولم ينل منها بغية . فسيقت الى المدائن وأُلقيت في الحبس وقُتلت خنقاً في ٢٨ شباط سنة ٥٥٩ . ونُقلت جثتها الى لاشوم في بيت باطاي احد النصارى هناك . ويقول كاتب القصة ان شهداء أُخر كثيرين تكلّلوا مع القديسة شيرين ولكنهُ لا يعرف اسماءهم . ويظهر من قوله انهُ كان معاصرًا لهذه الشهيدة . وتذكار شيرين عند اليونان في ١٨ ايار وعند اللاتين في ١٩ منهُ . وعند اليعاقبة والسريان الكاثوليك في ١ شباط

الفصل الخامس

حزقيال الجاثليق (٥٧٠ — ٥٨١) . الحروب الرومية الفارسية

المجمع الكلداني التاسع (٥٧٦)

لمَّا مات يوسف الجاثليق اجتمع الاساقفة لانتخاب خلفٍ له . فاختار بعضهم

---

(١) لاند النصوص السريانية ٢ : ١٣ . راجع عن هذا الوباء التاريخ السعردي ٢ : ٩٠ — ٩٤ . ولاند النصوص السريانية ٢ : ٣٠٤ — ٣٢٥ . ومجلة المشرق ٢ : ٥٣٣

(٢) اعمال القديسين ١٨ ايار : ٤ : ١٧٠ — ١٨٢

(٣) يوحنان هذا يكون قد خلف الامازخا الذي امضى اعمال مجمع يوسف سنة ٥٤٤

ايشاي اللفان (١) تلميذ مار آبا وكان مفسّرًا في مدرسة المدائن . غير ان بولس مطران نصيبين وغيره من الاساقفة اصرّوا ان لا يرجعوا عن حزقيال اسقف زابي الذي انتخبوه قبل ثلاث سنين . وكان حزقيال ايضاً تلميذ مار آبا (٢). وقال ماري انهُ كان خبازًا عنده وتعجّب الناس كيف جعلهُ اسقفاً على زابي . ولكن قد سبق الكلام انّ الذي رسم حزقيال اسقفاً هو يوسف الجاثليق لا مار آبا الكبير .
وانفذ انوشروان حزقيال الى البحرَين واليامة ومعهُ غوّاصون. فاستخرج لهُ جوهرًا نفيساً فاخرًا كثير القيمة فازداد فيه رغبة (٣). وكان نوروزي المروزي رئيس الاطباء من اخصّ اصدقاء حزقيال (٤) فلا عجب اذا فضلهُ انوشروان على ايشاي اللفان وامر الاساقفة ان يجعلوه جاثليقاً . وجرت رسامتهُ في المدائن سنة ٥٧٠ (٥) ودبّر تدبيرًا حسناً . فاستقامت الامور على يدَيه واستصحبه الملك لمحبته لهُ اينما ذهب ولمّا تجدّدت الحرب بينهُ وبين الروم سنة ٥٧٣ رافقه الى نصيبين ودارا .
وسبب هذه الحرب هو ان المجوس حرّكوا خوسرو الاول ان يجعل الارمن مجوساً كما انّ ملك الروم كان يجبر جميع الذين في مملكته ان يكونوا من مذهبه. فقبض المجوس على ثلاثة اساقفة في ارمنية وقتلوهم . وهدموا الكنائس وبدأوا يبنون مكانها معابد النار . فقاومهم الارمن وقتلوا المرزبان . وخوفاً من الفرس التجأوا الى الروم وطلبوا مساعدتهم (٦) . فجرت الحرب بين الروم والفرس في ارمنيّة ولم تظهر النصرة لاحد الفريقين. ثم ان الروم شدّوا الحصار على نصيبين . فحمل عليهم انوشروان مصحوباً بمار حزقيال الجاثليق . فخاف الروم ورفعوا الحصار عن المدينة . فحمل خوسرو على دارا وافتتحها . وزحف قائده

---

(١) ماري (ص ٥٤) يكتب ماري اللفان

(٢) عن حزقيال راجع التاريخ السعردي ك : ١٠٠ — ١٠٣ وماري ٥٤ — ٥٥ . وعمرو ٤٣ — ٤٤ . وابن العبري ك : ٩٧ و١٠٣ والسمعاني م : ٤ : ٤٣٥ — ٤٣٩ . والسنهادوسات ٣٦٨ — ٣٨٩ . ولابور ١٩٧ — ١٩٩

(٣) التاريخ السعردي ك : ٨٦ و ١٠٠ . وعمرو ٤٣

(٤) فيه ايضاً ١٠٠ — ١٠١ (٥) ايليا ٥٢

(٦) راجع تواريخ يوحنان اسقف اسيا طبعة كورتون سنة ١٨٥٣ ص ٩٥ — ١٠٢

اذرماهان على افامية واخربها وسبى منها خلقاً كثيراً . ورجع انوشروان غانماً منصوراً الى عاصمته سنة ٥٧٣

ولما كانت السنة ٥٧٤ طلب الروم الهدنة فاجاب خوسرو الاول الى سؤالهم بعد ان اخذ منهم ٤٥٠٠٠ قطعة ذهب وفي سنة ٥٧٦ خرج على ارمنية واراد الاستيلاء على تئادوسيوپوليس وهي ارضروم الحالية . ولما لم يمكنهُ ذلك لكثرة العساكر التي فيها توجّه نحو قبادوقية ليأخذ قيصريّة . لكنهُ انكسر شر كسرة وهرب تاركاً معسكره بيد العدو . وفي سنة ٥٧٧ اغار اذرماهان على بلاد الروم ونهب واحرق كل قرى دارا وتلا وتلبشا وراس العين وميافرقين وآمد واورهاي وحران (١) . ومات يوسطينوس الثاني ملك الروم في تشرين الاول سنة ٥٧٨ قبل انتهاء المحاربة ثم بعد بضعة اشهر لحقهُ الى القبر خوسرو انوشروان ايضاً . وخلفهُ ابنهُ هرمزد الرابع سنة ٥٧٩ . واما المحاربة فلم تبطل بموت هذين الملكين بل دامت طول مدّة ملك هرمزد

ان حزقيال الجاثليق عند دخوله مدينة نصيبين تلقّاه مطرانها بولس (٢) باعظم كرامة . وزفّ الجاثليق بالوقار والزياح الى قلّايته . ولما دخلوا الهيكل صعد المطران الى المنبر فخطب واحسن . وقال في ما خطب : « معشر المؤمنين قد زاركم المسيح في هذا اليوم . فطهّروا اجسادكم ونقّوا اطماركم وقدّموا هداياكم . » فاستحمقهُ السامعون وقالوا انهُ يتملّق الجاثليق . وحلف حزقيال انهُ متى رجع من دارا يسقطهُ من درجتهِ . ولما عرف بولس الحبر لازم الصوم والصلوة طالباً الى الله ان يخلّصهُ من فضيحة الحرم . فسمع الله دعاءه وقبض روحهُ قبل ان يفتح انوشروان مدينة دارا (٣)

ولما وصل حزقيال الى المدائن اهتمّ نظير سلفآئه بعقد مجمع عموميّ . وممّا دعاه الى عقد هذا المجمع هو ان جميع الكنائس الفارسيّة لم تكن تطيعهُ وبعضها ابطلت

---

(١) فيه ٣٧٨ — ٣٨٥ . راجع ايضاً عن هذه المحاربة تاريخ ابن العبري ٨٢ — ٨٦ ودوقال تاريخ اورهاي ٢١٣ (٢) ماري يكتب بكوس وهو غلط

(٣) التاريخ السعردي ف ٢ : ١٠٢ . وماري ٥٤

التنويه باسمه في الصلوة (١) . وكان الاساقفة يتجاوزون حقوق بعضهم بعض . وزد على ذلك انتشار هرطقة المصلّين الذين بحجّة صلواتهم الطويلة كانوا يعيشون عيشةً رديّة ويفسدون الاخلاق . فلمّا كانت السنة ٥٧٦ كتب حزقيال الجاثليق الى جميع المطارين والاساقفة يستدعيهم عنده في المدائن . فلبّي دعوتهُ دلاي وشمعون وحنانا مطارنة الاهواز وپراث مينشان وحدياب وسبعة وعشرون اسقفاً وهم : ماري (كشكر) . وموسى (كرخ ليدان) . وبرشبتا (شهرقرت) . وداود (هرمزدأرداشير) وساوا (لاشوم) . وبابي (زابي) ودانيال (شوشتر) . وقاميشوع (داسان) وشموئيل (ماحوزا اريون) . وماري (پيروز شابور) . واذورهرمزد (شوش) . وبرشبتا (معلثا) . وحنانا (حرنغلال) . واهرون (اصبهان) . وشموئيل (برحيس) وشوحاليشوع (تحل) . وبابا (مهرجان قدق) . وملكيزديق (اذربيجان) . وشوحا (بلاشپار) . وزعورا (جرجان) . وكورمه (سجستان) . ويوحنان (شِنّا) . وشوحا (مسبذان) . وميهرشابور (رامهرمزد) . ويزيدپناه (نينوى) . وشموئيل (مازون) . وبرساهدي (عين سفنسا) . ثمّ امضى ايضاً اعمال المجمع سركيس (ميشمهيغ) واسحق (هجر وپيطارداشير) وبريخ يهبه (شهرزور) وباباي (بورزان)

وفي المقدّمة قرّر المجمع صورة الايمان . وهي ضدّ ماني ومرقيون وبرديصان واريوس واونيميس وايوليناريس واليعاقبة . ثم وضع ٣٩ قانوناً في ما يخصّ واجبات الاقليروس والعلمانيين . فالقانون الاول هو ضدّ هرطقة الرهبان المصلّين . والقوانين الاخرى هي في واجبات البطريرك والمطارنة والاساقفة . وحتموا ان يُعقد المجمع العمومي لدى البطريرك في كل اربع سنوات وذلك قبل الصوم الكبير . والمجمع الخصوصيّ لدى المطران في كل سنة في شهر ايلول . وان يُذكر اسم البطريرك في الكاروزوثا في كل الكنائس التي في مملكة الفرس . وألّا يتجاوز الاساقفة والمطارنة حقوق بعضهم بعض وحقوق البطريرك من رسم الكهنة ونصب الاساقفة والمطارنة الى غير ذلك . ومنعوا الكهنة والاساقفة ان يبيعوا او يرهنوا اوقاف الكنائس

---

(١) راجع اعمال مجمع حزقيال في السنهادوسات القانون ١٤

والاديرة ويهبوا من وارداتها لاهاليهم . واذا اشترى الكاهن او الاسقف املاكاً باسمه للكنائس يجب عليه ان يعمل قبل موته نفي ملك. وان يُطلع اقليروسه وبعضاً من اكابر رعيته على جميع مقتنيات الكنائس والاديرة لئلا يضيع شيء منها بعد وفاته الى غير ذلك

امّا آخرة حزقيال فكانت مرّة. لان الله امتحنهُ بالعمى مدة سنتَين (١) . وتوفي في السنة الثالثة لهرمزد الملك (سنة ٥٨١) بعد ان دبّر الكرسيّ احدى عشرة سنة (٢) . وقام بعده ايشوعياب الارزُنيّ

الفصل السادس

هرمزد الملك (٥٧٩ — ٥٩٠) ايشوعياب اررونايا الاول (٥٨٢ — ٥٩٥)
المجمع الكلداني العاشر (٥٨٥) الحروب الفارسية الرومية

ان هرمزد الملك لم يتمسك بسياسة ابيه خوسرو الاول منقاداً مثله الى راي المجوس واكابر الدولة في اذية النصارى. وذلك إمّا لعظمة نفوذهم في المملكة فاراد ان يحطّ من قدرهم وامّا لانه كان يحب النصارى كما قال عنه التاريخ السعردي (٣) فعظُم ذلك على المجوس وتذمّروا. فاحتج عليهم هرمزد الرابع وفهّمهم ان الملك لا يثبت بالمجوس وحدهم. وضرب لهم مثلًا قائلًا: « ان السرير له اربعة قوائم. ولا يقوم بالقائمتين الداخلتين دون الخارجتين. فالحذر ثم الحذر من مخالفة ما امرتُ به من حفظ النصارى واحياء سنتهم فانهم اهل الاستقامة وذوو السلامة. » (٤)

ولما توفي حزقيال اختار بعض الاساقفة ايوب المفسّر في مدرسة المدائن وهو

---

(١) التاريخ السعردي ف : ١٠١ و١٠٣ . وماري ٥٤

(٢) التاريخ السعردي ف : ١٠٣ . وايليا ٥٢ . اما عمرو فغلطاً يقول عشرين سنة وانه توفي سنة ٥٧٧

(٣) ف : ١٠٤ راجع ايضاً السنهادوسات ١٣١

(٤) التاريخ السعردي ف : ١٠٤ وماري ٥٥ . ولابور ٢٠٠

من قرابة نرساي الملفان . واختار الاخرون ايشوعياب وكان تام القامة حسن الصورة اصله من بيت عربايي ودرس في مدرسة نصيبين على عهد ابراهام دبيث ربّان ثم قام باعباء رئاسة للمدرسة سنة ٥٦٩ وبعد ان علّم سنتين انتُخب اسقفاً على ارزون ولذلك لُقّب بارزونايا اي الارزني (١) فامر هرمزد الملك بنصب ايشوعياب لانــه لما كان اسقفاً على ارزون وهي على الحدود كاتبه وعرّفهُ عن جيوش الروم وحركاتها (٢) فاسيم جاثليقاً سنة ٥٨٢ (٣) وبعد رسامته دخل على الملك ومعه الاساقفة ودعوا له فاكرمهم وكتب الى عمّاله بان يرجعوا الى راي الاساقفــة في الاحكام وفي سائر الامور

والظاهر انه منذ عهد يوسف الجاثليق جرت العادة ان لا يُعقد المجمع العام حالّا بعد رسامة الجاثليق . فانَّ حزقيــال جمعه في السنة السادسة من جثلقته . وهكذا ايشوعياب عقده في السنة الرابعة لجلوسه اي في سنة ٥٨٥

ان قوانين هذا المجمع هي ٣١ عدداً . واكثرها ماخوذة من مجامع آبا ويوسف وحزقيال الجثالقة لكنها احسن شرحاً واكثر بلاغة وهذا يدل على ان الذي رتّبها كان عالماً فاضلاً . فالكنيسة النسطورية ما عدا المجوس كان لها ثلاثة اعداء اقوياء اعني بهم المنوفيسيتيين والمصلّين والحناناويّين . فالمنوفيسيتيون وهم اليعاقبة صار لهم مطران في تكريت منذ سنة ٥٥٩ وما زالوا يجتهدون ببثّ تعاليمهم في الكنائس الفارسية . والمصلون انتشروا في الاديرة . والحناناويون هم تبعة حنانا وكان ايمانه كاثوليكياً كما سترى وطعن بتيودورس المفسّر الذي كان ركناً للايمان عند النساطرة وانتشر تعليمه كثيراً لانهُ كان رئيس مدرسة نصيبين ومفسّراً فيهــا . فاجتهد ايشوعياب في استدراك الامر . فقانونه الاول كما نقرأ في كتاب السنهادوسات هو في الايمان وهو ضدّ هؤلاء الخارجين ولا سيما اليعاقبة . والقانون الثاني هو في فضائل تيودوروس المفسّر وصحّة ايمانه ويحرم كل من لا يتمسك بتعليمه والقانون الثامن

---

(١) ماري والتاريخ السعردي ومدرسة نصيبين ٢٤

(٢) ماري ٥٥ والتاريخ السعردي ت : صحج .

(٣) ايليا ٥٢ . والسنهادوسات ١٣١ و٣٩١ ح ٣

هو ضد هرطقة المصلين . وبقية القوانين هي في منافع الشريعة ووظائف الاقليروس وواجبات الرهبان والراهبات وحقوق البطريرك والمطارنة والاساقفة والاركدياقون وفي الزواج الشرعي والربا والمحافظة على اموال الايتام والاوقاف وفي الاعتقادات الباطلة من تفاؤل وتكهّن وتطيّر وما اشبه وفي منع المؤمنين من التزوج بالمجوسيات والهرطوقيات ومن الذهاب الى اعياد الوثنيين والهراطقة واليهود وغير ذلك

ثم ان المجمع هدّد بالحرم شمعون مطران نصيبين وغريغور مطران ريواردشير واساقفتهما اذا لم يأتوا في تلك السنة عينها ويمضوا اعمال المجمع . فان البطريرك كتب اليهم مرّتين ليحضروا فابوا الطاعة . والظاهر ان شمعون مطران نصيبين كان متحزباً لحنانا

وحضر المجمع براز مطران الاهواز وشمعون مطران يرات ميشان وعشرون اسقفاً وهم : يوسف (كشكر) ويوسف (الحيرة) وكوسيشوع (بيت نوهدرا) وداود (هرمزد اردشير) وطيمثاوس (بيت نغاش) وابراهام (زابي) واسطيفان (شوشتر) وقاميشوع (ماحوزا اريون) واذور هرمزد (شوش) وبرشبثا (معلثا) وجبرائيل (حربغلال) وبختيزاد (تحل) وبرنون (حلوان) ونثنئيل (شهرزور) وابراهام (طيرهان) وبابا (مهرجان قذق) وميليس (شنّا) وعنانيشوع (رامهرمزد) وآبا (نينوى) وكليليشوع (طيباثا والكرد)

وامضى عن حنانا مطران اربيل آبا الكاهن الاركدياقون . وعن غريغور مطران مرو مراق الكاهن . وعن جبرائيل مطران هرات دانيال الكاهن . وعن حبيب اسقف بوشناغ ايليشاع الشماس وعن جبرائيل اسقف بديسي وقدستان سركيس الشماس . واساقفة أُخر ارسلوا خطوطهم وهم بختيشوع مطران بيت كرماي . وجبرائيل اسقف كرخ ميشان وسبريشوع اسقف لاشوم وملكيزديق اسقف ريما وموسى اسقف نهر كور

وما عدا القوانين المذكورة سنّ ايضاً مار ايشوعياب عشرين قانوناً طلبها منه مار يعقوب اسقف جزيرة ديرين في بيت قطرايي وهي ايضاً مطبوعة في كتاب السنهادوسات . ومنها يظهر ان ايشوعياب كان عالماً جليلاً (١) وهذه القوانين هي

---

(١) لابور ٢٠٢

في تقدمة الذبيحة الالهية وفي سر العماذ وسر الاعتراف وتقديس يوم الاحد وغير ذلك ٠ وله ايضاً تاليفات اخرى سياتي ذكرها في نهاية هذا المجلد ٠ وعاش ايشوعياب الاول مسروراً على ايام الملك هرمزد الرابع ٠ ولكن حالما جلس على سرير الملك ابنه خوسرو الثاني انقلبت الامور ظهراً لبطن ٠ فان هذا الملك الجديد عاداه لاسباب سنذكرها

قلنا ان الحرب بين الروم والفرس لم تبطل بوفاة خوسرو الاول بل استمرّت على ايام الملك هرمزد ٠ فانهُ حالما عقد التاج على راسه ارسل القائد اذرماهان الى ما بين النهرين (١) فظهر هذا البطل تحت اسوار مدينة اورهاي وحاصرها ثلاثة ايام واحرق جميع الكنائس والاديرة والقرى التي في نواحيها ٠ وذبح الاسرى واحرق جثثهم ظناً منه ان الاورهاويّين اذا رأوا منه هذه القساوة يرهبونه ويسلمونه المدينة ٠ لكنهُ حالما اقترب منهُ موريقي القائد الرومي رفع الحصار وهرب فلحقهُ موريقي وادركه بالقرب من الرقة فقاتله وانتصر عليه ٠ وفي سنة ٥٨١ غلبهُ مرة ثانية عند مدينة تلا وهزمه اقبح هزيمة ٠ وحمل ايضاً موريقي على ارزون ونهب واحرق وسبى خلقاً كثيراً من النصارى بلغ عددهم نحو سبعين الفاً وارسلهم الى بلاد الروم ٠ فاسكنوهم في جزيرة قبرص (٢) ولعلّ النساطرة الذين كانوا في هذه الجزيرة (٣) اصلهم من هؤلاء الاسرى

وفي تلك الاثناء مات طيباريوس قيصر فبويع مكانه موريقي ٠ فاضطر هذا القائد الماهر ان يترك قيادة الجيوش سنة ٥٨٢ وينطلق الى القسطنطينية لكي يتتوج ٠ ومنذ ذلك الحين بدأ الفرس يقهرون الروم ٠ فانتصروا عليهم في ارزون سنة ٥٨٦ ٠ ثم في سنة ٥٨٩ زحفوا على صوپ واستولوا على ميافرقين

فتجبر هرمزد الرابع وتكبر بانتصاراته هذه واساء السيرة وضيّق على الجيوش

---

(١) دوقال تاريخ اورهاي ٢١٣ — ٢١٥ . وتاريخ الدول لابن العبري في الارامية ٨٩ — ٩٠. وتاريخ يوحنان اسقف اسيا ٣٩٣ وما يلي

(٢) تاريخ يوحنان اسقف اسيا ٣٨٢ و٤٠٧. والتاريخ السعردي ܒ : ܨܚ

(٣) السمعاني ܓ : ܒ : ٤٣٢

واخذ اموالهم . وقتـــل اخوته وقبض على الاكابر وحبسهم واطعمهم خبزاً معجوناً بجص واسقاهم الماء المرّة (١) . وكان له قائد جيش اسمه بهرام جوبين انفذه لقتال الترك . فظفر بهم وغنم غنيمة عظيمة . فحسده اصحاب الملك وحمّلوه عليه قائلين : انه احرز لنفسه القسم الاعظم من الغنيمة فانفـــذ اليه الملك قميصاً احمر ومغزلاً وفلكة وقال له : من كان على شاكلتك فهـــذا لباسه . فنفر الجيش وخلعوا طاعة الملك . وورد الامر الى بهرام بالمصير الى المدائن . فنشر هـــذا القائد لواء العصيان . ولكي يفسد بين هرمزد الملك وابنه خوسرو ابرويز ضرب في الري دراهم عليها اسم وصورة خوسرو ابرويز وارسلها سرًّا الى المدائن . فظهرت في ايدي العامـــة واتصل الخبر بهرمزد واراد القبض على ابنه فهرب خوسرو نحو اذربيجان . وانتهز الفرصة الجيش والمجوس واكابر المملكة وقبضوا على الملك هرمزد وسملوا عينيه . وكاتبوا خوسرو فسار اليهم وصار ملكاً . وكان بهرام القائد يريـــد الملك لنفسه . فبادر في جيشه مظهراً الامتعاض عما جرى على هرمزد الرابع وقاتل خوسرو ابرويز وانتصر عليه (٢)

فانهزم خوسرو وقصد موريقي ملك الروم في انطاكية مستغيثاً بهِ على غاصب مملكته . حينئذٍ اغتنم موريقي الفرصة لكي يتداخل في امور فارس . ورحّب به وارسل معه جيوشاً وانضمت اليها الجيوش الفارسية التي بقيت امينة معه . فانكسر بهرام جوبين وهرب الى اذربيجان . ولحقه خوسرو وانتصر عليه هناك انتصاراً تامًّا . فهرب بهرام الى بلاد الترك . ورجع خوسرو منصوراً الى المدائن سنة ٥٩٠ . ووصل جيوش الروم بصلات جليلة كثيرة . وانفذ الى موريقي هدايا نفيسة وسمّاه اباه وتنازل له عن دارا وميافرقين اللتين كان ابوه هرمزد قد استولى عليهما

وعند دخوله الى المدائن مظفراً عُقدت له القباب على عادة ذلك الزمان . وعقد له مار ايشوعياب ايضاً ثلاث قباب ووقف للسلام عليه مع بعض الاساقفة وقد اخذ له طرفاً من المسك والعنبر والكافور والزعفران والعود الهندي والمجامر بايدي

(١) التاريخ السعردى ܒ : ܨܚ : وܨܨ والطبري طبعة استانبول ܒ : ٣٧٢

(٢) التاريخ السعردي ܒ ܨܚ . والطبري ٢٧٢ — ٢٧٥

الاساقفة. فاظهر الملك غضبه ولم يلتفت اليه. فاسرع الجاثليق الى القبة الثانية وبيده آس واترّجة ومجمرة. فعدل عنها ايضاً الملك. فاضطرب ايشوعياب وهمهمت جيوش ملك الروم وتقمقمت

فلما عرف خوسرو ذلك منها قال للجاثليق بغضب: « قد ظهر منك ثلاثة امور لا بدّ من مجازاتك عليها. الاوّل انك لم تخرج معي الى بلاد الروم ولا انفذت احد الاساقفة في صحبتي. فلو فعلت ذلك لزاد موريقي في اكرامي. والثاني انك لم تلحقني لما عرفت اني في مملكة الروم وقد قبلني الملك موريقي. والثالث دعاؤك لبهرام العاصي عليّ وعلى مملكتي». قال هذا وتوجه نحو القبة الثالثة ونزل عن دابته ودخلها. وقال لايشوعياب بغضب: « اتتوهم ان حيلتك هذه تبعد عنك العقوبة او تظنّ انه خفي عليّ بسط يديك ودعاؤك لبهرام خالع طاعتي.» وكان طيماثاوس النصيبيني رئيس الاطباء قد اخبر خسرو بجميع هذه الامور. واذ اراد الجاثليق ان يعتذر قطع خوسرو كلامه وقال له: « اني قد توسطت الان قبتك وقبلت تحيتك وامهلتك ثلاثة ايام لتجيب عمّا اوجب غضبي.» قال هذا ومد يده وتناول الاترجة التي في يد الجاثليق فدعا له وانصرف

ولما كان اليوم الثالث دخل ايشوعياب على خوسرو الملك وقال: « ان تأخري عن السفر صحبة جلالتك هو لانك سافرت ليلاً ولم يكن لي به سابق علم. وقعودي عن اللحاق بك الى بلاد الروم فلانهُ لو فارقتُ رعيتي وعرف ذلك بهرام العاصي لما ترك منهم صغيراً ولا كبيراً. واما دعائي فما كان الا للملك ولثبات مُلكه. والله يعلم ما في الضمير وكيف يجوز ان ادعو لمن اعلم انه عاصٍ على مولاه فكنت اضمر ان دعائي للذي يستحقّ ان يسمى ملكاً.»

فكتم خوسرو الثاني غيظه مراعاة لموريقي ملك الروم ولانه كان مشغولاً بالحروب الداخلية. فانه لم يفرغ من امر بهرام جوبين الا ونشر عليه لواء العصيان باسطام وبندوي وهما اخوان شقيقان وقد حبسهما هرمزد الرابع. فاخرجهما خوسرو ابرويز لانهما كانا من قرابة امه. وساعداه كثيراً على بهرام العاصي. فارسل خوسرو باسطام مع جيش عظيم على حدود الترك لكي يقاوم بهرام اذا ما حاول وزحف على المملكة. واما بندوي فبقي في خدمته. ولقيه بغير ما يجب واراد الملك قتله

فهرب بندوي عند اخيه. غير ان مرزبان اذربيجان احتال عليه وامسكه وارسله الى خوسرو. ولما اتصل الخبر بباسطام جمع جيوشاً تركية وديلومية وقصد المدائن سنة ٥٩٥ . فحمل عليه خوسرو الثاني بجيوشه ولولا الحسن بن النعمان ملك الحيرة لقُتل خوسرو على رواية مؤلف التاريخ السعردي. ثم ان رجلاً تركياً احتال على باسطام وقتله وقطع راسه وارسله الى خوسرو. وقتل ايضاً بندوي ورفاقه اشنع قتلة

فلمّا استوثق الامر لخوسرو ابرويز واستقرّ له الملك خافه ايشوعياب البطريرك فصرف همته ليتوقى المكروه. فدلته فطنته ان يبارح المدائن ويلتجئ الى الحيرة لدى النعمان الملك الذي كان قد تنصر حديثاً. فمرض على الطريق ومات في قرية بيت قوشي بالقرب من الحيرة . فلما اتصل خبر وفاته باهل الحيرة خرجت هند اخت النعمان مع الكهنة والشمامسة والمؤمنين وادخلوا جسده الى الحيرة بزياح عظيم ودفنته هند في ديرها التي شيدته وهو المعروف بدير هند الصغرى(١) وقيل ان خوسرو ابرويز لما اتصل به خبر وفاة مار ايشوعياب قال: نشكر الله ونحمده (٢) اذ خلصنا من دم ذلك الشيخ ومات موتاً طبيعياً . فقد كان مع ذنبه الينا رجلاً الاهياً (٣)

الفصل السابع

ملوك الحيرة — تنصّر النعمان الرابع

كان سكّان الحيرة من العرب . وانتشرت فيها الديانة المسيحية منذ الاجيال الاولى. وبلغ الينا اسماء بعض اساقفتها في كتاب السنهادوسات. منهم هوشاع الذي حضر سنة ٤١٠ مجمع اسحق الجاثليق . وشمعون امضى سنة ٤٢٤ اعمال مجمع

---

(١) كويدي ٩. والتاريخ السعردي ܒ : ܨܛ

(٢) التاريخ السعردي ܒ : ܨܗ

(٣) لا صحة لمزاعم ماري وعمرو ان ملك الفرس ارسل ايشوعياب الارزني الى موريقي الملك بهدايا ورسائل والبائن انهما نسبا اليه سفارة ايشوعياب كدالايا

يهبالاها . وشمعون (الثاني ؟) حضر سنة ٤٨٦ مجمع اقاق . وايليا امضى سنة ٤٩٧ اعمال مجمع باباي . ونرساي تحزّب سنة ٥٢٤ لنرساي الجاثليق ضدّ اليشاع . وافرام كان معاصراً لهند الكبرى امراة المنذر الثالث نحو سنة ٥٤٠ (١) ويوسف حضر سنة ٥٨٥ مجمع ايشوعياب الارزني. وشمعون (الثالث؟) بن جابر وهو الذي نصّر سنة ٥٩٤ الملك النعمان الرابع

ان ملوك الحيرة كانوا تحت سيطرة ملوك الفرس ويحاربون في صفوفهم ضدّ ملوك الروم . وعُرفوا بآل نصر لانّ عمرو بن عدي الذي اسّس مملكتهم كان جدّه نصر بن كهف (٢) . وعلى رواية ايليا اسقف نصيبين انّ عمرو ملك سنة ١٢٤ بعد المسيح وعلى قول عبديشوع الصوباوي سنة ١٠٧ (٣) . واتى في كتاب مجاني الادب (٤) انه ملك سنة ٢٦٨ . وخلفه امرؤ القيس الاول (٢٨٨ — ٣٣٨) وقيل عنه انه اعتنق الديانة المسيحيّة . ثمّ ولي مكانه ابنه عمرو (٣٣٨ — ٣٦٣) . ثم عقبه اوس بن قلام العمليقي وقُتل سنة ٣٦٨ . وولي مكانه امرؤ القيس الثاني (٣٦٨ — ٣٩٠) ويُعرف هذا الملك بالمنذر والمحرق لانه اوّل من عاقب بالنار . ثم ملك بعده ابنه النعمان الاعور السائح وهو باني الخورنق والسدير (٥) . وقيل ان عنده تربّى بهرام بن يزدجرد ملك الفرس (٦) . وكان النعمان صارماً حازماً ضابطاً لملكه وغزا مراراً بلاد الروم بامر ملوك الفرس . ولمّا اتى عليه ثلاثون سنة تنصّر على يد بعض وزرائه . ثم زهد وترك الملك ولبس المسوح وذهب فلم يوجد له اثر (٧)

---

(١) ياقوت ٤ : ٧٠٩ (٢) ايليا ٨٤

(٣) كتاب الاحكام الكنائسية ٤ : ٥ (٤) مجاني الادب ٦ : ٣٠٤ — ٣١٢ وشرح مجاني الادب ٥٠٨ — ٥١٠ . ومجلة المشرق ١٩١١ ص ٩٧٠ — ٩٧١

(٥) عن الخورنق والسدير راجع كتاب الالفاظ الفارسية المعرّبة تأليف ادي شير بيروت ١٩٠٨ ص ٨٦ . والبرهان القاطع

(٦) الطبري طبعة استانبول ٤ : ١٨٣

(٧) مجاني الادب ٦ : ١٦ و ٣٠٧

وتولى الامر بعده ابنـه المنذر الاول (٤٢٠ — ٤٦٢) وهو الذي ساعد بهرام بن يزدجرد ملك الفرس على اخوتـه فملك بهرام في المدائن . ثم ملك النعمان الثاني . وكان وزيره عدي بن زيد نصرانياً فنصّره واخذ في العبادة والاجتهاد سنة ٤٦٩ (١) .وملك مكانهُ اخوه الاسود وهو الذي انتصر على عساكر عرب الشـام واسر عدّة من ملوكهم وهلك سنة ٤٩١ .وملك اخوه المنذر الثاني (٤٩١ — ٤٩٨) ثم ابن اخيه النعمان الثالث (٤٩٨ — ٥٠٣) وهو الذي بامر قباذ الملك حمل عـلى ارض الروم وسبي منها ١٨٥٠٠ نفساً ثم جُرح ومات سنة ٥٠٣ (٢) . فعيّن قباذ خلفاً له في تدبير الملك ابا يعفر علقمـة (٥٠٣ — ٥٠٥) . ثم أُقيم امرؤ القيس الثالث (٥٠٥—٥١٢) ثم المنذر الثالث وكانت هند امراة المنذر نصرانيّة وتُعرف بهند الكبرى تمييزاً لها من هند الصغرى اخت النعمان الرابع . وشيّدت هند الكبرى ديراً جليلاً في الحيرة . وكان في صدره مكتوب « بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الامـلاك وام الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح وام عبده وبنت عبيـده في مُلك ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمن مار افريم الاسقف . فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيتها ويترّحم عليها وعلى ولدها ويكون الاله معها ومع ولدها الدهر الداهر . » (٣)

ان هند الكبرى نصّرت ابنها عمرو . وحكم هذا الملك من سنـة ٥٥٤ الى ٥٦٩ . ثم ملك بعده اخوه قابوس اربع سنين . ثم المنذر الرابع سنة واحدة . ثم ابنهُ النعمان الرابع

انّ معظم نصارى الحيرة كانوا نساطرة . واجتهد اليعاقبة مراراً ان يدخلوها ولم يقدروا . واوّل حملتهم كانت على عهد المنذر الثالث وشيـلا الجاثليق فرجعوا خائبين (٤) . ثم حملوا عليها ثانية في زمان النعمان الرابع . ففشلوا ايضاً لان الظروف أجبرت ملوك الحيرة ان يداهنوا الحكومة الفارسية التي حامت عن النسطرة ومدّت

---

(١) مجاني الادب ٦: ١٧ — ١٨ و ٣٠٨

(٢) انظر صفحة ١٦٢

(٣) ياقوت ٢ : ٧٠٩ . وعبديشوع خياط : روضة الصبيّ بالموصل ١٨٦٩ ص ٩٠

(٤) انظر ص ١٦٥ — ١٦٧

لها يد المساعدة بغضاً بملوك الروم الذين بسطوا اجنحة الحماية تارةً على اليعاقبة واخرى على الخلكيدونيين

والبائن ان خلفاء عمرو بن هند الكبرى رجعوا الى الوثنية ٠فان النعمان الرابع كان يعبد النجمة المعروفة بالزهرة ( ) غير ان الديانة المسيحية كانت قد دخلت في داره ٠ اذ ان اختيه هند وماريا اعتنقتا الديانة النصرانيــة (٢) وبهمّة شمعون بن جابر اسقف الحيرة حملتاه على نبذ الديانة الوثنية ٠ وقيل ان مــا حمله على التنصّر محنة امتُحن بها ثلاث سنين ٠ وذلك انه كلما اراد النوم ظهر له صورتان مختلفتــان صورة فتى جميل المنظر وصورة حبشيّ كريه الوجه ٠ فكان الفتى الجميــل المنظر يحرّضه ان يتنصّر ٠ وهو يابى ٠ فاذا بالحبشيّ يصرعه ٠ فالتجأ الى شمعون اسقف الحيرة فشفاه وعمّذه (٣) ٠ وروى العرب محنة النعمان على صورة اخرى ٠ قالوا : ان خالد بن المضلّل وعمرو بن مسعود من ندماء النعمان اغضباه في بعض المنطق ٠ فامر بقتلهما ٠ ثم تندّم وامر ببناء الغريّين عليهما ٠ وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريّين يُسمى احدهما يوم نعيم والآخر يوم بوْس ٠ فــاول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الابل شوْماً اي سوداً ٠ واول من يطلع عليه يوم بوْسه يامر به فيُذبح ٠ فحدث انهُ مرّ به رجل يقال له حنظلة ٠ فاراد قتلهُ ٠ فطلب ان يوْجله سنة ٠ ففعل ٠ وقد كفل به احد جلساء النعمان اسمه شريك ٠ فلماَّ حال الحول وكاد النعمان يقتل شريكاً اذا براكب قد ظهر ٠ فاذا هو حنظلة ٠ فتعجّب الملك ٠ وساله ما دعاك الى الوفاء ٠قال : ان لي ديناً يمنعني من الغدر ٠ قال : وما دينك ٠ قال :النصرانية ٠ قال :فاعرضها عليّ ٠ فعرضها ٠ فتنصّر النعمان وترك تلك السنّة من ذلك اليوم وعفا عن حنظلة وشريك (٤)

ويستنتج من كلام الموْرّخين ان كلّاً من النساطرة واليعاقبــة اراد ان يجلب

---

(١) التاريخ السعردي ك : ﻫ .وقصة مار سبريشوع الجاثليق ٣٢٧

(٢) التاريخ السعردي ك : ﻫ وﻫﻮ

(٣) التاريخ السعردي ك : ﻫﻮ

(٤) الاغاني ومجاني الادب ﻪ : ٣٠٩ — ٣١٢

النعمان الى مذهبه . فان اخا النعمان كان يعقوبياً (١) . ولمّا اختاه هند وماريا فكانتا نسطوريّتين كما سبق الكلام . فاضطرب النساطرة واستدعوا الى مساعدتهم سبريشوع اسقف لاشوم فاعل العجائب وايشوعزخا رئيس الدير . وكانت النصرة ايضاً للنساطرة . فامر الملك النعمان بطرد اليعاقبة من مملكته (٢) . واعتمد النعمان في السنة الرابعة لملك خوسرو ابرويز (سنة ٥٩٤) (٣) وتنصّر معه كل اهل الحيرة . وبنى في حاضرة مملكته الكنائس العظيمة (٤) . فلمّا راى الحسن والمنذر ابناه النعمة التي حلّت على ابيهما اعتمذا هما ايضاً بعده بسنةٍ . وعمّذا اهل بيتهما . وامر الحسن عبيده ألّا يمنعوا المساكين عنه عند دخوله البيعة (٥)

امّا ما كان من امر النعمان فانهُ قُتِل مسموماً بامر خوسرو الثاني . فان هذا الملك غضب عليه لانهُ عند هربهِ الى بلاد الروم ساله المسير معه فلم يقبل . وطلب منهُ فرساً كريماً كان لهُ ولم يعطه . وخطب ابنته زوجة لهُ فلم يرضَ النعمان ان يعطيها وقال : اني لا ازوّج ابنتي لرجل زواجه على طريقة البهائم . فجمع خوسرو هذه كلها في قلبه . ولمّا استراح من الحروب اظهر لهُ العداوة . وكان النعمان قويّاً في عشائره ولا سيّما في بني معد انسبائه . فبدأ العرب ينهبون ويسبون . فاحتال ملك الملوك واجتهد كثيرًا في جلبه اليه لكي يقتله ولم يقدر . اخيرًا احتال معنا احد تراجمة النعمان على سيده وحلف له بالانجيل انّ خوسرو يحبهُ ولا يؤذيه اذا انطلق اليه . وكذلك أشارت عليه امراتهُ مويه قائلة لهُ : خير لك ان تموت باسم المملكة من ان تتعرّى من الملك وتبقى مطرودًا . فانخدع النعمان وقصد باب الملك . فلم

---

(١) قصة جبالاها ٣٢٤

(٢) التاريخ السعردي ܬ : ܗܟ و ܗܟܘ . وقصة جبالاها الخ ٣٢١ – ٣٢٧ . وكتاب العفة ܨܡ . وماري ٥٦ . وعمرو ٤٧ – ٤٨ . ولابور ٢٠٦ و٢١٢ . ان ابن العبري (ܬ : ١٠٥) يقول ان النعمان عند تنصّره تمسّك باليعقوبية . غير انهُ يضادد نفسه اذ يقول ان ايشوعياب الجاثليق لما مات قبرته هند بنت (والاصحّ اخت) النعمان في ديرها . فترى اذا كان النعمان يعقوبياً لماذا تدفن ابنته جاثليقاً نسطورياً في ديرها

(٣) التاريخ السعردي

(٤) الاغاني

(٥) التاريخ السعردي وماري ٥٦

يلبث خوسرو ان امر بتسميمه (١) فمات سنة ٦٠٤ (٢) لما مؤرخو العرب فقالوا ان الداعي الى قتله هو ان النعمان كان قد قتل عدي بن زيد . وكان اخو عدي من رجال خوسرو ابرويز . وانَّ خوسرو بعث بالنعمان الى سجن كان لهُ بخانقين فلبث فيه حتى مات . وقال الكلبي: القاه تحت ارجل الفيلة فوطئته حتى مات (٣)

الفصل الثامن

خوسرو ابرويز (٥٩٠) سبريشوع الاول الجاثليق (٥٩٦ — ٦٠٤)
المجمع الكلداني الحادي عشر (٥٩٦)

انَّ خوسرو الثاني كان حدث السنّ يترقَّب النجوم عاملًا بموجبها ومتّكلًا عليها ومنهمكًا في الملذّات . فلمَّا تم له الامر أطلق الذين كانوا محبوسين من الاعيان وردَّ اليهم ما كان ابوه هرمزد قد اخذه منهم . فسُرّ به الناس واحبوه (٤). ومع كونه عادى ايشوعياب الجاثليق لم يضطهد مع ذلك النصارى بل احسن اليهم رعاية بموريقي ملك الروم وامر باكرامهم وتجديد كنائسهم . وكان لهُ امراتان مسيحيتان مريم الرومية بنت الملك موريقي وشيرين الارامية من ارض ميشان . فبنى لمريم كنيستين ولشيرين كنيسة كبيرة وقصرًا في بلاشپار (٥). وهذا القصر قائم الى يومنا هذا وهو المعروف بقصر شيرين . وبقي خوسرو يكرم النصارى طالما كان موريقي في قيد الحيوة ولكن لمَّا قُتل هذا الملك وبدأ النصارى الكلدان يُفسدون على بعضهم ابغضهم ملك الملوك واضطهدهم

من بعد وفاة ايشوعياب الارزنيّ اجتمع الاساقفة لانتخاب خلف له . وطال

---

(١) كويدي ١٢ — ١٣ (٢) مجاني الادب ب : ٣١٣

(٣) مجاني الادب ﭼ : ٢٨٧ ح ١

(٤) التاريخ السعردي ت : قس

(٥) التاريخ السعردي ت : قس . وتوما 2 : حد

بينهم النزاع نحو شهر في من يعيّنونــه مكانه . واخيرًا انتخبوا بامر الملك مار سبريشوع اسقف لاشوم

ان قصة حياة مار سبريشوع طبعها الاب بيجان (١) . وكان له قصة اخرى منها أخذ مؤلّف التاريخ السعرديّ قطعاً كثيرة . وقيل فيها ان مؤلفها هو بطرس الراهب وقال عنهُ التاريخ السعرديّ انه كان رئيس دير بيت عابي . غير ان توما اسقف مرگا الذي كتب تاريخ هذا الدير منذ تاسيسه الى الجيل الثامن لم يذكر بين روسائه واحدًا اسمه بطرس

وُلد سبريشوع نحو سنة ٥٢٤ في قرية بيروز آباد في حدود شهرزور . وعـلى رواية التاريخ السعرديّ وماري انه انتُخب من بطن امه فان والدته رات في حلمها انها رُزقت ابناً ملتحفاً بازار والجنود تسجد قدامه وكانهُ جالس على كرسيّ وعلى راسه تاج من ذهب والناس يزدحمون عليه ويطلبون بركته

ولمّا كبر سبريشوع صار يرعى الغنم ثم ترهّب . ولمّا تعلّم المزامير انطلق الى مدرسة نصيبين على عهد ابرهام دَبيت ربّان طلباً للعلم . وبقي هناك تسع سنين (٢) ملازماً العلم والتقشّف معاً . ولمّاختم دروسه انتقل الى جبل في قردو (٣) ثمّ الى جبل شعران في بيت گرماي وسكن هناك خمس سنين . وانتشر صيته لان الله اجرى على يده معجزات كثيرة . وحسده المجوس . فقبض عليه عامل الناحية وارسلــه الى موهپاط كرخ سلوخ . وبقي هناك مدّة ثم مات مار سابا اسقف لاشوم . فانتخبه اهل هذه المدينة اسقفاً عليهم . ورسمه بختيشوع مطران كرخ سلوخ (٤) وقام باعبــاء وظيفته احسن قيام . فطار صيته في الآفاق حتى ان هرمزد الرابع استدعاه اليــه لكي يراه . ولما ملك خوسرو ابرويز وعُقــد الصلح بين الدولتين كان كل سفير

(١) قصة جبالاها ٢٨٨ – ٣٣١ . راجع عنه ايضاً التاريخ السعردي ܒ : [illegible] وما يلي وماري ٥٧ – ٦٠ وعمرو ٤٩ . وابن العبري ܒ : ١٠٧ . والسمعاني ܓ : ܐ : ٤٤١ – ٤٤٩ . وكويدي ١٠ وما يلي . ولابور ٢٠٩ – ٢١٢

(٢) التاريخ السعردي (٣) القصة تقول انهُ بقي في هذا الجبل ثلاث سنين

(٤) القصة ٣١٦ . اما التاريخ السعردي (ܒ : [illegible]) فيقول ان ايشوعياب الجاثليق رسمه اسقفاً

رومي يذهب الى المدائن يقصد سبريشوع لياخذ بركته لابل انّ موريقي نفسهُ ارسل اليه هدايا وطلب بركته. وكان سبريشوع ذا غيرة متقدة على مجد الله · وبدأ يطوف البلاد المجاورة ويهدي كثيرين من الوثنيين والمجوس الى الديانة المسيحية. وقد راينا ان غيرته حملتهُ على الذهاب الى الحيرة مصحوباً بايشوعزخا الراهب وهناك بهمّة مار شمعون الاسقف نصّر الملك النعمان. ولم يلبث مار سبريشوع بعد تنصر ملك الحيرة ان استدعي الى المدائن لكي يُعقد على راسه التاج البطريركيّ

ان ايشوعياب الاول توفي في السنة السادسة لخوسرو الثاني اي في خريف سنة ٥٩٠ (١) · وبقي الكرسيّ فارغاً بضعة اشهر حتى اجتمع العظماء والاكابر من النصارى وفي مقدمتهم طخريد (٢) درجرو واستاذنوا ملك الملوك في اقامة رئيس عليهم ·فاجتمع الاساقفة في المدائن يوم الجمعة الثالثة من الصوم سنة ٥٩٦ ·ووقع الخلف بينهم · ورفع طخريد امرهم الى الملك · فامر خوسرو ابرويز بنصب مار سبريشوع اسقف لاشوم(٣)·والباتن انّ ما حمل الملك على ذلك هو انّ هذا الاسقف في رجوع خوسرو ابرويز من بلاد الروم وعبوره في بيت كرماي مع الجيوش الروميّة أكرمه واحسن مثواهُ كما تشير الى ذلك القصة نفسها بقولها انّ القائد نرسا الروميّ عند ذهابه الى محاربة بهرام زار هو وجيوشه مـار سبريشوع وطلبوا دعآءه · واعتقد هو وخوسرو الملك انهما ينتصران على العاصي بصلوات هذا الاسقف القديس

واتى في التقليد ان خوسرو الثاني لما كان يحارب باسطام العـاصي وراى جيش العدو وكثرته فكر في الهزيمة واذا بصورة شيخ راهب قصير القامة في يده عصـا قبض على لجام حصانه وجذبه بقوّة واتزلهُ الى الحرب فانتصر · ونقل الملك ذلـك

---

(١) راجع ماري ٥٧ وعمرو ٤٩ . التاريخ السعردي ف: [illegible] . وايليا ١٢٣ . ان التاريخ السعردي في موضع آخر (العدد ٤٢) يكتب السنة الخامسة . وكذلك يكتب ايليا النصيبيني في الصحيفة ٥٢ . لكن السنة الخامسة لخوسرو ابرويز عند ايليا توافق السنة ٥٩٥ . فانّ خوسرو على رواية ايليا ملك سنة ٥٩١

(٢) ماري (٥٩) يكتب طجريد

(٣) التاريخ السعردي ف : [illegible]

الى شيرين امراته فقالت لهُ انّ هذا الشيخ هو سبريشوع اسقف لاشوم فاعل العجائب . فاراد منذ ذلك الحين ان يجعلهُ جاثليقاً (١)

ولم يكن سبريشوع حاضراً بين الاساقفة الذين اجتمعوا في المدائن لانتخاب جاثليق . فلمّا عرف الملك ذلك ارسل حالاً خيالتــه واحضره من لاشوم . وكان وصولهُ الى المدائن يوم الاثنين ثاني الشعانين . ونزل في قصر شيرين الملكة . فلمّا كان يوم خميس الفصح ذهبوا به بزياح لا مثيل لهُ الى البيعة الكبرى ورسمــوه بطريركاً . وفي خروجه من الكنيسة صار عليه ازدحام عظيم حتى انهُ بـكدّ جسيم انتهى الى باب الملك وقد مضى من الليل ثلاث ساعات . فدخل على الملــك مصحوباً بالاساقفة ووجوه المؤمنين وخرج من قصر شيرين الخدام وفي اياديهم مباخر وشموع . فدعا الجاثليق للملك وطلب اليه ان يعيّن ميليس اسقف شنّا نائبــاً بطريركيًا ويأذن للاساقفة في البقآء عنده شهرًا ليصلح معهم احوال الكنيســة . فاجاب خوسرو الى سوًّالهِ (٢)

فعُقد المجمع في ايار من تلك السنة عينها (٣) . وحرم الحناناويين واليعاقبة . وقد سبق القول انّ الحناناويين كانوا يرفضون تفاسير تئودوروس المصيصي ويقولون مثل الخلكيدونيين بطبيعتين واقنوم واحد في المسيح . وكان مركزهم في نصيبين لان زعيمهم حنانا كان رئيس المدرسة هناك . وسترى انّ تعاليمه سبّبت في الكنيسة النسطوريّة سجساً عظيماً دام من منتصف الجيل السادس الى منتصف الجيل السابع

---

(١) التاريخ السعردي [illegible] : [illegible] . وعمرو ٥٠ . وماري ٥٧ . كويــدي ص٨ يقول ان هذه الرؤيا ظهرت لخوسرو لما قاتل بهرام اما تقليد الكنيسة اليونانيــة فذكر ان خوسرو بشفاعة سركيس الشهيــد قهر عدوّه . فانهُ اتى في تاريخ إواغريوس ان الملك موريقي أرسل بالسفارة الى خوسرو الملك غريغوريوس بطريرك انطاكية سنة ٥٩٣ (راجع قصة مار سبريشوع ٣٠٢) . فاكرم ملك الفرس البطريرك كثيرًا وقبل منهُ صليباً مرصعاً بالذهب والجواهر الثمينة كانت تئودورا الملكة اهدته لكنيسة مار سركيس في الرصافة فاخذه خوسرو انوشروان مع اشياء أخرى كثيرة . وبعث ايضاً خوسرو للكنيسة المذكورة صليباً آخر ثميناً كتب عليهِ انهُ اهدى هذا الصليب لكنيسة مار سركيس لانهُ بشفاعتـهِ انتصر على عدوّه زاديسبراس (Zadespras)

(٢) التاريخ السعردي [illegible] : [illegible]   (٣) السنهادوسات ١٩٦

فلاجل مقاومة حنانا وتفنيد تعليمه عيّن المجمع غريغور اسقف كشكر مطراناً على نصيبين . وكان مشهوراً بعلمه الواسع وغيرته المتقدة (١) . لكنهُ لم ينجح . لانهُ كان حادّ الطبع واظهر قساوة شديدة نحو كل من قاومهُ . فطرد الرهبان من اديرة سنجار لانهُ سُعي بهم انهم متمسكون بهرطقة المصلّين (٢) . وعاقب بصرامة جميع كهنة نصيبين واعيانها المتحزّبين لحنانا . وكتب الى مار سبريشوع يعرّفهُ بفساد معتقدهم (٣) والتجأ رهبان اديرة سنجار الى الملك طالبين اليهِ ان يجعل اديرتهم منحلّة من ولاية مطران نصيبين وداخلة تحت حكم البطريرك (٤) . ولمّا كانت السنة ٥٩٨ في شهر اذار اتى المدائن رهبان دير برقيطي ودير حدثا ودير آخر لم يُذكر اسمهُ وتعهّدوا لمار سبريشوع انهم يتمسكون بايمان الكنيسة وتفاسير تئودور المفسّر وبقوانين الرهبان المصريين مُضربين عن الجولان في المدن والقرى . فجعل البطريرك اولئك الرهبان كلهم تحت رئاسة بريخيشوع وآبا وربطهم كما طلبوا بالكرسيّ البطريركيّ مانعاً اي اسقف او مطران كان من التداخل في شؤونهم (٥) فشقّ ذلك على غريغور مطران نصيبين وصار بينهُ وبين الجاثليق عداوة ونزاع . وانتهز الفرصة اهل نصيبين واشتكوا هم ايضاً على مطرانهم . وكتب حنانا رسالة الى الجاثليق فيها يعرّفه عن صحّة معتقده ويطعن بغريغور . فتحزّب مار سبريشوع لحنانا واهل نصيبين وطلب الى الملك ان ينفي غريغور . فاجاب الملك الى سؤاله . وكان ذلك في شهر ايار سنة ٥٩٨ (٦)

وفي شهر ايار سنة ٥٩٩ نشر اهل نصيبين لوآء العصيان على الملك وقتلوا المرزبان (٧) لاسباب لا نعرفها ولمّا اتّصل الخبر بملك الملوك احتدّ غضباً وللحال ارسل اليهم نكورگان القائد مع عساكر كثيرة . وامر مار سبريشوع ان

---

(١) ايليا ١٣٤ (٢) كويدي ١١

(٣) فيهِ ايضاً والتاريخ السعردي ف: ܣܚܕ (٤) السنهادوسات ٢٠٦

(٥) السنهادوسات ٢٠٠ — ٢٠٧

(٦) التاريخ السعردي ف : ܣܚܕ . وكويدي ١١

(٧) التاريخ السعردي ف : ܣܚܘ . راجع ايضاً كويدي ١١

يرافقهُ مع اساقفة بيت كرماي وحدياب ونصيبين حتى يقنع النصيبيين بتقديم الطاعة . ففعل الجاثليق وضمن لهم السلامة اذا فتحوا الابواب وهو لا يعلم بما ضمر لهم القائد من السوء . فلمّا فتحوا المدينة نكّل بهم الجيش ايّ تنكيل اذ نهبوا وسلبوا واخربوا واحرقوا وقتلوا الاشراف قاطبةً وفي جملتهم يزدجرد وهرمزشابور . وهرب كثير منهم الى بلاد الروم وتفرّقوا ايادي سبأ . واسر نكوركان جماعةً منهم وانطلق بهم الى خوسرو ابرويز وماتوا في الحبس . ومن بقي في المدينة ذلّ وخضع . واغتمّ مار سبريشوع بما جرى وعاتب القائد على حنثه في يمينه

ولم يبرح مار سبريشوع مكرّماً لدى خوسرو الثاني واتى في التاريخ السعرديّ(١) انّ موريقي ملك الروم ايضاً اشتاق الى روئيته . فارسل اليهِ مصوّراً اخذ صورتهُ . وواصله بالمكاتبة وطلب دعاءه وقلنسوته تبرّكاً . والتمس اليهِ الجاثليق ان يبعث لهُ جزءًا من عود الصليب المقدس . فعمل موريقي صليباً من ذهب مرصّعاً بالجواهر ووضع فيه جزءًا من صليب المسيح وارسلهُ الى مار سبريشوع . فظفر خوسرو بالصليب واخذ منهُ العود المقدس . فعرف الجاثليق ذلك وردّ الصليب الى موريقي قائلًا : « حاجتي كانت الى جزء من الصليب المقدس . ولفرط محبة خوسرو الملك لامرأته المؤمنة شيرين اخذه لها . فان سمحت جلالتك بجزء آخر والّا فلا حاجة لي في الذهب . »

وفي تلك الاثناء ارسل موريقي الملك پروبا الاسقف بالسفارة الى خوسرو الثاني والى الجاثليق . وكان پروبا هذا فيلسوفاً عالماً عارفاً باليونانية والاراميّة والعبرانية . واتى اسمهُ ماروثا في التاريخ السعرديّ وفروا في كتاب ماري وهما تحريف پروبا . وكان پروبا في اول امره متمسّكاً بالمونوفيسيتية ثم انقاد الى الكاثوليكيين فجُعل اسقفاً على مدينة خلكيدونية (٢) ولما وصل الى المدائن وهو على احسن زيّ تلقّاه طخريد بامر الملك ومعهُ تئودوروس اسقف كشكر وعبدا اسقف بيت دارايي وبختيشوع رئيس المدرسة . فدخل على الجاثليق ليسلّم عليه

---

(١) ت : هو . راجع ايضاً ماري ٥٩

(٢) السمعاني ت : ٧٢ — ٧٧ . وابن العبري 2 : ٢٥٣ و ٢٥٥

فلمّا شاهده جالساً على المسح بثياب رديّة وعلى راسه قلنسوة وهو في زاوية قلايتـهِ لم يعلم انهُ الجاثليق حتى قيل لهُ · فتعجّب من ذلك · وحدث في تلك الاثنآء ان مار سبريشوع أبرأ فتى اعمى واخرس (١) فتحيّر پروبا الاسقف وقـال : حقًّا يا صفيّ الله انّ كلّ فخر بنت الملك من داخل (٢) والذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك (٣) · واقام پروبا عند الجاثليق مدّة شهرين يصير معـهُ الى دار خوسرو الملك ويحضر معهُ في القداس وياخذ القربان بلا تردّد ·وزار المدرسة وخلع على التلاميذ ·وزوّده الجاثليق بطيوب كثيرة وهدايا نفيسة اتتهُ من الهند والصين· ثم انّ خوسرو الملك احبّ ان ينفذ الى موريقي اسقفاً من جهتهِ مستصحبـاً پروبا فانتُخب ميليس اسقف شنا · فاكرمهُ الملك موريقي كثيرًا وانفذ معـهُ جزءًا من الصليب المقدّس الى مار سبريشوع

ولما كانت السنة ٦٠٢ حدثت فتنة اهلية في مملكة الروم قُتل فيهـا موريقي الملك وجُعل مكانهُ فوقا · فاراد خوسرو ابرويز ان ياخذ بثار حميه المحسن اليـه ويسترجع مـا سلّم اليهِ من البلاد · فلمّا كانت السنة ٦٠٤ حمل هو نفسهُ على دارا وامر سبريشوع الجاثليق ان يرافقـهُ· غير ان الجاثليق كان قد ناهز الثمانين من عمره · فلم يقدر ان يذهب مع الملك الى دارا بـل بقي في نصيبين · ثم مرض مرضاً ثقيلًا (٤) · ولما سمع خوسرو بمرضه ارسل من دارا طخربد درجرو لكي يستخبر عن صحتهِ ويطلب دعآءه·وتوفي سبريشوع في الساعة التاسعة من يوم الاحد في الثامن عشر من ايلول (٥) سنة ٦٠٤ وفيهِ يعيّد لهُ الكلدان النساطرة

فحنّطهُ الاطبّآء كما اوصاهم الملك ·وادرجوه في الثياب التي انفذها اليهِ خوسرو وشيرين الملكة · وطرحوا عليهِ المسك والكافور ووُضع في تابوت · وكان اهل نصيبين قد طمعوا في دفنهِ عندهم ·واراد اهل الحيرة ان ياخذوه غير ان تلاميذه حملوه

---

(١) التاريخ السعردي ܒ : ܗܡܒ . وماري ٥٩

(٢) المزمور ܡܗ : ٣٠ بموجب الترجمة البسيطة (٣) متى ܝܐ : ٨

(٤) التاريخ السعردي ܒ : ܟ و ܟܐ . وكويدي ١٤ — ١٥

(٥) ايليا ١٢٥ يكتب :آب

باذن الملك الى الدير الذي شيّده في كرخ جدان في بيت كرماي حسبما اوصاهم في حياتهِ . ولما سمع يزدين الصرّاف بقدومهِ قرع النواقيس في كلّ الكنائس والاديرة وادخلوه الكنيسة بزياح عظيم . وسهروا تلك الليلة وفي الغد قرّبوا الذبيحة الالهية عن نفسهِ . واراد يزدين ان يأخذ صليبهُ الذي فيهِ العود الثمين . فمنعهُ التلاميذ وعرّفوه انهُ اوصى بهِ للدير . فلم يتعرّض لهم

الباب الرابع

في اخبار الكلدان الاثوريين في الجيـــل السابع الى ظهور دولة العرب المسلمين

الفصل الاول

غريغور الجاثليق (٦٠٥ — ٦٠٩)

المجمع الكلداني الثـــاني عشر (٦٠٥)

انّ الكرسيّ البطريركيّ بعد وفاة سبريشوع فرغ نحو سبعـــة اشهر . لانّ خوسرو الثاني كان في ميدان الحرب ولم يمكنهُ ان يامر بالتئام الاساقفة لانتخـــاب جاثليق . فلما رجع من دارا غانماً منصوراً تفكّر في امر النصارى . واستدعى المطارنة والاساقفة الى المدائن لكي يختاروا لهم بطريركاً . وامر ان يُنفق عليهم من مال الخزينة كل لوازم السفر . وكان عدد الاساقفة الذين اجتمعوا تسعـــة وعشرين . وهاك اسمآءهم كما هي محررة في كتاب السنهادوسات : يوسف مطران پراث ميشان . ويوناداب مطران حدياب . وبختيشوع مطران بيت كرماي . والاساقفة تئادوروس (كشكر) . ويوسي (كرخ ليدان) . وجبرائيل (كرخ ميشان) . ويوحنان (بيت نوهدرا) . وسورين (شهرقرت) . ويوسي (هرمزدأرداشير) ويوحنان (ريما) . وطيمثاوس (بيت بغاش) . وأحيشما (شوشتر) . وماروثا (قردو) . وجبرائيل (نهركور) . ويورزميهر (بيت داسان) . وحنانـــا

(ماحوزا اريون) . وشمعون (پيروزشابور) . ويعقوب (شوش) . وكليليشوع (معلثا) . وجبرائيل (حربغلال) . وعبدا (بيث داراي) . وبولس (برحيس) . وقشا (تحل) . وپيروز (طيرهان) . وحنانيشوع (اذربيجان) . ونثنائيل (شهرزور) . وبرحدبشبا (حلوان) . ويزدخوست (ماداي) . وشابور (شنثا)

كان سبريشوع قد أوصى ان يختاروا مكانهُ برحدبشبا الراهب المقيم في جبل شعران . لمّا الاساقفة الذين اجتمعوا في المدائن فانتخبوا غريغور مطران نصيبين المار ذكره لما عرفوا فيهِ من استقامة المذهب وحسن السيرة والغيرة الرسوليّة . وقد سبق الكلام ان سبريشوع الجاثليق طرده من نصيبين فانتقل الى بلدتـه كشكر . فاستاذنوا خوسرو ابرويز في امره . فاذن لهم في رسامتهِ . فلمّا وقف على ذلك ابراهام النصيبينيّ الطبيب وغيره من النصارى المقربين لدى الملك قلقوا واضطربوا . لانهم خافوا ان يأخذ بثاره منهم لما عملوا معهُ اذ كان مطرانهم في نصيبين . فقصدوا آبا الكشكري منجّم الملك وعرضوا عليهِ الامر . فأجمعوا رأيهم واتّخذوا الملكة شيرين آلةً لمكيدتهم . فاختارت شيرين غريغور المفسّر وقدّمتهُ الى الاساقفة ليرسموه جاثليقاً وقالت بهذا أمر الملك . وتمّ ذلك بسهولة لاتّفاق الاسم في الشخصَين . فاطاع الاساقفة امر الملكة . ورسموا غريغور المفسّر جاثليقاً (١) . وكان ذلك في سبت الشعانين في شهر نيسان سنة ٦٠٥ (٢)

انّ غريغور هذا اصلهُ من ميشان من بلدة شيرين الملكة . وكان تامّ القامة حسن الصورة . ولكن ليس باطنه مثل ظاهره . وتعلّم على ايشاي الملفان وصار مفسّراً في مدرسة المدائن . فبعد رسامته دخل بهِ الاطباء على خوسرو ابرويز ليدعو لهُ . فعرف الملك بالحيلة ووبّخ الاطباء . فاعتذر اليهِ آبا الكشكري وقال :

---

(١) من غريغور الجاثليق راجع ماري ٦٠ — ٦١ . وعمرو ٥١ — ٥٢ . والتاريخ السعردي ف : ك . وابن العبري ف : ١٠٧ و ١٠٩ وكويدي ١٥ . والسنهادوسات ٢٠٧— ٢١٤ و ٤٧٢ . وتوما ٣٩ — ٤١ . والسمعاني ج ٢ : ٤٤٩ . ولابور ٢٢١ — ٢٢٣

(٢) ايليا ٥٣ و ١٢٥ . والسنهادوسات ٢٠٧

« انّ شيرين الملكة امرت بهِ لانهُ من اهل بلدتها . وهو مع ذلك ذو فهم وحكمة وعلم . » والباثن انّ الملك قبل حجتهم او بالحري كتم غيظهُ واكرم الجاثليق الجديد

وقبل ان يتفرّق الاساقفة عقدوا مجمعاً في المدائن تحت رئاسة غريغور الجاثليق واثبتوا فيهِ مقرّرات مجمع برصوما بخصوص الايمان وتاليفات تئودور المفسّر والرهبان العائشين خارج الاديرة وحرموا الحناناويين الذين يرفضون تفاسير اسقف مصيصة . والرهبان الذين لا يسكنون الاديرة وكل من يخطف لنفسه او لأهله اموال الاديرة الى غير ذلك

انّ غريغور كان طمّاعاً فيهِ روح العالم وقد عدل عن الحقّ ومال الى اللذات وجمع الدراهم وطالب بها الكهنة والاساقفة واساء السيرة في الرعية . وانتهز الفرصة اليعاقبة والحناناويون وبدأوا يطعنون بهِ عند الملك وعاونهم في ذلك النساطرة انفسهم (١) . فازداد الملك بغضة فيهِ واشهره . فانهُ أمر بتصويره على المراوح باشنع حالة . فصوّره على مروحة وهو يقلّب دجاجة ليفحص عن دسمها . وعلى مروحة أُخرى وهو يقلّب دينارًا وينقده وعلى فخذه صبيّة جالسة (٢) وكان الفرس قد اخذوا من دارا لما افتتحوها كتباً كثيرة . فطرح خوسرو هذه الكتب على غريغور الجاثليق بعشرين الف استار فضة وطالبه بالثمن . فاخذ البطريرك هذا المبلغ من الكنائس ودفعهُ الى الملك . ولم يلبث غريغور ان مات سنة ٦٠٩ . ولعل سبب موته الحزن الشديد الذي تسلط عليه من جراء هذه المعاملات . واغتصب خوسرو الثاني كل ما يملكه غريغور وقبض على تلامذته وحبسهم حتى اظهروا لهُ ماله . وامر ألّا يُنصب للنصارى جاثليق . فبقيت الكنيسة الكلدانية النسطورية ارملة تسع عشرة سنة اي الى وفاة خوسرو ابرويز

(١) توما ٤٠ — ٤١

(٢) التاريخ السعردي ت: ك . راجع ايضاً توما ص ٤١ حيث قيل ان بعض الاساقفة ايضاً أشهروا نظير غريغور

الفصل الثاني

فراغ الكرسي المدائني البطريركي (٦٠٩ — ٦٢٨)

ان الكنيسة النسطورية بعد وفاة غريغور الجاثليق اصابتها نكبات هائلة كادت تسقطها مصروعة لولا همّة بعض المطارين والرهبان وغيرتهم . فانهُ قام عليها منذ اواسط الجيل السادس كما اشرنا ثلاثة اعداء اقوياء وهم : المصلون واليعاقبة والحناناويون . وتقوّوا اكثر ما يكون في الربع الاول من الجيل السابع

١ المصلّون

ان هرطقة المصلّين (ܡܨܠܝܢܐ) ظهرت في الاديرة بين الرهبان (١) . ونشأت في القرن الرابع في اطراف اورهاي . ومبدعوها شمعون وهرمس ودادو واوسابيوس (٢) فتظاهر هؤلاء الرهبان بطريقة انطونيوس ابي الرهبان . اما باطنهم فهو على خلاف ذلك . وادَّعوا انهم بصلواتهم قد بلغوا الى طبقات الروحانيين وان روح القدس يظهر لهم ويخاطبهم . وكانوا يواظبون على الصلوة ولذلك لُقّبوا بالمصلين وقالوا ان من ادمن على الصلوة بلا ملل قَبِل الروح القدس ثانيةً كقبوله اياه في المعموذية وقَبِل الوحي وسقطت عنه شهوات الخطية . فلذلك كل من ادَّعى منهم انهُ قبل الروح القدس احتقر الصوم والتقشف والسهر والاعمال الصالحة وشغل الايدي . فقعد النهار كله بطالًا نائمًا منتظرًا ان ينزل عليه الوحي . معتقدًا ان الاحلام هي من الروح القدس وانه لا منفعة من اخذ القربان المقدس . وبلغ بهم الشرّ الى ان اباحوا اشنع الخطايا قائلين ان لا خطية بعد ظهور المسيح . فكان شأن هؤلاء

---

(١) عن المصلّين راجع التاريخ السعردي ٢ : ١٦٧ — ١٦٨ . وكتاب اسكوليون لثودوروس بركوني طبعة ادي شير ܦ : ٣٢٨ ٣٣١ . والتاريخ البيي لتيلمون ܡܡ : ٢٢٢ — ٢٢٦

(٢) بركوني يكتب : سابا ودادو ودالاب وهرمس وشمعون

الرهبـــان الجولان في المدن والقرى مظهرين النسك وعائشين من صدقات المؤمنين وهم يرتكبون انواع المنكرات

وانتشرت هذه الهرطقة في الكنيسة الكلدانية النسطورية في منتصف الجيل السادس. وقد حُرمت في مجامع حزقيال وايشوعياب الاول وسبريشوع وغريغور الجثالقة كما مرّ بك. وكان مركزهـا في اطراف سنجار. وقد رأينا ان سبريشوع الجاثليق رجّع منهم كثيرين ومنعهم من ان يطوفوا في المدن والقرى وجبرهم ان ينقطعوا في الاديرة. ثم في بداية الجيل السابع انتشرت هـذه الهرطقة وقويت في ابرشية حدياب كما اخبرنا توما اسقف مركا في كتاب الرؤساء

٢ اليعاقبة

اما الهرطقة المنوفيسيتية فكانت اكثر خطراً. فان برصوما اسقف نصيبين مع كل جهده لم يقدر ان يستأصلها بالتمام من مملكة الفرس. وبقيت تكريت متمسكة بها تمسكاً شديداً. وعلى عهد شيلا الجاثليق اجتهد اليعاقبة ان يتمكنوا في الحيرة فلم يقدروا. لان النساطرة قهروهم وطردوا من هنـاك رئيسهم شمعون اسقف بيت ارشام (١) ومع ذلك كان عدد اليعاقبـة يزداد في مملكة الفرس بالاسرى الروميين الذين ساقهم خوسرو انوشروان الى بلاده في الحرب الاولى التي دامت من سنة ٥٤٠ الى سنة ٥٤٦ وفي الحرب الثانيـة التي بدأت سنة ٥٧٣. وفي تلك المدة بذل يعقوب البراذعي ما لا يمكن وصفهُ من الهمـة والتعب والتفنن في تثبيت اهل سوريا وما بين النهرين على معتقد الطبيعة الواحدة. ولا بد من انهُ اتى ايضاً هذه البلاد ليبثّ فيها تعاليمه المنوفيسيتية (٢) وفي سنة ٥٥٩ اسام احودإمّه اسقفاً على تكريت . واجتهد هذا الاسقف الجديد في تقوية مذهبـه . ونصّر كثيرين من المجوس وفي جملتهم احد ابناء خوسرو الاول فعمـده وسماه كيثوركي (٣) وقبض

(١) انظر ص ١٦٥

(٢) التاريخ السعردي ف : ٤٩ . وابن العبري ف : ٩٩ . وميخائيل ٣٦٨

(٣) من المحتمل ان كيثوركي هذا هو كريكور (غريغور) الشهيد الذي قتله انوشروان سنة ٥٤٣ (انظر صفحة ١٨٣) وان المؤرخ اليعقوبي جعلـه ابناً لخوسرو الاول وتلميذاً لأحودامه

عليه الملك والقاه في الحبس حتى مات سنة ٥٧٥ (١)٠ولم يقدر اليعاقبة ان ينتخبوا مكانهُ اسقفاً آخر حتى مات خوسرو انوشروان سنة ٥٧٩٠وفيها عينوا لهم اسقفاً رجلًا يقال لهُ قاميشوع٠وبدأ هذا الاسقف يرسم اساقفة للكراسي الفارغة٠ومات سنة ٦٠٩ (٢)٠ومن بعد موته بقي اليعاقبة بدون رئيس خمس سنين اي الى سنة ٦١٤ التي فيهـا قام مكانه شموئيل ومات سنة ٦٢٤ وبقي بعده الكرسي فارغاً خمس سنين ايضاً

هذا ما قالهُ ابن العبري وميخائيل عن اساقفة تكريت اليعاقبة٠وقال ميخائيل عن دير مار متى انهُ بعد برساهدي الـذي قتلهُ برصوما مطران نصيبين الى كريسطوفوروس بطريرك الارمن ورسم مطراناً للدير المذكور رجلًا اسمه گرماي وگرماي قبل ان يموت اسام ماري (٣) وماري وضع يده على ايشوعزخا وايشوعزخا رسم ساهدا وساهدا اسام شمعون وشمعون وضع يده على كريسطوفوروس (٤)

ان تقليد اليعاقبة هذا عن دير متى مصنَّع ملفَّق٠اولًا لانهُ لا صحة كما رأينا (٥) لما قيل عن ان هـذا الدير أُسس على يد مار متى تلميذ اوجين وان برساهدي كان اسقفاً عليه على عهد برصوما مطران نصيبين ٠ ثانياً يظهر في كلام ميخائيل تصنع وتعسف ظاهر٠فانهُ يقول:« اننا كتبنا ما كتبنا (عن اساقفة دير متى) ليُعرف من اين تسلسل الاساميذ في المشرق٠» فترى ان هذه النبذة تشبه كل الشبه النبذة الموجودة في اخر ملفانوت ادي وقصة شربيل الشهيـد (٦) وان كريسطوفوروس جاثليق الارمن الذي قيـل عنهُ انه اسام گرماي ليس الّا كريسطوفوروس اسقف الدير المذكور في النبذة٠ ثالثاً اتى في تقليد النساطرة ان دير مـار متى كان بيدهم الى نهاية الجيل السادس وانما بواسطة جبرائيل طبيب خوسرو الثاني ضبطهُ اليعاقبة (٧)

---

(١) المؤرخون اليعاقبة يقولون انهُ قُتل غير ان نيلديك يثبت انهُ مات حتف انفـه (دوڤال الآداب السريانية ٣٦٦)
(٢) ابن العبري ج٣ : ١٠٩ — ١١١
(٣) ابن العبري ج٣ : ١٠٣ يكتب طوبانا
(٤) ميخائيل ٤١٣ وابن العبري ج٣ : ٨٧ و ١٠٣
(٥) انظر ص٩٣ و ١٠٤
(٦) انظر ص ٣ و ٥
(٧) قصة برعدتا ٥٦ و ٥٧ راجع ايضاً خلاصة قصة برعدتا لادي شير ٢٥ و ٣٢

وكيفما كان الامر فان مركز اليعاقبة في مملكة الفرس كان تكريت . وكان يوجد ايضاً كثيرون منهم في ارزون . وكذلك معظم سكان ما بين النهرين الخاضعة للروم والمتصلة بمملكة الفرس كانوا يعاقبة . فكان مرسلو المنوفيسيتية ينقضُّون من طور عابدين وتكريت على ارض اثور ويبثون فيها تعاليمهم . لكنَّ النساطرة استدركوا الامر . فانَّ مدرستهم في نصيبين ودير مار ابراهام الكبير في جبل ايزلا كانا حاجزَين عظيمين يمنعان اليعاقبة من الدخول في مملكة الفرس . وما برحت مجامعهم تحذر من المنوفيسيتية وترشقها بالحرم كما راينا في الفصول السابقة . وحيث ان ملوك الفرس بسطوا اجنحة الحماية على النساطرة في مملكتهم صرف اليعاقبة اجلَّ همَّتهم الى استجلاب العرب الذين في الحيرة . لانَّ هذه المدينة كانت نوعاً ما مستقلّة . ولكن هناك ايضاً كانت النصرة للنساطرة وانتصروا انتصاراً تامًّا في سنة ٥٩٤ اذ ادخلوا الى مذهبهم النعمان الرابع ملك الحيرة وجميع آل بيته (١) . وفي نحو ذلك الزمان طرد ايضاً طيطوس اسقف حدَّثا النسطوري اليعاقبة الذين انتشروا في كرسيّه منذ سنة ٥٥٥ (٢)

كان طيطوس مجوسياً من نواحي شهرزور (٣) . ثمَّ تنصَّر وتخرَّج في مدرسة كرخ سلوخ (٤) على دنحا الملفان . ثمَّ أُسيم اسقفاً لمدينة حدَّثا عن يد حزقيال الجاثليق (٥٧٠ — ٥٨١) . فقاوم شديداً اليعاقبة وجادلهم وقهرهم وطردهم من المدينة . والذي ساعده في هذا الامر يزدين الصرَّاف . فقد قيل عنهُ انهُ لما خرج سنة ٦٠٤ مع خوسرو ابرويز على دارا دفع الى طيطوس ثلثمائة دينار بنى بها كنيسة حدَّثا . وتوفّي هذا الاسقف في ٦ كانون الاول وفيهِ يعيّد لهُ الكلدان (٥)

---

(١) انظر ص ٢١٠ (٢) ان التاريخ السعردي [illegible] : [illegible] : يكتب سنة ٩٦٦ لليونان (٦٥٥ م) وهو غلط عوض ٨٦٦ . فان التاريخ نفسهُ يقول ان طيطوس اسيم على يد ايشوعياب الارزني وكتاب الغفة يكتب ان حزقيال رسمه ومن المعلوم ان هذين الجاثليقين جلسا من سنة ٥٧٠ الى ٥٩٥ (٣) راجع عن طيطوس كتاب الغفة [illegible] . والتاريخ السعردي [illegible] : [illegible] (٤) التاريخ السعردي يكتب : المدائن

(٥) الكلندار النسطوري

اما اليعاقبة فرغماً عن هذه الكسرات المرّة المتعدّدة لم يقطعوا الرجاء . وما زالوا يجتهدون في نوال مرامهم حتى سنحت لهم الفرصة على عهد خوسرو ابرويز وذلك بعد وفاة سبريشوع الجاثليق . فضربوا النساطرة ضربةً مؤلمة . وجرى ذلك على يد جبرائيل الطبيب

كان جبرائيل رئيس اطباء خوسرو الثاني وعُرف باسم دروستبد او السنجاريّ لانّ اصلهُ من سنجار (١) . وكان يعقوبياً في اوّل امره . ثمّ اعتنق المذهب النسطوريّ لانهُ اخذ امراة نسطوريّة من عائلة شريفة . ثمّ تزوّج بامراتين مجوسيتين . فحرمهُ سبريشوع البطريرك . وتشفّع فيه الملك لحلّه من الحرم ولم تُقبل شفاعتهُ . حتى انهُ لما دنت وفاة الجاثليق وهو في نصيبين ارسل اليهِ الملك مَن يسالهُ ان يرفق بجبرائيل ويقبلهُ في شركة الكنيسة ولم يجبهُ الى ذلك (٢) . فانتهز اليعاقبة الفرصة واستجلبوا اليهم هذا الرجل المقتدر . فاصبح جبرائيل من الدّ اعداء النساطرة واضرّ بهم كثيراً . لانهُ كان موقّراً عند الملك خوسرو الثاني وقد عالج شيرين الملكة فرُزقت ابناً سمّتهُ مردانشاه (٣) . فانقادت هي ايضاً الى رايه وصارت يعقوبية . وضبط جبرائيل من النساطرة اديرة كثيرة منها دير شيرين ودير پثيون (٤) ودير متى في جبل الباپ (٥) . واراد يوناداب مطران حدياب ان يرجّع دير متى (٦) ولم يقدر . وعلى رواية كاتب قصة برعيتا انهُ في تلك الاثناء اعتنقت بعض قرى آثور المذهب اليعقوبيّ

٣ً الحناناوّيون

الحناناوّيون كانوا اكثر خطراً من المصلّين والمنوفيسيتيين لانهم كانوا من الاهالي

---

(١) راجع عن جبرائيل كويدي ١٢ والتاريخ السعردي ܦ : ܗܠ و ܢܒ وܥܐ وابن العبري ܦ : ١٠٩

(٢) كويدي ١٠ . والتاريخ السعردي ܦ : ܢܒ

(٣) انّ في تواريخ اواغريوس ان الله رزق شيرين ابناً بشفاعة سركيس الشهيد . فارسلت هذه الملكة الى كنيسته في الرصافة هدايا كثيرة

(٤) كويدي ١٦

(٥) قصة برعيتا ܡܘ . وخلاصة قصة برعيتا لادي شير ٣٢ — ٣٣

(٦) كويدي ١٦

الوطنيين ومن اجلّ العلمآء . وعلّموا انّ في المسيح طبيعتين واقنوماً واحداً ورفضوا في تفاسيرهم للكتاب المقدس آرآء تئودور اسقف مصيصة الذي كان النساطرة قد ترجموا جميع تآليفهِ الى الكلدانية ويعتمدون عليها في كلّ خصوص (١) . وقد سبق القول انّ رئيسهم كان حنانا الحديابي. وروى عنـهُ باباي الكبير في جهاد كيوركيس الشهيد انهُ قال بالقدر وانكر قيامة الاجساد والدينونة والقصاص الابدي وما شاكل ذلك (٢) . ولكن لا صحّة لهذه الاقوال. وهذا لعمري شان اغلب اهل الجدال. فانهم يبالغون دائماً في ما يقولهُ اخصامهم ساندين اليهم ما لم يقولوه ولا علّموه . ونرى من المقالتين اللتين الّفهما حنانا في الباعوث وفي جمعة الذهب انّ هذا الملفان كان بعيداً عن هذه التجاديف بُعد المشرق عن للغرب

كان حنانا من حدياب كما يدل لقبه (٣) .وتعلّم في مدرسة نصيبين على موسى المعلّم على عهد ابراهام دبيت ربان رئيس المدرسة (٥٠٩ — ٥٦٩) . ولعلّ موسى هذا هو الذي تلمذ مار آبا الكبير والذي على طلبه الّف توما الاورهاوي مقالتَيه في الميلاد والدنح (٤) . وقال التاريخ السعرديّ عن حنانا انـهُ كثّر نظره في كتب المخالفين وفسّر اشيآء خالف فيها تئودوروس المفسّر . ولما رأى ابراهام منهُ ذلك ألحّ على بولس مطران نصيبين ان يطرده من المدينة . فاجاب المطران الى سواله ولكن لمّا مات ابراهام وصار عوضه رئيساً للمدرسة ايشوعياب الارزنيّ سنة ٥٦٩ رجع حنانا الى المدرسة . وكان لهُ فيها عدّة تلاميذ يتبعون آرآءه . ولهذا فمن بعد وفاة ابراهام برقرداحي خليفة ايشوعياب الارزنيّ عُيّن حنانا رئيساً على المدرسة سنة ٥٧٢ (٥)

فاوّلًا تصدّر حنانا في المدرسة ارخى العنان لتعليمه . وتحزّب لهُ اكثر تلامذة

---

(١) كتاب مدرسة نصيبين ٢٩ — ٣٠. ولابور ٢١٤ — ٢١٥

(٢) قصة چبالاها ٤٧٧ و٤٩٦

(٣) عن حنانا راجع مدرسة نصيبين ٢٨ — ٣٥. وبرحدبشبا عربايا ٧٦ — ٧٩. ومقالات ايشاي الملفان وحنانا حدياببايا ٧ — ١٠ . والتاريخ السعردي ܟ: ܚܕ ܘܩܕ .

(٤) راجع ص ١٧٣ ح ٤

(٥) برحدبشبا ٧٦

المدرسة . وكانوا ثمانمائة على رواية مساري . وثلاثمائة ونيف على رواية التاريخ السعرديّ وخمسمائة على قول مؤلّف مختصر قوانين المجامع الغربيّة والشرقيّة(١) . وتحزّب لهُ اغلب اشراف المدينة (٢) وبعض من رهبان دير مار ابراهام الكبير (٣) وانقاد ايضاً الى رايه شمعون مطران نصيبين (٤) . فاضطرب الاساقفة النساطرة وقلقوا . وحرموا تعليم حنانا في المجمع الذي عقدوه في المدائن سنة ٥٨٥ . وهدّدوا بالحرم شمعون المطران الذي امتنع عن الحضور الى المجمع . غير ان تعليم حنانا تقوّى لحرمه الاساقفة ثانية في مجمع مار سبريشوع الجاثليق سنة ٥٩٦ . ومن الامر الغريب انّ الاساقفة في المجمعَين المذكورَين لم يذكروا اسم حنانا وذلك اما لاجل ما كان لهُ من المنزلة الرفيعة عند الجميع واماً رعايةً لهُ واملًا انهم بهذه الطريقة يسهل عليهم ترجيعه عن آرائه

وعلى هذا الامل عيّن مجمع سبريشوع غريغور اسقف كشكر مطراناً لنصيبين . لان شمعون مطرانها توفي وجلس مكانهُ جبرائيل بن روفينا . وكان هذا منكبّاً على علم الفلك والتنجيم فطرده اهل نصيبين . امّا غريغور فافرط بقساوتهِ وغيرته كما ذكرنا سابقاً وعوضاً عن ان يداوي الجروح وضع عليها خلًّا . اذ انهُ حرم حنانا وجميع اشراف نصيبين المتحزّبين لهُ . وعامل الكهنة بقساوة شديدة وطرد رهبان اديرة سنجار الذين اخذهم مار سبريشوع الجاثليق تحت حمايتهِ . فكثرت عليهِ الشكايات حتى انهُ لمّا كتب الى سبريشوع يعرّفهُ باعتقاد حنانا لم يُصغِ الجاثليق الى كلامه . بل ساعد حنانا الذي اشتكى على غريغور ايضاً . فامر الملك بخروج هذا المطران من نصيبين ولزم دير شاهدوست . ولم يكتفِ الجاثليق بذلك بل اراد ان يحرمهُ ايضاً . غير انّ الاساقفة منعوه . وخلّى الملك سبيله فمضى الى بلده وانفرد في البرّية بين نفر وكشكر ملازماً الصوم والصلوة . ثمّ انتقل الى مكان

---

(١) هذا الكتاب موجود في مكتبتنا السعردية (راجع قائمة المخطوطات الارامية والعربية التي في مكتبة سعرد الكلدانية تاليف ادى شير العدد ٦٧

(٢) التاريخ السعردي ܦ : ܚܕ

(٣) قصة جبالاها الخ ٥٠٣ (٤) السنهادوسات ١٦٣

يُعرف بزَّاذنهراوانا (ܒܝܬ ܙܕܢܗܪܘܐܢܐ) ونصب فيه ديرًا جليـلًا . وكانت وفاتهُ سنة ٦١٢ (١)

انّ خروج غريغور من نصيبين سبَّب فتناً اهليّة في مدرستهـا . فترك اغلب التلاميذ المدرسة او طُرِدوا منها لانهم لم ينقادوا الى آرآء حنانا . فخرجوا من المدرسة حاملين الاناجيل والصلبان في مقبلان لسود ومباخر. وهجروا المدينـة وهم يصلّون صلاة الباعوث واهل نصيبين يبكون على خروجهم . ولم يبق في المدرسة سوى عشرين نفرًا ودونهم صبيان. غير انّ بعض الذين تركوا المدرسة رجعوا اليها ثانيةً وتمسَّكوا بتعليم حنانا . منهم اشعيا تلحلايا ومسكينا عربايا واحا . واماَّ الآخر فلمّا بلغوا باب المدينة ختموا الصلوة وودّع بعضهم بعضـاً وتفرّقوا . فمضى بعضٌ منهم الى دير مار ابراهام الكبير وغيرهم قصدوا مرقس اسقف بلد. ففتح لهم مدرسة خارج المدينة وجمعهم فيها . وكان من جملة الخارجين من مدرسة نصيبين ايشوعياب كُدالايا وبرحدبشبا عربايا وايشوعياب الحديابي وميخائيل اللفان وبولس المفسّر في دير ابيمالك (٢)

انَّ الميل الذي صار يومئذٍ في الكنيسة النسطوريّة الى اتّباع حنانا في آرائـه الكاثوليكية كان عظيماً . فانّ اشراف نصيبين تحزّبوا لهُ قاطبةً وتحزَّب لهُ ايضاً كثير من الرهبان كما سبق القول . وبيان انّ مطارنة تلك المدينة تبعوه ايضاً في رايه وساعدوه . فانّ شمعون واحادآبوي ساعداه بنظم امور المدرسة . وقرياقوس الذي رافق ايشوعياب كُدالايا في سفره الى بلاد الروم سنة ٦٣٠ سُعي به انهُ يعتقد

---

(١) التاريخ السعردي ܦ : ܩܟܕ. وكويدي ١١ . ومدرسة نصيبين ٣١ و٣٢

(٢) استنادًا على تاريخ الربان هرمزد تأليف الاب اليشاع ذهبنـا في كتاب مدرسة نصيبين ان خروج التلامذة من المدرسة كان سنة ٥٨٢ . غـير ان ذلك ليس من المحتمل . لان خروجهم صار على عهد سبريشوع الجاثليق بين سنة ٥٩٦ التي فيها صار غريغور مطرانًا على نصيبين وسنة ٦٠٢ التي فيها خلفه احاد أبوي وقد اتى في التاريخ السعردي ان غريغور مـات سنة ٦١٢ . وذكر ايشوعياب الحديابي في جهاد ايشوعسبران ان منفى غريغور طال خمس عشرة سنة وعليه فيكون طرد هذا المطران من نصيبين وخروج التلامذة سنة ٥٩٨

معتقد الملكيّين (١) . وايشوعياب كْدالايا نفسهُ في سفره هذا اقرّ علانيةً بالمعتقد الكاثوليكيّ واقتدى به ايضاً ساهدونا اسقف مـاحوزا أريون كما سترى . لا بل من المحتمل انّ حنانا جلب ايضـاً مار سبريشوع الجاثليق الى تعليمه . والّا فلماذا تحزّب لهذا الملفان . هذا وانّ تلامذة حنانا تبدّدوا في اراضي اثور وكلدو وبثّوا فيها تعاليم معلّمهم (٢)

٤ْ الفتن في الكنيسة

كيوركيس الشهيد (٥٧٦ — ٦١٥) احتجاج اساقفة النساطرة (٦١٢)

انّ خسرو الثـاني الملك لم يكن يبغض النصارى كما قيل عنهُ . والّا فكيف اخذ امرأتين نصرانيتين اعني بهما مريم الروميّة وشيرين الاراميّة . وكيف بنى لهما عدّة كنائس واديرة . وان قيل انـهُ رعايةً لموريقي ملك الروم اكرم النصارى واحسن اليهم نراه مع ذلك بعد قتل موريقي يوقّر الاساقفة ويكرمهم الكرامة كلها وعند انتخاب خليفةٍ لسبريشوع الجاثليق امر عماله ان يرسلوا المطارين والاساقفة الى المدائن على نفقة الدولة . ورأينا انهُ في اوّل امره رغماً عمّا فعلهُ موريقي الملك معهُ من الاحسان لم يكرم ايشوعياب الجاثليق لانهُ لم يخرج معهُ الى بـلاد الروم . فالامر الذي حمّل خوسرو الثاني على النصارى لم يكن تعصّبه بل كانت القباحة من النصارى انفسهم

ذكرنا سابقاً انّ اهل نصيبين عصوا على ملك الملوك وقتلوا مرزبانهم . ولمّا كان خوسرو يحاصر دارا هدم احد العمّال كنائس شهرزور . فهيّج عليه نثنائيـل الاسقف الشعب كله فقاموا عليه وطردوه من عندهم . فاتى العامل لدى الملـك وسعى بالنصارى قائلًا . « انت تحارب عن النصـارى (اي عن تئودوسيوس بن

---

(١) التاريخ السعردي ب : [illegible] . راجع ايضاً رسائل ايشوعياب الحديابي طبعة دوفـال باريس ١٩٠٤ ص ١٤٢

(٢) التاريخ السعردي ب : [illegible]

موريقي) وهم يطردونني(١) .» والذي شقَّ على خوسرو الثاني هو المكر والخيانة التي جرت في انتخاب غريغور الجاثليق . ومما زاد الشرَّ الشقاقات والنزاعات التي جرت في تلك الاثناء بين النصارى . فانَّ كل فرقة منهم كانت تحمّل الملك على الاخرى ولكلٍ منها رجال على باب الملك

كان المتحزّب لليعاقبة جبرائيل السنجاريّ وقد مرَّ الكلام عنه . والمتحزّب للحناناويّين يوحنان السندوري (٢) وابراهام الطبيبان . وللنساطرة يزدين الصرّاف وآبا الكشكري المنجّم . كان يزدين من كرخ سلوخ . وقد اثنى عليه المؤرّخون احسن ثناء فلقّبوه برئيس المؤمنين وقالوا عنه انهُ كان محامي الكنيسة المسيحيّة في المشرق مثلما قسطنطين الكبير وتئودوسيوس الملكان كانا في المغرب . وانهُ شيّد كنائس واديرة كثيرة . وكان محبوباً معزّزاً لدى خوسرو ابرويز كما كان يوسف عند فرعون . وكان يرسل اليه كلّ صباح الف استار لانهُ قلّده الولاية من بيت كرماي الى نصيبين

فكان لكلٍ من هؤلاء الرجال عند الملك مكانةٌ ومنزلة . والظاهر انهُ بعد وفاة غريغور الجاثليق اتّفق جبرائيل السنجاريّ مع الحناناويّين على ان يجعلوا حنانا جاثليقاً (٣) . فاضطرب النساطرة ورفعوا اصواتهم ضدَّ هذا الانتخاب واشتدّ الخلف والشقاق حتى انَّ الملك أمر الّا يُنصب للنساطرة جاثليق . فبقيت الكنيسة الكلدانية النسطوريّة بدون بطريرك نحو تسع عشرة سنة (٤) . وامر ايضاً الّا يُنصب رئيسٌ لليعاقبة . فبقيت كنيستهم من دون مطران خمس سنين (٥)

غير انَّ جبرائيل الطبيب لم يبرح من تجديد الحملات حتى انهُ في السنة ٦١٢ كاد ينتخب للجثلقة واحداً من حزبه او احد الحناناويّين (٦) . فقلق اساقفة

---

(١) التاريخ السعردي ܦ : ܥܕ . وكويدي ١٤ — ١٥

(٢) التاريخ السعردي ܦ ٧٠ و٧١ . واما في العدد ٩٢ فيسميه يوحنان بن اخسيدوريّ

(٣) التاريخ السعردي ܦ : ܦܗ

(٤) كل المؤرخين يكتبون سبع عشرة سنة . غير ان بين سنة ٦٠٩ التي مات فيها غريغور وسنة ٦٢٨ التي مات فيها خوسرو الثاني ١٩ لا ١٧ سنة

(٥) ابن العبري ܦ : ١١١ (٦) قصة جبالاها الخ ٥٠٥ — ٥٠٦

النساطرة واجمعوا قوتهم لكي يذهب سعي جبرائيل ضياعاً وينتخبوا هم جاثليقاً من خاصتهم . فاجتمع في المدائن يونا داب مطران حدياب وشوحالماران مطران كرخ سلوخ وايشوعياب عربايا اسقف بلد وجبرائيل اسقف نهر كور وسركيس كشكرايا الملفان (١) ولم يجسر هؤلاء الاساقفة ان ينطلقوا دون وسيط الى باب الملك . فالتجأوا الى راهب اسمه كيوركيس من دير مار ابراهام الكبير . وطلبوا اليه ان ياتي لمساعدتهم

وُلد كيوركيس (٢) نحو سنة ٥٧٦ في ناحية حيشتر في ارض بابل . وكان اسمهُ في المجوسيّة ميهرماكُوشنسب . واسم ابيه بابي وكان مرزباناً في نصيبين . واسم جدّه آبا وكان من العائلة الملوكيّة وموهباطاً في ماحوزا حدثا . وكان لهم قصور وبيوت كثيرة في المدائن . وتخرّج كيوركيس في علم المجوس حتى انّ الملك هرمزد الرابع احضره بين يديه وخلع عليه وامره ان يكون في خدمته وكان لهُ اخت اسمها هزاروي تزوّج بها على عادة المجوس

وحدث في تلك الاثناء وبأ في المدائن . فهرب كيوركيس الى احد قصوره فصاده الله هناك وفتح عينيه على يد وكيل خرجه . وعرّف اخته بميله الى الديانة المسيحيّة . فافترقت منهُ وتزوّج هو بامرأة نصرانيّة . وانطلق الى الحيرة وهناك عمّده اسقفها شمعون بن جابر الذي عمّذ النعمان الرابع ملك الحيرة . وكان ذلك في سنة ٥٩٦ . واتخذ في عماده اسم كيوركيس . وانتقل من هناك الى بلاد حدياب ودخل مدرسة بيث رستاق وتعلّم المزامير . وارسلت اليه اخته خبرًا ان لا خوف عليه من الملك لانهُ لم يقل عنه شيئاً لمّا سمع بتنصّره . فرجع عندها ولم يلبث ان نصّرها . فعمّذها مار سبريشوع الجاثليق في عيد القيامة وسمّاها مريم . ثمّ انّ كيوركيس ومريم اعتقا العبيد والجواري قاطبةً وتركا الاملاك والقصور وانطلقا

---

(١) كويدي ١٦ والتاريخ السعردي ب : [illegible]

(٢) قصة كيوركيس كتبها باباي الكبير وكان معاصرًا لهُ . وقد طبعها الاب بيجان سنة ١٨٩٥ (قصة جبالاها الخ ٤١٦ — ٥٧١ . راجع ايضاً عنهُ التاريخ السعردي ب : [illegible] . وكتاب العفة [illegible] . وكويدي ١٦ — ١٧

الى نصيبين . فدخلت مريم دير الراهبات المعروف بدير مارت ثارسوي وواظب كيوركيس على الدرس في مدرسة نصيبين . وفي تلك الاثناء مرّ شمعون بن جابر الاسقف بنصيبين قاصداً القسطنطينية . فرافقه كيوركيس . وفي رجوعه دخل دير مار ابراهام الكبير وترهّب فيه ولزم باباي الكبير . وجادل كثيراً الحناناويّين واليعاقبة (١)

فلما اخذ كيوركيس رسالة الاساقفة لبّى بسرعة دعوتهم ورافقهُ اندراوس وميخائيل الكاهنان وطيمثاوس وكوسيشوع الشماسان وحنانيشوع (٢) . وكان هذا الاخير من الحيرة ومعروفاً من خوسرو الثاني . وصار لكيوركيس ورفاقه استقبال عظيم حيثما وصلوا ولا سيّما في كرخ سلوخ . ولمّا بلغوا الى المدائن طلب الاساقفة الذين ذكرناهم الى كيوركيس ان يرى احد رجال الدولة حتى يعرضوا بواسطته امرهم الى ملك الملوك . فشاور كيوركيس بعض النصارى المقرّبين لدى الملك . فاشاروا عليه ان يصرف الاساقفة عن التماسهم واظهروا لهُ ما لجبرائيل السنجاريّ من القدرة والجاه لدى الملك . فلم يلتفت كيوركيس الى قولهم بل دخل على پروخان وكان مقرّباً من الملك وطلب اليه ان يعرّف خوسرو عن مجيء الاساقفة لكي يلتمسوا منهُ ان يأذن لهم بانتخاب رئيس . فعرض پروخان ذلك على الملك . وكشف الملك هذا الامر الى جبرائيل الطبيب وامراته شيرين . ثم امر ان يُظهر النساطرة صحة ايمانهم قبل ان ينتخبوا لهم رئيساً

فكتب الاساقفة النساطرة احتجاجاً فيه دافعوا عن ايمانهم وردّوا اقاويل المنوفيسيتيين (٣) وفي مطلعه يثنون كلّ الثناء على خوسرو ابرويز ويشكرونه عمّا فعل معهم من الاحسان . ويطلبون اليه ان يعيّن لهم رئيساً . ثمّ تأتي صورة الايمان ويعقبها تفنيد المزاعم المنوفيسيتية في سرّ التجسّد . وعرضوا هذا الاحتجاج على خوسرو الثاني . غير انّ الملك لم يجاوبهم وبقي الامر على حاله

---

(١) كتاب العفة ܦܘ . والتاريخ السعردي ܒ : ܦܗ . والقصة ٤٩٥ — ٤٩٦

(٢) التاريخ السعردي ܒ : ܦܕ و ܦܗ

(٣) هذا الاحتجاج طبعه الاب شابو في كتاب السنهادوسات ٥٦٢ — ٥٨٠

ولَّما قرب الصيف وخرج الملك الى مصيفه في ماداي تبعهُ الاساقفة والرهبان ظنًّا منهم انهم ينالون منهُ الاذن بانتخاب جاثليق ومكثوا هناك مدَّةً لا يسالهم احد عن شيء . وكان بالقرب منهم ديرٌ مبنيٌّ على اسم مار سركيس وقد ضبطهُ جبرائيل من النساطرة فاراد النساطرة الدخول اليه لكي يصلّوا وفي مقدّمتهم كيوركيس وحنانيشوع وشوحالماران مطران كرخ سلوخ . فنعهم جبرائيل وجرت بينهم منازعة شديدة فيها اغلظ كيوركيس بالكلام فاستشاط جبرائيل الطبيب غضبــاً وافرغ جهده في كسر اعدآءه كسرًا تامًّا . وذهب الى الملك وحمّله على شوحالماران وعلى كيوركيس وقال لهُ : « انَّ المطران جمع عليَّ خلقاً كثيرًا ليقتلوني . وكيوركيس سبَّ جلالتك وشتمك ومع كونه مجوسيًّا وكان مكرَّماً لديك فقد اعتنق الديانــة النصرانية وتجاسر الآن ان ياتي ايضاً الى بابك . » فسمعه الملــك وامر بنفي شوحالماران (١) . امَّا كيوركيس فجلبه وامر درماخان احد رجال الدولة بالبحث عن امره . فاخبره كيوركيس بقصته وكيف انهُ تنصر وترهّب . ونقل درماخان كلَّ ذلك الى الملك . فعرفه خوسرو وذكر انهُ كان قبلًا بخدمتــه . فلمّا نزل الى المدائن امر به فحُبس في قصر أقراد كوخي بقرب ساليق . وبقي كيوركيس مدَّةً في الحبس . ثمَّ طولب بالرجوع الى المجوسيــة ولم يقبل . فأُخرج الى سوق التبن وعُلّق على خشبة ورُشق بالسهام حتى مات . وكان استشهاده في ١٤ كانون الثاني سنــة ٦١٥ . وبقي معلّقاً على الصليب ثلاثة ايام . وشوهد في الليل نور ساطع نازل عليه . واخذ جثته تلميذاه كوسيشوع وطيمثاوس ودُفنت في كنيسة مبنية على اسم مار سركيس في مباركتا بقرب المدائن (٢)

وانتشر خبر استشهاده في كلّ الاقطار . وجُعل لهُ تذكار في كل كنائس المدائن واكرمتهُ جميع بيع بيت أرمايي والاهواز وبيت قطرايي والهنــد والعرب وبيت كرماي . واجتمع خلق كثير في محلّ صلبه وحفروا الارض بعمق قامة واخــذوا التراب تبرّكاً

(١) راجع كتاب العفة [illegible] ، والتــاريخ السعردي [illegible] : [illegible] . وقصــة كيوركيس ٥١٩ — ٥٢٢ (٢) القصة ٥١٩ — ٥٦٠ . وكويدي ١٧

وهكذا لم يستفد الاساقفة النساطرة شيئاً من اجتماعهم على باب الملك ولم يجسروا ان يطلبوا مرّة ثانيةً انتخاب رئيسٍ لهم . فانّ قتل مار كيوركيس ونفي شوحالماران خوّفاهم كثيرًا وبقوا بدون بطريرك الى وفاة خوسرو الثاني . امّا اليعاقبة فنالوا من الملك اذناً في انتخاب مطرانٍ لهم . فانهم في سنة ٦١٤ رسموا عليهم مطراناً رجلًا اسمهُ شموئيل (١)

انّ اساقفة الكنيسة النسطوريّة في المدّة التي فرغ فيها الكرسيّ البطريركيّ قاموا باعباء وظيفتهم اتمّ قيام ودافعوا عن حقوق كنيستهم اشدّ مدافعة . فانهم اجتمعوا بكرخ جدان في بيت كرماي بمعاونة يزدين الصرّاف وجدّدوا حرم حنانا ومن يعتقد بمذهبه ومن يقرأ كتبه (٢) . ولا بدّ من انهم في هذا المجمع عيَّنوا آبا الاركدياقون نائباً بطريركيًّا . وكان آبا من المدائن وذا عقل وحزم (٣) . وعيَّنوا ايضاً باباي الكبير زائرًا عموميًّا للاديرة كي يطهّرها من هرطقة المصلّين (٤) وكان باباي من اجلّ ملافنة زمانه واصله من بيت عيناثا في بيت زبداي . وقرأ في مدرسة نصيبين . ثمّ تتلمذ لابراهام الكبير وخلف داديشوع في رئاسة الدير سنة ٦٠٤ . وقاوم حنانا والّف كتاباً ضدّه وصنّف ايضاً اثنين وثمانين كتاباً (٥) . فكتب اليه قرياقوس مطران نصيبين ويوناداب مطران حدياب وجبرائيل مطران كرخ سلوخ الذي خلف شوحالماران ان يزور الاديرة وينقّيها من الهرطقات . فكمّل باباي وظيفته هذه بكلّ غيرة ونشاط وجال في الاديرة واصلح الامور(٦) بمساعدة يزدين الصراف . وفي تلك الاثناء مات جبرائيل السنجاريّ . فتحسّنت بموته احوال النساطرة . وانحطّ شان اليعاقبة . فخربت كل الاديرة والكنائس التي كانت

---

(١) ابن العبري ܒ : ١٠٩

(٢) التاريخ السعردي ܒ : ܦܕ

(٣) التاريخ السعردي ܒ : ܦ وكويدي ١٧ . وماري ٦١ وعمرو ٥٢

(٤) توما ٤٢

(٥) راجع عن باباى كتاب العفة ܠܗ . والتاريخ السعردى ܒ : ܦ وܦܕ . وتوما ٤٢ – ٤٧ و٥٥ . والسمعاني ܟ : ٤ : ٨٨ – ٩٧

(٦) التاريخ السعردى ܒ : ܦܕ

لهم في المدائن واطرافها . ولمّا مات مطرانهم شموئيل سنة ٦٢٤ لم يقــدروا ان يعيّنوا مكانه مطراناً آخر فبقوا هم ايضاً بدون رئيس حتى مــات خوسرو ابرويز (١) .

الفصل الثالث

غارات الفرس على بلاد الروم (٦٠٤ — ٦٢٨)
اضطهاد خوسرو الثــاني للنصارى وقتله (٦٢٨)

راينا سابقاً ان الروم لمّا قتلوا ملكهم موريقي واجلسوا مكانه فوقا سنة ٦٠٢ تجدّدت الحرب بينهم وبين الفرس . فانّ تناداسيس بن موريقي التجأ الى خوسرو الثاني مستجيراً به فقبله وضمن له بذل الجهد في ردّ مملكته اليه كما انّ موريقي اباه رجّع الى خوسرو تاجه الذي اغتصبه بهرام. فامر خوسرو ابرويز مار سبريشوع الجاثليق ان يذهب بتناداسيس الى الكنيسة ويعقد له التاج على عادة الروم (٢) . ثمّ انفذ معه قائدًا من قوّاده فحملا على دارا وحاصراها . وبعد ايام خرج خوسرو ايضاً ومعهُ مار سبريشوع . واقام على دارا تسعة اشهر حتى فتحها (سنــة ٦٠٤) ورجع الى المدائن . امّا ماكان من امر تناداسيس بن موريقي فانهُ مات مسموماً . غير انّ الحرب لم تبطل بموته ودامت اكثر من عشرين سنة (٣) . فانّ خوسرو ابرويز قصد ان يملك جميع البلاد التي كان قد استولى عليها كورش الملــك وخلفآءه

انّ الجيوش الفارسيّة بعد ان استولت على ميافرقين وآمد وماردين عبرت الفرات سنة٦٠٧وافتتحت منبج وقنّسرين وحلب وانطاكية. وفي سنة٦٠٩ استولى خوسرو

---

(١) ابن العبرى ب : ١١١

(٢) كويدى ١٣ . والتاريخ السعردى ب : حد . ولابور ٢٣٢

(٣) عن هذه الحرب راجع تاريخ اورهاي لدوفال ٢٢٢ — ٢٢٦ وتاريخ ابن العبري ٩٣ — ٩٦ . وفي العربية ١٥٥ — ١٥٦ . والتاريخ السعردي ب : فو . وكويدى ١٣ — ١٤ و ١٩ — ٢٣ . والنصوص السريانية طبعة لاند ٢ : ١٥ — ١٧

على اورهاي وعامل سكانها بقساوة شديدة وسبى منها خلقاً كثيراً وعيّن فيها اسقفاً نسطوريًا يقال له أحشيا (١). غير انَّ الاهالي لم يقبلوه . وبعد فتح اورهاي عبر الفرس ثانيةً الفرات واثخنوا الجراح في الجيوش الروميّة التي قاومتهم وقتلوا القائد سركيس . ثمَّ توغلوا في ارمنية الصغرى وذهبوا بفتوحاتهم الى خلكيدونية

ولمَّا كانت السنة ٦١٠ أُنزل فوقا عن العرش وجلس مكانه هرقل . فارسل هذا الملك سفراءه الى ملك الملوك يطلب الصلح . لكنّ خوسرو تكبَّر بفتوحاته ولم يستجبه وواظب على الحرب . وفي سنة ٦١١ افتتح الفرس مدينة قيصريّة . وفي سنة ٦١٣ استولوا على دمشق . وفي سنة ٦١٤ افتتح شهربراز القائد مدينة اورشليم وامر بنهبها وسبى اعيانها وفي جملتهم زكريا البطريرك . واخذ الفرس من اورشليم اشياء كثيرة نفيسة لا تُثمَن ومن جملتها الخشبة التي صُلب عليها المسيح ونُقلت كل هذه الاشياء الى المدائن ووُضعت في مخزن بناه خوسرو ليجمع فيه كل الغنائم المكتسبة من بلاد الروم . ولمَّا فتح الفرس اورشليم القى اليهود نارًا في كل الكنائس واحرقوها وفي جملتها كنيسة القيامة . فطلب يزدين الصراف من الملك فامر ببناء الكنائس المحروقة ومعاقبة اليهود (٢)

ثمَّ ان الفرس حملوا على مصر وشدّوا الحصار على اسكندريّة . وكان فيها رجل نصراني من بيت قطرابي اسمه بطرس . هذا احتال وسلّم المدينة ليد الفرس فاخذ القائد الفارسيّ مفاتيح المدينة ليرسلها الى خوسرو . فاخذها يزدين وفي تلك الليلة عينها صاغ عليها مفاتيح من ذهب وارسلها الى ملك الملوك . وكان ذلك ممَّا زاد حبّه ليزدين (٣)

ولما راى الروم انَّ مملكتهم على حافة الهاوية ثارت الحميَّة في قلوبهم . وكانت كنائسهم غنيَّة جدًّا . فتبرّع الاقليروس الى الخزينة بكل ما في المعابد من الذهب والفضة . وصالح هرقل الاقوام البرابرة التي على حدود مملكته . وحمل على الفرس

---

(١) ابن العبرى ٢ : ٢٦٣ . البـائن ان هذا الاسقف كان اسقف لاشوم (راجع السنهادوسات ٢٠٣)

(٢) كويدى ٢١ — ٢٢ (٣) فيه ايضاً

في اناضول وانتصر عليهم . ومما سهّل انتصارات هرقل انّ شهريون صاحب جيش الفرس وهو شهرباز المذكور آنفاً انحاز الى الروم. وسبب ذلك ان شمطا بن يزدين الصرّاف شتم ابنته اذ كانت ذات يوم مجتازة في ازقّة المدائن ومعها جواريها . فكتبت الى ابيها وعرّفتهُ بالخبر . فكتب القائد الى خوسرو يسالهُ الانتقام من شمطا . ولم يجب الملك الى طلبته . فوقعت العداوة بينهما (١) . حينئذٍ كتب خوسرو الى قائد آخر يقال لهُ قردنجان (٢) ان يحتال على شهريون ويقتله . فوقعت الرسالة بيد الروم واوصلوها الى شهريون . وحرّف هذا القائد الرسالة وقرأها على قردنجان وعلى غيره من قوّاد الجيش . وخلعوا قاطبةً طاعة ملك الملوك فاعطى هرقل الامان لشهريون وقردنجان واقاما في بلاده . ثمّ انّ هرقل كتب الى خاقان الخزر كي يرسل اليه اربعين الف جندي ووعده انهُ يزوّجه بابنته أُودوكسيا (٣)

فلمّا كانت السنة ٦٢٥ زحف هرقل بجيوشه على ارمنية الفارسيّة . وارسل عليه خوسرو قائداً اسمه روزبيهان . فالتقى بهرقل على الزاب الاكبر . وصار القتال شديداً وهرب الفرس وقُتل روزبيهان . واستولى الروم على حدياب وبيت كرماي وشهرزور ووافوا الدسكرة وخوسرو الملك مقيم فيها . فخاف ملك الفرس ونادى في معسكره بالرحيل وانتقل الى المدائن وقد قطع الجسور التي على نهروان لمنع الروم من العبور . ودخل هرقل الدسكرة واغتنم اشياء كثيرة ولما انتهى الى نهروان وراى الجسور مقطوعة كرّ على اعقابه . وكان ذلك سنة ٦٢٨ (٤)

انّ خوسرو تغيّرت اخلاقه في آخر حياته وقد راينا كيف ولماذا ابتدأ ان يُسيء الى الكلدان النساطرة . وفضلاً عن ذلك ان الحروب الطويلة الدمويّة التي جرت بينه وبين الروم جعلتهُ ان يتجبّر ويعبث بالرعية ويضاعف عليهم الخراج وياخذ

---

(١) التاريخ السعردي

(٢) تاريخ ابن العبري يكتب قردبهان

(٣) التاريخ السعردي ك : كو وتاريخ الدول ٩٥ — ٩٦

(٤) التاريخ السعردي ك : كو . وكويدي ٢٢ — ٢٣ وتاريخ ابن العبري ٩٦

اموالهم . حتى انه لما مات يزدين الصراف اغتصب جميع امواله (١) . وحبس امراته وعذّبها كثيرًا لكي تكشف له ما في بيتها من الكنوز الخفيّة (٢). واقتدى ايضاً بسلفائه بقتله اشراف المجوس الذين تنصّروا . والذين بلغت الينا اسماءهم : ايشوعسبران ورفاقه وانسطاس ورفاقه والقديسة كريسطينا . وقد سبق القول عن كيوركيس الشهيد

ايشوعسبران الشهيد

انّ قصّة حياة ايشوعسبران كتبها ايشوعياب الحديابي وطبعها الاب شابو سنة ١٨٩٦ (٣) . كان هذا الشهيد من قرية قور (٤) في جبال حدياب واسمهُ في المجوسيّة مهانوش . وتنصّر بواسطة امراته التي كانت نصرانية . واعتمد في دير بيت شكوح الذي بشرقيّ اربيل . وسمّي في المعموذيّة ايشوعسبران . فكُشِف امره وحُبس في حزّة اربعين يوماً . وفي تلك الاثناء ذهب الى هناك يزدين الصراف واطلق سبيله . فرجع ايشوعسبران الى قريته وبنى بالقرب منها ديرًا . فاجتمع اليه بعض الرهبان وعاش معهم ملازماً الصوم والصلوة ومتصدّقاً على الفقراء ونصّر كثيرين فحسده المجوس وشكوه الى عامل حزّة . فقبض عليه نحو سنة ٦٠٦ وارسله الى اربيل وهناك أُلقي في السجن ١٥ سنة وهو يلازم التقشف ويحتمل العذابات والاهانات بصبر عجيب . ثمّ سيق الى باب الملك لما خرج الى ماداي . ومرّ

---

(١) لا ندري لماذا الاب لابور (ص ٢٣٤) يقول ان خوسرو قتل يزدين الصراف فيما ان جميع المؤرخين يقولون انهُ مات حتف انفهِ (راجع كتاب الرؤساء . والتاريخ السعردي ورسائل ايشوعياب الحديابي طبعة دوفال ٩٠) ولعل لابور انتشّ بقول كاتب التاريخ الذي طبعه كويدى (ص ٢٤) ان شمطا ونيهورمزد قتلا خوسرو . الاول لانهُ بعد موت ابيه يزدين غصب خوسرو بيته . والثاني لان خوسرو كان قد قتل اباه . فظن لابور ان نيهورمزد كان ايضاً ابن يزدين . والحال انه كان من المرازبة . فانه اتى في التاريخ السعردي ܒ : ܟܒ : ان شمطا بن يزدين وهرمزد وجماعة من المرازبة تعاضدوا . . . وقتلوا خوسرو الملك

(٢) كويدى ٢٤ . وتوما ٥٤ . والتاريخ السعردي ܒ : ܟܒ

(٣) راجع ايضاً العفة ܗܘ

(٤) اظن ان قور هي كور الحالية وهي في غربي شقلاوة على مسافة ثلاث ساعات منها

في طريقه على يزدين في كرخ جدان فاكرمه هذا المؤمن كثيراً . لكنهُ لم يقدر في هذه المرّة ان يخلصهُ . وصُلب ايشوعسبران بامر الملك في قرية بيت دوداري سنة ٦٢١. وبُني على اسمه دير جليل في اربيل

وقد استشهد مع ايشوعسبران اثنا عشر رجلاً من اعيان بيت كرماي . غير ان ايشوعياب الحديابي لم يقل شيئاً عنهم ولا ذكر اسماءهم لانّ قصّتهم كانت معروفة ومدوّنة في بطون الاوراق . وهاك اسماءهم كما اتت في الكرّا الموجود في كنيسة ماردين الكلدانيّة : ايشوعسبران وبرشاهريغ وبرحنانا وقابوس ومهريغ وبرزور ويوزرين وديندوي وشابور وليلوك ونيساناي وبرقرداحي وتذكار ايشوعسبران ورفاقه الشهداء عند الكلدان في١٨ كانون الاول (١) وقد اتى ايضاً في الجمعة الثالثة من السوبار (٢)

كريسطينا الشهيدة

وفي تلك المدّة استشهدت السيّدة كريسطينا .لانّ كاتب قصتها هو باباي الكبير . وجميع القدّيسين الذين كتب هذا الملفان قصصهم كانوا معاصرين لهُ كما قال هو نفسهُ في مقدّمة قصّة مار كيوركيس الشهيد (٣) وقصّة كريسطينا الشهيدة مكتوبة في آخر الكتاب بعد قصّة سبريشوع الجاثليق وكيوركيس الشهيد (٤) . وقد وصلت الينا لكنها لسوء الحظ ناقصة كثيراً (٥) . كان اصل كريسطينا من كرخ سلوخ من العائلة الملوكيّة . واسمها في المجوسيّة يزدوي . واسم ابيها يزدين بن ميهرزبيري وهو غير يزدين الصراف السابق ذكره. وكان ابوها مجوسيًّا ومرزباناً في نصيبين. ولما تنصّرت كريسطينا قبضوا عليها وقتلوها. واتى ذكرها في الكلندار الرومانيّ في ١٣ اذار

---

(١) الكلندار النسطوري

(٢) مخطوطات القلاية البطريركية في الموصل لادى شير باريس ١٩٠٧ ص ٩

(٣) قصة جبالاها الخ ٤٢٤ — ٤٢٨

(٤) المخطوطات السريانية والعربية المحفوظة في قلاية ديار بكر الكلدانية لادى شير في المجلة الاسيوية ١٩٠٧ العدد ٩٦ ص ٥٢

(٥) بيجان ج ٢ : ٢٠١ — ٢٠٢

انسطاس الشهيد

انّ القديس انسطاس كان اسمهُ مغوندات في المجوسية (١) واصلهُ من بازيق (٢) . ودخل في السلك العسكريّ في خيّالة الملك . ورافق الجيش الذي افتتح اورشليم سنة ٦١٤ . وتنصّر هناك واعتمد وسُمّي انسطاس . وترهّب في دير انسطاس حيث بقي سبع سنين وتعلّم اللغة اليونانيّة . ثمّ انتقل الى قيصريّة . فعرفه المجوس الذين هناك والقوا عليه القبض وطرحوه في السجن واذاقوه عذابات شديدة وكتب عنهُ الحاكم الفارسيّ الذي في قيصرية الى خوسرو الثاني فامر به الملك ان يُرسل اليه مكبلًا بالاغلال . وكان حينئذٍ مقيماً في الدسكرة . فحُبس انسطاس في سجن قريب من المدينة . وكان برفقته راهب من ديره نزل في دار قرطاق بن يزدين الصرّاف . ثم انَّ الملك امر بتعذيب انسطاس ليحملهُ على التمجّس . فأذيق عذاباً مرًّا . وزاره كثير من النصارى طالبين ادعيته وفي جملتهم ولدا يزدين شمطا وقرطاق . ثم امر الملك بقتله وقتل النصارى المحبوسين معهُ وكانوا سبعين شخصاً . فقطع الجلّاد رؤوس جميعهم قدّام عينَي مار انسطاس . ثم خنقهُ وقطع راسه فدفع شمطا وقرطاق الى الحراس مبلغاً من الدراهم واخذا جثته ودفناها في دير مار سركيس . وكان جهاده في ١٢ كانون الاول سنة ٦٢٧ . وقد كتب قصته في اليونانية الراهب الذي كان يتبعهُ . ثم ان جسده نُقل الى القسطنطينية ومن هناك الى ديره في فاسطين . اما راسه فأُخذ مع ايقونته الى رومية . وهذه الايقونة عجائبيَّة وقد استشهد بها المجمع النيقاويّ الثاني المسكونيّ سنة ٧٨٧ وفضّلها على سواها من الايقونات اثباتاً لوجوب اكرام الصور . والكنيسة الموضوع فيها راس القديس مع ايقونته عُرفت منذ ذلك الحين بكنيسة القديس منصور والقديس انسطاس

ان شمطا بن يزدين الجليل اخذ بثار جميع هؤلاء الشهداء . فانهُ حنق على

---

(١) راجع عن هذا الشهيد اعمال القديسين ٢٦ كانون الثاني ولانور ٢٣٣ ح ٥ . واعمال الاباء والقديسين والشهداء لالبانو بوتلير سنة ١٨٢٣ ك ٤ : ٣٢٧ — ٣٣٣ :

(٢) بيت واريق ؟

خوسرو ابرويز لتعذيبه امه ولاغتصابه اموال ابيه يزدين لكنه كان يريد ان يستبدّ بالملك ويتوقّع الفرصة لذلك . فتوآمر مع بعض رجال الدولة على قتل الملك ومن جملتهم نيهورمزد الذي كان خسرو قد قتل اباه . وكان ملك الملوك من بعد انصراف هرقل الملك من ديار الفرس قد اقام في المدائن فزعاً مرعوباً . فنزل شمطا ونيهورمزد الى ماحوزا وفتحا السجون واخرجا المسجونين وسلّحاهم . واخرجا ايضاً من الحبس شيروي بن خوسرو من مريم الرومية بنت موريقي الملك وملّكاه مكان ابيه فخاف خوسرو ابرويز واراد الهزيمة . فقُبض عليه وحُبس في بيت رجل يقال له ميهرسپند . ولم يكتفِ شمطا ونيهورمزد بذلك بل طلبا الى شيروي الملك قتل ابيه خوسرو . فاذن لهما . فلمّا دخلا عليه رفع شمطا السيف لكي يضربه . فبكى خسرو بكاء مرًّا . فتأثّر شمطا من بكاءه ولم يضربه . غير ان نيهورمزد قتى قلبهُ وضربهُ ضربتين بالفاس على كتفَيه وقتلهُ (١)

هذه كانت آخرة خوسرو ابرويز الذي ملك ممجّداً مظفّراً مدّة ٣٨ سنة واستولى على جميع بلاد الروم الشرقيّة وذهب بفتوحاته الى مصر ولوبية وكاد يفتتح القسطنطينية

ثم ازداد شمطا ونيهورمزد جسارةً وعاونهما بعض رجال الدولة . فحملا شيروي على قتل جميع اولاد خوسرو الثاني خوفاً من انّ احدهم يطالب بثار ابيه ويدّعي بالملك . فقتل شمطا جميع اولاد خوسرو ابرويز وفي جملتهم مردانشاه بن شيرين الملكة وكانوا اربعة وعشرين عدداً (٢) . وقد سبق القول انّ شمطا كان يريد المُلك لنفسه . ولعلّهُ استعان بهرقل الذي كان يبتغي ان يجعل المملكة الفارسيّة نصرانيّة فتتحالف مع اختها المملكة الرومية وتضرب عن مبارزتها . غير ان شيروي كشف الامر وحبس شمطا . لكنهُ خرج من الحبس وهرب الى الحيرة (٣) . غير ان هذه المدينة العربيّة لم تكن قد بقيت على استقلالها الاول .

---

(١) كويدي ٢٣ . والتاريخ السعردي: مح ف . وتوما ٥٤ — ٥٥

(٢) توما ٥٥ . وكويدي ٢٤ . والتاريخ السعردي

(٣) كذلك